الدكتورة: فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية

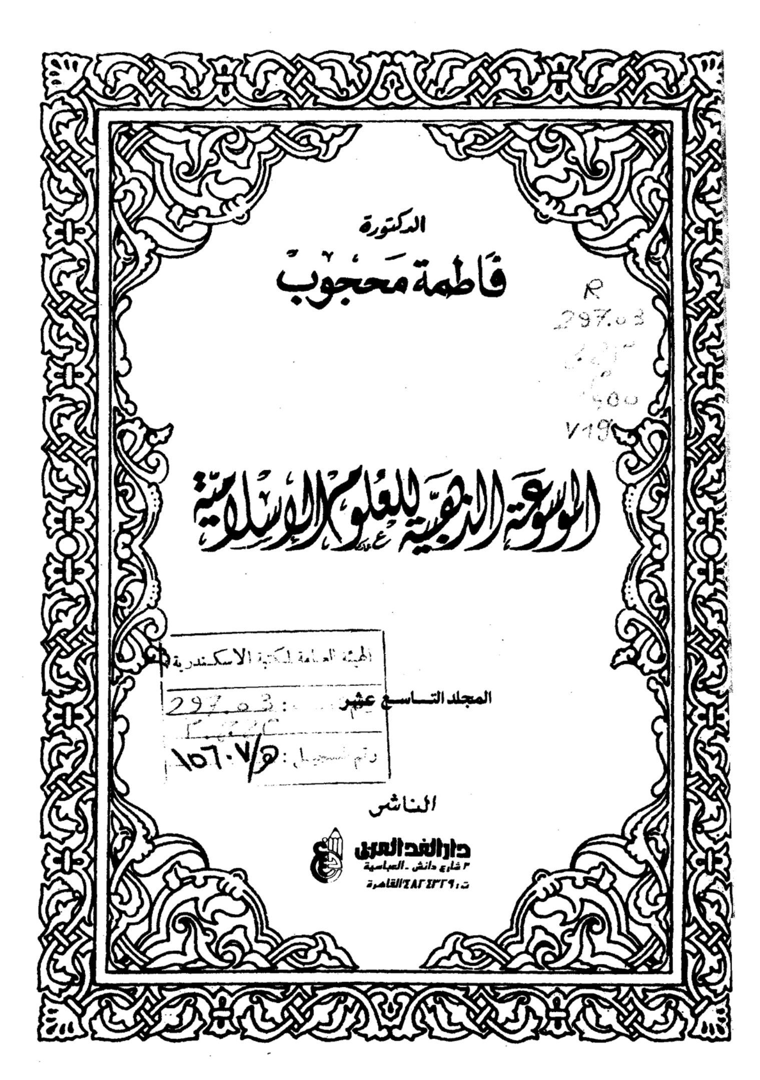
للعلوم الإسلامية



اهداءات ١٩٩٩

ا/ سميح محمود سعودى

الاسكندرية



الدكتورة

قاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

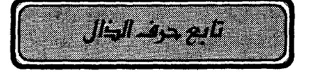
المجلد التاسع عشر

الناشر

دار الغد العربي
٣ شارع دانش ـ العباسية
القاهرة

للنـــاشر
دار الغد العربي
للطباعة والنشر والتوزيع
٣ شارع دانش ـ العباسية ـ عبده باشا ـ القاهرة
الإدارة : ٢٨٥٦١٢٢/ ٤٨٢٤٣٢٩/ ٢٨٤٣١١٥
فاكس : ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة
جمهورية مصر العربية

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية



ذو اللحية:

قال ابن عبد البر: ذو اللحية الكلابي . يعد في البصريين . واسمه شريح بن عامر بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . له صحبة . روى عنه يزيد بن أبي منصور (الاستيعاب ٢ / ٤٧٥).

وقال عنه الحافظ ابن حجر: قال سعيد بن يعقوب: اسمه شريح وقال ابن قانع شريح بن عامر وحكاه البغوي وقال المفضل العلائي هو الضحاك بن سفيان وقال ابن الكلبي ذو اللحية شريح بن عامر بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ولم يصفه بغير ذلك روى البغوي والطبراني والحسين ابن سفيان وابن قانع وابن أبي خيثمة وغيرهم من طريق سهل ابن أسلم عن يزيد بن أبي منصور عن ذي اللحية الكلابي أنه قال: يارسول الله أنعمل في أمر مستأنف أم في أمر قد فرغ منه . . الحديث (الإصابة ٢ / ١٧٨).

(الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوي ٢ / ٤٧٥ ، والإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢ / ١٧٨).

ذو اللسانين:

قال السمعاني :

ذو اللسانين: هذه اللفظة لقب موءلة بن كُثيف وقيل ابن مولى الضحاك بن سفيان والد عبد العزيز، وسمى ذا اللسانين لفصاحته، يقال إنه عاش في الإسلام مائة سنة، وبايع رسول الله ﷺ وصحبه، روى عنه ابنه عبد العزيز.

(الأنساب للسمعاني ٣ / ١٥)

ذو المجدين:

ذو المجدين: أطلق على المأمون بن الظافر على قطع من النقود من طليطلة بتاريخ سنة ٤٤٨ هـ وسنة ٤٦٥ هـ، ومن بلنسية بتاريخ سنة ٤٥٧ هـ وعلى قطع أخرى غير مؤرخة من طليطلة.

ويلاحظ أن الظافر والد المأمون كان يلقب أيضا بلقب مضاف إلى مثنى هو «ذو الرئاستين». وقد ورد اللقبان في نقش بتاريخ سنة ٤٤١ هـ على صندوق من العاج من أسبانيا: «... مما عمل بمدينة قونكة بأمر الحاجب حسام الدولة أبو محمد إسماعيل بن المأمون ذي المجدين ابن الظافر ذي الرئاستين ابن محمد بن ذي النون...» ويعتقد أن اللقب هنا لا يشير إلى السلطتين الحربية والمدنية ...

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٩).

ذو مخبر:

قال ابن عبد البر : ذو مخبر ـ ويقال: ذو مخْمَر. وكان الأوزاعي يأبى في اسمه إلا ذو مخمر بالميمين، لا يرى غير ذلك ، وهو ابن أخي النجاشي، وقد ذكره بعضهم في موالي النبي ﷺ، له أحاديث عن النبي ﷺ مخرجها عن أهل الشام، وهو معدود فيهم (الاستيعاب ٢ / ٤٧٥).

وقال الحافظ ابن حجر: يقال ذو مخمر الحبشي ابن أخي النجاشي وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخدمه ثم نزل الشام وله أحاديث أخرج منها أحمد وأبو داود وابن ماجه منها عند أبي داود من طريق جرير بن عثمان عن يزيد بن صبيح عن ذي مخبر وكان يخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر حديثا في نومهم عن الصلاة. روى أبو داود أيضا من طريق خالد بن معدان عن جبير بن نفير قال انطلق بنا إلى ذي مخبر رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتيناه فسأله جبير عن الهدنة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ستصالحون الروم الحديث (الإصابة ٢ / ١٧٨).

(الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوي ٢ / ٤٧٥ ، الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر ٢ / ١٧٨).

* **ذو المشهرة:**

من الأذواء الذين ذكرهم المبرد ونقل عنه ابن عبد البر فقال:

ومنهم ذو المشهرة أبو دجانة، سماك بن خرشة كانت له مشهَّرة إذا خرج بها يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر، وهؤلاء كلهم أنصاريون.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٧٧).

وقد أوردنا ترجمة أبي دجانة فى حرف الدال فى م ١٧ / ٨٣، ٨٤ فانظرها فى موضعها. انظر مادة «الأذواء» فى م ٣ / ٥١٩.

* **ذو معاهر:**

من ملوك حمير الذى أحصاهم نشوان بن سعيد فى قصيدته فقال:

أو ذو معاهرَ غُلِّقت أبوابُه

فأتى لها الحدثان بالمفتاح

هذا الملك ذو معاهر بن حسان الأضخم بن تبع الأقرن (انظر ترجمة هذا الأخير فى حرف التاء فى م ٨ / ٤٥٩، ٤٦٠)، سمى ذا معاهر لأنه أول من أحدث المعاهر لباب ظفار، وهى جرس من ذهب، كانت على باب ظفار إذا فتح الباب سمع لتلك الجرس صوت من مكان بعيد.

(ملوك حمير وأقيال اليمن — قصيدة نشوان بن سعيد الحميرى - تحقيق إسماعيل بن أحمد الجرافى وعلى بن إسماعيل المؤيد / ١٤٧).

* **ذو المنار:**

أبرهة (ذو المنار) بن الحارث الرائش بن شدد بن الملطاط ابن عمرو (ذى أبين) من حمير، من تبابعة اليمن (انظر مادة «تبع» فى م ٨ / ٤٥٧ — ٤٥٩). جاهلى كان مع أبيه فى بعض حروبه بالعراق، ومات أبوه فيها، فولى الملك بعده، و«أبرهة» بالحبشية «وجه أبيض» وقيل: سماه أبوه على اسم إبراهيم الخليل. غزا وفتح كأسلافه، ومات بغمدان (الأعلام ١ / ٨٢) وقد ذكره نشوان بن سعيد الحميرى فى قصيدته فى ملوك حمير وأقيال اليمن فقال:

أو ذو المنار بنى المنار إذا غزا

ليُدلَّه فى رَجْعِه ومَراحِ

ألقى بمنقطع العمارة بَرْكَهُ

فى الغرب يدعو لات حين براح

(البرك: جماعة الإبل).

ذو المنار هو أبرهة بن الحارث الرائش الملك، ويسمى ذا المنار لأنه أول من نصب المنار والأعلام والأقيال على الطريق ليهتدى بها جيشه عند القفول من غزوهم فى رجوعهم (الميل منار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض يهتدى به. وتدرك المسافة) وكان غزوهم إلى منقطع العمارة فى المغرب، فملك تلك النواحى، وولى بها الولاة والعمال والكفاة.

وفى نسخة أخرى جاءت هذه الزيادة: ولما نوى الرجوع من أقصى المغرب بما غنم وسبى وافاه أجله فدفن هناك، وسبحان الباقى بعد فناء خلقه. وإلى هنا الإشارة بقوله «بمنقطع العمارة بركه» أى رحله فأقام حيث لا براح. قال ذو الإصبع العدوانى (انظر ترجمته فى موضعها):

أهلكنا الليل والنهار معا

والدهر يغدو مصمما جذعا

ويفرّق الجمع بعد ثروته

ما شاء من بعد فرقه جمعا

كما سطا بإرم عا

د وأذكى لتُبَّعٍ تبعا

(ملوك حمير وأقيال اليمن / ٦٩، ٧٠).

(الأعلام للزركلى ١ / ٨٢، وملوك حمير وأقيال اليمن. قصيدة نشوان ابن سعيد الحميرى — تحقيق إسماعيل بن أحمد الجرافى وعلى بن إسماعيل المؤيد / ٦٩، ٧٠ انظر أيضا جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى - تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون / ٤٣٨).

* **ذو النباهتين:**

ذو النباهتين: نبه بمعنى شرف. وقد أطلق على خلف بن الحسن الصوفى فى نص إنشاء من ح سنة ٤٧٥ هـ بالقلعة فى جبيل.

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٩٩).

* **ذو النجابتين:**

ذو النجابتين: نجب بمعنى شرف، ورجل نجيب أى كريم. وقد أطلق على أبى الحسن يوسف بن فيروز فى نص

إنشاء بتاريخ سنة ٥٢٧ هـ في معبد بعل في تدمر .

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٩٩).

*** ذو النخامة:**

قال الحافظ ابن حجر ذو النخامة لا أعرف اسمه ... روى ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات له من طريق الربيع بن صبيح عن غالب القطان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على ذي النخامة وهو موعوك قال منذ كم قال: منذ سبع قال اختر إن شئت دعوت الله لك أن يعافيك وإن شئت صبرت ثلاثا فتخرج منها كيوم ولدتك أمك قال بل أصبر يا رسول الله في إسناده ضعف مع إرساله .

(الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢ / ١٧٨).

*** ذو النِّسعة:**

قال الحافظ ابن حجر: ذو النسعة: بكسر أوله وسكون المهملة لا أعرف اسمه ثبت ذكره في حديث البخاري وروى أصحاب السنن من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قتل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدفعه إلى وليّ المقتول فقال القاتل: لا والله ما أردت قتله فقال لولي المقتول إن كان صادقا فقتلته دخلت النار فخلى سبيله وكان مكتوفا بنسعة فخرج يجر نسعته فسمى ذا النسعة لفظ النسائي وأخرج مسلم معناه أو قريبا منه من حديث وائل ابن حجر ولكن ليس في آخره فسمي ذا النسعة والنسعة بكسر النون وسكون المهملة بعده مهملة هو الحبل .

(الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢ / ١٧٨).

*** ذو نواس (ت ١٠٢ ق هـ / ٥٢٤ م):**

قال الزركلي: ذو نواس الحميري: آخر ملوك حمير في اليمن. في اسمه واسم أبيه اضطراب ... ابن الأثير : ١ / ١٤٩ سماه «ذرعة بن تبان أسعد بن كرب»، ونهاية الأرب للنويري ١٥ / ٣٠٣ ـ ٣٠٥ وهو فيه «زرعة بن كعب» ، وخزانة البغدادي ١ / ٣٥٧ وهو فيه «ذرعة» والتيجان / ٣٠١ وهو فيه زرعة بن تبان أسعد، والقاموس : مادة «نوس» وهو فيه «زرعة بن حسان» وفي تاريخ العروس : مادة «شنتر» اسمه ذو نواس وهو فيه، مادة «خد» ذو نواس أحد أذواء اليمن ، وكتاب الشهداء الحميريين، في مجلة المجمع العلمي ٢٣ / ٥ جاء في مقدمته: الملك المسمى ذا نواس عند العرب، ودومنوس أو داميانس عند الروم، ومسروقا عند السريان، وجمهرة الأنساب لابن حزم / ٤٣٨ وفيه «زرعة» ، وهو ذو نواس الذي تهوَّد، وهوَّد أهل اليمن، وتسمى يوسف، وقتل النصارى أهل نجران، والعرب قبل الإسلام لزيدان / ١٢٣ وهو فيه «ذو نواس ويسميه اليونان دميانوس»، وتاريخ ابن الوردي ١ / ٥٨ وهو فيه «ذو نواس» ، والمحبر / ٣٦٨ وهو فيه» زرعة ذو نواس، وتسمى يوسف» (الأعلام ٣ / ٨ وهامش ١ ، وجمهرة أنساب العرب / ٤٣٨).

قال نشوان بن سعيد في قصيدته التي يعدد فيها ملوك حمير:

أو ذو نُواس حافرُ الأخُدود في
نجرانَ لم يخشَ احتمالَ جُناحِ

ألقى النصارى في نيار أججت
بوقود جمر مُضرم لفَّاح

فدعا له ذو ثعلبان أحابشا
منهم بقاعُ الأرض غير ضَواح

فتقحَّم البحر العميق بنفسه
وسلاحه وجواده السَّبَّاح

فغدا طعاما بعد عز باذخ
للحوت من نُون ومن تمساح

هذا الملك، ذو نواس الأصغر، واسمه زرعة بن عمرو بن زرعة الأوسط ابن حسان الأصغر ابن عمرو بن زرعة الأكبر ابن عمرو بن تبع الأصغر ابن حسان بن أسعد تبع، وهو صاحب الأخدود، سمي يوسف لما تهود، وقيل سمي ذا نواس، لذؤابتين كانتا له تنوسان على رأسه، وكان على دين اليهود، فشكا إليه يهود نجران غلبة النصارى، وذلك أنه وقع بين اليهود والنصارى فتنة بنجران، فنهض ذو نواس بالجنود إلى نجران، فحفر الأخدود (وهو الحفرة المستطيلة) وأضرم النار فيه، وخير النصارى بين الرجوع عن دينهم أو إحراقهم بالنار، فمنهم من رجع عن دينه، ومنهم من لم يرجع فأحرقه بالنار، وفيهم نزلت هذه الآيات ﴿قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود﴾ [البروج : ٤ ، ٥] إلى قوله ﴿العزيز الحميد﴾[البروج : ٨]. فلما صنع ذو نواس ما صنع بالنصارى في نجران،

غضب ذو ثعلبان الأصغر ابن ولد ذى ثعلبان الأكبر ابن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة وهو حمير الأصغر. ومضى إلى ملك الحبشة النجاشى ودينه دين النصارى، فاستنجده، وشكا إليه ما صنع ذو نواس، فبعث النجاشى مع ذى ثعلبان قائدا يقال له كالب، ويقال يربكى، فى ثلاثين ألفا إلى اليمن، فلقيهم ذو نواس، فقال لهم: نحن سامعون مطيعون، فدونكم اليمن، فهذه مفاتيح خزائنها فابعثوا إلى مخاليفها من يقبض لكم الخزائن، وأتى بمفاتيح تحملها إبل كثيرة، فكتب بذلك كالب إلى النجاشى يشاوره، فكتب إليه النجاشى أن يقبل منهم الطاعة، وافترقت الحبشة فى المخاليف، فلما صاروا بها كتب ذو نواس إلى رؤساء حمير أن يذبحوا كل ثور أسود عندهم، فعلموا ما أراد، فوثبوا على الحبشة فقتلوهم حتى أفنوهم، وبلغ ذلك النجاشى، فعلم أنه قد غدر بهم، فوجه قائدين بجيش عظيم إلى اليمن يقال لأحدهما إرياط والآخر أبرهة الأشرم، فلقيهم ذو نواس بمن معه فقاتلهم، فلما رأى أنه لا طاقة له بهم، اقتحم البحر بنفسه وفرسه، فغرق فيه. ففى ذلك يقول علقمة ذو جَدَن:

أو ما سمعت بقيل حمير يوسف ... أكل الثعالب لحمه لم يقبر

ورأى بأن الموت خير عنده ... من أن يدين لأسود أو أحمر

(قال النويرى: وهو آخر من ملك اليمن من قحطان، فجميع ما ملكوا من السنين ثلاثة آلاف سنة واثنتان وثمانون سنة (الأعلام ٣ / ٨).

ثم جمع النعمان بن عفير أبو سيف جموعا من أهل اليمن وقاتل الحبشة بالسحول، فهزموه إلى حقل شرعة فيمن تبعه من أهل اليمن، ولحقهم الحبشة فقاتلوهم، فلم يكن لهم بهم طاقة، واستولت الحبشة على اليمن (ملوك حمير / ١٤٧ ـ ١٤٩).

(الأعلام للزركلى ٣ / ٨، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى ـ تحقيق وتعليق عبد السلام هارون / ٤٣٨، وملوك حمير وأقيال اليمن. قصيدة نشوان بن سعيد الحميرى ـ تحقيق إسماعيل بن أحمد الجرافى وعلى بن إسماعيل المؤيد / ١٤٧ ـ ١٤٩. انظر أيضا الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعديين لحميد بن محمد بن رزيق ـ تحقيق عبد المنعم عامر و د. محمد مرسى / ٤٨، والتاريخ والمؤرخون العرب ـ د. السيد عبد العزيز سالم / ٢٥٩، ٢٦٠).

*** ذو النور:**

ذو النور، هو عبد الله بن الطفيل الأزدى ثم الدوسى، وكان مولاه من الصحابة رضى الله عنهم (ألقاب الصحابة / ٥٦). أعطاه النبى ﷺ نورا فى جبينه ليدعو قومه به. فقال: يارسول الله، هذه مثلة، فجعله رسول الله ﷺ فى سوطه (الاستيعاب ٢ / ٤٧٧، ٤٧٨).

وجاء فى هامش (١) للمحقق الأستاذ على محمد البجاوى التعليق التالى: وفى الإصابة: وروى الطبرى من طريق ابن الكلبى قال: سبب تسمية ابن الطفيل بذى النور أنه لما وفد على النبى ﷺ فدعا لقومه قال له: ابعثنى إليهم واجعل لى آية فقال: اللهم نوِّر له. فسطع نور بين عينيه، فقال: يارب أخاف أن يقولوا مثلة، فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيىء له فى الليلة المظلمة (الاستيعاب ٢ / ٤٧٨).

(ألقاب الصحابة والتابعين فى المسندين الصحيحين ـ تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، ومحمود نصار / ٥٦، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٧٧، ٤٧٨ وهامش (١) للمحقق).

*** ذو النورين:**

ذو النورين: عثمان بن عثمان... مشهور بها والمشهور أن ذلك لكونه تزوج ببنتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم واحدة بعد أخرى. وروى أبو سعد المالينى بإسناد فيه ضعف عن سهل بن سعد قال قيل لعثمان ذو النورين لأنه ينتقل من منزل إلى منزل فى الجنة فتبرق له برقتان فلذلك قيل له ذلك.

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٩. انظر أيضا ألقاب الصحابة والتابعين فى المسندين الصحيحين المسمى: الألقاب لأبى على الحسن بن محمد بن أحمد الجيانى الأندلسى ـ تحقيق محمد زينهم محمد عزب ومحمود نصار / ٥٥ وهامش ٣، والألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٩).

*** ذو النون الأسعردى:**

ذكر الرحالة ابن رشيد فيمن لقيهم بمصر فقال عنه تحت عنوان «أبو يونس ذو النون الأسعردى»:

ومن لقيناه أيضا بمصر: الشيخ أبو يونس ويكنى أيضا

بأبي محمد، ذو النون بن عمر بن عباس القرشي يعرف بالأسعردي الحرار الشراريبي.

لقيته بدكانه من مصر بجوفي المسجد الجامع المنسوب لعمرو بن العاص رضي الله عنه. وكتب لي خطه مجيزا، ولأولادي أبي القاسم وعائشة وأمة الله، ولأخواتي.

وهو شيخ من العامة. وله سماع صحيح. ورغب الناس في الأخذ عنه لغرابة اسمه.

سمع على الشيخ الحافظ رشيد الدين أبي الحسين يحيى ابن علي القرشي جزء الأنصاري، بسماعه له من أبي اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي، وأبي الفضل محمد بن يوسف الغزنوي، وأبي الحسن عبد اللطيف بن إسماعيل بن أحمد بن محمد النيسابوري ثلاثتهم عن محمد بن عبد الباقي بسنده المعروف.

وسمع الجزء الأول من كتاب الناسخ والمنسوخ تأليف الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن موسى الحازمي رحمه الله على الشيخين الأخوين زين الدين أبي المكارم عبد الله بن الحسين بن منصور الدمياطي وأخيه أبي عبد الله الحسين، بسماع أبي المكارم المذكور من مؤلفه الحازمي، وبإجازة أخيه الحسين من الحازمي المذكور.

قرأت على الشيخ أبي يونس ذي النون بن عمر بن عباس الأسعردي الشراريبي ـ بدكانه بجوفي المسجد الجامع المنسوب لعمرو بن العاص رضي الله عنه بفسطاط مصر، بعد عصر يوم الجمعة السابع عشر لرجب عام أربعة وثمانين وستمائة ـ قلت له: حدثكم الشيخان أبو المكارم عبد الله وأبو عبد الله ابنا الحسن بن منصور الدمياطي قراءة عليهما وأنت تسمع فأقر به قالا، أنا الحافظ أبو بكر محمد بن أبي عثمان موسى بن عثمان الحازمي: قال أبو المكارم قراءة عليه ونحن نسمع سنة أربع وثمانين ببغداد، وقال أبو عبد الله كتابة، أخبرني محمد بن عمر بن أحمد المديني الحافظ، أنا الحسن ابن أحمد القارئ، أنا أبو نعيم، أنا أبو محمد الغطريفي، أنا أحمد بن موسى العدوي، نا إسماعيل بن سعيد الجرجاني، أنا محمد بن جعفر، عن جرير بن عثمان، عن عبد الرحمن ابن أبي عوف، عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال:

«قال رسول الله ﷺ: ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ثلاثا، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته ـ أي سريره ـ يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه».

وبه إلى الحازمي قال، أخبرني أبو بكر محمد بن إبرهيم ابن علي الخطيب، أنا يحيى بن عبد الوهاب العبدي، أنا محمد بن أحمد الكاتب، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان، ثنا حسن بن هارون، نا عمرو بن علي، نا ابن مهدي، نا معاوية بن صالح، عن الحسن بن جابر قال، سمعت المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه يقول:

«حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خيبر. ثم قال: يوشك رجل متكيء على أريكته يحدث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه. وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله».

وبه إلى الحازمي قال، أخبرني أبو الفضل محمد بن سليمان بن يوسف الأديب، أنا أبو منصور سعد بن علي العجلي، أنا القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري، أنا علي بن عمر الحافظ، نا محمد بن موسى البزاز، نا علي ابن أحمد بن سليمان، نا محمد بن عبد الرحيم البرقي، نا عبد الله بن عبد الحكم، نا ابن لهيعة، عن أبي صخر، عن عبد الله بن عطاء، عن عروة بن الزبير، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال: «أشهد على أبي يحدثني أن رسول الله ﷺ كان يقول القول ثم يلبث أحيانا، ثم ينسخه كما ينسخ القرآن بعضه بعضها (من شواهد ذلك حديثا بريدة وعائشة في زيارة القبور. الشوكاني: النيل ٤ / ١٠٩، ١ / ٤، ١١٠، ٤).

وبالإسناد إلى الحازمي، أخبرني محمد بن إبراهيم بن علي الفارسي، أنا أبو بكر، نا العبدي، أنا محمد بن أحمد الكاتب، أنا عبد الله بن محمد، نا الحسن بن محمد، ثنا أبو زرعة، عن يحيى يعني ابن أبي كثير قال: «السُّنة قاضية على القرآن أي تفسير».

لم أكتب عن أبي يونس ذي النون الأسعردي ثم المصري سوى هذه الأحاديث، كانت قد كُتبت له في جزء لطيف كان

عنده مُعدا للوافدين عليه. وقد روى عنه من لا يحصى عدده لغرابة اسمه.

(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد ـ تقديم وتحقيق سماحة الشيخ د. محمد الحبيب بن الخوجة ٣/ ٣٤٥ ـ ٣٤٨).

*** ذو النون المصرى (ـ ٢٤٥ هـ / ـ ٨٥٩ م):**

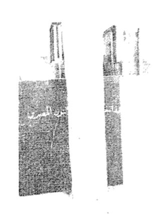
فى كلامه على ذى النون الأسعردى السابق ترجمته وكيف التقى به فى مصر ذكر الرحالة ابن رشيد (ملء العيبة ٣ / ٣٤٨ ـ ٣٥٠) معلومات قيمة عن أولئك الذين تسموا باسم «ذى النون المصرى» فقال:

وقد وقفت على تعليق لأبى طاهر السلفى أفاد به من اسمه ذو النون المصرى. وهأنا أورده هنا لأضم الشكل إلى شكله، وأصل ذلك الرسم من هذا الاسم بمثله. وهو لنا إجازة من غير واحد من شيوخنا، عن أبى محمد بن رواج، عن أبى الطاهر إجازة. وقد حدث به أبو محمد بن رواج بإجازته من السلفى رحمه الله. ونصه قال:

«من يقال ذو النون المصرى ممن أعرفه أنا خمسة:

فأولهم أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم الإخميمى، ذو الإشارات والرموز الشريفة، نوبى الأصل، يتولى قريشا، وقيل الأنصار. روى عن مالك، والليث، وابن عيينة وغيرهم، يروى عنه أخوه عبد ذى العرش، وابن أخيه عبد البارى بن إسحاق ابن إبراهيم المصرى، ومحمد بن زبان الحضرمى، وأحمد ابن صليح الفيومى، وعبيد الله بن محمد بن عبد الرحيم الرقى، ويوسف بن الحسين الرازى، وعبد الله بن أبى الدنيا القرشى البغدادى، ومحمد بن سعيد بن عبد الرحمن الخوارزمى، وموسى بن الحسن الكوفى. ويحيى بن نصر الخولانى، وأبو دجانة أحمد بن إبراهيم بن الحكم المعافرى، وأبو عثمان سعيد بن الحكم الدمشقى، وأبو عثمان عبد الحكم بن أحمد بن سلامة الغافقى، وأبو جعفر أحمد بن جعفر بن شجاع المعافرى. وعمير بن يحيى الإخميمى، وميمون بن يسير الإخميمى، وأبو يعقوب الأسيوطى، ومحمد بن يعقوب بن الفرجى، وأبو العباس حيان بن أحمد السهمى وآخرون.

واختلف فى اسمه فقيل: ثوبان. وقيل: فيض، وذو النون لقب. وكانوا خمسة إخوة ذو النون، واليسع، وعبد البارى،



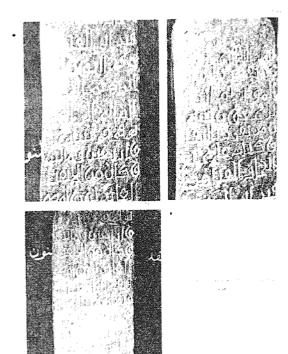


وذو الكفل، وعبد ذى العرش. توفى ذو النون سنة خمس وأربعين ومائتين على ما ذكره عبيد الله بن سعيد بن كثير بن عفير. وقال غيره: مات سنة ست وأربعين. وقيل: سنة ثمان وأربعين. وقبره ظاهر بالقرافة يزار ويتبرك به، وقد زرته غير مرة رحمه الله ونفع به.

قال ابن رشيد: زرته بالقرافة. على قبره، منقوشا فى حجر، سنة خمس وأربعين ومائتين.

وثانيهم: أبو الفيض ذو النون بن أحمد بن صالح بن عبد القدوس الإخميمى المقرىء المصرى. روى عن عبد ذى العرش أخى أبى الفيض وغيرهما من أصحابه، وعن إبراهيم ابن مرزوق البصرى وآخرين. روى عنه الحسن بن رشيق العسكرى بمصر، وأبو حفص عمر بن جعفر بن محمد الطبرى بمكة.

وثالثهم: أبو الفيض ذو النون بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن إسحاق المصرى الإخميمى المعروف بالعصَّار. روى عن القاضى أبى الحسن على بن محمد بن يزيد بن إسحاق الحلبى، وأبى محمد عبد الغنى ابن سعيد الأزدى، وأبى الفضل أحمد بن أبى عمران الهروى رآه بمكة ولم يزل يكتب إلى أن مات، روى لنا عنه أبو عبد الله



الزبيرى بالإسكندرية، والخفرة بنت المبشر بن فاتك بمصر وغيرهما. وقد روى عنه من المتقدمين أبو إبراهيم إسماعيل ابن على بن إسماعيل المعلوى قاضى سيوط، وأبو عبد الله القضاعى وآخرون.

والرابع: أبو الفيض ذو النون بن يحيى بن على الإخميمى. روى عن أبى إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال كثيرا. وشهد بمصر. وتوفى قبل دخولى إليها.

والخامس: شيخ لنا أصبهانى من بيت بنى المصرى يقال له: أبو بكر ذو النون بن سهل الأسنانى المصرى. روى عن أبى نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ. سمعت عليه بقراءة الشيخ أبى سعد بن البغداذى وغيره سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. ولم يكن عنده من غير أبى نعيم شىء، ومن حقه أن يقدم على ابن يحيى، فإنه أقدم موتا وأعلى إسنادا، لكنى أخرته لأنه لم يكن بمصر ولم يرو بها ولا يكنى أبا الفيض».

انتهى كلام أبى طاهر السلفى رحمه الله. وقرأته ونقلته من خط قال كاتبه: إنه الحسين بن أحمد بن عبد الرحيم البيسانى. قال: وسمعته على أبى محمد بن رواج بحق إجازته من مخرجه أبى الطاهر السلفى. وكتب صاحب هذا الخط تجاهه: قال حسين بن أحمد: أغفل السلفى ذا النون، وهو أبو الفرج ذو النون بن أبى الفرج الصوفى سمع على أبى بكر أحمد بن على بن الحسين بن زكرياء الطريثيثى فى سنة ست وتسعين وأربعمائة. انتهى.

قال محمد بن رشيد أرشده الله: وممن اسمه ذو النون إلا أنه لا يعرف بالمصرى: أبو عباد ذو النون بن محمد بن عامر الصايغ الراوى عن أبى أحمد العسكرى كتاب أمثال حديث النبى ﷺ (وممن يقال له ذو النون وهو أندلسى، محدث روى عنه ابنه سعيد بن ذى النون. راجع ابن ماكولا ٣ / ٣٨٩، ٣٩٠) اهـ (ملء العيبة ٣ / ٣٤٨ ـ ٣٥٠)

وقد رأينا أن نقتصر على واحد من هؤلاء الخمسة وهو ثوبان بن إبراهيم الإخميمى لأن الذهن ينصرف إليه حين يذكر اسم ذى النون المصرى.

وكنا قد نقلنا فى مادة «الإخميمى» فى م ٣ / ٢٢٥، ٢٢٦ ما أورده السمعانى (١ / ٩٦، ٩٧) تحت ذلك العنوان عن ذى النون المصرى ثوبان بن إبراهيم فلزم التنويه.

وفيما يلى ما جاء عنه فى المصادر التى بين أيدينا.

قال عنه الزركلى: ثوبان بن إبراهيم الإخميمى المصرى، أبو الفياض، أو أبو الفيض، أحد الزهاد العباد المشهورين، من أهل مصر. نوبى الأصل من الموالى. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم بمصر فى «ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية» فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم. واتهمه المتوكل العباسى بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه، ثم أطلقه، فعاد إلى مصر. وتوفى بجيزتها [أى بالجيزة] (الأعلام ٢ / ١٠٢).

وقد أدرجه الشمس الذهبى فى الطبقة الثالثة عشرة وقال عنه: ذو النون المصرى: الزاهد، شيخ الديار المصرية، ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم النوبى الإخميمى، يكنى أبا الفيض، ويقال: أبا الفياض. ولد فى أواخر أيام المنصور. روى عن مالك، والليث، وابن لهيعة، وفضيل بن عياض، وطائفة. وعنه: أحمد بن صبيح الفيومى، وآخرون وقَلّ ما روى من الحديث، ولا كان يتقنه. قال الدارقطنى: روى عن مالك أحاديث فيها نظر، وكان واعظا. وقال ابن يونس: كان عالما فصيحا حكيما.

ومن كلامه : العارف لا يلتزم حالة واحدة، بل يلتزم أمر ربه فى الحالات كلها.

توفى فى ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين، وكان من أبناء التسعين (تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ٤٤٣).

وقد ترجم له على مبارك نقلا عن الطبقات الكبرى للإمام الشعرانى فقال:

وسيدى ذو النون : هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم كان أبوه نوبيا توفى سنة خمس وأربعين ومائتين وكان نحيفا تعلوه حمرة وليس بأبيض اللحية.

ومن كلامه رضى الله عنه : إياك أن تكون للمعرفة مدعيا أو بالزهد محترفا أو بالعبادة متعلقا، وفر من كل شىء إلى ربك. ومنه : كل مدع محجوب بدعواه عن شهود الحق لأن الحق شاهد لأهل الحق بأن الله هو الحق وقوله الحق، ومن كان الحق تعالى شاهدا له لا يحتاج إلى أن يدعى فالدعوى علامة على الحجاب عن الحق.

وكان يقول للعلماء : أدركنا الناس وأحدهم كلما ازداد علما ازداد فى الدنيا زهدا وبغضا، وأنتم اليوم كلما ازداد أحدكم علما ازداد فى الدنيا حبا وطلبا ومزاحمة، وأدركناهم وهم ينفقون الأموال فى تحصيل العلم، وأنتم اليوم تنفقون العلم فى تحصيل الأموال.

وسئل عن السفلة من الخلق من هم ؟ فقال : من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه. وكان يقول : سيأتى على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس. والأحمق : من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى. والكيس : من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

وقال رضى الله عنه : إذا تكامل حزن المحزون لم تجد له دمعة وذلك لأن القلب إذا رق سلا وإذا جمد وغلظ سخنا. وكان يقول : إن الله تعالى أنطق اللسان بالبيان وافتتحه بالكلام وجعل القلوب أوعية للعلم، ولولا ذلك كان الإنسان بمنزلة البهيمة يومىء بالرأس ويشير باليد : وكان يقول : كنا إذا سمعنا شابا يتكلم فى المجلس أيسنا من خيره. وقال له رجل : إن امرأتى تقرأ عليك السلام، فقال : لا تقرئنا من النساء السلام. وكان يقول : لحنًا فى العمل وأعربنا فى الكلام فكيف نفلح؟. وكان يقول : ليس بعاقل من تعلم العلم فعرف به ثم آثر بعد ذلك هواه على علمه، وليس بعاقل من طلب الإنصاف من غيره لنفسه ولم ينصف من نفسه غيره، وليس بعاقل من نسى الله فى طاعته وذكره فى مواضع الحاجة إليه ...

وكان رضى الله عنه يقول : العجب كل العجب من هؤلاء العلماء كيف خضعوا للمخلوقين دون الخالق وهم يدعون أنهم أعلى درجة من جميع الخلائق؟. وقال رضى الله عنه : لما حملت من مصر فى الحديد إلى بغداد لقيتنى امرأة زمنة ؛ فقالت لى : إذا دخلت على المتوكل فلا تهبه ولا ترى أنه فوقك ولا تحتج لنفسك محقا كنت أو متهما لأنك إن هِبْته سلطه الله عليك، وإن حاججت عن نفسك لم يزدك ذلك إلا وبالا لأنك باهت الله فيما يعلمه، وإن كنت بريئا فادع الله تعالى أن ينتصر لك ولا تنتصر لنفسك فيكلك إليها، فقلت لها : سمعا وطاعة.

فلما دخلت على المتوكل سلمت عليه بالخلافة. فقال لى : ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة؟ فسكت ؛ فقال وزيره : هو حقيق عندى بما قيل فيه. ثم قال لى : لم لا تتكلم؟. فقلت : يا أمير المؤمنين إن قلت : لا. كذبت المسلمين، وإن قلت : نعم. كذبت على نفسى بشىء لا يعلمه الله تعالى منى فافعل أنت ما ترى فإنى غير منتصر لنفسى، فقال المتوكل : هو رجل برئ مما قيل فيه. فخرجت إلى العجوز فقلت لها : جزاك الله عنى خيرا فعلت ما أمرتينى [أمرتنى] به فمن أين لك هذا؟ فقالت : من حيثما خاطب به الهدهد سليمان عليه السلام.

وكان رضى الله عنه يقول : كن عارفا واصفا، انتهى من طبقات الشعرانى : باختصار (الخطط التوفيقية الجديدة ٥ / ١٣٥، ١٣٦، والطبقات الكبرى ١ / ٥٩ ـ ٦١).

وقد أدرجه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى فى الطبقة الأولى من الصوفية وأورد من كلامه ما يلى :

ـ إياك أن تكون بالمعرفة مدعيا، أو تكون بالزهد محترفا، أو تكون بالعبارة متعلقا.

ـ وسئل : ما أخفى الحجاب وأشده؟ فقال : رؤية النفس وتدبيرها.

ـ وسئل عن المحبة، فقال : إن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وألا تخاف فى الله لومة لائم ... مع العطف

للمؤمنين، والغلظة على الكافرين، واتباع رسول الله ﷺ - فى الدين.

- قال الله تعالى: من كان لى مطيعا كنت لها وليا، فليثق بى وليحكم على... فوعزتى لو سألنى زوال الدنيا لأزلتها له.

- وسأله عبد الله بن محمد بن ميمون عن الصوفى، فقال: من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق.

- الأنس بالله صفاء القلب من الله، والتفرد بالله الانقطاع من كل شىء سوى الله.

- من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله، فإنها تذوب وتصفو، ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته.

- لم أر أجهل من طبيب يداوى سكران فى وقت سكره... لن يكون لسكره دواء حتى يفيق، فيداوى بالتوبة.

- لم أر شيئا أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة، لأنه إذا خلا لم ير غير الله تعالى، فإذا لم ير غيره لم يحركه إلا حكم الله. ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق.

- من علامات المحب لله متابعة حبيب الله فى أخلاقه وأفعاله وأمره وسننه.

- إذا صح اليقين فى القلب صح الخوف فيه.

وأنشد:

أموت وما ماتت إليك صبابتى
ولا قضيت من صدق حبك أوطارى
منای - المنى كل المنى - أنت لى منى
وأنت الغنى - كل الغنى - عند إقتارى
وأنت مدى سؤلى وغاية رغبتى
وموضع آمالى، ومكنون إضمارى
تحمَّل قلبى فيك ما لا أبثه
وإن طال سقمى فيك أو طال إضرارى
وبين ضلوعى منك ما لك قد بدا
ولم يبد باديه لأهل ولا جار
وبى منك فى الأحشاء داء مخامر
فقد هد منى الركن وانبث أسرارى
ألست دليل الركب إن هم تحيروا
ومنقذ من أشفى على جُرُف هارى؟
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن
من النور فى أيديهم عشر معشار
فنلنى بعفو منك أحيا بقربه
أغثنى بيسر منك يطرد إعسارى

- لئن مددت يدى إليك داعيا لطالما كفيتنى ساهيا، أأقطع منك رجاى بما عملت يداى؟ حسبى من سؤالى علمك بحالى.

كل مدع محجوب بدعواه عن شهود الحق، لأن الحق شاهد لأهل الحق... لأن الله هو الحق، وقوله الحق. ولا يحتاج أن يدعى إذا كان الحق شاهدا له، فأما إذا كان غائبا فحينئذ يدعى، وإنما تقع الدعوى للمحجوبين.

- من استأنس بالخلق فقد استمكن من بساط الفراعنة، ومن غيب عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من الإخلاص، ومن كان حظه فى الأشياء «هو» لا يبالى ما فاته مما هو دونه.

- الصدق سيف الله فى أرضه، ما وضع على شىء إلا قطعه.

- من تزين بعمله كانت حسناته سيئات.

- بأول قدم تطلبه تدركه وتجده.

- أدنى منازل الأنس أن يلقى فى النار فلا يغيب همه عن مأموله.

- الأنس بالله نور ساطع، والأنس بالخلق غم واقع.

- لله عباد تركوا الذنب استحياء من كرمه، بعد أن تركوه خوفا من عقوبته. ولو قال لك: اعمل ما شئت فلست آخذك بذنب، كان ينبغى أن يزيدك كرمه استحياء منه، وتركا لمعصيته، إن كنت حرا كريما، عبدا شكورا... فكيف وقد حذرك؟

الخوف رقيب العمل، والرجاء شفيع المحن.

- اطلب الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم.

ـ مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الهوى متابعة الشهوات، وعلامة التوكل انقطاع المطامع.

ـ كان لى صديق فقير فمات، فرأيته فى النوم ، فقلت له: ما فعل الله بك؟

قال: قال لى: قد غفرت لك بترددك إلى هؤلاء السفل أبناء الدنيا، فى رغيف، قبل أن يعطوك.

ـ العارف كل يوم أخشع ، لأنه كل ساعة أقرب

ـ يا معشر المريدين، من أراد منكم الطريق، فليلق العلماء بالجهل، والزهاد بالرغبة، وأهل المعرفة بالصمت.

ـ إن العارف لا يلزمه حالة واحدة، إنما يلزم ربه فى الحالات كلها (طبقات الصوفية / ١٠ ـ ١٢).

وعن سبب توبة ذى النون يقول الإمام أبو القاسم القشيرى: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: حضرت مجلس ذى النون يوما وجاءه المغربى فقال له: يا أبا الفيض ما كان سبب توبتك ؟ قال : عجب لا تطيقه. قال: بمعبودك إلا أخبرتنى. فقال ذو النون : أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى فنمت فى الطريق فى بعض الصحارى، ففتحت عينى فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض، فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخرى فضة، وفى إحداهما سمسم وفى الأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا، فقلت حسبى قد تُبت ولزمت الباب إلى أن قبلنى الله عز وجل (الرسالة القشيرية / ١٤، ١٥).

القُبَّر: جنس من الطيور من فصيلة القبريات، ورتبة الجوائم المخروطية المناقير، سمر فى أعلاها، ضاربة إلى بياض فى أسفلها، وعلى صدرها بقعة سوداء. واحدته: قُبَّرة (المعجم الوسيط ٢ / ٧١٠).

والسُّكُرَّجة: إناء صغير يؤكل فيه الشىء القليل من الأُدْم (المعجم الوسيط ١ / ٤٣٩).

وقد قيل إن ذا النون التقى بالعابدة الزاهدة رابعة العدوية، ومما يدعو إلى ذلك الاعتقاد ما يوجد بين مذهبيهما فى الحب الإلهى من أوجه الشبه، كما أن أثر رابعة العدوية على ذى النون كان من القوة والوضوح (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١ / ١٣١، ١٣٢) ملخصا).

وقد توفى رحمه الله بالجيزة غربى النيل، كما سبق القول، ويقول السيوطى: إنه حُمل فى قارب مخافة أن ينقطع الجسر لكثرة ازدحام الناس. وجاء فى كتاب الروضة فى حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين أن أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم المصرى توفى فى هذا السنة، ودفن بالقرافة الكبرى. وقبره من القبور السبعة التى يزورها الناس بالقرافة يوم السبت قبل طلوع الشمس لقضاء الحوائج (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١ / ١٣٢).

أما ضريح ذى النون فتصفه الدكتورة سعاد ماهر على النحو التالى: يعتبر ضريح ذى النون من الأضرحة الغريبة فى مصر، إذ أن تصميم المبنى عبارة عن مسجد مستطيل الشكل به ثلاثة أروقة موازية لحائط القبلة. وتتكون الأروقة من صفين من الدعائم الحجرية المثمنة الشكل تعلوها عقود مدببة حجرية كذلك، والسقف من الخشب. وفى الرواق الأول من جهة القبلة يوجد على يمين المحراب قبران: القريب من المحراب هو قبر ذى النون وعليه شاهد قبر حجرى حفر عليه بالخط الكوفى البسيط بالحفر الغائر اسم ذى النون وتاريخ وفاته سنة ٢٤٥ هـ. والمقبرة الثانية يقال إنها لمحمد ابن الحنفية وعليها شاهد من الرخام مكتوب سنة ١٩٦٦ م. وعلى يسار المحراب فى نفس حائط القبلة توجد حجرة مستطيلة صغيرة جدا ويمكن اعتبارها حنية مستطيلة يقال إن بها قبر السيدة رابعة العدوية. ومن الثابت أن قبرى الإمام محمد ابن الحنفية والسيدة رابعة العدوية ليسا بمصر، ولعل القبرين الموجودين بمصر من قبيل الرؤيا وهى كثيرة بمصر. كذلك يوجد فى الرواق الأول على يسار المحراب قبران آخران: الأول للشيخ حميد خادم ضريح ذى النون المتوفى سنة ٦٤٨ هـ كما هو ثابت فى الشاهد الحجرى الموضوع على القبر، والثانى للشيخ محفوظ محمد الريحاوى إمام وخطيب مسجد ذى النون بالجيزة، والمتوفى سنة ١٣٨٠ هـ كما جاء فى الشاهد الرخامى على القبر.

والمدخل الرئيسى للضريح يوجد فى الجهة الجنوبية، وهو عبارة عن باب يعلوه عقد ذو ثلاثة فصوص ، وفوق عتب الباب توجد لوحة تذكارية نقش عليها اسم المنشىء وهو

الأمير شعبان من مماليك السلطان الظاهر بيبرس، وقد نقلت هذه اللوحة إلى متحف الفن الإسلامى ومكانها ظاهر حتى الآن.

والضريح فى مكان مهجور خرب وبحالة سيئة للغاية، ومكانه بجوار مسجد سيدى عقبة بن عامر بجبانة الإمام الليث (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١ / ٣٣٣، ١٣٤).

وقد ذكر المسبحى أنه فى يوم الخميس لسبع بقين من جمادى الأولى، توفى أبو الحسن على بن القرقوبى الذى كان خرج إلى المغرب - رحمه الله - بعلة السحج، وخلّف أطفالا أربعة. وكان من أحرار الناس وخيارهم - رحمه الله - ودفن عند قبر ذى النون المصرى فى سفح المقطم، وحضر جنازته خلق من الناس ا هـ (أخبار مصر فى سنتين / ٢١٨).

ويوجد فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مخطوط مصور بعنوان «رسالة فى تدبير الحجر المكرم» تأليف ذى النون المصرى يأتى بيانه فى حرف الراء إن شاء الله تعالى.

(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد - سماحة الشيخ د. محمد الحبيب ابن الخوجة ٣ / ٣٤٨ - ٣٥٠، والأعلام للزركلى ٢ / ١٠٢، وتهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٤٣٣، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك - إعداد متولى خليل عوض الله ٥ / ١٣٥، ١٣٦، والطبقات الكبرى للإمام الشعرانى ١ / ٥٩ - ٦١، وطبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى - يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ١٠ - ١٢، والرسالة القشيرية للإمام أبى القاسم القشيرى / ١٤، ١٥، والمعجم الوسيط ١ / ٤٣٩، ٢ / ٧١٠، ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون - د. سعاد ماهر محمد ١ / ١٣٢ - ١٣٤، وأخبار مصر فى سنتين لمحمد بن عبيد الله المسبحى - تحقيق وليم ج ميلورد / ٢١٨. انظر أيضا الأنساب للسمعانى ١ / ٩٦، ٩٧، واللباب لابن الأثير ١ / ٣٣، ٣٤، والموسوعة الصوفية - د. عبد المنعم الحفنى / ١٦٥ - ١٦٨).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، اللوحات ٧٢ - ٧٦.

*** ذو النون (يونس ابن متى):**

انظر: يونس عليه السلام.

*** ذو الوزارتين:**

ذو الوزارتين: نعت به صاعد بن مخلد الذى وزر للخليفة العباسى المعتمد. ولأخية الموفق. وقد عثر على قطع عديدة من النقود ترجع إلى عصره ظهر عليها هذا اللقب مع لقبى المعتمد على الله والموفق بالله: منها قطع بتاريخ سنة ٢٧٠ هـ من الأهواز، وأخرى من همذان والبصرة والرافعة ومدينة السلام وغيرها وقد وجد اللقب فى درهم ضُرب سنة ٢٧٢ هـ فى درهم عباسى وكذلك أطلق هذا اللقب فى عصر بنى أمية بالأندلس، وكان أول أمره يطلق على رئيس الوزراء الذى كان فى حقيقة أمره نائب الملك، ثم صار بعد ذلك مجرد لقب فخرى حتى أصبح يعطى للمبرِّزين من رجال الأدب، فأطلق بذلك على جمع كثير من المغاربة. وكان أول من اتخذ هذا اللقب فى الأندلس أحمد بن عبد الملك بن شهيد، أخذه من الخليفة عبد الرحمن الثالث فى سنة ٣٢٧ هـ.

وقد ورد اللقب ضمن ألقاب أبى عيسى بن ليون فى نقش بتاريخ سنة ٤٧٣ هـ على كرسى من أسبانيا.

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٩٩، ٣٠٠).

*** ذو اليدين:**

قال السمعانى:

ذو اليدين: هذا لقب الخرباق وله صحبة. روى حديثه محمد بن سيرين ويقال إن ذا اليدين وذا الشمالين واحد، وسمى ذا اليدين لأنه كان يعمل بيديه جميعا (الأنساب ٣ / ١٥).

وقد أدرجه ابن عبد البر أولا فى حرف الخاء تحت اسم «خرباق السُّلمى» (رقم ٦٨٨) وقال عنه: قال سعيد بن بشير، عن قتادة، عن محمد بن سيرين، عن خرباق السلمى أن رسول الله ﷺ صلى الظهر فسلم من ركعتين. فقال له خرباق: أشككت أم قصرت الصلاة يارسول الله؟ فقال: ما شككت ولا قصرت الصلاة. وقال رسول الله ﷺ: أصدق ذو اليدين؟ قالوا: نعم فصلى الركعتين ثم سلم ثم سجد سجدتين وهو جالس ثم سلَّم. هكذا ذكره العقيلى، عن إبراهيم بن يوسف، عن على بن عثمان النفيلى، عن محمد ابن بكار. عن سعيد بن بشير بإسناده.

قال أبو عمر: ورواه أيوب السختيانى وهشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبى هريرة، ولم يذكروا خرباقا، وإنما

أحفظ ذكر الخرباق من حديث عمران بن الحصين فى قصة ذى اليدين ـ قال: فقام رجل يقال له: الخرباق طويل اليدين (الاستيعاب ٢ / ٤٥٧، ٤٥٨).

ثم عاد ابن عبد البر فذكره فى حرف الذال تحت اسم «ذو اليدين» (رقم ٧٢٤) وقال عنه:

ذو اليدين، رجل من بنى سليم، يقال له الخرباق، حجازى، شهد النبى ﷺ، وقد رآه وهم فى صلاته فخاطبه، وليس هو ذا الشمالين، ذو الشمالين رجل من خزاعة حليف لبنى زهرة، قتل يوم بدر، نسبه ابن إسحاق وغيره، وذكروه فيمن استشهد يوم بدر.

وذو اليدين عاش حتى روى عنه المتأخرون من التابعين، وشهد أبو هريرة يوم ذى اليدين، وهو الراوى لحديثه، وصح عنه فيه قوله: بينا نحن مع رسول الله ﷺ صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتى العشى، فسلم من ركعتين، فقال له ذو اليدين... وذكر الحديث.

وأبو هريرة أسلم عام خيبر بعد بدر بأعوام، فهذا يبين لك أن ذا اليدين الذى راجع النبى ﷺ يومئذ فى شأن الصلاة ليس بذى الشمالين المقتول يوم بدر. وقد كان الزهرى مع علمه بالمغازى يقول: إنه ذو الشمالين المقتول ببدر، وإن قصة ذى اليدين فى الصلاة كانت قبل بدر، ثم أحكمت الأمور بعد.

وذلك وهم منه عند أكثر العلماء، وقد ذكرنا ما يجب من القول فى ذلك عندنا فى كتاب التمهيد، فمن أراد ذلك تأمله هنالك.

أخبرنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا على بن بحر ابن برى، قال: حدثنا معدى بن سليمان السعدى، صاحب الطعام، قال: حدثنا شعيب بن مطير عن أبيه مطير، ومطير حاضر يصدقه بمقالته، قال: يا أبتاه، أليس أخبرتنى أن ذا اليدين لقيك بذى خشب (من مخاليف اليمن وفى أسد الغابة: بذى جشب) فأخبرك أن رسول الله ﷺ صلى بهم إحدى صلاتى العشى وهى الظهر (فى أسد الغابة: وهى العصر) فسلم من ركعتين، ثم قام واتبعه أبو بكر وعمر، وخرج سَرَعان الناس (أى أوائلهم المستبقون إلى الأمر) فلحقه ذو اليدين ومعه أبو بكر وعمر، فقال: يا رسول الله: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ قال: ما قصرت الصلاة ولا نسيت. ثم أقبل رسول الله ﷺ على أبى بكر وعمر فقال: ما يقول ذو اليدين؟ فقالا: صدق يا رسول الله. فرجع رسول الله ﷺ فصلى ركعتين، ثم سجد سجدتى السهو.

وقد روى هذا الحديث عن معدى بن سليمان صاحب الطعام ـ وكان ثقة فاضلا ـ جماعة منهم: أبو موسى الزّمن محمد بن المثنى، وبندار محمد بن بشار، كما رواه على بن بحر بن برى، وقد ذكرنا ذلك فى كتاب التمهيد، وهذا يوضح لك أن ذا اليدين ليس ذا الشمالين المقتول ببدر، لأن مطيرا متأخر جدا لم يدرك من زمن النبى ﷺ شيئا.

وذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فى الأذواء من اليمن فى الإسلام من لم يشهر أكثرهم عند العلماء بذلك، فممن ذكره ذو اليدين الخزاعى.

وأنه كان يدعى ذا الشمالين، فسماه رسول الله ﷺ ذا اليدين، وذكر أنه هو القائل: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ وقد تقدم فى ذكر ذى اليدين ما فيه كفاية (الاستيعاب ٢ / ٤٧٥ ـ ٤٧٨).

قالت المؤلفة: للخليل بن كيكلدى العلائى كتاب بعنوان «نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذى اليدين من الفوائد» استوعب فيه كل ما يتصل بحديث ذى اليدين، وقام بتحقيقه الأستاذ كامل شطيب الراوى، الذى حصل به على درجة الماجستير فى الفقه المقارن من جامعة الأزهر، وكانت الرسالة بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور حسن على الشاذلى وقد قامت بطبعه وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالجمهورية العراقية عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م. وقد ساعدنى الحظ فى الحصول على نسختين من الوزارة إبان زيارتنا لبغداد يوم الثلاثاء ٢٩ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩ يناير ١٩٨٨ م.

وهذا الذى ننقله فيما يلى جاء فى مقدمة المؤلف الحافظ خليل بن كيكلدى العلائى بعد البسملة: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قال رحمه الله (القائل هو العالم الفاضل مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن تيمية صاحب كتاب المنتقى من أحاديث الأحكام وجد شيخ الإسلام

تقى الدين عبد الحليم بن تيمية ولد سنة ٥٩٠ هـ توفى سنة ٦٥٢ هـ).

«أبواب سجود السهو»

«باب ما جاء فيمن سلم من نقصان».

عن ابن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتى العشى فصلى بنا ركعتين ثم سلم فقام إلى خشبة معروضة فى المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين أصابعه، ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى وخرجت السَّرعان من أبواب المسجد، فقالوا: قصرت الصلاة وفى القوم أبو بكر وعمر فهاباه أن يكلماه، وفى القوم رجل يقال له ذو اليدين، فقال يا رسول الله: أنسيت أم قصرت الصلاة؟ قال: لم أنس ولم تقصر: فقال أكما يقول ذو اليدين فقالوا نعم فتقدم فصلى ما ترك ثم سلم، ثم كبَّر وسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكبر، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر، فربما سألوه ثم سلم فيقول: أنبئت أن عمران بن حصين رضى الله عنه قال ثم سلم متفق عليه.

وليس لمسلم فيه وضع اليد على اليد ولا التشبيك (وقد جاءت الرواية عند مسلم بزيادة «إما الظهر أو العصر» «وأتى جذعا فى قبلة المسجد فاستند إليها مغضبا»).

وفى رواية قال: بينما أنا أصلى مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الظهر سلم من ركعتين فقام رجل من بنى سليم فقال يا رسول الله: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ وساق الحديث رواه أحمد ومسلم.

(أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٢ / ٢٧١ ـ ٢٨٤، ٤٣٣ وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١ / ٤٠٤ رقم الحديث ١٠٠).

وفى رواية متفق عليها قال لم أنس ولم تقصر قال: بلى قد نسيت (أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب سجود السهو ـ فتح البارى ٣ / ٩٩ حديث رقم ١٢٢٩ وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب المساجد ـ باب السهو فى الصلاة والسجود له ١ / ٤٠٤ رقم الحديث ٩٩).

وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ صلى العصر فسلم فى ثلاث ركعات ثم دخل منزله وفى لفظ فدخل الحجرة، فقام إليه رجل يقال له الخرباق، وكان فى يديه طول، فقال يا رسول الله فذكر له صنيعه فخرج غضبان يجر رداءه حتى انتهى إلى الناس، فقال: أصدق هذا؟ قالوا: نعم، فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم «رواه الجماعة إلا البخارى والترمذى».

(أخرجه مسلم فى صحيحه ـ كتاب المساجد ـ باب السهو فى الصلاة والسجود له ١ / ٤٠٤ رقم الحديث ١٠١، ١٠٢، واللفظ له. وأخرجه أبو داود فى سننه ـ كتاب الصلاة ٣ / ٣٢٣ رقم الحديث ١٠٠٥ وأخرجه النسائى فى سننه كتاب السهو ٣ / ٢٢. وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الإقامة ١ / ٣٨٤ رقم الحديث ١٢١٥.

وعن عطاء أن ابن (الزبير) صلى المغرب فسلم فى ركعتين ونهض ليستلم الحجر فسبح القوم فقال: ما شأنكم؟ قال: فصلى ما بقى وسجد سجدتين. قال: فذكر ذلك لابن عباس رضى الله عنهما فقال: ما أماط عن سنة نبيه ﷺ «رواه أحمد» (أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٥ / ٣٥١)

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ١٥، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجارى ٢ / ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٧٥ ـ ٤٧٨، ونظم الفرائد لما تضمنه حديث ذى اليدين من الفوائد ـ دراسة وتحقيق كامل شطيب الراوى / ١٧٨ ـ ١٨١، . انظر الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٩، وألقاب الصحابة والتابعين فى المسندين الصحيحين المسمى: الألقاب لأبى على الحسين بن محمد بن أحمد الجيانى الأندلسى ـ تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ومحمود نصار / ٥٥ وهامش ٦).

*** ذو اليمينين:**

قال السمعانى:

ذو اليمينين: هذا لقب طاهر بن الحسين بن مصعب بن زُرَيق، لقب بهذا لأنه كان أعور العين اليسرى لقبه المأمون بذى اليمينين لأن كلتا عينيه يمين وهو الذى كسر على بن عيسى بن ماهان بكستانة الرى، وقصته مشهورة فى الفتوح، ثم بعد ذلك قتل الأمين محمد بن الرشيد، حدث عن هارون الرشيد، روى عنه ابنه طلحة.

وجاء فى هامش (١) التعليق التالى للمحقق:

تعقبه اللباب وقال« الصحيح أنه ضرب بعض أصحاب على بن عيسى بن ماهان بالسيف وقد قبض عليه بيديه فلقب به ، ومتى أطلقت فلا يعرف إلا اليد» وقد قيل فيه:

يـــــا ذا اليمينين وعين واحـــــده

نقصـــــــان عين ويمين زائده

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ١٦ وهامش (١) للمحقق).

*** ذؤاب:**

ذؤاب: ذكره أبو موسى عن أبى الفتح الأزدى وساق بإسناد له ضعيف إلى أنس قال: كان رجل يقال له ذؤاب يمر بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فيقول السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته فيرد عليه فذكر الحديث.

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٩).

*** ذوات الأسماء والمنفصلات:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى الرياضيات ، ولدينا منها نموذجان: الأول ما أورده عالم الرياضيات ابن الهائم فى كتابه «المعونة فى علم الحساب الهوائى» ، والثانى ما أورده العالم ابن غازى فى كتابه «بغية الطلاب».

١ ـ النموذج الأول: من كتاب المعونة فى علم الحساب الهوائى لابن الهائم المتوفى سنة ٨١٥ هـ:

قال ابن الهائم فى الباب الثالث: فى أعمال ذوات الأسماء والمنفصلات:

وفيه مقدمة وأربعة فصول:

أما المقدمة: ففيها مسألتان:

الأولى: فى تعريفها وتعيين أنواعها.

أما ذو الاسمين فهو جذرا عددين متباينان مجموعان بالواو أو عدد وجذر عدد كذلك. كجذر خمسة وجذر ثلاثة وكخمسة وجذر ثلاثة.

وذوات الأسماء ستة أنواع:

الأول: أن يكون أكبرهما منطقا مشاركا لجذر الفضل بين مربعيهما كثلاثة وجذر خمسة فإن الفضل بين مربعيهما أربعة وجذره مشارك لأكبر الاسمين وهو الثلاثة.

والثانى: أن يكون أكبرهما أصم مشاركا لجذر الفضل بين مربعيهما كخمسة وجذر خمسة وأربعين فالفضل بين مربعيهما عشرون وجذره مشارك لجذر الخمسة والأربعين.

والثالث: أن يكون أصمين والأكبر لجذر ما بين مربعيهما كجذر خمسة عشر وجذر سبعة وعشرين فالفضل بين مربعيهما اثنا عشر وجذره مشارك لجذر السبعة والعشرين.

والرابع: كالأول:

والخامس: كالثانى.

والسادس: كالثالث. أعنى فى الصورة إلا أن الأكبر فى كل منها مباين لجذر الفضل بين مربعى الاسمين. فالرابع كثلاثة وجذر ستة ، الفضل بين مربعيهما ثلاثة وجذره مباين للثلاثة.

والخامس: كاثنين وجذر اثنى عشر. الفضل بين مربعيهما ثمانية وجذره مباين لجذر الاثنى عشر.

والسادس كجذر سبعة وجذر ثلاثة. جذر الفضل اثنان وهو مباين لجذر السبعة.

وأما المنفصل: فهو جذرا عددين متباينان فضل أصغرهما من الأكبر بالاستثناء أو عدد وجذر عدد كذلك كجذر ستة إلا جذر اثنين وكاثنين إلا جذر ثلاثة.

والمنفصلات كذوات الأسماء عددا وترتيبا. أعنى الأكبر من الاسمين فى الأول والرابع منطق. وفى الثانى وفى الخامس بالعكس. وكل منهما فى الثالث والسادس أصم والأكبر فى كل من الثلاثة الأول مشارك لجذر الفضل بين مربعه ومربع الأصغر. وفى كل من الثلاثة الآخر مباين.

فإذا بدلت فى الأمثلة السابقة أداة الاستثناء بأداة العطف كانت أمثلة المنفصلات.

فالمنفصل الأول كثلاثة إلا جذر خمسة.

والثانى: كجذر خمسة وأربعين إلا خمسة.

والثالث: كجذر سبعة وعشرين إلا جذر خمسة عشر.

والرابع : كثلاثة إلا جذر ستة .

والخامس : كجذر اثنى عشر إلا اثنين .

والسادس : كجذر سبعة إلا جذر ثلاثة .

فقد ظهر لك أن الثلاثة الأول من كل من النوعين يشاكل الثلاثة الأخر من فى الصورة . وأنها متقابلة فى المعنى .

وبين أيضا مما سبق أن الثلاثة الأول تتميز من الثلاثة الآخر . بأن تضرب الفضل بين مربعى الاسمين فى مربع أكبرهما فإن خرج مجذور فهو من الثلاثة الأول وإلا فمن الثلاثة الآخر.

ألا ترى أن ثلاث وجذر خمسة هو مثل ثلاثة وجذر ستة فى الصورة إذ الأكبر فى كل منهما منطق والأصغر أصم . إلا أنك إذا ضربت الفضل بين مربعى الثلاثة وجذر الخمسة وهو أربعة فى مربع الثلاثة حصل مجذور . فيكون ذا الاسمين الأول . وإذا ضربت الفضل بين مربعى الثلاثة وجذر الستة وهو ثلاثة فى مربع الثلاثة حصل غير مجذور فيكون ذا الاسمين الرابع . فافهم .

وإنما كانت الإسميات ستة ومنفصلاتها كذلك لأن كل جذرى عددين متفاضلين فهما إما منطقان أو أصمان أو أصغرهما منطق وأكبرهما أصم أو بالعكس . واشتراط تباينهما يسقط القسم الأول .

وأما الأقسام الثلاثة الباقية فجذر الفضل بين مربعى الاسمين فى كل منهما . إما مشارك للاسم الأكبر أو مباين له . فإن كان فيها مشاركا فهو الثلاثة الأول . وإلا فهى الثلاثة الآخر.

المسألة الثانية :

فى بيان ما يوصل إلى صور كل نوع من ذوات الأسماء بعينه .

ويتوصل فى الأول والرابع بالطرح وفى الثانى والثالث بالضرب ، وفى الخامس والسادس بالجمع .

ففى الأول : اطرح مجذورا من مجذور بحيث يبقى غير مجذور فصل جذره بجذر المربع الأكبر.

مثاله : أربعة وتسعة مجذوران والفضل بينهما غير مجذور فصل جذره بجذر التسعة يكن ثلاثة وجذر خمسة .

وفى الرابع : اطرح غير مجذور من مجذور بحيث يبقى غير مجذور . فصل جذره بجذر المجذور.

مثاله : ثلاثة وتسعة . الفضل بينهما ستة غير مجذور. فصل جذره بجذر التسعة يكن ثلاثة وجذر ستة .

وفى الثانى : اضرب كلا من المجذورين بالشرط السابق فى الفضل بينهما وصل جذر الفضل بين الحاصلين بجذر أكبرهما فاضرب كلا من الأربعة والتسعة فى الخمسة وصل جذر الفضل بين عشرين وخمسة وأربعين بجذر الخمسة والأربعين يكن خمسة وجذر خمسة وأربعين .

وفى الثالث : اضرب كُلاً من مجذورين فى غير الفضل بينهما بالشرط واعمل كما فى الثانى . فاضرب كلا من الأربعة والتسعة فى ثلاثة مثلا وصل جذر الفضل بين اثنى عشر وسبعة وعشرين بجذر السبعة والعشرين يكن جذر سبعة وعشرين وجذر خمسة عشر.

وفى الخامس : اجمع مجذورا إلى مجذور بحيث يكون المجتمع غير مجذور وصل جذره بجذر أحدهما فالأربعة والتسعة مجموعها غير مجذور فصل جذر الثلاثة عشر بجذر الأربعة والتسعة .

وفى السادس : اجمع غير مجذور إلى مجذور بحيث يجتمع غير مجذور وصل جذره بجذر غير المجذور فإن جمعت ثلاثة إلى التسعة حصل اثنا عشر وهو غير المجذور فصل جذره بجذر الثلاثة .

والموصل إلى نوع من الإسميات هو الموصل إلى نظيره من المنفصلات .

الفصل الأول .

فى تجذيرها .

اعلم أن كل ذى اسمين من الثلاثة الأول أو كل منفصل منها فإنه يمكن التوصل إلى إخراج جذره محققا بلفظ أقرب إلى المنطق وأخصر وأخف من إيقاع لفظ الجذر على جملته . ولذلك طرق من أحسنها :

أن تطرح مربع أصغر الاسمين من مربع أكبرهما وتحمل جذر الباقى على أكبر الاسمين وتأخذ جذر نصف المجتمع فتحفظه ثم تسقط أيضا المحمول من أكبر الاسمين وتأخذ جذر نصف الباقى فتحفظه أيضا . ثم إن كان المطلوب جذره ذا اسمين فالمطلوب هو مجموع المحفوظين . وإن كان منفصلا فالفضل بينهما . مثال ذى الاسمين الأول : أربعة وجذر اثنى عشر، فأصغر الاسمين جذر اثنى عشر. فاطرح مربعه وهو الاثنى عشر من مربع الأكبر وهو ستة عشر وخذ جذر الباقى وهو اثنان فاحمله على أربعة يجتمع ستة . فخذ جذر نصفها يكن جذر ثلاثة فاحفظه ثم اسقط الاثنين أيضا من الأربعة وخذ جذر نصف الباقى يكن واحداً فاحفظه ثم اجمع المحفوظين يكن الجواب وذلك واحد وجذر ثلاثة . ولم كان بدل الواو إلا لكان المنفصل الأول وكان جذره جذر ثلاثة إلا واحدا .

ومثال ذى الاسمين الثانى : اثنى عشر وجذر مائة واثنين وتسعين . فاطرح مائة وأربعة وأربعين من مائة واثنين وتسعين واحمل جذر الباقى وهو جذر ثمانية وأربعين على جذر مائة واثنين وتسعين وخذ جذر نصف المجتمع وهو جذر أربع مائة واثنين وثلاثين يكن جذر جذر مائة وثمانية فاحفظه ثم اطرح جذر الثمانية والأربعين أيضا من جذر المائة والاثنين والتسعين واحفظ جذر نصف الباقى وهو جذر جذر اثنى عشر ثم اجمع المحفوظين يكن المطلوب وذلك جذر مائة وثمانية وجذر جذر اثنى عشر.

ولو أبدلت إلا بالواو كان المنفصل الثانى وكان جذره جذر مائة وثمانية غير جذر جذر اثنى عشر.

ومثال ذى الاسمين الثالث : جذر اثنين وثلاثين وجذر أربعة وعشرين فاعمل فيه كما مر يكن المطلوب وذلك جذر جذر ثمانية عشر وجذر جذر اثنين .

ولو كان منفصلا كان جذره جذر جذر ثمانية عشر إلا جذر اثنين .

وأما الثلاثة الأخر من كل من النوعين فالأخصر والأوفق أن تبقى كلا منهما على حاله وتجعل الجواب عنه بلفظ السؤال . فإن سلوك المنهج السابق يؤدى إلى قبح فى الجواب وإشكال تحتاج فى إزالته لتطويل الألفاظ . ففى ذى الاسمين الرابع . لو قيل مثلا أربعة وجذر ستة كم جذره؟ فتقول أربعة وجذر ستة مأخوذ جذره .

وكذا لو كان منفصلا لقلت أربعة إلا جذر ستة مأخوذ جذره . فالعبارة الأولى أخف من قولك اثنان وجذر اثنين ونصف مأخوذ جذر ذلك كله واثنان إلا جذر اثنين ونصف مأخوذ جذر ذلك .

وكذلك الثانية أسهل وأوضح من قولك اثنان وجذر اثنين ونصف مأخوذ جذر ذلك كله الا اثنين غير جذر اثنين ونصف مأخوذا جذر ذلك .

وكذا إذا ورد عليك ذوا الاسمين الخامس والسادس والمنفصل الخامس والسادس، فاجعل الجذر واقعا على جملته مؤخرا فهو أخف وأقرب .

واعلم : أن جذر ذى الاسمين الأول هو ذو اسمين من الستة ويقال لجذر الثانى ذو الموسطين الأول ولجذر الثالث ذو الوسطين الثانى ولجذر الرابع الأصغر ولجذر الخامس القوى على منطق وموسط ولجذر السادس القوى على موسطين .

وأن جذر المنفصل الأول منفصل من الستة ويقال لجذر الثانى منفصل الموسط الأول، ولجذر الثالث منفصل الموسط الثانى ولجذر الرابع الأصغر ولجذر الخامس المنفصل بمنطق، يصير الكل موسطا، ولجر السادس المنفصل بموسط يصير الكل موسطا .

وإن كل واحد من جذور المتصلات هو منفصل جذر نظيره من الإسميات .

واختبار التجذير: بضرب الجذر فى مثله . فإن حصل المطلوب جذره صح العمل . وإلا فلا .

الفصل الثانى :

فى الضرب .

اعلم : أن الجذر فى نفسه خمسة أقسام أحدها ما مربعه عدد واحد منطق بالفعل . ويمكن النطق به تحقيقا كجذر أربعة . والثانى : ما مربعة عدد واحد منطق بالفعل ولا يمكن النطق به هو تحقيق كجذر اثنين .

والثالث : ما مربعه ذو اسمين كثلاثة وجذر خمسة مأخوذ جذر ذلك .

والرابع: ما مربعه منفصل نحو ثلاثة إلا ثلاثة إلا جذر خمسة مأخوذ جذره.

والخامس: ما مربعه موسط أى وقع عليه لفظ الجذر أيضا كجذر جذر ستة عشر. وكجذر جذر تسعة وكجذر جذر ثلاثة وكجذر خمسة وجذر تسعة مأخوذا جذر جذر ذلك وكثلاثة إلا جذر ستة مأخوذا جذر جذر ذلك. وكجذر جذر ثلاثة.

ولا يخفى أن المربع ينقسم بحسب انقسام الجذور إلى الأقسام الخمسة ... إذا عرفت ذلك.

فاعلم: أن كلا من المضروب والمضروب فيه إما عدد مطلق أو ذو اسمين أو جذر منفصل أو جذر موسط. والموسط قد يكون واقعا على ذى اسم أو على ذى اسمين أو على منفصل.

وضرب هذه الأقسام التسعة بعضها فى بعض. منحصر فى خمسة وأربعين نوعا. وقد مضى بيان ستة منها. وأما التسعة والثلاثون الباقية فنبينها فى هذا الفصل فنقول جميع الأنواع راجعة إلى ثلاثة أقسام. ضرب مفرد فى مفرد.

وضرب مفرد فى مركب.

وضرب مركب فى مركب.

ونعنى بالمركب هنا ستة أقسام:

ذا الاسمين فأكثر

والمنفصل.

وجذر ذى الاسمين.

وجذر المنفصل.

وجذر الموسط الواقع على ذى اسمين.

وجذر الموسط الواقع على منفصل.

وبالمفرد ما عدا ذلك.

أما ضرب المفرد فى المفرد. فهو الأنواع الستة الذى مضى بيانها.

وأما ضرب المفرد فى المركب فثمانية عشر نوعا فتحلل المركب إلى مفرداته.

وتضرب كل مفرد منها فى المنفرد على ما عرف وتراعى ما تقدم بيانه من وجوب رد ما زاد على جذر واحد أو نقص عن جذر واحد إلى جذر كامل. ومن التوفيق بين المضروبين فى رتبة الجذر ومن العلم بعدة الضربات التى يتم بها الضرب ومن معرفة حكم ضرب الزائد فى الزائد. والناقص فى الناقص والزائد فى الناقص.

وأن المشارك يجمع أو يطرح وأن المباين يعطف أو يستثنى.

وأما ضرب المركب فى المركب فأحد وعشرون نوعا فتحلل كلا من المضروبين إلى مفرداته وتضرب كل مفرد من أحدهما فى كل مفرد من الآخر وتراعى ما سبق ذكره.

فلو قيل: اضرب اثنين فى ثلاثة وجذر خمسة فاضرب الاثنين فى الثلاثة ثم فى جذر الخمسة واجمع الحاصلين يكن ستة وجذر عشرين.

أو فى ثلاثة إلا جذر خمسة فالحاصل الثانى ناقص لأنه من ضرب زائد فى ناقص فالجواب ستة إلا جذر عشرين. أو فى ثلاثة وجذر خمسة مأخوذ جذر ذلك كله أى بعد جمع جذر الخمسة إلى ثلاثة فما قيل فيه من هذا النوع مأخوذ جذره هو بمنزلة ما وقع عليه اللفظ بالجذر مرة.

وما قيل فيه مأخوذ جذره جذر أو أكثر هو بمنزلة ما يتكرر فيه لفظ الجذر مقدما كجذر جذر كذا.

ففى المثال ربع الاثنين ليلحق برتبة المضروب فيه ثم اضرب الأربعة فى الثلاثة فى جذر الخمسة كما عرفت ووقع على المجتمع لفظ الجذر مؤخرا فالجواب اثنا عشر وجذر ثمانين مأخوذ جذر ذلك كله.

وإنما أخروا لفظ الجذر فى هذا ونحوه من جذر كل ما أتصل من أكثر من اسم ومن جذر ما فضل منه شىء. تميزا بين ما وقع الجذر على كله وما وقع على بعضه. ودفعا للبس.

ألا ترى أن التقدم فى المثال يوهم وقوع الجذر على الثلاثة وحدها وأن المضروب فيه ذو اسمين.

ولو قيل: فى ثلاثة إلا جذر خمسة مأخوذ جذر ذلك

فكما فى التى قبلها إلا أنك تفصل الحاصل الثانى قبل التوقيع . والجواب اثنا عشر إلا جذر ثمانين مأخوذ جذر ذلك .

أو فى ثلاثة وجذر خمسة مأخوذ جذر جذر ذلك فاضرب مربع مربع الاثنين فى كل منهما واعطف ووقع جذر. فالجواب ثمانية وأربعون وجذر ألف ومائتين وثمانين مأخوذ جذر جذر ذلك .

أو فى منفصله . فكذلك وابدل الفصل بالعطف . ولو كان بدل الاثنين جذره فى الأول، فاضربه فى كل كما عرفت واجمع يكن جذر ثمانية عشر وجذر عشرة أو فى الثانى فكذلك واستثن .

أو فى الثالث فمتفقان فاضرب الاثنين فى الثلاثة ثم فى جذر الخمسة واجمع وقع يكن ستة وجذر عشرين مأخوذا جذر ذلك . أو فى الرابع فذلك وأفصل ...

أو فى الخامس : فاضرب مربع الاثنين فى كل واعطف . ووقع يكن اثنى عشر وجذر ثمانين مأخوذا جذر جذر ذلك .

أو فى السادس : فاعمل كذلك مستثنيا .

ولو كان بدل الاثنين جذر جذره فى الأول .

فربع مربع المضروب فيه ليوافق فيحصل ثلاث مائة وستة وسبعون وجذر مائة ألف واحد وأربعون ألفا ومائة وعشرين فاضرب الاثنين فى ثلاث مائة وستة وسبعين ثم فى جذر مائة وأربعين ألفا ومائة وعشرين واجمع ووقع جذر الجذر يكن سبعة مائة واثنين وخمسين وجذر خمس مائة ألف وأربعة وستين ألفا وأربع مائة وثمانين مأخوذا جذر جذر.

أو فى الثانى فاعمل كذلك واستثن .

أو فى الثالث فربِّع المضروب فيه واضرب الاثنين فى الأربعة عشر ثم فى جذر المائة والثمانين واجمع ووقع يكن ثمانية وعشرين وجذر سبع مائة وعشرين مأخوذا جذر جذر ذلك .

أو فى الرابع فاعمل كذلك واستثن .

أو فى الخامس : فاضرب الاثنين فى الثلاثة ثم فى جذر الخمسة واجمع ووقع يكن ستة وجذر عشرين مأخوذا جذر جذر ذلك .

أو فى السادس فاعمل كذلك كمستثنى .

فهذه أمثلة ضرب المفرد فى المركب بأنواعه .

ولو قيل اضرب اثنين وجذر خمسة فى جذر ستة وجذر عشرة .

فيتم العمل بأربع ضربات ، فاضرب واجمع الحواصل الأربعة فالجواب جذر أربعة وعشرين وجذر أربعين وجذر ثلاثين وجذر خمسين .

أو فى جذر اثنين وجذر ثلاثة وجذر ستة فيتم بست ضربات فاضرب واجمع يكن جذر ثمانية وجذر اثنى عشر وجذر أربعة وعشرين وجذر عشرة وجذر خمسة وجذر ثلاثين .

أو فى جذر عشرة إلا جذر ستة فيتم بأربع فاستثن مجموع الناقصين من مجموع الزائدين يكن جذر أربعين وجذر خمسين إلا جذر أربعة وعشرين وجذر ثلاثين .

أو فى جذر خمسة إلا اثنين فاعمل كذلك يخرج واحد .

والأخصر فى ضرب ذى اسمين فى منفصله أو عكسه .

أن يؤخذ فضل ما بين مربعى الاسمين فهو المطلوب .

ولو قيل : اضرب ثلاثة وجذر جذر سبعة فى منفصله فاطرح مربع جذر جذر السبعة وهو جذر سبعة من مربع الثلاثة . يبق المطلوب . وذلك تسعة إلا جذر سبعة .

ولو قيل اثنين وجذر خمسة فى اثنين وجذر خمسة مأخوذ جذره .

فربع المضروب ليوافق، يحصل تسعة وجذر ثمانين فاضرب ذلك فى الاثنين وجذر الخمسة كما سبق ووقع على مجموع الحواصل الأربعة لفظ الجذر يكن ثمانية وثلاثين وجذر أربع مائة وخمسة وجذر ثلاث مائة وعشرين مأخوذا جذر ذلك .

(حاشية فى الأصل الحواصل الأربعة : هى ثمانية عشر وجذر أربعين وهو ثلاثون وجذر أربع مائة وخمسة وجذر أربع مائة وهو عشرون بمنطق ضمها إلى الثمانية عشر يجتمع ثمانية وثلاثون فيصير الجواب، كما قال ماردينى انتهى) .

أو في جذر خمسة إلا اثنين مأخوذ جذره فاعمل كما سبق واستثن ووقع فالجواب اثنان وجذر أربع مائة وخمسة إلا جذر ثلاث مائة وعشرين مأخوذ جذره.

أو في اثنين وجذر خمسة مأخوذ جذر جذر ذلك فاضرب مربع مربع المضروب في كل الاثنين وجذر الخمسة واعطف ووقع جذر الجذر يكن الجواب.

(حاشية في الأصل: «وهو مائة واحد وستون وجذر خمسة وعشرين ألفا وسبع مائة وعشرون. والجواب ثلاث مائة واثنان وعشرون وجذر مائة ألف وتسعة وعشرين ألفا وسبع مائة وخمسة وجذر مائة ألف وثلاثة وثلاثة آلاف وست مائة وثمانين وجذر ثمانية ألف وسبعة وعشرين ألف وست مائة مأخوذ جذر جذر ذلك جميعه في اثنين وجذر جذر خمسة وثمانين، ماردينى»).

أو في جذر الخمسة إلا اثنين مأخوذ جذر جذره فكالتي قبلها واستثن.

ولو قيل: اضرب جذر خمسة الا اثنين في مثله.

فيتم العمل بأربع فاستثنى الناقصين من الزائدين فالجواب تسعة إلا جذر ثمانين.

أو في اثنين وجذر خمسة مأخوذ جذره.

فاضرب تسعة إلا جذر ثمانين في اثنين وجذر خمسة ووقع الجواب جذر أربع مائة وخمسة إلا اثنين وجذر ثلاث مائة وعشرين مأخوذ جذره.

أو في جذر خمسة إلا اثنين مأخوذ جذره.

فاضرب مربع المنفصل (حاشية في الأصل «وهو تسعة إلا جذر ثمانين. ماردينى»). في جذر خمسة إلا اثنين ووقع يكن جذر أربع مائة وخمسة وجذر ثلاث مائة وعشرين إلا ثمانية وثلاثين.

أو في اثنين وجذر خمسة مأخوذا جذر جذره.

فاضرب مربع مربع المنفصل في كل من الاثنين (حاشية في الأصل «وهو ٧١١٦١ جذره ٢٥٩١ ماردينى»). ووقع جذر الجذر على الحاصل.

أو في جذر خمسة إلا اثنين مأخوذ جذر جذره.

فكذلك اعمل

ولو قيل: اضرب اثنين وجذر خمسة مأخوذا جذره في مثله.

فاضرب كُلاًّ من الاثنين وجذر الخمسة في نفسه ثم في صاحبه مرتين ووقع لفظ الجذر على الحاصل يكن تسعة وجذر ثمانين مأخوذ جذره.

أو في منفصله مأخوذا جذره.

فاعمل كما سبق يكن واحدا.

أو في اثنين وجذر خمسة مأخوذ جذر جذره.

فاضرب التسعة وجذر الثمانين في كل من الاثنين وجذر الخمسة ووقع جذر الجذر على الحاصل. يكن ثمانية وثلاثين وجذر أربع مائة وخمسة وجذر ثلاث مائة وعشرين.

أو في جذر خمسة إلا اثنين مأخوذ جذر جذره.

فاضرب المربع في جذر الخمسة إلا اثنين ووقع يكن اثنان وجذر أربع مائة وخمسة إلا جذر ثلاث مائة وخمسة إلا جذر ثلاث مائة وعشرين مأخوذا جذر جذر ذلك.

ولو قيل: اضرب جذر خمسة إلا اثنين مأخوذ جذره في مثله.

فالجواب تسعة إلا جذر ثمانين مأخوذ جذره.

أو في اثنين وجذر خمسة مأخوذ جذر جذره.

فاضرب التسعة إلا جذر ثمانين في الاثنين وجذر الخمسة ووقع جذر الجذر على الخارج يكن جذر أربع مائة وخمسة وعشرين مأخوذا جذر جذر ذلك.

أو في جذر خمسة إلا اثنين مأخوذ جذر جذره.

فاضرب المربع في جذر الخمسة إلا اثنين ووقع يكن جذر أربع مائة وخمسة وجذر ثلاث مائة وعشرين إلا ثمانية وثلاثين مأخوذا جذر جذر ذلك.

ولو قيل: اضرب اثنين وجذر خمسة مأخوذا جذر جذره في مثله.

فالجواب تسعة وجذر ثمانين مأخوذ جذر جذر ذلك.

أو في جذر خمسة إلا اثنين مأخوذا جذر جذر ذلك فاعمل كما سبق فالجواب واحد.

ولو قيل. اضرب جذر خمسة إلا اثنين مأخوذا جذره في مثله.

فالجواب تسعة إلا جذر ثمانين مأخوذ جذر جذره.

فقد أتينا بالتمثيل لجميع الأقسام بأوجز كلام. على أحسن نظام بمعونة الملك العلام.

والاختبار: بقسمة الخارج على أحد المضروبين كما سلف.

الفصل الثالث

في القسمة

اعلم . أن كُلاًّ من المقسوم والمقسوم عليه لا بد أن يكون أحد الأقسام التسعة المذكورة فتكون أنواع القسمة أحدا وثمانين وجميعها ترجع إلى أربعة أقسام :

قسمة مفرد على مفرد .

وقسمة مركب على مفرد .

وعكسه .

وقسمة مركب على مركب .

فقسمة المفرد على المفرد تسعة أنواع وقد مضى بيانها .

وقسمة المركب على المفرد ثمانية عشر نوعا وعكسه كذلك .

وقسمة المركب على المركب ستة وثلاثون نوعا .

أما قسمة المركب على المفرد : فيتحلل فيها المقسوم إلى مفرداته بعد التوفيق بينه وبين المقسوم عليه في الرتبة وتقسم كل مفرد منها على المقسوم عليه على ما عرف في قسمة المفرد على المفرد . مع العلم أن قسمة الزائد على الزائد زائد . وأن قسمة الناقص على الزائد ناقص .

فلو قيل : اقسم على اثنين جذرى عشرة وسدس جذر اثنين وسبعين وسبعين .

فكأنه قيل اقسم جذر اثنين وجذر أربعين على الاثنين فاقسم على الاثنين جذر الاثنين ثم جذر الأربعين كما عرفت واجمع الخارجين يكن جذر نصف وجذر عشرة .

أو خمسة أجذار واحد وثلاثة أخماس إلا سدس جذر اثنين وسبعين فاعمل كما سبق واستثن خارج المستثنى من خارج المستثنى منه . فالجواب جذر عشر إلا جذر نصف .

أو خمس جذر خمسين وستة أجذار وسدس مأخوذا ذلك . فربع الاثنين ليوافق المقسوم فكأنه قيل اقسم جذر اثنين وجذر اثنين وأربعين مأخوذا جذره على جذر أربعة فاقسم ما وقع عليه لفظ الجذر من المقسوم وهو جذر الاثنين وجذر الاثنين والأربعين على ما وقع عليه لفظ الجذر من المقسوم إليه وهو الأربعة ما وقع على مجموع الخارجين اللفظ بالجذر يكن جذر ثمن وجذر اثنين ونصف وثمن مأخوذا جذر ذلك . أو ستة أجذار واحد وسدس إلا خمس جذر خمسين مأخوذا جذر ذلك . فاعمل كما في التي قبلها واستثن . يكن جذر اثنين ونصف وثمن إلا جذر ثمن مأخوذا جذر ذلك .

أو نصف جذر ثمانية وثلاثة أجذار أربعة وأربعة أتساع مأخوذا جذر جذر ذلك . فربِّع مربع الاثنين فكأنه قيل اقسم جذر اثنين وجذر أربعين مأخوذا جذر جذره على جذر جذر ستة عشر فاقسم جذر الاثنين وجذر الأربعين على الستة عشر ووقع على مجموع الخارجين جذر الجذر يكن جذر نصف ثمن ثمن وجذر ثمن وربع ثمن مأخوذا جذر جذر ذلك .

أو أربعة أجذار اثنين ونصف إلا ثلث جذر ثمانية عشر مأخوذا جذر جذر ذلك فاعمل فيها كالتي قبلها فالجواب جذر ثمن وربع ثمن إلا جذر نصف ثمن ثمن مأخوذا جذر جذر ذلك .

ولو كان جذر الاثنين هو المقسوم عليه في الأولى .

فالجواب واحد وجذر عشرين .

أو في الثانية . فالجواب . جذر عشرين إلا واحدا .

أو في الثالثة : فاقسم على الاثنين جذر الاثنين والأربعين ثم جذر الاثنين ووقِّع على مجموع الخارجين لفظ الجذر فالجواب جذر عشرة ونصف وجذر نصف مأخوذ جذره .

أو في الرابعة : فكما قبلها يكن جذر عشرة ونصف إلا جذر نصف مأخوذا جذره .

أو في الخامسة : فربع الاثنين واقسم جذر الأربعين وجذر الاثنين على الأربعة ووقع على ما يحصل جذر الجذر يكن جذر اثنين ونصف جذر ثمن مأخوذا جذر جذره .

أو في السادسة : فكما قبلها يكن جذرا اثنين ونصف إلا جذر ثمن مأخوذا جذر جذره .

ولو كان جذر جذر الاثنين هو المقسوم عليه في الأولى فاقسم عليه كلا منهما كما عرفت فالجواب جذر جذر ثماني مائة وجذر جذر اثنين وجذر مائة وسبعين وجذر ثماني مائة واثنين وثمانين مأخوذا جذر ذلك .

أو في الثانية : فكذلك يكن جذر جذر ثماني مائة إلا جذر جذر اثنين .

أو في الثالثة : فاقسم أربعة وأربعين وجذر ثلاث مائة وستة وثلاثين على الاثنين ووقع الجذر على ما يخرج يكن اثنين وعشرين وجذر أربعة وثمانين مأخوذا جذر جذره .

أو في الرابعة : فكما قبلها يكن اثنين وعشرين إلا جذر أربعة وثمانين مأخوذا جذر جذره .

أو في الخامسة : فاقسم على الاثنين جذر الأربعين وجذر الاثنين ووقع جذر الجذر على المجمع يكن جذر عشرة وجذر نصف مأخوذا جذر جذر ذلك .

أو فى السادسة : فكذلك يكن عشرة إلا جذر نصف مأخوذا جذر جذر ذلك فهذه أمثلة أنواع قسمة المركب على المفرد .

ولو قيل اقسم عشرة على اثنين وجذر ثلاثة .

فاضرب المقسوم عليه فى منفصله واقسم العشرة على الحاصل وهو واحد واضرب الخارج فى المنفصل يحصل المطلوب وذلك عشرون إلا جذر ثلاث مائة .

ولو كان المقسوم عليه اثنين إلا جذر ثلاثة .

فاضربه فى متصله واقسم العشرة على الحاصل واضرب الخارج فى المتصل . فالجواب عشرون وجذر ثلاث مائة أو كان اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذره . فربع العشرة واعمل فى قسمة المائة على الاثنين وجذر الثلاثة ما سبق ووقع على الخارج الجذر يكن مائتين إلا جذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذره .

أو كان اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذا جذره .

فاقسم المائة على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع يكن مائتين وجذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذره .

أو كان اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره .

فربع المائة واقسم عشرة آلاف على الاثنين وخذ الثلاثة ووقع على الحاصل جذر الجذر يكن عشرين ألفا إلا جذر ثلاث مائة ألف ألف مأخوذا جذر جذره .

أو كان اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره فاقسم عشرة الآلاف كما سبق ووقع يكن كجواب الأولى . إلا أنه بالعطف .

ولو كان جذر العشرة هو المقسوم فى الأولى فاقسمه على الخارج من ضرب المقسوم عليه فى منفصله واضرب الحاصل فى المنفصل فالجواب جذر أربعين إلا جذر ثلاثين .

أو فى الثانية : فاقسمه على الواحد واضرب الحاصل فى المنفصل فالجواب جذر أربعين وجذر ثلاثين .

أو فى الثالثة : فاقسم العشرة على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع على الخارج الجذر فالجواب عشرون إلا جذر ثلاث مائة مأخوذا جذر ذلك .

أو فى الرابعة : فاقسم العشرة على الاثنين وجذر الثلاثة ووقِّع يكن عشرين وجذر ثلاث مائة مأخوذا جذره .

أو فى الخامسة : فاقسم مربع العشرة على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع على الخارج جذر الجواب فالجواب مائتان إلا جذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذر جذره .

أو فى السادسة : فاقسم المائة على الاثنين غير جذر الثلاثة ووقع يكن مائتين وجذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذر جذره .

ولو كان جذر جذر العشرة هو المقسوم فى الأولى فاقسمه على الخارج من ضرب المقسوم عليه فى منفصله واضرب الحاصل فى المنفصل يكن جذر جذر مائة وستين إلا جذر جذر تسعين .

أو فى الثانية : فاقسمه على الواحد واضرب الحاصل فى المنفصل يكن متصل الجواب الأولى .

أو فى الثالثة : فربع الاثنين وجذر الثلاثة فكأنه قيل اقسم جذر جذر العشرة على سبعة وجذر ثمانية وأربعين مأخوذ جذر جذره فاقسم العشرة على سبعة وجذر ثمانية وأربعين ووقع على الخارج جذر الجذر يكن سبعين إلا جذر أربعة آلاف وثمانى مائة مأخوذا جذر جذره .

أو فى الرابعة : فاقسم العشرة على السبعة إلا جذر الثمانية والأربعين ووقِّع يكن متصل جواب التى قبلها .

أو فى الخامسة : فاقسم العشرة على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع على الخارج جذر الجذر يكن عشرين إلا جذر ثلاث مائة مأخوذا جذر جذره .

أو فى السادسة : فاقسمها على الاثنين غير جذر الثلاثة ووقع يكن متصل جواب ما قبلها .

فهذه أمثلة قسمة المفرد على المركب وترجع إليها فى قسمة المركب على المركب ، لأنك تقسم كلا من مفردات المقسوم منفردا على جملة المقسوم عليه كما تقسم المفرد على المركب وتجمع الخارجات أو يستثنى .

فلو قيل : اقسم عشرة وجذر عشرة على اثنين وجذر ثلاثة :

فاقسم على الاثنين وجذر الثلاثة . العشرة وحدها ثم جذرها كما عرفت واجمع الخارجين يكن عشرين وجذر أربعين إلا جذر ثلاثين وجذر ثلاث مائة .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة فاقسم كلا على الاثنين وجذِّر الثلاثة واجمع يكن عشرين وجذر ثلاثين وجذر الربعين وجذر ثلاث مائة أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذره فاقسم على المقسوم عليه العشرة كما سبق يخرج مائتان إلا

جذر ثلاثين ألفـا، مأخوذا جذر ذلك ثم جـذر العشرة كذلك يخرج عشرون إلا جذر ثلاث مائة مأخوذا جذر ذلك. واجمع الخارجين يكن الجـواب مائتين إلا جـذر ثلاثين ألفـا مأخوذا جـذر ذلك وعشـرين إلا جـذر ثلاث مـائة مأخـوذا جـذر ذلك.

أو على اثنين إلا جذر ثـلاثة مأخوذا جذره فـاقسم العشرة ثم جـذِّرها على الاثنين إلا جـذر الثلاثـة كما عـرفت واجمع الخـارجين يكن الجواب مـائتين وجـذِّر ثـلاثين ألفا مأخـوذا جذره وعشرين جذر ثلاث مائة مأخوذا جذر ذلك.

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره.

فاقسم علـى ذلك العشرة ثم جـذرها كما عـرفت واجمع الخارجين يكن الجواب عشرين ألفا إلا جذر ثلاث مائة ألف ألف مأخوذا جـذر جذر ذلك ومـائتين الا جذر ثـلاثين ألفا مأخوذا جذر جذر ذلك.

فاقسم على ذلك العشرة ثم جذرها واجمع الخارجين يكن الجـواب عشرين ألفـا وجذر ثـلاث مائة ألف ألف مأخـوذا جذر جذر ذلك ومائتين وجذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذر جذر ذلك.

ولـو قيل: اقسم عشـرة إلا جذر عشـرة على اثنين وجـذر ثلاثة.

فـاقسم على الاثنين وجـذر الثـلاثـة العشـرة ثم جـذرهـا واستثن الخارج الثانى من الخارج الأول يكن الجواب عشرين إلا جذر ثلاث مائة وإلا جذر أربعين غير جذر ثلاثين.

أو على اثنين إلا جذر ثـلاثة فاقسـم على ذلك العشرة ثم جذرها واستثن يكن عشرين وجذر ثلاثة مائة إلا جذر ثلاثين وجذر أربعين.

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذره.

فاقسم على ذلك العشرة ثم جذرها واستثن الخارج الثانى من الخارج الأول يكن الجـواب مائتين إلا جذر ثـلاثين ألفا مأخوذا جذره وإلا عشرين غير جـذر ثلاث مائة مأخوذا جذر ذلك.

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذا جذره.

فاعمـل كما فى التى قبلهـا. يكن الجواب مائتيـن وجذر ثـلاثين ألفـا (مأخـوذا جـذره إلا عشرين وجـذر ثـلاث مـائة مأخوذا جذره.

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره.

فاعمـل كما فى التى قبلهـا يكن الجواب عشريـن ألفا إلا جذر (ثلاث مائة ألف ألف مأخوذا جذر جذره إلا مائتين غير جذر ثلاثين ألفا مأخوذا) جذر جذر ذلك.

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره.

فاعمل كذلك يكن الجواب عشرين ألفا وجذر ثلاث مائة ألف ألف مأخـوذا جذر جـذره إلا مـائتين وجذر ثـلاثين ألف مأخوذا جذر جذر ذلك.

ولـو قيل: اقسم عشرة وجـذرهـا مأخوذا جـذر ذلك على اثنين وجـذر ثـلاثـة. فـربع المقسـوم عليـه واقسم العشـرة وجذرهـا على سبعة وجذر ثمـانية وأربعين كمـا عرفت ووقع الجـذر على الخـارج يكن الجواب سبعين وجـذر أربع مـائة وتسعين إلا جذر أربع مائة وثمانيـن وجذر أربعة آلاف وثمانى مئة مأخوذا جذر ذلك كله.

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة.

فاقسم العشرة وجذرها على سبعة إلا جذر ثمانية وأربعين ووقع.

أو على اثنين وجـذر ثـلاثـة مأخوذا جـذر جـذره فـاقسم العشرة وجـذرها على الاثنين وجذر الثلاثـة ووقع الجذر على الخارج.

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذا جذره.

فـاقسم العشـرة وجـذرها على الاثنيـن إلا جذر الثـلاثـة ووقع.

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره.

فاقسم ما يقـع عليه جذر الجذر من مربـع مربع المقسوم على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع على الخارج جذر الجذر.

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره.

فـاقسم ما قسمـت فى التى قبلها على الاثنيـن غير جـذر الثلاثة ووقع.

ولو قيل: اقسم عشـرة إلا جذرها مأخـوذا جذر ذلك على اثنين وجذر ثلاثة.

فاقسم العشرة غير جذرها على سبعة وجذر ثمانيه وأربعين ووقع الجذر على الخارج .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة .

فاقسم العشرة غير جذرها على سبعة غير جذر ثمانية وأربعين ووقع .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذره .

فاقسم العشرة غير جذرها على الاثنين غير جذر الثلاثة ووقع الجذر على الخارج .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذره .

فاقسم العشرة غير جذرها على الاثنين غير جذر جذر الثلاثة ووقع أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره فاقسم ما يقع عليه جذر الجذر من المقسوم على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع على الخارج جذر الجذر.

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره .

فاقسم ما قسمت فى التى قبلها على الاثنين إلا جذر الثلاثة ووقع .

ولو قيل : اقسم عشرة وجذرها مأخوذا جذر جذر ذلك على اثنين وجذر ثلاثة . فاقسم العشرة وجذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع مربع الاثنين وجذر الثلاثة ووقع جذر الجذر على الخارج .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة . فاقسم العشرة وجذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع مربع الاثنين إلا جذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذره .

فاقسم العشرة وجذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع الاثنين وجذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذ جذره .

فاقسم العشرة وجذرها على ما يقع عليه الجذر من مربع الاثنين إلا جذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره .

فاقسم العشرة وجذرها على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره .

فاقسم العشرة وجذرها على الاثنين إلا جذر الثلاثة ووقع .

ولو قيل : اقسم عشرة إلا جذرها مأخوذا جذر جذره على اثنين وجذر ثلاثة .

فاقسم العشرة غير جذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع مربع الاثنين وجذر الثلاثة ووقع على الخارج جذر الجذر.

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة فاقسم العشرة غير جذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع مربع الاثنين إلا جذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذره .

فاقسم العشرة غير جذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع الاثنين وجذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين إلا ثلاثة مأخوذ جذره .

فاقسم العشرة غير جذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع الاثنين غير جذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره .

فاقسم العشرة غير جذرها على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره .

فاقسم العشرة غير جذرها على الاثنين إلا جذر ثلاثة ووقع .

فهذه أمثلة أنواع قسمة المركب على المركب .

وربما وردت صور مركبة من نوعين أو أكثر فمن أتقن وجوه العمل فى الأنواع المذكورة لا يخفى عليه شيء من ما يرد من هذا الباب .

فلو قيل : اقسم عشرة وجذر سبعة مأخوذا جذر ذلك واثنين وجذر ثلاثة على ثلاثة إلا جذر ستة .

فاقسم على الثلاثة غير جذر الستة . العشرة وجذر السبعة مأخوذا جذر ذلك . ثم الاثنين وجذر الستة كما عرفت واجمع الخارجين .

ولو قيل : اقسم جذر ثلاثة وجذر عشرة مأخوذا جذر ذلك وثمانية وجذر تسعين مأخوذا جذر جذر ذلك على ثلاثة وجذر ستة .

فاقسم على المقسوم عليه أولا جذرى ذى الاسمين ثم الموسط واجمع الخارجين.

الفصل الرابع

فى الجمع والطرح

أما الجمع:

فالعمل فيه: أن تنظر بين كل من مفردى أحد المجموعين أو مفرداته وبين كل مفردات الآخر أهمها متشاركان أو متباينان.

فالمتشاركان يجتمعان سواء أكانا زائدين أم ناقصين كما سبق ليصيرا جذر عدد واحد.

والمتباينان يجمعان بالواو وهكذا إلى آخرها وقد يكون الناقص من أحد المجموعين مشاركا كالزائد من المجموع الآخر فيجبر ذو النقص بمثل مستثناه من الزائد المشارك فى الجهة الأخرى بأن تطرح الناقص من ذلك الزائد وتحفظ الباقى ليجمع مع غيره فقد يكون المجتمع من ذى اسمين إلى ذى اسمين. ذا اسمين. وقد يكون ذا ثلاثة أسماء وقد يكون ذا أربعة.

فلو قيل: اجمع ثلاثة وجذر خمسة إلى سبعة وجذر عشرين. فالثلاثة والسبعة يجتمعان وكذلك جذر الخمسة وجذر العشرين لاشتراكهما فاجمع يكن المطلوب عشرة وجذر خمسة وأربعين.

ولو قيل: اجمع جذر ثمانية وجذر عشرين إلى جذر اثنين وجذر خمسة. فجذر الثمانية يشارك جذر الاثنين فاجمعهما وجذر الخمسة يشارك جذر العشرين. فاجمعهما فيكون المجموعان جذر ثمانية عشر وجذر خمسة وأربعين وذلك هو المطلوب.

ولو قيل: اجمع جذر ثمانية إلا جذر ثلاثة إلى جذر ثمانية عشر إلا جذر اثنى عشر فاجمع جذر الثمانية إلى جذر الثمانية عشر لتشاركهما وزيادتهما ثم جذر الثلاثة إلى جذر الاثنى عشر لاشتراكهما ونقصانهما واطرح المجموع الثانى من المجموع الأول. يبقى المطلوب وذلك جذر خمسين إلا جذر سبعة وعشرين.

ولو قيل: اجمع جذر اثنى عشر إلا جذر اثنين إلى جذر ثمانية إلا جذر ثلاثة.

فاجبر جذر الاثنى عشر من جذر الثمانية بمقدار مستثناه وهو جذر الاثنين. فيصير جذر اثنى عشر ويصير جذر الثمانية بعد طرح جذر الاثنين منه. جذر اثنين. واجبر أيضا جذر الثمانية من جذر الاثنى عشر بجذر ثلاثة يبق من جذر الاثنى عشر جذر ثلاثة فاجمع الباقين يكن المطلوب وذلك جذر اثنين وجذر ثلاثة.

ولو قيل: اجمع جذر عشرين وجذر أربعة وعشرين إلى جذر ستة إلا جذر خمسة. فاجبر جذر الستة من جذر العشرين بمقدار مستثناه فيكمل ويبقى من جذر العشرين بعد طرح جذر خمسة من جذر خمسة فاحفظه ثم اجمع جذر الستة إلى جذر الأربعة والعشرين يجتمع جذر أربعة وخمسين فاعطفه على المحفوظ يكن المطلوب وذلك جذر خمسة وجذر أربعة وخمسين.

ولو قيل: اجمع جذر ثلاثة وجذر خمسة إلى جذر سبعة وجذر عشرين فجذر الخمسة يشارك جذر العشرين ويباين جذر السبعة وجذر الثلاثة يباين كلا منهما فاجمع المشتركين واعطف مجموعهما على جذر الثلاثة وجذر السبعة. فالجواب جذر ثلاثة وجذر سبعة وجذر خمسة وأربعين.

ولو قيل: اجمع جذر اثنين وجذر ثلاثة إلى ثلاثة وجذر خمسة فالجواب فى هذا كالسؤال.

ولو قيل: اجمع جذر اثنين إلى جذر ثلاثة إلى ثلاثة إلا جذر خمسة فالجواب ثلاثة وجذر اثنين إلا جذر ثلاثة وجذر خمسة.

وأما الطرح:

فالعمل فيه: أن تنظر بين كل مفرد من المطروح وكل مفرد من المطروح منه وتعتبر ما مضى فى الجمع.

فلو قيل: اطرح جذر ثلاثة وجذر ستة من جذر اثنى عشر وجذر أربعة وعشرين.

فاطرح جذر الستة من جذر الأربعة والعشرين ثم جذر الثلاثة من جذر الاثنى عشر واجمع الباقى من جذر الأربعة والعشرين وهو جذر ستة إلى الباقى من جذر الاثنى عشر وهو جذر ثلاثة يكن المطلوب وذلك جذر ثلاثة وجذر ستة.

ولو قيل: اطرح أربعة وجذر ثلاثة من ثمانية وجذر اثنى عشر.

فاطرح الأربعة من الثمانية وجذر الثلاثة من جذر الاثنى عشر كما عرفت واجمع الباقين يكن المطلوب وذلك أربعة وجذر ثلاثة.

ولو قيل اطرح جذر ثمانية إلا جذر ثلاثة من جذر اثنين وثلاثين إلا جذر اثنى عشر.

فاطرح مستثنى المطروح وهو جذر الثلاثة من مستثنى المطروح منه وهو جذر الاثنى عشر ثم المطروح من المطروح منه كاملين. أعنى جذر الثمانية من جذر الاثنين والثلاثين واستثن الباقى الأول وهو جذر ثلاثة من الباقى الثانى وهو جذر ثمانية يكن الجواب جذر ثمانية إلا جذر ثلاثة.

ولو قيل: اطرح جذر خمسة إلا جذر اثنين من جذر اثنين وثلاثين إلا جذر عشرين.

فاجمع مستثنى كل منهما إلى المستثنى منه فى الآخر واستثن الأقل من الأكثر فاجمع جذر الاثنين إلى جذر الاثنين والثلاثين ثم جذر الخمسة إلى جذر العشرين واستثن المجموع الثانى من المجموع الأول يبق المطلوب وذلك جذر خمسين إلا جذر خمسة وأربعين.

ولو قيل: اطرح جذر ستة إلا جذر اثنين من جذر أربعة وعشرين وجذر ثمانية.

فكمل جذر الستة بأن تزيد عليه مثل مستثناه واجمع كذلك جذر الاثنين إلى جذر الثمانية لتشاركهما فيصير المطروح جذر الستة والمطروح منه جذر أربعة وعشرين وجذر ثمانية عشر فاطرح جذر الستة من جذر الأربعة والعشرين واحمل الباقى وهو جذر ستة على جذر الثمانية عشر يكن المطلوب. وذلك جذر ستة وجذر ثمانية عشر.

ولو قيل: اطرح واحدا وجذر اثنين من جذر خمسين إلا جذر ثمانية عشر.

فكمل جذر الخمسين بجذر ثمانية عشر. ثم اجمع جذر الثمانية عشر إلى جذر الاثنين فيصير المطروح واحدا وجذر اثنين وثلاثين فاطرح جذر الاثنين والثلاثين من جذر الخمسين والواحد من الباقى يكن المطلوب وذلك جذر اثنين إلا واحدا.

ولو قيل: اطرح جذر خمسة إلا جذر ثلاثة من جذر عشرة إلا جذر اثنين.

فالجواب: جذر ثلاثة وجذر عشرة إلا جذر اثنين وجذر خمسة. والله أعلم (المعونة فى علم الحساب الهوائى / ٢١٥ - ٢٤٤).

٢ - النموذج الثانى. من كتاب بغية الطلاب لابن غازى المتوفى سنة ٩١٩ هـ.

وهو فيه يورد الأبيات من منظومته الموسومة بمنية الحساب ثم يشرحها وهكذا يبدأ موضوع ذوات الأسماء والمنفصلات بهذه الأبيات ثم يشرحها وذلك على النحو التالى:

فصل وجذران وجذر وعدد

ذو اسمين إن جمعهما عطفا ورد

وذوا انفصال إن بـإلا قطعا

*... ... ...

هذا فصل ذوات الأسماء والمنفصلات وهو محل يمس تناوله قال فى «رفع الحجاب» «ذو الاسمين هو عدد وجذر عدد أو جذر عدد وجذر عدد لا يجتمعان إلا بحرف العطف مثل خمسة وجذر ثلاثة أو جذر ثلاثة وجذر خمسة، والمنفصل هو ذو الاسمين إذا فصل الاسم الأصغر من الأكبر بحرف الاستثناء مثل خمسة إلا جذر ثلاثة أو جذر خمسة إلا جذر ثلاثة اهـ» وهو المقصود بالنظم، فكلها ذوات أسماء سميت بذلك لأن كل واحد منها مؤلف من اسمين، لكنهم فرقوا بين ما فصل بحرف الاستثناء وما لم يفصل، فأوقعوا على المفصول منه اسم المنفصلات، وعلى غيره اسم ذوات الأسماء المتصلات والمنفصلات فكان العطف على صفة مقدرة. ولما كان الاسمان مختلفين لم يكن جمعهما إلا بحرف العطف ولا سقوط لأحدهما من الآخر إلا بحرف الاستثناء، وألف قطعا للتثنية تعود على الاسمين، وبالله تعالى التوفيق.

*... ... ...

وكل واحد لست نوعا

أكبـــــــر رابع وصــــــــدر منطـق
بعكـس تلــــــوين وبــــــاق مغلـق

أى ذوات الأسماء ستة ومنفصلاتها ستة ثم لأن الاسم الأكبر منطق فى الأول وفى الرابع وهو معنى قولنا (أكبر رابع وصدر منطق) والأصغر منطق فى الثانى وفى الخامس ، وهو معنى قولنا (بعكس تلوين) والمراد بالتلوين تلو الأول وهو الثانى، وتلو الرابع وهو الخامس، وليس واحد منهما منطقا فى الثالث وفى السادس، وهو معنى قولنا (وباق مغلق) كنينا بالمغلق عن غير المنطق، وهذه أمثلة ذوات للأسماء.

جـ جـ جـ جـ جـ جـ جـ جـ
٤ .·. ١٢، ٥ .·. ٤٥، ٦ .·. ٣، ١٢ .·. ٢، ٣ .·. ١٣، ٧ .·. ٨

فإذا فصل الأصغر من الأكبر بحرف الاستثناء فهى الستة، وبالله التوفيق

فـإن جــــرى أزكى المـــــربعين فـى
فضلهمـــا أبـــدى مـــربعـــا وفـى
فـى الأول الثــــلاث ذات الأقـــرب
لمنطـق والعكـس بــــــالعكس يجـى

قال فى «رفع الحجاب» : «وتتميز الثلاثة الأولى عن الأخيرة بأن تضرب فضل ما بين مربعى الاسمين فى المربع الأكبر منهما فإن خرج مربعا فهو من الثلاثة الأولى، وإن كان غير مربع فهو من الثلاثة الثانية، والثلاثة الأولى من ذوات الاسمين أو من المنفصلات جذرها أقرب إلى المنطق فى المرتبة من جذور الثلاثة الأخيرة اهـ» وهو مرادنا بالبيتين.

فإذا قيل مثلا: أربعة وجذر اثنى عشر من أى الستة هى؟ فتقول هذا عدد وجذر عدد فليس بالثالث ولا بالسادس المغلقين، والعدد أكبر من الجذر لأن مربع العدد ستة عشر ومربع الجذر اثنا عشر، فليس بالثانى ولا بالخامس لأن الأصغر فيهما هو المنطق ، فلم يبق إلا أن يكون الفرض المذكور من الأول والرابع فإن الأكبر فيهما هو المنطق، وهذه صفة فرضنا فهو محتمل للأول والرابع، فنميزه بما ذكرنا:

ونجرى أزكى المربعين أى نضرب أكبرهما وهو ستة عشر فى فضلهما أى الفضل بينه وبين المربع الآخر الذى هو اثنا عشر وذلك الفضل هو أربعة، فيبدى الضرب مربعا وفيًّا أى يظهر عددا مجذرا موصوفا بالوفاء لكونه مربعا، والمربع مفسرا لكمية جذره فكان أوفى أعداد هذا الباب، وهذا المربع أربعة وستون فتعلم أن الفرض المذكور من أول الثلاث ذات الجذر الأقرب للمنطق وخروج المربع من الضرب المذكور دليل الأقرب من الجذر المنطق ، ثم إذا علمنا فى فرضنا أنه من الثلاث الأول فقد قام الدليل على أنه ليس بالثانى ولا بالثالث فتعين أنه الأول، وقس على هذا ما أشبهه.

ولو قيل مثلا: ثلاثة وجذر ستة من أيها هو لتصرفت بمثل هذا التصرف إلى أن يبدى الضرب غير مربع، فتعلم أنه الرابع مما قلنا والعكس بالعكس يجى، أى وإن جرى أذكى المربعين أيضا فى فضلهما أبدى غير مربع من الثلاث الآخر ذات الجذر إلا بعد من الجذر المنطق، وخروج غير المربع دليل البعد فاعمه، وياء وفى مخففة بعد الوقف عليها بالسكون، عليها لغة ربيعة وازد شنؤة على حد قول الشاعر:

(بيـن جنبـى كـأنـى سعـــــــــــدا
جعـل العيـن على الســـدف أبــــر)

وقول الآخر

(بئـس قـــوم الله قـــوم طـــرقـــوا
فقـــدوا ضيفهـم لحمـــا وحـــر) .

وفى لفظ (وفى) تجنيس مع لفظ (فى) آخر الشطر الذى قبله وفى أول الشطر الذى بعده و (فى الأول) متعلق بأبدى.

فائدة: قال الجوهرى : العكس ردك آخر الشيء إلى أوله، ومنه عكس البلية عند القبر لأنهم كانوا يربطونها معكوسة الرأس إلى ما يلى كلكلها وبطنها، ويقال إلى مؤخرها مما يلى ظهرها، ويتركونها على تلك الحال حتى تموت. وقال أيضا : البلية الناقة التى كانت تعقل فى الجاهلية عند قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت، أو تحفر لها حفرة وتترك إلى أن تموت، لأنهم كانوا يزعمون أن الناس يحشرون ركبانا على البلايا، ومشاة إذا لم تعكس مطاياهم على قبورهم، وتقول منه أبليت وبليت. قال الطرماح:

(منــــازل لا تــــرى الأنصـــاب فيهـــا
ولا حفـــر المبــــالى للمنـــون) .

أى إنها منازل أهل الإسلام دون الجاهلية اهـ.

وذكرته بطوله إذا لم أر فيه ما يستحق الإسقاط والحديث

شجون، ثم قد يطلق العكس على الضد كقول أبي القاسم الشاطبي *والعكس نحوها احملا* وهو مجاز، بخلاف قوله * وللمكي عكس تحولا * فإنه حقيقة، وأما حده في الاصطلاح وانقسامه إلى مستو وغيره فهو وظيفة المنطقي.

قال في «رفع الحجاب» ويلزم مما ذكر من خواصها أنا إذا أردنا إيجادها فإنا ننقص مربعا من مربع ولا يكون الباقي مربعا ونصل جذر الباقي بجذر المربع الأكبر يكون ذا الاسمين الأول وإليه الإشارة بقولنا:

فحط من مربع مربعا
إن لم تجد للباقي فيه مطعما
وجذر باق صل بجذر الأكبر
تكن إذا بأول ذا ظفر

مثاله أن تحط أربعة من ستة عشر وهما مربعان يبقى اثنا عشر وهي غير مربعة فتصل جذر الباقي وهو جذر اثني عشر بجذر الأكبر وهو أربعة يكون ١٢٤ وهو من النوع الأول.

وكذلك لو أسقطت تسعة من ستة عشر لبقى سبعة فيكون ٤ ٧ج وكذلك لو أسقطت أربعة من خمسة وعشرين لبقى واحد وعشرون فيكون ٥ ٢١ج وكذلك لو أسقطت تسعة من ستة وثلاثين لبقى سبعة وعشرون فيكون ٦ ٢٧ج.

ولا يخفاك كون كل واحد من هذه الأمثلة في نوع ذي الاسمين الأول إذا فهمت ما قدمنا، من تمييزها؛ وياء الباقي في النظم مستغنى عنها بالكسرة قبلها، والضمير في فيه للتربيع المدلول عليه بلفظ مربع ومثله كثير في الكلام الفصيح، ومنه قوله تعالى ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [الزمر: ٧] أي يرضى الشكر، وقوله تعالى ﴿وإنا لنعلم أن منكم مكذبين * وإنه لحسرة على الكافرين﴾ [الحاقة: ٤٩، ٥٠] أي وإن التكذيب، وقوله تعالى ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة﴾ [البقرة: ٤٥] أي وإن الاستعانة على الأولى، وقوله تعالى ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ [المؤمنون: ٩٦] ثم قال ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ [فصلت: ٣٥] أي وما يلقى الدفعة، ومنه قول الشاعر:

**** إذا نهى السفيه جرى إليها ****

أي إلى السفه

ثم قال في «رفع الحجاب»: «نضرب مربعين في فضل ما بينهما ولا يكون مربعا ونصل جذر أكبر الخارجين بجذر فضل ما بينهما يكن ذا الاسمين الثاني، وإليه الإشارة بقولنا:

واجر في مربعين فضل ما
بينهما إن كان من ذاك احتمى
وجذر أزكى الخارجين فصلا
بجذر ما بينهما فيما تلا

ومثاله: تسعة وأربعة مربعان فاجر أي اضرب ما بينهما، وهو خمسة، في كل واحد منهما على حدته، لأن الفضل المذكور، وهو الخمسة، احتمى أي امتنع من ذلك أي أن التربيع، يخرج من ضربه في التسعة خمسة وأربعون ومن ضربه في الأربعة عشرون فصل جذر أزكى الخارجين وهو جذر خمسة وأربعين بجذر ما بين الخارجين، والذي بينهما هو خمسة وعشرون وجذرها خمسة، يكن ٥ ٤٥ج، تفعل هذا كله فيما تلا أي في ذي الاسمين الثاني إلى تلا الأول أي تبعه.

ولو جعلت المربعين أربعة وواحد لكان ٣ ١٢ج

ولو جعلتها ستة عشر وأربعة لكان ١٢ ٩٢ج ١ (٥)

فإذا راجعت ما أسلفناك من التمييز بين أنواع ذوات الأسماء لم ترتب في أن هذه الأمثلة من نوع ذي الاسمين الثاني، وقس على هذا ما شاكله، والألف في صلا بدل من النون الخفيفة، وفيما تلا يطلبه أجر وصلا، فهو من باب التنازع، وإن كان اجر قد تعدى بفي قبل ذلك لاختلاف المعنيين اختلافا ما، وإن شئت علقته بمحذوف كما تقدم تقديره كأنه تفسير، قال في «رفع الحجاب» ونضرب مربعين في غير فضل ما بينهما ويكون مربعا ونصل جذر أكبر الخارجين بجذر فضل ما بينهما يكون ذا الاسمين ثالث: وإليه الإشارة بقولنا:

وعوض الفضل بغير الفضل
في ثالث وامض على ذا الأصل

أي اجعل في إيجاد ذي الاسمين الثالث غير الفضل بين المربعين عوضا من الفضل بينهما فاضربهما في غير الفضل في هذا الوجه كما كنت تضربهما في الفضل نفسه في الوجه

الثاني ، وامض على هذا الأصل المتقدم في الوجه الثاني بعد ذلك .

مثاله : تسعة وأربعة مربعان تضرب كل واحد منهما على حدته في أي عدد غير مربع شئت ما عدا الفضل بينهما ، وكان ضربنا هما في اثنين فكان الخارج ثمانية عشر وثمانية . فنصل جذر أكبر الخارجين بجذر فضل ما بينهما يكون ١٠ جـ ١٨ .

ولو جعلت المربعين أربعا وواحدا وعوضت الفضل باثنين ومضيت على هذا الأصل لكان ٨ جـ جـ ٦ ولا مرية أن هذين المثالين من نوع ذي الاسمين الثالث بشهادة ما سلف من التمييز قال في «رفع الحجاب» : وننقص عددا غير مربع من مربع ولا يكون الباقي مربعا ، ونصل جذر الباقي ، بجذر المربع يكون ذا الاسمين الرابع»

وإليه الإشارة بقولنا :

وحط من مربع سواه لا
مبقيه وجذر ما يبقى صلا

بجذره في رابع ...

مثاله : تسعة مربع وثلاثة سواه لي غير مربع فتحط ثلاثة من تسعة يبقى ستة ، وهو غير مربع ، كما قلنا (لا مبقيه) اى كما يشترط في المطروح ان يكون غير مربع فكذلك يشترط فيه ان لا يكون (ما) يبقى مربعا بعد الطرف ، فتصل جذر ما بقي ، وهو الستة بجذره أي بجذر المربع ، وهو في مثالنا التسعة ، فيكون ٣ جـ ٦ تفعل كل هذا في رابع أي في ذي الاسمين الرابع .

وكذلك خمسة من ستة عشر الباقي أحد عشر ، فتصل جذرها بجذر الستة عشر يكون ٤ جـ ١١ وكذلك سبعة من خمسة وعشرين ، الباقي ثمانية عشر فتصل جذرها بجذر الخمسة والعشرين فيكون ٥ جـ ١٨ وكلها من الرابع ، وقد علمت الضمير في سواه ومبقيه وجذره لمربع .

قال في «رفع الحجاب» ونزيد مربعا على مربع ولا يكون مجموعهما مربعا ونصل جذر المجموع بجذر أحد المربعين ، يكون ذا الاسمين الخامس» وفيه قلنا :

... ...ثم اجمعا
مربعين حرما مربعا
وصل بجذر الكل جذر ما تحب
من ذين يبد خامس كان حجب

مثاله : تسعة وأربعة مجموعهما ثلاثة عشر وهي غير مربعة ، فهما مربعان حرما مربعا أي منع أن يكون مجموعهما مربعا ، فتصل جذر الكل أي المجموع بجذر ما تشاء من هذين المربعين فإما أن يكون ٣ جـ ١٣ أو ٢ جـ ١٣

وكذلك ستة عشر وأربعة مجموعهما عشرون فصل جذر العشرين بجذر أحد المربعين فيكون ٤ جـ ٢٠ أو ٢ جـ ٢٠

وكذلك تسعة وخمسة وعشرون ومجموعهما أربعة وثلاثون ، فصل جذرها بجذر أحد المربعين فتقول ٣ جـ ٣٤ أو ٥ جـ ٣٤ .

يبد أي يظهر ذو الاسمين الخامس الذي من صفته أنه كان محجوبا عن الأفهام قبل هذا الإيجاد ، وحرما بتخفيف الراء من باب الحرمان ، ويبد مجزوم على جواب الأمر . قال «في رفع الحجاب» : وتزيد عددا غير مربع على مربع ولا يكون مجموعهما مربعا ، وتصل جذر المجموع بجذر العدد المزيد فيه يكون ذا الاسمين السادس ، وإليه الإشارة بقولنا :

وزد سوى مربع مربعا
ولا يكن مربعا ما اجتمعا
وصل بجذر ما سوى المربع
الجذر في السادس من مجتمع

مثاله : ثلاثة ، وهي غير مربعة ، زدها أربعة ، وهي مربعة ، يكن المجتمع سبعة وهو غير مربع ، وصل بجذر ما سوى المربع ، وهو ثلاثة ، الجذر من المجتمع يكن ذاك ٣ جـ ٧ وهذا العمل المذكور في السادس أي ذي الاسمين السادس .

مثاله منه آخر : اثنان زدها على تسعة يكن المجتمع أحد عشر ، فصل جذرها بجذر ما سوى المربع يكن ١١ جـ ٢ .

ومثال منه آخر : خمسة زدها على ستة عشر يكن المجتمع واحدا وعشرين ، فصل جذر هذا المجتمع بجذر ما سوى المربع يكون ٥ جـ ٢١ .

وقد علمت أن الجذر مفعول بصل، ومن مجتمع حال منه وفى السادس أحد ركنى جملة معترضة بين الحال وصاحبه.

ولما فرغ فى «رفع الحجاب» من إيجاد المتصلات، قال: «وإذا استعملنا الانفصال بحرف الاستثناء عوضا عن الوصل بحرف العطف كانت المنفصلات»، وبالله تعالى التوفيق:

فحط من ربع مربع الكبير مجذرا نظيره من الصغير

وجذر باق زد لنصفه الأكبر وانقصه منه ثم كلا جذر

فالخارجان جذر ذى اسمين وما بينهما جذر الذى قد فصما

تضمنت هذه الأبيات معنى قوله فى (التلخيص): «وإما بجذير ذوات الأسماء والمنفصلات فهو أن تسقط ربع مربع صغر الاسمين من مربع أكبرهما وتأخذ جذر الباقى وتحمله على نصف أكبر الاسمين، وتنقصه أيضا من نصف أكبر الاسمين، وتوقع الجذر على كل واحد منهما، فإن كان المطلوب جذره ذا اسمين فجذره مجموع هذين الجذرين، وإن كان منفصلا فجذره فضل ما بين هذين الجذرين. اهـ» وليس فيه من هذا الباب زيادة على هذه المسألة ومجذرا حال من الضمير فى حط، ونظيره مفعول بحط، وضميره عائد على ربع مربع الكبير، فالنظير إذا مربع الصغير، ولنا أن نقول عوضا منه:

فحط من ربع مربع الكبير مجذرا ربع مربع الصغير

وهو أولى، وجذر مفعول مقدم لزد، وفصم بمعنى فصل، وأصل فصم الشىء على ما قال الجوهرى كسره من غير أن يبين، تقول فصمته فما انفصم، قال الله عز وجل ﴿لا انفصام لها﴾ [البقرة: ٢٥٦] وإنما قدمت تشقيق اللفظ لأن تصحيح المتن كالأساس لما ينبى عليه.

وهذا مثال من العددين المنطقين يقرب هذا العمل من الأفهام ويكون شاهدا بصحته فى غيرها.

إذا قيل جذر عشرة وستة، فقد علمت أن مجموعهما ستة عشر وإن جذر مجموعهما أربعة، فتحط ربع مربع الستة وهو تسعة من ربع مربع العشرة، هو خمسة وعشرون، وتأخذ جذر البقية وهو أربعة فتحمله على الخمسة، نصف الاسم الأكبر، بتسعة، فتأخذ جذرها بثلاثة وتحطه أيضا، أغنى جذر البقية الذى هو أربعة من الخمسة نصف الاسم الأكبر، يبقى واحد، فتأخذ جذره، بواحد، فتجمع الجذرين المأخوذين بأربعة، وهو جذر مجموع الاسمين.

ولو كنت تأخذ جذر عشرة إلا ستة لكنت تحط الجذر المأخوذ ثانيا وهو واحد من الجذر المأخوذ أولا، وهو ثلاثة، يبقى اثنان، وهو جذر فضل العشرة على الستة.

وتصرف فى هذا المثال بعينه بالعملين المذكورين بعد.

ثم اعمل بمثل ذلك فى المقصود بالذات، وهو ذوات الأسماء والمنفصلات ويظهر لك صغر الاسمين من أكبرهما بتربيعهما.

فأما العدد العارى من الجيم فتزبيعه ضربه فى نفسه وأما المكتوب عليه الجيم فتربيعه بزوال الجيم عنه.

وتتوقف الزيادة المذكورة فى أكثر الصور على معرفة ما يأتى بعد إن شاء الله تعالى فى جمع الجذور، كما أن النقص يتوقف على معرفة ما يأتى من صفة طرح الجذور غالبا.

وهذا تجذيرها بالعمل المذكور مرتبة:

أما الأول فمثاله: ٢ جـ٣ وصفة تجذيره أن تربع اثنين بأربعة، وتربع جذر ثلاثة، بثلاثة، فتحط ربع ثلاثة، وهو ثلاثة أرباع من ربع أربعة، وهو واحد، يبقى ربع، فخذ جذره، وهو نصف، فزد إليه نصف أكبر الاسمين الذى هو اثنان، وذلك واحد، يجتمع واحد ونصف ثم ارجع وانقص أيضا هذا النصف من الواحد الذى هو نصف أكبر الاسمين، يبقى نصف، فيكون معك اسمان أحدهما واحد ونصف، والآخر نصف فتوقع الجذر على كل واحد منهما يكون ذلك ١ جـ$\frac{١}{٢}$ جـ$\frac{١}{٢}$

وأما الثانى فمثاله: ٣ جـ١٢ وصفة تجذيره أن تربع ثلاثة تكون تسعة وتربع جذر اثنى عشر تكون اثنا عشر، ثم حط ربع التسعة وهو اثنان وربع من ربع الاثنى عشر، وهو ثلاثة، يبقى ثلاثة أرباع، فإذا أردت أخذ جذره لم تجد له جذرا منطقا فتوقع عليه لفظ الجذر يكون جذر ثلاثة أرباع، فاحمله

على نصف أكبر الاسمين، وانقصه أيضا منه وأوقع الجذر على كل واحد منهما، يكون الخارج، بعد التصرف بصناعة القسمة والجمع والطرح الآتية جذر ستة وثلاثة أرباع وجذر جذر ثلاثة أرباع

جـ ٦ ٣/٤ ، جـ جـ ٣/٤

وأما الثالث فمثاله: جـ ٣٢ جـ ١٤ فإذا أخذت جذره كما تقدم كان بعد الجمع والطرح ثلاثة ونصفا وجذر أربعة وثلاثة أرباع مأخوذا جذره، وثلاثة ونصفا إلا جذر أربعة وثلاثة أرباع مأخوذا جذره وهو المسمى بالأعظم كما سيأتي إن شاء الله تعالى وصورته

جـ ٣ ١/٢ جـ ٤ ٣/٤ ، جـ ٣ ١/٢ إلا جـ ٤ ٣/٤

وأما الرابع فمثاله ٣٦ جـ جـ ١٤ فإذا أخذت جذره كما تقدم كان جـ ٢٤ جـ ١/٢ جـ ١/٢

واما الخامس فمثاله ٤٤٥ جـ ٢٠٣ فان أخذت جذره بما تقدم كان جذر خمسة وجذر اثنين وثلاثة أرباع مأخوذا جذره وجذر خمسة إلا جذر اثنين وثلاثة أرباع مأخوذا جذره وصورته:

جـ ٥ جـ جـ ٢ ٣/٤ ، جـ ٥ إلا جـ جـ ٢ ٣/٤

وأما السادس فمثاله جـ ١٠ جـ ١١ فإذا أخذت جذره بما تقدم كان نصفا وجذر اثنين وثلاثة أرباع مأخوذا جذره وجذر اثنين وثلاثة أرباع إلا نصفا مأخوذا جذره وصورته:

جـ ١/٢ جـ ٢ ٣/٤ ، جـ جـ ٢ ٣/٤ إلا ١/٢

فهذا بيان الخارج من ذوات الأسماء المتصلة إذا جذرت وهو الخارج من المنفصلات بعينه إلا أنك تفصل بين الخارج الأكبر والخارج الأصغر بحرف الاستثناء.

تتمة: قال في «رفع الحجاب»: وجذر ذى الاسمين الأول هو ذو اسمين من الستة، وجذر الثانى يقال له ذو الوسطين الأول، وجذر الثالث يقال له ذو الوسطين الثانى وجذر الرابع يقال له الأعظم، وجذر الخامس يقال له القوى على منطق وموسط، وجذر السادس للقوى على موسطين.

وجذر المنفصل الأول هو منفصل من الستة، وجذر المنفصل الثانى يقال له منفصل الموسط الأول، وجذر المنفصل الرابع يقال له الأصغر، وجذر المنفصل الخامس يقال له المتصل بمنطق، وجذر المنفصل السادس يقال له المتصل بموسط، يصير الكل موسطا، وكل واحد من جذور المنفصلات هو منفصل جذر نظيره من الأسماء. فجميع الصم غير المنطقة أربعة وعشرون عددا، وهى المنطق فى القوة، والموسط وذوات الاسمين الستة ومنفصلاتها الستة وجذورها العشرة، لتكرر جذر الأول من الاسميات ومن المنفصلات وبينا أعمال الصم على المنطق فى القوة ويتصل به الموسط اهـ.

وليكون جذر ذى الاسمية الأول هو ذو اسمين من الستة، وجذر المنفصل الأول هو منفصل من الستة، يكون الجذر فى بعض صورها عددا وجذر عدد مثاله ٤ جـ ١٢ جذره: ١ جـ ٣ جذر لذى اسمين.

وكذلك ٤ إلا جـ ١٢ جذره جـ ٣ إلا ١، وذلك خاص بهما، وبالله تعالى التوفيق.

أو جـــذر مـــا بين المـــربعين زد
لأكبـــر وانقص ونصف مـــا تجـــد
جـــذره أو زد ونصف مـــا قـــد عظمـــا
وحط منــــه جـــذر ربع الفضل مـــا
بينهمـــا وجـــذرن مـــا ظهـــرا
واحكم لـــه بمثل مـــا قـــد ذكـــرا

هـذان وجهـان آخران فى تجذير ذوات الأسماء والمنفصلات ولنفرض العمل بهما فى مثال من ذى الاسمين الأول، فإذا قيل: ثمانية وجذر ستين كم جذرها؟

فبأول هذين الوجهين: تربع الثمانية، بأربعة وستين، وتربع جذر ستين، بستين، ثم تعمد إلى الفضل بين هذين

المربعين وهو أربعة، فتأخذ جذره، وهو اثنان فتزيده لأكبر الاسمين، وهو ثمانية يكون ذلك عشرة، وتنقصه أيضا من أكبر الاسمين، يكون الباقي ستة، ثم تعمد لما تجد بعد العمل المتقدم، وهو العشرة والستة تأخذ النصف من ذلك، وهو خمسة وثلاثة، وتجذّر كل واحد منهما بالجيم فيكون هذا ٥ ٣ *واحكم له بمثل ما قد ذكرا* في قولنا أولا *فما يكن فجذر ذي اسمين وما* بينهما جذر الذي قد فصما* وجذر ما بين المربعين مفعول مقدم بزد، وانقص معطوف على زد الدال على فصيلة أي وانقصه منه أيضا، ونصف ما تجد مفعول بمضمر يفسره (جذره) من باب الاشتغال، ويجوز رفعه بالابتداء وجذر ربع الفضل مفعول حط، ويطلب أيضا زد على أن يكون مفعوله الثاني من باب التنازع، والعمل للثاني على اختيار أهل البصرة، ولم يؤت في الأول المتصل بالضمير لأنه فضلة، ومنه قوله تعالى﴿ آتوني أفرغ عليه قطرا﴾ [الكهف : ٩٦] وأما قول أبي القاسم الشاطبي *ومهما تصلها أو بدأت براءة* فتخرج على أنه نادر كقول الشاعر.

إذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب
جهارا فكن في الضيف أحفظ للعهد
وألغ أحاديث الوشاة فقلما
يحاول واش غير تغيير ذي ود

على أن الشاطبي كان يمكنه أن يقول : *ومهما وصلت أو بدأت براءة* لكن: لو قال هكذا لكان مقبوضا، والقبض في مثله مما تهجره الطباع، بأثر ما له أثر في الذوق على غيره والتغيير بين البيت الأول والثاني أخف مما منه بين الثاني والثالث، وبالله تعالى التوفيق.

وبعدنّ ما قرَّب ابن قنفد
واختبرن بها اختبارك الذي
وربما تنفع في القليل
من المعادلة وللتعديل

ابن قنفذ هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن قنفذ القسنطيني أحد شراح «التلخيص» المجيدين، سمى شرحه عليه «حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب» صنفه عام اثنين وسبعين وسبعمائة في نحو خمسة وعشرين يوما بمدينة فاس، فأجاد فيه ما شاء رحمه الله تعالى وبرد ثراه، بيد أنه لشدة حرصه على التعليم ارتكب منزعا في تجذير ذوات الأسماء والمنفصلات عدل فيه عن المهيع، إذ صار، متى احتاج في أثناء العمل إلى أخذ جذر عدد مفروض له عدد مجذور، أخذ جذره بتقريب، وإنما مقتضى الصنعة أن يوقع عليه الجذر، ثم يجمع بقواعد جمع الجذور ويطرح بضوابط طرحها كما فعلنا فيما تقدم فمن ذلك أنه لم جاء لتجذير ذي الاسمين الثاني قال في ذلك ما نصه: ولو قيل لك ثلاثة وجذر اثني عشر وهي هكذا ٣ ١٢ كم جذرها؟ وهو ذو الاسمين الثاني فاسقط ربع تسعة من ربع اثني عشر تبقى ثلاثة أرباع خذ جذرها بتقريب وذلك سبعة أثمان احملها على نصف أكبر الاسمين الذي هو الاثنا عشر، والنصف ستة، يخرج ستة وسبعة أثمان، وانقصها أيضا من نصف أكبر الاسمين وذلك أن تطرح سبعة أثمان من ستة، الباقي خمسة وثمن أوقع الجذر على كل واحد منهما يكن الخارج جذر ستة وسبعة أثمان وجذر خمسة وثمن وهي هذه $\frac{7}{8}$٦ ٥ $\frac{1}{8}$ اهـ، وعلى هذا الأسلوب جرى فيما بعد وقد علمت أن الخارج من تجذير هذا المثال بعينه حسبما أسلفناه إنما هو ما ترى ٦ $\frac{1}{2}$ $\frac{3}{4}$ لقد وقف بعض المحققين من شيوخنا في هذا الفن على كلامه هذا ونحن نقرأ عليه في هذا العمل من «التلخيص»، فاستبعده بل استلانه واستهجنه، فإلى هذا الإشارة بقولنا *وبعدن ما قرب ابن قنفد*، على أنه رحمه الله تعالى لم يفعل ذلك قصورا، بل اقتصارا فإنه استشعر ما فيه واعتذر عنه عند الفراغ من تجذيرها، فقال: وإنما أخذت جذرها بتقريب ليكون أقرب في التأمل وأسهل على المبتدى فقلت مثلا جذر نصف ثلاثة أرباع بتقريب وهو أحسن من أن نقول جذر نصف ويطول العمل في هذا ويفسد الفهم فيه اهـ» والله أعلم فكذا فعله غفر الله تعالى لنا وله.

ثم اعلم أن معظم فائدة معرفة ذوات الأسماء والمنفصلات اختبار إفهام الطلبة وامتحان إدراكهم وتمرينهم، كما يقوله النحاة في الاختبار بالذي والألف واللام، والصرفيون في بناء مثل من مثال، وهو معنى قولنا واختبرن بها اختبارك الذي أي اختبر إفهام الطلبة بعملها كاختبارك إياهم بباب الذي، وقد ينتفع بها في القليل من معادلة الجبر والمقابلة وتعديل الكواكب، كما قلنا في النظم، من صنعة البديع بين بعدن

وقرب النوع المسمى بالمطابقة والطباق والتضاد، وهو الجمع بين ضدين أو متقابلين في الجملة، ويكون بين اسمين، نحو:

﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود﴾ [الكهف : ١٨] وفعلين نحو : ﴿وإنه هو أمات وأحيا﴾ [النجم: ٤٤] وحرفين نحو: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة : ٢٨٦] ومختلفين نحو: ﴿أو من كان ميتا فأحييناه﴾ [الأنعام : ١٢٢] وتجنيس الاشتقاق بين اختبرن واختبار، وبين المعادلة والتعديل، ومنه: ﴿وأسلمت مع سليمان﴾ [النمل: ٤٤] ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ [الروم : ٤٣] وبالله التوفيق (بغية الطلاب / ١٥٨ـ١٧٦).

(المعونة فى علم الحساب الهوائى لابن الهائم المقدسى ـ دراسة وتحقيق خضير عباس محمد المنشداوى / ٢١٥ ـ ٢٤٤ ، وبغية الطلاب فى شرح منية الحُسَّاب لابن غازى المكناسى الفاسى ـ تحقيق وتقديم د. محمد سويسى / ١٥٨ ـ ١٧٦).

انظر مادة «الجذر» فى م ١٢ / ٧٩ ، ٨٠

* **ذوات الألبان:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات وعلم الفلاحة، وورد عنه ما يلى لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى: قال يعدد أنواع هذه النباتات:

ومن النبات ما له رطوبات تسميها الأطباء يتوعات، وهى مثل اللبن. وزعموا أنها فضلات فضلت من النبات عن أغذيته التى يجذبها إلى نفسه من الأرض والماء، فإذا كانت الرطوبة متوفرة غلظت وابيضت فصارت كالبلغم فى الحيوان، فإذا اشتدت عليها احمرت فصارت كالدم المتولد فى الحيوان من شدة الحرارة. وهذه الرطوبات فى العُشَر والشبرم، وهو ينبت فى البساتين.

واللاعية، وهى شجرة لها ساق رقيق مجوف لونه أبيض، وله أغصان قليلة، ولها ورق يشبه آذان الجدى، وفى أعلى الأغصان شبه جمم صغار ولها ثمر قدر حب البر، وهذه الشجرة تنبت فى سفوح الجبال المخصبة.

والعرطنيثا، وهو بخور مريم.

والماذريون، وهو أحد أنواع الآس(انظر مادة «الآس فى م ١/ ٤٥٩ـ٤٦٢).

وذو الخمس أوراق، وهو شجر يعرف بآذان الفأر (انظر مادة «آذان الفأر» فى م ١/ ٤٤٠١، ٤٤٩)

وضرب من اللبلاب والعرفج البرى.

وذكر أبو الخير يتوعات كثيرة غير ما ذكرناه يضيق نطاق كتابنا عن ذكرها، وذكر منها السقمونيا، وهى المحمودة، وقال: ونبات هذا النوع من اليتوع مختلف فيه، وذكر الاختلاف. وحاصل الأمر أن أصل هذا النبات مجوف مملوء رطوبة، وهو فى غلظ العضد، وأوراقه قليلة، وهو يدب تحت الأرض. وهذا الرطوبة هى السقمونيا ، ونباته يكون فى زمن الصيف وهو كثير ببلاد الأندلس بناحية بطليوس، وبناحية أشبيلية، ومنابته قريبة من الأنهار والمياه الجارية. وكيفية أخذ هذه الرطوبة بأن يقطع رأس الأصل ويقوَّر على الاستدارة، فإن الرطوبة تسيل من ذلك التجويف، وتجتمع فى الصدف. ومن الناس من يحفر حفيرة فى الأرض ويغرس فيها ورق الجوز، وتجرى الرطوبة إليها، وتترك حتى تجف. وتسمى هذه الرطوبة المحمود على طريق الفأل، وقيل إنها سميت المحمودة لأن فعلها محمود فى الدواء وقلة غائلتها بالنسبة إلى غيرها من اليتوعات. وإذا نطق الأطباء اليتوع، فإنما يريدون الشبرم، وذكروا أن منه ذكرًا وأنثى وأقواها الذكور، ويشبه ورقه ورق الزيتون إلا أنه أقصر منه وأقل عرضا، يشبه ورق الآس . وينبت فى الجبال الوعرة. والأنثى أكبر من الحشيشة التى تسمى آذان الفأر. ويثمر سنة وسنة لا يثمر، وثمرها يشبه الجوز .

ومن اليتوعات، الأفيون، وهو لبن يستخرج من الخشخاش، وصفة استخراجه أن يعمد إلى الخشخاش الكامل الانعقاد فى الأوقات التى يجف فيها الندى، فتشرط الخشخاشة من أعلاها إلى أسفلها شرطًا لا ينفذ منه. فإذا خرج اللبن يؤخذ بالإصبع ويجمع فى صدفة، فإذا مسك يترك، فإذا ظهر يجمع يفعل به ذلك مرارًا فى اليوم، وهو من خصائص أرض مصر. ولا يوجد إلا فى ناحية منها وهى ناحية أسيوط.

(مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقى العمد/ ٢٩٤ـ٢٩٦).

* **ذوات الفوائد:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطبيعيات مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

وهى رسالة من كلام الأستاذ مؤيد الدين أبى إسماعيل الحسين بن على الطغرائى.

أولها: قال: من الأسرار الكبار، قول هرقل: إن فى التبييض أحد عشر سرًا، وهو مثل قول جابر: تحتاج الأرض من الماء إلى عشر أضعافه، وإنما يريد جابر بالماء الورقى، ويريد بالأرض الثقل الباقى منه . . . إلخ.

وآخرها: فهذه الأوزان التى قد أكثروا فيها الإلباس قد شرحناها بغاية البيان، والحمد لله وحده وصلواته على عبده سيدنا محمد وآله أجمعين. . . إلخ.

ـ نسخة بقلم نسخى فارسى [مكتوبة سنة ١٠٨٨]. ومسطرتها ٢٥ سطرا		١٢×١٩ سم

(ضمن مجموعة من ورقة ١٨٥-١٨٧).

[دار الكتب المصرية-٧٣١ طبيعيات]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ج٣ العلوم ق٤ الكيمياء والطبيعيات-وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣/ ٤٧).

*** ذؤالة:**

اسم للذئب كأسامه للأسد وهو معرفة، سمى بذلك لأنه يذأل فى مشيته من الذألان وهو المشى الخفيف، وفى الحديث أن النبى ﷺ مر بجارية سوداء ترقِّص صبيًا لها وتقول: * ***ذؤال يا ابن القرم يا ذؤال*** * فقال ﷺ: لا تقولى ذؤالة فإنه شر السباع. وذؤال: ترخيم ذؤالة، والقرم: السيد.

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١/ ٣١٨).

*** ذوب الذهب فى محاسن من شاهدت من العرب وأهل الأدب:**

فى تراجم العلماء والشعراء باليمن، تأليف محسن بن الحسن بن القاسم الصنعانى اليمانى. عاش إلى سنة ١١٨٩ تسع وثمانين ومائة وألف. أوله: نحمد من أعان وأبان وأطلع فى أفق الإحسان نجوم البيان . . . إلخ.

(إيضاح المكنون للبغدادى١/ ٥٤٤).

*** الذوق:**

قال الراغب الأصفهانى:

الذوق وجود الطعم بالفم وأصله فيما يقلُّ تناوله دون ما يكثر، فإن ما يكثر منه يقال له الأكل واختير فى القرآن لفظ الذوق فى العذاب لأن ذلك وإن كان فى التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير فخصه بالذكر ليعم الأمرين وكثر استعماله فى العذاب نحو **﴿ليذوقوا العذاب﴾** [النساء: ٥٦] **﴿وقيل لهم ذوقوا عذاب النار﴾** [السجدة: ٢٠] **﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾** [الأنعام: ٣٠] و[الأنفال: ٣٥] **﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾** [الدخان: ٤٩] **﴿إنكم لذائقوا العذاب الأليم﴾** [الصافات: ٣٨] **﴿ذلكم فذوقوه﴾** [الأنفال: ١٤] **﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾** [السجدة: ٢١] وقد جاء فى الرحمة نحو **﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة﴾** [هود: ٩] **﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته﴾** [هود: ١٠] ويعبر به عن الاختبار فيقال أذقته كذا فذاق، ويقال فلان ذاق كذا وأنا أكلته أى خبرته فوق ما خبر، وقوله: **﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾** [النحل: ١١٢] فاستعمال الذوق مع اللباس من أجل أنه أريد به التجربة والاختبار، أى فجعلها بحيث تمارس الجوع والخوف، وقيل إن ذلك على تقدير كلامين كأنه قيل أذاقها طعم الجوع والخوف وألبسها لباسهما. وقوله **﴿وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة﴾** [يونس: ٢١] فإنه استعمل فى الرحمة الإذاقة وفى مقابلتها الإصابة فقال **﴿وإن تصبهم سيئة﴾** [النساء: ٧٨] تنبيها على أن الإنسان بأدنى ما يعطى من النعمة يأشر ويبطر إشارة إلى قوله تعالى **﴿كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾** [العلق: ٦، ٧] (المفردات/ ١٨٢)

والذوق اصطلاحات الصوفية هو أول درجات شهود الحق بالحق فى أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلى البرقى فإذا زاد وبلغ أوسط مقام الشهود سمى شربا، فإذا بلغ النهاية سمى ريًا، وذلك بحسب صفاء السر عن لحظ الغير

(اصطلاحات الصوفية/ ١٦٢) (المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٨٢، واصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ١٦٢. انظر أيضا قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام الدامغانى ـ حققه ورتبه وأكمله وأصلحه عبد العزيز سيد الأهل / ١٨٦، ١٨٧).

*** الذوق (حاسة-):**

عن عضو أو «آلة» أو «حاسة» الذوق يقول صاحب ذيل تذكرة أولى الألباب:

القول فى آلة الذوق: وهى اللسان والرطوبة واللسان لحم رخو متخلخل بين بياض وحمرة حالة الصحة وطرفه الخارج بمفصلين: طرف التصق بالأعصاب والعضل، وآخر عرضى ينطوى تحته عروق مشيمية وغدد إسفنجية إلى البياض يستحيل فيه الدم لعابا ويجرى من عروق تسمى السواكب إلى جرم اللسان فيخالط المذوقات فيحصل الإحساس إما لتخلخل الأجسام أو تكيف الرطوبة بالطعوم على الخلاف السابق فى الشم وخلقت تفهة لتباين الطعوم فتعرفها وقد علمت كيفية الأعصاب.

فوائد الأولى: كلما دق اللسان ورق غشاؤه وحسنت استدارته وطال كان أفصح وإذا عرض كان أثقل. الثانية: أصل اللسان متصل بالقصبة فمنه إلى آخر الفم مواضع الحروف وقد قالوا إن الحروف معه قسمان إما هوائية يستغنى فى النطق بها عن اللسان وحده وهى الألف والواو والياء أو جرمية وهذه ثلاثة أقسام إما منطق بأصل اللسان الداخل والحلق كالكاف والقاف أو بواسطة كالجيم والشين أو آخره كالبواقى غير الشفوية أو يتعلق بمنجرد الشفة وهى ثلاثة الفاء والباء والميم وعلى كل حال فالحرف لا بد لها من إحياز الفم والصحيح أن كل حرف له مخرج فإذا تغير النطق بحرف منها نظرنا فى محله من المفصل والأعصاب فأصلحناه وذلك لأن التغير قد يكون لفرط الرطوبة كمن يعسر عليه النطق بالراء والسين فيجعل الأولى غينا والثانية شينا وهذا بفرط الرطوبة قطعا ومن ثم يزول بزوال الصغر وقلة الرطوبة وموضع الحرفين المذكورين شعب العصب الآتى من مقدم الدماغ وقد عرفت أنه لين جدا فعلى هذا تقاس البواقى كلها ولأهل علم الحروف بها عناية شديدة فى استخراج طبائعها وخواصها لا يحتمل بسطه هذا المحل. الثالثة: كل ما قارب لسانه فى الوضع لسان الإنسان أمكن نقطه بالحروف كالببغاء والغراب. الرابعة: أن من الحيوان ما قلب لسانه فجعل العريض إلى الخارج كالفيل ولولا ذلك لنطق بالحروف. الخامسة: أن اللسان إذا جف سقط الذوق ولو ثبت من غير تحرك لعسر الازدراد وتعذر وعليه يمتنع الغذاء أو يفسد البدن فإذا هو معظم الآلات السادسة: أن غالب المخرزات خصوصا ذوات السموم فرق لسانها بقسمين لفرط اليبس وذلك لعفن أبدانها لعدم ذوقها وتمييزها (النزهة المبهجة ١/ ١٢٧ـ١٢٩).

وقال التهانوى: الذوق بالفتح وسكون الواو فى اللغة مصدر ذاق يذوق وعند الحكماء وهو قوة منبثة أى منتشرة فى العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم بواسطة الرطوبة اللعابية بأن تخالطها أجزاء لطيفة من ذى الطعم ثم تغوص هذه الرطوبة معها فى جرم اللسان إلى الذائقة فالمحسوس حينئذ كيفية ذى الطعم وتكون الرطوبة واسطة لتسهيل وصول الجوهر المحسوس الحامل للكيفية إلى الحاسة أو بأن تكليف نفس الرطوبة بالطعم بسبب المجاورة فتغوص وحدها فتكون المحسوس كيفيتها. ثم هذه الرطوبة عديم الطعم فإذا خالطها طعم فإما أن تتكيف به أو تخالطها أجزاء من حامله لم ترد الطعوم إلى الذائقة كما هى بل مخلوطة بذلك الطعم كما للمرضى ولذا يجد الذى غلب عليه مرة الصفراء الماء التفه (تفه الطعام لم يكن له طعم المعجم الوجيز/ ٧٦)، والسكر الحلو مرا ومن ثم قال البعض الطعوم لا وجود لها فى ذى الطعم وإنما توجد الطعوم فى القوة الذائقة والآلة الحاملة كذا فى شرح المواقف. قال الجلبى فى حاشية المطول فى شرح خطبة التلخيص: الذوق قوة إدراكية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية (كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ٥١٣).

ويقول ابن رشد عن الأعراض التى تدخل على حاسة الذوق: وحاسة الذوق تدخل عليها الأعراض على تلك الأوجه الثلاثة، وذلك إما أن تبطل أو تضعف أو تحس حسا رديئا، والسبب فى بطلانها وهو أحد أصناف سوء المزاج، وذلك إذا كان حدوثه إما فى آلة هذه الحاسة نفسها، وهو اللسان أو فى العضو المشارك له، وهو الدماغ، أو العصب الذى يأتيه منه، وضعفه يكون لهذه الأسباب بعينها إذا كانت أنقص. وأما ما يعرض له من أن يحس إحساسا رديئا فذلك يتفق له على أحد وجهين: إما أن يحس طعما ما من غير ذوق شىء، وأما أن يجد طعم الأشياء المذوقة على غير كنهها مثل أن تجد الحلوة مرة أو حامضة أو غير ذلك. أما إحساسه طعوما من غير أن يذوق شيئًا من خارج، فذلك يعرض له ضرورة من سوء مزاج مادى فيجد طعم ذلك الخلط إن مرا

فمرا، وإن حامضا فحامضا، وإن حلوا فحلوا، وإذا تمكن سوء هذا المزاج عرض له أن يحس الأشياء كلها بذوق ذلك الطعم المتمكن فيه، وذلك أنه قد تبين فى العلم الطبيعى أن جميع الحواس ينبغى أن تكون آلتها خالية من جنس مدركاتها، وإلا ألم الحال فى هذه الحاسة، ولذلك متى عرض لها هذا العارض أحست الأشياء كلها بطعم واحد، وقد يعرض لها عندما يكون الطعم الغريب فيها غير متمكن إذا ذاقت الأشياء أن تحس طعوما ممتزجة عن الطعم الغريب الذى فى هذه الآلة، والطعم الوارد عليها من خارج، كما يحدث لمن يأكل شيئًا مرا ثم يشرب ماء أن يجد طعم ذلك الماء حلوا (الكليات فى الطب / ١٣٨، ١٣٩).

*** ذوو الأرحام:**

ترد فى القرآن الكريم بلفظ «أولو الأرحام» فى سور الأنفال [٧٥]، وفى سورة الأحزاب[٦]. وذوو الأرحام هم كل قريب ليس بذى فرض ولا عصبة (فقه السنة م ٣/ ٥٢٢)

جاء فى اللسان: وفى الحديث: من ملك ذا رحم محرم فهو حُرّ». وقال ابن الأثير: ذوو الرحم هم الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب، ويطلق فى الفرائض على الأقارب من جهة النساء. يقال: ذو رحم مَحْرَم ومحرَّم، وهو من لا يحل نكاحه، كالأم والبنت والأخت والعمة والخالة، والذى ذهب إليه أكثر العلماء من الصحابة والتابعين وأبو حنيفة وأصحابه وأحمد أن من ملك ذا رحم محرم عتق عليه، ذكرًا كان أو أنثى، قال: وذهب الشافعى وغيره من الأئمة والصحابة والتابعين إلى أنه يعتق عليه الأولاد والآباء والأمهات، ولا يعتق عليه غيرهم من ذوى قرابته، وذهب مالك إلى أنه يعتق عليه الولد والوالدان والإخوة، ولا يعتق غيرهم (لسان العرب١٨/ ١٦١٣) أما عن توريث ذوى الأرحام فيقول فضيلة الشيخ السيد سابق: وقد اختلف الفقهاء فى توريثهم.

فقال مالك والشافعى بعدم توريثهم، ويكون المال لبيت المال: وهو قول أبى بكر وعمر وعثمان وزيد والزهرى والأوزاعى وداود، وذهب أبو حنيفة وأحمد إلى توريثهم وحكى ذلك عن على وابن عباس وابن مسعود، وذلك عند عدم وجود أصحاب الفروض والعصبات وعن سعيد بن المسيب: أن الخال يرث مع البنت. وقد أخذ القانون بهذا الرأى فجاء فى المواد من ٣١ إلى ٣٨ كيفية توريثهم كما هو مبين فيما يلى:

المادة ٣١ ـ إذا لم يوجد أحد من العصبة بالنسب ولا أحد من ذوى الفروض النسبية كانت التركة أو الباقى منها لذوى الأرحام.

وذوو الأرحام أربعة أصناف مقدم بعضها على بعض فى الإرث على الترتيب الآتى:

الصنف الأول:

أولاد البنات وإن نزلوا، وأولاد بنات الابن وإن نزل.

الصنف الثانى:

الجد غير الصحيح وإن علا، والجدة غير الصحيحة وإن علت.

الصنف الثالث:

أبناء الإخوة لأم وأولادهم وإن نزلوا، وأولاد الأخوات لأبوين أو لأحدهما وإن نزلوا، وبنات الإخوة لأبوين، أو لأحدهما وأولاده وإن نزلوا، وبنات أبناء الإخوة لأبوين أو لأب وإن نزلوا، وأولادهم وإن نزلوا.

الصنف الرابع.

يشمل ست طوائف مقدم بعضها على بعض فى الإرث على الترتيب الآتى:

١ـ أعمام الميت لأم وعماته وأخواله وخالاته لأبوين أو لأحدهما.

٢ـ أولاد من ذكروا فى الفقرة السابقة، وإن نزلوا، وبنات أعمام الميت لأبوين أو لأب، وبنات أبنائهم وإن نزلوا، وأولاد من ذكرن وإن نزلوا.

٣ـ أعمام أبى الميت لأم وعماته وأخواله وخالاته لأبوين أو لأحدهما، وأعمام أم الميت وعماتها وأخوالها وخالاتها لأبوين أو لأحدهما.

٤ـ أولاد من ذكروا فى الفقرة السابقة وإن نزلوا.

وبنات أعمام أب الميت لأبوين أو لأب وبنات أبنائهم وإن نزلوا، وأولاد من ذكرن وإن نزلوا.

٥ـ أعمام أب أب الميت لأم، وأعمام أب أم الميت وعماتها وأخوالها وخالاتهما لأبوين أو لأحدهما.

وأعمـام أم أم الميت وأم أبيـه وعمـاتهمـا وأخـوالهمـا وخالاتهما لأبوين أو لأحدهما.

٦ـ أولاد من ذكروا فى الفقرة السابقة وإن نزلوا.

وبنـات أعمـام أب أب الميت لأبـوين أو لأب وبنـات أبنائهم وإن نزلوا، وأولاد من ذكرن وإن نزلوا. وهكذا.

المـادة ٣٢ـــ الصنف الأول من ذوى الأرحـام أولاهم بالميراث أقربهم إلى الميت درجة. فإن استووا فى الدرجة فولد صاحب الفرض أولى من ولد ذوى الرحم. فإن استووا فى الدرجة ولم يكن فيهم ولد صاحب فرض. أو كانوا كلهم يدلون بصاحب فرض اشتركوا فى الإرث.

المـادة٣٣ ـــ الصنف الثانى من ذوى الأرحـام أولادهم بالميراث أقربهم إلى الميت درجة. فإن استووا فى الدرجة قدم من كان يدلى بصاحب فرض، وإن استووا فى الدرجة وليس فيهم من يدلى بصاحب فرض أو كانوا كلهم يدلون بصاحب فرض: فإن اتحدوا فى حيز القرابة اشتركوا فى الإرث، وإن اختلفوا فى الحيز فالثلثان لقرابة الأب. والثلث لقرابة الأم.

المادة٣٤ـــ الصنف الثـالـث من ذوى الأرحـام أولاهم بالميراث أقربهم إلى الميت درجة. فإن استووا فى الدرجة وكان فيهم ولد عاصب فهو أولى من ولد ذوى الرحم، وإلا قدم أقواهم قرابة للميت، فمن كان أصله لأبوين فهو أولى ممن كان أصله لأب، ومن كان أصله لأب فهو أولى ممن كان أصله لأم. فإن اتحدوا فى الدرجة وقوة القرابة اشتركوا فى الإرث.

المادة٣٥ـ فى الطائفة الأولى من طوائف الصنف الرابع المبينة بالمادة (٣١) إذا انفرد فريق الأب وهم أعمام الميت لأم وعماته أو فريق الأم وهم أخواله وخالاته، قدم أقواهم قرابة: فمن كان لأبوين فهو أولى ممن كان لأب. ومن كان لأب فهو أولى ممن كان لأم، وإن تساووا فى القرابة اشتركوا فى الإرث، وعند اجتماع الفريقين يكون الثلثان لقرابة الأب والثلث لقرابة الأم. ويقسم نصيب كل فريق على النحو المتقدم وتطبق أحكام الفقرتين السابقتين على الطائفتين الثالثة والخامسة.

المادة ٣٦ـ فى الطائفة الثانية يقدم الأقرب منهم درجة على الأبعد ولو من غير حيز، وعند الاستواء واتحاد الحيز يقدم الأقوى فى القرابة إن كانوا أولاد عاصب أو أولاد ذوى رحم، فإن كانوا مختلفين قدم ولد العاصب على ولد ذوى الرحم، وعند اختلاف الحيز يكون الثلثان لقرابة الأب، والثلث لقرابة الأم، وما أصاب كل فريق يقسم عليه بالطريقة المتقدمة وتطبق أحكام الفقرتين السابقتين على الطائفتين الرابعة والسادسة.

المادة٣٧ـ لا اعتبار لتعدد جهات القرابة فى وارث من ذوى الأرحام إلا عند اختلاف الحيز.

المادة ٣٨ـ فى إرث ذوى الأرحام يكون للذكر مثل حظ الأنثيين (فقه السنة م ٣/ ٥٢٢ـ٥٢٤).

أما عن النظم فقد أوردنا أحكام توريث ذوى الأرحام فى منظومة عبد الملك الفتنى الموسومة بخلاصة الفرائض، فى حرف الخاء، فى م١٦/١٥٥ـ ١٥٧ تحت العنوان الفرعى «توريث ذوى الأرحام» فانظرها فى موضعها.

(فقه السنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م ٣/ ٥٢٢ـ٥٢٤، ولسان العرب لابن منظور ١٨ـــ١٦١٣).

*** ذؤيب بن حلحلة:**

قال الحافظ ابن حجر:

ذؤيب بن حلحلة ويقال ابن حبيب بن حلحلة بن عمرو ابن كلب بن أصرم الخزاعى والد قبيصة. . وفرق ابن شاهين بين ذؤيب بن حلحلة والد قبيصة وبين ذؤيب بن حبيب الذى روى عنه ابن عباس وزعم ابن عبد البر أن أبا حاتم سبقه إلى ذلك قال وهو خطأ قلت: ولم يظهر لى كونه خطأ وأما والد قبيصة فقد ذكر العلائى عن ابن معين أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أتى بقبيصة ابن ذؤيب ليدعو له بعد وفاة أبيه فهذا يدل على أنه مات فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأما الذى روى عنه ابن عباس فحديثه عنه فى صحيح مسلم أنه حدثه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يبعث معه بالبُدن ثم يقول إن عطب منها شىء فذكر الحديث وذكر ابن سعد أنه سكن قديدا (الإصابة ٢/ ١٨١) وله دار بالمدينة (الرياض المستطابة/ ٦٨) وعاش إلى زمان معاوية (الإصابة٢/ ١٨٠).

قديد: اسم موضع قرب مكة (الاستيعاب ٢/ ٤٦٥ هامش٢) وذكر ابن عبد البر تمام الحديث وهو: روى سعيد عن قتادة، عن سنان بن سلمة، عن ابن عباس أن ذؤيبا أبا قبيصة حدثه أن رسول الله ﷺ كان يبعث بالبدن ثم يقول: إن عطب منها

شيء قيل محلة فخشيت عليه موتا فانحرها، ثم اغمس نعلها في دمها، ثم اضرب به صفحتها، ولا تطعمها أنت ولا أحد من أهل رفقتك(الاستيعاب ٢—٤٦٤)قال صاحب الرياض المستطابة:

خرَّج عنه مسلم حديثا واحدًا، هو حديث البدن، وأدخله بعضهم في مسند ابن عباس. وخرج عنه ابن ماجه، عنه ابنه قبيصة بن ذؤيب وابن عباس (الرياض المستطابة/ ٦٨).

(الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢/ ١٨٠، والرياض المستطابة، في جملة من روى الصحيحين من الصحابة للإمام يحيى بن أبي بكر العامري اليمني/ ٦٨، والأستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٢/ ٤٦٤).

*** ذؤيب بن شعثم:**

قال الحافظ ابن حجر:

ذؤيب بن شعثم بضم الشين المعجمة والمثلثة بينهما عين مهملة ويقال شعثن آخره نون بدل الميم بن فرط بن خفاف بن الحارث بن جهمة بن عدى بن جندب بن العنبر بن تميم التميمي العنبري. قال ابن السكن: له صحبة وذكره ابن جرير وابن السكن وابن قانع والعقيلي وغيرهم في الصحابة وله أحاديث مخرجها عن ذريبة وروى هو وابن شاهين من طريق عطاء بن خالد بن الزبير بن عبد الله بن رديح بن ذؤيب عن أبيه عن جده عن ذؤيب قال غزوت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث غزوات. وروى الطبراني من هذا الوجه عن ذؤيب أن عائشة قالت إني أريد أن أعتق من ولد إسماعيل قصدًا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة انتظري حتى يجيء سبي العنبر غدًا فجاء فقال لها خذي أربعة قال عطاء فأخذت جدي رديحا وابن عمي سمرة وابن عمي وأخي وخالي ربيبا فمسح النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رءوسهم وبرَّك عليهم. وروى ابن شاهين وأبو نعيم من طريق عطاء بن خالد بهذا الإسناد أن رسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مروا بأم زينب فأخفوا زبيتها فلحق ذؤيب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أخذ الركب زربية أمي يعني قطيفتها فقال ردوا عليه زربية أمه وقال بارك الله فيك يا غلام قال ابن منده جاء عن عطاء بن خالد بهذا الإسناد عدة أحاديث. وروى ابن منده من طريق بلال بن مرزوق بن ذؤيب ابن رديح بن ذؤيب حدثني أبي عن أبيه عن جد أبيه ذؤيب أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما اسمك فقال الكلابي قال أنت ذؤيب بارك الله فيك ومتع بك أبويك وقال ابن أبي حاتم روى المسور بن قريط بن بعير بن رديح من ذؤيب عن أبيه عن جده رديح عن أبيه ذؤيب.

(الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢/ ١٨٠، ١٨١. انظر أيضا الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق علي محمد البجاوي ٢/ ٤٦٥)

*** ذؤيب بن كليب:**

قال عنه الحافظ ابن حجر: ذؤيب بن كليب بن ربيعة.. ويقال ذؤيب بن وهب الخولاني أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقال إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سماه عبد الله. وروى ابن وهب عن ابن لهيعة أن الأسود العنسي لما ادعى النبوة وغلب على صنعاء أخذ ذؤيب بن كليب فألقاه في النار لتصديقه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تضره النار فذكر ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه فقال عمر الحمد لله الذي جعل في أمتنا مثل إبراهيم الخليل(انظر ترجمته في حرف الخاء في م٢/ ١٣٠ ـ١٤٣) وقال عبدان هو أول من أسلم من أهل اليمن ولا أعلم له صحبة إلا أن ذكر إسلامه وما ابتلاه الله تعالى به وقع في حديث مرسل من رواية ابن لهيعة ووقع عند ابن الكلبي في هذه القصة أنه ذؤيب بن وهب وقال في سياقه طرحه في النار فوجده حيًّا ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سياقه.

(الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢/ ١٨٣, ١٨٤. انظر أيضا الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر تحقيق علي محمد البجاوي ٢/ ٤٦٤).

*** أبو ذؤيب الهذلي(ـ٢٨ هـ/ـ٦٤٨م):**

قال عنه الحافظ السيوطي:

أبو ذؤيب الهذلي الشاعر، خويلد بن خالد. قال الذهبي في التجريد: كان مسلمًا على عهد النبي ﷺ، ولم يره. وقدم وشهد السقيفة ومبايعة أبي بكر والصلاة على النبي ﷺ ودفنه، وكان أشعر هذيل. قال ابن كثير: توفي غازيا بإفريقية في خلافة عثمان (حسن المحاضرة ١/ ٢٤٥).

وقال عنه ابن عبد البر:

أبو ذؤيب الهذلي الشاعر. كان مسلما على عهد

رسول الله ﷺ، ولم يره. ولا خلاف أنه جاهلى إسلامى قيل: اسمه خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد ين هذيل. وقال ابن الكلبى: هو خويلد بن محرث، من مازن بن سويد بن تميم ابن سعد بن هذيل.

ذكر محمد بن إسحاق بن يسار، قال: حدثنى أبو الآكام الهذلى، عن الهرماس بن صعصعة الهذلى، عن أبيه - أن أبا ذؤيب الشاعر حدثه قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ عليل، فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها، (أى ظلامها) ولا يطلع نورها، فظللت أقاسى حتى إذا كان قرب السحر أغفيت، فهتف بى هاتف، وهو يقول:

خَطْبٌ أجلّ أناخ بالإسلام ... بين النخيل ومعقد الآطام

قبض النبى محمد فعيوننا ... تذرى الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب: فوثبت من نومى فزعا، فنظرت إلى السماء، فلم أر إلا سعد الذابح، فتفاءلت به ذبحا يقع فى العرب. وعلمت أن النبى ﷺ قد قبض، وهو ميت من علته، فركبت ناقتى وسرت. فلما أصبحت طلبت شيئًا أزجر به، فعنَّ شيهم - يعنى القنفذ، وقد قبض على صِلّ - يعنى الحية - فهى تلتوى عليه، والشيهم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك، فقلت: الشيهم شيء مهم، والتواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله ﷺ، ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبة القائم بعده على الأمر فحثثت ناقتى، حتى إذا كنت بالغاية فزجرت الطائر، فأخبرنى بوفاته، ونعب غراب سانح، فنطق بمثل ذلك؛ فتعوذت بالله من شر ما عَنَّ لى فى طريقى، وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج إذا أهلوا بالإحرام. فقلت: مه. قالوا: قبض رسول الله ﷺ، فجئت إلى المسجد فوجدته خاليا، فأتيت بيت رسول الله ﷺ، فأصبت بابه مرتجا؛ وقيل: هو مسجى، وقد خلا به أهله. فقلت: أين الناس؟ فقيل: فى سقيفة بنى ساعدة؛ صاروا إلى الأنصار. فجئت إلى السقيفة فأصبت أبا بكر، وعمر، وأبا عبيدة بن الجراح، وسالما، وجماعة من قريش، ورأيت الأنصار فيهم: سعد بن عبادة بن دليم، وفيهم شعراء، وهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وملأ منهم، فأويت إلى قريش. وتكلمت الأنصار فأطالوا الخطاب، وأكثروا الصواب، وتكلم أبو بكر فلله دره من رجل لا يطيل الكلام، ويعلم مواضع فصل الخصام، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا انقاد له ومال إليه. ثم تكلم عمر بعده بدون كلامه، ومد يده فبايعه وبايعوه، ورجع أبو بكر ورجعت معه. قال أبو ذؤيب: فشهدت الصلاة على محمد ﷺ، وشهدت دفنه ﷺ، ثم أنشد أبو ذؤيب يبكى النبى ﷺ:

لما رأيت الناس فى عسلاتهم ... ما بين ملحود له ومُضرح

متبادرين لشرجع بأكفهم ... نص الرقاب لفقد أبيض أروح

فهناك صرت إلى الهموم ومن يبت ... جار الهموم يبيت غير مروح

كُسفت لمصرعه النجوم وبدرها ... وتزعزعت آطام بطن الأبطح

وتزعزعت أجبال يثرب كلها ... ونخيلها لحلول خطب مفدح

ولقد زجرت الطير قبل وفاته ... بمصابه وزجرت سعد الأذبح

وزجرت أن نعب المشحج سانحا ... متفائلا فيه بفأل الأقبح

قال: ثم انصرف أبو ذؤيب إلى باديته، فأقام بها، وتوفى أبو ذؤيب فى خلافة عثمان بن عفان بطريق مكة قريبا منها، ودفنه ابن الزبير. وغزا أبو ذؤيب مع عبد الله بن الزبير إفريقية ومدحه. وقيل إنه مات فى غزوة إفريقية بمصر منصرفا بالفتح مع ابن الزبير، فدفنه ابن الزبير ونفذ بالفتح وحده. وقيل: إن أبا ذؤيب مات غازيا بأرض الروم، ودفن هناك، وإنه لا يعلم لأحد من المسلمين قبر وراء قبره. وكان عمر قد ندبه إلى الجهاد، فلم يزل مجاهدًا حتى مات بأرض الروم، قدس الله روحه، ودفنه هناك ابنه أبو عبيد، وعند موته قال له:

أبا عبيد رُفع الكتاب ... واقترب الموعد والحساب

في أبيات. قال محمد بن سلام: قال أبو عمرو: وسئل حسان بن ثابت: من أشعر الناس؟ فقال: حيا أم رجلا؟ قالوا: حيا. قال: هذيل أشعر الناس حيا. قال محمد بن سلام: وأقول إن أشعر هذيل أبو ذؤيب. وقال عمر بن شبة: تقدم أبو ذؤيب على جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها نبيه. وقال الأصمعي: أبرع بيت قالته العرب بيت أبي ذؤيب:

والنفس راغبة إذا رغَّبتها
وإذا تُردُّ إلى قليل تقنع

وهذا البيت من شعره المفضل الذي يرثي فيه بنيه، وكانوا خمسة أصيبوا في عام واحد، وفيه حكم وشواهد، وله حيث يقول:

أمن المنون وريبها تتوجَّعُ
والدهرُ ليس بمعتب من يجزع

قالت أمامة: ما لجسمك شاحبا
منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا
إلا أقضَّ عليك ذاك المضجع

فأجبتها أن ما بجسمي أنه
أودى بني من البلاد فودعوا

أودى بني فأعقبوني حسرة
بعد الرقاد وعبرة لا تقلع

فالعين بعدهم كأن حداقها
كحلت بشوك فهي عوري تدمع

سبقوا هواي وأعنقوا لهواهمُ
فتخُرِّموا، ولكل جنبٍ مصرع

فغبرت بعدهم بعيش ناصب
وإخال أني لاحق مستتبع

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم
فإذا المنية أقبلت لا تدفع

وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفع

وتجلّدي للشامتين أُريهمُ
أني لريب الدهر لا أتضعضع

حتى كأني للحوادث مروة
بصفا المشقر كل يوم تقرع

والدهر لا يبقى على حدثانه
جون السحاب له جدائد أربع

(أعنقوا: أسرعوا، المروة: حجر أبيض براق تقتدح منه النار، المشقر: سوق الطائف) (الاستيعاب ٤—١٦٤٨ـ١٦٥٢).

وفيما يلي طبعات مؤلفاته:

١ـ ديوان شعره:

ـ تحقيق يوسف هل، هانوفر: خزانة الكتب الشرقية لهاينس لافاير، ١٩٢٦م، ١٤٠ ص، م٩١ص، دراسة باللغة الألمانية، ٩ص: المحتوى، أسماء الرجال والنساء، المواضع، القوافي.

٢— ديوان الهذليين:

ـ تصحيح أحمد الزين، القاهرة: دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٤ هـ/ ١٩٤٥م، ٢٤٧ ص (المعجم الشامل ٢/ ٣٧٦، ٣٧٧).

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطي ـ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١/ ٢٤٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق علي محمد البجاوي ٤/ ١٦٤٨ـ١٦٥٢، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ـــ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ١/ ٢٤٥. انظر أيضًا الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢/ ١٨٣).

***ابن ذي الاسمين (نحو ٧٧٥ـ٨٥٩ هـ):**

قال عنه الشمس السخاوي: علي بن محمد بن علي بن ذي الاسمين أيوب عثمان بن ذي الاسمين عبد العزيز عبد المجيد الشهير بأبي المجد بن محمد بن عبد العزيز بن قريش نور الدين وربما كنى بأكبر أولاده النجم فيقال أبو نجم الدين ابن نجم الدين القرشي الأبودري ـ بفتح الهمزة ثم موحدة ودال مهملة ثم راء مشددة نسبة لأبي درة من أعمال البحيرة ـــ ثم الدسوقي بضم المهملتين المالكي ويعرف بسنان لسن كانت له بارزة وأيوب في نسبه هو أخو الشيخ إبراهيم الدسوقي صاحب الأحوال. ولد تقريبا سنة خمس وسبعين وسبعمائة

بأبى درة وانتقل منها وهو صغير بعد موت والده وحفظ القرآن عند الشهاب التروجى وتلاه لأبى عمرو على . بن عامر بلقانه وحفظ عنده الشاطبيتين ثم قدم القاهرة فحفظ بها أيضا العمدة والرسالة ومختصر ابن الحاجب كلاهما فى المذهب والملحة وألفية ابن مالك، وعرض على الزين قاسم السمسطائى النويرى ولازمه فى بحث الرسالة والمختصر معا بل رافقه فى سماع الحديث وبحث العمدة على الزين عبيد البشكالسى .

ومن شيوخه فى السماع الصلاح الزفتاوى والتنوخى وابن الشيخة وابن الفصيح والعراقى والهيثمى والأبناسى والدجوى والغمارى والمراغى والنور الهورينى والجمَّال عبد الله الرشيدى وناصر الدين نصر الله الحنبلى والسويداوى والحلاوى وأكثر من المسموع وكان يخبر أنه أخذ الخرقة الدسوقية عن ابن عمه الجمال عبد الله بن محمد بن موسى المنوفى بدسوق فى سنة نيف وثمانمائة عن أبيه عن جده موسى عن شقيقه الشيخ إبراهيم، وقطن دسوق من سنة اثنتى عشرة إلى أن مات شيخ المقام الإبراهيمى بها وهو ابن عمه الشمس محمد بن ناصر الدين محمد بن جلود فى سنة أربع وثلاثين فاستقر عوضه فى المشيخة فباشرها وصرف عنها مرارا، وحج وزار بيت المقدس ودخل اسكندرية مرارا، وحدث وسمع منه الفضلاء حملت عنه الكثير بالقاهرة ثم بدسوق وارتفق بما كان يصله به الطلبة فى سنى الغلاء لكونه كان كثير العيال جدًّا وكان حينئذ منفصلا عن المشيخة : وكان خيرًا ضابطا صدوقا ثقة ثبتا ساكنا وقورًا صبورا على الاستماع متواضعا سليم الفطرة مستحضر الفوائد مات فى ليلة الجمعة حادى عشر رمضان سنة تسع وخمسين بدسوق على مشيختها ودفن عند الضريح البرهانى وخلف أولادا رحمه الله وإيانا .

(الضوء اللامع الشمس الدين السخاوى جـ٥م ٣/ ٣١٩، ٣٢٠) .

***ذى أمر (غزوة ــ):**

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق، أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريبا منها، ثم غزا نجدًا، يريد غطفان، وهى غزوة ذى أمر، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صفرًا كله أو قريبا من ذلك، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدًا : فلبث بها شهر ربيع الأول كله، أو إلا قليلاً منه .

(السيرة النبوية لابن هشام، قدم لها وعلق عليها ضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣/ ٤) .

*** ذى الحليفة (مسجد ــ):**

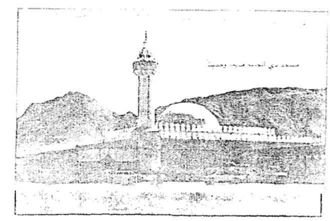
مسجد ذى الحليفة أو مسجد الشجرة أو مسجد الإحرام أو مسجد أبيار على :

«نزل النبى ﷺ تحت شجرة سمرة بذى الحليفة» . وهذا النص جاء فى الصحيح عنه ﷺ فأضحى مصلاه هذا، ويعرف بمسجد الشجرة ويطلق عليه مسجد ذى الحليفة، وذو الحليفة تصغير حليفة بفتح الحاء وكسر اللام وفتح الفاء اسم لماء بين بنى جشم بن بكر من هوازن وبين بنى خفاجة العقيلين رهط توبة، وذو الحليفة اسم لمنزل كان يحب النزول فيه سيدنا رسول الله ﷺ تحت شجرة كانت فيما مضى فى موضع المسجد الحالى، والعامة يطلقون عليه مسجد الإحرام ومشهور فى تلك المحلة باسم مسجد أبيار على لأن ذلك الموضع كله يعرف بأبيار على ويسميه بعضهم بالحسا .

وهذا المسجد هو ميقات المدينة المنورة وجاء فى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما : «أن النبى ﷺ بات بذى الحليفة وصلى فى مسجدها وفى رواية أخرى له أن



مسجد الشجرة فى ذى الحليفة (محرم الحاج)



مسجد ذي الحليفة أو مسجد الشجرة أو مسجد الإحرام أو مسجد آبار علي حديثاً

النبي ﷺ كان يركع بذى الحليفة ركعتين ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهلَّ بالعبارة التالية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» وليحيى عنه: «أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة المكرمة صلى فى مسجد الشجرة» ولابن زبالة عنه: «أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذى الحليفة حين يعتمر وفى حجه حين يحج تحت شجرة فى موضع المسجد الواقع بذى الحليفة». وعن أبى هريرة: «أن رسول الله ﷺ صلى فى مسجد الشجرة إلى الأسطوانة الوسطى استقبلها وكانت فى موضع الشجرة التى كان النبى ﷺ يصلى إليها»، وقال المطرى وهذا المسجد هو المسجد الكبير الذى هناك وكان فيه عقود فى قبلته ومنار فى ركنه الغربى الشمالى فتهدم على الزمان قال الإمام السمهودى قد جدد زين الدين الاستدار بالمملكة المصرية فبنى عليه الجدار الدائر عليه اليوم على أساسه القديم عام ٨٦١ هـ وموضع المنارة فى الركن الغربى باق على حاله واتخذ أيضا الدرج للآبار التى هناك والمسجد مربع مساحته ٥٢ ذراعا. وفى العهد السعودى أصبح مسجد ذى الحليفة موضع عنايتها فعينت له إمامًا رسميًا ومؤذنًا رسميًا وفرشته بأحسن الفراش وعمرته وجعلته فى أجمل منظر يليق به كبيت من بيوت الله، والآن خضع المسجد للتوسعة الكبرى التى أمر بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ووضع حجر الأساس نيابة عنه صاحب السمو الملكى الأمير عبد المجيد(تاريخ معالم المدينة المنورة/ ١١١، ١١٢) وقد بنى الشيخ محمد سرور الصبان بجانبه مدرسة.

موقع المسجد: يقع المسجد فى شرق طريق الأسفلت المؤدى إلى مكة المكرمة وجدة بذى الحليفة، وقد عُبِّد له طريق خاص يتفرع من خط الأسفلت المذكور وهو قرب بستان آل أسعد فى شرق شمال البستان وعلى شفا وادى العقيق من جهة غرب وأمامه من شام بئر بستان آل سعد وكانت هذه البستان تعرف فى عهد المؤرخ العباسى ببئر ابن مضيان من بنى سالم.

ذو الحليفة محرم الحاج: ذكر الشيخ الحافظ أبو البقاء فى تاريخه للمدينة أنه ينبغى للحاج إذا وصل إلى ذى الحليفة أن لا يتعدى فى نزوله المحل الذى فيه المسجد المذكور من نواحيه الأربعة قبل أن يحرم بالحج والعمرة إذا قصد العمرةأو الحج.

الطريق إلى مسجد ذى الحليفة: هو الطريق إلى جدة ويصل إليه الزائر بعد نحو ثمانية كيلو مترات من المدينة على الخط الأسفلتى (فصول من تاريخ المدينة المنورة/ ١٥٤، ١٥٥).

(تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثًا- فضيلة الأستاذ السيد أحمد ياسين أحمد الخيارى - تعليق وإيضاح وإضافة وتخريج فضيلة الأستاذ عبيد الله محمد أمين الكردى. نشر أبناء المؤلف الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م/ ١١١، ١١٢، وفصول من تاريخ المدينة المنورة - على حافظ/ ١٥٤، ١٥٥).

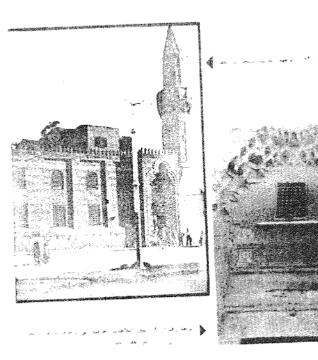
*** ذى الفقار بيك (مسجد) (١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) أثر ٤١٥:**

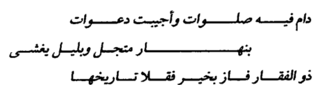
ذكره على مبارك أولا عن الكلام على شارع اللبودية وعطفة المارستان فقال: وفى مقابلة عطفة المارستان هذه الجامع المعروف بجامع ذى الفقار بيك، ويعرف أيضًا بجامع غطاس، أنشأه الأمير ذو الفقار بيك سنة إحدى وتسعين وألف، وهو عامر إلى الآن ويتبعه سبيل ومكتب بجواره متخربان(الخطط٣/ ١٠١).

ثم عاد فذكره فى الجوامع ووصفه كما كان فى زمانه على النحو التالى:

هذا المسجد بشارع اللبودية من ثمن درب الجماميز. ويعرف الآن بجامع غطاس. يصعد إليه بسلالم من الحجر، وعلى بابه نقوش فى الحجر صورتها:

جامعا جاء لطيفا وبديع الإنشا
عالى السمك منيعا ووسيع الأحشا
فى بيوت أذن الله لها أن ترفع
والعبادات بها كل زمان تفشى





دام فيـــه صلـــوات وأجيبت دعـــوات

بنهـــــــار متجل وبليل يغشى

ذو الفقـــار فـــاز بخيـــر فقـــلا تـــاريخهـــا

عمـــر الجـــامع بـــالسعـــد بـــديع الإنشـــا

سنة ١٠٩١

قالت المؤلفة: لاحظ أن الرقم ١٠٩١ تُوصِّل إليه بحساب الجمل. انظـــر هـــذه المـــادة فى حـــرف الحـــاء فى م١٣/٥٤٩ـ٥٥٤، وهذا الرقم هو تاريخ إنشاء المسجد ١هـ.

وبه أربعة أعمدة من الرخام، وبمحرابه عمودان من الرخام أيضًا، وله منبر خشب وبدائره إزار خشب مكتوب فيه سورة يس وسورة الفتح، وله منارة بديعة، وميضأة على أربعة أعمدة من الرخام، وحنفية بجوارها أشجار صغيرة، وله أوقاف منها سبعة حوانيت ومصبغة، ومرتب بالروزنامجة ثلاثة قروش وثمانية وعشرون نصفا فضة فى كل شهر، وله من وقف الشيخ عبد الفتاح الحريرى كل سنة لفراشه بالحصر مائتان وخمسون قرشا، ومن وقف الحاج إبراهيم أغا الأرنودى وزوجته الست فاطمة كل سنة نحو خمسة الآف قرش، وشعائره مقامة، بنظر الشيخ إبراهيم الشيباوى. وبهذا الجامع أيضًا خلوتان من فوق بعضهما، كان بعض الصالحين يتعبد فيهما، والآن سكنها ناظره الشيخ إبراهيم المذكور، وله ساقية ركبت عليها الآن طلمبة، ويتبعه سبيل ومكتب بجواره متخربان، والظاهر أن ذا الفقار هذا هو المذكور فى كتاب قلائد العقيان ضمن ترجمة والى مصر الأمير حمزة باشا، قال فى ذلك الكتاب: وفى يوم الأحد سادس عشر شعبان سنة/ سبع وتسعين وألف مات عز الدولة العثمانية في الديار المصرية أمير الحج الشريف الأمير ذو الفقار بيك رحمه الله تعالى وكان آية وحجة على أهل الفساد من العرب وغيرهم فى سائر الأقاليم، وبعد موته جرت حوادث يطول شرحها، واجتمع فى جنازته جمعية كبيرة جدا، وفرق فى مرضه أموالا كثيرة، وكان أميرا طاهرا محافظا على الصلوات الخمس فى أوقاتها، معظما للعلماء شفوقا على الفقراء، غليظا على المفسدين، وقبل دفنه بالقرافة ألبس الوزير حمزة باشا ولده الرشيد مير اللوا إبراهيم بيك خلعة الصنجقية انتهى (الخطط ٤/ ٢٣٦).

ويصفه الأستاذ حسن عبد الوهاب رحمه الله بقوله: وهو من المساجد المعلقة البسيطة، ووجهته الغربية العامة مبنية بالحجر الأحمر، حيث تقوم المنارة عند طرفها الجنوبى، وهى منارة أسطوانية قصيرة من دورة واحدة، يجاورها الباب العام، وهو محلى بالمقرنصات، وبه ترابيع من القاشانى القيم تتوسطها لوحة رخامية (يورد المؤلف هنا الأبيات الأربعة التى أوردها على مبارك وأثبتناها فى بداية المادة، وقد أورد فى نهاية صدر البيت الرابع لفظى «فقل تاريخًا» بدلاً من «فقلا تاريخها»).

ثم يقول المؤلف: وهذا الباب يؤدى إلى سلم من ست درجات فدركاه مربعة على يمينها باب يؤدى إلى باب المنارة، وإلى المطهرة، وعلى يسارها شباك ثم باب المسجد.

أما محرابه فهو من الحجر وقد حُلِّى بنقوش ومقرنصات، وبتواشيحه ألواح من القاشانى الحديث، ويعلوه مربع به دائرة من القاشانى القديم، ويجاوره منبر خشبى. وتقع دكة المبلِّغ فى الجدار الغربى، وهى محمولة على كابوليين. وكانت أرضية المسجد مفروشة بالرخام الدقيق، كما يدل على ذلك بقايا دقيقة بأرضية الشبابيك الغربية.

وتحيط بالجامع من أعلاه نوافذ من الجص والزجاج الملون... وقد نقشت سقوفه بنقوش ملونة، وكتبت على إزار الرواق الشرقى آيات من سورة الفتح، كما كتب تاريخ إنشائه بما نعته: «أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى

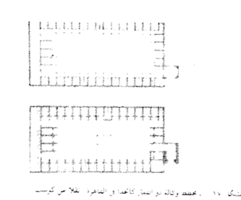
وعونه وجزيل عطائه العميم الجناب الكريم العالى والكوكب المنير المتلالى الأمير ذو الفقار بيك أمير اللوا الشريف السلطانى وأمير الحاج: وكان الفراغ فى شهر ذى الحجة سنة ١٠٩٠ هـ»

ومكتوب على إزار الرواق الغربى آيات من سورة يسّ إلى قوله تعالى ﴿قال يا ليت قومى يعلمون * بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾ [يس: ٢٦، ٢٧] (تاريخ المساجد الأثرية/ ٣٢٠ ـ ٣٢٢).

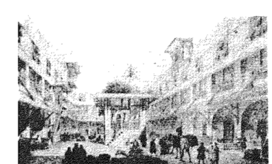
(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٢٣/ ١٠١, ٤/ ٦ظ٢، وتاريخ المساجد الأثرية ـ الأستاذ حسن عبد الوهاب / ٣٢٠ ـ ٣٢٢ انظر أيضا مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ د. سعاد ماهر محمد ٥/ ٢٠٥ـ ٢١٠) وقد أخذت منه الصورة المصاحبة لهذه المادة).

***ذى الفقار كتخدا (وكالة ـ) ١٠٨٤هـ / ١٦٧٣م. أثر ١٩:**

ذكرها على مبارك عند الكلام على أبواب القصر الشرقى فقال عن باب الريح: وموضعه الآن الزقاق الذى بين مدرسة جمال الدين الاستادار المشهور بجامع جمال الدين وبالجامع المعلق ووكالة الكتخدا المعروفة بوكالة ذى الفقار، ويتوصل من هذا الزقاق إلى المشهد الحسينى (الخطط ٢/ ٩٤).



الشكل ١٧ . مخطط وكالة ذو الفقار كتخدا في القاهرة نقلا عن كوست



الشكل ١٨: ـ منظر لوكالة ذو الفقار كتخدا فى القاهرة. نقلا عن كوست

وقد أدرجت فى «فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة» برقم الأثر ١٩ مع هذا البيان: ذو الفقار بك (واجهة منزل ووكالة أوده باشى) ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م.

وقد أوردها أندريه ريمون باعتبارها أحد مثالين (وهما وكالة ذى الفقار ووكالة بازرعة) لهذه «الصروح القاهرية» وهى الوكالات فقال: الأول هو وكالة ذو [ذى]الفقار كتخدا الكائنة فى حى الجمالية والمشيدة سنة ١٦٧٣، والتى أصبحت اليوم متدهورة، ولكن باسكال كوست قام فى بداية القرن التاسع عشر بتقديم بيان رائع بشأنها يجعلنا نعرفها تفصيليا، فهى تقع عند ملتقى شارع الجمالية مع شارع التمبكشية، لها مدخل مدهش يعلوه طابق بارز ويمكن لهذا المدخل أن يكون دهليزاً فى أحد القصور. ويؤدى المدخل إلى دهليز منحنى [منحن] ومسقوف بعقود قوية ثم نصل إلى ساحة يتوسطها مصلى ومسقاة. وفى الدور الأرضى لهذه الوكالة يوجد ٣٢ مخزنا (حواصل)، حيث يمكن للتجار إيداع بضائعهم، ويشمل الطابق الأول ممرًا تطل عليه ٣٥ غرفة، كما يشمل الطابق الثانى ربعا (مبنى للإيجار). إن بعض سمات هذا المبنى مثل التنظيم الأفقى للسطح (طوله ٧٥ مترا وعرضه ٢٥ مترا، ومساحة الوكالة الكلية ألفان و٦٢٥مترا مربعا) والمساحة الواسعة التى يحتل المبنى وسطها تذكرنا بسوريا، الأمر الذى يجعلنا نتذكر بأن العديد من التجار السوريين كانوا يترددون على حى الجمالية (المدن العربية الكبرى/ ١٨٩).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٢/ ٩٤ والمدن العربية الكبرى فى العصر العثمانى لأندريه ريمون ـ ترجمة لطيف فرج. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩١ / ١٨٩).

***ذى قار (وقعة ـ)(٦١٠ م)**

يُرجع الإخباريون سبب وقوع قار إلى مطالبة كسرى بن هرمز، أحد زعماء بنى ربيعة ويدعى هانى بن قبيصة بتسليم الودائع التى كان أودعها النعمان بن المنذر لديه عندما استدعى كسرى النعمان إليه وسجنه، . فأبى هانئ تسليم ما أتُمن عليه لغير أهله، مما أثار غضب كسرى، وطلب إلى بعض عماله أن يجتمعوا إلى إياس بن قبيصة الذى عينه حاكما على الحيرة بعد النعمان، بينما اجتمعت القبائل العربية حول هانىء تأييدا له ضد كسرى. وجاءت الفرس معها الجنود والفيلة، والتحموا بأرض ذى قار، بين واسط والكوفة.

وقال ما دحا ولدها السلطان عبد العزيز:

أجامع من بعد ما درسا
بأمر سلطان الزمان أسسا
عبد العزيز الملك المولى
الذى مراميه تساوى الأطلسا
ظل الإله قد غدا فى أرضه
لدين طه حافظا وحارسا
لا زال فى الست الجهات
أحكامه لخمس أصحاب الكسا
باشره الوالى رديف الذى قد
طاب فى وادى الجنان مغرسا
فى حضرة النعمان من عمله
أصبح كل عالم مقتبسا
ثم بناؤه المشيد أرخوا
بيانه على التقى تأسسا

غرفة المرقد الشريف

بناؤها أثرى قديم يعود إلى زمن السلطان مراد الرابع عليه الرحمة عام ١٠٤٦هـ شكلها مربع ٧,٥ × ٧,٥ وسطها الضريح الشريف عليه قفص ذو شبابيك معدنية توج بأسماء الله الحسنى على المينة البيضاء خطت على أوراق من الزهور بشكل بديع وأحيط القفص بالمينة البيضاء كتب عليها ما نصه « بسم الله الرحمن الرحيم » ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقال ﷺ« لو كان العلم معلقا عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس » .

هذا مرقد الإمام الأعظم والمجتهد الأقدم أبى حنيفة نعمان ابن ثابت الكوفى كانت ولادته ٨٠ للهجرة الشريفة ووفاته رحمه الله ورضى الله عنه سنة ١٥٠ للهجرة الشريفة ...

وقد جدد العمل بعد اندراسه ومحو آثاره ... وكان ذلك سنة ١٣٤٧ هـ وداخل الغرفة شمعدانان أثريان كبيران فضيان مزخرفان بزخارف مدهشة يرجع تاريخهما إلى ١٢٦٣ هـ وآخران أصغر منهما وفى قطبها ثريا علقت فيها قناديل فضية وذهبية ومعادن أخرى ذات أهمية أهديت من قبل سلاطين آل عثمان وولاتهم وفيها قنديل أثرى أهدته بنت السلطان مراد خان الرابع أسمخان سنة ١٠٨٥ هـ وقرآن مخطوط وغلاف مرصع بالأحجار الكريمة والياقوت ومذهب أهداه القائد التركى أنور باشا، والشعرات النبوية الشريفة أهداها للجامع السلطان عبد الحميد خان عليه الرحمة عام ١٣٠٤هـ تُخرج للتبرك ليلة القدر والمولد النبوى الشريف وأيام الأعياد وآخر جمعة من رمضان للتبرك بها كما تخرج لرؤساء الدول الضيوف للتشرف بها .

ثم يصف الشيخ هاشم الأعظمى الجامع فيقول :

هندسة الجامع تعتبر فخر الهندسة المعمارية فنا حرمه كبير. مقبب بشكل مستطيل ١٤ ×٣٤ م٢ رحب تقوم فوق وسطه قبة فخمة جلست على أطواق تحملها ، والأطواق تسعة اعمدة من الرخام الموصلى العراقى تحيط بها من جهاتها الثلاث تسعة قباب استندت إلى الأعمدة والجدران ودعامتان تحملان ثلاث قباب أخرى ومحرابان ومنبر ومحفل قبالة المحراب مرتفع عمل من خشب الساج علقت فى وسط القبة ثريا فخمة وفرش بالسجاد الإيرانى وله أحد عشر بابا على الأروقة وباب المرقد داخل الحرم ويحيط بالحرم ثلاثة أروقة من جهاته الثلاث مقبية تقوم قبابه وعددها ٣٢ على أطواق من الطابوق تحملها والأطواق أعمدة رخامية متينة تبلغ مساحتها ٨٠٠م تقريبا لها ثلاثة أبواب واحد من جهة الغرب وبابان من جهة الشمال وتسعة شبابيك مطلة على الطارمة وباب المرقد والمأذنة من جهة القبلة وغرف ثلاث والرواقان توّجا بأفريز من الكاشانى الأزرق خطت عليه سورة الفتح بخط جميل وحروف غاية الإبداع ومنارة فخمة جميلة المنظر شامخة يبلغ ارتفاعها ٢٩ م تقريبا لها خوذة مضلعة حليت بالذهب حلاها الوالى سليمان باشا عام ١٢١٧ هجرية وساحتان من جهتى الشمال والشرق ومصلى صيفى وقد أزيل مع عدة غرف وحوض ماء الوضوء عام ١٩٣٥ م .

عام ١٩٣٥ : فى هذا العام أجريت تصليحات شاملة للمسجد والكلية البابان الرئيسيان والسور وبنى مكانهما بابان فخمان وسور جميل وأبدلت شبابيك الرواقين الحديدية بشبابيك خشبية من الساج الفاخر وبلطت الساحة بالمرمر.

عام١٩٤٨ :

فى هذا العام بنيت الطارمة الأمامية لإسناد بناء الجامع

القديم ونقل الإفريز الكاشاني الأزرق الذي كان الرواقان متوجين به فوضع عليها من جهة الساحتين بني على شكل أطواق تزينها الورود الكاشانية .

عام ١٩٥٩ :

بعد ثورة ١٤ تموز (يولية) ١٩٥٨ أجريت بعض الإصلاحات والزيادات فبنى نصف رواق من جهة الشرق وبُلط جدار الحرم والأروقة بالمرمر الأردني بارتفاع ثلاثة أمتار وجددت أسس الحرم وبلط الجامع كله بالكاشي الموزائيك وبنى برج الساعة (الأعظمية) وهدمت الأبواب الرئيسية والسور وبنيت مكانها أبواب كونكريتية على شكل أطواق وبنى سور جميل مطعم جداره بالكاشي ذي الورود ونقش الحرم جدرانه وسقوفه وقبابه وكذلك الأروقة بفن عربي إسلامي مغربي بنقوش جصية على شكل ورود وأزهار ذات بهجة تدهش الناظرين إليها ونقشت قبة الضريح كذلك وبلطت جدرانها بالمرمر الأردني وبلطت قبة الحرم من الخارج بالكاشاني الجميل .

وفي عام ١٣٨٩ عصر يوم المولد النبوي وضع حجر الأساس لإعادة الأبواب الرئيسية المغلقة في العهد القاسمي المنقرض نيابة عن السيد رئيس الجمهورية باحتفال مشهود ثم عدل عن فتحها في محلها إلى محل آخر.

عام ١٩٧١ :

بالنظر للتوسع الذي طرأ على منطقة الأعظمية عمرانا ونفوسا أصبح الجامع لا يسع المصلين أيام الأعياد والجمع الرمضانية ويضيق بالاحتفالات والمناسبات الدينية . ومن هذا الشعور أمر السيد رئيس الجمهورية بتوسعته توسعه تكون على شكل الجامع القائم ففي عام ١٩٦٨ اشتريت بعض الدور المجاورة من جهة الغرب والسوق القديم والزقاق وأدمجت أرضها مع أرض الجامع لتنفيذ هذا المشروع ثم صممت له خارطة على نمط هندسة الجامع الحالي . وفي ١٨ تموز في عام ١٩٧١ أجرى احتفال مشهود لوضع حجر الأساس لهذا المشروع الضخم ...

وتضمن المشروع بناء حرم ورواقين وقاعات تحتها سرداب كبير مساحته ١٠٤٠ م^2 وطارمة أمامية ومنارة وقبة موازية لقبة المرقد تكون مكتبة تضم الكتب التي كانت قديما في الجامع (يأتي الكلام على المكتبة فيما بعد) وعدة غرف ذات طابقين من جهة الغرب يكون هيكل البناء كونكريت مسلح وتجديد الأبواب والسور وبناء الكلية بناء جديدا ونقش البناء الجديد وزيادة بابين كبيرين للجامع ونُقش الرواقان والحرم على نمط نقش البناء القائم إلا أنه بأيد عراقية وبنى باب كبير فخم مكان الباب القديم أقيم هيكله بالكونكريت المسلح وغلف بالطابوق المحفور نقشا على شكل أزهار وورود ذات بهجة تسر الناظرين إليها جاءت آية في الفن المعماري وتحفة فنية ذات ثلاثة مداخل توجت بالآيات القرآنية ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان ﴾ [الرحمن : ١ ـ ٤].

وعلى الجانبين لوحتان مستطيلتان بنيتا بالطابوق المحفور فنا على شكل ورود وأزهار داخلها لوحة كاشانية خط عليها قوله تبارك وتعالى ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ وبنى سياج جميل على شكل أطواق بالطابوق المحفور نقشا وفنا توج بأسماء الله الحسنى كتبت على ألواح كاشانية بخط جميل وجعل للجامع أربعة أبواب بلغت مساحته العمومية مع الكلية قرابة من ٨ آلاف متر مربع تقريبا ومقدار الأرض التي ضمت إلى الجامع بهذه التوسعة يبلغ حوالي ١٠ آلاف متر مربع تقريبا (جامع الإمام الأعظم / ٧٠ ـ ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ـ ٨١) .

ويتحدث الأستاذ وليد الأعظمي الخطاط عن مكتبة المشهد والكلية فيقول :

منذ أن حول مرقد الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه ، إلى مشهد ، وكثر تردد الزوار والعلماء إليه ، عند بداية القرن الثالث الهجري ، وصار العلماء يعقدون حلقات العلم والمناظرة في المشهد ، ثم أخذ المشهد بالتوسع من قبل القضاة والمحسنين ، حتى بنى فيه أحد الحجاج الأتراك صُفَّة للعلماء في سنة ٣٧٥هـ .

ونفهم من هذا أن نواة المكتبة بدأت مع حلقات العلماء ، ثم أخذت بالنمو والزيادة ، وصار العلماء يقفون كتبهم على المشهد ليفيد منها العلماء وطلاب العلم .

وتذكر لنا كتب التاريخ أن الطبيب العالم الخطاط يحيى ابن عيسى بن جزلة المتوفى في سنة ٤٩٣ هـ قد وقف كتبه كلها على مشهد الإمام أبي حنيفة في حياته .

وإذا قرأت ترجمة هذا العالم الجليل تتضح لك قيمة كتبه وعددها وأهميتها .

طلبهم حتى ألحقك بالناس وقال لأبى عياش الزرقى لو أعطيت هذا الفرس أفرس منك يلحق، فقال أنا أفرس الناس فضرب الفرس فما جرى خمسين ذراعا حتى طرحه فعجب. وذلك أن رسول الله ﷺ قال له لو أعطيته أفرس منك وهو يقول أنا أفرس الناس. (اهـ. من سيرة ابن هشام) فأعطاه غيره، وكان أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة، ويقال له قمير فقتل ولم يقتل أحد من المسلمين غيره، وقيل قتل معه وقاص المدلجى ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة ابن حصين وغشاه ببردته؛ وقال الدمياطى إنما قتله المقداد وقتل أبو قتادة مسعدة الفزارى.

ثم أقبل رسول الله فى المسلمين فلما رأوا القتيل مغشى بالبردة استرجع الناس وقالوا قتل أبو قتادة فقال المصطفى ليس به لكنه قتيل له يضع عليه بردته لتعلموا أنه صاحبه وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وسماه ابن سعد آثارا بمثلثة وابن عائذ إيارا بكسرة الهمزة وابنه عمرو بن أوبار على بعير فانتظمهما بالرمح فقتلهما واستنقذوا بعض اللقاح.

وفى صحيح مسلم جميعا وفيه عن مسلمة بن الأكوع أنه طردهم وقال ما زلت أرميهم فأعقرهم فإذا رجع إلى فارس أتيت شجرة فجلست فيها ثم رميته فعقرت به حتى إذا تضايق الجبل رميتهم بالحجارة فما زلت كذلك حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله إلا خلفته وراء ظهرى ثم أتبعهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة يستخفون فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول الله أولهم الأخرم الأسدى وعلى إثره أبو قتادة الأنصارى، وعلى إثره المقداد فأخذت بعنان الآخر فقلت احذرهم لا يقتطعونك حتى يلحقك الناس فقال إن كنت تؤمن بالله وتعلم أن الجنة والنار حق فلا تحل بينى وبين الشهادة فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة بن حصن فعقر بعبد الرحمن فرسه فطعنه عبد الرحمن فقتله، وسار المصطفى حتى نزل بالجبل من ذى قرد قال سلمة فجئته وهو على الماء وإذا بلال قد نحر ناقة ويشوى للمصطفى من كبدها وسنامها، فقلت يا رسول الله خلنى أنتخب من القوم مائة فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته فضحك حتى بدت نواجذه فى ضوء النهار وقال أتراك كنت فاعلا، قلت نعم والذى أكرمك، قال إنهم الآن يقرون بأرض غطفان، وأقام يوما وليلة يتجسس الخبر، وصلى بهم صلاة الخوف، وقسم فى كل مائة من صحبه جزورا ينحرونها وكانوا خمسمائة وقيل سبعمائة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم؛ وخلف سعد بن عبادة فى ثلاثمائة يحرسون المدينة، وبعث إلى رسول الله ﷺ بأحمال التمر وعشر جزائر فوافته بذى قرد (العجالة السنية / ١٩٠، ١٩١).

جاء فى السيرة الحلبية: فكل من سلمة وأبى قتادة اشترك فى تخليص نصف اللقاح. وذهب القوم بنصفها الآخر وهو: عشرة، وبامرأة أبى ذر. قال ابن هشام: ولما أفلت القوم بما بقى من السرح، عقلوا الإبل وأوثقوا المرأة.

وبينا هم نيام افتلتت المرأة من الوثاق وأتت الإبل فكانت كلما دنت من بعير رغا فتركه حتى انتهت إلى العضباء وهى ناقة رسول الله - ﷺ - فلم ترغ فقعدت على ظهرها وزجرتها وحين علموا بها طلبوها فأعجزتهم. ونذرت إن نجاها بها الله لتنحرنها. فلما رجعت أخبرته - ﷺ - بالنذر؛ فتبسم - ﷺ - ووقال: بئسما جزيتها - نجاك الله بها وتنحرينها؟ لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم. وإنما هى ناقة من إبلى. ارجعى إلى أهلك على بركة الله (مجلة الأزهر/ ٦٤١).

والحديث عن امرأة الغفارى وما قالت، وما قال لها رسول الله ﷺ، عن أبى الزبير المكى، عن الحسن بن أبى الحسن البصرى (السيرة النبوية ٣/ ١٧٩)

وحين يطلب سلمة من رسول الله - ﷺ - أن يرسل فى إثرهم من يؤدب هؤلاء القوم قال له الرسول الرءوف الرحيم - عليه الصلاة والسلام: يا سلمة ملكت - أى قدرت - فأسجح: فليكن منك الرفق بهم، وأحسن العفو عنهم، ولا تأخذك العزة والشدة بهم (مجلة الأزهر/ ٦٤١).

وذكر الزبير هنا معجزة وهو أن المصطفى نزل فى هذه الغزوة على ماء فسأل عن اسمه فقال بيسان وهو مالح فقال بل هو نعمان وهو طيب فغير رسول الله الاسم فغير الله الماء فاشتراه طلحة بن عبيد الله ثم تصدق به وقال المصطفى ما أنت يا طلحة إلا فياض فسمى طلحة الفياض (العجالة السنية/ ١٩١).

وفى رواية مسلم: ثم أردفنى رسول الله ﷺ وراءه على العضباء، وذكر قصة الأنصارى الذى سابقه فسبقه سلمة.

قال رسول الله ﷺ: خير فرساننا اليوم: أبو قتادة.

وخير رجالتنا اليوم سلمة.

قال سلمة: ثم أعطانى النبى سهم الراجل والفارس جميعًا (مجلة الأزهر/ ٦٤١).

قال حسان بن ثابت فى يوم ذى قرد:

أظن عيينـــة إذ زارهـــا ... بأن ســوف يهــدم فيهــا قصــورا

فأكــذبت مــا كنت صــدّقتــه ... وقلتم سنغنم أمـــرا كبيـــرا

فعفت المــدينـــة إذ زرتهــا ... وآنست لــلأســد فيهــا زئيــرا

فــولــوا ســراعــا كشــد النعــام ... ولم يكشفــوا عن مُلط حصيـــرا

أميـــر علينــا رســول المليك ... أحبب بـــذاك إلينــا أميــرا

رســـول نصـــدّق مـــا جـــاءه ... ويتلــو كتــابــا مضيئــا منيــرا

(السيرة النبوية٣/ ١٨٠)

(العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للحافظ زين الدين العراقى - الإمام المناوى. قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى / ١٨٦، ١٨٩ - ١٩١، «ويا خيل الله اركبى» - فضيلة الشيخ على حامد عبد الرحمن مجلة الأزهر. الجزء الخامس، السنة الثامنة والستون، جمادى الأولى ١٤١٦ هـ - أكتوبر ١٩٩٥م/ ٦٣٩ - ٦٤١، والسيرة النبوية لابن هشام، قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣/ ١٧٩، ١٨٠. انظر أيضا الفصول فى سيرة الرسول للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير / ٦٧، ٦٨، والدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر - تحقيق د. شوقى ضيف، وأيام العرب فى الإسلام - محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى/ ٧٢ - ٧٤)
انظر الصورة المصاحبة لمادة «الخيل» فى م ١٦/ ٥٥٠

*** ذى القصة (وقعة-):**

يوم ذى القصة لأبى بكر على عبس وذبيان. كان فى سنة ١١. وذو القصة: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا فى طريق نجد، وبهذا اليوم عز الإسلام وذل المشركون؛ وكان نصر المسلمين يشبه نصرهم يوم بدر (الطبرى ٣/ ٢٧، ابن خلدون ٢/ ٦٥).

مات رسول الله ﷺ، فاجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة بن خويلد الأسدى، إلا ما كان من بعض خواصّهم، واجتمعت أسد بسميراء (موضع فى طريق مكة) وغطفان بجنوب طيبة (من أسماء المدينة) وطيء على حدود أرضهم، واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة وعبس بالأبرق من الربذة، وتأشب إليهم (أى اجتمع من هنا وهناك) ناس من كنانة، فلم تحملهم البلاد، فافترقوا فرقتين: أقامت فرقة منهم بأبرق الربذة (موضع من منازل ذبيان، قرب المدينة)، وسارت الأخرى إلى ذى القصة، وأمدهم طليحة بحبال بن سلمة بن خويلد. وجعله أميرا عليهم.

وهناك أرسلوا وفدا منهم إلى المدينة، ونزلوا على وجوه الناس، ثم تحملوا بهم(أى ذهبوا بهم) على أبى بكر، على أن يقيموا الصلاة، وعلى ألا يؤتوا الزكاة.

فقال أبو بكر: والله لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه. (العقال: صدقة عام. يقال: أخذ منهم عقال هذا العام، إذا أخذت منهم صدقته، وقال بعضهم: أراد أبو بكر: بالعقال الحبل الذى كان يعقل به الفريضة التى كانت تؤخذ فى الصدقة).

فرجع الوفد إلى أقوامهم بذى القصة، وأخبرهم برأى أبى بكر وقالته فيمن يمنع الزكاة، وحدثوهم عن قلة المسلمين بالمدينة، وأطمعوهم فيهم.

أما أبو بكر فإنه توجس شرا منهم فأعد العدة لغدرهم، وجعل على أنقاب المدينة نفرا (الأنقاب: جمع نقب وهو الطريق) منهم على بن أبى طالب، والزبير بن العوام، وطلحة ابن عبيد الله، وعبد الله بن مسعود. وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد. وقال لهم: إن القوم قد رأوا منكم قلة، وإنكم لا تدرون: أليلاً تؤتون أم نهارا، أدناهم منكم على بريد (البريد: فرسخان، أو اثنا عشر ميلا، أو ما بين المنزلين) وقد كانوا يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا. ولم يكن إلا ثلاث ليال من عود الوفد حتى طرق القوم المدينة مع الليل وخلّفوا بعضهم بذى حُسًا (موضع بنجد، من ديار عبس وغطفان) ليكونوا لهم ردءا (الردء: العون والمدد)، وكان الذين على الأنقاب قد بثوا عيونهم حتى لا يؤخذوا على غرة، فلما عرف هؤلاء خبر

القوم نبهوا مَن على الأنقاب، فأرسلوا إلى أبى بكر بالخبر. فأرسل إليهم أبو بكر: أن الزموا أماكنكم. ففعلوا.

وخرج فى أهل المسجد على النواضح، فتقهقر العدو، فأتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حسا فخرج عليهم الردء بأنحاء، (جمع نحى (بسكون الحاء) وهو الزق) قد نفخوها، وجعلوا فيها الحبال، ثم دهدهوها (دحرجوها) بأرجلهم فى وجوه الإبل، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ولا تنفر الإبل من شىء نفارها من الأنحاء، فعاجت (رجعت) بهم، ما يملكونها. حتى دخلت بهم المدينة؛ من غير أن يصاب أحد من المسلمين أو يصرع، ولكن هؤلاء المرتدة ظنوا الوهن بالمسلمين؛ حتى قال شاعرهم:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا
فيا لعباد الله ما لأبى بكر
أيورثنا بكرًا إذا مات بعده
وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
فهلا رددتم وفدنا بزمانه
وهلا خشيتم حسن راغبة البكر!
وإن التى سألوكم فمنعتم
لكالتمر أو أحلى إلىَّ من التمر

ثم أرسلوا لأقوامهم بالقصة بالخبر، فقدموا عليهم.

أما أبو بكر، فإنه بات ليلته، فعبى الناس، ثم خرج وعلى ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة (المؤخرة) سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو فى صعيد واحد، فاقتتلوا، وما ذر (ظهر وبرز) قرن الشمس حتى ولى العدو الأدبار، وقتل حبال بن سلمة. وتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القصة، فتركوها وولوا منهزمين، ورجع أبو بكر إلى المدينة، فكان أول الفتح وفاتحة الجهاد مع المرتدين.

ولم يكد أبو بكر يذهب إلى المدينة حتى وثب المرتدون من عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين، فقتلوهم. ولما علم أبو بكر بفعلتهم حلف ليقتلن فى كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة.

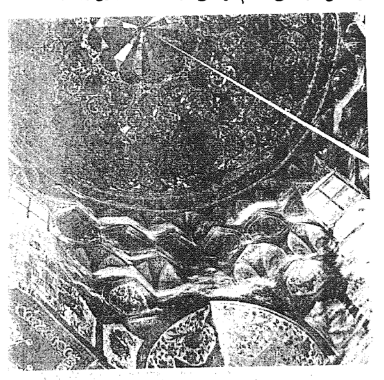
وكان لوقعة ذى القصة أثرها، إذ هرع بعدها فريق من المسلمين يؤدون الزكاة وطرقوا المدينة بالصدقات، وكان فيمن قدم صفوان ـ وهو ابن أمية ـ والزبرقان من رؤساء بنى تميم، وعدى بن حاتم عن طىء.

(أيام العرب فى الإسلام ـ محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى/ ١٤١ـ١٤٣).

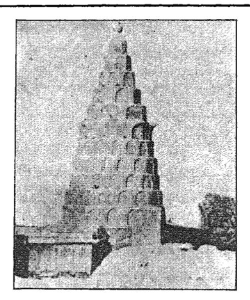
*** ذى الكفل (ضريح أو مرقد أو قبة.):**

يقوم المرقد فى بلدة الكفل بمحافظة بابل بالعراق وذكر أن السلطان المغولى أولجايتوخان محمد خوانبده(٧٠٣ ـ ٧١٦ هـ/ ١٣٠٣ ـ ١٣١٦) أمر بتشييد المرقد والمصلى الواسع الذى يتقدمه. كما أمر ببناء مسجد وخان فى نفس المنطقة. وقد تهدم المسجد وظلت المئذنة والمرقد وأجزاء واسعة من الخان والمصلى (مخطط١٦).

يتقدم المصلى المرقد من الناحية الشمالية الغربية ويتألف من ثلاثة أساكيب بأربع بلاطات وهو مسقوف بعدد من القباب الواطئة، أما المرقد فمستطيل الشكل والدخول إليه يكون عن طريق المصلى، وتبلغ أبعاد غرفته ٤٠ , ١٠×٥أمتار وتجلس القبة على القسم الوسطى منها فقط. أما يمين ويسار



لوح ٧٠: قبة المرقد من الداخل



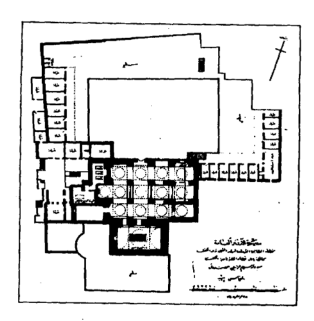
لوح ٧١: قبة مرقد ذي الكفل من الخارج

مربع القبة فسقوفه مستوية. وتخلو أسافل الجدران الداخلية من الزخارف إلى ارتفاع ٢,٦٠ مترا حيث تبدأ زخارف نباتية قريبة من الطبيعة معمولة بالألوان على الجص. وقبة هذا المرقد مزدوجة أيضا فهى من الداخل نصف كروية زينت بزخارف نباتيه ملونة وجميلة ومتقنة وتجلس على صف من المقرنصات ذوات العقود المدببة وتسبقها ثلاثة صفوف أخرى تغطى رقبة القبة أو نقطة التحويل من مربع إلى دائرة(لوح ٧٠).

أما من الخارج فالقبة مخروطية الشكل تتألف من عشرة صفوف من المقرنصات، وهى هنا عبارة عن حنايا ذات بطون مستوية وعقود مدببة غير ناتئة إلى الإمام، ما عدا الصف السادس منها حيث تبرز رؤوس العقود إلى أمام (لوح ٧١) وتنتهى القبة برأس نصف كروى يجلس على رقبة ذات ثمانية عقود. وهذا المرقد مشيد بالطابوق والجص ومكسو أيضا بالجص (العمارات العربية الإسلامية ٢/ ١٢١، ١٢٢) ويتوسط الجدار الشرقى لغرفة الضريح ثلاث دخلات كبيرة معقودة بعقد مدبب والعقد الوسطى أكبر من العقدين الجانبيين. وإن فى وسط كل من الضلعين الشمالى والجنوبى دخلتين أخريين، طول الدخلة فى الضلع الشمالى والجنوبى ٢/٩٠ متر وعرض ما يبقى من الجدار بين بداية الفتحة والركن ٩٥,٠ متر.

ما تبقى من الزخارف يبدأ من ارتفاع ٢,٦٩ متر وهى زخارف ملونة مكونة من أشكال وورود مطعمة فى بعض مناطقها بالمرايا...

ويتوسط الجدار الغربى الذى يحوى عقد الباب وأركان العقد وما فوقها زخارف بتربيعات المرايا وأفاريز لوزية الشكل مطعمة بالمرايا أيضا، كما تعلو العقد أيضا كتابة تدور حول الجدران الأربعة للضريح تعلو منطقة محلاة بالمرايا أيضا، وهذه الكتابة تكون أسفل عقد مدنى كبير يتصدر إيوانا عمقه ٢,٦٠ متر فيتقابل فى الجدارين الشمالى والجنوبى مع إيوانين يحولان البناء المستطيل إلى مربع تقوم عليه منطقة الانتقال إلى مثمن بمقرنصات زوايا كبيرة عددها أربعة مقرنصات فى الصف الأول تحصر بينها مناطق مسطحة وتقوم فوقها منطقة المقرنصات الثانية وعددها ثمانية مقرنصات ثم طبقة أخرى عددها ستة عشر مقرنصا والصف الرابع الذى يحتوى على الشبابيك الأربعة يكون فيه أربعة وعشرون مقرنصا. وفوقه يقوم غطاء القبة نصف الكروى وفى وسطه نجمة زخرفية ذات اثنى عشر رأسا مزخرفة بالمرايا. وتكون الزخرفة النباتية هى العنصر الرئيسى فى زخارف هذه القبة وهى مصنوعة بالتلوين ومحلاة فى بعض المناطق بالمرايا.



مخطط ١٦: تخطيط مرقد ذي كفل

بالإضافة إلى النوافذ الأربع الموجودة فى مثمن القبة توجد أيضا ثلاث نوافذ ويختلف عقد نافذة الجدار الشرقى فى زخرفته عن الشريط الزخرفى الذى يعلو عقدى النافذتين الشمالية والجنوبية .

باب المرقد يتوسط الجدار الغربى وله من اليسار طاقة صماء ومن اليمين باب صغير يؤدى إلى المصلى وهو أيضا من العهد المغولى ولا زالت بواطن الأواوين والعقود فى المصلى مزخرفة بالزخارف النباتية الملونة (القباب المخروطية / ٨٢، ٨٣) .

(العمارات العربية الإسلامية فى العراق - د. عيسى سلمان وزميلاته ٢ / ١٢١، ١٢٢، والقباب المخروطية فى العراق - عطاء الحديثى وهناء عبد الخالق / ٨٢، ٨٣).

*** ابن ذى يزن (نحو ١١٠-٥٠ ق هـ / نحو ٥١٦-٥٧٤ م):**

النسب كما فى الأكليل ج ٢ : سيف بن النعمان بن عفير الأوسط بن زرعة بن عفير الأكبر بن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف بن عامر ذى يزن. قال فى الأكليل : والنعمان بن عفير هو الذى قام باليمن بعد ذى نواس هو وأولاده، فأولد النعمان بن عفير سيف بن النعمان أبا المنذر الذى وفد عليه عبد المطلب وهو النازع إلى كسرى أنوشروان، وعمرو بن النعمان، وهو الذى خرج إلى قيصر وقبائل قحطان بالشام برسالة أبيهما النعمان بن عفير، قال أهل السجل : هو المنذر بن عفير ويكنى أبا النعمان ، أولد أربعة : سيفا أبا المنذر وعَمرا وشراحيل والنعمان، ثم قال : وقال بعض حمير: إن النعمان بن عفير كان يعرف بذى يزن الأصغر، وليس كذلك، ولكنه نسب إلى جده الأعلى كما قيل علقمة بن ذى جدن وبينهما عدة آباء، وعلقمة بن ذى قيفان وبينهما عدة آباء، كقول الأعشى :

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم
تراحى وتلقى من فضائله يدا

نسب النبى ﷺ إلى جد أبيه . انتهى (ملوك حمير وأقيال اليمن / ١٤٨، ١٤٩ هامش ١).

سيف بن ذى يزن من ملوك العرب اليمانيين، وقد أورد قصته الشاعر نشوان بن سعيد الحميرى فى قصيدته النشوانية فى ملوك حمير وأقيال اليمن وننقل أبياتها فيما يلى، مصحوبة بالشرح . قال نشوان بعد أن قص قصة الملك ذى نواس (انظر ترجمته فى موضعها) :

وقال نشوان :

وأتى ابن ذى يزن بأبنا فارس
لما تغرب وانثنى بنجاح
فغدا الأحابش للأعارب أعبُدا
يشرونهم بخسارة ورباح

الملك سيف بن ذى يزن بن النعمان بن عفير بن زرعة بن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف الأكبر بن عامر ذى يزن وهو الذى عنى عمرو بن العاص بقوله فى الحسن بن على جوابا لمعاوية :

فأقبل يمشى مستخيلا كأنه
شراحيل ذو همدان أو سيف ذى يزن

وهو الوافد على كسرى أنوشروان فى آخر أيامه، فوجد عنده النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن مالك بن مضر بن نمارة بن لخم، فلما استأذن سيف ودخل فرآه النعمان بن المنذر قام له من مجلسه وعظمه، فقال كسرى للنعمان : من هذا الملك أملك سمران؟ فقال النعمان : هذا ملك سمران، يعنى العرب. فقربه كسرى وعظمه، وقال له كسرى : ما حاجتك؟ فقص عليه قصته وسأله النصرة، وقال له : أنا ابن عمك، ولونى لونك، فوجه معنا من يأخذ البلد وتكون فى ملكك. فوعده وأقام عنده، وكان قد بعث إليه بعياب فيها دراهم، فقال ما هذا؟ قيل حباء الملك. فأمر سيف بتشقيق العياب، فانتثرت الدراهم فأنهبها الناس، فغضب كسرى وقال : لم لم تقبل حبائى؟ فقال سيف : جبال أرضى ذهب وفضة، ولم أرد من الملك إلا النصر، وأن تكون بلادى له. فوعده بالنصر وأقام عنده : ثم إن كسرى استشار مرازبته (أى وزراءه) وقال : ما ترون فى أمر هذا العربى وقد وعدته بالنصرة وبلاده نائية؟ فقالوا : أنت ملك وابن ملك والوفاء أحسن بك من الغدر. قال له الموبذان : إن عندى رأيا . قال له : وماهو ؟ قال : فى سجونك قوم استوجبوا القتل بجرائمهم، فانظر رجلا من أساورتك فقوده عليهم ، وقوهم بالسلاح، ووجههم معه، فإن ظفروا كان باسمك، وإن هلكوا فهو الذى أردت فأمر كسرى بمن فى سجونه، فوجههم

معه واختار رجلا من المسجونين يقال لـه وهرز فأمَّره عليهم، وكانوا فى مركبين ، فغرق أحدهما وسلم الآخر الذى فيه سيف ووهرز ، فخرجوا بساحل عدن فلقيهم مسروق بن أبرهة الأشرم بجموع الجيش الحبشى فـاقتتلوا هنـالك، ثم إن وهـرز قـال لهم: علـى أى شىء ملكهم يقـاتل؟ قيل : علـى فـرس فسكت، ثم قال لهم : على أى شىء ملكهم فقـالوا: على بغل. فقال: على ابن الحمار، انتقل من العز إلى الذل، لقد ذل فذل ملكه، ثم دعا بقوس وكنانة واستخرج عصابة فعصب بها حواجبه، وأوتر قوسـه، ولم يكن يوترها غيره، ثم استخرج سهما مـن كنانته وقـال أرونى ملكهم، فقـالوا صاحـب الدرة الحمراء التـى بين عينيه ، فـرماه وهرز ففلـق الياقوتـة وتغلغل السهم فى دماغه فسقط وانهزمت الحبشة.

وكان قد اجتمع أهل اليمن فى لقـاء سيف، فحضروا معه الوقعـة، وقتلت الحبشة قتلا عظيمـا، وملكوا من سلم منهم من القتل، وقد كان كسرى عهد إلى وهرز وأعطاه تاجا وخلعة ومنطقة وقـال له : إذا صرت إلى اليمن فـاسأل أهل اليمن عن هذا الرجل ـ يعنى سيفا ـ فإن كان من الملـوك فسلم إليه الأمر وألبسـه التـاج والخلعـة والمنطقـة، وإن لم يكن من الملـوك فـابعث إلىَّ بـرأسـه واضبط البـلاد إلى أن يأتيك أمـرى فلمـا اجتمع أهل اليمن سألهم وهرز عن سيف، فقالوا: ملكنا وابن ملكنا والقـائم بثأرنـا. فألبسه وهـرز التاج والمنطقـة والخلعة وسلم الأمر له. وسيف هذا هو القائل:

ولقـد سمـوت إلـى الحبـوش بعصبـة
أبنـاء كـل غضنفـر أسـوار

مـن كل أبيض فـى الحـروب كـأنـه
أسـد ببيشـة شـابك الأظفـار

خيمـت فـى لجـج البحـار فلـم يكـن
للنـاس غيـر تـرجُّـم الأخبـار

قـالـوا ابن ذى يـزن يسيـر إليكم
فحـذار منـه ولات حين حـذار

والعـام عـام قـدومـه ولعلـه
نـابت عليـه نـوائب الأقـدار

حتـى إذا أمنـوا المغـار عليهـم
وافيـت بيـن كتـائب الأحـرار

مـا زلت أقتـل فلَّهـم وشـريـدهـم
حتـى اقتضيـت من العبيـد بثـارى

وسيف هذا ، هـو الذى وفد عليه عبـد المطلب بن هاشم ابن عبـد مناف جـد رسـول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم فى وجوه قريش ووجـوه قبائل العرب يهنئونه بـالظفر على العبيد الحبشة، وما أيده الله به، فاستأذنوا بالدخول عليه، فأذن لهم سيف بن ذى يـزن، واسمـه ذو يزن بن النعمـان بن عفيـر بن زرعة بن الحـارث، واستأذنه عبد المطلب بالكـلام فقال: إن كنت ممن يتكلم بين يـدى الملوك وأبناء الملـوك، وعن يمينه ويساره المقـاول وأبناء المقاول، وهو ينفح بـالمسك والعنبر فى مفرقه وعـارضيه، وعليه حلل القز والحرير. فقـال له عبد المطلب: إن الله تعـالى قد أحلك محـلا رفيعا منيعـا، صعبا شامخا بـاذخا، وأنبتك منبتا طابت أرومته، وعزت جـرثومته، وثبت أصلـه، وبسق فرعـه، فى أكـرم معدن وأطيب مـوطن. وأنت أبيت اللعن، رأس العرب الذى به تنقاد، وعمودها الذى عليه العماد، ومعقلها الذى يلجـأ إليه العباد، وربيعها الذى تخصب منـه البـلاد. سلفك خيـر سلف، وأنت فيهم خيـر خلف، ولم يخمل ذكـر من أنت سلفـه، ولن يهلك من أنت خلفـه. ونحن أيهـا الملك، أهـل حـرم الله، وسـدنـة البيت الحرام، أشخصنا إليك أيها الملك، الـذى أبهجنا من ذكر ما سرنـا من كشفك الكـرب الذى فـدحنا، والغم الـذى أقلقنا، والهم الـذى أكربنـا، فنحن وفـد التهنئة لا وفـد المرزئة فهـذا الـذى أرفـدنـا إليك أيهمـا الملك. قـال: وأيهـم أنت أيهـا المتكلم؟ قال أنـا عبد المطلب بن هـاشم بن عبد منـاف قال الملك: ابن أختنـا سلمى؟ قـال : نعم. قـال : ادن يـا عبـد المطلب. ثم أقبل عليه وعلى النفر الذين معه، فقال: مرحبا وأهـلا وسهلا، ونـاقـة ورحـلا، وملكا ربحـلا: يعطى عطـاء جـزلا، قـد سمع الملك مقـالكـم، وعلم كـلامكم، وعـرف قـرابتكم، وقبـل وسيلتكم، وأنتم أهل الليـل والنهـار، لكم الكرامة ما أقمتم، ولكم الحباء إذا ظعنتم. ثم نهضوا إلى دار الضيافة والوفود أقاموا بها شهرا لا يؤذن لهم بالوصول إليه، ولا الـوقوف بين يـديه ، ولا يـؤذن لهم بـالانصراف، وأجـريت عليهم الأرزاق والجرايـات، ثم انتبه لهم انتبـاهة، فأرسل إلى

عبد المطلب فأدنى منزله، وقرب مكانه من مكانه، وأكرم مجلسه. ثم إن سيف بن ذى يزن أقبل عليه وقال له: يا عبد المطلب، إنى مفض إليك من سر علمى، لو يكون غيرك لم أبح له به، ولكنى وجدتك معدنه فأطلعتك عليه، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله تعالى فيه، فإنه بالغ فيه أمره. إنى وجدت فى الكتاب المكنون والعلم المخزون، العلم الذى اخترناه لأنفسنا، واحتجزناه دون غيرنا، خبرا جسيما، وخطا عظيما، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة، ولك خاصة. فقال عبد المطلب: أيها الملك، مثلك من سر وبر وبشر، فما ذاك فداك أهل الوبر والمدر زمرا بعد زُمر؟ فقال سيف بن ذى يزن: إذا ولد غلام بتهمة، به علامة، كانت له الإمامة، ولكم بها الزعامة إلى يوم القيامة، يزيدكم الله به شرفا وفخرا، وجاها وقدرا قال عبد المطلب: أبيت اللعن لقد أبت بخير ما آب بمثله وافد، ولولا هيبة الملك وإعظامه لسألته من سروره إياى، ما أزداد به سرورا، فإن رأى الملك أن يخبرنى بإفصاح، فقد أوضح بعض الإيضاح. قال: خلته الذى يولد أو قد ولد، اسمه محمد، بين كتفيه شامة، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، وقد ولدناه مرارا، والله باعثه جهارا، وجاعل له منا أنصارا، ويعز الله بهم أولياءه، ويذل بهم أعداءه، ويضربون الناس دونه عن عرض، وسيفتح لهم كرائم الأرض. يعبد الرحمن، ويزجر الشيطان، ويكسر الأوثان، ويخمد النيران. قوله فصل، وحكمه عدل. يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله. يقول الحق، وينطق بالصدق، قال فخر عبد المطلب لله ساجدا. فقال له الملك: ارفع رأسك، فقد ثلج صدرك، وعلا كعبك، وارتفعت مرتبتك، وقرَّت عيناك، هل أحسست من أمره شيئا أو رأيت أثرا ياعبد المطلب؟ قال: نعم، يا أيها الملك، كان لى ابن، وكنت به معجبا وعليه حدبا رفيقا، فمن شدة حبى إياه، وإكرامى له، زوجته كريمة من كرائم قومى، اسمها آمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام سميته محمدا، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه، بين كتفيه علامة، أو قال شامة، وفيه كل ما ذكرت من العلامة.

قال له سيف بن ذى يزن: والبيت ذى الحجب، والعلامات على النصب، إنك لجده يا عبد المطلب، قول صدق غير كذب وإن الذى نطقت به كما قلت لك، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له عدو، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا. واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإنى لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون لك الرئاسة، فيبتغون لك الغوائل، وينصبون لك الحبائل، وهم فاعلون ذلك أو أبناؤهم، فكن على حذر منهم، ولولا أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لصرت بخيلى، حتى أصير بيثرب دار مملكته، فإنى أجد فى الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن يثرب بها استحكام أمره. وأهل نصرته منها، وموضع قبره فيها ولولا أنى أخاف عليه الرزايا، وأتقى عليه الآفات وأخشى عليه العاهات لأوطأت أسنان العرب كعبة، ولأعلنت على حداثة سنه بشرفه وقدره وذكره، ولكنى صارف ذلك بغير تقصير منه لمن معك من هؤلاء النفر. ثم أمر لكل واحد منهم بمائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر إماء. وعشرة أرطال من التبر، وعشرة أرطال من الفضة، وكرش مملوء من عنبر، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك. ثم قال: ائتنى بخبره وما يكون أمره عند رأس الحول، قال: فمات سيف بن ذى يزن رحمه الله قبل أن يحول، قال: فكان عبد المطلب يقول بعد ذلك: أيها الناس، لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك، فإنه إلى نفاد، ولكن ليغبطنى بما يبقى فى وفى عقبى من بعدى شرفه وذكره، ومحاسنه وفخره. فإذا قيل له: ما ذلك؟ فيقول: ستعلمون نبأه بعد حين؛ وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس:

جلبنا المدح تحمله المطايا
إلى أكوار أجمال ونوق

مغلغلة مرابقها تعالى
إلى صنعاء من فج عميق

تؤمُّ بنا ابن ذى يزن وتفرى
ذوات بطونها أم الطريق

وترعى فى مخايلها بروقا
توافقه الوميض إلى البروق

فلما وافقت صنعاء صارت
إلى ذى الملك والحسب الوثيق

إلى ملك أدر لنا العطايا
بحسن بشاشة الوجه الطليق

وكان فى الوفد أمية بن أبى الصلت الثقفى فقال فيه :

لا يطلب الثأر إلا كابن ذى يزن
فى البحر خيم للأعداء أحوالا
أتى هرقلا وقد شالت نعامته
فلم يجد عنده النصر الذى سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد سابعة
من السنين لقد أسرعت قلقالا
حتى أتى ببنى الأحرار يقدمهم
تخالهم فوق ظهر الأرض أجبالا
من مثل كسرى فتى دان الجنود له
ومثل وهرز يوم الروع إذ دالا
لله دَرُّهم من عصبة خرجوا
ما أن رأيت لهم فى الأرض أمثالا
بيضا مرازبة غلبا جحاجحة
أسدا تربت فى الغيضات أشبالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد
أمسى شريدهم فى الأرض فلَّالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا
فى دار غمدان دارا منك محلالا
قصر بناه أبوك القيل ذو يزن
فهل ترى أحدا نال الذى نالا
منطَّقا بالرخام المستزاد له
ترى على كل ركن منه تمثالا
أطل بالمسك إذ شالت نعامتهم
وأسبل اليوم فى برديك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فصارت بعد أبوالا

(ملوك حمير وأقيال اليمن / ١٤٩-١٥٦).

وقد وردت الأبيات بألفاظ مختلفة فى سيرة ابن هشام ونقلها فيما يلى ، وقد جاءت تحت عنوان شعر أبى الصلت : قال ابن إسحاق . وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى، قال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبى الصلت وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها :

١ - ليطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن
ريَّم فى البحر للأعداء أحوالا
٢ - يمم قيصر لما حان رحلته
فلم يجد عنده بعض الذى سالا
٣ - ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرة
من السنين يهين النفس والمالا
٤ - حتى أتى ببنى الأحرار يحملهم
إنك عمرى لقد أسرعت قلقالا
٥ - لله درهم من عصبة خرجوا
ما إن أرى لهم فى الناس أمثالا
٦ - بيضا مرازبة غُلبا أساورة
أسدا تربب فى الغيضات أشبالا
٧ - يرمون عن شُدُف كأنها غُبُط
بزمخر يعجل المرمى إعجالا
٨ - أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد
أضحى شريدهم فى الأرض فُلَّالا
٩ - فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا
فى رأس غُمدان دارا منك محلالا
١٠ - واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم
وأسبل اليوم فى برديك إسبالا
١١ - تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

قال ابن هشام : هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا آخرها بيتا قوله :

تلك المكارم لا قعبان من لبن

فإنه للنابغة الجعدى، واسمه : حبان بن عبد الله بن قيس، أحد بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، فى قصيدة له .

وفيما يلى شرح الأبيات كما ورد فى هوامش التحقيق للأستاذ طه عبد الرءوف سعد:

البيت: ١ ريَّم فى البحر. أى: أقام فيه، ومنه الروايم، وهى الأثافى، كذلك وجدته فى حاشية الشيخ التى عارضها بكتابى (أبى الوليد الوقشى)، وهو عندى غلط، لأن الروايم من رأمت إذا عطفت، وريم ليس من رأم، وإنما هو من الريم، وهو الدرج، أو من الريم الذى هو الزيادة والفضل، أو من رام يريم إذا برح، كأنه يريد: غاب زمانا وأحوالا، ثم رجع للأعداء، وارتقى فى درجات المجد أحوالا إن كان من الريم الذى هو الدرج، ووجدته فى غير هذا الكتاب: خيم مكان ريم، فهذا معناه: أقام. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٨٤

البيت ٤: عمرى. أراد: لعمرى وقد قال الطائى:

عمـرى لقـد نصح الزمـان وإنـه
لمـن العجـائب نـاصح لا يشفق

وأسرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها، وكقول الآخر: وقلقل يبغى العز كل مقلقل» وهى شدة الحركة.

البيت ٦: غلبا: شدادا. والأساورة: الرماة. والغيضات: جمع غيضة الشجر الكثير الملتف.

البيت ٧ «يرمون عن شُدُف كأنها غبط» الشدَف: الشخص، ويجمع على شُدُف، ولم يرد ههنا إلا القسى، وليس شدف جمعا لشدف، وإنما هو جمع شدوف، وهو النشيط المرح يقال: شدف، فهو شدف، ثم تقول: شدوف، كما تقول مروح، وقد يستعار المرح والنشاط للقسى لحسن تأتيها وجودة رميها وإصابتها، فيرمون عن شدف أى. يدفعون عنها بالرمى، ويكون الزمخر: القسى، أو النبل. والغبط الهوادج، والزمخر: القسب الفارسى.

البيت ٩: غمدان أسسه: يعرب بن قحطان، وأكمله بعده، واحتله: وائل بن حمير بن سبأ، وكان ملكا متوجا كأبيه وجده.

البيت ١٠: شالت نعامتهم، أى: هلكوا والنعامة: باطن القدم، وشالت: ارتفعت، ومن هلك ارتفعت رجلاه، وانتكس رأسه، فظهرت نعامة قدمه. تقول العرب: تنعمت إذا مشيت حافيا، قال الشاعر:

تنعمت لمـا جـاءنى سـوء فعلهم
ألا إنمـا البأسـاء للمتنعم

(السيرة النبوية ١ / ٥٨ ـ ٦٠).

(ملوك حمير وأقيال اليمن. قصيدة نشوان بن سعيد الحميرى، وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة ـ تحقيق على ابن إسماعيل المؤيد، وإسماعيل بن أحمد الجرافى / ١٤٨ ـ ١٥٦، والسيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ١ / ٥٨ ـ ٦٠).

*** الذئب:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان. قال عنه القزوينى:

الذئب حيوان كثير الخبث ذو غارات وخصومات ومكابرة وحيل شديدة وصبر على المطاولة وقلما يخطئ فى وثبته، وعند اجتماعها لا ينفر أحد منها إذ لا يأمن أحد على نفسه منها، وإذا نامت واجهت بعضها بعضا حتى قالوا ينام بإحدى عينيه وإذا أصاب أحدهما جراحة أكلته البقية، والأنثى أكثر فسادا من الذكر، وإذا عجز عن من يقاومه يعوى حتى يأتيه من يسمع عواءه يعاونه، وإذا مرض ينفرد عن الذئاب لعلمه بأنها إن علمت بضعفه أكلته، وإذا رأى مع الرجل عصا يفزع منه، ومن رمى إليه الحجر يتركه ومن رمى إليه النشاب لا يتركه، وإذا مرض أكل حشيشة تسمى جعدة يزول مرضه، وإذا دنا من الغنم يعوى ثم يذهب إلى جهة أخرى ليذهب الكلب إلى الجهة التى سمع منها العواء ثم يأتى يسلب الغنم والكلب بعيد عنه، ويأخذ بقفا الشاة ويضربها بذنبه حتى تعدو معه، وأكثر ما يأتى وقت طلوع الشمس لأنه يعلم أن الكلب طول الليل يحرس ولا ينام وفى ذلك الوقت يغلبه النوم، وزعموا أن الفرس لا تعدو خلف الذئب وإن ركضها الفارس تعثر، وإن وقع حافر الفرس على أثر الذئب تبلد خصره ويسحب قوائمه، وإن عض ذئب برذونا اشتد خصره وإن عض شاة طاب لحمها، ولا تتولد الحيوانات المؤذية فى صوفها، والذئب أشد الحيوانات شمًّا وإذا رمى الإنسان وشم منه رائحة الدم لا ينجو منه وإن كان أشد الناس قلبا وأتمهم قوة وسلاحا. قال الجاحظ: إن السباع القوية ذوات الرياسة لا تتعرض للإنسان إلا بعد الهرم والعجز عن صيد الوحش والجوع الشديد، والذئب ليس كذلك بل هو أشد السباع طلبا للإنسان. قال بليناس: إن وقعت عين الإنسان على الذئب

أولا استرخى الذئب وإن وقعت عين الذئب على الإنسان أولا استرخى الإنسان (عجائب المخلوقات / ٢٥٩).

وقال عنه الشيخ كمال الدين الدميرى وقد بسط الكلام عليه:

ذئب: يهمز ولا يهمز وأصله الهمزة والأنثى ذئبة وجمع القلة أذؤب وجمع الكثرة ذئاب وذؤبان ويسمى الخاطف والسيد والسرحان وذؤالة والعملس والسلق والأنثى سلفة والسمسام وكنيته أبو مذقة لأن لونه كذلك قال الشاعر:

حتى إذا جن الظلام واختلط

جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

ومن كناه الشهيرة أبو جعدة قال عبيد بن الأبرص للمنذر ابن ماء السماء ملك الحيرة حين أراد قتله

وقالوا هى الخمر تكنى الطلا

كما الذئب يكنى أبا جعدة

ضربه مثلا أى تظهر لى الإكرام وأنت تريد قتلى كما أن الخمرة وإن سميت طلاء وحسن اسمها فإن فعلها قبيح وكذلك الذئب وإن حسنت كنيته فإن فعله قبيح والجعدة الشاة وقيل نبت طيب الريح ينبت فى الربيع ويجف سريعا وسئل ابن الزبير عن المتعة فقال الذئب يكنى أبا جعدة يعنى أن المتعة حسنة الاسم قبيحة المعنى كما أن الذئب حسن الكنية قبيح الفعل، ومن كناه أبو ثمامة وأبو جاعد وأبو رعلة وأبو سلعامة وأبو العطلس وأبو كاسب وأبو سبلة ومن أسمائه الشهيرة أويس مصغرا ككميت ولحيف قال الشاعر الهذلى:

يا ليت شعرى عنك والأمر عم

ما فعل اليوم أويس بالغنم

ومن أوصافه الغبش وهو لون كلون الرماد يقال ذئب أغبش وذئبة غبشاء...

والأسد والذئب فى الصبر على الجوع ما ليس لغيرهما من الحيوان لكن الأسد شديد الهم حريص رغيب شره وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياما لا يأكل شيئا والذئب وإن كان أقفر منزلا وأقل خصبا وأكثر كدًّا إذا لم يجد شيئا اكتفى بالنسيم فيقتات به وجوفه يذيب العظم المصمت ولا يذيب نوى التمر... وإذا أراد العدو فإنما هو الوثب والقفز ولا يعود إلى فريسة شبع منها أبدا ومن عجيب أمره أنه ينام بإحدى مقلتيه والأخرى يقظى حتى تكتفى العين النائمة من النوم فيفتحها وينام بالأخرى ليحترس باليقظى ويستريح بالنائمة قال حميد ابن ثور فى وصفه فى أبيات مشهورة منها:

ونمت كنوم الذئب فى ذى حفيظة

أكلت طعاما دونه وهو جائع

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى

بأخرى الأعادى فهو يقظان هاجع

وهو أكثر الحيوان عواء إذا كان مرسلا فإذا أخذ وضرب بالعصى والسيوف حتى يتقطع أو يهشم لم يسمع له صوت إلى أن يموت وفيه من قوة حاسة الشم أنه يدرك المشموم من فرسخ وأكثر ما يتعرض للغنم فى الصبح وإنما يتوقع فترة الكلب ونومه وكلاله لأنه يظهر طول ليله حارسا متيقظا ومن غريب أمره أنه إذا اجتمع جلده مع جلد شاه تمعط جلد الشاة وأنه متى وطىء ورق العنصل مات من ساعته والذئب إذا كده الجوع عوى فتجتمع له الذئاب ويقف بعضها إلى بعض فمن ولى وثب إليه الباقون وأكلوه وإذا عرض للإنسان وخاف العجز عنه عوى عواء استغاثة فتسمعه الذئاب فتقبل على الإنسان إقبالا واحدا وهم سواء فى الحرص على أكله فإن أدمى الإنسان واحدا منها وثب الباقون على المدمى فمزقوه وتركوا الإنسان وقال بعض الشعراء يعاتب صديقا له وكان قد أعان عليه فى أمر نزل به.

وكنت كذئب السوء لما رأى دما

بصاحبه يوما أحال على الدم

روى البيهقى فى الشعب عن الأصمعى قال دخلت البادية فإذا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وجرو ذئب مقع فنظرت إليها فقالت أتدرى ما هذا قلت لا قالت جرو ذئب أخذناه وأدخلناه بيتنا فلما كبر قتل شاتنا وقد قلت فى ذلك شعرا قلت لها ما هو؟ فأنشدته:

بقرت شويهتى وفجعت قلبى

وأنت لشاتنا ولد ربيب

غذيت بدرها وربيت فينا

فمن أنباك أن أباك ذيب

إذا كان الطباع طباع سوء

فليس بنافع فيها الأديب

وهو إذا خافه إنسان طمع فيه وإذا طمع الإنسان فيه خافه ويقطع العظم بلسانه ويبريه برى السيف ولا يسمع له صوت ويقال عوى الذئب كما يقال عوى الكلب قال الشاعر

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى
وصوّت إنسان فكدت أطير

وقال آخر:

ليت شعري كيف الخلاص من النا
س وقد أصبحوا ذئاب اعتداء
قلت لما بلاهم صدق خبري
رضي الله عن أبي الدرداء

أشار إلى قول أبى الدرداء إياكم ومعاشرة الناس فإنهم ما ركبوا قلب امرىء إلا غيروه ولا جوادا إلاعقروه ولا بعيرا إلا أدبروه .

وروى السهيلى فى الكلام على غزوة أحد فى حديث مسند أنه قال لما ولد عبد الله بن الزبير نظر إليه النبى ﷺ وقال هو هو ورب الكعبة فلما سمعت أمه أسماء ذلك أمسكت عن إرضاعه فقال له النبى ﷺ أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو يقتلن دونه .

وروى ابن ماجه والبيهقى عن كعب بن مالك وقال حديث صحيح حسن أن النبى ﷺ قال ما ذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بأفسد لها من حرص الرجل على الماء والشرف لدينه وقد نص الله تعالى على ذم الحرص بقوله ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ [البقرة : ٩٦] وروى ابن عدى عن عمرو بن حنيف عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال «أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئبا فقلت أذئب في الجنة فقال أكلت ابن شرطى» قال ابن عباس هذا وإنما أكل ابنه فلو أكله رفع فى عليين وقد رأيته كذلك فى تاريخ نيسابور للحاكم في ترجمة شيخه على بن محمد بن إسماعيل الطوسى وهو حديث موضوع

وروى الحاكم فى مستدركه بإسناد على شرط مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينما راع يرعى بالحرة إذ عدا الذئب على شاة فحال الراعى بينه وبينها فأقعى الذئب على ذنبه وقال يا عبدالله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلى فقال الرجل واعجبا ذئب يكلمنى فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من هذا رسول الله ﷺ بين الحرتين يخبر الناس بأنباء ما قد سبق فزوى الراعى شياهه إلى زاوية من زوايا المدينة ثم أتى النبى ﷺ فأخبره فخرج رسول الله ﷺ فقال صدق والذي نفسى بيده .

فائدة : قال ابن عبد البر وغيره كلم الذئب من الصحابة ثلاثة رافع بن عميروسلمة بن الأكوع وأهبان بن أوس الأسلمى رضى الله تعالى عنهم قال ولذلك تقول العرب هو كذئب أهبان يتعجبون منه وذلك أن أهبان بن أوس المذكور وكان في غنم له فشد الذئب على شاة منها فصاح به أهبان فأقعى الذئب وقال أتنزع منى رزقًا رزقنيه الله تعالى فقال أهبان ما سمعت ولا رأيت أعجب من هذا ذئب يتكلم فقال الذئب أتعجب من هذا ورسول الله ﷺ بين هذه النخلات وأومأ بيده إلى المدينة يحدث بما كان وبما يكون ويدعو الناس إلى الله وإلى عبادته وهم لا يجيبونه قال أهبان بن أوس فجئت النبي ﷺ وأخبرته بالقصة وأسلمت فقال لى حدث به الناس قال عبد الله بن أبى داود السجستانى الحافظ فيقال لأهبان مكلِّم الذئب ولأولاده أولاد مكلم الذئب ومحمد بن الأشعث الخزاعى من ولده واتفق ذلك لرافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع انتهى .

وقال البخارى أنبأنا شعيب عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول بينما راع في غنمه إذ عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعى فالتفت إليه الذئب وقال من لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيرى وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه وكلمته فقالت إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم وبقرة تتكلم فقال النبي ﷺ آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر قال ابن الأعرابى السبع بسكون الباء الموضع الذي عنده المحشر يوم القيامة أراد من لها يوم القيامة وقيل هذا التفسير يفسد بقول الذئب في تمام الحديث يوم لا راعى لها غيرى والذئب لا يكون لها راعيًا يوم القيامة قيل أراد من لها يوم الفتن حين يتركها الناس هملا لا راعى لها نهبة للسباع والذئاب فجعل السبع لهاراعيا إذ هو منفرد بها ويكون حينئذ بضم الباء وهو إنذار بما يكون من الشدائد والفتن التى تأتى حتى يهمل الناس فيها مواشيهم وتتمكن منها السباع بلا مانع

وقال أبوعبيدة معمربن المثنى يوم السبع عيد كان لهم في الجاهلية يشتغلون فيه بلهوهم ولعبهم وأكلهم

فيجيء الذئب فيأخذها وليس هو بالسبع الذى يفترس الناس قال وأملاه أبو عامر العبدى الحافظ بضم الباء وكان من العلم والإتقان بمكان .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال « كانت امرأتان معهما ابناهما إذ جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت هذه لصاحبتها إنما ذهب بابنك أنت وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان فأخبرتاه بذلك فقال سليمان عليه الصلاة والسلام ائتونى بالسكين أشقه بينكما نصفين فقالت الصغرى لا ويرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى» قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه والله ما سمعت بالسكين قط إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية واستدل بهذا الحديث من جوز أن المرأة تستلحق اللقيط وأنه يلحقها لأنها أحد الأبوين . ونقله صاحب التقريب عن ابن سريج والأصح أنه لا يلحقها إذا استلحقته لإمكان إقامة البينة على الولادة بطريق المشاهدة بخلاف الرجل وفيه وجه ثالث يلحق الخلية دون المزوجة لتعذر الإلحاق بها دونه وإذا قلنا يلحقها بالاستلحاق وكان لها زوج لم يلحقه فى الأصح وليس المراد بالزوج من هى فى عصمته بل كونها فراشا لشخص لو ثبت نسب اللقيط منها بالبينة لحق صاحب الفراش سواء كانت فى العصمة أو فى العدة .

وروى الإمام أحمد والطبرانى بإسناد جيد أن النبى ﷺ قال «الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية إياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد» .

وفى تاريخ ابن النجار عن وهب بن منبه قال بينما امرأة من بنى إسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابها وصبى لها يدب بين يديها إذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبى فجعلت تعدو خلفه وتقول يا ذئب ابنى يا ذئب ابنى فبعث الله ملكا فنزع الصبى من فم الذئب ورمى به إليها وقال لقمة بلقمة وهو فى الحلية عن مالك بن دينار قال أخذ السبع صبيا لامرأة فتصدقت بلقمة فرماه السبع فنوديت لقمة بلقمة .

وروى الإمام أحمد فى الزهد عن سالم بن أبى الجعد قال خرجت امرأة وكان معها صبى لها فجاء الذئب فاختلسه منها فخرجت فى أثره وكان معها رغيف فعرض لها سائل فأعطته الرغيف فجاء الذئب بصبيها فرده عليها . قال ابن سعد كان موسى بن أعين راعيا بكرمان فى خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت الذئب والشاء والوحش ترعى فى موضع واحد فبينما نحن ذات ليلة إذ عرض الذئب لشاة فقلنا ما نرى الرجل الصالح إلا قد مات فنظرنا فإذا عمر بن عبد العزيز قد مات تلك الليلة وذلك لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر. وروى الإمام أحمد فى الزهد أيضا عن مالك بن دينار قال لما استعمل عمر بن عبد العزيز على الناس قال رعاة الشاء مَنْ هذا العبد الصالح الذى قام على الناس؟ قيل لهم وما أعلمكم بذلك قالوا إنه إذا ولى على الناس خليفة عدل كفت الذئاب والأُسد عن شياهنا .

الحُكْم : يحرم أكله لتقويته بنابه .

الأمثال : وصفته العرب بأوصاف مختلفة فقالوا أغدر من ذئب واختل وأخبث وأخون وأجول وأعتى وأعوى وأظلم وأجرأ وأكسب وأجوع وأنشط وأوقح وأجسر وأيقظ وأعق وألأم من ذئب وقالوا أخوك أم الذئب وقالوا أخف رأسا من الذئب لأنه ينام بإحدى مقلتيه كما تقدم . وقالوا فى الدعاء على العدو رماه الله بداء الذئب أى الجوع وقالوا : الذئب يكنى أبا جعدة كما تقدم . وقالوا من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم أى ظلم الغنم ويجوز أن يراد به ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس فى طبعه وأول من قال ذلك أكثم بن صيفى وقاله عمر رضى الله تعالى عنه فى قصة سارية بن حصن المشهورة وذلك أنه كان يخطب يوم الجمعة بالمدينة فقال فى خطبته يا سارية بن حصن الجبل الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم فالتفت الناس بعضهم إلى بعض ولم يفهموا مراده فلما قضى صلاته قال له علىٌّ كرم الله وجهه : ما هذا الذى قلته قال أوَسمعته قال نعم أنا وكل من فى هذا المسجد قال وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وظفروا وإن جاوزوه

هلكوا فخرج منى هذا الكلام فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا فى ذلك اليوم وفى تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت عمر رضى الله تعالى عنه يقول يا سارية بن حصن الجبل الجبل فعدلوا إليه ففتح الله عليهم كذا نقله فى تهذيب الأسماء واللغات وفى طبقات ابن سعد وأسد الغابة أنه سارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر وأنشدوا فى معنى هذا المثل هذا البيت

وراعى الشاء يحمى الذئب عنها

فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

كان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى يقول لعلماء الدنيا فى زمانه يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأثوابكم طالونية وأخفافكم جالوتية وأوانيكم فرعونية ومراكبكم قارونية وموائدكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين المحمدية (حياة الحيوان الكبرى ١/ ٣٢٦-٣٢٩).

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٥٩، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٣٢٦-٣٢٩. انظر أيضا المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٧٩، ١٨٠، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٦٤).

*** ابن أبى ذئب (٨٠-١٥٩):**

أدرجه الحافظ شمس الدين الذهبى فى الطبقة السادسة وقال عنه: محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب - واسم أبى ذئب: هشام بن شعبة - الإمام شيخ الإسلام، أبو الحارث القرشى، العامرى، المدنى، الفقيه.

سمع: عكرمة وشرحبيل بن سعد، وسعيدا المقبرى، ونافعا العمرى، وخلقا سواهم. وكان من أوعية العلم، ثقة، فاضلا، قوَّالا بالحق، مهيبا. حدَّث عنه ابن المبارك، وأبو نعيم، ووكيع، وخلق كثير. ولد سنة ثمانين، وكان من أورع الناس وأودعهم، ورُمى بالقدر، وما كان قدريًّا، لقد كان يتقى قولهم ويعيبه.

قدم ابن أبى ذئب بغداد، فحملوا عنه العلم، وأجازه المهدى بذهب جيد، ثم رد إلى بلاده، فأدركه الأجل بالكوفة، غريبا، وذاك فى سنة تسع وخمسين ومائة.

قال أحمد بن حنبل: وكان رجلا صالحا قوَّالا بالحق، يُشبَّه بسعيد بن المسيب، وكان قليل الحديث (تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ٢٥٢).

رُمى بأنه يروى عن الضعفاء.

وثقه: الواقدى، وأحمد، وابن معين، والنسائى، والخليلى، وابن حبان، وغيرهم، واحتج به الجماعة. قال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل من السابعة، أقدمه المهدى بغداد فحدث بها. ثم رجع يريد المدينة فتوفى بالكوفة سنة ١٥٨ هـ كما سبق القول. سمع من التابعين: عن نافع، وعكرمة. وسمع منه الثورى، ووكيع، والقطان، وابن المبارك، وروى له البخارى ومسلم، وله كتاب فى السنن (المبتكر / ٢٨٣، ٢٨٤).

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٢٥٢، والمبتكر الجامع لكتابى «المختصر والمعتصر» فى علوم الأثر - عبد الوهاب عبد اللطيف / ٢٨٣، ٢٨٤).

*** الذئبى:**

من استدراكات ابن الأثير على السمعانى:

استدركه اللباب وقال «بكسر الذال وسكون الياء المهموزة وبعدها باء موحدة - نسبة إلى ذئب بن عمرو بن حارثة بن عدى بن عمرو بن مازن بن الأزد، منهم سطيح الكاهن، وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدى بن الذئب - هذا قول هشام الكلبى، وقال الأمير ابن ماكولا: ذئب بن حجن القبيل الذى منه سطيح الذئبى الكاهن. وقد صحفه أبو سعد» يعنى المؤلف إذ قال فيه «الذنبى» والأمير ذكر فى الإكمال ٣ / ٣٩٣ عن ابن الحباب مثل قول ابن الكلبى ٣ / ٤٠٢ «سطيح الكاهن الذئبى من آل ذئب بن حجن» وهذا جاء فى الرجل المنسوب إلى عبد المسيح وربما كان «حجن» لقبا لأحد آباء ذئب، أو اسما لأمه.

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى / ١٩ هامش (٣) للمحقق)

*** الذَّيالى:**

قال السمعانى:

الذَّيالى: بفتح الذال المعجمة والياء المشددة المنقوطة من تحتها بنقطتين وفى آخرها اللام، هذه النسبة إلى الذيال، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه، وهو أبو على أحمد ابن محمد بن عبد الوهاب بن ثابت بن شداد بن الهاد بن الهدهاد المروزى المعروف بابن أبى الذيال مروزى الأصل بغدادى المولد والمنشأ حدث عن محمد بن الصباح الجرجرائى وأحمد بن إبراهيم الدورقى وعمر بن شبة وغيرهم. روى عنه أحمد بن محمد الجوهرى والحسين بن على بن مرزبان النحوى. وأبو العباس الفضل بن أحمد بن منصور بن الذيال الزبيدى الذيالى، من أهل بغداد، حدث عن عبد الأعلى بن حماد وأحمد بن حنبل وزياد بن أيوب روى عنه أبو الحسن الدارقطنى ويوسف بن عمر القواس، وكان ثقة مأمونا، ضرير البصر، مات بعد سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة.

(الأنساب للسمعانى ٣/ ١٩).

*** الذَّيْبَذوانى**

قال السمعانى:

الذيبدوانى: بكسر الذال المعجمة والياء ساكنة آخر الحروف والباء الموحدة المفتوحة والدال المهملة الساكنة والواو المفتوحة وفى آخرها الألف والنون، هذه النسبة إلى ذيبدوان، وهى إحدى قرى بخارى، منها أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الواحد بن أحمد بن أنوش الذيبدوانى البخارى، شيخ فاضل صالح، سمع أبا عمرو عثمان بن إبراهيم بن محمد بن محمد الفضلى، قرأت عليه وكتبت عنه جزءا.

(الأنساب للسمعانى ٣/ ١٩).

*** ذيل الأمالى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب.

من المخطوطات المصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى:

كلاهما لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى، والمتوفى سنة ٣٥٦ هـ.

أوله: أول الزيادة فى الأمالى، المعروف بالذيل، تأليف أبى على إسماعيل بن القاسم البغدادى رحمه الله. بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد. أول الزيادة. قال أبو على: حدثنا أبو بكر رحمه الله قال الرياشى عن محمد بن سلام قال: كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم إنى نظرت خمسين عاما فإذا أنا قد بلغت خمسين سنة، وأنت نحوى فى السن...

وآخره: قال: وحدثنا النيسابورى قال: حدثنا حاجب بن سليمان قال:

قال رسول الله ﷺ قال: من مطر... تمت الزيادة لأبى على إسماعيل بن القاسم البغدادى رحمه الله.

نسخة عتيقة جدا ونفيسة، كتبت سنة ٤٩٥ هـ، بقلم أندلسى كتبها محمد بن إبراهيم بن أحمد بن سعيد بن سعد، ضمن مجموعة من ١٣٦ جـ ١٦٧ ب ويلاحظ أن العنوان وضع قبل بدء الكتاب بأربع صفحات.

٣١ ورقة ١٥ سطر

(إسكوريال ١٦٦٧ / ٢).

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية. الأدب جـ١ ق ٣ القاهرة ١٩٨٠ / ٢٥٦، ٢٥٧).

*** ذيل تاريخ الإسلام:**

من المخطوطات العربية المحفوظة فى مكتبة تشستر بتى فى دبلن ـ أيرلندا، وجاء بيانه كما يلى:

الرقم التسلسلى: ١٤٠٠.

عنوان المخطوطة: ذيل تاريخ الإسلام

اسم المؤلف: الذهبى (محمد بن أحمد).

اسم الشهرة: الذهبى.

تاريخ الوفاة: ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٨ م.

تعريف بالمخطوطة: ذيل «تاريخ الإسلام» كتاب المؤلف فى حولياته الإسلامية.

عدد الأوراق: ١٤٣ ورقة، ٢٤ × ٥ ١٥سم

نوع الخط: نسخ معتاد متصل الحروف نوعا ما

تاريخ النسخ: (د. ت). تقديرا ق ٨ هـ/ ١٤ م.

المصدر: بروكلمان ، الملحق ٢ / ٤٥ .

(فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستربتى . دبلن، أيرلندا ـ أعده الأستاذ آرثر ج . آربرى . ترجمة د . محمود شاكر سعيد، راجعه د . إحسان صدقى العمد . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان الأردن . د . ت . رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية ٣٥٨/ ٤/ ١٩٩٣ ، ٢ / ٦٢٨).

*** ذيل تاريخ بغداد:**

من المخطوطات العربية المحفوظة فى مكتبة تشستر بتى فى دبلن ـ أيرلندا، وجاء بيانه كما يلى :

الرقم التسلسلى : ٣٧٥٤.

عنوان المخطوطة : ذيل تاريخ بغداد

اسم المؤلف : أبو إبراهيم، الفتح بن على بن الفتح البندارى الأصبهانى

اسم الشهرة : البندارى

تاريخ الوفاة : ٦٤٣ هـ/ ١٠٧١ م.

تعريف بالمخطوطة : مجلد من تكملة «تاريخ بغداد» معجم السير المشهور للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م).

عدد الأوراق : ١٠٠ ورقة ، ٢٥ × ٤ ١٦سم

نوع الخط : نسخ معتاد ممتاز

تاريخ النسخ : (د. ت) ، تقديرا ق ٨ هـ/ ١٤ م

المصدر : بروكلمان، الملحق ١ / ٥٦٣

(فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستر بتى، دبلدن / أيرلندا ـ أعده الأستاذ آرثر ج . آربرى . ترجمة د . محمود شاكر سعيد، راجعه د . إحسان صدقى العمد ١ / ٤٥٢).

*** ذيل تاريخ السمعانى:**

انظر : تاريخ مدينة السلام.

*** ذيل تارخ مدينة السلام :**

من مخطوطات التاريخ فى المجمع العلمى العراقى : لابن الدبيثى (ت : ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩ م).

جعله ذيلا على «تاريخ بغداد» لأبى سعد السمعانى، الذى ذيل به «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادى وهو فى أربع مجلدات .

سلم منه بعض أجزاء تنتهى إلى نهاية حرف العين تفرقت بين خزائن كتب ديار الشرق والغرب، منها :

الجزء الأول : فى خزانة كتب شهيد علي باستانبول . (برقم ١٨٧٠) ٢٤٦ ق، كتبت سنة ٦٣٥ هـ، أى قبل وفاة المؤلف بسنتين.

الجزء الأول : فى دار الكتب المصرية سمع على المؤلف سنة ٦١٧ هـ. ومنه نسخة مصورة فى خزانة كتب المجمع العلمى العربى بدمشق

وفى دار الكتب الوطنية بباريس ، الأجزاء الآتية :

الجزء الأول (برقم ٥٩٢١).

الجزء الثانى (برقم ٢١٣٣) كتب فى عصر المؤلف.

الجزء الثالث (برقم ٥٩٢٢) كتب سنة ٢٣٦ هـ . أى قبل وفاة المؤلف بسنة واحدة .

وقد انتسخ لنفسه الدكتور مصطفى جواد، نسخة من كل جزء من الأجزاء الثلاثة .

ومن الأجزاء الثلاثة فى باريس، مصورات فى خزانة كتب الدراسات العليا بكلية الآداب من جامعة بغداد (الأرقام ١٢٤٠ ، ١٥٧ ، ٥٧٤ ـ ٣٤١ ، ٣٥٠ ، ٤٤٦) راجع بشأنها («المورد» ٣ [بغداد ١٩٧٤] ع ٣، ص ٣١٩، ٣٢٠).

فى خزانة كتب جامع الزيتون بتونس نسخة تقع فى ٢٧٨ ورقة (برقم ٥٠٣٨).

أشار السخاوى (ت: ٩٠٢ هـ/ ١٥٩٧ م) («الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ»، ص ٢٥٤) إلى وجود نسختين من هذا الكتاب فى مكة، وثالثة عند السبط (لعله سبط بن العجمى) . لكننا لا ندرى اليوم مآل تلكم النسخ الثلاث!

بشأن نسخ «ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد» لابن الدبيثى، المخطوطة، راجع :

كوركيس عواد : («ما سلم من تواريخ البلدان العراقية» : المقتطف» ١٠٥ [القاهرة ـ نوفمبر ١٩٤٤] ع ٤، ص ٣٧٠ـ ٣٧٢ ، الرقم ٥).

د. مصطفى جواد : («تاريخ ابن الدبيثى» : «مجلة المجمع العلمى العراقى» [بغداد ١٩٥٠] ص ٣٣٠ـ ٣٣٦).

د. على جواد الطاهر: («ابن الدبيثى»: «مجلة المجمع العلمى العراقى» ٤ [بغداد ١٩٥٦] ج ١، ص ٢٧٥ - ٢٧٦): ضمن بحثه «مصادر دراسة - الشعر العربى - فى العراق وبلاد العجم: أواسط القرن الخامس - أواسط القرن السادس».

د. على جواد الطاهر: («الشعر العربى فى العراق وبلاد العجم فى العصر السلجوقى» ١ / ٣١ - ٣٢).

د. بدرى محمد فهد: «ابن الدبيثى وكتابه (تاريخ بغداد)»: («المورد» ٣ [بغداد ١٩٧٤] ع ٣، ص ٣١٧ - ٣٢٨).

د. بشار عواد معروف: «مقدمته» التى صدر بها («ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد» ص ٤٨ - ٦٤) يعنى بتحقيق «ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد» والتعليق عليه: د. بشار عواد معروف، وظهر منه: (المجلد الأول: منشورات وزارة الإعلام العراقية: سلسلة كتب التراث - ٣٦ - ، بغداد ١٩٧٤، ٣٦٥ ص).

وصدَّره بمقدمة (٧٣ ص) تناول فيها: ما قاله المؤرخون فى ابن الدبيثى، سيرته، نسخ الكتاب (المجلد الثانى: منشورات وزارة الثقافة والإعلام: سلسلة كتب التراث - ٨٤ - بغداد ١٩٧٩، ١٧٦ ص).

والدبيثى: نسبة إلى «دبيثا»: بفتح الدال على المشهور، وقيل بضم الدال: من قرى واسط الحجاج بالعراق.

وهو: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد الشافعى، المعروف بابن الدبيثى الواسطى.

ترجمته وأخباره فى: «الأعلام» ٧ / ١١، «معجم المؤلفين» ١٠ : ٤٠، «ما سلم من تواريخ البلدان العراقية» ص ٣٧٢، المقدمة التى كتبها: د. مصطفى جواد، وصدر بها - الجزء الثانى - من «المختصر المحتاج إليه» ص٣ - ٧، المقدمة التى كتبها: د. ناجى معروف، وصدر بها - الجزء الثالث - من «المختصر المحتاج إليه». (ص ٧ - ١٢)، (البحوث التى كتبها د. بشار عواد معروف بشأن «ابن الدبيثى وكتبه». راجع عنواناتها ومواطنها فى الحاشية (١): (ص ١٢) من مقدمة - الجزء الثالث - من المختصر المحتاج إليه) وما ورد من أبحاث، ذكرت فى الحاشية السابقة (رقم ١).

(الجزء الثالث)

أوله: «عبد الله بن عبد الله الرومى أبو الخير الجوهرى، عتيق جعفر بن سليمان الطيبى التاجر، كان يسكن درب حبيب، وكان خيرا حافظا لكتاب الله العزيز، قرأ على أبى العز محمد بن الحسين القلانسى الواسطى ببغداد لما قدمها فى سنة سبع عشرة وخمسمائة، وروى عنه حرف أبى عمرو بن العلاء، وأتى الناس به».

آخره: «ترجمة عدنان بن المعمر بن عدنان بن عبد الله بن المختار... ، من أهل الكوفة. قدم بغداد وسكنها مدة، وتولى بها نقابة العلويين بمشهد الإمام موسى بن جعفر...».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب جامعة كمبردج (برقم ١٦٩ .Mr, Add, 2924) بخط مشق اعتيادى.

١٨٤ ق + صفحة أخيرة فيها أدعية وأبيات من الشعر، ٢٥ س.

(٣١/ تاريخ).

(الجزء الثالث)

نسخة ثانية مصورة بالفتستات عن نسخة خزانة جامعة كمبردج

(٣٢/ تاريخ).

مخطوطات المجمع العلمى العراقى - دراسة وفهرسة. ميخائيل عواد ١ / ٢٦١ - ٢٦٣) انظر أيضا مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٢٣٨، ٢٣٩).

*** ذيل التاريخ لمدينة السلام، وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من علماء الأنام، وهو المعروف أيضا بالتاريخ المجدد لمدينة السلام:**

من مخطوطات التاريخ فى المجمع العلمى العراقى، لابن النجار (ت: ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥ م) وهو ذيل عظيم على تاريخ بغداد للخطيب. قال ابن شاكر الكتبى (فوات الوفيات ٢ / ٢٦٤): «صنف التاريخ الذى ذيل به على تاريخ الخطيب، واستدرك فيه على الخطيب، فجاء فى ثلاثين مجلدا، دل على تبحره فى هذا الشأن وسعة حفظه».

وذكر ابن كثير (البداية والنهاية ١٣ / ١٦٩) أنه أكمله فى ستة عشر مجلدا. وقال الحاج خليفة (كشف الظنون ١ / ٢٨٨): إنه يتم فى ثلاثين مجلدا، وأنه رأى المجلد السادس عشر فى حرف العين، يذكر تراجم الرجال كالطبقات.

وقالت ياقوت الحموى (معجم الأدباء ٧ / ١٠٣) إن لابن النجار «التصانيف الممتعة، منها تاريخ بغداد، ذيل به تاريخ

مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، واستدرك فيه عليه، وهو تاريخ حافل دل على تبحره في التاريخ وسعة حفظه للتراجم والأخبار».

كان منه نسخة في خزانة كتب السيد علي آل طاووس (المولود سنة ٥٨٩ هـ، والمتوفى سنة ٦٦٤ هـ) راجع مجلة المجمع العلمي ٣ بغداد ١٩٦٦ ، ص ٢٧٨).

وحكى السخاوي (الإعلان بالتوبيخ ص ٢٥٤): أنه وقف على نسخة منه في سبع عشر مجلدا، بخط الجمال بن الظاهري في الأوقاف التي بجامع الحاكم، وأن بعضه فُقد.

لقد ضاع أغلب تاريخ ابن النجار، وغاية ما انتهى إلينا:

المجلد العاشر ــ بأقسامه الأربعة ــ في دار الكتب الظاهرية بدمشق (برقم ٤٢ تاريخ) ومنه مصورات في مكتبة المجمع العلمي العراقي ـ وهي هذه الأقسام الأربعة التي بين أيدينا وعن المصورات هذه، نسخ المرحوم الدكتور مصطفى جواد (ت : ١٩٦٩). لنفسه نسخة بخطه. وقد أجرى فيها تصحيحات وردت في الأصل. وقد وقعت نسخته في ٢٣٨ صفحة كبيرة.

مجلد في دار الكتب الوطنية بباريس (برقم ٢١٣١) لعله أن يكون المجلد السادس عشر وجانبا من السابع عشر.

وقد انتسخ المرحوم الدكتور مصطفى جواد نسخة لنفسه، وفي آخرها ما نصه: «آخر المجلد الثالث والعشرين من الأصل، من التاريخ المجدد لمدينة السلام، وهو آخر المجلد الحادي عشر من هذه النسخة، يتلوه أول المجلد الرابع والعشرين من الأصل أول الجزء: الفضل بن محمد بن عبد الله العطار». هذان المجلدان لم يطبعا.

ومن نسخة باريس، مصورة بالفتستات في خزانة الدراسات العليا بكلية الآداب من جامعة بغداد (برقم ٥٧٥)، كتب في صفحة العنوان، أنه «جزء أخير من تاريخ الخطيب» وهو غلط.

نسخة ثانية أيضا (برقم ١٢٣٩).

قطعة منه كانت في خزانة دير الآباء الكرمليين ببغداد. بخط الثلث الجيد، على ورق أبيض صقيل. أوله «إبراهيم ابن أحمد أبي المفاخر الأزجي أبو إسحاق الخياط المنعوت بالبرهان ...».

آخره «حرف الذال المعجمة: ذو الفقار بن محمد أشرف ابن أبي جعفر محمد أبي الصمصام بن الحسن.

(٢٠ ص، ٢٠ س، ٢١ × ١٤ سم).

وفي تعليق كتبه كوركيس عواد على بحثه الموسوم («ما سلم من تواريخ البلدان العراقية»: المقتطف ١٠٥ [القاهرة ـ نوفمبر ١٩٤٤] ع ٤ ، ص ٣٧٣) قال: «ذكر لي الشيخ إبراهيم الدروبي والأستاذ عباس العزاوي، أنهما وقفا على نسخة كاملة في مجلد ضخم من (ذيل تاريخ بغداد) : لابن النجار. وقد كتبت هذه النسخة في مكة سنة ٨١٢ هـ. وكانت لدى أحمد ونه . وعائلة ونه من البيوت البغدادية المعروفة.

ثم اختفت تلك النسخة ولم يوقف لها على أثر».

راجع بشأن نسخه المخطوطة: («مجلة المجمع العلمي العراقي» ٤ [بغداد ١٩٥٦] ج ١ ، ص ٢٧٧ ــ ٢٧٩) ، و(«الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي» ١ : ٣٤ـ٣٥).

طبع «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار، في مجلدين (حيدر آباد ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩).

وقد جاء بيان المخطوط وتعالى :

المؤلف: ابن النجار (ت : ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) (هو محمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، أبو عبد الله، محب الدين بن النجار : مؤرخ حافظ للحديث . من أهل بغداد. مولده ووفاته فيها. رحل إلى الشام ومصر والحجاز وفارس وغيرها. واستمر في رحلته ٢٧ سنة، وقف كتبه بالنظامية. صنف جمهرة من التآليف. طبع بعضها . ترجمته وأخباره في («الأعلام» ٧ / ٣٠٧، ٣٠٨). («معجم المؤلفين» ١١ / ٣١٧). وما ذكراه من مراجع بشأنه).

(المجلد العاشر: القسم الأول : ق ١ـ١٠٨)

أوله: «البسملة ... ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت».

«ذكر إلينا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن النجار البغدادي منها، قال: عبد المغيث بن زهير... ».

آخره: ترجمة (عبد الواحد بن محمود بن محمد بن علي ابن سعترة ...) : «أنشدني محمد بن سعيد الحافظ ، قال: أنشدنا أبو الفتح عبد الواحد بن محمود بن سعترة لنفسه» وقع تقديم وتأخير في موطنين، عند تجليد القسم الأول هذا، أشار إليه الدكتور مصطفى جواد على غلافه. في صفحة العنوان ، أسماء أشخاص تملكوا النسخة. قال أحدهم: «اشتريت هذا

الكتاب من تركة المرحوم حسين أفندى المعتدل الشهير ناجى زاده».

و «من كُتُب المرادية».

و «نسخ عليه مرتين صادق فهمى المالح سنة ١٣٢٨ ـ ١٣٣٠».

(٢٧/ تاريخ)

(المجلد العاشر: القسم الثانى: ق ١٠٩ ـ ٢١٨)

أوله: تتمة الترجمة التى وردت فى آخر (القسم الأول).

«وأمرٌ من موتى علىَّ بُعادكم
وبُعادكم عندى أشر وأوجع
لا تشمتوا منى العدو وبينكم عطفا على قلب يخاف ويطمع

سألت عبد الواحد بن سعترة عن مولده، فقال فى سنة ثلاثين وخمسمائة، ...».

آخره: ترجمة (عبد الله بن محمد بن نعيم أبو محمد القحطانى الكاتب): «... قال: أنبأنا أبو محمد عبيد الله ابن محمد بن نعيم القحطانى الكاتب، أنبأنا أبو يعلى زكريا ابن يحيى بن خلاد المنقرى، أنبأنا الأصمعى، أنبأنا حماد ابن زيد، قال: سمعت يونس بن عبيد الله يقول يوشك».

(٢٨/ تاريخ).

(المجلد العاشر: القسم الثالث: ق ٢١٩ ـ ٣٢٨).

أوله: تتمة الترجمة التى وردت فى آخر (القسم الثانى): «لعينك أن ترى ما لم تر، ويوشك لأذنك أن تسمع ما لم تسمع ...»

آخره: ترجمة (على بن أحمد بن على بن الحكم أبو الحسن الحامدى بالحاء المهملة: «... حدثنا مروان بن معاوية، عن الحسن بن عمرو، عن معاوية بن إسحاق، عن جليس له بالطائف، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ، قال: إن الله عز وجل لما ذرا لجهنم من ذرا كان».

(٢٩/ تاريخ).

(المجلد العاشر القسم الرابع: ق: ٣٢٩ـ٤٣٣)

أوله: تتمة الترجمة التى وردت فى آخر (القسم الثالث): «فى الجاهلية إذا ولد لها ولد لم يعيش [كذا] لها. فلما ولدت أبا بكر جاءت به إلى الكعبة وقالت ...».

آخره: ترجمة (على بن الحسين بن الحسن بن الدنيسر الإسكاف أبو الحسن المقرئ الحنبلى، من ساكنى المأمونية). يليها:

«آخر المجلد العاشر من هذه النسخة، وهو آخر المجلد العشرين من الأصل. ويتلوه فى الذى يليه إن شاء الله تعالى: على بن الحسين بن أبى الحمرا. والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، ولله الحمد والمنة، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير».

يليها، بخط متأخر:

«طالع هذه النسخة ونسخ عليها جميعها من أول لفظة إلى آخر لفظة، بعون مولاه المانح محمود صادق ابن السيد أمين المالح، الكاتب فى المكتبة العمومية بدمشق. رحمه الله والمسلمين ١٧ شعبان سنة ١٣٣٠ وقبلا سنة ١٣٢٨».

المجلد العاشر، بأقسامه الأربعة (٤٣٣ ق، ٢٧ س) مصورة بالفتغراف عن نسخة خطية فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (برقم ٤٢ تاريخ) بخط النسخ، والعنوانات بخط الإجازة.

(٣٠/ تاريخ)

(مخطوطات المجمع العلمى ـ دراسة وفهرسة ميخائيل عواد ١/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠، انظر أيضا مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١/ ٢٣٧، ٢٣٨).

* ذيل تحسين الإشارة:

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أوبمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى الرقم ٦٤١٤. تأليف: على بن سلطان القارى الهروى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ/ ١٦٠٦ م.

وهى ذيل على الرسالة التى ألفها المؤلف فى تحقيق مسألة الإشارة بالمسبِّحة.

وفيها يرد المؤلف على من رد قوله وفتواه فى تلك المسألة.

أولها: الحمد لله الذى دل على الخير وهدى، وأمر بما

فيه صلاح الأمر . . . أما بعد : فبعدها كتبت رسالة مشتملة على تحقيق مسألة الإشارة بالمسبحة فى الصلاة حال الشهادة فى القعدة، وبينت أنها ثابتة بأحاديث وردت فى السنة . . . كتب إلىَّ بعض علماء زماننا . . . إنى طالعت الرسالة المذكورة . . . لكن وقعت لى شبهة فى الظاهر وأريد دفعها .

آخرها : فعليك بمتابعة السنة والاقتداء برواية الأئمة، وإياك والنظر إلى خُلف الخلَف مع مخالفتهم للسلف . هدانا الله تعالى وإياكم إلى الطريق المستقيم . . . وبلغنا المقام الأسمى .

نسخة جيدة، ضمن مجموع فيه عدة رسائل للقارى .

الخط نسخ معتاد، كتب سنة ١١١٩ كما جاء فى آخر المجموع . [٩٥ـ١٠١]ق ١٣ س ١٨×١٢ سم

المراجع : معجم المؤلفين ٧/ ١٠٠، هدية العارفين ١/ ٧٥٢ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٣٤٧، ٣٤٨) .

انظر مادة «تزيين العبارة لتحسين الإشارة» فى م ٩/ ٣١٩، ٣٢٠ .

*** ذيل التذكرة:**

انظر: ذيل تذكرة أولى الألباب .

*** ذيل تذكرة أولى الألباب:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب والصيدلة مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى تحت عنوان «ذيل التذكرة» : الرقم ٢١٥٩٧ .

قيل إنه لأحد تلاميذ الأنطاكى ولم يذكر اسم المؤلف

الأول (نحمدك اللهم حمد العارفين بوحدانيتك المعترفين بربوبيتك الخاضعين لعظمتك المعتبرين بحكمتك . . .) .

وهو ذيل على تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب لداود الأنطاكى .

نسخة جيدة ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى والقسم الأخير منها مكمل بخط أحدث من الأصل . وتختلف هذه النسخة عن النسخة المطبوعة وفيها بعض الزيادات .

القياس ٤٠٦ ص ٢٦,٥×١٦ سم ٣٤، ٢٤ س

طبعت بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٤م

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة / ١٢٥، ١٢٦) .

وقد طبعته شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر (الطبعة الأخيرة ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م، وهى التى عندى) فى نهاية الجزء الثانى من كتاب تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى (ص ٢ ـ٢٠٤) وجاء فى أوله ما يلى بعد الآية ٢٦٩ من سورة البقرة ثم البسملة :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

هذا آخر ما وقع أعين الناظرين عليه، واشتهر نقصها بالتصريح والإشارة إليه، وذلك إما من اغتيال بعض الحسدة على جل مفرداتها من مظهر بكارتها أو لعدم البحث والاعتناء بهذا العلم العظيم لقصور الهمم فى هذا القطر من القيام بوظيفة التعلم والتعليم .

فلما كان من فضل الله ما كان، ورقم الواهب قطرة من هذا العلم فى الأكوان، وفاض من بحر جوده على الدواء بدفع الداء معه فى العلاج فكان أعظم برهان على وجود الفرد القادر والمنان شرعت فى نسج حروف على ذلك المنوال مراعيا الترتيب على تتمة حروف أبجد وليست خارجة عن تسطير من رقى أعلى مراتب الكمال واشتهر علمه فأرَّج الأرجاء والأقطار وقطعت الأفاضل للأخذ عنه البرارى والقفار وتركوا لذلك الأهل والوطن وهجروا لأجله الأخلاء والسكن وحيد الدهر والزمان وفريد العصر والأوان الممدود من الله بالفضل المبين الزاكى سيدنا ومولانا الشيخ داود الحكيم الأكمه الأنطاكى، فأخذت من معتمدات المجربات والكتب المشهورة الخواص وخصوصا الكتب المقطوع بصحتها ظانا أن ذلك مقبول لدى الملك الوهاب لكونه فيه النفع للخاص والعام وللحث عليه فى أحاديث كثيرة تقدم الكلام عليها فى مسطرات الشيخ فكان من فضل الله جاريا مجرى الخواص لأنه رحمه الله تعالى أجهد وسعه فى بذله وإبرازه مع الخلوص فى مرضاة الله فجاء بفضل الله مطابقا للواقع على وجه طبيعى يفيد اليقين بصحته وفيه من الرقى والطلسمات والقلقطاريات ما ستراه فثق به فإنه من جمع العلماء الأعيان وكذا الموسيقى لأنه جزء من الطب والسيميا لأن لها دخلا فيه أيضا وما له

مدخل غير محتاج إليه كعلم الرمل فإنى أتيت ببعض أصوله وجعلت ذلك كتابا مستقلا حاويا لجميع شروط العلاج مكررا فيه ما سبق من مفردات ما قبله خوفا من اقتطاع هذا الجزء عنه ليكون كاملا ينتفع به ولا يحصل للآخذ منه مراجعة لغيره وبدأته بخطبة لطيفة لحديث «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر وفى رواية بالحمد لله، وفى رواية بذكر الله» والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به الخلق أجمعين.

تنبيه: نذكر فيه كلمات سطرت عن الشيخ فى بعض مواطن ذكرها الشيخ على سبيل الحكاية أو على فقد غيرها إذا لم يوجد كقوله فى الخمر مفرح لا يوجد مثله محمول على إنقاذ الروح حيث لم يوجد ما لا ينقذ الروح غيره كإساغة اللقمة به وكقوله ينفع لكذا مراعيا فيه بإذن الله تعالى وإن لم يصرح به وكقوله فى الطلاسم افعل لى كذا وأما قوله واسجد فمدسوس عليه أو على سبيل الحكاية كما تقدم أو يؤوّل فلا تعتد يا أخى بما ذكر فى حقه من الإلحاد وغيره، ولتعلم يا أخى وتعتقد أن الأدوية والأغذية وسائر المفردات والمركبات ليس فى طبعها ولا قوتها أن تجلب نفعا ولا تدفع ضررا وإنما الله سبحانه وتعالى هو الفاعل المختار والنافع الضار يحدث عند تعاطيها النفع والضرر عادة وقد تتخلف ولا يجوز تعاطيه لغير إسلامى لأنه مشتمل على أحاديث كثيرة ولا يجوز إعارتها ولا مطالعتها له لأنه من الكبائر.

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمدك اللهم حمد العارفين بوحدانيتك، المعترفين بربوبيتك، الخاضعين لعظمتك المعتبرين بحكمتك، خلقت الإنسان وفضلته على سائر الحيوان وجعلته زبدة عالم الكون والفساد وركبته من جوهرين متضادين أحدهما ملكى روحانى وهو النفس الناطقة والثانى الجسم الحيوانى القريب من الاعتدال والموافقة وكلفته إذ أهَّلته أن يكون محلا لكل علم وبرهان خلقت كل الخلق قبله وخلقته أخيرا ومنحته بكل كمال فصار عليما بصيرا خلقته سبحانك من قدوس سبوح وخلقت كل شىء من أجله إذ كان ذا جسم ونفس وروح، وحبوته مذ خلقته بأفضل الهبات فاستنبط به سائر المهن والصناعات وميزته بالمعقولات والمحسوسات وخصصته بالعلوم الثلاث المبرهنات وهى الرياضى والطبيعيات والإلهيات يندرج تحت كل علم منها عدة علوم وكان أشرفها بعد العلم الإلهى الشريف العلم المكتوم وهو العلم الموسوم بالطب الذى شرفه الله تعالى وجعله ذا شأن ورفعة وكيف لا يكون شريفا فى نفسه وهو كنز الله تعالى الأعظم فى الأرض وسره الأكبر لأنه مقدم على سائر العلوم لكونه حافظا للصحة التى مدار كمال قيام العبودية عليها على الوجه الطبيعى لأن أقصى ما طلبه أصحاب هذا العلم الوقوف على أسرار الخليقة والتشبه بأفعال الطبيعة حتى حدوا حدودا فى الجمع بين العناصر المتمازجة الأقطار المتحاولة القوى والكسر لتساويهما بتعديل الأمزجة التى ترد الأطراف إلى الأوساط ويكمل بهما فعل القوى والخواص وإخراج جميع ذلك من المعدن والنبات والحيوان من القوة إلى الفعل وإبرازه إلى الوجود من هوية العدم والدلالة على الفائدة العظمى وتحقيق البعث ورد الأرواح إلى الأجساد بعد انحلال التركيب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة خالصة عن شوائب التجسيم، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا ﷺ المبعوث للخلق كافة بالترغيب والترهيب وعلى آله وأصحابه وعترته الذين شيدوا الدين بعد ما كان غريب [غريبا] (تذكرة أولى الألباب ٢/ ٢، ٣).

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى / ٢٥، ١٢٦، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ٢/ ٢، ٣).

*** ذيل تذكرة الحفاظ للذهبى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث النبوى وعلومه ورجاله. لابن حمزة الحسينى.

١- الظاهرية ٢٥٥ [حديث ٣٧٤] (و١ -٢٢)- ٩٤٤ هـ

٢- دار المخطوطات— صنعاء ٢٩ [دون]— [٥٦ و] ضمن مجموع -١١٨٣ هـ.

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف. مؤسسة آل البيت (مآب) المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية. عمان. الأردن ٢/ ٧٩٧).

*** ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله من مخطوطات دار الكتب المصرية التى اقتنتها من سنة ١٩٣٦ -١٩٥٥ .

تأليف تقى الدين أبى الطيب محمد بن أحمد بن على بن محمد المعروف بالفاسى (٧٧٥ ـ٨٣٣ هـ).

أوله: الحمد لله على إحسانه الجزيل والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الهادى لكل أمر جميل . . . إلخ.

جمع فيه كل من علمه روى شيئا من كتب السنة كالموطأ والصحيحين والسنن الأربعة وباقى الكتب الستة . . . إلخ.

وجعله ذيلا لكتاب ابن نقطة الذى سماه «التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد».

ـ نسخة فى مجلد مصورة عن نسخة خطية بقلم معتاد كتبت سنة ١١٢٨ هـ وهى فى ملك السيد عبد الله الصديق الفاسى المراكشى فى ٣١٧ لوحة كل لوحة ذات شطرين ومسطرتها مختلفة. [٢٠٨٨٦ ب].

ـ نسخة ثانية كالسابقة فى مجلدين مصورة بالفوتوستات فى ٣١٨ لوحة. [٢٤٢٦٧ ب]

(فهرست المخطوطات/ ٣٤١، ٣٤٢)

وورد بيانه فى الفهرس الشامل كما يلى، تحت الرقم التسلسلى ٥١:

٥١ ـ ذيل التقييد بمعرفة رواة السنن والأسانيد ـ التقى الفاسى.

١ـ دار الكتب ـ القاهرة (قسم حماية التراث) ١/ ٢٢٢ [١٩٨] ـ (١٩٤و) ـ ٨٦٦ هـ.

(الفهرس الشامل ٢/ ٧٩٧).

(فهرست المخطوطات نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ . تصنيف فؤاد سيد القاهرة. مطبعة دار الكتب ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م، ق ١/ ٣٤١، ٣٤٢، والفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢/ ٧٩٧).

*** ذيل (تكملة) مجمع بحار الأنوار:**

ذيل (تكملة) مجمع بحار الأنوار ـ الفتنى (محمد طاهر الصديقى).

١ـ رضا / رامبور ١/ ٥٨٦ [M. 795 (1108)]

ـ (١٨٧ و) ـ ق ١٢ هـ.

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله ٢/ ٧٩٨).

*** ذيل تواريخ الحافظ الذهبى والبرزالى وابن كثير:**

ذيل تواريخ الحافظ الذهبى والبرزالى وابن كثير: لأبى بكر ابن أحمد بن عمر بن محمد ابن قاضى شبهة الأسدى من سنة ٧٤١ إحدى وأربعين وسبعمائة أوله: الحمد لله مميت الأحياء ومحيى الأموات... إلخ.

(كشف الظنون ١/ ٨٢٩).

*** ذيل الجامع الصغير من حديث البشير النذير:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث والمصطلح. تأليف جلال الدين عبد الله بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١. كتب فى سنة ٩٥٥ بخط محمد محمد بن أيوب العمرى.

[الظاهرية ١٧٩ حديث ١٦١ق ٢٦×١٨ سم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١/ ٨٠).

*** ذيل حرز الأمانى ووجه التهانى «الشاطبية»:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم القراءات مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٣١٦.

المؤلف: مجهول:

فاتحة الرسالة: الحمد لله حمدا يرتضيه والصلاة على نبينا محمد وذويه، وبعد فإنى نظمت قراءات الثلاثة فى نهج عجيب، وأسلوب غريب لمن حفظ كتاب حرز الأمانى . . .

خاتمة الرسالة: وإن كان خلف مثله لأنه موافق، وقد أذكر الوجهين لهذا المعنى نحو لا تسل، ذكرناهما للمخالفة فيهما فافهمه واعتبره تجد الصواب موفقا إن شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أوصاف المخطوطة: كتب الذيل فى نهاية جمع الأصول فى مشهور المنقول فى القراءات العشر للقلانسى، كتبت بخط نسخى جيد وناسخها هو ناسخ جمع الأصول وقد كتب فى سنة ٨٠٨ هـ. خرم الكتاب فذهبت المنظومة وبقيت المقدمة، فى آخرها سماع بالقراءة كتبه زين الدين الواسطى المقرئ بجامع واسط.

ق	م	س
٢ (٣٢١_٣٢٢)	٢٣,٥×١٤	١١

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : علوم القرآن الكريم ـ المصاحف ـ التجويد ـ القراءات ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦).

*** ذيل درر العبارات وغرر الإشارات فى تحقيق معانى الاستعارات:**

من نفائس المخطوطات العربية فى المكتبة الوطنية فى تونس، وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٤١٩٨ م.

ذيل درر العبارات وغرر الإشارات فى تحقيق الاستعارات لأحمد بن محمد مكى الحسينى الحنفى آ ١٠٩٨ يوجد بالقاهرة وسليم وفلورنسا. بروكلمان ج٢ ص٣١٥ وم٢ ص٤٣٣ فهرس أسماء المؤلفين ج ١ ص١٦٥

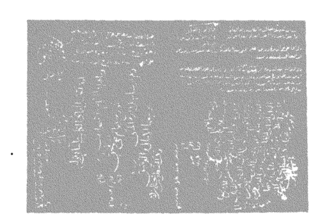
(«نفائس المخطوطات العربية فى المكتبة الوطنية بتونس» ـ تعليق وتقديم ومراجعة هلال ناجى مجلة معهد المخطوطات العربية جـ ١ م ١٨. ربيع الثانى ١٣٩٢ هـ مايو ١٩٧٤ م/ ٦١).

*** ذيل الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة:**

مخطوط. لابن حجر العسقلانى.

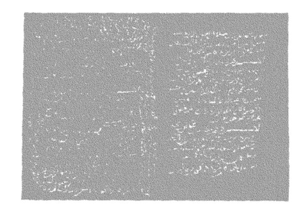
الفاتيكان/ ثالث (بروك م ٢/ ٧٤).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن



ظهر جلد الكتاب وبه خط ابن قاضي شهبة وخط ملكه مصطفى بن محب الدين

طرة الكتاب وعليها خاتم الوقف وخط ابن قاضي شهبة وخط مالك النسخة



نموذج من الصفحات التي كظت هوامشها بإضافات المؤلف

٧٩٧/٢ انظر أيضا «ذيل الدرر الثامنة» لابن حجر العسقلانى ـ دراسة وتعريف محمد كمال الدين عز الدين. مجلة معهد المخطوطات العربية. إصدار جديد ـ الكويت. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. المجلد الثامن والعشرون. شوال ١٤٠٤ هـ ـ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ـ يونيو ـ ديسمبر ١٩٨٤ م ٢/ ٥٦٥ ـ ٥٧٦).

قالت المؤلفة: النسخة التى عندى تحقيق د. عدنان درويش، طبع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومعهد المخطوطات العربية. القاهرة ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م، وتقع فى ٣٢٨ صفحة، والفهارس من ٣٢٩ إلى ٤٤٩.

*** ذيل ذيل الأمالى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب.

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى :

لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى، كالمتوفى سنة ٣٥٦ هـ

أوله : آخر الزيادة [زيادة] فى الأمالى المعروفة بذيل الذيل التى بتمامها تمت الزيادات أجمع تأليف أبى على رحمه الله ونضّر وجهه، بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد. قال أبو على وأخبرنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال: أخبرنا سعيد بن عامر عن جويرية ابن أسماء قال: حدثنا أزاد... معاوية ... البيعة ليزيد كتب

إلى مروان وهو على المدينة فقرأ كتابه وقال إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه ودق عظمه ...

وآخره:

عليك سلام الله ما خلا شارق

وغرد في الأيك الحكام المغرد

تم الجزء الثالث من الزيادة فى الأمالى، لأبى على، وهو الجزء السادس من ابتداء الذيل وبتمامه تم جميع التأليف والحمد لله حمدا كثيرا وطاهرا ... وصلى الله على محمد.

نسخة نفيسة، بقلم أندلسى، كتبها محمد بن إبراهيم بن أحمد سنة ٤٩٥ هـ ضمن مجموعة من ورقة ١٦٨ جـ-١٨٠ أ و يلاحظ أن العنوان جاء قبل بدء الكتاب بأربع صفحات كما جاء بعد نهايته ورقة ونصف صفحة كتب فى أولها هذا العنوان : هذه الزيادة فى نسخة أخرى ولا أظنها إلا من جملة ما زاد أبو على. وجاء على الصفحة الأخيرة وهى بيضاء: النوادر لأبى على من الأدب.

١٣ ورقة ١٥ سطرا

(إسكوريال ١٦٦٧ / ٣).

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية. الأدب جـ١ ق ٣ القاهرة ١٩٨٠ م/ ٢٥٧، ٢٥٨).

*** ذيل رفع الإصر عن قضاة مصر:**

مخطوط ورد ذكره فى الفهرس الشامل كما يلى، تحت الرقم التسلسلى ٥٣ :

٥٣ ذيل رفع الإصر عن قضاة مصر السخاوى.

١ - الوطنية باريس (دى سلان) ٣٨١.

[2150]-(١١٣)-(بروك ٢ / ٨٣).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله، مؤسسه آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨).

*** ذيل شرح منظومة البيقونى.**

من مخطوطات الحديث والمصطلح. ورد بيانه فى الفهرس الشامل كما يلى، تحت الرقم التسلسلى ٤٥ : ذيل شرح منظومة البيقونى - مجهول.

١ - أسعد أفندى ٢٦٢ [٣٦٣١ (مجاميع)]

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨).

*** ذيل الشقائق النعمانية:**

من مخطوطات التاريخ فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وجاء بيانه كما يلى

للمولى بير محمد الشهير بعاشق جلبى بن على بن زين العابدين النطاع البغدادى، المتوفى سنة ٩٧٩ هـ.

(بروكلمان ٢ / ٤٢٦).

أوله: «الحمد لله الذى نزل الفرقان وتولى حفظه».

وآخره: «وكان صاحب أخلاق حميدة وكرم ... روَّح الله روحه ونوَّر ضريحه».

نسخة كتبت بقلم فارسى فى ٩٢ ورقة، ومسطرتها ١٦ سطرا.

[دار الكتب ١٨٦١ تاريخ طلعت] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ٢ ق ٤. القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م/ ١٨٦).

*** ذيل الصلة لابن بشكوال:**

من مخطوطات دار الكتب المصرية، وجاء بيانه كما يلى:

ذيل الصلة لابن بشكوال، ويسميه لسان الدين بن الخطيب: صلة الصلة تأليف أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطى المتوفى سنة ٧٠٨ هـ.

الموجود: النصف الثانى من الكتاب ويبتدئ بتراجم المحمدين وينتهى بآخر الكتاب.

- نسخة مصورة بالفوتستات عن الأصل المحفوظ بالخزانة التيمورية برقم ٨٥٠ تاريخ المكتوب بخط مغربى قديم.

فى ١٤٠ لوحة كل لوحة ذات شطرين.

[١٢٨٦٢ ح]

(فهرست المخطوطات. نشرة المخطوطات التى اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥ - تصنيف فؤاد سيد. القاهرة مطبعة دار الكتب ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م، ق ١ / ٣٤٢).

*** ذيل الضعفاء والمتروكين:**

من مخطوطات الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله، وجاء بيانه في الفهرس الشامل كما يلي تحت الرقم التسلسلي ٥٥:

٥٥ ـ ذيل الضعفاء والمتروكين ـ الذهبي.

١ ـ الظاهرية ٢٨٢ [حديث ٣٦٩] ـ)(و ٢٢٧ ـ ٢٣٩) ضمن مجموع.

(الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط. الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨)

*** ذيل طبقات الأولياء الصوفيين:**

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف

مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٩٥٥٧

ذيل به على كتابه الطبقات الكبرى وترجم للمشايخ الذين عاصرهم المؤلف: أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الشافعي المصري المتوفى سنة ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م.

أوله: الحمد لله رب العالمين ... وبعد فهذا ذيل طبقات الأولياء... ومنهم شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ جلال الدين السيوطي...

آخره: فإن غالب الناس لا يقدر على النطق بشيء من مناقب أعدائه بل ربما لا يرى له قط محاسن... ولم أجد أحدا سبقني إلى نحو ذلك والحمد لله رب العالمين.

الخط نسخي معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ق ٦٢، س ٢٣، ٢١ × ١٥ سم، كلمات السطر ١٠، هامش ٤ سم.

اسم الناسخ: نور الدين بن عرفات المحلي الحنفي الشناوي الأحمدي.

تاريخ النسخ: ٤ جمادى الأولى سنة ١٠٦٢هـ

ملاحظات: نسخة مراجعة.

نسخة ثانية.

أولها: كالسابقة.

الرقم ٧٤٥٩

آخرها: مخروم ينتهي بترجمة شهاب الدين البهوتي.

وينتهي بـ ـ وبينت فيه ما نقص من أعلام الدين وله ذوق عظيم في طريق القوم على ما أظن ...

الخط نسخي معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ق ٦٥، س ١٩، ٢٠ × ١٤ سم، كلمات السطر ٨، هامش ٣,٥ سم.

نسخة ثالثة.

الرقم: ٤٨٠٩

أولها: ابتدأها بترجمة والده ثم علي النبتيتي ثم حسن الشامي ثم شمس الدين الدواخلي ثم الجلال السيوطي وتبتدىء بـ: القسم الثالث في ذكر مناقب جماعة من العلماء الذين صحبناهم وفيه ثلاثة أبواب الأول في ذكر مناقب العلماء الذين قرأنا عليهم...

آخرها: كالأولى.

الخط نسخي جميل، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر.

ق ٣٠١ ـ ٣٣٧، س ٣١، ٢٨ × ١٧,٥ سم، كلمات السطر ١٣، هامش ٥,٥ سم

تاريخ النسخ: سنة ١١٣٢هـ.

مصادر عن الكتاب: الكشف ٢ / ١٥٦٧، فهرس الظاهرية قسم التاريخ ص ٢٨٠.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٦ / ٢١٨، الكواكب السائرة ٣ / ١٧٦.

طبعة الكتاب: مصر سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م تحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا بـ ١٤٨ ص.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٩٤، ٥٩٥).

*** ذيل طبقات الحفاظ للذهبي (تذكرة الحفاظ):**

للسيوطي يوجد مخطوطه في.

١ ـ الظاهرية ٣١٢ [حديث ٣٧٤] ـ (و ٢٣ ـ ٣٨) ضمن مجموع ـ ٩٤٤ هـ ـ نسخة جيدة.

٢ ــ الحرم المكى (التراجم ٤٦ [تراجم ٨٦]ــ[١٥و]ـ ١٣٤٢ هـ.

(الفهرس الشامل ٢ / ٧٩٨)

وقد اشتمل هـذا الذيل على سبع وأربعين تـرجمة، وهى موافقـة لما فى ذيل حافظ الشام الحسينى رحمـه الله تعالى، وللذيل عليهـا للحافظ تقى الدين أبى الفضل محمـد بن فهد الهاشمى تغمـده الله برحمته، وزاد على الذيلين المـذكورين تـراجم خمسـة أنفس استـدركهـا عليهما فى الطبقـة الثـانيـة والعشرين. (صفحات من تاريخ مصر / ٢٢١).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨، وصفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى ـ عبد الوهاب حمودة/ ٢٢١).

*** ذيل العبر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٩٤٥٢ / ٢.

لأبى المحـاسن بن على بن الحسن بن حمـزة بن محمـد الحسينى المتوفى سنة ٧٦٥ هـ ١٣٦٤ م.

نسخة مصـورة بالفوتستات عن نسخـة تقع ضمن مجموع مـؤرخ سنة ٨٢٨ هــ/ ١٤٢٤ م عليها مقـابلـة كتبها محمـد الخطيب المقدسى ووقفية باسم الـوزير أبو العباس أحمد بن أبى عبد الله كوبريلى.

القياس ٤٤ ص ١٨ × ١٠ سم ٢٦ س

كشف ٢ / ١١٢٣ معجم المـؤلفين ١٠ / ٣١٥ هـديـة العـارفين ٢ / ١٦٣ طبع بالقـاهـرة من قبل محمـد رشاد عبـد المطلب.

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٩٧).

*** ذيل على إيضاح الحكم فى دفع القاضى دعوى الظلم:**

من مصنفـات التـراث الإسـلامى فى الحـديث النبـوى الشريف وعلومه ورجاله.

يتضمن الجـواب عن معارضـة بعض الأفاضل لـرسالـة: إيضاح الحكم.

تأليف محمـد الحسنى الـدمشقى الشهير بـابن العطـار. (كان موجودا سنة ١١٩٥).

نسخة بقلم تعليق بخط مصطفى الصـالح سنة ١١٩٥ هـ ومسطرتها ٢٣ سطرا (ضمن مجموعة من ورقة ٩ ـ ١٨)

٢٠ × ٢٢ سم [٢٥٠٣٧ ب]

(فهرست المخطوطات نشرة بـالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـ تصنيف فؤاد سيد ق ١ م ٢ / ٣٤٢).

*** ذيل على تقييدات الفشتالى:**

من مخطوطات التاريخ المصـورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة لأبى عبـد الله محمد المكلاتى، المتوفى سنة ١٠٤١ هـ.

(معجم المؤلفين ٨: ٣١٨).

وأوله:

مبـــانى العـــلا عَمْـــرَى لأحمـــد أسست
سليل التجيبى سبط أكــــرم مــــرسل

وآخره:

أبـــو زيـــد الفـــاسى شلـــو مبـــارك
وتـــال حـــديث المصطفى بمسلسل

نسخـة كتبت بخط مغـربى، فى ورقـة واحـدة، ضمن مجموعة من ٢٢٩ ـ ٢٣٠، ومسطرتها ١٠ أسطر.

[الرباط ٤٨٧ د] UNESCO

(فهـرست المخطوطـات المصـورة، معهد المخطـوطـات العربيـة، التاريخ، جـ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م / ١٨٧).

*** الذيل على الثمرات:**

من مخطوطـات الأدب فى مكتبة المتحف العـراقى وجاء بيانه كما يلى:

لشمس الـدين محمـد بن محمـد بن يـوسف بن أحمـد الحموى الميدانى المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ/ ١٦٢٤ م.

(ولد فى الميدان بدمشق، رحـل إلى مصر، وجاور الأزهر تسع سنين، وعـاد إلى دمشق، وتـوفى فيهـا، من مؤلفـاتـه: العقد المنظوم فى رحلة الروم، زهر البانات المغروسة.

الأول : (... وحكى أن هارون الرشيد حج ماشيا وسبب ذلك أن أخاه ...)

ويتضمن الكتاب مجموعة حكايات وطرائف وأخبار، جمعت من مصادر مختلفة.

كتب هذه النسخة، محمد صالح بن رمضان بن حمد المعروف بابن نعمة سنة ١١١٥ هـ-١٧٠٣ م.

الرقم : ١٤٣٩٨ .

١٢٢ ص	٢٠,٥×١٥ سم	١٩س.

معجم المؤلفين ١١ / ٣١١ ، هدية العارفين ، ٢ / ٢٧٤ / الأعلام ٧ / ٦٢ . (مخطوطات الأدب / ٣٠٨).

كما يوجد مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وقد أدرج تحت عنوان «الذيل على كتاب ثمرات الأوراق» (مطبوع)، وجاء بيانه كما يلي :

الرقم ٤٦٤٨

لشمس الدين محمد بن السابق الحموي.

أوله : كسابقه.

آخره : « ... محمد بن إبراهيم بن ساعد شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري المعروف بابن الأكفاني السنجاري المولد المغربي الدار من نظمه :

ولقد عجبت لعاكس في الكيميا

في طبه قد جاء بالشنعا

يلقي على العين النحاس بحيلها

في لمحة كالفضة البيضا .

تم كتاب الذيل على ثمرات الأوراق بحمد الله وعونه».

على النسخة تملك سنة ١٠٢٦ وقراءة باسم على الكيلاني بن عمر بن عبد الرزاق الحسني الحسيني الصديقي الفاروقي العثماني الجيلاني سنة ١٢٠٥ هـ وعرابي كامل الرماني ١١٩٤ وأبي بكر الزنبقي سنة ١١٠٦ هـ.

والنسخة في آخر كتاب «ثمرات الأوراق» لابن حجة الحموي.

(١٢٩-١٦٠) ٣٢ ق	٢٣ س	١٨,٥×٢٨ سم.

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ٣٠٨ وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية .

الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ٢٢٩ ، ٢٣٠).

*** ذيل على ذيل تاريخ بغداد:**

تأليف أبي عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى الدبيثي الواسطي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ.

جعله على الذيل الذي ألفه أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي على تاريخ بغداد للخطيب.

أوله : الحمد لله الأول بالابتداء والآخر بلا انتهاء الدائم بلا انقضاء ... إلخ .

ابتدأ فيه من حيث انتهى السمعاني في كتابه وذكر بعض مافاته .

- المجلد الأول : وفيه «المحمدين» وحرف الألف إلى من اسمه أحمد بن علي، مكتوب بقلم نسخ بخط محمود صدقي النسَّاخ نقلها عن النسخة الفتوغرافية المحفوظة بالدار برقم ٣٩٥٠ تاريخ . وفرغ من نسخها في صباح يوم الأحد لثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٨ هـ (٢٨ يناير سنة ١٩٤٠) في ٦٧٣ ص .

١٨ × ٢٦ سم.	[٨٣٤٨ ح]

(فهرست المخطوطات نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥ - تصنيف فؤاد سيد ق ١ م ٢ / ٣٤٢).

*** ذيل على (ذيل على تقييدات القشتالي):**

من مخطوطات التاريخ في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة لأبي عبد الله الأصغر محمد بن حمدون المكلاتي ، المتوفى سنة ١١٥٦ هـ (معجم المؤلفين ٨ : ٢٧٠).

وأوله :

وزمر ابن إبراهيم شلو وزهده
حلى جيده في العلم غير معطل

وآخره:

فواعجبا للدهر غيب صرفه
شموس علوم في التراب ليبتلي

نسخة كتبت بخط مغربي جيد، ويبدو أنها ناقصة لأنه يوجد في ذيل الصفحة «وإن ذهاب» وهي في صفحة واحدة (٢٣١) ضمن مجموعة، ومسطرتها ١١ سطرا.

[الرباط ٤٨٧ د]	UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ،

التاريخ ، جـ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م/ ١٧٨).

*** الذيل على الذيل على ذيل كتاب العبر للذهبي:**

من مخطوطات التاريخ في المجمع العلمي العراقي .

وجاء في الهوامش ١ ـ ٤ تعريف بكل من الكتب الثلاثة التي تبدأ بلفظ «الذيل» وذلك على النحو التالي :

(١) ذيل به على كتاب أبيه عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، زين الدين أبي الفضل، المعروف بالحافظ العراقي (ت : ٨٠٦ هـ/ ١٤٠٤ م)، الذى جعله ذيلا على ذيل كتاب «العبر» للذهبي . ابتدأه بسنة ٧٦٢ هـ ، وانتهى فيه إلى سنة ٧٨٦ هـ ـ وفى رواية سنة ٧٩٣ هـ .

و «الذيل» هذا لم يطبع .

(٢) هذا «الذيل» من تأليف الحافظ العراقي، لم يطبع .

(٣) الذيل على «العبر» للذهبي : تناول فيه ـ الذهبي ـ حوادث السنوات ٧٠١ ـ ٧٤٠ هـ . عنى بتحقيقه ومعه ذيل «العبر» للحسيني محمد رشاد عبد المطلب : سلسلة «التراث العربي» ـ الكويت ١٩٧٠ .

(٤) «العبر فى خبر من غبر» : بدأ فيه الذهبي من السنة الأولى من التاريخ الإسلامي)، وانتهى به سنة ٧٠٠ هـ طبع فى خمسة أجزاء ، ضمن سلسلة «التراث العربي» التى تصدرها دائرة المطبوعات والنشر فى الكويت .

عنى بتحقيق الأجزاء : الأول والرابع والخامس : الدكتور صلاح الدين المنجد، والثاني والثالث : فؤاد سيد (الكويت ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦).

وجاء بيان المخطوط الذى نحن بصدده كما يلي :

المؤلف : ابن العراقي (ت : ٨٢٦ هـ/ ١٤٢٣ م).

أوله : البسملة ... ، هذا تاريخ متوسط ، ابتداوه سنة مولدى (سنة ٧٦٢ هـ/ ١٣٦١م) وهو ذيل على تاريخ والدى أبقاه الله تعالى . الذى ذيله على ذيل العبر للحافظ أبي عبد الله الذهبي رحمه الله فأقول :

يبدأ بحوادث سنة ٧٦٢ هـ ومولدى سحر يوم الإثنين ثالث ذى الحجة ... لما تمهد للسلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون، الأمر ولم يبق فى مملكته من يخشى منه الشر، تخلى عن أمر مملكته وشغلته لذاته عن القيام بمصالح رعيته ... ».

آخره : ينتهي بحوادث سنة ست وثمانين وسبعمائة .

ثم يتلوها : «بعون الله تعالى وحسن توفيقه، قد تم نسخ هذا الكتاب على نفقة دار الكتب المصرية العامرة، وكان الفراغ منه فى صبيحة يوم الثلاثاء الموافق ٨ من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ هجرية و ٩ من شهر يوليو سنة ١٩٣٥ وكتبه ... محمود عبد اللطيف فخر الدين النساخ بدار الكتب، نقلا عن النسخة الخطية نمرة ١٩٩٩ د، بلدية الإسكندرية ... ».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة دار الكتب المصرية . بخط معتاد .

٢٥٥ ص ، ٢١ س

(٣٣/ تاريخ).

(جاء فى حاشية كتبت فى صفحة العنوان، بخط مغاير:

«اعلم أن الذهبي ذيَّل على كتابه العبر إلى سنة أربعين، وذيل عليه الحسيني من ثم إلى سنة خمس وستين . وللحافظ شمس الدين أبي العباس محمد بن سند ذيل على الحسيني استفتحه من أول سنة ٦٣ فكتب منه هذه السنة والتى بعدها ، ولعله لم يقع له ذيل الحسيني كاملا . ثم إن الإمام شهاب الدين بن حجر ذيل على الحسيني أيضا فكتب سنة ٦٣ وبعض التى تليها ، كما وقفت على ذلك بخطه فى آخر النسخة التى من العبر وهى عند قريبه الإمام نجم الدين نفع الله به . اهـ»).

(مخطوطات المجمع العلمي العراقي ـ دراسة وفهرسة ميخائيل عواد ١/ ٢٦٣، ٢٦٤).

*** الذيل على الروضتين فى أخبار الدولتين:**

يوجد مخطوطه فى دار الكتب المصرية، وجاء بيانه كما يلي :

تأليف شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي الشافعي المتوفى سنة ٦٦٥

أوله : بعد البسملة : الحمد لله الذى انفرد بالبقاء وكتب على غيره الزوال ... إلخ .

ـ نسخة بقلم نسخ معتاد بخط جابر صبحى النساخ فرغ من كتابتها فى يوم الثلاثاء ٣٠ شعبان سنة ١٣٦٢ الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٣ نقلا عن النسخة المخطوطة المحفوظة بالدار برقم ٥٣٨٨ تاريخ فى ٨٠٦ ص ومسطرتها ٢١ سطرا.

١٨ × ٢٦ سم . [٩٥٣٣ح]

(فهرست المخطوطات. نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـ تصنيف فؤاد سيد ق ١ م ٢ / ٣٤٢).

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى بعنوان «تراجم رجال القرنين السادس والسابع » المعروف بالذيل على الروضتين»، وقد عرَّف الكتاب وترجم للمؤلف وصححه صاحب الفضيلة محمد زاهد بن الحسن الكوثرى ، وعنى بنشره وراجع أصله ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسينى . روجع من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب (الملكية) بالقاهرة. دار الجيل، بيروت . الطبعة الأولى ١٩٤٧، والطبعة الثانية ١٩٧٤ ويقع الكتاب فى ٢٤٠ صفحة، والفهارس من ٢٤٣ ـ ١٢٨٤ هـ.

*** الذيل على طبقات الحنابلة:**

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامى البغدادى ثم الدمشقى، أبو الفرج، زين الدين (٧٣٦ ـ ٧٩٥ هـ) (٩٩).

وجمال الدين النابلسى لقبه بجمال الدين، وسماه العليمى: زين الملة والشريعة جمال المصنفين.

ولد ببغداد سنة ست وثلاثين وسبعمائة، كما اختلفت المصادر فى تحديد الشهر الذى توفى فيه بعد أن اتفقت على وفاته سنة ٧٩٥ هـ فذكر ابن حجر فى الدرر الكامنة أنه توفى فى شهر رجب وتبعه فى ذلك ابن فهد والسيوطى والشوكانى وابن حجر أعاد فى كتابه إنباه الغمر وذكر أن ابن رجب توفى فى شهر رمضان وكذلك ابن العماد والعليمى ذكر أنه توفى فى ليلة الإثنين رابع شهر رمضان وعلى كل حال فقد اتفقت سنة الوفاة وأشرف على الستين من عمره ودفن بمقبرة الباب الصغير بجوار قبر الشيخ الفقيه الزاهد عبد الواحد الشيرازى المتوفى فى ذى الحجة سنة ٤٨٦ هـ وهو الذى نشر مذهب الإمام أحمد ببيت المقدس ثم بدمشق .

وطبقات الحنابلة تاريخ لهذه الحياة التى عاشها هؤلاء أصحاب المذهب الحنبلى وتبدأ هذه الحياة بحياة الإمام أحمد بن حنبل إمام هذا المذهب وهى عدة طبقات نذكر منها :

طبقات الخلال المتوفى سنة ٣١١ هـ وطبقات ابن أبى يعلى المتوفى سنة ٥٢٦ هـ.

وهذا الذيل لابن رجب هو مكمل لهذه الطبقات ومذيل عليها.

وقد خالف ابن رجب طريقة طبقات ابن يعلى فلم يسر على منواله إلا أنه اختلف عنه ولم يرتبه على الحروف وإنما رتبه على السنين فجعله على الوفيات، كما أشار إلى ذلك عبد الجبار عبد الرحمن.

وابن رجب من شيوخ المذهب الحنبلى فألف كثيرا وجمع كثيرا وهذا الذيل بدأ به بأصحاب القاضى أبى يعلى ووقف عند وفيات سنة ٧٥١ هـ

وقد ألف العلماء الحنابلة طبقات بعد طبقات ابن رجب مثل : برهان الدين بن مفلح المتوفى سنة ٨٠٣ هـ ، والعليمى المتوفى ٩٢٨ هـ والغزى المتوفى ١٢١٤ هـ وابن حميد المكى المتوفى ١٢٩٥ هـ.

وقد أعاد ابن رجب فى بداية كتابه للذيل ذكر الطبقة السادسة من أصحاب القاضى أبى يعلى وزاد على طبقات الذيل وتوسع فيه وقد بدأ بوفيات سنة ٤٦٠ هـ.

ويعتبر ذيل طبقات الحنابلة أوسع ما وصل إلينا من تراجم لهذه الطبقة، وقد جمع فيه كل ما قرأه لعصره وعمن ترجم لهم وذكر مصادره بثقة وأمانة فيعتبر ثمينا ونفيسا خاصة أنه نقل عن القرن الثامن الهجرى من مصادر تيسرت له فى عصره وربما ضاعت الآن.

ثم أثبت حكمه ورأيه بعد آراء من قبله.

وذيل طبقات الحنابلة يضم تراجم وفيات الرجال خلال ثلاثة قرون ولم يكمله ابن رجب فتوفى سنة ٧٩٥ هـ إلا أن هناك مدة بين ما وقف سنة ٧٥١ هـ وسنة وفاته ٧٩٥ هـ إلا أنه آثر الوقوف على ترجمة أستاذه وشيخه ابن قيم الجوزية وألا يترجم لمعاصريه.

فبذلك يستطيع الباحث أن يجد فى طبقات ابن رجب بغيته وهدفه فهو تاريخ للسنين التى مر بها الحنابلة فاشتركوا

فى حوادثها ونشاطها كما يعتبر كتاب حديث ففيه نصوص الحديث مع الإسناد مفصلة متقنة وكذلك يعد ديوان شعر للحنابلة الذين قرضوا الشعر كما يعتبر كتابا فى تاريخ المذهب الحنبلى خلال ثلاثة قرون.

وذيل طبقات الحنابلة أكثر تفصيلا وأوسع اطلاعا وأقرب الكتب فى هذا الموضوع تبويبا منظما عن طبقات ابن أبى يعلى وطبقات العليمى وطبقات ابن حميد ويقع فى جزءين.

طبع بدمشق سنة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م بتحقيق هنرى لاووست وسامى الدهان.

(المخطوطات العربية ـ عزت ياسين أبو هيبة / ١٢٤ ـ ١٢٦).

*** الذيل على كتاب ثمرات الأوراق.**

انظر : الذيل على الثمرات.

*** ذيل الفصيح:**

كتاب من تأليف موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى، المتوفى سنة ٦٢٩ هـ ، ويعد كتابه هذا من كتب اللحن التى ألفت فى نهاية القرن السادس الهجرى .

وقد طبع ذيل الفصيح مع كتاب «التلويح شرح الفصيح» لأبى سهل محمد بن على الهروى المتوفى سنة ٤٣٣ هـ .

وقد رتب البغدادى كتابه هذا (٢٨ صفحة من القطع الصغير) على حسب الموضوع : «باب ما يضعه الناس غير موضعه، وباب ما تغير العامة لفظه بحرف أو حركة».

وهذا نموذج مما ذكره البغدادى :

«قول العامة : هم فعلت ، مكان «أيضا» وبَسْ ، مكان «حَسْب» وله بَخْت مكان «حظ» ، كله مولَّد ليس من كلام العرب» (ص ١٨).

(لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ـ د. عبد العزيز مطر / ٦٥).

*** ذيل القول المسدد:**

من مخطوطات الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله ، لصبغة الله المدراسى ملحق على «القول المسدد» لابن حجر العسقلانى .

١ ـ إزميرلى إسماعيل حقى ١٦ [٤٢] ـ ١٣١٩ .

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط ـ الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان ، الأردن ٢ / ٧٩٨).

*** ذيل الكاشف للذهبى:**

لابن العراقى (أحمد بن عبد الحكيم) المتوفى سنة ٨٣٦هـ.

أورد الفهرس الشامل أماكن حفظه كما يلى :

١ ـ التكية الإخلاصية / حلب (م.م د / ٨ (١٩٢٨)، ٣٧٠)[(١٤)] ـ ٨٠٥ هـ بخط المؤلف .

٢ ـ كوبريلى ١ / ١٩٧ ـ ١٩٨ [٣٨٦ / ٤] ـ (و ٢٧٢ أ ـ ٣١٤أ] ضمن مجموع ـ ٨٠٥ هـ ـ (بروك م ١ / ٦٠٦).

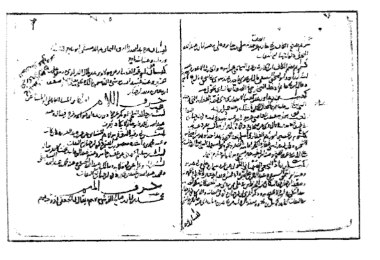
(الفهرس الشامل ٢ / ٧٩٨).

كما يوجد مخطوط فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى الرياض ، وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٧٩٤٠ .

ألَّف الذهبى كتاب «الكاشف» فى أسماء رجال الكتب الستة ، الصحيحين والسنن الأربع ، وهو مقتضب من تهذيب الكمال للمزى واقتصر فيه المؤلف على ذكر من له رواية فى الكتب الستة . ثم جاء ابن العراقى ووضع له ذيلا ذكر فيه أسماء من تركهم الذهبى ممن فى تهذيب المزى، وأضاف إليه رجال مسند أحمد مما استمده من الشريف الحسينى

والمخطوط ناقص من أوله . ويبدأ الموجود منه فى أثناء



حرف الحاء بترجمة (حفص بن عمر بن عبد الله بن أبى طلحة)، وينتهى بترجمة (مريم بنت إياس).

انتهى المؤلف من نسخه فى يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر صفر سنة خمس وثمانمائة، وكان الابتداء فيه قبل ذلك بسنين كثيرة كما ذكر ابن العراقى فى نهاية المخطوط.

يقع الكتاب فى أربع عشرة ومائة ورقة وفى نهاية تملك مؤرخ سنة ٨٧٠ هـ (مجله الفيصل / ٢).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨ و «ذيل الكاشف للذهبى» ـ إعداد عبد الرحمن بن محمد السرحان).

مجلة الفيصل. العدد (١٩٧) ذو القعدة ١٤١٣ هـ مايو ١٩٩٣ م / ٢).

*** ذيل كشف الظنون:**

من مخطوطات التاريخ فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ١٢٥٦٤

لجميل بن مصطفى بن محمد بن عبد الله العظم المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م وهو تكملة لكتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة نسخة جيدة تتضمن القسم الأول من الكتاب.

القياس ١٠٠ ص ٣١×٢١,٥سم ١٨ س

معجم المؤلفين ٣ / ١٦١

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٩٧، ١٩٨)

*** ذيل اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله تأليف السيوطى:

١ خدابخش ٥ / ٢/ ٣٠ [314] و ١ ـ ١٥٣) ضمن مجموع ـ ق ١١ هـ.

٢ ـ سالارجنك ٣/ ٧٩ [H.72/ 1] ـ (و١ ب ـ ١٦٣ ب) ضمن مجموع ـ ١٢٩٤ هـ.

٣ ـ إزميرلى إسماعيل حقى ٢١ [٩٦].

٤ ـ المحمودية ٨٨ [٨٤٥] ـ (٢٦٤و).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨)

*** ذيل لب اللباب:**

من المخطوطات العربية المحفوظة فى مكتبة تشستربيتى (دبلن / أيرلندا). وقد أدرجت فى الفهرس مرتين، ففى المرة الأولى (١ / ٥٦٣، رقم تسلسلى ٣٩٧٥) جاء بيان نسخة المخطوط كما يلى:

عنوان المخطوطة: ذيل لب اللباب.

اسم المؤلف: عبد الرحيم بن عبد العظيم بن عبد الرحمن بن محمد الأشمونى الشافعى.

اسم الشهرة: الأشمونى

تاريخ الوفاة: بعد القرن ١١ هـ / ١٧ م

تعريف بالمخطوطة: تذييل على المخطوطة السابقة (أى فى الفهرس، وعنوانها «لب اللباب فى تحرير الأنساب للسيوطى)

عدد الأوراق: من ١٢٧ ـ ١٥٩.

نوع المخطوطة: النسخة الأصلية بخط المؤلف

المصدر: بروكلمان ٢ / ٣٠٨

عدد أوراق المجموع: ١٥٩ ورقة، ٢١ × ٢ ١٥سم

نوع الخط: نسخ معتاد واضح

تاريخ النسخ: [د. ت] تقديرا ق ١١ هـ / ١٧ م

وجاء بيان النسخة الثانية (٢ / ٩١٩، رقم تسلسلى ٤٧٠٧) فيما عدا ما يأتى:

عدد الأوراق: ٤٩ ورقة، ٨، ٢٠ × ٧ ١٥سم

الناسخ: منصور بن شمس الدين السندوى.

تاريخ النسخ: الأحد ١٩ رمضان ١١٢٣ هـ (٣١ أكتوبر ١٧١١ م)

(فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستربيتى (دبلن / أيرلندا) ـ أعده الأستاذ آرثر ج. آربرى ترجمه د. محمود شاكر سعيد، راجعه د. إحسان صدقى العمد ١ / ٥٦٣، ٢ / ٩١٩).

*** ذيل لواقح الأنوار فى طبقات السادة الأخيار:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ والتراجم والسير مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٩٧٥٧

ذكر المؤلف فى هذا الذيل جماعة من مشايخ مصر فى عصره، وانتهى من تأليفه سنة ٩٦١ هـ.

تأليف أبى المواهب (أبى عبد الرحمن) عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى الأنصارى الشاذلى المصرى المتوفى فى القاهرة سنة ٩٧٣ / ١٥٦٥.

أول النسخة:

«الحمد لله رب العالمين ... وبعد فهذا ذيل طبقات الأولياء لمولانا القطب الربانى والعالم الصمدانى الشيخ العارف بالله تعالى سيدنا ومولانا عبد الوهاب الشعرانى ... قال: ومنهم، شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى، الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى».

آخر النسخة:

«وقد بقى منهم جماعة ذكرناهم فى كتاب «المفاخر والمآثر فى علماء القرن العاشر» ... وليكن هذا كتابنا المسمى بلواقح الأنوار القدسية فى مناقب العلماء الصوفية إلى عصرنا هذا، وهو سنة ٩٦١ هـ. واعلم يا أخى أننى لم أذكر من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين إلا من له كلام فى الطريق ... كما أنى لم أذكر من الصوفية والعلماء الذين أدركتهم إلا من كان لى به صحبة، أو قرأت عليه شيئا من العلوم، أو أخذ على العهد ... وما تركت ذكر مناقب من تركت استهانة بحقوقهم ... فعليكم أيها الإخوان الاقتداء بى ... والحمد لله رب العالمين».

النسخة حديثة. جيدة وقيمة. فى أطرافها آثار رطوبة. كتبت أسماء المتصوفة بالمداد الأحمر. فاتحة الكتاب مجدولة بالحمرة وكتب فيها العنوان بخط كبير.

الخط معتاد مقروء. كتبه نور الدين على بن عرفات المحلى الشناوى الأحمدى سنة ١٠٦٢ هـ.

٦٢ ق		٢٣ س		٢١ × ١٥ سم

(انظر كشف الظنون ٢ / ١٥٦٧، والأعلام ٤ / ٣٣٢).

نسخة ثانية:

الرقم ٧٤٥٩

أول النسخة:

«ومنهم شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ العلامة الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله».

آخر النسخة:

«ولما وقع التفتيش على أموال السلطان فى جمعة العلماء والرزق والأوقاف جاءنى وقال لى مقصودى: إنهم يفتشون أيضا على الشريعة وينظروا ما نقص من أحكامها فيعيدوه ويأمروا الناس بالعمل به. فكان سبب تأليفى الكتاب المسمى: «تنبيه المفترين (فى آداب الدين) فى القرن العاشر على ما خلفوا فيه سلفهم الطاهر»، وهو كتاب نفيس ذكرت فيه هدى الصحابة والتابعين والعلماء العاملين. وبينت فيه ما نقص من أعلام الدين، وله ذوق عظيم فى طريق القوم».

النسخة حديثة. مخرومة الطرفين. مفروطة الأوراق. أكل أرضة فى بعض أوراقها.

الخط معتاد مقروء.

٦٥ ق		١٩ س		٢٠×١٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ــ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق التاريخ وملحقاته ـ وضعه خالد الريان. دمشق ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م ٢ / ٢٧٩، ٢٨٠).

* **ذيل مشتبه الأسماء والنسب:**

من مخطوطات الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله.

ذيل مشتبه الأسماء والنسب (لابن نقطة) المذيل على كتاب ابن ماكولا البغدادى بن العمادية.

١ ـ دار الكتب / القاهرة (قسم حماية التراث ١ / ٢٢٣ [٨١]ـ(٤٥و)ـ(بروك م ١ / ٦٠٢).

(الفهرس الشامل للتراث العربى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت(مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨).

* **ذيل مطالع السعود:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٩٦٦٤

لمحمود بن سلطان بن عبد القادر بن حبيب الشاوى الحميرى المتوفى سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩م.

الأول (الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى تفرد بالكمال وحده ...)

وهو كتاب فى تأريخ بغداد تناول فيه المؤلف ما وقع فى بغداد منذ أيام على رضا والى بغداد إلى أيام ممدوح بيك والولاة الذين توالوا على السلطة فيها وما قيل فيهم وأخبار أصحاب المناصب الإدارية والعسكرية والحوادث التى وقعت فى أيامهم. وقد أضاف المؤلف إليه عدة ملاحق عن الحروب التى جرت بين العثمانيين والإنكليز وسقوط بغداد ووصل إلى سنة ١٩٢٣ م. وقد ذكر المؤلف أنه وضع هذا الكتاب بطلب من الميجر (لونكرى) وجعله ذيلا على كتاب مطالع السعود فى أخبار الوزير داود والى بغداد لعثمان بن سند البصرى المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م.

نسخة جيدة فى أولها فائدة عن الكتاب والمؤلف.

القياس ١١٨ ص ١٧,٥×٢٥ س ٢٩س

معجم المؤلفين ٣ / ١٦١

ـ نسخة أخرى

الرقم ١٠٦٥٧

جيدة الخط فى أولها فهرس بأسماء الولاة.

القياس ١٢٠ ص ١٧,٥×٢١,٥ سم ١٧س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٩٨، ١٩٩).

*** ذيل ميزان الاعتدال فى نقد الرجال:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٩٨٣٣

لعز الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن إبراهيم العراقى المتوفى سنة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٤ م.

الأول (الحمد لله ... فى مهد الإحسان ... وبعد فإن كتاب الميزان كتاب مفيد وضع له جامع لما أسقطه ...)

وميزان الاعتدال لشمس الدين الدمشقى الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م (معجم المؤلفين ٨ / ٢٨٩) وهو كتاب فى نقد الرجال. ولقد أضاف أحمد بن محمد بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م زيادات من عنده على هذا الذيل وقد جاءت زياداته بعد قول المؤلف انتهى فيضيف العسقلانى ما يريد أن يزيده.

وهذه النسخة كتبها ابن حجر العسقلانى المذكور بخطه وقد أضاف وشطب واستدرك عليها وانتهى منها سنة ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م فى أول هذه النسخة تملك لمحمد بن محمد بن الخيضرى مؤرخ سنة ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م وعبد الرحيم بن على المخللاتى.

القياس ٢٠٦ ص ٢٢×١٥,٥ سم ٢٠س

معجم المؤلفين ٥ / ٢٠٤، ٢ / ٢٠ كشف ٢ / ١٩٥٨

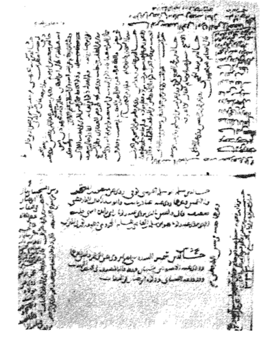
(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٩٩).

كما جاء فى الفهرس الشامل ما يلى:

ذيل ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ـ العراقى

١ ـ المؤسسة العامة للآثار / (عباس العزاوى) / بغداد (المورد / ١٣ / ٣ (١٩٨٤ م) ق ٢ / ٢٠٥) [٩٨٣٣] ـــ (٢٠٦ ص) ـ ٨٣٩ هـ، بخط المؤلف.

وضع ابن حجر العسقلانى تعليقات عليه بعنوان: «تعليقات على ذيل ميزان الاعتدال». (انظره فى حرف التاء فى م ١٠ / ١٦ (الفهرس الشامل ٢ / ٧٩٨).



٦ ـ صفحتان من كتاب ذيل الميزان بخط ابن حجر العسقلانى سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥
انظر المخطوط رقم ٣٨٨ .

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٩٩ ، والفهرس الشامل للتراث العربى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨).

*** ذيل نزهة النظار فى قضاة الأمصار لابن الملقن:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ

مخطوط بدار الكتب المصرية

تأليف أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد الرمادى.

أوله بعد الديباجة: لما وقفت على نزهة الأنظار... فاستجزت الله سبحانه وتعالى أن أضم إلى ذلك ذكر من سلف من الأسماء والتواريخ مختصرا.

- ضمن مجموعة مصورة بالفوتستات عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة طلعت برقم ١٨٣٦ تاريخ وهى بخط المؤلف من لوحة (٤١ - ٥٠).

٢٣×١٢ سم [١١٥٤٩ ح]

(فهرست المخطوطات: نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥ - تصنيف فؤاد سيد ق ١م ٢ / ٣٤٣).

*** ذيل نفحة الريحانة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب. مطبوع.

يوجد مخطوطه فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٧٣٧٢.

وهو تتمة نفحة الريحانة. وكلاهما لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المحبى المتوفى سنة ١١١١ هـ / ١٦٩٩م (ترجمته فى بروكلمان الذيل ٢/ ٤٠٣، ومعجم المؤلفين ٩/ ٧٨، والأعلام ٦/ ٤١) وكان المحبى قد بدأ بتأليف الذيل حين وافته المنية، فأكمل عمله هذا محمد سعيد بن محمد بن أحمد السمان الشافعى الدمشقى المتوفى سنة ١١٧٢ هـ/ ١٧٥٩ م (ترجمته فى بروكلمان ٢ : ٣٦٣ وذيله ٢ : ٣٩١ والأعلام ٣/ ١٥٤ و ٧/ ١٢ ومعجم المؤلفين ١٠ / ٣٥ وانظر مقدمة المطبوع ١-٦).

أوله: «رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ حيث أتحفتنى بتحايف درر تضىء بين يدى، بل صحائف غرر حوت كل معنى مبتكر... وقالوا: إن هى إلا نفحات محمد الأمين قد ذيل بها كتابه نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة:

ويا حبذا ذيل كساها محمد *سلالة فضل الله من هو سباق*

... وكان يجول فى خلدى وأنا الفقير إلى الملك الديان محمد المعروف بابن السمان أن أجمع دررها المنتثرة...»

آخره: ولجامعه الفقير محمد بن السمان:

ما فوق خطب المنون طارق *بصوته يصدع الخلائق*

ولا سوى أكؤس المنايا *تذيقنا خمرة البوايق*

....

وقالت المكرمات دعنى *أموت بالحزن فى المضايق*

عليه منى ترحمات *تفوق بالهَلِّ كل وادق*

ما ناحت الورق فى الروابى *ولاح بالأبرقين بارِق*

تم الكتاب بحمد الله وعفوه

محرره عطايا

نسخة جيدة كتبت بخط نسخ واضح ورؤوس الفقر بالحمرة

١١٣ ق ١٧ س ١٥×٢٠,٥ سم

- نسخة أخرى

الرقم ٤٧٢٣

نسخة مخرومة من أولها بمقدار ورقة واحدة.

تنتهى هذه النسخة فى الورقة ٥٤ ب ثم أضيف إليها ٦ ورقات على طراز الكتاب.

والنسخة مكتوبة بخط معتاد قليل الوضوح على يد محمد ابن أحمد آغا سنة ١١٣٣ وكتبت رؤوس الفقرات بالحمرة.

٦٠ ق ٢٩ س ١٢×٢٣ سم

ـ نسخة ثالثة

الرقم ٤٦٠٩

قطعة منه. تبدأ بأواخر ترجمة محمد بن محمود المحمودى وهى تقابل الصفحة ٩٣ من طبعة عبد الفتاح الحلو سنة ١٩٧١ البيت ٩ وتنتهى فى أثناء ترجمة سعودى ابن يحيى الشهير بالمتنبى، وهى تقابل الصفحة ٢٥٨ السطر ١٢.

والنسخة بخط المؤلف كما ذكر فى الورقة (١٢ أ)

١٨ ق ٣٠ س ١٣,٥ ×٢٠,٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السّواس ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢).

***الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة:**

من نوادر المخطوطات التى توجد بخزانة جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب. وجاء عنه ما يلى تحت رقم ٦٢٦ وهو رقم ترجمة المؤلف:

ابن عبد الملك محمد بن محمد بن سعيد الأوسى الأنصارى المالكى البحاثة النظار المطلع أبو عبد الله المتوفى سنة ٧٠٣ بتلمسان قاضى مراكش وعالمها الفذ وارجع فى ترجمته إلى الديباج المذهب لابن فرحون وإلى المرقبة العليا وإلى بحثنا المستفيض المنشور فى أعداد متسلسلة من محلة دعوة الحق الصادرة فى الرباط.

الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة.

جزء واحد ضخم بخط أندلسى مبتور الطرفين نسب فى البرنامج القديم لابن الأبار غلطا، فى كاغد متلاش جدا خصوصا فى أوائله من جراء التفريط وعدم الاعتناء تضمن الجزء المذكور طائفة من الأحمدين أى من اسمه أحمد على الترتيب الذى سلكه المؤلف فى الحروف مع مراعاة ذلك فى تعدد المترجم وأول الموجود منه بقية من ترجمة أبى المطرف ابن عميرة نقل فيها بعض رسائل المترجم ابن عميرة المذكور ونظمه إلى أن قال: وإنما أطلت فى ذكر هذا الشيخ وأكثرت من إيراد آثاره. لأن طائفة من أهل طبقته كانت تستقصر منظومه وتدفعه عن الإجادة فيه وهو كما رأيت وسمعت بلاغة وبراعة إلى أن قال: ومولده بجزيرة شقر وقيل ببلنسية فى رمضان اثنتين وثمانين وخمسمائة وتوفى بتونس ليلة الجمعة الموفى عشرين من ذى حجة ثمان وخمسين وستمائة. ووهم أبو جعفر بن الزبير فى وفاته إذ جعلها فى حدود ١٥٠، وهذه البقية من ترجمة ابن عميرة شغلت أوراقا ٣ وبمحول الرابعة أحمد بن عبد الله بن محمد طليطلى. ٣ ـ أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الفهرى. ٤ ـ أحمد بن عبد الله بن محمد ابن عيسى الأنصارى قرطبى. ٥ ـ أحمد بن عبد الله بن محمد ابن مجير البكرى مالقى أبو جعفر إلى آخر تراجمه وانظر الترجمة رقم ٥٠ أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن بالغ الأنصارى سرقسطى أبو جعفر واستجازة أبى على الصدفى له جماعة من شيوخه بالمشرق منهم أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون ثم بحث المؤلف فى قعدد أبى محمد رزق الله بن عبد الوهاب وما عورض به وخولف أبو على الصدفى وانظر فى هذه الترجمة أيضا ذكر أبى الفوارس طراد بن نظام الحضرتين محمد بن على الزينبى نسبه إلى زينب ابنة سليمان ابن على بن حسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهى أم محمد بن إبراهيم الإمام فيما قال أبو محمد بن حزم وقال عياض هى أم عبد الله سالى آخر هذا البحث النفيس الورقة ١٠ ـ ١١ وانظر فى الورقة ٢٢ ترجمة أحمد بن عبد العزيز بن هشام بن أحمد بن خلف بن غزوان الفهرى من أهل شانت مرية البابرى الأصل مهما فى جمع الدعاوى بالكسر لدعوى وأن الصواب دعاوى وهو بحث قيم وانظر كذلك نظما للمترجم فى استخراج مضمرات الحروف وبيان المؤلف وجه العمل بذلك وانظر فى ص ٣٩ من ترجمة أحمد بن عبد الجليل التدميرى بحثا فى أن ابن عزيز صاحب غريب القرآن بالراء وانظر فى الورقة ٣٦ ترجمة أحمد بن على بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد عبد الرحمن بن يعيش من ذرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وذكر أنه روى عنه أبو القاسم ابن عبد الرحيم بن عيسى بن الملجوم ثم نقل المؤلف بحث ابن الزبير مع أبى العباس بن فرتون وتصحيح ابن عبد الملك لما ذكره ابن فرتون ورده على ابن الزبير وأن ابن الملجوم هذا له نسختان من فهرسته إحداهما أتم من الأخرى. وانظر فى هذه الترجمة ذكر المقيد الضابط النبيل أبى عبد الله محمد بن على بن حسون الحضرمى أحد الفاسيين المتقنين وله رواية

عن أبى القاسم أحمد بن يوسف الوراق الجقالة وغيره وانظر فى ترجمة أبى جعفر بن الحصار أحمد بن على بن حكم الورقة ٤٠ بحثا مهما فى أبى على الصدفى وانظر فى الورقة ٤٤ ترجمة أحمد بن على العباس اللص وانظر فى ص ٩٥ ترجمة أحمد ابن على بن محمد الأنصارى الأوسى القرطبى سكن غرناطة وانظر فيها الكلام على مثال النعل النبوى الشريف وما أنشده المؤلف من قبل شيخه أبى الحسن الرعينى قال عقب ذلك: وأنشدنى شيخنا أبو الحكم ملك بن عبد الرحمن المالقى عفا الله عنه بسبتة حرسها الله، لنفسه وكتب لى بخطه فى هذا المعنى ووطأ له بمدحه ﷺ يوصف حبيبى طرر الشعر ناظمه ويمنم خد الطرس بالنفس راخمه ثم أعقب ذلك المؤلف بتعقب للقصيدة ثم أنشده أيضا بسبتة قصيدته الطائية وعقب على ذلك أيضا وانظر فى ص ١١٠ ترجمة أحمد بن عيسى أبو الوليد الأفيلح تصغير الأفلح الإشبيلى وزير ابن هود وله أرجوزة مخمسة فى السير سماها نظم الدور ونشر الزهر أودعها نكت اليسر لأبى بكر محمد بن إسحاق وانظر فيها قطعة تهنئة بعيد قدمها لأبى العلاء إدريس الملقب بالمأمون . وانظر ص ١٢٢ ، ١٢٣ عند أحمد بن محمد ... ابن طلحة شقرى أنه ورد مراكش وامتدح بها لمة من وزراء دولة عبد المؤمن وجرت بينه وبين جماعة من الأدباء بها مخاطبات ومراجعات وانظر فيها ما كتب به إليه عام ٦٢٣ وهما بمراكش الكاتب الشاعر أبو عبد الله بن على الفاسى المعروف بابن عابد وما أجابه به ابن طلحة المذكور، وانظر فى ص ١٣١ ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد الفهرى إشبيلى أبو العباس ابن سيمرة كان معنيا بالتاريخ وتقييد أيام الناس وله اختصار الاستيعاب وتاريخ فى دولة عبد المؤمن وحزبه وكان حيًّا فى حدود الستمائة ، وانظر عقبه بقليل ذكر ذيل الصلة لابن فرتون ومعجم شيوخه وبرنامج روايته وانظر فى ص ١٤١ عند ترجمة أحمد بن محمد بن حزم الإشبيلى من ذرية ابن حزم لأمه وذكر كتابه الذى رد به على ابن العربى سماه الزوائغ والدوامغ رد به على كتاب ابن العربى الدواهى والنواهى حاذاه فيه كلاما بكلام وحديثا بحديث وفقها بفقه ونظما ينظم ونثرا بنثر وإقذاعا بإقذاع . . إلى آخر السفر المبتور الطرفين وآخر ترجمة ذكرت فيه ناقصه ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن مسعود العبدرى قرطبى . . وهذه الترجمة فى آخر ورقة ولا ندرى كم ينقصها وقد بلغت عدة تراجم هذا الجزء ٦٤٦ ترجمة .

أوراقه ١٢١ مسطرته ٢٥ مقياسه ٢٦ / ١٩ (مجموعة مختارة ق ١ / ١٧٢ ١٧٤).

ويوجد مخطوط أيضا بدار الكتب المصرية جاء بيانه كما يلى :

تأليف أبى عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشى .

الموجود الجزء الخامس يبتدئ بتراجم من اسمه عبد الملك وينتهى إلى ترجمة محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عيسى اليحصبى .

ـ نسخة فى مجلدين مصورة بالفوتستات عن الأصل المحفوظ بالدار برقم ٦١ تاريخ حليم المكتوب بخط مغربى قديم نفيس فى ٢١٦ لوحة، كل لوحة ذات شطرين .

جزء آخر فيه من الحروف : السين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء وأكثر العين مكتوب بخط أندلسى قديم ومصور عن الأصل المحفوظ فى الإسكوريال برقم ١٦٨٧ فى ٦٢ لوحة . [١٢٨٦٣ ح].

(فهرست المخطوطات / ٣٤٣).

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة فى مكتبات عامة فى المغرب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ١٧٢ ـ ١٧٤، وفهرست المخطوطات . نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـ تصنيف فؤاد سيد ق ١ / ٣٤٣).

*** ذيل الوشاح فى علم النكاح:**

من مخطوطات جامعة الإسكندرية .

للسيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) المتوفى ٩١١ هـ .

(بروكلمان ٢ / ١٣٤ ـ معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨).

أولها : الحمد لله الذى جعل رحمته ملاذا ... وبعد ؛ فقد جمعت على إنشاء هزلى أدبى طبى عملى علمى ... يشتمل على فوائد جليلة الخطر...

آخرها : وكثرة الدلك والحمام وتتبع زغب الشعر بالعلك حسنوا (؟) جدا، والله أعلم ، وليكن هذا آخر القول، والحمد لله رب العالمين .

نسخة كتبت فى القرن العاشر الهجرى تقديرا، بقلم نسخى بها خروم .

٢٦٠ ق ١٠ س ١٧ × ١٢ سم
الرقم : ٤٠ / عزيز سوريال.
(فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية، معهد المخطوطات العربية ـ إعداد د. يوسف زيدان. القاهرة ١٩٩٤ م، ١/ ٣٢٣).

* **الذيل والصلة لكتاب التكملة وحاشيتها:**

من المخطوطات المصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى: الذيل والصلة لكتاب التكملة وحاشيتها تأليف رضى الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر الصاغانى المتوفى سنة ٦٥٠. ذكر فى مقدمته: «هذه حاشية ذيل الصحاح فى اللغة من تأليفى المسمى بالتكملة وصلته، أفردتها تسهيلا على الطالب وتيسيرا على الراغب، فمن حواها والتكملة حاز جميع ما فات الجوهرى، ومن جمع بينها وبين الصحاح أو اقتنى كتابى المسمى بجمع البحرين حاز اللغة بحذافيرها.

نسخة كتبت فى حياة المؤلف وبهوامشها تصحيحات بخطه وكذلك العنوان بخطه

[مراد مُلاً ١٧٦٦ ٣١١ ق ٢٤×٢٤ سم]
(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٥٥).

قالت المؤلفة: مكتبة مراد مُلاً: جهار جمبا باستانبول.

* **الذّيمونى:**

قال السمعانى:

الذيمونى: بفتح الذال المعجمة وسكون الياء المنقوطة من تحتها بنقطتين وضم الميم وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى ذيمون، وهى قرية على فرسخين ونصف من بخارى، أكثرها أصحاب الحديث، وهى قرية قديمة كثيرة الماء، بتُّ بها ليلة فى توجهى إلى الزيارة ببيكند، والمشهور من أهلها أبو محمد حكيم بن محمد بن على بن الحسين بن أحمد بن حكيم الذيمونى، قرأت هذا النسب بخطه على وجه السادس من كتاب الصلاة، نقلتها من تعليقه، فقيه أصحاب الشافعى رحمهم الله، تفقه بمرو على الإمام أبى عبد الله الخضرى وعلق عليه الفقه فى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، ودرس الكلام على الأستاذ أبى إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرائينى، توفى ببخارى فى شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة ودفن برأس سكة الصفة مقابلة الخانقاه ومشهده معروف يزار ويتبرك، زرته غير مرة. ذكر أبو كامل البصيرى فى كتاب المضافات: وحكيم اسم شيخنا أبى محمد حكيم بن محمد الذيمونى، إمام أهل الحديث، بصير بعلم كلام الأشعرى، يدرس به، المقدم فى شأنه فحدثنا عن أبى عمرو ابن صابر من لفظه فغلط فى اسم من أسماء الرجال، فرددت عليه فقربنى وأكرمنى وأجلسنى قدامه؛ وكنا يوما فى جنازة الحافظ أبى بكر الجرجرائى رحمه الله وحضر هناك الأئمة من الفريقين وأهل بخارى بدرب ميدان، وحضر هناك القاضى أبو على النسفى فقدم القاضى أبو على فى الإمامة حكيم بن محمد الذيمونى فصلينا على الجنازة بإمامته رحمهم الله.

وأبو القاسم عبد العزيز بن أبى نصر أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن زيد بن عبد الله بن مرثد بن مقاتل بن حيان الذيمونى البخارى مولى حيان النبطى من أهل بخارى، فقيه فاضل، سمع أبا عمرو ومحمد بن محمد بن صابر وأبا سعيد الخليل بن أحمد وأبا حامد أحمد بن عبد الله الصائغ وجماعة، سمع منه أبو محمد عبد العزيز بن محمد النخشبى وذكره فى معجم شيوخه وقال: شيخ شافعى المذهب لا بأس به لا يعرف الحديث، وسماعه صحيح، بكَّر به فسمعه من أبى عمرو بن صابر وهؤلاء الشيوخ.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣/ ١٩، ٢٠).

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

تم بحمد الله تعالى وعونه حرف الـذال

ويليه بمشيئة الله تعالى حرف الـــراء

أعان الله على إتمامه

حرف الراء

* الراء:

من أصوات اللغة الأصوات المكررة ، ويمثلها فى العربية صوت الراء. ويتكون هذا الصوت بأن تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكرارا سريعا. وهذا هو السر فى تسمية الراء بالصوت المكرر ويكون اللسان مسترخيا فى طريق الهواء الخارج من الرئتين . وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به.

فالراء صوت لثوى مكرر مجهور.

ولاحظ قدامى العرب خاصة التكرار فى الراء فسموه الصوت المكرر، وفسروا ذلك بقولهم «(ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١ / ٧٢): وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير» (علم الأصوات / ١٢٩).

ومن حيث الصفات فإن الراء لها سبع صفات: الجهر، التوسط، الاستفال، الانفتاح. الإصمات ، الصغير (ملخص أحكام التجويد / ١٠٨).

وقد ذكرها صاحب اللسان فى مادة «الراء» فقال: الراء من الحروف المجهورة، وهى من الحروف الذُّلق، وسميت ذُلقا لأن الذلاقة فى المنطق إنما هى بطرف أسلة اللسان، والحروف الذُّلق ثلاثة: الراء واللام والنون، وهن فى حيز واحد، وقد ذكرنا فى أول حرف الباء وطول الحروف الستة الذلق والشفوية كثرة دخولها فى أبنية الكلام (اللسان ١٧ / ١٥٣١).

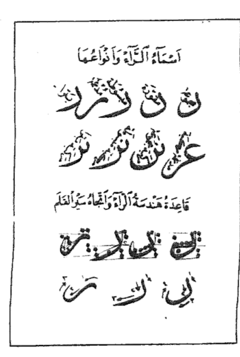
ثم عاد فذكرها فى مادة «ريا» فى آخر حرف الراء فقال رحمه الله:

والراء، حرف هجاء، وهو حرف مجهور مكرر، يكون أصلا لا بدلا ولا زائدا؛ قال ابن جنى: وأما قوله:

تخُطُّ لامَ ألفٍ موصول

والزاى والرا أيّما تهليل

فإنما أراد: والراء ، ممدودة ، فلم يمكنه ذلك لئلا ينكسر الوزن، فحذف الهمزة من الراء، وكان أصل هذا، والزاى والراء أيما تهليل ، فلما اتفقت الحركتان حذفت الأولى من الهمزتين وريَّيْت راء: عملتها . قال ابن سيده : وأما أبو على فقال ألف الراء وأخواتها منقلبة عن واو، والهمزة بعدها فى حكم ما انقلبت عن ياء، لتكون الكلمة بعد التكملة والصنعة الإعرابية من باب شويت وطويت وحويت؛ قال ابن جنى : فقلت له: ألسنا قد علمنا أن الألف فى الراء هى الألف فى ياء وباء وثاء، إذا تهجيت، وأنت تقول إن تلك الألف غير منقلبة من ياء أو واو، لأنها بمنزلة ألف ما ولا؟ فقال: لما نقلت إلى الاسمية دخلها الحكم الذى يدخل الأسماء من الانقلاب والتصرف؛ ألا ترى أننا إذا سمينا رجلا بضرب أعربناه، لأنه قد صار فى حيز ما يدخله الإعراب، وهو الأسماء، وإن كنا نعلم أنه قبل أن يسمى به لا يعرب، لأنه فعل ماض، ولم تمنعنا معرفتنا بذلك من أن نقضى عليه بحكم ما صار منه وإليه، فكذلك أيضا لا يمنعنا علمنا بأن إلف را با تا ثا غير منقلبة، مادامت حروف هجاء ، من أن



نقضي عليها، إذا زدنا عليها ألفا أخرى: ثم همزنا تلك المزيدة، بأنها الآن منقلبة عن واو، وأن الهمزة منقلبة عن الياء إذا صارت إلى حكم الاسمية التي تقضي عليها بهذا ونحوه، قال: ويؤكد عندك أنهم لا يجوزون را با تا ثا حا خا ونحوها ما دامت مقصورة متهجاة، فإذا قلت هذه راء حسنة، ونظرت إلى هاء مشقوقة جاز أن تمثل ذلك فتقول وزنه فَعَلٌ، كما تقول في داء وماء وشاء إنه فَعَلٌ؛ قال: فقال لأبي علي بعض حاضري المجلس: أفتجمع على الكلمة إعلال العين واللام؟ فقال: قد جاء من ذلك أحرف صالحة، فيكون هذا منها ومحمولا عليها (لسان العرب ٢ / ١٧٩٨).

ويتناول الإمام الصفاقسي صوت الراء من حيث صحة نطقه في تلاوة القرآن الكريم فيقول رحمه الله.

الراء تخرج من المخرج السابع من مخارج الفم وهو حرف مجهور مستفل منفتح مذلق منحرف متوسط بين الشدة والرخاوة والقوة والضعف مكرر وانفرد به على ساير الحروف ولهذا شابه حروف الاستعلا في التفخيم وقد توسعت فيها العرب واختلفت لغاتهم فيها وقد أفردها القراء بباب مستقل في كتبهم ويقع الخطأ فيها من أوجه، . منها ترعيد اللسان بها إذا شددت في نحو ﴿الرَّحمن الرَّحيم﴾ و ﴿مِن رَّبِّي﴾ حتى يصير الحرف حرفين أو أحرفا بل المطلوب حبس اللسان بها وإخفاء تكريرها وهذا مذهب المحققين كمكي والجعبري وابن الجزري قال الجعبري: ومعنى قولهم مكرر أن لها قبول التكرير لا أنها مكررة بالفعل فإنه لحن يجب التحفظ منه وهذا كقولهم لغير الضاحك إنسان ضاحك إذ وصف الشيء بالشيء أعم من أن يكون بالفعل أو بالقوة. وطريق السلامة من هذا التكرير أن يلصق اللافظ بها ظهر لسانه على حنكه لصقا محكما انتهى بالمعنى. وذهب ابن شريح (هو محمد بن شُريح بن أحمد الرعيني الإشبيلي المتوفى سنة ٤٧٦ صاحب كتاب الكافي في القراءات) في آخرين أن التكرير صفة لازمة لها وهو مذهب سيبويه لقوله إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة، والصواب الأول والله اعلم.

ومنها ترقيقها في موضع تفخيمها فلا بد من التحفظ من ذلك لا سيما إن جاورت حروف الهمس والاستفال نحو أرْسِل وأَسْرَعُ وتُرْحَمُون ولا تَرْكَنُوا والأرذلون وذَرْنَا وذَرْني وأَنْتَ الرقيبُ فكثيرا ما يجري اللسان بترقيقها لمجاورة الحروف الضعيفة وقد أجمعوا على تفخيمها في هذه المواضع ونحوها وكذلك لا خلاف في تفخيمها إذا كانت مضمومة أو مفتوحة نحو شهر رمضان إلا ما انفرد به ورش من طريق الأزرق من ترقيقها في بعض المواضع نحو الخيرَ وكبيرَة وبصايرُ وحاضرًا أو خبيرًا كما هو مبين في كتب الخلاف وكذلك لا بد من تفخيمها إذا سكنت وكان قبلها ضم أو فتح وسواء تطرفت نحو وانظُرْ وأن اشكُرْ ولا يسخر، أو توسطت نحو القرءان والفرقان وكرسيه ويرزقون وخردل وبَرْقٍ والأرض وضَرْعٍ وقرية ومريم، والمرء وزوجه، والمرء وقلبه. وحكى بعضهم كمكي في هذه الثلاثة الترقيق لأجل الياء في قرية ومريم والكسر في المرء واقتصر عليه الحصري (هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري القيرواني المقرئ المتوفى سنة ٤٦٨ وصاحب كتاب الكافي في القراءات). وانتصر له حتى نسب من يقول بالتفخيم إلى الغلط. قال في رائيته التي ألفها في قراءة نافع.

وإن سكنت والياء بعد كمريم
فرقق وغلط من يفخم بالقهر

ثم قال بعد ذلك رحمه الله تعالى ونفع به:

ولا تقرا راء المرء إلا رقيقة
لدى قصة الأنفال أو قصة السِّحر

وقصة السحر هي المذكورة في سورة البقرة في قضية هاروت وماروت والصواب في قرية ومريم التفخيم وعليه القراءة في ساير الأمصار وغلط الداني وأصحابه القائل بخلافه وكذلك المرء بموضعيه وقد أجمعوا على تفخيم تَرْميهم وفي السَّرْد ورب العرش ونحوه ولا فرق بينه وبين المرء لوجود الكسر في الجميع.

ومنها تفخيمها في موضع ترقيقها ولا خلاف بين القراء في ترقيقها إذا كسرت لزوما نحو رِزق رِجس ورِجال وفارِض والطارِق وأبصارِهم والنورِ والدهرِ والطورِ وبالنذرِ أو كسرت لالتقاء الساكنين في الوصل نحو ﴿فليحذر الذين﴾ ﴿واذكر اسم﴾ أو تحركت بحركة النقل عند من قرأ به نحو وانظر إلى وانحران شانئك وكذا إذا سكنت وجاءت قبلها كسرة نحو فرعون وشِرْعة ومِرْية والفردوس وتُنذرهم وأحْصِرتُم واستأجره

وهـذا إذا لم يكن بعـدها حـرف استعـلاء أو لم تكن الكسـرة عارضة كمـا مثل فإن كان بعدها حـرف استعلا متصل والواقع منه فى القـرآن ثلاثة أحـرف القاف فى فرقـة بالتوبـة والطا فى قرطاس بـالأنعام والصاد فى إرصادا فى التوبة ومـرصادا بالنبأ ولبالمـرصاد بـالفجر ولا خـلاف فى تفخيمها من أجـل حرف الاستعلاء فإن كـان حرف الاستعلا مكسـورا والوارد من ذلك فى القرآن موضع واحد فى الشعراء فكان كل فرق ففيه الترقيق والتفخيم والوجهان صحيحان صحح كل واحد منهما جماعة وخرج بقيد الاتصال فى حرف الاستعلا ما إذا كان منفصلا بأن كانت الـرا فى آخر كلمة وحرف الاستعلا فـى أول كلمة أخرى نحو فـاصبر صبرا وأنـذر قومك ولا تصـاعر خدك ، فـلا عبرة بحرف الاستعـلا فى مثل هذا ولا بد مـن الترقيق لأجل الفصل الخطى وكذلك إذا كانت الكسرة عارضة نحو ﴿أم ارتابوا﴾ و ﴿لمن ارتضى﴾ و ﴿يابنى اركب﴾ و ﴿رب ارجعون﴾ فلا خـلاف بينهم فى التفخيـم وأمـا نحـو ﴿لكُمُ ارجِعُوا﴾ [النور: ٢٨] و﴿ءامنوا اركعوا﴾ [الحـج : ٧٧] و ﴿الذين ارتدوا﴾ [محمد: ٢٥] و ﴿تفرحون * ارجع﴾ [النمل : ٣٦ ، ٣٧] فلا تقع الكسرة فيه إلا فى حال الابتـداء فالراء فيه أيضا مفخم لعروض الكسر. وأما قـوله تعالى ﴿وعذاب * اركض﴾ [ص ٤١ ، ٤٢] فإن قرىء بضم التنوين على قراءة نافع وغيره فالتفخيم ظـاهر لوقـوع الراء بعد ضم وإن قـرىء بكسرة على قراءة البصرى وغيره فتفخم أيضـا لعروض الكسر، فإن اجتمع فى الكلمة راءان إحداهمـا مفخمة والأخرى مرققـة نحو بِشَرَرَ والضَّرَرِ وسُرُرٍ فيتأكد الاعتناء بتفخيم الأولى وترقيق الثـانية إلا على طـريق الأزرق من تـرقيـق الأولى من بِشَـرَرٍ . وكثيـر من الناس إما يرققهما معا أو يفخمهما معا لكل القراء وهو لحن، ومنها حـذفها فى مثل قدير وخبير وبصير عند الـوقف عليها لأنها حـرف مستعص على اللسان لانضغـاطها فى مخـرجها ولما فيها من الشدة والتكرير فيسهل على اللسان تركها ويفعله كثير من النـاس وهو لحن فـاحش وخطأ ظاهـر لتغييره اللفظ والمعنى وسيأتى حكم الوقف عليه إن شاء الله مفصلا فى باب الوقف والله أعلم (تنبيه الغافلين ٥٩ ـ ٦١).

أما عن أحكام الراء بالنسبة للإدغام

فلا تدغم الراء فى الأمثلة القرآنية إلا فى اللام، . مثل قوله تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبـون الله فاتبعونى يحبيكـم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران : ٣١] والذين يبرر هذا الإدغام هو قـرب المخرج مع اتحـاد فى الصفـة ، لأن كـلا منهما صـوت متوسـط بين الشدة والرخـاوة، ولا يكاد يسمع للـراء حفيف، مثلها فى ذلك مثل أشبـاه أصوات اللين التى منها الـلام . هذا إلى أن الراء فى نظـر المحدثين من أوضح الأصوات السـاكنة فى السمع ، فهى لهـذا تشبـه الـلام والنون والميم التى تعتبر حلقـة وسطى بين أصـوات اللين والأصوات السـاكنـة ، وكل الذى يتطلبه إدغـام الراء فى اللام هو ترك التكـرار المختصة به الراء (أصوات اللغة / ١٣٤ ، ١٣٥).

أما عن النظم فلـدينا أربعة نمـاذج : الجزرية لـلإمام ابن الجـزرى، وطيبة النشـر لـلإمـام ابن الجـزرى أيضا، والـدرر اللوامع لـلإمام ابن برى، وحـرز الأمانى المعـروفة بالشـاطبية للإمام الشاطبى، وسنكتفى من الشروح بشرح الإمام أبى شامة على الشاطبية .

١ ـ الجزرية أو المقدمـة فيما يجب على القارئ أن يعلمه للإمام شمس الدين محمد بن محمد الجزرى .

قال الناظم رحمه الله فى باب الراءات :

ورقـق الـــــراء إذا مـــا كســـرت \
كـــذاك بعـــد الكســر حيث سكنت

إن لـم تكن مـن قبـل حـــرف استعـــلا \
أو كـــانت الكســرة ليست أصـــلا

والخلف فـى فـــرق لكســر يُــوجـد \
واخـف تكـــريـــرا إذا تشـــدد

(مجموع مهمات المتون / ٢٠٨).

٢ ـ طيبـة النشر فى القراءات العشر للإمـام ابن الجزرى أيضا . قال الناظم رحمه الله فى «باب مذاهبهم فى الراءات» :

باب مذاهبهم فى الراءات .

والـــراء عـن سكـــون يـــاء رقق \
أو كســرة من كلمـــة لـــلأزرق

ولم يـــر الســاكن فصـــلا غيـــر طـــا \
والصـــاد والقـــاف على مـــا اشتـــرطـــا

ورقّقن بشَرَر للأكثر
والأعجمي فَخِّم مع المكرَّرِ
ونحو سترا غير صِهْراً في الأتم
وخلف حيران وذكرك إرم
وَزْرَ وحِذركم مراء وافترا
تنتصران ساحران طهِّرا
عشيرة التسوية مع سراعا
ومع ذراعيه فقل ذراعا
إجرام كِبْره لعبرة وجل
تفخيم ما نوِّن عنه وصل
كشاكرا خيرا خبيرا خَصِراَ
وحصرت كذاك بعض ذكرا
كذاك ذات الضم رقق في الأصح
والخلف في كِبْرٌ وعشرون وضح
وإن تكن ساكنةً عن كسر
رققها يا صاح كل مقرى
وحيث جاء بعد حرف استعلا
فخم وفي ذي الكسر خُلْفٌ إلاَّ
صراط والصواب أن يُفَخَّمَا
عن كل المرء ونحو مريما
وبعد كسر عارض أو منفصل
فخم وأن تُرم فمثل ما تصل
ورقق الراء أن تُمَل وتكسر
وفي سكون الوقف فخم وابصر
ما لم تكن من بعد يا ساكنة
أو كسرا وترقيق او إمالة

(طيبة النشر / ٣٢ـ٣٤).

٣ ــ الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع للإمام ابن بري:

القول في الترقيق للراءات
محركات ومسكنات
رقق ورش فتح كل راء
وضمها بعد سكون ياء
نحو خبيرا وبصيرا والبصير
ومستطيرا وبشيرا والبشير
والسير والطير وفي حيران
خلف له حملا على عمران
وبعد كسر لازم كناظره
ومنذر وساحر وباسره
إلا إذا سكن ذو استعلاء
بينهما إلا سكون الخاء
فإنها قد فُخِّمت كمصرا
وإصرهم وفطرت ووقرا
وفخمت في الأعجمي وإرم
وفي التكرر بفتح أو بضم
وقبل مستعل وإن حال ألف
وباب سترا فتح كله عرف
ورقق الألى له من بشرر
ولا ترققها لدى أولى الضرر
إذ غلب الموجب بعد النقل
حرفان مستعل وكالمستعلي
وكلهم رققها إن سكنت
من بعد كسر لازم واتصلت
إلا إذا لقيها مستعلي
والخلف في فِرْقٍ لقَرْبِ سَهْلِ
وقبل كسرة وياء فخِّما
في المرء ثم قرية ومريما
إذ لا اعتبار لتأخر السبب
هُنا وإن حكى عن بعض العرب
وإنما اعتبر في بشرر
لأنه وقع في مكرَّر

والاتفـــــاق أنهــــا مكســـــورة
رقيقـــة فـى الـــوصل للضـــرورة
لكنهـــا فـى الـــوقف بعـــد الكســر
واليــــاء والممــــال مثل المـــر
وحكمهـــا التـــرقيق بعـــد الكســر
واليــــاء والممـــال وقفـــا فــادر
والـــوقف بـــالـــروم كمثل الـــوصل
فـــرد ودع مـــا لم يـــرد لـــلأصل

(النجوم الطوالع / ١٣٥ ـ ١٤٩).

٤ ـ حرز الأمانى ووجه التهانى (الشاطبية) للإمام الشاطبى ومعها شرح الإمام أبى شامة، وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية للأبيات كما وردت فى النص: قال الإمام الشاطبى رحمه الله فى باب مذاهبهم فى الراءات:

٣٤٢ ـــ وَرَقَّق ورش كـل راء وقبلهـــا
مسكنـــة يـــاء أو الكســر مـــوصـــلا
٣٤٣ ـــ ولم يـر فصلا ســاكنـا بعـد كسـرة
سـوى حـرف الاستعـلا سـوى الخا فكمّـلا
٣٤٤ ـــ وفخّمهــا فى الأعجمى وفى إرم
وتكـــريـــرهـــا حتى يـــرى مُتعـــدِّلا
٣٤٥ ـــ وتفخيمـه ذكـرا وسترا وبـابـه
لـــدى جلّـــة الأصحـــاب أعمـــر أرحـــلا
٣٤٦ ـــ وفى شـــرر عنـــه يـــرقق كلهم
وحيـــران بـــالتفخيم بعض تقبّـــلا
٣٤٧ ـــ وفى الراء عن ورش سوى ما ذكرتـه
مـــذاهب شـــذت فى الأداء تـــوقُّـــلا
٣٤٨ ـــ ولا بـــد من تـرقيقهـا بعـد كسـرة
إذا سكنت يـــاصـــاح للسبعـــة المـــلا
٣٤٩ ـــ ومـا حـرف الاستعـلاء بعـد فـراؤه
لكلّهِـمُ التفخيم فيهـــا تـــذلّـــلا
٣٥٠ ـــ ويجمعهـا قظ خُصَّ ضَغط وخُلْفُهُم
بفِـــرق جـــرى بين المشـــايخ سَلْسَـــلا
٣٥١ ـــ ومـا بعـد كسـر عـارض أو مُفَصّل
ففخم فهـــذا حكمـــه متبـــذِّلا
٣٥٢ ـــ ومـا بعـده كسر أو اليـا فمـا لهم
بتـــرقيقـــه نص وثيق فيمثُـــلا
٣٥٣ ـــ ومـا لقيـاس فى القـراءة مـدخلٌ
فـدونك مـا فيـه الـرضـا متكفّـلا
٣٥٤ ـــ وتـرقيقهـا مكسـورة عنـد وصلهم
وتفخيمهـــا فى الـــوقف أجمع أشمُـــلا
٣٥٥ ـــ ولكنهـا فى وقفهم مع غيـرهـا
تُـــرَقّـق بعـــد الكســر أو مـــا تميَّـــلا
٣٥٦ ـــ أو اليـاء تـأتى بـالسكـون وروْمهم
كمـا وصلهـم فـابل الـذكـاء مُصَقَّـلا
٣٥٧ ـــ وفيمـا عـدا هـذا الـذى قـد وصفتـه
على الأصل بـــالتفخيم كن متُعمَّـــلا

(متن حرز الأمانى / ٦٩ ـ ٧١)

وفيما يلى الشرح ممزوجا بالمتن:

باب الراءات

أى باب حكم الراءات أو باب الإمالة الواقعة فى الراءات، وقد عبر فى هذا الباب عن الإمالة بالترقيق: تنبيها على أنها إمالة بين اللفظين، وقد عبر عنه الدانى فى التيسير بالإمالة، والترقيق من أسماء الإمالة، فلهذا قال الشاطبى: «وقد فخموا التنوين وقفا ورققوا» وقد تقدم ذكر إمالة ورش لذوات الراء بين بين، وهذا الباب تتمة لمذهبه فى إمالة الراء، حيث لا يميلها غيره، وهو إذا لم يكن بعدها ألف، أو كان، ولكنها ألف غير طرف أو ألف تثنية نحو

(فِرَاشِ ـ و ـ سَاحِرانِ).

فقوله: «وما بعد راء شاع حكما» لا يدخل فيه هذان النوعان، لأن الإمالة المذكورة فى ذلك البيت للألف لا للراء، وجاءت إمالة الراء تبعا لها، والمذكور فى هذا الباب إمالة الراء لا الألف، فلم يضر وقوع ألف التثنية بعدها ولا غيرها، وإن كان قد خالف فى بعض هذا مخالف، على ما سنذكره إن شاء الله سبحانه، والله أعلم.

٣٤٢ ـــ [ورقّق ورشٌ كل راء وقبلهـــا
مُسكَّنـــة يـــاءٌ أو الكســـر مُـــوصَـــلاَ

رقق: أى أمال بيـن بين، قال فى التيسيـر: اعلم أن ورشا كان يميل فتحة الراء قليلا بين اللفظين، وكذا قال فى باب الإمالة، وقال مكى: كان ورش يـرقق الراء، فيعلم من هـذا الإطلاق أن الترقيق فى هذا البـاب عبارة عن إمـالة بين بين، ويستخرج من هـذا أن إمـالـة الألفـات بين بين، على لفظ الترقيق فى هذا الباب، على ما ينطق بـه قراء هذا الزمان، وقد نبهنـا على ذلك فى شـرح قـولـه: «وذو الـراء ورش بين بين» فالمراد من ترقيق الراء تقريب فتحها من الكسرة، وقوله كل راء: يعنى سـاكنـة كـانت أو متحركـة بأى حـركـة تحـركت على الشروط المذكورة، إلا ما يأتى استثنـاؤه، وقوله مسكنة: حال مقـدمـة لـو تأخـرت لكانت صفـة لليـاء، والـواو فى وقبلهـا للحال: أى رققها فى حال كون الياء الساكنة قبلها نحو:

(غير ـ و ـ الخير ـ و ـ لا ضير ـ و ـ ميراث ـ و ـ فقيرا ـ والمغيرات).

ولا يكون قبل الياء الساكنة إلا مفتوح أو مكسور، وقد مثلنا بالنوعين، ثم قال: أو الكسر، أى أو أن يكون قبل الراء كسر، نحو:

(الآخرة ـ و ـ باسرة ـ و ـ المدبرات).

ولا فـرق فى المكسور بين أن يكـون حرف استعـلاء أولا، وتقع حروف الاستعـلاء قبلها إلا الغين نحـو: (ـ ناضـرة ـ إلى ربها ناظرة ـ قاصرات ـ قطران).

ونحوه، فهذه ستة، ودخل ذلك كله تحت قوله: «كل راء» أى سواء توسطت أو تطرفت لحقها تنوين أو لم يلحقها، كان المكسور قبلها حـرف استعلاء أو غير حرف استعـلاء، فالراء مرققـة محالة بين اللفظين لورش سـواء وصل الكلمة أو وقف عليها، وقـوله موصـلا: حال من الكسر، أى: يكـون الكسر موصلا بالراء فى كلمة واحدة، احترازا مما يأتى ذكره، وهو: الكسـر العارض، والمفصل، والغـرض من الإمـالة والتـرقيق مطلقـا اعتـدال اللفظ وتقـريب بعضـه من بعض، بأسبـاب مخصوصة، وأسبـاب ترقيق الراء هنا لـورش: أن يكون قبلها يـاء سـاكنـة، أو كسرة لازمـة متصلـة: لفظـا أو تقديـرا والله أعلـم.

٣٤٣ ـــ [ولم يـر فصـلا سـاكنـا بعـد كسـرة
سوى حـرف الاستعـلا سوى الخـا فَكَمَّـلا]

أى لم يعتد بالحرف السـاكن الذى وقع فصلا بين الكسرة اللازمة والـراء، فأعمل الكسرة ما تقتضيه من التـرقيق، كأنها قد وليت الراء، وذلك نحو:

(إِكْرَاهَ ـ و ـ إِكْرَامَ ـ و ـ سِدْرَةَ).

فرقق لضعف الفاصل بسكونـه، فإن كان الفاصل الساكن حـرف استعلاء قـوى المـانع، فإنه لقـوتـه فى منع الإمالـة لا يضعف بكـونه سـاكنا كمـا يضعف غيره، ولا يقع كـذلك من حروف الاستعلاء إلا: الصاد، والطاء، والقاف، نحو:

(إِصْرًا ـ و ـ قِطْرًا ـ و ـ وَقْرًا).

واستثنى من حـروف الاستعـلاء الخـاء، فلم يعتـد بهـا فاصلا، نحو إخراجـا، لأنها ضعفت عن أخواتها بالهمس، والصاد وإن كانت مهموسة إلا أنها مطبقة ذات صفير، فقويت فمنعت، فإن قلت: قـوله: ولم يـر: من رؤيـة القلب، فأين مفعـولاه؟ قلت: «فصلا» هـو المفعول الثـانى، وسـاكنا هـو الأول، أى لم ير السـاكن فصـلا وقوله سـاكنـا: نكرة فى سياق النفى، فهى للعمـوم فـاستثنـى من ذلك العمـوم حـروف الاستعلاء، فقوله حـرف، بمعنى حروف؛ اكتفى بالمفرد عن الجمع للـدلالـة على الجنس، ثـم استثنى الخـاء من هـذا الجنس، فهـو استثنـاء من استثنـاء، والاستثنـاء مغـايـر فى الحكم للمستثنى منـه، فحروف الاستعـلاء فـاصلة، والخـاء ليست فـاصلـة، فهـو كقولك: خـرج القـوم إلا العبيـد: إلا سالما، فيكون سالم قد خرج وقصر الناظم لفظى الاستعلاء والخاء ضـرورة، والضمير فى «ولم ير» وفى «فكمَّـلا» لورش، أى كمل حسن اختيـاره بصحـة نظره حين اختـزل الخـاء من حروف الاستعلاء فرقق بعدها.

٣٤٤ ـــ [وفخَّمهـــا فى الأعجمى وفى إرم
وتكـــريـــرهـــا حتى يـــرى مُتعـــدِّلا]

ذكر فى هذا البيت ما خالـف فيه ورش أصله، فلم يرققه ممـا كان يلـزم تـرقيقه على قيـاس مـا تقدم، والتفخيم ضـد التـرقيق: أى: وفخم ورش الـراء فـى الاسم الأعجمى، أى الـذى أصله العجمـة، وتكلمت العـرب بـه ومنعته الصـرف بسببه، والذى منه فى القرآن ثلاثة.

(إبراهيمَ ـ و ـ إسرائيلَ ـ و ـ عمرانَ) .

كان يلزمه ترقيق رائها، لأن قبلها ساكنا بعد كسرة، وليس الساكن حرف استعلاء، ثم قال «وفى إرم» أى وفخم الراء فى : ﴿إرم ذات العماد﴾ [الفجر : ٧]

وكان يلزمه ترقيقها، لأنها بعد كسرة، وإرم أيضا اسم أعجمى، وقيل عربى، فلأجل الخلاف فيه أفرده بالذكر ، ووجه تفخيم ذلك كله التنبيه على العجمة، ورقق أبو الحسن بن غلبون :

﴿إرم﴾ .

لأن الكسرة وليت الراء، بخلاف البواقى، وأما :

﴿عزير﴾ .

فلم يتعرضوا له، وهو أعجمى، وقيل عربى على ما يبين فى سورته، فيتجه فيه خلاف مبنى على ذلك ، ثم قال : وتكريرها، أى وفخم الراء أيضا فى حال تكريرها، أو فى ذى تكريرها، أى فى الكلمة التى تكررت الراء فيها، يعنى إذا كان فى الكلمة راءان نحو:

(فِرارا ـ و ـ ضِرارا ـ و ـ لن ينفعكم الفرار ـ و ـ إسرارا ـ ومدرارا) .

لم ترقق الأولى، وإن كان قبلها كسرة لأجل الراء التى بعدها، فالراء المفتوحة والمضمومة تمنع الإمالة فى الألف، كما تمنع حروف الاستعلاء، فكذا تمنع ترقيق الراء، وقوله حتى يرى متعدلا، يعنى اللفظ وذلك أن الراء الثانية مفخمة، إذ لا موجب لترقيقها، فإذا فخمت الأولى اعتدل اللفظ وانتقل اللسان من تفخيم إلى تفخيم، فهو أسهل ، والله أعلم .

٣٤٥ ـ [*وتفخيمُهُ ذكرا وسترا وبابَه* *لدى جلَّة الأصحاب أعْمَرُ أرْحُلا*]

ذكر فى هذا البيتَ ما اختلف فيه مما فصل فيه بين الكسر والراء ساكن غير حرف استعلاء، فذكر مثالين على وزن واحد، وهما :

(ذكرا ـ و ـ سترا) .

ثم قال : «وبابه » أى وما أشبه ذلك، قال الشيخ «وبابه» يعنى به كل راء مفتوحة لحقها التنوين ، وقبلها ساكن قبله كسرة نحو:

(حِجْرًا ـ و ـ صِهْرًا ـ و ـ شيئا إمْرًا ـ و ـ وِزْراً) .

فالتفخيم فى هذا هو مذهب الأكثر، ثم علل ذلك بأن الراء قد اكتنفها الساكن والتنوين، فقويت أسباب التفخيم، قلت : ولا يظهر لى فرق بين كون الراء فى ذلك مفتوحة أو مضمومة بل المضمومة أولى بالتفخيم، لأن التنوين حاصل مع ثقل الضم، وذلك قوله تعالى :

﴿هذا ذكر﴾ [صَ : ٤٩] .

فإن كان الساكن الذى قبل الراء قد أدغم فيها، فالترقيق بلا خلاف نحو:

(سِرًّا ـ و ـ مُسْتَقَرًّا) .

لأن الكسرة كأنها وليت الراء من جهة أن المدغم فيه كالحرف الواحد، فالمدغم كالذاهب، ورقق أبو الحسن بن غلبون جميع الباب إلا:

(مِصْرًا ـ و ـ إصْرًا ـ و ـ قِطْرًا)

من أجل حرف الاستعلاء ، فألزمه الدانى :

(وِقْرًا) .

ومنهم من لم يرقق :

(إلا صِهْرًا) .

لخفاء الهاء، وفخم أبو طاهر بن أبى هاشم، وعبد المنعم بن غلبون وغيرهما أيضا من المنون نحو:

(خبيرا ـ و ـ بصيرا ـ و ـ مدبرا ـ و شاكرا) .

مما قبل الراء فيه ياء ساكنة أو كسرة؛ فكأنه قياس على :

(ذِكْرًا ـ و ـ سِتْرًا) .

قال الدانى: وكان عامة أهل الأداء من المصريين يميلونها فى حال الوقف، لوجود الجالب لإمالتها فى الحالين وهو الياء والكسرة ، وهو الصواب ، وبه قرأت، وبه آخذ، وقال فى :

(ذِكْرًا ـ و ـ سِتْرًا)

أقرأنى ذلك غير أبى الحسن بن غلبون بالفتح، وعليه عامة أهل الأداء من المصريين وغيرهم، وذلك على مراد الجمع بين اللغتين، قلت : فحصل من هذا أن المنصوب المنون الذى قبل رائه ما يسوغ ترقيقها : على ثلاثة أقسام ما يرقق بلا خلاف، وهو نحو :

(سرًّا و ـ مُستقرًّا) .

وما يرقق عند الأكثرين، وهو نحو:

(خَبيرا ـ و ـ شَاكرا) .

وما يفخم عند الأكثر وهو نحو:

(ذِكرا ـ و ـ سِترا) .

وقلت فى ذلك بيتا جمع الأنواع الثلاثة على هذا الترتيب، وهو:

وسِـــــرًّا رقيق قل خبيـــرا وشـــاكـــرا

لـــلأكثـــر ذكـــرا فخم الجلـــة العـــلا

وكأنهم اختاروا تفخيم هذا النوع، لأنه على وزن ما لا يمال، نحو:

(علما ـ و ـ حِمْلا) .

والخلاف فى ذلك إنما هو فى الأصل، ولهذا عد التنوين مانعا، أما فى الوقف فعند بعضهم لا خلاف فى الترقيق لزوال المانع، وقال أبو الطيب بن غلبون: اختلف عن ورش فى الوقف، فطائفة يقفون بين اللفظين وطائفة يقفون بالفتح من أجل الألف التى هى عوض من التنوين، والله أعلم.

والجلة: جمع جليل، وأرحلا جمع رحل، ونصبه على التمييز، و تفخيمه مبتدأ، وأعمر أرحلا خبره، وعمارة الرحل توزن بالعناية والتعاهد له، فكأنه أشار بهذه العبارة إلى اختيار التفخيم عند جلة الأصحاب من مشايخ القراء، وبابه النصب، عطف على مفعول تفخيم.

٣٤٦ ـــ [وفى شَـــرَر عنــه يُـــرَقِّقُ كُلُّهُم

وحَيْـــرَانَ بـــالتفخيم بعض تقبَّـــلا]

أراد قوله تعالى:

﴿إنها ترمى بشرر كَالقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]

رقق كل الأصحاب عن ورش راءه الأولى، لأجل كسر الثانية، وهذا خارج عن الأصل المقدم، وهو ترقيق الراء لأجل كسر قبلها، وهذا لأجل كسر بعدها، وكسرة الراء تعد بكسرتين لأجل أنها حرف تكرير، قال الدانى: لا خلاف عن ورش فى إمالتها وإن وقف عليها، قال: وقياس ذلك عند قوله تعالى فى النساء:

﴿غير أولى الضرر﴾ [النساء: ٩٥].

غير أن أصحابنا يمنعون من إمالة الراء فيه من أجل وقوع الصاد، وهى حرف استعلاء قبلها، قال: وليس ذلك مما يمنع من الإمالة هاهنا لقوة جرة الراء، كما لم يمنع منها لذلك فى نحو:

(الغار ـ و ـ أنصار ـ و ـ كالفخار ـ و ـ بقنطار) .

وشبهه، مع أن سيبويه قد حكى إمالة راء الضرر سماعا، وعليه أهل الأداء غير أنى بالفتح قرأت ذلك، وبه آخذ، قال وأجمعوا عنه على تفخيمها فى قوله تعالى:

﴿على سُرُرٍ﴾ .

حيث وقع، قال: وقياس ما أجمعوا عليه عنه من ترقيقها فى قوله ﴿بِشَررٍ﴾[المرسلات: ٣٢]

لأجل جرة الراء بعدها يوجب ترقيقها هنا، قال: وزادنى ابن خاقان فى الاستثناء إخلاص الفتح للراء فى قوله تعالى:

﴿حَيْرَانَ﴾[الأنعام: ٧١]

فى الأنعام (الآية: ٧١) قال تعالى: وقرأت على غيره بالترقيق، قال: وهو القياس من أجل الياء؛ وقد ذهب إلى التفخيم جماعة من أهل الأداء، وقال: قرأت بالوجهين فى:

(حيران ـ و ـ إجرامى ـ و ـ عشيرتكم) .

فى سورة براءة خاصة (الآية ٢٤) قلت: وعلل بعضهم تفخيم حيران بالألف والنون فيه، فى مقابلة ألف التأنيث فى حيرى، و إذا وقعت الراء قبل ألف حيرى رققت، لأجل الألف الممالة، لا لأجل الياء، فكما لم يكن للحاء حكم مع وجود الألف فى حيرى، لم يكن لها حكم مع وجود الألف والنون فى حيران، قلت: وهذا كلام ضعيف لمن تأمله، ثم قال: ونظير ارتفاع حكم الياء مع الألف الممالة ارتفاع حكم الكسرة معها فى نحو:

﴿ذكرى الدار﴾ [صٓ: ٤٦]

ألا ترى أنك إذا وقفت رققت، و إذا وصلت فخمت، قلت: وهذا ممنوع، بل إذا وصل رقق لأجل الكسرة، وإذا وقف أمال تبعا للألف، وقد سبق التنبيه على هذا فى باب الإمالة، والله أعلم.

٣٤٧ ـ [وفى الراء عن ورش سوى ما ذكرته
مذاهب شذت فى الأداء توقلا]

توقلا: تمييز، يقال: توقل فى الجبل إذا صعد فيه، أى شذ ارتفاعها فى طرق الأداء، ولفظة الأداء كثيرة الاستعمال بين القراء، ويعنون بها تأدية القراء القراءة إلينا بالنقل عمن قبلهم، كأنه لما ذكر هذه المواضع المستثناة من الأصل المتقدم، قال: وثم غير ذلك من المواضع المستثناة اشتمل عليها كتب المصنفين، فمن تلك المذاهب ما حكاه الدانى عن شيخه أبى الحسن بن غلبون: أنه استثنى تفخيم كل راء بعدها ألف تثنية نحو:

(طهِّرا ـ و ـ ساحران)

أو ألف بعدها همزة نحو:

(افتراء عليه)

أو بعدها عين نحو:

(سراعا ـ و ـ ذراعا ـ و ـ ذراعيه)

وفخم قوم إذا كان بين الراء وبين الكسر ساكن: نحو:

(حِذْرَكُم ـ و ـ ذِكركم ـ و ـ لِعبرةً).

مطلقا، ومنهم من اقتصر على تفخيم:

(ـ وِزْرَ ـ)

حيث وقع، ومنهم من اقتصر على:

(وزرك ـ ذِكْرَك).

ومنهم من فخم فى موضعين، وهما: عشرون:

(كبره ـ و ـ ما هم ببالغيه).

٣٤٨ ـ [ولا بد من ترقيقها بعد كسرة
إذا سكنت يا صاح للسبعة الملا]

أى إذا سكنت الراء وقبلها كسرة رققت لجميع القراء، نحو:

(مرية ـ و ـ شرذمة ـ و ـ اصبر ـ و ـ يغفر ـ و ـ فرعون).

قالوا: لأن الحركة مقدرة بين يدى الحرف، وكأن الراء هنا مكسورة، ولو كانت مكسورة لوجب ترقيقها، على ما يأتى، ومن ثم امتنع ترقيق نحو:

(مرجع).

لأن الكسرة تبعد عنها، إذا كانت بعدها، وتقرب منها إذا كانت قبلها، بهذا الاعتبار، قال: ومن ثم همزت العرب نحو مؤسى والسؤق، لما كانت الضمة كأنها على الواو، والواو المضمومة يجوز إبدالها همزة، فأجروا الساكنة المضموم ما قبلها مجرى المضمومة لهذه العلة، وكثر فى نظم العرب ومن بعدهم قوله يا صاح، ومعناه، يا صاحب، ثم رخم كما قرأ بعضهم:

﴿يا مَالِ ليقض علينا ربُّك﴾ [الزخرف: ٧٧]

قال إلا أن ترخيم صاحب من الشذوذ المستعمل لأنه غير علم بخلاف مالك ونحوه والملا الأشراف.

٣٤٩ ـ [وما حَرْفُ الاستعلاء بعد فَراؤُه
لكُلِّهم التفخيمُ فيها تَذَلَّلا]

أى واللفظ الذى وقع فيه حرف الاستعلاء بعد رائه فراء ذلك اللفظ تذلل التفخيم فيها لكلهم، أى انقاد بسهولة، لأن التفخيم أليق بحروف الاستعلاء من الترقيق، لما يلزم المرقق من الصعود بعد النزول، وذلك شاق مستثقل وحرف الاستعلاء إذا تأخر منع الإمالة مطلقا، بخلافه إذا تقدم، فإنه لا يمنع إلا إذا لم يكن مكسورا، أو ساكنا، بعد مكسور وهذا البيت مشكل النظم فى موضعين: أحدهما أن «ما» فى أوله عبارة عن «ماذا»، والثانى الهاء فى «راؤه» إلى ماذا تعود؟ والذى قدمته من المعنى هو الصواب إن شاء الله تعالى، وهو أن «ما» عبارة عن اللفظ الذى فيه الراء بعد كسر، والهاء فى «راؤه» تعود على ذلك اللفظ، وقال الشيخ فى شرحه: يعنى والذى بعده من الراءات حرف الاستعلاء، فراؤه إن شئت رددت الضمير إلى «ما» وإن شئت أعدته على حرف الاستعلاء قلت: كلاهما مشكل، فإن ما مبتدأ، وقد جعلها عبارة عن الراء، فإذا عادت الهاء إلى ما يصير التقدير، فراء الراء، ذلك فاسد، لأنه من باب إضافة الشىء إلى نفسه، وذلك لا يجوز وإن عادت إلى حرف الاستعلاء بقى المبتدأ بلا عائد يعود إليه، ثم جمع حروف الاستعلاء فقال:

٣٥٠ ـ [ويجمعها قظْ خُصَّ ضَغْط وخُلْفُهُم
بفِرْق جرى بين المشايخ سَلْسَلا]

أى يجمعها هذه الكلمات فهى سبع أحرف، وربما ظن السامع أن جميعها يأتى بعد الراء فيطلب أمثلة ذلك فلا يجد

بعضه، إنما أراد الناظم أى شىء وجد منها بعد الراء منع، والواقع منها فى القرآن فى هذا الغرض أربعة : الصاد، والضاد والطاء والقاف، ولم يقع : الخاء ، والظاء، والغين، ولو أنه قال:

وما بعده صاد وضاد وطا وقا

ف فَخِّم لكل خلف فرق تسلسلا

لبان أمر البيتين فى بيت واحد، وخلصنا من إشكال العبارتين فيهما، والله أعلم.

أما الصاد فوقعت بعد الراء الساكنة بعد كسر، وهى المرققة لجميع القراء، فمنعت الترقيق حيث وقعت ، نحو:

(إرصادا ـ و ـ لبالمرصاد)

وأما الضاد فوقعت فى مذهب ورش فى نحو:

(إعراضا ـ و ـ إعراضهم).

وأما الطاء والقاف فوقعا فى الأمرين، نحو:

(قرطاس ـ و ـ فرقة ـ و ـ صراط ـ و ـ فراق).

وليس من شرط منع حرف الاستعلاء أن يلى الراء، بل يمنع وإن فصل بينهما الألف، ولا يقع فى مذهب ورش إلا كذلك غالبا، نحو:

(صراط ـ و ـ فراق ـ و ـ إعراض)

حتى نص مكى فى التبصرة على أن

﴿حَصِرَتْ صُدُورُهم﴾ [النساء : ٩٠]

لا ترقق فى الوصل لأجل صاد:

﴿صُدُورُهم﴾.

فإن رققت على :

(حَصِرَتْ)

وقفت لزوال المانع ، قلت: وتفخيم راء:

﴿حَصِرت﴾ أجل صاد ﴿صدورهم﴾.

بعيد لقوة الفاصل، وهو التاء بخلاف فصل الألف، ولأن حرف الاستعلاء منفصل من الكلمة التى فيها الراء؛ فلا ينبغى أن يعتبر ذلك إلا فى كلمة واحدة، وعلى قياس ما ذكروه يجب التفخيم فيما إذا كانت الراء آخر كلمة، وحرف الاستعلاء كلمة بعدها، نحو:

(لتنذر قوما ـ أن أنذر قومك ـ ولا تصاعر خدك ـ فاصبر صبرا جميلا).

وللتفخيم فى هذا يكون أولى عن التفخيم فى :

﴿حَصِرَتْ صدُورُهُم﴾.

لوجود الفاصل فى حصرت دون ما ذكرناه، ولا أثر للصاد فى حصرت، فإنها مكسورة، فلا تمنع ، لأنها مثل :

(تبصرون).

والأظهر الترقيق فى الجميع ، قياسا للمانع على المقتضى، وسيأتى فى البيت بعد هذا أن ما جاء بعد الكسر المفصل فلا ترقيق فيه، فلم ينظر إلى المفصل ترقيقا، فلا ينظر أيضا إلى المفصل تفخيما، فيعطى كل كلمة حكمها، والله أعلم.

ومعنى قوله «قِظْ خُصَّ ضَغْطٍ» أى : أقم فى القيظ فى خص ذى ضغط. أى خص ضيق ، أى اقنع من الدنيا بمثل ذلك وما قاربه، واسلك طريقة السلف الصالح، فقد جاء عن أبى وائل شقيق بن سلمة رحمة الله عليهما، وهو من المخضرمين وأكابر التابعين من أصحاب عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما نحو من ذلك، قال عبد الله بن عمير: كان لأبى وائل خص من قصب، يكون فيه هو ودابته، فإذا غزا نقضه، وإذا رجع بناه وأما قوله فى الشعراء.

﴿فكان كُلُّ فِرْقٍ﴾ [الشعراء : ٦٣]

فالراء فيه رقيقة لوقوعها بين كسرتين، وضعف منع حرف الاستعلاء بسبب كسره، ونقل الاتفاق على ترقيق هذا الحرف مكى وابن شريح وابن الفحام.

قال الشيخ رحمه الله : وفخمها بعضهم لمكان حرف الاستعلاء ، قال الحافظ أبو عمرو: والوجهان جيدان قال: وإلى هذا أشار بقوله جرى بين المشايخ سلسلا، قلت: وقال الدانى فى كتاب الإمالة، كان شيخنا أبو الحسن يرى إمالة الراء فى قوله :

(والإشراق).

لكون حرف الاستعلاء فيه مكسورا، قال: فعارضته بقولى :

(إلى صراط)

وألزمته الإمالة، فيه قال: ولا أعلم خلافا بين أهل الأداء لقراءة ورش عن نافع من المصريين وغيرهم فى إخلاص فتح الراء فى ذلك، وإنما قال ذلك شيخنا رحمه الله فيما أحسبه

قياسا دون أداء، لاجتماع الكل على خلاف ما قاله، والله أعلم.

٣٥١ ـ [وما بعد كَسْر عارض أو مفصَّل
ففخِّم فهذا حُكمه متبذِّلا]

أى والذى يوجد من الراءات بعد كسر عارض، وهو كسر ما حقه السكون، ككسر همزة الوصل، نحو:

(امرأةٌ ـ و ـ ارجعوا).

إذا ابتدأت، وكسرة التقاء الساكنين، نحو:

(وإن امرأة ـ أم ارتابوا ـ يا بنى اركب).

إذا وصلت، أو بعد كسر مفصل أى يكون الكسر فى حرف مفصل من الكلمة التى فيها الراء لفظا أو تقديرا، نحو ما سبق من كسرة التقاء الساكنين نحو:

(لحُكم ربِّكَ ـ بحمد ربهم ـ و ـ برسول ـ و ـ لرسول).

لأن حروف الجر فى حكم المنفصل من الكلمة الداخلة هى عليها، لأن الجار مع مجروره كلمتان: حرف واسم، فلعروض الكسرة فى القسم الأول، وتقدير انفصال الراء عن الكسرة فى الثانى، فخمها ورش فى المتحركة، وجميع القراء فى الساكنة، قال ابن الفحام: لم يعتد أحد بالكسرة فى قوله:

(بِربِّهم ـ ولا ـ بروح القدس ـ ولا فى ـ ارجِعُوا).

قال: وأما المبتدأة، فلا خلاف فى تفخيمها، نحو:

(أرأيت).

قلت: فيعلم من هذا أن نحو قوله تعالى:

(مقنعى رءوسهم ـ الذى رزقنا).

لا ترقق، وإن كان قبل الراء ياء ساكنة، لأنها منفصلة عنها، ولم ينبه الناظم على الياء المنفصلة، كما نبه على الكسر المفصل، وقد نبه عليه غيره، والله أعلم.

وقوله متبذلا: حال، يشير إلى أن التفخيم مشهور عند القراء، مبذول بينهم.

٣٥٢ ـ [وما بعده كسر أو اليا فما لهم
بترقيقه نصٌّ وثيق فيمثُلا]

أى وما وقع من الراءات بعده كسرة أو ياء، على ضد ما سبق، لأن الذى تقدم الكلام فيه أن تكون الراء بعد كسر أو ياء، وليس هذا على عمومه، بل مراده أن ما حكوا ترقيقه مما بعده كسر أو ياء لا نص لهم فيه، والذى حكوا ترقيقه من ذلك نحو:

(مريم ـ ولفظ ـ المرء).

وعموم ما ذكره فى هذا البيت يجىء فى الراء الساكنة، نحو:

(مريَم ـ و ـ يرجْعون).

ولا تكون الياء بعدها إلا متحركة نحو:

(لبشرَين ـ و ـ البحرَين ـ و ـ إلى رَبِّهم).

وكان القياس يقتضى أن هذا كله يرقق، كما لو تقدمت الياء أو الكسر، فإن الترقيق إمالة، وأسباب إمالة الألف تكون تارة بعدها، وهو الأكثر وتارة قبلها، فينبغى أن تكون الراء كذلك، ولكن عدم النص فى ترقيق مثل ذلك، ونقل مكى الترقيق فى نحو.

(مريم ـ و ـ قرية).

فقال: أما الراء الساكنة فلا اختلاف فيها أنها غير مغلظة إذا كان قبلها كسرة لازمة، أو بعدها ياء نحو:

(مريم ـ و ـ فرعون ـ قال ونقلت ـ بين المرء)

بالتغليظ وتركه لورش وللجماعة بالتغليظ قال الدانى على الترقيق عامة أهل الأداء من المصريين القدماء قال: والقياس إخلاص فتحها لفتحة الميم قبلها، قوله: فيمثلا، أى فيظهر ثم قال:

٣٥٣ ـ [وما لقياس فى القراءة مدخلٌ
فدونك ما فيه الرضا متكفِّلا]

أى لو فتح قياس ما بعد الراء على ما قبلها لاتسع الأمر فى ذلك، فيقال: يلزم من إمالة.

(مريم ـ إمالة نحو ـ يرتع).

فلا فرق بين أن تكون الياء المفتوحة بعد الراء وقبلها، بل مراعاة ما قبلها أولى، بدليل أن الياء الساكنة اعتبرت قبل الراء ولم تعتبر بعدها نحو:

(وجَرَيْنَ بِهِم).

وقد اعتذر قوم عن ذلك بما فيه تكلف، ولو رققت الراء من:

(يرتَعْ).

لرققت لورش فى نحو:

(يرون).

فدونك ما فيه الرضى: أى ما نقل ترقيقه وارتضاه الأئمة متكفلا بتقديره و إظهاره للطلبة، أى خذه والزمه متكفلا به، ويجوز أن يكون متكفلا حالا من ما، وهو المفعول، أى خذ الذى تكفل بالرضى للقراء، والمعنى أنهم يرضون هذا المذهب دون غيره، وأما نفى القياس فى علم القراءة مطلقا فلا سبيل إليه، وقد أطلق ذلك أبو عمرو الدانى فى مواضع وقد سبقت عبارته فى:

(بين المراء).

بأن القياس إخلاص فتحها، وقال فى آخر باب الراءات من كتاب الإمالة: فهذه أحكام الوقف على الراءات على ما أخذناه عن أهل الأداء، وقسناه على الأصول إذ عدمنا النص فى أكثر ذلك، واستعمل ذلك أيضا فى بيان إمالة ورش الألف بين اللفظين فى مواضع كثيرة فى كتاب الإمالة وغيره.

٣٥٤ ـ] وترقيقُها مكسورةً عند وصلهم
وتفخيمها فى الوقفِ أجْمَعَ أشْمُلا]

يعنى إذا كانت الراء مكسورة، فكلهم يرققها إذا وقعت وسطا مطلقا نحو:

(قادرين ـ و ـ الصابرين).

أو أولا نحو:

(ريحٌ ـ و ـ رجالٌ).

وإن وقعت الراء المكسورة كلمة رققت للجميع فى الوصل، سواء كان الكسر أصلا أو عارضا نحو:

(مِن أمرِ الله ـ و ـ أنذِرِ الناسَ)

فإن وقفت ذالت كسرة الراء الموجبة لترقيقها، فتفخم حينئذ وفيه إشكال، فإن السكون عارض، وقد تقدم فى باب الإمالة أن السكون العارض فى الوقف لا يمنع الإمالة، فيتجه مثل ذلك هنا، وقد أشار إليه مكى فقال: أكثر هذا الباب إنما هو قياس على الأصول، وبعضه أخذ سماعا، ولو قال قائل إننى أقف فى جميع الباب كما أصل، سواء سكنت أو رمت، لكان لقوله وجه، لأن الوقف عارض، والحركة حذفها عارض، وفى كثير من أصول القراءات لا يعتدون بالعارض، قال فهذا وجه من القياس مستتب، والأول أحسن قلت: وقد ذكر الحصرى الترقيق فى قصيدته فقال:

ومـا أنت بالترقيق وأصله
فقف عليه به إذ لست فيه بمضطر

ويمكن الفرق بين إمالة الألف وترقيق الراء، بأن إمالة الألف أقوى وأقيس وأفشى فى اللغة من ترقيق الراء، بدليل أن الألف تمال ولا كسر يجاورها، كذوات الياء، ويمال أيضا نحو:

(خاف).

لأن الخاء قد تكسر إذا قيل خفت، فاتسع فى إمالة الألف كثيرا، فجاز أن يمنع الأضعف ما يمنع الأقوى لكن يضعف هذا الفرق نصهم على ترقيق الراء الأولى من:

(شَرَرٍ).

فى الوقف، فهذا دليل على اعتبار الكسر فيها بعد ذهابه بسكون الوقف، قالوا: وترقيق الثانية لأجل إمالة الأولى، وهذا دليل على عدم اعتبار الكسر فيها، وإلا لأثر فى نفسها الترقيق ولم يعتبر بإمالة ما قبلها ووجه ذلك: أن ترقيق الأولى أشبه إمالة الألف فى نحو:

(النار)

وكلاهما رقق لكسرة بعده. فبقى الترقيق بعد زوال الكسرة فى الوقف كما تقدم فى الألف، وقوله: وترقيقها مبتدأ، وخبره قوله: عند وصلهم، وأجمع أشملا: خبر قوله وتفخيمها، وأشملا تمييز، وهو جمع شمل والمعنى: هو أجمع أشملا من ترقيقها إشارة إلى كثرة القائلين به وقلة من نبه على جواز الترقيق فيه، كما نبه عليه مكى، والحصرى، فإن قلت، ما تقول فى قوله تعالى:

﴿فالفارقات فرقا﴾ [المرسلات: ٤]

هل تمنع القاف من ترقيق الراء المكسورة؟ قلت: لا، لقوة مقتضى الترقيق، وهو الكسر فى نفس الراء. وإنما يمنع حرف الاستعلاء ترقيق غير المكسورة، لأن مقتضى ترقيقها فى غيرها، فضعف، فقوى حرف الاستعلاء على منع مقتضاه، قال الدانى: أما الراء المكسورة فلا خلاف فى ترقيقها بأى حركة تحرك ما قبلها، ولا يجوز غير ذلك، والله أعلم.

٣٥٥ ــ [ولكنهــا فى وقفهـم مع غيــرهـــا
تُــرقق بعــد الكســر أو مــا تميَّـــلا] .

الضمير في «ولكنهـا» للمكسورة، أى مع غيـرهـا من الراءات: المفتوحة والمضمومة، والساكنة ، ترقق فى الوقف إذا كـان قبلها أحـد أسباب ثـلاثة، ذكـر منها فى هـذا البيت اثنين: الكسر، والإمالة، والثالث يأتى فى البيت الآتى، وهو الياء الساكنة، فمثال ذلك بعد الكسر:

(فهل من مُدَّكر ـ يُحلَّون فيها من أساور ـ أنما أنت مُذَكِّر ـ فانتصر).

ومن ذلك ما كـان بين الراء وبين الكسر فيه سـاكن نحو ـ الذكر ـ و ـ السحر ـ و ـ الشعر:

نص عليه الـدانى فى كتاب الإمالـة ، فكأن الشاطبى أراد بعد الكسـر المؤثر فى مـذهب ورش، وقد علم ذلك من أول الباب، ومثال ذلك بعد الإمالة:

(عذاب النار).

فى مذهب الدورى وأبى عمرو، و:

(بشرر).

فى مذهب ورش، نص عليـه الدانى وغيـره، وهو مشكل من وجه أن الراء الأولى إنما أميلت لكسـرة الثانية فإذا اعتبرت الكسرة بعـد سكون الوقف لأجل إمالـة الأولى، فلم لا تعتبر لأجل ترقيقها فى نفسها؟ ولا يقع هذا المثال إلا فى المكسورة وعلى مذهب بعض القـراء، بخلاف المثال بعد الكسـر، فإنه وقع فى أنواع الـراء الأربعة وفى مـذهب جميع القراء، وسبب الترقيق سكون الـراء بعد الكسر أو ما يناسبه، وهـو الإمالة وقد سبق قـوله: ولا بـد من ترقيقهـا بعد كسـرة، وهذا الاستـدراك المفهـوم من قـولـه: ولكنهـا لأجل قـولـه فى البيت السـابق وتفخيمهـا فى الوقف أجمع أشمـلا، فكأنه استثنى من هـذا فقال: إلا أن تكـون بعد كسر أو حرف، تميل ، ثم ذكـر الياء الساكنة فقال:

٣٥٦ ــ [أو اليـاء تأتـى بـالسكــون ورومُهُم
كمــا وَصْلِهِم فــابْلُ الــذكــاء مُصقَّـــلا]

لا تقع الراء الساكنـة بعد الياء الساكنة، وإنمـا تقع بعدها الراء المتحركة بالحركات الثلاث فـى قـراءة جميـع القـراء ، نحـو:

(ذلك خير ـ وما تفعلوا من خير ـ وافعلوا الخير).

ولا يستقيم التمثيل بـالمنصـوب المنـون، فإن الـوقف لايكون فيـه على الراء، بل على الألف المبْدلـة من التنوين، فيبقى الترقيق فيه لورش وحده بشرطه، هذا كله إذا وقفت على الراء بالسكون، فإن وقفت بالروم، على ما سيأتى شرحه، كان حكم الـوقف حكم الـوصل؛ لأنـه قد نطق ببعض الحـركـة، فترقق المكسورة للجميع وغيرها لورش بشرطه، ويفخم الباقى للجميع، وما فى قوله: كما زائدة أى رومهم كوصلهم وفابل، بمعنى: اختبـر، ومصقـلا نعت مصدر محـذوف، أى بـلاء مصقلا، أى مصقولا يشير إلى صحة الاختبار ونقائه مما يكدره ويشوبـه من التخاليط؛ فبذلـك يتم الغرض فى تحريـر هذه المسألة، لأنها مسائل متعددة عبر عنها بهذه العبارة الوجيزة، وبسط هذا أن نقول: لا تخلو الياء إما أن تكون مكسورة أو غير مكسورة، فإن كانت مكسورة رققت وصلا ورَوْمًا، وفخمت إن وقفت بالسكون، إلا فى ثلاث صور، وهى أن يكون قبلها كسر أو يـاء ساكنـة، فترقق لجميع القراء فـى هاتين الصـورتين، الصورة الثالثة: أن يكون قبلها إمـالة، فترقق لأصحاب الإمالة دون غيـرهم، وإن كـانت غيـر مكسـورة فهى مفخمـة لجميع القراء وقفا بالسكون، إلا أن يكون قبلهـا أحد الثلاثة فالحكم ما تقدم فى الوصل والرَّوْم، مفخمـة لغير ورش، مرققة لورش بعـد الكسر واليـاء الساكنـة على ما فى أول البـاب، ولا يقع الروم فى المنصوبة، فاعتبر ذلك وقس عليه.

ثم أشار إلى أن الأصل التفخيم بقوله:

٢٥٧ ــ [وفيمـا عـدا هـذا الـذى قـد وصفتـهُ
علـى الأصلِ بــالتفخيم كـن مُتعمِّـــلا]

أى كن متعملا بـالتفخيم على الأصل، ومتعملا بمعنى: عامـلا، وفى الصحـاح تعمَّل فلان لكـذا، وقال غيره سوف أتعمَّل فى حـاجتك، أى: أقضى، فيجـوز فـى مـوضع بالتفخيم بالباء، للتفخيم بالـلام على ما نقله الجوهرى، والله أعلم (إبراز المعانى / ٢٤٨ ـ ٢٦١).

(علم الأصوات ــ د. كمال محمد بشـر / ١٢٩ ، وملخص أحكام

التجويد ـ د. شعبان محمد إسماعيل / ١٠٨ ولسان العرب لابن منظور ١٧ / ١٥٣١ ، ٢٠ / ١٧٩٨ ، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين لأبي الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي / ٥٩ ــ ٦١ ، والأصوات اللغوية ـ د. إبراهيم أنيس / ١٣٤ ، ١٣٥ ، ومجموع مهمات المتون ، ط مصطفى البابي الحلبي / ٢٠٨ ، وطيبة النشر في القراءات العشر لإمام الحفاظ وحجة القراء ابن الجزري / ٣٢ ـ ٣٤ ، والنجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع شرح سيدي إبراهيم المارغني المفتي المالكي بالديار التونسية لمنظومة الشيخ أبي الحسن سيدي علي الرباطي المعروف بابن بري / ١٣٥ ــ ١٤٩ ، ومتن حرز الأماني ووجه التهاني المعروف بالشاطبية للإمام أبي القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي / ٦٩ ، ٧١ ، وإبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي ، للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي ـ تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوه عوض / ٢٤٨ ـ ٢٦١ . انظر أيضا هداية المستفيد في أحكام التجويد ـ الشيخ محمد المحمود المشهور بأبي ريمة . صححه وراجعه وضبطه أحمد محمد شاكر / ٢٣ ، ٢٤ ، وكتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون ـ تحقيق د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم ١ / ٢٧٧ ـ ٢٨٣) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب الخط العربي ويحيى سلوم العباسي / ١٨٢ .

*** الراءات:**

انظر الراء :

*** الرابطة:**

الرابطة عند المنطقيين هي الشيء الدال على النسبة والشيء يشتمل اللفظ وغيره فيشتمل التعريف الحركات الإعرابية والهيئة التركيبية حيث قيل إن الروابط في العرب أما الحركات الإعرابية وما يجري مجراها من الحروف أو الهيئة التركيبية وأما ما هو المشهور من أن لفظ هو وكان من روابط العرب فغير صحيح إذ لفظ هو عندهم ضمير من أقسام الاسم ولا دلالة لها على نسبة أصلا وكذا لفظ كان إذ هو عندهم من الأفعال الناقصة وعند المنطقيين من الكلمات الوجودية وبالجملة فلفظ هو وكان ليسا من الروابط إذ الرابطة إنما تكون أداة وهما ليسا بأداة ، والمراد بالدلالة الدلالة صريحة سواء كانت وضعية أو مجازية لئلا تتناول الكلمات الحقيقية وهيآتها ولتتناول لما هو استعارة في النسبة والمراد بالنسبة الوقوع واللاوقوع المتفق عليه في القضية .

اعلم أنهم قالوا الرابطة أداة لدلالتها على النسبة وهي غير مستقلة لكنها قد تكون في صورة الكلمة مثل كان وأمثاله وتسمى رابطة زمانية ، وقد تكون في صورة الاسم مثل هو في زيد هو قائم وتسمى رابطة غير زمانية . واللغات مختلفة في استعمال الرابطة وجوبا وامتناعا وجوازا والأقسام عند التفصيل تسعة لأن استعمال الرابطتين معا أو الزمانية فقط أو غير الزمانية فقط في المواد الثلاث وعدم الشعور على بعض الأمثلة لا يضر بالفرض .

قال الشيخ : لغة اليونان توجب ذكر الزمانية فقط ولغة العجم لا تستعمل القضية خالية عنهما والعرب قد يحذف وقد يذكر فغير الزمانية كلفظ هو في زيد هو حي ، والزمانية كان في زيد كان . واعلم أن التعريف لا يصدق على الرابطة الزمانية ككان على القول المشهور لعدم دلالتها على النسبة صراحة بل ضمنا وكان القول المشهور مبني على أخذ الدلالة أعم من الصريحية والضمنية والتزام كون الكلمات الحقيقية وهيآتها روابط بناء على أن قولهم الرابطة أداة مهملة لا كلية فتأمل . وقد بقي ههنا أبحاث فمن أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى شرح المطالع وما حقق أبو الفتح في حاشية الحاشية الجلالية وغيرهما .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢ / ٥٦٤) .

***رابعة الشامية:**

ذكرها ابن الحوراني فيمن دفن في منطقة الباب الصغير بدمشق وقال عنها : ومنهم في محلة القيمرية رابعة الشامية رضي الله عنها . زوجة أحمد بن أبي الحواري . عابدة زاهدة ورعة متنسكة ، قال أحمد بن أبي الحواري : كانت تختلف أحوال رابعة ، فتارة تكون خائفة شديدة الخوف ، وتارة تكون قوية الرجاء من الله تعالى ، وتارة تكون محبة لله تعالى ، وتارة تكون زاهدة ، وتارة تكون عارفة بالله تعالى . أدركت الجنيد رضي الله عنه (انظر ترجمته في حرف الجيم في م ١٢ / ٤٠١ ــ ٤٠٥) ، والشيخ أبا سليمان الداراني رضي الله عنه أستاذ بعلها .

توفيت بدمشق ودفنت ببيتها داخل دمشق بالقيمرية . ومقامها مشهور جليل عليه مهابة وجلالة ، والدعاء عند قبرها مستجاب ا هـ .

(الإشارات إلى أماكن الزيارات المسمى زيارات الشام لعثمان بن أحمد السويدى الدمشقى المعروف بابن الحورانى ـ تحقيق بسام عبد الوهاب الجابى / ٨١، ٨٢. انظر أيضا صفة الصفوة للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ـ ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان، وسعيد اللحام ٤ / ٢٤٩ ، ٢٥٠، وتهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٢٨٨).

*** رابعة العدوية (ـ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م):**

رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية، صالحة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها. لها أخبار فى العبادة والنسك، ولها شعر . من كلامها: «اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم». توفيت بالقدس . قال ابن خلكان: «وفاتها سنة ١٣٥ كما فى شذور العقود لابن الجوزى، وقال غيره سنة ١٨٥» (الأعلام ٣ / ١٠) كانت فى أول أمرها تعزف بالمعازف ثم تابت، وقد خلفت مقطوعات تعبر عن حدة عشق مؤثرة، وقضت حياتها بالبصرة وكأنها مسجونة، وبها ماتت فى سن لا تقل عن ثمانين سنة (التصوف» / ٣٥٧).

قال عنها الإمام الشعرانى فى طبقاته: كانت تقوم من أول الليل إلى آخره، وكانت رضى الله عنها تقول : إذا عمل العبد بطاعة الله تعالى أطلعه الجبار على مساوئ عمله فتشاغل بها دون خلقه وكانت تصوم الدهر وتقول: ما مثلى يفطر فى الدنيا... وكانت تقول: ما سمعت الأذان قط إلا ذكرت منادى يوم القيامة ، ولا رأيت الثلج قط إلا ذكرت تطاير الصحف، ولا رأيت حرا إلا ذكرت الحشر. وكانت رضى الله عنها تقول : ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون، وربما رأيت الحور العين يستترن منى بأكمامهن. ومناقبها كثيرة رضى الله عنها (الطبقات الكبرى ١ / ٥٧).

وفى أسفل الزاوية الأسعدية قبر ينسب إلى إحدى شهيرات التصوف، وهو قبر رابعة العدوية ورابعة من أعظم الوليات فى الإسلام بل هى أعظم ولية. مولاة آل عتيك، وهم من قيس، استعملت رابعة لأول مرة لفظ الحب للتعبير عن إقبالها على الله وإعراضها عن كل ما سواه. وهى السابقة فى ابتداع الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى، ولم يكن حبها لله خوفا من النار أو طمعا فى الجنة. توفيت سنة ١٣٥هـ. وقيل سنة ١٨٠ هـ.

قال ابن خلكان: «وقبرها يزار وهو بظاهر القدس على رأس جبل يسمى جبل الطور.

وكذلك قال صاحب الأنس الجليل نقلا عن شهاب الدين المقدسى فى «مثير الغرام».

وذهب كثيرون إلى أن رابعة العدوية دفنت فى البصرة. ويرى الهروى فى «الإشارات» ص ٢٨ أن القبر المنسوب للعدوية فى القدس هو لرابعة أخرى تدعى رابعة الشامية زوجة أحمد بن أبى الحوارى وهى محدثة. وذهب ابن بطوطة فى رحلته إلى أن القبر المنسوب لرابعة العدوية فى الطور إنما هو قبر رابعة البدوية المنسوبة إلى البادية.

وممن زار قبر رابعة ووصفه الشيخ عبد الغنى النابلسى (سنة ١١٠١)(أجدادنا فى بيت المقدس / ١٠٢).

قال : ثم صعدنا إلى قبر السيدة رابعة العدوية البصرية، مولاة آل عتيك الصالحة المشهورة ، كانت من أعيان عصرها فى الصلاح والعبادة ، ولها كلام فى الحقائق والمعارف . توفيت سنة خمس وثلاثين، وقيل خمس وثمانين ومائة، وقبرها على رأس جبل الطور فى زاوية ينزل إليها بدرج معمور، تقصد للزيارة ، كذا



مدخل المبنى الذي يضم القبر المنسوب الى رابعة العدوية

ذكره الحنبلى فى التاريخ، فوقفنا هناك ودعونا الله تعالى وقرأنا الفاتحة.

قال الهروى فى الزيارات: وبالجبل، يعنى جبل الطور، مقام رابعة العدوية وقبرها، والصحيح أن قبر رابعة فى البصرة، وإنما رابعة هذه التى بالجبل هى رابعة زوجة أحمد ابن أبى الحوارى (أوردنا ترجمتها قبل هذه المادة)، وفى الجبل مواضع مباركة وقبور كثيرة من الصالحين والتابعين رضى الله عنهم إلا أنها لا تعُرف لاستيلاء الفرنج على البلاد. انتهى (الحضرة الأنسية / ١٩٦، ١٩٧).

كما زار قبر رابعة العدوية الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى الدمياطى فى أواسط القرن الثالث عشر وتحدث عنه وعن الزاوية الأسعدية وعن جبل الطور كله فقال:

«وبجانب مصعد عيسى زاوية تحير برؤيتها نفوسا، وبأسفلها ضريح الشيخ العلمى وزوجته وردناه لنستقى من مناهل حضرته. وقريب منه مكان مأنوس يقصده الزوار فيحوزون به حل الرموز وكشف الأسرار، لديه مغارة سنية بهية بها قبر العارفة بالله رابعة العدوية وكنيتها أم الخير من أعيان عصرها أخبارها فى الصلاح والعبادة مشهورة...

ويقع القبر أسفل الزاوية الأسعدية كما ذكرنا، فى مبنى قديم رمم مؤخرا بعض ترميم (أجدادنا فى بيت المقدس / ١٠٢، ١٠٣).

وقد ذكرها الإمام ابن الجوزى فى المصطفيات من عابدات البصرة فقال عنها:

عبد الله بن عيسى قال: دخلت على رابعة العدوية بيتها فرأيت على وجهها النور وكانت كثيرة البكاء فقرأ رجل عندها آية من القرآن فيها ذكر النار فصاحت ثم سقطت.

ودخلت عليها وهى جالسة على قطعة بُورى خَلَق فتكلم رجل عندها بشيء فجعلتُ أسمع وقع دموعها على البُورى مثل الوَكْف، ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا.

مسْمَع بن عاصم ورياح القيسى قالا: شهدنا رابعة وقد أتاها رجل بأربعين دينارا فقال لها: تستعينين بها على بعض حوائجك. فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت: هو يعلم أنى أستحيى منه أن أسأله وهو يملكها، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها؟

محمد بن عمرو قال: دخلت على رابعة وكانت عجوزا كبيرة بنت ثمانين سنة كأنها الشن (الشن: القربة الصغيرة البالية) تكاد تسقط ورأيت فى بيتها كراخة بورى (أى قطعة حصير مستطيلة) ومَشْجب قصب فارسى طوله من الأرض قدر ذراعين، وستر البيت جلد وربما كان بوريا، وحُبٌّ (الحب بضم الحاء الجرَّة الكبيرة) ولِبْد هو فراشها وهو مصلاها. وكان لها مِشْجب من قصب عليه أكفانها وكانت إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعدة وإذا مرت بقوم عرفوا فيها العبادة.

وقال لها رجل: ادْعى فالتصقت بالحائط وقالت: من أنا يرحمك الله؟ أطع ربك وادعُه فإنه يجيب المضطرين.

سجف بن منظور قال: دخلت على رابعة وهى ساجدة فلما أحست بمكانى رفعت رأسها فإذا موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها، فسلمت فأقبلت علىَّ فقالت: يا بنى ألك حاجة؟ فقلت: جئت لأسلم عليك، قال: فبكت وقالت: سترك اللهم سترك ودعت بدعوات ثم قامت إلى الصلاة وانصرفت.

العباس بن الوليد قال: قالت رابعة أستغفر الله من قلة صدقى فى قولى، أستغفر الله.

أزهر بن مروان قال: دخل على رابعة رياح القيسى، وصالح بن عبد الجليل وكلاب، فتذاكروا الدنيا فأقبلوا يذمونها فقالت رابعة: إنى لأرى الدنيا بترابيعها (أى بجهاتها الأربع) فى قلوبكم. قالوا: ومن أين توهمت علينا؟ قالت: إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتم فيه.

روى: أبو جعفر المدينى، عن شيخ من قريش قال: قيل لرابعة: هل عملت عملا ترين أنه يقبل منك؟ قالت: إن كان فمخافتى أن يرد علىَّ.

جعفر بن سليمان قال: أخذ بيدى سفيان الثورى وقال: مر بنا إلى المؤدبة التى لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتها فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده وقال:

اللهم إنى أسألك السلام فبكت رابعة فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أنت عرضتنى للبكاء، فقال وكيف؟ قالت: أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها فكيف وأنت متلطخ بها؟

وقال الثورى بين يدى رابعة: واحزناه، فقالت: لا تكذب. قال واقلة حزناه، لو كنت محزونا ما هنَّاك العيش.

جعفر بن سليمان قال: سمعت رابعة تقول لسفيان . إنما أنت أيام معدودة، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم، فاعمل.

عبيس بن مرحوم العطار قال: حدثتنى عبدة بنت أبى شوال، وكانت من خيار إماء الله، وكانت تخدم رابعة. قالت : كانت رابعة تصلى الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يُسْفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهى فزعة: يانفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت. فلما حضرتها الوفاة دعتنى قالت: يا عبدة لا تؤذنى بموتى أحدا (أى لا تخبرى بموتى أحدا) وكفِّنينى فى جبتى هذه، جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفنَّاها فى تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عبدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها فى منامى عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئا قط أحسن منه. فقلت: يا رابعة: ما فعلت الجبة التى كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إنه والله نزع عنى وأُبدلت به هذا الذى ترينه علىَّ. وطُويت أكفانى وخُتم عليها ورفعت فى عليين ليكل لى بها ثوابها يوم القيامة.

قالت : فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ فقالت : وما هذا من كرامة الله عز وجل لأوليائه. قالت فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبى كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى. قالت قلت: وبم وقد كنت عند الناس؟ أى أكثر منها. قالت: إنها لم تكن تبالى على أى حالة أصبحت من الدنيا وأمست. قالت : فقلت: فما فعل أبو مالك؟ تعنى ضيغما. قالت: يزور الله متى شاء. قالت قلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ أُعطى والله فوق ما كان يأمل.

قالت قلت: فمرينى بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل: قالت عليك بكثرة ذكره، أوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك.

قلت (أى قال المصنف) : اقتصرت ههنا على هذا القدر من أخبار رابعة لأنى قد أفردت لها كتابا جمعت فيه كلامها وأخبارها (صفة الصفوة ٤ / ٢٣ ـ ٢٦).

وأشهر أبيات رابعة فى الحب الإلهى هى التى تقول فيها :

أحبك حبين حب الهوى
وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى
فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهلٌ له
فكشفك للحُجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

(الموسوعة الصوفية ١٧٤).

فالسيدة رابعة هى السابقة إلى وضع قواعد الحب والحزن فى هيكل التصوف الإسلامى. وهى التى تركت فى الآثار الباقية نفثات صادقة فى التعبير عن محبتها وعن حزنها.

وإن الذى فاض به الأدب الصوفى بعد ذلك من شعر ونثر فى هذين البابين لهو نفحة من نفحات السيدة رابعة العدوية إمام العاشقين والمحزونين فى الإسلام («التصوف» / ٣٦٣).

ودفنت رابعة العدوية فى خلوتها بالبصرة أو بالقدس على قول آخر، أما عن قبرها فى مصر فلعله من أضرحة الرؤيا، وفى ذلك يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق: «وإنا لا نعرف أن رابعة العدوية زارت مصر وإن ابتدعت لها الأساطير قبرا بقرافة الإمام يزار ويتبرك به».

هذا وقد رأت وزارة الأوقاف بمصر أن تحيى ذكرى السيدة رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهى فأنشأت لها مسجدًا فى مدينة نصر . ويتكون المسجد من صحن مربع مغطى (بشخشيخة) تقوم على رقبة مرتفعة بها نوافذ. ويحيط بالصحن من جهاته الأربعة إيوانات لكل منها صفان من الأعمدة. وإيوان القبلة أعمقها إذ تبرز القبلة عن سمت الإيوان، وسقف المسجد مغطى بالخشب المنقوش برسوم زيتية قوامها زخارف هندسية ونباتية محورة، وللمسجد مدخلان: الرئيسى يقع فى الجهة الغربية فى مقابل إيوان القبلة، وأما المدخل الثانى فيقع فى الجهة الشمالية (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١ / ١٢١).

(الأعلام للزركلى ٣ / ١٠ ، و «التصوف» ـ مصطفى عبد الرازق . دائرة المعارف الإسلامية . كتاب الشعب م ٩ / ٣٥٧ ، ٣٦٣ ، والطبقات الكبرى للإمام الشعرانى ١ / ٥٧ ، وأجدادنا فى بيت المقدس ـ د . كامل جميل العسلى . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ١٩٨١ / ١٠٢ ، ١٠٣ ، والحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية للشيخ العارف عبد الغنى النابلسى ـ تحقيق ودراسة أكرم حسن العلبى المصادر. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م / ١٩٦ ، ١٩٧ ، وصفة الصفوة للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ـ ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان ، وسعيد اللحام ٤ / ٢٣ ـ ٢٦ ، والموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٧٤ ، ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ د. سعاد ماهر محمد ١ / ١٢١ ، انظر أيضا تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ١ / ٢٨٨).

*** رابغ:**

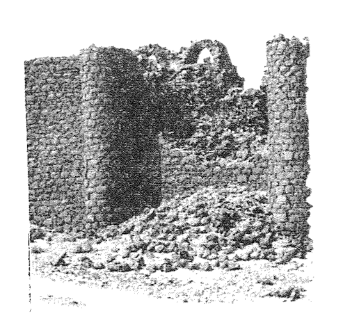
قال ياقوت :

رابغ : بعد الألف باء موحدة، وآخره غين معجمة : واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة دون عُزْور؛ قال كثير:

أقول وقد جاوزن من صدر رابغ
مهامه غُبْرًا يفرع الأكم آلُها .
أألحى أم صيرانُ دوم تناوحت
بتريم قصرًا واستحثت شمالُها
أرى حين زالت عير سلمى برابغ
وهاج القلوب الساكنات زوالها
كأن دموع العين لما تخللت
مخارم بيضًا من تمنى جمالها

تمنى : موضع ؛ ابن السكيت: رابغ بين الجحفة وودّان، وقال فى موضع آخر: رابغ واد من دون الجحفة يقطعه طريق الحاج من دون عزور، وقال الحازمى: بطن رابغ واد من الجحفة له ذكر فى المغازى وفى أيام العرب، وقال الواقدى: هو على عشرة أميال من الجحفة فيما بين الأبواء والجحفة، قال كثير:

ونحن منعنا يوم مر ورابغ
من الناس أن يُغْزَى وأن يتكنَّفا



★ قصر علياء ★

يقال: أربغ فلان إبله إذا تركها ترد أى وقت شاءت من غير أن يجعل لها ظمأ معلوما، وهى إبل مربغة أى هاملة، والرابغ الذى يقيم على أمر سكن له، والرابغ: العيش الناعم (معجم البلدان ٣ / ١١).

ويرد ذكر «رابغ» فى مصنفات التراث الإسلامى فى الرحلة، فذكره صاحب « أنس السارى والسارب» فقال : ثم رابغ فيه واد وآبار كثيرة قريبة الماء، وفيه قوافل، وهو ميقات أهل مصر والمغاربة على خلاف ذلك ، وهو قبل الجحفة ، لكن ينبغى للحاج إذا اغتسل برابغ أن يؤخر الإحرام إلى الجحفة فيحرم منها فيحصِّل السُّنة والمستحب ، لئلا يبتدئ الحج بفعل المكروه وهو الإحرام قبل الميقات (أنس السارى / ٧٣) اندثرت الجحفة وبقيت رابغ فى طريق الساحل الشمالى للحجاز ميقات إحرام الحاج. أخبار مكة٢ / ٣١٠) كما ذكر القلصادى فى رحلته فقال: ولما بلغنا إلى رابغ أزلنا المخيط واغتسلنا وأحرمنا منه بعمرة وذلك سحر يوم الأحد الثالث والعشرين من رمضان / ٢ ديسمبر ١٤٤٧ م (رحلة القلصادى / ١٣٠).

أما رابغ الحديثة فيأتى وصفها كما يلى :



★ وادي رابغ ★

تعد مدينة رابغ بالمملكة العربية السعودية ، إحدى المدن التاريخية، وتقع على بعد مائة وخمسين كيلو مترا إلى الشمال من مدينة جدة، وعلى بعد مائتين وخمسة وعشرين كيلو مترا من مكة المكرمة، كما تبعد بحوالى ثلاثمائة وخمسة وسبعين كيلو مترا من المدينة المنورة، وهى تقع على خط الطول ٣٩°، وعلى دائرة العرض ٤٨ , ٢٢°. أما إمارتها الحالية فتقع فى سهل الحجاز بين خطى الطول ٥٠ , ٣٨° و٤٠ , ٣٩°، وبين دائرة العرض ١٠ , ٢٢° ٣٠ , ٣٣° وتشغل رابغ الهوامش الشرقية كدلتا وادى رابغ، كما أنها مصب لكثير من الوديان منها وادى مَرًا ، ووادى النويبع وغيرهما.

لو شك أن رابغا قديمة جدا، وترجع إلى ما قبل الإسلام. أما تحديد ظهورها فصعب، لعدم وجود مراجع فى العصر الجاهلى عن هذا التحديد. ولكن القرائن النقلية والعقلية تشير إلى عراقتها فى القدم. ومن القرائن النقلية أن الشعراء، وخاصة الشعراء الجاهليين، ذكروا اسمها فى قصائدهم، ومنهم دريد بن الصمة الذى امتدحها ووصفها بالرغد الذى اشتق اسمها منه

غشيت بـــرابغ طُلـــلا محيـــلا

أبت آيـــاتـــه ألا تـــزولا

ودريد بن الصمة عمَّر طويلا، وذكر عنه أنه غزا نحو مائة غزوة لم يهزم فى واحدة منها، وأنه عاش حتى سقط حاجباه عن عينيه من الكبر، وأن ربيعة بن رفيع السلمى قتله يوم حنين عام ثمان للهجرة، وهو على دين الجاهلية. فإن كان وصفه لرابغ من شعر شبابه، فإن هذا الوصف يرجع إلى ما قبل سبعين أو ثمانين سنة من البعثة. وقوله * ***أبت آياته ألا تزولا*** * يدل على عراقة رابغ فى القدم ، حتى أن الأحداث التى مرت عليها لم تؤد بها إلى الزوال.

ومن الأدلة النقلية على قدم رابغ، ما ذكره رسول الله ﷺ عند مروره بوادى عسفان، وفى أقرب طرقه لرابغ فقال: «لقد مر به هود وصالح على بكرين أحمرين خطامهما الليف، يلبُّون ويحجون». ويؤكد هذا الحديث الشريف أن طريق عسفان هو طريق الحج قديما، وهو طريق القوافل، وطريق قوافل قريش التجارية قبل الإسلام بين مكة المكرمة، والمدينة المنورة والشام.

أما الأدلة العقلية على قدم رابغ، فقد ورد فى سيرة ابن هشام (٢ / ٢٤١) أن رابغ واحة خضراء، تصب فيها سيول الوديان المجاورة، وفيها الماء العذب ... وكانت تسمى ماء الحجاز لوفرة مياهها. فليس من المعقول أن تمر القوافل بطرق كلها قاحلة ماحلة، وتترك الماء والخضرة والعيش الرابغ.

ومن الأحداث التاريخية الثابتة، أن رسول الله ﷺ، مر بمنطقة رابغ فى طريق هجرته من مكة المكرمة إلى يثرب.

وعن الجزء الذى سلكه فى منطقة رابغ يقول ابن هشام: إن دليل رسول الله ﷺ واسمه عبد الله بن أرقط ـ أو أريقط ـ قد سلك به، ومعه أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، عددا من الأماكن والدروب فى منطقة رابغ منها:

عسفان ـ أمج ـ قديد ـ الحزار ـ المرة ـ لقف.

هذا وبعد الهجرة، شهدت رابغ عددا من الغزوات نذكرها فيما يلى

غزوة ودَّان (أو الأبواء):

وقعت فى شهر صفر، بعد اثنى عشر شهرا من الهجرة (انظرها فى حرف الألف فى م ٢ / ٢٣٣ ، ٢٣٤).

سرية عبيدة بن الحارث: وكانت بعد مرور ثمانية شهور

من الهجرة. وفيها بعث رسول الله ﷺ بسرية بقيادة عبيد الله ابن الحارث بن عبد المطلب فى ستين راكبا إلى رابغ، حيث التقى بأبى سفيان بن حرب على ماء يقال له أحياء ـ من بطن رابغ ـ وأبو سفيان يومئذ فى مائتين. فكان سعد بن أبى وقاص هو أول من رمى بسهم فى الإسلام، وفى رابغ (انظر: المغازى للواقدى).

سرية غالب بن عبد الله الليثى: بعثه رسول الله عليه الصلاة والسلام على بنى الملوّح.

سرية حمزة رضى الله عنه: وهى التى خرج فيها حمزة على رأس ثلاثين راكبا للقاء أبى جهل بن هشام، الذى كان على رأس ثلاثمائة راكب.

سرية أبى عبيدة بن الجراح: إلى سيف البحر.

غزوة بنى لحيان (انظرها فى م ٧/ ٥٢٨، ٥٢٩): وفيها خرج رسول الله ﷺ للقاء بنى لحيان، وكانت منازلهم تقع بين عسفان وأمج، وكان ذلك فى شهر جمادى الأولى بعد ستة شهور من فتح قريظة.

غزوة بنى المصطلق (انظرها فى م ٧/ ٥٢٩، ٥٣١) (أو غزوة المريسيع)، وفيها خرج رسول الله ﷺ للقاء بنى المصطلق وقائدهم الحارث بن أبى ضرار، وذلك عند ماء يقال لها المريسيع، من ناحية قديد عند الساحل.

أماكن لها تاريخ.

فى منطقة رابغ، عدد من الأماكن التى ارتبطت فى الأذهان بأحداث ومدلولات تاريخية هامة نذكر منها:

غدير خم: وتقع على مقربة من الجحفة (ميقات أهل الشام)، وقد بناها كلاب بن مرة، أو مرة بن كعب. ويرتبط هذا الموقع بحدث إسلامى نذكره فيما يلى:

عندما حج رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة الوداع، كان على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ فى اليمن وحضر من هناك مع جنده لأداء الحج مع رسول الله. ثم تعجل إلى الرسول، واستخلف على جنده رجلا من أصحابه، فعمد ذلك الرجل إلى كسوة الجند بحلل من البز الذى كان مع على. فلما دنا الجيش، خرج على ليلقاهم فإذا عليهم الحلل.

أحمد بن محمد بن المظفر الرازي، كتب سنة ٦٣٠ نهاية «مباحث التفسير» له. في دار الكتب المصرية ٣٤٨ تفسير.

فقال على لمن استخلفه: ويلك، ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا فى الناس.

فقال على: انزع قبل أن ينتهى به إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام.

فانتزع الحلل من الناس، فأظهر أفراد من الجيش شكواهم من ذلك. ثم إن بريدة بن الخصيب، رضى الله عنه، جاء رسول الله يشكو إليه عليا رضى الله عنه. فقال عليه الصلاة والسلام:

«يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟

فقال بريدة: بلى يا رسول الله.

فقال: «من كنت مولاه فعلى مولاه».

ومن الآبار التى كانت تسقى الحجيج لدى مرورهم برابغ:

١ ـ السنبلة: وحفرها بنو جمح.

٢ ـ الغمر: وحفرها بنو سهم.

٣ ـ رم: وحفرها مرة بن كعب.

٤ ـ الحفر: وحفرها بنو كعب أيضا.

٥ ـ خم: الذى ذكرنا قصتها أعلاه.

ومن الأماكن التى لهـا تاريخ فى رابغ، نذكـر صنم مناة . وقد هـدم الصنم، وزالت دار عمر بن الجموح التى كـان فيها الصنم، كما زالت مدينة ودّان التى عاش فيها آل الجموح .

ورد ذكر رابغ فى عـدد من كتب المؤرخين الذين مـروا بها أثنـاء أدائهم فـريضـة الحج، وأشـاروا إليهـا فى كتبهم . ومن هؤلاء :

ـ العيدرى : وقد حج عام ٦٨٩ هـ .

ـ ابن بطوطة : وحج فى عام ٧٢٧ هـ .

ـ شهاب الدين أبو البقاء : وحج عام ٨٨٤ هـ .

ـ السمهودى : وحج فى القرن العاشر الهجرى .

ـ الموسوى : وحج فى القرن الحادى عشر الهجرى ...

تتمتع منطقـة رابغ بعـدد من المـزايا التى يضفيهـا عليهـا موقعها منها :

١ ـ دلتـا وادى رابغ : وهى أراض خصبـة، غنية بـالميـاه السيلية والجـوفية ... مما يسهـل إمكانية زراعتهـا والاستيطان بها، إلى جانـب توفر الرواسب الطينية التـى تستخدم كمواد أولية للبناء .

٢ ـ تـوفر مصادر الميـاه : وهى عالية المنسـوب، سهلة المنال، بحيث يمكن التوصل إليهـا بعد الحفر لعمق مترين أو ثلاثـة أمتار، ومنهـا آبار: الحجيريـة، وعثمان، وبـاعبود وابن حميد، وقفيف، ورحمة، وعمـر إسماعيل، وعباس بن سباع، والقبطان، وبلال ، وفضل وبئر المسجد .

٣ ـ الموقع المتـوسط : حيث تقع رابغ بين كل من مكـة المكرمة والمـدينة المنورة، وبين جدة وينبـع ... مما جعلها نقطة التقاء لمجالات وطرق عديدة منذ القدم وحتى الآن .

٤ ـ الميـنـاء : ويعتبر ميناء رابغ واحـدا من أهم المـوانئ البحرية . وقد كان له دور بارز فى تنشيط الحركة التجارية فى الحجـاز، حيث كـانت سلع الفحم النباتـى، والحيوانـات، والصـوف، والعسل تصـدر عن طريقـه إلى كـل من مصـر والسودان . وعندما حوصرت مدينة جدة فى عام ١٣٤٣ هـ، أعلن المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ـ يرحمه الله ـ أن السبيل إلى الحج ميسر، وأن مكة المكرمة مفتوحة عن طريق رابغ والليث . وبالفعل تقدم بعض الحجـاج الهنود عن طريق رابغ وأدوا حجهم .

٥ ـ الصيد البحـرى : وهو متـوفـر على شواطئهـا، حيث يـوجد شـرم الـلاوى، فى شمال غـربى رابغ، وشـرم رابغ فى جنوبها الغـربى . . الأمر الذى يمد المدينة وسـوقها التجارى بكميات كبيرة من الأسماك .

شعراء خرجوا من رابغ :

أنجبت رابغ حـوالى مـائتين من فحـول الشعراء، نـذكـر منهم :

١ ـ البراض بن قيس .

٢ ـ حذيفة بن غانم .

٣ ـ عثمان بن مظعون .

٤ ـ ملكان بن كنانة .

٥ ـ الكميت بن زيد .

٦ ـ عمير بن قيس (المسمى : جذل الطعان) .

٧ ـ عون بن أيوب .

٨ ـ أبو المطهر إسماعيل بن رافع .

٩ ـ عمرو بن سالم الخزاعى .

١٠ ـ الجون بن أبى الجون .

١١ ـ أبو عزة الجمحى .

١٢ ـ مسافع بن حذافة .

١٣ ـ الحجاج بن علاط .

١٤ ـ أنس بن عباس .

١٥ ـ عباس بن مرداس .

١٦ ـ عبد الله بن الحارث السهمى .

١٧ ـ كثير عزة .

١٨ ـ نصيب بن رباح .

١٩ ـ سراقة بن جعشم .

أسماء بعض الصحابة الذين خرجوا من رابغ :

١ ـ عثمان بن مظعون (حضر بدرا) .

٢ ـ السائب بن عثمان بن مظعون (حضر بدرا) .

٣ ـ قدامة بن مظعون (حضر بدرا) .

٤ ـ عبد الله بن مظعون (حضر بدرا) .

٥ - حاطب بن الحارث بن معمر.

٦ - فاطمة بنت المجلل (زوج حاطب).

٧ - محمد بن حاطب.

٨ - الحارث بن حاطب.

٩ - حطاب بن الحارث.

١٠ - فكيهة بن يسار (زوج حطاب بن الحارث).

١١ - سفيان بن معمر.

١٢ - جابر بن سفيان بن معمر.

١٣ - جنادة بن سفيان بن معمر.

١٤ - حسنة (زوج جنادة).

١٥ - شرحبيل بن حسنة (القائد البطل المشهور).

١٦ - عثمان بن ربيعة بن أهبان («رابغ أول سهم في الإسلام / ٤، ٧، ٨، ١٠، ١٣، ١٤).

(معجم البلدان لياقوت الحموي ٣ / ١١، وأنس الساري والسارب لأبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي الشهير بالسراج، الملقب بابن مليح - حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسي / ٧٣، ورحلة القلصادي لأبي الحسن علي القلصادي - دراسة وتحقيق محمد أبي الأجفان / ١٣٠ وهامش ٢٠٥، و«رابغ أول سهم في الإسلام» - علي محمد الرابعي. مجلة الفيصل. العدد (٤ / ١)، ذو الحجة ١٤٠٦ هـ - أغسطس سبتمبر ١٩٨٩ م، السنة العاشرة / ٤، ٧، ٨، ١٠، ١٣، ١٤).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من مجلة الفيصل. انظر ثبت المراجع أعلاه.

*** راتج (مسجد):**

مسجد راتج من بني عبد الأشهل:

روى ابن شبة عن خالد بن رباح أن النبي ﷺ صلى في مسجد راتج وشرب من جاسم وهي بئر هناك.

وروى ابن زبالة عن رجل من بني حارثة صلاته ﷺ في مسجد راتج وسيأتي في الآبار أن جاسم بئر أبي الهيثم بن التيهان وراتج أطم سميت به الناحية كما قال ابن زبالة وذلك شرقي جبل ذباب ناحية الشام والله أعلم.

(تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا - فضيلة الأستاذ السيد أحمد ياسين أحمد الخياري - تعليق وإيضاح وإضافة وتخريج فضيلة الأستاذ عبيد الله محمد أمين كردي / ١٥٧، ١٥٨).

*** ابن راجح (أحمد بن محمد) (٥٧٨-٦٣٨هـ):**

أدرجه الشمس الذهبي في الطبقة الرابعة والثلاثين وقال عنه. الشيخ الإمام العلامة البارع الحافظ نجم الدين أقضى القضاة أبو العباس أحمد ابن الإمام شهاب الدين محمد بن خلف بن راجح بن بلال المقدسي، ثم الصالحي الحنبلي ثم الشافعي. ولد سنة ثمان وسبعين [وخمسمائة]، وسمع من يحيى الثقفي، وابن صدقة الجنزوي، وجماعة.

اشتغل وتخرج به العلماء، وكان ذا تهجد وتألُّه وتعبد وذكاء مفرط. وقد ولي تدريس العذراوية، وقد كان أولا قرأ «المقنع» على المؤلف، ودرس أيضا بالصارمية بحارة الغرباء وبمدرسة أم الصالح، وبالشامية البرانية، وناب في القضاء عن جماعة.

توفي في شوال سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصي، راجعه عادل مرشد ٣ / ٢٥٣).

*** ابن راجح (محمد بن خلف) (٥٥٠-٦١٨هـ).**

أدرجه الشمس الذهبي في الطبقة الثالثة والثلاثين وقال عنه: الشيخ الإمام العالم الفقيه المناظر شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن خلف بن راجح بن بلال بن هلال بن عيسى المقدسي الجماعيلي الحنبلي. ولد سنة خمسين وخمسمائة ظنًّا بجماعيل.

وتربى بالدير بقاسيون، وأخذه الحافظ عبد الغني معه في سنة ست وستين إلى السلفي، فسمع منه كثيرا، ورجع فسار إلى بغداد فسمع من ابن الخشاب، وشُهدة والطبقة.

وسمع بدمشق من أبي المكارم بن هلال وجماعة، وكتب الكثير واشتغل على ابن المنِّي.

قال الحافظ الضياء: صار أوحد زمانه في علم النظر

وقال عمر بن الحاجب في «معجمه» هو إمام محدث فقيه عابد، صاحب نوادر وحكايات، وكانت أعداؤه تشهد بفضله.

حدث عنه الضياء ، والبرزالى، والمنذرى، والقوصى ، وخلق توفى سنة ثمانى عشرة وستمائة .

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ٣/ ١٩٧).

*** الراحلة:**

الراحلة : قال الجوهرى هى الناقة التى تصلح لأن ترحل وكذلك الرحول ويقال الراحلة المركب من الإبل ذكرا كان أو أنثى انتهى والهاء فيها للمبالغة كالتى فى داهية وراوية وعلامة وإنما سميت راحلة لأنها ترحل أى يشد عليها الرحل فهى فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى ﴿فهو فى عيشة راضيه﴾ [الحاقة : ٢١] أى مرضية وقد ورد فاعل بمعنى مفعول فى عدة مواضع من القرآن العظيم كقوله تعالى ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾ [هود: ٤٣] أى لا معصوم وكقوله تعالى ﴿ماء دافق﴾ [الطارق :٦] أى مدفوق وكقوله تعالى ﴿حرما آمنا﴾ [القصص: ٥٧] أى مأمونا وفيه جاء أيضا مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى ﴿حجابا مستورا﴾ [الإسراء: ٤٥] أى ساترا ﴿كان وعده مأتيا﴾ [المزمل: ٨] أى آتيا قال الحريرى وقد يكنى عن النعل بالراحلة لأنها مطية القدم وإليها أشار الشاعر بقوله ملغزا .

رواحلنا ست ونحن ثلاثة
نجنبهن الماء فى كل مورد

روى البيهقى فى الشعب فى أواخر الباب الخامس والخمسين أن النبى ﷺ قال « من مشى عن راحلته عقبة فكأنما أعتق رقبة» قال أبو أحمد العقبة ستة أميال وروى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث الزهرى عن سالم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة» وقال البيهقى فى سننه فى باب إنصاف الخصمين فى الدخول على القاضى والاستماع منهما والإنصات لهما هذا الحديث يتأول على أن الناس فى أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع على وضيع كالإبل المائة لا يكون فيها راحلة وهى الذلولة التى ترحل وتركب وذكر قبله عن ابن سيرين أنه قال كان أبو عبيدة ابن حذيفة قاضيا فدخل عليه رجل من الأشراف وهو يستوقد نارا فسأله حاجة فقال له أبو عبيدة أسألك أن تدخل أصبعك فى هذه النار قال سبحان الله قال أبخلت على بإصبع من أصابعك أن تدخله فى هذه النار وتسألنى إدخال جسمى كله فى نار جهنم .

وقال ابن قتيبة الراحلة النجيبة المختارة من الإبل للركوب وغيره وهى كاملة الأوصاف فإذا كانت فى إبل عرفت قال ومعنى الحديث أن الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل فى النسب بل هم أشباه كالإبل المائة وقال الأزهرى : الراحلة عند العرب الجمل النجيب والناقة النجيبة قال والهاء فيها للمبالغة كما يقال رجل نسابة وداهية ، قال والمعنى الذى ذكره ابن قتيبة غلط بل معنى الحديث أن الزاهد فى الدنيا الكامل فى الزهد فيها الراغب فى الآخرة قليل جدا كقلة الراحلة فى الإبل هذا كلام الأزهرى . قال الإمام النووى وهو أجود من كلام ابن قتيبة وأجود منهما قول آخرين إن المرضى الأحوال من الناس الكامل الأوصاف قليل فيهم جدا كقلة الراحلة فى الإبل قالوا والراحلة البعير الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوى على الأحمال والأسفار. وقال الإمام العلامة الحافظ أبو العباس القرطبى شيخ المفسرين فى زمانه . الذى يقع لى أن الذى يناسب التمثيل بالراحلة إنما هو الرجل الكريم الجواد الذى يتحمل كل الناس وأثقالهم بما يتكلف من القيام بحقوقهم والغرامات عنهم وكشف كربهم فهذا هو القليل الوجود بل قد يصدق عليه اسم المفقود قلت وهذا أشبه القولين والله أعلم .

(حياة الحيوان الكبرى ـ الشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٣٣١).

*** راحة الأرواح:**

راحة الأرواح : للمسعودى ذكره فى مروج الذهب وقال رسمناه بأخبار سير ملوك الأمم وأخبار مقاتلهم .

(كشف الظنون ١ / ٨٢٩).

*** راحة الأرواح:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب :

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم ١٨٨١٤

لمصلح الدين محمد بن مصطفى القوجوى المعروف بشيخ زاده المتوفى سنة ٩٥١ هـ/ ١٥٤٤ م .

الأول : (الحمــــد لله المحتجب عن درك العيــــون بكمال ...) .

وهو شرح على البردة، يحل ألغازها، ويفصل موجزها، ويبين معضلها . نسخة جيدة، كتبت بخط التعليق، ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى ، ناقصة الآخر.

٩٨ ص. ١٢,٥×٢٠ سم ١٩ س .

كشف ٢ / ١٣٣٢ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٣٢، الأعلام ٧ / ٩٩ .

ـ نسخة أخرى .

الرقم ٩٩٧٤

كتبها بخط النسخ، محترم بن عبد الباقى الوسمى، ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى .

١٦٦ ص ٢١ × ١٦ سم ٢٣س

(مخطوطات الأدب فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٣٠٩) .

*** راحة الأرواح فى الحشيش والراح:**

من مخطوطات الأدب فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة:

الرقم ١٧٠٣

لمؤلف مجهول .

أولها : الحمد لله الذى حرم على عبده التقى كل ما يسكر النفس، وإن كانت النفس خضراء ... وبعد، فقد سألنى من أمره مطاع ... أن أوضح له أصل الحشيش والخمر وسبب وجودهما ... فرتبت سؤاله قسمين ... القسم الأول فى بيان الخمر... وسميته راحة الأرواح فى الحشيش والراح ...

وآخرها مبتور. وآخر الموجود منها بيتان لظافر الحداد فى البسر الأحمر:

انظــر إلى البُسْــر قــد تبــدّى

ولــونُــه قــد حكى الشقيقــا

كـأنمـا خـوصُـه عليـه

زبـرجـد مُثمـر عقيقـا

وبعدهما، كما جاء فى التعقيبة : ابن المعتز فى خيار.

نسخة كتبت بقلم نسخى حسن ، من خطوط القرن الحادى عشر الهجرى تقديرا . وبأولها خاتم وقف يعود إلى سنة ١٣١٦ هـ . وبآخر صفحاتها تعقيبة . وهى ضمن مجموعة (الكتاب الثالث) من ورقة ١١٩ ـ ١٥٩ .

٤١ ق ١٩ س متوسط

الأزهرية ٧٢٤٣ / ٣ .

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية . الأدب ـ إعداد عصام محمد الشنطى جـ١ ق ٤ . القاهرة ١٩٩٤ م / ٧ . انظر أيضا كشف الظنون ١ / ٨٢٩) .

*** راحة الأرواح فى دفع آفات الأشباح:**

انظر : راحة الأرواح فى دفع عاهة الأشباح .

***راحة الراح ى دفع عاهة الأشباح:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ٢١٩٣ .

لشمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومى المتوفى سنة ٩٤٠ هـ / ١٥٣٤ م

الأول (... يا دافع البلاء بالتجاء الدعاء ويا كاشف الداء باستعمال الدواء ...) .

رتبه المؤلف على مقدمة وثلاثة أبواب : المقدمة فى بيان دفع الحوادث بالدواء .

الباب الأول فى خواص الآيات القرآنية فى الشفاء وهو فى ٣ فصول .

الباب الثانى فى الأسرار العددية .

الباب الثالث فى الخاصية الحيوانية والنباتية والمعدنية وهو فى ٣ فصول .

فى آخر هذه النسخة فوائد ومنقولات طبية . كتبت سنة ٩٧٤ هـ / ١٥٦٧ م .

القياس ٤ ص ٢١ × ١٤ سم ٣٢ س .

معجم المؤلفين ١ / ٢٣٨ كشف ١ / ٨٢٩

(فهرس مكتبة المتحف العراقى / ١٢٥)

وتوجد منه نسخة مصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

لأحمد بن سليمان الرومى المعروف بابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠ هـ .

وهى رسالة مختصرة فى أمر الطاعون

أولها: اللهم يا دافع البلاء ... ويا كاشف الداء باستعمال الدواء ... أما بعد فلما كان دوران الطاعون بين الناس ... فأردت أن أكتب رسالة تكون شافية للداء. ترياقا للطاعون والوباء.

وآخرها: بعد أن ينقع فى ماء الورد ويبل وشرب ... سلم من الطاعون . نسخة بقلم معتاد سنة ٩٧٤ هـ.

ورقتان مسطرة مختلفة ١٤ × ٢١ سم

[المتحف العراقى ٢١٩٣م] MESCO

(فهرست المخطوطات المصورة / ٩٩).

ويوجد مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق ورد فى عنوانه لفظ «آفات» بدل «عاهة» وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٧٥٠٥

فاتحة المخطوط . كسابقه .

أقسام الرسالة: تتألف الرسالة من بابين ومقدمة وتتضمن بيان دفع الحوادث بالدواء ورد القضاء بالاسم والدعاء:

١ ـ الباب الأول: فى خواص الآيات القرآنية، والأسماء الربانية، والأدعية الصمدانية، وفيه ثلاث فصول.

٢ ـ الباب الثانى : فى الخاصة الحيوانية، والنباتية ، والمعدنية، وفيه ثلاثة فصول .

خاتمة الرسالة: وزعفران جزء بعد أن ينقع بماء الورد وبخلّ ويشرب على الفطور. وكل من داوم على شربه سلم من الطاعون بإذن الله تعالى، تم وكمل رسالة الطاعون، على يد الضعيف محمد بن فتح الموصلى فى سنة ثمان وسبعين ومابة وألف.

أوصاف المخطوط: الرسالة تقع فى مجموع يحتوى على عدد كبير من الرسائل المختلفة فى الفقه، والمنطق، والوصايا، كما يحتوى على قصائد، وفوائد، وأدعية باللغات العربية، والفارسية، والتركية، وقد كتب المجموع بخط مستعجل وبمداد أسود.

ق	م	س
٣(٤ـ٦)	٢١×١٥,٥	٢١

المصادر عن المؤلف والكتاب: كشف الظنون ١ / ٥٣١، الشقائق النعمانية ١ / ٥٩١، شذرات الذهب ٨ / ٢٣٨، إيضاح المكنون ١ / ٩٦.

نسخة ثانية»

الرقم ٨٢٠٧.

المؤلف: نسب تأليفها «فى هذه النسخة» لعبد الباسط بن خليل الملطى المعروف بابن الوزير المتوفى سنة ١٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م.

أوصاف المخطوط: تقع الرسالة ضمن مجموع عدد رسائله ٣٥ رسالة، موضوعاتها مختلفة، وقد كتب بخط نسخى معتاد، وبالمدادين الأحمر والأسود، ويحتاج الكتاب إلى بعض الترميم.

ق	م	س
٤ (٣٣ ب ـ ٣٦)	٢٤ × ١٥	٢٣

(فهرس الظاهرية ٢ / ١١٠، ١١١).

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ١٢٦، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق ٢ الطب. الكتاب الثانى. القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م / ٩٩ وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الطب والصيدلة ـ وضعه صلاح محمد الخيمى . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . دمشق ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ، ٢ / ١١٠ ، ١١١. انظر أيضا كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٢٩).

*** راحة الإنسان:**

راحة الإنسان: فى الطب لأبى طاهر إبراهيم بن محمد الغزنوى الحكيم ألفه لمأمون خليفة.

(كشف الظنون ١ / ٨٣٠).

***راحة الصالحين وصواعق المنافقين:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٧٦٦٥

تأليف : أحمد الناصحى المتوفى سنة ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٨ م.

وهو فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأحكام الصلاة والوضوء.

أوله: الحمد لله الذى علمنا الشرائع والأحكام، وخلصنا بنور العلم من ظلم الشبه والأوهام، وأنعم علينا بالعقل السليم.

وآخره: وأما ترك السنة فهو فسق على ما قاله الفقيه أبو الليث وغيره.

نسخة جيدة مصححة مقابلة، انتهى المؤلف من تأليفه سنة ١٠٦٨ هـ صفحاتها مجدولة بالحمرة.

الخط نسخ جيد، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة.

٢٩٥ ق ١٩ س ٢٠ × ١٤ سم

المراجع: معجم المؤلفين ٢ / ١٩٢.

(فهرس مخطوطات الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٤٨، ٣٤٩).

* **راحة الصالحين وصواعق المنافقين:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف والآداب الشرعية. مخطوط بمكتبة المسجد الأقصى، وجاء بيانه كما يلى (ذكر بروكلمان ثلاث نسخ مخطوطة للكتاب ملحق ٢ / ٦٥٥):

المؤلف: البركوى «البركلى»، محيى الدين محمد بن بيرغلى بن إسكندر الرومى (٩٢٩ — ٩٨١هـ/ ١٥٢٣ - ١٥٧٣ م).

الموضوع الفرعى: التصوف، وهو فى ثمانية أبواب:

١ ـ فى بيان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٢ـ فى بيان فرائض الصلاة وهو ستة فصول.

٣ ـ فى بيان الواجبات المشهورة وهو فصلان.

٤ ـ فى بيان الواجبات الثمانية التى كانت مخفية فى الصلاة وهو قسمان: القسم الأول فيه خمسة فصول والقسم الثانى ثلاثة فصول.

٥ ـ فى بيان السنة المشهورة وفيه فصل واحد.

٦ـ فى بيان المشاغل.

٧ ـ فى بيان المكروهات المخفية المنسية غير المشهورات.

٨ ـ فى بيان الوضوء وفيه ستة فصول.

تاريخ النسخ: ٢٢ جمادى الأولى ١١٦٩ هـ/ ١٧٥٥م، بخط إبراهيم بن أحمد.

عدد الأوراق وقياساتها: ٥٧ ورقة، ٢٣ سطرا، ٢٠×١٢,٣ سم (١٤,٧×٩ ,٦سم).

أول المخطوط: «أحمد الله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على أفضل النبيين... الباب الأول فى بيان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما واجبان...».

خاتمة المخطوط: ... «وأما ترك السنة فهو فسق على ما قوله الفقيه أبو الليث وغيره والله أعلم قوبل بعون الله تعالى بالصواب تم».

ملاحظات: المخطوط حالته جيدة رغم آثار الأرضة فى جميع الأوراق، وفى أوله فهرس بموضوعات المخطوط يليه علامة تملك بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٢٢٥ هـ، وأخرى باسم إبراهيم، الإمام بجامع أحمد باشا سنة ١٢١ هـ.

(فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى ـ إعداد خضر إبراهيم، سلامة ـ مؤسسة آل البيت (مآب). المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية. عمان، الأردن. محرم ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م ٢/ ٩٤).

* **راحة المعنى فى محاسن الكلام المثنّى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة

تأليف جمال الدين محمد بن على بن أبى بكر الشبيبى.

نسخة كتبت سنة ٩٣٤ بخط محمد بن أحمد الغيطى.

[نور عثمانية ٤٨٨٤ ٢ق حجم متوسط]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١/ ٤٦٨)

قالت المؤلفة: مكتبة نور عثمانية باستانبول.

* **راحة النفوس:**

راحة النفوس: فى ترجمة رجوع الشيخ إلى صباه وهو على قسمين كل منهما على أربعة فصول لمصطفى بن أحمد الكليبولوى المتخلص بعالى المتوفى سنة ١٠٠٨ ثمان وألف ألّفه للسلطان محمد خان أمير مغنيسا سنة ٩٩٧ سبع وتسعين وتسعمائة بجبل يقال له بوزطاغ يايلاق ولايت آيدين.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٨٣٠).

***راحيل (قبة ـــ):**

زارها الشيخ عبد الغنى النابلسى فى رحلته القدسية فى اليوم الخامس والعشرين، الخميس ١١ رجب / ٢٠ نيسان إبريل فقال عن دخوله مدينة الخليل فمررنا على قبة راحيل، بالراء والألف والحاء المهملة والياء التحتية واللام، وهى أم يوسف الصديق عليه السلام، فوقفنا عند ذلك القبر العظيم وقابلناه بالإجلال والاحترام والتكريم، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بما تيسر لنا من الدعاء والله بصير بسعى من سعى. قال الحنبلى فى تاريخه: قبة راحيل بجانب الطريق بين بيت لحم وبيت جالا فى قبة موجهة إلى جهة الصخرة، وهى مشهورة تزار ا هـ.

وراحيل اسم عبرى معناه الشاة، وهى ابنة لابان الصغرى، اقترن بها يعقوب عليه السلام بعد أن خدم أباها سبع سنين. وقد ماتت عند ولادة ابنها بنيامين، وأخبارها فى سفر أرميا(٣١/ ١٥).

(الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية ـ تحقيق ودراسة أكرم حسن العلبى/ ٢٤٧ وهامش (١) للمحقق).

انظر مادة «الخليل (مدينة ـــ) فى م ١٦ / ٣٣٣ ـ ٣٣٦.

*** الرادع:**

الرادع بالدال المهملة عند الأطباء ضد الجاذب وهو الدواء الذى من شأنه لبرده أن يحدث فى العضو بردًا فيكثفه ويضيِّق مسامه ويُكثر حرارته الحادثة ويجمد السائل إليه فيمنعه من السيلان إلى العضو ويمنع العضو عن قبوله وخصوصا إذا كان غليظ القوام كدهن الورد كذا فى بحر الجواهر والإقسرائى.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢/ ٥٧٢).

***راذان:**

قال ياقوت:

راذان: بعد الألف ذال معجمة، وآخره نون، راذان الأسفل وراذان الأعلى: كورتان بسواد بغداد تشتمل على قرى كثيرة، وقد نسب إليها قوم من المتأخرين، وقال عبيد الله بن الحر:

أقول لأصحابى بأكناف جازر

وراذانُها هل تأملون رجوعَا

وقال مرّة بن عبد الله النهدى فى راذان المدينة فيما أحسب:

أيا بيت ليلى إن ليلى مريضة

براذان لا خال لديها ولا عَمّْ

ويا بيت ليلى لو شهدتك أعْولت

عليك رجال من فصيح ومن عجمْ

ويا بيت ليلى يا بئست ولا تزل

بلادك يسقيها من الواكف الديمْ

وراذان أيضا قرية بنواحى المدينة جاءت فى حديث عبد الله بن مسعود.

(معجم البلدان ٣/ ١٢، ١٣).

***الراذانى:**

قال السمعانى:

الراذانى: بفتح الراء والذال المعجمة بين الألفين وفى آخرها النون، وهذه النسبة إلى راذان، وهى قرية من قرى بغداد وبالمدينة قرية يقال لها راذان، وقد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لما روى عن النبى ﷺ «لا تتخذوا الضيعة فترغبوا فى الدنيا» ثم قال: وبراذان ما براذان؛ يعنى أنه اتخذ الضياع بها. وأما المنتسب إلى راذان بغداد فهو أبو عبد الله محمد بن الحسن الراذانى، كان أحد الزهاد المنقطعين إلى الله، وكانت له كرامات ظاهرة، توفى فى حدود سنة ثمانين وأربعمائة.

وابنه أبو على الحسن بن محمد بن الحسن الراذانى، فقيه صالح من أصحاب أحمد، وكان يعظ الناس، سمع أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار بن الطيورى وأبا القاسم على ابن أحمد بيان الرزاز وغيرهما، سمعت منه أحاديث يسيرة ببغداد، وتوفى بها فجأة يوم الأربعاء بعد الظهر السادس من صفر سنة ست وأربعين وخمسمائة ودفن بباب حرب.

وأما المنسوب إلى راذان المدينة فهو أبو سعيد الوليد بن كثير بن سنان المدنى الراذانى، مدينى الأصل سكن الكوفة، روى عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن والضحاك بن عثمان

وعبيد الله بن عمر العمرى، روى عنه زكريا بن عدى ويوسف ابن عدى وعبد الله بن سعيد الأشج الكندى، قال ابن أبي حاتم سألت عنه فقال: كان يسكن خارجًا من الكوفة، هو شيخ يكتب حديثه.

(الأنساب للسمعاني ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٣/ ٢١).

* راذكان:

قال ياقوت:

قرية من قرى طوس، وقيل: بُليدة: بعد الألف ذال معجمة، وآخره نون، خرج منها جماعة وافرة من أهل العلم، ويقال: إن الوزير نظام الملك كان منها، ينسب إليها أبو محمد عبد الله بن هاشم الطوسي الراذكاني، سكن نيسابور، روى عن يحيى بن سعيد القطان ووكيع وغيرهما، روى عنه عبد الله بن محمد بن شيرويه، وكان ثقة.

والحسن بن أحمد بن محمد الراذكاني أبو الأزهر الطوسي من أهل الطابران قصبة طوس، كان فقيهًا فاضلاً عفيفًا منقطعًا. سمع أبا الفضل محمد بن أحمد بن الحسن العارف وأبا على الفضل بن محمد بن على الفارمذى، قرأ عليه أبو سعد [السمعاني] في داره بالطابران، قال: وصلت إليه بعد جهد جهيد، وكانت ولادته قبل سنة ٤٧٠، ووفاته في سنة نيف وثلاثين وخمسمائة.

(معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/ ١٣. انظر أيضا الأنساب للسمعاني ٣ــ٢١، ٢٢).

*الراذكاني:

انظر: راذكان.

* راران

انظر: الراراني.

* الراراني:

قال السمعاني:

الراراني: راران بالراءين المفتوحتين المنقوطتين من تحتهما بنقطة واحدة قرية من قرى أصبهان، والمنتسب إليها أبو طاهر روح بن محمد بن عبد الواحد بن العباس بن جعفر ابن الحسن بن ويدويه الوصفي الراراني، سمع أبا الحسن على بن أحمد الجرجاني، وأبا بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المعدل، سمع منه أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي، وروى لنا عنه جماعة بأصبهان وبغداد، وتوفى غرة شعبان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة.

وأخوه أبو الفضل العباس بن محمد بن عبد الواحد الراراني الضرير، سمع أبا بكر بن أبي على ومعمر بن أحمد بن زياد وقرأ القرآن على مشايخ وقته، ومات في صفر سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

وابنه أبو روح ثابت بن روح الراراني أيضًا، حدث بأصبهان وسمع منه جماعة.

وأما حفيداه فأبو رجاء بدر بن ثابت بن روح الراراني، شيخ صالح مقدم للصوفية بأصبهان، سمعت منه جزءين وفوائد أبي بكر النيسابوري في سبعة أجزاء بروايته عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الطيان عن إبراهيم بن عبد الله التاجر عنه.

وأخوه أبو القاسم عبد الواحد بن ثابت الراراني، سمعت منه بأصبهان، ثم قدم علينا بغداد وكتبت عنه بها شيئًا يسيرًا.

وأبو الحسين أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن هارون الراراني الفقيه الواعظ والد أبي الخير محمد إمام جامع أصبهان، ولا أدرى هو من هذه القرية أو اسم جده الأعلى ررا فنسب إليه؟ لأن ابنه أبا الخير يعرف بابن ررا، وأبو الحسين حدث عن أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، وكان غاليًا في الاعتزال، مات في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

وابنه أبو الخير محمد بن أحمد، يروى عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الجرجاني وأبي الفرج عثمان بن محمد البرجي وأبي سعيد محمد بن على بن عمر النقاش وغيرهم. روى لي عنه جماعة كثيرة، وكانت وفاته في رجب سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة بأصبهان.

ومن القدماء أبو عمرو خالد بن محمود الراراني نزيل الخان ـ يعني خان لنجان ـ يروى عن محمد بن شيبة والحسن ابن عرفة وغيرهما، روى عنه على بن يعقوب بن إسحاق القمي. وأبو محمد عبد الله بن خالد بن محمد بن رستم التيمي الراراني نزيل خان لنجان، كان ثقة، يروى عن محمد

ابن إسماعيل الصائغ وابن أبى مسرّة وعلى بن عبد العزيز المكى وغيرهم، روى عنه أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ.

(الأنساب للسمعانى - تقديم عبد الله عمر البارودى ٣ / ٢٢، ٢٣).

*** رازان:**

انظر: الرازانى.

***الرازانى:**

قال السمعانى:

الرازانى: هذه النسبة بالراء المفتوحة والزاى المنقوطة المفتوحة إلى رازان، وهى محلة كبيرة ببروجرد، وهى من بلاد الجبل. ينسب إليها أبو النجم بدر بن صالح بن عبد الله الرازانى الصيدلانى، فقيه صالح عفيف، سمع الإمام أبا نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ البغدادى صاحب الشامل فى المذهب وأبا الفتح عبد الواحد بن إسماعيل بن نغارة البروجردى وغيرهما، سمعت منه ببروجرد.

وأخوه أبو النصر حامد بن صالح الرازانى رحل إلى أبى حامد الغزالى بطوس وتفقه عليه وكان رجلاً كافيا منطقيًا صالحًا، سمع بأصبهان أبا على الحسن بن أحمد الحداد وببغداد أبا بكر أحمد بن المظفر بن سوسن الثمار وغيرهما، كتبت عنه ببروجرد ثم بالكوفة منصرفه من الحجاز، ثم لقيته ببغداد.

(الأنساب للسمعانى ٣/ ٢٣).

*** الرازى:**

قال السمعانى:

الرازى: بفتح الراء والزاى المكسورة بعد الألف، هذه النسبة إلى الرى، وهى بلدة كبيرة من بلاد الديلم بين قومس والجبال وألحقوا الزاى فى النسبة تخفيفًا، لأن النسبة على الياء مما يشكل ويثقل على اللسان والألف لفتحة الراء على أن الأنساب مما لا مجال للقياس فيها والمعتبر فيها النقل المجرد، خرج منها جماعة من العلماء والمحدثين فى كل فن قديمًا وحديثًا وأقمت بها قريب من أربعين يومًا فى انصرافى من العراق وكتبت بها عن جماعة من الرازية تقرب من الثلاثين نفسًا.

فمن قدماء الأئمة بها أبو عبد الله جرير بن عبد الحميد بن جرير بن قرط بن هلال بن أبى قيس بن وحف بن عبد غنم بن عبد الله بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد الضبى الرازى، أصله من الكوفة، رازى المولد والمنشأ، رأى أيوب السختيانى بمكة وجماعة من طبقته، سمع الأعمش ومنصور بن المعتمر وهشام بن عروة وسهيل بن أبى صالح ومغيرة بن مقسم وحصين بن عبد الرحمن وليث بن أبى سليم، روى عنه عبد الله بن المبارك وأبو داود الطيالسى وسليمان بن حرب وأحمد ابن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المدينى وأبو خيثمة زهير ابن حرب وغيرهم من مشاهير الأئمة والأعلام، مات بالرى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين ومائة عن ثمان وسبعين سنة.

وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ الرازى مولى عياش بن مطرف القرشى، من أهل الرى، سمع خلاد ابن يحيى وأبا نعيم وقبيصة بن عقبة ومسلم بن إبراهيم وأبا الوليد الطيالس وأبا سلمة والتبوذكى والقعنبى وأبا عمر الحوضى وإبراهيم بن موسى الفراء وكان إمامًا ربانيا متقنا حافظًا مكثرا صادقا، وقدم بغداد غير مرة وجالس أحمد بن حنبل وذاكره وكثرت الفوائد فى مجلسهما، روى عنه مسلم بن الحجاج وإبراهيم بن إسحاق الحربى وعبد الله بن أحمد بن حنبل وقاسم بن زكريا المطرز وأبو بكر محمد بن الحسين القطان وابن أخيه وابن أخته أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى، وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: لما قدم أبو زرعة نزل عند أبى وكان كثير المذاكرة له فسمعت أبى يومًا يقول: ما صليت غير الفرض استأثرت بمذاكرة أبى زرعة على نوافلى، وذكر عبد الله بن أحمد قال لأبى: يا أبت! من الحفاظ؟ قال: يا بنى! شباب كانوا عندنا من أهل خراسان وقد تفرقوا، قلت: من هم؟ يا أبت! قال: محمد بن إسماعيل ذاك البخارى، وعبيد الله بن عبد الكريم ذاك الرازى، وعبد الله بن عبد الرحمن ذاك السمرقندى، والحسن ابن شجاع ذاك البلخى. وحكى عن أبى زرعة الرازى أنه قال: كتبت عن رجلين مائتى ألف حديث، كتبت عن إبراهيم الفراء مائة ألف حديث، وعن ابن شيبة عبد الله مائة ألف حديث، ذكر أبو عبد الله محمد بن مسلم بن وارة يقول: كنت عند إسحاق بن إبراهيم بنيسابور فقال رجل من أهل العراق:

سمعت أحمد بن حنبل يقول: صح من الحديث سبعمائة ألف حديث وكسر، وهذا الفتى - يعنى أبا زرعة - قد حفظ ستمائة ألف حديث. وكان إسحاق بن راهويه يقول: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل. وكانت ولادته سنة مائتين وتوفى سلخ ذى الحجة سنة أربع وستين ومائتين بالرى وزرت قبره.

وابن أخيه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الرازى من أهل الرى، كان ثقة كثير الحديث صاحب أصول، روى عنه عمه أبى زرعة ويونس بن عبد الأعلى وبحر بن نصر والربيع بن سليمان ومحفوظ بن بحر الأنطاكى وغيرهم. روى عنه محمد بن حمدان بن محمد الأصبهانى، وكان أبو القاسم قدم أصبهان وحدَّث بها، وأكثر أهل أصبهان عنه. وتوفى بها سنة عشرين وثلاثمائة. قال أبو الحسن الدارقطنى، هو حمد شيخ كتبنا عنه من شيوخ أهل الرى وعدولهم، وهو حمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أيوب بن شريك الأصبهانى ثم الرازى، يحدث عن ابن أبى حاتم وأحمد بن محمد بن الحسين الكاغذى وغيرهما.

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣/ ٢٣ - ٢٥)

* **الرازى (أبو زرعة):**

انظر: أبو زرعة الرازى.

* **الرازى (إبراهيم بن نصر) (ـ ٣٨٥ هـ):**

ذكره صاحب الرسالة المستطرفة فى أصحاب المسانيد وقال عنه: ومسند أبى إسحاق إبراهيم بن نصر الرازى المتوفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة فى نيف وثلاثين جزءا.

(الرسالة المستطرفة لمولانا الإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٥٥).

انظر: الرازى.

* **الرازى (أبو زرعة):**

انظر: أبو زرعة الرازى.

* **الرازى (أحمد بن محمد بن عبد الصمد):**

قال عنه ابن الجزرى: أحمد بن محمد بن عبد الصمد بن يزيد أبو العباس الرازى مقرئ أستاذ، قرأ على الفضل بن شاذان ومحمد بن سمعويه الموصلى صاحب أبى الفتح عامر ابن عمر، سكن الأهواز وأقرأ بها. قرأ عليه أحمد بن نصر الشذائى وأحمد بن محمد بن عبيد الله العجلى وأحمد بن محمد الشنبوذى، قال العجلى: قرأت عليه بالأهواز سنة عشر وثلثمائة.

(غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ١١٨).

انظر: الرازى.

* **الرازى (أحمد بن الحسن) (ـ ٤٠٩هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الثانية والعشرين وقال عنه: شيخ الحرم، أبو العباس، أحمد بن الحسن بن بُندار، الرازى المحدث. حدث بأماكن عن محمد ابن إسحاق بن إبراهيم الأهوازى، وأبى القاسم الطبرانى، وابن عدى، وعدة.

روى عنه ولده الإمام عبد الرحمن، وأبو العباس بن الخطاب الرازى، وغيرهما. وكان من علماء الحديث.

عاش إلى سنة تسع وأربعمائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢/ ٢٨١).

انظر: الرازى.

* **الرازى (أحمد بن على، أبو بكر) (ـ نحو ٤٣٠ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الثالثة والعشرين وقال عنه: الحافظ الأوحد، أبو بكر، أحمد بن على، الرازى ثم الإسفراينى، الزاهد الثبت، أملى بإسفرايين عن شافع بن محمد، وزاهر السرخسى، وأبى محمد المخلدى، وطبقتهم. وانتقى عليه الشيوخ، وتعب وجمع حدَّث عنه أبو صالح المؤذن، مات كهلا فى قرب الثلاثين وأربعمائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ٢/ ٣١٩، ٣٢٠).

انظر: الرازى.

* **الرازى (أحمد بن على بن الحسين) (ـ ٣١٥هـ)**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الثامنة عشرة

وقال عنه: الإمام الحافظ العلامة الناقد، أبو بكر، أحمد بن على بن الحسين بن شهريار، الرازى ثم النيسابورى، صاحب التصانيف. سكن والده نيسابور، فولد أبو بكر بها.

سمع أبا حاتم الرازى، والسَّرِىّ بن خزيمة، وعثمان بن سعيد الدارمى، وطبقتهم، وله رحلة طويلة، ومعرفة جليلة.

حدَّث عنه أبو على النيسابورى، وأبو أحمد الحاكم، وآخرون مات كهلاً، عاش بضعا وخمسين سنة، ومات بالطابران سنة خمس عشرة وثلثمائة. أثنى عليه الحاكم، وبالغ فى تعظيمه.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ٢/ ٨٢).

انظر : الرازى.

*** الرازى (أحمد بن محمد بن سليمان) (ـ ٣٦٨ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة العشرين وقال عنه: شيخ الشيعة ومصنفهم، أبو غالب أحمد بن محمد بن سليمان بن بكير الرازى. قال أبو جعفر الطوسى فى تاريخ مصنفى أصحابهم: خرج توقيعٌ من أبى محمد عليه السلام فيه ذكر الرازى، ثم قال: وصنَّف كتبًا منها «التاريخ» ولم يتمه، وكتاب «المناسك».

أخذ عنه ابن النعمان ـ يعني: الشيخ المفيد ـ والحسين ابن عبيد الله بن الفحّام توفى سنة ثمان وستين وثلاثمائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ٢/ ١٨٣).

انظر: الرازى.

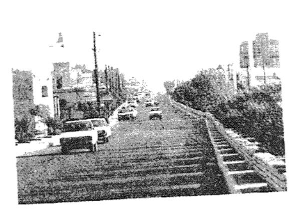
*** الرازى (أحمد بن محمد بن المظفر) (ـ بعد ٦٣٠ هـ / ـ بعد ١٢٣٣ م):**

أحمد بن محمد بن أحمد المظفر بن المختار، أبو العباس بدر الدين الرازى الحنفى: عالم بالتفسير والحديث عارف بالأدب، له نظم حسن. دخل دمشق وكان يفسر القرآن على المنبر بجامعها. وسمع بها الحديث من أبى اليمن الكندى وغيره. ثم ذهب إلى بلاد الروم وتولى بها القضاء والتدريس. له كتب، منها «مباحث التفسير ـ خ» فى دار الكتب وهو مناقشات لتفسير أبى إسحاق الثعلبى، وفى نهايته إجازة منه لتلميذه «جمشيد بن يهوذا» فى ربيع الأول سنة ٦٣٠ و «ذخيرة الملوك فى علم السلوك ـ خ» فى المخطوطات المصورة، و «مقامات ـ ط» بتونس تعرف بمقامات الحنفى، اثنتا عشرة مقامة: خدم بها أبا حامد محمد بن محمد بن القاسم الشهرزورى روى فيها القعقاع بن زنباع، منها مخطوطة كتبت سنة ٧٠٠ و «الناسخ والمنسوخ فى الأحاديث ـ خ» و «لطائف القرآن ـ خ» فى دمشق، و «حجج القرآن ـ ط» رسالة فى التفسير (الأعلام ١ / ٢١٧، ٢١٨).

وفى مقدمة تحقيقه لكتاب الرازى «الحروف» أو «رسالة فى حروف العربية» يقول الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدى:

أما صاحب الترجمة، فقد وردت ترجمته فى بروكلمان (١ / ٤١٤ و ١ / ٧٣٥) وفى إيضاح المكنون (الإيضاح ١ / ٥١، ٧٠، ١٧٤ و ٢ / ١٩٧، ٤٠٥) للبغدادى ينسب إليه كتبا سنفرد لها ذكرا بعد قليل. كما ذكره حاجى خليفة فى كشفه وينسب إليه كتابا فى القرآن (كشف الظنون/ ١٧٨٥).

وذكر كحالة من مصادر ترجمته: (فهرس المؤلفين ـ بالظاهرية) وهو مخطوط. يكنى الرازى بكنيتين ذكرهما البغدادى فى (الإيضاح) فكناه مرة بأبى الفضائل، وهو الكنية الأشهر، وكفاه ثانية بأبى المحامد، ولعلها من باب التجوز. لقرب المعنى بين الكنيتين.



★ شوارع رابغ الحديثة ★

ويبدو أن اشتغال الرازى بالتأليف والتصنيف استمر إلى قبيل وفاته حتى ذكروا له كتاب: لطائف القرآن وذكروا أنه فرغ منه سنة: ٦٣٠ هـ. أى قبل وفاته بسنة واحدة.

أما العلوم التى اشتغل بها فهى: اللغة والفقه والحديث والقرآن والتصوف. والأدب؛ وقد وضع فيه (المقامات).

أما تصانيفه فهى:

١ ـ أذكار القرآن، قال البغدادى: «أوله الحمد لله المذكور بكل لسان.».

٢ ـ الاستدراك فى الحديث، وواضح أنه فى تتمة كتب الحديث، والاستدراك عليها.

٣ ـ بذل الحبا فى فضل آل العبا ... وذكره عمر كحالة ... (فى فضل آل العباس)، وهو خطأ مطبعى، أو وهم.

٤ ـ حجج القرآن لجميع الملل والأديان (سبق ذكره).

٥ ـ الحروف.

٦ ـ فضائل القرآن، وهو كتاب فى ما ورد فى فضائل القرآن الكريم من الحديث والسنة، وما يحمله هذا الكتاب من فضائل على سائر الكتب الأخرى ولقد سبق الرازى بمثل هذا التصنيف من الأئمة، ومنها كتاب أبى عبيد القاسم بن سلام الهروى (٢٢٤ هـ) فى (فضائل القرآن)، وصلنا مخطوطا، ويقوم أحد الدارسين بتحقيقه تحت إشراف الدكتور محمد مصطفى الأعظمى فى كلية الشريعة بمكة المكرمة.

وأول كتاب الرازى قوله: «الحمد لله الذى أحكم الكتاب، وفصّله وشرّفه وفضّله ...».

٧ ـ لطائف القرآن، ذكر الرازى: أنه فرغ منه سنة: ٦٣٠ هـ، وأول هذا الكتاب: «بعد حمد الله تعالى ...» (سبق ذكره).

٨ ـ مقامات الرازى، أشار إليها كحالة فى المعجم (سبق ذكرها).

وتوفى الرازى سنة: ٦٣١ هـ («رسالة فى حروف العربية» / ٥٤، ٥٥).

ويورد المعجم الشامل طبعات اثنين من مؤلفات الرازى كما يلى:

١ ـ حجج القرآن:

ـ تصحيح أحمد عمر المحمصانى، القاهرة: مطبعة الموسوعات، ١٣٢٠ هـ ـ ١٩٠٢ م.

١٠٨ ص، م ٤ ص، ف ١١ ص: المحتوى، الآيات، الأحاديث.

ـ بيروت: دار الرائد العربى، ط ثانية، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م (عن السابقة بالتصوير).

قالت المؤلفة: هذه الطبعة هى التى عندى:

٢ ـ كتاب الحروف:

ـ تحقيق رشيد عبد الرحمن العبيدى، مجلة المورد العراقية، المجلد ٣، العدد، ٤، ١٩٧٤ م.

٢٣ ص (١٩٧ ـ ٢١٩)، م ٣ ص، ف ١ ص: المصادر والمراجع (المعجم الشامل ٣ / ٦).

(الأعلام للزركلى ١ / ٢١٧، (وقد أورد مصادره فى هامش (١) كما يلى: طبقات المفسرين للداودى ١: ٨٦ ولم يذكر وفاته ودار الكتب ١: ٦٠ و ٣: ٣٧٣ و «الناسخ والمنسوخ» فى فهرس المخطوطات المصورة ١ / ١١١. ١٥٨ وعلوم القرآن ٣٩٠ والأزهرية ٣ / ١٨٤ وهدية العارفين ١ / ٩٢ وكشف الظنون ١٧٨٤ ونقل سركيس ٢٤٦ عن النسخة المطبوعة تعريفه بابن «المعظم» وأرخ وفاته سنة ٧٣٠ خطأ) و «رسالة فى حروف العربية» ـ تحقيق د. رشيد عبد الرحمن العبيدى. مجلة معهد المخطوطات العربية ج ١ م ٢٠. ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ ـ مايو ١٩٧٤ م / ٥٤، ٥٥، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٦).

انظر: الرازى.

*** الرازى (أحمد بن محمد بن موسى) (٢٧٤ ـ ٣٤٤ هـ / ٨٨٨ ـ ٩٥٥ م):**

من الجغرافيين المغاربة. ترجم له القفطى فى «الإنباه» فقال عنه هو أحمد بن موسى الرازى الأندلسى، النحوى اللغوى الأخبارى. كان نحويا لغويا كاتبا بليغا غزير الرواية حافظا للأخبار، وله كتاب فى أخبار أهل الأندلس وتواريخ دول الملوك فيها، بلغ الغاية من استيعابه لكل ذلك، والتقصى فيه، وجدّه من أهل الرى، دخل إلى الأندلس وأقام به. توفى الرازى هذا فى رجب سنة أربع وأربعين وثلثمائة.

(إنباه الرواة ١ / ١٣٦).

كما ترجم له الزريكلى وقد أورده تحت اسم «الكنانى» وقال عنه: أحمد بن موسى بن بشير بن حماد بن لقيط

الرازى. أبو بكر الكنانى، مؤرخ أندلسى من أهل قرطبة. قال ابن الفرضى: «لـه مؤلفات كثيرة فى أخبار الأنـدلس وتواريخ دول الملوك فيها» وكـان عـارفـا بالأدب والشعـر (الأعـلام ١ / ٢٠٨).

ولـلأستاذ سـالم سعدون المبـادر (بكليـة التربيـة جامعـة البصرة) بحث مستفيض بعنوان « الفكر الجغرافى عن الرازى» نتقل بعضا مما جاء به فيما يلى:

أخذ أحمـد عن أبيه ميلـه إلى التاريخ والاهتمـام بالتأليف والتـرجمـة فقد قـام مع الـوليـد بن خيـزران بتـرجمـة كتـاب (هروشيش).

لقد نشأ الرازى فـى بيئة علمية فريدة من نـوعها تلك هى البيئة الأنـدلسية التى كانت تـزخر بالتأليف والتـرجمة وطلب دؤوب للعلم والمعرفـة، مما جعل قـرطبة خلال القـرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى مركـزا من مراكز القيادة والإشعاع للحضارة فى العالم أجمع.

ولـد أحمـد فى الأنـدلس فى البيئـة التى ذكرنـا مكـانتهـا العلمية وترعرع بين أحضان علمائها وأدبائها ومؤرخيها، فأخذ عنهم الشىء الكثيـر. فإلى جانب اهتمـامه بتاريـخ الأندلس وأخبار ملـوكها وخـدماتهم وغـزواتهم ونكباتهم، اهتـم أيضا بالجانب الجغرافى وله عدة كتب فى هذا المجال، تناول فيها مختلف فروع الجغرافية الحديثة والمعاصرة.

فلـه فى وصف قـرطبة وخططهـا ومنـازل الأعيان فيهـا. مؤلف كان مرجعا يعتمد عليه فى الشرق والغرب.

فالـرازى لم يكن جغرافيا فحسـب بل مؤرخا أيضـا، فما يسمى «بمسالك الأندلس ومراسيها ...» هو مقدمة الجغرافية لتاريخ الرازى الكبير.

فالفكر الجغرافى عند الرازى هو تناوله للجغرافية على أنها علم متمم للتاريخ، وقد أوضح ذلك فى مقدمة كتابه «أخبار ملوك الأندلس».

لقد تأثر بفكـر الرازى الذين جاءوا بعده بعدة قـرون فكانوا يسلكون سبيله ويتبعون منهجه عندما يكتبون فى التاريخ وفى الجغرافية.

والـرازى أول من أدخل نمـوط الجغـرافيـة الإقليميـة إلى الأندلس، ولعل من أشهر ما كتب الـرازى فى الجغرافية كتابه «مسالك الأندلس ومراسيها» وهـو المقدمة الجغرافية لتاريخ الرازى الكبير.

تناول الرازى الجغرافية على أنها علم متمم للتاريخ فكان اهتمامه منصبا على وصف الأندلس.

لقد سلك الرازى فى جغرافية الأنـدلس طريقا لا نجد له شبيها فيما سلكه الجغرافيون المشارقة، فقد بدأ بتحديد موقع شبـه الجزيـرة من الأقاليـم، ووضعها فى الإقليم الـرابع، ثم تحدث عن شبه الجـزيرة فقال عنها هيئة «مركنـة» ذات ثلاثة أركان، أى أنها مثلثة الشكل فهو بذلك متأثر بهروشيش.

إن تحديد المكان هذا يطلق عليـه الآن بالموقع الجغرافى الذى أبرز مكانة شبه الجزيرة بالنسبة لما يجاورها.

ثم درس مناخ شبـه الجزيـرة بادئا بعبـارة « ... والأندلس أندلسان».

فـالرازى قسم الأنـدلس «إسبـانيا» إلى إقليمين منـاخيين متباينين على خلاف تقسيم هـروشيش السياسى المأخوذ من الرومانى.

فقد تنـاول الرازى الريح واتجاهـاتها ومواقعها وأمطـارها، فهو بذلك عالم مناخى.

فقد وصف أحـوال الأندلس المناخية والصفـات الطبيعية الأخرى حيث يقـول: بلد الأندلس هو آخـر الإقليم الرابع إلى المغرب، وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة، طيب التربة، خصب الجنـان، منبجس الأنهـار الغزار، والعيـون العـذاب قليل الهـوام ذوات السمـوم، معتدل الهـواء والجـو والنسيم، ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال، وسطه من الحـال لا يتولـد فى أحـدهـا فضل يتولـد منـه فيما يتلـوه انتقـاص، تتصل فواكهـه أكثر الأزمنـة ... أمـا السـاحل منـه ونـواحيـه فيبـادر بـباكـورة. وأمـا الثغـر وجهـاتـه والجبـال المخصـوصـة ببرد الهـواء فيتأخـر بـالكثير من ثمـره، فمـادة الخيرات بالبلـد متمادية فى كل حين.. وله خـواص فى كرم النبات توافق فى بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره ... ولـلأندلس المدن الحصينة، والمعـاقل المنيعة، والقلاع الحريزة، والمصانع الجليلة.

فالرازى بهذا قد أفدنا الكثير عن هذا البلد الغنى بخيراته، ومخزونات ثرواته.

فلم تقتصر جهوده الجغرافية على هذا الجانب بل تقدمه إلى جـوانب أخـرى، ففى الجـانب الطبيعى تنـاول أنهـار

الأندلس واتجاهاتها وجريانها وغزارة مياهها، وبذلك قسمها إلى أندلس غربى وأندلس شرقى، فالغربى منها ما جرت أنهاره نحو المحيط الغربى (ويقصد به المحيط الأطلسى)، تتأثر أمطاره بالرياح الغربية (العكسية) أما الحوز الشرقى المعروف بالأندلس الأقصى فتجرى أودية أنهاره نحو الشرق وتغذيه الأمطار الشرقية.

لقد اهتم الرازى كثيرا بأنهار الأندلس بما يفوق اهتمامه فى الجوانب الطبيعية الأخرى فلم تقتصر دراسة الأنهار على الوصف العام كما فعل الإغريق والرومان الذى انصب اهتمامهم لها لما تخدم أغراضهم كمستعمرين. بل انصب اهتمام الرازى لها كأحد أبنائها، لذا اهتم بالجانب الاقتصادى لهذه الأنهار وخاصة من الناحية الزراعية التى عرف العرب بها حيث أدخلوا معهم أساليب حديثة فى الرى وكذلك أدخلوا أنواع جديدة من المزروعات لم تكن تعرفها الأندلس قبل دخولهم لها.

لم يكتف الرازى بالوصف العام لهذه الأنهار يذكر روافدها وما يقع عليها من مدن وغيرها. وهكذا فى بقية أنهار الأندلس الأخرى.

أما اهتمامه فى الجانب السياسى والبشرى فيعتبره على جانب كبير من الأهمية، فقد ركز فى دراسته على المدن الأندلسية تاريخيا وجغرافيا فهو بذلك يعتبر واضع حجر الأساس لجغرافية المدن، فقد وصفها وصفا دقيقا ودرسها دراسة ميدانية أوضح كل شىء فيها.

قسّم الأندلس إلى كور ومدن، والمدينة الأندلسية تمثل قسما إداريا، والكورة لها زمام واسع تقع فيها مدن وقرى وحقول واسعة ويمكن أن يكون أشبه بالإقليم، والمدينة فى العرف الأندلسى هى القسم الإدارى الواقع على الحدود أو المحيط بالعاصمة، ويكاد أن يكون هذا التقسيم معمولا به حاليا فى بعض الأقطار العربية، التى يطلق عليها المحافظة، وهى تعنى مساحة من الأراضى تضم تقسيمات إدارية (وهى الأقضية والنواحى وهذه تتبعها قرى)، فالمحافظة أكبر جزء فى التقسيم الإدارى ومركزها يدعى المدينة كما فى العراق وسوريا ومصر واليمن الديمقراطية، فالرازى الذى عاش قبل أكثر من ألف سنة أوضح هذا التقسيم واهتم به ووضعه أساسا لدراسته وهذا نموذج لكلام الرازى عند دراسته لمدن الأندلس.

«كورة بلنسيا» ويتصل بحوز كورة تدمير حوز كورة بلنسيا، وهى شرق من تدمير وشرق من قرطبة ولخطة بلدها مسافة بعيدة، منافعها لأهلها عظيمة، وحصون قديمة فمن مدائنها مدينة بلنسيا وهى المعروفة بمدينة التراب ولها حصن ارغيره ودانية وعلى ضفة البحر ولها أقاليم كثيرة متسعة ومرساها من أعجب المراسى وجميع أقاليمها وجبالها مغترسة بالكروم وأشجار التين والزيتون، ومدينة الجزيرة ومبتناها على نهر شقر.

فالحوز عند الرازى هو زمان الكورة كله أى ما يتبعها من الأراضى والبلاد، وخطة البلد هى المسافة التى تغطيها المدينة نفسها وما يتبع حكومتها من الأراضى والقرى.

(الحوز مصطلح عربى معمول به فى محافظة البصرة، جنوب العراق وكذلك فى إقليم الأحواز وعربستان، وهى مساحة من الأرض محصورة بين جدولين يتصلان بشط العرب، وجاء هذا المصطلح من الحيازة والتملك. انظر قضاء الفاو دراسة فى الجغرافية الزراعية / سالم المبادر).

ثم يسترسل الرازى فى جغرافية المدن ويفصلها تاريخيا من حيث نشأتها وبناء عمائرها، وهذا ما أخذه العذرى من الرازى وأضافه إلى جغرافيته.

لقد استفاد أهل ذلك العصر من هذه الدراسة، فأهل بلنسيا أخذوا ما يحتاجون إليه من معلومات عن كورتهم، فقد حددوا الموقع والمدن والحصون، وذكر الميزات الخاصة من الموقع على البحر والاتصال بالسهول والأنهار، ثم يذكر الحاصلات سواء كانت زراعية أم معدنية، وهو لم يترك الحصون وأهميتها الدفاعية والأمنية، كذلك بيّن الكثير من المدن العسكرية كالمنطقة التى تقوم فيها عاصمة الخلافة قرطبة.

بينا أن الرازى لم يترك شيئا فى المدينة إلا وذكرها حتى إنه كان يهتم بالمسافات بين هذه المدن. فقد ذكر « ... ومن تطيلة الى سرقسطة ٣٠ ميلا، ومن قلعة أيوب إلى تطيلة ٢٥ ميلا، ومن مكرة إلى تطيلة ١٢ ميلا، ومن تاجرة إلى تطيلة

٥٠ ميلا، ومن بقيرة إلى تطيلة ٣٣ ميلا، ومن أرنيط إلى سرقسطة ٨٠ ميلا، ومن جرلونه إلى تطيلة ١٢ ميلا».

يلاحظ من هذا النص أهمية مدينة تطيلة إذ اتخذها الرازى مركز الاتصالات بينها وبين المدن الأخرى، وجاءت أهميتها هذه من موقعها العسكرى حيث تشكل منطقة ثغرية ولذلك يكثر الرازى من ذكر القلاع والميزات الحربية لها حيث ظاهرة ذلك العصر.

لقد وضع الرازى نظرية كبرى تبناها الأسبان فيما بعد فأمنوا بانقسام إسبانيا إلى إسبانيتين: متوسطية وأطلسية، هذه النظرية توسع فيها (رامون منرد بيدال) فى مقدمة الجزء الأول من تاريخ إسبانيا.

لقد وضع الرازى الأساس السليم الذى حدد مفهوم الجغرافية الطبيعية والبشرية فى أذهان الناس، حتى أصبح هذا الأساس طريقا ممهدا للذين جاءوا بعده أمثال أحمد بن عمر بن أنس العذرى الذى سار على منهجه وتوسع فيه، فقد أطال فى الجغرافية البشرية وفى التقسيم الإدارى بالذات، فلم يكتف بالوصف العام بل فصَّل الوصف تفصيلا علميا حافلا بالمعلومات، ووصف المدن نفسها واحدة واحدة، لم يترك لها شاردة أو واردة إلا ذكرها، كذلك تناول نشأة إسبانيا وتسمياتها المتعددة.

فإذا كان الوصف الدقيق لجغرافية الرازى هو أنها من طراز البلدان فقط فإن جغرافية العذرى ضمن البلدان والمسالك والممالك.

لقد كان الرازى يتحرر من أسر القيود التى وضعها بطليموس على علم الجغرافية فينقل من جداول فلكية تحشد فيها البلاد على صورة جافة إلى دراسة إنسانية تتناول الأرض ومن عليها من الناس وعلاقة هؤلاء بهذه الأرض، ثم يجىء العذرى فيضيف حشدا من المعلومات الجغرافية السياسية والاقتصادية للبلاد.

ولو رجعنا إلى علماء الجغرافيين المعاصرين وما جاءوا به من نظريات أمثال العالم الفرنسى فيدال دى لابلاش الذين حملوا لواء المعارض والتصدى لكل أولئك الذين انحدروا إلى حضيض الحتم الجغرافى وسخروا من تجاهل قدرات الإنسان أو امتهانها، لو رجعنا إليهم لوجدنا الرازى سبق فيدال دى لابلاس ومن عاصروه فى هذا المضمار، فهو لم يكرس كل جهوده الجغرافية على الجانب الطبيعى بل أعطى الكثير من اهتماماته الجغرافية إلى الجانب البشرى المتمثل فى الزراعة وتخطيط المدن، فإنه لم يغفل دور الإنسان على الطبيعة، وقد وفق فى التقريب بين الحتمية والبشرية.

إذًا يمكن أن يقال إن الجغرافيين المعاصرين قد اطلعوا على آراء الرازى وبحوثه الجغرافية وصقلوها بأسلوب حديث ومعاصر.

فالرازى يعتبر المعلم الأول للذين جاءوا بعده وأكملوا ما بدأ به، فقد أولى الرازى جل اهتمامه للإنسان وقد أعطاه دورا كبيرا على كوكبه. وقد لوحظ ذلك من الموضوعات الجغرافية التى تناولها الرازى فقد أعطى الجانب البشرى اهتماما كبيرا ولم يقتصر فى بحوثه على الوصف الجغرافى لطبيعة الأندلس كوصف جبالها وسهولها وأنهارها بل تناول الفروع الجغرافية الاقتصادية المتعددة كالزراعة وجغرافية المدن وجغرافية السكان وأحوالهم، وجغرافية المعادن، وحتى الجغرافية العسكرية المتمثلة بالقلاع والحصون، وقد تأثر بهذه الدراسة الجغرافيون الأندلسيون الذين خلفوا الرازى واتخذوه معلما لهم أمثال ابن الخطيب، فعلى الرغم من التباعد الزمنى بين الرازى وابن الخطيب تتجاوز الأربعة قرون تقريبا نجد التأثير واضحا فى التقليد فظلت عادة الأندلسيين فى التقديم للتاريخ بالجغرافية. وقد حرص ابن الخطيب على ذلك فى مقدمة «الإحاطة فى أخبار غرناطة» مطولا للمنطقة التى شملها سلطان مملكة غرناطة. فمن ملاحظة دراسة ابن الخطيب فى جغرافية المدن والسكان وأحوالهم أنها جغرافية متكاملة وناضجة لما قام به الرازى.

كان الرازى إقليميا فى كتاباته الجغرافية فهو شديد التحمس لبلده ومسقط رأسه وجنة أحلامه فكتب عنها بصدق وحب وأمانة. وقد تأثر ابن الخطيب بهذا الاتجاه الذى سلكه الرازى، فنجد ابن الخطيب فى وصفه للأقاليم «مملكة غرناطة» سماها «الوطن الشريف» وهذا يدل دلالة واضحة

على اعتزازه بوطنه الأندلس. وهذه الوطنية تعتبر من خصائص ابن الخطيب وغيره من الأندلسيين كالرازى وابن سعيد والمقرى الذى بيّن هيئة الأندلس وأبعادها فى نفح الطيب، كذلك سلك ابن سعيد الطريق نفسه فى الكلام فى هذه المقدمة.

ومن الجغرافيين الأندلسيين البارزين الذين انتهجوا منهج الرازى ونهلوا من معينه وساروا على دربه جمهرة من الجغرافيين والأدباء والمؤرخين كان منهم عبد الله بن عبد العزيز المعروف بـ أبى عبيد البكرى الذى أغنى المكتبة العربية بثروة علمية وأدبية كبيرة كان من أبرزها الكتابان الجغرافيان البارزان: معجم ما استعجم، والممالك والمسالك.

فمن قراءة ما كتبه البكرى فى هذا الباب يلاحظ أنه كان متأثرا إلى أبعد الحدود بأبى الجغرافية الرازى. ومما يمتاز به البكرى دقته فى رسم الأعلام وحرصه على التثبت منها وهذا ما لوحظ عنه فى كتاباته عن شبه جزيرة أبريا وهى فى فاتحة الجزء الخاص بالأندلس وخاصة فى الأسماء الخاصة بتسمية الأندلس التى أثبتها البكرى فى معجمه وهو يتفق مع الرازى فى هذا المجال لأن نفس النصوص والأسماء سبق للرازى ذكرها حينما كان يكتب عن وطنه الأندلس، وهذه دلالة واضحة تبين مدى تأثر البكرى بمعلمه الأول (الرازى) على الرغم من البعد الزمنى بينهما الذى يقارب القرن والنصف، وإلى جانب هؤلاء العلماء الذين اتخذوا من الرازى معلما ينتهجون فى كتاباتهم منهجه هناك جمهرة أخرى من الجغرافيين يطول البحث فيهم كعبد الله بن إبراهيم الحجازى الذى تتلخص طريقته فى الإتيان بشىء من وصف البلد (الأندلس) معتمدا بذلك على الرازى حيث ذكروا أن طول الأندلس من الحاجز إلى المحيط ألف ميل وأن عرضها فى وسطها عند طليطلة ١٦ يوما، لذلك يؤخذ عن الرازى كلام عن أركان الجزيرة، وخلاصة ما جاء فى هذا البحث هو أن الرازى يعتبر واضع أساس الفكر الجغرافى وممهد السبيل للجغرافيين الأندلسيين الذين سلكوا طريقه وساروا على دربه، وقد خلف الرازى وراءه ثروة علمية (جغرافية) أغنى بها التراث العربى والمكتبة العربية. («الفكر الجغرافى عند الرازى» ٢٥٢-٢٥٦).

وقد فُقِد كتاب الرازى عن الأندلس ولكن لدينا ترجمتان عنه، واحدة برتغالية صنعها جِلْ بيريز بأمر من ملك البرتغال دنيس (١٢٧٩-١٣٢٥ م) والأخرى إسبانية. وقد حاول ليفى بروفنسال أن ينبش؟ جغرافية الرازى من أولئك الذين نقلوا عنه من جغرافيى العرب مثل البكرى والإدريسى وياقوت والحميرى وغيرهم، ونشر ترجمة فرنسية لهذا الذى جمعه...

ومن شاء الاطلاع على دراسة وافية مستفيضة عن الجغرافيين المغاربة فعليه بكتاب حسين مؤنس «تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس» منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م («الأندلس فى عصر ابن زيدون» / ٩، ١١).

هذا وقد أورد الدكتور عبد الرحمن حميدة فى ترجمته لأحمد الرازى نصين من كتابه الذى نحن بصدده، فقال عن النص الأول: هذه نبذات من كتاب أحمد الرازى، مقتبسة من كتب عربية أخرى، أى من خارج الترجمة البرتغالية الإسبانية.. ثم يذكر طرسونة، ومدينة باجة، وناحية لشبونة، ولبلة.

أما النص الثانى فعنوانه «أنهار الأندلس»، فيذكر منها: نهر قرطبة، ونهر بُلَيِّلش، ونهر ترميد، ونهر آنه، ونهر تاجه، ونهر دويرة، ونهر إبرة، ومن أنهار بلاد إفرنجة وجليّقية المشهورة: نهر مينية (أعلام الجغرافيين العرب / ٣٠٣-٣٠٦).

وعن مؤلفات أحمد الرازى ومدى إسهامه فى تدوين تاريخ بلاده الأندلس يقول الدكتور عبد الواحد ذنون طه فى بحث مستفيض:

فهو بحق من أبرز من كتب فى هذا المجال، ولقد لقب بـ«التاريخى» لكثرة مؤلفاته فى هذا الحقل واشتغاله بكتابة التاريخ، وللمجلدات العديدة التى دونها فى تاريخ الأندلس يذكر ابن حزم أن أحمد الرازى ألف كتابا فى «أخبار ملوك الأندلس»، وآخر فى «صفة قرطبة» يتحدث فيه عن خطط المدينة ومنازل عظمائها، كما أنه كتب أيضا موسوعة ضخمة عن أنساب العرب فى الأندلس بعنوان: «كتاب الاستيعاب فى أنساب مشاهير أهل الأندلس»، الذى يحتوى على خمسة

مجلدات كبيرة. وللرازى أيضا كتاب ضخم عن طرق الأندلس، وموانئها، ، ومدنها الرئيسة، وتجمعات جندها، وخواص كل بلد منها، وما فيه مما ليس فى غيره، وهو الكتاب المسمى بـ «مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات أعيان مدنها وأجنادها الستة» ويضيف ابن الأبار، أن للرازى كتابا آخر عن مشاهير الموالى فى الأندلس، وهو كتاب (أعيان الموالى).

إن هذا الاستعراض السريع لإنتاج الرازى ليدلنا لأول وهلة على ضخامة ما قام به فى حقل التدوين التاريخى، فهو قد غطى تاريخ الأندلس وجغرافيته إلى العصر الذى عاش فيه، ولم يترك ناحية من نواحى بلاده إلا وصفها، ولا حادثة من حوادث تاريخها إلا دوَّنها. ولكن مما يؤسف له أننا لا نملك كتابا واحدا كاملا من هذه الكتب، فلقد ذهبت جميعها مع الكثير من كتب الأندلس، نتيجة لما تعرضت له البلاد من أحداث، ولما عصف بها من تعصب أعمى بعد انحسار الحكم العربى الإسلامى عنها. وقد أدى هذا الأمر إلى الإتلاف المتعمد لكثير من المخطوطات العربية، كما حدث مثلا فى غرناطة سنة ٥٩٠ هـ / ١٤٩٩ م على يد الكاردينال خيمينيث الذى أمر بجمع الكتب العربية من السكان المسلمين. فتكدست فى ساحات المدينة عشرات الألوف من هذه المخطوطات التى تشمل مختلف العلوم والآداب، والأحاديث، والمصاحف، وغيرها.

وقد أشعلت النيران فى هذه الكنوز التى أنتجها الفكر العربى الإسلامى فى الأندلس، وقدر البعض عدد هذه الكتب بثمانين ألف مخطوط عربى، فى حين يبالغ البعض الآخر، فيجعلها مليونا وخمسة آلاف كتاب.

إن خسارتنا لمعظم كتب الرازى قد عوضت، إلى حد ما، نتيجة لما قام به المؤرخون المتأخرون من اقتباس الكثير من رواياته ونصوصه فى مؤلفاتهم. وهكذا فقد حفظوا لنا معلومات جمة عن تاريخ المسلمين ومظاهر حضارتهم خلال القرون الأولى من تواجدهم على أرض شبه الجزيرة الأيبيرية. فكانت معظم كتب الرازى المذكورة أعلاه، المصادر الأساسية الأولى لكثير من المؤلفين العرب الذين بحثوا فى تاريخ وجغرافية الأندلس. وجدير بالتنويه هنا أن كتابه فى «أخبار ملوك الأندلس». كان مصدرا استمد منه المؤلفون المجهولون لكتب (فتح الأندلس، و (أخبار مجموعة)، و (ذكر بلاد الأندلس)، كثيرا من مادتهم التاريخية. يضاف إلى ذلك أن كتاب الرازى هذا كان أيضا من المراجع الرئيسة لمؤرخين وجغرافيين أفذاذ، من أمثال ابن حيان، وابن الأبار، وابن الأثير، وابن عذارى، وياقوت الحموى، وابن الخطيب، والحميرى، والمقرى.

ومن تدقيق نصوص الرازى المقتبسة فى بعض مؤلفات هؤلاء الكتاب، يتبين لنا أهمية مادة الرازى، وما تقدمه من معلومات فى خدمة تاريخ الأندلس. وقد استقى هذه المادة الشاملة، التى تغطى معظم التاريخ الأندلسى إلى عصره، من مصادر متعددة. ويمكن أن نلاحظ مصادر مشرقية أيضا فى رواياته، وبشكل خاص تلك الأخبار التى بثها بعض التابعين الذين أسهموا فى فتح الأندلس، بعد رجوعهم إلى المشرق. ومن هذه الأخبار، روايات فتح الأندلس، وفتوحات موسى بن نصير بالدرجة الأولى التى ينقلها الرازى عن محمد بن عمر الواقدى(توفى سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م)، الذى أخذها بدوره عن موسى بن على بن رباح عن أبيه. وعلى بن رباح، هو أحد التابعين الذين صحبوا موسى بن نصير فى حملته إلى الأندلس سنة ٩٣ هـ / ٧١٢ م وشبيه بهذه الروايات أيضا ما ينقله الرازى عن عبد الملك بن حبيب، وتعد روايات تخميس أراضى الأندلس بعد الفتح لإخراج حصة الخلافة، من أهم الروايات فى هذا المجال.

يتضح من هذا أن كتابة التاريخ فى الأندلس لم تكن معزولة عن التأليف التاريخى فى المشرق فى هذه المرحلة، بل كانت هناك صلات قوية توثقت بالرحلات التى كان يقوم بها العلماء من الأندلس إلى المشرق وبالعكس. من ذلك مثلا رحلة شيخ الرازى، قاسم بن أصبغ البيانى، الذى رحل إلى المشرق سنة ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م والتقى بعلماء الحجاز والعراق ومصر وإفريقية، وأخذ عنهم، واطلع على مؤلفاتهم، ونقل ذلك كله إلى تلامذته، وإلى بقية العلماء بالأندلس، فتأثروا به، حتى أصبح هدف العلماء ومقصدهم من أنحاء الأندلس.

ولكن الرازى يعتمد أيضا أخبارا أندلسية صرفة، يأخذها من رجال أندلسيين، مثال ذلك ما يرويه عن الفقيه محمد بن عيسى (ربما هو عم الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المتوفى سنة ٣١٤ هـ/ ٩٢٧ م) عما فعله المسلمون الفاتحون بكنيسة قرطبة الرئيسة، حيث شطروها إلى شطرين، الشطر الأول بنى فيه المسلمون مسجدا، وبقى الشطر الآخر للمسيحيين. ولا بد أن تكون معظم أخباره الأخرى عن التاريخ الأندلسى مستقاة من كتب ومصادر أندلسية سابقة أو معاصرة لعهده، عن شيوخ لهم اطلاع ودراية بالأحداث الماضية، أو أنه عاصرها بنفسه. ومن جملة المصادر المعاصرة التى اعتمدها الرازى، كتاب «قضاة قرطبة» لمحمد بن حارث الخشنى، وكتاب «الفقهاء والقضاة بقرطبة والأندلس»، لأحمد بن محمد بن عبد البر المتوفى سنة ٣٤١ هـ/ ٩٥٢ م. وهو غير أبى عمر بن عبد البر. فقد أشار إلى هذين المصدرين حينما تحدث عن قضاة قرطبة فى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم. ووصف الرازى أحد الشيوخ الذين اعتمد عليهم فى أخبار الأمير محمد عبد الرحمن، وهو أصبغ الكاتب الإشبيلى، على أنه «كان مسنا صدوق اللهجة حافظا لأخبار بنى أمية». وأفضل نموذج على الأخبار التى عاصرها الرازى بنفسه ما يورده عن الأحداث فى عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠ هـ/ ٩١٢-٩٦١ م)، الذى عاش فى عصره، كذلك معلوماته عن الجباية فى عهد هذا العاهل العظيم، التى ينقلها عن الرازى المؤلف المجهول لكتاب «ذكر بلاد الأندلس»، فيشير إلى أن الناصر كان يقسم جباياته أثلاثا، ثلثا للجند، وثلثا يدخر فى بيت المال، وثلثا ينفقه فى بناء مدينة الزهراء، وكانت الجباية فى الأندلس يومئذ خمسة ملايين وأربعمائة وثمانين ألفا. ومن الجدير بالذكر أن المؤلف المجهول لهذا الكتاب يسمى الرازى بـ «صاحب التاريخ» تنويها بأهميته، وطول باعه فى هذا الحقل من المعرفة الإنسانية.

والرازى دقيق فى معلوماته، إذ يحاول أن يبين تواريخ الأحداث المهمة التى يرويها باليوم والشهر والسنة. ويمكن أن نذكر هنا محاولته فى تثبيت يوم الموقعة الفاصلة بين القائد طارق بن زياد، ولذريق ملك القوط (يوم الأحد ٢٨ من رمضان سنة ٩٢ هـ/ ١٩ تموز سنة ٧١١ م)، وتحديد مدتها بثمانية أيام وكذلك تحديده لخروج موسى بن نصير إلى الأندلس (فى رجب سنة ٩٣ هـ/ آذار - نيسان ٧١٢ م) وتصاحب هذه الدقة الرازى فى رواياته الأخرى فى الأنساب، حيث يعطى كل المعلومات المتعلقة بالجماعات، أو بالأفراد الذين يتحدث عنهم، وتنقلاتهم من بلد إلى آخر. فعن أحد بيوتات البلدين فى إشبيلية (بيت زيد الغافقى)، يقول فى كتابه (الاستيعاب)، إنهم «هناك جماعة كبيرة، فرسان ولهم شرف قديم، وقد تصرفوا فى الخدمة، بلديون، ثم انتقلوا إلى طليطلة، ثم قرطبة، ثم غرناطة» وكذلك الحال فى المعلومات التى يوردها عن ذرية الصحابى سعد بن عبادة، واستقرارهم فى الأندلس ومدنها، حيث ينقل ابن الخطيب عن الرازى قوله: «دخل الأندلس من ذرية سعد بن عبادة رجلان، نزل أحدهما أرض تاكرونا (تقع فى منطقة مدينة رندة)، ونزل الآخر قرية من قرى سقرسطونة «مكان يقع فى منطقة جيان) تعرف بقرية الخروج، ونشأ بأحواز أرجونة من كتبانية قرطبة، أطيب البلاد مدرة، وأوفرها غلة، وهو بلده، وبلد جده، فى ظل نعمة، وعلاج فلاحة، وبين يدى نجدة وشهرة، بحيث اقتضى ذلك، أن يفيض شريان الرياسة، وانطوت أفكاره على نبل الإمارة، ورآه مرتادو أكفاء الدول أهلا، فقدحوا رغبته وأثاروا طمعه».

ولا يكتفى الرازى بذكر الأخبار التاريخية الصرفة، بل نجده يكثر من إيراد المعلومات الخاصة بالعمران ومنها رواياته الباقية عن تطور جامع قرطبة الكبير وزيادته من قبل الأمراء الأمويين، وكذلك عن منية الرصافة، وبعض خطط قرطبة، والعمران فى عهد الأمير محمد، المثل الجيد على هذا الاتجاه.

وتمتد غزارة معلومات الرازى لتشمل معظم مظاهر الحياة للعصور التى يؤرخ لها. فهو وإن كان على عادة مؤرخى العصور يكثر من الحديث عن الأمراء والملوك ويلزم جانبهم، لكنه فى الوقت نفسه يورد معلومات قيمة عن عهودهم. فيذكر حجّاب الأمير الذى يؤرخ له، ووزرائه وأخلاقهم، وأصحاب شرطته، وقضاته والعلماء فى عهده وموقفه منهم، واهتمامه به، وتكريمه لهم. كما يتكلم عن غزوات الأمير، وصوائفه، وكيفية استنفاره للمتطوعة من أهل قرطبة وعن مواقفه من حركات التمرد المختلفة، وكذلك عن علاقاته مع الدول

الخارجية، سواء أكان ذلك مع دول النصارى والفرنجة، أم الدول الإسلامية فى الشمال الإفريقى.

ويتبين من هذا العرض أن طريقة الرازى فى كتابة التاريخ ربما كانت قائمة على أساس توالى الأمراء، وإن كان يشير أحيانا إلى الأحداث حسب السنوات، مثال ذلك ما ينقله عنه ابن حيان فى أخبار سنة خمس وأربعين ومائتين حيث يروى الرازى أن الأمير محمد عقد فى هذه السنة أمانا لأهل طليطلة.

ولا تقتصر معلومات الرازى على السرد التاريخى المجرد، بل إنه يحلل أحيانا الوقائع. ويبين رأيه فى أسباب الخلافات ونتائجها. ومن ذلك رأيه فى النزاع بين العرب والبربر، والعداوة التى استحكمت بين الطرفين نتيجة لتغير موقف بعض العرب وتصلبهم إزاء البربر، الأمر الذى أورث الخصام والعداوة بين الاثنين على مدى عصور طويلة فى الأندلس. كما يعزو أيضا أسباب اتخاذ عبد الرحمن الداخل للمماليك والبربر فى جيشه إلى توجسه من القبائل العربية، نتيجة قيامهم المستمر عليه، مما أدى إلى ضعف أمر العرب بصورة عامة فى الأندلس - ويشير الآتى إلى ذلك صراحة:

«وفى هذا التاريخ أمر الإمام ابن معاوية باشتراء المماليك من كل ناحية فكان منهم فى ديوانه من البربر المماليك أربعون ألفا لأنه استوحش من العرب بسبب نبذهم لطاعته وقتله لرئيسهم أبى الصباح فاستظهر على الأندلس بمماليكه وجنده وضعف أمر العرب بالأندلس وغلظت الأمور عليهم ...».

لنعد الآن إلى ما تبقى من مؤلفات الرازى. ويأتى فى طليعة هذه الكتب كتاب «مسالك الأندلس» الذى يدور معظمه حول صفة الأندلس، أى الوصف الجغرافى لشبه الجزيرة الآيبيرية. وفى الحقيقة، فإن هذا الكتاب ما هو إلا مقدمة جغرافية لكتاب الرازى الكبير فى التاريخ «أخبار ملوك الأندلس». ويتميز هذان الكتابان المزدوجان عن بقية كتب الرازى الأخرى، بأننا ما نزال نملك جزءا لا بأس به منهما. ولكن من الضرورى التذكير بأن النص العربى لهذا الجزء مفقود، وكل ما يوجد منه، ما هو إلا ترجمة إسبانية اعتمدت بالأصل على ترجمات برتغالية ولاتينية أخذت من النص العربى المفقود، وقد نشر باسكال جاينجوس قسما منها باللغة الإسبانية سنة ١٨٥٢ م، تحت عنوان (cronica del Moro rasis)، وأكمل نشرها رامون منتديث بيدال.

ويتألف هذا الجزء من ثلاثة أقسام، الأول: جغرافى، وهو «صفة الأندلس»، والنص الإسبانى الباقى هو ترجمة رجل نجهل اسمه عن ترجمة برتغالية قام بها قسيس يسمى جل بيريث وذلك بأمر من الملك دينيس ملك البرتغال (١٢٧٩ - ١٣٢٥ م) ومن الصعب الجزم فى هوية هذا القسيس، ولكن يبدو أن معلوماته عن اللغة العربية لم تكن كبيرة، لذلك فقد استعان فى إنجاز هذه الترجمة ببعض المغاربة المسلمين، كان من أشهرهم شخص يدعى المعلم محمد (Maestro Muhammad)

والقسم الثانى من هذا الجزء باللغة اللاتينية، وعنوانه «تاريخ إسبانيا منذ وصول إشبان بن ياخت إليها إلى دون رودريجو»، وهو تاريخى يتناول الأحداث فى إسبانيا منذ أقدم العصور إلى عهد الملك لذريق (دون رودريجو)، آخر ملوك القوط، ومعركته الأخيرة مع القائد طارق بن زياد، وهذا القسم برأى بعض المستشرقين أمثال رينهارت دوزى، وباسكال دى جاينجوس من تأليف القسيس خل بيريت نفسه. وقد صنفه من مواد استقاها من الروايات المتداولة فى أيامه، ومن كتب عربية نقل إليه ما فيها. وترجم المستشرق الأسبانى سافيدرا هذا القسم إلى الإسبانية، ونشره عام ١٨٩٢ ملحقا لدراسته المفصلة عن فتح المسلمين للأندلس.

أما القسم الثالث، فهو تأريخى أيضا، ويعد مكملا للقسم الثانى ويتناول تاريخ الأندلس منذ الفتح العربى الإسلامى إلى عصر الحكم المستنصر، وهو عصر الرازى، والكتاب أشبه ما يكون ترجمة لمختصر كتاب الرازى. لكنه يركز على أحداث فتح الأندلس وعهد الولاة فيها، ويبدأ الحديث عن فتوح طارق بن زياد، لا سيما عن دور الكونت يوليان حاكم مدينة سبتة فى مساعدة وتأييد طارق. وكذلك فتوح موسى بن نصير، خاصة فتح مدينة ماردة، حيث ورد نص العهد الذى أعطاه موسى بن نصير لأهل هذه المدينة، وهناك تفصيلات أخرى عن دور عبد العزيز بن موسى فى الفتح، ومعاهدة الصلاح التى عقدها مع الحاكم القوطى تدمير، وعن فتح قرطبة من قبل القائد المسلم مغيث الرومى، الذى يوصف خطأ فى النص على أنه «رجل من المسيحيين» أن هذا الخطأ، وغيره من الأخطاء التى توجد فى

هذا النص، تعود بطبيعة الحال إلى جهل المترجمين، وكثرة استنساخ المادة، ونقلها من لغة إلى أخرى. وهذه الأخطاء لا يمكن أن تكون ضمن المادة الأصلية التى كتبها الرازى، ويدل على ذلك، أن روايات الرازى هذه، والتى نجد نصوص بعضها منقولا ومقتبسا فى بقية الكتب العربية، تخلو من هذه الأخطاء. ولذا فإن هذا الكتاب على صورته الراهنة التى بين أيدينا، يعتبر قليل الأهمية، كثير الأخطاء، فهو مجرد واحد من الملخصات التاريخية التى كانت منتشرة فى القرن الثالث عشر الميلادى / السابع للهجرة، ولهذا فإن نسبته إلى الرازى أصبحت موضع شك من قبل الباحثين.

أما الجزء الجغرافى من مؤلف الرازى (صفة الأندلس)، فيمكن الاعتماد عليه، لاسيما بعد أن عثر أحد الباحثين البرتغاليين «لوى ف. لندلى سنترا» على نسخة فريدة من المخطوط ونشرها باللغة البرتغالية سنة ١٩٥٢ وقد عمد المستشرق المعروف ليفى بروفنسال إلى دراسة واختبار هذه النسخة، فظهر له بأنها أكثر صحة من النصوص القشتالية (الإسبانية) المعروفة لحد الآن، وأنها تعد إلى حد كبير جزءا قيما من الأصل العربى الضائع. فترجمها إلى الفرنسية، ونشرها مع دراسة قيمة فى مجلة (AL - Andalus) عام ١٩٥٣ ودرس هذا النص أيضا دراسة وافية من قبل الدكتور حسين مؤنس. ولهذا صرف النظر عن التفصيل فى هذا الموضوع. وكل ما يمكن أن يقال عن هذا الكتاب باختصار هو كونه وثيقة قيمة من الناحية الجغرافية والسياسية والاجتماعية بالنسبة للأندلس، فيه تحديد لموقع البلاد بالنسبة لباقى أجزاء العالم، وتفصيل لمناخها، كما فيه أيضا وصف شاهد عيان لكل إقليم من أقاليمها، وما تشتهر به من محاصيل، ومعادن، وثروات (نشأة تدوين التاريخ فى الأندلس / ٢٥-٣٧).

قالت المؤلفة: لقد رأينا من الأبحاث الثلاثة التى أوردناها فى هذه المادة أنه يتردد فيها ذكر كتاب «تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس» للأستاذ الدكتور حسين مؤنس، باعتباره مرجعا هاما للباحثين، وقد رحل عنا هذا العالم الجليل يوم الأحد ٢٧ شوال ١٤١٦هـ/ ١٧ مارس ١٩٩٦م (صحيفة الأهرام القاهرية، السنة ١٢٠ العدد ٣٩٩١٤ ص ١)

ومن مآثره النفيسة أطلس تاريخ الإسلام الذى نقلنا منه الكثير فى هذه الموسوعه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

(له ترجمة فى بغية الوعاة / ١٧٢، وتلخيص ابن مكتوم / ٢٣، وطبقات الزبيدى / ٢٠٩. والرازى: منسوب إلى الرى على غير القياس. والرى: قصبة بلاد الجبال.

(إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ١٣٦ وهامش المحقق، والأعلام للزركلى ١ / ٢٠٨، والفكر الجغرافى عند الرازى - سالم سعدون المبادر. مجلة المؤرخ العربى. تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب. بغداد / ٢٥٢ - ٢٥٦، و «الأندلس فى عصر ابن زيدون» - د. نقولا زيادة. مجلة تاريخ العرب والعالم. السنة العاشرة. العددان ١١٩، ١٢٠. أيلول (سبتمبر) - تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٨ / محرم - صفر ١٤٠٩هـ/ ٩، ١١ وأعلام الجغرافيين العرب - د. عبد الرحمن حميدة / ٣٠٣-٣٠٦ ونشأة تدوين التاريخ فى الأندلس د. عبد الواحد ذنون طه. سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة. هيئة كتابة التاريخ. وزارة الثقافة والإعلام. دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨ / ٢٥-٣٧).

انظر: الرازى (عيسى بن أحمد).

*** الرازى (أحمد بن محمد بن هارون) (٢٧٥-٣٧٠هـ):**

ذكره القاضى المباركبورى فى رجال السند والهند الذين ولدوا وعاشوا فيهما، أو كانوا من طينتهما وولدوا وعاشوا فى الخارج وقال عنه:

أحمد بن محمد بن هارون بن سليمان بن على أبو بكر، الحربى، المعروف بالرازى وبالديبلى، حدث عن جعفر بن محمد الفريابى، وإبراهيم بن شريك الكوفى، وذكر أنه قرأ على حسنون بن الهيثم الدويرى القرآن بحرف عاصم من طريق هبيرة بن محمد عن حفص بن سليمان عنه، وروى عنه حمد بن على البادا، وحدثنا عنه أبو يعلى بن دوما النعال؛ والقاضى أبو العلاء الواسطى؛ وكان أبو العلاء يسند عنه قراءة عاصم رواية وتلاوة؛ قاله أبو بكر: أحمد بن على الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد.

وقال: أخبرنا الحسن بن الحسين النعال؛ أخبرنا أحمد بن محمد بن هارون الحربى، أخبرنا جعفر بن محمد الفريابى، حدثنا محمد بن عابد؛ حدثنا الهيثم بن حميد؛ حدثنى العلاء بن الحارث، وأبو وهب عن مكحول عن أبى أسماء

الرحبى عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ ؛ قال ثوبان : بينا أنا أمشى مع رسول الله ﷺ إذ مر برجل يحتجم بعد ما مضى من شهر رمضان ثمانى عشرة : فقال رسول الله ﷺ «أفطر الحاجم والمحجوم».

وأخبرنا أبو بكر : محمد بن على المقرى؛ الخياط، حدثنا أبو الحسين أحمد بن عبد الله بن الخضر السوسنجروى ؛ قال : سألت أبا بكر أحمد بن محمد بن هارون المؤدب؛ المعروف بالرازى فى سنة ست وخمسين؛ فقلت له : على من قرأت القرآن؟ فقال لى قرأت على أبى الربيع عامر بن عبد الله بن عبد البر، وقرأ عامر على أبى على حسنون، ولا أدرى على من قرأ حسنون. قال أبو الحسين : فاجتمع معى قوم فى مجلس مخلد بن جعفر الباقرحى، فقال لى منهم من قال : إنه قرأ على شيخ لنا من ناحيتنا ، يعرف بالرازى، وإنه قال : قرأت على حسنون فلم أعرفه. فلما عدت إلى منزلنا وسألت عنه. فقيل لى : هو ابن هارون، فدخل إلىَّ يوما من الأيام. فقلت له : يا أبا بكر أليس قلت لى : قرأت على أبى الربيع. وقرأ أبو الربيع على حسنون؟ فانكسر، وطأطأ رأسه. ثم قال : إن يك كاذبا فعليه كذبه. قال أبو الحسين : فلقيت أبا حفص عمر بن أحمد الآجرى المقرى. فقلت له : إن ابن هارون يقول : إنى قرأت على حسنون. فقال : إنا لله. لا حول ولا قوة إلا بالله. فعدت إلى الذين قرأوا عليه ممن كان يسمع فى مجلس الباقرحى. فأعلمتهم بذلك فانتهوا.

أخبرنا محمد بن على بن يعقوب أبو العلاء القاضى : سألت أبا بكر أحمد بن محمد بن هارون بن سليمان بن على الديلى، عن مولده. فقال : سنة خمس وسبعين ومائتين. ومات فى سنة سبعين وثلاثمائة، ثم وجدت بعد ذلك فى كتاب أبى العلاء بخطه : توفى أحمد بن هارون الحربى يوم الإثنين لتسع بقين من رجب سنة سبعين وثلاثمائة.

وقال ابن الجزرى فى غاية النهاية فى طبقات القراء : أحمد ابن هارون بن على أبو بكر الديلى ، البغدادى؛ يعرف بالهبيرى، مقرى معروف، ذكر أنه قرأ على الفضل بن شاذان، وروى القراءة عرضا على حسنون بن الهيثم صاحب هبيرة ثلاث ختمات سنة تسع وثمانين ومائتين، فأنكر عليه، فقال قرأت على عامر بن عبد الله عنه، قرأ عليه أبو العلاء محمد ابن يعقوب الواسطى القاضى، مات فى رجب سنة سبعين وثلاثمائة. وهو فى عشر المائة.

قال الذهبى : وأما عبد الباقى بن الحسن فسماه محمد ابن أحمد بن هارون وأثبت الدانى قراءته عرضا على حسنون. والله أعلم. قلت : الذى أثبت الدانى قراءته على حسنون هو محمد بن أحمد بن هارون الرازى. وهو غير هذا. ذاك ثقة مأمون، وأما أحمد هذا فقال أبو بكر الخطيب عنه : كان غير مقبول فى القراءة. قال القاضى أبو العلاء : سألته عن مولده فقال : سنة خمس وسبعين. وقرأت على حسنون سنة ثمان وثمانين وتسع وثمانين. مات ابن هارون هذا سنة سبعين وثلاثمائة يوم الإثنين لسبع بقين من رجب.

(رجال السند والهند إلى القرن السابع للقاضى أبى المعالى أطهر المباركبورى / ٤٧-٤٩).

انظر الرازى.

*** الرازى (تمام بن محمد) (٣٣٠-٤١٤ هـ / ٩٤٢-١٠٢٣م):**

قال عنه الزركلى وقد أدرجه تحت عنوان « تمام بن محمد»: تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر ، أبو القاسم البجلى الرازى ثم الدمشقى، من حفاظ الحديث، مغربى الأصل. كان محدث دمشق فى عصره. له كتاب «الفوائد» ثلاثون جزءا، فى الحديث ، منه جزء مخطوط فى تشستربيتى (٣٤٤٥) ومنه الأول والثانى والثالث والرابع، مخطوطات رأيتها فى مكتبة زهير الشاويش ببيروت (الأعلام ٢ / ٨٧)

قال صاحب الرسالة المستطرفة عند تعداده لكتب الفوائد الحديثية ، ومن الفوائد فوائد «تمام»بن محمد بن عبد الله بن جعفر الرازى ثم الدمشقى الحافظ ابن الحافظ المتوفى سنة أربع عشرة وأربعمائة وتوفى والده أبو الحسن محمد سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وهى فى ثلاثين جزءا (الرسالة المستطرفة / ٧١).

وفيما يلى بيان مخطوط كتاب الفوائد المحفوظ فى مكتبة تشستربيتى

الرقم ٣٤٤٥ .

عنوان المخطوطة : فوائد الحديث

اسم المؤلف : أبو القاسم ، تمام بن محمد بن عبد الله ابن الجنيد الرازى.

تاريخ الوفاة: ٤١٤ هـ/ ١٠٢٣ م

تعريف بالمخطوطة: مجموعة من الأحاديث.

عدد الأوراق: ١٢٠ ورقة، ٨×٢٦,٥، ١٧سم

نوع الخط: نسخ معتاد واضح

الناسخ: على بن الحسن الأدفوى الشافعى الخطيب.

تاريخ النسخ: القاهرة، ٢٧ ذو القعدة ٨٨٧ هـ (٧ يناير ١٤٨٣ م).

المصدر بروكلمان ١ / ١٦٦، الملحق ١ / ٢٧٨، ٩٤٩، ٢ / ٩٤٦.

ملاحظة: ذكر أن هذه النسخة قد نقلت عن نسخة بخط أبى محمد المنذرى (ت ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م) (فهرس المخطوطات العربية ١ / ٢٦٠، ٢٦١).

وقد أدرج المعجم الشامل طبعات كتابين لتمام الرازى جاء بيان كل منهما كما يلى:

١ ـ حديث أبى العشراء الدارمى:

تحقيق بسام عبد الوهاب الجابى، دمشق دار البصائر، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

٤٧ ص، م ١٤ ص، ف ٧ ص: الأعلام، المحتوى.

٢ ـ مسند المقلين من الأمراء والسلاطين.

تحقيق صبحى البدرى السامرائى، الكويت: الدار السلفية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

١٩ ص (٥٣ ـ ٧١)، م ٤ ص، ف ١ ص: المحتوى.

وطبعت مع (رسائل فى الحديث النبوى).

(المعجم الشامل ٣ / ٦، ٧).

ويوجد مخطوط هذا الكتاب فى مكتبة تشستربيتى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٥٤٩٨ (٦)

عنوان المخطوطة: مسند المقلين من الأمراء والسلاطين.

اسم المؤلف: أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازى.

اسم الشهرة: الرازى

تاريخ الوفاة: ٤١٤ هـ ١٠٢٣ م.

تعريف بالمخطوطة: أحاديث مختارة.

عدد الأوراق: من ١٣٥ ـ ١٣٨.

تاريخ النسخ: [د. ت] تقديرا ق ٨ هـ/ ١٤ م

ملاحظات: لم تظهر نسخة أخرى من المخطوطة.

ـ الأوراق ١٣٩ ـ ١٤٤ تشتمل على مختارات (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ١٠٣، ١٠٤).

(الأعلام للزركلى ٢ / ٨٧، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد ابن جعفر الكتانى / ٧١، وفهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستربيتى (دبلن / أيرلندا) ١ / ٢٦٠، ٢٦١، ٢ / ١٠٣، ١٠٤، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٦، ٧).

*** الرازى (جعفر بن محمد) (- ٢٧٩ هـ):**

قال عنه الحافظ السيوطى:

هو جعفر بن محمد بن الحسن بن زياد أبو يحيى الرازى الزعفرانى كان إماما فى التفسير، صدوقا، ثقة حدث عن سهل ابن عثمان العسكرى وعلى بن محمد الطنافسى، وجماعة. روى عنه إسماعيل الصفار، وأبو سهل بن القطان، وأبو بكر الشافعى، وابن أبى حاتم. وآخرون.

مات فى ربيع الآخر سنة تسع وسبعين ومائتين.

له ترجمة فى تاريخ بغداد ٧ / ١٨٤، وطبقات المفسرين للداودى ١ / ١٢٥.

(طبقات المفسرين للحافظ جلال الدين السيوطى ـ بتحقيق على محمد عمر / ٤٣ وهامش المحقق).

انظر: الرازى.

*** الرازى (زين الدين) (- بعد ٦٦٦ هـ / بعد ١٢٦٨ م):**

هو الإمام الكبير الحافظ العلامة الحجة الثبت صاحب التصانيف المفيدة الشيخ زين الدين محمد بن أبى بكر بن عبد القادر بن عبد المحسن الرازى الحنفى.

أصله من الرى. بلد معروف والنسبة إليه رازى. كان عظيم الشأن. صاحب تحقيق وإتقان، واطلاع كثير، حسن السيرة، جميل الأثر، وحيد عصره، بارعا فى علوم كثيرة، أعجوبة فى الحفظ والفهم والذكاء، غاية فى الورع، بصيرا بالعربية، إماما فى اللغة، رأسا فى الأدب، مع الزهد والولاية والعبادة والانقطاع والكشف.

صنف فى التفسير والفقه واللغة والوعظ، وكان ثقة مأمونا زار مصر والشام، وكان فى قونية سنة ٦٦٦ هـ وهذا آخر العهد به.

وتوفى رحمه الله فى ذلك العام، فيكون من أعلام القرن السابع الهجرى على ما حققناه.

مؤلفاته.

منها:

١ ـ الذهب الإبريز فى تفسير الكتاب العزيز (الأنموذج الجليل ١، ٦، ٧).

٢ ـ روضة الفصاحة فى علم البيان والبديع.

وهو مخطوط فى علم البيان ٣٢ ورقة فى جامعة الرياض (١٥٨٥ / ١) وبدار الكتب (٦١١٣) (الأعلام ٦ / ٥٥).

٣ ـ مختار الصحاح فى اللغة. فرغ من تأليفه ليلة أول رمضان سنة ٦٦٦ هـ.

٤ ـ شرح المقامات الحريرية. غير مطبوع، منه نسختان بدار الكتب المصرية.

٥ ـ تحفة الملوك. وهو مختصر فى العبادات مشتمل على عشرة أبواب، بدأها بالطهارة ثم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد ثم الصيد والذبائح ثم بالكراهية ثم بالفرائض ثم بالكسب مع الأدب.

وقد شرح هذا المختصر العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العينى سنة ٨٥٥ هـ فى مجلد واحد سماه «منحة السلوك فى شرح تحفة الملوك».

٦ ـ حدائق الحقائق فى الموعظة، وهو مختصر جمعه من الأحاديث والآثار والمواعظ وجعله ستين بابا.

قال الزركلى: عند عبيد (يقصد الأستاذ أحمد عبيد صاحب مكتبة عبيد بدمشق، الذى أوردنا ترجمته فى م ٢ ٦٧٨ ـ ٦٨٣ فانظرها فى موضعها)، وفى الفاتيكان (١٥٤١ عربى) نسخة من كتب عليه اسمه «محمد بن محمد بن أبى بكر»؟

٧ ـ أنموذج جليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب آى التنزيل.

٨ ـ كنز الحكمة. مخطوط. ناقص، فى الحديث، فى الخزانة الظاهرية.

٩ ـ زهر الربيع من ربيع الأبرار، مخطوط عند آل الشطى فى دمشق (الأعلام ٦ / ٥٥).

قالت المؤلفة: ويوجد مخطوطه أيضا بمكتبة تشستربتى يأتى بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

١٠ ـ مختار التحبير: مخطوط بمكتبة تشستربتى يأتى بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفيما يلى بيان بمؤلفات زين الدين الرازى المطبوعة كما وردت فى المعجم الشامل:

وفيما يلى بيان بكتب الرازى المطبوعة كما وردت فى المعجم الشامل.

١ ـ أنموذج جليل فى بيان أسئلة وأجوبة من غرائب آى التنزيل.

ـ تصحيح إبراهيم عطوة عوض، القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣٠٦ هـ.

ج ١ : ١٦٣ ص، م ١ ص، ف ١ ص: المحتوى.

ج ٢ : ١٧٠ ص، ف ٢ ص : المحتوى.

قالت المؤلفة: النسخة التى عندى هى هدية مجلة الأزهر، المحرم ١٤١٠ هـ وتقع فى ستة أجزاء وجاء على غلافها أنها بتحقيق الشيخ إبراهيم عطوة عوض وجماعة من علماء مجلة الأزهر ا هـ.

ـ القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبى، ١٩٦١ م ص ٣٩٠ ص.

طبع بعنوان «مسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل».

قالت المؤلفة: النسخة التى عندى هى الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م ا هـ.

٢ ـ تحفة الملوك:

ـ عناية شمس الدين حسين أبو [أبى] على، ط، العجم، فازان، طبع حجر، ١٨٩٥ م، ٢٧٦ ص: ثم ١٩٠٢ م، ٣٦٤ ص.

٣ ـ روضة الفصاحة :

ــ تحقيق أحمد النادى شعلة، القاهرة: دار الطباعة المحمدية ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.

٣٥٢ ص ، م ٣٧ ص + ٨ ص نماذج مصورة من المخطوط ، ف ٣٠ ص : القرآن، الحديث، الأمثال، الأعلام ، الأشعار ، المراجع، الفهرس العام.

٤ ـ كتاب الأمثال والحكم :

ــ تحقيق عبد الرزاق حسين، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

٢٦٦ ص ، م ١٠ ص، ف ٥٤ : الأبيات المفردة، أنصاف الأبيات، المصادر والمراجع، الموضوعات.

٥ ـ لوامع الأسرار فى شرح مطالع الأنوار:

ـ الدولة العلية، إستانبول: مطبعة الحاج محرم أفندى البنوى ١٣٠٣ هـ/ ١٨٨٥ م.

٣٥٩ ص، ف ٧ص : المحتوى.

٦ ـ مختار الصحاح :

ـ القاهرة: مطبعة وادى النيل، ١٢٨٩ هـ/ ١٨٧٢ م.

ـ القاهرة: المطبعة الشرفية، ١٣٠١ هـ/ ١٨٨٣ م.

ـ القاهرة : مطبعة بولاق ، ١٢٨٢ هـ/ ١٨٦٥ م، ١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٤ م.

ــ القاهرة: المطبعة الخيرية ، ١٣٠٤ هـ/ ١٨٨٦ م، ١٣٠٨ هـ/ ١٨٩٠ م.

ـ القاهرة: مطبعة محمد مصطفى ، ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٧ م.

القاهرة : مطبعة عبد الرزاق، ١٣١١ هـ/ ١٨٩٣ م .

ـ القاهرة: مطبعة نظارة المعارف، ١٣١١ هـ ـ ١٨٩٣ م.

٤٧٢ ص.

ـ ترتيب محمود خاطر وحمزة فتح الله وأحمد العوامرى، القاهرة، وزارة المعارف، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م. ٧٥٢ ص ، م ٢ ص.

قالت المؤلفة : نسختى من طبعة وزارة المعارف بيانها كما يلى: عنى بترتيبه محمود خاطر بك. وزارة المعارف، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٤٥ هـ/ ١٩٢٦ م. ٧٤٥ ص.

ـ القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، طبعة حديثة منقحة، مطبعة الناشر ١٣٦١ هـ / ١٩٥٠ م. ٧٧٠ ص.

ـ بيروت : دار الكتاب العربى، ١٩٦٧ م.

ــ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطابع الناشر، ١٩٧٦ م. ٧٥٣ ص ، م ٨ ص.

٧ ـ مقامات الحنفى :

ـ الدولة العلية، إستانبول: مطبعة أحمد كامل، ١٣٣١ هـ/ ١٩١٢ م ، ١٢٣ ص.

وطبعت مع كتاب (مقامات ابن ناقيا ـ عبد الله بن محمد ابن ناقيا بن داود) (المعجم الشامل ٣/ ٧ ـ ٩).

ومن حيث المخطوطات توجد المخطوطات التالية .

(أ) دار الكتب الظاهرية .

١ ــ أنموذج جليل فى بيان أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٥٤٣ .

المؤلف: أبو بكر زين الدين محمد بن أبى بكر بن عبد المحسن بن عبد القادر الرازى المتوفى سنة ٦٦٦ هـ.

أوله: قال الشيخ الإمام أفضل المتأخرين، زين الملة والدين، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى عفا الله عنه ومتع المسلمين بطول بقائه :

هذا مختصر جمعت فيه أنموذجا يسيرا من أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها، فمنها ما نقلته إلا أنى نقحته ولخصته، ومنها ما فتح الله تعالى عليَّ به . .

آخره: قال : وأجود منه أن يراد بالناس الأول «الناسى» كقوله تعالى ﴿ يوم يدع الدَّاع﴾ وكما قرئ «من حيث أفاض الناس بالجنة والناس» لأن الثقلين هما الجنسان الموصوفان بنسيان حقوق الله تعالى. والحمد لله على ذلك.

علقه داعيا لمؤلفه ومالكه الفقير أحمد البغدادى غفر الله لهم بمدينة تبريز حماها الله. مالكه العبد الفقير محمد بن شير عثمان بن بابان ملا الشافعى بتاريخ ... سنة أربع وثمانماية . بلغ المقابلة حسب الطاقة.

أوصاف الكتاب: نسخة قيمة من أوائل القرن التاسع

الهجرى. كتبت بخط نسخى جيد، أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر. خرم الكتاب من أوله وعوض هذا النقص بخط مختلف أصيبت النسخة بالرطوبة فى أوائلها وأواخرها وقد رممت بعض أوراقها. فى أولها قيد تملك مطموس وفهرس بأسماء السور.

فى نهاية الكتاب، نخبة من كتاب القصائد فى علم الأصول، ثم ترجمة للمؤلف ثم وصفة طبية وأبيات فى التصوف.

ق	م	س
٢٦٥	١٥,٥×٢٤,٥	١٦

(فهرس الظاهرية ٢ / ٤٧ ، ٤٨).

ب) مكتبة متحف مولانا فى «قونيا» وقد أدرج المخطوط تحت عنوان «أنموذج من أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، وجاء بيانه كما يلى.

لزين الدين محمد بن (أبو) [أبى] بكر الرازى بن عبد القادر الرازى. المتوفى سنة (٦٦٦ ــ ١٢٦٨ م). أورده سركيس فى «معجمه» ص / ٩١٨ والزركلى فى «الأعلام» ٦ / ٢٧٩، وقد طبع بمصر سنة ١٣٠٣ هـ وفى سنة ١٣٠٦ هـ كما طبع بطهران سنة ١٨٦٠ م. وانظر كشف الظنون ١ / ١٠٠، وذيل بروكلمان ١ / ٦٥٩.

الأسطر مختلفة، والخط نسخ غير جميل، والآيات بالذهب.

تاريخ وفاة المؤلف حسبما جاء فى كشف الظنون ٦٦٠ هـ ولكن فى كتابه:

«مختار الصحاح» هناك قيد سماعى بتاريخ ٦٦٦ ويفهم من هذا أنه كان على قيد الحياة فى هذا التاريخ، وقال أنه ألف (الأنموذج) فى ٦٦٨ هـ (انظر ريتر ٢٥ ــ ٢٦) النسخة من ناحية الكتابة والورق يحتمل أن يعود تاريخها إلى القرن الثامن ـ التاسع هـ (١٤ ـ ١٥ م).

الكاتب فى أماكن كثيرة يخرج عن الموضوع. أخذ أبو الليث بعض الإيضاحات من الكشاف. هناك إيضاحات حول بعض الكلمات بالفارسية.

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب قال الشيخ الإمام... محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى متعنا الله مع المسلمين بطول بقائه هذا مختصر جمعت فيه أنموذجا يسيرا من أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها قمته ما نقلته من كتب العلماء إلا أنى نقحته...

(آخره) بنسيان حقوق الله تعال والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

مقياس المجلد: ١٨×٣٧,٥

مقياس الكتابة: ١٤×٢٢,٥.

عدد الأوراق ١٢٨.

رقمه فى الخزانة ٧٥ رقم المجلد ١٣ (المخطوطات العربية / ٣٤، ٣٥).

(جـ) مكتبة تشتستربتى (دبلن / إيرلندا):

٢ ـ زهر الربيع، وجاء بيانه كما يلى:

عنوان المخطوطة: زهر الربيع

اسم المؤلف: زين (تاج) الدين، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى الحنفى

اسم الشهرة: الرازى

تاريخ الوفاة: أواخر القرن ٧ هـ / ١٣ م

تعريف بالمخطوطة: خلاصة «ربيع الأبرار فيما يسر الخواطر والأفكار» المقتطفات الأدبية المشهورة للزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م).

عدد الأوراق ١٤١ ورقة، ١٩ × ١٣ سم

نوع الخط: نسخ معتاد واضح.

الناسخ: على بن عبد الله بن عبد الرحمن الشبلى الحنفى

تاريخ النسخ: ٢٨ جمادى الآخرة ٧٤٨ هـ (٥ أكتوبر ١٣٤٧ م).

المصدر: بروكلمان ١ / ٢٩٢، الملحق ١ / ٥١٢ (فهرس المخطوطات العربية ١ / ٢٧٢).

٣ ـ روضة الفصاحة، وجاء بيانه كما يلى:

عنوان المخطوطة: روضة الفصاحة:

اسم المؤلف: زين الدين، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى.

اسم الشهرة : الرازى

تاريخ الوفاة : بعد ٦٦٦ هـ/ ١٢٦٨ م

تعريف بالمخطوطة : رسالة فى علم البيان والبلاغة

عدد الأوراق : ٣٠ ورقة، ٢١ × ١٤,٦ سم

نوع الخط : نسخ معتاد

تاريخ النسخ : [د. ت] تقديرا ق ٩ هـ/ ١٥ م

المصدر : بروكلمان ١ / ٣٨٣، الملحق ١ / ٦٥٩ (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ٨٢٣).

٤ ـ مختار التحبير، وجاء بيانه كما يلى:

عنوان المخطوطة : مختار التحبير:

اسم المؤلف: محمد بن أبى بكر الرازى

اسم الشهرة: الرازى

تاريخ الوفاة: بعد القرن ٧ هـ/ ١٣ م

تعريف بالمخطوطة : مختارات من المخطوطة السابقة (يقصد مخطوطة التحبير فى علم التذكير للإمام القشيرى التى وردت فى فهرس مكتبة تشستربتى قبل مخطوطة التحبير مباشرة).

عدد الأوراق: من ١٣٢ ـ ٢٢٤ .

المصدر: بروكلمان، الملحق ١ / ٧٧٢.

عدد أوراق المجموعة : ٢٢٤ ورقة ١٨,٥ × ١٤ سم.

نوع الخط : نسخ معتاد واضح

الناسخ : محمد بن أحمد النحاس

تاريخ النسخ : [د . ت] تقديرا ق ١٠ هو / ١٦ م (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ١١١٠).

(الأنموذج الجليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب آى التنزيل للإمام زين الدين محمد بن أبى بكر بن عبد القادر بن عبد المحسن الرازى ـ تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة عوض وجماعة من علماء مجلة الأزهر. هدية مجلة الأزهر، المحرم ١٤١٠ هـ، ١ / ٦، ٧، والأعلام للزركلى ٦ / ٥٥، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ٤٧ ، ٤٨، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ٣٤ ، ٣٥ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٧ ـ ٩ ، وفهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستربتى (دبلن / أيرلندا) ـ أعده : الأستاذ آرثر ج آربرى، ترجمه د. محمود شاكر سعيد، راجعه د. إحسان صدقى العمد ١ / ٢٧٢ ، ٢ / ٨٢٣، ١١١٠، انظر أيضا الموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٧١).

* **الرازى (عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب) (-٣٨٢ هـ):**

أدرجه الإمام الذهبى فى الطبقة الواحدة والعشرين وقال عنه : الشيخ المعمر الزاهد، شيخ الصوفية، مسند الوقت، أبو سعيد، عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصير بن عبد الوهاب بن عطاء بن واصل القرشى الرازى، نزيل نيسابور. حدَّث عن محمد بن أيوب بن الضُّريس، ويوسف بن عاصم، وعدة، وعُمِّر دهرا.

حدث عنه الحاكم، وأبو نعيم، وآخرون.

قلت: حديثه مستقيم، ولم أر أحدا تكلم فيه. وسماعه من ابن الضريس يقتضى أن يكون وله ستة أعوام.

قال الخليلى : ادعى بنيسابور بعد السبعين وثلاثمائة شيخ يقال له : أبو سعيد السجزى، فروى عن ابن الضريس، وتكلموا فيه، ولم يصح سماعه منه، ومحمد بن أيوب متفق عليه.

قلت: أبو سعيد السجزى آخر إن شاء الله، ما هو صاحب الترجمة.

توفى الرازى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة.

(تهذيب سير أعلام الأنبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ٢ / ٢١).

انظر : الرازى.

* **الرازى (عبد الله بن محمد الحيرى) (-٣٥٣ هـ):**

أدرجه الإمام الذهبى فى الطبقة العشرين وقال عنه : العارف كبير الطائفة، أبو محمد عبد الله بن محمد الحيرى، المشهور بالرازى، تلميذ الزاهد أبى عثمان الحيرى، رحل وروى عن أحمد بن نجدة، ويوسف القاضى، وعدة. وصحب الجنيد (انظر ترجمته فى م ١٢ / ٤٠١ ـ ٤٠٥) والكبار، وطوَّف وتجرد وتقدم، وكان ثقة.

روى عنه الحاكم والسُّلمى. قال السُّلمى : هو أجل شيخ رأيناه من القوم وأقدمهم، قد صحب الحكيم الترمذى، وكان يرجع إلى فنون من العلم.

توفى فى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢ / ١٤٨).

*** الرازى (عبد الرحمن بن أحمد):**

انظر: العجلى.

*** الرازى (على بن عمر) (ـنحو ٤٠٠ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الرازى فى الطبقة الثانية والعشرين وقال عنه: الإمام العلامة، شيخ الشافعية، أبو الحسن، على بن عمر بن العباس، الرازى، الفقيه. روى عن ابن أبى حاتم فأكثر، وأحمد بن خالد بن مصعب الحزورى، وارتحل بأخرة، فحمل عن النجاد، وابن السماك.

أكثر عنه الخليل، وقال: كان عالما، له فى كل علم حظ، وكان فى الفقه إماما بلغ قريبا من مائة سنة.

قلت: تفرد بالرواية عن ابن مصعب وغيره، وبقى إلى حدود سنة أربعمائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢ / ٢٤٣).

*** الرازى (عيسى بن أحمد) (ـ ٣٧٩ هـ / ـ ٩٨٩ م):**

ابن أحمد الرازى الذى أوردنا ترجمته تحت عنوان «الرازى (أحمد بن محمد بن موسى)» وقد بسط الكلام عليه الدكتور عبد الواحد ذنون طه فى ترجمته لآل الرازى وبيان دورهم فى تسجيل تاريخ الأندلس فقال: توفى أحمد الرازى فى اليوم الثانى عشر من شهر رجب سنة ٣٤٤ هـ / الأول من تشرين الثانى سنة ٩٥٥ م. ولكن لم تنطفىء بوفاته شعلة التأليف التى أوقدها عميد هذه الأسرة، محمد بن موسى الرازى، فلقد أنجب أحمد ابنا تولى هو الآخر دراسة تاريخ الأندلس إلى عصره، فأكمل ما بدأ به والده. ذلك هو عيسى بن أحمد الرازى (توفى سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م)، الذى كان عالما بالأدب تاريخيا ذاكرا للأخبار. وقد ألف عيسى كتابا فى «تاريخ الأندلس» للخليفة الحكم المستنصر، كما ألف كتابين آخرين للحاجب المنصور محمد بن أبى عامر، أولهما عن «الوزراء والوزارة فى الأندلس»، والثانى فى «الحُجَّاب للخلفاء فى الأندلس».

ويبدو أن عيسى الرازى لم يكتف بتكملة كتاب «أخبار ملوك الأندلس» الذى صنفه والده أحمد، بل ابتدأ مؤلفه الجديد منذ الأحداث الأولى التى مرت على الوجود العربى فى الأندلس. فقد نقل عنه المقرى نصا يرجع إلى عصر الولاة، ويشير بوضوح إلى كيفية نشوء المقاومة الإسبانية بقيادة بلاى (Pelayo) فى منطقة جليقية (Galicia) كذلك أشار ابن الأبار إلى بعض رواياته عن عبد الرحمن الداخل يضاف إلى ذلك أنه كان يضمن كتابه معلومات أساسية مفيدة عن الجذور التاريخية للأحداث التى يتناولها. فحينما يتحدث عن مدينة طليطلة، وكيفية استعادة الخليفة الناصر لدين الله لطاعتها، يعرف بتاريخها منذ أقدم العصور، ويسهب فى ذكر الأحداث التى مرت عليها خلال العصر الرومانى، ومواقفها إزاء الحكام والأباطرة، لاسيما غزوها من قبل يوليوس قيصر، الذى يسميه «يوليش ملك رومة الأكبر أول القياصرة الذى قطع أسماء القواد، وتسمى قيصر فتوالت بعده القياصرة ...».

كذلك فإن المعلومات التى يوردها عن الممالك الإسبانية التى قامت إلى الشمال من حدود الدولة العربية الإسلامية فى الأندلس، تدل على معرفة تامة بأحوال هذه الممالك، والصراعات الداخلية التى كانت تدور فيها للاستحواذ على السلطة، الأمر الذى يشير إلى وعى تام بمجريات الأحداث فى كل مناطق شبه الجزيرة الأيبيرية، ومحاولة ربط هذه الأحداث بعضها ببعض، للاستفادة منها فى إعطاء صورة واضحة عن تاريخ بلده الأندلس. ويشير النص الآتى بوضوح إلى مدى اطلاع عيسى الرازى على أحوال هذه الممالك:

قال عيسى الرازى: لما هلك فرويلة بن أردون. ملك جليقية، لعنه الله، فى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، التى هى سنة اثنتين وستين وتسعمائة لتاريخ الصفر، مُلِّك النصرانية مكانه أخاه اذفونش بن اردون، فنازعه الملك يومئذ أخوه شانجة بن أردون، وكان أسن منه، فدخل مدينة ليون، دار مملكة الجلالقة، منازعا لأخيه اذفونش وقامت معه طائفة من الجلالقة، وثبتت مع أخيه اذفونش أخرى، وصار مع اذفونش صهره، شانجة بن غرسيه، صاحب بنبلونة»...

ومن المحتمل أن موارده عن هذه الأخبار جاءته عن طريق بعض النصارى المقيمين فى الأندلس، والذين كانت لهم علاقات وثيقة بالممالك الإسبانية، حيث كان التداخل مستمرا بطرق شتى كالزيارات التى تتم بين الطرفين بقصد الاطلاع أو المتاجرة وكان المستعربون فى الأندلس، وهم نصارى الإسبان الذين تعلموا اللغة العربية، بحكم معرفتهم لهذه اللغة وللغة الإسبانية القديمة ينقلون بحرية بين الأراضى الإسلامية، والإمارات النصرانية، فينقلون الأخبار بين الطرفين. ومن جهة أخرى، فقد كان الكثير من العرب فى الأندلس يفهمون اللغة الرومانسية ويتكلمون بها، وهى اللغة الإسبانية القديمة الناتجة من اللهجة الأيبيرية التينية، التى كانت فى طور التكوين فى ذلك الوقت. ويوجد فى مصادرنا العربية إشارات واضحة تدل على أن الأمراء، والقضاة، وكبار القوم، والشعراء كانوا يتكلمون هذه اللغة الإسبانية القديمة، أو الرومانسية، إلى جانب اللغة العربية، وذلك على كل المستويات فى المجتمع، وحتى فى قصور الأمراء الأمويين. ولهذا فليس بمستبعد أن يكون عيسى الرازى على إلمام جيد بهذه اللغة، فاستخدمها للحصول على المعلومات، سواء أكان ذلك بصورة شفوية عن طريق الروايات المتسربة من الشمال، أم بقراءة المصنفات المكتوبة بها والاستفادة منها فى معرفة تاريخ وأخبار الإمارات الإسبانية.

أما على صعيد الأخبار الداخلية لتأريخه، فلا شك بأن عيسى اعتمد على كتاب والده أحمد الرازى اعتمادا كبيرا. ويبدو أنه اعتمد أيضا على مؤلفات بعض الكتاب الآخرين من أمثال محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد القرطبى المعروف بالإقشتين (توفى سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ - ٩٢٠ م)، الذى عرف بحب الأدب والأخبار، وله مؤلفات عديدة فى اللغة والأدب، من أشهرها كتاب «طبقات الكتاب فى الأندلس» وقد أورد ابن حيان، رواية لعيسى بن أحمد الرازى ينقلها عن محمد بن موسى الإقشتين، الذى ينقلها بدوره عن سليمان ابن وانسوس الوزير، وكان الاقشتين مؤدبا لأحد أولاد الوزير. والرواية تدور بشأن محاولة الأمير عبد الرحمن بن الحكم إسناد ولاية العهد لابنه محمد، ويحتمل أن الاقشتين أورد هذا الخبر بصورة أو بأخرى فى كتابه المذكور أعلاه.

ومن الذين نقل عنهم عيسى الرازى أيضا، الفرج بن سلام القرطبى، الذى كان معنيا بالأخبار والشعر والأدب، ورحل إلى العراق والتقى بأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (توفى سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ - ٨٦٩ م). وأخذ عنه كتاب «البيان والتبيين» وغير ذلك من مؤلفاته، فأدخلها إلى الأندلس رواية عنه، وقد توفى فى بليش من أعمال مالقة، والتى تعرف اليوم باسم velez Malaga ولم يذكر ابن الفرضى الذى ترجم للفرج ابن سلام ترجمة مختصرة، سنة وفاته، أو أى كتاب من تصنيفه. ولكن عيسى الرازى، ينقل عنه رواية تاريخية تعود أحداثها إلى سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م، وتدور حول موقف أهل طليطلة من الأمير محمد بن عبد الرحمن ومخالفتهم له بعد توليه الإمارة، وتعاونهم مع جيرانهم من النصارى فى هذا السبيل. وتدل هذه الرواية على احتمال وجود تصنيف تاريخى للفرج بن سلام اطلع عليه عيسى الرازى، وفقد بعد ذلك، أو أنه كان قليل الأهمية بحيث لم يذكره ابن الفرضى كأحد مؤلفات الفرج بن سلام.

ويشير عيسى الرازى فى رواياته إلى رسائل وكتب رسمية صادرة من الخلفاء الأمويين، أو واردة إليهم من مختلف الأماكن والجهات التى كانت تتبع الخلافة الأموية، لاسيما من شمال إفريقيا، حيث كان للخليفة الناصر لدين الله اهتمامات كبيرة، تخص محاولاته لاسترجاع سلطة الأمويين فى المشرق. ويدل استخدام عيسى الرازى لهذه الرسائل، حصوله عليها بالنص، إلى اطلاعه عن قريب على مكاتبات البلاط الأموى، وإنه كان قريب الصلة بما يدور فيه، فاستفاد من تلك الوثائق التى تكشف جانبا من جوانب السياسة الخارجية للخليفة الناصر لدين الله، واستخدامه للأمراء والمتنفذين فى المغرب فى سبيل تحقيق مصالح الدولة الأموية فى الأندلس، والسيطرة على الشمال الإفريقى. ويمكن الاطلاع على نصوص بعض هذه الرسائل، التى تشير إلى التقارير المفصلة الواردة والصادرة بشأن هذا الأمر، فيما تبقى من روايات عيسى بن أحمد المقتبسة عند ابن حيان.

ويتبين من النصوص المتبقية لتاريخ عيسى للرازى أنه اتبع طريقة الحوليات فى تأليف الكتاب فقد سار على

الأحداث حسب السنوات الهجرية لكن هذه الطريقة لم تمنعه من الاسترسال فى سرد أخبار عامة تتعلق بمختلف نواحى الحياة فى المجتمع، فركز فى ثنايا تاريخه على مسائل اجتماعية طريفة، منها روايته عن طفل ولد بشكل غير سوى، ونما نموا سريعا غير اعتيادى، فجيء به إلى قرطبة لينظر فى أمره. يقول عيسى الرازى عن هذا الطفل: «فعنيت بشأنه وأنعمت الكشف عن حاله وولادته ونشأته، فأخذتها عن جده لأبيه الذى قدم به، وهو خلف بن يحيى بن أراقى بن خلف بن منتقم بن عبد الله بن بدر بن ناصح الفراش مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية، واسم الغلام عمر بن اراقى بن خلف، فأخبرنى ...» ويدل تتبع عيسى الرازى لنسب جد الغلام، وإيصاله إلى الحقبة المبكرة الأولى لاستقرار العرب فى الأندلس، إلى تأثره الكبير باهتمامات والده أحمد الرازى بانساب المسلمين فى الأندلس.

يتبين مما سبق أهمية كتاب «تاريخ الأندلس» لعيسى بن أحمد الرازى. ولقد شعر المؤرخون الذين جاءوا بعده، كابن حيان، وابن الفرضى، وابن الأبار، وابن عذارى، وغيرهم، بهذه الأهمية، فاستخدموا كتابه، واعتمدوه بشكل كبير، لاسيما ابن حيان، الذى أسماه بـ «صاحب التاريخ» ونقل عنه بإعجاب كبير أحداث الأندلس فى مراحل مختلفة. ويتبين مدى اهتمام ابن حيان واعتماده على عيسى الرازى من النص الآتى، الذى يتحدث فيه عن استخدامه لهذا الكتاب:

«قال حيان بن خلف بن حيان مؤلف هذا التاريخ: هاهنا انقطع فى كتاب عيسى الرازى - رحمه الله - الذى إليه رجعت فى خبر دولة الحكم بن عبد الرحمن - رحمه الله - فنظمت منه كتابى هذا المؤلف المتصل بما قبله من أخبار سلفه خلفاء بنى مروان بالأندلس إلى أن انقطع فى نظامه عند إتيانى على آخر أخبار سنة إحدى وستين وثلاثمائة بحزم واقع فى أصله أفضى بى نقصه إلى أخباره فى نصف سنة اثنتين وستين وثلاثمائة تلوها. فسقت وجدان توصيلها إمتاعا لمطالعها بالحاصل منها، إلى أن يتيح الله تكميلها لى أو لسواى ممن يعتنى بتكميل كتابى هذا، حرصا على توخى فائدته، إن شاء الله ...».

ونحن لا نلوم ابن حيان لأسفه على فقدان جزء من كتاب عيسى الرازى، وعدم استطاعته استكمال أحداث النصف الأول من سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م وما بعدها، لأنه وهو القريب الصلة بالأحداث، شعر بأهمية الكتاب وضرورة اكتماله حتى يمكن الاستفادة منه فى تدوين تاريخ الأندلس. والكتاب اليوم فى عداد المفقودات، ولهذا فإن الأسف على ضياع هذا السفر الجليل كبير جدا، ولا يخفف منه سوى بقاء بعض النصوص التى احتفظ بها ابن حيان، وغيره من المؤرخين اللاحقين.

أما بالنسبة للكتاب الآخر الذى ألفه عيسى الرازى للحاجب المنصور محمد بن أبى عامر، فهو أيضا مفقود وقد أشار ابن الأبار إلى نصوص قليلة نقلها عنه، منها النص الآتى الذى يشير فيه إلى اسم الكتاب: «وحكى عيسى بن أحمد ابن محمد الرازى فى «كتاب الحُجَّاب للخلفاء بالأندلس» من تأليفه، أن المنذر بن محمد استخلف يوم الأحد لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين، بعد وفاة أبيه بأربع ليال، إذ كان غازيا بناحية رية وقد أورد هذا النص بمناسبة الحديث عن أحد الوزراء والحجاب المشهورين فى أندلس فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وهو هاشم بن عبد العزيز. ومن الملاحظ على المعلومات المحدودة التى وصلتنا من هذا الكتاب، أنه لا يختص فقط بالكلام عن الحُجَّاب، بل يشمل ملابسات تعيينهم، والأمراء فى عهدهم، وكيفية معاملتهم، وخفايا السياسة الداخلية والمنازعات، وغيرها من المسائل الاجتماعية التى كانت تزخر بها الحياة العامة فى قرطبة وغيرها من المدن فى عهدى الإمارة والخلافة، لهذا يعد هذا الكتاب على درجة كبيرة من الأهمية، ولو وصلنا لأغنى المكتبة العربية، وأفاد الدراسات الأندلسية فائدة كبيرة. أما كتاب «الوزراء والوزارة فى الأندلس»، فلم يصل إلينا منه نص صريح، حتى يمكن الجزم بمدى علاقته بكتاب «الحُجَّاب» ويحتمل أنهما كانا كتابا واحدا لأن الحجاب كانوا أيضا وزراء للأمراء، مثل هاشم بن عبد العزيز المذكور أعلاه.

(نشأة تدوين التاريخ فى الأندلس - د. عبد الواحد ذنون طه / ٣٧ - ٤٥).

انظر: الرازى (أحمد بن محمد بن موسى).

* **الرازى (الفخر):**

انظر : الرازى (فخر الدين).

* **الرازى (فخر الدين) : (٥٤٤-٦٠٦ هـ / ١١٥١-١٢١٠ م):**

محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازى : الإمام المفسر. أوحد زمانه فى المعقول والمنقول وعلوم الأوائل وهو قرشى النسب (الأعلام ٦ / ٣١٣) من ذرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه (طبقات المفسرين / ١١٥) أصله من طبرستان، ومولده فى الرى وإليها نسبته ويقال له «ابن خطيب الرى» (الأعلام ٦ / ٣١٣)ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، واشتغل على والده، وكان من تلامذة محيى السنة البغوى.

قال ابن خلكان فيه : فريد عصره، ونسيج وحده، شهرته تغنى عن استقصاء فضائله، وتصانيفه فى علم الكلام والمعقولات سائرة (طبقات المفسرين / ١١٥).

تفقه على والده - كما سبق القول - الشيخ ضياء الدين عمر، وأخذ عنه أصول الفقه، ثم رحل فى تحصيل العلم، فاشتغل بدراسة علم الكلام والحكمة والفلسفة والفقه والتفسير وأصول الفقه والأدب واللغة والفلك والحديث، إلى أن أتقن هذه العلوم، وفاق فيها الأقران، وصنف فيها الكتب المفيدة التى انتشرت فى حياته، واشتهرت فى الآفاق، وأكب الناس عليها. وكان يتقن اللغة الفارسية تكلما وتأليفا ونظما، كما ينظم الشعر بالعربية، وكان يدرس ويناظر، ويعظ باللسانين العربى والفارسى، وكان شديد التأثير فى الوعظ، فيبكى الناس ويبكى معهم. وصارت له مكانة عظيمة عند الحكام والرعية، وأقبل عليه الطلاب من كل صوب، وحفل درسه بالأفاضل من الملوك والعلماء والوزراء والأمراء والفقراء والعامة، واهتدى على يديه أعداد كبيرة، رجعوا عن الانحراف والفرق الضالة، وطاف فى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، واستقر فى هراة، وكان يلقب فيها شيخ الإسلام، ومات فيها، ودفن بسفح جبل عندها (مرجع العلوم الإسلامية / ٣٤٥).

كان مبدأ اشتغاله بالعلم على والده، الذى كان خطيبا بالرى حتى مات. وقد ذكر الرازى فى كتابه المسمى «تحصيل الحق» أنه اشتغل فى علم الأصول على والده ضياء الدين عمر، ووالده على أبى القاسم سليمان بن ناصر الأنصارى، وهو على إمام الحرمين أبى المعالى، وهو على الأستاذ أبى إسحاق الإسفراينى، وهو على الشيخ أبى الحسن الباهلى، وهو على شيخ السنة أبى الحسن على بن أبى إسماعيل الأشعرى الناصر لمذهب أهل السنة والجماعة.

وأما اشتغاله فى فروع المذهب، فإن اشتغل على والده المذكور، ووالده على أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى، وهو على القاضى حسين المروزى، وهو على القفال المروزى ، وهو على أبى زيد المروزى، وهو على أبى إسحاق المروزى، وهو على أبى العباس بن شريح وهو على أبى القاسم الأنماطى، وهو على أبى إبراهيم المزنى، وهو على الإمام الشافعى، رضى الله عنه.

وبعد وفاة والده قصد إلى الكمال السمنانى، واشتغل عليه مدة، ثم عاد إلى الرى، واشتغل على المجد الجيلى صاحب محمد بن يحيى الفقيه أحد تلاميذ الإمام حجة الإسلام الغزالى، ولما طلب المجد إلى مراغة ليدرس بها، صحبه وقرأ عليه مدة طويلة علم الكلام والحكمة.

ويقال إن الرازى كان يحفظ الشامل لإمام الحرمين فى أصول الدين.

والمستصفى فى أصول الفقه للغزالى، وكذا المعتمد لأبى الحسين البصرى.

وقد لازم الرازى الأسفار، وعامل شهاب الدين الغورى صاحب غزنة فى جملة من المال، ثم مضى إليه لاستيفائه منه، فبالغ فى إكرامه والإنعام عليه، وحصل من جهته مال طائل. ثم عاد إلى خراسان.

وكان له يد فى النظم. . فمن نظمه :

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعى العالمين ضلال
فأرواحنا فى وحشة من جسومنا
وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

وكم من جبال قد علت شرفاتها
رجال فزالوا والجبال جبال
وكم قد رأينا من رجال ودولة
فبادوا جميعا مزعجين وزالوا!!

وقال أبو عبد الله الحسنى الواسطى

سمعت فخر الدين بهراة ينشد على المنبر معاتبا أهل البلد :

المرء ما دام حيا يستهان به
ويعظم الرزء فيه حين يُفتقد

(شرح أسماء الله الحسنى / ٧-٩).

ومن شعره أيضا قوله :

فلو قنعت نفسى بميسور بلغة
لما سبقت فى المكرمات رجالها
ولو كانت الدنيا مناسبة لها
لما استحقرت نقصانها وكمالها
ولا أرمق الدنيا بعين كرامة
ولا أتوقى سوءها واختلالها
وذلك لأنى عارف بفنائها
ومستيقن ترحالها وانحلالها
أروم أمورا يصغر الدهر عندها
وتستعظم الأفلاك فى أوصالها

(المسائل الخمسون / ٧).

وصيته :

وفى وفيات الأعيان لابن خلكان، أن الرازى عندما مرض، وأيقن أنه لا محالة ميت، أملى على تلميذه إبراهيم بن أبى بكر الأصفهانى وصية تدل على حسن العقيدة. وقد جاء فيها :

« ... اعلموا أنى كنت رجلا محبا للعلم، فكنت أكتب فى كل شىء شيئا لا أقف على كمية ولا كيفية، سواء كان حقا أو باطلا أو غثا أو سمينا، إلا أن الذى نظرته فى الكتب المعتبرة لى، أن هذا العالم المحسوس تحت تدبير منزه عن مماثلة المتحيزات والأعراض، وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة، ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن العظيم، لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ويمنع من التعمق فى إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل فى تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية، ولهذا أقول كلما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء فى القدم والأزلية والتدبير والفعالية، فذاك هو الذى أقول به، وألقى الله تعالى به، وأما ما انتهى الامر فيه إلى الدقة والغموض، فكل ما ورد فى القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتبعين للمعنى الواحد، فهو كما مر. والذى لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين: إنى أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، فكل ما مر به قلمى أو خطر ببالى فأستشهد وأقول: إن علمت منى أنى ما سعيت إلا فى تقديس اعتقدت أنه الحق، وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدى لا مع حاصلى، فذاك جهد المقل. وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع فى زلة، فأغثنى وارحمنى واستر زلتى وامح حوبتى يامن لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينقص ملكه بخطأ المجرمين، وأقول: دينى متابعة سيد المرسلين محمد ﷺ وكتابى القرآن العظيم، وتعويلى فى طلب الدين عليهما ... ».

(شرح أسماء الله الحسنى / ١٠ ، ١١).

وفاته :

توفى فخر الدين الرازى فى مدينة «هراة» فى يوم الإثنين غرة شوال سنة ست وستمائة وقال القفطى فى سبب موته : وكان يطعن على الكرامية ويبين خطأهم فقيل: إنهم توصلوا إلى إطعامه السم، فهلك » (المسائل الخمسون / ٧).

مصنفاته :

للرازى تصانيف مفيدة فى فنون عديدة، وقد انتشرت تصانيفه فى البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة، فإن الناس اشتغلوا بها، ورفضوا كتب المتقدمين، وهو أول من اخترع الترتيب فى كتبه، وأتى بما لم يسبق إليه، ومن مصنفاته :

تفسير القرآن الكريم المسمى « بمفاتيح الغيب» - جمع فيه من الغرائب والعجائب، ما يطرب كل طالب، وهو كبير

جدا، وترجع شهرة الرازى إلى هذا التفسير، إذ جمع فيه بين المباحث الكلامية والفلسفية والدينية ورد فيه على تأويلات المعتزلة للقرآن، وضمنه محاولته للتوفيق بين الفلسفة والدين (شرح أسماء الله الحسنى / ١١، ١٢).

و «لوامع البينات فى شرح أسماء الله تعالى والصفات - ط» و «معالم أصول الدين - ط» و «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين - ط» و «المسائل الخمسون فى أصول الكلام - ط» و «الآيات البينات - خ» مع شرح ابن أبى الحديد له، فى خزانة الأسكوريال، المجموعة ٣٣ و «عصمة الأنبياء خ» كراريس من أوله، فى خزانه الرباط «المجموعة ١١٨٠ كتانى» و «الإعراب - خ» فى شستربتى، الرقم ٣٣٧٤ (يأتى بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى) و «أسرار التنزيل وأنوار التأويل» - «فى التوحيد (مخطوط أوردنا بيانه فى م ٤ / ٣٢٦، ٣٢٧ فانظره فى موضعه) و «المباحث المشرقية - ط» و «أنموذج العلوم - خ» و «أساس التقديس - ط» رسالة فى التوحيد، و «المطالب العالية - خ» فى علم الكلام، و «المحصول فى علم الأصول - خ» و «نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز - ط» بلاغة، و «السر المكتوم فى مخاطبة النجوم - خ» و «الأربعون فى أصول الدين - ط» و «نهاية العقول فى دراية الأصول - خ» فى أصول الدين. و «القضاء والقدر» و «الخلق والبعث» و «الفراسة» و «البيان والبرهان» و «تهذيب الدلائل» و «الملخص» فى الحكمة، و «النفس» رسالة، و «النبوات» رسالة، و «كتاب الهندسة» و «شرح قسم الالهيات من الإشارات لابن سينا - ط» و «لباب الإشارات - ط» تهذيبه، و «شرح سقط الزند للمعرى» و «مناقب الإمام الشافعى - ط» و «شرح أسماء الله الحسنى - ط» و «تعجيز الفلاسفة» بالفارسية، وغير ذلك. وله شعر بالعربية والفارسية، وكان واعظا بارعا باللغتين (الأعلام ٦ / ٣١٣).

وفيما يلى بيان بمؤلفات الفخر الرازى المطبوعة كما وردت فى المعجم الشامل:

١ - أحاسن علم النبى (ﷺ) والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الإسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء والعلماء:

- عناية يوسف يوحنا فيلبس فاليتون، ليدن: بريل، ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م.

١٩٤ ص، م ٥ ص، ف ٢٧ ص: مصطلحات، أسماء.

(مختصر من (إعجاز الإيجاز، لأبى منصور الثعالبى).

٢ - الأربعين فى أصول الدين:

- تصحيح عبد الله بن أحمد العلوى ومحمد عادل القدوسى ومناظر أحسن، حيدر آباد، الدكن: مجلس دائرة المعارف العثمانية، مطبعة المجلس ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م.

٤٩٧ ص، ف ٩ ص: المضامين، الأخطاء.

٣ - أساس التقديس (فى علم الكلام):

- القاهرة على نفقة محيى الدين صبرى وعبد القادر معروف وحسين نعيمى، مطبعة كردستان، ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م.

٢٩٥ ص، ف ١ ص: المحتوى.

٤ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين.

- تحقيق على سامى النشار، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٨ م.

١١٠ ص، م ٣٤ ص، ف ١٦ ص: المحتوى، الأعلام، الأخطاء.

- تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ومصطفى الهوارى، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨ م، ١٥٢ ص.

قالت المؤلفة: هذه الطبعة هى التى عندى.

٥ - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب).

- القاهرة: على ذمة أحمد أفندى، المطبعة الميرية المصرية، ١٢٧٨ هـ / ١٨٦٢ م - ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢م، ٦ مجلدات.

مج ١:

مج ٢:

مج ٣:

مج ٤: ٧١٤ ص، ف ٥ ص.

مج٥ : ٦٨١ ص ، ف ٣ ص.

مج ٦ : ٦٩٢ ص ، ف ٣ ص.

ـ الدولة العلية، إستانبول: التزام الشركة الصحافية العثمانية، دار الطباعة العامرة، ١٣٠٨ هـ/ ١٨٩٠٩ م.

ج ١ : ٧٦١ ص، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ٢ : ٧٤٧ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ٣ : ٧٠٧ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ٤ : ٧٦٢ ص ، ف ٦ ص : المحتوى.

ج ٥ : ٨٣٩ ص ، ف ٧ ص : المحتوى.

ج ٦ : ٨١٠ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ٧ : ٨٣٠ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ٨ : ٧٧٨ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ـ عناية وتصحيح عبد الله إسماعيل الصاوى، القاهرة: على نفقة عبد الرحمن محمد ، المطبعة البهية المصرية، ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ م.

ج ١ : ٣٠١ ص ، م٧ ص، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ٢ : ١٣٥٣ ص ، ١٩٣٤ م ، ٢٤٤ ص ،ف٦ ص : المحتوى.

ج ٣ : ١٣٥٤ ص ، ١٩٣٥ م ، ٢٨٢ ص ،ف١٠ ص : المحتوى.

ج ٤ : ١٣٥٧ ص ، ١٩٣٨ م ، ٢٤٣ ص ،ف٤ ص : المحتوى.

ج ٥ : ١٣٥٧ ص ، ١٩٣٨ م ، ٢٤٣ ص ،ف٤ ص : المحتوى.

ج ٦ : ٢٢٤ ص ، ف ٢ ص : المحتوى.

ج ٧ : ٢٣٩ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ٨ : ٢٣٩ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ٩ : ٢٤٠ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ١٠ : ٢٤٤ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ١١ : ٢٤٠ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ١٢ : ٢٤٣ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ١٣ : ٢٤٠ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ١٤ : ٢٤٢ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ١٥ : ٢٤٠ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ١٦ : ٢٤٣ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ١٧ : ٢٣٩ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ١٨ : ٢٣٩ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ١٩ : ٢٣٩ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ٢٠ : ٢٤٢ ص ، ف ٨ ص : المحتوى.

ج ٢١ : ٢٦١ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ٢٢ : ٢٤٠ ص ، ف ٦ ص : المحتوى.

ج ٢٣ : ٢٤٨ ص ، ف ١٠ ص : المحتوى.

ج ٢٤ : ٢٧٢ ص ، ف ٨ ص : المحتوى.

ج ٢٥ : ٢٧٩ ص ، ف ٧ ص : المحتوى.

ج ٢٦ : ٢٩٦ ص ، ف ٦ ص : المحتوى.

ج ٢٧ : ٢٨٠ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ج ٢٨ : ٣٢٠ ص ، ف ٨ ص : المحتوى.

ج ٢٩ : ٣٢٨ ص ، ف ٨ ص : المحتوى.

ج ٣٠ : ٢٩٤ ص ، ف ١٠ ص : المحتوى.

ج ٣١ : ٢٣٠ ص ، ف ٨ ص : المحتوى.

ج ٣٢ : ٢٢٣ ص ، ف ٥ ص : المحتوى.

ـ طهران: دار الكتب العلمية، ط الثانية . د . ت.

قالت المؤلفة: ونشرته دار الغد العربى بالقاهرة فى ٢٨ / ١٠ / ١٩٩١ فى ١٦ مجلدا تضم ١١٦ جزءا

٦ ـ السر المكتوم فى أسرار النجوم.

ـ تصحيح ميرزا محمد شيرازى ، القاهرة: على نفقة ميرزا محمد شيرازى، المطبعة الحجرية .د .ت ، ١٦٤ص.

٧ـ شرح أسماء الله الحسنى.

ـ راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية، شركة الطباعة الفنية، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م.

٣٦٨ ص، م ١٤ ص ، ف ٣ ص: المحتوى .

ـ بيروت : دار الكتاب العربى، ط الثانية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

٣٧٣ ص ، م ١٧ ص، ف ٥ ص : المحتوى.

قالت المؤلفة. هذه الطبعة عندى وقد كتب على غلافها أن الكتاب هو المسمى «لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات» وقد أدرج تحت هذا العنوان فى المعجم الشامل رقم ١٣ يأتى.

٨ ـ شرح قسم الإلهيات من إشارات ابن سينا :

ـ الدولة العلية، إستانبول، ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م.

ـ تصحيح عبد الجواد خلف، القاهرة: على نفقة عمر حسين الخشاب ونجله، المطبعة الخيرية، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م.

ج ١ : ٢٤٣ ص.

ج ٢ : ١٤٦ ص.

٩ ـ عجائب القرآن.

ـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا، القاهرة: دار الكتب الإسلامية مطبعة حسان، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

١٩٠ ص ، م ٢٠ ص ، ف ٢ ص : المحتوى.

ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ط ثانية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

قالت المؤلفة : الطبعة التى عندى تحقيق الشيخ خليل إبراهيم. دار الفكر اللبنانى . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٩٢ ١٥٦ صفحة، المحتوى ص ١٥٧ ، ١٥٨

١٠ ـ عصمة الأنبياء :

تصحيح محمد منير عبده الدمشقى ، القاهرة: المطبعة المنيرة، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م.

١٣ ص، م ١٦ ص ، ف ٤ ص : المحتوى.

ـ تحقيق عبد العزيز عيون السود، حمص: المكتبة الإسلامية، ١٩٦٩ م، ٨٠ ص.

١١ ـ الفراسة.

ـ تحقيق يوسف مراد، باريس: المكتبة الشرقية، ١٩٣٩م. ٢٦٨ ص منها ٨٠ ص بالعربية، ١٤٤ ص بالفرنسية + ٢ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٢٣ ص : المحتوى، المراجع ، الأشخاص ، الأشياء الخطأ والصواب.

١٢ ـ لباب الإشارات :

ـ تصحيح محمد بدر الدين النعسانى الحلبى، القاهرة: على نفقة مصطفى أفندى الملكاوى ومحمد أمين الخانجى الكتبى وشركاه ، مطبعة السعادة، ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م.

١٤٤ص، م ٣ ص، ف ٨ ص : المحتوى.

١٣ ـ لوامع البينات (شرح أسماء الله تعالى والصفات) :

ـ تصحيح محمد بدر الدين النعسانى ، القاهرة: المطبعة الشرفية، ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م ، ٢٦٧ ص.

١٤ ـ المباحث المشرقية فى علم الإلهيات والطبيعيات.

ـ تصحيح حبيب الرحمن خان الشروانى، وزين العابدين الموسوى، والحبيب بن عبد الله العلوى ، حيدرآباد، الدكن : مجلس دائرة المعارف النظامية، مطبعة المجلس، ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م.

ج ١ : ٧٠٦ ص، ف ٢٦ ص : فهرس المضامين.

ج ٢ : ٥٤٨ ص، م ٥ ص ، ف ١٦ : فهرس المضامين. طهران: مكتبة الأسدى، ١٩٦٦ م، (عن السابقة).

١٥ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين :

ـ تصحيح محمد بدر الدين، أبى فراس النعسانى، القاهرة: على نفقة أحمد ناجى الجمالى ومحمد أمين الخانجى وأخيه، مطبعة المدرسة الحسينية، ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م.

١٨٧ ص، ف ٤ ص : المحتوى.

ـ راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨ م، ٢٥٦ ص.

قالت المؤلفة : هذه الطبعة هى التى عندى.

١٦ المحصول فى علم أصول الفقه.

ـ تحقيق طه جابر فياض، جدة: جامعة محمد بن سعود الإسلامية، مطابع الفرزدق التجارية، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م.

ج ١ ق ١ : ٥٧٤ ص، ف ٥ ص : المحتوى.

ج ١ ق ٢ : ٦٦٢ ص، ف ٦ ص : المحتوى.

ج٢ ق ١ : ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م، ٦٩٠ ص ، م ١٣ ص + ٣ ص

نماذج مصورة من المخطوط ، ف ٨ ص : المحتوى.

ج٢ ق ٢ : ٦٣٨ ص ، ف ٨ ص : المتحوى.

ج ٢ ق ٣ : ٦٩٠ ص ، ف ٤٣ ص : مراجع ترجمة المصنف، المراجع الأخرى التى استفاد منها المؤلف، تصويبات، الآيات الأحاديث، الآثار، الشواهد الشعرية، الكتب، المدن والقرى، الطوائف والفرق ، الأعلام.

١٧ ـ المسائل الخمسون فى أصول الكلام :

ـ تصحيح محيى الدين صبرى الكردى ومحمد حسين نعيمى القاهرة.

على نفقة محيى الدين صبرى الكردى، مطبعة كردستان ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م.

٥٩ ص (٣٢٩ـ٣٨٧).

ضمن مجموع بعنوان (رسائل تراثية).

قالت المؤلفة : الطبعة التى عندى بعنوان «المسائل الخمسون فى أصول الدين» ـ تحقيق د. أحمد حجازى السقا. المكتب الثقافى . القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٩ ٧٤ص ، ف ٤ ص : المحتوى .

١٨ ـ معالم أصول الدين :

تصحيح محمد بدر الدين، أبى فراس النعسانى، القاهرة: على نفقه أحمد ناجى الجمالى ومحمد أمين الخانجى وأخيه، مطبعة المدرسة الحسينية ، ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥م، ١٨٣ ص.

ـ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، بيروت: دار الكتاب العربى، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

١٦٠ ص ، م ١٦ ص ، ف ٦ ص : المحتوى.

١٩ ـ مناظرات جرت فى بلاد ما وراء النهر فى الحكمة والخلاف بين الإمام فخر الدين الرازى وغيره:

ـ الهند: حيدرآباد، الدكن، دائرة المعارف العثمانية، مطبعة الدائرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م ، ٤٢ ص.

ـ تحقيق فتح الله خليف، بيروت: دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٧ م.

٣٠٤ ص ، م ٧٠ ص بالعربية، م ٨ ص + ٢٠٣ ص دراسة وتعليق وترجمة، ف ٣٣ ص: المحتوى، المراجع ، الأعلام، الاصطلاحات ، الأمكنة، الموضوعات.

٢٠ ـ مناقب الإمام الشافعى :

ـ تصحيح أحمد بن محمد بن شيخ باعلوى ، القاهرة: على نفقة أحمد بن محمد بن شيخ باعلوى، طبع حجر ، ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م.

٤٥٣ ص م ٣ ص.

ـ القاهرة : المكتبة العلامية، ط حجر، ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م. ١٩٩ ص.

٢١ ـ النفس والروح وشرح قُوَاها :

ـ تحقيق محمد صغير حسن المعصومى، كراتشى: معهد الأبحاث الإسلامية، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.

٢٤٠ ص ، م ٢٠ ص.

٢٢ ـ نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز:

ـ تحقيق إبراهيم السامرائى ومحمد بركات حمدى أبو على، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع ١٩٨٥ م.

٢١٤ ص ، م ٢٦ ص ، ف ١٦ ص : الآيات ، أقوال الرسول، المحتوى.

ـ القاهرة : مطبعة الآداب ، ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ م.

١٨١ ص ، م ١٣ ص.

ـ ط ثانية، ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م.

ـ تحقيق زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة، الإسكندرية: منشأة المعارف ، د. ت.

٢٣ ـ نهاية العقول فى دراية الأصول :

ـ تحقيق على سامى النشار، الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٧٣ م (المعجم الشامل ٣/ ١٦ـ٢٣).

ويوجد فى مكتبة تشستربتى بدبلن ـ أيرلندا خمس عشرة

مخطوطا من مصنفات الفخر الرازى نورد بيان كل منها فيما يلى إتماما للفائدة، وسوف نقتصر فى ذكر بيانات المؤلف على المخطوط الأول فحسب منعا للتكرار.

١ ـ مفاتيح الغيب وتوجد منه ست نسخ بيانها كما يلى:

(أ) الرقم ٣٠٣٤ (١ ، ٢).

عنوان المخطوطة : مفاتيح الغيب.

اسم المؤلف : فخر الدين، أبو عبد الله، محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين بن الخطيب الرازى.

اسم الشهرة : فخر الدين الرازى.

تاريخ الوفاة : ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م.

تعريف بالمخطوطة : المجلدان الثانى والثالث من تفسيره للقرآن الكريم.

عدد الأوراق : ١٩٧ ، ٢٢١ ورقة، . ٢٦ × ٤ ، ١٧ سم.

نوع الخط : نسخ واضح

الناسخ : عبد الرحمن بن على بن أبى الحسن بن أبى الندى.

تاريخ النسخ : رمضان ٦٦٤ هـ (يونيو ١٢٦٦ م)، وذو القعدة ٦٧٠ هـ (يونيو ١٢٧٢ م)

المصدر : بروكلمان ١ / ٥٠٦ الملحق ١ / ٩٢٢ (فهرس المخطوطات العربية ١ / ٢٨).

(ب) الرقم ٣٠٤٤.

تعريف بالمخطوطة : الجزء الثانى عشر من تفسيره الكبير. انظر رقم ٣٠٣٤ أعلاه

عدد الأوراق : ٢٠٥ ورقات، ٢٦ × ٧، ١٧سم

نوع الخط : نسخ واضح.

تاريخ النسخ : (د. ت) تقديرا ق ٧ هـ / ١٣ م (فهرس المخطوطات العربية ١ / ٣٣).

(ج) الرقم ٣٠٨٦

تعريف بالمخطوطة : المجلد الأول من تفسيره الكبير، انظر الرقمين ٣٠٣٤، ٣٠٤٤.

عدد الأوراق : ٤١٥ ورقة، ٩، ٣٠ ×٢٣ سم.

نوع الخط : نسخ معتاد واضح.

تاريخ النسخ : (د. ت) تقديرا ق ٧ هـ / ١٣ م (فهرس المخطوطات ١ / ٥٥)

(د) الرقم ٤٠٢٩.

تعريف بالمخطوطة : مجلد من التفسير الشامل للقرآن الكريم. انظر الأرقام ٣٠٣٤، ٣٠٤٤ ، ٣٠٨٦.

عدد الأوراق : ٧٠ ورقة، ٢٦ × ٣، ١٧ سم.

نوع الخط : نسخ ممتاز.

تاريخ النسخ : [د. ت] تقديرا ق ٨ هـ / ١٤ م (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ٥٩٦).

(هـ) الرقم ٤١٦٥.

تعريف بالمخطوطة : نسخة جميلة من التفسير المشهور للقرآن الكريم. انظر الأرقام ٣٠٣٤ ، ٣٠٤٤، ٣٠٨٦ ، ٤٠٢٩.

عدد الأوراق : ٦٢٨ ورقة، ٢ ,٣٦ × ٨, ٢٦سم

نوع الخط : نسخ صغير حسن.

تاريخ النسخ : (د. ت) تقديرا ق ٨ هـ / ١٤ م (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ٦٦٠ ، ٦٦١).

(و) الرقم ٥٢٥٧

تعريف بالمخطوطة : مجلد من تفسير القرآن الكريم، انظر ٣٠٤٣ ، ٣٠٤٤

عدد الأوراق : ١٩٤ ورقة ٨ و ٢٦ × ٣ ,١٩ سم.

نوع الخط : نسخ معتاد واضح

الناسخ : أحمد بن محمد الأنصارى.

تاريخ النسخ : ١٣ صفر ٧٦٣ هـ (١٢ ديسمبر ١٣٦١ م).

٢ ـ المطالب العالية فى علم الكلام.

عنوان المخطوطة : المطالب العالية فى علم الكلام.

تعريف بالمخطوطة : كتاب فى علم الكلام.

عدد الأوراق : ٤١١ ورقة، ٥ ,٣٠ × ١٨ سم

نوع الخط : تعليق ممتاز.

تاريخ النسخ : (د . ت)، تقديرا ق ١١ هـ/ ١٧ م.

المصـدر : بـروكلمـان ١ / ٥٠٧ ، الملحق ١ / ٩٢٢ (فهرس المخطوطات العربية ١ / ٧١).

٣ ـ مناقب الإمام الشافعى، ويوجد منه ثلاث نسخ.

عنوان المخطوطة : مناقب الإمام الشافعى

(أ) الرقم ٣١٩٨.

تعريف بـالمخطوطة : سيرة تدافع عن الإمـام محمد بن إدريس الشـافعى (ت ٢٠٤ هـــ/ ٨١٩ م) ، وهـو مـؤسس المذهب الشافعى فى الفقه.

عدد الأوراق: ١٨٠ ورقة، ٢ و ١٨ × ٧و ١٣ سم

نوع الخط : نسخ معتاد واضح.

الناسخ : أحمد بن إبراهيم بن عمر بن عبد الرحيم بن عمر ابن أحمد بن عمر الشافعى، الحلبى، الطرابلسى.

تـاريخ النسخ: ١٣ ربيع الآخـر ٨٥٦ هـــ (٣ مـايـو ١٤٥٢م).

المصـدر : بـروكلمـان ١/ ٥٠٦ ، الملحق ١ / ٩٢١ (فهرس المخطوطات العربية ١ / ١١٤ ، ١١٥).

(ب) الرقم ٣٤٧٩ .

تعريف بالمخطـوطة: ترجمة سيرة الإمـام الشافعى، انظر رقم ٣١٩٨.

عدد الأوراق: ٩٥ ورقة، ٢ و ٢١ × ١٤ سم.

نوع الخط : نسخ معتاد متصل الحروف نوعا ما

الناسخ: محمـد بن محمد بن محمد بن حمـاد الشافعى العبدرى الحموى.

تاريخ النسخ : المدرسة الحمادية، حماة، محرم ٨٥٠هـ (إبريل ١٤٤٦ م). (فهرس المخطوطات العربية ١ / ٢٧٩).

(جـ) الرقم ٣٧٥٠

تعريف بـالمخطوطة : تـرجمة سيرة الشـافعى، انظر رقم ٣١٩٨٩

عدد الأوراق: ٢٩٠ ورقة، ٦ , ١٨ × ١٢ سم.

نوع الخط : نسخ معتاد جيد.

الناسخ : محمد الديباج بن أبـى منصور هبة الله بن عامر ابن الشجاع بن جيش العثمانى الديباجى المحمدى.

تاريـخ النسخ : المدرسـة الكامليـة، القاهـرة ، ٦٧٩ هـ (١٢٨٠ م) (فهرس المخطوطات العربية ١ / ٤٤٧).

٤ ـ الإعراب :

عنوان المخطوطة : الإعراب

الرقم ٣٣٧٤

تعـريف بـالمخطـوطـة : بحث فى بعض قضـايـا النحـو العربى

عدد الأوراق: ١٤٣ ورقة، ٥ , ٢٦ × ١٨,٨ سم

نوع الخط : نسخ معتاد واضح

الناسخ : يوسف بن على بن يوسف الخطيب

تاريخ النسخ : شعبان ٧٨٠ هـ (ديسبمر ١٣٧٨ م).

ملاحظـة : لم تظهر نسخة أخرى من المخطـوطة (فهرس المخطوطات العربية ١ / ٢٢٢ ، ٢٢٣)

٥ ـ الملخص فى الحكمة.

عنوان المخطوطة : الملخص فى الحكمة

الرقم ٣٥٧٦

تعريف بالمخطوطة : كتاب شامل فى فروع الفلسفة.

عدد الأوراق: ٢٦٦ ورقة ، ٧, ٢٠ × ١, ١٦ سم

نوع الخط : نسخ معتاد واضح

الناسخ : صاعد بن محمود بن إبراهيم النهاوندى

تاريخ النسخ : المـدرسة البدريـة، الموصل، السبت ٥ رمضان ٦٢٩ هـ

(٥ يوليو ١٢٣٢ م).

المصـدر : بـروكلمـان ١ / ٥٠٧ ، الملحق ١ / ٩٢٣ (فهرس المخطوطات العربية ١ / ٣٤٤).

٦ ـ شرح عيون الحكمة.

عنوان المخطوطة : شرح عيون الحكمة.

الرقم ٣٥٩٣

تعـريف بالمخطـوطـة : شرح «عيـون الحكمة» الكتـاب المشهور فى الفلسفة لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٧ م).

عدد الأوراق: ١٨٨ ورقة، ٢٤ × ١٦,٥ سم

نوع الخط : نسخ واضح .

الناسخ: عثمان بن محمد بن عثمان

تاريخ النسخ: الجمعة ٢٣ جمادى الأولى ٦٧١ هـ (١٦ ديسمبر ١٢٧٢ م).

المصدر : بروكلمان ١ / ٤٥٥ ، الملحق ١ / ٨١٧ (فهرس المخطوطات العربية ١ / ٣٥٢، ٣٥٣).

٧ـ المحصول فى الأصول .

عنوان المخطوطة: المحصول فى الأصول .

الرقم ٣٧٨٤ (١ ، ٢).

تعريف بالمخطوطة: كتاب فى بعض المسائل الفقهية

عدد الأوراق : ١٣٢ ، ١٦٩ ورقة ١٩,٧ × ١٣,٣ سم

نوع الخط : نسخ معتاد واضح

تاريخ النسخ: الثلاثاء ٢٢ جمادى الآخرة ٥٩٨ (٢٠ مارس ١٢٠٢ م).

المصدر: بروكلمان ١ / ٥٠٦ ، الملحق ١ / ٩٢١ (فهرس المخطوطات العربية ١ / ٤٦٤، ٤٦٥).

٨ـ الأحكام العلائية فى الأعلام السماوية .

عنوان المخطوطة: الأحكام العلائية فى الأعلام السماوية .

الرقم ٤٥٣٧

تعريف بالمخطوطة: رسالة فى علم التنجيم، يبدو أنها ترجمة للكتاب الفارسى «الاختيارات العلائية».

عدد الأوراق: ٦٢ ورقة، ١٤,٥ × ١٢,٤ سم .

نوع الخط : نسخ معتاد واضح .

الناسخ : عبد الرزاق الصائغ .

تاريخ النسخ: القاهرة ١١ محرم ٨١٤ هـ (٥ مايو ١٤١١م).

المصدر : بروكلمان ١ / ٥٠٨ ، الملحق ١ / ٩٢٤

ملاحظة : اسم المترجم غير ظاهر (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ٨٤٦).

ــ له ترجمة فى : البداية والنهاية ١٣ / ٥٥ ، وتاريخ الحكماء للقفطى / ٢٩٢ وتاريخ ابن الوردى ٢ / ١٢٧ وروضات الجنات / ١٩٠ وشذرات الذهب ٥ / ٢١ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٨ / ٨١. وطبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ورقة ٤٤ أ، وطبقات المفسرين للداودى ٢ / ٢١٣، وطبقات ابن هداية الله / ٢١٦ ، والعبر ٥ / ١٨ ، وعيون الأنبياء ٢ / ٢٣ ، ولسان الميزان ٤ / ٤٢٦، والمختصر لابى الفدا ٣ / ١١٨ ، ومرآة الجنان ٤ / ٧ ومفتاح السعادة ٢ / ١١٦ ، وميزان الاعتدال ٣ / ٣٤٠، والنجوم الزاهرة ٦ / ١٩٧ ، وهدية العارفين ٢ / ١٠٧ ، والوافى بالوفيات ٤ / ٢٤٨، ووفيات الأعيان ٣ / ٣٨١ (طبقات المفسرين / ١٥٥ ، هامش المحقق).

(الأعلام للزركلى ٦ / ٣١٣ ، وطبقات المفسرين للحافظ جلال الدين السيوطى ــ بتحقيق على محمد عمر / ١١٥ وهامش المحقق، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٣٤٥، وشرح أسماء الله الحسنى وهو الكتاب المسمى «لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات» للإمام الأعظم فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى ـ راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٧ـ ١١ ، مقدمة المحقق، والمسائل الخمسون فى أصول الدين للإمام فخر الدين الزازى / ٧ مقدمة المحقق، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ــ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ١٦ ـ ٢٣ ، وفهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستربيتى (دبلن / أيرلندا) ـ أعده الأستاذ آرثر ج آربرى . ترجمه د. محمود شاكر سعيد، راجعه د. إحسان صدقى العمد ١ / ٢٨ ، ٣٣ ، ٥٥ ، ٧١ ، ١١٤، ١١٥ ، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٧٩، ٣٥٢، ٥٣، ٤٤٧ ، ٤٦٤، ٤٦٥ و ٢ / ٥٩٦، ٦٦٠، ٦٦١ ، ٨٤٦، ١١٩٩ . انظر أيضا الذيل على الروضتين لأبى شامة / ٦٨ والموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٧١ ، ١٧٢ ، ومصادر ترجمة الزريكلى له فى هامش (١) وهى كما يلى :

طبقات الأطباء ٢ / ٢٣ والوفيات ١ / ٤٧٤ ومفتاح السعادة ١ / ٤٤٥ ـ ٤٥١ والإعلام لابن قاضى شهبة ـ خ وابن الوردى ٢ / ١٢٧ وآداب اللغة ٣ / ٩٤ ولسان الميزان ٤ / ٤٢٦ ومختصر تاريخ الدول ٤١٨ وفيه: «كان الفخر الرازى يركب وحوله السيوف المحدبة . وله المماليك الكثيرة والمرتبة العالية عند السلاطين الخوارزمشاهية »، والجامع المختصر ٣٠٦ والفهرس التمهيدى / ١٧٠ والبداية والنهاية ١٣ / ٥٥ وطبقات الشافعية ٥ / ٣٣ والطبقات الوسطى ـ خ ومعجم المطبوعات / ٩١٥ والتيمورية ٣

/ ١٠٦ والكتبخانة ٢ / ٢٦٣ وتذكرة النوادر / ٦٨ والوفى ٤ / ٢٤٨ قلت: أوردت فى أسماء كتبه «السر المكتوم» وقد سبق ذكره منسوبا إلى على بن أحمد الحرالى والعلماء مختلفون فى نسبته إلى أيهما كما فى كشف الظنون / ٩٨٩ ويقربه من الفخر الرازى، ما جزم به أحد المتقدين للرد عليه. فى كتاب سماه «انقضاض البازى فى انفضاض الرازى»).

*** الرازى (القطب التحتانى) (٦٩٤-٧٦٦ هـ / ١٢٩٥-١٣٦٥ م):**

محمد (أو محمود) بن محمد الرازى أبو عبد الله، قطب الدين، عالم بالحكمة والمنطق. من أهل الرى. استقر فى دمشق سنة ٧٦٣ وعلت شهرته وعرف بالتحتانى تمييزا له عن شخص آخر يكنى قطب الدين أيضا (كان يسكن معه فى أعلى المدرسة الظاهرية بدمشق) وتوفى بها.

من كتبه «المحاكمات» فى المنطق، و «تحرير القواعد المنطقية فى شرح الشمسية و «لوامع الأسرار فى شرح مطالع الأنوار» فى المنطق، ورسالة فى «الكليات وتحقيقها» و«تحقيق معنى التصور والتصديق» ورسالة فى «النفس الناطقة» وكتاب «المحاكمات بين الإمام والنصير» حكم فيه بين الفخر الرازى والنصير الطوسى، فى شرحيهما لإشارات ابن سينا، و «شرح الحاوى» فى فروع الشافعية، لم يكمله، و« حاشية على الكشاف» مخطوط فى شستربتى (٥٠٦١) ومنها جزء فى قونية، وصل فيها إلى سورة طه (الأعلام ٧ / ٣٨).

قال ابن السبكى: بحثنا معه فى دمشق، فوجدناه إماما فى المنطق والحكمة، عارفا بالتفسير والمعانى والبيان، مشاركا فى النحو، يتوقد ذكاء.

وله «شرح على مطالع الأرموى» فى المنطق - وهذا شرح عظيم الشأن، وله «شرح على الرسالة الشمسية» للكاتبى فى المنطق، كما سبق القول (مفتاح السعادة ١ / ٢٧٥).

وقد ذكره ابن طولون عند الكلام على التربة الخوارزمية بالصالحية بدمشق فقال: ومنها التربة الخوارزمية تحت كهف جبريل وبها مدفون محمد بن محمد العلامة قطب الدين أبو عبد الله الرازى المعروف بالقطب التحتانى أحد أئمة المعقول. اشتغل فى بلاده بالعلوم العقلية وقال الإسنوى فى طبقاته. كان ذا علوم متعددة وتصانيف مشهورة.

وقال ابن كثير: كان أوحد المتكلمين العالمين بالمنطق وعلم الأوائل. قدم دمشق من سنوات، وقد اجتمعت به فوجدته لطيف العبارة عنده ما يقال، وله مال وثروة. وتوفى فى ذى القعدة سنة ست وستين وسبعمائة ودفن بسفح قاسيون (القلائد الجوهرية ١ / ٢٤١).

وقد أورد المعجم الشامل بيان خمسة من كتب الرازى المطبوعة وهى كما يلى:

١ - تحرير القواعد المنطقية فى شرح الرسالة الشمسية:

- تصحيح مولاى يار على البرونوى، كلكتة: المطبعة التعليمية، ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٢م.

٢٤٠ ص، م ٤ ص.

- الدولة العلية، إستانبول: مطبعة عامرة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٢ م، ١٨٠ ص.

- الدولة العلية، استانبول: مطبعة عامرة، ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م، ١٢٨٦ هـ / ١٢٨٨ هـ، ١٣١٨ هـ.

- الهند: المطبع اللكهنؤ، نولكشوربريس، ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م، ٢٢٠ ص.

- القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م.

- القاهرة: مطبعة فرج الله الكردية، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧م.

- تصحيح عبد المطلب محمد هاشم الأصفهانى، الهند: مطبع الأغا ميرزا حسين، ط حجر، كاتبه عبد المطلب محمد هاشم الأصفهانى، ١٣١٤ هـ / ١٨٧٠ ص.

- القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م.

١٧٢ ص، ف ١ ص: المحتوى.

٢ - تحقيق المحصورات:

- الدولة العلية، إستانبول: مطبعة يحيى، ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠، ٧٢ ص.

٣ - تصورات وتصديقات على حاشية السيد شريف على ابن محمد الجرجانى.

- الدولة العلية، إستانبول: مطبعة الحاج محرم أفندى البوسنوى، ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م، ٩٥ ص.

٤ - شرح حاشية على التصديقات:

- الدولة العلية، إستانبول: مطبعة الحاج محرم أفندى

البوسنوى، ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧١ م، ٣٦ ص .

٥ ـ لوامع الأسرار، شرح مطالع الأنوار:

ـ الدولة العلية، إستانبول : مطبعة عامرة ١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٥ م .

ـ الهند: طبع حجر ، ١٢٧٢ هـ/ ١٨٥٦ م ، ٢٣٩ص .

(المعجم الشامل ٣/ ٢٣ ـ ٢٥).

قال الزركلى : اسمه فى أكثر المصادر «محمد بن محمد» وفى الدرر الكامنة ٤ / ٣٣٩ «محمود» ، ويقال: اسمه محمد، وبه جزم ابن كثير وابن رافع وابن حبيب، وبالأول ــ أى محمود ـ جزم الإسنوى» (الأعلام ٧ / ٣٨ هامش ٢) .

(الأعلام للزركلى ٧ / ٣٨ وهامش ٢ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٢٧٥، والقلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية لمحمد بن طولون الصالحى ــ بتحقيق محمد أحمد دهمان ١ / ٢٤١ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٢٣ـ٢٥) .

*** الرازى (قطب الدين):**

انظر : الرازى (القطب التحتانى) .

*** الرازى (محمد بن أحمد ـ ابن الخطاب) (٤٣٤ـ٥٢٥ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الثامنة والعشرين وقال عنه : الشيخ العالم، المعمر الثقة مسند الإسكندرية ومصر، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن أحمد الرازى، . ثم المصرى الشروطى المعدَّل، المعروف بابن الخطاب الذى يقول فيه أبو طاهر السلفى فيما نقلته من خطه : لم يك فى وقته فى الدنيا من يدانيه فى عُلُـو الإسناد.

مولده فى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، واعتنى به والده المحدث أبو العباس، فسمَّعه الكثير فى سنة أربعين، وبعدها سمع أبا الحسن بن حِمَّصة راوى مجلس البطاقة وعلى بن ربيعة، وعلى بن محمد الفارسى.

وعدد شيوخه سبعة وأربعون، خرج له عنهم أبو طاهر السلفى، وخرج له أيضا السداسيات، وروى عنه وهو ويحيى ابن سعدون القرطبى، وأبو محمد العثمانى، وعبد الرحمن ابن موقا، وآخرون.

مات فى سادس جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وخمسمائة، وله إحدى وتسعون سنة (تهذيب سير أعلام النبلاء ٣ / ٥٢٩ ، ٥٣٠).

ذكره الإمام الكتانى فى أصحاب الفوائد الحديثية فقال : والسداسيات لمسند الديار المصرية وأحد عدول الإسكندرية أبى عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازى يعرف بابن الخطاب المتوفى سنة خمس وعشرين وخمسمائة من تخرج أبى الطاهر السلفى (الرسالة المستطرفة / ٧٤) .

أورد المعجم الشامل للرازى كتابا مطبوعا هو مشيخته، وجاء بيانه كما يلى :

ـ مشيخة ابن الخطاب الرازى :

ـ عناية جورج فايدا، صحيفة المعهد الفرنسى، دمشق : المجلد ٢٣، ١٩٧٠ م .

٦٩ ص (٢١ـ٩٩)، م ٤ ص، ف ٢٨ ص : الأعلام، النسب ، الأبناء، الكنى، الكتب (المعجم الشامل ٣/ ٧) .

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط ـ هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٣/ ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٧٤ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٧) .

*** الرازى (محمد بن زكريا، أبو بكر):**

أوردناه تحت عنوان أبو بكر الرازى فى حرف الباء فى م ٧ / ٣٤٥ ـ ٣٥١ فانظره فى موضعه.

*** الرازى (محمد بن عبد الله) (-٣٧٦ هـ):**

أورده الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الواحدة والعشرين وقال عنه : الإمام المحدِّث الواعظ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان الرازى الصوفى والد المحدث أبى مسعود أحمد بن محمد البجلى.

حدث عن يوسف بن الحسين الزاهد، وخير النساج، وأبى العباس بن عطاء، وطائفة. له اعتناء زائد بعبارات القوم، وجمع منها الكثير، ولقى الكبار، وله جلالة وافرة بين الصوفية.

قلت: يروى عنه أبو عبد الرحمن السلمى بلايا، وحكايات منكرة.

وروى عنه أبو عبد الله بن باكويه، وأبو نعيم، وأبو حازم العبدوبى، وآخرون، وما هو بمؤتمن.

مات سنة ست وسبعين وثلاثمائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ٢ / ١٩٩).

*** الرازى (محمد بن عبيد الله):**

أدرجه الإمام ابن الجزرى فى القراء فقال عنه: محمد بن عبيد الله بن الحسن بن سعيد أبو عبد الله الرازى مقرئ متصدر، قرأ على عبد الرحمن بن طلحة وأبى عمر الدورى وإدريس بن عبد الكريم الحداد وإبراهيم بن حميد ومحمد ابن الحسن بن عبد الوهاب البغدادى ومحمد بن عبيد بن إدريس الزسى وعبد الله بن سليمان الأسدى ومحمد بن إسحاق البخارى والحسن بن على بن مالك الأشنانى والحسن بن محمد بن إبراهيم الكوفى.

قرأ عليه أحمد بن عبد الله الكبائى شيخ الأهوازى وعلى ابن إسماعيل بن الحسن الخاشع بالرى.

(غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢ / ١٩٤).

*** الرازى (محمد بن موسى) (- ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م):**

قال عنه الزركلى:

محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكنانى الرازى، مؤرخ من أهل الرى. كان يفد من المشرق على ملوك «بنى مروان» بالأندلس، تاجرا، وكان مفتنًا فى العلوم. توفى فى عودته من الوفادة على الأمير المنذر بن محمد بالبيرة. له كتاب «الرايات» ذكر فيه دخول موسى بن نصير، وكم راية دخلت الأندلس معه من قريش والعرب، فعدها نيفا وعشرين راية، منها رايتان لموسى بن نصير عقد له إحداهما عبد الملك بن مروان على إفريقية وما وراءها، والثانية عقدها له أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك على إفريقية أيضا وما يفتحه وراءها إلى الغرب، وراية ثالثة لابنه عبد العزيز الداخل معه، وسائر الرايات لمن دخل معه من قرى ومن قواد العرب ووجوه العمال، وذكر سائر البيوتات ممن دخل معه من دون راية. وقال: إن موسى بن نصير أجاز بمن معه من العرب من جبل «القردة» وهو الذى عرف بعد ذلك بمرسى موسى، إلى جهة «الخضراء» يرومون التغول فى الأندلس. وحين عزم على الحركة من الخضراء جمع حوله رايات الأعراب ووجوه الكتائب، وتفاوضوا كيف يكون دخولهم، فاتفق رأيهم على المشى إلى إشبيلية، وأن يبدأوا بغزو ما بقى من غربها إلى «اكشبونة» فقيل إن اجتماعهم هذا كان فى الموضع الذى بنى فيه «مسجد الرايات» فى الجزيرة الخضراء. وسمى بذلك لاجتماع الرايات فيه، وبها سمى الرازى كتابه (الأعلام ٧ / ١١٧).

وعن كتاب «الرايات» هذا يقول الدكتور عبد الواحد ذنون طه:

يذكر الكاتب الأندلسى أبو بكر محمد بن عيسى بن مزين (كان حيا سنة ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م) أنه عثر على كتاب فى إحدى مكتبات إشبيلية سنة ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م اسمه (كتاب الرايات) من تأليف محمد بن موسى الرازى. وفى هذا الكتاب معلومات قيمة عن فتح الأندلس من قبل القائد موسى بن نصير، وكيفية دخوله إلى البلاد، وخططه فى فتحها مع القبائل العربية التى رافقته. وفيه تفصيلات عن هذه القبائل، وتجمعاتها، وراياتها التى تحارب تحت ظلها، وإلى هذه الرايات تعود نسبة اسم الكتاب. كما يحتوى على معلومات مهمة عن إجراءات موسى بن نصير فى تقسيم أراضى الأندلس، وتعيين الأخماس، وكيفية معاملة السكان المحليين الذين فضلوا دفع الجزية والبقاء على ديانتهم.

ومن المؤسف أن هذا العمل الجليل يعد الآن من جملة

الكتب المفقودة، ولكن لحسن الحظ، ما نزال نمتلك بعض نصوصه التى نقلها محمد بن مزين، وأعاد اقتباسها عنه الكاتب المغربى محمد بن عبد الوهاب الغسانى فى روايته عن رحلة له إلى إسبانيا سنة ١١٠٣ هـ/ ١٦٩١ م . ويمكن أن نجد قسما من رواية ابن مزين فى كتاب «فتح الأندلس» ، وهو مجهول المؤلف ، نشره دون خواكين دى كونثاليث فى الجزائر سنة ١٨٨٩ م وفى الرسالة الشريفية التى نشرت ملحقا لكتاب ابن القوطية «تاريخ افتتاح الأندلس» من قبل خوليان رايبيرا فى مدريد سنة ١٩٢٦ كما اعتمد على كتاب ابن مزين مؤرخون آخرون، من أمثال محمد بن على بن محمد التوزرى المعروف بابن الشباط (توفى سنة ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م) ولعل العثور على كتاب ابن مزين يتيح اطلاعا أكبر على بقية نصوص «كتاب الرايات»، الذى يشكل موردا مهما من موارد ابن مزين.

ويبدو أن «كتاب الرايات» الذى ذكره ابن مزين، واعتمد عليه هو الأول فى مجال الكتب التى بحثت فى موضوع توزيع القبائل العربية واستقرارها فى الأندلس. ومن المرجح أن عددا من المؤلفين الذين اهتموا بهذا الموضوع فيما بعد، وعلى رأسهم بطبيعة الحال، أحمد الرازى، استعانوا بكتاب الرايات ونقلوا عنه، وإن لم يشيروا إليه فى كتبهم «نشأة تدوين التاريخ العربى/ ٢١، ٢٢.

(الأعلام للزركلى ٧/ ١١٧، ونشأة تدوين التاريخ العربى فى الأندلس ـ د. عبد الواحد ذنون طه/ ٢١، ٢٢).

*** الرازى (محمد بن يعقوب) (-٣٢٩ هـ/ ٩٤١م):**

قال عنه الزركلى ، وقد أدرجه تحت اسم «الكلينى»: محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكلينى، فقيه إمامى، من أهل كُلين (بالرى) كان شيخ الشيعة ببغداد، وتوفى فيها. من كتبه «الكافى فى علم الدين» مطبوع، ثلاثة أجزاء: الأول فى أصول الفقه، والأخيران فى الفروع، صنفه فى عشرين سنة، و «الرد على القرامطة» و «رسائل الأئمة» وكتاب فى «الرجال» (الأعلام ٧/ ١٤٥).

وفيما يلى طبعات كتاب الأصول من الكافى كما أوردها المعجم الشامل:

ـ الأصول من الكافى.

تحقيق على أكبر الغفارى، طهران: مكتبة الصدق، بيروت: دار صعب ودار التعارف.

ـ طهرن: جانجانه حيدرى، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م

ـ ج ١ : ٦١٤ ص، م ٤٥ ص + ٣ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ١٢ ص: المحتوى.

ج٢ : ٦٩١ص، ف ١٥ ص المحتوى.

ج٣ : ٥٨٨ ص، ف ١٩ ص: المراجع، الرموز، المحتوى.

ـ ج٤ : ٦٠٧ ص، ف ١٨ ص: المحتوى.

ـ ج ٥ : ٥٩٣ص، ف ١٩ ص: المحتوى.

ج ٦ : ٥٧٥ ص، ف ٢١ ص: المحتوى.

ج ٧ : ٤٧٩ ص، ف ١٤ ص: المحتوى.

ج ٨ : ٤٥٩ ص، م ١٨ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٣٣ ص: المحتوى.

ـ تصحيح وتحقيق على أكبر الغفارى وسعيد محمد حسان رضون، طهران: المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م، ٨ مجلدات.

ـ بيروت: دار صعب ودار التعارف، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨٠م، بالأوفست (عن السابقة) (المعجم الشامل ٣/ ٢٥).

(الأعلام للزركلى ٧/ ١٤٥، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٢٥).

*** الرازى (يعقوب بن محمد):**

قال عنه الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله:

هو «أبو يوسف يعقوب بن محمد». ومن الغريب أن المصادر الإفرنجية التى بين أيدينا لم تأت على ذكره. وقد يكون مذكورا فى غيرها.

اشتغل بالحساب وله فى ذلك مؤلفات مثل:

«كتاب الجامع فى الحساب».

«كتاب التخت»

«كتاب حساب الخطأين»

«كتاب الثلاثين مسألة الغريبة» .

(تراث العراب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٢٦٤) .

* **الرازيانج:** Anethum Foemiculum

من مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب .

تسمية الصيادلة بمصر العريض، وهو نبات معروف هناك، ذكى الرائحة عطرى، وقد ذكر البعض أنه الأنيسون أو الشمرة (أو شمار)، منه البستانى والبرى والشامى، وبالمغرب يعرف بالبسباس ، ويبدو أنه ضرب من الأنيسون، لكنه ليس هو (مفتاح الراحة / ٣٣٠).

أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر أربعة رمز لها بالحروف التالية .

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» .

ج : ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

ز : الزهراوى .

قال : الرازيانج : «ع» هذا دواء يسخن إسخانا قويا، حتى إنه يكون فى الدرجة الثالثة، وأما تجفيفه ففى الدرجة الأولى، ولذلك صار يولد اللبن، وهو نافع لمن ينزل فى عينيه الماء من هذا الوجه، ويدر البول، ويحدر الطمث، فإذا أكل زاد فى اللبن، وبزره يفعل ذلك أيضا إذا شرب أو طبخ بالشعير ، وطبيخ جُمَّتــه إذا شـرب أدر البول، ووافق وجع الكلى والمثانة، وقد يسقى طبيخها بالشراب لنهش الهوام، وطبيخها يدر الطمث، وإذا شرب بالماء البارد فى الحميات سكن الغثيان والتهاب المعدة، وأصل الرازيانج إذا تُضمد به مدقوقا مخلوطا بالعسل، أبرأ عضة الكلب الكَلِب، وماء الرازيانج إذا جفف فى الشمس وخلط فى الأكحال المحدة للبصر انتفع به، وقد يخرج أيضا ماء الرازيانج وهو طرى من الأغصان مع ورقها، ويستعمل منه على ما وصفنا فينتفع به لحدة البصر، وحبه أشد حرارة من ورقه، وأسرع مذهبا فى الأوجاع من حبه، وأصوله فى العلاج أقوى من بزره، وورقه من شأنه تفتيح سدد الكبد والطحال، وإن خلط ماؤه المجفف مع عسل، واحتكل به أعين الصبيان الذين يشكون الرطوبة فى أعينيهم أبرأهم ، وأكله وشرب ماء بزره يحد البصر، وعصارة ورقه الغض وطبيخ أصله وطبيخ بزره متقاربة المنفعة، وطبيخ البرى أقواها، وكلها نافعة من أوجاع الجنبين والصدر، المتولدة عن سدد أو رياح غليظة ، ويحلل أخلاط الصدر، ويسهل النفث، ويسخن المعدة، ويجلو رطوباتها، ويحدرها فى البول، وينفع من أوجاعها، ومن حرقتها المتولدة عن البلغم الحامض، وهو ضعيف فى إدرار البول والحيض، وورقه دابغ للمعدة، وبزره الجاف مفتح لسدد الكلى والمثانة، ويطرد الريح النافخة، وليس يصدع كسائر البقول .

« ج » يشبه بزر الكرفس فى الكثير من أفعاله، ومنه برى، ومنه بستانى، وأجوده البستانى الطرى والبرى حار يابس فى الدرجة الثالثة، وهو يفتح السدد ويحد البصر، وخصوصا صمغه، وينفع من ابتداء الماء فى العين عند نزوله، والهوام ترعى الرازيانج ليقوى بصرها، والحيات تحك أعينها عليه إذا خرجت من مكامنها بعد الشتاء استضاءة للعين، فسبحان الذى ألهمها هذا وأرشدها إليه، ورطبه يغزر اللبن، ويدر الطمث والبول، والبرى يفتت الحصاة، وهضمه بطىء ، وغذاؤه ردىء .

«ف» معروف. وهو برى وبستانى ، حار فى الثانية، يابس فى الأولى ، أجوده البستانى الطرى ، وهو يفتح سدد الأحشاء، ويغزر اللبن ويدر الطمث ، وعصارته إذا اكتحل بها نفع من الماء النازل فى العين. والشربة منه : درهمان.

«ز» بدله : أسارون (المعتمد ١ / ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٣).

وقال عنه الشيخ داود الأنطاكى :

الرازيانج: هو الأنيسون ويسمى الثمار بالشام ومصر والشمرة بحلب والبسباس بالمغرب وتعرفه الصيادلة بمصر

الآن بالعريض وكأنه احتراز من الأنيسون وهو برى وبستانى والكل معروف عطرى ذكى الرائحة يوجد بمصر فى غالب الأزمنة وعندنا فى الربيع وهو حار فى الثانية يابس فى آخر الأولى أو رطب فيها، ينفع من الخفقان والغشى بلسان الثور مجرب ومن السعال والربو وعسر النفس بالبرشاوشان وبالتين يحلل الرياح الغليظة والقولنج ووجع الجنب والخاصرة ويجفف الرطوبات حيث كانت ويعقل ويدر البول والحيض وينقى الرحم والمثانة والأخلاط اللزجة بلطف والسموم ويحد البصر رطبا ويابسا أكل وكحلا وأهل مصر تستحلبه مع عرق السوس ولب العبدلى من البطيخ ويشرب فيجشى ويحلل الرياح ويصلح المعدة وقد نقل فى التجارب أن استعمال نصف درهم منه مع السكر كل يوم من أول الحمل إلى أول السرطان كل عام أمان من سائر الأمراض ...

وهو يفتت الحصى ويزيل الحميات والفواق والبهر وخبث النفس والصداع البارد ويقطع الأبخرة الرطبة ويطلى به فيحلل الأورام ومحروقه يمنع انتشار القروح وهو يصدع المحرور ويصلحه السكنجبين (التذكرة ١ / ١٦٥).

وقد جاء فى إحدى المخطوطات النباتية أن الرازيانج هو الشمرة أو الشمار، كما سبق القول. وجاء فى القانون لابن سينا : بزره يشبه بزر الكرفس ـ أى البقدونس البرى ـ قريب القوة من قوة البرى، لكنه أضعف وأقوى من البرى الكبير. يفتح السدد، يحد البصر خصوصا صمغه ... يغزر اللبن وخصوصا البستانى ينفع إذا سقى بالماء البارد من الغثيان والتهاب المعدة، وهضمه بطىء، وغذاؤه ردىء جدا، يدر البول والطمث، والبرى خاصة يفتت الحصاة، . وفى البرى والنهرى منفعة الكلية والمثانة . وينفع ـ خصوصا البرى منه ـ من تقطير البول فينقى النفساء . وإذا أكل أصله مع بذره عقل ينفع من الحميات المزمنة فيسقى بالماء البارد ، فينفع من الغثيان فى الحميات ومن التهاب المعدة . ينفع طبي من نهش الهوام، ويُدقّ أصله ويجعل طلاء على عضة الكلْب الكَلِب فينفع (القانون فى الطب / ٢٩٥ ، ٢٩٦).

أما عن إفلاح الرازيانج فالبستانى يزرع سقيا فى تشرين الأول (أكتوبر) وقد يزرع فى آب (أغسطس) ويسقى بعد زراعته، ويتعاهد بالزبل حتى يقوى ويحول، . وهو ينبت لنفسه فى البرارى، والمزورع أنجب (مفتاح الراحة / ١٥٨).

(مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقى العمد / ٣٣٠ ، ١٥٨ ، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ، ١ / ١٨٢ ، ١٨٣ وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٦٥ ، والقانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٢٩٥ ، ٢٩٦ . انظر أيضا الكليات فى الطب لابن رشد، تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان، ود. عمار الطالبى . مراجعة د. أبى شادى الروبى، تصدير د. إبراهيم بيومى مدكور / ٢٨٠).

*** الرازية (المقامة):**

من مقامات الحريرى التى تزخر بالمواعظ والفوائد اللغوية، وننقل بعضا منها مع شرح ما ورد بها من ألفاظ، وهى كما سبق أن أشرنا فى مادة «الحريرى» (انظرها فى م ١٣ / ٥٠٩) تدور حول ما وقع بين الحارث بن همام، ويقصد به الحريرى نفسه، وبين أبى زيد السروجى، الشيخ الذى لقيه بالبصرة . والرازية هى المقامة الحادية والعشرون : (حدث الحارث بن همام قال) عُنيت مذ أحكمت تدبيرى وعرفت قبيلى من دبيرى(١) بأن أصغى إلى العظات وأُلغى الكلم المُحفظات لأتحلى بمحاسن الأخلاق وأتخلى مما يسم بالأخلاق (٢)وما زلت آخذ نفسى بهذا الأدب، وأُخمد به جمرة الغضب، حتى صار التطبع فيه طباعا، والتكلف هوى مطاعا، فلما حللت بالرى (٣) وقد حللت حِبى الغىّ (٤) ، وعرفت الحىّ من اللَّىّ (٥) رأيت بها ذات بُكرة(٦) زُمرة فى إثر زُمرة (٧) وهم منتشرون انتشار الجراد، ومستنون (٨) استنان الجياد (٩) ومتواصفون (١٠) واعظا يقصدونه ، ويحلون ابن سمعون دونه (١١) فلم يَتَكَاءَدْنى (١٢) لاستماع المواعظ . واختبار الواعظ، أن أقاسى اللاغط (١٣) واحتمل الضاغط (١٤) فأصحبت إصحاب المِطْوَاعة (١٥) وانخرطت فى سلك الجماعة (١٦) حتى أفضينا إلى نادٍ جمع الأمير والمأمور (١٧) وحشد النبيه والمغمور، وفى

وسط هـالته (١٨) ووسط أهلَّتـه (١٩) شيخٌ قد تقوَّس (٢٠) واقْعَنْسَسَ (٢١) وتقلنس وَتَطَلَّس (٢٢) وهـو يصدع (٢٣) بوعـظ يشفي الصدور ، ويُلين الصخور، فسمعته يقـول وقد افتتنت بـه العقول : ابن آدم مـا أغراك بمـا يغرك وأضـراك بما يضـرك، والهجك بمـا يُطغيك (٢٤) وأبهجك بمن يُطـريك (٢٥) تُعنى بما يعنِّيك(٢٦) وتُهمل مـا يعنيك وتنزع في قوس تعديك ،وتـرتدي الحرص الـذي يرديك ، لا بـالكفاف تقتنع (٢٧) ولا من الحــرام تمتنـع ، ولا للعظــات تستمع، ولا بالـوعيد تـرتدع، دأبك (٢٨) أن تتقلب مع الأهـواء ، وتخبط خبط العشـواء (٢٩) وهمك أن تـدأب في الاحتـراث(٣٠) ، وتجمع التـراث للوراث، يُعجبك التكـاثر بما لـديك (٣٢) ولاتذكر مابين يديك، وتسعى أبدا لغاريك ،ولا تبالي ألك أم عليك ، أتظن أن ستُتْـرَكَ سُـدًى، وأن لا تحـاسب غـدا، أم تحسب أن الموت يقبل الرُّشا، أو يميز بين الأسد والرشا (٣٣) كـلا والله لن يـدفع المنون مـال ولا بنـون (٣٤) ولا ينفع أهل القبـور سـوى العمل المبـرور ، فطـوبى لمن سمع ووعى، وحقق مــا ادعى (٣٥) ونهى النفس عن الهــوى، وعلم أن الفائز من ارعـوى (٣٦) وأن ليس للإنسـان إلا ما سعى، وأن سعيـه سـوف يـرى ، ثم أنشــد إنشـاد وجل ، بصـوت زجل (٣٧).

لَعَمْــــرُكَ مـــا تُغني المغــــاني ولا الغنى
إذا سكن المثـرى الثـرى وثَـوا بـــه (٣٨)
فجـد في مــراضي الله بــالمــال راضيــا
بمـــا تقتني مـن أجــــره وثـــوابــــه
وبـــادر بـــه صـرف الـــزمـــان فإنـــه
بمخلبـــه الأشغى يغـــول ونـــابـــه (٣٩)
ولا تأمـن الـــدهـــر الخـــؤن ومكـــره
فكم خـــامل أخنى عليـــه ونـــابـــه (٤٠).
وعـاص هـــوى النفس الـــذى مـــا أطـــاعـــه
أخـــو ضللــة إلا هـــوى من عقـابـــه (٤١)
وحـــافظ على تقـــوى الإلـــه وخـــوفـــه
لتنجـــو ممــــا يتقى من عقـــابـــه
ولا تلــــه عن تـــذكـــار ذنبك وابكــــه
بـدمـع يضـاهي المـزن حـال مصـابـه (٤٢).
ومثـل لعينيك الحمـــــام ووقعــــــه
وروعـــة ملقـــاه ومطعـم صـــابـــه (٤٣)
وإن قصــــاري منـــزل الحي حفـــرة
سينـــزلهـــا مستنـــزلا عن قبـــابـــه (٤٤)
فـــواهًـــا لعبــد ســاءه ســوء فعلـــه
وأبـــدى التــلافي قبل إغـــلاق بـــابــــه

قال فظل القوم بين عبـرة يذرونها (٤٦) وتوبـة يظهرونها، حتى كادت الشمس تـزول (٤٧) والفريضة تعـول (٤٨) فلما خشعت الأصـوات (٤٩) والتـأم الإنصـات(٥٠) واستكنت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر وجعل يجأر إليه من عامله الجائر، والأمير صاغ إلى خصمه ، لاه عن كشف ظلمه ، فلمـا يئس من روحه استنهض الـواعظ لنصحه فنهض نهضة الشمير (٥١) وأنشد معرضا بالأمير ... إلخ .

ونكتفي بهذا القـدر من المقامة الرازية ، وفيمـا يلي شرح بعض ما جاء بها من ألفاظ وعبارات .

(١) عرفت قبيلي من دبيري : كناية عن معـرفة ما يضر وما ينفع .

(٢) مما يسم بالأخلاق : أي ما يؤثر.

(٣) الري : بلد من بلاد الديلم (انظرها في حرف الدال في م ١٨ / ١٣٧ ـ ١٤١ ، والنسبة إليها «الرازي ».

(٤) حل الحبوة : كناية عن ترك ما كان عليه من الضلال .

(٥) عرفت الحي من الليّ : أي عرفت الحق من الباطل . وقيل الحي الكلام الظاهر، والليّ الكلام الخفي، وقيل عرفت الحية من الحبْل والمراد به أنه عرف حقائق الأمور.

(٦) ذات بُكرة : أي بكرة يوم .

(٧) الزمرة : الجماعة .

(٨) الاستنان : العَدْو إقبالا وإدبارا من نشاط وزعل، وقيل القمـاص، وهو أن يـرفع الفـرس يديـه ويطـرحهما معـا من النشاط ، والمراد : يجرون.

(٩) جرى الجياد وهى الخيل.

(١٠) متواصفون : وصف كل منهم للآخر.

(١١) ويحلون ابن سمعون دونه : يحلون : ينزلون، وابن سمعون هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل الواعظ كان رجلا بليغا فى حسن إلقاء المواعظ.

(١٢) يتكاءدنى يشق ويصعب على

(١٣) اللاغط الكثير الصياح والكلام ، واللغط أصوات مبهمة لاتفهم.

(١٤) الضاغط : المزاحم.

(١٥) أصحبت إصحاب المطواعة : انقدت انقياد الناقة الذلول.

(١٦) انخـــــرطت : دخلت وانتظمت . فى سلك الجماعة : أصل السلك الخيط ، لكن المراد أنى توجهت معهم وانتظمت معهم كما ينتظم اللؤلؤ وغيره فى السلك.

(١٧) أفضينا : أى وصلنا . ناد : مجلس.

(١٨) هالته : أصل الهالة الدائرة تكون حول القمر فاستعير لحلقة القوم.

(١٩) وسط أهِلَّتــه : وسط بسكون السين بمعنى «بين» وأهلة : جمع هلال، والمراد الناس المضيئة وجوههم كالأهلة.

(٢٠) تعوس أحدودب وانحنى من الكبر.

(٢١) اقْعَنْسَسَ : أفرط وهو خروج صدره ودخول ظهره.

(٢٢) تقلنس : لبس القلنســـــوة، وتطلَّس : لبس الطيلسان، وهو لباس النساك.

(٢٣) يصدع : يتكلم جهارا

(٢٤) اللهج : الولوع وشدة الحرص

(٢٥) يُطريك : يبلغ فى مدحك

(٢٦) يُعنِّيك : بتشديد النون يُتعبك ويشق عليك.

(٢٧) الكفاف : مقدار الكفاية من القوت.

(٢٨) دأبك : عادتك.

(٢٩) تخبط خبط العشواء. العشواء : الناقة التى لا تبصر ليلا لأنها تسير على غير استقامة واهتداء، وهو مثل يضرب لمن يدخل فى الأمر على غير بصيرة.

(٣٠)تدأب فى الاحتراث : أى تتعب فى الاكتساب.

(٣١) التراث : هو ما يورث عن الميت.

(٣٢) يعجبك التكاثر بما لديك : أى الافتخار بما عندك.

(٣٣) الرُّشا بالضم جمع رشوة وهى ما يؤخذ برطيلا، وبالفتح هو ولد الظبى إذا تحرك ومشى.

(٣٤) المنون : الموت : يريد أن الموت لا يرد بمال ولا أولاد.

(٣٥) وحقق ما ادعى : تيقن ما ادعاه من الإيمان.

(٣٦) ارعوى : كف عن جهالته.

(٣٧) وجل : خائف، بصوت زجل : أى ذى زجل وهو المرتفع المطرب.

(٣٨) المغانى : جمع المغنى وهو المنزل، والمثرى هو كثير المال، والثرى هو التراب كناية عن الدفن بعد الموت، وثوى بمعنى أقام وكتب بالألف دون الياء فى البيت ليشاكل قافية البيت الثانى التى هى« ثوابه» الثواب مقابل العقاب.

(٣٩) الأشغى بالغين المعجمة أى الزائدة الشاغية وهى الزائدة على الأسنان، وقيل المعوج، ويغول : يهلك . ونابه بكسر الباء معطوف على مخلبه، والناب للسبع، يقال خلبه بنابه ومخلبه مزقه وهذا من باب الاستعارة.

(٤٠) الخؤون : كثير الخيانة، والخامل هو الذى لا شهرة ولا ظهور له، وأخنى عليه أى أهلكه وأفسده، والنابه ضد الخامل وهو الشهير بعلو القدر.

(٤١) أخو ضلَّة أى صاحب ضلال، وهوى : سقط. والعقاب هنا جمع العقبة وهو الموضع المرتفع، وفى البيت الذي يليه عقاب ضد الثواب.

(٤٢) المُزن : هو السحاب الممطر، والمصاب بالفتح مصدر كالصوب وهو نول المطر.

(٤٣) الحمام بالكسر هو الموت، ووقعه : أى هجومه،

وروعة ملقاه: أى فزع لقائه، والصاب شجر مر أو هو الحنظل أى مرارة طعم الموت.

(٤٤) قصارى الأمر غايته، أى غاية سكنى المرء أى مآله إلى حفرة وهى القبر. ومستنزلا بفتح الزاى حال من فاعل سينزلها أى منحطا، والقباب: جمع قبة بناء معلوم والمراد ما يشيده من البناء

(٤٥) واهًا كلمة تقال للتعجب بمعنى ما أحسن فعله، وأبدى التلافى قبل إغلاق بابه: أى أظهر تدارك ما فاته من حسن الصنيع قبل انقضاء أجله.

(٤٦) العبرة، العبرات: هى الدموع، ويذرونها: أى يسكبونها ويفرقونها.

(٤٧) الشمس تزول: أى تميل عن وسط السماء.

(٤٨) والفريضة تعول: أى تزيد أجزاؤها على جملتها

(٤٩) خشعت الأصوات: أى هدأت وسكنت.

(٥٠) التأم الإنصات: أى اتفق الاستماع.

(٥١) الشمر: هو الماضى فى الأمور.

* الرآس:

قال السمعانى:

الرآس: بفتح الراء المهملة وتشديد الألف وفى آخرها السين المهملة، هذه النسبة إلى بيع الرؤوس المشوية ويقال بالواو الرواس، والمشهور بها سفيان بن زياد الرآس من أهل البصرة، كتب عن حماد بن زيد وعامة أهل البصرة وكان ثقة من الحفاظ، عاجله الموت فلم ينتفع به، مات قبل المائتين بدهر، . وكان صديقا لقتيبة بن سعيد.

وأبو سالم العلاء بن مسلمة الرواس من أهل بغداد، يروى عن العراقيين المقلوبات وعن الثقات الموضوعات، لا يحل الاحتجاج به بحال، يروى عن هاشم بن القاسم أبى النضر وإسماعيل بن مغراء الكرمانى، ، قال أبو حاتم بن حبان: روى عنه أحمد بن يحيى بن زهير التسترى. وأبو حاتم عبد الرحمن بن على بن يحيى بن محمد بن الرواس النشوى بالشين المعجمة، يروى عن يحيد بن محمد بن يحيد الشرقى، روى عنه خداداذ بن عاصم شيخ أبى نصر بن ماكولا، قال أبو عبد الله الحميدى قال لى القاضى أبو طاهر إبراهيم بن أبى بكر أحمد بن محمد السلماسى إنه سمع من هذا الشيخ أبى حاتم عبد الرحمن بن على بنشوى وسمعته يقول فى نسبة رواس بضم الراء وتخفيف الواو، وأنه أنكر تشديد الواو.

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣/ ٢٥، ٢٦).

* الرأس:

ذكره القزوينى فى عجائبه فى القسم الثانى من الأعضاء المركبة فقال عن ذلك القسم: هو على نوعين ظاهرة وباطنة: أما الظاهر فأنواع: الأول الرأس. ولما كان الرأس محل السمع والبصر، وهما محتجان إلى مكان عال لأن محل الديدبان لا يصلح إلا عاليا ليطلع على الأخبار من البعد ويخبر بها اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الرأس فى أعلى موضع من البدن وخُلق مستديرا لأن الشكل المستدير أكثر مساحة من غيره من الأشكال. وقد احتيج إلى زيادة المساحة لكثرة ما تضمنها، والشكل الكروى أحسن الأشكال ولا ينفعل من المصادمات انفعال ذى الزوايا، وخلق مستديرا إلى الطول لأن منابت الأعصاب الدماغية موضوعة فى الطول، وخلق الجمجمة صلبة حاوية للدماغ لتمنع الآفات عنه كالبيضة التى يتوقى بها الرأس، وخلقت مركبة من عظام ليبقى بعضها سليما إذا أصاب البعض آفة (عجائب المخلوقات / ٢١١).

كما ذكره ابن رشد فى كلياته فقال: والرأس شكله الطبيعى شكل مستدير، فيه تفرطح قليل من الجانبين جميعا، كما لو أنك توهمت رأس كرة شمع قد غمزت على جانبيها وله فى داخله تجاويف يفضى بعضها إلى بعض، تسمى بطون الدماغ، اثنان منها فى مقدم الدماغ، وواحد فى وسطه، وآخر فى مؤخره، وعند اتصالات هذه البطون بعضها ببعض أجسام مشكلة بشكل موافق، تسدها، فى بعض الأحايين، وتفتحها فى أخرى.

وللدماغ زائدتان تنبتان من بطنيه المقدمين شبيهتان بحلمتي الثدى تبلغان إلى العظم الشبيه بالمصفى، وهو عظم مثقب ثقبا كثيرة، على غير استواء، بل مشاشى، وموضعه من القحف حيث ينتهى إليه أقصى الأنف.

وللدماغ غشاءان: أحدهما صلب غليظ، والآخر رقيق والرقيق ملاصق الدماغ، وهى المسمى: أم الرأس ويخالطه فى مواضع. والغليظ ملازق للقحف، وملازق للدماغ فى أمكنة منه. وهذا الغشاء الصلب مثقب ثقبا كثيرة فى موضعين: أحدهما عند الثقب الذى فى أقصى الأنف المسمى المصفى، والآخر عند العظم الذى فى الحنك، وهذا العظم أيضا مثقب، وتحت الدماغ تحت الغشاء الغليظ الشبكة العجيبة التى تتكون من الشرايين الصاعدة إلى الرأس.

وأما النخاع فإن الفقار محتو عليه احتواء قحف الرأس على الدماغ، ويحيط به غشاءان منشؤهما من غشائى الدماغ، ومنه يخرج العصب الذى يتصل به (الكيات فى الطب / ٣٤، ٣٥).

وقال التهانوى فى كشافه: الرأس فى اللغة بمعنى سر وقد يطلق ويراد به ما فوق الرقبة ويطلق ويراد به القحف والجدران الأربعة والقاعدة وما فى داخلها من المخ والحجب والجرم الشبكى والعروق والشرايين وما على القحف والجدران من السمحاق واللحم والجلد كذا فى بحر الجواهر. وعند أهل البيئة يطلق على نقطة مقابلة للذنب وقد يطلق ويراد به ذات الإنسان وقد يضاف إلى ذوات القوائم الأربع فيقال رأس الشاة ورأس الغنم ورأس ويراد به ذاتها وهذا يستعمل كثيرا فى الفارسى ورأس المثلث هو الزاوية التى بين الساقين ورأس المال عند الفقهاء هو الثمن فى السلم وأيضا يطلق على أصل المال فى عقد المضاربة وفى عقد الشركة (كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٥٥٩).

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢١١ والكليات فى الطب لابن رشد ـ تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان ود. عمار الطالبى / ٣٤، ٣٥، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٥٩).

*** رأس الخيمة:**

إحدى إمارات دولة الإمارات العربية المتحدة (انظرها فى حرف الدال فى م ١٨ / ٨٤، ٨٥) وتقع إلى الشمال من أم القيوين قرب مضيق هرمز، ومساحتها ١,٦٨٣ كم٢، وعدد سكانها ٧٥ ألف نسمة، عاصمتها رأس الخيمة، وهى غنية بالزراعة وصيد الأسماك واللؤلؤ.

وهى: مدينة ساحلية، تطل على الخليج العربى، وتشتهر بتجارتها وبمينائها البحرى الذى يصدر منه النفط، وهى مركز إمارة رأس الخيمة، التى تشكل منها الإمارات العربية المتحدة السبع، فيها سوق تجارية رائجة، ومصانع متعددة أهمها صناعة الإسمنت.

(موسوعة المدن العربية والإسلامية ـ د. يحيى شامى (١٦ / ١٧، ٢٠).

*** رأس العين:**

من مدن سوريا، وهى تابعة لمحافظة الحسكة (من كتاب معجم البلدان / ٧) وقد زارها ابن جبير فى رحلته وقال عنها: مدينة رأس العين حرسها الله تعالى:

هذا الاسم من أصدق الصفات وموضع هذه أشرف الموضوعات وذلك أن الله تعالى فجر أرضها عيونا وأجراها ماء معينا فتقسمت مذانب وانسابت جداول تنبسط فى مروج خضر فكأنها سبائك اللجين ممدودة فى بساط الزبرجد تحف بها أشجار وبساتين قد انتظمت حافيتها إلى آخر انتهائها من عمارة بطحائها وأعظم هذه العيون عينان إحداهما فوق الأخرى فالعليا منهما نابعة فوق الأرض فى صم الحجارة كأنها فى جوف غار كبير متسع يبسط الماء فيه حتى يصير كالصهريج العظيم ثم يخرج ويسيل نهرا كبيرا كأكبر ما يكون من الأنهار وينتهى إلى العين الأخرى ويلتقى بمائها وهذه العين الثانية عجيب من عجائب مخلوقات الله عز وجل وذلك أنها نابعة تحت الأرض من الحجر الصلد بنحو أربع قامات أو أزيد ويتسع منبعها حتى يصير صهريجًا في ذلك العمق ويعلو بقوة نبعه حتى يسيل على وجه الأرض فربما يروم السابح القوى السباحة الشديد الغوص في أعماق المياه أن يصل بغوصه إلى قعره فيمجه الماء بقوة انبعاثا من منبعه فلا يتناهى في غوصه إلى مقدار نصف مسافة العمق أو أقل شيئا

شاهدنا ذلك عيانا وماؤها أصفى من الزلال وأعذب من السلسبيل يشف عما حواه فلو طرح الدينار فيه في الليلة الظلماء لما أخفاه ويصاد فيها سمك جليل من أطيب ما يكون من السمك وينقسم ماء هذه العين نهرين أحدهما آخذ يمينا والآخر يسارًا فالأيمن يشق خانقة (انظر مادة « الخوانق » في م ١٦ / ٤٥٢ ـ ٤٦٢). مبنية للصوفية والغرباء بإزاء العين وهي تسمى الرباط أيضًا والأيسر ينسرب على جانب الخانقة وتفضى منه جداول إلى مطاهرها ومرافقها المعدة للحاجة البشرية ثم يلتقيان أسفلها مع نهر العين الأخرى العليا وقد بنيت على شط نهرهما المجتمع بيوت أرحى تتصل على شط موضوع ومحط النهر كأنه سدّ ومن مجتمع هاتين العينين منشأ نهر الخابور وبمقربة من هذه الخانقة بحيث تناظرها (مدرسة) بإزائها حمام وكلاهما قد وهى وأخلق وتعطل وما أرى كان في موضوعات الدنيا مثل موضوع هذه المدرسة لأنها في جزيرة خضراء والنهر يستدير بها من ثلاثة جوانب والمدخل إليها من جانب واحد وأمامها وورائها [ووراءها] بستان وبإزائها دولاب يلقى الماء إلى بساتين مرتفعة عن مصب النهر وشأن هذا الموضع كله عجيب جدا فغاية حسن القرى بشرقي الأندلس أن يكون لها مثل هذا الموضع جمالا أو تتحلى بمثل هذه العيون ولله القدرة في جميع مخلوقاته وأما المدينة فللبداوة بها اعتناء وللحضارة عنها استغناء لا سور يحصنها ولا دور أنيقة البناء تحسنها قد ضحيت في صحراؤها [صحرائها] كأنها عوذة لبطحاؤها [لبطحائها] وهي مع ذلك كاملة مرافق المدن ولها جامعان حديث وقديم فالقديم بموضع هذه العيون وتتفجر أمامه عين معينة بدون اللتين ذكرناهما وهو من بنيان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لكنه قد أثر القدم فيه حتى آذن بتداعيه الجامع الآخر داخل البلد وفيه يجمع أهله فكان مقامنا بها ذلك اليوم نزهة لم نختلس في سفرنا كله مثلها فلما كان عند المغيب من يوم السبت الخامس لربيع المذكور هو السادس عشر ليونيه رحلنا منها رغبة في الآساد وبرد الليل وتفاديا من حر هجيرة التأويب لأن منها إلى حران مسيرة يومين لا عمارة فيها (رحلة ابن جبير / ١٨٧، ١٨٨).

وقد ذكرها ياقوت الحموى تحت عنوان «رأس عين» وقال عنها:

ويقال رأس العين، والعامة تقوله هكذا، ووجدتهم قاطبة يمنعون من القول به، وقد جاء فى شعر لهم قديم قاله بعض العرب فى يوم كان برأس العين بين تميم وبكر بن وائل، قتل فيه فارس بكر بن وائل معاوية بن فراس، قتله أبو كابة جزء بن سعد، فقال شاعرهم:

هم قتلوا عميد بنى فراس
برأس العين فى الحجج الخوالى

روى ذلك أبو أحمد، وقال الأسود بن يعفر:

فإن يك يومى قد دنا وإخاله
لوارده يوما إلى ظل منهل
فقبلى مات الخالدان كلاهما
عميد بنى جحوان وابن المضلّل
وعمرو بن مسعود وقيسُ بن خالد
وفارس رأس العين سلمى بن جندل
وأسبابُه أهلكن عادا وأنزلت
عزيزا يغنى فوق غرفة موكل

وهى مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر (انظرها فى حرف الدال فى م ١٨ / ٥٩٨، ٥٩٩)، وبينها وبين نصيبين خمس عشر فرسخا. وقريب من ذلك بينها وبين حران (انظرها فى م ١٣ / ٣٤٥ / ٣٤٩) وهى إلى دنيسر أقرب، بينهما نحو عشرة فراسخ، وفى رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصير نهر الخابور، وأشهر هذه العيون أربع: عين الآس وعين الصرار وعين الرياحية وعين الهاشمية، وفيها عين يقال لها خسفة سلامة، فيها سمك كبار ينظره الناظر كأن بينه وبينه شبرا ويكون بينه وبينه مقدار عشر قامات، وعين الصرار: هى التى نثر فيها المتوكل عشرة آلاف درهم ونزل أهل المدينة فأخذوها لصفاء الماء ولم يفقد منها شىء، فإنه يبين مع عمقها ما فى قعرها للناظر من فوقها، وعمقها نحو عشرة أذرع، وربما أخذ منها الشىء اللطيف لصفائها، كذا قال

أحمد بن الطيب، لكنى اجتزت أنا برأس عين ولم أر هذه الصفة. وتجتمع هذه العيون فتسقى بساتين المدينة وتدير رحيها ثم تصب فى الخابور، وقال أحمد بن الطيب أيضا: وفيها عين مما يلى حران تسمى الزاهرية، كان المتوكل نزلها وبنى بها بناء، وكانت الزواريق الصغار تدخل إلى عين الزاهرية وإلى عين الهاشمية، وكان الناس يركبون فيها إلى بساتينهم وإلى قرقيسياء إن شاؤوا. قلت أنا: أما الآن فليس هناك سفينة ولا يعرفها أهل رأس عين ولا أدرى ما سبب ذلك، فإن الماء كثير وهو يحمل سفينة صغيرة كما ذكروا، ولعل الهمم قصرت فعدم ذلك. قال: وبالقرب من عين الزاهرية عين كبريت يظهر ماؤها أخضر ليس له رائحة فيجرى فى نهر صغير وتدور به ناعورة يجتمع مع عين الزاهرية فى موضع واحد فيصبان جميعا من موضع واحد فى نهر الخابور. والمشهور فى النسبة إليها الرسعنى، وقد نسب إليها الراسى، فممن اشتهر بذلك أبو الفضل جعفر بن محمد بن المفضل الراسى، يروى عن ابن نعيم. روى عنه أبو يعلى الموصلى وغيره، وهو مستقيم الحديث، وقال أبو القاسم الحافظ: جعفر بن محمد بن الفضل أبو الفضل الرسعنى، سمع بدمشق أبا الجماهير محمد بن عثمان التنوخى وسليم ابن عبد الرحمن الحمصى ومحمد بن حميد وعلى بن عياش وأبا المغيرة الحمصيين وإسحاق بن إبراهيم الحنينى ومحمد ابن كثير المصيصى وسعيد بن أبى مريم المصرى ومحمد بن سليمان بن أبى داود الحرانى وعبد الله بن يوسف التنيسى وجماعة سواهم، روى عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل وأبو بكر الباغندى وزكرياء بن يحيى السجزى وأبو جعفر أحمد بن إسحاق البهلول وأبو الطيب محمد بن أحمد بن حمدان بن عيسى الوراق الرسعنى ومحمد بن العباس بن أيوب الأصبهانى الحافظ وغيرهم، قال على بن الحسن بن علان الحرانى الحافظ: هو ثقة، قال الباشارى: لَبِّس القول.

(معجم البلدان ٣/ ١٣، ١٤ ومن كتاب معجم البلدان س ٣ ق ٢/ ٧ـ١٠).

(رحلة ابن جبير لأبى الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى ط عبد الحميد أحمد حنفى/ ١٨٧، ١٨٨ ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٣/ ١٣، ١٤، ومن كتاب معجم البلدان اختار النصوص وقدم لها عبد الإله نبهان. السفر الثالث، القسم الثانى/ ٧ـ١٠).

***رأس كيفا:**

قال ياقوت:

رأس كيفا: من ديار مضر بالجزيرة قرب حران، كان عبرته على السلطان ثلاثمائة ألف درهم وخمسين ألف درهم، فتحها عياض بن غنم على مثل صلح الرُّها بعد أن غلب على أرضها فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان هشام بن عبد الملك قد قطع ابنته قطيعة برأس كيفا تعرف بها قبضت أيام بنى العباس.

(معجم البلدان ٣/ ١٤، ١٥).

*** راس المال فى نظر الإسلام:**

عن رأس المال فى نظر الإسلام يقول الأستاذ الدكتور رءوف شلبى:

رأس المال فى نظر الإسلام ليس هو النقود وحدها ولكن رأس المال ثلاثة عناصر:

١ ـ الأرض وما فيها.

٢ ـ الإنسان وما له من قدرات.

٣ ـ النقود وهى حاصل العمل ويمكن استثمارها فى اتجاهات أخرى.

ويلاحظ أن عمل البنوك فى المال إسلاميا لا يقوم على ادخارها فقط لأن كنز المال حرام بل هو يربحها عن طريق التجارة أو المشاريع الاقتصادية الأخرى.

١ ـ أما فيما يتعلق بالأرض كجزء من رأس المال فالقرآن الكريم يقرر:

﴿الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون* وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الجاثية: ١٢، ١٣].

وإذا كانت هذه الآيات مكية فمعنى هذا أن القرآن منذ فجر الدعوة وهو يوجه المسلم إلى حقيقة أساسية هى: أن الوجود كله سخره الله للمسلم ليطوعه لوجه الله الكريم.

ويقول الله تعالى : ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ [الملك : ١٥].

﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا﴾ [البقرة : ٢٩].

﴿وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكّرون * وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ [النحل : ١٣ ، ١٤].

٢ ـ أما فيما يتعلق بالقوى العاملة :

فقد جعل الإسلام الذكاء والقدرات الخاصة من نعم الله على الإنسان ليستخدمها فى كل ما ينفع وفى كل ما هو خير :

يقول الله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾[النحل : ٧٨]

ويقول النبى ـ ﷺ ـ : «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير».

«المؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ».

ـ وأما فيما يتعلق بالنقود فقد نظم الإسلام عملية التبادل ففى القرآن الكريم : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف : ٤٦]

﴿ كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ [الحشر : ٧]

وإن صح أن يشمل هذا كل ما له قيمة مالية.

غير أننا نستخدمه هنا لأنه هو الأثر الظاهر فى العصر الحديث لمعنى الثراء والمال.

وبهذا فإن الأمة الإسلامية بما وضعها الله فيها من أرض لها إمكانات كثيرة هى أنفس ما تعتز به الدولة الحديثة من البترول والمطاط والخشب والذهب والفضة والحديد والفحم والقصدير والثروة المائية ... إلخ وبما تملكه من أعداد هائلة من البشر ليس لها عذر فى تأخرها عن التقدم الاقتصادى، وما عليها إلا أن تأخذ بسبيل الاسلام فيما هيأ لها الله من الثروات فتعمل بما أتاها من عند الله.

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق ٢ ، ٣]

وظيفة المال :

ولقد حدد القرآن الكريم وظيفة المال يقول الله تعالى :

﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ... ﴾ [النساء : ٥]

فالمال هو وسيلة العيش وهو أصل تقوم عليه الحركة المعيشية وبهذه الوظيفة حرص الإسلام على المال حتى تضمن الأمة الإسلامية عيشًا مستقرًا لها.

وجعل الله فى هذا المال حقوقا.

﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ [النور : ٣٣]

﴿والذين فى أموالهم حق معلوم* للسائل والمحروم﴾ [المعارج : ٢٤ ، ٢٥] وحفاظًا على المودة والأخوة الإسلامية فقد أكد الإسلام على المسلم فى إخراجه للصدقة أن يراعى مسألتين :

الأولى : النوع الذى يخرج منه الصدقة فقال :

﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ [البقرة : ٢٦٧].

الثانية : طريقة إخراج الصدقة فقال :

﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ [البقرة : ٢٧١].

وقد جعل الإسلام للفقراء والمساكين والأيتام حقًا فى المال يقول الله تعالى :

﴿وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب﴾ [البقرة : ١٧٧].

ويقول النبى ـ ﷺ ـ : «أفضل دينار ينفقه الرجل : دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على راتبه فى سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله» (مسلم).

وعند مسلم عن جابر قال : أعتق رجل من بنى عذرة عبدًا له عن دبر فبلغ ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : «ألك مال غيره؟

فقال : لا، فقال : من يشتريه منى»؟

فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوى بثمانمائة درهم فجاء رسول الله ﷺ فدفعها إليه.

ثم قال: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شىء فلأهلك فإن فضل من أهلك شىء فلذى قرابتك فإن فضل عن ذى قرابتك شىء فهكذا وهكذا».

فوظيفة المال إذًا هى: إشاعة الرخاء فى المجتمع الإسلامى عامة.

وبهذا العرض الموجز يتضح أن الاقتصاد الإسلامى يقوم على دعائم منبثقة عن العقيدة بالله سبحانه وأول هذه الدعائم:

١ ــ أن المال أساس للحياة الإنسانية وأن العمل حق واجب يأثم كل مسلم لا يقوم بواجبه على قدر ما منحه الله من الذكاء والقوة.

٢ ـ إن الحركة الاقتصادية حركة تجميع مستقر له سيادة على جميع الأفراد والبلاد.

٣ ــ وأن الثروة الطبيعية هى جزء أساسى من رأس المال الذى يجب على المسلمين أن يطوروه حسب مقتضيات الزمن والبيئة.

٤ ــ وأن وظيفة المال وقيمته لإشباع حاجات الإنسان الضرورية وإشاعة الخير والرخاء فى المجتمع الإسلامى.

وملخص هذه الأسس كما يلى:

يقوم الاقتصاد الإسلامى على عدة دعائم:

١ ـ الجهد الإنسانى.

٢ ـ السيادة والاستقرار للدولة والمجتمع.

٣ ـ الثروة الطبيعية التى تملكها الأمة الإسلامية.

٤ ــ إسهام المال فى إشاعة الرخاء لجميع طبقات المجتمع الإسلامى.

(الاقتصاد فى الإسلام ـ أ. د. رءوف شلبى. هدية مجلة الأزهر. شعبان ١٤٠٩ هـ/ ٢٨ـ٣٣).

*** الراسبى:**

قال السمعانى:

الراسبى: بكسر السين والباء الموحدة منسوب إلى بنى راسب، وهى قبيلة نزلت البصرة، واتفق أن رجلا اختلف فيه بنو راسب وبنو ظفارة وبالبصرة كل واحد من القبيلتين كانت تقول: هو منا، فقال واحد: نشده ونرميه فى الماء فإن طفا هو من بنى طفاوة، وإن رسب هو من بنى راسب، فتركوه.

(جاء فى هامش (١) للمحقق هذا التعليق:

الذى فى ذهنى أن الحيين بعد الاختلاف فى الرجل اتفقا على تحكيم أول من يطلع عليهم فطلع هبنقة المضروب به المثل فى الحمق فأخبروه فقال ارموه فى دجلة فإن طفا فطفاوى وإن رسب فراسبى، وكانت غداة باردة، فأطلق الرجل ساقيه للريح. هذا معنى الحكاية أو نحوه، وفى اللباب، «هو راسب بن ميدغان بن مالك بن نصر بن الأزد بطن من الأزد منهم عبد الله بن وهب الراسبى رئيس الخوارج يوم النهروان، وفيه قتل. ا هـ)

ومنها أبو شعبة نوح الراسبى، ويروى عن يونس بن عمرو ابن الحسن، روى عنه زيد بن حباب.

وأبو بكر الأزهر بن القاسم الراسبى، من أهل البصرة، سكن بمكه يروى عن المثنى بن سعيد وهشام بن أبى عبد الله الدستوائى، روى عنه أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم.

وأبو بشر جابر بن صبح الراسبى، من أهل البصرة، روى عنه يوسف بن يزيد البراء ويحيى القطان.

ومن التابعين أبو الوازع جابر بن عمرو الراسبى، بصرى، يروى عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه روى عنه شداد بن سعيد وأبان بن صمعة. وعبد الله بن خالد بن سلمة المخزومى القرشى، كان ينزل البصرة فى بنى راسب وليس منهم فقيل له: الراسبى، لسكناه محلتهم، يروى عن أبيه، روى عنه محمد ابن عقبة منكر الحديث يجب التنكب عن روايته إلا فيما وافق الأثبات والاعتبار بروايته فيما لم يخالف الثقات.

وأبو هلال محمد بن سليم الراسبى السامى من أهل البصرة مولى سامة بن لؤى ولم يكن من بنى راسب إنما كان نازلاً فيهم فنسب إليهم، واستشهد به البخارى فى الجامع الصحيح ــ قاله أبو على الغسانى، ويروى أبو هلال عن قتادة وطبقته.

وفى اللباب «وفى جرم أيضًا راسب، وهو راسب بن

الخزاج بن جدة بن جرم بن ربان، إليه جهم بن صفوان رأس الجهمية؛ ربان بفتح الراء والباء الموحدة المشددة وآخره نون، وجُدّه بضم الجيم وتشديد الدال).

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣/ ٢٥، وق، وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

*** الراسبى (عبد الله):**

أدرجه الإمام أبو عبد الرحمن السُّلمى فى الطبقة الخامسة من طبقات الصوفية، وقال عنه: ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الراسبى من أهل بغداد، من جلة مشايخهم. صحب أبا العباس بن عطاء والجريرى.

رحل إلى الشام، ثم رجع إلى بغداد، ومات بها سنة سبع وستين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

- القلب إذا امتحن بالتقوى نزع عنه حب الدنيا، وحب الشهوات، وأوقف على المغيبات.

- أعظم حجاب بينك وبين الحق اشتغالك بتدبير نفسك، واعتمادك على عاجز مثلك فى أسبابك.

- لا يكون الصوفى صوفيا حتى لا تقله أرض، ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق، ويكون مرجعه فى كل أحواله إلى الحق عز وجل.

- الهموم عقوبات الذنوب.

- المحبة إذا ظهرت افتضح فيها الحب، وإذا كتمت قتلت المحب كمدًا.

وأنشد على أثر ذلك:

ولقد أفارقه بإظهار الهوى
ليستر سره إعلانه
ولربما كتم الهوى إظهاره
ولربما فضح الهوى كتمانه
عىُّ المحب لدى الحبيب بلاغة
ولربما قتل البليغ لسانه
كم قد رأينا قاهرًا سلطانه
للناس، ذل لحبه سلطانه

- خلق الله الأنبياء للمجالسة، والعارفين للمواصلة، والصالحين للملازمة، والمؤمنين للعبادة والمجاهدة.

وقال فى قوله عز وجل: **﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة﴾** [الأنفال: ٦٧] قال: جمع بين إرادتين. فمن أراد الدنيا دعاه الله إلى الآخرة، ومن أراد الآخرة دعاه إلى قربه. قال الله عز وجل: **﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾** [الإسراء: ١٩]. والسعى المشكور هو البلوغ إلى منتهى الآمال من القرب والدنو.

البلاء أو الحيرة هو صحبتك مع من لا يوافقك ولا تستطيع تركه.

(طبقات الصوفية لأبى الرحمن السُّلمى - يسره ورتبه أحمد الشرباصى - ١٢٦، ١٢٧. انظر أيضا الطبقات الكبرى للإمام الشعرانى ١/ ١٠٧، ١٠٨، وتأريخ متصوفة بغداد - جميل إبراهيم حبيب/ ٩١، ٩٢).

***الراسن:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر أربعة رمز لها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

ز: الزهراوى.

قال:

راسن - «ع» ويسمى الجناح، وأنفع ما فى هذا النبات أصله، وهو أصل عظيم طيب الرائحة، فيه حرافة، ياقوتى اللون، ويكون فى مواضع جبلية فيها شجر رطب. وأصله يقلع فى الصيف ويجفف، وليس هذا الأصل يسخن ساعة يلقى البدن لكن بعد، فيقال إنه ليس بحار يابس صادق الحرارة واليبس، كالفلفل الأسود والأبيض، ولكنه فيه مع ذلك رطوبة فصل، ولذلك يخلط فى اللَّعوقات النافعة لنفث الأخلاط الغليظة اللزجة من الصدر والرئة، ويؤثر فيها أثرا

حسنا، وإذا شرب طبيخه أدر البول والطمث، وإذا عُمل منه لعوق مع العسل وافق السعال وعسر النفس، الذى يحتاج معه إلى الانتصاب، وشدخ العضل والنفخ، ونهش الهوام لحرارته، وورقه إذا طبخ بالشراب وافق عرق النَّسا ضمادا، وهو حار يابس فى وسط الثالثة، أو فى أولها، وفيه رطوبة مائية، ضار للمحرورين، وخاصيته تقوية المثانة، والنفع من تقطيع البول العارض من البرد، وفيه إذهاب للحزن والغيظ، ويقوى فم المعدة، ويحلل الفضول التى فى العروق، بالبول والطمث، وينفع من جميع الأورام والأوجاع الباردة، والرياح والنفخ، وفيه جلاء بالغ، ويفتح سدد الكبد والطحال، ويسخن البدن، ويكسر الريح، ويجشئ ويهضم الطعام، وإن تدخنت به المرأة أنزل الحيض، ويقطع الأخلاط والبلغم ... وينفع من اختلاج المفاصل الحادث عن الرطوبات، وأصول المصرى منه ينفع من نهش الهوام.

«ج» منه بستانى، ومنه برى، ومنه نوع ورقه منفرش على الأرض كالنمَّام، وأنفعه أصله، وأجوده الأخضر الغض. وهو حار يابس فى الدرجة الثانية، وقيل فى الثالثة، ينفع من الأورام الباردة، وعرق النَّسا، ووجع المفاصل، إذا طبخ بدهن وطلى به، ويعين على النفث لعوقا، ويفرح القلب ويقويه، ويدر الحيض والبول، وينفع من نهش الهوام، وخصوصا المصرى، وقدر ما يؤخذ منه درهمان.

«ف» راسن: يقال إنه زنجبيل شامى، برى وبستانى، أجوده أصله الطرى، وشرابه، وهو حار يابس فى الثالثة، ينفع من عرق النسا، ووجع المفاصل، ويقوى القلب، ... والشربة منه: ثلاثة دراهم.

«ز» بدله: أصل السوسن (المعتمد ١/ ١٨٠، ١٨١).

كما أورده داود الأنطاكى وقال عنه:

الراسن: يسمى حزنبل ويقال له الجناح الرومى والشامى، وبعضهم يسميه قسطا لشبه بينهما وهو أصل خشبى بين ياقوتية وخضرة تتفرع عنه أغصان ذات أوراق عريضة ومنه ما أوراقه كالعدس وله زهر إلى الزرقة وحب كأنه القرطم لولا فرطحة فيه وطعمه بين حرافة وحدة عطرى يدرك ببابة وبثونة وتبقى قوته نحو سنتين وهو حار يابس فى الثانية أو فى الثالثة من أكبر أدوية المعدة ... وينفع الكبد والطحال واسترخاء المثانة والبول فى الفراش وأوجاع المفاصل والظهر وحبس الطمس وأمراض الصدر كالربو والرأس كالشقيقة شربا ويحلل الأورام وضارب العظم طلاء وينفع من النهوش مطلقا . . . وإذا بخرت به الأسنان قواها وأسقط الدود وإن تدلكت به النساء كانت غمرة عظيمة ومع العسل يحلل سائر الآثار ويربى فيكون غاية ويخلل فيهضم ويهيج الجوع وهو يصدِّع ويصلحه الخل والمصطكى والربوب الحامضة وشربته إلى مثقالين وبدله مثله قسط أبيض أو مثله شقاق وقيل سعد. (التذكرة ١/ ١٦٤).

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١٨٠، ١٨١، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٦٤. انظر أيضا الكليات فى الطب لابن رشد ـ تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان، ود. عمار الطالبى. مراجعة د. أبى شادى الروبى، تصدير د. إبراهيم بيومى مذكور/ ٢٦٩).

*** الراسى:**

قال السمعانى:

الراسى: بالراء المهملة وتليين الألف والسين المهملة بعدها، هذه النسبة إلى رأس العين، وهى بلدة من ديار بكر، والنسبة المشهورة إليها الرسغ، والمشهور بالراسى أبو الفضل جعفر بن محمد بن الفضل الراسى، وقال أبو حاتم بن حبان: هو من أهل رأس العين، يروى عن أبى نعيم الكوفى، روى عنه أبو يعلى أحمد بن على الموصلى وأهل الجزيرة، وهو مستقيم الحديث.

(الأنساب للسمعانى ٣/ ٢٦).

*** ابن راشد (ـ٧٣٦ هـ /ـ١٣٣٦م):**

قال عنه ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى:

وفى سنة ست وثلاثين وسبعمائة توفى الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن راشد البكرى القفصى بتونس. أخذ عن شهاب الدين القرافى وغيره فى العشرة الثامنة من المائة السابعة «شرحه لمختصر ابن الحاجب» فى الفقه ومنها «الفائق فى الأحكام والوثائق» فى سبعة أسفار (فى الأعلام:

ثمانية أجزاء) وغير ذلك ا هـ . (شرحه مختصر ابن الحاجب يعرف باسم «الشهاب الثاقب فى شرح مختصر ابن الحاجب»، أما عن «الفائق» فقد قيل إنه فى ثمانية أجزاء) .

وابن راشد هو محمد بن عبد الله بن راشد، البكرى نسبًا، القفصى بلدًا، ونزيل تونس، أبو عبد الله، المعروف بابن راشد: من أكابر فقهاء المالكية، قاض، ولد بقفصة، وتعلم بها وبتونس، ثم رحل إلى المشرق فسمع بالإسكندرية من ناصر الدين بن الأبيارى تلميذ أبى عمرو بن الحاجب، وناصر الدين بن المنير وغيرهما، وبالقاهرة من الشهاب القرافى وقاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد وغيرهما، وحج سنة ٦٨٠ هـ، ثم عاد إلى قفصة وولى قضاءها مدة، وعزل .

توفى بتونس . من كتبه «لباب اللباب» فى فروع المالكية، و«المرتبة السنية فى علم العربية » (كتاب الوفيات / ٣٤٦، ٣٤٧)

و« المذهب فى ضبط قواعد المذهب» ستة أجزاء، ليس للمالكية مثله (الأعلام ٦/ ٢٢٤) وجاء فى هامش (١) عن مصادر الزركلى لهذه المادة ما يلى : شجرة النور / ٢٠٧، والديباج / ٣٣٤ وهامشه نيل الابتهاج ٢٣٥ ، وليس لكتابه «لباب اللباب» ذكر فى هذه المصادر الثلاثة، وإنما هو فى فهرس المؤلفين / ٢٥١ ,٢٤٨ وإيضاح المكنون ٢/ ٣٩٩ (الأعلام ٦/ ٢٢٤) .

وقد جاء فى المعجم الشامل أن كتاب «لباب اللباب» طبع فى تونس ، المطبعة التونسية ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧ م (المعجم الشامل ٣/ ٢٦) .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٣٤٦، ٣٤٧، والأعلام للزركلى ٦/ ٢٢٤ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٢٦) .

*** ابن أبى راشد (ـ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦م):**

راشد بن الوليد أبى راشد، فقيه مالكى من أهل فاس . له كتاب «الحلال والحرام» و «حاشية على المدونة» فقه (الأعلام للزركلى ٣/ ١٢) .

*** أبو راشد:**

أبو راشد . عبد الرحمن بن راشد الأزدى، له سماع من النبى ﷺ، كان اسمه فى الجاهلية عبد العزى أبو معاوية، فقال له رسول الله ﷺ: «أنت عبد الرحمن أبو راشد» .

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤/ ١٦٥٦) .

*** الراشد بالله (٥٠٢ ـ ٥٣٢هـ):**

ذكره الإمام الشمس الذهبى فى الطبقة الثامنة والعشرين وقال عنه :

أمير المؤمنين، أبو جعفر منصور بن المسترشد بالله الفضل بن أحمد العباسى أمه أم ولد . ولد سنة اثنتين وخمسمائة فى رمضان . خطب له بولاية العهد سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، واستخلف بعد قتل أبيه فى ذى القعدة سنة تسع وعشرين . وكان حسن السيرة ، مؤثرا للعدل . فصيحًا، عذب العبارة، أديبًا شاعرًا . جوادًا، لم تطل أيامه حتى خرج إلى الموصل، ثم لى أذربيجان، وعاد إلى أصبهان، فأقام على بابها مع السلطان داود، محاصرًا لها، فقتلته الملاحدة هناك، وكان بعد خروجه من بغداد مجيء السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه، فاجتمع بالأعيان، وخلعوا الراشد، وبايعوا عمه المقتفى .

قال ابن ناصر: بقى الأمر للراشد سنة، ثم دخل مسعود وفى صحبته أصحاب المسترشد الوزير على بن طراد، وصاحب المخزن ابن طلحة، وكاتب الإنشاء ابن الأنبارى، وخرج الراشد مع غلمان داره طالبا الموصل صحبة زنكى، فأحضر القضاء والشهود والعلماء عند الوزير أبى القاسم على، وكتبوا محضرًا فيه شهادة العدول بما جرى من الراشد من الظلم، وأخذ الأموال، وسفك الدماء، وشرب الخمر، واستفتى الفقهاء، فيمن فعل ذلك، هل تصح إمامته؟ وهل إذا ثبت فسقه بذلك يجوز لسلطان الوقت أن يخلعه ويستبدل خيرا منه؟ فأفتوا بجواز خلعه، والاستبدال به .

(تهذيب سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٢٧) .

وحكم بخلعه أبو طاهر بن الكرخى قاضى البلد: وبايعوا عمه محمد بن المستظهر، ولقِّب المقتفى لأمر الله، وذلك فى سادس عشر من ذى القعدة سنة ثلاثين .

وبلغ الراشد الخلع، فخرج من الموصل إلى بلاد أذربيجان، وكان معه جماعة فقسَّوا على مراغة مالاً وعاثوا

هناك، ومضوا إلى همدان، وأفسدوا بها . . .

ومرض الراشد بظاهر أصبهان مرضا شديدًا، فدخل عليه جماعة من العجم كانوا فراشين معه، فقتلوه بالسكاكين، ثم قُتلوا كلهم، وذلك فى سادس عشر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وجاء الخبر إلى بغداد، فقعدوا للعزاء يوما واحدًا.

قال العماد الكاتب: كان للراشد الحُسْنُ اليوسفى، والكرم الحاتمى. قال ابن الجوزى: وقد ذكر الصولى أن الناس يقولون: إن كل سادس يقوم للناس، يُخلع، وتأملت هذا فرأيته عجبا.

ولم تؤخذ البردة والقضيب من الراشد حتى قتل، فأحضرا بعد قتله إلى المقتفى (تاريخ الخلفاء/ ٤٣٦، ٤٣٧).

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢/ ٥٢٧، وتاريخ الخلفاء للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد — ٤٣٦، ٣٤٧).

*** راشد بن سعد (ـ ١١٣ أو ١٠٨ هـ):**

أدرجه الإمام الشمس الذهبى فى الطبقة الثانية للتابعين وقال عنه: راشد بن سعد الحبرانى، ويقال المقرائى، الفقيه، ومحدِّث حمص. يروى عن سعد بن أبى وقاص، ومعاوية بن أبى سفيان، وثوبان، وعُتبه بن عبد السُّلمى، وأبى أمامة، وأنس وطائفة. حدث عنه ثور بن يزيد، ومعاوية بن صالح، وأهل حمص.

وثقه غير واحد منهم: ابن معين، وأبو حاتم، وابن سعد. توفى سنة ثلاث عشرة ومائة، وقيل: مات سنة ثمان ومائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ١/ ١٦٠).

*** راشد بن عمرو الجديدى العبدى:**

من رجال السند الذين ترجم لهم القاضى أبو المعالى أطهر المباركبورى، فقال عنه مشيرا إلى نفسه بعبارة «قال القاضى»:

راشد بن عمرو الجديدى العبدى الأزدى التابعى، أمير السند وفاتحها أيام معاوية بن أبى سفيان، وكان قبل ذلك من ولاة عثمان بن عفان رضى الله عنهم، قال الخليفة فى طبقاته: ومن جديد بن أسد بن عائذ بن مالك بن عمر بن مالك بن فهم بن غنم بن دويس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن مالك بن نصر بن الأزد بن يغوث: راشد بن عمرو، قتل بالسند سنة خمسين.

(قال القاضى): ولعله راشد بن عمرو بن قيس الأزدى، وأقطع عمر رضى الله عنه عمرو بن قيس الأزدى مكانا بالعراق، يقال له: لولعة عمرو، قاله ابن حجر فى الإصابة، وقال خليفة فى تاريخه: يقال: افتتح هرمرز راشد بن عمرو، وكان فتحها أيام عثمان سنة ثلاثين، وقال ابن سعد فى الطبقات: سار عبد الله بن عامر إلى خراسان، واستخلف أبا الأسود الدؤلى على البصرة على صلاتها واستخلف على الخراج راشدا الجديدى من الأزد.

(قال القاضى) وكان ذلك أيام عثمان. وقال اليعقوبى: ثم لما فتح عبد الله بن عامر كور خراسان فى سنة ثلاثين، صير خراسان أرباعا، وولى قيس بن الهيثم السلمى على ربع، وراشد بن عمرو الجديدى على ربع، وعمران بن الفصيل البرجمى على ربع، وعمرو بن مالك الخزاعى على ربع.

وأما ولايته فى السند وفتوحاته بها ففى أيام معاوية بن أبى سفيان بعد شهادة الحارث بن مرة العبدى وعامة من كان معه فى سنة اثنتين وأربعين فى القيقان، ففى هذه السنة سار راشد ابن عمرو العبدى الجديدى من الأزد، فأتى مكران ثم غزا القيقان فظفر، فشن الغارات، ووغل فى بلاد السند، ثم الميد، فقتل وقام بأمر الناس سنان بن سلمة، فولاه زياد الثغر، فأقام به سنتين، قال الأعشى فى مكران:

وأنت تسير إلى مكران
فقد شحط الورد والمصدر

ولم يك حاجتى بمكران
ولا الغزو فيها ولا المتجر

وحدثت عنها ولم آتها
فما زلت من ذكرها أخبر

بأن الكثيـــــر بهـــــا جـــــائع
وأن القليـل بهـــــا معــــــمور

كذا قال البلاذرى والذهبى وابن العماد.

وقال اليعقـوبى: ولى راشد بن عمرو الجـديدى الأزدى، فغزا القيقان، فظفر وغنم، وغزا بعض بلاد السند، وفتح بلاد الهند ـ وكانت الهند يومئذ أهـون شوكة من السـند ـ فقتل راشد ببلاد السند، وكذا ذكر خليفة فى تاريخه ولايته على السند فى سنة اثنتين وأربعين، ولكن ذكر شهادته فيها فى سنة خمسين.

(رجال السند والهنـد إلى القرن السابع ـ جمعة وألفـه وحققه القاضى أبو المعالى أطهر المباركبورى/ ٤٠١، ٤٠٢).

***راشدة (جامع.) (٣٩٥هـ):**

بسط الكلام عليه المقريزى فى خططه فقال: هذا الجامع عرف بجـامع راشدة لأنـه فى خطـة راشدة. قال القضـاعى: خطة راشدة بن أدوب بن جديلة من لخم هى متاخمة للخطة التى قبلها إلى الدير المعروف، كـان بأبى تكموس ثم هدم هو والجامع الكبير الذى براشـدة. وقد دثرت هذه الخطة، ومنها المقبـرة المعروفـة بمقبرة راشـد والجنـان التى كـانت تعـرف بكهمس بن معـر، ثم عـرفت بـالماردانى، وهى اليـوم تعـرف بالأمير تميم.

وقال المسبحى فى حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة: وابتدئ بناء جامع راشـدة فى سابع عشر ربيع الآخر... فبنى بالطوب ثم هدم وزيد فيه وبنى بالحجر وأقيمت به الجمعة.

وقال فى سنة خمس وتسعين وثلثمـائة: وفيه ـ يعنى شهر رمضان ـ فُـرش جامع راشدة وتكامل فرشه وتعليق قنـاديله وما يحتـاج إليـه، وركب الحـاكـم بأمـر الله عشيـة يـوم الجمعـة الخامس عشـر منه وأشرف عليه وقال فى سنـة ثمان وتسعين وثلثمائة وفيه ـ يعنى شهر رمضـان صلى الحاكم بجامعه الذى أنشأه براشدة صلاة الجمعة، وخطب، وفى شهر رمضان سنة أربعمائة أنـزل بقناديل وتنور من فضـة زنتها ألوف كثيـرة (انظر مادة «التنور» فى م١٠/ ٥٣٥، ٥٣٦ والصورة المصـاحبة) فعلقت بجامع راشدة.

وفى سنـة إحدى وأربعمـائة هدم وابتـدئ فى عمارتـه من صفر، وفى شهـر رمضان سنة ثلاث وأربعمـائة صلى الحاكم فى جامع راشـدة صلاة الجمعـة، وعليه عمامـة بغير جـوهر وسيف محلى بفضة بيضـاء دقيقة، والناس يمشون بركـابه من غيـر أن يمنع أحد منـه، وكـان يأخـذ قصصهم ويقف وقوفًا طويلا لكل منهم.

واتفق يوم الجمعـة حادى عشر جمادى الآخـرة سنة أربع عشرة وأربعمائة أن خطب فيه خطبتان معا على المنبر، وذلك أن أبا طالب على بن عبد السميع العبـاسى استقر فى خطابته بإذن قاضى القضاة أبى العباس أحمد بن محمد بن العوام بعد سفر العفيف البخـارى إلى الشام فتـوصل ابن عصفورة إلى أن خرج له أمر أمير المـؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله أبى الحسن على بن الحـاكم بأمـر الله أن يخطب فصعـدا جميعـا المنبـر ووقف أحدهمـا دون الآخر وخطبا معًا ثم بعد ذلـك استقر أبو طالب خطيبًا وأن يكون ابن عصفورة يخلفه.

وقـال ابن المتـوج: هـذا الجـامع فيمـا بيـن ديـر الطين والفسطاط وهـو مشهور الآن بجامع راشـدة كان جامعًـا قديم البناء بجوار هـذا الجامع عُمِّر فى زمن الفتح، عمـرته راشدة، وهى قبيلـة من القبـائل كقبيلـة تجيب ومهـرة نـزلت فى هـذا المكان وعمروا فيه جامعًا كبيرًا أدركت أنا بعضه ومحرابه وكان فيه نخل كثير من نخل المقل. ومن جملـة ما رأيت فيه نخلة من المقل عددت لهـا سبعة رءوس مقرعة فذاك الجـامع هو المعروف بجـامع راشدة. وأما هـذا الموجـود الآن فمن عمارة الحاكم ولم يكـن فى بناء الجوامع أحسن مـن بنائه ... إلخ (خطط المقريزى٢/ ٢٨٢)

قال على مبارك: وقـد زال هذا الجامع بالمـرة ولم يبق له أثر (الخطط التوفيقية ٤/ ٢٣٧).

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية لتقى الـدين المقريـزى٢/ ٢٨٢، والخطط التوفيقـية الجديـدة لعلى باشـا مبـارك ٤/ ٢٣٧. انظر أيضـا أخبار مصـر فى سنتين لمحمد بن عبيـد الله المسبحى ـ تحقيق وليم ج ميلورد— ٢٩ وهامش ١).

***الراشدى:**

قال السمعانى:

الراشدى: بفتح الراء وكسر الشين المعجمة بعد الألف وفى آخرها الدال المهملة، هذه النسبة إلى الراشدية، وهى قرية من نواحى بغداد ـ فيما أظن، منها أبو جعفر محمد بن جعفر ابن عبد الله بن جابر بن يوسف الراشدى من أهل بغداد، كان شيخا ثقة، سمع عبد الأعلى بن حماد النرسى وأبا نشيط محمد بن هارون الحربى، وحدث عن أبى بكر الأثرم بكتاب العلل لأحمد بن حنبل، روى عنه أبو بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعى وأحمد بن نصر بن عبد الله الذارع، قال أبو الحسين بن المنادى: محمد بن جعفر الراشدى كان يقدم إلى مدينتنا من الراشدية، مات فى المحرم سنة إحدى وثلاثمائة، وقال غيره: مات سلخ ذى القعدة.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣/ ٢٦)

*** راشيكات الهند:**

من مخطوطات العلوم فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وجاء بيانه كما يلى:

مقالة من تأليف أبى الريحان محمد بن محمد البيرونى المتوفى سنة ٤٤٠ هـ. (بروكلمان ١/ ٤٧٥ وسوتر رقم ٢١٨).

أولها: النسبة فيما بين المقادير المتجانسة هى صورة من صور الإضافات يحصل لها من جهة الكمية، فيعرف بها أحدهما من الآخر إن كان غير معلوم . . . إلخ.

وآخرها . . . وأظن أنى أتيت على ما تضمنه المقال واستوفيته، والله أحمد على ذلك وإياه أستعين وأستوفق.

نسخة بخط واضح معتاد تمت كتابة سنة ٦٣١ بالموصل فى ٦ ورقات ومسطرتها ٣١ سطرا		١٤×٢٠ سم

[خدابخشن بتنة ٢٥١٩ ـ ف ٣١٣٧]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٣ الرياضيات ـ وضع فؤاد سيد/ ٤٥).

انظر مادة «البيرونى» فى م ٨/ ١٣٨ ـ ١٥٥.

*** الراصد (٩٣٢ ـ ٩٩٣هـ/ ١٥٢٥ ـ ١٥٨٥م):**

قال عنه الزركلى وقد أدرجه تحت اسم «ابن معروف»: محمد بن معروف الأسدى الرصاد (أو الراصد) تقى الدين، فلكى، عالم بالحساب. من القضاة. ولد بدمشق، وولى القضاء بنابلس، وتوفى باستامبول. له كتب منها «الدر النظيم فى تسهيل التقويم» مخطوط ذكر فيه أنه استخرج زيجًا مختصرًا من زيج «ألوغ بك» (انظره تحت عنوان «أولغ بك» فى م ٦/ ٢٤٨ ـ ٢٥٤) وجعله مدخلاً فى استخراج التقويم، و«ريحانة الروح فى رسم الساعات على مستوى السطوح» مخطوط و «المصابيح المزهرة» مخطوط و «سدرة منتهى الأفكار فى ملكوت الفلك الدوار» مخطوط و «بغية الطلاب من علم الحساب» مخطوط (الأعلام ٧/ ١٠٥).

وقد أدرج المعجم الشامل كتابا للراصد بعنوان «الطرق السنية فى الآلات الروحانية»: ـ تحقيق أحمد يوسف الحسن، حلب، معهد التراث العلمى العربى ١٩٧٦ م (المعجم الشامل ٣/ ٢٦).

(الأعلام للزركلى ٧/ ١٠٥، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٢٦).

*** الراضى بن عباد:**

يزيد بن محمد بن عباد، الراضى بن المعتمد بن عباد؛ كان قد ولاه أبوه المعتمد الجزيرة الخضراء ومعقل رندة إلى أن غلبه الملثمون على الجزيرة ثم حصروه برندة فلم يقدروا عليها لحصانتها، إلى أن حصل أبوه فى أسرهم، فحملوه على أن خاطبه بالنزول إليهم اتباعًا لرضاه، فنزل برأى أبيه وأخذ منهم عهدًا وموثقًا، فلما نزل إليهم ذبحوه.

وكان ناظمًا ناثرًا، كتب إليه ابن عمار لما كان فى حبس أبيه يسأله الشفاعة عند أبيه فأجاب: «ألان الله لك قلبا صيره غليظا عليك وعطف عليك من غالبت فيه قوة الله وحوله بقوتك وحولك، فجاذبته رداء ملكه، وجهدت جهدك فى نثر سلكه؛ تعلم أن سيدى ومولاى المعتمد ـ أيد الله سلطانه ـ إذا أصرم فى شىء فلا يعارض:

** ومن يسد طريق العارض الهطل**

وطلبت منى الشفاعة إليه فيك، وأنا عنده دون أن أشفع، وذنبك عنده فوق أن يشفع فيه، وبعد: فمن به الذى أوجب الله على أن لا أوالى له عدوًا، ولا أعادى له وليا:

ولا تبغ من فرع زكى مخالفًا

لأصل فإن الأصل يتبعه الفرع

أغض جفـــونى عنك مـــا غض جفنــه
وإن كنت أطـــويهـا فينشــرهـا الـــدمع
وأمنع صـــــدرى أن يلـم بفكـــــرة
وفيـــه لمـــا تشكـــوه من ألـم لـــذع

ومع هذا: فإنى أبلغ النفس عذرها فى استلطافه لك:

ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

ومن شعره:

قال يخاطب أباه وقد نوه بغيره من إخوته:

حنـــانـك إن يكـن جـــرمـى قبيحًـــا
فـإن الصفـح عـن جــــرمـى جميـل
وإن عثـــرت بنـــا قـــدم سفـــاهـــا
فـإنــى مــن عثـــــارى مستقيـل
ألسـت بفـــرعـك الـــزاكى ومـــاذا
يـــرجـى الفـــرع خـــانتـــه الأصـــول

ووصل أبوه إلى لورقـة لمحاربة العدو، وجهـز إليه عسكرًا وأمـر ابنه الـراضى أن يتقدم عليـه، فاعتـذر وأظهر المـرض، فتقدم عليـه المعتمد بنفسه ولاقى العدو فكـانت الدائرة على المعتمد، فحجب عنه وجه رضاه، وكتب إليه بشعر منه:

الملـك فـى طى الـــــدفـــاتـــــر
فتخـل عـن قـــود العســـاكــــر
طـف بـــالســـريـــر مسلمـــا
وارجـع لتـــوديع المنـــابــــر
وازحــف إلــى جيـش المعـــــا
رف تقهـــر الحبـــر المنـــاظـــر
واضــــــرب بسكيـن الـــــدوا
ة مكـــان مـــاضـى الحـــد بـــاتـــر
واقعــــــد فـإنـك طـــــاعـم
كـــاس وقـل هـل من مفـــاخـــر

فأجابه الراضى بشعر منه:

مـــولاى قـــد أصبحت كـــافـــر
بجميـع مـــا تحـــوى الـــدفـــاتـــر
وفللـت سكيـن الـــــــدوا
ة وظللـت لـــلأقـــلام كـــاســـر
وعلمـت أن الملـك مـــــــا
بيـن الأسنــــة والبــــواتــــر
هبنى أســأت كمـــــا ذكـــــر
ت أمـــا لهــــذا العتب آخـــر
هـــب زلتـــى لبنـــــــوتـــى
واغفـــــر فـإن الله غـــــافـــــر

فقربه وصفح عنه.

(فوات الوفيات والذيل عليهـا لمحمد بن شاكـر الكتبى - تحقيق د. إحسان عباس ٤/ ٣٢٥-٣٢٧).

*** الراضى بالله (٢٩٧-٣٢٩ هـ/ ٩١٠-٩٤٠ م):**

الراضى بالله أبـو العباس محمد (كـذا، واسمه عنـد ابن الأثير (٨/ ٩٧)، وعند ابن كثير أحمد بن المقتدر، ووقع عند المسعودى (٤/ ٣٢٢) مثل مـا هنـا محمـد بن المقتـدر) ابن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل.

قـالت المؤلفة: واسمـه فى الأعـلام ٦/ ٧١ «محمـد بن المقتدر بالله» اهـ.

ولد سنـة سبع وتسعين ومائتين، وأمه أم ولد روميـة اسمها ظلوم، بويع له يوم خلع القاهـر، فأمر ابن مقلة أن يكتب كتابا فيه مثالب القاهر ويقرأ على الناس.

وفى هـذا العام — أى عـام اثنين وعشـرين وثلثمائة — من خلافته مـات مرداويج مقدم الديلم بأصبهـان، وكان قد عظم أمره، وتحـدثوا أنـه يريـد قصد بغـداد، وأنه مسالـم لصاحب المجـوس، وكـان يقول: أنـا أرد دولـة العجم: وأمحق دولـة العرب.

وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة تمكن الراضى بالله وقلد ابنيه أبا الفضل وأبا جعفر المشرق والمغرب.

وفيهـا كـانت واقعـة ابن شنبوذ المشهـورة واستتـابتـه عن القـراءة بالشـاذ والمحضـر الذى كتـب عليه، وذلك بحضـرة الوزير أبى على بن مقلة.

وفى سنة أربع وعشرين تغلـب محمد بن رائق أمير واسط

ونواحيها، وحكم على البلاد، وبطل أمر الوزارة والدواوين، وتولى هو الجميع وكتابه، وصارت الأموال تحمل إليه، وبطلت بيوت المال، وبقى الراضى معه صورة وليس له من الخلافة إلا الاسم.

وفى سنة خمس وعشرين اختل الأمر جدا، وصارت البلاد بين خارجى قد تغلب عليها، أو عامل لا يحمل مالا، وصاروا مثل ملوك الطوائف، ولم يبق بيد الراضى غير بغداد والسواد مع كون يد ابن رائق عليه، ولما ضعف أمر الخلافة فى هذه الأزمان ووهت أركان الدولة العباسية، وتغلبت القرامطة والمبتدعة على الأقاليم، قويت همة صاحب الأندلس الأمير عبد الرحمن بن محمد الأموى المروانى وقال: أنا أولى الناس بالخلافة، وتسمى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله، واستولى على أكثر الأندلس، وكانت له الهيبة الزائدة والجهاد والغزو والسيرة المحمودة، استأصل المتغلبين، وفتح سبعين حصنا، فصار المسمون بأمير المؤمنين فى الدنيا ثلاثة: العباسى ببغداد، وهذا بالأندلس، والمهدى بالقيروان.

وفى سنة ست وعشرين خرج بجكم على ابن رائق، فظهر عليه، واختفى ابن رائق، فدخل بحكم بغداد، فأكرمه الراضى، ورفع منزلته، ولقبه أمير الأمراء، وقلده إمارة بغداد وخراسان (تاريخ الخلفاء/ ٣٩٠-٣٩٢).

قال صاحب الفخرى: وفى أيامه سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة عظم أمر مرداويج بأصفهان، وهو رجل خرج بتلك النواحى، وقيل إنه يريد أن يأخذ بغداد وينقل الدولة إلى الفرس ويبطل دولة العرب، فورد الخبر فى أيام الراضى بأن غلمان مرداويج اتفقوا عليه فقتلوه.

وفى أيام الراضى ارتفع أمر أبى الحسن على بن بويه. وفى أيام الراضى ضعف أمر الخلافة العباسية، فكانت فارس فى يد ابن بويه، والرى وأصفهان والجبل فى يد أخيه الحسن ابن بويه، والموصل وديار بكر وديار ربيعة فى أيدى بنى حمدان، ومصر والشام فى يد محمد بن طغج، ثم فى أيدى الفاطميين، والأندلس فى يد عبد الرحمن بن محمد الأموى، وخراسان والبلاد الشرقية فى يد نصر بن أحمد السامانى.

ثم يتكلم صاحب الفخرى على حال الوزارة فى أيام الراضى فيقول: أول وزرائه أبو على بن مقلة، وهى الوزارة الثالثة من وزارات ابن مقلة بذل فيها خمسمائة ألف دينار حتى استوزره الراضى، ثم شغب الجند وجرت فتنة أوجبت عزله، فعزله الراضى واستوزر عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح.

ونكتفى فيما يلى بذكر أسماء الوزراء الذين تتابعوا بعد عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح، وهم أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخى، وسليمان بن الحسن بن مخلد، وأبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات (الفخرى / ٢٥١-٢٥٤).

وفى سنة تسع وعشرين اعتل الراضى، ومات فى شهر ربيع الآخر، وله إحدى وثلاثون سنة ونصف، وكان سمحا، كريما، أديبا، شاعرا، فصيحا، محبا للعلماء، وله شعر مدون، وسمع الحديث من البغوى وغيره.

قال الخطيب: للراضى فضائل: منها أنه آخر خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة خطب يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الندماء، وكانت جوائزه وأموره على ترتيب المتقدمين، وآخر خليفة سافر بزى القدماء، ومن شعره:

كل صفو إلى كدر ... كل أمر إلى حذر

ومصير الشباب للـ ... ـموت فيه أو الكبر

در در المشيب من ... واعظ ينذر البشر

أيها الآمل الذى ... تاه فى لجة الغرر

أين من كان قبلنا؟ ... ذهب الشخص والأثر

رب فاغفر خطيئتى ... أنت يا خير من غفر

(فى فوات الوفيات (٣/ ٣٢٢ ورد هذان البيتان:

رب إنى ادخرت عنـ ... ـدك أرجوه مدخر

أننـي مـــــــــؤمـن بمـــــــــا

بيـن الـــــــوحـي فـي السيــــــر)

ذكر أبـو الحسن بن زرقويـه عن إسماعيل الخطبي قال: وجـه إليَّ الـراضي ليلـة الفطـر، فجئت إليـه، فقـال: يـا إسماعيل قد عـزمت في غد على الصلاة بالنـاس، فما الذي أقول إذا انتهيت إلى الدعاء لنفسي؟ فـأطرقت ساعة ثم قلت: قل يـا أمير المـؤمنين ﴿رب أوزعني أن أشكـــر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾ [النمل: ١٩] فقال لي: حسبك، ثم تبعني خادم فأعطاني أربعمائة دينار.

مـات في أيـامـه من الأعـلام: نفطـويـه، وابن مجـاهـد المقرى، وابن كاس الحنفي، وابن أبي حاتم، ومبرمان، وابن عبد ربـه صاحب العقد، والإصطخري شيخ الشـافعية، وابن شنبوذ، وأبو بكر الأنباري (تاريخ الخلفاء/ ٣٩٣).

قال ابن شاكر:

قال الصـولي: دخلت عليه وهو جـالس على آجرة قبـالة الصانع، وكنت أنـا وجماعة من الجلساء، فأمـر بالجلوس، فأخذ كل واحد منا آجرة وجلس عليها، واتفق أني قد أخذت أنا آجرتين متلصقتين فجلست عليهما، فلما قمنا أمر أن توزن كل آجرة ويـدفع إلى صاحبهـا بوزنها دنـانير، قـال الصولي: فتضاعفت جائزتي عليهم. وقد حكى عنه أنواع من الكرم.

ومن شعره وقد تكلم النـاس في إنفاقه الأموال:

لا نقـــــد في كــــرمـي على الإســــراف
ربح المحـــــامـــد متجـــر الأشـــراف
أجــرى كــــآبـائي الخـلائف ســـابقًـــا
وأشيـــــد مـــا قـــد أسست أســـلافي
إني مـن القـــــوم الـــــذيـن أكفهـم
معتــــادة الإتـــــلاف والإخــــــلاف

تـوفي ببغـداد منتصف ربيع الآخـر سنـة تسـع وعشـرين وثلثمائة، وهو ابـن إحدى وثلاثين سنة وستة أشهـر، وكانت خـلافتـه ست سنين وعشـرة أيـام، ولم يجـد لـه حنـوط لأن الخـزائن ختمت عنـد مـوتـه، فاشتـروا لـه حنـوطًـا من بعض العطارين، وحمل إلى الرصافة في طيار ودفن في تربة عظيمة له أنفق عليهـا أموالا كثيرة. قـال ابن الجوزي: درست الآن، ولم يبق لهـا عين ولا أثر. كـان قصيرًا أسمـر نحيفًا في وجهـه طول، رحمـه الله تعالى وعفا عنـا وعنه (فوات الـوفيات ٣/ ٣٢١-٣٢٣).

وتنسب إليه الـدراهم «الرضـوية». وخـلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام (الأعلام ٦/ ٧١) من سنة ٣٢٢ إلى ٣٢٩ هـ ٩٣٤ - ٩٤٠م (خزائن الكتب القديمة/ ١١٥)

نقش خاتمه «مُنَّ بالرضا»، وزيره أبـو علي بن محمد بن علي بن مقلـة وجمـاعة غيـره، حـاجبه مـولاه ذكي الـرومي، صاحب شرطته لؤلؤ.

وفي أيام الـراضي مات ابن مجـاهد في شعبـان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ومولده سنة خمس وأربعين ومائتين رحمه الله (محاضرة الأبرار ١/ ١٢٣).

أما عن خـزانة كتب الراضـي بالله فيقول الأستـاذ كوركيس عواد:

كان الراضي بالله العباسي أحـد الخلفاء الأدباء، قال فيه الصـولي إنـه «كـان أعلم النـاس بـالشعـر، فكنت أتنخل لـه الألفاظ، وأختار علوى الكلام» (أخبار الراضي بالله والمتقي لله من كتـاب الأوراق للصولي ص ١٩١ طبعـة ج. هيورث دن. الورقة ٤٠ من نسخة برلين).

وقـد كـانت لـه منـذ أول أمـره، أعني قبل تسلمـه زمـام الخلافة، خزانة كتب ذكرها الصولي بقوله: «وقد يعلم الله، أن الراضي بـالله، في حال إمـارته، وأخاه هـارون، لما أمـر نصر الحاجب أن يتقدم إلى بخدمتهما، وأن يجعل على نوبة لهما يومين في كل أسبوع. ففعل ذلك. دخلت إليهما. فرأيتهما ذكيين فطنين عاقلين، إلا أنهمـا خاليان العلـوم، فعاتبت ابن غالب مؤدبهما على ذلك. وكان الـراضي أذكاهما وأحرصهما على الأدب، فحببت العلم إليهمـا واشتـريت لهمـا من كتب الفقه والشعر واللغة والأخبار قطعـة حسنة، فتنافسا في ذلك، وعمل كل واحـد منهمــا خـزانـة لكتبـه، وقـرآ على الأخبـار والأشعار. . .» (أخبار الراضي بالله والمتقي ص ٢٤، ٢٥).

وما من شك، في أن الـراضي وسع هذه الخزانة وأغنـاها بأمهات الكتب وأعيـانها بعد استخـلافه. وقد أشـار الصولي

إلى هذه الخزانة فى حكاية طويلة تحوم حول اختلاف فى رواية بيت من الشعر، فقال فيما قال: «. . . فقال (الراضى) لى: (الضمير يعود على «الصولى») فلعل الورق أخطأ عليه، قلت: لا، ولكن الطبرى رأى نبيشًا فى كتاب ولم يدر ما هو، فظنه حبيشًا اسم رجل. وهذا الشعر لنهشل بن جزى النهشلى، وهو فى الخزانة. فوجه فطلبه، فلم يجده فقلت له: وهذا أيضًا عجب، يتحدث الناس بأن سيدنا، مع جلالة علمه وعلو نعمته، عمل خزانة كتب كما عمل متقدمو الخلفاء، طلب فيها شعر هذا الشاعر المشهور فلم يوجد! قال: فما الحيلة وقد شغلنا بغيرها؟ قلت: كتب عبيدك لك، فتبتدئ فى عمل الأشعار من الخزانة، تبدأ بمضر ثم ربيعة ثم اليمن، فما لم يكن فيها حمله عبيدك من كتبهم، وما كان سماعًا لعبيدك أو شيئًا لا يعتاضون منه، نسخه وراقوك الذين تجرى عليهم، وجلده مجلدو الخزانة. فسكت كالمفكر. قلت له: إن الذى قلته ليس لشىء اجتلبه إنما هو حيف على كتبى، ولكنى آنف أن يتحدث الناس بشىء يفعله سيدنا لا يكون فى نهاية الجلالة. فقال: ويحك، فإذا جاء ما يشغل كيف نصنع؟ قلت: يجعل سيدنا هذه الخزانة للأميرين(هما ولدا الراضى أبو جعفر وأبو الفضل عبد الله، ولم يليا الخلافة)، ويقتصر على ما يريد النظر فيه. قال: أما هذا فنعم. فأمر بإخراج الكتب إليه يومًا يومًا، وأجسلنا فميزناها وقسمها بين يديه، وبين ابنيه. واقتصر على ما أراد، ووهب لنا الباقى فاقتسمناه. وكان أكثره ما يباع وزنا» (أخبار الراضى بالله المتقى/ ٣٩، ٤٠).

فهذا الخبر النفيس، أفادنا أن لهذه الخزانة وراقين ومجلدين، مما يدل على الرغبة فى تكثير كتبها بالنسخ، والاعتناء بها بالتجليد.

وقد ضمت خزانة الراضى، فى ما ضمت، طرائف وتحفا خطية نفيسة، من ذلك ما ذكره ابن الجوزى فى حوادث سنة ٣٢٦ هـ (٩٣٧ م) بقوله إن فى هذه السنة «ورد كتاب من ملك الروم إلى الراضى، وكانت الكتابة بالرومية بالذهب، والترجمة بالعربية بالفضة، يطلب منه الهدنة. وفيه: ولما بلغنا ما رزقته أيها الأخ الشريف الجليل من وفور العقل وتمام الأدب واجتماع الفضائل أكثر ممن تقدمك من الخلفاء، حمدنا الله تعالى، إذ جعل فى كل أمة من يمتثل أمره وقد وجهنا شيئًا من الألطاف، وهى أقداح وجرار من فضة وذهب وجوهر وقضبان فضة وسقور وثياب سقلاطون ونشيج ومناديل وأشياء كثيرة فاخرة. فكتب إليهم الجواب بقبول الهدية والإذن فى الفداء وهدنة سنة».

(خزائن الكتب القديمة/ ١١٥ ـ ١١٧)

(تاريخ الخلفاء للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد/ ٣٩٠ ـ ٣٩٣، والفخرى فى الآداب السلطانية والدولة الإسلامية لابن الطقطقى ـ راجعها ونقحها محمد عوض بك إبراهيم والأستاذ الشيخ على الجارم/ ٢٥١ ـ ٢٥٤، وفوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتبى ـ تحقيق د. إحسان عباس ٣/ ٣٢١ ـ ٣٢٣، والأعلام للزركلى ٦/ ٧١، وخزائن الكتب القديمة فى العراق ـ كوركيس عواد/ ١١٥ ـ ١١٧، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ـ تحقيق محمد مرسى الخولى ١/ ١٢٣، انظر أيضًا تاريخ الخلفاء لأبى عبد الله محمد بن يزيد رواية أبى بكر السدوسى عنه ـ تحقيق محمد مطيع الحافظ. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م/ ٥٩، وتهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢/ ٦٩، ٧٠).

***الراعى (عبيد بن حُصَين):**

انظر: الراعى النميرى.

***الراعى (محمد بن إسماعيل) (٧٨٢-٨٥٣ هـ/ ١٣٨٠-١٤٥٠م):**

قال عنه الشمس السخاوى: محمد بن محمد بن محمد ابن إسماعيل أبو عبد الله المغربى الأندلسى ثم القاهرى المالكى ويعرف بالراعى. ولد بغرناطة من بلاد الأندلس سنة اثنين وثمانين وسبعمائة تقريبا ونشأ بها وأخذ الفقه وأصول والعربية عن أبى جعفر أحمد بن إدريس بن سعيد الأندلسى وغيره، وسمع على أبى بكر عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد المعافرى بن اللب ويعرف بابن أبى عامر، والخطيب أبى عبد الله محمد بن على بن الحفار، ومحمد بن عبد الملك ابن على القيسى. ومما أخذه عنه الجرومية [الآجرومية]

(انظرها في م ١/ ١٥٠ ـ ١٧٠) بأخذه لها عن الخطيب أبي جعفر أحمد بن محمد بن سالم الجذامي عن القاضي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي عن مؤلفها «وجميع خلاصة الباحثين في حصر حال الوارثين» للقاضي أبي بكر عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري بأخذه لها عن مؤلفها. وأجاز له أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي، وقاسم بن سعيد العقباني، وأبو الفضل بن الإمام وأبو عبد الله حفيد ابن مرزوق والكمال بن خير والزين المراغي والزين محمد بن أحمد الطبري وأبو إسحاق إبراهيم محمد بن إبراهيم بن العفيف النابلسي في آخرين من المغرب والمشرق.

ودخل القاهر في سنة خمس وعشرين فحج واستوطنها وسمع بها من الشهاب المتبولي وابن الجزري وشيخنا(يقصد الحافظ ابن حجر) واختص به طائفة، وأم بالمؤيدية وقتا، وتصدى للإقراء فانتفع به الناس طبقة بعد طبقة لاسيما في العربية، بل كانت فنه الذي اشتهر به وبجودة إرشاده فيها، وشرح كلا من الألفية والجرومية [الآجرومية] والقواعد وغيرها بما حمله عنه الفضلاء.

وله نظم وسط كتبت عنه منه الكثير. ومما لم أسمعه منه ما أودعه في مقدمة كتاب صنفه في نصرة مذهبه وأثبته دفعًا لشيء نسب إليه:

عليك بتقوى الله ما عشت واتبع
أئمة دين الحق تهدى وتسعد

فمالكهم فالشافعي فأحمد
ونعمانهم كل إلى الخير يرشد

فتابع لمن أحببت منهم ولا تمل
لذي الجهل والتعصب إن شئت تحمد

فكلٌ سواء في وجيبة الاقتدا
متابعهم جنات عدن يخلد

وحبهم دين يزين وبغضهم
خروج عن الإسلام والحق يبعد

فلعنة رب العرش والخلق كلهم
على من قلاهم والتعصب يقصد

مات بسكنه من الصالحية في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، وصلى عليه في الأزهر، ودفن بالصحراء قريبًا من تربة الزين العراقي، رحمه الله وإيانا، وذلك بعد أن أنشد قبيل موته بشهر في حال صحته بعض أصحابه من نظمه:

أفكر في موتي وبعد فضيحتي
فيحزن قلبي من عظيم خطيئتي

وتبكي دمًا عيني وحق لها البكا
على سوء أفعالي وقلة حيلتي

وقد ذابت أكبادي عناء وحسرة
على بُعد أوطاني وفقد أحبتي

فما لي إلا الله أرجوه دائمًا
ولاسيما عند اقتراب منيتي

فنسأل ربي في وفاتي مؤمنًا
بجاه رسول الله خير البرية

(الضوء اللامع ٩/ ٢٠٣، ٢٠٤).

وقد ذكر له الزركلي غير شرح الألفية المصنفات التالية: النوازل النحوية، الفتح المنير في بعض ما يحتاج إليه الفقير، وانتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك، ومسالك الأحباب، في النحو (الأعلام٧/ ٤٧) كما أورد المعجم الشامل كتابا مطبوعا للراعي وهو كما يلي:

ـ الممتع السهل في الترجمة وشعر ابن سهل:

تحقيق محمد قويعة، مجلة حولية الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد ١٩، ١٩٨٠م.

٥٩ ص، م٢٨ ص+١٠ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٤ص: الأعلام، الأماكن، الآيات، المصنفات المذكورة في النص، فهرس الأشعار (المعجم الشامل ٣/ ٢٦).

(الضوء اللامع لشمس الدين الذهبي ج ٩م ٥/ ٢٠٣، ٢٠٤، والأعلام للزركلي ٧/ ٤٧، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٢٦)

*** الراعي النميري (٩٠ هـ / ٧٠٩ م).**

عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري، أبو جندل شاعر من فحول المحدثين كان من جلة قومه ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. وكان بنو نمير أهل بيت وسؤدد. وقيل:

كان راعي إبل، . من أهل بادية البصرة. عاصر جريرا والفرزدق. وكان يفضل الفرزدق، فهجاه جرير هجاء مرا. وهو من أصحاب «الملحمات» وسماه بعض الرواة «حصين ابن معاوية». وللمعاصر ناصر الجاني «الراعي النميري: شعره وأخباره» مطبوع، وكتب هلال ناجي «البرهان على ما في شعر الراعي من وهم ونقصان» مطبوع. نشر في مجلة المورد جـ ١ العدد ٣، ٤ ص ٢٣٧). ومن بديع ما أورده «المبرد» من شعره:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما
ودعا فلم أر مثله مخذولا
فتفرقت من بعد ذاك عصاهُمُ
شققا وأصبح سيفُهم مسلولا

(الأعلام ٤/ ١٨٨، ١٨٩)

وقد جاء بيان أحد الكتابين اللذين ذكرهما الزركلي آنفا، في المعجم الشامل على النحو التالي:

- شعر الراعي النميري وأخباره:

- تأليف وتحقيق ناصر الجاني، دمشق: المجمع العلمي العربي ١٩٦٣ م.

٢١٥ ص، م ١٤ ص، ف ١٦ ص: الشعر، الأعلام، البلدان، الأماكن، القبائل والبطون والعشائر. المصادر والكتب.

- تحقيق هلال ناجي ونوري حمودي القيسي، بغداد: ١٩٨٠ م.

(المعجم الشامل ٣/ ٢٦).

(الأعلام للزركلي ٤/ ١٨٨، ١٨٩، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع - جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٢٦. انظر أيضا تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي ١/ ١٦٨، ١٦٩).

*** الراغب الأصفهاني (-٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م):**

الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني، أو الأصبهاني المعروف بالراغب، أديب، مفسر. ومن حكماء الإسلام.

وهو من أهل أصفهان (انظر مادة «أصبهان أو أصفهان في م ٥ / ٣٢ - ١٤١) وسكن بغداد، اشتهر بها، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. جمع بين الشريعة والحكمة في كتبه (الأعلام ٢/ ٢٥٥ ومرجع العلوم الإسلامية/ ١٧٥).

قال عنه الشمس الذهبي، وقد أدرجه في الطبقة الرابعة والعشرين تحت عنوان «الراغب»: العلامة الماهر، المحقق الباهر... صاحب التصانيف. كان من أذكياء المتكلمين، لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة. وكان إن شاء الله في هذا الوقت حيا، يسأل عنه: لعله في «الألقاب» لابن الفوطي (تهذيب سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٢).

وقد أدرجه البيهقي في حكماء الإسلام وقال عنه:

كان من حكماء الإسلام وهو الذي جمع بين الشريعة والحكمة في تصانيفه، وله تصانيف كثيرة منها غرة التنزيل ودرة التأويل وكتاب الذريعة، وكتاب كلمات الصحابة. وكان حظه من المعقولات أكثر.

قال في مبدأ كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين من تصنيفه: الذين ينطقون ولكن عن الهوى ويتعلمون ولكن ما يضرهم ولا ينفعهم، ويعلمون ولكن ظاهرًا من الحياة الدنيا، ويجادلون ولكن بالباطل ليدحضوا به الحق، ويحكمون ولكن حكم الجاهلية يبغون، ويدعون مع الله إلها آخر، وإن كانوا بالصور المحسوسة ناسًا، فهم كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أشباه الرجال ولا رجال وقد عبر البحتري عن ذلك حيث قال:

لم يبق من جل هذا الناس باقية
ينالها الوهم إلا هذه الصور

وقال: الإنسان مستصلح للدارين، ولكل شيء هداية إلى مصالحه بين العقل والشرع تظاهر، ويفتقر أحدهما إلى الآخر.

ومن لم يتحصن بالشرع وعبادة الله تعالى فليس بإنسان.

الغرض من العبادة تطهير النفس واجتلاب صحتها.

للإنسان أمراض لا يمكن إزالتها إلا بالشرع.

الإنسان مفطور على إصلاح النفس.

وقـال: إن النظر فى العـواقب من خاصيـة الإنسان، والبـارى تعالى لم يخلق له هذه الخاصية إلا لأمر جعله له فى العقبى، و إلا كان وجود هذه القوة فيه معطلاً.

ولو لم يكـن للإنسان عـاقبة ينتهى إليهـا غير هـذه الحياة الخسيسـة المملـوءة نصبًـا وحـزنًا، ولا يكـون بعـدهـا حـال مغبوطة، لكـان أخس الحيوانات أحسن حالاً منه، ولكانت هذه القوة فيه عبثًا، وقد نبهه الله تعالى على بطلان ذلك حيث قال ﴿أفحسبتم أنما خلقنـاكم عبثًا وأنكم إلينا لا تـرجعون﴾ [المؤمنون: ١١٥].

و إحكام بنيـة الإنسان ثم هدمهـا من غير معنى سـوى ما يشـاركه فيـه البهائم مع مـا يشوبـه من التعب والهم الذى قـد أعفى منـه البهائم مضيعـة كالتى نقضـت غزلهـا من بعد قـوة أنكاثًا تعالى الله عن ذلك.

وقال النبى عليـه الصلاة والسلام: الدنيـا دار ممر لا دار مقـر، وقد خلقتم لـلأبـد ولكنكم تنقلون من دار حتى يستقـر بكم القرار (تاريخ حكماء الإسلام / ١١٢، ١١٣).

من كتبه: «محـاضرات الأدباء» مجلدان و «الـذريعة إلى مكـارم الشـريعـة» و «الأخـلاق» ويسمى «أخـلاق الـراغـب» و«وجامع التفاسير» كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوى فى تفسيره، و «المفردات فى غريب القرآن» مطبوع».

قـالت المؤلفـة: النسخة التـى عندى طبع شـركة مكتبـة ومطبعـة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصـر، وهى بتحقيق محمـد سيـد كيـلانى ا هـ. ولـه «حل متشـابهـات القـرآن» و«تفصيل النشأتين وتحصيل السعـادتين» فى الحكمـة وعلم النفس، و«تحقيق البيـان» فى اللغـة والحكمـة. وكتـاب فى «الاعتقاد»و «أفانين البلاغة» (الأعلام ٢/ ٢٥٥).

وفيما يلى بيـان بمصنفات الراغب الأصفهانى المطبـوعة كما أوردها المعجم الشامل:

١ ـ تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين:

ـ عنايـة جواد شبر، صيدا: مطبعة العـرفان، ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م.

ـ تحقيق محمـد طاهر الجزائرى، بيـروت: مطبعة ثمرات الفنـون، ١٣١٩ هــ / ١٩٠١ م، ١٣٢٣ هــ / ١٩٠٥ م، ١١٢ ص.

ـــ تحقيق أحمــد حسين كعكــو، حلب: المطبعـة العصرية، ١٩٧٢ م. ١١٢ ص.

٢ ـ الذريعة إلى مكارم الشريعة:

ـ تصحيح محمد المعـروف بـالنجار، القـاهرة: مطبعـة الوطن، ١٢٩٩ هـ ١٨٨٢ م، ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م.

١٧٥ ص، ف ٥ ص: المحتوى

ـ القاهـرة: المطبعة الشـرفية، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م، ١٣٣٤ هـ / ١٩١٥ م.

٣ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء:

ـ تصحيح محمد السملوطى، القاهرة: على نفقة أرباب جمعية المعارف المصرية، مطبعة السيد إبراهيم المويلحى، ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م ـ ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م.

ج ١ : ٤٥٠ ص.

ج ٢ : ٤٣١ ص، ف ٣ ص: المحتوى.

ـ تصحيح إبـراهيم حسن الفيومى، القـاهرة: مكتبـة سيد موسى شريف الكتبى، المطبعة العـامرة الشرفية، ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م.

ج ١ : ٣٦٨ ص، ف ٢ ص: المحتوى.

ج ٢ : ٣٥٧ ص، ف ٢ ص: المحتوى.

ج ٣ : ٣٥٤ ص، ف ١ ص: المحتوى.

ج ٤ : ٣٦١ ص، ف ١ ص المحتوى.

ـ بيـروت: دار مكتبة الحيـاة، ١٩٦١ م، (عن السـابقة بالتصوير).

٤ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن:

ـ صنعـة نديم مـرعشلى، بيروت: دار الكـاتب العربى، مطابع التقدم العربى، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م.

٧٣٤ ص، م ٦ ص، ف ١٥٠ ص: الترتيب القـاموسى كمـا أورده المـؤلف، تحقيق وتصـويب، المسـرد الألفبـائى للسور القـرآنية الكريمـة وأرقامها، تحقيق الآيـات، الأعلام،

الجماعات، القبائل والأمم، الأصنام، الأمكنة، الكتب، اللغات، أسماء السور القرآنية، الأحداث والوقائع، المذاهب والفنون، الأنساب، الأحاديث والأقوال المأثورة، الأمثال، القوافي، الفهرس العام.

٥ـ المفردات في غريب القرآن:

ـ تصحيح محمد الزهري الغمراوي، القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م.

ـ تصحيح نور محمد، كراتشي: مزيررود، كارخانه تجارة كتب، مزيررود أزامرتك، أصح المطابع، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م.

٥٧٦ ص، ف ٢ص: المحتوى

ـ تحقيق محمد سيد كيلاني، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، مطبعة الناشر ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م. ٥٥٧ ص، م ٤ ص، ف ٤ ص: الخطأ والصواب، المحتوى.

قالت المؤلفة: هذه الطبعة هي التي عندي، وقد ورد العنوان بلفظ «الحديث» بدلا من «القرآن» خطأ، والصحيح هو ما أثبتناه هنا اهـ

ـ قم: المكتبة الرضوية، ١٩٦٤ م، (عن السابقة).

ـ تحقيق محمد أحمد خلف الله، القاهرة: المكتبة الأنجلو ـ المصرية، سنة ١٩٧٠ م، (٢ مج: ٨٥١ ص).

٦ ـ مقدمة التفسير (جامع التفاسير).

ـ تصحيح نور محمد، كراتشي: مزيررود أزامرتاغ، كارخانة تجارة كتب، أصح المطابع لنور محمد، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م.

٣٧ ص، ف ١ ص: المحتوى.

ملحق بكتاب (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني، بين الصفحات (٥٧٦ ـ ٦١٣).

ـ تحقيق أحمد حسن فرحات، الكويت: دار الدعوة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م.

١٦٨ ص، م ٨ ص، ف ٣ ص: المحتوى (المعجم الشامل ٣ / ٢٧ ـ ٢٩).

(الأعلام للزركلي ٢ / ٢٥٥، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلي / ١٧٥، وتهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي ٢ / ٣٦٢، وتاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ـ عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي / ١١٢، ١١٣، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٢٧ ـ ٢٩).

*** الراغسرسني:**

قال السمعاني:

الراغسرسني: بالراء المفتوحة والغين المعجمة الساكنة والراء الساكنة بين السينين المهملتين وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى راغسرسن، وهي قرية من قرى نسف على نصف فرسخ، منها الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن موسى النسفي الراغسرسني، سمع السيد أبا الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسيني العلوي، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي، وأبو بكر كان ممن سكن سمرقند ودخلها كثيرا.

(الأنساب للسماعني ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٣ / ٢٧).

*** الراغني:**

قال السمعاني:

الراغني: بفتح الراء والغين المعجمة المكسورة وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى راغن، وهي قرية من قرى سغد سمرقند من الدبوسية. منها أبو محمد أحمد بن محمد بن علي الدبوسي، أملى وحدث، سمع أبا بكر محمد بن أحمد بن موسى بن رجاء بن حنش الكارزني وأبا نصر منصور بن محمد الحرلاسي وأبا بكر أحمد بن إسماعيل الإسماعيلي وأبا بكر محمد بن الفضل الإمام وغيرهم، روى عنه أبو محمد عبد العزيز بن محمد النخشبي الحافظ، ذكره في معجم شيوخه قال: أقمنا عليه بالدبوسية خمسة عشر يوما حتى سمعنا منه مغازي الواقدي أكثره ما كان عنده مكتوبا وكتبنا من أماليه بخطه أيضا،. روى مغازي الواقدي عن أبي بكر الكاغذي عن أبيه عن والده عن محمد بن شجاع عنه.

(الأنساب للسمعانى ٣ / ٢٧).

*** الرافدان:**

الرافدان: تثنية الرافد، وهو العطية والحباء: دجلة والفرات، وقيل البصرة والكوفة.

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٣ / ١٥).

*** الرافع جل جلاله:**

انظر مادة «الخافض والرافع جل جلاله» فى م ١٥ / ٢٤٢، ٢٤٣).

*** رافع الارتياب:**

رافع الارتياب فى أسماء الرجال بالحديث للخطيب «البغدادى أحمد بن على بن ثابت المتوفى سنة ٣٦٤» (كشف ١ / ٨٣٠).

وجاء فى الهامش هذا التعليق: لعله «دافع» بالدال.

*** رافع بن بشير السلمى:**

رافع بن بشير السلمى: روى عن النبى ﷺ أنه قال: «تخرج نار تسوق الناس إلى المحشر». روى عنه ابنه بشير بن رافع يضطرب فيه.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٧٩).

*** رافع بن الحارث:**

رافع بن الحارث بن سواد بن زيد بن ثعلبة بن غنم، هكذا قال الواقدى سواد. وقال ابن عمارة: هو الأسود (فى أسد الغابة: ابن الأسود) بن زيد بن ثعلبة شهد رافع بن الحارث هذا بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

(الإستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٢ / ٤٧٩).

*** رافع بن خديج (١٢ ق هـ - ٧٤ هـ / ٦١١ - ٦٩٣ م):**

رافع بن خديج بن رافع بن عدى بن زيد بن عمرو بن زيد ابن جشم الأنصارى النجارى الخزرجى (فى الرياض المستطابة: الأوسى الحارثى) يكنى أبا عبد الله، وقيل أبا خديج. روى عن ابن عمر أنه قال له: يا أبا خديج. وأمه حليمة بنت عروة بن مسعود بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بياضة الأنصارى.

هو ابن أخى ظهير ومظهر ابنى رافع بن عدى (الاستيعاب ٢ / ٤٧٩).

عرض نفسه يوم بدر فاستصغره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأجازه يوم أحد، فشهدها وما بعدها، وأصابه يوم أحد سهم فى ترقوته (وقيل ثندوته) وبقى النصل فيه إلى أن مات. وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أشهد لك يوم القيامة». وكان عريف قومه، شهد مع على صفين. وأخرجا له ثمانية أحاديث اتفقا على خمسة، والباقى لمسلم، وخرج عنه الأربعة.

روى عنه ابنه رفاعة وعطاء وطاؤس. سبب موته أنه انتقض عليه النصل الذى كان كامنا فيه فى أيام عبد الملك بن مروان فتوفى منه سنة أربع وسبعين، وهو ابن ست وثمانين سنة. ولما توفى حضره ابن عمر فقال ابن عمر: صلوا على صاحبكم قبل أن تصفر الشمس للغروب. وله عقب فى المدينة وبغداد، وكان يخضب بالصفرة ويحفى شاربه (الرياض المستطابة / ٦٩، ٧٠).

استوطن المدينة وكان عريف قومه فيها، وروى له ٧٨ حديثا ... قال البخارى مات زمن معاوية سنة ٥٩ هـ، وقال ابن حجر: وهو المعتمد. وشهد صفين مع على رضى الله عنه، وأخذ عنه كبار التابعين (مرجع العلوم الإسلامية / ٦٤).

كان صحراويا عالما بالمزارعة والمساقاة. قال الشمس الذهبى كان رافع بن خديج ممن يفتى بالمدينة فى زمن معاوية وبعده (تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ٩٣).

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٧٩ والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٦٩، ٧٠، وتهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٩٣).

*** رافع بن عمرو الغفارى:**

رافع بن عمرو بن مُجدِّع، ويقال مجدح (بالحاء المهملة بدل العين) الغفارى. وقد غلب عليه وعلى أخيه الحكم هذا النسب إلى غفار، وهما ولد نفيل بن مليل أخى غفار بن مليل ابن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

روى ابن الأثير بسنده عنه قال: كنت وأنا غلام أرمى نخل الأنصار، فقيل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم إن ههنا غلام يرمى النخل، أو يرمى نخلا فأتى بى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا غلام لم ترمى النخل؟ قال: قلت آكل، قال: فلا ترم، وكل ما سقط. ثم مسح رأسى وقال: «اللهم أشبع بطنه». روى عنه مسلم حديثا واحدا فى سند أبى ذر لاشتراكهما فى روايته، وعنه الأربعة، عنه عبد الله بن الصامت وأبو جبير.

(الرياض المستطابة فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٥٤، ٧٢، ٧٣).

*** رافع بن هجرس (٦٦٨-٧١٨ هـ):**

قال عنه الإمام ابن الجزرى: رافع بن هجرش (بالشين المعجمة، وفى سائر المصادر بالسين المهملة) ابن محمد بن شافع بن نعمة بن محمد الجمال أبو محمد الصميدى السلاَّمى والد شيخنا الحافظ أبى المعالى محمد، اشتغل أولا بدمشق وسمع بها على جماعة من أصحاب الكندى وابن طبرزد ثم انتقل إلى مصر، قال الذهبى: قرأ بها القراءات أظن على الشيخ نصر المنبجى. قلت: بل قرأ على الشيخ محمد ابن حسن الإربلى وبالإسكندرية على المكين الأسمر، ثم ولى مشيخة الفاضلية بالقاهرة. وأخبرنى شيخنا أبو محمد عبد الرحمن بن البغدادى أنه قرأ الفاتحة عليه جمعا. مات فى ذى الحجة سنة ثمان عشرة وسبعمائة عن نيف وخمسين سنة (غاية النهاية ١ / ٢٨٢).

وقد ذكره الإمام السيوطى فيمن كان بمصر من أئمة القراءات وقال عنه:

أبو العلاء رافع بن محمد بن هجرس (بالسين المهملة) ابن شافع الصميدى السلامى المقرىء المحدث جمال الدين، والد الحافظ تقى الدين محمد بن رافع. تفقه فى مذهب الشافعى على العلم العراقى، وأخذ النحو عن البهاء ابن النحاس، وسمع من أبى الحسن بن البخارى وجماعة، وتلا على أبى عبد الله محمد بن الحسن الإربلى الضرير، وتصدر للإقراء بالفاضلية.

ولد بدمشق سنة ثمان وستين وستمائة، ومات بالقاهرة فى ذى الحجة سنة ثمانى عشرة وسبعمائة (حسن المحاضرة ١ / ٥٠٧، ٥٠٨).

(غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٢٨٢، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٥٠٧، ٥٠٨).

***رافع بن هرثمة:**

أدرجه الإمام الشمس الذهبى فى الطبقة الخامسة عشرة وقال عنه:

الأمير، ولى خراسان من قبل محمد بن طاهر، فى سنة إحدى وسبعين ومئتين عندما عزل الموفق عمرو بن الليث الصفار عن إمرة خراسان، واستولى رافع على طبرستان، فى سنة سبع وسبعين، ثم استخلف المعتضد، فعزل عن خراسان رافعا، وأعاد عمرو بن الليث، فحشد رافع، واستعان بملوك، فالتقى عمرا فى سنة ثلاث وثمانين، فهزمه عمرو، وقتل رافع فى شوال من سنة ثلاث، ونُفِّذ رأسه إلى المعتضد، وكان ملكا جوادا، عالى الهمة، واسع الممالك وتمكن بعده الصَّفَّار.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٥٣٧. انظر أيضا الأعلام للزركلى ٣ / ١٣).

*** رافع الشقاق فى مسألة الطلاق:**

لتقى الدين على بن عبد الكافى السبكى الشافعى المتوفى سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٣٠).

وجاءت في الهامش هذه العبارة : لعله «دافع» بالدال.

*** رافع الكلفة عن الإخوان فيما قُدِّم فيه القياس على الاستحسان:**

لنجم الدين إبراهيم بن على الطرسوسى المتوفى سنة ٧٥٨ ثمان وخمسين وسبعمائة

(كشف الظنون ١ / ٨٣٠).

*** ابن رافع السَّلامى (٧٠٤-٧٧٤ هـ/ ١٣٠٥-١٣٧٢م).**

محمد بن رافع بن هجرس بن محمد السلامى العميدى، أبو المعالى، تقى الدين، مؤرخ، فقيه من حفاظ الحديث، حورانى الأصل، ولد فى مصر، وانتقل به أبوه إلى دمشق سنة ٧١٤ هـ. وتوفى والده، فأخذ يتردد بين مصر والشام واستقرفى دمشق سنة ٧٣٩ وتوفى بها (الأعلام ٦ / ١٢٤).

وفى مقدمة رسالته التى نال بها الأستاذ صالح مهدى عباس رتبة الدبلوم العالى فى تحقيق كتاب الوفيات لابن رافع من جامعة المستنصرية بالعراق، أورد ترجمة مستفيضة لابن رافع ننقل فيما يلى معظم ما جاء بها لقيمتها العلمية :

نشأته وحياته :

ولد تقى الدين أبو المعالى محمد بن رافع بن هجرس بن محمد بن شافع بن محمد بن نعمة بن فتيان بن منثر بن كعب السَّلاَّمى (نسبة إلى قبيلة بنى سلام) الصميدى (بضم الصاد المهملة وفتح الميم وتخفيفها وإسكان التحتية، نسبة إلى قرية من قرى حوران من أعمال دمشق) الحورانى الأصل نسبة إلى حوران وهى كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع، وقصبتها بُصرى (انظر مادة «بصرى فى م ٧ / ٦٤ - ١٧٣ ومادة «حوران» فى م ١٥ / ٧٢ - ٧٤)، المصرى المولد والمنشأ، الدمشقى الشافعى، فى ذى القعدة سنة ٧٠٤ هـ بمصر فى أكناف عائلة علمية نبغ فيها غير واحد من العلماء والحفاظ والمحدثين، فوالده جمال الدين رافع بن هجرس ممن عُنى بالحديث والقراءات والعربية، وكان مقرئا محدثا، أعاد ببعض المدارس، ودرَّس، وتوفى فى ذى الحجة سنة ٧٧٤ هـ، ووالدته خديجة بنت على بن عبد الله الحلبية ممن سمعت على الأبرقوهى، وحدثت بالقاهرة ودمشق، وعمَّه ناصر الدين نصر الله بن هجرس المتوفى سنة ٧٣٠ هـ فكان من المحدثين أيضا هو وأولاده محمد، وعائشة، وفاطمة.

أما ابن عمه جمال الدين شافع بن محمد بن هجرس وولده على، فلا يختلف شأنهما عن شأن سابقيهم من السماع والتحديث. وابن عمه جمال الدين همام بن منبه بن هجرس، ممن سمع بمصر والشام وحدث، وتنزل بالمدارس، فلا غرابة بعد ذلك أن تجد هذه العائلة تعنى به منذ صغره، وتهيىء الفرص أمامه لطلب العلم، والظاهر أن والده قد استجاز له جملة من متعينى رواة ذلك العصر من مصر والشام، منهم: الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف الدمياطى الشافعى. شيخ المحدثين، المتوفى سنة ٧٠٥ هـ، والشيخة الصالحة فاطمة بنت سليمان بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الأنصارى الدمشقى المتوفاة سنة ٧٠٨ هـ، والشيخ المقرىء أبو عمرو عثمان بن إبراهيم بن أبى على الحمصى المتوفى سنة ٧١٠ هـ، والشيخة الصالحة فاطمة بنت إبراهيم ابن محمود بن جوهر البطائحى البعلى المتوفاة سنة ٧١١ هـ.

ثم أخذ يصحبه إلى مجالس السماع والتحديث فيسمع بإفادة والده من عدد كبير من كبار محدثى العصر منهم: الشيخ بهاء الدين أبو الحسن على بن عيسى بن سليمان بن رمضان الثعلبى المصرى ابن القيم المتوفى سنة ٧١٠ هـ، والمسند العالم نور الدين أبو الحسن على بن محمد بن هارون الثعلبى الدمشقى المتوفى سنة ٧١٢ هـ، والشيخ المسند الخطيب نور الدين أبو الحسن على بن نصر الله بن عمر بن عبد الواحد القرشى المصرى ابن الصواف المتوفى سنة ٧١٢ هـ، والشيخ المقرىء زين الدين أبو محمد الحسن بن عبد الكريم بن عبد السلام المصرى المالكى - سبط الفقيه زيادة - المتوفى سنة ٧١٢ هـ.

وفي سنة ٧١٤ هـ رحل به أبوه إلى الشام فأحضره مجالس أعظم محدث في ذلك العصر على الإطلاق، جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي المزي، الذي كانت شهرته قد طبقت الآفاق، فأسمعه جميع كتابه العظيم «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» الذي يعد أضخم كتاب ألف في رجال أصحاب الكتب الستة.

قالت المؤلفة: فاتنا إدراج كتاب «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» في موضعه في حرف التاء، ومن ثم نورده هنا نقلا عما جاء في هامش (٦) في النص، وهو كما يلي:

يقع هذا الكتاب في مئتين وخمسين جزءا، وقد قام الدكتور بشار عواد معروف بتحقيقه، وقد ثبت المزي خطه بسماع جمال الدين أبي محمد رافع وولده محمد في نهاية كل جزء من أجزاء الكتاب مع جماعة آخرين، وكان القارئ هو جمال الدين رافع. وهذا نص أحد السماعات كما وجدناه بخط المزي في نهاية الجزء السابع والستين من «تهذيب الكمال» من نسخة المؤلف التي بخطه: «سمع هذا الجزء عليّ بقراءة الإمام جمال الدين أبي محمد رافع بن أبي محمد ابن محمد بن شافع السلامي: ابنه محمد، وعلاء الدين طيبرس بن عبد الله الفاروخي، وبنتي زينب، وبنت ابني خديجة بنت عبد الرحمن، وبنت خالهما آسيا بنت محمد ابن إبراهيم بن صديق، وصح ذلك في يوم الاثنين الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مائة وكتب مصنفه يوسف المزي» (نسخة مصورة في خزانة كتب د. بشار عواد معروف). والظاهر أن الإمام المزي كان كثير المحبة بجمال الدين رافع بحيث إنه اختصه بقراءة الكتاب على جماعة من أهل بيته ا هـ).

وأسمعه أيضا من العلامة رشيد الدين إسماعيل بن عثمان ابن محمد بن عبد الكريم الحنفي المعروف بابن المعلم المتوفى سنة ٧١٤ هـ، ومسند الشام قاضي القضاة تقي الدين أبي الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن قدامة المقدسي الصالحي المتوفى سنة ٧١٥ هـ، ومسندة الوقت ست الوزراء وزيرة بنت عمر بن أسعد بن المنجا التنوخية الدمشقية المتوفاة سنة ٧١٦ هـ، والشيخ المقرئ المسند صدر الدين إسماعيل بن يوسف بن مكتوم القيسي الدمشقي المتوفى سنة ٧١٦ هـ ومسند الوقت الشيخ أبي بكر ابن أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الصالحي المتوفى سنة ٧١٨ هـ، ومسند الوقت شرف الدين عيسى بن عبد الرحمن بن معالي المقدسي الصالحي المتوفى سنة ٧١٩ هـ، والشيخ عماد الدين محمد بن يعقوب بن بدران بن منصور الجرائدي الأنصاري الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٠ هـ.

ثم رجع به أبوه إلى مصر، على أن المنية لم تلبث أن اخترمت والده في سنة ٧١٨، فترك ولده صبيا لم يبلغ الرابعة عشرة من عمره، وبذلك ذاق ابن رافع مرارة اليتم، وتسكت جميع المصادر التي ترجمت لابن رافع عمن تكفله بعد وفاة أبيه، والذي نراه أن ابن رافع تحمَّل بنفسه تبعات أموره وهو لم يزل صبيا صغيرا.

وقد استمر ابن رافع في العناية بهذا الشأن، فطلب بنفسه في حدود سنة ٧٢١ هـ فحضر مجالس العلم والعلماء، وأخذ عنهم، ولازم اثنين من عظماء العلماء في ذلك الوقت، وتخرَّج بهما في علم الحديث، الأول: قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم الحلبي ثم المصري المتوفى سنة ٧٣٥ هـ، الحافظ المشهور والمؤرخ الثبت صاحب التآليف المفيدة، ذكره الذهبي فقال: «صنف، وخرج، وأفاد مع الصيانة، والديانة، والأمانة، والتواضع، والعلم، ولزوم الاشتغال والتأليف»، والثاني: فتح الدين محمد بن محمد بن أحمد اليعمري ابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ هـ، الحافظ العلامة المتفنن والأديب البارع ممن ذاع صيته واشتهر اسمه، قال البرزالي: «كان أحد الأعيان معرفة وإتقانا وحفظا للحديث، وتفهما في علله وأسانيده عالما بصحيحه وسقيمه، مستحضرا للسيرة، له حظ من العربية، حسن التصنيف».

ثالثا: رحلاته وشيوخه:

فلما استكمل ابن رافع شيوخ مصره تاقت نفسه إلى الرحلة في طلب العلم والاستزادة منه، وتحصيل علو الإسناد

وقدم السماع ولقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم، فرحل بنفسه إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج والسماع فى تلك البلاد، فسمع هناك على جماعة من الرواة وعرج بعد منصرفه من الحج إلى دمشق فقدمها سنة ٧٢٣ هـ، وسمع بها من مسند الشام بهاء الدين القاسم بن أبى غالب المظفر بن محمد بن عساكر الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٣ هـ، ومسند الوقت شمس الدين محمد بن محمد بن محمد ابن هبة الله الشيرازى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٣ هـ، وشيخ القراء تقى الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن على بن سالم المصرى ابن الصائغ المتوفى سنة ٧٢٥ هـ، ومسند الدنيا شهاب الدين أحمد بن أبى طالب بن نعمة بن حسن الصالحى الحجَّار ابن الشحنة المتوفى سنة ٧٣٠ هـ ثم عاد إلى مصر.

ولما كانت دمشق من أعظم مراكز الحركة الفكرية فى ذلك الوقت فقد تاقت نفسه إلى العودة إليها فى العام القابل وهى سنة ٧٢٤ هـ، فكانت هذه هى رحلته الثالثة، وفيها أعاد سماعه من المزى، وسمع فيها على جماعة من شيوخ العصر، منهم علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزالى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ، والحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ، والظاهر أنه قد أفاد فائدة كبرى من هذه الرحلة بحيث قال الذهبى: «ثم قدم من العام القابل فاستزاد استفادة».

ثم عاود الرحلة إليها كرة أخرى فى سنة ٧٢٩ هـ، وفى هذه الرحلة لم يقتصر على دمشق، بل رحل منها إلى عدد من المراكز العلمية فى بلاد الشام منها: حلب وحماة والأقسام الشمالية من بلاد الشام، للسماع على شيوخها، حيث يذكر ابن رافع سماعه على هؤلاء المشايخ فى أثناء كتابه «الوفيات» ثم قفل راجعا إلى مصر.

وفى سنة ٧٣٩ هـ رحل ابن رافع إلى دمشق صحبة القاضى تقى الدين السبكى الذى تولى فى تلك السنة قضاء القضاة بها ليستقر بها ويتخذها موطنا إلى حين وفاته.

وفى سنة ٧٥٢ هـ رحل ابن رافع إلى الحج وهى الرحلة الثانية، وقد ذكرها الحسينى فقال: «وحج عام اثنتين وخمسين، وحدث بطريق الحجاز الشريف» ثم حج فى سنة ٧٦٣ هـ. كما ذكر لنا ابن رافع فى كتابه «الوفيات» رحلته إلى الحج وتحديثه فى الطريق، ولكنه لم يحدد تاريخ الرحلة.

وفاته وأولاده:

توفى ابن رافع فى يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى سنة ٧٧٤ هـ عن سبعين سنة بالمدرسة الشامية بظاهر دمشق، ودفن بمقابر الصوفية قريبا من قبر الحافظ ابن الصلاح، (اتفقت مصادر ترجمته على تاريخ وفاته هذا، إلا أن ابن حجر أورد فى الدرر الكامنة ٤ / ٦٠ رواية تمريضية أخرى تشير إلى أن وفاته فى الرابع عشر من جمادى الآخرة ولم يتابعه أحد عليها، ولم يذكرها فى كتابه «إنباء الغمر»).

وخلّف ولدين وبنتا واحدة، وقد سار ابن رافع على منوال أسرته فى تعليم أبنائها فاعتنى بأولاده، وأحسن تربيتهم، وأسمعهم على الشيوخ، وأبناؤه الثلاثة كلهم محدثون، ولكنهم لم يكونوا فى منزلة عالية فى علم الحديث، وأول هؤلاء الأبناء «أحمد» فقد ذكره والده فى كتابه «الوفيات» وأشار إلى سماعه على الشيوخ، وحفظه لكتاب «التنبيه» لأبى إسحاق الشيرازى، إلا أن المنية اخترمته ولم يزل شابا، والثانى «أبو بكر» وهو ممن سمع على زينب بنت الكمال وغيرها، وممن درّس بالعزيزية بعد وفاة أبيه، وتوفى سنة ٧٨٠هـ، أما ابنته «كَلْثَم» فقد سمعت من عبد الرحيم بن أبى اليسر حضورا، وأجازت لابن حجر العسقلانى وتوفيت فى سنة ٨٠٥ هـ.

مكانته العلمية:

أولا: ثقافته:

لقد بيَّنا فيما سبق عناية ابن رافع فى طلب العلم، ورحلاته المتعددة فى سبيل ذلك، وملازمته لكبار الحفاظ مدة طويلة، فكان لكل ذلك أثره الواضح فى تكوين شخصيته العلمية، وتبوئه المكانة المميزة بين محدِّثى عصره فى الشام فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى، حتى اعتبره المؤرخون أحد أبرز حفاظ العصر، وقد نال لقب «الحافظ»

الذى أطلقه عليه شيخه مؤرخ الإسلام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى وناهيك بـه، ومعنى هذا أنه نال هذه الرتبة التى لا تطلق إلا على من أتقن هذا الفن، وأوتى سعة فى معرفته والوقوف على دقائقه، وقد ذكر تلميذه الحسينى ضمن الحفاظ فى كتابه الذى ذيل به على كتاب شيخه الذهبى ووصفه «بالحافظ المتقن المفيد الرحال»، ونعته تلميذه أبو زرعة «بالحافظ الرُّحلة»، ووصفه تلميذه الجزرى «بالحافظ الكبير».

وكان ابن رافع «مفيدا» والمفيد هو الذى يفيد الناس الحديث عن المشايخ فيكون عارفا بهم وبعلو إسنادهم، حتى إذا ما جاء الطالب دله على شيوخ ذلك البلد من ذوى الإسناد العالى وما إليهم. وقد وصفه بهذا اللقب شيخه الذهبى وصديقه الصفدى وتلميذه الحسينى.

وعُرف ابن رافع بالضبط والإتقان، وقد وصفه شيخه الذهبى فى كتابه «المعجم المختص» بذلك فقال فيه: «العالم المحدث المفيد الرحال المتقن» كما وصفه عدد من المترجمين بذلك.

وبالإضافة إلى المكانة العلمية التى تميز بها ابن رافع، كانت له مكانة أخرى فى نفوس مترجميه، فكل من ذكر ابن رافع أو ترجم له لم يجد فيه إلا شيخا فاضلا، وزاهدا ورعًا قد هجر الدنيا وترك ملاذها، وابتعد عن السلطان وذوى الولايات، منصرفا إلى تآليفه وعبادته، فقد وصفه صديقه الصفدى بقوله: «وهو حسن الود، جيد الصحبة، مأمون الغيب ثقة، ضباط ديِّن» وقال فيه ابن حبيب: «وكان لا يعتنى بملبس ولا مأكل، ولا يدخل فيما أبهم عليه من أمر الدنيا أو أشكل، ويختصر الاجتماع بالناس، وعنده فى طهارة ثوبه وبدنه أى وسواس»، وقد أثنى عليه السخاوى فقال: «أفاد ودرَّس مع الصلاح والورع، والتحرى الزائد فى الطهارة وما يكتبه، والتقلل من الاجتماع بالناس، والمحاسن الجمة».

ثانيا: مناصبه التدريسية:

لا شك أن المكانة العلمية المرموقة التى حازها ابن رافع بين أعيان عصره بدمشق فى علم الحديث، وسعة باعه فى حفظه، أهّلته لأن يتولى مناصب التدريس فى أكبر دور العلم بالشام منها مما وقفنا عليه:

١ - دار الحديث النورية بدمشق: ولى التدريس بها بعد وفاة شيخه المزى. وقد جاء فى إنباء الغمر: «ولما توفى المزى أعطاه السبكى مشيخة الحديث النورية، وقدمه على ابن كثير، وغيره».

٢ - دار الحديث الفاضلية: وقد باشر التدريس بها بعد وفاة شيخه شمس الدين الذهبى، وكانت قد شغرت بعد وفاة الذهبى، فرشحه تقى الدين السبكى للتدريس فيها، وقد ذكر ابن حجر ذلك بقوله: «ولما شغرت الفاضلية عن الذهبى، قدمه (السبكى) على من سواه من المحدثين».

٣ - دار الحديث القوصية: قال النعيمى فى كتابه «الدارس» عند الكلام على القوصية ما نصه: «ولم نعلم ممن ولى مشيختها سوى الشيخ علاء الدين بن العطار وسوى الشيخ تقى الدين بن رافع، كما قاله الشهاب بن حجى». وقد تولى التدريس بها عوضا عن ابن رافع، جمال الدين عبد الله بن عمر بن داود الكفرى، وهو أحد تلامذة ابن رافع.

(انظر مادة «دور الحديث» فى م ١٨ / ٢٥ - ٣١).

٤ - المدرسة العزيزية تفرد بذكرها ابن العماد الحنبلى عند الكلام على ترجمة ولده أبى بكر فقال فيه: «... وحدث، ودرَّس بالعزيزية بعد أبيه».

٥- المدرسة العزية، وقد تفرد بذكرها الحسينى فقال «... وولى مشيخة النورية والزاوية الفاضلية والعزية».

ثالثا: آراء العلماء فيه:

ونرى من المفيد هنا أن نورد آراء بعض العلماء فى ابن رافع مما يبين مكانته العلمية بين علماء عصره منذ فترة مبكرة من حياته العلمية بالأوصاف الجميلة، فقد وصفه تلميذه الجزرى فقال: «كان له يد فى معرفة العالى والنازل، وأسماء رجال المتأخرين، وضبط المؤتلف والمختلف، مع الدين والثقة والصيانة، وحسن الخط، وصحة الضبط»، كما ذكره جار الله بن فهد بقوله: «وكان إماما علامة حافظا من كبار الفقهاء، مع الورع والزهد والصيانة» وقد تتابع المترجمون

لابن رافع، يثنون عليه بجميل القول، ويصفونه بأكرم الأوصاف، ولم يشذ منهم أحد، فهذا ابن حجر يصفه بقوله: «وكان ذا صلاح وورع، ومعرفة بالفن فائقا، وكان الشيخ تقى الدين السبكى يرجحه على العماد بن كثير»، وأورد لنا ابن قاضى شهبة عن الشيخ شهاب الدين بن حجى، ما نصه: «وكان الشيخ يحكى لى عن تحريره، وإتقانه أنه لا يكتب شيئا من المشكلات حتى يكشف عنه، ويحرره ويضبطه بخطه، قال: ولأهل مصر رغبة فى الأجزاء التى بخطه لذلك»، وقال تلميذه الحافظ أبو الفضل العراقى: «سئل الحافظ أبو الفضل العراقى عن أربعة تعاصروا أيهم أحفظ؟ مغلطاى، وابن كثير، وابن رافع، والحسينى، فأجاب، ومن خطه نقلت: «إن أوسعهم اطلاعا وأعلمهم بالأنساب مغلطاى، على أغلاط تقع منه فى تصانيفه، ولعله من سوء الفهم، وأحفظهم للمتون والتواريخ ابن كثير، وأقعدهم لطلب الحديث، وأعلمهم بالمؤتلف والمختلف ابن رافع، وأعرفهم بالشيوخ المتعاصرين، وبالتخريج الحسينى، وهو أدونهم فى الحفظ».

وهكذا تظهر لنا هذه الأقوال، والتى نقلناها من علماء كبار عاصروا ابن رافع أو تتلمذوا عليه، تظهر المنزلة الرفيعة التى تبوأها ابن رافع بين علماء عصره، والتى أثمرت فيما بعد بنتاج فكرى واسع لابن رافع نلمسه فى قيمة مؤلفاته وتصانيفه التى أصبحت مصدرا مهما لكثير من العلماء والمؤرخين الذين جاؤوا بعده، وأرخوا للفترة التى عاشها ابن رافع وكتب عنها.

رابعا: تلاميذه.

ارتفعت منزلة الحافظ ابن رافع فى البلاد الشامية، وأصبح من علمائها البارزين، ونال بذلك شهرة واسعة، وذاع صيته بين الأنام فصار محط أنظار طلبة العلم يرحلون إليه، ويأخذونه عنه، ويسمعون عليه، وأول ما بدأ فى نشر العلم بدأ بأبنائه فأنشأ منهم أسرة متخصصة فى علم الحديث، على غرار أسرته، كما رأينا.

وقد توافد عليه الطلبة من كل حدب وصوب، فقدم لنا بعض من ترجم له عددا من أسماء تلاميذه، واستطعنا أن نتوصل إلى عدد آخر من أسماء تلاميذه لم تذكرها مصادر ترجمة ابن رافع، رتبناهم على سنى وفياتهم، وأشرنا إلى المصادر التى ذكرت سماع هؤلاء الطلبة عليه، أو تخرجهم به فى علم الحديث، وفيهم شيوخ له ورفاق فى الطلب منهم:

١ ـ الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.

٢ ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد ابن سعد المقدسى الصالحى المتوفى سنة ٧٥٩ هـ.

٣ ـ الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمد بن على ابن الحسن الحسينى الدمشقى المتوفى سنة ٧٦٥ هـ.

٤ ـ المحدث الفاضل نور الدين أبو الحسن على بن الحسين بن على المصرى المعروف بابن البناء المتوفى سنة ٧٦٨ هـ.

٥ ـ الفقيه جمال الدين عبد الله بن عمر بن داود الكفرى الدمشقى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٠ هـ.

٦ ـ قاضى القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على ابن عبد الكافى السبكى الشافعى المتوفى سنة ٧٧١ هـ.

٧ ـ المحدث الفاضل أبو موسى محمد بن محمود بن إسحاق بن أحمد الحلبى المقدسى المتوفى سنة ٧٧٦ هـ.

٨ ـ أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم التونسى المالكى المتوفى سنة ٧٧٨ هـ.

٩ ـ جمال الدين أبو الفضائل محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الدمشقى المدنى الشهير بابن الشامى المتوفى سنة ٧٧٩ هـ.

١٠ ـ أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن ميمون البلوى الأندلسى المتوفى سنة ٧٨٧ هـ.

١١ ـ الخطيب ناصر الدين أبو المعالى محمد بن على بن محمد بن هاشم بن عبد الواحد بن أبى العشائر السلمى الحلبى المتوفى فى شهر ربيع الأول سنة ٧٨٩ هـ.

١٢ ـ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مفلح بن أبى الوفاء الياسوفى الشافعى المتوفى فى شوال سنة ٧٨٩هـ.

١٣ ـ الحافظ شمس الدين محمد بن موسى بن سند بن نعيم اللخمى المصرى الشافعى المتوفى سنة ٧٩٢ هـ.

١٤ ـ محيى الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد القادر بن الحسن بن على بن أبى القاسم الموصلى بن الشهرزورى.

١٥ ـ أبو جعفر محمد بن محمد بن عنقة البسكرى المدنى المتوفى سنة ٨٠٤ هـ.

١٦ ـ الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن إبراهيم الكردى المصرى الشافعى المعروف بابن العراقى المتوفى سنة ٨٠٦هـ.

١٧ ـ الحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٧ هـ.

١٨ ـ شرف الدين صدِّيق بن على بن صدِّيق الأنطاكى المتوفى سنة ٨٠٩ هـ.

١٩ ـ شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن عمر بن رضوان الحريرى الدمشقى المعروف بالسلاوى المتوفى سنة ٨١٣ هـ .

٢٠ ـ الحافظ أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العال الدمشقى الشافعى بن الحسبانى المتوفى سنة ٨١٥ هـ.

٢١ ـ الحافظ مؤرخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجى بن موسى بن أحمد بن سعد بن غشم بن غزوان الحسبانى الدمشقى الشافعى المتوفى سنة ٨١٦ هـ.

٢٢ ـ الحافظ ولى الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردى المصرى المتوفى سنة ٨٢٦ هـ.

٢٣ ـ المقرئ نور الدين أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن سلامة بن عطوف بن يعلى السلمى المالكى، المعروف بابن سلامة، المتوفى سنة ٨٢٨ هـ.

٢٤ ـ المقرئ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ.

لم تحفظ لنا المصادر التى ترجمت لابن رافع أكثر من ثلاثة كتب، وهى معجم شيوخه، والوفيات، وذيل تاريخ بغداد، وأسماء بعض المشيخات والأجزاء التى خرَّجها ابن رافع لشيوخه، وهى تدور كلها فى فروع علم الحديث وما يتصل به، ولكننا لم نجد له تأليفا فى مصطلح الحديث مع معرفتنا بتضلعه فى هذا الفن.

وفيما يلى أسماء مؤلفاته :

١ ـ معجم الشيوخ :

وهو مما خرَّجه بنفسه، وأول من ذكر هذا الكتاب هو الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمد بن على الحسينى الدمشقى، فقال : « وخرَّج لنفسه معجما استوعب فيه شيوخه » وذكره ابن حبيب فقال : « وجمع معجمه الذى يزيد على ألفى نفر»، وقال فيه ابن قاضى شهبة : «وعمل لنفسه معجما فى أربع مجلدات، وهو فى غاية الإتقان والضبط، مشحون بالفوائد، يشتمل على أكثر من ألف شيخ»، وقد اقتبس منه ابن حجر فى كتابه «الدرر الكامنة» فى أكثر من ١٦٠ موضعا تصريحا بقوله «ذكره ابن رافع فى معجمه» .

والظاهر أنه نقل منه فى غير هذه المواضع ولم يصرح بذلك .

٢ ـ الذيل على تاريخ بغداد لابن النجار: ـ ذكره شمس الدين الحسينى فقال: «وعمل تاريخ بغداد»، وذكره أبو زرعة بقوله: «وصنف ذيلا على تاريخ بغداد لابن النجار فى أربع مجلدات»، وقال الجزرى : «وذيَّل على تاريخ بغداد، ولو ذيَّل على تاريخ دمشق لكان أولى».

وذكر ابن حجر أنه رأى بعضه بخط المؤلف وأنه كان فى ثلاث أو أربع مجلدات. ويصف لنا شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى فى كتابه الإعلان بالتوبيخ جاء فيه « ... وكذا استوفيت عليه مسودة الذيل الذى للتقى بن رافع على ابن النجار، من خطه، وهى فى مجلد، ولكن حصل فيها محو لكثير من تراجمه، وكذا بعض القول فى بعضها مع

أنه كتب عليها ما نصه «فيه نقص كثير عن المبيضة وفيه زيادات قليلة، قال : والمبيضة فى ثلاثة مجلدات»، وقال فى خطبته : «ذكر فيه من دخل بغداد من العلماء، والفقهاء، والمحدثين، والوزراء، والأدباء، ومن فاتهما يعنى الخطيب وابن النجار، أو أحدهما ذكره، ذكرته» ، وعلى المسودة بخط الذهبى ما نصه «كتاب التذييل والصلة على تاريخ بغداد ، ألفه وتلقفه الفقير إلى الله تعالى الإمام الحافظ مفيد الطلبة، عمدة النقلة تقى الدين محمد بن رافع الشافعى، ووصل به التاريخ الكبير الذى جمعه حافظ العراق محب الدين بن النجار ، الذى عمل كتابه ذيلا واستدراكا على تاريخ الحافظ أبى بكر الخطيب ، غفر الله لهم ولنا» .

ويظهر من كلام السخاوى، أن ابن رافع فى كتابه هذا قد استدرك على الخطيب وابن النجار ما فاتهما من التراجم التى هى من شرطهما إلى جانب تذييله على ابن النجار.

ويذكر لنا تقى الدين الفاسى فى مقدمة كتابه «العقد الثمين» الكتب التى نظرها لأجل كتابه، ومن ذلك « ذيل تاريخ بغداد» للحافظ تقى الدين بن رافع ، « ومعجمه » و«وفياته » ، ومن هذا الذيل انتخب التقى الفاسى مجموعة تراجم بلغت (٢٠١) ترجمة، سماها «المنتخب المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار» (نشره المرحوم الأستاذ عباس العزاوى سنة ١٩٣٨ م . مطبعة الأهالى ـ بغداد).

٣ـ الوفيات :

هو الكتاب الذى ذيل به على كتاب «المقتفى لتاريخ أبى شامة» لعلم الدين أبى محمد القاسم بن محمد البرزالى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ، والمعروف عند بعض المؤرخين باسم «وفيات البرزالى » ، وأقدم إشارة وردت إلينا بخصوص كتاب «الوفيات» ما ذكره أبو زرعة فى كتابه «ذيل العبر» فقال : «وعمل الوفيات » ثم ذكره ابن قاضى شهبة فى «تاريخه» و«طبقاته» فقال : « وجمع وفيات ذَيَّل بها على البرزالى » وقال ابن حجر : « وجمع كتابا فى الوفيات ذيل فيه على تاريخ البرزالى، وهو كثير الفوائد»، وذكره حاجى خليفة فى كتابه «كشف الظنون » فقال : «وفيات الشيخ تقى الدين بن رافع ذيل بها على تاريخ البرزالى من سنة ٧٣٧ ـ ٧٧٤ هـ، وتوفى سنة ٧٧٤ هـ بدمشق» .

وقد ذيل على هذا الكتاب شهاب الدين أحمد بن حجى ابن موسى بن أحمد الحسبانى الدمشقى المتوفى سنة ٨١٦هـ.

٤ـ ذيل مشتبه النسبة :

ذكر هذا الكتاب ابن رافع نفسه فى إحدى تراجم كتابه «الوفيات» .

وهو ذيل على كتاب «المشتبه فى الرجال » لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى وقد جاء فى مقدمة الكتاب ما نصه : «بسم الله الرحمن الرحيم، قال الإمام الحافظ العمدة تقى الدين أبو المعالى محمد بن رافع بن أبى محمد السلامى المصرى ثم الدمشقى : الحمد لله على أفضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، أما بعد فإنى ظفرت بأسماء مشتبهة لم أرها فى كتاب شيخنا الحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى رحمه الله تعالى، المسمى «المشتبه فى المؤتلف والمختلف ومشتبه النسبة» مع أنه قد كثَّر فيه، فأردت جمعها فى كراسة لتحصل الفائدة بها إن شاء الله تعالى، وعلى الله التوكل فى القول والعمل» .

(طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٤ م . وقد انتفع منه ابن حجر فى كتابه « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه » ٤ / ١٥١٢ ـ ١٥١٣ وقال : «وقد ذيَّل عليه (يعنى الذهبى) الحافظ تقى الدين بن رافع تلميذه فى هذا المختصر جزءا قدر عشرة أوراق غالبه لا يرد عليه لأنه إما أن يكون قد ذكره ، أو يكون لا يشتبه إلا على بُعْد») .

٥ـ الإجازة العامة :

قال حاجى خليفة فى كشف الظنون : «الإجازة العامة : أجازها جماعة من الحفاظ ، فجمعهم طائفة من العلماء، كالشيخ تقى الدين محمد بن رافع المتوفى سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة (هكذا) ، فإنه صنف فيهم جزءا، والحافظ أبو جعفر محمد بن الحسين بن بدر الكاتب البغدادى رتبهم على الحروف لكثرتهم» .

٦ ـ كتاب ترجمة الإمام إمام الدين أبى القاسم الرافعى .

٧ ـ التخاريج :

خرج ابن رافع عددا من المشيخات والأجزاء الحديثية ، فكان يجمع الشيوخ أو ما حدثوا به من سماعات الشيخ المُخَرَّج له أو مقروءاته أو مجازاته فى مكان واحد ، ويبين طرقها وأسانيدها ويتكلم على رواتها وهو ما يعرف بالتخريج ومن ذلك :

١ ـ مشيخة الشيخ الصالح نجم الدين أبى العز عبد العزيز ابن محمد بن يوسف بن إلياس بن عباس الدقوقى الأصل البغدادى .

٢ ـ مشيخة زين الدار وجيهة بنت على بن يحيى بن على ابن سلطان الأنصارية الصعيدية ثم الإسكندرانية المتوفاة سنة ٧٣٢ هـ .

٣ ـ مشيخة العلامة مجد الدين أبى بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز السنكلونى المتوفى سنة ٧٤٠ هـ .

٤ ـ مشيخة المعدَّل المسند بهاء الدين أبى الحسن على ابن عمر بن أحمد بن عمر بن أبى بكر المقدسى الصالحى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .

٥ ـ مشيخة جمال الدين أبى إسحاق إبراهيم بن محمود ابن سلمان بن فهد الحلبى المتوفى سنة ٧٦٠ هـ .

٦ ـ مشيخة القاضى ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن يعقوب الحلبى المتوفى سنة ٧٦٣ هـ .

٧ ـ مشيخة الأمير ناصر الدين محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب بن فضل الله العمرى العدوى المتوفى سنة ٧٦٥ هـ .

٨ ـ مشيخة المعدل فتح الدين أبى الحرم محمد بن محمد بن أبى الحرم بن أبى طالب القلانسى الحنبلى المتوفى سنة ٧٦٥ هـ .

٩ ـ مشيخة الشيخ المسند شمس الدين محمد بن إبراهيم ابن محمد بن أبى بكر بن إبراهيم البيانى الدمشقى المتوفى سنة ٧٦٦ هـ .

١٠ ـ مشيخة قاضى القضاة جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الملك المسلاتى المالكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ .

١١ ـ جزء للشيخ شهاب الدين أبى الفرج عبد اللطيف ابن عبد العزيز بن يوسف الحرانى الشافعى المتوفى سنة ٧٤٤هـ .

١٢ ـ شرف الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن أبى محمد بن أبى الفتوح المقدسى المتوفى سنة ٧٣٧ هـ .

١٣ ـ معجم الشيخ أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عثمان السلامى الطرابلسى من طرابلس الغرب (الوفيات ١ / ١٩ـ٥١) .

أما عن كتب ابن رافع المطبوعة فقد أورد المعجم الشامل ثلاثة منها هى :

١ ـ تاريخ علماء بغداد المسمى بمنتخب المختار :

ـ تحقيق عباس العزاوى ، بغداد : مطبعة الأهالى ، ١٩٣٨ م ٢٨٦ ص .

٢ ـ ذيل مشتبه النسبة :

ـ تحقيق صلاح الدين المنجد ، بيروت : دار الكتاب الجديد ، . مطابع شعاركو ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

٥٥ ص ، م ٦ ص ، ف ٧ ص : ألفاظ النسبة ، الأعلام ، مصادر ابن رافع .

ـ بيروت : دار الكتاب الجديد ، ط ثانية ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

٨٢ ص ، م ١٢ ص ، ف ٧ ص (عن السابقة) .

٣ ـ الوفيات :

ـ تحقيق صالح مهدى عباس ، أشرف عليه وراجعه بشار عواد معروف ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

ج ١ : ٥٠٥ ص ، م ١٢١ ص + ٤ ص نماذج مصورة من المخطوط .

ج ٢ : ٦٣٨ ص ، ف ٢٣٤ ص : المصادر والمراجع ، المصادر المخطوطة ، المصادر المطبوعة ، التراجم على

حسب سنى الوفاة، التراجم على حروف المعجم الأعلام الكتب ، الأمكنة والبقاع ، المحتوى (المعجم الشامل ٣ / ٢٩ ، ٣٠٩).

قالت المؤلفة : هذه الطبعة هى التى عندى وتقع فى مجلدين ا هـ.

(الأعلام للزركلى ٦ / ١٢٤ ، والوفيات لتقى الدين أبى المعالى محمد بن رافع السلامى، حققه وعلق عليه صالح مهدى عباس. أشرف عليه وراجعه د. بشار عواد معروف ١ / ١٩ ـ ٥١ والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٢٩ ، ٣٠).

* **أبو رافع:**

ذكره ابن عبد البر فى الأسماء تحت اسم أسلم، ثم ذكره فى الكنى تحت اسم أبى رافع فقال:

أسلم مولى رسول الله ﷺ ، أبو رافع ، غلبت عليه كنيته، واختلف فى اسمه. فقيل: أسلم وهو أشهر ما قيل فيه. وقيل : بل اسمه إبراهيم، قاله ابن معين. وقيل : بل اسمه هرمز، والله أعلم .

كان للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبى ﷺ، فلما أسلم العباس بشَّر أبو رافع بإسلامه النبى ﷺ فأعتقه ، وكان قبطيا. وقد قيل: إن أبا رافع هذا كان لسعيد بن العاص فورثه عنه بنوه، وهم ثمانية، وقيل عشرة فأعتقوه كلهم إلا واحدا يقال إنه خالد بن سعيد تمسك بنصيبه منه، وقد قيل : إنه إنما أعتقه منهم ثلاثة، واستمسك بعض القوم بحصصهم منه، فأتى أبو رافع رسول الله ﷺ يستعينه على من لم يعتق منهم، فكلمهم فيه رسول الله ﷺ ، فوهبوه له فأعتقه.

وقال جرير بن حازم، وأيوب السختيانى، وعمرو بن دينار إن الذى تمسك بنصيبه من أبى رافع هو خالد بن سعيد بن العاص وحده، فقال له رسول الله ﷺ اعتق إن شئت نصيبك قال : ما أنا بفاعل قال : فبعه . قال : ولا . قال : فهبه لى قال : ولا . قال : فأنت على حقك منه. فلبث ما شاء الله، ثم أتى خالد رسول الله ﷺ فقال . قد وهبت نصيبى منه لك يارسول الله ، وإنما حملنى على ما صنعته الغضب الذى كان فى نفسى. فأعتق رسول الله ﷺ نصيبه ذلك بعد قبول الهبة، فكان أبو رافع يقول : أنا مولى رسول الله ﷺ .

وقد قيل : إنه ما كان لسعيد بن العاص إلا سهما واحدا ، فاشترى رسول الله ﷺ ذلك السهم فأعتقه، وهذا اضطراب كثير فى ملك سعيد بن العاص له وولاء بنيه ، ولا يثبت من جهة النقل.

وما روى أنه كان للعباس، فوهبه للنبى ﷺ أولى وأصح إن شاء الله تعالى، لأنهم قد أجمعو أنه مولى رسول الله ﷺ ولا يختلفون فى ذلك، وعقب أبى رافع أشراف بالمدينة وغيرها عند الناس، وزوَّجه النبى ﷺ سلمى مولاته، فولدت له عبيد الله بن أبى رافع ، وكانت سلمى قابلة إبراهيم بن النبى ﷺ وشهدت معه خيبر، وكان عبيد الله بن أبى رافع خازنا وكاتبا لعلى رضى الله عنه، وشهد أبو رافع أُحُدا والخندق وما بعدهما من المشاهد، ولم يشهد بدرا، وإسلامه قبل بدر إلا أنه كان مقيما بمكة فيما ذكروا، وكان قبطيا.

واختلفوا فى وقت وفاته ؛ فقيل : مات قبل قتل عثمان رضى الله عنه، وقال الواقدى: مات أبو رافع بالمدينة قبل قتل عثمان رضى الله عنه بيسير ، وقيل :مات فى خلافة على رضى الله عنه . روى عنه ابنه عبيد الله والحسن ، وعطاء بن يسار (الاستيعاب ١ / ٨٣ـ ٨٥).

وقد ذكر ابن كثير وقال عنه: أسلم ـ وقيل : إبراهيم وقيل ثابت وقيل : هرمز ـ أبو رافع القبطى، أسلم قبل بدر ولم يشهدها، لأنه كان بمكة مع سادته آل العباس. وكان ينحت القداح . وقصته مع الخبيث أبى لهب حين جاء خبر وقعة بدر ثم هاجر وشهد أحدا وما بعدها، وكان كاتبا، وقد كتب بين يدى على بن أبى طالب بالكوفة قاله الفضل بن غسان الغلابى وشهد فتح مصر فى أيام عمر، وقد كان أولا للعباس ابن عبد المطلب فوهبه النبى ﷺ وعتقه وزوجه مولاته سلمى ، فولدت له أولادا، وكان يكون على ثقل النبى ﷺ (الثقل ـ محركة ـ متاع البيت وحشمه ، وكل شىء نفسى مصون).

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وبهز قالا: حدثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبى رافع عن أبى رافع، أن

رسول الله ﷺ بعث رجلا من بنى مخزوم على الصدقة، فقال لأبي رافع: اصحبني كيما تصيب منها، فقال: لا، حتى آتى رسول الله ﷺ فأسأله فأتى رسول الله ﷺ فسأله فقال: «الصدقة لا تحل لنا، وإن مولى القوم منهم». وقد رواه الثورى عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن الحكم به. وروى أبو يعلى فى مسنده عنه: أنه أصابهم برد شديد وهم بخيبر، فقال رسول الله ﷺ: «من كان له لحاف فليلحف من لا لحاف له» قال أبو رافع: فلم أجد من يلحفنى معه، فأتيت رسول الله ﷺ فألقى علىَّ لحافه، فنمنا حتى أصبحنا، فوجد رسول الله ﷺ عند رجليه حية فقال: «يا أبا رافع، اقتلها، اقتلها» وروى له الجماعة فى كتبهم، ومات فى أيام على رضى الله عنه (البداية والنهاية ٣/ ٣٩٥).

وقال صاحب الرياض المستطابة:

خرَّج له الجماعة رويا له أربعة أحاديث، انفرد البخارى بواحد، ومسلم بثلاثة، روى عنه أولاده وسعد المقبرى. مات بعد عثمان رضى الله عنهما ورحمهما (الرياض المستطابة / ٢٧٥).

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق على محمد البجاوى ١ / ٨٣ ـ ٨٥، والبداية والنهاية لابن كثير ـ حققه وراجعه وعلق عليه محمد عبد العزيز النجاز ط دار الغد العربى. القاهرة م٣/ ٣٩٥).

*** أبو رافع الصائغ:**

قال ابن عبد البر: أبو رافع الصائغ. اسمه نفيع. لا أعرف لمن ولاؤه، ولا أقف على نسبه، وهو مشهور من علماء التابعين، أدرك الجاهلية. روى عنه ثابت البنانى، وخلاس بن عمرو الهجرى. يُعد فى البصريين أعظم روايته عن عمر، وأبى هريرة رضى الله عنهما. وفى رواية ثابت البنانى عنه أنه قال: أطيب شىء أكلته فى الجاهلية ... فذكر عضوا من سبع.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لأبى عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٥٦).

*** ابن أبى رافع:**

أدرجه ابن النديم فى المنجمين وقال عنه: ابن أبى رافع، وهو أبو الحسن، وكان فاضلا له من الكتب كتاب «اختلاف الطلوع»، ..

(الفهرست لابن النديم / ٣٨٩).

*** الرافعى:**

قال السمعانى:

الرافعى: بفتح الراء وكسر الفاء بعد الألف وفى آخرها العين المهملة، هذه النسبة إلى أبى رافع وهو جد إبراهيم بن على بن حسن بن على بن أبى رافع الرافعى المدينى من أهل المدينة، حدث عن أبيه وعمه أيوب بن الحسن الرافعى وكثير ابن عبد الله المزنى وغيرهم، روى عنه إبراهيم بن حمزة الزبيرى وإبراهيم بن المنذر الحزامى ومحمد بن إسحاق المسيبى وأبو ثابت محمد بن عبيد الله المدينى ويعقوب بن حميد بن كاسب، وكان نزل بغداد بأخرة ومات بها، وحكى عثمان بن سعيد الدارمى قال: قلت ليحيى بن معين: فإبراهيم بن على الرافعى من هو؟ قال: شيخ مات بالقرب، كان ههنا ليس به بأس، قلت يقول حدثنى عمى أيوب بن حسن: كيف هو؟ قال ليس به بأس.

وأبو الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن أفلح بن رافع بن إبراهيم بن أفلح بن عبد الرحمن بن عبيد بن رفاعة بن رافع الأنصارى الزرقى الرافعى، نسب إلى جده الأعلى، ورفاعة ابن رافع أحد النقباء، كان عقبيا وشهد أُحدا مع رسول الله ﷺ، وكان محمد بن إسحاق نقيب الأنصار ببغداد، وحدث عن الحسن بن محمد بن شعبة الأنصارى وعبد الله بن محمد البغوى روى عنه أحمد بن عمر البقال، وقال محمد بن أبى الفوارس: كان ثقة ولم أسمع منه. قال أبو الحسن بن الفرات كان محمد بن إسحاق الزرقى ثقة جميل الأمر حافظا لأمور الأنصار ومناقبهم ومشاهدهم، وقد كتبت عنه شيئا يسيرا، وذكر لى أن كتبه تلفت، وتوفى جمادى الآخرة سنة ست وستين وثلاثمائة، ودفن فى مقابر الأنصار عند أبيه.

(الأنساب للسمعانى، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ٢٧).

*** الرافعي (عبد القادر) (١٢٤٨ـ ١٣٢٣ هـ / ١٨٣٢ـ ١٩٠٥ م):**

عبد القادر بن مصطفى بن عبد القادر البيسارى الرافعي، فقيه حنفى، من علماء الأزهر. ولد فى طرابلس الشام، وتعلم بالأزهر. وعلت شهرته فى فقه الحنفية، حتى كان يلقب بأبى حنيفة الصغير وترأس المجلس العلمى فى المحكمة الشرعية بالقاهرة. من كتبه «تقرير على الدر المختار» فقه، و «تقرير على الأشباه والنظائر» أصول، و «جدول الأغلاط الواقعة فى كتاب قرة عيون الأخبار تكملة رد المختار على الدر المختار» وقد جمع ابنه محمد رشيد الرافعي سيرته، وما قيل فيه، فى كتاب «ترجمة حياة الشيخ عبد القادر الرافعي».

(الأعلام ٤ / ٤٦).

قالت المؤلفة: كتاب «رد المختار على الدر المختار» المذكور آنفا هو الكتاب المشهور بحاشية العلامة ابن عابدين أشهر مؤلفات ابن عابدين، ويأتى فى حرف الراء مع الدال إن شاء الله تعالى (الأعلام للزركلى ٤ / ٤٦).

*** الرافعي (عبد الكريم) (٥٥٧ـ ٦٢٣ هـ / ١١٦٢ـ ١٢٢٦ م):**

عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل، الإمام العلامة إمام الدين أبو القاسم الرافعي القزوينى، صاحب «الشرح الكبير» قال الذهبى، وقد أدرجه فى الطبقة الثالثة والثلاثين: الرافعي، شيخ الشافعية عالم العجم والعرب إمام الدين أبو القاسم عبد الكريم ابن العلامة أبى الفضل بن الحسين الرافعي القزوينى ... قرأ على أبيه فى سنة تسع وستين وخمسمائة، وروى عنه وعن عبد الله بن أبى الفتوح بن عمران الفقيه، ومحمد بن أبى طالب الضرير، وجماعة. سمع منه الحافظ عبد العظيم بالموسم، وكان من العلماء العاملين، يذكر عنه تعبُّد ونُسك وأحوال وتواضع، انتهت إليه معرفة المذهب، له «الفتح العزيز فى شرح الوجيز» وأشياء (تهذيب سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٠٧).

ذكره ابن الصلاح

وقال: ما أظن فى بلاد العجم مثله، وكان ذا فنون، حسن السيرة، صنف شرح «الوجيز» فى اثنى عشر مجلدا لم يشرح الوجيز بمثله.

وقال الشيخ محيى الدين النواوى: الرافعي من الصالحين المتمكنين، كانت له كرامات كثيرة ظاهرة.

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد الإسفراييني فى «الأربعين» تأليفه: هو شيخنا إمام الدين وناصر السنة، كان أوحد عصره فى العلوم الدينية أصولا وفروعا وكان له مجلس بقزوين فى التفسير وتفسير الحديث، صنف شرحا لمسند الشافعي، وأسمعه، وصنف شرحا للوجيز ثم صنف آخر أوجز منه، وكان زاهدا ورعا متواضعا، وتوفى بقزوين، رحمه الله تعالى، سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

(فوات الوفيات ٢ / ٣٧٦، ٣٧٧).

وقال النووى: إنه كان من الصالحين المتمكنين، وكانت له كرامات كثيرة ظاهرة.

وقال الإسنوى: كان إماما فى الفقه، والتفسير، والحديث، والأصول وغيرها. طاهر اللسان فى تصنيفه، كثير الأدب، شديد الاحتراز فى المنقولات فلا يطلق نقلا عن أحد غالبا إلا إذا رآه فى كلامه، فإن لم يقف عليه فيه عبَّر بقوله: وعن فلان كذا، شديد الاحتراز أيضا فى مراتب الترجيح.

قال الذهبى: ويظهر عليه اعتناء قوى بالحديث وفنونه فى شرح «المسند» وقيل: إنه لم يجد زيتا للمطالعة فى قرية بات به فتألم، فأضاء له عرق كرمة فجلس يطالع ويكتب عليه.

وله شعر حسن ذكر منه فى «أماليه»:

أقيما على باب الرحيم أقيما
ولا تنيا فى ذكره فتهيما
هو الربُّ من يقرع على الصدق بابه
يجده رءوفا بالعباد رحيما

وله أيضا:

الملك لله الذى عنت الوجو
ه له وذلّت عنده الأرباب

متفــــردٌ بــــالمُلك والسلطـــــان قـــد
خســـر الـــذين تجـــاذبـوه وخـــابــوا
دعهـم وزعم الملك يـــــوم غــــرورهـم
فسيعلمـــــون غــــدا من الكـــــذاب

وله :

تنبَّـــــه فحقٌّ أن يطـــــول بحســــــرة
تلهف مـن يستغـــرق العمـــر نـــومــــه
وقـــد نمت في عصــر الشبيبـــة غــافـــلا
فهُبَّ نصيحُ الشيب قـــد جـــاء يـــومُــــه

تـوفى أواخر سنـة ثـلاث أو أوائل سنة أربـع ـ وعشـرين وستمائة بقزوين قاله ابن الصلاح . وقال ابن خلكان . فى ذى القعدة سنة ثلاث وعمره نحو ست وستين سنة .

والرافعى منسوب إلى رافعان : بلدة مـن بلاد قزوين . قاله النووى

قـال الإسنـوى : وسمعت قاضـى القضاة جـلال الـدين القزوينى يقول : إن رافعان بـالعجمى مثل الرافعى بالعربى ، فإن الألف والنون فى آخر الاسم عنـد العجم كياء النسبة فى آخره عند العرب، فرافعان نسبة إلى رافع ، ثم إنه ليس بنواحى قزوين بلدة يقال لها رافعـان ولا رافع . بل هو منسوب إلى جد له يقال له رافع .

قـال الإسنوى : وحكى بعض الفضـلاء عن شيخه قـال : سألت القـاضـى مظفر الـدين قاضى قـزوين، إلى ماذا نسبـة الرافعى ؟ فقال : كتب بخطه وهو عندى فى كتاب «التدوين فى أخبـار قزوين » أنـه منسوب إلى رافع بن خـديج رضى الله عنه . وحكى ابن كثير قولا : أنه منسوب إلى أبى رافع ، مولى رسول الله ﷺ (طبقات المفسرين ١ / ٣٣٥ـ٣٣٧).

ومن تصانيفه : «التدوين فى ذكر أخبار قزوين » و«الإيجاز فى أخطار الحجاز » وهو ما عرض له من «الخواطر» فى سفره إلى الحج ، و «المحرر» فقه ، و «فتح العزيز فى شرح الوجيز للغـزالى» فى الفقـه ، و «شرح مسنـد الشـافعى » و «الأمـالى الشارحة لمفـردات الفاتحة» (فى طبقات المفسـرين للداودى ١/ ٣٣٧ «على مفردات» ، ويقول عنه : هـو ثلاثون مجلسا ، أملاها أحـاديث بأسا نيد عن أشياخه على سـورة الفاتحة، وتكلم عليها) ، و «سواد العينين» فى منـاقب أحمد الرفاعى ، وفى نسبة هذا الكتاب إليه شك (الأعلام ٤ / ٥٥).

ويضيف الداودى : « الشرح الصغيـر» و «التذنيب» مجلد لطيف، يتعلق بـالـوجيز كـالـدقائق على «المنهـاج» (طبقات المفسرين ١ / ٣٣٧).

أما من حيث المخطوطات فيوجد مخطوط «شرح المسند للإمام الشافعى »، فى مكتبة تشستربتى بدبلن ـ أيرلندا وجاء بيانه كما يلى :

المجلد الأول .

الرقم ٣٤٠٥

عنوان المخطوطة : شرح المسند للإمام الشافعى .

اسم المؤلف : الرافعى (عبد الكريم بن محمد).

اسم الشهرة، الرافعى

تاريخ الوفاة : ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م

تعريف بـالمخطوطة : المجلد الأول من شـرح «المسند » مجموعة الأحاديث المستخلصة من لدن أبى جعفر، محمد ابن مطر الشافعى النيسابورى (ت أوائل ق ٣ هـ / ٩ م).

عدد الأوراق : ٢٧٣ ورقة ، ٢٦ × ٢ , ١٨ سم

نوع الخط : نسخ معتاد واضح .

النـاسخ : عبـد الـرحمن بن عمـر بن أحمـد الكـرخى القزوينى .

تـاريخ النسخ : ٢٠ جمـادى الأولى ٦٥٥ هــ (٥ يـونيـو ١٢٥٧م).

المصدر : عن شـروح أخرى انظر بـروكلمان ١ / ١٧٩ ، الملحق ١ / ٣٠٥ .

ملاحظة : لم تظهر نسخة أخرى من المخطوطة .

المجلد الثانى .

تعريف بالمخطوطة : المجلـد الثانى من شرح «المسند » مجموعة الأحاديث المستخلصة من «المبسوط » للشافعى

(ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م).

عدد الأوراق : ١٣٤ ورقة ، ٢٧,٦ × ١٩,٨ سم

نوع الخط : نسخ معتاد واضح

تاريخ النسخ : (د : ت) تقديرا ق ٨ هـ ١٤ م.

(فهرس المخطوطات العربية ١ / ٢٣٩، ٢٤٣).

أما عن مؤلفات الإمام عبد الكريم الرافعى المطبوعة فقد أورد المعجم الشامل اثنين منها هما :

١ ـ سواد العينين فى مناقب الغوث أبى العلمين :

ـ القاهرة : مطبعة بولاق ، ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م، ٣١ص .

٢ ـ فتح العزيز ، شرح الوجيز :

ـ القاهرة : إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م ـ ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ، (١٢ ج) (المعجم الشامل ٣ / ٣٠).

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط هـذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٣ / ٢٠٧ ، وفوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتبى ـ تحقيق د. إحسان عباس ٢ / ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، وطبقات المفسرين للداودى ـ تحقيق على محمد عمر ١ / ٣٣٥ـ ٣٣٧ ، والأعلام للزركلى ٤ / ٥٥ ، وفهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستربيتى دبلن / أيرلندا ١ / ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٣٠. انظر أيضا مرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٤٣٢).

*** الرافعى (محمد بن على) (١٠٤٠ ـ بعد ١١٠٩ هـ / ١٦٣٠ ـ بعد ١٦٩٨ م):**

محمد بن على بن محمد بن أحمد بن على الرافعى اللخمى الأندلسى الأصل ، التطوانى ، أبو عبد الله ، فقيه متأدب من أهل تطوان (انظرها فى موضعها فى حرف التاء فى م ٩ / ٥٠٢ ـ ٥٠٦) . له «المعارج المرقية فى الرحلة المشرقية» رحلة للحج ، و «ديوان» من نظمه ، وليس بشاعر، و «غرر المقاصد والمطالب» رسائل من إنشائه و إنشاء غيره ، و «أدعية وأذكار» وكتبه هذه كلها فى «مجموعة» كتبت سنة ١١٠٩ هـ ، محفوظة فى تطوان ، زهاء ٥٠٠ صفحة ، عليها طرر و إصلاحات و إلحاقات بخطه .

(الأعلام للزركلى ٦ / ٢٩٥، عن تاريخ تطوان ١ / ٣٩٠ـ ٤٠٩).

*** الرافعى (محمد رشيد) (ـ بعد ١٣١٦ هـ / ـ بعد ١٨٩٨ م):**

محمد رشيد بن عبد اللطيف بن عبد القادر بن مصطفى ابن عبد القادر العمرى البيسارى الرافعى الحنفى ، فقيه أديب من أهل طرابلس الشام . له كتب منها ، «نتائج الأفكار» مخطوط بخطه فى الأزهرية ، وهو تقريرات على حاشية ابن عابدين على شرح المنار ، فرغ منها سنة ١٣٠٦ ، و «شرح زاد الفقير» مخطوط بخطه أيضا وبالأزهرية ، فى فقه الحنفية و «تخميس قصيدة لعبد الغنى النابلسى» مخطوط ، مطلعها :

أرج الـربى عبقت بـه الأرجـاء

أهدى الدواء إلىَّ وهو الداء

كتبت برسمه سنة ١٣١٦ فى خزانة الشاويش ببيروت .

(الأعلام للزركلى ٦ / ١٢٥).

*** الرافعى (مصطفى صادق) (١٢٩٨ ـ ١٣٥٦ هـ / ١٨٨١ ـ ١٩٣٧م):**

مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعى ، عالم بالأدب ، شاعر ، من كبار الكتاب . أصله من طرابلس الشام ، ومولده فى بهتيم (بمنزل والد أمه) ووفاته فى طنطا (بمصر) (الأعلام ٧ / ٢٣٥).

بدأ حياته الأدبية شاعرا، وتحول فى الشطر الثانى من حياته إلى النثر، فكتب عدة كتب من النثر الشعرى «حديث القمر» سنة ١٩١١ ، و «المساكين» ١٩١٧ ، وبسط آراءه فى الأدب القديم فى كتابيه «تاريخ آداب العرب» جزءان، و «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية» ، وكتب مقالات فى موضوعات متفرقة ، جمعت فى «وحى القلم» ١٩٣٦ مطبوع

ثلاثة أجزاء،عد ممثلا للمدرسة التقليدية، وعمد إلى إحياء الفصحى المشرقة بمحاكاته الجملة القرآنية. هاجم المجددين فى كتابيه « تحت راية القرآن» ١٩٢٦ ، و « على السفود» ١٩٣٠ رد على العقاد (الموسوعة الثقافية / ٤٧٦ والأعلام ٧ / ٢٣٥).

وله أيضا : «ديوان شعر» مطبوع ، ثلاثة أجزاء ، و« رسائل الأحزان » و « ديوان النظرات » مطبوع، و «السحاب الأحمر فى فلسفة الحب والجمال » مطبوع، و « المعركة » مطبوع فى الرد على كتاب الدكتور طه حسين فى الشعر الجاهلى، و«أوراق الورد » مطبوع . ولمحمد سعيد العريان كتاب «حياة الرافعى » مطبوع، ولمحمود أبى رية : « رسائل الرافعى » مطبوع، وهى رسائل خاصة، . مما كان يبعث به إليه، اشتملت على كثير من آرائه فى الأدب والسياسة ورجالهما .

قال الزركلى : شعره نقى الديباجة، على جفاف فى أكثره، ونثره من الطراز الأول (الأعلام ٧/ ٢٣٥).

وفى كتابه «إعجاز القرآن البيانى » يعلق الأستاذ الدكتور حفنى محمد شرف على كتاب الرافعى « إعجاز القرآن والبلاغة النبوية » مما ننقله لك فيما يلى . قال سيادته : نجد الرافعى فى كتابه المذكور قد جمع كل المذاهب المختلفة لظاهرة الإعجاز، ولكنه لم يكن مجرد جامع للآراء بل كان ناقدا فاحصا أكثر من أى شىء آخر، ولم يقف الكتاب عند عرض المذاهب المختلفة فحسب. بل ذكر كثيرا من المسائل التى تتعلق بالقرآن وعلومه وما إليها، وكان فى كل ذلك يبدى رأيه على واردة هنا أو شاردة هناك بروح المسلم المتحمس للإسلام الثائر على من يعانده، ولذلك نجده أحيانا حين يسوق الكلام إرسالا يصم كل من يخالف عقيدة المؤمن الصادق بألفاظ تحط منه، وهو مع ذلك يناصر الإسلام بعصبية قوية تبعد أحيانا عن الروح العلمية ، ولكنه لا يأبه بذلك بل يسير وفقا لما عليه قلبه الغيور، وأخيرا يقدم رأيه الخاص الذى يعتقده ، وبه يدين. نخلص من هذا كله إلى ذكر ما يتصل بموضوعنا لدى هذا الرجل وأول ما يطالعنا فى هذا الصدد هو تعريفه للإعجاز. وذلك إذ يقول : « وإنما الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية فى محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخى الزمن وتقدمه ، فكأن العالم كله فى العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت فيصير من الأمر المعجز إلى ما يشبه فى الرأى مقابلة أطول الناس عمرا بالدهر على مداه كله، فإن العمر دهر صغير» ويدع هذا ، أو يتخلص منه إلى بيان الإعجاز بالصرفة حيث يقول عنه: وبه قال أبو إسحاق إبراهيم النظام من المتكلمين. والشريف المرتضى من الشيعة، ولكن الأول بالغ فيه حتى عرف به ، كما كان النظام بليغا لِسِنًا مع حسن تصرف، ولكنه مع هذه الصفات اجتمعت فيه عيوب لم يستطع البراء منها أو البعد عنها. ثم تكلم عن القول بإعجاز القرآن لنظمه الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم فى مقاطعه وفواصله ومطالعه، ويستطرد إلى الإتيان برأى من قال إن إعجازه فى سلامة ألفاظه مما يشينها، وخلو عباراته من التناقض واشتماله على العبارات الدقيقة، والقول بأنه فى اجتماع هذه الأمور كلها، وهو يرفض هذه المذاهب بأسلوب تهكمى ، ويتعرض لرأى عبد القاهر الجرجانى، ويثبت أنه ليس أولا فيه ولا سابقا إليه، وإنما قد سبقه إليه أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطى المتوفى سنة ٣٠٦ هـ. ثم على بن عيسى الرمانى المتوفى سنة ٣٨٣ هـ. ثم يذكر رأى القائلين بأن القرآن معجز لمزاياه الظاهرة ، وبدائعه الرائعة فى فواصله وفواتحه وخواتمه، وأقاموا على ذلك ثلاث خواص:

١ ـ الفصاحة فى الألفاظ كأنها السلسال .

٢ ـ البلاغة فى المعانى بالإضافة إلى مضرب كل مثل ومساق كل قصة، وخبر فى الأوامر والنواهى، وأنواع الوعيد، ومحسن المواعظ والأمثال .

٣ ـ صورة النظم فإن كل ما ذكره من هذه العلوم مسوق على أتم نظام، وأحسنه وأكمله .

هذا وقد نسب الرافعى هذا الرأى لطائفة من المتأخرين،

وهو فى الحقيقة مذهب يحيى بن حمزة اليمنى فى كتابه الطراز، إذ هو القائل بأن الإعجاز فى فصاحة الألفاظ وبلاغة المعانى، وحسن النظم، والرافعى يتعرض لذكر طائفة من المتكلمين، وأهل التقسيمات المنطقية على اختلاف بينهم، ويرى أن ما ذكروه لا يعدو فى جملته عن أن يكون سفاسف سخيفة، وآراء واهية مضطربة حيث ذهبوا إلى إنكار الإعجاز، وكذا إنكار التحدى ووقوعه، ونص على بعض العلماء الذين تعرضوا لهذه الطائفة ورد عليها إذ رأى أن ما ذكروه سخف بالغ لا يُرد عليه.

ويتنقل الرافعى بعد هذا كله إلى ذكر مؤلفات العلماء قبله فى إعجاز القرآن، فيذكر كتب «نظم القرآن» للجاحظ، ويورد عليه نقد الباقلانى، كما يذكر كتابى: الواسطى والرمانى، وكتاب إعجاز القرآن للباقلانى ولكنه لم يشأ ترك هذا الأخير دون أن ينقد كتابه، ويسلط عليه عدساته فاستمع إليه وهو يقول: «على أن كتاب الباقلانى، وإن كان فيه الجيد الكثير. وكان الرجل قد هذبه وصفاه وتصنع له، إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره، ولم يتحاش وجها من التأليف لم يرضه من سواه.، وخرج كتابه كما قال هو فى كتاب الجاحظ: لم يكشف عما يلتبس فى أكثر هذا المعنى .. وقد حشر إليه أمثله من كل قبيل من النظم والنثر ذهب بأكثره وغمرت جملته وعدها من محاسنه وهى من عيوبه».

ولكن الرافعى رغم هذا كله لم يستطع إنكار فضل كتاب الباقلانى وقيمته من حيث وفائه بكثير مما قصد إليه من أمهات المسائل ويقول: «وما زاد الباقلانى - رحمه الله - على أن ضمن كتابه روح عصره، وعلى أن جعله فى هذا الباب كالمستحث للخواطر الدانية والهمم المتثاقلة فى أهل التحصيل والاستيعاب الذين لم يذهبوا عن معرفة الأدب، ولم يغفلوا عن وجه اللسان، ولم ينقطعوا دون محاسن الكلام وعيوبه، ولم يضلوا فى مذاهبه وفنونه.. إن الناقض فى هذه الصنعة كالخارج عنها، والشادى فيها كالبائن منها، وقد كانت علوم البلاغة لم تهذب لعهده، ولم يبلغ عنها الاستنباط العلمى، ولم تجر منها الأمهات والأصول ككتب عبد القاهر الجرجانى ومن جاء بعده، فبسط الرجل من ذلك شيئا وهذب شيئا، ونحا فى الانتقاد منحى الذين سبقوه من العلماء بالشعر، وأهل الموازنة بين الشعراء، وكانت تلك العصور بهم حفيلة، وبالجملة فقد وضع ما لم يكن يمكن أن يوضع أوفى منه فى عصره بيد أن القرآن كتاب كل عصر وله فى كل دهر دليل من الدهر على الإعجاز». ثم يذكر مؤلفات العلماء الذين تكلموا عن الإعجاز بعد ذلك كالخطابى والرازى وابن أبى الإصبع والزملكانى ويقول عن تلك المؤلفات إنها كتب أخذ بعضها من بعض.

ويتعرض بعد ذلك لآيات التحدى، ويرى أنها كانت تتدرج من الأكثر إلى الأقل، ويتكلم عن المتنبئين والمخالفين الذين عارضوا القرآن ويذكر بعضا من أخبارهم وأقوالهم وهم:

مسيلمة والأسود والعنسى، وطليحة بن خويلد، وسجاح بنت الحارث، والنضر بن الحرث ويذكر ممن اتهموا بالمعارضة ابن المقفع وابن سينا وقابوس وابن الراوندى والمتنبى والمعرى ويدافع عن بعض هؤلاء المتهمين ويحمل على ابن الراوندى ويقف موقفا حياديا من آخرين، كما تعرض لعجز العرب عن مجاراة القرآن لإدراكهم علو كعب القرآن عن متناولهم وذلك بقوة طبعهم وذوقهم الفنى.

وبعد ذلك العرض المركز لمؤلفات هؤلاء جميعا يخلص الرافعى إلى ذكر رأيه هو فى إعجاز القرآن الكريم، وأنصت إليه إذ يقول «أما الذى عندنا فى وجه إعجاز القرآن، وما حققناه بعد البحث، وانتهينا إليه بالتامل وتصفح الآراء و إطالة الفكر واتضاح الرؤية، وما استخرجناه من القرآن نفسه فى نظمه ووجه تركيبه واطراد أسلوبه، ثم ما تعاطينا من التنظير والمقابلة واكتناه الروح التاريخية فى أوضاع الإنسان وآثاره .. وفى رد وجوه البلاغة إلى أسرار الوضع اللغوى التى مرجعها إلى الإبانة عن حياة المعنى بتركيب حى من الألفاظ يطابق سنن الحياة المعنى بتركيب حى فى دقة التأليف وأحكام الوضع، وجمال التصوير وشدة الملاءمة .. تقول إن الذى ظهر لنا بعد كل ذلك واستقر معنا أن القرآن معجز بالمعنى الذى يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه حين ينفى الإمكان

بالعجز عن غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغا وليس إلى ذلك مأتى، ولا جهة، وإنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها فى إعجاز الصفة وهيئة الوضع، وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغًا من ذوب تلك المواد كلها، وما نظنه إلا الصورة الروحية للعالم كله، فالقرآن معجز فى تاريخه دون سائر الكتب ومعجز فى أثره الإنسانى، ومعجز كذلك فى حقائقه» هذا هو نص ما قاله هذا العلامة الأديب ملخصًا رأيه فى إعجاز القرآن والرافعى إذ يعرض لنا رأيه فى الإعجاز لا يفوته أن يعرج على سبب الإعجاز البيانى عمومًا فهو يرى أن أسلوب الأديب نتيجة لمزاجه الخاص وأن إعجاز القرآن فى أسلوبه راجع إلى أنه ليس من مزاج البشر، ولولا ذلك لأشبه أسلوبًا من أساليب العرب، أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد ولهذا خلا من التناقض ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**﴾ [النساء : ٨٢] ونلاحظ هنا على الرافعى أنه قد جعل السبب مسببا والعلة معلولاً فبدلا من أن يسعى لإثبات أن القرآن من عند الله بإثبات أنه معجز نراه يفعل العكس فيثبت بأنه معجز لأنه من عند الله ولذا فقد علل ذلك بأنه انفرد عن أساليب العرب بأسلوبه الخاص إذ ليس وضعا إنسانيا على جهة العموم . . ولو أنه أثبت قبل ذلك أن أسلوب القرآن فوق طاقة البشر لكانت طريقته فى البرهنة صحيحة لا غبار عليها. ويرى الرافعى أن إعجاز القرآن كامن فى موسيقاه اللغوية التى نتجت عن انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مقطعًا مقطعًا، ونبرة نبرة كأنها توقعه توقيعًا ولا تتلوه تلاوة، ويستدل لذلك بما حدث لعمر ابن الخطاب حين سمع آيات الله تتلى فأعلن إسلامه وأيضًا بما فعله القرآن فى نفوس بعض المشركين الذين كانوا يذهبون ليلا فى سرية ليتسمعوا نغمة العذب وجرسه الرنان فى القلوب ، وليس الإعجاز فى نظر الرافعى وقفًا على الموسيقى اللغوية فحسب بل إن الإعجاز متحقق بنظمه أيضًا . . هذا النظم الذى يقتضى كل ما فيه اقتضاء طبيعيا وضع كل شىء فى موضعه «فليست فيه استعارة ولا مجاز ولا كناية ولا شىء من مثل هذا يصح فى الجواز، وفيما يسعه إلا مكان أن يصلح غيره فى موضعه إذ تبدلته منه فضلا عن أن يفى به، وفضلا عن أن يربى عليه ولو أدرت اللغة كلها على هذا الموضع . فكأن البلاغة فيه إنما هى وجه من نظم حروفه وأنواع البلاغة إنما هى من وجوه التأليف بين معانى الكلمات، فالحرف الواحد من القرآن معجز فى موضعه لأنه يمسك الكلمة التى هو بها يمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر فى إعجازه إعجازا أبديًا . فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية وفوق ما ينسب إليه الإنسان إذ هو يشبه الخلق الحى تمام المشابهة وما أنزله إلا الذى يعلم الشر فى السموات والأرض، فأنت الآن تعلم أن سر الإعجاز هو النظم، وأن لهذا النظم ما بعده من تآلف وعدم تنافر وهو ثالث الأركان التى يقوم عليها الإعجاز فى نظر الرافعى ونلخصها مجتمعة فيما يلى :

١ ـ الموسيقى التى تشتمل عليها حروفه وكلماته.

٢ ـ الروح المستشفة من نظم القرآن والتى تخاطب الروح، وهى ليست ألفاظ ذات سنى فقط بل حياة تضطرم وهى خلق روحى فيه صوت النفس الطبيعى فى تركيب اللغة العربية، هو صوت الفكر أو العقل وقد توفرا للعرب، ويمتاز القرآن بصوت ثالث هو صوت الحسّ فى الألفاظ والمعانى الممثلة.

٣ ـ خلو القرآن من الألفاظ التى تكون كمتكأ وهذا المتكأ يشاهد فى كلام البلغاء وهو يرى أن كلمات القرآن كلها ضرورية فى تأدية المعنى الذى يريد. وبرغم الإحاطة بهذا كله لم ينس الرافعى القول باشتمال القرآن فى مبادئ العلوم وعلى كثير من المخترعات والنظرات العلمية الحديثة ولعل ظهور النزعة العلمية هى التى أرشدت إلى ارتياد هذا الطريق كذلك لم يفته أن يذكر كلام ابن رشد فى احتواء القرآن على طرق التعليم. هذا كله جميل من الرافعى فهو جهد حميد وإن كنا نأخذ عليه جعله القرآن موسوعة دينية ودنيوية لعلوم الأرض بمعنى أنه يصح أن أحيل عليه طالب الطبيعة والكيمياء وعلم الجيولوجيا وعلم طبقات الأرض يستوضحه فى تجاربه ومسائله الرياضية . وهنا نتساءل هل هذا يمكن أن يكون؟أقول : لا . . إذ القرآن يحوى رءوس المسائل العلمية ليس غير، أما تفصيلاتها فمجالها العقل البشرى . ولا يصح ربط إعجاز القرآن بالعلوم لأن العلم يتجدد ويتغير أما القرآن

فثابت لا يتغير، وكل ما فى الأمر أنه كلما تقدم العلم كلما أكد إعجاز القرآن (إعجاز القرآن البيانى / ٢٠٦ ـ ٢١٣)

(الأعلام للزركلى ٧/ ٢٣٥ والموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين سعيد وإعجاز القرآن البيانى بين النظرية والتطبيق ـ د . حفنى محمد شرف / ٢٠٦ـ٢١٣) .

*** الرافقة:**

قال ياقوت: الرافقة: الفاء قبل القاف قال أحمد بن الطيب: الرافقة بلد متصل البناء بالرقة، وهما على ضفة الفرات وبينهما مقدار ثلاثمائة ذراع قال: وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل ، وهى على هيئة مدينة السلام، ولها ربض بينها وبين الرقة وبه أسواقها ، وقد خرب بعض أسوار الرقة .

قلت: هكذا كانت أولاً فأما الآن فإن الرقة خربت وغلب اسمها على الأفق وصار اسم المدينة الرقة، وهى من أعمال الجزيرة مدينة كبيرة كثيرة الخير.

قال أحمد بن يحيى: لم يكن للرافقة أثر قديم إنما بناها المنصور فى سنة ١٥٥ على بناء مدينة بغداد ورتب بها جندًا من أهل خراسان ، وجرى ذلك على يد المهدى وهو ولى عهده، ثم إن الرشيد بنى قصورها وكان فيما بين الرقة والرافقة فضاء وأرض مزارع، فلما قام على بن سليمان بن على واليًا على الجزيرة نقل أسواق الرقة إلى تلك الأرض، وكان سوق الرقة الأعظم فيما مضى يعرف بسوق هشام العتيق ، فلما قدم الرشيد الرقة استزاد فى تلك الأسواق . وكان يأتيها ويقيم بها فعمرت مدة طويلة . والرافقة: من قرى البحرين، عن نصر وقد خرج منها جماعة من أهل العلم ولهم تاريخ منهم: محمد ابن خالد بن بجيلة الرافقى كان ينزلها ، ويقال: إن محمد بن إسماعيل البخارى روى عن الرافقى هذا فى الصحيح روى عنه عبد الله بن موسى .

(معجم البلدان: ٣/ ١٥، ١٦).

***الرافقى:**

قال السمعانى :

الرافقى: بفتح الراء وكسر الفاء والقاف وهذه النسبة إلى الرافقة، وهى بلدة كبيرة على الفرات يقال لها الرقة الساعة والرقة كانت بجنبها فخربت فقالوا: الرقة، أقمت بها ليلتين فى توجهى إلى حلب وكتبت بها عن جماعة والمشهور بالانتساب إليها محمد بن خالد بن جبلة الرافقى، كان ينزل الرافقة يقال إن البخارى حدث عنه فى الجامع عن عبيد الله ابن موسى ومحمد بن موسى بن أعين وغيرهما، ذكره أبو أحمد بن عدى، ويقال إنه محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد الذهلى والله أعلم .

وأبو بكر محمد بن جعفر بن أحمد القاضى الرافقى يعرف بابن الصابونى من أهل الرافقة، قدم بغداد وحدث بها عن أحمد ابن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط الأشجعى وعن الحسن بن جرير الصورى وأحمد بن محمد بن الصلت البغدادى نز يل مصر، روى عنه أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣/ ٢٨) .

***الرافقى (العباس بن محمد) (٣٥٦ هـ)**

أدرجه الإمام الذهبى فى الطبقة العشرين وقال عنه

المحدث أبو الفضل العباس بن محمد بن نصر بن السرى الرافقى نزيل مصر سمع هلال بن العلاء، وجماعة .

وعنه أبو محمد بن النحاس ومحمد بن نظيف ، وآخرون . قال يحيى بن على الطحان تكلموا فيه . مات فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة .

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ٢/ ١٤٤، ١٤٥)

*** رام هُرْمُز:**

انظر رامهرمز

***الرامرانى:**

قال السمعانى :

الرامرانى بفتح الراء بينهما الألف وبعدها راء أخرى وفى آخرها النون هذه النسبة إلى رامران وهى إحدى قرى نسا على فرسخ منها، خرج منها جماعة من الأفاضل والفقهاء. منهم أبو على الحسن بن على النسوى الرامرانى كان إمامًا فاضلاً سمع أبا عمرو محمد بن أحمد بن حمدان المقرى، سمع منه أبو الفضل محمد بن أحمد بن على التميمى ووفاته بعد سنة أربعمائة . وأبو جعفر محمد بن جعفر بن إبراهيم بن عيسى

النسوى الفقيه من أهل الرامران كان فقيها فاضلاً حسن السيرة مكثرًا من الحديث، رحل فى طلبه إلى العراق والشام والحجاز وديار مصر، وعمَّر حتى حدث سمع بنسا أبا العباس الحسن بن سفيان الشيبانى وعبد الله بن محمد الفرهاذانى وببغداد أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى وأبا بكر محمد بن محمد بن الباغندى وبالحجاز أبا سعيد المفضل بن محمد الجندى وبمصر أبا جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى وعلى بن أحمد بن سليمان وبدمشق أبا الحسن أحمد بن عمير بن جوصاء الدمشقى وبحران أبا عروبة الحسين بن أبى معشر السلمى وأقرانهم سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وذكره فقال: أبو جعفر الفقيه من أهل الرامران من الفقهاء الثقات المعدلين قدم نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة مع رئيسهم أبى بكر بن أبى الحسن، وكتبنا عنه بنيسابور ثم لما وردت تلك الناحية صادفته حيًّا وكتبت عنه بها، وكان حسن الحديث صحيح الأصول، وتوفى فى قريته وأنا بها فى رجب من سنة ستين وثلاثمائة.

(الأنساب للسمعانى ٣/ ٢٨).

*** الرامزة:**

الرامزة: قصيدة فى علمى العروض والقافية للشيخ الأديب ضياء الدين أبى محمد عبد الله الخزرجى المتوفى سنة ٦٢٦، ولها شروح كثيرة أقدمها شرح الشريف الأندلسى. وشرحها أيضا الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الدلجى العثمانى الشافعى المتوفى سنة ٦٤٧ شرحا ممزوجا أوله: اللهم إن مما منحتنا من بسيط جودك الوافر .. إلخ وسماه رفع حاجب العيون الغامزة عن كنوز الرامزة (كشف ١/ ٨٣٠).

يوجد مخطوطها فى دار الكتب المصرية وجاء بيانه كما يلى:

الرامزة، وهى المعروفة بالخزرجية

تأليف الإمام ضياء الدين أبى محمد عبد الله بن محمد الأنصارى الخزرجى الأندلسى الإسكندرى المعروف بابن أبى الجيش المتوفى سنة ٦٢٦.

أولها:

وللشعر ميزان يسمى عروضه
بها النقص والرجحان يدريهما الفتى

ـ نسخة بقلم معتاد تمت كتابة فى ١٣ رجب سنة ١٢٤٠هـ بهامشها تقييدات فى ٥ ورقات ومسطرتها ١٥ سطرا.

١٦ × ٢٤ [٦٥٤٤ هـ].

(فهرست المخطوطات ق ١ م ٢/ ٣٤٤).

قالت المؤلفة: كنا قد أوردنا نبذة عن هذه المنظومة وعن مخطوطها المحفوظ بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وذلك تحت عنوان «الخزرجية» وقد سميت كذلك نسبة إلى الخزرجى ناظمها. ونوردها هنا تحت اسم «الرامزة» وهو الاسم الذى أدرجت تحته فى المصادر التى لدينا، ونتقلها هنا بتمامها لكى نحيل عليها بعد ذلك عند إدراج كلٍّ من أقسامها. وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها. قال الناظم رحمه الله:

١ ـ ***وللشعر ميزان تسمى عروضه***
بها النقص والرجحان يدريهما الفتى

٢ ـ ***وأنواعه قل خمس عشرة كلها***
تؤلف من جزءين فرعين لا سوى

٣ ـ ***وأول نطق المرء حرف محرك***
فإن يأت ثان قيل ذا سبب بدا

٤ ـ ***خفيف متى يسكن وإلا فضده***
وقل وتدٌ إن زدت حرفا بلا امترا

٥ ـ ***وسمِّ بمجموع فعل وبضده***
كفعل ومن جنسيهما الجزء قد أتى

٦ ـ ***خماسية قل والسباعى ثم لا***
يفوتك تركيبهما وسوف إذن ترى

٧ ـ ***فعولن مفاعيلن مفاعلتن وفا***
علاتن أصول الست فالعشر ما حوى

٨ ـ ***أصابت بسهميها جوارحنا فذا***
ركونى بهمة كوقعيهما سوى

٩ ـــ فمــا زائرتـي فيهمــا حجبتهمــا

ولا يــد طـــولاهن يعتــادهــا الـــوفــا

١٠ ـــ فـــرتب إلى اليـــازن دوائر خفشلق

أولات عــدٌ جـــزءٌ لجـــزء ثُنَــا ثنــا

١١ ـــ خ ثمّـن ابن زمهـــر ولـــه فلّ ستــة

جلت حـض شمَّـر بل وفُـزْن لــذووطـا

١٢ ـــ وطَـوْلُ عـزيـزكـم بـدعبلكم طـووا

يعـــزز قس تثمين أشـــرف مـــا تـــرى

١٣ ـ فمنهــا ابتنى المصراع والبيت منـه والـ

ـــقصيدة من أبيــات بحــر على استـــوا

١٤ ـــ وقل آخـــر الصــدر العــروض ومثلــه

من العجـــز الضــرب اعلم الفـرق بـــاعتنــا

ألقاب الأبيات

١٥ ـــ إذا استكمل الأجـــزاء بيت كحشـــوه

عـــروض وضـــرب ثم أو خـــولفت وفـــا

١٦ ـــ بـزهـر همـــا وازداد سطحك حـائد

أخيـــرهمـــا فـــالفـــرق بينهمـــا انجلى

١٧ ـــ وإسقــاط جـزءيـه وشطـر وفـوقـه

هـــو الجـــزء ثم الشطـــر والنهك إن طـــرا

١٨ ـــ لـــلأول حتمـــا نبل مُـــوف فإن تُـــرد

جـــوازا فهجـــز حـــدس كفء أخـا هـــدى

١٩ ـــ وجـوِّز ثـــان بـــالســـريع وســـابع

ونهك بـــــزيٍّ وهـــــو نـــــزر متى أتـى

الزحاف المنفرد

٢٠ ـــ وتغييـــر ثـــانى حـــرف السبب أدعـــه

زحـــافـــا فـأوج الجـــزء من ذلك احتمى

٢١ ـــ وذلك بـــالإسكـــان والحـــذف فيهمـــا

يعُمَّ على التـــرتيب فـــاقض على الـــولا

٢٢ ـــ فتلك بشـان الجـزء الإضمـــار متبعـــا

بخبن ووقص فـــادع كـــلا بمـــا اقتضى

٢٣ ـــ ورابعـــه لـم يبل إلا بطيـــه

أى الحـــذف إن يسكن وإلا فقـــد نجـــا

٢٤ ـــ وعصبٌ وقبضٌ ثم عقلٌ بخـــامس

وكف سقـــوط الســابع الســـاكن أنقضى

الزحاف المزدوج

٢٥ ـــ وطيُّك بعـــد الخبن خبل وبعـــد أن

تقـــدم إضمـــار هـــو الخـــزل يـــا فتى

٢٦ ـــ وكفك بعـــد الخبـن شكل وبعـــد أن

جـرى العصب نقص كل ذا البـــاب مجتـوى

المعاقبة والمراقبة والمكانفة

٢٧ ـــ إذا السببـــان استجمعـا لهمـــا النجـا

أو الفـــرد حتمـــا فـــالمعـــاقبـــة اسم ذا

٢٨ ـــ لـــلأول أو ثـــانيـه أو لكليهمـــا اســـ

ـــم صـــدر وعجـــز قيل والطـــرفـــان جـــا

٢٩ ـــ تُحـل بَيَجْـدُو كـــاهنٌ بى وجـــزؤهـــا

بـــرىٌّ متى يفقـــد وقـــد جـــاز أن يُـــرى

٣٠ ـــ ومنعك للضـــدين مبـــدأ شطـــر لم

بـأربعهـــــا كـل مـــــراقبـــــة دعـــــا

٣١ ـــ وأبحـــر طيٍّ جُــزْ مكـــانفـــة لهـــا

بكُمِّلهَـــا فـــافعـل بهـــا أيمـــا تشـــا

علل الأجزاء

٣٢ ـــ ومـــا لم يكن فيمـــا مضى ادع بعلـــة

زيـــادتـــه والنقـص فـــرقـــا لـــذى النهى

٣٣ ـــ فـــزد سببـــا خفـــا لتـــرفيل كـــامل

بغـــايتـــه من بعـــد جـــزء لـــه اهتـــدى

٣٤ ـــ ومجـــزَّوهج ذيلـه بـالسكن ثـــامنـــا

وسبِّـع بـــه المجـــزو فى رمل عَـــرَى

٣٥ ـــ وإن زدت صـدر الشطـر مـا دون خمسـة

فـــذلك خـــرم وهـــو أقبح مـــا يُـــرى

٣٦ ـ وحذفٌ وقطفٌ قصرُ القطع حذُّه
وصَلْمٌ ووقفٌ كسفُ الخرم ما انقرى

٣٧ ـ مواقعها أعجاز الاجزاء إن أتت
عروضا وضربا ما عدا الخرم فابتدا

٣٨ ـ ففي حاسبوك الحذف للخف واقطعن
به إثر سكن بد والأثقل انتفى

٣٩ ـ وحسبك فيها القصر حذفك ساكنا
وتسكين حرف قبله إذ حكى العصا

٤٠ ـ كذا القطع لكن ذاك في سبب جرى
وفي وتد هذا وجهِّز له حوى

٤١ ـ وحذفك مجموعا دعوا حذ كامل
وإلا فصلمٌ والسريع به ارتدى

٤٢ ـ ووقفٌ وكسفٌ في المحرك سابعا
فأسكن وأسقط بحرطي وكِ الهدى

٤٣ ـ وقطعُك للمحذوف بترٌ بسبب
وقيل المديد اختص باسميه في الدُّعا

٤٤ ـ وسل وُدًّا أخرم للضرورة صدرها
ووضع فعولن ثلمه شرمهُ بدا

٤٥ ـ ووضع مفاعيلن لخرم وشتره
وللخرب اعلم بالمراتب ما خفي

٤٦ ـ مفاعلتن للعصب والقصم والجمم
وخرمٌ ونقص فيه عقصٌ وقد مضى

ما أجرى من العلل مجرى الزحاف

٤٧ ـ وشعث كن أخرم وده اقطعه أضمرن
بخبن وأولى سر بحذف ولا سوى

٤٨ ـ فصدرا وحشوا قل عروضا وضربها
تغيرت الأجزاء فاختلف الكنى

٤٩ ـ فقيل ابتداء واعتماد وفصلها
وغايتها المختص منها بما جرى

٥٠ ـ فإن تنج فالموفور يتلوه سالم
صحيح معرى لا تدع ذلك الهدى

٥١ ـ وقد تم إجمالا فخذه مُفصَّلا
له ولألقاب وبالرمز يهتدى

٥٢ ـ فالأول بحر فالعروض فضربُه
وغايتها سين فدال تلت فطا

٥٣ ـ محرفه المدعيُّ نيف زحافه
وما حشوه مُلغى دناه ارع لا القُصا

الطويل

٥٤ ـ أأجرى غرورا أم ستبدى صدوركم
أسُودُ وأحداجٌ أم المُورُ قد عفا

المديد

٥٥ ـ يجود كليبا لا يغُرَّ اعلموا انما
يعيش بهندٍ متى مابع اهتدى

٥٦ ـ فمن مخصبين كل جون ربابه
فياليت شعري هل لنا منه مرتوى

البسيط

٥٧ ـ جرت جولةٌ يا حار شعواء خيَّلت
وقُوفي فسيروا عنه قد هيَّج الجوى

٥٨ ـ فَحقْبُ ارتحال ذا لقيهم فذقتم
أصاح مقامي ذاك والشيب قد علا

الوافر

٥٩ ـ دنت بجُدًى فيه لنا غنمٌ به
ربيعة تعصيني ولم نستطع أذى

٦٠ ـ سطور حفيراتٌ بها نزل الشتا
تفاحش لولا خير من ركب المطا

الكامل

٦١ ـ هجرت طلا يصحو خبالا برامتي
أجشُّ لأنت اللذ سبقتهم إلى

٦٢ ـ بمختلف الأمر افتقرت وأكثروا
وعَبْسٌ يذُبُّ الصُّم عن تامر ولا

٦٣ ـــ نقلتهم عن جـدة فـابتأست والشـــ
ـــقاء مخـاف لم تجـد فـارغـا كفى

الهزج

٦٤ ـــ وأبـد بسهب الضيم بأسـا يـذودهم
كـذاك ولـو مـاتـوا فموسى أمـرء دنـا

الرجز

٦٥ ـــ زكت دهـرهـا دار بهـا القلب جـاهـد
وقـد هـاج قلبى منـزل ثـم قـد

٦٦ ـــ فيـاليتنى من خـالـد ومنـافهم
أرى ثقـلا لا خيـر فيمن لنـا أسـا

الرمل

٦٧ ـــ حبـونك سُحقـا مَآلكَ الخَنْس فـاربعا
ففى مفقـرات مـا لمـا فعلت دَوَا

٦٨ ـــ فَصَلَتْ قضـاهـا صـابـرٌ وهى أقصـدت
لـه واضحـات دونـه عُـذْبُ القنـا

السريع

٦٩ ـــ طغى دون شـام محـول لا لقيل مـا
بـه النشـر فى حـافـات رحلى قـد نمـا

٧٠ ـــ أرد من طـريف فى الطـريق وفـاءه
ولا بـد إن أخطأت من طلب الـرضـا

المنسرح

٧١ ـــ يُلحِّج يُغشى صبـر سعـد بـذى سمى
على سمت سـلاف بـه الأنس قـد يـرى

الخفيف

٧٢ ـــ كفيت جهـارا بـالسخـال الـردى فإن
قـدرنـا تجـد فى أمـرنـا خطب ذى حمى

٧٣ ـــ فلم يتغيـر يـا عميـر وصـالهـا
جحـاجحـة فى حبلهـا علقـوا معـا

المضارع

٧٤ ـــ لمـاذا دعـانى مثل زيـد إلى ثنـا
فإن تـدن منـه شبـرا أذكـر إليـه ودا

المقتضب

٧٥ ـــ ومـا أقبلت إلا أتـانـا بعلمهـا
مُبشِّـرنـا يـا حبـذا مـا بـه أتى

المجتث

٧٦ ـــ نقـا أم هـلال من علقت ضمـارهم
أولئك كل منهـم السيـد الـرضـا

المتقارب

٧٧ ـــ سبـوا لابـن مُـر نسـوة وأروا لميـ
ـسية دمنـة لا تبتئس فكـذا قضى

٧٨ ـــ أفـاد فجـاد ابنـا خـداش بـرفـده
وقلت سـدادا فيـه منك لنـا حلى

٧٩ ـــ فـالاضرب سجع والأعـاريض لـدنةٌ
والأبحـر يحمى والـدوائر هى الهـدى

٨٠ ـــ وقل واجب التغييـر أضـرب بحـره
وجـائزه جنس الـزحـاف كمـا ابتنى

٨١ ـــ وخذ لقب المـذكـور ممـا شـرحتـه
وصغ زنـة تحـذو بهـا حـذو من مضى

القوافى والعيوب

٨٢ ـــ وقـافيـة البيت الأخيـرة بل من الـ
ـمحرك قبل السـاكنين إلى انتهـا

٨٣ ـــ تحـوز رويًـا حـرفـا انتسبت لـه
وتحـريكـه المجـرى وإن قـرنـا بمـا

٨٤ ـــ يـدانى فـذا الأكفـا و الاقـوا وبعـده الـ
ـإجازة والإصـراف والكـل متقى

٨٥ ـــ فـوصـلا بهـا لينـا وهـا النفـاذ والـ
ـخروج يـدى لين لهـا الـوصل قـد قفـا

٨٦ ـ وردنا حروف اللين قبل الروى لا
سوى ألف معها المحرك حذو ذا

٨٧ ـ وتأسيسها الهاوى وثالثة الروى
من كلمة أو آخر اضمار ما تلا

٨٨ ـ وفتحة قبل الرَّس بعد الدخيل حر
ركوه بإشباع فمن ساند اعتدا

٨٩ ـ بذا وبتأسيس وحذو وردفها
وتوجيهها مثل ارتدع دع ورع فشا

٩٠ ـ ومستكمل الأجزا العديم سناده
هو البا وثم النصب يؤمن يختشى

٩١ ـ ومطلقها باللين والهاء سنُّها
وتبلغ تسعا بالمقيَّد عكس ذا

٩٢ ـ فجرِّدهما أردفهما اسِّنهما
والأول قد يولى الخروج فيحتذى

٩٣ ـ وردوف بالسكنين حدا وبين ذا
بما دون خمس حُركت فصلوا ابتدا

٩٤ ـ فواتر وتارك راكب أجف تكاوسا
وتضمينها إخراج معنى لذا وذا

٩٥ ـ وتكريرها الإيطاء لفظا ورجحوا
ومعنى ويزكو قبحه كلما دنا

٩٦ ـ والاقعاد تنويع العروض بكامل
وقل مثله التجريد فى الضرب حيث جا

٩٧ ـ وقد كملت ستا وتسعين فالذى
توسع فى ذا العلم توسعه حبا

٩٨ ـ ويسأل عبد الله ذا الخزرجى من
مطالعها إتحافه منه بالدُّعا

(مجموع مهمات المتون / ٧٦٥ ـ ٧٧٤).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٣٠، وفهرست المخطوطات نشرة المخطوطات التى اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـ تصنيف فؤاد سيد. القاهرة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م، ق ١ م ٢ / ٣٤٤ ، ومجموع مهمات المتون ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر / ٧٦٥ ـ ٧٧٤).

***رامس :**

قال ياقوت :

رامس : بالسين المهملة : موضع فى ديار محارب، ورامس ، فاعل من الرمس : وهو التراب تحمله الريح فترمس به الآثار أى تعفوها . حدَّث عبد الملك بن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده عمرو بن حزم قال : كتب رسول الله ، ﷺ : هذا كتاب من محمد رسول الله لعظيم بن الحارث المحاربى أن له الجمعة من رامس لا يحاقه أحد، وكتب الأرقم .

(معجم البلدان ٣ / ١٧).

*** رامُش:**

قال ياقوت

رامش : بضم الميم، وآخره شين : قرية من أعمال بخارى، ينسب إليها أبو إسحاق إبراهيم الرامشى - يروى عن أبى عمرو محمد بن محمد بن صابر البخارى وغيره . روى عنه أبو محمد النخشبى .

(معجم البلدان ٣ / ١٧).

*** ابن رامش (ـ ٤٢٧هـ):**

أدرجه الإمام الشمس الذهبى فى الطبقة الثالثة والعشرين وقال عنه : المولى الكبير، متولى نيسابور، أبو عبد الله، منصور بن رامش بن عبد الله بن زيد النيسابورى . حدث بخراسان وببغداد والحرم ودمشق عن أبى الفضل عبيد الله الزهرى، والدارقطنى، وعدة .

روى عنه الخطيب، والكتانى، وجماعة، وكان صدرا معظما ، ثقة، محدِّثا كثير الرواية، وجه بوقر من مسموعاته، وتفرد بأشياء .

توفى فى رجب سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط . هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢ / ٣٢٢).

* **الرامشى:**

قال السمعانى :

الـرامشى : بفتح الـراء وضم الميـم وفى آخـرهـا الشين المعجمـة ، هذه النسبـة إلى رامش وهـو اسم لبعض أجـداد المنتسب إليه ، وهـو أبو نصـر محمد بن محمـد بن أحمد بن هميمـاة الـرامشى ، هـو ابن بنت أبى نصـر منصـور بن رامش رئيس نيسابـور ، وأبو نصـر بن هميماة كان مقرئا عارفـا بعلوم القرآن ، ولـه حظ صالح من النحـو والعربيـة ، سمع الحديث أولا مع أخوالـه من أصحاب أبى العباس الأصم ، ثم سـافر إلى العراق والحجـاز والشام وديار مصر وأدرك المشـايخ وقرأ بمعـرة النعمان على أبى العـلاء أحمـد بن عبد الله المعـرى ، وانصرف ، وارتبطه نظـام الملك الوزير فى مدرستـه بنيسابور ليقرئ النـاس ويحدث فلم يـزل يفيد ويقرئ ويحـدث ويقرأ عليـه الأدب إلى أن مـات ، سمع بنيسـابور أبـا القـاسم عبـد الرحمن بن محمد بن عبد الله السراج وأبا عبد الله الحسين بن محمد بن فنجويه الدينورى وأبا سعد عبد الرحمن بن الحسن ابن عليك الحـافظ ، وبمكـة أبـا الحسن محمـد بن على بن محمـد بن صخـر الأزدى ، وبـالرملـة أبـا الحسن محمـد بن الحسين بن على بن التـرجمان الصوفى ، وبتنيـس أبا الحسن على بن الحسين بن عثمـان بن جابـر المصرى وطبقتهم روى لنا عنه أبو حفص عمر بن على بن سهل السلطان وأبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار بمرو ، وأبو عثمان إسماعيل ابن عبد الرحمن العصائدى بسنج ، وأبو منصور عبد الخالق ابن زاهر الشحـامى وزوجته أم سلمـة سِتِّيك بنت أبى الحسن الفارسى وناصـر بن أبى القاسم الواعظ وأبـو عثمان سعيد بن عبد الله الملقاباذى وغيرهم ، ولد سنة أربع وأربعمائة ، وتوفى فى جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وأربعمائة بنيسابور ودفن بمقبرة باب معمر .

وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن حماد بن قطن بن منصور بن صالح بن رفيد بن بجيح بن عبد العزيز المصرى الرامشى ـ ورامش قرية من سواد بخـارى ، يروى عن أبى عمرو محمـد بن محمد بن صابـر وأبى أحمد محمـد بن محمد بن الحسن البخـاريين ، روى عنه أبو محمد عبد العزيز بن محمد النخشبى .

(الأنسـاب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ٢٨ ، ٢٩).

* **رامشين:**

قال ياقوت :

رامشين : أظنها من قرى همذان : قال شيرويه : مظفر بن الحسن بن الحسين بن منصور الرامشينى الشافعى ، روى عن أبى محمـد الحسن بن أحمـد بن محمـد الأبهرى الصفـار ، سمع منـه المعدانى ، وكـان صدوقـا ؛ وأميرى بن محمـد بن منصور بن أبى أحمد بن جيك بن بكيـر بن أخرم بن قيصر بن يـزيد بن عبـد الله بن مسـرور أبـو المعالى الـرامشينى ، قـال شيرويه : قدم علينا مرارا ، روى عن أبى منصور المقوِّمى وأبى الفضائل عبد السلام الأبهـرى وأبى محمد الحسن بن محمد ابن كاكا الأبهرى المقرى ، وكان فقيها أديبا فاضلا فهما متورعا صائما ، وكان خادم الفقراء برامشين صدوقا اسمه أميرى .

(معجم البلدان ٣ / ١٧).

* **الرامكى:**

قال السمعانى :

الـرامكى : بفتح الـراء والميم بينهمـا الألف وفى آخـرهـا الكاف هذه النسبة إلى رامك ، وهو اسم لجد أبى القاسم عبد الله بن موسـى بن رامك النيسابـورى الرامكى ، نزيـل بغداد ، سمع أبا عبـد الرحمن عبـد الله بن أحمد بن حنبل وأبـا مسلم إبـراهيم بن عبـد الله الكجى وأبـا العباس محمـد بن يـونس الكـديمى وأقرانهم روى عنـه أبو عبـد الله محمد بن عبـد الله الحـافظ ، وقـال : تـوفى ببغـداد فى سنـة سبع وأربعين ، وثلاثمائة .

(الأنسـاب للسمعانى ٣ / ٢٩).

* **الرامنى:**

قال السمعانى :

الرامنى : بفتح الراء والميم بينهما الألف وفى آخرها النون

هذه النسبة إلى رامنى، وهى قرية من بخارى على فرسخين عند خنبون خربت الساعة، منها أبو أحمد حكيم بن لقمان الرامنى، يروى عن أبى عبد الله بن أبى حفص والفتح بن أبى علوان البخاريين، روى عنه أبو الحسن على بن الحسن بن عبد الرحيم القاضى.

(الأنساب للسمعانى ٣/ ٣٠).

*** رامَهُرمُز:**

إحدى مدن إقليم خوزستان. قال عنها المقدسى وقد اعتبرها كلمتين.

رام هرمز: قصبة كبيرة بها أسواق عامرة، وخيرات كثيرة، وجامع بهيٌّ، عنده أسواق فى غاية الحسن، بناها عضد الدولة، ما رأيت أعجب منها. نظيفة ظريفة. قد زوِّقت، وبُزْبِقَتْ، وبُلِّطت، وظُلِّلَت، وجعل عليها دروب تغلق فى كل ليلة، بسكنها البزازون والعطارون والحصارون. وفى سوق البز قياسير حسنة، .. شربهم من نهر وآبار، والنهر بالنوب. وقد حفت بها النخيل والبساتين. وبها دار كتب كالتى بالبصرة، والداران جميعا اتخذهما ابن سوار، وفيهما أجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ، إلا أن خزانة البصرة أكبر وأعمر وأكثر كتبا، وفى هذه أبدا شيخ يدرس عليه الكلام على مذاهب المعتزلة، ومصلى العيد على طرف البلد بين الدور. وهو بلد نفيس، إلا أنهم يحتاجون فى ليالى الصيف إلى الكلل مع كثرة البق (الكلَّة: ستر رقيق ذو ثقوب يرفع فوق السرير ليتوقى به من البعوض وغيره، والجمع كليل. المعجم الموجز / ٥٤٠. قالت المؤلفة: هى ما يعرف عند العامة باسم «الناموسية»). وقد خفت أطرافها، وغلب السلطان على ضياعها ودخلت على رئيسها أبى الحسن بن زكرياء، وقد كان سكن فلسطين مدة مديدة، فقال: لقد ندمت على مفارقة تلك الديار ورجوعى إلى بلد لا أرى به قرة عينى. وإذا به يتوسل ويجتهد أن يعطى من ضياعه التى أخذت منه مقدار قوت، فلا يعطى (أحسن التقاسيم / ٣١٦، ٣١٧).

وقال عنها ياقوت: رامهرمز: ومعنى رام بالفارسية المراد والمقصود، وهرمز أحد الأكاسرة، فكأن هذه اللفظة مركبة معناها: مقصود هرمز أو مراد هرمز؛ وقال حمزة: رامهرمز اسم مختصر من رامهرمز أردشير، وهى مدينة مشهورة بنواحى خوزستان، والعامة يسمونها رامز كلا منهم عن تتمة اللفظة بكمالها واختصارا، ورامهرمز من بين مدن خوزستان تجمع النخل والجوز والأترنج، وليس ذلك يجتمع بغيرها من مدن خوزستان، وقد ذكرها الشعراء... (معجم البلدان ٣/ ١٧).

(أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى- وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم/ ٣١٦، ٣١٧، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٣/ ١٧).

*** الرَامَهُرمزى (أو الرام هرمزى):**

قال السمعانى:

الرامهرمزى: بفتح الراء والميم بينهما الألف وضم الهاء وسكون الراء الأخرى وضم الميم وفى آخرها الزاى، هذه النسبة إلى رامهرمز وهى إحدى كور الأهواز من بلاد خوزستان، قيل إن سلمان الفارسى رضى الله عنه كان منها، والمشهور بالنسبة إليها القاضى أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى كان فاضلا مكثرا من الحديث، ولى القضاء ببلاد الخوز، ورحل قبل التسعين ومائتين وكتب عن جماعة من أهل شيراز، ثم رجع إليه فى سنة خمس أو ست وأربعين وثلاثمائة، يروى عن أحمد بن حماد بن سفيان، كتب عنه جماعة من أهل شيراز، ذكره أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشيرازى الحافظ فى تاريخ فارس، وقال بلغنى أنه عاش برامهرمز إلى قرب الستين وثلاثمائة.

وأبو عاصم عبد السلام بن أحمد الرامهرمزى، يروى عن القاسم بن نصر، روى عنه أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع الغسانى وذكر أنه سمع منه برامهرمز

وأبو عمرو سهل بن موسى بن البخترى القاضى الرامهرمزى المعروف بشيران، يروى عن أحمد بن عبدة الضبى ومحمد بن يحيى بن على بن عاصم وغيرهما، روى عنه أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى وعلى بن محمد بن لؤلؤ البغدادى.

وعبد الوهاب بن رواحة الرامهرمزى، يروى عن أبى كريب محمد بن العلاء الهمدانى الكوفى، روى عنه سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى وأبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن مهدى القاضى الرامهرمزى، يروى عن محمد بن مرزوق، روى عنه سليمان الطبرانى.

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ٣٠).

*** الرمهرمزى (الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد):**

أوردناه تحت عنوان « ابن خلاد » فى م ١٦ / ١٠٦ فانظره فى موضعه.

*** الراموز**

فى اللغة للسيد محمد بن السيد حسن بن على المتوفى سنة ٨٦٠ (سماه به لكونه مجمع أنهار الرموز) وهو فى غاية الإيجاز، لايح عليه مخايل السحر ودلائل الإعجاز يشتمل على جميع لغات الجوهرى والمغرب والفائق والنهاية. أوله الحمد لله حق حمده إلخ قال ... إن كتاب الصحاح لما كان فيه تطويل وإطناب بإيراد كثير مما يستغنى عنه من الأمثال والشواهد والأنساب واختصره بعض الفضلاء ولكنه أخل كما أن الأصل أسهب وأمل وزاد فيه فوائد فأضفت إلى ما اختاره وجميع ما أهمله من اللغة ثم ألحقت به غرائب ألفيتها فى المغرب وعثرت عليها فى الفائق والنهاية وبسطت الكلام بعض البسط ثم إنى بعدما فرغت سمعت من واحد من العلماء أن ما نقله الجوهرى مطعون وما نقلته من المختصر ليس مما يؤمن متانته وما زلت أسأل الله سبحانه وتعالى أن يطلعنى على مواضع غلمته [خلته] (علمه) حتى وفقنى الله سبحانه وتعالى إلى المطالعة فى القاموس واطلعت فيه إلى ما ركب الجوهرى فيه التصحيف فشمرت عن ساق جدى على أن أقيم ما فيه من الأود حتى فرغت فبينت ما غفل عنه وسها ونقلت عنه أسماء المحدثين ونسبهم واجتنبت عن الإطناب فأشرت إلى قول الله سبحانه وتعالى بحرف ق وإلى الحديث بحرف ح وإلى الأثر بحرف راء وإلى الجمع بحرف ج وإلى الموضع بحرف ع وإلى الجبل بحرف ل وإلى تأنيث الصفات التى تجرى على مذكرها بهاء بحرفى ثه معناهما المؤنث بهاء وإلى اسم رجل بحرفى سم وأشرت بحرفى عز إلى ما يتعدى ويلزم.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٣١).

*** راموز الأحاديث:**

راموز الأحاديث للكمشخانوى.

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم الحديث النبوى الشريف، جاء بيانه فى الفهرس الشامل كما يلى:

١ ـ راموز الأحاديث ـ الكمشخانوى.

١ ـ إزميرلى إسماعيل حقى ٢٤ [١٦٥]

٢ ـ دوكملى باب ٥ [٥٣]

٣ ـ العمومية / إستانبول ٥٤ [١٠٨٨ / ٢٢٩]

٤ ـ المحمودية ٧٧ [٦٣٤] ـ (٢٨٦و)

٥ ـ ملت ٢٠ [١١٤]

٦ ـ ملت ٢٠ [١١٥]

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٨٠١).

*** راموز فى اللغة:**

راموز فى اللغة ــ للشيخ الإمام الورع الزاهد السيد محمد ابن السيد حسام الدين بن السيد على صاحب جامع اللغة أيضا.

(كشف الظنون ١ / ٨٣١).

***رامى:**

قال ياقوت:

رامى: بلفظ واحد الرماة: جزيرة فى بحر شلاهط فى أقصى بلاد الهند عظيمة، يقولون إنها ثمانمائة فرسخ وبها عدة ملوك لا يدين بعضهم لبعض، ولعلها الجزيرة المعروفة بسيلان، فإن سيلان خبرت بمثل هذه الصفة.

(معجم البلدان٣ / ١٨).

* **الرامى**

قال السمعانى :

الرامى : بفتح الراء وفى آخرها الميم بعد الألف، هذه النسبة إلى صنعة الرمى بالقوس والنشاب، اختص بها جماعة من العلماء المطوعين منهم أبو سعيد محمد بن العباس الغازى الرامى، ذكره أبو سعد الإدريسى الحافظ فى كتاب تاريخ سمرقند وقال : محمد بن العباس الغازى الرامى الأستاذ الفاضل الورع السمِّيع فى علوم الرمى على مذهب طاهر البلخى، كنيته أبو سعيد الخياط، كان ناسكا صائنا من أصحاب الرمى، شديد المحبة لأهل العلم والفضل، تلمذت له فى الرمى سنين كثيرة وبه تخرج رؤساء الغزاة بسمرقند، سمع من أبى الحسن محمد بن أبى الفضل السمرقندى أحاديث فى فضل الرمى والجهاد ، كتبنا عنه، مات أول سنة أربع وسبعين أواخر سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ٣١).

* **الرامى (محمد بن أحمد بن إبراهيم):**

أدرجه الإمام ابن الجزرى فى القراء وقال عنه : محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو عبد الله البغدادى المعروف بالرامى ، أخذ القراءة عرضا عن أحمد بن محمد بن واصل روى القراءة عنه عرضا محمد بن يوسف بن نهار.

(غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢ / ٥١).

* **الرامى (محمد محمد بن أحمد بن سعيد):**

من القراء قال عنه الإمام ابن الجزرى : محمد بن أحمد ابن سعيد بن قحطبة أبو عون الرامى، روى القراءة عرضا عن أحمد بن سعيد الضرير والعباس بن الفضل بن جعفر، ومحمد بن حامد بن وهب العطار ، روى القراءة عنه عرضا القاضى أبو العلاء محمد بن على الواسطى .

(غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى) .

* **الراميثنى:**

قال السمعانى :

الراميثنى : بفتح الراء والميم المكسورة بينهما الألف ثم الياء الساكنة آخر الحروف ثم الثاء المفتوحة المثلثة وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى راميثنة وقيل أرميثنة وهى قرية من قرى بخارى ، منها أبو إبراهيم روح بن المستنير الراميثنى البخارى، يروى عن المختار بن سابق وأبى حفص الكبير والمسيب بن إسحاق وغيرهم، روى عنه محمد بن هشام بن نعيم الزمن.

وأبو عبد الله محمد بن أبى هاشم صالح بن رفيد بن عبد السلام الراميثنى، يروى عن النضر بن شميل وعفان بن عبد الجبار، روى عنه حفيده أبو عمرو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن أبى هاشم وغيره .

(الأنساب للسمعانى ٣ / ٣٠).

* **الران:**

جاء فى المعجم الوسيط : الران : الغطاء والحجاب الكثيف. والران : الصدأ يعلو الشىء الجلى كالسيف والمرآة ونحوهما. والران : الدنس. والران : ما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب (المعجم الوسيط ١ / ٣٨٦).

ويرد اللفظ فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾ [المطففين : ١٤]. أى غلب وغطى عليها أو طبع عليها (كلمات القرآن / ٤١٢).

وفى اصطلاحات الصوفية الران هو الحجاب الحائل بين القلب وبين عالم القدس باستيلاء الهيئات النفسانية عليه، ورسوخ الظلمانية الجسمانية فيه، حيث ينحجب عن أنوار الربوبية بالكلية (اصطلاحات الصوفية / ١٤٧).

(المعجم الوسيط ١ / ٣٨٦ وكلمات القرآن تفسير وبيان ــ فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٤١٢ ، واصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ١٤٧).

* **الران (مدينة وحصن-):**

قال ياقوت :

الران : مدينة بين مراغة وزنجان. قيل : فيها معدن ذهب ومعدن الأسرب ...

وفى هذه المدنية نهر من شرب منه أمن الحصاة أبدا، وبها حشيشة تضحك من تكون معه حتى يخرج به الضحك إلى الرعونة وإن سقطت منه أو شىء منها اعتراه حزن لذلك

وبكاء، وبها حجارة بيض غير شفافة تقيم الرصاص، ويقع بها من السحاب دويبة تنفع من داء الثعلب باللطوخ، هكذا ذكره مسعر بن مهلهل، والذى عندى أن الران وأران واحد، وهى ولاية واسعة من نواحى أرمينية : قال عمر بن محمد الحنفى يمدح محمد بن عبد الواحد اليمامى :

حتى أتى بجبال الران منتجعا
من وابل غيث جود ينعش البشرا
وأحكم الران حتى نام صاحبها
أمنا وشرد عنها من بغى أشرا

وقال أيضا

يا ويح نفس سرت طوارقها
بالهم فالهم لا يفارقها
وويح نجدية منعَّمة
أضحى مُقيما بالران وامقها
فكم أتى الآن دون مطلبها
من عُرُض قد بدت مهارقها
ومن جبال بالران قد قرنت
إلى جبال أخرى تساوقها
فليت عينى ترى إذا نظرت
نجدا وقد أينعت حدائقها

والران : حصن ببلاد الروم فى الثغر قرب ملطية وبالقرب منه حصن كركر، ذكره المتنبى فى مدح سيف الدولة حيث قال :

وبتن بحصن الران رزحى من الوجى،
وكلٌ عزيز للأمير ذليل

وقال أيضا :

فن أرجلها بتربة منبج
يطرحن أيديها بحصن الران

* **الرانج:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات قيل هو تمر أملس كالتعضوض واحدته بهاء وهو أيضا النارجيل وهو الجوز الهندى حكاه أبو حنيفة [الدينورى] وقال أحسبه معربا فى الصحاح وما أظنه عربيا وصبيان مكة ينادون على المقل ولد الرانج .

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٦٢).

* **رانوناء:**

قال ياقوت :

رانوناء : بعد الألف نون، وواو ساكنة، ونون أخرى . وهو ممدود؛ قال ابن إسحاق فى السيرة لما قدم النبى، ﷺ المدينة أقام بقباء أربعة أيام وأسس مسجده على التقوى وخرج منها يوم الجمعة فأدركت رسول الله، ﷺ الجمعة فى بنى سالم بن عوف وصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى وادى رانوناء، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، وهذا لم أجده فى غير كتاب ابن إسحاق الذى لخصه ابن هشام، وكل يقول صلى بهم فى بطن الوادى فى بنى سالم؛ ورانوناء بوزن عاشوراء وخابوراء .

(معجم البلدان ٣ / ١٩).

* **الرانى:**

قال السمعانى :

الرانى : بفتح الراء وفى آخرها النون بعد الألف هذه النسبة إلى ران، والمشهور بهذه النسبة أبو سعيد الوليد بن كثير الرانى، يروى عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن الرأى والضحاك ابن عثمان وعبيد الله بن عمر ومالك بن أنس وعبد الرحمن بن أبى الزناد، روى عنه سليمان بن أبى شيخ وأبو سعيد الأشج ويوسف بن عدى وغيرهم . وسعيد بن الوليد الرانى، حدث عن ابن المبارك، روى عنه عبد الله بن المبارك .

(الأنساب للسمعانى ٣ / ٣١).

* **الراهبى:**

قال السمعانى :

الراهبى : بفتح الراء وكسر الهاء وفى آخرها الباء الموحدة، هذه النسبة إلى راهب، وهو اسم لبعض أجداد

المنتسب إليه، وهو أبو الحسن محمد بن بكر بن محمد بن جعفر بن راهب بن إسماعيل الراهبى الفرائضى وهم جماعة كثيرة بنسف، وقال لى بعضهم إن الراهبى من أهل بيت بنسف، وأبو الحسن هذا منهم، يروى عن أبى يعلى عبد المؤمن بن خلف ومحمد بن طالب ومحمد بن محمود بن عنبر النسفيين وغيرهم، مات فى ذى الحجة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، روى عنه أبو العباس جعفر بن محمد المستغفرى الحافظ.

وابنه أبو نصر أحمد بن محمد بن بكر بن محمد بن جعفر بن راهب الراهبى الأديب الشاعر من مفاخر بلدة نسف، سمع جده أبا عمرو الراهبى وأبا الفوارس أحمد بن جمعة والليث بن نصر الكاجرى وأبا بكر إسماعيل بن محمد الفراتى، روى عنه أبو العباس جعفر بن محمد المستغفرى، وكانت ولادته غرة شعبان سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، ومات فى رجب سنة ست وعشرين وأربعمائة.

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن راهب بن إسماعيل البزار الراهبى أخو أبى عمرو المؤذن، شيخ صدوق يروى عن أبى يعلى عبد المؤمن بن خلف، روى عنه أبو العباس المستغفرى، ومات يوم الإثنين وقت العصر غرة ذى القعدة سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ٣٣).

* راهط:

قال ياقوت:

راهط: بكسر الهاء، وطاء مهملة:

موضع فى الغوطة من دمشق فى شرقيه بعد مرج عذراء إذا كنت فى القصير طالبا لثنية العقاب تلقاء حمص فهو عن يمينك، وسماها كثير نقعاء راهط، قال:

أبوكم تلاقى يوم نقعاء راهط
بنى عبد شمس وهى تنفى وتُقتل

راهط: اسم رجل من قضاعة، ويقال له مرج راهط، كانت به وقعة مشهورة بين قيس وتغلب، ولما كان سنة ٦٥ مات يزيد بن معاوية وولى ابنه معاوية بن يزيد مائة يوم ثم ترك الأمر واعتزل وبايع الناس عبد الله بن الزبير، وكان مروان بن الحكم بن أبى العاصى بالشام فهمَّ بالمسير إلى المدينة ومبايعة عبد الله بن الزبير، فقدم عليه عبيد الله بن زياد فقال له: استحييت لك من هذا الفعل إذ أصبحت شيخ قريش المشار إليه وتبايع عبد الله بن الزبير وأنت أولى بهذا الأمر منه فقال له: لم يفت شيء، فبايعه وبايعه أهل الشام وخالف عليه الضحاك بن قيس الفهرى صار أهل الشام حزبين: حزب اجتمع إلى الضحاك بمرج راهط بغوطة دمشق كما ذكرنا، وحزب مع مروان بن الحكم ووقعت بينهما الواقعة المشهورة بمرج راهط قُتل فيها الضحاك بن قيس واستقام الأمر لمروان، وقال زُفر بن الحارث الكلابى وكان فر يومئذ عن ثلاثة بنين له وغلام فقتلوا: (تاريخ الطبرى ٥ / ٥٤١ والأغانى ١٩ / ١٩٦).

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط
لمروان صدعا بيننا متنائيا
أرينى سلاحى لا أبا لك إننى
أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا
أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا
ومقتل همام أمنى الأمانيا
وتذهبُ كلب لم تنلها رماحنا
وتترك قتلى راهط هى ماهيا
فلم تر منى نبوة قبل هذه
فرارى وتركى صاحبى ورائيا
عشية أجرى بالقرينين لا أرى
من الناس إلا من علىَّ ولا ليا
أيذهب يوم واحد إن أسأته
بصالح أيامى وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تنحط الخيلُ بالقنا
وتثأر من نسوان كلب نسائيا

فقـــد ينبت المـــرعى على دمن الثـــرى
وتبقى حـــزازات النفـــوس كمـــا هيـــا

وإليك بعض الشرح:

البيت ١ ـ الصدع : الفرقة والقطيعة

البيت ٦ : فى الطبرى : عشية أعدوا بالقران فلا أرى

البيت ٨ : نحط الفرس ينحط : أصدر صوتا من الثقل والإعياء.

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٣ / ٢١ ، ٢٢ ، ومن كتاب معجم البلدان للمؤلف نفسه، اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان. السفر الثالث، القسم الثانى / ١٢ ـ ١٤).

*** راهنامج:**

من المصطلحات التراثية الخاصة بالملاحة، ومعناه: مرشد بحرى

(التراث الجغرافى الإسلامى ـ د. محمد محمود محمدين / ٤٩٢).

*** ابن راهويه (١٦١ـ ٢٣٨ هـ / ٧٧٨ ـ ٨٥٣ م):**

قال عنه الإمام الداودى:

إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر. الإمام الحافظ الكبير المجتهد أبو يعقوب التميمى الحنظلى المروزى.

نزيل نيسابور وعالمها، بل هو شيخ أهل المشرق، ويعرف بابن راهويه صاحب «المسند» و «السنن» والتفسير» المشهور، الذى رواه عنه محمد بن يحيى بن خالد المحروزى المشعرانى بفتح الميم والمهملة، بينهما معجمة ساكنة.

ولد إسحاق سنة ست وستين ومائة. وقيل: سنة إحدى وستين، وسمع ابن المبارك وهو صبى، . وجرير بن عبد الحميد، وعبد العزيز بن عبد الصمد، وفضيل بن عياض، وعيسى بن يونس، والدراوردى وطبقتهم.

وعنه الجماعة سوى ابن ماجه، وأحمد، وابن معين، وشيخه يحيى بن آدم، والحسن بن سفيان، وأبو العباس السراج، وخلق.

قال محمد بن أسلم الطوسى وبلغه موت إسحاق: ما أعلم أحدا كان أخشى لله من إسحاق، يقول الله تعالى: ﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وكان أعلم الناس ولو كان الثورى والحمادان فى الحياة لاحتاجوا إليه.

وعن أحمد قال: لا أعلم لإسحاق بالعراق نظيرا.

وقال النسائى: إسحاق ثقة مأمون إمام.

قال أبو داود الخفاف: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأنى أنظر إلى مائة ألف حديث فى كتبى وثلاثين ألف أسردها، قال: وأملى علينا إسحاق من حفظه أحد عشر ألف حديث، قرأها علينا فما زاد حرفا ولا نقص حرفا. وقال أبو زرعة ما رؤى أحفظ من إسحاق. وقال أبو حاتم: العجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ. وقال عبد الله بن أحمد بن شبويه: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إسحاق لم يلق مثله.

قال أحمد بن سلمة: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: جمعنى وهذا المبتدع ابن أبى صالح مجلس الأمير عبد الله ابن طاهر، فسأله الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال ابن أبى صالح: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء فقلت: آمنت برب يفعل ما يشاء.

قال الذهبى فى طبقات الحفاظ عقب هذا الكلام: هذه حكاية صحيحة، رواها البيهقى فى الأسماء والصفات.

قال البخارى: مات ليلة نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وله سبع وسبعون سنة.

وراهويه: بفتح الراء، لقب أبيه أبى الحسن إبراهيم، وإنما لقب بذلك لأنه ولد فى طريق مكة، والطريق بالفارسية «راه» و «ويه» معناه وجد، فكأنه وجد فى الطريق.

والحنظلى: بسكون النون وفتح الظاء، نسبة إلى حنظلة ابن مالك، ينسب إليه بطن من تميم (طبقات المفسرين ١ / ١٠٢ ، ١٠٣).

وقال الشيخ محمد محمد أبو زهو: كان ابن راهويه من أئمة المسلمين والعلماء البارزين جمع إلى إمامته فى الحديث إمامته فى الفقه وبراعته فيه مع الحفظ والصدق والورع والزهد. رحل إلى العراق والحجاز واليمن والشام،

وسمع جرير بن عبد الحميد الرازى ، إسماعيل بن عُلَيَّة ، وسفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح ، وبقية بن الوليد ، وعبد الرزاق بن همام ، والنضر بن شميل وآخرين ، وروى عنه محمد بن إسماعيل البخارى ، ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، ومحمد بن نصر المروزى ، وأبو عيسى الترمذى ، وأحمد بن سلمة وكثير غيرهم ، وروى عنه من قدماء شيوخه يحيى بن آدم ، (روى عن إسحاق بن راهويه قال : كتب عنى يحيى بن آدم ألفى حديث) . وبقية بن الوليد ، ومن أقرانه أحمد بن حنبل ، وكان رحمه الله مضرب المثل فى الحفظ والإتقان والإمامة والصدق قال عن نفسه : « أعرف مكان مائة ألف حديث كأنى أنظر إليها وأحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلب وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة . فقيل له ما معنى حفظ المزورة ؟ قال إذا مر بى منها حديث فى الأحاديث الصحيحة فَلَّيْتَه منها فليا» وقيل له إنك تحفظ مائة ألف حديث ؟ قال : مائة ألف ما أدرى ما هو ولكنى ما سمعت شيئا قط إلا حفظته ولا حفظت قط شيئا فنسيته » ، وقال أبو داود الخفاف :

« أملى علينا إسحاق بن راهويه أحد عشر ألف حديث من حفظه ثم قرأها علينا فما زاد حرفا ولا نقص حرفا» وقال أبو حاتم الرازى ذكرت لأبى زرعة إسحاق بن إبراهيم الحنظلى وحفظه للأسانيد والمتون فقال أبو زرعة : ما رؤى أحفظ من إسحاق ، قال أبو حاتم «والعجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ » (الحديث والمحدثون / ٣٥٠ ، ٣٥١) .

وقال الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف :

شهد له العلماء بالإمامة فى الحديث والفقه ، فقد شهد له ابن حبان ، وابن حنبل ، وأبو زرعة ، ونعيم بن حماد . روى عن ابن عيينة ، وجرير بن عبد الحميد الرازى ، والشافعى ، وعبد الرزاق ، ومعتمر بن سليمان ، وغيرهم . وروى عنه : أصحاب الكتب الستة الصحاح ما عدا ابن ماجه ، وبقية بن الوليد الحمصى ، ويحيى بن معين وغيرهم . (المبتكر / ٢٠٤) .

وقد بسط الكلام عليه الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم فقال :

نسبته ونشأته :

هو أبو يعقوب إسحاق بن أبى الحسن إبراهيم بن مخلد ابن إبراهيم بن عبد الله بن مطر بن عبيد الله بن غالب بن عبد الوارث بن عبيد الله بن عطية بن مرة بن كعب بن همام بن أسد ابن محمد بن عمرو بن حنظلة بن مالك ينسب إليه بطن من تميم ، والمروزى نسبة إلى مرو وزيدت الزاى فى النسب للفرق بينه وبين المروى . ولقب أبوه براهويه ، لأنه ولد فى طريق مكة ، والطريق بالفارسية (راه ويه) ومعناه وجد فكأنه وجد فى الطريق ، قال أحمد بن سلمة : سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول : قال لى عبد الله بن طاهر : لم قيل لك ابن راهويه؟ وما معنى هذا!؟ وهل تكره أن يقال لك هذا؟ قال ؛ اعلم أيها الأمير أن أبى ولد فى طريق فقال المراوزة : راهوى ، لأنه ولد فى الطريق وأن أبى يكره هذا وأما أنا فلست أكرهه ، وهذا يؤيد السبب فى إطلاق هذا اللقب عليه ، وهو ولادته فى الطريق .

وقد ذكر ابن خلكان فى تاريخ مولده ثلاثة آراء : الأول : سنة إحدى وستين ومائة ، والثانى : سنة ثلاث وستين ومائة ، والثالث : سنة ست وستين ومائة .

وأرجح أنه ولد سنة إحدى وستين ومائة ومما يؤكد ذلك ، ما قاله أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد وهو أنه مات ليلة الخميس سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وهو ابن سبع وسبعين سنة ، وهذا يرجح أن مولده كان فى سنة إحدى وستين ومائة ، وقد ولد إسحاق بن راهويه مثقوب الأذنين فمضى به أبوه إلى الفضل بن موسى فسأله عن ذلك فقال : «يكون ابنك رأسا إما فى الخير وإما فى الشر» وقد شاء الله لإسحاق أن يكون رأسا فى الخير ، فأصبح أحد أئمة المسلمين ، وعلما من أعلام الدين فكان عالما عاملا ، جمع بين الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد .

وقد عرف أصحاب الحديث فى زمنه مكانته وفضله ، بل وعرف له ذلك الأمراء ، وكانوا يعتقدون فيه اعتقادا حسنا ، لما

كان معروفا به من الصلاح وصيانة العلم، ويدلنا على ذلك ما رواه ابن عدى قال: ركب إسحاق بن راهويه ديْن، فخرج من مرو، وجاء نيسابور، فكلم أصحاب الحديث يحيى بن يحيى فى أمر إسحاق فقال: ما تريدون؟ قالوا تكتب إلى عبد الله بن طاهر رقعة، وكان عبد الله أمير خراسان، وكان بنيسابور، فقال يحيى ما كتبت إليه قط، فألحوا عليه فكتب فى رقعة إلى عبد الله بن طاهر: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم رجل من أهل العلم والصلاح فحمل إسحاق الرقعة إلى عبد الله بن طاهر، فلما جاء إلى الباب، قال للحاجب، معى رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير، فقال: يحيى بن يحيى: قال: نعم، قال: ادخله فدخل إسحاق وناوله الرقعة فأخذها عبد الله وقبَّلها، وأقعد إسحاق بجانبه، وقضى دينه ثلاثين ألف درهم، وصيره من ندمائه.

ويقول ابن السبكى معلقا على ذلك: «انظر ما كان أعظم أهل العلم عند الأمراء، وانظر ما أدنى هذه الكلمة وأقصر هذه الرقعة، وما ترتب عليها من الخير، وما ذلك إلا لحسن اعتقاد ذلك الأمير وصيانة أهل العلم».

حياته العلمية

وقد عاش ابن راهويه حياته العلمية جامعا بين الفقه والحديث والورع والتقوى، وكان يسمع قبل رحلته فى طلب العلم ـ من ابن المبارك ومن الفضل الشيبانى، والنضر بن شميل، وأبى نميلة يحيى بن واضح، وعمر بن هارون. وابتدأ رحلته العلمية سنة أربع وثمانين ومائة وهو ابن ثلاث وعشرين سنة فرحل إلى العراق والحجاز والشام واليمن وقد ورد بغداد غير مرة وجالس حفاظ أهلها، وذاكرهم وعاد إلى خراسان فاستوطن نيسابور إلى أن توفى بها وانتشر علمه عن الخراسانيين.

شيوخه وتلاميذه:

وقد سمع من جرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عيينه، وعبد العزيز الدراوردى وفضيل بن عياض ومعتمر بن سليمان وإسماعيل ابن عُلَيَة، وبقية بن الوليد وحفص بن غياث وعبد الرحمن بن مهدى، وعبد الوهاب الثقفى، والوليد بن مسلم، وعبد العزيز بن عبد الصمد، وأسباط بن محمد وحاتم بن إسماعيل وعتاب بن بشير الجزرى وعبد الرزاق بن همام وأبى بكر بن عياش وغيرهم.

وروى عنه: البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ويحيى بن نصر المروزى، وأحمد بن سامة، وابنه محمد بن إسحاق بن راهويه وخلق سواهم، آخرهم أبو العباس السراج، وروى عنه من قدماء شيوخه يحيى بن آدم وبقية بن الوليد وهذا يدل على تضلعه فى العلم ورسوخ قدمه ويشهد له بمكانته العلمية فى نفوس شيوخه وتلاميذه.

حفظه وإتقانه:

وكان ابن راهويه يحفظ سبعين ألف حديث ويذاكر ألف حديث، وقال: ما سمعت شيئا قط إلا حفظته، ولا حفظت شيئا فنسيته.

وهذا يدل على عقلية لماحة، وذاكرة حافظة واعية.

وقد بلغ ابن راهويه فى الحفظ والإتقان درجة عالية، وكان مجموع الأحاديث التى استوعبها فى الكتب يعرف مكانها كأنه ينظر إليها، وما يحفظه منها، يحفظه عن ظهر قلبه، بل إنه حفظ أربعة آلاف حديث مزورة، ليستطيع التمييز بينها وبين الصحيح، وقد وردت أقوال وآراء للعلماء توضح مدى حفظه وإتقانه، وتشهد له بالثقة والصدق والعلم والإمامة.

وقال الدارمى: «ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه» فهذه شهادة الدارمى بصدق إسحاق، وسيادته أهل المشرق والمغرب بسبب صدقه وقال مرة وقد سئل عن إسحاق: مثل إسحاق تسأل عنه؟ إسحاق عندنا إمام.

وهذه شهادة أخرى بإمامته، وأنه بلغ درجة لا يسأل عنه فيها.

بين الشافعى وإسحاق:

ذكر الدارقطنى إسحاق فيمن روى عن الشافعى رضى الله عنه، وعده البيهقى فى أصحاب الشافعى، وكان إسحاق ابن راهويه قد ناظر الشافعى فى مسألة كراء بيوت أهل مكة كما ناظره فى جلود الميتة إذا دبغت، وقد رجع إسحاق إلى حكم الشافعى بعد نهاية المناظرة وأفتى به وهو أن دباغها طهورها.

وقد لازم ابن راهويه الشافعي وأعجب به واتبع مذهبه. وهذه الموقف يرينا أريحية نفسه وحبه للعلم ورجوعه إلى الحق وهذا شأن المخلصين والباحثين عن الحقيقة.

ابن قتيبة وإسحاق:

وقد تأثر ابن قتيبة بأستاذه إسحاق بن راهويه فى عنايته بالحديث واشتغاله به، كما تأثر به فى تفسير القرآن الكريم وكان ابن قتيبة يلتقى بإسحاق فى نيسابور وبغداد وأخذ عنه علوم الدين، كما تأثر به فى الورع والسلوك الحميد، فقد بث فيه من أخلاقه وسجاياه الطيبة الكثير، ونلاحظ توافق ابن قتيبة وإسحاق، وتقارب الاتجاهين فى الدفاع عن الحديث حيث إن إسحاق قدم للحديث مجهودا ضخما فقام بتنقيته من الدخيل عليه، وتجريده من مسائل الفقه والتفسير.

البخارى وإسحاق:

وممن تأثر بإسحاق تأثرا كبيرا الإمام البخارى الذى استفاد من المجهودات الضخمة التى قام بها إسحاق من النظر فى الأحاديث ونقدها متنا وإسنادا وتصحيحها، وترتيب أنواع الحديث فمهد بهذا العمل الطريق للبخارى الذى سار على نهجه فى التأليف والنقد، وألف البخارى كتابه الجليل «الجامع الصحيح» بمشورة أستاذه ابن راهويه قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى: «كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ؟ قال: فوقع ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح وبهذا يتضح ما كان البخارى من منزلة عند أستاذه الذى كان يعرف فيه مقدرته على هذا العمل العظيم، ويأنس فيه الكفاءة الممتازة.

ويلاحظ أن البخارى وإسحاق تشابها فى المنهج العلمى الذى سار عليه كل منهما فى الدفاع عن الحديث وتصفيته والقيام بنقد السند والمتن واستنباط الأحكام الفقهية دون إكثار من الرأى فيه.

إسحاق وأهل الرأى:

وكان إسحاق يذكر أصحاب الرأى، ويظهر بغضه لهم لشذوذ أقاويلهم وينبه على بعض منها، وكان يقول نبذوا كتاب الله تعالى، وسنن رسوله ﷺ، ولزموا القياس وكان يرى أن أهل الرأى يؤولون الأحاديث تأويلا لا يقره العقل ويلقى التبعة فى ذلك على اتباع مذهب أبى حنيفة، فمن جاء بعده من أهل النظر والقياس بأنهم الذين يحملون أوزار ما أوجدوه، ولا شك أن رأى الإمام أبو حنيفة برىء من ذلك، وكان ابن قتيبة يطلق على هؤلاء الأتباع اسم العصابة.

مصنفاته:

ومن مصنفات ابن راهويه:

١ - كتاب المسند «ويوجد الجزء الرابع منه فى دار الكتب المصرية» «مخطوطا» تحت رقم (٤٥٤ حديث) وأصل الكتاب ستة مجلدات، ومن رواته: أبو محمد عبد الله بن محمد النيسابورى. وهو مرتب على أسماء الصحابة، وقد ذكر أبو زرعة الرازى: أنه يخرج فيه أمثل ما ورد من أحاديث الصحابة «والأمثل ليس بلازم أن يكون صحيحا بل إنما يكون أفضل من تركه، ولهذا وقع فيه الضعيف كما وقع فى غيره» (السنة النبوية وعلومها / ٣١٧-٣٢٣).

وقد ذكره الكتانى فى أصحاب المسانيد فقال: ومسند أبى يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر المعروف بابن راهويه التميمى الحنظلى المروزى نسبة إلى مرو بلدة معروفة وزيدت الزاى فى النسب للفرق بينه وبين المروى، ثيابها مشهورة، النيسابورى نزيلها وعالمها المتوفى بها سنة ٢٣٨. وسئل لم قيل له ابن راهويه فقال إن أبى ولد فى الطريق، فقالت المراوزة راهويه، يعنى أنه ولد فى الطريق. أملى المسند والتفسير من حفظه وما كان يحدث إلا من حفظه، وكان يحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلب، ومسنده هذا فى ست مجلدات (الرسالة المستطرفة / ٤٩).

توفى إسحاق سنة ٢٣٨ هـ، ورثاه أحد الشعراء فقال:

قربى إلى الله دعانى إلى
حب أبى يعقوب إسحاق
يا حجة الله على خلقه
فى سنة الماضين للباقى

أبــــوك إبــــــراهيم محض التقى
سبــــاق مجــــد وابـن سبـــاق

(أعلام تميم / ٧٩).

لـه ترجمـة فى: تـذكـرة الحفـاظ ٢ / ٤٣٣، تهـذيب التهـذيـب ١ / ١١٦، حليـة الأوليـاء ٩ / ٢٣٤، شـذرات الـذهب ٢ / ٨٩، العبـر ١ / ٤٢٦ ٨٩، الفهـرست لابن النديم ٢٣٠، مفتاح السعادة ٢ / / ٢٩٧ ميزان الاعتدال ١ / ١٨٢، النجوم الـزاهرة ٢ / ٢٩٣ . وفيـات الأعيان ١ / ١٧٩

(طبقات المفسرين ١ / ١٠٢).

(طبقات المفسرين للداودى ـ بتحقيق على محمد عمر ١ / ١٠٢، ١٠٣، والحديث والمحـدثون ـ محمد محمد أبـو زهو / ٣٥٠، ٣٥١، والمبتكر الجامع لكتابى المختصر والمعتصر فى علوم الأثر ـ عبد الوهاب عبد اللطيف / ٢٠٤، والسنة النبوية وعلومهـا ـ أ . د. أحمد عمر هاشم / ٣١٧ـ٣٢٣ والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتانى / ٤٩ وأعلام تميم ـ حسين حسن / ٧٩ . انظر أيضا مرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ١٣٦، والأنساب للسمعانى ٣ / ٣٣).

انظر الراهويى.

* **الراهُويى:**

قال السمعانى:

الراهويى: بفتح الراء وضم الهاء وفى آخرها الياء المنقوطة من تحتهـا بـاثنتين، هـذه النسبـة إلى إسحـاق بن إبـراهيم المعروف بابن راهُـويه ويقال: ابن راهَويه، (انظـر ترجمته فى المادة السـابقة) والمنتسب إليه ابنـه أبو يعقـوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيـم بن عبد الله بن مطر بن عبيد الله ابن غـالب بن عبد الـوارث بن عبيـد الله بن عطية بن مـرة بن كعب ابن همام بن أسد بن مرة بن عمرو بن حنظلة من مالك بن زيد مناة بن تميم الحنظلى المروزى الـراهويى، كان إماما مذكورا مشهـورا من أهل مرو، سكن نيسابور، وكان متبـوعا له أقـوال واختيـارات، وهو من أقـران أحمـد بن حنبل، وذكـره أحمد فقـال: إسحاق بن إبراهيم الحنظلى، وكـره أن يقول: راهويه، وقال: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق وإن كان يخـالفنا فى أشيـاء، فإن الناس لم يـزل يخالف بعضهم بعضـا: سمع النضر بن شميل وعبـد الرزاق بن همـام، روى عنه البخارى ومسلـم وأبو عيسى الترمذى وجماعـة كثيرة من الأئمـة ولد إسحـاق سنـة إحدى وستيـن ومائة، وخـرج إلى العـراق وهو ابن ثـلاث وعشرين سنـة، ومات بنيسـابور ليلـة النصف من شعبان سنـة ثمان وثلاثين ومـائتين، وزرت قبره غير مرة.

وابنه أبـو الحسن محمد بن إسحـاق بن إبراهيم الحنظلى الراهـوى، ولد بمـرو، ونشأ بنيسابـور، وكتب ببلاد خـراسان وبـالعراق والحجـاز والشـام ومصر، وسمـع أباه إسحـاق بن راهويـه وعلى بن حجر المـروزيين ومحمد بن رافـع القشيرى ومحمد بن يحيى الذهلى النيسابوريين وأحمد بن حنبل وعلى ابن المـدينى وأبـا مصعب الزهـرى ويـونس بن عبـد الأعلى المصرى، وحدث ببغداد فروى عنه من أهلها محمد بن مخلد الـدورى وإسمـاعيل بن على الخطبى وأحمـد بن الفضل بن خزيمة وعبد الباقى بن قانع، وكان عالما بالفقه جميل الطريقة مستقيم الحـديث، قال محمد بـن المأمون الحافـظ انصرف أبـو الحسن بن راهـويـه إلى خـراسان بعـد وفاة أبيـه بسنتين فصادف الليثية فلم يعرفـوا حقه إلى أن جلس الأمير أبو الهيثم خالـد بن أحمد بـن حماد الذهلـى فقلده قضاء مـرو أولا ثم نيسـابور ثم انصـرف إلى مـرو وتـوفى بها سنـة تسع وثمـانين ومائتين.

وابنه أبـو الطيب محمد بن محمد بن إسحـاق بن إبراهيم ابن مخلـد الحنظلى المعروف جده بـابن راهـويه، مـروزى الأصل، سكن بغـداد وحـدث بهـا عن محمـد بن المغيـرة السكرى الهمدانى، روى عنه أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيبانى، وكان ثقة عالما بمذهب مالك بن أنس، ومات بالرملة فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.

وابنه الآخـر أخو أبى الطيب أبـو بكر أحمـد بن محمد بن إسحاق بن راهويه الحنظلى المـروزى الراهويى، قدم بغداد وحدث بها عن إبراهيم بن الحسين بن ديزيل الهمذانى وأحمد ابن الخضـر المروزى، روى عنـه أبـو طاهـر بن أبى هـاشم المقرئ وعبد الله بن أحمد بن مالك البيع.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ٣٣ـ ٣٥).

***الراوسانى :**

قال السمعانى :

الرواسانى : بفتح الراء والواو بعد الألف ثم السين المهملة المفتوحة وفى آخرها النون ، هذه النسبة إلى راوسان ، وظنى أنها من قرى نيسابور ونواحيها ، فإن المنتسب إليها نيسابورى ، والمشهور بهذه النسبة صديق بن عبد الله الراوسانى النيسابورى ، سمع بمصر خير بن عرفة ومقدام بن داود المصريين ، حدث عنه أحمد بن الخضر الشافعى .

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن شاذان بن عبد الله الراوسانى النيسابورى ، سمع بخراسان محمد بن رافع وإسحاق بن منصور ومحمد بن يحيى وأبا سعيد الأشج والحسن بن محمد الزعفرانى ومحمد بن الوليد البسرى ومحمد بن عبيد الله بن يزيد المقرئ وغيرهم ، روى عنه أبو على الحسين بن على وأبو محمد عبد الله بن سعد وأبو أحمد محمد بن محمد الحافظ وغيرهم .

(الأنساب للسمعانى ٣ / ٣١) .

***راون:**

قال ياقوت :

راون : بفتح الواو، وآخره نون : بليدة من نواحى طخارستان شرقى بلخ ليست بالكبيرة ، كانت ليحيى بن خالد ابن برمك ، كثيرة الخير، ليس يسلم على أهلها وال ؛ قال الكعبى أبو القاسم البلخى : ونحن ممن ابتلى بهم ولكن سلم الله منهم ؛ ينسب إليها عبد السلام بن الراونى ، ولى القضاء براون ، وكان فقيها مناظرا ، سمع أبا سعد أسعد بن الظهير، ذكره أبو سعد فى شيوخه .

(معجم البلدان ٣ / ٢٠) .

*** راوند:**

قال ياقوت :

راوند : بفتح الواو : ونون ساكنة ، وآخره دال مهملة : بليدة قرب قاشان وأصبهان ، قال حمزة : وأصلها راهاوند ، ومعناه الخير المضاعف ؛ قال بعضهم : وراوند مدينة بالموصل قديمة بناها راوند الأكبر بن بيوراسف الضحاك ، وذكر أن رجلين من بنى أسد خرجا إلى أصبهان فآخيا دهقانا بها فى موضع يقال له راوند ونادماه فمات أحدهما وبقى الأسدى الآخر والدهقان ، فكان ينادمان قبره ويشربان كأسين ويصبان على قبره كأسا ، ثم مات الدهقان فكان الأسدى الغابر ينادم قبريهما ويترنم بهذا الشعر، وقال بعضهم : إن هذا الشعر لقس بن ساعدة الإيادى فى خليلين كانا له وماتا ، وقال آخرون : هذا الشعر لنصر بن غالب يرثى أوس بن خالد وأنيسا :

نديمى هُبّا طالما قد رقدتما ... أجدكما لا تقضيان كَرَاكُما

أجِدَّكما ما ترثيان لموجع ... حزين على قبريكما قد رثاكما

ألم تعلما ما لى براوند كلها ... ولا بُخزاق من صديق سواكما

جرى النوم بين العظم والجلد منكما ... كأنكما ساقى عقار سقاكما

أصُب على قبريكما من مُدامة ، ... فإلا تذوقاها تروثراكما

ألم ترحمانى أننى صرت مفردا ... وأنى مشتاق إلى أن أراكما

فإن كنتما لا تسمعان فما الذى ... خليلى عن سمع الدعاء نهاكما؟

أُقيم على قبريكما لست بارحا ... طوال الليالى أو يجيب صداكما

وأبكيكما طول الحياة ، وما الذى ... يُرد على ذى عولة إن بكاكما؟

وينسب إلى راوند زيد بن على بن منصور بن على بن منصور الراوندى أبو العلاء المعدل من أهل الرى ، سمع أبا القاسم إسماعيل بن حمدون بن إبراهيم المزكى الرازى وأبا نصر أحمد بن محمد بن صاعد القاضى وأبا محمد عبد الواحد بن الحسن بن الصفار وأجازه السمعانى ، وكان مولده فى سنة ٤٧٢ .

(معجم البلدان ٣ / ١٩ ، ٢٠) .

***الرّاوند:**

ممايرد ذكره في مصنفات التراث الإسلامي في طب الأعشاب أورده المظفر الرسولي نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» .

ج : ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيمايستعمله الإنسان.

ف : أبو الفضل حسن إبن إبراهيم التفليسي.

قال : الراوند ـ «ع» أصل أسود قريب إلى الحمرة، لا رائحة له، رخو إلى الخفة، وأقواه فعلا ما كان منه غير مسوس، وكانت له لزوجة وقبض ضعيف، وإذا مضغ كانت في لونه صفرة وشيء من لون الزعفران. وقال : هو أصناف : منها صيني، ومنها زنجي، ومنها تركي، ومنها شامي، وأجودها الصيني، وله قوة مركبة من برد وحر، وقبل حار يابس في الدرجة الثانية، إذا شرب نفع من الريح وضعف المعدة، ووهن العضل، وورم الطحال، ووجع الكبد، ومن الكلى والمغص، وأوجاع المثانة والصدر، وأوجاع الرحم، وعرق النسا، ونفث الدم من الصدر، والربو، والفواق، وقرحة الأمعاء، والإسهال، والحميات الدائرة. والشربة منه مثل الشربة من الغاريقون. وإذا سخن بالخل وطلي به أذهب الكلف، وينفع من الإسهال الذى يكون من ضعف المعدة، وينفع من الامتلاء والفتق، وإذا طلي به بين الكتفين أذهب الروعة والخوف من القلب، ويقوي الأعضاء الداخلة، ويفتح سددها، ويخفف رطوباتها الفاسدة، ويشد الأعضاء المترهلة، وفعله في الكبد أقوى من ذلك، ويطلق الطبيعة ببلغم لزج، وبالخام وينفع من الاستسقاء، من ضروبه كلها، إلا ما كان منه عن ورم حار في الكبد، منفعة بالغة، ويفتت حصى الكلى والمثانة، وينفع من أوجاعها منفعة بالغة، وإذا أخذ مع الكابلي قوى فعله، ونقى الدماغ تنقية جيدة، وحسن الذهن، وأقوى أنواعه الصيني، وبعده الفارسي والشامي. وخاصيته النفع من علل الصدر، والحادثة عن ريح أو سدد. وقيل إنه راوند الدواب، والزنجي ينحط عن أفعال الصيني، والتركي أقوى من الصيني في الإسهال.

«ج» هو خشب يغش بأن يطبخ جيدًا، وتؤخذ مائيته، فتجفف عصارته ثم يجفف خشبه بعد الطبخ، ويباع كما هو، فيكون حينئذ أشد قبضًا وتكاثفا. وهو صنفان: صيني وخراساني، يعرف براوند الدواب، تستعمله البياطرة في أمراض الدواب، في مثل الأمراض التي ينفع منها الصيني في الناس؛ وقوته دون قوة الصيني بكثير، وأجوده الصيني الخالص الذكي الرائحة، الذى هو أشد جلاء، وأقل قبضا، أصفر زعفراني اللون، يضرب إلى السواد، غير متأكِّل ولا مثقَّب، وهو حار، وقيل معتدل، ينفع من الكلف والآثار الباقية على الجلد إذا طلي مع خل، وللقوباء، وينفع من السقطة والضربة، وينفع من الربو ونفث الدم وإسهاله، وينفع الكبد والمعدة والفواق والخفقان ويضمر الطحال، ومن الذرب والمغص ووجع الكلى والمثانة والرحم، ونزف الدم، والحميات المزمنة، والسموم، ولدغ الهوام. والشربة: إلى درهمين.

«ف» دواء خشبي صيني وخراساني، أجوده الصيني الهش العطر الرائحة، يفتح سدد الكبد، ويقوى القلب والأحشاء، وإكثاره يضعف المعدة، والشربة منه دانق.

«ع» بدله في ضعف الكبد والمعدة: وزنه ونصف وزنه ورد أحمر، منقى الأقماع، وخمس وزنه سنبل عصافيري (المعتمد ١/ ١٨١، ١٨٢).

كما أورده الشيخ داود الأنطاكي في تذكرته وقال عنه: الراوند جميع منابته سمندور ومعلقة وجزائر سرنديب والصين ولا نعلم كيفيته أخضر والظاهر أنه يقلع محتاجا إلى نضج ما فيدفن في الأرض مدة بدليل ما فيه من التخليل وأجوده الصيني بالقول المطلق وهو الأحمر الضارب إلى الصفرة المتخلخل الثقيل الرائحة المحذى للسان يقبض الشبيه بلحم البقر الذى إذا مضغ صبغ زعفرانيا فالتركي لا لأنه ينبت بالترك لما سمعت ولكنه علم وهو خفيف زادت صفرته على

حمرته قليل الرائحة فالزنجي وهو أسود طيب الرائحة صلب براق باطنه إلى الصفرة فالخراساني ويقال له الشامي وراوند الدواب وهو قطع خشبية لها قتمة وكثافة وكله قليل الإقامة لرطوبته الفضلية تسقط قوته في دون السنة ويحفظه الماميران وهو حار يابس في الثانية أو يبسه في الأولى أو حره في الثالثة محلل مفتح وينفع برد الكبد والمعدة وأنواع الاستسقاء واليرقان والطحال والكلى ويقطع الحميات بالخاصية والحرارة الغريبة ويبرد بالعرض لشدة تحليله ومن ثم تعتقد العامة برده وهو يقطع السم خصوصا العقرب والسعال المزمن والربو والسل والقرحة وينشف القرحة النازفة وإذا مزج بالصبر والكابلي وغاريقون وحبب نقى الدماغ من سائر أنواع الصداع كالشقيقة والدوار والطنين والسدد وأزال التوحش والجنون والرمد الكائن عن النزلات خصوصا بالراسن شربا وسعوطا ويقطع الجشاء وفساد الأطعمة والتخم وإن أخذ مع القابضة كالسنبل والأنيسون قطع النزف والمغص الشديد ومع المسهلات استأصل شأفة الخلط ومع السكنجبين يفتح السدد ويفتت الحصى ويزيل الفواق والفتوق والنفث الملون وأمراض المثانة والرحم والنافض والكزاز شربا والسقطة والضربة والأورام غير الحارة مطلقا والخراساني ينفع في أكثر الإنسان نفع الصيني فيه وهو يضر السفل ويصلحه الصمغ وشربته إلى مثقال وبدله مثله ونصفه ورد منقى وخمسه سنبل (التذكرة ١/ ١٦٤ ، ١٦٥).

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١٨١ ، ١٨٢ ، وتذكرة أولى الألباب لداود بن بن عمر الأنطاكي ١/ ١٦٤ ، ١٦٥)

***الراوندى :**

قال السمعاني :

الراوندى : بفتح الراء والواو بينهما الألف وسكون النون ، وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى راوند ، وهي قرية من قرى قاسان بنواحي أصبهان ، وراوند مدينة بالموصل قديمة بناها راوند الأكبر بن الضحاك بيوراسب . منها أبو بشر حيان بن بشر بن المخارق الضبي الأسدي الراوندي القاضي ، وكان بشر بن المخارق من قرية راوند هكذا قال حفيده أكثم ؛ وحيان ولي القضاء بأصبهان أيام المأمون ، وكان ثقة دينا ، روى عن أبي يوسف القاضي وهشيم ويحيى بن آدم ، ثم رجع من أصبهان إلى بغداد وولي القضاء بها سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ومات سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، روى عنه الهيثم ابن بشر بن حماد وصاحبنا أبو الرضا فضل الله بن على الحسيني العلوى ، يعرف بابن الراوندى ، لعل أصله كان من هذا القرية ، كتبت عنه بقاسان وذكرته في حرف القاف .

(الأنساب للسمعاني ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ـ ٣١ ، ٣٢).

*** الراوندى (أحمد بن يحيى) (ـ ٢٩٨هـ / ـ ٩١٠م):**

قال ابن الجوزى : «زنادقة الإسلام ثلاثة : الراوندى ، والتوحيدى ، وأبو العلاء المعرى . (طبقات الشافعية/ ١١٥).

ترجم له الزركلي فأدرجه تحت عنوان «الراوندى» وقال عنه :

أحمد بن يحيى بن إسحاق ، أبو الحسين الراوندى ، أو ابن الراوندى : فيلسوف مجاهر بالإلحاد . من سكان بغداد . نسبته إلى «راوند» من قرى أصبهان . قال ابن خلكان : له مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب نقلوها عنه في كتبهم وقال ابن كثير : أحد مشاهير الزنادقة ، طلبه السلطان فهرب ، ولجأ إلى ابن لاوى اليهودى (بالأهواز) وصنف له في مده مقامه عنده كتابه الذى سماه «الدامغ للقرآن» . وقال ابن حجر العسقلاني : ابن الراوندى . الزنديق الشهير ، كان أولا من متكلمي المعتزلة ثم تزندق واشتهر بالإلحاد ، ويقال كان غاية في الذكاء وقال ابن الجوزى : أبو الحسين الريوندى . الملحد الزنديق ، وإنما ذكرته ليعرف قدر كفره فإنه معتمد الملاحدة والزنادقة . ثم قال : وكنت أسمع عنه بالعظائم ، حتى رأيت ما لم يخطر على قلب أن يقوله عاقل . وذكر أنه وقعت له كتبه . ونقل عن الجبائي أن ابن الريوندى (كمايسميه) وضع كتابا في قدم العالم ونفى الصانع وتصحيح مذهب الدهر والرد على مذهب أهل التوحيد ، وكتابا في الطعن على محمد ﷺ . وقال أبو

العلاء المعرى (فى رسالة الغفران) : «سمعت من يخبر أن لابن الراوندى معاشر يخترصون له فضائل يشهد الخالق وأهل المعقول أن كذبها غير مصقول . وهو فى هذا أحد الكفرة ، لا يحسب من الكرام البررة» وعرفه ابن تغرى بردى بالماجن المنسوب إلى الهزل والزندقة . وتناقل مترجموه أن له نحو ١١٤ كتابا . منها «فضيحة المعتزلة» و «التاج» و «الزمرد» و«نعت الحكمة» و «قضيب الذهب» و «الدامغ» المتقدم ذكره، وأن كتبه التى ألفها فى الطعن على الشريعة اثنا عشر كتابا، ولجماعة من العلماء ردود عليه، نشر منها كتاب «الانتصار» لابن الخياط . وفى المؤرخين من يجزم بأنه عاش ٣٦ سنة «مع ما انتهى إليه من المخازى» كما فى المنتظم لابن الجوزى . ومن فرق المعتزلة «الراوندية» نسبة إليه . مات برحبة مالك بن طوق (بين الرقة وبغداد) وقيل صلبه أحد السلاطين ببغداد .

(الأعلام ١/ ٢٦٧ ، ٢٦٨) .

وننقل فيمايلى مصادر الزركلى إتماما للفائدة :

وفيات الأعيان ١/ ٢٧ وفيه «وفاته سنة ٢٤٥ هـ» وتاريخ ابن الوردى ١/ ٢٤٨ وفيه كما فى كتاب ابن الشحنة ، وفاته سنة ٢٩٣ هـ . ومروج الذهب للمسعودى ٧ / ٢٣٧ طبعة باريس، وفيه وفاته سنة ٢٤٥ هـ . والبداية والنهاية ١١/ ١١٢ وفيه : «وهم ابن خلكان وهما فاحشا فى تاريخ وفاته سنة ٢٤٥ والصحيح أنه توفى سنة ٢٩٨ كما أرخه ابن الجوزى» . والملل والنحل للشهرستانى ١/ ٨١، ٦٩ طبعة محمود توفيق ولسان الميزان ١/ ٣٢٣ وشرح نهج البلاغة ٣/ ٤١ ومعاهد التنصيص ١/ ١٥٥ والمنتظم ٦/ ٩٩ وشذرات الذهب ٢/ ٢٣٥ ورسالة الغفران طبعة دار المعارف ٤١٠ ـ ٤١٢ ثم ٤٤٢ والنجوم الزاهرة ٣ : ١٧٥ وفيه : صلب وهو ابن ٨٦ سنة . وجاء ذكره فى طبقات الأطباء ١/ ٢١٢ ثم ٢/ ٩٧ و١٣٩ وكشف الظنون / ١٢٧٤ والإمتاع والمؤانسة ٢/ ٧٨ وفى خطط المقريزى ٢/ ٣٥٣ «البسلمية ـ جماعة أبى سلمة ـ من الراوندية» وطبقات المعتزلة ٩٢ .

وفيمايلى بيان المطبوع من مؤلفات ابن الراوندى كما جاء فى المعجم الشامل :

١ـ فضيحة المعتزلة :

ـــ تحقيق عبد الأمير الأعسم، بيروت : منشورات عويدات، ١٩٧٥ م ـ ١٩٧٧ م .

٤٣٠ص، م ٦٣ص، ف٣ص : الأعلام .

٢ـ كتاب الزمردة :

ـ عناية P. Kraus مجلة Vol. 14 Rivista degli studi orientali, ١٩٣٤ م :

١٧ ص (٩٣ ـــ ١٠٩)، م ٣ص (المعجم الشامل ٣/ ٣١، ٣٢) .

(طبقات الشافعية لأبى بكر بن هداية الله الحسينى ـ حققه وعلق عليه عادل نويهض . ذخائر التراث العربى . منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٢م/ ١١٥ هامش (١) للمحقق، والأعلام للزركلى ١/ ٢٦٧، ٢٦٨، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٣١، ـ٣) .

*** الراوندى (سعيد بن هبة الله قطب الدين) (ـ ٥٧٣ هـ/ ـ ١١٨٧م):**

أدرجه صاحب الأعلام تحت عنوان «القطب الراوندى » وقال عنه : سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندى، أبو الحسن، قطب الدين : باحث إمامى توفى ببلدة «قم» وقبره بها . له كتب، منها «والخرايج والجرايح » ، فى المعجزات النبوية وكرامات الأئمة الاثنى عشر وغير ذلك، مطبوع، وشرح نهج البلاغة سماه «منهاج البراعة»، مخطوط، الجزء الثانى منه، فى شستربتى (٣٠٥٩) (يأتى بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى) و «قصص الأنبياء» (الأعلام ٣/ ١٠٤) .

ويضيف صاحب هدية العارفين المؤلفات التالية : إحكام الأحكام ، الإعجاز فى شرح الإيجاز، الإغراب فى الإعراب : تحفة العليل، فى الأدعية، التغريب فى التعريب، تفسير القرآن، التقريب فى التقريب، التلخيص من فصول عبد الوهاب، تهافت الفلاسفة، جنى الجنتين فى ولد العسكرين؟ جواهر الكلام فى شرح مقدمة الكلام، حل المعقود فى الجمل والعقود، خلاصة التفاسير، عشر مجلدات، الرائع فى الشرائع، زهر المباحثة وثمر المناقشة، سلوة الحزين، فى

الأدعية، شجار العصابة فى غُسل الجنابة، شرح آيات الأحكام، شرح العوامل، شرح الكلمات المائة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب، ضياء الشهاب فى شرح الشهاب، غريب النهاية، الفرق بين الحيل والمعجزات، فقه القرآن، قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، اللباب فى فضل آية الكرسى من الكتاب، المستقصى فى شرح الذريعة، المغنى فى شرح النهاية للطوسى، عشر مجلدات، والموازاة بين المعجزات، ونفثة الصدور، ونهية النهاية فى غريب النهاية، ونوادر المعجزات، والنيات فى جميع العبادات، وغير ذلك من الشروح والحواشى والرسائل (هدية العارفين ١/ ٣٩٢).

أما من حيث المخطوطات فيوجد مخطوط «منهاج البراعة» فى مكتبة تشستربيتي وجاء بيانه كما يلى: الرقم ٣٠٥٩.

عنوان المخطوطة: منهاج البراعة.

اسم المؤلف: قطب الدين، أبو الحسين (فى الأعلام ٣/ ١٠٤: أبو الحسن) سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندى.

اسم الشهرة: الراوندى.

تاريخ الوفاة: ٥٧٣هـ / ١١٧٧ م (فى الأعلام ٣/ ١٠٤: ١١٨٧م).

تعريف بالمخطوط: المجلد الثانى من شرح «نهج البلاغة» مجموعة من الحكم والأقوال المنسوبة لعلى بن أبى طالب، جمعها ذو المجدين، علم الهدى، الشريف المرتضى، أبو القاسم، على بن الحسين بن موسى بن محمد (ت ٤٣٦ هـ/ ١٠٤٤م).

عدد الأوراق: ٢٨٥ ورقة، ٣٠×٨, ١٩ سم.

نوع الخط: نسخ جيد.

الناسخ: محمد بن الفتح بن أبى الحسن بن أبى العباس.

تاريخ النسخ: محرم ٦٠٣ هـ (أغسطس ١٢٠٦ م).

ملاحظات: عن الشروح الأخرى انظر بروكلمان ١/ ٤٠٥، الملحق ١/ ٧٠٥، ٧٠٦. لم تظهر نسخة أخرى من المخطوطة (فهرس المخطوطات العربية ١/ ٤٢، ٤٣).

أما عن المطبوع من مصنفات الراوندى فقد أورد المعجم الشامل كتابا واحدا جاء بيانه كمايلى:

- فقه القرآن:

- قم: منشورات مكتبه آية الله المرعشى العامة، المطبعة العلمية، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م.

ج١: ٤٨٠ص، م٢٩ص +٦ص نماذج مصورة من المخطوط، ف.

١٢ ص: المحتوى.

ج٢: ٤٥٠ص، ف ٢٠ص: موضوعات، المصادر والمراجع.

- تحقيق أحمد الحسينى، ومحمود المرعشى، قم: منشورات مكتبة آية الله المرعشى العامة، ط ثانية، مطبعة الولاية، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

ج١: ٤٨٠ص، م٢٩ص +٦ص نماذج مصورة من المخطوط، ف.

١٢ ص: المحتوى.

ج٢: ٤٥٠ص، ف ٣٩ص: الموضوعات، المصادر والمراجع.

(المعجم الشامل ٣/ ٣٢).

(الأعلام للزركلى ٣/ ١٠٤، وهدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادى ١/ ٣٩٢، وفهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستربيتي (دبلن/ أيرلندا) - أعده الأستاذ آثر. آربرى. ترجمة د. محمود شاكر سعيد راجعه د. إحسان صدقى العمد ١/ ٤٢، ٤٣، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع - جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٣٢).

*** الراوندى فضل الله بن على) (- نحو ٥٦٠ هـ/ - نحو ١١٦٥م):**

قال عنه الزركلى: فضل الله بن على بن عبيد الله الحسنى، أبو الرضا، ضياء الدين الراوندى، مفسر إمامى، شاعر من أهل قاشان، وراوند من قراها، رآه السمعانى (صاحب الأنساب) (انظر مادة: الراوندى)، وزاره فى بيته. له تصانيف منها «الكافى» فى التفسير، و «كتاب الأربعين» فى

الحـديث، و«المـوجـز الكـافى فى العـروض والقـوافى» و«مشيخـة» تـزيد على عشـرين رجـلا، و «قصص الأنبيـاء» «ديوان شعر» مطبوع (الأعلام ٥/ ١٥٢).

ويضيف صاحب هـدية العارفيـن إلى مؤلفات الـراوندى مايلى: أدعية السـر، ترجمة العلوى للطب الـرضوى، تفسير القـرآن (لعله الكـافى الـذى ذكـره الزركلـى) وحماسـة ذوات الحواشى، وضوء الشهاب فى شرح الشهاب، وكتاب النوادر، ونظـم العـروض للقلـب المـمروض (هديـة العارفيـن ١/ ٨٢١).

وفيمايلى مـا أورده المعجم الشامل عن المطبـوع من هذه المؤلفات:

١ـ ديوان السيد الإمام ضياء الراوندى:

ـ تحقيق السيـد جـلال الـدين المشتهـر بـالمحـدث الأرمـوى، طهران: مجلس ملى، مطبعـة المجلس، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤ م، ٣١٢ص.

٢ـ نوادر الراوندى ومواليد الأئمة:

ـ النجف: المطبعـة الحيـدريـة، ١٩٥١م، ٧٠ص (المعجم الشامل ٣/ ٣٢).

(الأعلام للزركلى ٥/ ١٥٢، وهدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادى ١/ ٨٢١، والمعجم الشـامل للتـراث العـربي المطبـوع ـ جمع وإعـداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٣٢).

*** ابن الراوندى:**

انظر: الراوندى (أحمد بن يحيى).

*** الراوندية:**

انظر: الراوندى (أحمد بن يحيى).

***راونسر:**

قال يـاقوت: راونسر: بفتح الواو، وسكـون النون، وسين مهملـة مفتوحـة، . وآخره راء: من قـرى أرغيان، ينسب إليهـا محمد بن عبد الله الراونسرى.

(معجم البلدان ٣/ ٢٠)

***الراونى:**

قال السمعانى:

الـراونى: بفتح الـراء وفى آخـره النون. هـذه النسبـة إلى راون، وهى مـدينة من طخارستـان بلخ ليست بكبيرة، كـانت ليحيى بن خلـد بن برمك، وهى اليـوم خيرهـا كثير، وكـذلك صيدهـا وليس يسلم على أهلها والٍ ونحن ممن ابتلى بهم ثم سلم الله ـ هكذا ذكره أبو القـاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخى فى كتاب مفـاخر خـراسان ـ منهـا أبو عبـد السلام بن الـروانى، ولى القضـاء بهـا، وكـان فقيهـا منـاظـرًا شهمًـا من الـرجال، سمع الحـديث من أبى سعـد أسعد بن الظهيـرى ـ قرأت عليـه ببلخ مجالس من أمالى أبى بكر بن العبـاس إمام جامع بلخ، يـرويها عن أبى سعد عنه. وكـان قدم بلخ متظلمًا إلى السلطان من نهب الغز وإغارتهم عليه ومعاقبتهم لهم.

(الأنسـاب للسمعـانى ـ تقديم وتعليـق عبد الله عمـر البـارودى ٣/ ٣٣).

***راونير:**

قال ياقوت:

راونير: الواو مفتوحة، وآخره راء مهملة: من قرى أرغيان كبيرة، وقـد نسب إليها قوم من العلماء، منهم: عمـر بن عبد الله بن أحمـد بن محمـد بن عبـد الله الخطيب الأرغيـانى أبـو العباس من أهل راونير إحدى قرى أرغيان أخو الإمام أبى نصر الأرغانى الأكبـر منه، كان فقيها صـالحًا سديـدا حسن السيرة كثيـر الخيـر، ورد نيسـابـور وتفقـه علـى الإمـام أبى المعـالى الجوينى وأقام بهـا مدة ثم رجع إلى الناحيـة وسمع الأستاذ أبا القـاسم القشيري وأبـا الحسن على بن أحمـد الـواحدى وأبـا حامد أحمد بن الحسن الأزهرى وأبا نصر أحمد بن محمد بن محمد بـن المسيب الأرغيانى وأبـا القاسم المطهر بـن محمد البحيـرى وأبا بكـر محمد بن القـاسم الصفـار، كتب عنه أبـو سعـد وأبـو القاسـم الدمشقى، وتـوفى بنيسـابـور فى الثـانى والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٣٤.

(معجم البلدان ٣/ ٢٠).

انظر: الراونيرى.

***الراونيرى:**

قال السمعانى :

الراونيرى : بفتح الراء والنون المكسورة بعد الواو الألف والياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفى آخرها الراء الأخرى، هذه النسبة إلى راونير، وهى إحدى قرى أرغيان، بت بها ليلة منصرفى من العراق وكانت قرية كبيرة حصينة، خرج منها أبو نصر محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأرغيانى الراونيرى مفتى نيسابور فى عصره وإمام مسجد عقيل، وكان سديد السيرة جميل الأمر تاركًا لما لا يعنيه، تفقه على أبى المعالى الجوينى، وسمع الحديث الكثير من أبى سهم محمد بن أحمد بن عبيد الله الحفصى وأبى الحسن على ابن أحمد الواحدى وأبى بكر أحمد بن على بن خلف الشيرازى وغيرهم، كتب لى الإجازة بجميع مسموعاته غير مرة وما أدركته، وتوفى فى أوائل سنة تسع وعشرين وخمسمائة، ودخل نيسابور فى أواخر هذه السنة وأدركت أخاه الأكبر منه أبا العباس عمر بن عبد الله بن الراونيرى وكان أكبر منه بنيف عشرة سنة، وكان شيخًا صالحا عفيفا، سمع أبا القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى وأبا الحسن على بن أحمد الواحدى وأبا سعد عبد الرحمن بن منصور بن رامش وأبا بكر محمد بن القاسم الصفار وطبقتهم، سمعت منه أسباب النزول للواحدى وغيره من الأجزاء المنثورة.

وابنه أبو شجاع محمد بن عبد الله الراونيرى، شاب صالح فقيه فاضل سديد السيرة جميل الأمر ورع، سمع معنا الكثير بمرو وسمعت منه أحاديث يسيرة بنيسابور وكان قد سمع من أبى سعد على بن عبد الله بن أبى صادق الحيرى وأبى بكر عبد الغافر بن محمد الشيرويى وهو باق يصلى بالناس فى مسجد عقيل.

وأخوه أبو المعالى عبد الملك الراونيرى، سمع معنا بمرو، وحدث عن صاعد بن سيار الهروى، سمعت منه حكايتين أو ثلاثا وتوفى فى أواخر سنة تسع أو أوائل سنة خمسين وخمسمائة بنيسابور بعد وقعة الغز.

(الأنساب للسمعانى ٣/ ٣٢)

*** الراوى:**

راوى الحديث :

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣٧).

*** راوية:**

قال ياقوت :

راوية : بكسر الواو، وياء مثناة من تحت مفتوحة، بلفظ راوية الماء : قرية من غوطة دمشق بها قبر أم كلثوم وقبر مدرك ابن زياد الفزارى صحابى، قدم الشام مع أبى عبيده فمات بدمشق فدفن براوية وهو أول مسلم دفن بها؛ عن ابن عساكر؛ والمنصا بن عيسى الكلاعى الزاهد كان يسكن راوية من قرى دمشق وصحب سليمان الخواص وحدث عن شعبة، حكى عنه القاسم بن عثمان الجوعى وأحمد بن أبى الحوارى وعبيد ابن عصام الخراسانى (معجم البلدان ٣/ ٢٠، ٢١) (راوية هى اليوم قبر الست زينب بنت على بن أبى طالب) (من كتاب معجم البلدان س ٣ق ٢/ ١٥).

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٣/ ٢٠ ، ٢١، ومن كتاب معجم البلدان ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان. السفر الثالث، القسم الثانى / ١٥).

*** راوية الإسلام:**

هو الصحابى أبو هريرة رضى الله عنه، وتأتى ترجمته فى حرف الهاء إن شاء الله تعالى .

*** راوية ثعلب:**

من شيوخ ابن فارس الرازى، وهو أبو بكر أحمد بن الحسن الخطيب، من أشهر أئمة النحو على طريقة الكوفيين . وقد أخذ عنه ابن فارس هذه الطريقة فى النحو.

(العلامة اللغوى ابن فارس الرازى ـ د. محمد مصطفى رضوان / ٤٠).

*** الرأى:**

عقد الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه «أعلام الموقعين عن رب العالمين» فصلا فى تحريم الإفتاء فى دين الله بالرأى

المتضمن لمخالفة النصوص والرأى الذى لم تشهد له النصوص بالقبول جاء فيه ما يلى:

قال الله: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنمايتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، إن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾ (القصص: ٥٠) فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما، إما الاستجابة لله والرسول، وما جاء به، وإما اتباع الهوى، فكل ما لم يأت به الرسول، فهو من الهوى.

وقال تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفه فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ [صَ: ٢٦] فقسم سبحانه طريق الحكم بين الناس إلى الحق وهو الوحى الذى أنزله الله على رسوله، وإلى الهوى، وهو ما خالفه.

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين﴾ (الجاثية: ١٨، ١٩).

فقسم الأمر بين الشريعة التى جعله هو سبحانه عليها، وأوحى إليه العمل بها، وأمر الأمة بها، وبين اتباع أهواء الذين لا يعلمون، فأمر بالأول، ونهى عن الثانى. وقال تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون﴾ [الأعراف: ٣] فأمر باتباع المنزل منه خاصة.

واعلم أن من اتبع غيره فقد اتبع من دونه أولياء، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ (النساء: ٥٩) فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا سواء كان ما أمر به فى الكتاب أو لم يكن فيه فإنه أوتى الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالا، بل حذف الفعل، وجعل طاعتهم فى ضمن طاعة الرسول إيذانا بأنهم إنمايطاعون تبعًا لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» (أحمد والحاكم عن عمران والحكم بن عمرو الغفارى). وقال «إنما الطاعة فى المعروف»:

(أصل الحديث «لا طاعة لأحد فى معصية الله، إنما الطاعة فى المعروف» متفق عليه وأبو داود والنسائى عن على) وقال فى ولاة الأمور:

«من أمركم منهم بمعصية الله، فلا سمع له ولا طاعة» (أصله فى الصحيحين).

وقد أخبر ﷺ عن الذين أرادوا دخول النار لما أمرهم أميرهم بدخولها: «إنهم لو دخلوا لما خرجوا منها» أخرجه الإمام أحمد بسنده عن على قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، واستعمل عليهم رجلا من الأنصار، فلما خرجوا وجد عليهم فى شىء قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله ـ ﷺ ـ أن تطيعونى؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لى حطبًا، ثم دعا بنار فأضرمها فيه: ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها؛ قال: فقال لهم شاب منهم: إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار. فلا تعجلوا، حتى تلقوا رسول الله ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها، فادخلوها قال: فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال لهم: لو دخلتموها ما خرجتم منها، إنما الطاعة فى المعروف وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الأعمش به. مع أنهم كانوا يدخلونها طاعة لأميرهم، وظنا أن ذلك واجب عليهم، ولكن لما قصروا فى الاجتهاد، وبادروا إلى طاعة من أمر بمعصية الله، وحملوا عموم الأمر بالطاعة بما لم يرده الآمر ﷺ وما قد عُلم من دينه إرادة خلافه، فقصروا فى الاجتهاد وأقدموا على تعذيب أنفسهم وإهلاكها غير تثبيت وتبيين، هل ذلك طاعة لله ورسوله أم لا، فما الظن بمن أطاع غيره فى صريح مخالفة ما بعث الله به رسوله؟ ثم أمر تعالى برد ما تنازع فيه المؤمنون إلى الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأخبرهم أن ذلك خير لهم فى العاجل وأحسن تأويلا فى العاقبة.

حكم تنازع العلماء

وقد تضمن هـذا أمورًا: منها أن أهـل الإيمان قد يتنـازعون فى بعض الأحكام، ولا يخـرجون بـذلك عن الإيمان، وقـد تنازع الصحابة فى كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيمانًا.

لم يتنازع الصحابة فى أسماء الله وصفاته وأفعاله

ولكن بحمد الله لم يتنـازعوا فى مسألة واحـدة من مسائل الأسماء والصفـات والأفعال، بل كلهم على إثبات مـا نطق به الكتـاب والسنـة، كلمـة واحـدة من أولهم إلى آخـرهم، ولم يسوموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا، ولم يبدوا لشىء منهـا إبطـالا، ولا ضـربوا لهـا أمثـالا، ولم يـدفعـوا فى صدورهـا وأعجازهـا، ولم يقل أحد منهم: يجب صـرفها عن حقائقها وحملها على مجازهـا، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقـابلوهـا بـالإيمان والتعظيـم، وجعلوا الأمـر فيهـا كلها أمـرًا واحدًا، وأجـروها على سنن واحد، ولم يفعلـوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضين، وأقروا ببعضها، وأنكروا بعضهـا من غير فـرقان مبين، مع أن الـلازم لهم فيما أنكـروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه.

التنازع فى بعض الأحكام لايخرج عن الإيمان

وجوب الرد إلى الله ورسوله

والمقصود أن أهل الإيمان لا يخـرجهم تنازعهم فى بعض مسائل الأحكام عـن حقيقة الإيمان إذا ردوا ما تنازعـوا فيه إلى الله ورسوله كما شـرطه عليهم بقوله: ﴿**فردوه إلى الله والرسول كنتم تؤمنون بـالله واليوم الآخر**﴾ [النسـاء: ٥٩] ولا ريب أن الحكم المعلق على شرط ينتفى عند انتفائه.

ومنهـا: أن قولـه تعـالى: ﴿**فإن تنـــازعتم فـى شىء**﴾ [النسـاء: ٥٩] نكرة فى سيـاق الشـرط تعم كل مـا تنازع فيـه المؤمنـون من مسائل الـدين دِقِّه وجِلِّـه، جليه وخفيـه ولو لم يكن فى كتاب الله ورسوله بيان حكـم ما تنازعوا فيه، ولم يكن كافيًا لم يأمر بالرد إليه، إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يـوجد عنـده فصل النزاع، ومنهـا: أن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحـانه هو الرد إلى كتـابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه فى حياته و إلى سنته بعد وفاته.

ومنها: أنه جعل هذا الرد من مـوجبات الإيمان، ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه، ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين، فإنه من الطرفين، وكل منهما ينتفى بـانتفاء الآخر، ثـم أخبرهم أن هذا الـرد خير لهم، وأن عاقبته أحسن عاقبة.

المتحاكمون إلى الطاغوت

ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكَّم الطاغوت وتحاكم إليه.

والطاغـوت: كل ما تجاوز بـه العبد حـده، من معبود أو متبوع أو مطاع..

فطـاغوت كل قـوم من يتحاكمـون إليه غيـر الله ورسولـه، أويعبـدونه من دون الله، أويتبعـونـه على غير بصيـرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله. فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها، وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم انصرفوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفـائزين من هـذه الأمـة، وهم الصحـابـة، ومن تبعهم، ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم فى الطريق والقصد معًا.

ثم أخبر تعالى عن هؤلاء بأنهـم إذا قيل لهم: تعالوا إلى ما أنـزل الله و إلى الـرسـول أعـرضـوا عن ذلك، ولم يستجيبـوا للداعى، ورضـوا بحكم غيره، ثم توعـدهم بأنهم إذا أصابتهم مصيبة فى عقـولهم، وأديانهم وبصائرهم وأبـدانهم وأموالهم، بسبب إعراضهم عمـا جاء به الرسول وتحكيم غيـره والتحاكم إليـه ـ كمـا قال تعـالى: ﴿**فإن تـولوا فاعلـم أنمايـريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم**﴾ [المائدة: ٤٩] ـ اعتذروا بأنهم إنما قصـدوا الإحسـان والتوفيق، أى بفعل مـايـرضى الفـريقين، ويـوفق بينهما، كمـا يفعلـه من يروم التـوفيق بين مـا جاء بـه الـرسول وبين مـا خـالفه، ويـزعم أنـه بـذلك محسن قاصـد الإصلاح والتوفيق.

والإيمان إنمايقتضى إلقاء الحرب بين ما جاء به الرسول، وبين كل من خالفه من طريقة وحقيقة وعقيدة وسياسة ورأى،

فمحض الإيمان فى هذه الحرب، لا فى التوفيق، وبالله التوفيق.

ثم أقسم سبحانه بنفسه على نفى الإيمان عن العباد، حتى يحكموا رسوله فى كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف فى إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضًا بذلك حتى يسلموا تسليمًا، وينقادوا انقيادا وقال تعالى: **﴿وما كان لمؤمنة ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾** [الأحزاب: ٣٦] فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله، ومن تخير بعد ذلك، فقد ضل ضلالا مبينًا.

وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾** [الحجرات: ١]، أى لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يفتى، ولا تقطعوا أمرًا حتى يكون هو الذى يحكم فيه ويمضيه. روى على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة. وروى العوفى - رضى الله عنه قال: نُهوا أن يتكلموا بين يدى كلامه.

والقول الجامع فى معنى الآية لا تعجلوا بقول ولا فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو يفعل. وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾** [الحجرات: ٢] فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببًا لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه، أليس هذا أولى أن يكون محبطًا لأعمالهم.

وقال تعالى: **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾** [النور: ٦٢] فإذا جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبوا مذهبًا إذا كانوا معه إلا باستئذانه، فأولى أن يكون من لوازمه أن لا يذهبوا إلى قول ولا مذهب علمى إلا بعد استئذانه، وإذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه.

يُنزع العلم بموت العلماء.

وفى صحيح البخارى من حديث أبى الأسود عن عروة بن الزبير قال: حج علينا عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الله لا ينزع العلم بعد إذا أعطاكموه انتزاعًا، ولكن ينزعه مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم، فيُضلون ويَضلون**).

وقال وكيع: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ: **﴿لاينزع الله العلم من صدور الرجال، ولكن ينزع العلم بموت العلماء، فإذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا**.

وفى الصحيحين من حديث عروة بن الزبير قال: «قالت عائشة، يا ابن أختى بلغنى أن عبد الله بن عمرو مارٌّ بنا إلى الحج فالقه، فاسأله، فإنه حمل عن النبى ﷺ علمًا كثيرًا، قال: فلقيته، فسألته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ، قال عروة: فكان فيما ذكر أن النبى ﷺ قال: إن الله لاينزع العلم من الناس انتزاعًا، ولكن يقبض العلماء، فيرفع العلم معهم ويبقى فى الناس رؤوس جُهَّال، يفتونهم بغير على فيُضلون ويَضلون.

وقال عروة فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك، وأنكرته قالت: أحدثك أنه سمع رسول الله ﷺيقول هذا؟ قال عروة: نعم، حتى إذا كان عام قابل، قالت لى: إن ابن عمرو قد قدم، فالقه، ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك فى العلم، قال فلقيته، فسألته، فذكر لى نحو ما حدثنى به فى المرة الأولى، قال عروة: فلما أخبرتها بذلك قالت: ما أحسبه إلا قد صدق، أره لم يزد فيه شيئًا ولم ينقص.

وقال البخارى فى بعض طرقه: «فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون» وقال: فقالت عائشة: والله لقد حفظ عبد الله.

وقال نعيم بن حماد: حدثنا ابن المبارك: ثناعيسى بن يونس عن حريز بن عثمان الرنجى(هو فى التقريب الرحبى بفتح الراء وبالحاء والياء) ثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الأشجعى قال: قال رسول الله ﷺ «تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم، يحرِّمون به ما أحل الله ويحلون ما حرم الله» قال

أبو عمر بن عبد البر: هذا هو القياس على غير أصل. والكلام فى الدين بالخَرْص والظن؛ ألا ترى إلى قوله فى الحديث: «يحلون الحرام ويحرمون الحلال» ومعلوم أن الحلال: ما فى كتاب الله وسنة رسوله تحليله، والحرام: ما فى كتاب الله وسنة رسوله تحريمه، فمن جهل ذلك، وقال فيما سئل عنه بغير علم، وقاس برأيه ما خرج منه عن السنة، فهذا الذى قاس الأمور برأيه فضلَّ وأضل، ومن رد الفروع إلى أصولها، فلم يقل برأيه.

وقالت طائفة من أهل العلم: من أداه اجتهاده إلى رأى رآه ولم يقم عليه حجة فيه بعد فليس مذمومًا، بل هو معذور، خالفًا كان أو سالفًا، ومن قامت عليه الحجة، فعاند وتمادى على الفتيا برأى إنسان بعينه، فهو الذى يلحقه الوعيد.

وقد روينا فى مسند عبد بن حميد: ثنا عبد الرزاق ثنا سفيان الثورى عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».

فصل:

فيما روى عن صدِّيق الأمة وأعلمها من إنكار الرأى.

روينا عن عبد بن حميد: ثنا أبو أسامة عن نافع عن عمر الجمعى عن ابن أبى مليكة، قال، قال أبو بكر رضى الله عنه: «أى أرض تقلنى، وأى سماء تظلنى، إن قلت فى آية من كتاب الله برأيى أو بما لا أعلم».

وذكر الحسن بن على الحلوانى، حدثنا عارم عن حماد ابن زيد عن سعيد بن أبى صدقة عن ابن سيرين قال: لم يكن أحد أهيب بما لا يعلم من أبى بكر رضي الله عنه، ولم يكن أحد بعد أبى بكر أهيب بما لا يعلم من عمر رضى الله عنه، وإن أبا بكر نزلت به قضية، فلم يجد فى كتاب الله منها أصلا، ولا فى السنة أثرًا فاجتهد برأيه، ثم قال: هذا رأيى، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمنى، وأستغفر الله.

فصل:

فى المنقول من ذلك عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

قال ابن وهب: ثنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال وهو على المنبر: يا أيها الناس إن الرأى إنما كان من رسول الله ﷺ مصيبًا، أن الله كان يريه، وإنما هو منا الظن والتكلف.

قلت: مراد عمر رضى الله عنه قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ [النساء: ١٠٥] فلم يكن له رأى غير ما أراه الله إياه. وأما ما رأى غيره فظن وتكلف.

قال سفيان الثورى: ثنا أبو إسحاق الشيبانى عن أبى الضحى عن مسروق قال كتب كاتب لعمر بن الخطاب: هذا ما رأى الله، ورأى عمر، فقال: بئس ما قلت! قل: هذا ما رأى عمر، فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمن عمر.

وقال ابن وهب: أخبرنى ابن لهيعة عن عبد الله بن أبى جعفر قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: السنة ما سنَّه الله ورسوله ﷺ لا تجعلوا خطأ الرأى سنة للأمة.

قال ابن وهب: وأخبرنى ابن لهيعة عن أبى الزناد عن محمد بن إبراهيم التيمى: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: أصبح أهل الرأى أعداء السنن، أعيتهم أن يعوها، وتفلتت منهم أن يرووها فاستبقوها بالرأى.

قال ابن وهب: وأخبرنى عبد الله بن عباس عن محمد بن عجلان عن عبيد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب قال: اتقوا الرأى فى دينكم، وذكر ابن عجلان عن صدقة بن أبى عبد الله أن عمر بن الخطاب كان يقول: أصحاب الرأى أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم. إياكم وإياهم.

وذكر ابن الهادى عن محمد بن إبراهيم التيمى، قال: قال عمر بن الخطاب: إياكم والرأى، فإن أصحاب الرأى أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يعوها وتفلتت منهم أن يحفظوها، فقالوا فى الدين برأيهم.

وقال الشعبى، عن عمرو بن الحارث قال: قال عمر بن

الخطاب رضى الله عنه : إياكم وأصحاب الرأى، فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأى، فضلُّوا وأضلوا. وأسانيد هذه الآثار عن عمر فى غاية الصحة.

وقال محمد بن عبد السلام الخشنى: ثنا محمد بن بشار، حدثنا يونس بن عبيد العمرى ثنا مبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر عن نافع، عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب أنه قال: أيها الناس اتهموا الرأى فى الدين، فلقد رأيتنى وإنى لأرد أمر رسول الله ﷺ برأيى، فأجتهد ولا آلو، وذلك يوم أبى جندل، والكتاب يكتب، وقال: اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: يكتب باسمك اللهم، فرضى رسول الله ﷺ وأبيت، فقال: يا عمر ترانى قد رضيت، وتأبى . . .

قول عبد الله بن مسعود فى الرأى.

قال البخارى: حدثنا جنيد ثنا يحيى بن زكريا عن مجالد، عن الشعبى، عن مسروق، عن عبد الله، قال: لا يأتى عليكم عام إلا وهو شر من الذى قبله، أما إنى لا أقول: أمير خير من أمير، ولا عام أخصب من عام، ولكن فقهاؤكم يذهبون، ثم لا يجدون منهم خلفًا ويجىء قوم يقيسون الأمور برأيهم.

وقال ابن وهب: ثنا شقيق عن مجالد به، قال: ولكن ذهاب خياركم وعلمائكم ثم يحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم، فينهدم الإسلام ويثلم.

وقال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا أبو خالد الأحمر عن مجالد عن الشعبى، عن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود: علماؤكم يذهبون، ويتخذ الناس رءوسا جهالا يقيسون الأمور برأيهم.

وقال سنيد بن داود: حدثنا محمد بن فضل عن سالم بن أبى حفصة عن منذر الثورى عن الربيع بن خثيم أنه قال: قال عبد الله: ما علمك الله فى كتابه فاحمد الله، وما استأثر به عليك من علم، فكله إلى عالمه، ولا تتكلف، فإن الله عز وجل يقول لنبيه: ﴿**قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين**﴾ [ص: ٨٦] يروى هذا عن الربيع بن خثيم وعن عبد الله.

وقال سعيد بن منصور حدثنا خلف بن خليفة، ثنا أبو زيد عن الشعبى، قال: قال ابن مسعود: إياكم، و «أرأيت أرأيت» فإنما هلك من كان قبلكم بأرأيت أرأيت، ولا تقيسوا شيئًا فتزل قدم بعد ثبوتها، وإذا سئل أحدكم عما لا يعلم، فليقل: لا أعلم فإنه ثلث العلم، وصح عنه فى المفوضة (هى التى تتزوج بدون مهر» أنه قال: أقول فيها برأيى، فإن يكن صوابا، فمن الله، وإن يكن خطأ فمنى، ومن الشيطان، والله ورسوله برىء.

قول عثمان بن عفان فى ذم الرأى.

قال محمد بن إسحاق: حدثنى يحيى بن عباد عن عبيد الله بن الزبير، قال: أنا والله مع عثمان بن عفان بالجحفة إذ قال عثمان - وذكر له التمتع بالعمرة إلى الحج — أتموا الحج وأخلصوه فى أشهر الحج، فلو أخرتم هذه العمرة، حتى تزوروا هذا البيت زورتين: كان أفضل، فإن الله قد أوسع فى الخير، فقال علىٌّ، عمدت إلى سنة رسول الله ﷺ ورخصة رخص الله للعباد بها فى كتابه - تضيق عليهم فيها، وتنهى عنها، وكانت لذى الحاجة ولنائى الدار، ثم أَهَلَّ علىٌّ بعمرة وحج معا، فأقبل عثمان بن عفان رضى الله عنه على الناس، فقال: أنهيت عنها، إنى لم أنه عنها، إنما كان رأيا أشرت به، فمن شاء أخذه، ومن شاء تركه.

فهذا عثمان يخبر عن رأيه أنه ليس بلازم للأمة الأخذ به، بل من شاء أخذ به ومن شاء تركه بخلاف سنة رسول الله ﷺ فإنه لا يسع أحدًا تركها لقول أحد كائنًا من كان.

قول على فى ذم الرأى.

قال أبو داود: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، ثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن أبى إسحاق السبيعى، عن عبد خير عن على رضى الله عنه، أنه قال: لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه.

قول ابن عباس فى ذم الرأى.

قال ابن وهب: أخبرنى بشر بن بكر عن الأوزاعى عن عبدة بن أبى لبابة، عن ابن عباس أنه قال: من أحدث رأيا ليس فى كتاب الله، ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ لم يدر على ما هو منه إذا لقى الله (عز وجل).

وقال عثمان بن مسلم الصفار: ثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا الحسن بن عمرو الفقيمى، عن أبى فزارة، قال: قال

ابن عباس: إنما هو كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، فمن قال بعد ذلك برأيه، فلا أدرى أفى حسناته يجد ذلك، أم فى سيئاته.

وقال عبد بن حميد: حدثنا حسين بن على الجعفرى عن زائدة، عن ليث عن بكر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: من قال فى القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار.

قول سهل بن حنيف

قال البخارى: حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبى وائل قال: قال سهل بن حنيف: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم لقد رأيتنى يوم أبى جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته.

قول عبد الله بن عمر (رضى الله عنه).

قال ابن وهب: أخبرنى عمرو بن الحارث أن عمرو بن دينار، قال: أخبرنى طاوس عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا لم يَجد فى الأمر يُسأل عنه شيئًا، قال: إن شئتم أخبرتكم بالظن.

وقال البخارى: قال لى صدقة، عن الفضل بن موسى، عن موسى بن عقبة، عن الضحاك، عن جابر بن زيد، قال: لقينى ابن عمر، فقال: يا جابر إنك من فقهاء البصرة، وتستفتى فلا تفتين إلا بكتاب ناطق، أو سنة ماضية. وقال مالك عن نافع عنه: العلم ثلاث: كتاب الله الناطق، وسنة ماضية، ولا أدرى.

قول زيد بن ثابت.

قال البخارى: حدثنا سنيد بن داود، ثنايحيى بن زكريا مولى ابن أبى زائدة. عن إسماعيل بن خالد، عن الشعبى، قال: أتى زيدَ بنَ ثابتٍ قومٌ فسألوه عن أشياء فأخبرهم بها فكتبوها، ثم قالوا لو أخبرناه، قال: فأتوه فأخبروه، فقال: أعذرًا، لعل كل شىء حدثتكم خطأ، إنما اجتهدت لكم برأيى.

قول معاذ بن جبل.

قال حماد بن سلمة: ثنا أيوب السختيانى عن أبى قلابة، عن يزيد بن أبى عميرة، عن معاذ بن جبل، قال: «تكون فتن، فيكثر فيها المال، ويفتح القرآن حتى يقرأه الرجل والمرأة والصغير والكبير والمنافق والمؤمن، فيقرأه الرجل، فلا يتبع، فيقول: والله لأقرأنه علانية، فيقرأه علانية، فلا يتبع فيتخذ مسجدًا، ويبتدع كلامًا ليس من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله ﷺفإياكم وإياه، فإنه بدعة وضلالة» قاله معاذ ثلاث مرات.

قول أبى موسى الأشعرى

قال البغوى: ثنا الحجاج بن المنهال، ثنا حماد بن سلمة. عن حميد عن أبى رجاء العطاردى، قال: قال أبو موسى الأشعرى: «من كان عنده علم، فليعلمه الناس، وإن لم يعلم، فلا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين ويمرق من الدين».

قول معاوية

قال البخارى؛: حدثنا أبو اليمان، ثنا شعيب عن الزهرى، قال: كان محمد بن جبير بن مطعم، يحدث أنه كان عند معاوية وفد من قريش فقام معاوية، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فإنه قد بلغنى أن رجالا فيكم يتحدثون بأحاديث ليست فى كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ، فأولئكم جهالكم.

إخراج الصحابة الرأى من العلم.

فهؤلاء من الصحابة: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وسهل بن حنيف، ومعاذ بن جبل، ومعاوية خال المؤمنين (لأن أم حبيبة أم المؤمنين أخته) وأبو موسى الأشعرى (رضى الله عنهم)يخرجون الرأى عن العلم ويذمون ويحذرون منه، وينهون عن الفتيا به، ومن اضطر منهم إليه أخبر أنه ظن، وأنه ليس على ثقة منه، وأنه يجوز أن يكون منه ومن الشيطان، وأن الله ورسوله برىء منه، وأن غايته أن يسوغ الأخذ به عند الضرورة من غير لزوم لأتباعه، ولا العمل به، فهل تجد من أحد منهم قط أنه جعل رأى رجل بعينه دينا تترك له السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ، ويبدِّع ويضلِّل من خالفه إلى أتباع السنن، فهؤلاء بُرَكُ الإسلام (الجماعة من الأشراف) وعصابة الإيمان، وأئمة الهدى ومصابيح الدجى، وأنصح الأئمة للأمة، وأعلمهم بالأحكام وأدلتها، وأفقههم فى

دين الله وأعمقهم علمًا، وأقلهم تكلفا، وعليهم دارت الفتيا، وعنهم انتشر العلم وأصحابهم هم فقهاء الأمة.

ومنهم من كان مقيمًا بالكوفة: كعلى، وابن مسعود.

وبالمدينة: كعمر بن الخطاب، وابنه، وزيد بن ثابت.

وبالبصرة: كأبى موسى الأشعرى.

وبالشام: كمعاذ بن جبل، ومعاوية بن أبى سفيان.

وبمكة: كعبد الله بن عباس.

وبمصر: كعبد الله بن عمرو بن العاص.

وعن هذه الأمصار انتشر العلم فى الآفاق، وأكثر من روى عنه التحذير من الرأى من كان بالكوفة إرهاصا بين يدى ما علم الله سبحانه أنه يحدث فيها بعدهم.

محاولة الدفاع عن الرأى

فصل: قال أهل الرأى: وهؤلاء الصحابة ومن بعدهم من التابعين والأئمة وإن ذموا الرأى، وحذروا منه، ونهوا عن الفتيا والقضاء به وأخرجوه من جملة العلم، فقد روى عن كثير منهم الفتيا والقضاء به، والدلالة عليه، والاستدلال به، كقول عبد الله بن مسعود فى المفوضة (هى التى تتزوج بدون مهر) أقول فيها برأيى وقول عمر بن الخطاب لكاتبه: قل: هذا ما رأى عمر بن الخطاب وقول عثمان بن عفان فى الأمر بإفراد العمرة عن الحج: إنما هو رأى رأيته، وقول على فى أمهات الأولاد: اتفق رأيى ورأى عمر على أن لا يبعن.

وفى كتاب عمر بن الخطاب إلى شريح: إذا وجدت شيئًا فى كتاب الله فاقض به، ولا تلتفت إلى غيره، وإن أتاك شىء ليس فى كتاب الله فاقض بما سن رسول الله ﷺ فإن أتاك ما ليس فى كتاب الله، ولم يسن رسول الله ﷺ، فاقض بما أجمع عليه الناس، وإن أتاك ما ليس فى كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ، ولم يتكلم فيه أحد قبلك، فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدم، وإن شئت أن تأخر، فتأخر، وما أرى التأخر إلا خيرًا لك، ذكره سفيان الثورى عن الشيبانى عن الشعبى عن شريح أن عمر كتب إليه.

وقال أبو عبيد فى كتاب القضاء: ثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر فى كتاب الله تعالى، فإن وجد فيه مايقضى به قضى به، وإن لم يجد فى كتاب الله نظر فى سنة رسول الله ﷺ فإن وجد فيها مايقضى به قضى به، فإن أعياه سأل الناس: هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء، فربما قام إليه القوم، فيقولون: قضى فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سنها النبى ﷺ جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شىء قضى به وكان عمر يفعل ذلك إذا أعياه أن يجد ذلك فى الكتاب والسنة سأل: هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء، فإن كان لأبى بكر قضاء قضى به، وإلا جمع علماء الناس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شىء، قضى به.

وقال أبو عبيد: ثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن عمارة، عن عمير، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود قال: أكثروا عليه ذات يوم فقال: إنه قد أتى علينا زمان، ولسنا نقضى، ولسنا هناك، ثم إن الله بلغنا ما ترون، فمن عرض عليه قضاء بعد اليوم، فليقض بما فى كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس فى كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون فإن جاءه أمر ليس فى كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه، ولا يقل: إنى أرى، وإنى أخاف، فإن الحلال بيّن والحرام بيّن، وبيْن ذلك مشتبهات، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

وقال محمد بن جرير الطبرى: حدثنى يعقوب بن إبراهيم، أنا هشيم، أنا سيار، عن الشعبى قال: لما بعث عمر شريحا على قضاء الكوفة، قال له: انظر مايتبين لك فى كتاب الله فلا تسأل عنه أحدًا، وما لم يتبين لك فى كتاب الله، فاتبع فيه رسول الله ﷺ، وما لم يتبين لك فيه السنة فاجتهد فيه رأيك.

وفى كتاب عمر إلى أبى موسى: اعرف الأشباه والأمثال، وقس الأمور.

وقايس على بن أبى طالب وزيد بن ثابت فى المكاتب، وقايسه فى الجد والإخوة، فشبهه على بسيل انشعبت منه شعبة، ثم انشعبت من الشعبة شعبتان، وقايسه زيد على شجرة انشعب منها غصن، وانشعب من الغصن غصنان، وقولهما فى الجد: إنه لايحجب الإخوة، وقاس ابن عباس الأضراس بالأصابع، وقال: اعتبرها بها.

وسئل على رضى الله عنه عن مسيره إلى صفين: هل كان

بعهد عهده إليه رسول الله ﷺ أم رأى رآه؟ قال: بل رأى رأيته.

وقال عبد الله بن مسعود وقد سئل عن المفوضة (هى التى تتزوج بدون مهر) أقول فيها برأيى، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان، والله ورسوله منه برىء.

وقال ابن أبى خيثمة: ثنا أبى، ثنا محمد بن خازم. عن الأعمش، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله ابن مسعود، قال: من عرض له منكم قضاء فليقض بما فى كتاب الله، فإن لم يكن فى كتاب الله، فليقض بما قضى فيه نبيه ﷺ، فإن جاء أمر ليس فى كتاب الله، ولم يقض فيه نبيه ﷺ، فليقض بما قضى به الصالحون، فإن جاء أمر ليس فى كتاب الله ولم يقض به نبيه ولم يقض به الصالحون فليجتهد رأيه، فإن لم يحسن، فليقم، ولايستحى.

وذكر سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبى يزيد قال: سمعت ابن عباس إذا سئل عن شىء، فإن كان فى كتاب الله قال به، وإن لم يكن فى كتاب الله، وكان عن رسول الله ﷺ قال به، فإن لم يكن فى كتاب الله، ولا عن رسول الله ﷺ وكان عن أبى بكر عمر قال به، فإن لم يكن فى كتاب الله ولا عن رسول الله ﷺ ولا عن أبى بكر وعمر اجتهد رأيه.

وقال ابن أبى خيثمة: حدثنى أبى، ثنا عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان، عن عبد الملك بن أبجر عن الشعبى، عن مسروق، قال: سألت أبىَّ بن كعب عن شىء فقال: أكان هذا؟ قلت: لا، قال: فأجمنا (أى فأرِحْنَا) حتى يكون، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا. قال أبو عمر بن عبد البر: ورُوِّينا عن ابن عباس أنه أرسل إلى زيد بن ثابت: أفى كتاب الله ثلث ما بقى؟ فقال: أنا أقول برأيى، وتقول برأيك. وعن ابن عمر أنه سئل عن شىء فعله: أرأيت رسول الله ﷺ فعل هذا أو شىء رأيته؟ قال: بل شىء رأيته. وعن أبى هريرة أنه كان إذا قال فى شىء برأيه قال: هذه من كيسى. ذكره ابن وهب عن سليمان بن بلال عن كثير بن زيد عن وليد بن رباح عن أبى هريرة.

وكان أبو الدرداء يقول: إياكم وفراسة العلماء، احذروا أن يشهدوا عليكم شهادة تكبكم على وجوهكم فى النار، فوالله إنه للحق يقذفه الله فى قلوبهم. قلت: وأصل هذا فى الترمذى مرفوعا: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». ثم قرأ: ﴿ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [الحجر: ٧٥]

وقال أبو عمر (بن عبد البر): ثنا عبد الوارث بن سفيان، ثنا قاسم بن أصبغ، ثنا محمد بن عبد السلام الخشنى، ثنا إبراهيم بن أبى الفياض البرقى الشيخ الصالح، ثنا سليمان بن بزيع الإسكندرانى، ثنا مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد الأنصارى، عن سعيد بن المسيب، عن على، قال: «قلت يارسول الله الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه القرآن، ولم تمض فيه منك سنة، قال: اجمعوا له العالمين، أو قال العابدين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم، ولا تقضوا فيه برأى واحد» وهذا غريب جدا من حديث مالك، وإبراهيم البرقى وسليمان ليسا ممن يحتج بهما، وقال عمر لعلى وزيد لولا رأيكما لاجتمع رأيى ورأى أبى بكر، كيف يكون ابنى، ولا أكون أباه، يعنى الجد.

عن عمر أنه لقى رجلا فقال: ما صنعت؟ قال، قضى على وزيد بكذا، قال: لو كنت أنا لقضيت بكذا، قال: فما منعك والأمر إليك؟ قال: لو كنت أدرك إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه ﷺ لفعلت، ولكنى أدرك إلى رأى، والرأى مشترك، فلم ينقض ما قال على وزيد.

وذكر الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود أنه قال إن الله اطلع فى قلوب العباد، فرأى قلب محمد ﷺ خير القلوب فاختاره لرسالته، ثم اطلع فى قلوب العباد بعده، فرأى قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فاختارهم لصحبته، فما رآه المؤمنون حسنا، فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح.

وقال ابن وهب عن ابن لهيعة أن عمر بن عبد العزيز استعمل عروة بن محمد السعدى على اليمن، وكان من صالحى عمال عمر، وأنه كتب إلى عمر يسأله عن شىء من أمر القضاء، فكتب عليه عمر: لعمرى ما أنا بالنشيط على الفتيا ما وجدت منها بدا، وما جعلتك إلا لتكفينى وقد حملتك ذلك فاقض فيه برأيك.

وقال محمد بن سعد: أخبرنى روح بن عبادة، ثنا حماد بن سلمة عن الجريرى أن أبا سلمة بن عبد الرحمن، قال للحسن: أرأيت ما تفتى به الناس أشىء سمعته، أم برأيك؟ فقال الحسن: لا والله ما كل ما نفتى به سمعناه، ولكن رأينا لهم خير من رأيهم لأنفسهم.

وقال محمد بن الحسن: من كان عالما بالكتاب والسنة وبقول أصحاب رسول الله ﷺ، وبما استحسن فقهاء المسلمين، وسعه أن يجتهد رأيه فيما ابتلى به ويقضى به ويقضيه فى صلاته وصيامه وحجه، وجميع ما أمر به، ونهى عنه، فإذا اجتهد ونشر وقاس على ما أشبه، ولم يأل وسعه العمل بذلك، وإن أخطأ الذى ينبغى أن يقول به.

تفسير الرأى وتوضيح المراد مما سبق

فصل: ولا تعارض بحمد الله بين هذه الآثار عن السادة الأخيار، بل كلها حق، وكل منها له وجه، وهذا إنما يتبين بالفرق بين الرأى الباطل الذى ليس من الدين، والرأى الحق الذى لا مندوحة عنه لأحد المجتهدين، فنقول وبالله المستعان.

والرأى فى الأصل مصدر رأى الشىء يراه رأيا، ثم غلب استعماله على المرئى نفسه من باب استعمال المصدر فى المفعول، كالهوى فى الأصل مصدر هويه يهواه هوى، ثم استعمل فى الشىء الذى يهوى، فيقال: هذا هوى فلان، والعرب تفرق بين مصادر فعل الرؤية بحسب محالها، فتقول: رأى كذا فى النوم رؤيا، ورآه فى اليقظة رؤية، ورأى كذا لما يعلم بالقلب، ولا يرى بالعين رأيا، ولكنهم خصوه بما يراه القلب، بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب، مما تتعارض فيه الأمارات، فلا يقال لمن رأى أمرا غائبا عنه مما يحس به أنه رأيه، ولا يقال أيضا للأمر المعقول الذى لا تختلف فيه العقول، ولا تتعارض فيه الأمارات أنه رأى وإن احتاج إلى فكر وتأمل كدقائق الحساب ونحوها.

أقسام الرأى

وإذا عرف هذا فالرأى ثلاثة أقسام:

رأى باطل بلا ريب، ورأى صحيح، ورأى هو موضع الاشتباه، والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف فاستعملوا الرأى الصحيح، وعملوا به، وأفتوا به. وسوَّغوا القول به، وذموا الباطل، ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به، وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله.

والقسم الثالث سوَّغوا العمل والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه حيث لا يوجد منه بُدّ ولم يلزموا أحدا العمل به، ولم يحرموا مخالفته، ولا جعلوا مخالفه مخالفا للدين، بل غايته أنهم خيروا بين قبوله ورده فهو بمنزلة ما أبيح للمضطر من الطعام والشراب الذى يحرم عند عدم الضرورة إليه كما قال الإمام أحمد: سألت الشافعى عن القياس فقال لى: عند الضرورة، وكان استعمالهم لهذا النوع بقدر الضرورة لم يفرطوا فيه ويفرعوه ويولدوه ويوسعوه كما صنع المتأخرون بحيث اعتاضوا به عن النصوص والآثار، وكان أسهل عليهم من حفظها.

كما يوجد كثير من الناس يضبط قواعد الإفتاء لصعوبة النقل عليه، وتعسر حفظه، فلم يتعدوا فى استعماله قدر الضرورة، ولم يبغوا بالعدل إليه مع تمكنهم من النصوص والآثار، كما قال الله تعالى فى المضطر إلى الطعام المحرم **﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾** [البقرة: ١٧٣] فالباغى الذى يبتغى الميتة مع قدرته على التوصل إلى المذكى، والعادى الذى يتعدى قدر الحاجة بأكلها.

الرأى الباطل.

فالرأى الباطل أنواع، أحدها الرأى المخالف للنص، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه، ولا تحل الفتيا به، ولا القضاء وإن وقع فيه من وقع بنوع تأويل وتقليد.

النوع الثانى: هو الكلام فى الدين بالخرص والظن مع التفريط والتقصير فى معرفة النصوص وفهمها، واستنباط الأحكام منها. فإن من جهلها وقاس برأيه، فما سئل عنه بغير علم، بل لمجرد قدر جامع بين الشيئين ألحق أحدهما بالآخر

أو لمجرد قدر فارق يراه بينهما، يفرق بينهما فى الحكم من غير نظر إلى النصوص والآثار، فقد وقع فى الرأى المذموم الباطل.

الرأى المتضمن تعطيل الأسماء والصفات الإلهية.

فصل: وأصل النوع الثالث الرأى المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التى وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية، ومن ضاهاهم حيث استعمل أهله قياساتهم الفاسدة، وآراءهم الباطلة وشبههم الداحضة فى رد النصوص الصحيحة الصريحة، فردوا لأجلها ألفاظ النصوص التى وجدوا السبيل إلى تكذيب رواتها، وتخطئتهم ومعانى النصوص التى لم يجدوا إلى رد ألفاظها سبيلا، فقابلوا النوع الأول بالتكذيب والنوع الثانى بالتحريف والتأويل فأنكروا لذلك رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة، وأنكروا كلامه وتكليمه لعباده، وأنكروا مباينته للعالم، واستواءه على عرشه، وعلوَّه على المخلوقات وعموم قدرته على كل شىء، بل أخرجوا أفعال عباده من الملائكة والأنبياء والجن والإنس عن تعلق قدرته ومشيئته وتكوينه لها، ونفوا لأجلها حقائق ما أخبر به عن نفسه وأخبر به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، وحرفوا لأجلها النصوص عن مواضعها، وأخرجوها عن معانيها وحقائقها بالرأى المجرد الذى حقيقته: أنه ذبالة الأذهان، ونخالة الأفكار، وعفارة الآراء، ووساوس الصدور، فملئوا به الأوراق سوادا، والقلوب شكوكا والعالم فسادا.

نشأة الفساد من تقديم الرأى والهوى على الوحى.

وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأى على الوحى، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان فى قلب إلا استحكم هلاكه، وفى أمة إلا وفسد أمرها أتم فساد، فلا إله إلا الله. كم نفى بهذه الآراء من حق، وأثبت بها من باطل، وأميت بها من هُدى، وأحيى بها من ضلالة، وكم هُدم بها من معقل الإيمان، وعمر بها من دين الشيطان.

وأكثر أصحاب الجحيم: هم أهل هذه الآراء الذين لا سمع لهم، ولا عقل بل هم شر من الخمر، وهم الذين يقولون يوم القيامة ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير﴾ [الملك: ١٠].

النوع الرابع من الرأى

النوع الرابع: الرأى الذى أحدثت به البدع، وغُيِّرت به السنن، وعم به البلاء وتربى عليه الصغير، وهرم فيه الكبير، فهذه الأنواع الأربعة من الرأى الذى اتفق سلف الأمة وأئمتها، على ذمِّه وإخراجه من الدين.

النوع الخامس من الرأى

النوع الخامس: ما ذكره أبو عمر بن عبد البر عن جمهور أهل العلم أن الرأى المذموم فى هذه الآثار عن النبى ﷺ، وعن أصحابه والتابعين (رضى الله عنهم) أنه القول فى أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون، والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات.

قالت المؤلفة: انظر مادة «الأحاجى والأغلوطات من فروع اللغة والصرف والنحو (علم ـ) فى م ٢ / ٤٩٠، ٤٩١ هـ». ورد الفروع بعضها على بعض قياسا دون ردها على أصولها والنظر فى عللها واعتبارها، فاستعمل فيها الرأى قبل أن ينزل، وفُرِّعت وشُقِّت قبل أن تقع، وتكلم فيها قبل أن يكون بالرأى المضارع للظن، قالوا: وفى الاشتغال بهذا والاستغراق فيه تعطيل السنن والبعث على جهلها، وترك الوقوف على ما يلزم الوقوف عليه منها. ومن كتاب الله عز وجل ومعانيه. احتجوا على ما ذهبوا إليه بأشياء.

لعن من يسأل عما لم يكن

ثم ذكر من طريق أسد بن موسى: ثنا شريك عن ليث عن طاوس عن ابن عمر قال: لا تسألوا عما لم يكن؛ فإنى سمعت عمر يلعن من يسأل عما لم يكن، ثم ذكر من طريق أبى داود، ثنا إبراهيم بن موسى الرازى، ثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعى عن عبد الله بن سعد عن الصنابحى عن معاوية أن النبى ﷺ نهى عن الأغلوطات.

وقال أبو بكر بن أبى شيبة: ثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعى بإسناده مثله. وقال فسره الأوزاعى: يعنى صعاب المسائل.

وقال الوليد بن مسلم عن الأوزاعى عن عبد الله بن سعد عن عبادة بن قيس الصنابحى عن معاوية بن أبى سفيان أنهم ذكروا المسائل عنده، فقال:

أتعلمون أن رسول الله ﷺ نهى عن عضل المسائل:

قال أبو عمر: واحتجوا أيضا بحديث سهل وغيره: «أن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها» وبأنه ﷺ قال: «إن الله يكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال».

وقال ابن أبى خيثمة. ثنا أبى، ثنا عبد الرحمن بن مهدى، ثنا مالك عن الزهرى عن سهل بن سعد قال: «لعن رسول الله ﷺ المسائل وعابها» قال أبو بكر: هكذا ذكره أحمد ابن زهير بهذا الإسناد، وهو خلاف لفظ الموطأ قال أبو عمر: وفى سماع أشهب سئل مالك عن قول رسول الله ﷺ «أنهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال» فقال: أما كثرة السؤال، فلا أدرى، أهو ما أنتم فيه مما أنهاكم عنه من كثرة المسائل فقد كره رسول الله ﷺ المسائل وعابها.

وقال الله عز وجل: ﴿ **لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ [**المائدة: ١٠١**] فلا أدرى أهو هذا أم السؤال فى مسألة الناس فى الاستعطاء.

وقال الأوزاعى عن عبدة بن أبى لبابة: وددت أن حظى من أهل هذا الزمان أن لا أسألهم عن شىء، ولا يسألونى، ويتكاثرون بالمسائل كما يتكاثر أهل الدراهم بالدراهم.

قال: واحتجوا أيضا بما رواه ابن شهاب عن عامر بن سعد ابن أبى وقاص أنه سمع أباه يقول: قال رسول الله ﷺ: «أعظم المسلمين فى المسلمين جرما: من سأل عن شىء لم يحرم على المسلمين، فحرِّم عليهم من أجل مسألته» وروى ابن وهب أيضا قال: حدثنى ابن لهيعة عن الأعرج عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ذرونى ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشىء؛ فخذوا منه ما استطعتم».

وقال سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن طاوس قال: قال عمر بن الخطاب وهو على المنبر: أُحْرِجُ بالله على كل امرىء سأل عن شىء لم يكن؛ فإن الله قد بين ما هو كائن.

سؤال الصحابة عما ينفع

وقال أبو عمر (بن عبد البر): وروى جرير بن عبد الحميد، ومحمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ما رأيت قوما خيرا من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة، حتى قبض ﷺ كلهن فى القرآن: ﴿ **يسألونك عن المحيض** ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام** ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿ **يسألونك عن اليتامى** ﴾ [البقرة: ٢٢٠] ما كانوا يسألونه إلا عما ينفعهم.

قال أبو عمر: ليس فى الحديث من الثلاث عشرة مسألة إلا ثلاث. قلت: ومراد ابن عباس بقوله ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة المسائل حكاها الله فى القرآن عنهم، وإلا فالمسائل التى سألوه عنها، وبيَّن لهم أحكامها بالسنة لا تكاد تحصى، ولكن إنما كانوا يسألون عما ينفعهم من الواقعات، ولم يكونوا يسألونه عن المقدرات والأغلوطات، وعضل المسائل. ولم يكونوا يشتغلون بتفريع المسائل وتوليدها، بل كانت هممهم مقصورة على تنفيذ ما أمرهم به، فإذا وقع بهم أمر سألوا عنه: فأجابهم

الأشياء التى نهى عن السؤال عنها.

وقد قال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين يُنَزَّل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم * قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين** ﴾ [المائدة ١٠١، ١٠٢].

وقد اختلف فى هذه الأشياء المسئول عنها: هل هى أحكام قدرية أو أحكام شرعية؟ على قولين، فقيل إنها أحكام شرعية، عفا الله عنها، أى: سكت على تحريمها فيكون سؤالهم عنها سبب تحريمها، ولو لم يسألوا، لكانت عفوا، ومنه قوله ﷺ وقد سئل عن الحج: «أفى كل عام؟

فقال: لو قلت نعم. لوجبت، ذرونى ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم» ويدل على هذا التأويل حديث أبى ثعلبة المذكور: «أن أعظم المسلمين فى المسلمين جرما ...» الحديث، ومنه الحديث الآخر: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان، فلا تبحثوا عنها» وفسرت بسؤالهم عن أشياء من الأحكام القدرية، كقول عبد الله بن حذافة: (من أبي يا رسول الله؟ (فى حديث أخرجه البخارى ومسلم) وقول آخر: أين أبي يا رسول الله؟ قال: فى النار».

توضيح معنى آية النهى عن السؤال

والتحقيق أن الآية تعم النهى عن النوعين، وعلى هذا فقوله تعالى ﴿إن تبد لكم تسؤكم﴾ أما فى أحكام الخلق والقدر، فإنه يسوءهم أن يبدو لهم ما يكرهونه، مما يسألون عنه، وأما فى أحكام التكليف، فإنه يسوءهم أن يبدو لهم ما يشق عليهم تكليفه مما سألوا عنه.

وقوله تعالى: ﴿وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم﴾[المائدة: ١٠١] فيه قولان: أحدهما: أن القرآن إذا نزل بها ابتداء بغير سؤال، فسألتم عن تفصيلها وعلمها، أبدى لكم، وُبيِّن لكم، والمراد بحين النزول زمنه المتصل به لا الوقت المقارن للنزول، وكأن فى هذا إذنا لهم فى السؤال عن تفصيل المنزل ومعرفته بعد إنزاله، ففيه رفع لتوهم المنع من السؤال عن الأشياء مطلقا.

والقول الثانى: أنه من باب التهديد والتحذير، أى ما سألتم عنها فى وقت نزول الوحى جاءكم ما سألتم عنه بما يسوءكم، والمعنى: لا تتعرضوا للسؤال عما يسوءكم بيانه، وإن تعرضتم له فى زمن الوحى أبدى لكم. وقوله ﴿عفا الله عنها﴾ أى عن بيانها خبرا وأمرا، بل طوى بيانها عنكم رحمة ومغفرة وحلما والله غفور رحيم، فعلى القول الأول: عفا الله عن التكليف بها توسعة عليكم، وعلى القول الثانى عفا الله عن بيانها لئلا يسوءكم بيانها

وقوله تعالى: ﴿قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾[المائدة: ١٠٢] أراد نوع تلك المسائل لا أعيانها، أى قد تعرض قوم من قبلكم لأمثال هذه المسائل، فلما بينت لهم كفروا بها، فاحذروا مشابهتهم، والتعرض لما تعرضوا له، ولم ينقطع حكم هذه الآية بل لا ينبغى للعبد أن يتعرض للسؤال عما إن بدا له ساءه، بل يستعفى ما أمكنه ويأخذ بعفو الله، ومن ههنا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: يا صاحب الميزاب، لا تخبرنا، لما سأله رفيقه عن مائة أطاهر، أم لا؟

وكذلك لا ينبغى للعبد أن يسأل ربه أن يبدى له من أحواله وعاقبته ما طواه عنه، وستره، فلعله يسوؤه إن أبدى له، فالسؤال عن جميع ذلك تعرض لما يكرهه الله، فإنه (سبحانه) يكره إبداءها، ولذلك سكت عنها والله أعلم.

الآثار عن التابعين فى ذم الرأى

فصل: قالوا: ومن تدبر الآثار المروية فى ذم الرأى وجدها لا تخرج عن هذه الأنواع المذمومة، ونحن نذكر آثار التابعين، ومن بعدهم بذلك. ليتبين مرادهم، قال الخشنى: ثنا محمد بن بشار، ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن مجالد، عن الشعبى. قال: لعن الله أرأيت، قال: يحيى بن سعيد: وثنا صالح بن مسلم، قال: سألت الشعبى عن مسألة من النكاح، فقال إن أخبرتك برأيى فبل عليه.

قالوا: فهذا قول الشعبى فى رأيه، وهو من كبار التابعين، وقد لقى مائة وعشرين من الصحابة، وأخذ عن جمهورهم.

وقال الطحاوى: ثنا سليمان بن شعيب، ثنا عبد الرحمن ابن خالد، ثنا مالك بن مغول عن الشعبى، قال: ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول الله ﷺ فخذوه، وما كان رأيهم، فاطرحوه فى الحش (الحش بضم الحاء وفتحها وكسرها: البستان والمخرج أيضا، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم فى البساتين).

وقال البخارى: حدثنا سنيد بن داود، ثنا حماد بن زيد، عن زيد، عن عمرو بن دينار قال: قيل لجابر بن زيد إنهم يكتبون ما يسمعون منك قال: إنا لله وإنا إليه راجعون يكتبونه وأنا أرجع عنه غدا

قال إسحاق بن راهويه، قال سفيان بن عيينة: اجتهاد الرأى هو مشاورة أهل العلم، لا أن يقول هو برأيه.

وقال ابن أبى خيثمة: ثنا الحوطى، ثنا إسماعيل بن عياش، عن سوادة بن زياد وعمرو بن المهاجر، عن عمر بن عبد العزيز: أنه كتب إلى الناس أنه لا رأى لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ قال أبو بصيرة: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول للحسن البصرى: بلغنى أنك تفتى برأيك فلا تُفت برأيك إلا أن يكون سنة عن رسول الله ﷺ.

وقال البخارى: حدثنى محمد بن محبوب، ثنا عبد الواحد، ثنا ابن الزبرقان بن عبد الله الأسيدى أن أبا وائل شقيق ابن سلمة قال: إياك ومجالسة من يقول: أرأيت أرأيت.

وقال أبان بن عيسى بن دينار، عن أبيه، عن ابن القسم، عن مالك، عن ابن شهاب، قال: دعوا السنة تمضى لا تعرضوا لها بالرأى.

وقال يونس عن أبى الأسود، وهو محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل سمع عروة بن الزبير يقول: ما زال أمر بنى إسرائيل معتدلا، حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم، فأخذوا فيهم بالرأى، فأضلوهم، وذكر ابن وهب عن ابن شهاب أنه قال وهو يذكر ما وقع فيه الناس من هذا الرأى، وتركهم السنن، فقال: إن اليهود والنصارى إنما انسلخوا من العلم الذى بأيديهم حين اتبعوا الرأى، وأخذوا فيه. وقال ابن وهب: حدثنى ابن لهيعة أن رجلا سأل سالم بن عبد الله بن عمر عن شىء فقال: لم أسمع فى هذا شيئا، فقال له الرجل: فأخبرنى أصلحك الله برأيك، فقال: لا، ثم أعاد عليه، إنى أرضى برأيك، فقال سالم: إنى لعلّى إن أخبرتك برأيى ثم تذهب. فأرى بعد ذلك رأيا غيره، فلا أجدك.

وقال البخارى: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى، ثنا مالك بن أنس، قال: كان ربيعة يقول لابن شهاب: إن حالى ليس يشبه حالك أنا أقول برأيى، من شاء أخذه، وعمل به، ومن شاء تركه.

وقال الفريابى: ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول: سمعت حماد بن زيد يقول: قيل لأيوب السختيانى: ما لك لا تنظر فى الرأى؟ فقال أيوب: قيل للحمار: مالك لا تجترّ؟ قال: أكره مضغ الباطل!

وقال الفريابى: ثنا العباس بن الوليد بن مزيد: أخبرنى أبى، قال سمعت الأوزاعى يقول: عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول.

وقال أبو زرعة: ثنا أبو مسهر، قال: كان سعيد بن عبد العزيز إذا سئل لا يجيب حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا الرأى يخطئ ويصيب.

وقد روى أبو يوسف، والحسن بن زياد، كلاهما عن أبى حنيفة أنه قال: علمنا هذا رأى، وهو أحسن ما قدرنا عليه، ومن جاءنا بأحسن منه قبلناه منه.

وقال الطحاوى: ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم. ثنا أشهب بن عبد العزيز، قال: كنت عند مالك فسئل عن البتة (طلقها بتة وبتاتا أى بائنة) فأخذت ألواحى لأكتب ما قال. فقال لى مالك: لا تفعل، فعسى فى العشى أقول: إنها واحدة، وقال معن بن عيسى القزاز: سمعت مالكا يقول: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا فى قولى، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة، فاتركوه. فرضى الله عن أئمة الإسلام، وجزاهم عن نصيحتهم خيرا، ولقد امتثل وصيتهم، وسلك سبيلهم أهل العلم والدين من أتباعهم.

موقف أهل الرأى من السنة.

وأما المتعصبون فإنهم عكسوا القضية ونظروا فى السنة فما وافق أقوالهم منها، قبلوه، وما خالفها تحيلوا فى رده أو رد دلالته، وإذا جاء نظير ذلك، أو أضعف منه سندا ودلالة، وكان يوافق قولهم قبلوه، ولم يستجيزوا رده، واعترضوا به على منازعيهم، وأشاحوا وقرروا الاحتجاج بذلك السند ودلالته، فإذا جاء ذلك السند بعينه، أو أقوى منه، . . ودلالته كدلالة ذلك أو أقوى منه فى خلاف قولهم، دفعوه. ولم يقبلوه، وسنذكر من هذا إن شاء الله طرفا عند ذكر غائلة التقليد وفساده

والفرق بينه وبين الاتباع

كلام أئمة الفقهاء عن الرأى

وقال بقى من مخلد ثنا سحنون، والحارث بن مسكين، عن القسم، عن مالك أنه كان يكثر أن يقول: ﴿ **إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين** ﴾ [الجاثية: ٣٢].

وقال القعنبى: دخلت على مالك بن أنس فى مرضه الذى مات فيه، فسلمت عليه، ثم جلست، فرأيته يبكى، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، ما الذى يبكيك ؟ فقال لى: يا ابن قعنب، وما لى لا أبكى، ومن أحق بالبكاء منى؟ والله لوددت أنى ضربت بكل مسألة أفتيت فيها بالرأى سوطا وقد كانت لى السعة فيما قد سبقت إليه، وليتنى لم أفت بالرأى.

وقال ابن أبى داود: ثنا أحمد بن سنان، قال: سمعت الشافعى يقول: مثل الذى ينظر فى الرأى، ثم يتوب منه مثل المجنون الذى عولج حتى برأ، فأعقل ما يكون قد هاج به.

وقال ابن أبى داود حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبى يقول: لا تكاد ترى أحدا نظر فى الرأى إلا وفى قلبه دغل. وقال عبد الله بن أحمد أيضا: سمعت أبى يقول: الحديث الضعيف أحب إلى من الرأى، فقال عبد الله: سألت أبى عن الرجل يكون ببلد، لا يجد فيه إلا صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه، وأصحاب رأى، . فتنزل به النازلة، فقال أبى: يسأل أصحاب الحديث، ولا يسأل أصحاب الرأى، ضعيف الحديث أقوى من الرأى.

أبو حنيفة يقدم ضعيف الحديث على الرأى والقياس.

وأصحاب أبى حنيفة (رحمه الله) مجمعون على أن ضعيف الحديث عنده أولى من القياس والرأى، وعلى ذلك بنى مذهبه كما قدم حديث القهقهة مع ضعفه على القياس والرأى، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر فى السفر مع ضعفه على الرأى والقياس، ومنع قطع السارق بسرقة أقل من عشرة دراهم، والحديث فيه ضعيف، وجعل أكثر الحيض عشرة أيام، والحديث فيه ضعيف، وشرط فى إقامة الجمعة المصر، والحديث فيه كذلك، وترك القياس المحض فى مسائل الآبار لآثار فيها غير مرفوعة، فتقديم الحديث الضعيف وآثار الصحابة على القياس والرأى قوله وقول الإمام أحمد.

المراد بالحديث الضعيف عند السلف

وليس المراد بالحديث الضعيف فى اصطلاح السلف هو الضعيف فى اصطلاح المتأخرين، بل ما يسميه المتأخرون حسنا قد يسميه المتقدمون ضعيفا، كما تقدم بيانه.

السلف جميعهم على ذم الرأى

والمقصود أن السلف جميعهم على ذم الرأى والقياس المخالف للكتاب والسنة، وأنه لا يحل العمل به فتيا ولا قضى (أى قضاء) وأن الرأى الذى لا يعلم مخالفته للكتاب والسنة، ولا موافقته، فغايته أن يسوغ العمل به عند الحاجة إليه من غير إلزام، ولا إنكار على من خالفه.

قال أبو عمر بن عبد البر: حدثنا عبد الرحمن بن يحيى، ثنا أحمد بن سعيد بن حزم، ثنا عبد الله بن يحيى بن يحيى، عن أبيه أنه كان يأتى ابن وهب، فيقول له: من أين ؟ فيقول له من عند ابن القاسم، فيقول له ابن وهب: اتق الله، فإن أكثر هذه المسائل رأى.

وقال الحافظ أبو محمد، ثنا عبد الرحمن بن سلمة، ثنا أحمد بن خليل، ثنا خالد بن سعيد، أخبرنى محمد بن عمر ابن كنانة، ثنا أبان بن عيسى بن دينار، قال: كان أبى قد أجمع على ترك الفتيا بالرأى. وأحب الفتيا بما روى من الحديث، فأعجلته المنية عن ذلك.

وقال أبو عمر: وروى الحسن بن واصل أنه قال: إنما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السُّبل، وحادوا عن الطريق، وتركوا الآثار وقالوا فى الدين برأيهم، فضلوا وأضلوا. قال أبو عمر: وذكر نعيم بن حماد، عن أبى معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق: من يرغب برأيه عن أمر الله يضل.

وذكر ابن وهب قال: أخبرنى بكر بن نصر عن رجل من قريش أنه سمع ابن شهاب يقول: وهو يذكر ما وقع فيه الناس من هذا الرأى وتركهم السنن، فقال: إن اليهود والنصارى إنما انسلخوا من العلم الذى كان بأيديهم حين اشتقوا الرأى، وأخذوا فيه.

وذكر ابن جرير فى كتاب تهذيب الآثار له عن مالك قال : قبض رسول الله ﷺ ، وقد تم هذا الأمر، واستكمل، فإنما ينبغى أن تتَّبع آثار رسول الله ﷺ ولا يُتَّبع الرأى، فإنه من اتبع الرأى جاء رجل آخر أقوى منه فى الرأى فاتبعه، فأنت كلما جاء رجل غلبك اتبعته.

وقال نعيم بن حماد ثنا ابن المبارك، عن عبد الله بن وهب أن رجلا جاء إلى القاسم بن محمد، فسأله عن شىء، فأجابه، فلما ولى الرجل، دعاه، فقال له : لا تقل إن القاسم زعم أن هذا هو الحق، ولكن إذا اضطررت إليه عملت به.

وقال أبو عمر : قال ابن وهب: قال لى مالك بن أنس، وهو ينكر كثرة الجواب للمسائل: يا أبا عبد الله ما علمته، فقل به ودُلَّ عليه، وما لم تعلم فاسكت، وإياك أن تتقلد للناس قلادة سوء، قال أبو عمر : وذكر محمد بن حارث بن أسد الخشنى: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عباس النحاس، قال : سمعت أبا عثمان سعيد بن محمد الحداد، يقول سمعت سحنون بن سعيد، يقول : ما أدرى ما هذا الرأى سفكت به الدماء.

واستحلت به الفروج، واستُحِقَّت به الحقوق غير أنا رأينا رجلا صالحا فقلدناه.

وقال سلمة بن شبيب: سمعت أحمد يقول: رأى الشافعى، ورأى مالك، ورأى أبى حنيفة كله عندى رأى، وهو عندى سواء، وإنما الحجة فى الآثار، وقال أبو عمر بن عبد البر: أنشدنى عبد الرحمن بن يحيى ، أنشدنا أبو على الحسن بن الخضر الأسيوطى بمكة، أنشدنا محمد بن جعفر أنشدنا عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه :

دين النبى محمد آثارُ ... نعم المطية للفتى الأخبار

لا تخدعن عن الحديث وأهله ... فالرأى ليل والحديث نهار

ولربما جهل الفتى طُرق الهدى ... والشمس طالعة لها أنوار

ولبعض أهل العلم

العلم: قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس خلف فيه

ما العلم نصبُك للخلاف سفاهة ... بين النصوص وبين رأى سفيه

كلا ولا نصبُ الخلاف جهالة ... بين الرسول وبين رأى فقيه

كلا ولا رد النصوص تعمُّدا ... حذرا من التجسيم والتشبيه

حاشا النصوص من الذى رميت به ... من فرقة التعطيل والتمويه

فصل

فى الرأى المحمود وهو أنواع

النوع الأول : رأى أفقه الأمة، وأبر الأمة قلوبا، وأعمقهم علما، وأقلهم تكلفا، وأصحهم قصودا، وأكملهم فطرة ، وأتمهم إدراكا وأصفاهم أذهانا الذين شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول ، فنسبة آرائهم وعلومهم وقصورهم إلى ما جاء به الرسول ﷺ كنسبتهم إلى صحبته، والفرق بينهم وبين من بعدهم فى ذلك كالفرق بينهم وبينهم فى الفصل، فنسبة رأى من بعدهم إلى رأيهم كنسبة قدرهم إلى قدرهم .

قول الشافعى فى الصحابة وآرائهم

قال الشافعى رحمه الله فى رسالته البغدادية التى رواها عنه الحسن بن محمد الزعفرانى وهذا لفظه « وقد أثنى الله (تبارك وتعالى) على أصحاب رسول الله ﷺ فى القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله ، وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه، والوحى ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًّا وخاصا وعزما وإرشادا وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا فى كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم، واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى

بنا من رأينا عند أنفسنا ومن أدركنا ممن يرضى، أو حكى لنا عنه ببلدنا، صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول، ولم نخرج عن أقاويلهم، وإن قال أحدهم، ولم يخالفه غيره، أخذنا بقوله».

ولما كان رأى الصحابة عند الشافعى بهذه المثابة قال فى الجديد فى كتاب الفرائض فى ميراث الجد والإخوة: «وهذا مذهب تلقيناه عن زيد بن ثابت، وعنه أخذنا أكثر الفرائض» وقال: «والقياس عندى قتل الراهب لولا ما جاء عن أبى بكر رضى الله عنه فترك صريح القياس لقول الصدِّيق، وقال فى رواية الربيع عنه: والبدعة ما خالف كتابا أو سنة أو أثرا عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ، فجعل ما خالف قول الصحابى بدعة. وسيأتى إن شاء الله تعالى إشباع الكلام فى هذه المسألة، وذكر نصوص الشافعى عند ذكر تحريم الفتوى بخلاف ما أفتى به الصحابة، ووجوب اتباعهم فى فتاويهم وأن لا يخرج من جملة أقوالهم، وأن الأئمة متفقون على ذلك.

منزلة الصحابة وما وافق فيه عُمر القرآن

والمقصود أن أحدا ممن بعدهم لا يساويهم فى رأيهم، وكيف يساويهم وقد كان أحدهم يرى الرأى، فينزل القرآن بموافقته، كما رأى عمر فى أسارى بدر أن تضرب أعناقهم، فنزل القرآن بموافقته، ورأى أن تحجب نساء النبى ﷺ فنزل القرآن بموافقته، ورأى أن يتخذ من مقام إبراهيم مُصَلًّى، فنزل القرآن بموافقته، وقال لنساء النبى ﷺ لما اجتمعن فى الغيرة عليه: ﴿**عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مُسلمات مؤمنات**﴾ [التحريم: ٥] (وردت فى حديث متفق عليه) فنزل القرآن بموافقته، ولما توفى عبد الله بن أبىّ قام رسول الله ﷺ ليصلى عليه، فقام عمر، فأخذ بثوبه، فقال: يا رسول الله، إنه منافق، فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عليه: ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره**﴾ [التوبة: ٨٤]

حكم سعد بن معاذ وابن مسعود بحكم الله

وقد قال سعد بن معاذ لما حكّمه النبى ﷺ فى بنى قريظة: إنى أرى أن تقتل مقاتلهم، وتسبى ذرياتهم، وتغنم أموالهم، فقال النبى ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات»

ولما اختلفوا إلى ابن مسعود شهرا فى المفوضة (هى التى تتزوج بدون مهر) قال: أقول فيها برأى فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان، والله ورسوله برىء منه، أرى أن لها مهر نسائها، لا وكس ولا شطط، ولها الميراث وعليها العدة، فقام ناس من أشجع، فقالوا: نشهد أن رسول الله ﷺ قضى فى امرأة منا يقال لها بَرْوَعُ بنت واشقٍ مثل ما قضيت به، فما فرح بن مسعود بشىء بعد الإسلام فرحه بذلك.

رأى الصحابة لنا خير من رأينا لأنفسنا

وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيرا من رأينا لأنفسنا، وكيف لا ؟! وهو الرأى الصادر من قلوب ممتلئة نورا وإيمانا وحكمة وعلما ومعرفة وفهما عن الله ورسوله، ونصيحة للأمة، وقلوبهم على قلب نبيهم ولا واسطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضًا طريًّا، لم يشبه إشكال ولم يشبه خلاف، ولم تدنسه معارضة، فقياس رأى غيرهم بآرائهم من أفسد القياس.

النوع الثانى من الرأى المحمود

فصل: النوع الثانى من الرأى المحمود: الرأى الذى يفسر النصوص، ويبين وجه الدلالة منها، ويقررها، ويوضح محاسنها، ويسهل طريق الاستنباط منها، كما قال عبدان: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: ليكن الذى تعتمد عليه الأثر، وخذ من الرأى ما يفسر لك الحديث، وهذا هو الفهم الذى يختص الله سبحانه به من يشاء من عباده.

ومثال هذا رأى الصحابة رضى الله عنهم فى العول فى الفرائض عند تزاحم الفروض (عالت الفريضة إذا ارتفعت، وزادت سهامها على أصل حسابها الموجب عن عدد وارثيها كمن مات وخلف ابنتين وأبوين، وزوجة، فللابنتين الثلثان وللأبوين السدسان، وهما الثلث، وللزوجة الثمن فمجموع السهام واحد وثمن واحد، فأصلها ثمانية، والسهام تسعة

«النهاية لابن كثير») ورأيهم فى مسألة زوج وأبوين وامرأة وأبوين أن للأم ثلث ما بقى بعد فرض الزوجين، ورأيهم فى توريث المبتوتة (طلقها بتة وبتاتا أى بائنة) فى مرض الموت، ورأيهم فى مسألة أجر الولاء، ورأيهم فى المحرم يقع على أهله بفساد حجه، ووجوب المضى فيه، والقضاء والهدى من قابل، ورأيهم فى الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أفطرتا، وقضتا وأطعمتا لكل يوم مسكينا، ورأيهم فى الحائض تطهر قبل طلوع الفجر تصلى المغرب والعشاء وإن طهرت قبل الغروب، صلت الظهر والعصر، ورأيهم فى الكلالة وغير ذلك.

قال الإمام أحمد: ثنا يزيد بن هارون، أنا عاصم الأحول عن الشعبى قال: سئل أبو بكر عن الكلالة، فقال: إنى سأقول فيها برأيي، فإن يكن صوابا، فمن الله، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان . أراه: ما خلا الوالد والولد.

فإن قيل: كيف يجتمع هذا مع ما صح عنه من قوله: أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى، إن قلت فى كتاب الله برأيى وكيف يجامع هذا الحديث الذى تقدم: «من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» ؟

فالجواب: أن الرأى نوعان:

أحدهما: رأى مجرد لا دليل عليه بل هو خرص وتخمين. فهذا الذى أعاذ الله الصِّديق والصحابة منه.

والثانى: رأى مستند إلى استدلال واستنباط من النص وحده، أو من نص آخر معه، فهذا من ألطف فهم النصوص وأدقه، ومنه رأيه فى الكلالة أنها ما عدا الوالد والولد، فإن الله سبحانه ذكر الكلالة فى موضعين من القرآن ففى أحد الموضعين (يعنى قوله سبحانه **﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس﴾**[النساء: ١٢] ورَّث معها الأخ والأخت من الأم ولا ريب أن هذه الكلالة ما عدا الوالد والولد، والموضع الثانى (يعنى قوله سبحانه **﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾** [النساء: ١٧٦] ورث معها ولد الأبوين أو الأب النصف أو الثلثين، فاختلف الناس فى هذه الكلالة، والصحيح فيها قول الصديق الذى لا قول سواه، وهو الموافق للغة العرب كما قال:

ورثتم قناة المجد لا عن كلالة
عن ابنى مناف عبد شمس وهاشم

أى: إنما ورثتموها عن الآباء والأجداء، لا عن حواشى النسب، وعلى هذا فلا يرث ولد الأب والأبوين لا مع أب، ولا مع جد، كما لم يرثوا مع الابن ولا ابنه، وإنما ورثوا مع البنات، لأنهم عصبة فلهم ما فضل عن الفروض.

النوع الثالث من الرأى المحمود

فصل: النوع الثالث من الرأى المحمود الذى تواطأت عليه الأمة، وتلقاه خلفهم عن سلفهم، فإن ما تواطئوا عليه من الرأى لا يكون إلا صوابا، كما تواطئوا عليه من الرواية والرؤيا، وقد قال النبى ﷺ لأصحابه، وقد تعددت منهم رؤيا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان: «أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر» فاعتبر ﷺ تواطؤ رؤيا المؤمنين فالأمة معصومة فيما تواطأت عليه من روايتها ورؤياها، ولهذا كل من سداد الرأى وإصابته أن يكون شورى بين أهله، ولا ينفرد به واحد، وقد مدح الله (سبحانه) المؤمنين بكون أمرهم شورى بينهم، وكانت النازلة إذا نزلت بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ليس عنده فيها نص عن الله، ولا عن رسوله، جمع لها أصحاب رسول الله ﷺ ثم جعلها شورى بينهم.

قال محمد بن سليمان الباغندى: ثنا عبد الرحمن بن يونس، ثنا عمر بن أيوب، أخبرنا عيسى بن المسيب، عن عامر عن شريح القاضى قال: قال لى عمر بن الخطاب، أن اقض بما استبان لك من قضاء رسول الله ﷺ، فإن لم تعلم كل أقضية رسول الله ﷺ فاقض بما استبان من أئمة المهتدين، فإن لم تعلم كل ما قضت به أئمة المهتدين، فاجتهد رأيك واستشر أهل العلم والصلاح.

وقال الحميدى: ثنا سفيان، ثنا الشيبانى، عن الشعبى، قال: كتب عمر إلى شريح: إذا حضرك أمر لا بد منه، فانظر ما فى كتاب الله، فاقض به، فإن لم يكن، ففيما قضى به رسول الله فإن لم يكن ففيما قضى به الصالحون، وأئمة العدل، فإن لم يكن فأنت بالخيار، فإن شئت أن تجتهد رأيك، فاجتهد رأيك، وإن شئت، أن تؤامرنى، ولا أرى مؤامرتك إياى إلا خيرا لك والسلام.

النوع الرابع من الرأى المحمود

فصل: النوع الرابع: من الرأى المحمود أن يكون بعد طلب علم الواقعة من القرآن، فإن لم يجدها فى القرآن، ففى السنة، فإن لم يجدها فى السنة فيما قضى به الخلفاء الراشدون أو اثنان منهم أو واحد، فإن لم يجده فبما قاله واحد من الصحابة رضى الله عنهم - فإن لم يجده اجتهد رأيه، ونظر إلى أقرب ذلك من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وأقضية أصحابه، فهذا هو الرأى الذى سوغه الصحابة، واستعملوه وأقر بعضهم بعضا عليه.

قال على بن الجعد: أنبأنا شعبة عن سيار عن الشعبى، قال: أخذ عمر فرسا من رجل على سوم، فحمل عليه، فعطب، فخاصمه الرجل، فقال عمر: اجعل بينى وبينك رجل: إنى أرضى بشريح العراقى، فقال شريح: أخذته صحيحا سليما، فأنت له ضامن حتى ترده صحيحا سليما قال: فكأنه أعجبه، فبعثه قاضيا، وقال: ما استبان لك من كتاب الله فلا تسأل عنه، فإن لم يستبن فى كتاب الله، فمن السنة، فإن لم تجده فى السنة فاجتهد رأيك (أعلام الموقعين ١ / ٨١-١٢٥)

ثم يقول الإمام ابن القيم فى موضع آخر عن خطأ أصحاب الرأى والقياس:

خطأ أصحاب الرأى والقياس

فكان خطؤهم من خمسة أوجه:

أحدها: ظنهم قصور النصوص عن بيان جميع الحوادث.

الثانى: معارضة كثير من النصوص بالرأى والقياس.

الثالث: اعتقادهم فى كثير من أحكام الشريعة أنها على خلاف الميزان والقياس، والميزان هو العدل، فظنوا أن العدل خلاف ما جاءت به من هذه الأحكام.

الرابعة: اعتبارهم عللا وأوصافا لم يعلم اعتبار الشارع لها، وإلغاؤهم عللا وأوصافا اعتبرها الشارع كما تقدم بيانه

الخامس: تناقضهم فى نفس القياس، كما تقدم أيضا (أعلام الموقعين ١ / ٤٣١)

(أعلام الموقعين عن رب العالمين للعلامة شمس الدين أبى بكر بن قيم الجوزية - تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل ١ / ٨١-١٢٥، ٤٣١.

انظر أيضا جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر / ١٣٣-١٥٠ وفتاوى ابن تيمية ط دار الغد العربى القاهرة م٣ / ١٦٨-١٧٢).

انظر الرابى، القياس.

*** الرأى الصائب فى إثبات ما لا بد منه للكاتب:**

أحد مخطوطات الأدب المصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى: الرقم التسلسلى: ٣٧٠.

تأليف ناصر الدين أبى الفضل بن أبى الحسن على بن العماد الكاتب

نسخة كتبت سنة ١١١٦

[أحمد الثالث ٢٥٨٣　　١٧٣ ق　　١٣ × ٢١سم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية - تصنيف فؤاد سيد. القاهرة ١٩٨٨ م ١ / ٤٦٨)

قالت المؤلفة: مكتبة أحمد الثالث توجد فى طوبقبو سراى باستانبول.

*** الرأى العام الفاضل:**

فى بحث نفيس له عن المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام يتحدث الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله عن رأى العام الفاضل فيقول:

إن العبادات غذاء الأرواح، وبها يقوى الضمير الاجتماعى ويعلو، ولكنه يكون كالبذرة الصالحة لاتحيا حياة طيبة إلا فى تربة تغذيها وفى جو ينميها، . فإن لم يكن واحد من هذين

الأمرين ذبلت ولا تنبت نباتا حسنا ، والجو الصالح لتنمية ما تبذره العبادة فى النفس، والتربة الصالحة للإنبات بالنسبة للضمير هو الرأى الفاضل، فإذا كان الرأى العام ليس فاضلا لا يكون للوجدان الدينى الذى تربية العبادة ثمرته الطيبة، وإذا كانت العبادات تغذى الرأى العام بآحاد تربت وجداناتهم، فإن الرأى العام هو الذى يحمى أصحاب الوجدان الطيب من الأشرار، لأنه لا يمكن أن يكون الناس جميعا أخيارا، فإن ذلك مجافاة للفطرة الإنسانية التى خلق الله تعالى الناس عليها، فالرأى العام يقوى الوجدان الفاضل، ويوجد رقابة نفسيه تجعل كل شرير ينطوى على نفسه فلا يظهر شره، وكل خير يجد الشجاعة فيظهر ، وإنه لا يبنى تهذيب الآحاد إلا رأى عام فاضل يعمل على نصرة الفضيلة وإخفاء الرذائل حتى تذبل فى مكامنها، ولا يفسد الجماعة إلا الرأى العام الفاسد الذى يتقاصر عن حماية الفضيلة ويترك الرذائل رافعة رأسها، ولذلك عمل الإسلام على تكوين رأى عام فاضل يقوِّم المعوج ، ويسير بالمجتمع فى خط مستقيم لا عوج فيه.

وأول أمر اتجه إليه الإسلام فى تكوين رأى عام فاضل هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فأوجب على الأمة مجتمعة على وجه الواجب الكفائى أن يكون من بينها من يتولى الإرشاد العام، وليمتنع الأشرار عن شرورهم ويسير الخير فى مجراه، فتكون الجماعة فى فضيلة ظاهرة، وإن الإرشاد العام فرض كفائى كما رأيت، ولكن هناك فرض عينى على كل فرد رأى شرا أن يمنعه ، مالم يكن فى عمله إفساد للنظام أو جعل الأمور فوضى لا ضابط لها، فمن رأى رجلا يؤذى آخر عليه أن يمنعه ما دام فى طاقته، ومن رأى آخر يعمل عملا فاضحا عليه أن يقطع عليه السبيل لإتمامه، عملا بقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه» والحال الأخيرة تكون عندما يسود الرأى العام الفساد.

ولقد جاءت النصوص بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقد قال تعالى : **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** [آل عمران: ١٠٤].

وذكر القرآن أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خاصة الأمة الإسلامية ومناط خيرها، فقال تعالى : **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** [آل عمران : ١١٠]

وإن الناس إذا كان فيهم اللوم على الشر وتشجيع الخير كانت أمة فاضلة، فإنها إذا تناهت عن المنكر يختفى، وإن وقع لا يكون معلنا ظاهرا، وإنها تكون آثمة إذا رأت الشر يسير رافعا رأسه ولا يوجد من ينكره، لأن الشر الذى يظهر على السطح هو الذى يغرى الناس به، وإن الأمة كلها تعتبر مشتركة مع الآثمين إذا رأت الإثم ولم تعمل على منعه، ولقد ذم القرآن الكريم بنى إسرائيل لأنهم أفسدوا مجتمعهم بترك الآثمين يرتعون فى إثمهم من غير أن ينهوهم، ولذلك قال سبحانه وتعالى : **﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كان يفعلون﴾** [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وإن الآثمين إذا تركوا من غير رأى عام مهذب لائم هدموا بناء المجتمع، فإذا لم يأخذ الفضلاء على أيديهم سقطت الأمة وتغيرت حالها، واضطربت أمورها وتقطعت الصلات التى تربطها: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** [الرعد: ١١] ولقد ضرب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مثلا لمن يتركون الأشرار يرتعون فى مراتع الشر ولا ينهونهم، فقال عليه الصلاة السلام: «مثل المدهن فى حدود الله (أى الذى لا يقيم الحق ولا يخفض الباطل ملقا أو تهاونا) مثل قوم استهموا فى سفينة، فصار بعضهم فى أسفلها وبعضهم فى أعلاها، فكان الذى فى أسفلها يمر بالماء على الذى فى أعلاها فتأذوا به، فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا ما لك؟ قال : تأذيتم ولا بد لى من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا بأنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»، وإن هذا المثل الكريم ينبىء عن حال الجماعة إذا لم تتعاون على دفع الشر فإنها هالكة لا محالة وإن عدم التعاون على دفع الشر يفرق أمر الجماعة ويجعلها متنابذة متدابرة لا تجتمع قلوبها، ويكون التنافر بين آحادها،

ولقد قال عليه الصلاة السلام « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدى الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم تدعون فلا يستجاب لكم».

فى سبيل أن يتكون رأى عام فاضل حث الإسلام على الحياء، لأن الحياء هو أساس الائتلاف بين الأحاد، إذ أنه يحمل المرء على ألا يظهر منه إلا ما يقبله الناس ولا ينفر منه الذوق السليم، فهو الذى توجد به اللياقة الاجتماعية التى يظهر فيها الخير ويختفى الشر، ولذلك حث عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: « الحياء خير كله» وبيّن أن الحياء هو الضابط للإنسان الذى يمنعه من الانطلاق وراء هواه فلا يكبحه خلق ولا عقل، ولذلك يقول عليه السلام: «إن مما توارثه الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» أى أن الحياء هو القيد الخلقى المانع، فإذا انحل انحل معه الخلق والإرادة، وكان الانطلاق الهادى، فالحياء قيد اجتماعى إذا لم يوجد انطلقت الغرائز الإنسانية معلنة شرها، لا يستتر منها ما ينبغى استتاره بل تظهر كل آثارها، وإذا ساد الحياء انضبطت النفس بقيود خلقية واستتر فيها نزوع الشر، واستتاره يجعل الظلام يقتله أو لا ينمو ويزيد، وحيث انضبطت النفوس بالحياء لم يكن منها إلا ما يليق وينبغى وبذلك تقوى العلاقات الاجتماعية بين الناس ويكون التآلف والتحاب، ولذلك يقول عليه السلام «لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء».

ويتوهم بعض الناس أن الحياء يتعارض مع الشجاعة ومع حرية القول والفكر، وإن ذلك خطأ لأن الشجاعة هى الدفاع عن الحق فى موطن يجب الدفاع عنه ، وهذا أمر محمود فى ذاته، والحياء نظهر الفاضل ونخفى المرذول ، فيظهر كل ما يشرف ظهوره، ولا شك أن قول الحق مما يشرف الإنسان ظهوره، وترك قول الحق فى موضعه يعد استخذاء ولا يعد حياء والفرق الضبط بين الجبن والحياء: أن الجبن يخفى ما يجب إعلانه والحياء يخفى ما لا يسوغ إعلانه، والحياء لا يتعارض مع الحرية، لأن الحرية ليست انطلاقا من القيود الخلقية، إنما الحرية الحقة لا تتصور إلا مقيدة بما لا يضر الناس، ولا يفرق جمعهم ولم يكن مشتملا على توجيه إلى غير الفضيلة، والحياء لا يعارض هذه الحرية، إنما يعارض الانطلاق غير المقيد بشكائم خلقية، والحرية الحقيقية نقيض الانطلاق، ولا يتلاقيان.

وإن الإسلام حريص على أن يكون المجتمع نظيفا، لايظهر فيه الخبث بل يستتر فيه عن الأنظار ، ولذلك حث على ألا تعلن الرذائل بل تختفى، وتعلن الفضائل ولا تختفى، فلا تكشف أستار الجريمة على الناس، ولا تظهر إلا ومعها عقوبتها، لأن إعلانها مجردة عن العقاب يفسد الجو الاجتماعى، لأن ظهور الشر يغرى الناس باتباعه، فالرذيلة إذا أعلنت من غير عقوبتها كان ذلك تنبيها وتعليما للأشرار، وكثيرا ما نجد أن جريمة وقعت وهى محاكية لجريمة أعلنت، فكانت الثانية تبعا للأولى، وكثيرا ما يصرح الأغرار بأن ما ارتكبوا تعلموه من صحيفة نشرته أو إذاعة مرئية أو غير مرئية أعلنته، ولذلك حث الإسلام على عدم إعلان الجريمة غير مقترنة بعقوبتها واعتبر الإعلان جريمة، فمن أعلن جريمة فقد ارتكب جريمتين: جريمة الفعل وجريمة الإعلان، ومن أعلن جريمة غيره فقد شارك فى إثمها بمقدار ما ارتكب من إعلان، ولقد صرح محمد بهذه الحقيقة، وقال : «أيها الناس من ارتكب شيئا من هذه القاذورات، فاستتر فهو فى ستر من الله، ومن أبدى صفحته أقمنا عليه الحد» ولقد قال عليه الصلاة و السلام: « إن من أبعد الناس عن الله منازل يوم القيامة المجاهرين، قيل ومن هم يارسول الله قال ذلك الذى يعمل عملا بالليل قد ستره الله تعالى عليه، فيصبح يقول فعلت كذا وكذا يكشف ستر الله ».

ومن هذا يتبين أنّ واجب المؤمنين أن يتضافروا لإيجاد مجتمع فاضل، ولا يسكت مؤمن عن الدعوة إلى الفضيلة فى دائرة استطاعته من غير فتنة ولا نقض للصلات بين الجماعة ولقد نهى النبى المؤمن عن أن يقف على الحياد فى المعركة بين الخير والشر فى دائرة الجماعة التى يعيش فيها، بل عليه أن يكون عنصرا إيجابيا عاملا، فقد قال عليه الصلاة والسلام: « لا يكن أحدكم إمعة يقول : إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، بل وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس

تحسنوا، وإن أساءوا فتجنبوا الإساءة».

ولماذا كان الإسلام حريصا هذا الحرص على تكوين رأى عام فاضل ؟ ذلك لأن الرأى الفاضل تخبو فيه الرذائل وتعلن فيه الفضائل ، ولأن الناس يرهبون قوة الرأى العام، وهو يردع أكثر مما تردع السيوف، وإن رأيت الشر قد تفشى قوما حتى سادجموعهم وصرت تصف هذه الجماعة بالشر، فاعلم أن ذلك ليس معناه أن كل واحد من هذه الجماعة شرير لا خير فيه، وأن الخير انعدم فيها، بل معناه أن الجماعة سادها الشر وسيطر عليها دعاته من أهل الدعارة، ولو ضخمت أسماؤهم وعظمت ألقابهم، فعظم الأسماء والألقاب لا يمحو وصف الشر، وكلما عظمت أسماء الأشرار زادت سطوتهم فى وصف الرأى العام بالشر، وإن كان الأكثرون أخيارا ولكنهم انطووا فى لجة الجماعة فلا تسمع لهم صوتا لأنهم يئسوا من الاستجابة أو ضعفوا عن حمل العبء ــ وهذا إن كان ينقص قوة الخير فيهم لا يمحوها ـ فهم أخيار وإن كانوا ضعفاء، ولن يغير الله وصف الرأى العام حتى يوجد الأقوياء فى دين الله الذين يعملون على التغيير.

(«المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام» فضيلة الإمام محمد أبو زهرة، المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية مجمع البحوث الإسلامية . الأزهر جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ ـ أكتوبر ١٩٦٦ م / ٣٧٨ـ ٣٨٢).

*** رأى فى أخذ الطريقة على أكثر من شيخ:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٩٩ : ١١

سؤال عن تعدد المشايخ وفيه فعند أهل الظاهر يعدون ذلك من الفضائل، أما أهل الطريق ففى البداية يتعين شيخ واحد ثم يجوز له صحبة من شاء.

المؤلف : أبو السعادات محمد.

أوله : سؤال من عمدة الأفاضل الكرام الشيخ على الخوجة إلى الفقير محمد أبو السعادات ... هل له أن يأخذ الطريق على شيخ أو شيخين أو أكثر وبعض الناس يزعمون أن من له شيخ ليس له أن يأخذ على غيره ...

آخره: وأما من أراد مجرد التبرك والانتساب إلى طريقة من طرق ساداتنا المشايخ الكاملين فهذا لا بأس به بالاتفاق، هذا ما ظهر لى فى تحرير الجواب والله أعلم ...

الخط نسخ مقروء، الحبر: أسود.

ق ٣، س ١٩ ، ٢,٥ × ١٥ سم، كلمات السطر ٥ ، هامش ٢,٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٩٦).

*** الرأى المعتبر فى معرفة القضاء والقدر:**

الرأى المعتبر فى معرفة القضاء والقدر: لشمس الدين محمد بن عبدان الحكيم الدمشقى المعروف بابن اللبودى (المتوفى سنة ٦٢١ إحدى وعشرين وستمائة).

(كشف الظنون ١ / ٨٣١).

*** رايات رسول الله ﷺ وألويته:**

اللواء علامة لمكان الأمير، والراية ترفع لصاحب الحرب . وفى قتال خيبر وزع الرسول الكريم الرايات ، فكانت رايته سوداء تسمى العقاب (النسر) ولما رحل الرسول من ثنية الوداع فى غزوة تبوك عام ٩ هـ ، عقد الألوية والرايات، فدفع لواءه إلى أبى بكر الصديق. ورايته العظمى إلى الزبير بن العوام ، كما عقد فى يوم حنين ويوم فتح مكة لعمه العباس راية سوداء (صبح الأعشى ٣/ ٢٧٠) (الحرب عند العبر / ٤٠).

وقد بسط العلامة أحمد تيمور باشا الكلام على رايات رسول الله ﷺ وألويته فى كتابه النفيس الذى أدرجناه تحت عنوان «الآثار النبوية (كتاب ــ)» فى م ١ / ١٢٩ ـ ١٤٢ ، وننقله لك فيما يلى. قال المؤلف رحمه الله :

العَلم النبوى :

كان لرسول الله ﷺ عدة ألوية ورايات، منها ما كان خاصا، ومنها ما كان يعقده لأمراء جيوشه وسراياه. وقد تتبعنا ما ورد عنها فى التاريخ فلم نعثر على ذكر شىء منها بقى بعد زمن النبوة إلا ما يذكرونه عن الراية المسماة بالعقاب، وهذا ما وقفنا عليه عنها :

جاء فى مادة (عقب) من لسان العرب: «والعقاب علم ضخم، وفى الحديث أنه كان اسم رايته عليه السلام العقاب، وهى العلم الضخم، والعرب تسمى الناقة السوداء عقابا على التشبيه، والعقاب الذى يعقد للولاة شبه بالعقاب الطائر، وهى مؤنثة أيضا». وقال ابن سيد الناس فى سيرته المسماة بعيون الأثر فى باب ما كان لرسول الله ﷺ من السلاح والدروع والرايات ما نصه: «وراية سوداء مربعة يقال لها العقاب، وراية بيضاء يقال لها الزينة وربما جعل فيها الأسود. وروى أبو داود فى سننه من حديث سماك بن حرب عن رجل من قومه عن آخر منهم، قال: رأيت راية رسول الله ﷺ صفراء (فى حاشية البرهان) على هذه السيرة ما نصه: «انفرد به أبو داود وأخرجه فى الجهاد».

وروى أبو الشيخ بن حيان من حديث ابن عباس قال: كان مكتوب على راياته لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقال الحافظ الدمياطى قال يوسف بن الجوزى (فى حاشية البرهان الحلبى أن المراد الواعظ المؤرخ أبو المظفر يوسف المعروف بسبط ابن الجوزى صاحب مرآة الزمان المتوفى سنة ٦٥٤).

روى أن لواءه أبيض مكتوب فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله». اهـ.

(ذكر البرهان الحلبى عن أبى ذر الفرق بين اللواء والراية بأن اللواء ما كان مستطيلا والراية ما كان مربعا).

وفى الكامل لابن الأثير ومعجم البلدان لياقوت أن خالد ابن الوليد رضى الله عنه لما سار من العراق لفتح الشام ووصل إلى الثنية المشرفة على غوطة دمشق كان ناشرا رايته، وهى راية كانت لرسول الله ﷺ تسمى العقاب، فوقف عليها ساعة فسميت ثنية العقاب، وقيل سميت بعقاب من الطير سقطت عليها والأول أصح. انتهى ملخصا منهما. وجاء عنها فى آثار الأول فى ترتيب الدول أنها كانت سوداء وأنها ركزت على جبل دمشق على الثنية فسميت بها وهى ثنية العقاب. وفى تاريخ اليعقوبى ما نصه: «وروى بعضهم أن خالد بن الوليد سار إلى غوطة دمشق ثم فرعها إلى ثنية ومعه راية بيضاء تدعى العقاب فبها سميت ثنية العقاب» (شذ اليعقوبى فى جعلها بيضاء، فإن من ذكر لون العقاب من المؤرخين ذكر أنها كانت سوداء).

قلنا: ومن عند خالد بن الوليد انقطع خبر هذه الراية فى التاريخ،. فلم نقف على انتقالها أو انتقال غيرها من الرايات النبوية إلى أحد من الخلفاء أو الملوك سوء ما يدعيه الترك فى اللواء المحفوظ مع الآثار القسطنطينية وما رواه الجبرتى عن لواء آخر سمته العامة بمصر بالبيرق النبوى.

لواء القسطنطينية:

تقدم فى الآثار التى بالقسطنطينية (انظر مادة «استانبول» فى م ٤ / ١٩١ من هذه الموسوعة) ذكر لواء زعموا أنه من الألوية النبوية، وقد بينا هناك أن فى هذه الآثار ما يحتمل أن يكون صحيحا وإنما توقفنا فيها لأنا لم نر لها ذكرا فى رواية لأحد الثقاة يمهد للنفس سبيل الاطمئنان إليها ولم يفصح مؤرخو الترك عن لون هذا اللواء ولا ذكروا شيئا من صفته ولا ما كتب عليه، وإنما يروون من خبره أن بنى عثمان كانوا يحرصون عليه حرصهم على بقية الأمانات المباركة، وأنهم اضطروا إلى إخراجه ونشره فى بعض الفتن ليتألفوا به الأمة كما حدث فى قيام اليكيجرية على السلطان أحمد بن محمد المعروف بأحمد الثالث المتولى سنة ١١١٥ فإنه اضطر إلى إخراجه وركزه بباب القصر وبث المنادين فى الأهالى بالاجتماع عنده ولكنه لم يوفق فى قمع الفتنة وانتهى الأمر بخلعه، وحدث فى قيام اليكيجرية على السلطان سليمان بن إبراهيم المتولى سنة ١٠٩٩ بسبب نفقة البيعة أن أحد التجار ممن نهبت أمتعتهم أراد أن يحتال فى تأليب العامة عليهم فعمد إلى رمح عقد عليه شقة من البز الأبيض موهما أنه اللواء النبوى أخرج من القصر، وتسامعت العامة به فتجمعت والتفت حوله. ولما أراد السلطان محمد بن عبد الحميد الملقب بالثانى إبادة اليكيجرية وتخليص الدولة من أذاهم اضطر إلى إخراج اللواء من الأمانات ليقوى به نفوس شيعته ويكثر سوادهم بمن يلتف من العامة حوله، قال المولى محمد أسعد قاضى القسطنطينية فى كتابه «داس ظفر» الذى

ألفه بالتركية في هذه الحادثة (اسم هذا الكتاب تاريخ بالجمل للحادثة أي سنة ١٢٤١ وقد طبع بالقسطنطينية سنة ١٢٤٣) إن السلطان لما أراد الزحف عليهم أخرج اللواء النبوي من حجرة الخرقة الشريفة وسلمه للصدر الأعظم وشيخ الإسلام. وقد فصل غيره من مؤرخي الترك هذا الخبر بأنهم لما أعلنوا بالعصيان أسرع الصدر الأعظم وعلماء الدولة وكبراؤها إلى قصر بشكطاش مقر السلطان وأعلموه بالخطب وانتقلوا معه إلى قصر طوبقبو الذي به الأمانات وتضرعوا إليه بإخراج اللواء الشريف فاستعظم الأمر وتمنع خشية من عطب يصيبه ثم ما زالوا به حتى رضي وذهب إلى حجرة الأمانات فأخرجه وحمله إليهم وهو يبكي وسلمه للصدر الأعظم وشيخ الإسلام فذهبا إلى أت ميدان (أت ميدان بتقديم المضاف إليه على المضاف كالقاعدة في التركية معناه ميدان اللحم لأنهم كانوا يوزعون فيه اللحم على اليكيجرية وكانت ثكنتهم مطلة عليه وقد أورده بهذا المعنى شمس الدين سامي في معجمه التركي ولكنه أورده في قاموس الأعلام بلفظ (آت ميدان) بمد أوله على أن معناه الخيل لأنهم كانوا يروضون فيه المهاري ويدربونها) ومعهما المدفعية من جنود النظم الجديد لقتال أولئك البغاة ولما وصلوا إلى الميدان تقدم قاضي استنبول وصاح قائلا: من اختار اليكيجرية فليذهب إلى مراجلهم ومن اختار الإسلام فليضو إلى السنجق الشريف (كان من عادة اليكيجرية عند العصيان أن يقلبوا في الميادين مراجلهم التي يطبخون فيها طعامهم كأنهم يشيرون بذلك إلى رفضهم أكل طعام الدولة وخدمتها. والسنجق أو السنجاق في التركية اللواء وكان يطلق في مصر على الكبير الحائز لرتبة أمير اللواء من أمراء الجراكسة الذين كانوا يحكمونها مدة العثمانيين، والظاهر أن أصله أمير سنجق ثم خفف بحذف جزئه الأول، كما يقال الآن للباشا من الجند لواء وأصله أمير لواء).

فأسرع أغلب الناس للانضمام إلى اللواء ثم أطلقت المدافع على اليكيجرية وثكنتهم فهدمت عليه وكتب إلى الولايات بإبادتهم فأبيدوا عن آخرهم. وقد وهم البستاني في دائرة المعارف ومحمد فريد بك في تاريخ الدولة العلية العثمانية في زعمهما أن السلطان سار بنفسه مع جند المدفعية إلى أت ميدان وهو قول لم يقله أحد من مؤرخي الترك ولا سيما المشاهدين منهم للحادثة، والصواب أنه بقي بالقصر وأرسل الصدر الأعظم وشيخ الإسلام واللواء والجنود كما ذكرنا.

اللواء الذي سموه بمصر البيرق النبوي (البيرق لفظ تركي وأصله في هذه اللغة بيراق أو بايراق ومعناه اللواء والراية)

وهو علم كبير من الأعلام التي كانت بالقلعة أخرجه السيد عمر مكرم نقيب الأشراف للعامة عند قيامهم لدفع الفرنسيس عن القاهرة فسموه بالبيرق النبوي، والظاهر أن بعض قادتهم اختلق لهم ذلك ليزيد في تحمسهم فاعتقدوه. وملخص خبر هذه الواقعة أن الفرنسيس لما قصدوا الاستيلاء على مصر سنة ١٢١٣ كان عليها وال عثماني ليس له من الأمر شيء على عادة ولاتهم بها، وكان يحكمها كبيران من الجراكسة مشاركة وهما إبراهيم بك الكبير ومراد بك والتصرف في أغلب الأمور لمراد بك، وكان أخرق رهقا من شر أمرائهم وأضرهم بظلم الرعية وأجبنهم عند اللقاء، فمن مساويه في ذلك أنه خرج قبل مجيء الفرنسيس للتنزه في الريف أي الوجه البحري فعاث فيه وأفحش في القتل والنهب وإحراق القرى وتشتيت سكانها، ثم عاد إلى القاهرة ظافرا مملوء الوفاض بالغنائم بعد أن غادر أكثر قراه يبابا فلم يلبث أن بلغه نبأ احتلال الفرنسيس للإسكندرية في المحرم من تلك السنة وشروعهم في الزحف على القاهرة، فخرج إليهم بجنوده من الجراكسة وغيرهم والتقى بهم جهة الرحمانية بالبحيرة فلم تكن غير مناوشات هينة نكص فيها على عقبيه إلى جهة إمبابة بالشاطىء الغربي للنيل تجاه القاهرة وأخذ يتحصن بها فلحقه الفرنسيس فلم يقو على نقائهم وانهزم هو وجنده في أقل من ساعة وفر إلى الصعيد وفر الوالي العثماني وإبراهيم بك إلى جهة الشام وتشتت بقية الأمراء وتركوا الشياه للذئاب. وكان أهالي القاهرة قاموا قياما محمودا أبانوا فيه عن نخوة وحمية وسخاء بالنفوس والأموال وساروا إلى بولاق بالشاطئ الشرقي لمساعدة الجنود فلما وقعت الهزيمة حول الفرنسيس الرمي إلى هذا الشاطىء فشتتوهم ودخلوا القاهرة يوم الثلاثاء العاشر من صفر.

وهذا نص ما ذكره الجبرتي عن قيام الأهالي ومسيرهم بهذا

العَلم إلى بولاق قبل ذلك بأسبوع أى فى يوم الثلاثاء ٣ صفر سنة ١٢١٣. » وفى يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس وكرروا المناداة بذلك كل يوم فأغلق الناس الدكاكين والأسواق وخرج الجميع لبر بولاق فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياما أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم قيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم، وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الآخر ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك بحيث إن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بإنفاق أموالهم فلم يشح فى ذلك الوقت أحد بشىء يملكه، ولكن لم يسعفهم الدهر وخرجت الفقراء وأرباب الأشائر بالطبول والزمور والأعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة، وصعد السيد عمر أفندى نقيب الأشراف إلى القلعة فأنزل منها بيرقا كبيرا سمته العامة البيرق النبوى فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك». اهـ.

قلنا: وما زال فى عوام المصريين من يعتقد بأن العلم العثمانى ذا الهلال والنجم متخذ على مثال العلم النبوى، ولهذا تضاعف تألمهم لما غير فى مصر بالعلم ذى الأهلة والأنجم الثلاثة بعد إعلان انفصالها من الدولة العثمانية إبان الحرب الكبرى الواقعة أواخر سنة ١٣٣٢ هـ، لعل منشأ هذا الاعتقاد ظنهم أن شارات دولة الخلافة تقتبس عادة من شارات نبوية. على أنهم فى ذلك ليسوا بأوغل فى الوهمْ من كثير من خاصة المسلمين وعامتهم فى عدهم الهلال رمزا دينيا له عند المسلمين ما للصليب عند النصارى، وما كان قط كذلك، وإنما حبب إلى مسلمى العصور الأخيرة وعظم لديهم لكونه شارة للعلم فى آخر دولة أدركوها من دول الخلافة (الآثار النبوية / ٩٧ـ١٠٢).

وأما عن النظم فقد جاء عن راية رسول الله ﷺ وألويته فى ألفية زين الدين العراقى هذان البيتان:

رايـاتـه العقـاب كـالنمـراء
مع رايـة صفـراء مع سـوداء
كـانت لـه ألـويـة بيض كـذا
أسـود مع أغبـر منهـا اتخـذا،

(العجالة السنية / ٢٦٩)

وقد سبق أن أوردنا هذين البيتين مع أبيات أخرى فى مادة «أسلحة رسول الله ﷺ» فى م ٤ / ٤٣٠

كما جاءت هذه الأبيات فى منظومة السيد عبد الحميد الخطيب:

رايـاتـه سـود ومنهـا رايـة
قـد خصصت للمصطفى بـالـذات
هى من قمـاش الصـوف سمـاهـا العقـا
ب كـذاك ربعهـا مـن الجنبـات
ولـه لـواء أبيض قـد خط فيـ
ـه شهـادة هـى أفضـل الكلمـات
ولكـل شـىء عنـده اسم يعـ
ـرفه بـه مـن خشيـة الضيعـات

(سير سيد ولد آدم / ٣٦).

(الحرب عند العرب ـ د. عبد الرحمن زكى. كتابك ٨٨ دار المعارف ١٩٧٧ / ٤٠، والآثار النبوية ـ أحمد تيمور باشا / ٩٧ ـ ١٠٢، والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقى ـ الشيخ عبد الرزاق المناوى. قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى / ٢٦٩، وسيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ ـ نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ٣٦).

انظر: الرايات والألوية.

*** الرايات والألوية:**

فى بحث بعنوان « الرايات والألوية وشعارات الحرب عند العرب»، يقول الدكتور فاروق عمر فوزى: الراية لغة هى العلم والجمع رايات، ويشير ابن منظور فى (لسان العرب) إلى حديث الرسول ﷺ فى معركة خيبر ضد اليهود قوله.. «سأعطى الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله»، فالراية هنا العلم.

أما اللواء فهو لواء الأمير. والجمع ألوية.. ولا يمسك

اللواء إلا صاحب الجيش والهدف منه معرفة مكان الرئيس أو الأمير وإشهار موضعه لكى يعرفه الجند.

يقول الشاعر:

حتى إذا رفع اللواء رايته

تحت اللواء على الخميس زعيما

وكانت بعض العرب تسميه «لواى» يقول الشاعر:

غداة تسايلت من كل أوب

كتائب عاقدين لهم لوايا

من ذلك نلاحظ أن الراية هى الوحدة أو الكتيبة أو القبيلة المقاتلة ويحملها أحد المقاتلة المعروفين بشجاعتهم، أما اللواء فهو رمز للأمير قائد الجيش. قال الطريحى فى مجمع البحرين.

«الراية هى التى يتولاها صاحب الحرب ويقاتل عليها واليها تميل المقاتلة، واللواء علامة كبكبة الأمير تدور معه حيث دار».

يقول الدكتور مصطفى جواد (الراية واللواء وأمثالهما / ٥٧٣، ٥٧٤):

«راية الجيش ملاذ له عند التفرق والاضطراب ومجمعة لقلوبه وعلامة لتميزه عن غيره ومفخرة له حين التقدم واحمرار البأس بالموت الأحمر ومهيجة للنفس ومشجعة للقلوب. فكأين من جيش استخدم لسقوط رايته وكم خميس تشتت بقتل صاحب لوائه.

فذلك كان القائد والأمير والخليفة لا يسلم رايته إلا إلى رجل وثيق أيد (هو القوى الشديد) شجاع يتقدم بها إلى عدوه بقلب صبور وعزم غيور ويرى الموت سلما إلى الفخر وشامخ الذكر ...

لقد أشرنا سابقا إلى تمييز النبى ﷺ لصاحب الراية. وفى رواية تاريخية أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يعقد الألوية بنفسه لقادة جيوشه التى أرسلها إلى بلاد الشام، فقد عقد أربعة ألوية لأربعة رجال:

اللواء الأول ليزيد بن أبى سفيان وأوصاه خيرا ثم قال له:

«إذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة إلا لمأكول، ولا تغدروا إذا عاهدتم، ولا تنقضوا إذا صالحتم وستمرون على قوم فى الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا فى الله ولا تهدموا صوامعهم» (الأزدى: فتوح الشام / ١١، ١٣ والواقدى: فتوح الشام / ٨)

اللواء الثانى لشرحبيل بن حسنة وأوصاه قائلا:

«أوصيك بالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل» (الأزدى/ ١٥).

اللواء الثالث لأبى عبيدة عامر بن الجراح وقال له:

«إنك تخرج فى أشراف الناس وبيوتات العرب وصلحاء المسلمين وفرسان الجاهلية ... أحسن صحبة من صحبك وليكن الناس عندك فى الحق سواء واستعن بالله» (الأزدى/ ١٧).

اللواء الرابع لعمرو بن العاص وما قاله له:

«يا عمرو إنك ذو رأى وتجربة بالأمور وبصر بالحرب. وقد خرجت مع أشراف قومك ورجال من صلحاء المسلمين، وأنت قادم على إخوانك فلا تألهم نصيحة ولا تدخر عنهم صالح مشورة فرب رأى لك محمود فى الحرب مبارك فى عواقب الأمور» (الأزدى / ٥٠) ومن وصايا على بن أبى طالب رضى الله عنه فى الراية قوله:

« ورايتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدى شجعانكم المانعى الذمار والصبر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ الذين يحفزون برايتكم ويكشفونها: يضربون خلفها وأمامها ولا يضيعونها» (ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة ١ / ٤٨٣) والمعروف أن لكل قبيلة عربية قبل الاسلام راية خاصة تميزها عن سائر القبائل بلونها وكانت تعقد على رمح وتناط إلى مقاتل شجاع. وللرايات مقام رفيع وتبجيل كبير عند العربْ فى الحرب والسلم. وكانت القبائل أثناء المعركة تعرف براياتها. فكان المقاتل يعرف موضع قبيلته إذا احتدمت المعركة ويقاتل معها فى الكر والفر. وقد استمر تقليد الرايات فى الإسلام حيث تشير العديد من الروايات التاريخية إلى عقد الألوية للقادة وعقد الرايات للقبائل مع ألوانها وصفاتها وأسمائها.

ألوان الرايات والألوية وأسمائها:

إن غموض الروايات التاريخية وندرتها حول ألوان الرايات

والألـوية وصفـاتهـا هو السبب فى قلـة الأبحـاث حول هـذا الموضوع وخاصة فى فترة صدر الإسلام .

على أن الإستاذ الدكتـور مارتن هانيز من جـامعة كمبردج كتب مقـالـة عن هـذا المـوضـوع معتمـدا على نسختين من مخطوطة واحدة مجهولة العنوان والمؤلف . وهذه المخطوطة تشابه فى متنهـا وأسانيدها ـ مع اختـلاف فى ترتيب الأحداث وإضـافـات أخـرى ـ كتـاب وقعـة صفين لنصـر بن مـزاحـم المنقرى ت ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م) . ويعتقد الدكتور هـاينز أن هذه المخطوطة إما أن تكون نسخـة أكبر من النسخة المعروفة إلى الآن عن وقعـة صفين لنصـر بن مـزاحم أو أن تكـون مخطوطة أخرى لمؤلف آخر مجهـول إلا أنه معاصر لنصر بن مزاحم المنقرى .

وبقـدر ما يتعلق الأمـر بموضـوع بحثنا فـالواقع أن الـذى يهمنا من هذه المخطوطـة هو الفصل المهم الذى يقع تحت عنوان :

« ... تعبية وضع الرايات وعقد الألـوية على مراتب الأمراء والقواد والرؤساء والأجنـاد وصور الـرايات بصفـاتها وألـوانها وأسمائها فى الجاهلية والإسلام .

وفى هــذا الفصل تفـاصيل جيـدة عـن رايـات القبـائل وشعاراتهـا قبل الإسلام وبعـده وقد أورد الدكتـور هاينـز هذا الفصل كاملا فى آخر مقالته وقد عمدنا إلى الاستفادة مما ورد فيها فى بحثنا هذا .

ولعلنا نبدأ كلامنا بالقـول أن الرسول ﷺ كان ـ على أثبت الروايات التـاريخية ـ له راية سوداء ولـواء أبيض . وكانت راية الرسـول ﷺ السوداء تسمى « العقـاب» ومع أن النبى ﷺ كان فى الـرايات إلى السـواد أميل، إلا أن ذلك لا يعنى أن رايـاتـه كانت كلهـا بلون واحـد . فرايـة فتح مكة وكـذلك اللواء كـانا سوداوان . ولكن الرسول ﷺ حين جهز جيش مؤتة جعل الراية بيضـاء . وعلى ذلك فهناك معلومات عن رايات بيضاء وصفراء وعن لواء أسود للرسول ﷺ (الطبرى ، تاريخ ٢٢ / ٨) .

ووصفت الراية بأنهـا خرقة أو قطعة مـربعة أو مستطيلة أو غير ذلك وأن حجمها كبير . أما اللـواء فكان عبارة عن أشرطة بحجم مناسب تربط فى أعلى الرمح .

وكان لـواء الرسول ﷺ يسمى « اللواء الأعظم» قـال محمد ابن عثمـان فحدثنى الهيثم بن عـدى عن محمد بن إسحـاق عن ابن عباس عن محمـد بن المعاش أن لـواء رسول الله ﷺ كان أبيض ورايته سوداء .

أما قريش فكانت رايتها بيضـاء ولواؤها أسود . وقد أشارت الروايات إلى أن لواء قريش الأسود يوم الفجار قبل الإسلام كان مع علقمة بن كلدة بن عبد منـاف وأشارت إلى رايتها البيضاء يوم اليـرموك حيث كانت مع فراس بن النضـر بن الحارث بن كلدة . وكانت نفس الراية يوم اليمامة مع طلحة بن عثمان .

أما رايـة الأنصار الأوس والخـزرج فيقول الـواقدى بـأنهما خضـراء وحمـراء على التـوالى فى فترة مـا قبل الإسـلام وقـد حافظوا عليها بعد الإسلام . على أن هناك رواية تاريخية أخرى تشير أن الرسـول ﷺ أعطى الأنصار راية صفراء . ولكـن الراية التى عقـدها الـرسول ﷺ لعبـد الله بن جحش كانت خضـراء وأصبحت فيما بعد راية بنى أسد جميعا . كما أن راية الأنصار فى حرب صفين كانت سوداء وبيضاء مستطيلة .

وكانت راية بنى محارب التى يقال لها«الضياء» سوداء فيها عينان حمراوان ذات عذبتين حمراوين . وكانت يوم صفين إلى عـايذ بن سعيـد بن جنـدب فقتل وهو يحملهـا فأعطيت إلى على بن شعم فأقبل وهى معـه فـاستقبلتـه ذريفـة ابنة عـايـذ فقالت أين أبى فقال ابن شقم :

وقــائلــة هـل أب فى الجيش عــايــذ
ألا غــالــه عنـك السنـان المحـرب
مضى ورمــاح القــوم تشـرع نحــوه
وكـــان غـــداة الــروع لا يتهيب

وكـانت رايـة بنى تغلب فى فتـرة مـا قبل الإسلام بيضـاء فخضبوها بحمرة فجعلت حمراء وبيضاء وفيها يقول عمرو بن كلثوم :

وكنــا نــورد الــرايــات بيضــا
ونصــدرهن حمــرا قــد روينــا

وكانت راية النخع ذات ثلاث عذبات صفر كلها ليس لها حواش .

أما راية الأشعريين فكانت خرقة خضراء وبيضاء وحمراء وفي الوسط هلال أحمر عقده رسول الله ﷺ لأبي عامر الأشعري.

وكانت راية همدان مدبجة بالحمرة والخضرة والصفرة والسواد وكان شعارهم «يا مجالد» وفي ذلك قال عمير بن أفلح:

وكيف تهابوا القوم لله أنتم
وألف كمي من معد كواحد
من الحي همدان بن زيد إذا انتمت
فوارس تدعو في الوغا لمجالد

وكان حامل راية طيء في صدر الإسلام عدي بن حاتم الطائي وكانت رايتهم حزمة سوداء وبيضاء وحمراء في السواد هلال أبيض وثلاث عذبات سوداء وبيضاء وحمراء.

ويعمل اللواء أحيانا عمل الراية وذلك حين يكون زعيم القبيلة صاحب رأي وتدبير في الحرب وله لواء معروف به متميز له. فالأشعث بن قيس الكندي كان له لواء أسود وقد ظل هذا اللواء مرفوعا كراية لكندة في معركة صفين.

وفي رواية تاريخية أن حمير وعمير قدمتا على رسول الله ﷺ فعقد لهما لواءين طولهما بين الرمح والسنان أصفرين.

وكانت راية قضاعة بيضاء ذات عذبتين بيضاء وحمراء أما راية الأزد فكانت صفراء مربعة وكان رسول الله ﷺ قد جعل شعارهم جميعًا «مبرور».

أما لواء بني سليم من مضر فهو أبيض فخضبوه دمًا يوم حنين فهو أحمر ليس لأحد من العرب لواء أحمر غيره وسلمه النبي ﷺ يوم حنين إلى معاوية بن الحكم. وبنو سليم ينشدون فيه شعرًا:

ونحن خضبناه دمًا فهو لونها
غداة حنين يوم صفوان شاجره

وقال عباس بن مرداس السلمي مشيرا إلى شعار سليم وهو مقدم:

تظل السيوف إذا قصرن بخطونا
نحو المنية مظلم يتقدم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه
وشعارهم يوم اللقاء مقدم

وكانت راية غسان بيضاء جانبها أحمران.

وبمرور الزمن ومع بقاء هذه الرايات القبلية فإن القبائل بدأت تستقر في الأقاليم الجديدة مثل العراق وبلاد الشام وخراسان ومصر، ولهذا نلاحظ ظهور رايات عامة تدل على جند الأقليم ككل. ففي رواية تاريخية أن رايات العراق كانت سوداء وحمراء وداكنة. كما برزت علامات خاصة بجند الإقليم وخاصة أثناء المعركة لكي يعرف بعضهم البعض الآخر ويتبينوا الطرف الآخر. وتشير رواية أن علامات جند العراق كانت الصوف الأبيض وعلامات جند الشام الخرق الصفر. وأن علامات بعض الخيالة في عسكر معاوية الخضرة.

وقد ظهرت قبل ذلك رايات تجمع القبيلة بأجمعها مثلا «راية بني أسد جميعًا». أو فيما يخص بني بكر هناك «الراية التي تجمع بكر بن وائل قاطبة». وكان للرسول ﷺ «اللواء الأعظم» الذي جمع كل المقاتلة المسلمين في بدر ورفعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معاركه فيما بعد. وكان لمعاوية بن أبي سفيان لواء سماه «اللواء الأعظم لواء الجماعة». وكان لبعض الرايات أسماء تعرف بها، فراية الرسول ﷺ السوداء تسمى «العقاب». وفي راية حضرموت عينان ولهذا كانت تسمى «الضياء» وراية همدان كانت تسمى «الحون»، أما بنو كلاب فرايتهم تسمى «السعور». ويبدو أن بعض اللرايات كانت لها أسماء بينما لم تُسَمَّ الرايات الأخرى بأسماء معينة رغم أن هذا التقليد استمر حتى بدايات العصر العباسي. فحين أرسل إبراهيم الإمام رايتين إلى سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء بخراسان أعطاهما اسمين متميزين هما «الظل» و «السحاب».

نستنتج من الروايات التاريخية آنفة الذكر أن اللواء كان رمزًا لإمارة القيادة ورمزا لكل الجيش. أما الراية فكانت رمزًا لأمير أو شيخ القبيلة وصاحب الحرب فيها. وكانت الرايات والألوية وشعارات الحرب معروفة لدى العرب قبل الإسلام وقد أبقاها الإسلام، بصورة عامة، على حالها بعد أن عدل فيها وغير ما لا يتناسب مع تعاليم الإسلام ومبادئه ويعود سبب استخدام الدولة العربية الإسلامية لها لأسباب عديدة:

أولها ـ أنها شعار الحرب ومن ضرورات المعركة حيث يميز عن طريقها المقاتل إخوانه من أعدائه .

ثانيها ـ أنها ذات تأثير نفسى على المقاتلة حيث ترفع من معنوياتهم وتزيد من بسالتهم وتضعف معنويات عدوهم .

ثالثها ـ أن إكثار الرايات والألوية وتلوينها تزيد من فعاليات المقاتلة و إقدامهم وتساعد على تجميعهم واندفاعهم فى الدفاع عنها وحمايتها .

رابعها ـ أن الأكثار منها دلالة على سعة الدولة وعظمة الأمة .

خامسها ـ أن الراية تميز الوحدة المقاتلة ومنها يعرف مقدار استبسالها أو تخاذلها أثناء المعركة .

وكانت الراية أو اللواء يعقد على رمح طويل يرفعه صاحبه أثناء المعركة ليكون بمثابة علامة للجند ومرجعا لهم عند اشتداد القتال .

وفى رواية تاريخية أن أحد الأنصار أقسم أن يرفع للرسول ﷺ راية عند دخوله المدينة مهاجرا فنشر عمامته على رمحه وسار أمام الرسول ﷺ فكان أول لواء عقد فى الإسلام «الرايات والألوية . . . »٥٦ـ٦٠) .

قالت المؤلفة : جاء فى السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٧١) عند الكلام على سرية عبيدة بن الحارث أنها أول راية عقدها الرسول ﷺ . كما جاء فى الأعلام (٤/ ١٩٨) أن النبى ﷺ عقد لعبيدة بن الحارث ثانى لواء عقده بعد أن قدم المدينة اهـ .

وقد استمرت العادة المتبعة أن يقلد الرسول ﷺ اللواء إلى القائد الذى يختاره ففى غزوة بدر كان لواء الرسول ﷺ الأبيض مع مصعب بن عمير من المهاجرين ورايته السوداء «العقاب» مع على بن أبى طالب رضى الله عنه وراية سوداء أخرى مع سعد بن معاذ من الأنصار .

وفى غزوة تبوك سنة ٩ هـ دفع الرسول ﷺ لواءه إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ورايته العظمى إلى الزبير بن العوام . أما فى يوم حنين ويوم فتح مكة فكانت رايته السوداء على حد قول بعض الروايات مع عمه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .

وعندما بعث الرسول ﷺ أسامة بن زيد إلى البلقاء عقد له لواء إشعارًا بالقيادة العامة للمقاتلة . فركز أسامة اللواء بالجرف «خارج المدينة» ليتجمع حوله المقاتلة المجاهدون . وعندما توفى الرسول ﷺ وعاد أسامة بالجيش ركزه أمام بيت النبى ﷺ حتى بويع أبو بكر بالخلافة فطلب من أسامة أن يركزه أمام بيته استعدادا للجهاد كما أمر رسول الله ﷺ بذلك .

وحين ارتدت بعض القبائل على عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعزم على قتالهم ركز لواء القيادة فى مسجد رسول الله ﷺ ثم خرج بالمجاهدين إلى «ذى القصة» وقسَّمهم إلى إحدى عشرة فرقة وركز لكل قائد لواء . فكان اللواء الأول لخالد بن الوليد واللواء الثانى لعكرمة بن أبى جهل والثالث لشرحبيل بن حسنة رضى الله عنهم جميعًا .

وفى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت فتوحات العراق والشام . . وفى رواية تاريخية أن خالد بن الوليد كان يرفع فى معركة اليرموك راية الرسول ﷺ «العقاب» والتى كانت بيد خالد فى معركة خيبر كذلك .

أما راية الأنصار فى اليرموك فكانت «خضراء» وراية المهاجرين «صفراء» وفيها أبيض وأخضر وأسود . أما راية أبى عبيدة عامر بن الجراح فكانت صفراء وهى راية للرسول ﷺ كذلك .

كما عقد عمر بن الخطاب رضى الله عنه للقائد سعيد بن عامر راية «حمراء» على قناة تامة وأرسله لليرموك نجدة لهم .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسائر الخلفاء قبله وبعده يزودون القادة بالتوجيهات حين يسلمون لهم الألوية ، ففى رواية أن عمر كان يقول عند عقده لأى لواء :

«بسم الله وبالله وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله وبالنصر الأمين عند الله ولزوم الحق والصبر فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢/ ١٠٧) .

وقد سار هذا التقليد فى المجتمع العربى الإسلامى بحيث أصبح لكل دولة راية خاصة بها («الرايات والألوية / ٤٩ـ٥٦ . ٦٠ ـ٦٢) .

وعن اتخاذ الرايات والألوية فى سبيل الله تعالى وأشكالها يقول الإمام ابن جماعة.

عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء. ولواؤه أبيض مكتوبًا فيه «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» رواه ابن عائد فى كتاب الصوائف. وعن يحيى بن سعد قال: أول من عقد الألوية إبراهيم. فكان لواء إبراهيم أبيض. وروى أن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء اسمها العقاب. وعن البراء بن عازب: لما سئل عن راية رسول ﷺ السوداء قال: صارت إلى خالد بن الوليد فقاتل بها بنى حنيفة ومسيلمة ثم مضى بها إلى الجزيرة ثم إلى الشام فقاتل بها فى وقائع الشام وروى أن لواء بنى سليم كان أبيض فقاتلوا به يوم حنين حتى احمر من الدماء فأقروه أحمر وروى أن راية بنى السكون كانت مربعة ذات طرفين حمراوين وثلاث عذبات بيضاوين وحمراء إلى وسط، وكانت راية بنى حجر بيضاء مربعة فى جانبها مما يلى الرمح سواد وفى وسطها عذبة خضراء. وكانت له راية الخطامة بيضاء وسطها هلال أزرق ولها عذبتان حمراوان فى أعلاها وأسفلها وكانت راية بنى حديلة بيضاء ذات هلال احمر، وكانت راية هوازن بيضاء وحمراء وسوداء وكانت راية بنى عبس حمراء ذات هلال أبيض وثلاث عذبات حمراوين وبيضاء، وكانت راية أسد صفراء مربعة، وكانت راية بنى قتيبة بيضاء، فيها أسد أسود، وعذبة سوداء، وكانت راية بنى قرة بيضاء وزرقاء، وكانت راية غسان جانباها أحمران ووسطها أبيض، وذكر ابن عائد فى كتاب الصوائف أن لراية كل قبيلة شكلا ولونا حتى بلغ عددها قريبا من سبعين راية، وكان ذلك فى زمن الصحابة رضى الله عنهم وهو يدل على اتخاذ الرايات على ألوان متغايرة وأشكال مختلفة ليعرف كل قوم برايتهم وعن معاوية أنه رتب رايات أهل الشام وذكر من يلى كل راية من جهة الميمنة والميسرة (مستند الأجناد/ ٧٣ ـ ٧٦).

وفى معرض كلامه على العصا يقول الجاحظ ما خلاصته إن القادة قد علموا عن حاجة الناس إلى أن يهابوهم، وأن ذلك هو صلاح شأنهم، ومن ثم اتخذوا العمامة والقلانسى العظام والقناع، كما اتخذوا فى الحروب الرايات والأعلام، وإنما ذلك كله خرق سُود وحُمر وصُفر وبيض. وجعلوا اللواء علامة للعقد، والعَلم فى الحروب مرجعا لصاحب الجولة. وقد علموا أنها وإن كانت خِرقا على عصى أن ذلك أهيب فى القلوب، وأهول فى الصدور، وأعظم فى العيون (البيان والتبيين/ ٤٤٥).

وقد أفرد الهمذانى الكاتب بابًا فى الرايات والأعلام جاء فيه ما يلى:

اللواء، والراية، والعلم، والبند، والعقاب. «والمطارد دون الأعلام». قال ابن خالويه: ويقال للراية الدِّرفس. قال البحترى فى قصيدته السينية التى وصف بها إيوان كسرى وهى من أحسن شعره أولها:

« صُنتُ نفسى عما يدنِّس نفسى
وترفّعت عن جدا كل جبس»

فيقال فى أثنائها:

«والمنايا مواثل وأنو شر
وان يزجى الصفوف تحت الدِّرفس»

ويقال: شر الأعداء رايات ضالتهم وباطلهم وأعلام جهالتهم، ونشر الأولياء رايات حقهم. وتقول: هم تبع لكل ناعق وناعر، وهم سراع إلى كل من نصب للباطل راية، ورفع الشر علما. وقال عبد الملك بن مروان «إنا نتحمل كل لعبة إلا نصب راية، وانتحال دعوة، وصعود منبر» وفى الحديث: «من قتل تحت راية عمية فقد قتل قتلة جاهلية ودخل النار» (الألفاظ الكتابية/ ٢٥٩، ٢٦٠).

(«الرايات والألوية وشعارات الحرب عند العرب» ـ د. فاروق عمر فوزى. دراسات فى التاريخ الآثار (٥). مجلة جمعية المؤرخين والآثاريين فى العراق/ ٤٩ ـ ٥٦، ٦٠ ـ ٦٢، والسيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٢/ ١٧١، والأعلام للزركلى ٤/ ١٩٨، ومستند الأجناد فى آلات الجهاد لابن جماعة الحموى ـ تحقيق أسامة ناصر النقشبندى/ ٧٣ ـ ٧٦، والبيان والتبيين للجاحظ ـ حققه وقدم له المحامى فوزى عطوى/ ٤٤٥، والألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى الكاتب. دار المسلم. القاهرة / ٢٥٩، ٢٦٠).

*** الرانجورى (ـــ ٨٩٢ أو ٨٩٨ هـ):**

عربى من ذرية الحسين بن على من آل البيت، ومن علماء العرب فى الهند وهو الشيخ الكبير أحمد بن محمد بن

على بن خضر الحسينى الرائچورى الشيخ شمس الدين بن جلال الدين، كان من كبار الأولياء.

ولد ونشأ ببلدة كوكى من أعمال بيجاپور وأخذ عن أبيه ولازمه مدة ثم سافر إلى رائچور وسكن بها، أسلم على يده خلق كثير من الناس، توفى فى الخامس عشر من صفر سنة اثنتين وتسعين وقيل ثمان وتسعين وثمانمائة، وقبره مشهور ظاهر بمدينة رائچور يزار ويتبرك به.

(علماء العرب فى شبه القارة الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى/ ١٢٣).

***رائد الواردين إلى كتب النبى والخلفاء الراشدين:**

من مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى، وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٩٠٢٤هـ/ ٣

لجميل بن مصطفى بن محمد بن عبد الله بن محمد الدمشقى المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ م.

الأول ذا الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب واختصه بجوامع الكلم وفصل الخطاب... وبعد فهذا سفر جمعت فيه كتب النبى ﷺ والخلفاء الأربعة رضى الله تعالى عنهم...).

نسخة جيدة كتبها المؤلف سنة ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٢ م.

القياس ٧ ص ٣١×٢٠,٥ سم ١٣س

معجم المؤلفين ٣/ ١٦١

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٢٠٠).

*** الرائش:**

من ملوك حمير باليمن وهو الحارث الرائش بن شدد بن قيس بن صيفى بن حمير الأصغر هذا نسبة الصحيح، من ولده التبابعة. ونسبه الهمدانى فى الإكليل إلى ولد الصوار فقال: هو الحارث بن أبى شدد بن الملطاط بن عمرو ذى أبين بن ذى يقدم بن الصوار بن عبد شمس انتهى. وفى أخبار عبيد بن شرية ص ٤٠٠ الحارث بن ذى شدد بن عمرو بن الملطاط بن قطن بن زهير بن عريب بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ (ملوك حمير/ ٦٠ هامش ٤) تولى بعد حاشد ذى مرع. وقد أرخ له نشوان بن سعيد الحميرى فى قصيدته النشوانية فننقل فيما يلى ما جاء عنه من أبيات فى هذه القصيدة مع ما ورد من شرح. قال الناظم:

والحارث الملك المسمى رائشا ... إذ راش من قحطان كل جناح

وحباهم بغنائم الفرس التى ... فاضت على الجندى والفلاح

وغزا الأعاجم فاستباح بلادهم ... ملك حماه كان غير مباح

ركب السفين إلى بلاد الهند فى ... لجج يسير بها على الألواح

وبنى بأرضهم مدينة راية ... فيها الجباة لعامل جراح

والترك كانت قد أذلت فارسا ... لم يُستروا من شرهم بوجاح

فتشكوا إليه، فزارهم بمقانب ... فيها صراح ينتمى لصراح

تركوا سبايا الترك فيما بينهم ... للبيع تعرض فى يد الصياح

وغدا منوشهر يمت بطاعة ... وولاية من منعم مناح

البيت٦: الوجاح: الستر

البيت ٧: المقانب جمع مقنب: جماعة من الخيل تجتمع للغارة.

البيت ٧: الصراح: الخالص من كل شيء

وإليك الشرح:

هذا الملك هو الحارث الرائش بن شدد بن قيس بن صيفى بن حمير الأصغر. هذا نسبه الصحيح. من ولده التبابعة، وقد نسبه الهمدانى فى الإكليل إلى ولد الصوار فقال: هو الحارث

الرائش بن أبى شدد بن الملطاط بن عمرو بن ذى أبين بن ذى يقدم بن الصوار بن عبد شمس، وقال فى الأكليل أيضا : وقد قال بعض العلماء : إن الرائش من ولد قيس بن صيفى . وقال نشوان بن سعيد :

تتابع الأملاك من حمير ... عدتهم سبعون لا تقصر

من ولد الرائش جمهورهم ... من حمير الأصفر ما حمير

يا أيها السائل عن تُبَّع ... وتُبَّع كالشمس بل أشهر

وكان الحارث الرائش يدع بملك الأملاك . ولا ملك الأملاك إلا الله عز وجل وقيل إنه لما توفى شدد بن قيس قام بعده ابنه الحارث وأخذ فى أهبة السير والغزو وأمر باتخاذ الخيل والسلاح، . وعرك جزيرة العرب والحجاز واليمن، حتى استوسقت له فلما اشتد ملكه وعلا سلطانه؛ خافته ملوك البلدان ورؤساء النواحى؛ فأتته هدية من ملوك الهند فاخرة، من مسك أذفر وكافور وعنبر، وياقوت أحمر وجوهر ، وجوار حسان، . ومن تحف الصين . وتطلعت نفسه إلى غزو بلاد الهند فعبأ الجنود وأظهر أنه يريد بلاد المغرب بحرا وبرا وعبأ السفن حتى إذا رأى أن البحر قد أمكن، قدم رجلا من أهل بيته يقال له يعفر بن عمرو بن شرحبيل بن عمرو بن ذى أبين بن ذى يقدم بن الصوار بن عبد شمس فى جيش عظيم ، وسار خلفه فى خيل عظيمة حتى دخل أرض الهند. فقتل المقاتلة وسبى الذرية وغنم الأموال . ثم أقبل إلى اليمن، وخلف يعفر فى اثنى عشر ألف فارس فى أرض الهند ، وأمره ببناء مدينة هنالك ليذكر بها فقام وابتنى مدينة لم ير مثلها، وسماها الرايشة فثقل هذا الاسم على العجم فسموها الراية، ويقال الواية، وأقام بها يعفر بن عمرو حينا، . وخلَّف عماله وعاد إلى اليمن بالغنائم العظيمة فراش بها حمير وكهلان، فسمى الرائش لذلك، مأخوذ من رياشة السهم، لأنه أدخل فى اليمن ما لم يدخلها قبله من السبى ، وممن يحسن الزراعة والصنع . فلما قسَّم الغنائم بين حمير وكهلان أمرهم أن يستعملوا السبى وأهل السواد فى إثارة الأرض ، ففتق لهم العيون ودلهم على اتخاذ المستغلات، وفى ذلك يقول نوفل بن سعد بن عبد أد الحميرى حيث يقول :

من ذا من الناس له مالنا ... من عارب الناس ومن أعجم

سار بنا الرائش فى جحفل ... مثل مغيض السائل المفعم

يوم أرض الهند غاز لها ... فى معدن الأنجوج والكركم

٤ ـ منصلتا لا يثنى عزمه ... أفرض من ذى لبد ضيغم

قد جرد الغارات من قبله ... يقتل فى حسد القنا الملثم

أعنى بها يعفر إذ جاءها ... يا حبذا ذلك من مقدم

فى بحرها المسجور يطوى بنا ... يوم سير الملك الأعظم

ساء صباحا عندها صُبِّحوا ... من ذاك بالداهية الصيلم

رجت سرنديب إلى كالة ... منها فجرما فقرى الكولم

فأول الغاية قاموا بها ... فأسلموا للفيلق المظلم

ناداهم إنى لكم قاهر ... واليوم يومى فاعلموه حم

١٢ ـ يقتل من شاء ويأسرهم ... بكل ماء حده محذم

يستعبد الأطفال قهرا ولا ... يقتل غير البطل المعلم

لو تظهر الجن لنا أذعنت ... وأسلمت طوعا ولم تقدم

فـأقعص الـــــرائش أمـــــلاكهـــــا

وآب بـــــــالخيــــــرات والأنعـم

١٦ ـــــ ثـم سبينـــا كـل ممكـــــورة

ذات دلال بضمـــــــــــــة المعصـم

والـــــدر واليـــاقـــوت من أرضهـــا

والعسجـــد الخـــالص كـــالعنـــدم

١٨ ـــــ وقـــد بنى يعفـــر فى أرضهـم

مـــــدينـــــة ذات بنـــا ملحـم

يـــذكـــر فى الـــدهـــر بهـــا مـــا بنى

كمـــــا بقى ذكـــــر بنى آدم

البيت ٤ : الفـــارض : الضخم . ويقـــال هـــو ضخم الفريضة . ويقـال هو ضخم الفريصة بـالمهملة ، أى جرىء شديد .

البيت ١٢ : المهو : السيف الرقيق ، والمحذم : القاطع

البيت ١٦ الممكورة : دقيقة المحاسن من النساء

البيت ١٨ : اللجم : العلم مـن أعـلام الأرض . ولاحم ، بالحاء المهملة ، بين الشيئين : ألزق أحدهما بالآخر.

ولما وصل الرائش من بلد الهند أذعنت له الملوك وأدت له الخراج ، فأقام باليمن دهرا طـويلا لا يغزو ، ودانت له الآفاق حتى أتـاه رسل ملك بـابل ، وكتـاب منـوشهـر ، أحـد ملـوك الأكاسرة بهـدايا نفيسة من الجواهـر والعقيق الأحمر والمسك التبتى ، والحرير والديباج والحليـة والآنية الرفيعة ، وكان أكثر مـا بعث إليه من بـلاد الترك وأمتعتهم من السـلاح ليرغبـه فى بلـدهم ، وعـرفه فسادهم فى الأرض وانبسـاطهم إلى أعمـال بابل ، وأن جمهورهم بأذربيجّان ، وأن بابل منهم والشام على خوف ، وأنهم لا يرون أهل بابل فى عيـونهم شيئا ، قال عبيد ابن شـرية : وأهـل بابل بقيـة من ولـد نـوح من غير العـرب ، فأجمع عند ذلك على غزو الترك ، وكـان غزا فى عمره مرتين : الأولى فى بلد الهنـد والسند وهى التى تقـدم ذكرها . والثـانية إلى بـابل وخـراسـان وبـلاد التـرك . فلمـا رأى الـرائش تلك الهـدايـا ، قـال للرسـول : أكلّ مـا أرى من بـلادكم؟ قـال : بعضـهم أيها الملك ، وبعضه من بـلا الترك ، وهم من ورائنا ، من حالهم أنهم لا يدينـون لأحد من الملوك . فحلف ليغزون تلك البـلاد التى خرج منهـا مـا رأى . واستخلف على اليمن يعفـر بن عمرو ، وكـان ذلك فى زمان مـوسى بن عمران عليـه السلام . وفى كتـاب منوشهر أنـه يستدعيه إلى بـلاد الفرس ، ويستنصره على الترك ، لأنهم قد كانوا استظهروا على الفرس ، وأباحوا بلادهم ؛ فنهض الرائش فى مائة ألف وخمسين ألفا ، وكانت الرواد فى ابتغاء الطريق متقدمين ، فلم يجدوا خيرا من طريق على جبلى طيىء ، حتى خرج ما بين العراق والجزيرة ، ونزل الموصل ، وبعث شمر ذا الجناح الأكبر بن عطّاف بن المنتاب بن عمرو بن زيد بن علاق بن عمر بن ذى أبين ، حتى دخل على التـرك أذربيجـان ، فأوقع فيهم وقعـة أثـرت فيهم ، فقتل المقـاتلـة ، وسبى الذريـة ، وتبع فلهم (أى المنهـزمين منهم) حتى أوغل فى بلـد الترك ، وكتب إلى الملك الـرائش يخبره بما قتل وسبى وما احتوى من الأموال فأمره أن يصل بكل مـا معـه ، وأمره أن يـزبـر سيره على بـاب مدينـة التـرك على حجريـن متقـابلين شـامخين . فكتب على أحـدهمـا «إن الحارث الـرائش ذا مراثد سيـد الأوائل بلغ من الدنيا مـا أمله ، وبقى ينتظر أجلـه ، فمتى يقض يمض» . وتحته مكتـوب ما نسخته :

يـــا جـــابيـــا أرض خـــراســـان

ملجـــا فـــى أرض حـــــران

فتحـت أرض الهنـــــد مستأثـــــرا

بيعفــــــر الأول والثـــــانـى

تتبع قـــــرن الشمس إن أشـــرقـت

حتى بــــدا نـــور الضحى قـــانـى

ســـــافــــر على التّبت مستعجــــلا

مقتحمـــــا أرض سجستـــــــان

سينقضـى الـــرائش بعـــد الـــذى

نـــال ويبقى النـــاس فى شـــان

وعلى الأخرى «أثبت فى الجلاميد ، خبر المسير فى البيد أن الرائش الصنديـد ، سار وكان أول سائر ، نحـو المشرق فى غـزا يريـد حوز المكـاثر ، بحمير الحتوف وشعبهـا الكثيف واسمها المخوف» وتحته هذه الأبيات :

ألا إن الــزمــان أطـــاع أمــرى
وســوف أطيعــه كــرهــا بقســر
ركبت الــدهــر أعــوامــا عــزيــزاً
سيسأم طــول هــذا الــدهــر دهــرى
يخـــادعنى بأيـــام حســـان
ويقطع دائبـــا فــى ذاك عمــرى

قال وهب بن منبه : إن الرائش أخذ إلى أرض أرمينية إلى ما تحت بنات نعش، ثم رجع إلى الشام، ثم إلى بيت الله الحرام، ثم رجع إلى غمدان. قال عبيد بن شرية : وقد ذكر الرائش مسيره فى شعره هذا وبشر بظهور المصطفى، سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

أنـــا الملك المقــــدم حين أمضى
جلبت الخيل من أوطـــان ســـام
لأغـــزو أعبـــدا جهلـــوا مكـــانى
من ابنـــا يـــافث وقبيل حـــام
وأحكم فى بـــــلادهم بحكم
ســوى لا يجـــاوز فى غـــلام
بنى قحطـــان فـــانتجعـــوا وسيـــروا
وحجـــوا البيت فى البلــد الحــرام
بإذن الله حطـــــوا فهـــــو بيت
تـــوارثـــه الهمـــام عن الهمـــام
دعـــوا إحـــرامــه لبنى أبيكم
وكـــونـــوا مثل قحطـــان وســـام
وكـــونـــوا مثل ملطـــاط بن عمـــرو
وذى أنس الأظـــافـــر ذى المســـام
لأنـــا الأغلبـــون إذا بطشنـــا
وإنـــا المـــانعـــون لكل ذام
وإنـــا يـــوم نغضب أو نُســـامى
تكـــاد الأرض تـــرجف بـــالأنـــام
وإن نـــرضى تقـــر بمن عليهـــا
ويشـــرق وجههـــا بعـــد الظـــلام
وفينـــا الملك والأمـــلاك حقـــا
ونحن الأكـــرمـــون بنـــو الكـــرام
أبـــونـــا يعـــرب فبـــه نســـامى
فنقهـــر من يفـــاخـــر أو يســـامى
ملـــوك النـــاس طـــرا حيث كـــانـــوا
بعيـــدا يـــافثـــا وقبيل حـــام
فـــإن أهلـــك ولـــم أرجـــع إليكـــم
فقـــد هلك الملـــوك من الأنـــام
وإن أهلك فقـــــد أثلّت ملكـــــا
لكم يبقـى إلى وقـت التهـــــامى
ويهلك بعـــدنـــا منـــا ملـــوك
أولـــو عـــز كمـــاليـــة الغمـــام
ويخلف بعـــدهم منـــا ملـــوك
يـــدينـــون العبـــاد بغيـــر ذام
وينتشـــر الأســـاود ثم عشـــرا
عقـــاب الله فى القـــوم الأثـــام
ويملك بعـــدهم منـــا ملـــوك
ضعيف أمـــرهم نكل المـــرام
٢٠ ــــ ويملك بعـــدهم ملك عظيم
نبى لا يـــرخّص فى الحـــرام
يفـــارق أهلـــه ولـــه كتـــاب
يـــوافق جُعْلـــه رجع الكـــلام
٢٢ ــــ يسمى أحمـــدا يـــاليت أنى
أؤخـــر بعـــد مخـــرجـــه بعـــام
ويخلف بعـــده خلفـــاء يســـر
ويملك بعـــدهم أولاد عـــام

ونظهــــر رايـــــة المنصـــــور فيهـم
علـى راء وراء بعــــــــــــد لام
فينشـــر مـــا طـــوى ملك طـوتــه
ثـــلاث بعـــد واحـــدة تمـــام
فتنبعث الحقـــــوق وقـــــد أميتت
كمـــا انبعث الـــدفين من السِّـــلام
ويملك بعـــــــــدهم رجـل ضعيف
على أيـــــامــــه أذكى الســــلام

هذه إشارة إلى المهدى آخر الزمان. ونحيل أى من الصيام والقيـام، وخروجه من تحت أستـار الكعبة على مـا روى فى الملاحم والله أعلم.

البيت قبل الأخير: السِّلام بكسر السين: جمع سلمة وهى الحجارة.

قالت المؤلفة فى تفسيره للآية [٣٧] من سورة الدخان التى ورد فيها اسم الملك الحميرى «تُبع» ذكر الإمام أبو الثناء الآلوسى أنه فى شرح قصيدة ابن عبدون أن الرائش لقب الحُرث بن بدر أحد التبابعة ... ثم قال: وهو أيضا (يعنى الرائش) من ذكر نبيَّنا ﷺ فى شعره. ثم أورد البيتين)٢٠، ٢٢ متتابعين مع اختلاف فى اللفظ هكذا:

ويملـك بـــــــــدرهـم رجـل عظيـم
نبى لا يـــــرخِّـص فى الحــــرام
يسمـى أحمـــــــدا يـــــاليت أنى
أعمِّـــر بعـــد مخــرجـــه بعـــام

ونعود إلى قصيدة نشوان بن سعيد الحميرى الذى يقول:

ولما استقر الرائش بقصر غمدان بصنعاء أقبل على ابنه أبرهة بن الحارث يوصيه فقال له: «يابنى، إن أبـاك خوَّلك الملك فأقره فى محتد أنت أوسط الناس فيه وأولاهم به، وإنى لموصيك بزيادة مـا نالت يـداك من الخيرات تفعله إلى من سمع لك وأطاع، اجعل العدل لك ناصرا واتخذ الإحسان لك نجدة، واصطنـع العشيـرة ليـوم مــا». وأنــشأ يقــول:

حـــويت لك الملك الـــذى كـــان حـــازه
لأولاده فى ســـالف الـــدهـــر حميـــر
فكن حـــافظـــا للملك بعـــدى عـــامــرا
فقـــــد يحفـظ الملك الأثيل ويعمـــــر
وعمـــرانــــه أن تبسط العـــدل دونــــه
وبـــالعــــدل تنهى من نهيت وتأمـــــر
وثـــابــر على الإحســـان إنك لن تـــرى
كـــريمـــا بـــه إلا يعـــان ويُنْصَـــرُ
وقـــــومـك واصلهـم وحطهـم فإنمــــا
بقـــــومـك تعلـــــو من أردت وتقهـــــر

(ملوك حمير وأقيال اليمن. قصيدة نشوان بن سعيد الحميرى- تحقيق إسماعيل بن أحمد الجرافى، وعلى بن إسماعيل المؤيد/ ٦٠- ٦٩، وروح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للإمام أبى الثناء الآلوسى ٨/ ٥٢).

انظر المواد التالية فى م ٨: تُبَّع (ص ٤٥٧-٤٥٩)، تُبَّع الأقرن (ص ٤٥٩، ٤٦٠) تُبَّع الأكبر (ص ٤٦٠، ٤٦١) تُبَّع الأوسط (ص ٤٦١-٤٦٥).

***الرَّائشى:**

قال السمعانى:

الرَّائِشى: بفتح الراء بعدها الألف والياء المكسورة آخر الحروف وفى آخرها الشين، هذه النسبة إلى بنى رائش إلى قبيل نزل الكوفه، منهم شريح القاضى وهو الرائشى وهو أبو أمية شريح بن الحارث الكندى حليف لهم من بنى رائش- هكذا ذكره الدارقطنى، وكان من علماء التابعين، وكان أعلم بالقضاء من علقمة. يروى عن عمر رض الله عنه، روى عنه الشعبى وشريح بن الحارث الكوفى، ومات سنة ثمان وسبعين.

(فى اللباب «الصحيح أنه من بنى الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة- بطن منهم، ولو ذكر هذا لكان حسنا»).

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٣ / ٣٥ وهامش ٢ للمحقق).

* **الرائض:**

قال السمعاني :

الرائض : بفتح الراء بعدها الألف ثم الياء المكسورة آخر الحروف وفي آخرها الضاد المعجمة، هذه النسبة إلى رياضة الخيل وتقويمها إن شاء الله ، واشتهر بها حماد الرائض من أهل البصرة، يروى عن الحسن وابن سيرين وغيرهما، روى عنه بشر بن الحكم؛ قال أبو حاتم الرازى : هو مجهول .

(الأنساب للسمعاني ٣/ ٣٥).

* **الرائض في الفرائض:**

للزمخشري. الرائض في الفرائض : لمحمود بن عمر العلامة جار الله الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨ ثمان وثلاثين وخمسمائة .

(كشف الظنون ١ / ٨٣١) .

* **الرائض في الفرائض:**

الرائض في الفرائض : لأبي غانم محمد بن عمر بن أحمد ابن العديم الحلبي المتوفى سنة ٦٩٤ أربع وتسعين وستمائة [٦٩٥]

(كشف الظنون ١ / ٨٣٢) .

* **الرائعة:**

قال ياقوت :

دار رائعة بمكة فيه مدفن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ، وقيل : بلْ دفنت بالأبواء بين مكة والمدينة، وقيل : بمكة في شعب أبي دُب؛ وقيل : رائعة ماء على متن الطريق لبني عميلة؛ وقال السكوني : الرائعة منزل في طريق البصرة إلى مكة بعد إمرة وقبل ضرية .

(معجم البلدان ٣/ ٢٣) .

* **رائق الأخبار ولائق الحكايات والأشعار:**

من مخطوطات الأدب في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)، وقد أدرج أيضا في فهرس التصوف، وقد ذكره طلس في مقدمة ثمار المقدصد ٤٧ وفي إيضاح المكنون ١ / ٥٤٧ وهدية العارفين ٢ / ٥٦١ أما ما أدرج في فهرس الأدب فقد جاء بيانه كما يلي :

رائق الأخبار ولائق الحكايات والأشعار.

الرقم ٣٢١٣ - أدب ٤٢

تخريج يوسف بن حسن بن عبد الهادي الصالحي المعروف بابن المبرد المتوفى سنة ٩٠٩ هـ/ ١٥٠٣ م.

الجزء الثالث منه :

أوله : «أخبرنا جماعة من شيوخنا أنا ابن المحب أنا القاضي سليمان أنا الحافظ ضياء الدين أنا أحمد العاقولي أنا القزاز أنا الخطيب أنا القاضي أبو العلاء الواسطي ثنا أبو الحسن المعرى، ثنا أبو حامد بن رجا، ثنا محمد بن محمد ابن إسحاق ثنا سويد بن نصر، ثنا ابن المبارك ثنا سفيان الثوري عن حماد عن إبراهيم بن علقمة، قال : قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ:

لله ثلاثة أملاك : ملك موكل بالكعبة، وملك موكل بمسجدي هذا وملك موكل بالمسجد الأقصى ... ».

آخره : « ... وعجيب لمن رغب في الجنة كيف يذهب عن [عنه] أن يقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله والله يقول ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله** ﴾ .

تم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وفرغ منه مؤلفه يوسف بن حسن بن عبد الهادي يوم الخميس ثاني عشرين شهر الحجة الحرام من شهور سنة ثمان وثمانين وثمانمائة» .

النسخة قديمة وهي بخط المؤلف الصعب وعليه سماع لأولاده عبد الهادي وعبد الله وحسن وزوجته بلبل بنت عبد الله عليه يوم الخميس ٢٧ ربيع الأول سنة ٨٩٧ وإجازة لهم أن يرووه عنه . وعليها وقف للمدرسة العمرية .

(١ - ٦١) ق ١٧ س ١٤ × ١٨,٥ سم

(فهرس الأدب ١ / ٢٣٣).

وأمـا ما أدرج فى فهـرس التصوف فهـو كسابقـه فيما عـدا اختلافـات بسيطة نـذكرهـا فيما يلى: يبـدأ وصف المخطوط بهذه العبارة:

وهو فى خمسـة أجزاء صغـار ضمنه من رائق الحكـايات والأحاديث فى الزهد والترهيب من النار وغيرها من الرقائق.

آخـره. وعجيب لمن غالبـه النـاس كيف يذهب عنـه أن يقول: وأفـوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعبـاد، والله يقول ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت مـا شاء الله لا قـوة إلا بالله﴾ تم والحمد لله.

الخط نسخى معتاد، الحبر: أسود.

ق ١ ــ ٦١، س ١٤، ١٨,٥ × ١٣,٥ سـم، كلمـات السطر ٩، هامش ٢ سم.

اسم الناسخ: المؤلف يوسف بن عبد الهادى

تاريخ النسخ: الخميس ٢٢ ذى الحجة سنة ٨٨٨ هـــ.

ملاحظات: نسخة قيمة بخط المؤلف من وقف العمرية

مصادر عن الكتاب: إيضاح المكنون ١ / ٥٤٧

مصادر عن المؤلف: هدية العارفين ٢ / ٥٦١

(فهرس التصوف ١ / ٥٩٧).

وقد أورد الفهرس الشامل نسخة بيانها كما يلى:

رائق الأخبار ـ ابن المبرد

١ ـ العمومية / دمشق (بروك م ٢ / ٩٤٧) [٨٧ / ٤٢]

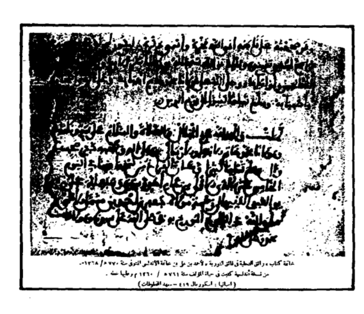
(الفهرس الشامل ٢ / ٨٠١).

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهـرية الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد، وياسين محمد السواس ١ / ٢٣٣، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظـاهرية. التصـوف ـ وضـع محمد رياض المـالح ١ / ٥٩٧، والفهرس الشامل للتـراث العربى الإسلامى المخطوط. الحـديث النبوى الشريف وعلومـه ورجاله. مؤسسـة آل البيت (مآب) عمان. الأردن ٢ / ٨٠١).

*** رائق التحلية فى فائق التورية:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم البلاغة.

مخطوط مصور فى معهـد المخطوطات العربية بـالقاهرة وبيانه كما يلى:



خاتمة كتاب «رائق التحلية فى فائق التورية» لأحمد بن على بن خاتمة الأندلسى المتوفى سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨م.
من نسخة أندلسية كتبت فى حياة المؤلف سنة ٧٦١ هـ / ١٣٦٠م وعليها خطه.
(إسبانيا: إسكوريال ٤١٩ ـ معهد المخطوطات)

تأليف أبى جعفر أحمد بن على بن خاتمة الأندلسى.

نسخـة كتبت سنـة ٧٦١ هـ بخط أنـدلسى واضح عليهـا إجازة بخط المؤلف لبعض تلاميذه مؤرخة سنة ٧٦١ هـ.

[الإسكوريال ٤١٩ ٨ ق]

(فهـرس المخطـوطات المصـورة، معهـد المخطـوطات العـربيـة، تصنيف فؤاد سيد ١ / ٤٠٩).

قالت المـؤلفة: مكتبة الإسكـوريال فى دير الإسكـوريال بمدريد ـ إسبانيا.

مـلاحظة: صـورة المخطـوط المصـاحبة لهـذه المـادة أخذت من الكتـاب العربى المخطوط ـ جمعهـا وعلق عليها د. صلاح الدين المنجد اللوح ٥٢.

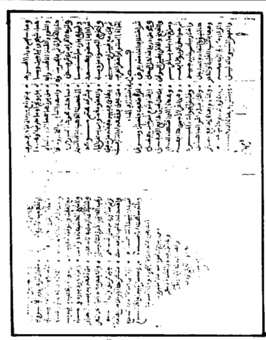
*** رايقة النفحة فى حفظ الصحة:**

من المنظـومات العلميـة التى أحصـاها الأستـاذ الدكتـور جلال شوقى فى كتابه النفيس، وجاء عنها ما يلى تحت الرقم التسلسلى (٥١):

(٥١) ألفية «رايقة النفحة فى حفظ الصحة».

ومختصرها «عرف النفحة فى حفظ الصحة»

نظم الشيخ الإمام العلامة رضى الدين محمد بن محمد بن أحمـــد بن عبـد الله العــامرى الغــزى أبى الفضل (٨٦٢ـ



الصفحتان الأخيرتان من ألفية «رايقة النَّفحة في حفظ الصحة» لرضيِّ الدين العامري الغزي.
(مخطوط مكتبة شستر بيتي بدبلن - رقم : ٤٤٩٧ (١)).

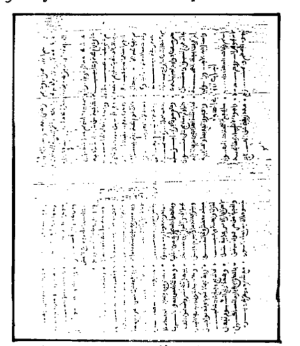
٩٣٥هـ) = (١٤٥٨ ـ ١٥٢٩ م)، ويقع النظم فى ١٢٦١ بيتا، وأوله (حسب ما جاء بمخطوط مكتبة شستربيتى بدبلن، رقم : ٤٤٩٧ (١) مؤرخ سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥م، يذكر عنها فهرس المكتبة أنها ربما كانت النسخة الوحيدة) :

قال محمد الرضيُّ بن الرضى
حَمْدِي لك الله مم ما لا ينقضى
على دوام صحة وعافيه
كافية من كل داء شافيه
ثم على محمد صلاته
وآله ما انحلت صلاته
وبعد فالطبُّ عظيم المنحه
وفرض عين منه حفظ الصحه
إذ يُحَرِّم استعمال ما ينفيها
ولا يُحَلُّ رفع ما يبقيها
ثم بحفظ صحة الأبدان
كان قوام صحة الأديان

وقد نظمنا فيه ذى الأرجوزه
بديعة جامعة وجيزه
ألفية رايقة المبانى
رايقة الألفاظ والمعانى
لا كنها زادت على فيما
الحقت مما ذكره تحتّما
كم جمعت فوايدا جليله
وكم حوت فرايدا جزيله
فى الدهر لم تُسبق إلى مثال
كما ولم تُنسج على منوال
لم تعرفت بحفظ الصحه
طاب شذاها فهى عرف النفحه
واسئل الله الأجور الوافيه
والعفو والنفع بها والعافيه

الباب الأول فى الهواء

اعلم وقاك الله كل داء
ما يحفظ الصحة كالهواء



الصفحتان الأوليان من ألفيَّة «رايقة النفحة في حفظ الصحة» لرضيِّ الدين العامري الغزي.
(مخطوط مكتبة شستر بيتي بدبلن - رقم : ٤٤٩٧ (١))

لأنه جـوهـر الـروح مـمد ... يُحلل الحـارُّ الغـريـزى كـذا
وأجـود الأشيـاء أيضـا للجسـد ... يُبطل الهضم وشهـوة الغـذا
يُجَـوِّد الهضم والمـزاج ... وينـزف الـدمـا ويُسـرع العفن
مُعـدل يغنى عـن العـلاج ... ويكشف اللـون ويخسف البـدن
وهـو الهـواء الجيـد المعتـدل ... مُبلّـدٌ معطشٌ وخـانق
بـردا وللصحـة قيل يفعل ... ويضعف القـوى وقـد يـوافق
وهـو الـذى لا يقشعـر الجسـد ... لنـزلـة وزكمـة ورطب
منـه ولا يعـرق حين يـوجـد ... تشنـج وفـالـج ذى عطب
جـوهـره صـاف من الأكـدار ... لكـن إذا زاد سـريعـا يقتل
وسـالمٌ مـن غلظ البخـار ... وهكـذا ريح السمـوم تفعل
ومـن مخـالط لـه يُغيـر ... والحفظ من حـرٍّ هـواء سـاخن
ومن مُجـاور بـه يـوثـر ... بـالكن أو فـى بـارد المسـاكن
كـاس المـاء ومـوضع الفتى ... خصـوصـا إن رش بمـاء الـورد
ويحفظ الصحـة بـارد الهـوا ... مع شم كل عطـر ذى بـرد
وكـل ريح يُنهك الـروايح ... كـالا؟ والتفـاح والسفـرجل
كمـا يقـوى كل أفعـال القـواصح ... والـورد مع بنفسج وصنـدل
روحـا ونفسـا شهـوةً وبـدنـا ... والـرَّشف من قليل مـاء بـارد
وشـد جـوفـا ولـه قـد شحنـا ... والأكل مـن مُـلايم البـوارد
... وأدَرَّ البـولا ... ورطب الهـواء ذى البـرد حسن
ونفـذ الغـذاء والفُضُـولا ... من حفظـه لـرطـوبـات البـدن
ونـافع أمـراض حـر جـدا ... يكسـوه رونقـا كمـا يُلَيِّن
ومـن حُمِّيـات استعـدا ... وللنحيف نـافـع مسمن
وبـالقليل يكتفى منـه كمـا ... مـوهـن فى حـالـة الإفـراط
يكفى قليل الشـرب من بـارد مـا ... مُعفـن لسـايـر الأخـلاط
لكنـه يضـر نـزلـة وسـد ... وهـو مع الحـر يضـرُّه مطلقـا
مع الـزكـام لمنـافس الجسـد ... كـل مـزاج فلهـذا يتقى
يُخشن الصـدر وللسعـال ... والمسكن الشمسى لـه إذا ارتفع
مهيِّج يصلح بـاستعمـال ... ورُشَّ بـالخل ومـا ورد نفع
ذى الحـر مطعـومـا ومشمـومـا ولا ... ويـابس الهـواء لـلأبـدان
كـالكن فيـه والـدَّفـا والاصطـلا ... منشف ومفسـد الألـوان
وبـالهـواء السخن يحمى القلب ... مُجفِّف جـدا يضـر النُّحفـا
وتحـدث الحمى بـه والكـرب ... ويكسب الجلـد ويحمل نشفـا

ويجـــذب الخلط إلى المــــراره
ويـــدع الممــــرور فى أخطـــاره
ضـــد الهـــواء الــرطب لكن فى الأوا
للمسكن البـــارد ذى الكن الـــدوا
ثـم الهـــواء الكـــدرُ الغليظ مـن
ولـــد الخلـط الغليـظ ونتـن
وكـــدر الأرواح والحُسُـــوسَـــا
بطبعـــه وأوحش النفـــوســـا
وهـــو الـــذى حين يهبُّ لا يُـــرى
فيـــه من النجـــوم مـــا قـــد صغُـــرا
وكُلُّ مكشـــــوف مـن الهـــواء
أنفع إلا زمـنَ الـــويـــاء».

ويختتم رضى الدين ألفيته بالأبيات الآتية :

«وتـم مـــا أوردتـــه مـن نَظْـمِ
علـى طـــريـق واضـح أتـمِّ
والحمـــد لله على إتمـــامـــه
شُكـــرى الجـــزيـل من إنعـــامـــه
ثـم علـى نبينـــا التِّهـــام
أزكـى صـــلاة الله والســـلام
وآلـــه مـــا صحت الأجســـام
وَحسُنَ المبـــدا والختـــام»

من مخطوطات ألفية «رايقة النفحة فى حفظ الصحة» :

ـ مخطـوط مكتبة شستربيتى، بـدبلن ـ رقم : ٤٤٩٧ (١) الكتاب الأول، ضمن مجموع، الصفحات : ١ ـ ٣٢ / أ، فرغ من كتابتها سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م .

قـالت المـؤلفـة : ورد بيـان هـذا المخطـوط فى فهـرس المخطوطـات العربيـة (٢ / ٨٢١، ٨٢٢)تحت رقم ٤٤٩٧ وجاء بيانه كما يلى :

(١) عنـوان المخطـوطـة : ألفيـة رائقـة النفحـة فى حفظ الصحة .

اسم المؤلف : رضى الدين ، محمـد بن محمد المغربى الشافعى .

اسم الشهرة : المغربى .

تعريف بالمخطوطة : منظومة فى علم الصحة

عدد الأوراق : من ١ ـ ٣٢ وجه .

ملاحظة : لم تظهر نسخة أخرى من المخطوطة ا هـ .

ويشير كشف الظنون لحـاجى خليفـة (٢ / ١١٣٢) إلى وجـود «مختصـر أرجوزة منظـوم» للشيخ أبى عبـد الله محمـد الرضى الغزى، أوله :

« ... ...
حمـــدى لـك اللهم مـــا لا ينقضى»

ويذكر كشف الظنون لهذا المختصر العنوان التالى :

«عرف النفحة فى حفظ الصحة» .

من مخطوطات «عرف النفحة فى حفظ الصحة» .

لأبى عبد الله محمد بن رضى الدين الغزى .

١ ـ مخطوط جـامعة استـانبـول، القسم العربى ـ رقم : ٣٨٠٢ ، ويقع فى ٣٧ ورقة، كتبت سنة ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠ م بخط نسخ .

٢ ـ مخطوط مكتب آيـا صوفيا باستـانبول ـ رقم : ٣٦٤٥ (٥) الكتـاب الخـامس، ضمن مجمـوع ، الأوراق : ١٢٣ ـ ١٤١ كتبت سنة ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م بخط نسخ .

٣ ـ مخطوط مكتبة شهيـد على، بتركيا ـ رقم : ٢٠٦٤ ، ويقـع فـى ٤٩ ورقـــة ، كتبـت بخـط نسـخ ، وتحمـل العنـوان : «عـرف النفحـة فى حفظ الصحـة» وهـو تصحيف واضح ، وينسب النظم للرضى الغزى، أبى عبد الله محمد بن على .

٤ ـ مخطوط دار الكتـب المصرية بالقاهـرة ـ رقم : طب تيمور ـ ٣٧٨ ، ويقع فى ٢٠٥ صفحة .

(العلوم العقلية فى المنظومات العربية ـ أ. د. جلال شوقى / ٦٤٨ ـ ٦٥٢).

*** الراية:**

قال ياقوت :

الـراية : هى محلـة عظيمة بفسطـاط مصر، وهى المحلـة التى فى وسطها جـامع عمرو بن العاص، إنما سميت الـراية

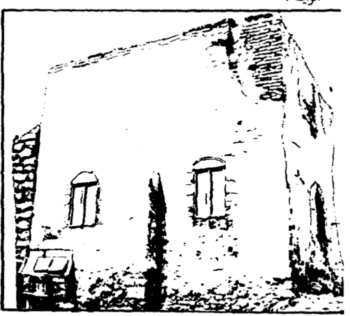
لأن عمرو بن العاص لما نزل محاصرا للحصن، وكان فى صحبته قبائل كثيرة من العرب واختطت كل قبيلة خطة بأرض مصر هى معروفة بهم إلى الآن وكان فى صحبته قوم من قريش والأنصار خزاعة وغفار وأسلم ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس وجُرَش والليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة والعنقاء فلم يكن لكل بطن من هؤلاء من العدد ما ينفرد بدعوة فى الديوان، وكره كل بطن أن يدعى باسم قبيل غيره وتشاحوا فى ذلك، فقال عمرو بن العاص: فأنا أجعل راية ولا أنسبها إلى واحد منكم ويكون موقفكم تحتها وتسمون منزلكم بها، فأجابوه إلى ذلك، فكانت الراية لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها واختطوا كلهم فى موضع واحد، فسميت هذه الخطة بهم لذلك. وراية القلزم: كورة من كور مصر القبلية. وراية: موضع فى بلاد هذيل.

(معجم البلدان ٣/ ٢٣).

*** الراية (مسجد):**

مسجد الراية أو مسجد ذباب.

سبب تسميته بمسجد الراية هو ما رواه الإمام الواقدى من أن يزيد بن هرمز كان يقاتل بالموالى على ظهر ذباب وكان هو رئيسهم ويحمل لهم الراية فسمى بمسجد الراية.



مسجد الراية بأعلى جبل ذباب او مسجد ذباب

وروى أيضا عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى: «أن النبى ﷺ ضرب قبته على ذباب فى غزوة الخندق».

وروى ابن شبة عن عبد الرحمن الأعرج: «أن النبى ﷺ صلى على ذباب» وذباب اسم للجبل الذى عليه المسجد، والمسجد يسمى بمسجد الراية ومعروف بهذا الاسم.

و هذا المسجد الأثرى يقع فوق جبل ذباب على يمين خط الأسفلت المؤدى إلى سلطانة والقصور الملكية العامرة والجامعة الإسلامية.

(تاريخ معالم المدينة قديما وحديثا ـ السيد أحمد ياسين أحمد الخيارى، تعليق وإيضاح وإضافة وتخريج فضيلة الأستاذ عبيد الله محمد أمين كردى/ ١٣١).

*** الرَّايِي:**

قال السمعانى:

الرايى: بتشديد الراء المفتوحة وفى آخرها الياء، عرف بهذا الاسم هلال بن يحيى بن مسلم الرايى من أهل البصرة، و إنما قيل له: الرايى لأنه كان ينتحل مذهب الكوفيين ورأيهم فعرف بالرايى، وكان عالما بالشروط، يروى عن أبى عوانة وأهل البصرة، روى عنه أهل بلده كان يخطئ كثيرا على قلة روايته، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد ولم يحدِّث بشىء كثير و إنما ذكرته ليعرفه العوام.

وأبو عثمان ربيعة بن أبى عبد الرحمن الرايى واسم أبى عبد الرحمن فروخ مولى آل المنكدر التيمى تيم قريش، وقيل: كنية ربيعة أبو عبد الرحمن، و إنما قيل له: الرايى لعلمه به، وكان عارفا بالسنة وقائلا بالرأى وهو مدينى، سمع أنس بن مالك والسائب بن يزيد وعامة التابعين من أهل المدينة، روى عنه مالك بن أنس وسفيان الثورى وشعبة بن الحجاج والليث ابن سعد وسليمان بن بلال وسعيد بن أبى هلال وعبد العزيز الدراوردى، وكان فقيها عالما حافظا للفقه والحديث، وقدم على أبى العباس السفاح الأنبار وكان أقدمه ليوليه القضاء فيقال إنه توفى بالأنبار، ويقال بل توفى بالمدينة وحكى أن فروخا أبا عبد الرحمن أبو ربيعة خرج فى البعوث إلى خراسان أيام بنى أمية غازيا وربيعة حمل فى بطن أمه وخلف عند

زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسا بيده رمح فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة فقال له: يا عدو الله ! أتهجم على منزلي ؟ فقال: لا ، وقال فروخ : يا عدو الله ! أنت رجل دخلت على حرمتي، فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه، حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان وأنت مع امرأتي: وكثر الضجيج، فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ لك سعة فى غير هذه الدار، فقال الشيخ هى دارى وأنا فروخ مولى بنى فلان؛ فسمعت امرأته كلامه، فخرجت فقالت: هذا زوجى وهذا ابنى الذى خلفته وأنا حامل به، فاعتنقا جميعا وبكيا فدخل فروخ المنزل وقال: هذا ابنى؟ قالت : نعم، قال : فأخرجى المال الذى لى عندك وهذه معى أربعة آلاف دينار، فقالت: المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام، فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس فى حلقته فأتاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبى على اللهبى والمساحقى وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به، فقالت امرأته: اخرج صل فى مسجد الرسول ﷺ فخرج فصلى فنظر إلى حلقة وافرة فأتاه فوقف عليه ففرجوا له قليلا ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره وعليه طويلة فشك فيه أبو عبد الرحمن فقال: من هذا الرجل؟ فقالوا له: هذا ربيعة بن أبى عبد الرحمن؛ فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابنى، فرجع إلى منزله فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك فى حالة ما رأيت أحدا من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه: أيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذى هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله إلا هذا ، قالت: فإنى قد أنفقت المال كله عليه، قال : فوالله ما ضيعته (هذه الحكاية ساقها الخطيب فى التاريخ ٨ / ٤٢١ بسنده وسكت عنها أحمد بن مروان بن محمد المالكى الدينورى القاضى قراءة عليه بمصر ـ حدثنا يحيى بن أبى طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف حدثنى مشيخة أهل المدينة أن فروخا ... » أحمد بن مروان قال الدارقطنى: هو عندى ممن يضع الحديث. وقال مسلمة بن قاسم : أدركته ولم أكتب عنه وكان ثقة. ويحيى بن أبى طالب وثقة الدارقطنى وقال موسى بن هارون الحافظ : أشهد أنه يكذب. راجع لسان الميزان ج ١ رقم ٩٣١ وج ٦ رقم ٩٢١).

وقال بعضهم: مكث ربيعة دهرا طويلا عابدا يصلى الليل والنهار صاحب عبادة ثم نزع ذلك إلى أن جالس القوم فجالس القاسم فنطق بلب وعقل، قال: فكان القاسم إذا سئل عن شىء قال: سلوا هذا ـ ربيعة ، قال : فإن كان شيئا فى كتاب الله أخبرهم به القاسم أو فى سنة نبيه وإلا قال : سلوا هذا ـ لربيعة أو سالم، وكان يحيى بن سعيد كثير الحديث فإذا حضر ربيعة كف يحيى إجلالا لربيعة وليس ربيعة بأسن منه ، وهو فيما هو فيه وكان كل واحد مجلاً لصاحبه، ومات ربيعة سنة ست وثلاثين ومائة؛ وقال مالك بن أنس : ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة بن أبى عبد الرحمن.

وأبو حنيفة النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان التيمى الكوفى صاحب الرأى وإمام أصحاب الرأى وفقيه أهل العراق، رأى أنس بن مالك سمع عطاء بن أبى رباح وأبا إسحاق السبيعى ومحارب بن دثار وحماد بن أبى سليمان والهيثم بن حبيب وقيس بن مسلم ومحمد بن المنكدر ونافعا مولى ابن عمر رضى الله عنهما وهشام بن عروة وسماك بن حرب، روى عنه هشيم بن بشير وعباد بن العوام وعبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح ويزيد بن هارون وأبو يوسف القاضى ومحمد بن الحسن الشيبانى وعمرو بن محمد العنقزى وهوذة ابن خليفة وأبو عبد الرحمن المقرئ وعبد الرزاق بن همام وغيرهم، وهو كوفى تيمى من رهط حمزة بن حبيب الزيات، ولد بالكوفة ونقله أبو جعفر المنصور إلى بغداد فسكنها إلى حين وفاته، قيل إن أباه ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس الأحرار ذهب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته، وقيل إن جده النعمان ابن المرزبان هو الذى أهدى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه الفالوذج فى يوم النيروز فقال : نوروزنا كل يوم؛ وفى رواية كان فى يوم المهرجان فقال: مهرجونا كل يوم؛ وكلّمه ابن هبيرة على أن يلى القضاء فأبى فضربه مائة سوط وعشرة أسواط كل

يوم عشرة أسواط فصبر وامتنع، فلما رأى ذلك خلى سبيله، واشتغل بطلب العلم وبالغ فيه حتى حصل له ما لم يحصل لغيره، ودخل يوما على المنصور وكان عنده عيسى بن موسى فقال للمنصور: هذا عالم الدنيا اليوم؛ ورأى أبو حنيفة فى المنام أنه ينبش قبر رسول الله ﷺ فقيل لمحمد بن سيرين فقال: صاحب هذا [هذه] الرؤيا رجل يثور علما لم يسبقه إليه أحد قبله؛ وكان مسعر بن كدام يقول: ما أحسد أحدا بالكوفة إلا رجلين: أبو حنيفة فى فقهه والحسن بن صالح فى زهده؛ وقال مسعر: ومن جعل أبا حنيفة بينه وبين الله رجوت أن لا يخاف ولا يكون فرط فى الاحتياط لنفسه؛ وقال الفضيل بن عياض: كان أبو حنيفة رجلا فقيها معروفا بالفقه مشهورا بالورع، واسع المال معروف بالإفضال على كل من يطيف به صبورا على تعليم العلم بالليل والنهار حسن الليل كثير الصمت قليل الكلام حتى ترد مسألة فى حرام أو حلال وكان إذا أوردت عليه مسألة فيها حديث صحيح اتبعه، وإن كان عن الصحابة والتابعين، وإلا قاس فأحسن القياس. وكانت ولادته سنة ثمانين، ومات فى رجب سنة خمسين ومائة، ودفن بمقبرة الخيزران بباب الطاق وصُلى عليه ست مرات من كثرة الزحام آخرهم صلى عليه حماد وغسله الحسن بن عمارة ورجل آخر؛ قلت: وزرت قبره غير مرة. قالت المؤلفة: وكذلك فعلت أنا اهـ.

وسورة بن الحكم صاحب الرأى، كوفى سكن بغداد، وحدث بها عن عبد الله بن حبيب بن أبى ثابت وشيبان بن عبد الرحمن وسليمان بن أرقم وسويد أبى حاتم، روى عن محمد ابن هارون الفلاس المخرمى والحسن بن داود بن مهران المؤدب وعباس بن محمد الدورى وأحمد بن أبى عمران الخياط وغيرهم.

وأبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخى مولى قريش، صاحب الرأى، يروى عن هشام بن حسان وابن جريج وإسرائيل وابن أبى عروبة والثورى وإبراهيم بن طهمان وغيرهم، روى عنه هشام بن عبد الله الرازى وسلمة بن بشير النيسابورى وعلى بن هاشم بن مرزوق وسهل بن زياد وعبد الله ابن الوليد بن مهران المدائنى الرازى، قال عبد الله بن أحمد ابن حنبل: سألت أبى عن الحكم أبى مطيع البلخى؟ قال: لا ينبغى أن يروى عنه، وقال يحيى بن معين: أبو مطيع الخراسانى ليس بشيء؛ وقال أبو حاتم الرازى: أبو مطيع كان قاضى بلخ مرجىء ضعيف الحديث، وانتهى فى كتاب الزكاة إلى حديث له فامتنع من قراءته، وقال: لا أحدث عنه.

وزفر بن الهذيل العنزى الكوفى ثم البصرى صاحب الراى والقياس، يروى عن حجاج بن أرطاة، روى عنه أبو نعيم وحسان بن إبراهيم وأكثم بن محمد وغيرهم، قال أبو نعيم الفضل بن دكين وذكر زفر بن الهذيل فقال: كان ثقة مأمونا وقع إلى البصرة فى ميراث أخته فتشبث به أهل البصرة فلم يدعوه يخرج من عندهم؛ قال يحيى بن معين: زفر بن الهذيل صاحب الرأى ثقة مأمون.

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣/ ٣٥ - ٣٨، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

* الرائية:

يطلق اسم «الرائية» على قصيدتين:

الأولى: القصيدة الرائية للإمام الشاطبى واسمها «عقيلة أتراب القصائد فى أسنى المقاصد» وتأتى فى موضعها فى حرف العين إن شاء الله تعالى، وهى فى رسم المصحف، وقد شرحها الإمام الجعبرى (انظر ترجمته من م ١٢ / ١٨٩ - ١٩١).

الثانية: القصيدة الرائية فى علم الخط لعلى بن هلال المعروف بابن البواب (انظر ترجمته فى حرف الباء فى م ٧ / ٥٨٢، ٥٨٤)، وقد شرح الإمام الجعبرى هذه القصيدة أيضا، كما شرحها ابن الوحيد (شرف الدين) (٦٤٧ - ٧١ هـ).

(المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى - حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين، تقديم د. سعيد عبد الفتاح عاشور ١ / ١٣٣ وهامش ٣ للمحقق).

ولما كان قد فاتنا إدراج شرح ابن الوحيد هذا فى مادة «ابن البواب» فقد رأينا أن نفرد له المادة التالية تحت عنوان «رائية ابن البواب» وهو شرح ممزوج، يفيد فى دراسة علم الخط العربى وبالله التوفيق.

***رائية ابن البواب:**

سبق أن أوردنا هذه القصيدة في مادة «ابن البواب» في م ٧ / ٥٨٢ ، ٥٨٤ خالية من الشرح، وننقلها هنا ممزوجة بشرح ابن الوحيد (٦٤٧ ـ ٧١١ هـ) لأهميته في دراسة علم الخط العربي . قال الشيخ ابن البواب رحمه الله :

يـــا من يـــروم إجـــادة التحـــريـــر

ويـــريـــد حسن الخط والتصـــويـــر

الشرح :

ويروى يا من يريد ويروم والمعنى في التقديم والتأخير واحد وقوله إجادة يعني إجادة تحرير الكتابة وقوله والتصوير معناه تصور الخط وهو الغاية لأن المقصود من كل صناعة وغايتها تشبيه فعل الطبيعة فيجب أن تكون كل كلمة كالصورة متناسبة الأعضاء .

إن كـــان عـــزمك في الكتـــابـــة صـــادقـــا

فـــارغـــب إلى مـــولاك في التيسيـــر

أعـــدد مـن الأقـــلام كـل مثقَّف

صُلْـب يصـــوغ صيـــاغـــة التحبيـــر

الشرح :

قوله اعدد فيه إشارة إلى تفضيل الأقلام العتيقة المختزنة على الحديثة العهد بالقطع وتحريض على تعتيقها . ومثقف مقوَّم وهو مشتق من الثقاف وهي الخشبة التي تقوَّم منها الرماح والسهام، ويروى مثقف هش والتجربة تخالفها، لأن القلم الرخو يضطرك إلى تقصير جلفته جدا ويحفى سريعا، ويصوغ استعاره والتحبير النقش من الحبرة .

وإذا عمـــدت لبـــريـــه فتـــوخَّـــه

عنـــد القيـــاس بأوسط التقـــديـــر

الشرح :

يعني متوسطا في طوله وقصره وثخانته ورقته، إلا أن تبرى للطومار فتستغلظ وبالضد .

انظـــر إلى طـــرفيـــه فـــاجعل بـــريـــه

مـن جـــانب التـــدقيق والتخصيـــر

الشرح :

يعني أن البرى يجب أن يكون من رأس الأنبوبة فإنه أصلب أجزائها لأن رطوبته قد جفت بسبب انكشاف قشرها عنه ودوام قرع الشمس له ولذلك صار رأس الأنبوبة أدق لتلززه وقد بينت أن صلابة القلم مطلوبة ورأس الأنبوبة أصلبها .

واجعل لجِلْفَتِـــه قـــوامـــا عـــادلا

يخلـــو مـن التطـــويـل والتقصيـــر

الشرح :

لكل قصبة جلفة بحسب صلابتها فالصلبة تُطوَّل وحدَّها أن لا تأخذ في الخط ولا تعطى فتختلف ثخانة الكتابة .

وكـــذاك شحمتـــه اعتمـــد تـــوسيطهـــا

لتكـــون بيـن النقص والتـــوفيـــر

الشرح :

الشحمة إذا عظمت سترت الفركات وإذا خفت قلت رطوبة الكتابة، فإن كان القلم محرفا رقت منتصباتها رقة تنافر بها ثخانة منسطحاتها وفخُشت بها الفركات، والدور تثخن به المنتصبات .

والشق وسطـــه ليبقى سِنُّـــهُ

من جـــانبيـــه مُشَـــاكِلَ التقـــريـــر

الشرح :

توسط شقة القلم لينزل الحبر في وسط الخط ولأن لا يضعف أحد شقي القلم فتفسد الكتابة لكن إن عظم السن الأيمن قليل لم يضر .

حتـى إذا أحكمـت ذلـك كلـــه

إحكـــام طـبٍّ بـــالمـــراد خبيـــر

الشرح :

الطب بفتح الطاء والطبيب بمعنى مثل اللب واللبيب والشيخ يحض على التحرير .

فـــاصـــرف لشأن القط عـــزمك كلـــه

فـــالقطُّ فيـــه جملـــة التـــدبيـــر

(الجدير بالذكر أن هـذا البيت والذى سبقه قد تداخلا فى مقدمة ابن خلدون .

ــ طبعة مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ١٩٦١ وثبتا كالتالى :

حتى إذا أتقنت ذلك كلـــــــه
فالقطّ فيه جملة التدبير)

الشرح :

البحث فى القلم والشق لا يباشر أحدهما الخط بنفسه والقطة هى التى تصور الكتابة بذاتها فمتى ما زاغت شفرة السكين عن الهيئة التى تكون عليها عند وقعها على القطة مقدار ربع شعرة أفسدت القط فلم تصح الكتابة فلذلك يجب أن يصرف إليها صادق العناية والعزم .

لا تطمعن فى أن أبوح بذكره
إنى أضنّ بسره المستور

الشرح :

إنما بخل الشيخ بالتصريح به حتى لا يعرفه إلا مرتاض فى فك رموز الحكمة على عادة الحكماء فى صيانة أسرارهم بالرمز عن الجهال .

لكن جملة ما أقول بأنه
ما بين تحريف إلى تدوير

الشرح :

رمز على القطّة فى هذا البيت لما عانى فى تعرُّفها من الشدة ، ولأن الهمم كانت فى طلب الفضائل عالية فى زمانه ، لأن جدوى هذه الصناعه كانت عظيمة فرمز السبب الأعظم فى إتقانها بقوله ما بين ولمّا غيّر قوم بعده كثيرا من طريقته لجهلهم بالقطة ولقلة ما وقع إليهم من جيد خطه وقلّت الهمم فى بلوغ الغاية من هذه الصناعة رأيت كشف رمزه واجبا وهو أنه قال جملة فتحتها تفصيل والمعنى أن لكل قلم مسمى كالمحقق والنسخ قطة تخصه فقطة الريحان أشدها تحريفا ثم تقلّ حتى تكون قطة الرقاع أقلها فصارت أنواعا من التحريف إلى التدوير.

فابذل له منك اجتهادا كافيا
فعساك تظفر منه بالمأثور

الشرح :

الشيخ رحمه الله يحض على مزاولة القطة بالقل [بالنقل فالنقلى؟] فالقلى من جيد خطه الأقلام كلها وقياسى على قطاته المختلفة صحت لى بطول التجربة ولما كان قط الولى العجمى مدورا فسد ريحانه وما يليه وصلح رقاعه وما يليه والعراقيون اليوم بالضد .

وألقِ دواتك بالدُّخان مدبَّرا
بالخلّ أو بالحِصْرم المعصور

الشرح :

اختار الدخان لنعومته وتطويسه واختار العصارتين لغلظهما وقبضهما وبعدهما عن الفساد وأنا أرى أن المركب على البارد خير منه وهو نسخة السمعانى ، جزء عفص نصف جزء صمغ ، ربع جزء زاج تطحن وتدعك بما [بماء] جلنار فى الهاون أياما حتى يتحد ويُصفَّى ويلقى عليه من الشب والملح الذرأنى والزنجار و الصبر لكل رطل منها نصف أوقية ويوضع فى الشمس أسبوعين لا ينمحى .

وأضف إليه مَغْرَةً قد صُوِّلت
مع أصفر الزرنيخ والكافور

الشرح :

يعنى المغرة العراقية وهى تكسوه حمرة وتجعل له جسما ... فيزيد معنى الرطوبة والزرنيخ يُحسِّن لونه ويمنع الذباب ويُمتِّنه والكافور يحفظه من الفساد ويطيبه .

حتى إذا خمّرتها فاعمد إلى الـ
ـورق النقى الناعم المخبور

الشرح :

المخبور فى قبوله للصقال وأن لا يتقطع فيه الخط وأن يطيب فيه مشى القلم ولا يتقصف .

فاكبسه بعد القطع فى المعصار كى
ينأى عن التشعيث والتغيير

الشرح :

إذا كبس بعد القطع زال منه التشعيث ولم تتغير مائيته وصقاله.

ثم اجعل التمثيل دأبك صابرا

ما أدرك المأمول مثل صبور

الشرح :

التمثيل التجويد على مثال وتمثيله فى أوراق كثيرة مرارا قبل وضعه فى المبيضة لتجسر عليه.

ابدأ به فى اللوح أول مرة

فكذاك فعل الماجد النحرير

ثم انتقل للمدرج متضيا له

عزما تجرده من التشمير

الشرح :

هذا للكاتب المنتهى لا يضع سطرا فى ما يبيضه حتى يبدأ به فيما يبطله ليتخير وضعه.

وابسط يمينك بالكتابة مُقْدمًا

ما أدرك المطلوب مثل جسور

الشرح :

أقول إن تهيُّب القلب لوضع الكتابة سبب عظيم لضعفها واضطرابها وأكثر الناس يخاف أن لا تأتى على مراده فتختل يده لجبنه.

لا تخجلن من الردىء تخطُّه

فى أول التمثيل والتسطير

الشرح :

الجاهل الضعيف يستحى أن يرى الناس تقصيره فى ابتداء تعلمه للفن فيمتنع من التعلم لكبره وغباوته فيبقى جاهلا.

فالامر يصعب ثم يرجع هينا

ولرب سهل جاء بعد عسير

الشرح :

هذا البيت يحذر الطالب عند استبطائه وضجره من القنوط ويبشر الصابر بنيل المطلوب.

فإذا بلغت مُناك فيما رمته

وغدوت حلف مسرَّةٍ وحبور

الشرح :

الحلف والحليف الملازم، وأصله أن العرب كان المستضعف منها يخاف أن يتخطفه الناس فيأوى إلى القوى بعد أن يتحالفا، والحبور المسرة.

فاشكر إلهك واتبع رضوانه

إن الآله يحب كل شكور

الشرح :

الشكر التحدث بالنعمة، ومتابعة رضوانه تحرى طاعته مما يحبه منك.

وارغب لكفك أن تخط بنانها

خيرا تُخَلّفه بدار غرور

الشرح :

رغبت إليه فى كذا أى طلبته وأحببته منه، وقوله بدار غرور يعنى لا تكتب شيئا يسخط الله لعرض الدنيا فهى غراره ويبقى عاره.

فجميع فعل المرء يلقاه غدا

عند التقاء كتابه المنشور

الشرح :

المعنى عند التقاء كتابه يوم القيامة. تمت بعون الله ولطفه وحمده.

(شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب - حققه وقدم له وعلق عليه هلال ناجى، تونس، مطبعة المنار ١٩٦٧ م / ١٣ - ٢٢، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

*** رائية فى مدح الإمام البخارى وصحيحه:**

من مخطوطات الحديث النبوى الشريف وعلومه.

لأبى حيان النحوى

١ ـ خزانة تطوان ٢ / ٦٢ [346 / 587 م]

(١ ص) ضمن مجموع.

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله ٢ / ٨٠١).

*** رُبّ:**

بضم الراء وفتح الباء من حروف المعانى. أدرجها الإمام السيوطى فى الأدوات التى يحتاج المفسر إلى معرفة معناها فقال:

رب: حرفٌ فى معناه ثمانية أقوال: أحدها: أنها للتقليل دائما وعليه الأكثرون. الثانى: للتكثير دائما كقوله تعالى **﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾** [الحجر: ٢] فإنه يكثر منهم تمنى ذلك. وقال الأولون: هم مشغولون بغمرات الأهوال فلا يفيقون بحيث يتمنون ذلك إلا قليلا. الثالث. أنها لهما على السواء. الرابع: التقليل غالبا والتكثير نادرا وهو اختيارى. الخامس عكسه. السادس: لم توضع لواحد منهما، بل هى حرف أثبات لا يدل على تكثير ولا تقليل، وإنما يفهم ذلك من خارج. السابع: للتكثير فى موضع المباهاة والافتخار وللتقليل فيما عداه. الثامن: لمبهم العدد تكون تقليلا وتكثيرا، وتدخل عليها «ما» فتكفها عن عمل الجر وتدخلها على الجمل، والغالب حينئذ دخولها على الفعلية الماضى فعلها لفظا ومعنى ومن دخولها على المستقبل الآية السابقة. وقيل إنه حد ونفخ فى الصور (الإتقان ١ / ٢١٢).

وقال الإمام الفيروزابادى: وفيها لغات: رُبّ ورَبّ ورُبّت ورَبّت ـــ ويخفف الكل، ورُبْ كمذ، ورُبما، ورَبّما، ورُبّتما، ويخفف الكل. وهى حرف خافض لا تقع إلا على نكرة (بصائر ٣ / ٣٠).

وقد أفرد الهروى صاحب الأزهية بابا فى رُبَّ وأحكامها جاء فيه ما يلى:

اعلم أن «رُبّ» حرف خافض، وهى مبنية على الفتح، ولها عشرة أحكام.

فمن أحكامها: أنها للتقليل.

ومن أحكامها أن لها صدر الكلام بمنزلة «ما» النافية، و«إن» المؤكدة وألف الاستفهام فى أن لها صدور الكلام فتقول «رب رجل جاءنى» ولا تقول: «جاءنى رب رجل».

ومن أحكامها: أنها تدخل على الاسم دون الفعل، تقول «رُبَّ رَجُل»، ولا تقول: «رُبَّ يقوم».

ومن أحكامها: أنها تدخل على الاسم النكرة دون المعرفة. تقول: «رب رجل لقيته» ولا تقول: «رب زيد لقيته» وتقول: «رب رجل وأخيه منطلقين»، ولا تقول: «رب رجل وزيد منطلقين» وإنما جاز فى الأول لأن «وأخيه» فى موضع نكرة، لأن المعنى: وأخ له.

ومن أحكامها: أنه لابد للنكرة التى تدخل عليها من صفة من صفات النكرة، إما اسم، وإما فعل وإما ظرف وإما جملة. ولا يجوز أن تقول: «رب رجل» وتسكت، حتى تقول «رب رجل صالح»، أو «رب رجل يقول ذاك» أو «رب رجل عندك» أو «رب رجل أبوه عالم».

وأما قول الشاعر (هو ثابت بن قطنة يرثى يزيد بن المهلب، وهو ثابت بن كعب ت ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م):

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن
عارا عليك، ورب قَتْلٍ عارُ

فإنما أراد: رب قتل هو عار، فحذف المبتدأ من الجملة التى هى من صفة معمول «رب».

ومن أحكامها: أنها تأتى لما مضى، وللحال دون الاستقبال، تقول: «رب رجل قام» و«يقوم»، ولا تقول: «رب رجل سيقوم» و«ليقومن غدا»، إلا أن تريد؛ رب رجل يوصف بهذا، كما تقول: «رب رجل مسىء اليوم ومحسن غدا». أى يوصف بهذا.

ومن أحكامها: أنها تدخل على المضمر قبل الذكر على شرط التفسير، وتنصب ما بعد ذلك المضمر على التفسير، كقولهم: «ربَّهُ رجلا جاءنى»، فـ«رجلا» فسر الهاء، ومعنى «ربّهُ رجلا»: رُبَّ رجل. وليست الهاء بضمير شىء جرى ذكره، ولو كانت ضمير شىء جرى ذكره لصارت معرفة، ولم

يجز أن تلى «رب»، لأنه لا يليها إلا النكرة ، ولكنها ضمير مبهم قبل الذكر على شريطة التفسير فأشبهت بإبهامها النكرات، لأنك إذا قلت «ربَّهُ» احتاج إلى أن تفسره بغيره فضارع النكرات، إذا كان لا يخص، كما أن النكرة لاتخص.

وهذا الضمير عند البصريين لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث لأنه ضمير مبهم مجهول يعتمد فيه على التفسير. فيغنى عن تثنيته وجمعه. تقول : «ربه رجلا قد رأيت» ، و «ربه رجلين» و «ربه رجالا»، و« ربه امرأة» و «ربه نساء».

وقد أجاز الكوفيون التثنية والجمع والتأنيث.

ومن أحكامها: أنها تزاد فيها تاء التأنيث فيقال: «ربت»، كما تزاد فى «ثم » فيقال: «ثمت». وفى «لا» فيقال : «لات» وفى «حين» فيقال: «تحين»، وفى «الآن » فيقال : «تاالآن» قال الشاعر فى زيادتها فى «رب » أنشده أبو زيد هو ابن ضمرة النهشلى:

مَـاوِىَّ بل ربتما غارة
شعواء كاللدغة بالميسم

وأنشد أيضا :

يا صاحبا رُبَّت إنسان حسن
يسأل عنك اليوم أو تسأل عن

وقال ابن أحمر:

ورُبَّت سائل عنى حفى
أعارت عينه أم لم تعارا

وقوله : «أم لم تعارا» أراد: تعارن ، فقلب النون الخفيفة ألفا فى الوقف. وكسر التاء من «تعارا» طلبا لكسرة العين من «فَعِلَ» . أراد وزن الفعل الماضى من فَعِلَ يفعل.

ولشرح هذا باب قد أحكمناه فى كتاب «الذخائر» وقال الأعشى فى زيادتها فى «ثم»:

ثُمَّت لا تجزوننى عند ذاكم
ولكن سيجزينى الإله فيعقبا

وقال آخر (نسبه سيبويه لرجل من بنى سلول).

ولقد أمُرُّ على اللئيم يسبنى
فمررت ثمت قلت: لا يعنينى

وقال أبو وجزة فى زيادتها فى «حين» (أبو وجزة السعدى (... ـ ١٣٠) يزيد بن عبيد من بنى سعد أظآر رسول الله ﷺ بالولاء، وأصله من سليم، كان من التابعين وكان شاعرا مجيدا كثير الشعر):

العاطفون تحين ما من عاطف
والمطعمون زمان ما من مطعم

وفى القرآن : ﴿ ولا تحين مناص﴾ [كذا] [ص: ٣] أى ليس حين مهرب. يقال: «ناص ينوص مناصا» إذا هرب. وجاء فى الحديث: « اذهب بهذا تاالآن معك» يريد الآن.

(فى الإنصاف ١ / ١١٠ قوله: واحتج بحديث ابن عمر حين ذكر لرجل مناقب عثمان فقال له: اذهب بها تاالآن إلى أصحابك. ولم نعثر على الحديث فى نصه الذى أورده الهروى . وورد بالنص الآتى : «اذهب بها الآن معك» فى صحيح البخارى، مناقب المهاجرين، باب مناقب عثمان.

وفى التاء فى قوله تعالى : ﴿ ولات حين مناص﴾ اختلاف هل هى متصلة بحاء «حين» أم منقطعة عنها، وقد بينا ذلك فى كتاب « الوقف».

ومن أحكامها أنها تثقل وتخفف.

قال أبو كبير فى تخفيفها: (أبو كبير الهذلى هو عامر بن الحليس، وهو شاهر جاهلى له أربع قصائد أولها كلها شىء واحد، ولا يعرف غيره فعل ذلك).

أزهير إن يَشب القذالُ فإننى
رُبَ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لففت بهيضل

«الهيضل»: جمع هيضلة، هى الجماعة و «اللجب» : الكثير الأصوات. « لففت»: أى خلطت يقال : «لففت القوم بالقوم» إذا خلطتهم بهم. وقرأ بعض القراء : ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ [الحجر: ٢] بالتخفيف والأصل فيها التشديد ثم تخفف .

ومن أحكامها أنها توصل بـ «ما» فتبطل «ما» عملها ،

ويستأنف الكلام بعدها. وتدخل على المعرفة وعلى الفعل من أجل «ما». كقولك: «ربما قام زيد» و «ربما زيدٌ قام»، و «ربما الرجل قام» و «ربما فعلت كذا».

قال أبو دواد (جارية بن الحجاج الإيادى، أحد نُعّات الخيل، وهو شاعر جاهلى):

ربما الجامل المؤبَّل فيهم

وعناجيج بينهن المهارُ

ولما كانت «رب» إنما تأتى لما مضى، فكذلك «ربما» لما وقع بعدها الفعل كان حقه أن يكون ماضيا. وقال النحويون فى قوله عز وجل ﴿**ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين**﴾ [الحجر: ٢]: إن «رب» إنما دخلت على الفعل المستقبل لصدق الوعد، فكأنه قد كان، لأن القرآن نزل وعده ووعيده وسائر ما فيه حقا لا مكذوبة له، فجر الكلام فيما لم يكن منه كمجراه فى الكائن؛ ألا ترى قوله عز وجل: ﴿**ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت**﴾ [سبأ: ٥١] ﴿**ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم**﴾ [السجدة: ١٢]، ﴿**ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم**﴾ [سبأ: ٣١] أنه لم يكن، وجاء فى اللفظ كأنه قد كان لصدقه فى المعنى، وهو كائن لا محالة (الأزهية / ٢٥٩ـ٢٦٦).

وقد صاغ هذا كله شعرا الإمام مهذب الدين المهلبى فى منظومته «نظم الفرائد» فقال عن مواضع «رُبَّ»:

خصال رُبَّ أتت عشرا وواحدة

الصدر والخفض والتقليل فى الخبر

وكون معمولها اسما مُنكَّرة

موصوفة وتزاد التاء فى الأثر

تأتى لما قد مضى والحالُ قد وُصِلَتْ

بما «وقد» خففت من ثقلها الشمر

وقد أتى مُضمر من بعدها غَلَقٌ

مفسَّرا بالذى من بعد للحصر

(نظم الفرائد / ٢٤٢).

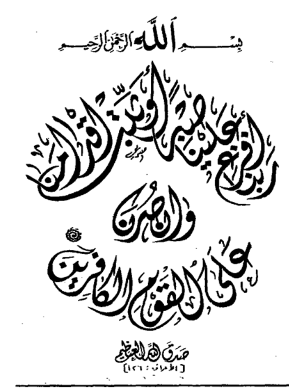
ثم أتبع الأبيات بالشرح، وهو لا يخرج عما أورده الهروى آنفا، ومن ثم فقد حذفناه منعا للتكرار:

(الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ٢١٢، وبصائر ذوى التمييز للإمام فيروزابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ٣ / ٣٠ والأزهية فى علم الحروف لعلى بن محمد النحوى الهروى ـ تحقيق عبد المعين الملوحى / ٢٥٩ ـ ٢٦٦، ونظم الفرائد وحصر الشرائد للإمام مهذب الدين مهلب بن حسن بن بركات المهلبى ـ تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين / ٢٤٢. انظر أيضا حروف المعانى لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى ـ حققه وقدم له د. على توفيق الحمد / ١٤، ومعانى الحروف لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى / ١٠٦، ١٠٧).

*** الرب:**

الرَّب: بفتح الراء وتشديدها قال الراغب الأصفهانى عن أوجه ورودها فى القرآن الكريم.

الرب فى الأصل التربية وهو إنشاء الشىء حالا فحالا إلى حد التمام، يقال ربَّه وربَّاه وربيه. وقيل لأن يربنى رجل من قريش أحب إلىَّ من أن يربنى رجل من هوازن فالرب مصدر مستعار للفاعل ولا يقال الرب مطلقا إلا الله تعالى المتكفل



بمصلحة الموجودات نحو قوله : ﴿بلدة طيبة وربٌّ غفور﴾ [سبأ: ١٥] وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ﴾ [آل عمران: ٨٠] أى آلهة وتزعمون أنهم البارى مسبب الأسباب، والمتولى لمصالح العباد وبالإضافة يقال له ولغيره نحو قوله تعالى: ﴿رب العالمين﴾ و ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ .

ويقال رب الدار ورب الفرس لصاحبهما وعلى ذلك قول الله تعالى: ﴿اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ [يوسف : ٤٢] وقوله تعالى : ﴿ارجع إلى ربك﴾ [يوسف : ٥١] وقوله تعالى: ﴿قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى﴾ [يوسف : ٢٣] قيل عنى به الله تعالى: وقيل عنى به الملك الذى رباه والأول أليق بقوله .

والربانى قيل منسوب إلى الربان، ولفظ فَعْلاَن من فَعِلَ يبنى نحو عطشان وسكران وقلما يبنى من فعل وقد جاء نعسان. وقيل هو منسوب إلى الرب الذى هو المصدر وهو الذى يرب العلم كالحكيم، وقيل منسوب إليه ومعناه يَرُبُّ نفسه بالعلم وكلاهما فى التحقيق متلازمان لأن من رب نفسه بالعلم فقد رب العلم، ومن رب العلم فقد رب نفسه به . وقيل هو منسوب إلى الرب أى الله تعالى فالربانى كقولهم إلهى وزيادة النون فيه كزيادته فى قولهم: لحيانى وجسمانى قال على رضى الله عنه : « أنا ربانى هذه الأمة» والجمع ربانيون. قال تعالى: ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار﴾[المائدة: ٦٣] ﴿كونوا ربانيين﴾[آل عمران: ٧٩] وقيل ربانى لفظ فى الأصل سريانى وأخلق بذلك فقلما يوجد فى كلامهم، وقوله تعالى: ﴿ربيون كثير﴾[آل عمران: ١٤٦] فالربى كالربانى. والربوبية مصدر يقال فى الله عز وجل والربابة تقال فى غيره وجمع الرب أرباب قال تعالى : ﴿أأرباب متفرقونَ خير أم الله الواحد القهار﴾ [يوسف: ٣٩] ولم يكن من حق الرب أن يجمع إذ كان إطلاقه لا يتناول إلا الله تعالى لكن أتى بلفظ الجمع . فيه على حسب اعتقاداتهم لا على ما عليه ذات الشىء فى نفسه، والرب لا يقال فى التعارف إلا فى الله، وجمعه أَرِبَّةٌ، وربوب، قال الشاعر:

رَبَّنَا

لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا

[البقرة : ٢٨٦]

كانت أَرِبَّتُهم حَقًّا وغَرَّهُمُ ... عقد الجوار وكانوا معشرا غُدُرا

وقال آخر:

وكنت امرأ أفضت إليك ربابتى ... وقبلك ربنى فضعت ربوب

ويقال للعقد فى موالاة الغير الربابة ولما يجمع فيه القدح ربابة واختص الراب والرابة بأحد الزوجين إذا تولى تربية الولد من زوج كان قبله، والربيب والربيبة بذلك الولد، قال تعالى : ﴿ وربائبكم اللاتى فى حجوركم﴾ [النساء: ٢٣].

(المفردات/ ١٨٤ ، ١٨٥).

وقال أبو الأعلى المودوى:

الرب: وبالراء والباء المضعفة ومعناها الأصلى الأساسى: التربية ، ثم تتشعب عنه معانى التصرف والتعهد والاستصلاح والإتمام والتكميل ، ومن ذلك كله تنشأ فى الكلمة معانى العلو والرئاسة والتملك والسيادة. ودونك أمثلة لاستعمال الكلمة فى لغة العرب بتلك المعانى المختلفة:

١ ـ التربية والتنشئة والإنماء:

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار

صدق الله العظيم

[آل عمران : ١٦]

يقولون «رب الولد» أى رباه حتى أدرك فـ «الربيب» هو الصبى الذى تربيه و «الربيبة» الصبية. وكذلك تطلق الكلمتان على الطفل الذى يربى فى بيت زوج أمه و «الربيبة» أيضا الحاضنة ويقال «الرابة» لامرأة الأب غير الأم ، فإنها وإن لم تكن أم الولد ، تقوم بتربيته وتنشئته . و «الراب» كذلك زوج الأم .- «المربَّب» أو «المربى» هو الدواء الذى يختزن ويدخر. و«ربَّ يربُّ ربًّا» من باب نصر معناه الإضافة والزيادة والإتمام، فيقولون «رب النعمة» : أى زاد فى الإحسان وأمعن فيه .

٢ ـ الجمع والحشد والتهيئة :

يقولون : «فلان يرب الناس» أى يجمعهم أو يجتمع عليه الناس، ويسمون مكان جمعهم «بالمرب» و«التربُّب» هو الانضمام والتجمع .

٣ ـ التعهد والاستصلاح والرعاية والكفالة :

يقولون «رب ضيعة» أى تعهدها وراقب أمرها. قال صفوان بن أمية لأبى سفيان: لأن يربنى رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن، أى يكفلنى ويجعلنى تحت رعايته وعنايته . وقال علقمة بن عبدة .

وكنت امرءا أفضت إليك ربابتى

وقبلك ربتنى فضعت ربوب

أى انتهى إليك الآن أمر ربابتى وكفالتى بعد أن ربانى قبلك ربوب فلم يتعهدونى ولم يصلحوا شأنى ، ويقول الفرزدق :

كانوا كسالئة حمقاء إذ حقنت

سلاءها فى أديم غير مربوب

أى الأديم الذى لم يلين ولم يدبغ . ويقال « فلان يرب صنعته عند فلان» أى يشتغل عنده بصناعته ويتمرن عليها ويكسب على يده المهارة فيها .

٤ ـ العلاء والسيادة ورئاسة وتنفيذ الأمر والتصرف :

يقولون «قد رب فلان قومه» : أى ساسهم وجعلهم ينقادون له . و «ربيت القوم» أى حكمتهم وسدتهم ، ويقول لبيد بن ربيعة :

وأهلكن يوما رب كندة وابنه

ورب معد بين خبث وعرعر

والمراد برب كندة ههنا سيد كندة ورئيسهم، وفى هذا المعنى يقول النابغة الذبيانى :

تخُبُّ إلى النعمان حتى تناله

فدى لك من رب تليدى وطارفى



بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين

صدق الله العظيم [الأعراف: ٢٣]

٥ ـ التملك:

قد جاء فى الحديث أنه سأل النبى ﷺ رجلا «أرب غنم أم رب إبل؟ أى أمالك غنم أنت أم مالك إبل ؟» وفى هذا المعنى يقال لصاحب البيت «رب الدار» وصاحب الناقة: «رب الناقة» ومالك الضيعة: «رب الضيعة» وتأتى كلمة الرب بمعنى السيد أيضا فتستعمل بمعنى ضد العبد أو الخادم.

هذا بيان ما يتشعب من كلمة «الرب» من المعانى. وقد أخطأوا لعمر الله حين حصروا هذه الكلمة فى معنى المربى والمنشىء، ورددوا فى تفسير «الربوبية» هذه الجملة وهو إنشاء الشىء حالا فحالا إلى حد التمام، والحق أن ذلك إنما هو معنى واحد من معانى الكلمة المتعددة الواسعة. وبإنعام النظر فى سعة هذه الكلمة واستعراض معانيها المتشعبة يتبين أن كلمة «الرب» مشتملة على جميع ما يأتى بيانه من المعانى:

١ ـ المربى الكفيل بقضاء الحاجات، والقائم بأمر التربية والتنشئة.

٢ ـ الكفيل والرقيب، والمتكفل بالتعهد وإصلاح الحال.

٣ ـ السيد الرئيس الذى يكون فى قومه كالقطب يجتمعون حوله.

٤ ـ السيد المطاع، والرئيس وصاحب السلطة النافذ الحكم، والمعترف له بالعلاء والسيادة، والمالك لصلاحيات التصرف.

٥ ـ الملك والسيد.

استعمال كلمة «الرب» فى القرآن:

وقد جاءت كلمة «الرب» فى القرآن بجميع ما ذكرناه آنفا من معانيها. ففى بعض المواضع أريد بها معنى أو معنيان من تلك المعانى. وفى الأخرى أريد بها أكثر من ذلك. وفى الثالثة جاءت الكلمة مشتملة على المعانى الخمسة بأجمعها فى آن واحد وها نحن نبين ذلك بأمثلة من آى الذكر الحكيم.

بالمعنى الأول:

﴿ قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى ﴾ [يوسف: ٢٣]

بالمعنى الثانى وباشتراك شىء من تصور المعنى الأول:

﴿ فإنهم عدو لى إلا رب العالمين * الذى خلقنى فهو يهدين * والذى هو يطعمنى ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ [الشعراء: ٧٧ ـ ٨٠]

﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فإليه تجأرون * ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ﴾ [النحل: ٥٣، ٥٤]. ﴿ قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء ﴾ [الأنعام: ١٦٤]

﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ [المزمل: ٩]

بالمعنى الثالث:

﴿ هو ربكم وإليه ترجعون ﴾ [هود: ٣٤]

﴿ ثم إلى ربكم مرجعكم ﴾ [الزمر: ٧٠]

﴿ قل يجمع بيننا ربنا ﴾ [سبأ: ٢٦]

﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ [الأنعام: ٣٨].

﴿ ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ [يس: ٥١].

بسم الله الرحمن الرحيم





رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ

بالمعنى الرابع وباشتراك بعض تصور المعنى الثالث :

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ [التوبة : ٣١].

﴿ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ [آل عمران : ٦٤].

والمراد بالأرباب فى كلتا الآيتين الذين تتخذهم الأمم والطوائف هداتها ومرشديها على الإطلاق. فتذعن لأمرهم ونهيهم، وتتبع شرعهم وقانونهم، وتؤمن بما يحلون وما يحرمون بغير أن يكون قد أنزل الله تعالى به من سلطان، وتحسبهم فوق ذلك أحقاء بأن يأمروا وينهوا من عند أنفسهم.

﴿أما أحدكما فيسقى ربه خمرا﴾ [يوسف : ٤١] ﴿ وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ [يوسف : ٤٢] ﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم﴾ [يوسف: ٥٠].

قد كرر يوسف عليه السلام فى خطابه لأهل مصر فى هذه الآيات تسمية عزيز مصر بكلمة «ربهم» فذلك لأن أهل مصر بما كانوا يؤمنون بمكانته المركزية وبسلطته العليا، ويعتقدون أنه مالك الأمر والنهى، فقد كان هو ربهم فى واقع الأمر، وبخلاف ذلك لم يرد عليه السلام بكلمة «الرب» عندما تكلم بها بالنسبة لنفسه إلا الله تعالى فإنه لم يكن يعتقد فرعون، بل الله وحده المسيطر القاهر ومالك الأمر والنهى.

بالمعنى الخامس :

﴿فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ [قريش : ٣، ٤].

﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ [الصافات : ١٨٠].

﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ [الأنبياء: ٢٢]

﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ [المؤمنون: ٨٦].

﴿ رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾ [الصافات: ٥]

﴿ وأنه هو رب الشعرى﴾ [النجم : ٤٩]

(المصطلحات الأربعة / ٣٧ـ٤٥).

ثم ينتقل المودودى بعد ذلك إلى الكلام على الأمم الضالة التى ذكرها القرآن وتصوراتها فيما يتعلق بالربوبية، وكيف جاء القرآن ينقضها ويرفضها مما نورده فى مواضعه إن شاء الله تعالى عند الكلام على رسل وأنبياء هذه الأمم.

أما من حيث النظم فقد نظم الشيخ السجاعى معانى «الرب» التى ذكر أنها خمسة عشر فى أبيات ثلاثة أوردها شيخ الإسلام البيجورى فى حاشيته وهى :

قريب محيط مالك ومدبر ... مرب كثير الخير والمولى للنعم

وخالقنا المعبود جابر كسرنا ... ومُصلحنا والصاحب الثابت القدم

وجامعنا والسيد احفظ فهذه ... معان أتت للرب فادع لمن نظم

(حاشية البيجورى / ٩).

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط

محمد سيد كيلانى / ١٨٤ ، ١٨٥ ، والمصطلحات الأربعة فى القرآن - أبو الأعلى المودودى / ٣٧ ـ ٤٥ ، وحاشية العالم العلامة شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم البيجورى المسماة بتحقيق المقام على كفاية العوام فى علم الكلام لشيخه محمد الفضالى/ ٩ . انظر أيضا قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للدامغانى - حققه ورتبه وأكمله وأصلحه عبد العزيز سيد الأهل / ١٨٩ ، ١٩٠ ، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى - تحقيق الأستاذ محمد على النجار ٣ / ٣٠)

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب « كنوز الدعاء فى القرآن الكريم» لوحات فنية ملونة بالخط العربى - جمعها وكتبها أحمد صبرى زايد. دار الفضيلة. القاهرة.

*** رُبّ الأترج:**

انظر: الربوب

*** رُبّ التفاح:**

انظر : الربوب

*** رُبّ التوت :**

انظر : الربوب.

*** رُبّ الجوز:**

انظر : الربوب.

*** رُبّ حب الآس:**

انظر : الربوب.

*** رُبّ الحصرم:**

انظر : الربوب.

*** رُبّ الرمّان:**

انظر : الربوب.

*** رُب الريباس:**

انظر : الربوب.

*** رُب السفرجل:**

انظر : الربوب.

*** رُب السوس:**

انظر : الربوب.

*** رُب العنب**

انظر : الربوب.

*** الرِّبا:**

جاء فى اللسان: رَبَا الشىءُ يربو رُبوًّا ورباءً: زاد ونما. وأربيته: نميته. وفى التنزيل العزيز: **﴿ويُربى الصدقات﴾** [البقرة: ٢٧٦]، ومنه أخذ الرِّبا الحرام. قال الله تعالى: **﴿وما آتيتم من ربًا ليربُوَ فى أموال الناس فلا يربُو عند الله﴾** [الروم: ٣٩]، قال أبو إسحاق: يعنى به دفع الإنسان الشىء ليعوض ما هو أكثر منه، وذلك فى أكثر التفسير ليس بحرام، ولكن لا ثواب لمن زاد على ما أخذ.

قال: والرِّبا ربوان: فالحرام كان قرض يؤخذ به أكثر منه، أو تُجَر به منفعة، فحرام، والذى ليس بحرام أن يهبه الإنسان يستدعى به ما هو أكثر، أو يهدى الهدية ليهتدى له ما هو أكثر منها.

قال الفراء: قرئ هذا الحرف ليربو بالياء ونصب بالواو، قرأها عاصم والأعمش، وقرأها أهل الحجاز لتربو بالتاء المرفوعة، قال: وكلٌّ صواب، فمن قرأ لتربو فالفعل للقوم الذين خوطبوا دل على نصبها سقوط النون، ومن قرأها ليربو فمعناه ليربو ما أعطيتم من شىء، لتأخذوا أكثر منه، فذلك رُبُوه، وليس ذلك زاكيا عند الله، **﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله﴾** فتلك تربو بالتضعيف. وأربى الرجل فى الرِّبا يُربى.

والربية: من الرِّبا، مخففة. وفى الحديث عن النبى ﷺ، فى صلح أهل نجران: أن ليس عليهم ربِّية ولا دم. قل أبو عبيد: كذا روى بتشديد الباء والياء. وقال الفراء: إنما هو رُبْية، مخفف. أراد بها الربا الذى كان عليهم فى الجاهلية، والدماء التى كانوا يطلبون بها.. والمعنى أنه أُسقط عنهم ما استسلفوه فى الجاهلية من سلف، أو جنوه من جناية، أسقط عنهم كل دم كانوا يطلبون به وكل ربًا كان عليهم إلا رءوس أموالهم فإنهم يردُّونها، وقد تكرر ذكره فى الحديث، والأصل فيه الزيادة من ربا المال إذا زاد وارتفع.

والاسم الرِّبا مقصور، وهو فى الشرع الزيادة على أصل المال من غير عقد تبايع، وله أحكام كثيرة فى الفقه، والذى جاء فى الحديث ربِّية، بالتشديد، قال ابن الأثير، ولم يعرف فى اللغة. قال الزمخشرى: سبيلها أن تكون فعُّولة من الرِّبا...

وفى حديث طهفة: من أبى فعليه الرِّبْوَة، أى من تقاعد عن أداء الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة الواجبة عليه كالعقوبة له، ويروى: من أقر بالجزية فعليه الرِّبوة، أى من امتنع عن الإسلام لأجل الزكاة كان عليه من الجزية أكثر ما يجب عليه بالزكاة(لسان العرب ١٨ / ١٥٧٢، ١٥٧٣).

يقول الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى: الربا هو الزيادة فى أشياء من المال مخصوصة، وهو نوعان: ربا فضل، وربا نسيئة.

فربا الفضل: هو بيع الجنس الواحد مما يجرى فيه الربا بجنسه متفاضلا، وذلك كبيع قنطار قمح بقنطار وربع من القمح مثلاً، أو بيع صاع تمر بصاع ونصف من التمر مثلا، أو بيع أوقية فضة ودرهم من فضة مثلاً.

وربا النسيئة قسمان: ربا الجاهلية، وهو الذى قال تعالى فى تحريمه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة.﴾ [آل عمران: ١٣٠]. وحقيقته أن يكون للمرء على آخر دين مؤجل، ولما يحل أجله يقول له: إما أن تقضينى أو أزيد عليك - فإن لم يقضه زاد عليه نسبة من المال وانتظره مدة أخرى، وهكذا حتى يتضاعف فى فترة من الزمن إلى أضعاف، ومن ربا الجاهلية أيضًا: أن يعطيه عشرة مثلا بخمسة عشر إلى أجل قريب أو بعيد.

وربا نسيئة، وهو بيع الشىء الذى يجرى فيه الربا كأحد النقدين، أو البر أو الشعير، أو التمر بآخر يدخله الربا نسيئة، وذلك كأن يبيع الرجل قنطارًا تمرًا بقنطار قمحًا إلى أجل مثلا، أو يبيع عشرة دنانير ذهبا بمائة وعشرين درهمًا فضة إلى أجل مثلاً.

حكمه: الربا محرم بقول الله تعالى: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وبقوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾ [آل عمران: ١٣٠] وبقول الرسول ﷺ: «لعن الله آكل الربا ومؤكله، وشاهديه، وكاتبه» (رواه أصحاب السنن وصححه الترمذى) وقوله: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية» (أحمد بسند صحيح). وقوله ﷺ: «الربا ثلاثة وسبعون بابًا أيسرها أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم» (رواه الحاكم وصححه). وقوله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: يا رسول الله ما هى؟. قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (متفق عليه) (منهاج المسلم/ ٣٧٥، ٣٧٦).

وقد عده الإمام الشمس الذهبى الكبيرة الثانية عشرة من الكبائر التى أحصاها فى كتابه (الكبائر/ ٤٧-٤٩).

وقال الإمام الشيخ الفشينى فى شرحه نظم غاية التقريب: الربا هو بالقصر، وألفه بدل من واو يكتب بها، وبالياء أيضا لغة: الزيادة، قال تعالى « اهتزت وربت» أى زادت ونمت. وشرعا: عقد على عوض غير معلوم التماثل فى معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير فى البدلين أو أحدهما. وهو على ثلاثة أنواع: ربا الفضل، وهو البيع مع زيادة أحد العوضين على الآخر. وربا اليد، وهو البيع مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما. وربا النسيئة، وهو البيع لأجل: أى بيع مال بمال نسيئة. وزاد المتولى رابعا وهو: ربا القرض بأن يقرضه مالا بمثله بشرط جر منفعة. قال ابن عمر: كل قرض جر منفعة فهو وجه من وجوه الربا، والأصل فى تحريم الربا قبل الإجماع قوله تعالى ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ [البقرة: ٢٧٥] وقوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا﴾ [البقرة: ٢٧٨] وقوله ﷺ «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه» وهو من الكبائر. وقال الماوردى: لم يحل فى شريعة قط لقول الله تعالى ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾[النساء: ١٦١] يعنى فى الكتب السالفة. ويقال إنه علامة على سوء الخاتمة كإيذاء أولياء الله تعالى. (تحفة الحبيب/ ١٣٦).

وعن تحريم الربا فى الإسلام يقول الأستاذ الدكتور رءوف شلبى بادئا بلمحة سريعة عن تاريخ التعامل الربوى.

١ ـ التعامل الربوى كان ظاهرة فى بعض البلدان القديمة بصورة صغيرة أو كبيرة وبخاصة فى المدن التى لم يمكن لها دين سماوى، وقد حرم الأنبياء جميعًا التعامل بالربا حتى فى البيئة الأوروبية لم يجرؤ أحد من أهل الأديان على إباحته حتى كانت الثورة الفرنسية التى كان من خلفها نشاط يهودى غير معلن فقررت الجمعية العمومية بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٧٨٩ إباحة التعامل بالربا.

٢ ـ ولم تكن الجاهلية فى بلاد العرب بمنأى عن مثل هذا النشاط لاسيما ولليهود مقام فى بعض نواحيها فهم أساتذة النشاط الربوى إذ قالوا: **﴿ليس علينا فى الأميين سبيل﴾** [آل عمران: ٧٥] فقد كانت المعاملات الربوية قائمة كسائر أسواق البشر.

٣ ـ حتى جاء الإسلام فوضع لها منهجًا للعلاج ووضع حكمًا ثابتًا لا ينبغى أن يتعداه المسلم.

أما المنهج فقد اشتمل على أربع مراحل:

الأولى: أن الإسلام فى العهد المكى هيأ المشاعر للاشمئزاز من كلمة الربا ومن مفهومه فقال الله تعالى:

﴿وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المُضْعَفون﴾ [الروم: ٣٩].

فجعل كلمة الزكاة نورانية المفهوم، وجعل كلمة الربا مظلمة قاتمة فى الإدراك والمعنى.

الثانية: لما انتقل الإسلام إلى المدينة المنورة وجاور المسلمون أهل الكتاب وهم أصل البلية العالمية فى التعامل الربوى فقد صور القرآن الكريم سوء هيئة المتعاملين بالربا وقبح حياتهم وفساد معيشتهم فقال الله تعالى:

﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرًا * وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

فهذا درس يسوقه الله سبحانه وتعالى بما قصه عن اليهود الذين اعتدوا على حكم الله فأكلوا الربا وقد نهوا عنه فعاقبهم بما حرمه عليهم من الطيبات وما أعده لهم من العذاب الأليم.

الثالثة: تحريم الربا فى أعلى صوره البشعة فإن الجريمة إذا استشرت استوى صغيرها وكبيرها فقال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون * واتقوا النار التى أعدت للكافرين * وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾** [آل عمران: ١٣٠ ـ ١٣٢].

فنعت الآية على المرابين بهذه الصورة البشعة وأطالت فى تصوير عقاب المرابين حيث أمرت بالتقوى فى جانبها الربانى للحصول على الفلاح، وأمرت بالتقوى فى جانبها الوقائى من النار التى أعدت للكافرين فكأنما يلحق آكلوا الربا بهؤلاء فى مستقر جهنم ثم أمرت بالطاعة لله ولرسوله من أجل الحصول على الرحمة فى الدنيا والآخرة.

وليس جيدًا أن نفهم أن الربا المحرم هو ما كان أضعافًا مضاعفة فقط أما إذا كان غير ذلك فهو جائز فإن الآية تقصد حصر الشىء فى حكمه لا حصر الحكم فى هذا الشىء فقط.

وقد روى عن الإمام أبى حنيفة قوله: هذه الآية أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله تعالى المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه فى اجتناب محارمه.

الرابعة: الإفصاح عن التعامل الربوى مفهومه وعقابه وحرمته فقد جاءت سورة البقرة بآيات بينات تبين طبيعة أكل الربا بأنه يعيش كالذى مسه شيطان، وتوعد آكله بالنار، وتفضيل أهل الزكاة بالحسنات وعدم الخوف والحزن يوم القيامة ثم تحديد رأس المال بصورة واضحة **﴿لا تَظلمون ولا تُظلمون﴾** [البقرة: ٢٧٩].

وعند التجاحد فى سداد الدين فليس لصاحب رأس المال سوى أمرين:

١ ـ إما نظرة إلى ميسرة إن كان شحيحًا بخيلاً.

٢ ـ أو عفو وتصدق إن كان كريمًا سمحًا.

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون * وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون * واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾ [البقرة: ٢٧٥ـ ٢٨١].

وهذه الآيات هى آخر آيات نزلت فى تشريع الربا.

فقد روى عن سيدنا عمر أن قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا . . .**﴾ من آخر ما نزل من القرآن بل روى عن ابن عباس فى صحيح البخارى أنها آخر ما نزل من القرآن كله.

وأما الآيات التى قبلها فيحتمل أن تكون نزلت قبلها كالتمهيد لها، ويحتمل أن تكون نزلت معها وهو الظاهر الذى أرجحه وأميل إليه لأنها نفرت من الربا وصورت المرابين بأبشع صورة، وأبطلت شبهاتهم التى كانوا يتعلقون بها بذلك ولم تبق لهم معذرة يتعللون بها ولا شبهة يتمسحون فيها.

فجاء قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا . . .**﴾ تحريمًا مؤبدًا مؤكدًا وإنذارًا قطع كل الأعذار. (راجع «نظرة الإسلام إلى الربا» ص ٤٧ / ٤٩ للمرحوم الأستاذ الدكتور أبى شهبة).

ثم ينتقل الأستاذ الدكتور رءوف شلبى إلى الكلام على حكم الربا فى الإسلام فيقول حكم الربا فى الإسلام:

وإذن فقد حرم القرآن الكريم الربا تحريمًا قاطعًا دون شبهة ولا تعلة لمن كان حريصًا على أن يلقى الله بقلب سليم.

السنة النبوية وتحريم الربا:

يقول المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز:

إلى جانب هذه النصوص القرآنية، نجد فى بيان السنة النبوية ما هو أكثر تفصيلا وأشد صرامة، فإن الرسول ـ صلوات الله عليه لم يكتف بتحريم الربا على آكله كما ورد فى القرآن الكريم، ولم يكتف بجعل المعطى والآخذ والكاتب والشاهد سواء فى اللعن والإجرام، بل إنه أحاط هذه الجريمة بنطاق من الذرائع والملابسات جعلها حمى محرمًا تحريم الوسائل الممهدة إلى الحرمة الأصلية.

والطريف فى أمر هذه الإضافة أنه جعل التحريم فيها على مراتب متفاوتة فى تدرج حكم يتنقل من الحظر الكلى إلى الإباحة التامة رويدا رويدًا، مارًا بكل المراتب المتوسطة بينهما. .

هذه القاعدة الجديدة ليس موضوعها القروض، ولا الديون المتقررة، بل عقود البيع أو بالأحرى المقايضات، فبعض هذه المقايضات حظر الرسول الحكيم أن تكون مؤجلة، ولو بدون ربح، وأن يؤخذ فيها ربح ولو كانت يدًا بيد، وبعضها منع التأجيل فيها دون التفاضل وبعضها لم يمنع فيها واحدًا منها. (إن المحظور الذى يسميه جمهور الفقهاء ربا الفضل: ويسميه ابن القيم الربا الخفى (قالت المؤلفة: يأتى الكلام عليه فيما بعد إن شاء الله تعالى) كان موضع اختلاف بين الصحابة، وكان جمهورهم على القول بحرمته، أما بعض الباحثين المعاصرين الذين ظنوا أن هذا الاختلاف كان فى شأن الربا القليل فقد التبس عليهم الأمر التباسًا يؤسف له).

وإليكم نص التشريع المذكور فى شأن المقايضات:

يقول الرسول ـ ﷺ ـ فيما رواه البخارى ومسلم وغيرهما: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والقمح بالقمح، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، يدًا بيد سواء بسواء فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا

بيد». (وفى رواية أخرى: «الدرهم بالدرهم، والدينار بالدينار. إلخ» ويلوح أن هذه الرواية هى التى اعتمد عليها معاوية فى فتواه).

وقف أهل الظاهر بهذا الحظر عند الأنواع الواردة فى الحديث وذهبت سائر المدارس الفقهية إلى اعتبار هذه الأنواع أمثلة من قاعدة عامة لتنطبق على سائر المواد التى تقوم عليها الحياة، والتى مردها ــ فى الرأى الراجح عند الفقهاء ــ إلى نوعين: الأثمان والمطعومات.

ومهما يكن من أمر فى شأن هذا الاختلاف الفرعى؛ فإن هذه القاعدة تقضى بتقسيم الأشياء التى يراد تبادلها إلى ثلاثة أضرب: الضرب الأول: أن يكون البدلان من نوع واحد، كالذهب بالذهب، فهنا يخضع التبادل لشرطين اثنين: التساوى فى الكم، والفورية فى التبادل، أعنى عدم تأجيل شىء من البدلين لاتحاد البدلين فى النوع والكم.

الضرب الثانى: أن يكونا من نوعين مختلفين من جنس واحد، كالذهب بالفضة، وكالقمح بالشعير، فهنا يشترط شرط واحد، وهو الفورية فلا يضر اختلاف الكم لعدم التساوى فى النوع.

الضرب الثالث: أن يكونا من جنسين مختلفين كالفضة والطعام، فلا يشترط فى هذا شىء من القيدين المذكورين بل يكون التقابض فيهما حرًا.

هكذا كلما كان البدلان من طبيعتين مختلفتين تمام الاختلاف، بحيث لا توجد شبهة القصد إلى القرض بفائدة، فإن الشريعة لا تضع أمام حرية التبادل حدًا من الحدود، اللهم إلا المبدأ العام فى المعاملة، وهو تحرى الصدق والأمانة.

فإذا ما أخذت طبيعة البدلين تتقارب، بدون أن تتحد، نرى عند المشرع شيئًا من الحذر المعقول المبنى على احتمال أن يكون المتعاملان يقصدان إلى معاملة ربوية، ولذلك نجده مع ترخيصه لهما بتفاوت البدلين فى الكم يحظر عليهما تأجيل أحد العوضين سدًا للطريق أمام فكرة القرض المحرم تحت ستار البيع.

أما إذا اتحدت طبيعة البدلين (مع التفاوت فى الأوصاف والقيم طبعًا، وإلا لما كان هناك معنى التبادل) فإنه من السهل أن نفهم الحكمة التى من أجلها منع تأجيل البدل، وذلك من شأن هذا التأجيل أن يحمل فى طيه فكرة محظورة، وأن يكون القصد هو القرض باسم البيع (نقلا عن كتاب «دراسات إسلامية» ص ١٦٠ / ١٦٢ للمرحوم فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز).

ونحن إذا تأملنا فى هذا الموضع نجده ينطوى على حكمة عميقة ويقوم على مبدأ سليم من مبادىء التشريعين المدنى والاقتصادى ذلك أنه حيث يكون هناك كميتان متساويتان من نوع واحد، ولكن إحداهما تمتاز بجودة أوصافها لا يكون هناك مجال للتردد فى أى المتبايعين أوفر حظا؟. فالذى يقبل الصنف الأقل جودة يقبله بملء حريته عن سماحة نفس وكرم طبع، وهو عالم بما يفعل، وليس الأمر كذلك فى الحال التى تكون فيها الجودة من ناحية يقابلها وفرة فى الكم من الناحية الأخرى، إذ نرى ها هنا تقابلا بين أمرين ليس بين طبيعتيهما مقياس مشترك ثابت صالح (للتقويم) كل منهما بالنسبة إلى هذا الحد المشترك ثم بالنسبة إلى الطرف المقابل (الاقتصاد فى الإسلام/ ٣٨ـ٤٥).

ويتناول الإمام ابن القيم بالشرح كلا من نوعى الربا: ربا النسيئة وقد أسماه الربا الجلى، وربا الفضل وأسماه الربا الخفى فقال فى أعلام الموقعين: الربا نوعان: جلىّ وخفىّ. فالجلى: حرِّم لما فيه من الضرر العظيم.

والخفى: حرِّم لأنه ذريعة إلى الجلىِّ، فتحريم الأول قصدًا، وتحريم الثانى وسيلة.

ربا النسيئة:

فأما الجلى فربا النسيئة، وهو الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية مثل أن يؤخر دينه، ويزيده فى المال، وكلما أخره زاد فى المال، حتى تصير المائة عنده آلافا مؤلفة، وفى الغالب لا يفعل ذلك إلا معدم محتاج فإذا رأى أن المستحق يؤخر مطالبته، ويصبر عليه بزيادة يبذلها له، تكلف بذلها ليفتدى من أسر المطالبة والحبس، ويدافع من وقت إلى

وقت، فيشتد ضرره، وتعظم مصيبته، ويعلوه الدَّين، حتى يستغرق جميع موجوده، فيربو المال على المحتاج من غير نفع يحصل له، ويزيد مال المرابى من غير نفع يحصل منه لأخيه، فيأكل مال أخيه بالباطل، ويحصل أخوه على غاية الضرر، فمن رحمة أرحم الراحمين، وحكمته وإحسانه إلى خلقه أن حرم الربا، ولعن آكله، ومؤكله، وكاتبه وشاهديه، وآذن من لم يدعه بحربه، وحرب رسوله، ولم يجىء مثل هذا الوعيد فى كبيرة غيره، ولهذا كان من أكبر الكبائر (انظر الكبيرة الثانية عشرة فى كتاب الكبائر للذهبى / ٤٧ ـ ٤٩).

وسئل الإمام أحمد عن الربا الذى لا شك فيه، فقال هو أن يكون لـه دين، فيقول له: أتقضى أم تربى، فإن لم يقضه زاده فى المال، وزاده هذا فى الأجل، وقد جعل الله سبحانه الربا ضد الصدقة. فالمرابى ضد المتصدق، قال الله تعالى: ﴿يمحق الله الربا ويربى الصدقات﴾ [البقرة: ٢٧٦]. وقال: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس، فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ [الروم: ٣٩]، وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة، واتقوا الله لعلكم تفلحون* واتقوا النار التى أعدت للكافرين﴾ [آل عمران: ١٢٩، ١٣٠] ثم ذكر الجنة التى أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء، وهؤلاء ضد المرابين، فنهى سبحانه عن الربا الذى هو ظلم للناس، وأمر بالصدقة التى هى إحسان إليهم.

وفى الصحيحين من حديث ابن عباس عن أسامة بن زيد أن النبى ﷺ قال: «إنما الربا فى النسيئة» ومثل هذا يراد به حصر الكمال، وأن الربا الكامل إنما هو فى النسيئة، كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هم المؤمنون حقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ــ ٤] وكقول ابن مسعود: إنما العالِم الذى يخشى الله.

ربا الفضل:

فصل: وأما ربا الفضل فتحريمه من باب سد الذرائع، كما صرح به فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين، فإنى أخاف عليكم الرَّما» والرما: هو الربا.

فمنعهم من ربا الفضل، لما يخافه عليهم من ربا النسيئة، وذلك أنهم إذا باعوا درهما بدرهمين، ولا يفعل هذا إلا للتفاوت الذى بين النوعين، إما فى الجودة، وإما فى السَّكة، وإما فى الثقل والخفة، وغير ذلك تدرجوا بالربح المعجل فيها إلى الربح المؤخر، وهو نوعين ربا النسيئة، وهذه ذريعة قريبة جدًّا، فمن حكمة الشارع أن سد عليهم هذه الذريعة، ومنعهم من بيع درهم بدرهمين نقدًا ونسيئة، فهذه حكمة معقولة مطابقة للعقول، وهى تسد عليهم باب المفسدة (انظر تعليق الأستاذ الدكتور على السالوسى فى كتابه البنوك والاستثمار ص ٢٦، ٢٧).

تحريم ربا الفضل فى ستة أعيان.

فإذا تبين هذا، فنقول: الشارع نص على تحريم ربا الفضل فى ستة أعيان، وهى: الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح، فاتفق الناس على تحريم التفاضل فيها مع اتحاد الجنس، وتنازعوا فيما عداها.

التنازع فى تحريم غير ستة الأعيان السالفة

فطائفة: قصرت التحريم عليها، وأقدم من يروى هذا عنه قتادة، وهو مذهب أهل الظاهر واختيار ابن عقيل فى آخر مصنفاته مع قوله بالقياس، قال: لأن علل القياسين فى مسألة الربا علل ضعيفة، وإذا لم تظهر فيه علة امتنع القياس.

وطائفة: حرمته فى كل مكيل وموزون بجنسه، وهذا مذهب عمار وأحمد فى ظاهر مذهبه وأبى حنيفة.

وطائفة خصته بالطعام، وإن لم يكن مكيلا، ولا موزونا، وهو قول الشافعى، ورواته عن الإمام أحمد.

وطائفة: خصته بالطعام، إذا كان مكيلا أو موزونًا، وهو قول سعيد بن المسيب، ، ورواية عن أحمد، وقول للشافعى.

وطائفة: خصته بالقوت. وما يصلحه، وهو قول مالك، وهو أرجح هذه الأقوال كما ستراه.

علة تحريم ربا الفضل فى الدراهم والدنانير

وأما الدراهم والدنانير، فقالت طائفة: العلة فيهما،

كونهما موزونين وهذا مذهب أحمد فى إحدى الروايتين عنه، ومذهب أبى حنيفة.

وطائفة: قالت العلة فيهما الثمينة، وهذا قول الشافعى ومالك وأحمد فى الرواية الأخرى، وهذا هو الصحيح بل الصواب، فإنهم أجمعوا على جواز إسلامهما فى الموزونات من النحاس والحديد وغيرهما، فلو كان النحاس والحديد ربويين لم يجر بيعهما إلى أجل بدراهم نقدًا، فإن ما يجرى فيه الربا إذا اختلف جنسه، جاز التفاضل فيه دون النساء، والعلة إذا انتقضت من غير فرق مؤثر دل على بطلانها، وأيضًا فالتعليل بالوزن ليس فيه مناسبة، فهو طرد محض بخلاف التعليل بالثمنية، فإن الدراهم والدنانير أثمان المبيعات، والثمن هو المعيار به يعرف تقويم الأموال، فيجب أن يكون محدودًا مضبوطًا لا يرتفع ولا ينخفض، إذ لو كان الثمن يرتفع وينخفض كالسلع لم يكن لنا ثمن نعتبر به المبيعات، بل الجميع سلع، وحاجة الناس إلى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية عامة، وذلك لا يمكن إلا بسعر تعرف به القيمة، وذلك لا يكون إلا بثمن تقوَّم به الأشياء، ويستمر على حالة واحدة، ولا يقوَّم هو بغيره، إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض، فتفسد معاملات الناس، ويقع الخلف ويشتد الضرر كما رأيت من فساد معاملاتهم، والضرر اللاحق بهم حين اتخذت الفلوس سلعة تعد للربح، فعم الضرر وحصل الظلم، ولو جعلت ثمنًا واحدًا لا يزداد ولا ينقص بل تقوَّم به الأشياء، ولا تقوم هى بغيرها لصلح أمر الناس، فلو أبيح ربا الفضل فى الدراهم والدنانير مثل أن يعطى صحاحًا ويأخذ مكسرة، أو خفافًا ويأخذ ثقالا أكثر منها، لصارت متجرًا. أو جر ذلك إلى ربا النسيئة فيها ولا بد. فالأثمان لا تقصد لأعيانها، بل يقصد التوصل بها إلى السلع. فإذا صارت فى أنفسها سلعًا لأعيانها فسد أمر الناس، وهذا معنى معقول يختص بالنقود لا يتعدى إلى سائر الموزونات.

حكمة تحريم الربا فى المطعومات.

فصل: وأما الأصناف الأربعة المطعومة فحاجة الناس إليها أعظم من حاجتهم إلى غيرها؛ لأنها أقوات العالم وما يصلحها، فمن رعاية مصالح العباد أن منعوا من بيع بعضها ببعض إلى أجل، سواء اتحد الجنس أو اختلف ومنعوا من بيع بعضها ببعض حالا متفاضلا، وإن اختلف صفاتها، وجوز لهم التفاضل فيها مع اختلاف أجناسها.

وسر ذلك: والله أعلم أنه لو جوز بيع بعضها ببعض نساء لم يفعل ذلك أحد إلا إذا ربح، وحينئذ تسمح نفسه ببيعها حالة لطمعه فى الربح فيعز الطعام على المحتاج، ويشتد ضرره.

وعامة أهل الأرض ليس عندهم دراهم، ولا دنانير لا سيما أهل العمود والبوادى، وإنما يتناقلون الطعام بالطعام، فكان من رحمة الشارع بهم وحكمته أن منعهم من ربا النساء فيها، كما منعهم من ربا النَّساء فى الأثمان، إذ لو جوز لهم النساء فيها لدخلها: إما أن تقضى وإما أن تربى، فيصير الصاع الواحد لو أخذ قفزانًا كثيرة، ففطموا عن النساء، ثم فطموا عن بيعها متفاضلا يدا بيد، إذ تجرهم حلاوة الربح، وظفر الكسب إلى التجارة فيها نساء، وهو عين المفسدة.

قالت: المؤلفة: الصاع: مكيال تكال به الحبوب وتحوها، وقدَّره أهل الحجاز قديما بأربعة أمداد، أى بما يساوى عشرين ومائة ألف درهم، وقدره أهل العراق قديما بثمانية أرطال (المعجم الوسيط١/٥٢٨). أما القفيز، وقد وردت هنا بصيغة الجمع «قفزان» فهو مكيال كان يُكال به قديما، ويختلف مقداره فى البلاد، ويعادل بالتقدير المصرى الحديث نحو ستة عشر كليو جراما (المعجم الوسيط ٢/ ٧٥١) اهـ.

ونعود إلى كلام الإمام ابن القيم الذى يقول:

وهذا بخلاف الجنسين المتباينين فإن حقائقهما وصفاتهما ومقاصدهما مختلفة، ففى إلزامهم المساواة فى بيعها إضرار بهم، ولا يفعلونه فى تجويز النساء بينهما ذريعة إلى: إما أن تقضى وإما أن تربى.

فكان من تمام رعاية مصالحهم أن قصرهم على بيعها يدا بيد كيف شاء فحصلت لهم مصلحة المبادلة واندفعت عنهم مفسدة: إما أن تقضى وإما أن تربى، وهذا بخلاف ما إذا

بيعت بالدراهم أو غيرها من الموزونات نَسَاء فإن الحاجة داعية إلى ذلك، فلو منعوا منه لأضر بهم، ولامتنع السلم الذى هو من مصالحهم فيما هم محتاجون إليه أكثر من غيرهم، والشريعة لاتأتى بهذا، وليس بهم حاجة فى بيع هذه الأصناف بعضها ببعض نَسَاء، وهو ذريعة قريبة إلى مفسدة الربا، فأبيح لهم فى جميع ذلك ما تدعو إليه حاجتهم، وليس بذريعة إلى مفسدة راجحة، ومنعوا مما لا تدعو لحاجة إليه، ويتذرع به غالبا إلى مفسدة راجحة.

يوضح ذلك: أن من عنده صنف من هذه الأصناف وهو محتاج إلى الصنف الآخر، فإنه يحتاج إلى بيعه بالدراهم، ليشترى الصنف الآخر كما قال النبى ﷺ: «بع الجَمْع بالدراهم، ثم اشتر بالدراهم جنيبا» أو تبيعه بذلك الصنف نفسه بما يساوى، وعلى كلا التقديرين يحتاج إلى بيعه حالا بخلاف ما إذا مكن من النَّسَاء، فإنه حينئذ يبيعه بفضل، ويحتاج أن يشترى الصنف الآخر بفضل، لأن صاحب ذلك الصنف يربى عليه، كما أربى هو على غيره، فينشأ من النَّسَاء تضرر بكل واحد منهما.

(الجَمْع بفتح الجيم وسكون الميم: كل لون من النخيل لا يعرف اسمه، وقيل: هو تمر مختلط من أنواع متفرقة، وليس مرغوبا فيه، يخلط إلا لرداءته، والجنيب نوع جيد من التمر).

والنَّسَاء ههنا فى صنفين، وفى النوع الأول فى صنف واحد، وكلاهما منشأ الضرر والفساد. وإذا تأملت ما حرم فيه النساء رأيته إما صنفا واحدا أو صنفين، مقصودهما واحد أو متقارب، كالدراهم والدنانير والبُر والشعير والتمر والزبيب، فإذا تباعدت المقاصد لم يحرم النساء كالبُر والثياب والحديد والزيت.

يوضح ذلك: أنه لو مكن من بيع مُدٍّ حنطة بمُدَّين كان ذلك تجارة حاضرة فتطلب النفوس التجارة المؤخرة للذة الكسب وحلاوته، فمنعوا من ذلك حتى منعوا من التفرق قبل القبض إتماما لهذه الحكمة، ورعاية لهذه المصلحة، فإن المتعاقدين قد يتعاقدان على الحلول والعادة جارية بصبر أحدهما على الآخر، وكما يفعل أرباب الحيل يطلقون العقد وقد تواطئوا على أمر آخر، كما يطلقون عقد النكاح، وقد اتفقوا على التحليل، ويطلقون بيع السلعة إلى أجل وقد اتفقوا على أنه يعيدها إليه بدون ذلك الثمن، فلو جوز لهم التفرق قبل القبض لأطلقوا البيع حالا، وأخروا الطلب لأجل الربح فيقعوا فى نفس المحذور.

قالت المؤلفة: المُدُّ: مكيال قديم اختلف الفقهاء فى تقديره بالكيل المصرى، فقدره الشافعية بنصف قدح، وقدره المالكية بنحو ذلك. وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز، وعند أهل العراق رطلان، والجمع أَمْدَاد ومِداد (المعجم الوسيط ٢ / ٨٥٨).

يقول الإمام ابن القيم:

وسر المسألة: أنهم منعوا من التجارة فى الأثمان بجنسها؛ لأن ذلك يفسد عليهم مقصود الأثمان، ومنعوا من التجارة فى الأقوات بجنسها؛ لأن ذلك يفسد عليهم مقصود الأقوات، وهذا المعنى بعينه موجود فى بيع التبر والعين، لأن التبر ليس فيه صنعة يقصد لأجلها، فهو بمنزلة الدراهم التى قصد الشارع إلا يفاضل بينهما، ولهذا قال: تِبْرها وعينها سواء، فظهرت حكمة تحريم ربا النَّساء فى الجنس والجنسين وربا الفضل فى الجنس الواحد وأن تحريم هذا تحريم المقاصد، وتحريم الآخر تحريم الوسائل، وسد الذرائع ولهذا لم يبح شىء من ربا النسيئة.

ما أبيح من ربا الفضل

فصل: وأما ربا الفضل، فأبيح منه ما تدعو إليه الحاجة: كالعرايا، فإن ما حرم سدا للذريعة أخف مما حرم تحريم المقاصد. وعلى هذا فالمصوغ والحلية إن كانت صياغته محرمة، كالآنية حرم بيعه بجنسه وغير جنسه، وبيع هذا هو الذى أنكره عُبادة على معاوية، فإنه يتضمن مقابلة الصياغة المحرمة بالأثمان، وهذا لا يجوز كآلات الملاهى.

وأما إن كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلية النساء، وما أبيح من حلية السلاح وغيرها، فالعاقل لا يبيع هذه بوزنها من جنسها، فإنه سفه وإضاعة للصنعة، والشارع أحكم من أن يلزم الأمة بذلك، فالشريعة لا تأتى به. ولا تأتى بالمنع من بيع ذلك وشرائه لحاجة الناس إليه.

فلم يبق إلا أن يقال : لا يجوز بيعها بجنسها البتة ، بل يبيعها بجنس آخر ، وفى هذا من الحرج والعسر والمشقة ما تنفيه الشريعة ، فإن أكثر الناس ليس عندهم ذهب يشترون به ما يحتاجون إليه من ذلك والبائع لا يسمح ببيعه ببُر وشعير وثياب ، وتكليف الاستصناع لكل من احتاج إليه إما متعذر أو متعسر، والحيل باطلة فى الشرع .

وقد جوز الشارع بيع الرطب بالتمر لشهوة الرطب ، وأين هذا من الحاجة إلى بيع المصوغ الذى تدعو الحاجة إلى بيعه وشرائه ، فلم يبق إلا جواز بيعه كما تباع السلع ، فلو لم يجز بيعه بالدراهم فسدت مصالح الناس .

والنصوص الواردة عن النبى ﷺ ليس فيها ما هو صريح فى المنع ، وغايتها : أن تكون عامة أو مطلقة ، ولا ينكر تخصيص العام ، وتقييد المطلق بالقياس الجلى ، وهى بمنزلة نصوص وجوب الزكاة فى الذهب والفضة .

والجمهور يقولون : لم تدخل فى ذلك الحلية ، ولا سيما فإن لفظ النصوص فى الموضعين قد ذكر تارة بلفظ الدراهم والدنانير، كقوله : «الدراهم بالدراهم والدنانير بالدنانير» وفى الزكاة قوله : «فى الرقة ربع العشر» والرقة هى الوَرِق ، وهى الدراهم المضروبة ، وتارة بلفظ الذهب والفضة . فإن حمل المطلق على المقيد كان نهيا عن الربا فى النقدين وإيجابا للزكاة فيهما ، ولا يقتضى ذلك نفى الحكم عن جملة ما عداهما ، بل فيه تفصيل ، فتجب الزكاة ، ويجرى الربا فى بعض صوره ، لا فى كلها وفى هذا توفية الأدلة حقها ، وليس فيه مخالفة بشىء الدليل منها .

يوضحه : أن الحلية المباحة صارت بالصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع . لا من جنس الأثمان ، ولهذا لم تجب فيها الزكاة ، فلا يجرى الربا بينها وبين الأثمان ، كما لا يجرى بين الأثمان ، وبين سائر السلع ، وإن كانت من غير جنسها ، فإن هذه بالصناعة قد خرجت من مقصود الأثمان ، وأعدت للتجارة ، فلا محذور فى بيعها بجنسها ، ولا يدخلها : (إما أن تقضى وإما أن تربى) ، إلا كما يدخل فى سائر السلع إذا بيعت بالثمن المؤجل ، ولا ريب أن هذا قد يقع فيها ، لكن لو سد على الناس ذلك لسد عليهم باب الدَّين ، وتضرروا بذلك الضرر .

يوضحه أن الناس على عهد نبيهم - ﷺ - كانوا يتخذون الحلية وكان النساء يلبسنها ، وكن يتصدقن بها فى الأعياد وغيرها . ومن المعلوم بالضرورة أنه كان يعطيها للمحاويج ويعلم أنهم يبيعونها ، ومعلوم قطعا أنها لا تباع بوزنها فإنه سفه ، ومعلوم أن مثل الحلقة والخاتم والفتخة لا تساوى دينارا ، ولم يكن عندهم فلوس يتعاملون بها . وهم كانوا أتقى لله وأفقه فى دينه ، وأعلم بمقاصد رسوله من أن يرتكبوا الحيل أو يعلموها الناس (الفتخة بسكون التاء وفتحها ، خاتم كبير يكون فى اليد والرِّجل أو حلقه من فضة كالخاتم) يوضحه : أنه لا يعرف عن أحد من الصحابة أنه نهى أن يباع الحلى إلا بغير جنسه ، أو بوزنه ، والمنقول عنهم إنما هو فى الصرف .

يوضحه : أن تحريم ربا الفضل إنما كان سدا للذريعة كما تقدم بيانه ، وما حرم سدا للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة كما أبيحت العرايا من ربا الفضل ، وكما أبيحت ذوات الأسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر ، وكما أبيح النظر للخاطب والشاهد والطبيب والمعامل من جملة النظر المحرم .

وكذلك تحريم الذهب والحرير على الرجال حرم لسد ذريعة التشبيه بالنساء الملعون فاعله ، وأبيح منه ما تدعو إليه الحاجة ، وكذلك ينبغى أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من وزنها . لأن الحاجة تدعو إلى ذلك . وتحريم التفاضل إنما كان سدا للذريعة . فهذا محض القياس ، ومقتضى أصول الشرع ، ولا تتم مصلحة الناس إلا به ، أو بالحيل ، والحيل باطلة فى الشرع ، وغاية ما فى ذلك جعل الزيادة فى مقابلة الصياغة المباحة المتقومة بالأثمان فى الغصوب وغيرها .

وإذا كان أرباب الحيل يجوزون بيع عشرة بخمسة عشر فى خرقة تساوى فلسا ، ويقولون : الخمسة فى مقابلة الخرقة ، فكيف ينكرون بيع الحلية بوزنها وزيادة تساوى الصناعة؟ وكيف تأتى الشريعة الكاملة التى بهرت العقول

حكمة وعدلا ورحمة وجلالة بإباحة هذا وتحريم ذلك؟ وهل هـذا عكس للعقول والفطر والمصلحة؟ والذى يقضى منه العجب مبالغتهم فى ربا الفضل أعظم مبالغة. حتى منعوا بيع رطل زيت برطل زيت، وحرموا بيع الكسب بالسمسم، وبيع النشا بالحنطة، وبيع الخل بالزبيب، ونحو ذلك، وحرموا بيع مُدّ حنطة ودرهم بمد ودرهم، وجاءوا إلى الفضل النسيئة، ففتحوا للتحيل عليه كل باب، فتارة بالعينة، وتارة بالمحلل، وتارة بالشرط المتقدم المتواطأ عليه، ثم يطلقون العقد من غير اشتراط، وقد علم الله والكرام الكاتبون والمتعاقدان، ومن حضر أنه عقد ربا مقصوده وروحه بيع خمسة عشر مؤجلة بعشرة نقدا ليس إلا!

ودخول السلعة كخروجها حرف جاء لمعنى فى غيره، فهلا فعلوا ههنا كما فعلوا فى مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم، وقالوا: قد يجعل وسيلة إلى ربا الفضل بأن يكون المد فى أحد الجانبين يساوى بعض مد فى الجانب الآخر، فيقع التفاضل!.

فيا لله العجب! كيف حرمت هذه الذريعة إلى ربا الفضل، وأبيحت تلك الذرائع القريبة الموصلة إلى الربا النسيئة بحتا خالصا؟.

وأين مفسدة بيع الحلية بجنسها. ومقابلة الصياغة بحظها من الثمن إلى مفسدة الحيل الربوية التى هى أساس كل مفسدة وأصل كل بلية؟ وإذا حصحص الحق، فليقل المتعصب الجاهل ما شاء. وبالله التوفيق.

المنع من مقابلة الصفات بالزيادة

فإن قيل: الصفات لا تقابل بالزيادة، ولو قوبلت بها لجاز بيع الفضة الجيدة بأكثر منها من الردية، وبيع التمر الجيد بأزيد منه من الرديء، ولما أبطل الشارع ذلك علم أنه منع من مقابلة الصفات بالزيادة.

قيل: الفرق بين الصنعة التى هى أثر فعل الآدمى، وتقابل بالأثمان، ويستحق عليها الأجرة، وبين الصفة التى هى مخلوقة لله لا أثر للعبد فيها. ولا هى من صنعته، فالشارع بحكمته وعدله منع من مقابلة هذه الصفة بزيادة إذ ذلك يفضى إلى نقض ما شرعه من المنع من التفاضل، فإن التفاوت فى هذه الأجناس ظاهر، والعاقل لا يبيع جنسا إلا لما هو بينهما من التفاوت، فإن كانا متساويين من كل وجه لم يفعل ذلك فلو جوز لهم مقابلة الصفات بالزيادة لم يحرم عليهم ربا الفضل، وهذا بخلاف الصياغة التى جوز لهم المعاوضة عليها معه.

يوضحه: أن المعاوضة إذا جازت على هذه الصياغة مفردة جازت عليها مضمومة إلى غير أصلها وجوهرها، إذ لا فرق بينهما فى ذلك.

يوضحه: أن الشارع لا يقول لصاحب هذه الصياغة: بع هذا المصوغ بوزنه واخسر صياغتك.

ولا يقول له: لا تعمل هذه الصياغة، واتركها.

ولا يقول له: تحيل على بيع المصوغ بأكثر من وزنه بأنواع الحيل.

ولم يقل قط لا تبعه إلا بغير جنسه، ولم يحرم على أحد أن يبيع شيئا من الأشياء بجنسه.

فإن قيل: فهب أن هذا قد سلم لكم فى المصوغ، فكيف يسلم لكم فى الدراهم والدنانير المضروبة إذا بيعت بالسبائك مفاضلا، وتكون الزيادة فى مقابلة صناعة الضرب؟

قيل: هذا سؤال قوى وارد.

وجوابه: أن السكة لا تتقوم فيه الصناعة للمصلحة العامة المقصودة منها؛ فإن السلطان يضربها لمصلحة الناس العامة، وإن كان الضارب يضربها بأجرة، فإن القصد بها أن تكون معيارا للناس لا يتجرون فيها كما تقدم، والسكة فيها غير قابلة بالزيادة فى العرف، ولوقوبلت بالزيادة فسدت المعاملة، وانتقضت المصلحة التى ضربت لأجلها، واتخذها الناس سلعة واحتاجت إلى التقويم بغيرها. ولهذا قام الدرهم مقام الدرهم من كل وجه. وإذا أخذ الرجل الدراهم رد نظيرها، وليس المصوغ كذلك، ألا ترى أن الرجل يأخذ مائة خفافا، ويرد خمسين ثقالا بوزنها، ولا يأبى ذلك الآخذ، ولا القابض، ولا يرى أحدهما أنه قد خسر شيئا وهذا بخلاف المصوغ.

والنبى ﷺ وخلفاؤه لم يضربوا درهما واحدا، وأول من ضربها فى الإسلام عبد الملك بن مروان، وإنما كانوا يتعاملون بضرب الكفار.

فإن قيل: فنلزمكم على هذا أن تجوزوا بيع فروع الأجناس بأصولها متفاضلا، فجوزوا بيع الحنطة بالخبز متفاضلا، والزيت بالزيتون والسمسم بالشيرج.

قيل: هذا سؤال وارد أيضا.

وجوابه. أن التحريم إنما يثبت بنص أو إجماع أو تكون الصورة المحرمة بالقياس مساوية من كل وجه للمنصوص على تحريمها، والثلاثة منتفية فى فروع الأجناس مع أصولها. وقد تقدم أن غير الأصناف الأربعة لا يقوم مقامها. ولا يساويها فى إلحاقها بها.

وأما الأصناف الأربعة ففرعها إن خرج عن كونه قوتا لم يكن من الربويات. وإن كانت قوتا كان جنسا قائما بنفسه، وحرم بيعه بجنسه الذى هو مثله متفاضلا، كالدقيق بالدقيق، . والخبز بالخبز، ولم يحرم بيعه بجنس آخر، وإن كان جنسهما واحدا، فلا يحرم السمسم بالشيرج، ولا الهريسة بالخبز، فإن هذه الصناعة لها قيمة، فلا تضيع على صاحبها، ولم يحرم بيعها بأصولها فى كتاب ولا سنة، ولا إجماع ولا قياس، ولا حرام إلا ما حرمه الله. كما أنه لا عبادة إلا ما شرعها الله، وتحريم الحلام كتحليل الحرام.

حكم بيع اللحم بالحيوان

فإن قيل: فهذا ينتقض عليكم ببيع اللحم بالحيوان، فإنكم إن منعتموه نقضتم قولكم، وإن جوزتموه خالفتم النص، وإذا كان النص قد منع من بيع اللحم بالحيوان، فهو دليل على المنع من بيع الخبز بالبر والزيت بالزيتون، وكل ربوى بأصله.

قيل: الكلام فى هذا الحديث فى مقامين.

أحدهما: فى صحته.

والثانى: فى معناه.

أما الأول فهو حديث لا يصح موصولا، وإنما هو صحيح مرسلا، فمن لم يحتج بالمرسل لم يرد عليه، ومن رأى قبول المرسل مطلقا، أو مراسيل سعيد بن المسيب، فهو حجة عنده.

قال أبو عمر: لا أعلم حديث النهى عن بيع اللحم بالحيوان متصلا عن النبى ﷺ من وجه ثابت، وأحسن أسانيده مرسل سعيد بن المسيب، كما ذكره مالك فى موطئه.

وقد اختلف الفقهاء فى القول بهذا الحديث والعمل به والمراد منه، فكان مالك يقول: معنى الحديث تحريم التفاضل فى الجنس الواحد حيوانه بلحمه، وهو عنده من باب المزابنة والغرر والقمار، لأنه لا يدرى: هل فى الحيوان مثل اللحم الذى أعطى أو أقل أو أكثر، وبيع اللحم باللحم لا يجوز متفاضلا، فكان بيع الحيوان باللحم، كبيع اللحم المغيب فى جلده بلحم، إذا كان من جنس واحد، قال: وإذا اختلف الجنسان، فلا خلاف عن مالك وأصحابه: أنه جائز حينئذ بيع اللحم بالحيوان.

وأما أهل الكوفة كأبى حنيفة وأصحابه، فلا يأخذون بهذا الحديث، ويجوزون بيع اللحم بالحيوان مطلقا.

وأما أحمد، فيمنع بيعه بحيوان من جنسه، ولا يمنع بيعه بغير جنسه، وإن منعه بعض أصحابه.

وأما الشافعى: فيمنع بيعه بجنسه وبغير جنسه، وروى الشافعى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن جزورا نحرت على عهد أبى بكر الصديق، فقسمت على عشرة أجزاء، فقال رجل: أعطونى جزءا منها بشاة. فقال أبو بكر: لا يصلح هذا.

قال الشافعى: ولست أعلم لأبى بكر فى ذلك مخالفا من الصحابة.

والصواب: فى هذا الحديث أن المراد به إذا كان الحيوان مقصودا للحم، كشاة يقصد لحمها، فتباع بلحم، فيكون قد باع لحما بلحم أكثر منه من جنس واحد، واللحم قوت موزون، فيدخله ربا الفضل.

وأما إذا كان الحيوان غير مقصود به اللحم. كما إذا كان غير مأكول أو مأكولا لا يقصد لحمه كالفرس تباع بلحم إبل

فهذا لا يحرم بيعه به. بقى إذا كان الحيوان مأكولا لا يقصد لحمه، وهو من غير جنس اللحم، فهذا يشبه المزابنة بين الجنسين كبيع صُبْرة تمر بصُبْرة زبيب (الصبرة: الكومة من الطعام، ويقال: اشترى الطعام صبرة: جزافا بلا كيل) وأكثر الفقهاء لا يمنعون من ذلك، إذ غايته التفاضل بين الجنسين، والتفاضل المتحقق جائز بينهما، فكيف بالمظنون؟ وأحمد فى إحدى الروايتين عنه يمنع ذلك، لا لأجل التفاضل، ولكن لأجل المزابنة وشبه القمار، وعلى هذا فيمتنع بيع اللحم بحيوان من غير جنسه والله أعلم (أعلام الموقعين ٢ / ١٣٧ - ١٥١).

وفى كتابه «تفسير القرآن الكريم» بسط فضيلة الإمام الأكبر محمود شلتوت رحمه الله الكلام على الربا وذلك فى تفسيره للنداء فى الآيات ١٣٠ ـ ١٣٢ من سورة آل عمران،

وفيها يظهر كلامه فى تحريم المعاملات الربوية التى يقع التعامل فيها فى المصارف، وهو يتفق مع الفتاوى الجماعية التى صدرت بعد ذلك، كما أن ذكره «السندات الحكومية» فى تفسيره يدل على أنه يرفض ما زعمه الزاعمون ـ من «أنه لا ربا بين الدولة وأبنائها»، وتتفق إشارته إلى السندات مع فتواه عن السندات التى ذكرها فى كتابه « الفتاوى » وتحريمه لربا صناديق التوفير يتلاءم مع تحريمه لغيره من المعاملات الربوية واتساق الفتوى يظهر فى تحريم ربا القروض ـ بصفة عامة وذكره لثلاث صور منها وهى: فوائد المصارف ودفتر التوفير والسندات الحكومية ثم قوله: أو نحوها دليل على تعميم الحكم(الربا والقضايا المعاصرة/ ١١٣).

قال فى تفسيره ـ رحمه الله ـ

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون * واتقوا النار التى أعدت للكافرين * وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ [آل عمران: ١٣٠ - ١٣٢].

هذه أول آية نزلت فى تحريم الربا، وكان أكلهم ذلك فى جاهليتهم ـ على ما جاءت به الروايات ـ أن الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال إلى أجل فإذا حل الأجل طلبه من صاحبه، فيقول له الذى عليه المال: أخر عنى دينك وأزيدك على مالك، فيفعلان ذلك.

وكان كما يدخل النقد على هذا النحو يدخل الدَّين فى الأنعام: يكون للرجل على الآخر دين من الإبل مثلا، فإذا حل الأجل وكان عنده قضاؤه قضاه، وإلا حوله إلى السن التى فوق ذلك؛ إن كانت ابنة مخاض «أى فى السنة الثانية من عمرها» يجعلها ابنة لبون « وهى ماكانت فى السنة الثالثة من سنها» ثم حُقّة ثم جذعة... إلخ فالمقصود فى الآية هو هذا النوع من الربا الذى كان معروفا فى الجاهلية، وهو «ربا النسيئة». وقد أجمع المسلمون على تحريمه، أما «ربا الفضل، ففى دخوله فيما حرمه القرآن أو عدم دخوله كلام بين العلماء.

نظرتان فى تحريم الربا

الجانب الخلقى

وللإسلام فى تحريم الربا نظرة ترجع إلى الجانب الخلقى، ونظرة ترجع إلى الجانب الاقتصادى العملى:

فأما نظرته إلى الجانب الخلقى فإنه يريد أن يكون مجتمعا متراحما متعاونا لا تكون قاعدة التعامل فيه أن يستلب القوى ما فى يد الضعيف، وأن تستغل حاجات المحتاجين استغلالا دنيئا لإرباء ثروة الأغنياء، وتحويل الأموال إلى خزائنهم، وذلك أن الربا يكون بين دائن قوى فى يده من المال ما هو فوق حاجته، ومدين ضعيف محتاج إلى هذا المال، فيستغل القوى ضعف الضعيف وحاجته الملحة، ويجعل ما يقدمه له من المال شبكة يصطاد بها ما لديه، وليس للأول فضل إلا أنه غنى مالك، وليس للثانى ذنب إلا أنه فقير محتاج، ولا شك أن المجتمع الذى يقوم على تمكين القوى القادر من أسباب الحياة السعيدة وتيسير وسائلها لها، وحرمان الضعيف المحتاج من المعاونة والرحمة ومن حقه الإنسانى فى أن ينقذ وينتشل من وهدة الفقر والحاجة؛ لا شك أن المجتمع الذى يقوم على هذا مجتمع فاسد شبيه بمجتمعات الوحوش فى الغاب.

وقد وازن القرآن الكريم بين هذه المعاملة القاسية وبين

الصـدقة والإحسـان والتعاون ليبـرز لنـا صورتين متضـادتين : صورة الغنى الذى يأخـذ بيد الفقير، رحمة به و إشفـاقا عليه، فيعطيه بعض مـاله ابتغاء وجه الله، وصورة الغنـى الذى امتلأ قلبه بالقسوة، فلم يعد له هم إلا أن يمتص دماء المحتاجين، ويجمع دراهمه ودنانيره من أفواه الجائعين المحرومين.

وضع القرآن الكريم هاتين الصورتين وجها إلى وجه، فجاء فى آيتنـا هذه بعـد تحريم الـربا قـوله تعـالى : **﴿وسارعوا إلى مغفـرة من ربكـم وجنـة عـرضهـا السمــوات والأرض أعـدت للمتقين الـذين ينفقون فى السـراء والضراء والكـاظمين الغيظ والعـافين عن النـاس والله يحب المحسنين﴾** [آل عمـران : ١٣٣، ١٣٤].

ولا شك أن الإنفـاق فى السـراء والضراء إنمـا يصـدر من ذوى النفوس السمحـة التى لم يفسدهـا الشح، ولم يصـدهـا الطمع والجشع عن إنقـاذ البـائسين، والإشفاق على الفقـراء والمحتاجين، فإن الذى ينفق فى حالة السراء يدل بذلك على أن النعمة لم تطغـه ولم تفسد عليـه إنسانيتـه، ولـم تمنعه من الإحسـاس ببـؤس غيـره، ومعـاونتـه على التخلص من هـذا البؤس، والذى ينفق فى حالة الضراء يدل بذلك على أنه امرؤ فى طبعه الإيثار، وفى قلبه من الـرحمة ما يدفعه إلى أن ينسى نفسه ليذكر غيره، وإلى أن يحتمل المشاق ليرفه عن غيره ولو بعض الترفيه، والله سبحـانه وتعالى يصف المؤمنيـن بقوله : **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كـان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾** [الحشر : ٩]

وهكذا يـربى الإسلام النفـوس على البذل والإيثـار والبر، ويعلـم الغنى أنه لم يخرج بغناه عن دائرة بنى جنسه، ولم يصر بالمال نوعا آخر حتى ينكـر الناس ويتنكر لحاجاتهم، وإنما هو منهم وهم منه. وهو بهم، وهم به، وعليه أن يعاونهم وأن يبادلهم العطف والرحمة والبذل كما يعلم الفقير أنه لم يخسر نفسـه إذا خسر المـال، ولم يفقد كـرامته وقيمتـه الإنسانيـة، فعليه أن يبذل ممن مـاله ولو كان قليلا، ولو كـان فى حاجة إليه، ليشعر من يعيش معهم بأنه إنسـان ذو قلب. فهو يريد أن يحفظ على الفقيـر كـرامتـه كالغنى، فـإنه إذا سـاهم ولـو بالقليل فى تفريج كربة غيره ذاق لذة الإحسان، وشعر بكرامته كإنسان، وإذا رآه من هم أكثر منه مـالا، كانت لهم فيه أسوة حسنـة، وأحبوه واحتـرموه، ولهـذا أبـاح الله للفقير أن يأخـذ صدقـة الفطر، وطـالبه فى نفس الـوقت أن يخرج عـن نفسه وعمن تلزمه نفقته، ومن عـرف وسائل التربية الصحيحة تبين لـه أن هذا الأسلـوب من أعظم الأسـاليب فى انتشال نفـوس الفقراء من مـواطن الذلـة والشعور بالخسـة، وتعويـدهم البر والإحسان، وإصلاح نفوسهم وتكريمهـا بإشعارها أنها ليست نفوسا آخذة متنفعة دائما، وإنمـا هى أيضا نفوس معطية باذلة نافعة.

وكما جـاءت الموازنة فى هذه الآيـات بين الربا الـذى هو استغلال حـاجة المحتاج لـزيادة المال والثـراء، والإنفاق فى حـالتى الـرخـاء والضيق الذى هـو دليل صـلاح النفـوس، وتمكن التقـوى والإيمـان منها؛ جـاءت المـوازنة بيـن الربـا والصدقات فى سورة البقرة فى عدة آيات، إذ يقول الله تعالى فى بيان فضل الصـدقة، وحث النـاس عليها : **﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبـة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾** [البقرة : ٢٦١] **﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربـوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبهـا وابـل فطل والله بمـا تعملـون بصيـر﴾** [البقرة : ٢٦٥]

﴿ ومـا أنفقتم من نفقة أو نـذرتم من نذر فإن الله يعلمـه ﴾ [البقرة : ٢٧٠].

﴿ إن تبـدوا الصدقـات فنعمـا هى وإن تخفوهـا وتـؤتوهـا الفقـراء فهـو خير لكم ويكفـر عنكم من سيئـاتكم والله بمـا تعملون خبير ﴾ .[البقرة : ٢٧١]

﴿ وما تنفقوا من خير فلأنفسكـم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ [البقرة : ٢٧٢]

﴿ الذين ينفقون أمـوالهم بالليل والنهار سرا وعـلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة : ٢٧٤].

وإذ يقول فى وخامة عاقبة الربا وتنفير الناس منه :

﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس﴾ [البقرة : ٢٧٥] **﴿ يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾** [البقرة: ٢٧٦] **﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون * وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعملون﴾**[البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٨٠]

وهكذا يبين الله للناس أن من أراد التضعيف والتنمية لماله حقا فعليه بالصدقة، فإن الله يضاعفها ويبارك لصاحبها فى الدنيا والآخرة ، أما الربا فإنه وإن كان تضعيفا للمال وتنمية له فى الظاهر فإنه مَحْقٌ وإزالة فى الحقيقة، والمحق كما يكون بإزالة المال وإضاعته بآفة تصيبه أو خسران يحل بصاحبه فى تجارة أو كارثة ونحو ذلك، يكون أيضا بضياع بركته، وذهاب فائدته، وحرمان صاحبه من لذائذه والتمتع به.

وفى هذا المعنى يقول الله عز وجل فى موضع آخر : **﴿وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المُضْعَفون﴾** [الروم: ٣٩]

ويقول رسول الله ﷺ: « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ فإن الله تعالى يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» (أخرجه البخارى) بهذا كله يتبين أن الإسلام نظر أولا إلى مسألة الربا والصدقات نظرة إنسانية ، وشرع الأمر فيهما على أساس تربية المجتمع تربية خلقية أساسها التراحم والمودة والتعاون وتعليم الإنسان أنه ليس كالحيوان المعتمد على القوة والغلبة، الذى لا تعرف الرحمة سبيلا إلى قلبه، وإنما هو خَلْق كريم ذو قلب وعاطفة وخُلُق لا يستقيم أمره فى الحياة إلا بها، ولا يصح شأنه إلا عليها.

وقد دلت التجارب على أن المجتمع الذى يتركز فيه التعاون والتراحم بين الناس بعضهم وبعض، ويكون شعاره إحساس كل فرد بآلام الآخرين، . وتموت من بين أفراده نزعة عبادة المال وتقديمه على كل معنى شريف من المعانى الإنسانية الكريمة، دلت التجارب على أن المجتمع الذى يكون شأنه ذلك، يكون مجتمعًا سعيدًا هانئًا ينظر أغنياؤه إلى فقرائه، وفقراؤه إلى أغنيائه نظرة الحب المتبادل، والتعاون المشترك، أما المجتمع الذى تتسلط فيه النزعة المادية على الخلق ، فإنه يكون أشبه بمجتمعات الذئاب : كلٌ يريد أن يستلب لنفسه ما يستطيع ولو مات غيره، وكل يتربص بغيره دائرة السوء. وما هذه الرجّات التى تصيب الدول من قيام الفقراء على الأغنياء ، وتهديدهم المستمر لأصحاب الثروات ورءوس الأموال، إلا أثر من اختلال الأمر بعد اختلال هذا الجانب الخلقى، وهذا هو السر فى أن الله سبحانه وتعالى ربط النهى عن الربا بالإيمان فى ابتداء الآية حيث قال : **﴿ياأيها الذين آمنوا﴾** وبالتقوى والفلاح فى آخرها حيث قال: : **﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** ثم بالرحمة حيث قال: **﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾** [آل عمران : ١٣٠ ـ ١٣٢].

وما الفلاح والرحمة إلا استقامة أمور الناس على الصراط المستقيم ، وما يسودهم من روح الإخاء والسعادة المشتركة التى تجمع بين قويهم وضعيفهم، وغنيهم وفقيرهم، وتربطهم جيمعا برباط من التآلف والمحبة.

الجانب الاقتصادى فى تحريم الربا

أما نظره الإسلام فى تحريم الربا إلى الجانب الاقتصادى العملى بعد هذا الجانب الخلقى، فمرجعها إلى أن المجتمع الصالح المبنى على أسس قوية هو المجتمع الذى يكون كل فرد من أفراده عضوًا عاملاً فيه، أما إذا كان بعض أفراده عاملين، وبعضهم كسالى يعيشون عالة على غيرهم، ويعتمدون فى بقائهم ومتاعهم على ما يقدمه الآخرون لهم، فإن هذا المجتمع يختل توازنه، ويدركه الضعف والشقاء والتخاذل ، بقدر ذلك، وفى هذا يقول الإمام الرازى: « إنما حرم الربا من حيث إنه يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدًا كان أو نسيئة، خف

عليه اكتساب وجه المعيشة، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة، وذلك يفضى إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات».

وللإمام الغزالى – رضى الله عنه – بحث ممتع فى كتاب «الشكر» من الإحياء تعرض فيه لم يعد أساسا فى هذا الجانب الاقتصادى، وخلاصته «أن المال ليس مقصودا لذاته، وأن الدراهم والدنانير فى نفسيهما ليسا إلا حجرين كسائر الأحجار، وإنما خلقهما الله ليكونا وسيلة للتعامل بين الناس وقضاء المصالح، ويتخذا ميزانا لتقدير قيم الأشياء التى يحتاج إليها الناس فى معاشهم، فقد يكون عندك ثياب أو إبل أو نحو ذلك. وأنت محتاج إلى دقيق، وليس صاحب الدقيق محتاجا إلى شىء من ثيابك أو إبلك حتى تبيعه بعضها ببعض ما لديه من الدقيق، وإنما هو محتاج إلى حديد أو آجر مثلا، فاحتيج إلى النقد ليتوسط الناس، فيكون أداة التبادل، والحكم العدل فيه، فمن خرج به عن هذا الوضع الذى وضعه الله له فقد كفر بنعمة الله فيه، فإذا كنزت المال فكأنك حبست الحاكم ومنعته من أن يتصرف ويقوم بما عليه، وإذا استعملت الذهب والفضة فى آنيتك فكأنك سخرت الحاكم فيما تفعله العامة والدهماء من الخدمة، لأن النقد لم يجعل لذلك، وإنما جعل لذلك الحديد والنحاس وأمثالها من المعادن المعدة للخدمة لا للحكم وتعديل التعامل، وعلى هذا يكون النظر إلى النقدين على أنهما ليسا ميزانا للتقدير، والخروج بهما إلى أن يكونا مقصودين بالتعامل استغلال المال بالمال، مما لا يقره الشرع ولا يرضاه الله لعباده، لأنه يؤدى إلى انحياز المال للأغنياء، وتكدسه فى خزائنهم وصناديقهم، ووقوف حركة الأعمال والتثمير بين الناس، وانهيار قيمتها، وشيوع البطالة والكساد فى الأمة».

هذه نظرة الإسلام إلى الربا من الجانب الخلقى الإنسانى، ومن الجانب الاقتصادى العملى. ولذلك حرمه الله تحريما قاطعا، وتوعد آكليه بأشد العقوبة فقال فى سورة آل عمران بعد النهى عنه: ﴿ **واتقوا النار التى أعدت للكافرين**﴾ [آل عمران : ١٣١] إيذانا بسوء عاقبة آكليه يوم القيامة، وقال فى سورة البقرة: ﴿ **ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ [البقرة : ٢٧٥] ﴿ **والله لا يحب كل كفار أثيم**﴾ [البقرة : ٢٧٦] ﴿ **فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله**﴾ [البقرة : ٢٧٩] ﴿**واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾ [البقرة : ٢٨١].

شبهات «العصريين» فى استباحة الربا:

يرى بعض الناس أن الربا أصبح فى عصرنا الحاضر معاملة عامة، وأساسا من أسس الاقتصاد، فإن المصارف المالية والشركات المختلفة التى لا غنى للأمة عنها تعتمد عليه فى سائر معاملاتها، وليس من الرأى ولا من مصلحة الأمة ان نشير عليها بهدم ذلك كله، وأن ننفرد من بين الأمم بمعاملة خالية من الربا، وأن نترك البيوت المالية الأجنبية تفيد من ثمرات هذا التعامل العالمى دوننا، وقد ارتبطت الدول والأمم بعضها ببعض فلم يعد من الممكن أن تستقل أمة بنوع من المعاملة لا تعرفه غيرها، وإن أساليب الإصلاح والعمران لتستدعى رصد الأموال وتجميعها من الأفراد لتستغل فيما ينفع الأمة، وتستدعى فى كثير من الأحيان أن تقترض الحكومات من غيرها أو من الشعوب أموالا تضمنها بسندات ذات ربح مقدر، فتمتص بذلك الأموال المدخرة المعطلة، وتحولها إلى منافع ومصالح ترقى بها الأمة وتسعد.

يقولون هذا ويرون أن تحريم الإسلام للربا عائق عن بلوغ الأمة شأن أهل المدنية الحديثة، مفض بها إلى الضعف المادى، فالضعف الأدبى فالاستعمار.

ومن الناس من يقول: إن اقتراض المحتاج قدرا من المال بفائدة ربوية «قانونية» يمكنه من سد حاجته ويدرأ عنه الإفلاس والضياع، فلا يعقل أن يكون هذا ضررا أو فسادا، وإنما هو نفع وصلاح، ونحن نجد من المعاملات التى أباحتها الشريعة الإسلامية ما يعتمد على دفع الأقل عاجلا للحصول على الأكثر آجلا كالسَّلَم، فحيث أجاز الشرع معاملة السَّلم فليجز معاملة الربا، فإن المعنى واحد.

قضية الشريعة كلها:

وهذا موضوع قد أثير كثيرا، وشغل الأفكار منذ أنشبت المدنية الحديثة أظفارها فى أعناق المسلمين، وعمل أهل

التشكيك فى صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان عملهم المثابر المتواصل فى الفتنة وزلزلة القلوب عن دين الله، والقضية فى الحقيقة ليست قضية الربا أو غيره من المعاملات المالية، وإنما هى قضية الشريعة الإسلامية كلها وقد انصرف عنها أهلها، وتعلقوا بأهداب غيرها من قوانين الأمم الغالبة المسيطرة عليهم، ومن شأن المغلوب أن يولع بتقليد الغالب، ويرى أكثر ما يفعله خيرا وصلاحا، ويزين له الشيطان أن نجاحه إنما يرجع إلى عدم تمسكه بما يتمسك به هو من القواعد والأصول، والآداب والتقاليد.

لو كان للإسلام اليوم دولة وقوة لكان تشريعة هو المتبع، ولكان للأمم والشعوب من الوسائل الاقتصادية العملية ما يغنيهم عن الربا وغير الربا مما حرمه الإسلام، وإن للكسب لموارد طبيعية هى الأساس والفطرة، كالزراعة والصناعة والتجارة والشركات المساهمة والتعاونية، ولا يستطيع أحد أن يقول: إن الشعوب لا تستطيع أن تقيم مدنيتها على أساس التعاون والتراحم ومساعدة الفقير والمحتاج بإقراضه قرضا حسنا على نظام يكفل لأصحاب الحقوق حقوقهم، ولا يؤدى إلى إثقال كواهل المدينين، واستلاب أموالهم بالباطل.

النظم الرأسمالية وفشلها:

إن هذه النظم الاقتصادية التى يتشدقون بها، ويأخذون على الإسلام عدم مجاراته لها، قد صارت الآن فى موضع الشك والتزلزل عند أهليها والمتعاملين بها، وأصبح العالم يميل إلى نظام اشتراكى يحول بين أن يوجد فى الشعب طائفة قليلة العدد مستحوذة على المال، منتفعة بما يدره عليها من الربح والجاه والنفوذ، وطائفة هى الكثرة العاملة الناصبة لا هم لها إلا أن تكدح لهؤلاء وتجد فى تنمية ثرواتهم، ثم لا ينالها من هذا الكدح والنصب إلا أدنى القوت، وأحط المساكن والملابس، وما الربا إلا اعتراف بحق أصحاب الأموال فى الامتياز على العاملين فهو مناقض لروح التيقظ مصادم لها، فإذا كان أهل هذه النظم قد بدأوا يفقدون إيمانهم بها، بل فقدوا هذا الإيمان فعلا، وأخذوا يلتمسون سبيلا آخر تستقيم بها الحياة السعيدة للأمم. أفلا يجدر بنا معشر المسلمين أن نتخفف من حماستنا لها، ومن ثقتنا بها؟ أترى لو كانت الجمهورية العربية المتحدة [جمهورية مصر العربية] مثلا قادرة على أن تعمل بالتشريع الإسلامى فتلزم جميع ساكنيها بمنع الربا، وتضع لهم أسلوبا من التعامل يتفق ودينها، أكان ذلك يضرها أو يعطل مرافق إصلاحها؟

إننا لا نتردد فى الإجابة عن هذا السؤال بالنفى، ولسنا فى ذلك متجاهلين للحقائق، ولا جاهلين بسنن الاجتماع، فإن الأمم تألف ما يوضع لها من النظم، وتطمئن إليه، وإذا عرف أفرادها أنه لا سبيل إلى نوع من التعامل لتحريمه، التمسوا غيره، ووطنوا أنفسهم على الاكتفاء بما أبيح لهم.

بهذا يتبين أن ما يزعمه الزاعمون من عدم إمكان التخلص من الربا، ووجوب مجاراة الأمم فى التعامل به، ليس صحيحا، وأنه يمكن تدبير الأمر على نحو يتفق مع ما تبيحه الشريعة لو أراد الناس ذلك مخلصين.

أما ما اعترضوا به من إباحة السَّلم فإن السَّلم بيع فيه ثمن ومثمن، وليس النقد هو كل شيء فيه، وليس المشترى فيه دائما كاسبا، فقد ترخص السلعة عند حلول الأجل وقد تغلو، فالمخاطرة التى تكون فى التجارة موجودة فيه، على أن الربح فى السَّلم ليس من شأنه أن يكون أضعافا مضاعفة كالربح فى ربا النسيئة، وإذا فرضنا أن المشترى غبن صاحبه فى صفقة السَّلم استغلالا لحاجته، فإن الشريعة تحرم هذا، وبعض المذاهب يجعل الغبن الظاهر من مفسدات العقد أيا كان.

بطلان الاستدلال بالآية على إباحة الربا القليل:

بقى علينا أن ننبه فى هذا الشأن لأمر خطير، هو أن بعض الباحثين المولعين بتصحيح التصرفات الحديثة، وتخريجها على أساس فقهى إسلامى ليعرفوا بالتجديد وعمق التفكير، يحاولون أن يجدوا تخريجا للمعاملات الربوية التى يقع التعامل بها فى المصارف أو صناديق التوفير أو السندات الحكومية أو نحوها، ويلتمسون السبيل إلى ذلك، فمنهم من يزعم أن القرآن إنما حرم الربا الفاحش بدليل قوله: **﴿أضعافا مضاعفة﴾** فهذا قيد فى التحريم لا بد أن يكون له فائدة وإلا كان الإتيان به عبثا، تعالى الله عن ذلك، وما فائدته فى مزعمهم إلا أن يؤخذ بمفهومه وهو إباحة ما لم يكن أضعافا

مضاعفة من الربا وهذا قول باطل، فإن الله سبحانه وتعالى أتى بقوله ﴿ أضعافا مضاعفة﴾ توبيخا لهم على ما كانوا يفعلون، وإبرازا لفعلهم السيء، وتشهيرا به، وقد جاء مثل هذا الأسلوب فى قوله تعالى : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ [النور: ٣٣] فليس الغرض أن يحرم عليهم إكراه الفتيات على البغاء فى حالة إرادتهن التحصن، وأن يبيحه لهم إذا لم يردن التحصن، ولكنه يبشع ما يفعلونه ويشهر به، ويقول لهم: لقد بلغ بكم الأمر أنكم تكرهون فتياتكم على البغاء وهن يردن التحصن، وهذا أفظع ما يصل إليه مولى مع مولاته، فكذلك الأمر فى آية الربا، يقول الله لهم: لقد بلغ بكم الأمر فى استحلال أكل الربا أنكم تأكلونه أضعافا مضاعفة فلا تفعلوا ذلك، وقد جاء النهى فى غير هذه المواضع مطلقا صريحا، ووعد الله بمحق الربا قَلَّ أو أكثر ، ولعن آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه، كما جاء فى الآثار، وأذن من لم يدعه بحرب الله وحرب رسوله واعتبره من الظلم الممقوت، وكل ذلك ذكر فيه الربا على الإطلاق دون تقييد بقليل أو كثير.

ومنهم من يميل إلى اعتباره ضرورة من الضرورات بالنسبة للأمة، ويقول: ما دام صلاح الأمة فى الناحية الاقتصادية متوقفا على أن تتعامل بالربا والا اضطربت أحوالها بين الأمم، فقد دخلت بذلك فى قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات».

وهذا أيضا مغالطة ، فقد بينا أن صلاح الأمة لا يتوقف على هذا التعامل، وأن الأمر فيه إنما هو وهم من الأوهام، وضعف أمام النظم التى يسير عليها الغالبون الأقوياء.

إباحة الحرام جرأة على الله :

وخلاصة القول، أن كل محاولة يراد بها إباحة ما حرم الله، أو تبرير ارتكابه بأى نوع من أنواع التبرير، بدافع المجاراة للأوضاع الحديثة أو الغربية، والانخلاع عن الشخصية الإسلامية ، إنما هى جرأة على الله، وقول عليه بغير علم، وضعف فى الدين، وتزلزل فى اليقين، وقد سمعنا من يدعو إلى البغاء العلنى ويجيزه، ويطالب بالعودة إليه، ويرى أنه إنقاذ من شر أعظم يصيب الأمة : من انتشار البغاء السرى، وبمثل هذا يتحلل المسلمون من أحكام دينهم حكما بعد حكم، حتى لا يبقى لديهم ما يحفظ شخصيتهم الإسلامية، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله العصمة من الفتن (تفسير القرآن الكريم/ ١١٣ـ١٢٩).

وثمة أبحاث عدة لعلماء أجلاء عن الربا فى عمليات البنوك وعن الودائع المصرفية نشرتها مجلة الأزهر الغراء ويأتى بيانها فى ثبت المراجع إن شاء الله تعالى.

أما من حيث النظم فلدينا نموذجان :

النموذج الأول: الأبيات التى وردت فى منظومة «تحفة الحبيب» للإمام العمريطى، ونسوقها فيما يلى، مشفوعة بشرح الشيخ الفشينى إتماما للفائدة

قال الناظم رحمه الله :

بيع الطعام بالطعام يشترط — *له التساوى إن يكن جنسا فقط*

كذلك الحلول والمقابضه — *حقيقة من مجلس المعاوضه*

فلم يبع بجنسه جنس فضل . — *ولا يجوز مطلقا إلى أجل*

وكالطعام فى جميع ما عرف — *نقد بنقد جنسه أو مختلف*

ثم اعتبار العلم بالتماثل — *فيما يجف بالجفاف الكامل*

فلا يجوز فى الطعام الرطب أن — *يبيعه بجنسه إلا اللبن*

والحيوان إن يبع باللحم لم — *يجز بحال والفساد فيه عم*

قال الشارح : اعلم أن الربا إنما يجرى فى الذهب والفضة والمطعومات لا فى غير ذلك، والمراد بالمطعوم ما قصد للطعم أو تفكها أو تداويا، كما يؤخذ من قوله ﷺ «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبُر بالبُر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح، مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد» فإذا

اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد: أى مقابضة، فإنه نص فيه على البر والشعير والمقصود منهما التقوت فألحق بهما ما فى معناهما كالأرز والذرة. ونص على التمر والمقصود منه التفكه والتأدم، فألحق به ما فى معناه كالزبيب والتين، ونص على الملح والمقصود منه الإصلاح فألحق به ما فى معناه كالمصطكى والزنجبيل، ولا فرق بين ما يصلح الغذاء أو يصلح البدن، فإن الأغذية تحفظ الصحة والأدوية ترد الصحة. إذا تقرر ذلك فإذا بيع طعام بطعام إن كان جنسا اشترط ثلاثة شروط. أحدها: الحلول. وثانيها: المماثلة: أى التساوى فى القدر من غير زيادة حبة ولا نقصها. وثالثها: التقابض فى المجلس للعوضين للخبر السابق، وهذا معنى قول الناظم* بيع الطعام بالطعام يشترط*إلى قوله «المعاوضة» وإن كان جنسين كحنطة وشعير جاز التفاضل واشترط الحلول والتقابض، فلا يباع ربوى بجنسه جزافا وإن خرجا سواء للجهل بالمماثلة عند العقد، والجهل بالمماثلة كحقيقة المفاضلة، ولا يجوز بيع الجنس بالجنس متفاضلا ولا إلى أجل للخبر المتقدم. وقوله* وكالطعام فى جميع ما عرف* نقد بنقد جنسه أو مختلف أشار به إلى أن النقد بالنقد كطعام بطعام فيما مر.

تنبيهات أولها: علة الربا فى الذهب والفضة جوهرية الأثمان غالبا، وهى منتفية عن الفلوس وغيرها من سائر العروض فلا ربا فيها. ثانيها: لا أثر لقيمة الصياغة فى ذلك، فلو اشترى بدنانير ذهبا مصوغا قيمته أضعاف الدنانير اعتبرت المماثلة ولا نظر إلى القيمة. ثالثها: إذا أراد بيع مال الربا بجنسه مع زيادة فلا يجوز إلا بتوسط عقد آخر. مثاله: إذا أراد بيع دراهم أو دنانير صحاح بمكسورة أكثر من وزنها، فطريقه) أن يقرض الصحاح من الآخر ويستقرض منه المكسورة ثم يبرئ كل واحد منهما صاحبه. رابعها: لو بيع طعام بنقد أو ثوب لم يشترط شيء من الشروط السابقة. خامسها المماثلة تعتبر فى المكيل كيلا وإن تفاوت فى الوزن، وفى الموزون وزنا وإن تفاوت فى الكيل، ويعتبر فى كون الشيء مكيلا أو موزونا غالب عادة الحجاز فى عهد رسول الله ﷺ لظهور أنه اطلع على ذلك وأقره، وما لم يكن فى ذلك العهد أو كان وجهل حاله يراعى فيه عادة بلد البيع. ثم زاد الناظم على أصله قوله «ثم اعتبار العلم بالتماثل فيما يجف بالجفاف الكامل» فلا يجوز فى الطعام الرطب أن يبيعه بجنسه إلا اللبن. تعتبر المماثلة فيما يجف كالثمار والحبوب بالجفاف الكامل، فلا يباع رطب المطعومات برطبها بفتح الراء فيهما، ولا بجافها إذا كانت من جنس إلا فى مسألة العرايا، ولا يكفى مماثلة الدقيق والسويق والخبز، بل تعتبر المماثلة فى الحبوب حبا، وفى حبوب الدهن كالسمسم حبا أو دهنا، وفى العنب والرطب زبيبا وتمرا، وفى اللبن لبنا وسمنا خالصا مصفى بشمس أو نار فيجوز بيع بعضه ببعض وزنا وإن كان مائعا على النص. ولا يباع اللبن الحليب إلا بعد سكون رغوته، ولا يكفى مماثلة ما أثرت فيه النار بالطبخ أو القلى أو الشى، ولا يضر تأثير تمييز كالعسل والسمن. وقول الناظم «إلا اللبن» أشار به إلى جواز بيع اللبن باللبن ولو حامضا رائبا وخاثرا ومخيضا ما لم يغل بالنار أو يخلط بالماء أو نحوه، ومثل اللبن ما شابهه من المائعات كالأدهان والخلو وقوله: والحيوان إن بيع باللحم *لم يجز بحال والفساد فيه عم» أفاد به عدم جواز بيع اللحم بالحيوان ولو لحم سمك، سواء كان من جنسه كلحم بقر ببقر، أو من غير جنسه من مأكول وغيره كلحم غنم ببقر، أو بغيره لأنه ﷺ نهى أن تباع الشاة باللحم، رواه الحاكم والبيهقى وقال: إسناده صحيح. ونهى عن بيع اللحم بالحيوان، رواه أبو داود عن سعيد بن المسيب مرسلا، وأسنده الترمذى عن زيد بن سلمة الساعدى.

تنبيه: دخل فى معنى اللحم الشحم والكبد والقلب والإلية والكلية. ويصح بيع الجلد بالحيوان بعد دبغه بخلافه قبله (تحفة الحبيب / ١٣٦، ١٣٧).

النموذج الثانى: الأبيات التى وردت فى منظومة «السبل السوية لفقه السنن المروية» للشيخ حافظ بن أحمد الحكمى، . قال الناظم تحت عنوان «باب الربا وبيان ما يجرى فيه وما يستثنى وما يشتبه»:

ثم الربا من أكبر المناهى

فاعله محارب لله

وصرح النبى بلعن آكله
وكاتب وشاهد ومؤكله
وذا لمن يعقل أقوى زاجر
وغيره كم صح من زواجر
وهاك خذ أبوابه وما دخل
فى ضمنه فاعلم وأتبعه العمل
فى ذهب وفضة والبر
والملح والشعير ثم التمر
كلٌّ إذا بيع بجنسه حتم
فيه تساو وتقابض يتم
وقاس جمهور أولى العلم الذى
فى الجنس والعلة قد ماثل ذى
والخلف فى العلة قيل ما طعم
وقيل مقتات بتقدير علم
وذهب وفضة لم يلحقوا
سواهما وآخرون ألحقوا
كل مكيل أو بوزن يعلم
وقيل ما فيه الزكاة تحتم
أما إذا لم يكن الجنس اتحد
فجائز تفاضلا يدا بيد
كذهب عن فضة والتمر
عن ملح أو شعير أو عن بُرٍّ
وحيث كان الجنس بعضه ردى
فلا تبع تفاضلا بالجيد
كذاك مجهول التساوى يحرم
كصبرة التمر بكيل يعلم
وذهب مع غيره بالذهب
فامنع وفَضْلُ الغير منه أوجب
كذاك ما شابهه من كل حب
لا تبع اليابس منه بالرطب
إلا العريا إن تبع بخرصها
كيلا ففيها رخصة تخصها
لكن بدون خمسة من أوسق
قد قيدت وما عداها فاتق
والحيوان الحى باللحم فلا
تبع وإن كان الحديث مرسلا
فإنه معتضد بكل ما
يقوى به المرسل عند العلما
ثم النَّسا جاز بغير الربوى
ولو تفاضلا فإنه روى
عبد بعبدين كذا فى الإبل
واحدها بعدد للأجل
وكل ما عارضه أن يقبل
على نساء الطرفين فاحمل
وبيع بعض الربويات بما
خالفها وصفا وعلة كما
إذا اشتريت النقد بالطعام
والعكس جائز بلا إبهام
والخلف فى العينة والحديث دل
لمنعها وقال بعضها معل
وهى اشترا ما باعه لأجل
من مشتر بالنقص قبل الأجل
والشبهات اترك فإنها الحمَى
بين الحلال والذى قد حُرِّما

(مجموع / ٦٤ ، ٦٥).

(لسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٥٧٢ ، ١٥٧٣ ، ومنهاج المسلم- أبو بكر جابر الجزائرى / ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، وحاشية البجيرمى على شرح الخطيب المسماة بتحفة الحبيب على شرح نظم غاية التقريب للإمام الشيخ أحمد بن الحجازى بن بدير الفشينى الشافعى . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر. الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩ م / ١٣٦ ، ١٣٧ ، والاقتصاد فى الإسلام ـ أ. د. رءوف شلبى.

هدية مجلة الأزهر. شعبان ١٤٠٦ هـ/ ٣٨ـ ٤٥، وأعلام الموقعين عن رب العالمين للعلامة شمس الدين أبي بكر بن قيم الجوزية ٢ / ١٣٧ ـ ١٥١ ، والمعجم الوسيط ١ـ ٥٢٨ و ٢ / ٧٥١، ٨٥٨ وتفسير القرآن الكريم ـ الإمام الأكبر محمود شلتوت. دار القلم. الطبعة الرابعة ١٩٦٦ / ١٣٩ ـ ١٥٢ ، كما طبع في كتاب الربا والقضايا المعاصرة. دراسات للفيف من كبار العلماء مجمع البحوث الإسلامية. هدية مجلة الأزهر شعبان ١٤١٠ هـ/ ١١٣ ـ ١٢٩ ، ومجموع: « السبل السوية لفقه السنن المروية » ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمي / ٦٤ ، ٦٥ والمنهيات لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي ـ تحقيق محمد عثمان الخشت / ١٤١ ، وعمدة الفقه لابن قدامة ـ تخريج أبي عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلي الغامدي ومحمد دغيليب البراق العتيبي / ٤٨ ، وفقه السنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق جـ ١١ م ٣/ ٢٨١ ـ ٢٨٧ ، والكبائر للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي. مكتبة الكليات الأزهرية / ٤٧ ـ ٤٩ ، وطبعة دار التراث العربي ـ نقحه وراجعه محمد الأنور أحمد البلتاجي / ٤٦ ـ ٤٨ ، وإحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي ٢ / ٦٣ ، والفتاوى لابن تيمية ط دار الغد العربي ج ٣ م ٤/ ٣٤٥ ـ ٣٤٧، والبنوك والاستثمار ـ د. علي السالوسي. هدية مجلة الأزهر. ذي الحجة ١٤١١ هـ/ ٢٢ ـ ٣٤ ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووي. اختصره ورتبه الشيخ النبهاني / ٢٨٣ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢ / ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، و «الربا في القانون الإسلامي» ـ فضيلة أ. د. محمد عبد الله دراز (رحمه الله) : مجلة الأزهر. الجزء الثاني، السنة الثانية والستين، صفر ١٤١٠ هـ ـ سبتمبر ١٩٨٩ م/ ١٠٥ ـ ١١٠ ، ١٧٩ ، و «الربا في عمليات البنوك» ـ لواء أ. ح فوزي محمد طايل. مجلة الأزهر، الجزء الثاني، السنة الثانية والستين صفر ١٤١٠ هـ ـ سبتمبر ١٩٨٩ / ١٢٨ ـ ١٣٢ ، و «ربح الودائع الاستثمارية» ـ فضيلة أ. د. أحمد فهمي أبو سنة. مجلة الأزهر. الجزء الثاني، السنة الثانية والستين، صفر ١٤١٠ هـ سبتمبر ١٩٨٩ م/ ١١١ ، ١١٢ ، و «الربا حول مقالين» ـ فضيلة الإمام الأكبر عبد الرحمن تاج (رحمه الله) . مجلة الأزهر. الجزء الرابع، السنة الثانية والستون. ربيع الآخر ١٤١٠ هـ نوفمبر ١٩٨٦ م/ ٣٣٦ ـ ٣٩٩ ، و «الربا والوديعة المصرفية» ـ أ. د. أحمد فهمي أبو سنة مجلة الأزهر. الجزء الرابع، السنة الثانية والستين ربيع الآخر ١٤١٠ هـ/ نوفمبر ١٩٨٩ م/ ٣٤٠ ـ ٣٤٢ ، و «الربا والوديعة المصرفية في ضوء حقائق الفقه وأدلته» ـ أ. د. أحمد فهمي أبو سنة مجلة الأزهر الجزء السادس، السنة الثانية والستون، جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ يناير ١٩٩٠ م/ ٥٥٠ ـ ٥٥٣).

*** رَبَاح (قلعة):**

قلعة رباح : قال في الروض المعطار: هي قلعة بالأندلس من عمل جيان، وهي بين قرطبة وطليطلة، ولها حصون حصينة على نهر، وهي مدينة محدثة في أيام بني أمية، وإنما عمرت قلعة رباح بخراب أوريط (ص ١٦٣) (من كتاب معجم البلدان س ٢ / ١٨٩).

قال ياقوت :

مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة استولى عليها الإفرنج منذ سبعين سنة أو نحوها، وهي غربي طليطلة وبين المشرق والجوف من قرطبة، ولها عدة قرى ونواح ويسمونها الأجزاء يقوم مقام الإقليم كما ذكرنا في اصطلاحهم في لفظة الإقليم في أول الكتاب، منها جزء البكريين وجزء اللخميين، وغير ذلك؛ وقد نسب إلى هذه المدينة قوم ، منهم: محمد بن سعد الرباحي صاحب نحو ولغة وشعر ، ويقال له الجياني أيضا، نسب إلى مدينة جيان والفقيه المحدِّث محمد بن أبي سهلويه الرباحي وقاسم بن الشارح الرباحي المحدث الفقيه (معجم البلدان ٣/ ٢٣).

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان. السفر الثاني، البلدن الأندلسية / ١٨٩ هامش (١) للمحقق ، ومعجم البلدان ٣/ ٢٣).

***رباح ورياح:**

من الثنائيات التي يستخدمها علم اللغة الحديث في عزل الأصوات الأساسية للغة ما. ويفرق الحافظ ابن سعيد الأزدي بين مثل تلك الثنائيات في كتابه النفيس « المؤتلف والمختلف » وهو هنا يفرق بين اسمين أحدهما بالباء المعجمة، والآخر بالياء فيقول:

رباح بالباء المعجمة بواحدة رباح بن الربيع أخو حنظلة ابن الربيع وقيل بالياء ورباح بن قصير والد علي بن رباح

اللخمى الذى يروى عن عقبة بن عامر وهو جد موسى بن على. رباح بن عبد الرحمن بن أبى سفيان بن حويطب. رباح عن عثمان بن عفان روى عنه الحسن بن سعد. رباح ابن صالح ابن عبيد الله بن أبى رافع روى عنه عبد الملك بن إبراهيم الوليد بن رباح بن أبى معروف عن عطاء. رباح بن يزيد رباح بن عبيد الله بن عمر عطاء بن أبى رباح عبد الله بن رباح عن أبى هريرة وأبى قتادة زيد بن رباح روى عنه مالك بن أنس عيسى بن حفص بن عاصم يقال له رباح. رباح بن المغترف وجماعة . . رياح بالياء المعجمتين من تحتها رياح بن عبيدة وله ولدان موسى والخيار. رياح بن الحارث عن سعيد بن زيد رياح بن عمرو القيسى أخو عوين عن أيوب. عمر بن رياح عن عبد الله بن طاؤس زياد بن رياح يروى عن أبى هريرة. عمران بن رياح كوفى وهو عمران بن مسلم. زياد ابن رياح آخر يروى عن الحسن روى عنه حكام بن سلم يكنى أبا رياح أحمد بن رياح قاضى البصرة. رياح بن عثمان بن حيان المرى روى عنه مالك.

(المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث للحافظ أبى محمد عبد الغنى بن سعيد الأزدى المصرى اعتنى بطبعة وتصحيحه محمد محيى الدين الجعفرى الزينبى / ٥٧).

***رباط:**

انظر : الرُّبُط.

***الرباط:**

الرباط : عاصمة المملكة المغربية، وثانى أكبر مدينة فيها بعد الدار البيضاء (حوالى المليون نسمة) وإلى الشمال الشرقى منها، وهى تقع على ساحل المحيط الأطلسى فى سهل منبسط فسيح، وعند مصب نهر بور قرق [بو رجرج أو أبو رقراق] الذى يفصل المدينة عن «سلا» المدينة القديمة إلى الجنوب الغربى منها، حتى أنهما باتا يشكلان مدينة واحدة. وإجمالا فإن الرباط مدينة حديثة، وإن كانت فى الأصل قديمة العهد إذا اعتبرنا أن «سلا» هى أساس المدينة ومنطلق توسعها العمرانى والحضارى.

والرباط اليوم هى العاصمة السياسية والثقافية للمغرب، وهى مقر إقامة الملك، ومركز السفارات الأجنبية والنشاط الدبلوماسى، وبها الدور والقصور الملكية التى هى فى غاية الفخامة والإتقان. ومن الرباط تتفرع الطرق الرئيسية المعبدة والأخرى الحديدية، باتجاه الشمال والشرق والجنوب فتصلها بمختلف المدن والأقليم.

(موسوعة المدن العربية والإسلامية / ٢١٣، ٢١٤).

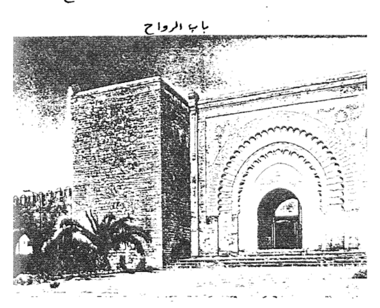
وقد أنشأ مدينة الرباط السلطان عبد المؤمن الكومى (٤٨٧ ـ ٥٥٨ هـ/ ١٠٩٤ ـ ١١٦٣ م)، أمير المؤمنين، مؤسس دولة الموحدين المؤمنية فى المغرب وإفريقية وتونس، له أبنية وآثار (الأعلام ٤ / ١٧٠).

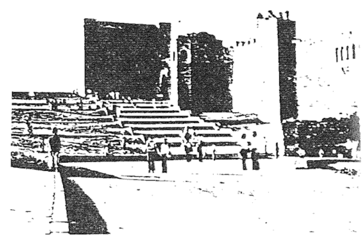
ومن أهم الآثار فى مدينة الرباط جامع حسان، وباب الرواح، وقصبة الودايا ونذكر فيما يلى كلا منها على حدة إن شاء الله تعالى :

١ ـ جامع حسان (يورد فى بعض المصادر باسم «برج حسان» أو «برج حسن») : يقول الدكتور السيد عبد العزيز سالم:

ذكر المراكشى (ص ٢٢٦) أن المنصور شرع فى بنيان مسجد عظيم بالرباط «كبير المساحة، واسع الفناء جدا، لا أعلم فى مساجد المغرب أكبر منه، وعمل له مئذنة فى نهاية العلو، على هيئة منار الإسكندرية، يصعد فيه بغير درج،

باب الرواح





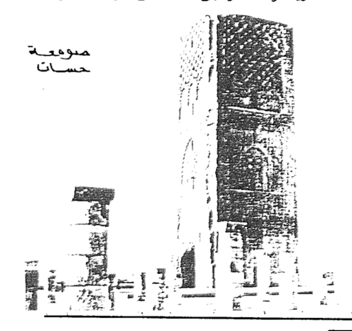
المرابطين بمدينة الرباط وقد اقيمت علـى
ـع يشرف على المحيط من ناحية . وعلـى
ى نهر ابي الرقراق

تصعد الدواب بالطين والآجر والجص وجميع ما يحتاج إليه إلى أعلاها ، ولم يتم هذا المسجد إلى اليوم لأن العمل ارتفع عنه بموت أبي يوسف». وكانت دولة الموحدين بعد انتصارهم فى الأرك قد بلغت ذروة قوتها وعظمتها، وكان من الطبيعى أن يعتز بطل الأرك بانتصاره، ويكتب عنه بلغة العمران والبناء، وجامع حسان بالرباط، بمساحته الهائلة (١٨٠ × ١٤٠ م) يعبر لنا عن هذا الاتجاه نحو العظمة، والإسراف فى التفخيم.

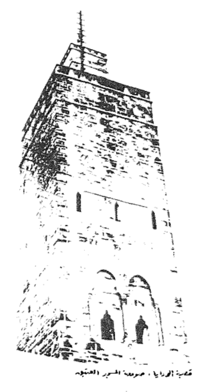
وتخطيط جامع حسان غريب عن تخطيط المساجد الإسلامية الجامعة بوجه عام، فبيت الصلاة فيه يتألف من قسمين: قسم أمامى يشتمل على ٢١ بلاطة عمودية على جدار القبلة، البلاطة الوسطى والبلاطتان المتطرفتان منها أكثر اتساعا من البلاطات الأخرى، ويخترق هذه البلاطات عرضا سبعة أساكيب موازية لجدار القبلة. ثم يتعقد التخطيط بعد ذلك تعقيدا شديدا، فإن البلاطات الإحدى عشر الوسطى تمتد جنوبا على ١١ أسكوبا، ويكتنف هذه البلاطات شرقا وغربا صحنان مستطيلا الشكل، وإلى الشرق وإلى الغرب من هذين الصحنين بلاطتان تمتدان بطول البلاطات الأخرى. أما القسم الثانى فيشتمل على ثلاثة أساكيب ممتدة بعرض المسجد كله بحذاء جدار القبلة. ونلاحظ أن الأعمدة فى الأساكيب الثلاثة والبلاطتين المتطرفتين فى بيت الصلاة، تزيد فى الارتفاع عن أعمدة البلاطات الأخرى فى بقية أجزاء المسجد ، وليس فى إمكاننا تعليل هذه الظاهرة بسبب حالة التخريب التى يتسم بها الجامع فى الوقت الحاضر. ومئذنة الجامع لم تصل إلينا كاملة، فارتفاعها الحالى يصل إلى ٤٤ مترا، وهى مشيدة بالحجر المصقول، ويدور حول مركز المئذنة من الداخل طريق منحدر، عرضه متران، على نحو ما هو متبع فى مئذنتى جامع إشبيلية، وجامع الكتبية بمراكش، ويشتمل مركز المئذنة من الداخل على غرف موزعة على طوابق ستة كما هو الحال فى جامع الكتبية بمراكش، ويعلو هذه الغرف قبوات مختلفة الأشكال، منها القبوة المقربصة والقبوة المضلعة والقبوة نصف الكروية.

٢ ـ باب الرواح :

ومن بين أبواب الموحدين ذات القيمة الدفاعية الكبرى سواء من حيث التصميم أو الزخرفة باب الرواح بمدينة رباط الفتح التى اختطها أبو يعقوب يوسف على المحيط الأطلسى، وأكملها المنصور، ولا يفصلها عن سلا العتيقة سوى وادى الرمان، وهو الوادى المعروف الآن ببو رجرج [أو بورقرق، أو أبو الرقراق] هذا الباب مبنى من قطع حجرية متوسطة الحجم، منتظمة الشكل، ويؤلف الباب نظاما دفاعيا شديد الإتقان، إذ يكتنفه برجان مربعان يحميان مدخله، ويقصران الدخول إلى المدينة على ممر ذى مرفقين.



صومعة
حسان



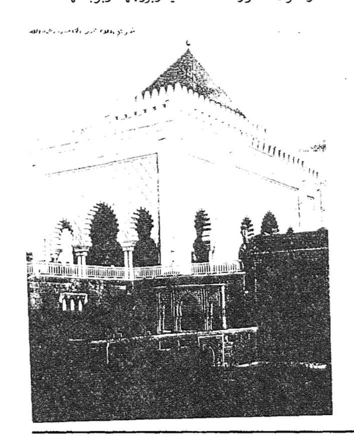
قصبة الودايا، صومعة السور العتيق

وعندما يجتاز المرء هذا المدخل قادما من خارج المدينة، يصل إلى الأسطوان الأول، وهو دهليز مربع الشكل تعلوه قبة مضلعة قائمة على جوفات مقببة بأنصاف قبوات متعارضة، ويتصل بهذا الدهليز المربع دهليز ثان مربع الشكل أيضا، تعلوه قبة نصف كروية، ويؤدى هذا الدهليز بدوره عن طريق ممر إلى دهليز ثالث، مكشوف من أعلى، يتعرض عنده المهاجمون لقذائف المدافعين بأعلى سطح الباب، ويتصل هذا الدهليز الثالث بدهليز رابع، تعلوه قبة نصف كروية، ينتهى منها الداخل إلى المدينة. وكان يتعين لإقامة هذه الأبواب ذات المرافق المزدوجة زيادة سمك البناء.

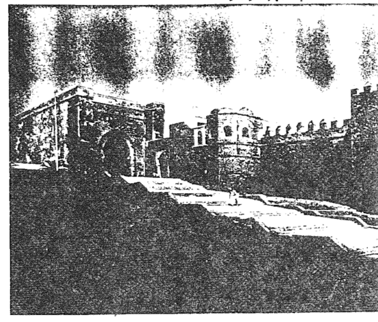
٣ ـ قصبة الودايا (باب قعلة الودايا):

كان يقوم فيما بين مصب وادى بو رجرج والبحر رباط قديم كانت مهمته محاربة برغواطة، ثم تحول عند بناء مدينة الرباط إلى قصبة سميت بقصبة الودايا نسبة إلى عرب ودى وهم بطن من بنى المعقل الهلاليين، وكان السلطان مولاى أبو النصر إسماعيل العلوى (١٠٨٣ ـ ١١٣٦ هـ/ ١٦٧٢ ـ ١٧١٧ م) قد استخدم من الودايا العرب فرقة فى جيشه. وهذه القصبة تعد من أروع أمثلة القلاع الحربية فى المغرب الإسلامى، وأهم ما تبقى منها باب يعرف باسم باب قلعة الودايا، وهو باب من الحجر المصقول، ومدخل الباب يكتنفه بدنتان صغيرتان، وعقد المدخل منفوخ منكسر، يتوجه عقد زخرفى مفصص، قد تجاوز نصف الدائرة تجاوزا قليلا، وتتناوب فيه فصوص صغيرة مدببة الرؤوس، وأخرى نصف دائرية، وتزينه شبكة زخرفية من معينات متصلة، وتزدان بنيقتاه بتوريقات رائعة تتوسطها فى كل بنيقة محارة زخرفية فى غاية الجمال. وعندما يجتاز المرء مدخل هذا الباب، يصل إلى ممر طويل من ثلاث غرف مربعة الشكل، متصلة فيما بينها، يعلو الغرفة الأولى منها قبة على جوفات مقوسة، والثانية تعلوها قبة على جوفات مثلثة، والثالثة تعلوها قبة نصف أسطوانية، وعلى الجانب الأيمن من كل من الغرفتين الثانية والثالثة، ينفتح باب معقود بعقد متجاوز منكسر، ويؤدى كل من هذين البابين إلى داخل قلعة الودايا (تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى/ ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٧٦ ـ ٧٧٨).

ولا تزال أسوار القلعة العالية وبروجها وبواباتها قائمة



القصبة وباب الوداية



قوية، والداخل إليها يجد نفسه داخل أسوارها فى مدينة من مدن العصور الوسطى كاملة متكاملة بمساكنها وحوانيتها وشوارعها الضيقة، ومن فوق أسوارها يلقى نظره عبر مجرى نهر بو الرقراق فيرى مدينة سلا الواقعة على بعد يسير من الرباط، وعلى بعد أقل من كيلو متر من هذه القلعة صومعة حسان الشهيرة (أو برج حسان أو جامع حسان) ، وبجانبها ضريح الملك محمد الخامس ومسجده.

ويعدّ ضريح الملك محمد الخامس تحفة معمارية أندلسية مغربية مبهرة، وبجواره مسجد ومتحف. وقد أنشأ الضريح الملك الحسن الثانى ملك المغرب تكريما وإجلالا لوالده الذى حرر البلاد من ربقة الاستعمار.

ويسرد لنا الحسن الوزان (٨٩٤ ــ ٩٥٨ هـ / ١٤٨٦ ـ ١٥٤٦ ؟ م) فى كتابه «وصف إفريقية» قصة نشوء مدينة الرباط، عاصمة المملكة المغربية الحالية، وازدهارها، ثم انحطاطها على إثر النزاعات التى حدثت بين الملوك المرينيين، وبسبب التهديد البرتغالى الجاثم. يقول المؤلف: الرباط مدينة كبيرة بنيت فى الأزمنة الحديثة من قبل المنصور، ملك وخليفة مراكش، ويمر على طولها من الشرق نهر أبو الرقراق. وهو يصب فى البحر. وبنيت قلعة المدينة عند مصبه، فهى على النهر من جهة وعلى البحر من جهة أخرى. وتشبه هذه المدينة فى أسوارها وأبنيتها مدينة مراكش، لأنها بنيت من قبل المنصور للغرض نفسه، ولكنها تبدو صغيرة جدا بالموازنة مع مراكش. وإليك سبب تأسيس الرباط:

لقد كان المنصور يحكم حينذاك على كل إقليم غرناطة وعلى جزء من إسبانيا. ولما كانت هذه البلاد نائية جدا عن مراكش، فقد خطر ببال الملك أن هذه المدينة إذا ما تعرضت لهجوم من طرف النصارى، فلن يتمكن أن يهب لنجدتها بسهولة. وهكذا فكر فى أن يشيد مدينة على سيف البحر ذاته حيث يستطيع أن يبقى طيلة الصيف مع قواته. وقد نصحه بعضهم بالإقامة فى سبتة التى هى مدينة واقعة على مضيق جبل طارق. ولكن الملك لاحظ أن هذه ليست بالمدينة التى تستطيع أن تكفى لمرابطة جيش فى أثناء مدة ثلاثة أو أربعة شهور، بسبب عقم الأرض فى هذه المنطقة. كما فكر أيضا فى أن هذا لن يمر دون أن يسبب امتعاضات لدى أهل سبتة بسبب سكنى العسكريين وموظفى البلاط الملكى. ولهذا عمل على بناء مدينة الرباط فى بضعة أشهر. وزودها بالمساجد والمدارس وكل أنواع القصور والبيوت والدكاكين والحمامات ومخازن الأدوية. وشيد فى خارج الباب الذى يتجه نحو الجنوب منارة مماثلة لمنارة مراكش، ولكن مع مطلع أكثر عرضا بكثير، وفى الواقع يستطيع ثلاثة فرسان أن يصعدوا إليها جنبا إلى جنب. ويقال: إنه من الممكن من أعلاها رؤية سفينة فى عرض البحر على مسافة كبيرة جدا. وأعتقد أنها تعتبر، نظرا لارتفاعها، من أجمل الأبنية فى العالم (الواقع أن برج حسان يرتفع لأكثر من ٤٤ م ولكن موقعه يمنحه بروزا بديعا جدا، وعرض مطلعه متران) وأراد الملك أيضا أن يستوطن فى المدينة العديد من الصناع والمثقفين والتجار. وأعطى الملك أمرا بأن كل مواطن فيها ينال مكافأة علاوة على الربح المادى الذى تدره عليه مهنته. وقد أدى ذلك إلى اجتذاب أناس إلى هذه المدينة من كل الأصناف ومن كل المهن، حتى لقد غدت الرباط، خلال وقت طويل، من أشرف المدن فى كل إفريقية وأغناها، إذ كان لسكانها دخل مزدوج؛ أولا المكافأة المقررة، وثانيا ربح التجارة مع العسكريين ومع رجال الحاشية الملكية. وكان

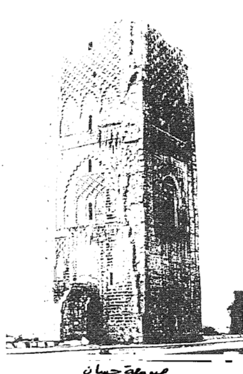
المنصور يسكن هذه المدينة من بداية شهر نيسان إلى شهر أيلول. ولما كانت المدينة قائمة فى موقع يفتقر للماء الجيد، لأن ماء البحر يختلط عندها بماء النهر، ولما كانت موجة المد تصعد لمسافة اثنى عشر ميلا من المدينة، فقد جلب إليها الماء بواسطة قناة بديعة البناء، قائمة فوق حنايا تماثل تلك التى ترى فى كل إيطاليا، لا سيما بجوار روما. وتنقسم هذه القناة إلى عدة فروع تقود إحدها الماء إلى المساجد والمعاهد والقصور الملكية والأحواض العامة التى أقيمت فى كل الأنحاء.

وبعد وفاة المنصور أخذت هذه المدينة فى التدهور حتى إنه لم يبق منها سوى العشر. فقد تقطعت القناة وتخربت أثناء حروب المرينيين ضد أسرة المنصور. والرباط الآن فى أسوأ حالة عرفتها، وأعتقد أنه لا يمكن العثور فيها. إلا بصعوبة على أربعمئة بيت مسكون قرب القلعة، مع بعض الدكاكين الصغيرة وفضلا عن ذلك فهى مهددة باحتلال البرتغاليين لها. والحقيقة أن كل ملوك البرتغال السابقين خططوا المشاريع لاحتلالها، على اعتبار أنهم إذا ما استولوا على الرباط فإنهم سيتمكنون بسهولة من احتلال المملكة. ولكن ملك فاس زود هذه المدينة بمخازن أقوات كبيرة وهو يدعمها قدر استطاعته.

وقد ذهبت إليها وتملكتنى الشفقة والأسى عندما فكرت بما كانت عليه فى الماضى وما آل إليه حالها اليوم. انتهى النص المأخوذ من كتاب « وصف إفريقية للحسن الوزان.

ويعلق الأستاذ الدكتور عبد الرحمن حميدة على هذا النص بقوله:

لقد كانت كلمة الرباط تعنى عند العرب المسلمين الثغر المتقدم لإقامة الفرسان، وحيث كانت تربط الخيول فيه. فالكلمة مأخوذة من ربط الخيل ومن رابط بمعنى أقام بانتظار الجهاد. وهكذا تجهزت كل الجبهة الأرضية والبحرية لجيوش الفتح الإسلامى بهذه المراكز العسكرية التى تمنح منعة للمجاهدين فى سبيل الله وتدعم إيمانهم. وقد أنشئ رباط الضفة اليسرى لمصب نهر أبو الرقاق، أى رباط سلا، كرأس



صومعة حسان

جسر ضد المارقين من قبيلة برغواطة. وفى أواسط القرن التاسع كان يتواجد أحيانا فى هذه الرباطات كما فى الرباطات المجاورة حوالى مائة ألف من المرابطين مجتمعين، وظل اسم بلد المجاهدين معروفا بجوار البحر، جنوبى الرباط، ويعود إنشاء مدينة فى هذه المنطقة، فى الغالب، للخليفة عبد المؤمن الذى كان عليه أن يقمع فى سنة ١١٤٩ م آخر تمرد قامت به برغواطة، الذين عجز المرابطون عن إبادتهم جميعا فى عامى ١٠٥٩ ـ ١٠٦٠ م.

وقد بنى المدينة فى مكان قصر كان يخص بنى كنانة، وسماء المهدية، تخليدا لذكرى المهدى بن تومرت ولكن الاستعمال الدارج عمل على تفوق اسم رباط الفتح. وهذا بلا شك بسبب نجاح تلك الحملة ضد برغواطة. وفى سنة ١١٥٠ م عمل عبد المؤمن على جر مياه عين غابولة، وهو نبع يقع على مسافة ٢٠ كم نحو الجنوب. وبعد ثلاثين عاما عمل حفيده أبو يوسف يعقوب المنصور الذى حقق بتاريخ ١٥ تموز ١١٩٥م من الظفر المؤزر فى معركة آلاركوس فى الأندلس (معركة الزلاقة)، أقول عمل على تنفيذ مشروع التنظيم الذى يلخصه هنا المؤلف:

أى جعل من الرباط قاعدة لتمركز الجيوش على أن يمتد تمركزها هذا على البلاد الهامة الواقعة على ساحل المحيط من الرباط حتى القصر الصغير شمالا. وقد شيد فى الرباط. على الخصوص. حصن الفرح الذى لا يزال بابه البديع ماثلا، والمسمى حاليا باب الأوداية، وكذلك الجامع الكبير الذى كان برج حسان منارته، كما أعاد بناء سور شلا(سلا) حيث أقام فيها مدينة ملكية ودينية وعسكرية ، لأن الرباط كانت مدينة تجارية وعمالية. وقد سمحت له الغنائم المذهلة التى تحققت من وراء حملته فى إسبانيا فى فترة ١١٩٥ م إلى ١١٩٨م بتحويل هذه الإنجازات وكثير غيرها فى إمبراطوريته. ويعتبر عام ١١٩٧ م تاريخ تأسيس الرباط ولكن تحقيق هذه المشاريع استدعى بالتأكيد زمنا طويلا نوعا ما (تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى / ٦٤١ ـ ٦٤٤).

(موسوعة المدن العربية والإسلامية ـ د. يحيى شامى / ٢١٣ ، ٢١٤، والأعلام للزركلى ٤ / ٧٠) ، وتاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ـ د. السيد عبد العزيز سالم / ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٧٦ ـ ٧٧٨ ، و «المغرب» ـ عبد الفتاح سعيد. منار الإسلام. العدد الثانى عشر. السنة الرابعة. ذو الحجة ١٣٩٩ هـ ـ نوفمبر ١٩٧٩ م / ٥٦ ، وأعلام الجغرافيين العرب ـ د. عبد الرحمن حميدة / ٦٤١ ـ ٦٤٤).

*** الرباطى:**

قال السمعانى

الرباطى : بكسر الراء وفتح الباء المنقوطة بواحدة وفى آخرها الطاء المهملة ، هذه النسبة إلى الرباط وهو اسم لموضع يربط فيه الخيل وعرف بالغزاة لأنهم إذا نزلوا فى ثغر وأقاموا فى وجه العدو دفعا لكيدهم وفتكهم بالمسلمين يقال لذلك الموضع الرباط قال الله تعالى: ﴿ **ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله** ﴾ [الأنفال : ٦٠] والمشهور بهذه النسبة أبو عبد الله أحمد بن سعيد بن إبراهيم الرباطى من أهل مرو، قال أبو عطى الغسانى : عرف بالرباطى لأنه كان تولى على الرباط ، قلت: ولعله يتولى عمارة الرباط حتى لا تضيع الأوقاف التى لها، أخبرنا زاهر بن طاهر بنيسابور أنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى إجازة أنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول سمعت إبراهيم بن أبى طالب يقول سمعت أحمد بن سعيد الرباطى يقول: قدمت على أحمد بن حنبل فجعل لا يرفع رأسه إلى فقلت: يا أبا عبد الله ! إنه كتب عنى بخراسان وإن عاملتنى بهذه المعاملة راموا بحديثى فقال: يا أحمد هل بد يوم القيامة من أن يقال: أين عبد الله بن طاهر وأتباعه؟ انظر أنى تكون أنت منه؟ قال قلت: يا أبا عبد الله ! إنما ولأنى أمر الرباط، لذلك دخلت فيه؛ قال: فجعل يكرر على : يا أحمد ! هل بد يوم القيامة من أن يقال: أين عبد الله بن طاهر وأتباعه فانظر أنى تكون أنت منه؟ سمع وكيع بن الجراح وعبيد الله بن موسى ووهب بن جرير وسعيد بن عامر وعبد الرزاق بن همام، روى عنه الإمامان أبو عبيد الله محمد بن إسماعيل البخارى وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى فى صحيحيهما والحسين بن محمد القبانى ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وغيرهم وكان ثقة فاضلا فهما عالما صدوقا، له رحلة، مات بعد سنة الرجفة ـ سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وقال أبو عبد الرحمن النسائى؛ أحمد بن سعيد الرباطى مروزى ثقة.

وأبو محمد عبد الله بن أحمد الرباطى المروزى من أكابر الشيوخ الصوفية، سافر مع أبى تراب النخشبى، وقدم بغداد، وكان الجنيد بن محمد يمدحه ويبالغ فى وصفه، ويقال إنه عبد الله بن أحمد بن سعيد الرباطى ، وهو من أستاذى يوسف ابن الحسين وكان عالما بعلوم الظاهر والعلوم الحقائق وكان من رفقاء أبى تراب الشافعى فى أسفاره، وكان الجنيد يقول: عبد الله الرباطى رأس فتيان خراسان. وذكره أبو العباس المعدانى فقال: هو عبد الله بن أحمد بن شبويه، كان مقدما ببغداد فى أيام الجنيد ولم يكن له ببغداد نظير فى السخاء وحسن الخلق.

وأبو مضر محمد بن مضر بن معن المروزى الرباطى من أهل مرو صاحب الأخبار والحكايات ، قيل له الرباطى لأنه سكن بمرو فى رباط عبد الله بن المبارك، سمع بخراسان عتبة ابن عبد الله اليحمدى وعلى بن حجر وبالعراق محمد بن سهل بن عسكر وهارون بن إسحاق الهمدانى، روى عنه مشايخ مرو وأبو عمرو الضرير، ومن أهل نيسابور أبو بكر بن على الحافظ وعبد العزيز بن محمد بن مسلم، قال أبو مضر

الربـاطى ... قال الحاكم : أبـو عبد الله الحافظ : أبـو مضر الرباطى رأيت أعقابه بمرو فى رباط عبد الله بن المبارك .

وأبـو عبـد الله جبـريـل بن على بن أحمـد بـن محمـد الرباطى، يروى عن أبى نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى الإستراباذى .

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ٣٩ - ٤١) .

* **الرُّباعى :**

الرُّبـاعى : بالضم عنـد الصرفيين كلمـة فيها أربعـة أحرف أصول فحسب سواء كانت اسمـا كجعفر أو فعلا كبعثر. وعند النحاة كلمة فيهـا أربعة أحرف سواء كـانت أصولا كبعثر أو لا كأكرم وصـرَّف وقاتل قـال المولوى عصـام الدين فى حـاشية الفوائد الضيائيـة فى بحث الأمر هذا المعنى مستعمل فى علم النحو. وأما فى علم الصرف فهو مـا كان الحروف الأصول فيه أربعة انتهى (كشف ٢ / ٥٦٥) .

والـرباعى هـو وصف الفعل والاسم اللـذين يتكونـان من أربعة حروف، وأما الفعل فيكون رباعيا بالزيادة أو بالتجريد . فالفعل الربـاعى بالزيادة ذو أصل ثلاثى ولـه الأوزان التالية : فعَّل نحو قدَّم، وأفعل نحو أقدم وفاعل نحو قاتل .

وللـرباعى بـالتجريـد وزن واحد هـو: فَعْلَلَ نحو دَحْـرَجَ وزلزل . وأما الاسم الربـاعى فله أوزان كثيرة اتفق على خمس منها وزاد الكوفيون والأخفش سادسا .

وهذه الأوزان هى :

فَعْلَلَ مثل جعفر.

فِعْلِل مثل زَبْرِج .

فِعْلَل مثل دِرْهَم .

فُعْلُل مثل بُرْقُع .

فِعَلّ مثل هِزَبْر.

وأما السادس المضاف فهو: فُعْلَل جُخْدَب وطحلب .

وقد يكون الرباعى ثـلاثى الأصل ثم زيد فيه حرف واحد مثل زيادة الهمزة فى أجدل بمعنى الصقر والتاء فى تتفل (ولد الثعلب) .

ويـدخل فى هذا النـوع المصدر الميمى وأسمـاء الزمـان والمكـان واسم الآلــة على وزن مِفْعَل (معجم المصطلحات النحوية والصرفية / ٩٠ ، ٩١) .

قال الشيخ معروف النودهى عن الرباعى المجرد .

أمـــا الـــربـــاعى الـــذى يُجـــرَّد
فهـــو بنـــاء واحـــد لا أزيـــد

فَعْلَلَ نحـــو دحـــرج الـــزُّجـــاجـــا
ردده دحـــرجـــة دحـــراجـــا

(الأعمال الكاملة ١ / ٢٨) .

وقال الشيخ أحمـد جابر جبران فى منظومـة «فتح الودود» الأبيات التالية التى يمزجها بالشرح ويبدأ بالرباعى المجرد :

ولـلـــربـــاعى المجـــرد اجعـــلا
بـــابـــا وحيـــدا وهـــو بـــاب فَعْلَـــلا

كـــدحـــرجـــا مع ملحقـــات جعلـــوا
ستـــة مثـل حـــوقـل المحـــوقـل

وجهـــور القـــول وبـــاب فيعـــلا
وبـــاب فعلى وكـــذاك فيعـــلا

ســـادسهـــا فعلل نحـــو جلبيـــا
أى لبس الجلبـــاب فيمـــا كتبـــا

أى هذا بـاب بيان الـرباعـى المجرد، وتقـدم أنه مـا كان مـاضيه علـى أربعة أحـرف أصـول، وهو بـاب واحـد فقط، وذكرته بقولى بابا وحيدا وهو باب فعللا وإنما كان بابا واحدا - لأن الفعل ثقيل فلم يجـوِّزوا زيـادة حـروفـه الأصـول على الثلاثة، إلا أن يكون محركا بالفتحات لخفتها فلم يبق للتعدد وجه، وبناؤه للتعـدية غالبا بشهادة بنائه للمفعـول قال تعالى ﴿زخرف القول﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿إذا بعثر مـا فى القبور﴾ [العادات : ٩] تقول دحـرج ذيد الحجر أى أداره من أعلى إلى أسفل ويضم حرف المضارعة منه فى المستقبل، وكذا كل فعل ماضيه على أربعة أحرف مجردا كان أو مزيدا على الثلاثى كما

ذكرت فى بعض النسخ بقول * وفى المضارع يضم حرفه بلا منازع * ذا الحكم فى كل رباعى * وقولى * وملحقات جعلوا ستة* أى أن ملحقات الرباعى ستة أبواب. الباب الأول ـ فوعل نحو حوقل يحوقل وأصله حقل أى ضعف وفى الإقناع حوقل الشيخ، إذا ضعف ... ويأتى من مركب فى النحت نحو حوقل الرجل . أى قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وهذا الباب لازم ملحق بدحرج.

والباب الثانى باب فعول: نحو جهورا يجهور وأصله جهر بالقول أى رفع صوته به وهو متعد ملحق بدحرج.

والباب الثالث باب فيعل. نحو بيطر القلم يبطره إذا شقه، وأصله بطر من البطر وهو الشق أو شدة المرح فيكون لازما. يقال بيطر الرجل إذا بالغ التبختر فى المشى وهو ملحق بدحرج.

والباب الرابع باب فعيل نحو عثير يعثر وأصله عثر أى زلق ولم تستقر رجله وهو لازم.

والباب الخامس فعلى: نحو سلقى يسلقى، وأصله سلق يقال سلقيت الرجل أى ألقيته على قفاه فى المتعدى وسلقى الرجل عمل عمل الجاسوس فى اللازم والباب السادس باب فعلل. نحو جلبب يجلبب وأصله جلب أى أخذ شيئا وذهب به إلى البيع . وجلبب أى لبس الجلباب وهو كساء معروف ، واقتصرت على الأخير فى النظم.

وفى بعض النسخ بدل الثلاثة الأبيات الأخيرة سبعة وهى :

كدحرج الشىء وفى المضارع
يضم حرفه بلا منازع
ذا الحكم فى كل رباعىٍّ جعل
مجرد أو ذا زيادة نقل
وقد تكون ستة وتنسم
بملحقات الباب قالوا ينتظم
أولها فوعل نحو حوقلا
وجهور القول لباب فعولا
وباب فيعلت كبيطر القلم
وفعيل الذى كعثير القدم
وباب فُعلى مثل سلقى إن قصد
لعمل الجاسوس فيما يعتقد
سادسها فَعْلَلَ نحو جلببا
أى لبس الجلباب فيما كتبا

انتهت وهى أوضح مما اقتصرت عليه هنا، وإنما تركتها طلبا للاختصار. ثم ذكرت مزيد الرباعى بقولى :

فصل : فى المزيد على الرباعى.

وزائد على الرباعى اثبتا
أبوابه ثلاثة كما أتى
وهى على نوعين فيما رسما
وبالخماسى والسداسى وسما
الآخر الزائد حرفين اجعلا
واحسب له بابين باب افعنللا
كاحرنجمت إبل الفتى وما
التحق به كما نبهت فيما قد سبق
وبابه الثانى ما يوازن
باب افعلل كاقشعر البدن

يعنى أن مزيد الرباعى المجرد على ثلاثة أبواب: تنقسم إلى نوعين خماسى وسداسى . وقوله فالآخر. أى السداسى وهو النوع الثانى زائد بحرفين وله بابان . فالأول: باب افعنلل بزيادة الهمزة والنون . نحو احرنجم يحرنجم احرنجاما والاحرنجام الاجتماع ولذا أسندته إلى الإبل فى قولى: (كاحرنجمت إبل الفتى) أى كثر اجتماعها وهذا البناء لازم لأنه مطاوع فعلل يقال: حرجمت الإبل فاحرنجمت الإبل. وقوله (وما التحق به) مما سبق التنبيه عليه فى مزيد الثلاثى بقولى (وذان عد الأكثرون لهما . . فى زائد الرباع باب احرنجما) وذلك باب اقعنسس واسلنقى كما تقدم من أن أكثر الصرفيين ذكروهما فى ملحقات احرنجما، لاتحاد مصدريهما معه فى الحروف والحركات والسكنات . والباب الثانى ذكرته بقولى بات افعلل بتشديد اللام الأخيرة، وهو أحد الزائدين، وزائدة الثانى الهمزة نحو اقشعر يقشعر اقشعرارا وهذا البناء لازم لأنه للألوان كاحمر وأخواته أما النوع الأول

وهو الخماسى فله باب واحد، ولذا أخرته عن النوع الثانى وسمى خماسيا لأنه زائد بحرف واحد فقط وهو مذكور مع ملحقاته فى قولى.

أما الخماسى فى تفعلل انحصر
وزنا له نحو تدحرج الحجر
والحق به تفوعلا تفيعلا
تفعولا تمفعلا تفعللا
وزد تفعلى كتقلسى وكذا
باب تفعنل الذى له احتذا

أى النوع الأول الخماسى، وهو باب تفعلل نحو تدحرج يتدحرج أصله دحرج فزيدت فيه التاء وهذا البناء لازم، لأنه مطاوع فعلل، وقد يكون باعتبار ملحقاته ثمانية أبواب . الأول تدحرج كما سبق . الثانى: باب تفوعل نحو تجورب أى يتجورب أى لبس الجورب. الثالث : تفيعل نحو تشيطن أى فعل فاعل مكروها. الرابع : تفعول نحو ترهوك أى تبختر فى مشيته. الخامس: تمفعل نحو تمسكن أى أظهر المسكنة. السادس: تفعلل نحو تجلبب أى لبس الجلباب. السابع: تفعلى نحو تقلسى. الثامن: باب تفعنل نحو تقلنس ومعنى تقلس وتقلنس أى لبس القلنسوة وهى ما يلبس على الرأس تحت العمامة .

(فائدة) الفرق بين زائد الإلحاق وغيره ، أن زائد الإلحاق لا يكون فى أول الكلمة ولا يكون حرف تضعيف، ولا ألفا زائدا اهـ. وعلامة الإلحاق اتحاد مصدرى الملحق والملحق به وتوافق الزائد فيهما ذاتا ومحلا انتهى مطلوب ...

تنبيه : قال فى تدريج الأدانى . اعلم أن الإلحاق مطلقا سواء كان فى الاسم أو فى الفعل جعل مثال مساويا لمثال آخر أزيد منه بزيادة حرف أو أكثر فى عدد الحروف، والحركات، والسكنات ولذا لا يجوز الإدغام مطلقا فى الملحق ولا الإعلال فى غير الآخر ويجعل ذلك الحرف الزائد فى المزيد فيه مقابلا للأصلى فى الملحق فيعامل الملحق معاملة الأصلى فى جميع تصاريفه وذلك كجعل شملل مساويا لدحرج بزيادة اللام فيعامل شملل معاملة دحرج فى جميع تصاريفه، وفى الاسم كجعل قردد مساويا لجعفر بزيادة الدال فى قردد فيعامل معاملة جعفر فى جميع أحواله . من تصغير وتكسيرٍ وغيرهما . انتهى .

فائدة : الفرق بين الأصل والملحق أن الملحق يجب أن يكون ما زيد فيه للإلحاق دون الأصل فيجب فى حوقل مثلا زيادة الواو بين الفاء والعين دون دحرج ، وفى باب جلبب مثلا تكرير اللام دون دحرج، وعلى هذا القياس انتهى .

تنبيه : جملة ما ذكرنا من أبواب الصرف ثمانية وثلاثون بابا، ويزاد على ملحقات دحرج فلنس بزيادة النون. فالجملة تسعة وثلاثون، وزاد الكوفيون زلزل من ملحقات دحرج ومزيده تزلزل وألحق بعضهم اطمأن باقشعر ذهابا إلى أن الهمزة فيه مزيدة .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٦٥ ، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية ـ د. محمد سمير نجيب اللبدى / ٩٠ / ٩١ ، والأعمال الكاملة للشيخ معروف النودهى . المجموعة الصرفية والنحوية ١ / ٨ ، وفتح الودود شرح اللؤلؤ المنضود نظم متن المقصود ـ أحمد جابر جَبران / ٣٢ ـ ٣٦ . انظر أيضا المزهر فى علوم اللغة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ٢٨ ـ ٣٣).

*** الرُّباعى (١٢٠٠ـ١٢٧٦ هـ / ١٧٨٦ـ١٨٦٠ م):**

حسن بن أحمد بن يوسف الرباعى الصنعانى ، فقيه زيدى، من أهل صنعاء، له «فتح الغفار لجمع أحكام سنة المختار» طبع مصر، باسم «فتح الغفار المشتمل على أحكام سنة نبينا المختار» .

(الأعلام للزركلى ٢ / ١٨٣ ، عن البدر الطالع ١ / ١٩٤، ونيل الأوطار ١ / ٣١٨).

*** رباعى التابعين:**

من مخطوطات الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله .

لأبى موسى المدينى .

١ ـ الظاهرية ٢٠٨ (مجموع ١٠٦) ـ ج٤ (و ١٨ ـ ٢٧) ضمن مجموع ـ قبل ٦٠٠ هـ .

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت(مآب) عمان ، الأردن ٢ / ٨٠١).

* رباعيات:

للترمذى :

١ ـ ولى الدين جار الله ١٨ [٢٨٢] ـ (سز ١ / ١٥٦).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب)عمان، الأردن ٢ / ٨٠١).

* الرباعيات:

الرباعيات : لأبى بكر بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى البغدادى الزار المحدث المتوفى سنة ٣٥٤ أربع وخمسين وثلثمائة تخريج أبى الحسن الدارقطنى وتسمى هذه الرباعيات أيضا الجزء الرابع والثمانين من فوائد الشافعى منها رواية الأصيلى ، أى رباعية الأسانيد للبخارى . وفيه درر الدرارى فى شرح رباعيات البخارى لأحمد بن محمد الشامى الشافعى أولها : الحمد لله الذى نزل أحسن الحديث استخرجها من جامع الصحيح مستمدا من شرح الكرمانى وتنقيح الزركشى مع زيادات أثبتها بِقُلْتُ.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٣٢).

* الرباعيات فى الحديث:

من مخطوطات الحديث والمصطلح المصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وجاء بيانه كما يلى : وهى أن يجتمع فى إسناد الحديث أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، كل واحد منهم يروى عن صاحبه .

تأليف أبى محمد عبد الغنى بن سعيد بن على بن سعيد الأزدى نسخة كتبت فى القرن السابع بخط نسخ نفيس ، وعليها تعليقات عن المؤلف .

[فيض الله ٢٦١ / ٣ ٢ق ١٦,٥ × ٢٥ سم].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ــ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٨١).

قالت المؤلفة :

مكتبة فيض الله ملحقة بمكتبة ملت باستانبول.

* الرباعيات من صحيح مسلم (مع أسانيد):

مخطوط تأليف الوانى (محمد بن إبراهيم).

١ ـ خدابخش ٥ / ٢ / ١٨٤ ـ ١٩٤ [462/2] ـ (و ١٥ ـ ١٩) ضمن مجموع، الأسانيد (و ٢١ ـ ٢٥) ضمن مجموع ـ ٦٦٤ ـ ٦٨٨هـ ، ٧٢٤ ـ ٧٤٥هـ / (سز ١ / ١٤٠).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٨٠١).

* الرباعيات من (كتاب) السنن المأثورة:

للنسائى .

١ ــ تشستربيتى ٤ / ٣١ [(١)9849](و ٤ ــ ٢٤) ضمن مجموع ـ ق ٦ هـ ـ (سز ١ / ١٦٨).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت . عمان، الأردن ٢ / ٨٠١).

* الرُّباعية:

الرُّباعية : وصف للأفعال والأسماء التى تتكون من أربعة حروف سواء أكان ذلك بالتجريد أم بالزيادة فيقال : أفعال رباعية وأسماء رباعية .

(معجم المصطلحات النحوية والصرفية ـ د. محمد سمير نجيب اللبدى / ٩١).

* الربالى:

قال السمعانى :

الربالى : بفتح الراء والباء الموحدة واللام بعد الألف ، هذه النسبة إلى ربال وهو الجد لأبى عمر حفص بن عمرو بن ربال بن إبراهيم بن عجلان المجاشعى الربالى الرقاشى من أهل البصرة، يروى عن عمر بن على المقدمى وعبد لوهاب ابن عبد المجيد الثقفى والبصريين، روى عنه جماعة من الشيوخ مثل إبراهيم بن إسحاق الحربى وعبد الله بن محمد بن ناجية ويحيى بن محمد بن صاعد والقاضى المحاملى، وهو ثقة مأمون صدوق، ومات فى سنة ثمان وخمسين ومائتين.

وجعفر بن محمد الربالى، يروى عن أبى عاصم والحسن ابن حفص الأصبهانى، روى عنه الحسن بن محمد بن شعبة البغداى.

(الأنساب للسمعانى ٣/ ٤١).

*** الرَّبانيون:**

الرَّبانيون: جمع ربَّانى، والربَّانى فى اللغة العارف بالله، وتفسره الآية الكريمة ﴿ كونوا ربانيين﴾ [آل عمران: ٧٩] وهو من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، . كما كان يلقب به العلماء فكان يقال «العالم الربانى» . وقد يرد أيضا فى ألقاب المسيحيين، فلقب به الأحبار فيقال «الأحبار الربانيون»

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى/ ١٥٦)

والربانيون: عُبَّاد اليهود، أو العلماء الفقهاء (كلمات القرآن/ ٦٨)

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى-محمد قنديل البقلى/ ١٥٦ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦/ ١٤، ٩٠، ٩١، وكلمات القرآن).

انظر: الرب.

*** الرَّبَذَة:**

الربذة: بالراء، وبعدها باء موحدة والذال المعجمة وبالتحريك. لها ذكر فى أخبار أبى ذر الغفارى رضى الله عنه، وحمى الربذة الذى حماه عمر بن الخطاب لخيل المسلمين...

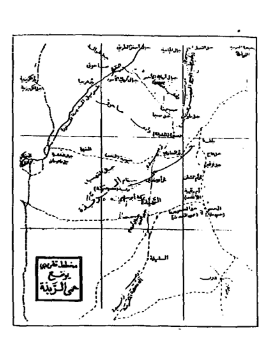
كانت قرية عامرة ولكنها خربت سنة ٣١٩ هـ بسبب الحروب، وتقع فى الشرق إلى الجنوب من بلدة الحناكية (مائة كيلو متر عن المدينة فى طريق الرياض)، وتبعد الربذة شمال مهد الذهب على مسافة (١٥٠) كيلو متر.

(المعالم الأثيرة/ ١٢٥) قال عبد الله بن مسعود: بينما أنا فى رهط من أهل العراق مسافرين إذ أشرفنا على الربذة ولم يرعنا إلا جنازة على قارعة الطريق فطلع علينا غلام، فقال: هل لكم فى صاحب رسول الله ﷺ تعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكى ويقول صدق رسول الله ﷺ قال: «أبو ذر الغفارى يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده» ثم نزل هو وأصحابه وواروه أى دفنوه، واسم أبى ذر الغفارى «جندب ابن السكن والمشهور جندب بن جنادة وكان قد خرج إليها أى إلى الربذة مغاضبا لعثمان بن عفان رضى الله عنه فأقام بها إلى أن مات عام ٣٢ هـ (تاريخ معالم المدينة المنورة/ ٢٤٢، ٢٤٣/

قال عنها ياقوت:

الربذة: بفتح أوله وثانيه، وذال معجمة مفتوحة أيضا: قال أبو عمرو: سألت ثعلبا عن الربذة اسم القرية فقال ثعلب: سألت عنها ابن الأعرابى فقال: الربذة الشدة. يقال: كنا فى ربذة فانجلت عنا، وفى كتاب العين: الربذ: خفة القوائم فى المشى وخفة الأصابع فى العمل، تقول: إنه لربذة. والربذات: العهون التى تعلق فى أعناق الإبل. الواحدة ربذة، وقال ابن الكلبى عن الشرقى: الربذة وزَرود والشقرة بنات يثرب من قانية بن مهليل بن إرم بن عبيل بن أرفخشد بن سام بن نوح، عليه السلام. والربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبى ذر الغفارى، رضى الله عنه، واسمه جندب بن جنادة، وكان قد خرج إليها مغاضبا لعثمان بن عفان، . رضى الله عنه. فأقام بها إلى أن مات فى سنة ٣٢.

وقرأت فى تاريخ أبى محمد عبيد الله بن عبد المجيد بن سيران الأهوازى قال: وفى سنة ٣١٩ خربت الربذة باتصال الحروب بين أهلها وبين ضربة ثم استأمن أهل ضربة إلى القرامطة فاستنجدوهم عليهم فارتحل عن الربذة أهلها فخربت، وكانت من أحسن منزل فى طريق مكة، وقال الأصمعى يذكر نجدا: والشرف كبدُ نجد، وفى الشرف الربذة، وهى الحمى الأيمن، وفى كتاب نصر: الربذة من منازل الحاج بين السليلة والعمق؛ وينسب إلى الربذة قوم، منهم: أبو عبد العزيز موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى، وأخواه محمد وعبد الله، روى عبد الله عن جابر عن عقبة بن عامر، روى عنه أخوه موسى، وقتله الخوارج سنة ١٣٠، وغيره، وفى تاريخ دمشق عبد الله بن عبيدة بن نشيط الربذى



المخطط رقم (١٨)
عن: «معجم القصيم»، للأستاذ محمد بن ناصر العبودي

مولى بنى عامر بن لؤى، وفد على عمر بن عبد العزيز، رضى الله عنه، وروى عنه وعن عبيد الله بن عتبة وعن جابر بن عبد الله مرسلا، روى عنه عمر بن عبد الله بن أبى الأبيض وصالح بن كيسان وأخوه موسى بن عبيدة، قال محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة قال: وروى موسى بن عبيدة الربذى، وهو ضعيف الحديث جدا وهو صدوق، عن أخيه عبد الله بن عبيدة، وهو ثقة وقد أدرك غير واحد من الصحابة، كذا فيه سواء ضعيف الحديث ثم قال صدوق (معجم البلدان ٣ / ٢٢ ـ ٢٥).

(المعالم الأثيرة فى السنة والسيرة ـ إعداد وتصنيف محمد محمد حسن شراب / ١٢٥، وتاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا ـ فضيلة الأستاذ السيد أحمد ياسين أحمد الخيارى ـ تعليق وإيضاح وإضافة وتخريج فضيلة الأستاذ عبيد الله محمد كردى / ٢٤٢، ٢٤٣، ومعجم البلدن لياقوت الحموى ٣ / ٢٢ ـ ٢٥. انظر أيضا السيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٤ / ١٢٤).

*** ابن رِبْذة (ـ ٤٤٠ هـ):**

هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم أبو بكر بن ربذة. مسند أصبهان. ثقة أمين. توفى سنة ٤٤٠هـ.

(طبقات المفسرين للحافظ السيوطى ـ بتحقيق على محمد عمر / ٩٢ هامش ٢ للمحقق، عن العبر ٣ / ١٩٣).

*** الرَّبَذى:**

قال السمعانى:

الربذى: بفتح الراء والباء المعجمة بواحدة وفى آخرها ذال منقوطة هذه النسبة إلى الربذة وهى من قرى المدينة على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد إلى مكة نزلت بها غير مرة، وبها قبر أبى ذر الغفارى رضى الله عنه، وكان يسكنها وتوفى بها.

والمشهور بهذه النسبة عبد الله بن عبيدة بن نشيط الربذى، يروى عن جابر وعقبة بن عامر، روى عنه أخوه موسى بن عبيدة الربذى، قال أبو حاتم بن حبان: عبد الله بن عبيدة منكر الحديث جدا، فلست أدرى السبب الواقع فى أخباره منه أو من أخيه؟ لأن أخاه موسى ليس بشىء فى الحديث، وليس له راو غيره فمن ههنا اشتبه أمره ووجب تركه. وقال أبو على الغسانى:

عبد الله بن عبيدة الربذى أخو مسلم بن عبيدة ويقال إن بينهما فى المولد ثمانين سنة ولا [وما] وهم الغسانى أو لهما أخ ثالث اسمه مسلم؟ وقال: سمع عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود حدث عنه صالح بن كيسان قتلته الحرورية بقُديد سنة ثلاثين ومائة.

ومن التابعين مهاجر بن حبيب الربذى، يروى عن أسد ابن كرز رضى الله عنه، روى عنه أرطاة بن المنذر وأبو المختار أيمن بن عبد الله الربذى، من ساكنى الربذة، أدرك أبا ذر الغفارى رضى الله عنه، روى عنه عقبة بن وهب.

وسلمة بن عمرو بن الأكوع الربذى، قال ابن أبى حاتم الرازى: والرواة تقول فى المجاز: سلمة بن الأكوع، ينسبونه إلى جده، ويكنى بأبى مسلم، الأسلمى له صحبة سكن الربذة وعداده فى أهل المدينة، روى عنه إياس بن سلمة ابنه ومولاه يزيد بن أبى عبيد ويزيد بن خصيفة.

وبكار بن عبد الله بن عبيدة الربذى بن أخى موسى بن عبيدة، يروى عن عمه أشياء مناكير لا يدرى التخليط فى حديثه منه أو من عمه أو منهما؟ لأن موسى ليس فى الحديث بشىء، وأكثر رواية بكار عنه؛ قال أبو حاتم بن حبان: فاحترزنا لما مر من أن نطلق على مسلم شيئا بغير علم فيكون خصمنا فى القيامة نعوذ بالله من ذلك، روى عنه ابن نفيل ومحمد بن مهران وحفص بن عمر الجدى وأبو حصين الرازى.

وأما عمه عبد العزيز موسى بن عبيدة بن نسطاس الربذى، وقيل عبيدة بن نشيط فيروى عن عبد الله بن دينار وأهل المدينة روى عنه العراقيون وأهل بلده، مات بالربذة، وقد قيل بالمدينة، سنة ثلاث وخمسين ومائة، وجعلوا يجدون المسك يفوح من قبره، وكان من خيار عباد الله نسكا وفضلا وعبادة وصلاحا، إلا أنه غفل عن الإتقان فى الحفظ حتى يأتى بالشىء الذى لا أصل له متوهما، يروى عن الثقات ما ليس من حديث الإثبات من غير تعمد له فبطل الاحتجاج به من جهة النقل وإن كان فاضلا فى نفسه.

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣/ ٤١، ٤٢).

***الربض:**

قال ياقوت:

الربض: بالتحريك وآخره ضاد معجمة، وهو فى الأصل حريم الشىء، ويقال لزوجة الرجل رَبْضه وربُضه؛ قال أبو منصور الربض فيما قال بعضهم أساس المدينة والبناء، والربض ما حوله من خارج. الأول مضموم والثانى بالتحريك، وقال بعضهم: هما لغتان، الأرابض كثيرة جدا وقل ما تخلو مدينة من ربض. وإنما نذكر ما أضيف فصار كالعلم أو نسب إليها أحد من العلماء.

ربض أبى عون: واسمه عبد الملك بن يزيد: ببغداد فى شارع دار الرقيق فى الدرب النافذ إلى دار عبد الله بن طاهر، وكان أبو عون من موالى المنصور، وكان يتولى له مصر ثم عزل عنها.

ربض أصبهان: ويقال له ربض المدينة ينسب إليه أبو شكر أحمد بن محمد بن على الربضى، سمع الاصبهانيين، حدث عنه سليمان بن أحمد الأصبهانى. ربض أبى حنيفة: محلة كانت ببغداد قرب الحريم الظاهرى بالجانب الغربى تتصل بباب التين من مقابر قريش، ينسب إلى أبى حنيفة أحد قواد المنصور وليس بصاحب المذهب

ربض الخوارزمية: يتصل بربض القرس بالجانب الغربى: كان ينزلها الخوارزمية من جند المنصور، وفى هذا الربض درب النجارية أيضا.

ربض الدارين: بحلب أمام باب أنطاكية فى وسطه قنطرة على قويق.

قال أحمد بن الطيب الفيلسوف: كان محمد بن عبد الملك بن صالح بناه وبنى فيه دارا أعنى الربض، ولم يستتمه وأتمه سيما الطويل ورمّ ما كان استهدم منه وصيّر عليه باب حديد حذاء باب أنطاكية أخذه من قصر بعض الهاشميين بحلب يسمى قصر البنات، وسمى الباب باب السلامة وبنى سيما فيه دارا أيضا مقابلة لدار عبد الملك بن صالح فسمى ربض الدارين لذلك.

ربض الرافقة: قد نسب إليه: وهو الذى يسمى الرقة، وهو كان ربضا للرافقة فغلب الآن على اسم المدينة.

ربض رُشَيْد: متصل بربض الخوارزمية ببغداد، ورشيد مولى للمنصور، وهو والد داود بن رشيد المحدث.

ربض زياد: بشيراز؛ ينسب إليه أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن المثنى أبو المثنى الباهلى الشيرازى، كان ينزل ربض شيراز فنسب إليه، روى عنه سلمة بن شبيب وطبقته.

ربض سعيد بن حميد: متصل بربض رشيد الذى قبله.

ربض زهير بن المسيب: متصل أيضا بربض سعيد بن حميد ببغداد.

ربض سليمان بن مجالد: أحد موالى المنصور، وقد ولى له الولايات الجليلة.

ربض عثمان بن نهيك: متصل بربض الخوارزمية، وكان عثمان بن نهيك على حرس المنصور.

ربض قرطبة : محلة بها ؛ قال الحميدى : يوسف بن مطروح منسوب إلى الربض المتصل بقرطبة فقيه مذكور من فقهاء مذهب مالك .

ربض مرو: ينسب إليه أحمد بن بكر بن يونس بن خليل أبو بكر المؤدب الربضى، مروزى الأصل، حدَّث عن على ابن الجعد وغيره .

(معجم البلدان ٣/ ٢٥، ٢٦).

*** الربضى:**

قال السمعانى :

الربضى : بفتح الراء والباء المنقوطة بواحدة وفى آخرها الضاد المعجمة، هذه النسبة إلى قبيلة وموضعين ، أما المهاجر بن غانم الربضى فهو منسوب إلى الربض وهو حى من مذحج ، سمع أبا عبد الله الصنابحى، روى عنه محمد بن حسان. والحسن بن عبد الرحمن بن شفطان الرقى البزاز الربظى هكذا رأيت بالظاء فى معجم ابن المقرئ، والصواب بالضاد لأنه من ربض الرقة والرافقة، وهو الحائط الدائر حواليهما فيما أظن، يروى عن أبى عمر هلال بن العلاء الرقى، روى عنه أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرى .

وأما أبو بكر أحمد بن محمد بن على الربضى منسوب إلى ربض أصبهان، سمع الإصبهانيين، روى عنه أبو مسعود سليمان بن إبراهيم الحافظ الأصبهانى .

وأما أبو بكر أحمد بن بكر بن يونس بن الخليل المؤدب الربضى، مروزى الأصل منسوب إلى ربض مرو، وهو حائطها، يروى عن على بن الجعد الجوهرى وغيره .

وأبو أيوب سليمان الربضى الضرير نسب إلى ربض بغداد والله أعلم، حدث عن داود بن المحبر، روى عنه إبراهيم ابن الوليد الحشاش، وكان سليمان من الصالحين .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣/ ٤٢، ٤٣).

*** الرُّبُط:**

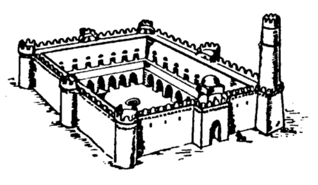
الرباط من المؤسسات التى تتميز بها المدن الإسلامية . وتتناول مصادر «الرُّبط» من عدة نواح، فيأتى ذكرها باعتبارها مؤسسات دينية، ومؤسسات عسكرية ومؤسسات تربوية، كما تصفها من الناحية المعمارية، وتحصى عددها وتسميها بأسمائها فى البلاد الإسلامية المختلفة، وهو ما ننقله فيما يلى إن شاء الله تعالى . ورُباط تجمع على أَرْبِطة، ورُباطات، ورُبُط :

١ ـ الرباط كمؤسسة دينية :

قال الإمام الراغب الأصفهانى فى مادة «ربط» :

ربط : رَبْط الفرس شدة بالمكان للحفظ ومنه رباط الجيش، وسمى المكان الذى يخص بإقامة حفظة فيه رباطا، والرباط مصدر رَبْطَتُ ورَابَطْتُ، والمُرابطة كالمحافظة، قال الله تعالى : **﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** [الأنفال : ٦٠] وقال **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾** [آل عمران : ٢٠٠] فالمرابطة ضربان: مرابطة فى ثغور المسلمين وهى كمرابطة النفس البدن فإنها كمن أقيم فى ثغر وفُوِّض إليه مراعاته فيحتاج أن يراعيه غير مخل به وذلك كالمجاهدة وقد قال عليه والصلاة والسلام «من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة» وفلان رابط الجأش إذا قوى قلبه وقوله تعالى : **﴿وربطنا على قلوبهم﴾** وقوله (لولا أن ربطنا على قلبها ـ وليربط على قلوبكم) فذلك إشارة إلى نحو قوله **﴿ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين وأيدهم بروح منه﴾** [الفتح : ٤] فإنه لم تكن أفئدتهم كما قال : **﴿وأفئدتهم هواء﴾** [إبراهيم: ٤٣]





رباط سوسة يعود بناء هذا الرباط الى عهد الاغالبة

(من وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير ٢٢ محفظة رقم ٤ بالمحكمة ـ الشروط التى يجب توافرها فيمن ينزل بالرباط)

وبنحو هـذا النظر قيل فـلان رابط الجأش (المفردات / ١٨٥ ، ١٨٦).

وجاء فى اللسان :

رباط الخيل: مرابطتها والـرباط من الخيل: الخمسة فما فوقهـا، والرباط والمـرابطة : مـلازمة ثغر العـدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا، وربما سميت الخيل أنفسها رباطا.

والربـاط: المواظبة على الأمـر . قال الفارسي: هـو ثان من لزوم الثغـر، ولزوم الثغـر ثان من ربـاط الخيل. وقولـه عز وجل: ﴿وصابروا ورابطوا﴾ [آل عمـران: ٢٠٠] قيل: معنـاه حافظوا ، وقيل: واظبوا على مـواقيت الصلاة. وفى الحديث عن أبى هريـرة: أن رسول الله ﷺ، قـال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الـدرجات؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: إسبـاغ الوضوء على المكـاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط.

الرِّباط فـى الأصل: الإقامة على جهاد العـدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها، فشبه مـا ذكر من الأفعال الصالحة به. قال القتيبى: أصل المـرابطة أن يربط الفريقـان خيولهما فى ثغر كل منهمـا معد لصـاحبه، فسمى المقـام فى الثغور رباطـا، ومنه قـوله: فـذلكم الربـاط ، أى أن المواظبـة على الطهارة والصلاة كالجهاد فى سبيل الله، فيكون الرِّباط مصدر رابَطْتُ أى لازمت، وقيل: هو ههنا اسم لما يربط به الشيء، أى يشد. يعنى أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصى وتكفـه عن المحارم. وفى الحـديث: أن ربيط بنى إسـرائيل قـال: زين الحكيم الصمت، أى زاهـدهم وحكيمهم الـذى يـربط نفسه عن الـدنيا أى يشـدهـا ويمنعها. وفى حـديث عدى: قـال الشعبى: وكان لنا جـارا وربيطا بالنهـرين، ومنه حديث ابن الأكوع: فربطت عليه أستبقى نفسى، أى تأخرت عنه، كأنه حبس نفسه وشدها. قال الأزهرى: أراد النبى ﷺ، بقوله فذلكم الرباط قوله عز وجل: ﴿يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابـروا ورابطوا﴾ [آل عمـران: ٢٠٠] وجـاء فى تفسيـره: اصبروا علـى دينكم، وصابـروا عدوكم. ورابطـوا، أى أقيموا على جهاده بالحرب. قال الأزهرى: وأصل الرباط من مرابط الخيل وهـو ارتباطهـا بإزاء العـدو فى بعض الثغور، والعـرب تسمى الخيل إذا رُبطَتْ بالأفنية وعلفت رُبُطًا واحدها ربيط، ويجمع الـرُّبُط رباطًا، وهـو جمع الجمع، قال الله تعـالى: ﴿ومن رباط الخيل ترهبـون به عدو الله وعدوكم﴾ [الأنفال: ٦٠]قال الفراء فى قوله تعالى: ﴿ومن رباط الخيل﴾ قال: يريد الإناث من الخيل، وقال: الربـاط مرابطة العدو وملازمة الثغر، والرجل مرابط ، والمـرابطات: جماعات الخيول التى رابطت (لسان العرب ١٨ / ١٥٦١).

وقال المقريزى:

الرُّبط جمع رباط وهو دار يسكنهـا أهل طريق الله قال ابن سيده: الرباط من الخيل الخمس فما فوقها والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا وربما سميت الخيل نفسهـا رباطا والرباط المواظبة على الأمر قال الفارسى هو ثان من لزوم الثغر ولـزوم الثغـر ثان مـن رباط الخيل وقـولـه تعـالى ﴿ وصابروا ورابطوا﴾ [آل عمران : ٢٠٠] قيل معناه جـاهدوا وقيل واظبوا على مـواقيت الصلاة وقال أبـو حفص السهروردى فـى كتاب عوارف المعارف وأصل الرباط ما تربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يـدفع أهله عمن وراءهم رباط فـالمجاهد المـرابط يدفع عمن وراءه والمقيم فى الـرباط على طاعـة الله يدفع بـدعائه البلاء عن

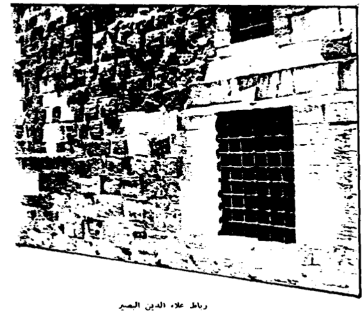
العباد والبلاد. وروى داود بن صالح قال قال لى أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخى هل تدرى فى أى شىء نزلت هذه الآية ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ [آل عمران : ٢٠٠] قلت لا قال يا ابن أخى لم يكن فى زمن رسول الله ﷺ غزو تربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط جهاد النفس والمقيم فى الرباط مرابط مجاهد نفسه واجتماع أهل الربط إذا صح على الوجه الموضوع له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الأوقات وتوقى ما يفسد الأعمال ويصحح الأحوال عادت البركة على البلاد والعباد وشرائط سكان الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الأسباب وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضا بها عن كل عادة والاشتغال بحفظ الأوقات وملازمة الأوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطا مجاهدا.

والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا أهل الصُّفة فى ذلك فالقوم فى الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الرباط لهذا المعنى. قال مؤلفه رحمه الله ولاتخاذ الربط والزوايا أصل من السنة وهو أن رسول الله ﷺ اتخذ لفقراء الصحابة الذين لا يأوون إلى أهل ولا مال مكانا من مسجده كانوا يقيمون به عرفوا بأهل الصُّفة (المواعظ والاعتبار ٢ / ٤٢٧).

وقد عدد المقريزى ما كان بمصر من ربط فى زمانه نذكرها إن شاء الله تعالى عند الكلام على الربط التى توجد فى بلاد بعينها.

وقال على مبارك عن الربط التى كانت بمدينة القاهرة فى زمانه.

وأما الرباطات، فكانت من المحلات الخيرية، وبعضها كان لإقامة الصوفية، وبعضها كان للنساء المنقطعات، أو المهجورات، أو المطلقات، أو العجائز الأرامل العابدات وكان لها الجرايات والمقامات المشهورة من مجالس الوعظ، وقد انقطع ذلك من زمن مديد.



رباط علاء الدين البصير

(الخطط ١ / ٢٢٤).

ثم يحصى هذه الربط كما فعل المقريزى، مما نذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ويعقد الدكتور محمد محمد أمين مقارنة بين الرُّبط والخوانق (انظر مادة «الخوانق» فى م ١٦ / ٤٥٢ - ٤٦٢) من حيث اختلاف الشروط التى يجب توافرها فيمن ينزل بكل منهما، وهى التى وردت فى وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير فيقول:

ويشبه الخوانق الربط والزوايا من حيث إن تعريف المقريزى لها جميعا. «بيت للصوفية ومنازلهم»، إلا أننا من دراسة وثائق الأوقاف يمكن أن نفرق قليلا بين الخانقاه والرباط والزاوية، فالخانقاه مسجد وبيت للصوفية يتسع لعدد كبير قد يصل إلى أربعمائة، كما كان الحال فى خانقاه بيبرس الجاشنكير، ويشترط فيمن يقيم بالخانقاه أن يكون متبعا لطريقة التصوف، أما الرباط فلا يشترط فيمن ينزل به أن يكون متبعا لإحدى طرق التصوف، فنجد أن بيبرس الجاشنكير عندما أنشأ الرباط المجاور للخانقاه « وقف ذلك رباطا على مائة نفر من المسلمين المتصفين بالفقر والمسكنة يكون ظاهرهم الخير، وهم متصفون بصفة أرباب الزوايا، غير مبتدعين مالا يجوز شرعا أو عادة أو مشهور بذلك، يكون منهم ثلاثون نفرا بالصورة التى يراها الناظر والشيخ يقيمون بالرباط المذكور، وباقيهم مترددون كذلك،



رباط بايرام أو القوسة الرصاصية

ومن جميعهم الشيخ والإمام والمؤذن والخادم والبواب، ويقدم من يرغب فى الانقطاع بهذا الرباط من عتقاء الواقف المذكور وذرياتهم من الذكور أيضا على غيرهم من ساير الناس أجمعين، ولا يكلفون إثبات استحقاق ولا زى الفقر، فإن تعذر ذلك قُدِّم من يرغب فى الانقطاع من الجند البطالين من المسلمين على غيرهم».

ثم يقارن بين النصين فى الوثيقة المذكورة فيقول:

ويتضح لنا من مقارنة هذا النص ـ الذى يضم الشروط التى يجب أن تتوافر فيمن ينزل بالرباط، بالنص السابق والوارد بنفس الوثيقة عن الشروط التى يجب توافرها فيمن ينزل بالخانقاه، يتضح لنا الفرق بين الخانقاه والربط، ويمكن أن نخرج من هذه المقارنة بأن الرباط عبارة عن ملجأ، يكون مأوى لفقراء المسلمين، أو عتقاء الواقف، أو الجند البطالين، «ولا يكلفون إثبات استحقاق، أو زى الفقر»، ومن الواضح أن هذه الصفات تختلف تماما عن المقصود بكلمة المتصوفة أو الملتزمين بآداب المتصوفة وطرائقهم، حسب شرط نفس الواقف بنفس الوثيقة بالنسبة للخانقاه، ويتأكد هذا المعنى من دراسة الربط الخاصة بالنساء، والتى كانت «كالمودع للنساء والأرامل» أى ملاجئ لهن.

ويدعم هذا الرأى أيضا ما جاء فى وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون على خانقاه سرياقوس، إذ حددت الوثيقه بوضوح تام أن الرباط يكون لسكن الصوفيه أو لغيرهم، أما الخانقاه فهى المكان الذى يجتمع فيه الصوفية لممارسة وظيفة التصوف فجاء فى هذه الوثيقة «الرباط بناحية سماسم المشتمل على ستين بيتا وجعله رباطا مأوى للفقراء الواردين إليه، والرباطان الباقيان المشتمل كل منهما على أحد وعشرين بيتا فإنه جعل ذلك رباطين برسم سكنى الفقراء الصوفية المقيمين بهذا المكان المذكور على الدوام والاستمرار»، وواضح من هذا النص أن الرباط الأول يختلف عن الرباطين الآخرين، فالرباط الأول للعابرين ووصفهم بالفقراء دون أن يحدد إن كانوا صوفية أم لا، ولو كان يقصد بالفقراء هنا الصوفية لما حدد بالنسبة للرباطين الآخرين «الفقراء الصوفية»، ومن هذا يمكن أن نقول إن الرباط هو مأوى للصوفية أو لغيرهم من الفقراء.

أما باقى النص فيحدد معنى الخانقاه بوضوح تام فيقول: «وصحن المكان وقفه خانقاه برسم اجتماع الشيخ والصوفية المقيمين والواردين بالمسجد أو الخانقاه المذكورين، أو فيها للصلوات الخمس، وقراءة القرآن. والتهليل، والأذكار والتسبيح والاستغفار والاعتكاف ...».

وكان من الطبيعى أن يمارس سكان الرباط نشاطهم الدينى نظرا لانقطاعهم عن الحياة، ولكن بصورة تختلف عن وظيفة التصوف بالخانقاه، فلم يشترط الواقفون مظهرا معينا لنشاط المقيمين بالرباط، وكان لانعزال المقيمين بالربط، وممارستهم للشعائر الدينية أثره فى إحداث نوع من التقارب بين كل من الخانقاه والرباط، وبمرور الزمن وبانحدار التصوف، أصبح سكان الخانقاه لا يختلفون كثيرا عن سكان الرباط، ودأب بعض الأفراد على إنشاء الرُّبط وإنزال بها عدد قليل من الصوفية، لا يتجاوز العشرة، ولم يأت عصر المقريزى حتى أصبح الرباط خانقاه صغيرة (الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر / ٢١٩ ـ ٢٢١).

٢ ـ الرباط كمؤسسة عسكرية (وترد فى بعض المصادر

بصيغة الجمع «أربطة» و «رباطات» ورُبُط . الأربطة نوع من الثكنات العسكرية التى يقيم فيها المجاهدون الذين يحمون حدود بلادهم بحد السيف. ، وقد انتشرت هذه الأربطة فى جهات مختلفة وبخاصة فى شمال إفريقيا. (الفن الاسلامى / ١٢٣).

الرباطات: وهى نوع من العمارات العسكرية والدينية معا، لذلك شبهها بعض الغربيين بالأديرة المحصنة، وأكثر ما نشأت فى شمالى إفريقيا لصد محاولات الغزو البحرى الأوربى، وإعداد حملات المجاهدين، ويجتمع فى الرباط إتباع طريقة دينية، يعبدون الله، ويستعدون للجهاد.

ويشتغل المرابطون بحراسة الثغور ، فيكلفون منهم حرسا دائما فى المنارة تراقب قدوم أسطول العدو، وحرسا مستعدا للعمل على أسطحة الرباط. أما بقية سكان الرباط فيلتفتون إلى الأعمال اليومية، فيؤمنون الطعام والشراب والسلاح للمقاتلة، وكل الأعمال فيه مجانية: الطبيب، المعلم، النساخ، الكفاءون «صانعو الورق» المشرفون على الحمام الزاجل لتأمين البريد الجوى ، موقدو النار للتخاطب ليلا بين الرباطات بإشارات واصطلاحات فيما بينهم... إلخ كلهم يعملون ويعيشون فى الرباط ويقدمون خدماتهم مجانا وتنفق الدولة عليهم كمجموع، ويتبرع المحسنون لهم بالأراضى والإقطاعات ويحبسون لهم الأحباس والأوقاف (تاريخ الفن عند العرب والمسلمين / ١٠٧، ١٠٨) وكانت الأربطة منتشرة فى صدر الإسلام قبل أن ينتشر الأمن وتأمن الدولة الإسلامية على حدودها، وكان أهمها فى شمال إفريقية (دراسات فى الفنون والعمارة الإسلامية / ٤٤ـ)

الجهاد عبادة فى الإسلام. والرباط بناء عسكرى دينى شيد ليكون مقرا للمتعبدين المجاهدين فى سبيل الله . ولكن مع فتور الهمم، أصبح مأوى للمنصرفين إلى ذكر الله وللمتعيشين على نفقة السلطان ولأبناء السبيل. وهذا ما دعا المستشرقين إلى تسميته بالدير. مع أن الإسلام لا يعرف الرهبنة. لقد كانت الرباطات حصونا وأبراج مراقبة واتصال ومنارات ومحطات بريد فصارت خانات وتكايا وقد أشار المقدسى إلى دور هذه العمائر فى إرسال الأخبار الملحة إلى

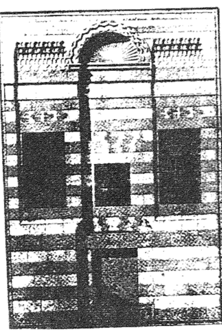


الرباط المنصورى (قلاوون)

الحواضر وفى الإنذار المبكر، لدى تعرض البلاد للخطر: «فإن كان ليل، أوقدت منارة ذلك الرباط، وإن كان نهار، دخّنوا. ومن كل رباط إلى القصبة، عدة منابر شاهقة. وقد رتب فيها أقوام. فتوقد المنارة التى للرباط ، ثم التى تليها، ثم الأخرى، فلا يكون ساعة إلا وقد انفر فى القصبة، وضرب الطبل على المنارة، ونودى إلى ذلك الرباط ، وخرج الناس بالسلاح، والقوة». وكان يصل الخبر، من «سبتة، فى المغرب على جبل طارق مثلا، إلى الإسكندرية فى ليلة واحدة وبينهما مسيرة شهر. وتكاثر هذه المحارس على طرق القوافل وفى الثغور كان يزرع الطمأنينة فى قلوب المسافرين والتجار والناس أجمعين، ويساعد على حماية السواحل من هجمات أساطيل العدو.

يعود تاريخ إنشاء الرباطات حسب المراجع التى وصلت إلينا إلى القرنين الثانى والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين. وأقدم ذكر لها جاء فى رسالة لليعقوبى حيث يقول: إن هارون الرشيد بنى ثمانيه ثغور، مثل طرسوس وغيرها، وبنى دورا للمرابطين. (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٩٥ ، ١٩٦).

فالربُط هى إذن تشبه القلاع عند أهل الغرب فى أنها ملاذ يحتمى به سكان البلاد المجاورة له فى وقت الخطر، وتتخذ هذه الرباطات أبراج مراقبة لتحذير أهل البلاد المهددين



واجهة الرماسية (عن Bourgoin's Les Arts Arabes)

وجنود الحاميات التى فى داخل البلاد وعلى حدودها الذين يستطيعون شد أزر المدافعين (معاهد التربية الإسلامية / ٥٩٤، ٥٩٥).

٣ ـ الرباط كمؤسسة تربوية :

أصحبت الرُّبُط بمرور الزمن تؤدى خدمات اجتماعية ودينية وثقافية كالوعظ والإقراء والتحديث، والسماع والإفتاء، ومنح الإجازات العلمية وتصنيف الكتب.

وقد بسط الدكتور سعيد إسماعيل على الكلام على الدور الثقافى والتربوى للرُّبُط فى كتابه «معاهد التربية الإسلامية»، ومما جاء فيه قوله : مما ساعد على قيام الرُّبُط بخدمات ثقافية أن الواقفين أنشأوا فيها الخزائن، ووقفوا فيها الكتب، وعينوا لها القوام والخزان، ومن يقوم بصيانتها وترتيبها ومناولتها. وكان الزهاد، والمتصوفة الساكنون فى الربط أو الذين يترددون عليها يرتادون المكتبات التى فى ربطهم وكذلك كان يفعل الرحالون الذين يرحلون فى طلب العلم، ففى رباط زبرد خاتون أم الناصر لدين الله خزانة مشهورة كانت مشتركة بين الرباط والتربة.

وقد استكثر الناس من إقامة هذه المنشآت مدفوعين بغيرتهم على الدين وخاصة بإفريقية، وذلك أنه إذا أقام شخص رباطا على نفقته أو عزز حصون رباط قائم، كان ذلك عملا من أعمال البر والتقوى. وكذلك كان من الثواب أن يحض المرء الناس على الانخراط فى سلك الرباطات للجهاد فى سبيل الإسلام.

وكان عبء تشييد الرباطات الكبيرة وكثير من الرباطات الصغيرة يقع بطبيعة الحال على كاهل حكام البلاد وكان رباط المنستير هو أول رباط أنشىء فى إفريقية شيده الوالى العباسى هرثمة بن أعين سنة ١٧٩ هـ (٧٩٥ م). وكان القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) هو العصر الذهبى للرباطات، فقد ضاعف الأغالبة عدد الرباطات الحقيقية والمحارس على طول الشواطئ الشرقية.

والجدير بالذكر أن إفريقيا الشمالية كلها فى أوسع حدودها صارت مربعا كبيرا يحيط به إطار من الأربطة قابل للانتشار، ضلعه الشمالية من سبتة إلى بنزرت فيها مئات الأربطة وضلعه الجنوبية من مشارف الإسكندرية إلى بنزرت، وهذا المربع عبارة عن رقعة شطرنج، كل زاوية من زواياها رباط فى قمة جبل أو رأس بحر أو واحة صحراء أو نقطة ماء منقورة على سطح نهر باطنى كالنهر الصحراوى الباطنى الكبير المعروف بالعرق.

هذا المربع الرباطى الكبير، كان فى الحقيقة أكبر جهاز ثقافى منسجم موحد عرفته بلاد المغرب أداة تعليمية، كاملة العدة المعنوية والمادية والبيداجوجية تعمل طيلة القرون لنشر العربية والإسلامية فى بلاد البربر وبلاد الزنوج وهذا الجهاز الرباطى هو الذى ربط بين المغرب والصحراء وجعل الصحراء جزءا من المغرب فى ناحيتها الغربية على الأقل، وضلع المربع الغربية هى سلاح المغرب لتوغله فى الصحراء.

ومن الربط التى عرفت فى مصر، الرباط المنسوب للسيد أحمد البدوى بطنطا، إذ تمدنا حجة الشيخ شمس الدين أبو عبد الله، بمعلومات هامة عن هذا الرباط الذى يقيم به مجموعة من المجاورين ويسمح لمن يريد منهم حفظ القرآن

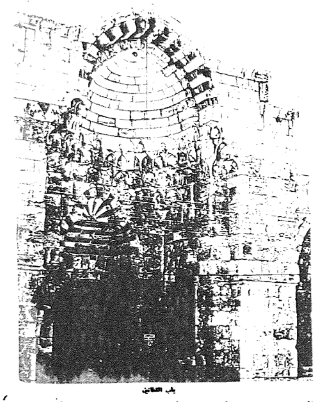
بـالالتحاق بمكتب الـرباط مع الصبيـانُ المنزلين بـه ويتعلم معهم القرآن ومبـادئ القراءة والكتابة على أن يشتـرك المؤدب والعـريف فـى تعليم الأطفـال المـذكـوريـن، وفى تعليم من يحتـاج إلى التعلم من المجـاورين بالـربـاط المذكـور على العادة .

وقد خصص الشيخ شمس الدين أبـو عبد الله الدراسة فى هذا الـرباط لتـدريس الحديث الشـريف وخاصـة من كتاب صحيح البخارى ورتب لـه أحد القراء لقراءتـه فى كل سنة من أول شهر رجب إلى آخر شهر رمضان «ويـرتب الناظر الشرعى متصدرا من أهل العلم ذا سند عال يـرغب فى الرواية عنه يقرأ القارئ المذكور بين يديْه الكتاب المذكور فى المدة المذكورة ويصرف للقارئ فى كل سنة تسعين درهما من الفلوس الجدد وللشيخ المتصدر فـى كل سنة مائتين وسبعيـن درهما، ورتب معهما من الطلبـة المشتغلين بعلم الحديث ستة عشـر نفرا ، ويقرر الناظر الشرعى من الطلبة ستة عشر نفرا لسماع الكتاب المشـار إليه أعـلاه على الشيخ المتصـدر المشـار إليه أعـلاه بقراءة البخارى» .

ويبدو أيضـا أن الطلبة الستة عشـر كانوا يتغيـرون كل سنة بعد فـراغهم من سمـاع كتاب البخـارى الذى تخصصـوا فيه واقتصروا عليـه «ويصرف لهـؤلاء الطلاب الستة عشـر فى كل سنة «ستمائة درهم» وأربعون درهما فلـوسا جددا، أو ما يقوم مقامها من النقود لكل نفر منهم .

ثم يذكـر رباط البغداديـة ويأتى الكلام عليه فيمـا بعد إن شاء الله تعالى، ورباط الآثار ، وهـذا قد أوردناه تحت عنوان الآثـــار (ربـــاط ــ) فى م ١ / ٩٩ ــ ١٠٣ فانظـــــره فـــى موضعـه .

ثم يقـول : وكـان فى كل ربـاط مكتبـة عـامـرة يـرتـادهـا المتصوفـة الساكنون فى الـرباط ، ومن يتردد على الـرباط من الزهاد والـراغبين والمريدين، يدرسون ويتـدارسون ، ذكر ابن النجار أن أبـا الحسن على بن أحمد المؤدب المقرىء، كان يتولى خزانـة الكتب برباط «الزوزنى» (هـو على بن محمود بن إبراهيم بن ماخرة أبو الحسن المتوفى سنة ٤٥١ هـ/ ١٠٥٩ م)



باب القلانين

قال عنـه : سمع الحديث النبوى مـن جماعة من المتصـوفة بـربـاط الزوزنـى وختم عليه خلـق، كتاب الله، ورأيتـه فيـه، وسألته أن يجيـز لى رواية عنه، فأجاز لى وكتب خطـه بذلك سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٥ م) وذكر ابن الجوزى أنه سمع الحديث بربـاط «بهروز» على شيخ الربـاط أبى نصر أحمـد بن منصور الهمذانى) الصوفى المتوفى سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ م).

وكـانت مكتبة الـربـاط جداريـة مفرغـة فى طاقـات من الحـائط، بها النسخ الأمهـات والمـولدة منهـا، ونجد مثـالا للمكتبة بـرباط المنستير، وهى غرفـة كبيرة حولهـا مصاطب مبنية يجلـس عليها الطـالعون وفى جـوانبها طـاقات مفرغة بالحائط على غرار مكتبة لمبيز الرومـانية بالجزائر، توضع بها الدرج أى لفائف المخطوطـات حتى إذا صار الكتاب منبسطا مجلدا بالخشب والجلد فى القـران الثالث صارت بها الكتب المنبسطـات عـوض الـدرج . ولمـا كـان عقـد الأربطـة ألفـا بالمغـرب، فقد كانت هنـاك ألف مكتبة، أى أنه تـوجد ألف نسخـة مـولـدة من النسخـة الأم . وهـذا يفسـر لنـا كثـرة المخطوطات الأصلية فى العربية على خلاف كتب الأقدمين من يونـان ورومان، وهـذا ما يفسـر لنا أيضا تـوافر المـؤلفات



رباط الكرد

المصنفة فى القرنين الثانى والثالث ووجودها بالمغرب العربى أكثر من وجودها بالمشرق العربى.

ولتوفر الكتب والعلماء فى الأربطة، فقد أضحت تلك الأمكنة صالحة لقراءة الكتب وسماعها، يذكر ابن الفوطى أن جمال الدين أبا الفضل محمد بن الدياب البغدادى قرأ كتاب «الغنية» لطالب طريق الحق، تأليف الشيخ الزاهد عبد القادر الجيلى على فخر الدين أبى العباسى أحمد بن مطيع الباجسرى، برباط الأخلاطية، وأن ابن الفوطى سمع الكتاب فى أثناء القراءة المذكورة على طريقتهم المألوفة إذ ذاك.

وكانت الربط تعنى عناية فائقة بالدراسة. ونذكر على سبيل المثال رباط ابن النعال، بباب الأزج فى بغداد، فقد كان مجمعا للفقراء وأهل الدين وللفقهاء والغرباء لا سيما الحنابلة الذين كانوا يرحلون إلى أبى الفتح بن المنى الفقيه الحنبلى البغدادى للتفقه عليه، فكانوا ينزلون فى الرباط حتى كان الاشتغال فيه بالعلم أكثر من الاشتغال فى سائر المدارس. وذكر ابن رجب «كان الرباط شعث الظاهر عامرا بالفقهاء والصالحين، سكنه الشيخ موفق الدين المقدسى والحافظ عبد الغنى وأخوه الشيخ العماد، والحافظ عبد القادر الرهاوى وغيرهم من أكابر الرحالين لطلب العلم (تذكرة الحفاظ للذهبى ٤/ ١٥٢، ١٥٣).

وظهرت فى الرباط التآليف والتصانيف المهمة، فقد انقطع الكثير من المرابطين إلى المطالعة والدرس فكان أبو بكر الحازمى يقيم فى رباط «البديع» وكان يدخل بيته (أى حجرته) بالرباط كل ليلة يطالع ويكتب إلى الفجر. وقد صنف الحازمى فى ذلك الرباط كتاب «الناسخ والمنسوخ» فى الحديث النبوى الشريف، وكتاب «عجالة المبتدئ فى الأنساب». وكتاب «المؤتلف والمختلف» فى الأنساب أيضا وكان زاهدا ورعا لا يعرف إلا الخلوة والتصنيف وبث العلم.

ومن الربط ما كان يحضره الفقهاء يوما فى الأسبوع وهم عشرة شيخهم منهم، ومنهم قارئ ميعاد وقراء ومنها ما جعل فيه الواقف منبرا يخطب عليه للجمعة وللعيدين.

و إذا كان كثير من كتب التصوف قد ألف فى الربط باعتبار أنها كانت مجمعا للزهاد والمتصوفة، ألا أن الربط مع ذلك لم تخل من مؤلفات بعض الفلاسفة والعلماء والأدباء والفقهاء واللغويين والنحاة وغيرهم مثل: كتاب الفصول والغايات لأبى العلاء المعرى وكتاب الفنون لأبى الوفاء على بن عقيل البغدادى الحنبلى المتوفى سنة ٥١٣ هـ، وكتاب الأصول لابن السراج، وكتاب التاريخ المجاهدى (نسبة إلى مجاهد الدين بهروز) لمؤلفه وجيه الدين أبى حفص السهروردى (المتوفى سنة ٥٣٢ هـ وكان شيخ الصوفية برباط الأمير سعادة ومن الكتب التى ألفت داخل الربط كتاب «عوارف المعارف» الذى ألفه الشيخ شهاب الدين عمر السهروردى المتوفى سنة ٦٣٢ هـ.

وفى كتاب عوارف المعارف حديث طويل عن اختصاص الرباط بالتصوف والمتصوفين يقول: «لكل قوم دار والرباط دارهم (أى الصوفية) وقد شابهوا أهل الصُّفة». كذلك يذكر «اعلم أن تأسيس هذه الربط من زينة هذه الملة الهادية المهدية ولسكان الربط أحوال تميزوا بها عن غيرهم من الطوائف وهم على هدى من ربهم (عوارف المعارف/ ٨١).

وأحيانا يكون شيخ الرباط أحد العلماء البارزين مثل الرباط الصاحبى الفخرى الذى تولى مشيخته الفقيه العالم المحدث تقى الدين المشهور بالصوفى، وهذا من شأنه أن

يجذب الكثير من طلبة العلم إلى الرباط للاستفادة من شيخه طالما أنه من العلماء المحدثين.

ولم تكن الربط لتقتصر على العبادة والزهد وتأليف الكتب والإقراء والتثقيف والمحاضرات، بل تنوعت واختلفت بتنوع الرجال واختلاف العصور بحيث صارت عالما ثقافيا له خصائصه الواضحة المتميزة فى الحضارة الإسلامية، فقد نشأت فى الربط ألحان خاصة من الموسيقى والغناء، تلك الألحان التى تتناسق وتتجاوب مع نفوسهم فى ورعهم وخشوعهم وذكرهم، وقد بقى إلى اليوم لحن السماعى وإنما هو لحن من ألحان الصوفية فى أثناء إقامة السماع فى ربطهم.

(السماع هو الغناء وهو اللحن الذى ينشده المتصوفة فى حلقات الذكر) (معاهد التربية الإسلامية / ٥٩٦ـ٦٠٣)

وهكذا نرى أن الربط كانت معاهد ثقافية يدرس فيها العلم الشائع يومذاك. فكان فى رباط الآثار مثلا درس لفقهاء الشافعية يتولاه مدرس لطلبة يعيشون لطلب العلم فى هذا الرباط، كما يضم بين جدرانه خزانه كتب تعين على دراسة العلم. وكان فى الرباط العلائى قراء وعشرة من الفقهاء عليهم أن يحضروا يوما فى كل أسبوع (صفحات من تاريخ مصر / ٢١).

كان محمد بن أحمد الشريشى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ يدرس بالرباط الناصرى بدمشق.

وفخر الدين عمر بن إسحاق الدورقى قد بنى رباطا فى مدينة واسط، وأسكنه جماعة من الفقراء، ورتب فيه من يعلمهم القرآن الكريم ويسمعهم الحديث الشريف.

وأبو الفتح بن أبى النجم المتوفى سنة ٦٢٠ هـ يدرس الأدب فى رباط الشيخ صدقة.

وكان الشيخ برهان الدين إبراهيم الجعبرى الواعظ يجلس فى رباطه، يروى الحديث ويشارك معهم فى علم الطب وغيره.

وكذا فى الخانقاه، فكان يدرس لها عدة علوم، كالخانقاه التى أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمرى المتوفى سنة ٧٧٥ هـ. ورتب فيها دروسا عدة: منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة. ودرسا للحديث النبوى، ودرسا لإقراء القرآن بالروايات السبع، وجعل لكل درس مدرسا وعنده جماعة (التربية والتعليم فى الإسلام / ٦٨).

٤ ـ الوصف المعمارى:

جاء فى الوصف المعمارى للربط أنه يغلب أن يكون التخطيط على شكل المستطيل، حوائطه القوية الخارجية مزودة بأبراج، وفى الداخل فناء تحيط به حجرات صغيرة للسكنى، كما نجد به مسجدا. أما التحصينات العسكرية فنجدها بكثرة فى مختلف الأقطار، سواء أكانت هذه التحصينات قلاعا أم أسوارا للمدن أو القصور، مزودة بأبراج ومزاغل، ونجد أمثلة لهذه التحصينات فى مصر والشام والمغرب (الفن الإسلامى / ١٢٣)

وقيل فى وصفها أيضا:

ومعظمها أبنية مربعة أو مستطيلة الشكل وفى أركانها أبراج للمراقبة أما داخلها فبناء تحف به قاعات لا نوافذ لها (دراسات فى الفنون والعمارة الإسلامية / ٤٤).

وجاء فى الوصف المغمارى أيضا ما أورده الدكتور عبد الرحيم غالب فى موسوعته إذ يقول: الرباطات تتشابه فى التخطيط فقد كانت مستطيلة المسقط مسورة، مزودة بأبراج ركنية وضلعية، لها مدخل واحد وطبقتان اثنتان ولم يبق منها كلها إلا أثران فى تونس، واحد فى «مونستير» يعود تاريخه إلى العام ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م. وآخر فى «سوسة» معاصر له أو متقدم عنه قليلا (١٥٤ ـ ١٨٠ هـ / ٧٧٠ ـ ٧٩٦ م) وقد تميزت عمارة سوسة بالرصانة والقوة والتقشف، وغلب عليها الطابع العسكرى، وتأثرت بنماذج الأبنية السورية. استعملت فيها الحجارة وحملت أسقفها المقبية دعائم مربعة بدل الأساطين. ولعل رباط سوسة هو النموذج الوحيد المحفوظ بحالة تسمح لنا بمعرفة التصاميم التى كانت تقام الأربطة على أساسها: مدخل بارز مزود بمقاذف، سور عال بشرفات وأبراج ركنية وضلعية ومنارة على إحدى الزوايا أكثر ارتفاعا من سائر الأبراج، أسطوانية الشكل مربعة القاعدة استعملت لاحقا كمئذنة للمسجد الكبير المجاور، يتألف الرباط من

طبقتين مصلاه فى العلوية بمحراب مقبب، ويضم حجرات وميضآت، ولا توجد إشارة إلى الاصطبلات ولعلها كانت فى بعض أجنحة الطبقة الأرضية، كخانات الطرق المقامة خارج المدن .

«... والمقيم فى الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد» .

(موسوعة العمارة الإسلامية / ١٩٦ ، ١٩٧).

وننتقل الآن إلى الكلام على الربط فى بعض البلاد الإسلامية مما تيسرت لنا مصادره ، وقد رتبنا أسماء البلاد وفقا لحروف الهجاء ، وهذه هى : (١) تونس، (ب) حلب، (جـ) دمشق ، (د) العراق (هـ) القدس الشريف (و) مصر.

(أ) تونس:

١ ـ رباط سوسة :

٢ ـ رباط المنستير.

١ ـ رباط سوسة : قال عنه الدكتور السيد عبد العزيز سالم:

كان الخوف من غارات الروم على السواحل التونسية، من جهة ، والاستعداد الدائم للجهاد ضد الروم فى صقلية حافزا على عناية الأغالبة بتحصين هذه السواحل، وذلك بإقامة المحارس والأربطة، وقد لعبت الأربطة دورا هاما فى الحياة الدينية والحربية ببلاد إفريقية. وكان الرباط يزود عادة بمنار توقد فيه النار ليلا للنذير باقتراب سفن العدو، وعن طريق هذه الإشارة تستعد المحارس والأربطة المجاورة، لملاقاة العدو بحرا وبرا ولذلك كثر عدد الأربطة على السواحل التونسية .

ورباط سوسة المعرفة بقصر الرباط من أهم الأربطة التى أقيمت فى عصر الأغالبة، وقد وصلت إلينا عمارته فى حالة جيدة ، وهو من بناء الأمير زيادة الله بن الأغلب أسسه فى سنة ٢٠٦ هـ ، وتاريخ الإنشاء مسجل على لوحة من الرخام بأعلى مدخل المنار، نقرأ عليها النص التالى: «مما أمر به الأمير زيادة الله بن إبراهيم أطال الله بقاه على يدى مسرور الخادم مولاه فى سنة ست ومائتين اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين» . ويقع رباط سوسة على خليج قابس، بداخل أسوار مدينة سوسة، فى القسم الأدنى من المدينة، ولقد بنى قبل إنشاء أسوار سوسة بنحو ٣٩ سنة : ويشتمل الرباط على سور مربع الشكل طول ضلعه ٣٩ مترا تقريبا، مزود عند أركانه ومنتصف أسواره بأبراج معظمها نصف أسطوانية، (ست منها نصف أسطوانية، أما البرج الواقع فى الركن الجنوبى الغربى فمربع الشكل، يقوم عليه منار أسطوانى الشكل ، ينتهى من أعلاه بجوسق تعلوه قبة)، ويكتنف المدخل بناء مربع الشكل يعلوه فوق السور قبة .

وتزدان الأسوار والأبراج فى أعلاها بطراز ممتد من العقود الصغيرة المتصلة ، وتنتهى الأسوار من أعلى بشرافات مستديرة الرؤوس .

ومدخل الرباط بارز، يتوسط الواجهة القبلية، ويصل المرء إلى داخل الرباط عن طريق درج هابط، يؤدى إلى باب معتب مفتوح فى هذا السور القبلى، فإذا ما اجتاز المرء هذا الباب، وجد نفسه فى ممر ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول أسطوان تعلوه قبوة متعارضة، ويكتنفه على كل من الجانبين أسطوان قبوته نصف أسطوانية، أما القسمان الآخران فتعلوهما قبوتان نصف أسطوانيتين، ويؤدى هذا الممر شمالا إلى صحن الرباط والصحن مستطيل الشكل ، طوله من الشرق إلى الغرب ٢٠,٤٠ مترا، وعرضه من الشمال إلى الجنوب ١٩,٢٠ مترا. ويحيط بالصحن من جهاته الشمالية والشرقية والغربية أروقة تطل عليه ببوائك، عقودها قائمة على دعائم. ووراء هذه البوائك غُرف لا نوافذ لها، سقفها قبوات نصف أسطوانية، ويتراوح اتساع الغرفة الواحدة ما بين ٣,٥٠ مترا، ٣,٦٠ مترا، باستثناء غُرف الجانب الشرقى التى لا يزيد اتساع الواحدة منها على ثلاثة أمتار. ويعلو هذا الطابق من الغرف طابق ثان مشابة للطابق الأرضى ولا يختلف عنه إلا فى أن مجنبات الصحن حل محلها سطح ارتفاعه من مستوى سطح أرض الصحن نحو ٥,٣٠ مترا. ويشغل الجانب الجنوبى من هذا الطابق مسجد صغير طوله من الداخل ٣٩ مترا، وعرضه ٧ أمتار. ويتألف هذا المسجد من ١١ بلاطة عمودية على جدار القبلة تمتد على أسكوبين. ونلاحظ أن البلاطتين المتطرفتين أكثر اتساعا من بقية البلاطات .

ويتوسط المحراب جدار السور الجنوبى للرباط ، وترتفع أمام المحراب قبة، تبدو من الخارج بارزة. وللمسجد خمسة أبواب مفتوحة فى الجدار المواجه لجدار القبلة. اثنان عن يمين الشخص المواجه للمحراب، وثلاثة عن يساره، ولم يفتح فى هذا الجدار باب يواجه المحراب. أما المنار فأسطوانى الشكل، قدره نحو ٤,٧٢ مترا، وارتفاعه فوق مستوى سطح ممشى السور ١٥٣٨ مترا.

٢ ـ رباط المنستير:

يصفه أيضا الدكتور السيد عبد العزيز سالم فيقول :

كانت المنستير ميناء يقع بين سوسة والمهدية، وكانت فى الأصل رباطا أو قصرا يرابط فيه المسلمون لحماية ثغور إفريقية من الغارات البحرية التى كان يقوم بها الروم. بناه هرثمة بن أعين والى إفريقية من قبل الرشيد فى سنة ١٨٠ هـ. ومنذ تأسس هذا القصر انتجعه الناس وبنوا بيوتهم حوله حتى أصبح قصر المنستير مدينة عامرة كثيرة السكان. وقد وصف البكرى هذا الرباط أو القصر بقوله: « وبالمنستير البيوت والحجر والطواحين ومراجل الماء، وهو حصن عالى البناء، متقن العمل، وفى الطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه، وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين، قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين دون الأهل والعشائر. وهو قصر كبير عال، داخله ربض واسع (انظر مادة «الربض») وفى وسط الربض حصن ثان كبير، كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية. طبقات بعضها فوق بعض، وفى القبلة صحن فسيح، فيه قباب عالية متقنة، ينزل حولها النساء المرابطات وله فى يوم عاشوراء موسم عظيم ومجمع كبير، وكان أهل القيروان يخرجون إليهم بالأموال والصدقات الجزلة. وبقرب المنستير محارس خمسة متقنة البناء، معمورة بالصالحين».

من هذا الوصف يتضح لنا أن هذا الرباط أضيف إليه فى العصور التالية إضافات كثيرة عقَّدت تخطيطه الأصلى، وغيرت معالمه، ومع ذلك فإنه يمكننا أن نتعرف على العناصر الأساسية لهذا الرباط. كان السور محاطا بأبراج مستديرة أو كثيرة الأضلاع، ويحيط بالصحن الفسيح من جهاته الثلاثة الشمالية والغربية والشرقية طابقان أو ثلاثة من الغرف التى لا تتقدمها بوائك تطل على الصحن على نحو النظام المتبع فى رباط سوسة. ويرتفع فى الركن الجنوبى الشرقى برج أسطوانى الشكل، يشبه نظيره فى رباط سوسة. ويشغل الجانب القبلى بالطابقين الأدنى والأعلى مسجدان، الأدنى منهما بسيط فى تخطيطه، إذ يتكون من ثلاث بلاطات وأسكوبين. أما العلوى فيشتمل على تسع بلاطات وأسكوبين. وتقوم العقود التى تتكئ عليها القبوات نصف الأسطوانية، والعقود الأخرى المنخفضة التى تفصل بين البلاطات على دعائم مطولة (تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى / ٣٦٣ـ٣٦٧).

(ب) حلب:

ذكر ابن شداد الربط التالية التى كانت فى حلب فى زمانه:

١ ـ رباط أنشأه الأمير سيف الدين على بن علم الدين سليمان بن جَنْدَر بالرحبة الكبيرة وكانت دارا تعرف ببدر الدين محمود بن الشكرى [شكرى]؟ الذى خنقه الملك الظاهر غياث الدين غازى.

٢ ـ رباط يعرف بالخدام، تحت القلعة، لم يتصل بى ذكر بانيه.

(يضيف ابن الشحنة هنا (الدر المنتخب/ ١٠٩). قلت : تحت القلعة رباطان للخدم أحدهما برأس درب الملك الحافظ والآخر برأس الزقاق المبلط بينه وبين السلطانية طريق اهـ)

٣ ـ رباط قريب من مدرسة النِفَرِىّ يعرف بإقامة عبد الولى البعلبكى (الأعلاق الخطيرة جـ١ ق ١ / ٢٣٧ ٢٣٨).

(جـ) دمشق:

ذكر النعيمى فى «الدارس » الربط التالية، وهو عادة يترجم لمنشئيها:

١ ـ الرباط البيانى (يقع فى نهاية شارع نوما من ناحية الغرب وعلى يسار الداخل منه، وجاء فى طبقات الشافعية الكبرى : وهذا الذى ينسب إليه [أى إلى أبى البيان] إنما

أنشئ بعد موته بأربع سنين اجتمع أصحابه على بنائه.

قال النعيمي: الرباط البياني داخل باب شرقي، قال ابن شداد في ذكر الربط: رباط أبي البيان بناه بحارة درب الحجر انتهى. قال الذهبي في العبر: فيمن مات سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وأبو البيان بنا بن محمد بن محفوظ القرشي الشافعي الدمشقي الزاهد ويعرف بابن الحوراني (ت ٥٥١ ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى، وابن كثير، والشذرات، ومرآة الزمان) سمع أبا الحسن علي بن الموازيني وغيره، وكان صالحا ملازما للعلم والمطالعة، كثير المراقبة، كبير الشأن، بعيد الصيت، صاحب أحوال ومقامات، ملازما الأثر. له تأليف ومجاميع ورد على المتكلمين، وله أذكار مسجوعة، وأشعار مطبوعة، و أصحاب مريدون وفقراء بهديه يقتدون، كان هو والشيخ رسلان شيخي دمشق عصرهما، وناهيك بهما، توفي في شهر ربيع الأول وقبره يزار بباب الصغير (انظر مادة «الباب الصغير» في م ٦ / ٣٤٣، ٣٤٤) رحمه الله تعالى انتهى. ودفن بجانب الشيخ العالم الرباني الفندلاوي رحمه الله تعالى.

وقال الذهبي فيها أيضا في سنة خمس وثلاثين وستمائة: ومحمد بن نصر الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن محفوظ القرشي (ت ٦٣٥ هـ) الدمشقي شرف الدين ابن أخي الشيخ أبي البيان، أديب شاعر صالح زاهد، وولي مشيخة رباط أبي البيان، وروى عن ابن عساكر توفي في شهر رجب رحمه الله تعالى انتهى.

٢ ـ الرباط التكريتي (درس ولم يبق له أثر):

[كان] بالقرب من الرباط الناصري (داخل دار الحديث الناصرية) بقاسيون. قال ابن كثير في سنة سبعين وستمائة: وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد التكريتي (ت ٦٧٠هـ ترجم له في الشذرات) التاجر الكبير ابن سويد ذو الأموال الكثيرة، وكان معظما عند الدولة ولا سيما عند الملك الظاهر، كان يجله ويكرمه لأنه قد كان أسدى إليه جميلا في حال إمرته قبل أن يلي السلطنة، ودفن برباطه وتربته بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون، وكانت كتب الخليفة ترد إليه كل وقت، وكانت مكاتباته مقبولة عند جميع الملوك، حتى ملوك الفرنج في السواحل، وفي أيام التتار وهولاكو، وكان كثير الصدقات والبر انتهى. رحمه الله تعالى انتهى.

٣ ـ رباط صفية (مجهول):

قال البرزالي في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة من تاريخه في ترجمة بنت قاضي القضاة عبد الله بن عطاء الحنفي: إنها كانت شيخة رباط صفية القلعية جوار بيتنا بالقرب من المدرسة الظاهرية انتهى.

٤ ـ رباط زهرة (مجهول):

بقرب حمام جاروخ بجوار دار الأمير مسعود (ابن الحاجب مبارك المتوفى سنة ٦٠٢، ابن الست عذرا صاحبة المدرسة، ثم صارت هذه الدار للأمير جمال الدين موسى بن يغمور (ت ٦٦٣)

وقد ذكر ابن شداد بعد أن ذكر هذه الرُبط المتقدمة رباطات أخر وهي

ـ رباط طمان، من أمراء بني سلجوق تحت القلعة.

ـ رباط جاروخ، منسوب لجاروخ التركماني.

ـ رباط الغرس خليل، كان واليا بدمشق.

ـ رباط المهراني بدرب المهراني. (قال الشيخ بدران في منتخباته: «أقول في جادة سوق ساروجة بيت كبير وعند بابه شباك فوقه حجر مكتوب فيه بعد البسملة: «هذه تربة الأمير شمس الدين شروه بن حسين المهراني المعروفة بالسبع المجانين الحاجي الغازي المجاهد في سبيل الله تعالى، توفي إلى رحمة الله تعالى في رجب سنة ٦٤٢» فالظاهر أن الرباط كان هنا، ومن العجيب أن العوام وطلبة العلم يعتقدون أن هنا قبر الشيخ مجاهد المفسر المشهور التابعي، والحجر مكتوب بخط واضح ولا يقرأونه وهذا من التقليد الأعمى نعوذ بالله منه. وهي المدرسة المجنونية الشافعية المتقدم ذكرها في الجزء الأول).

٥ـ رباط البخاري عند باب الجابية.

٦ـ رباط السفلاطوني.

٧ـ رباط الفلكي.

٨ ـ رباط بنت السلار، داخل باب السلام.

٩ ـ رباط عذراء خاتون، داخل باب النصر.

١٠ ـ رباط بدر الدين عمر .

١١ ـ رباط الحبشية، بمحلة قصر الثقفيين، يعنى بمحلة المعينية.

١٢ ـ رباط أسد الدين شيركوه، قبالة داره بدرب زرعة.

١٣ ـ رباط القصاعين.

١٤ ـ رباط بنت الدفين، داخل المدرسة الفلكية.

١٥ ـ رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل .

قلت زاد بعضهم :

١٦ ـ الرباط الدواداري، داخل باب الفرج، ولي مشيخته نور الدين بن قوام .

١٧ ـ الرباط الفقاعي، بسفح قاسيون زكره البرزالي في سنة خمس وثلاثين وستمائة.

فائدة : قال الشيخ كمال الدين الدميرى (انظر ترجمته تحت عنوان «الدميرى (كمال الدين)» فى م ١٧ / ٥٤٦ ـ ٥٤٨) فى باب الأحياء والأموات : والخانكاه بالكاف، وهى بالعجمية دار الصوفية، ولم يتعرضوا للفرق بينها وبين الزاوية والرباط ، وهو المكان المسبَّل للأفعال الصالحة والعبادة. قال ﷺ « ألا أدلكم على ما يمحو به الخطايا ويرفع الدرجات قلنا : بلى يارسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة فذلكم الرباط» أو كما قال ﷺ بقوله تعالى ﴿**ورابطوا**﴾ قيل هى انتظار الصلاة بعد الصلاة، ولم يكن فى زمن النبى ﷺ غزو يرابط فيه انتهى (الدارس ٢ / ١٩٢ ـ ١٩٥).

وللإربلى كتاب «مدارس دمشق ورُبُطها وجوامعها وحماماتها» أحصى فيه عدد الرُّبط فى دمشق ونقلها عنه الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله. وقد فاتنا ترجمة الإربلى فى موضعها فى حرف الألف ونسوق ترجمته هنا ثم نعود إلى الكلام على الربط إن شاء الله تعالى

الإربلى (٦٦٣ـ٧٢٦ هـ/ ١٢٦٥ ـ ١٣٢٦م):

الحسن بن أحمد بن زفر، بدر الدين الإربلى، فاضل ، له اشتغال بالطب والتاريخ والأدب قام برحلة إلى بلاد فارس وغيرها، ثم استوطن دمشق إلى أن مات. له كتاب «مدارس دمشق ورُبُطها وجوامعها وحماماتها» مطبوع، وكتاب «روضة الجليس ونزهة الأنيس» أدب (الأعلام ٢ / ١٨١) انظر مادة «إربل » فى م٣/ ٥٥٣ ـ ٥٥٥ ، ومادة «الإربلى » فى م ٣ / ٥٥٥)

وحين ذكر الإربلى رُبُط دمشق عرَّفها بأنها «الخوانك» التى تختص بالنساء، قال إن عددها عشرون رباطا.

منها داخل دمشق خمسة عشر رباطا وهى :(١) رباط الحبشية(٢) ورباط الغرز خليل (٣) ورباط جاروخ (٤) ورباط أسد الدين (٥)ورباط الست عذرا (٦) ورباط الركن الفلكى (٧) ورباط بلدق (٨) ورباط الأساكفة(٩) ورباط الحواجبية (١٠)ورباط صارم الدين المطروحى(١١) ورباط جمال الدين المطروحى (١٢)ورباط النجارين(١٣) ورباط باب الجابية (١٤)ورباط السقلاطونى (١٥)ورباط البغدادية.

ومنها خارج دمشق خمس ربط وهى :(١٦) رباط المزة المعروف بالحواجبية (١٧) ورباط أسد الدين(١٨) ورباط ابن سويد بالصالحية (١٩)ورباط الحبقيق (٢٠)ورباط فيروز.

آخر عدد الخوانك والربط.

يقول الحسن جامع هذا الجزء وقد أنشأ الصاحب عز الدين حمزة المعروف بابن القلانسى(٤٣) رباطا بجبل الصالحية قريبا من حمام الزهور ، وتم بناؤه والفراغ منه فى آخر سنة عشرين وسبعمائة. فصارت عدة الربط والخوانك مع هذا الرباط خمسا وأربعين (فى رحاب دمشق / ٧٩، ٨٠).

وأما عن الربط التى فى الصالحية فقد أحصاها ابن طولون وقال عنها : وأما الرباطات فعدة أربطة وهى معدة للعجائز والنساء الأرامل

(١) منها رباط دير الحنابلة وهو رباط حسن (دير الحنابلة هو الزقاق الضيق غربى المدرسة العمرية ينفذ أيضا من الطريق الذى هو شرقى مسجد الشيخ محيى الدين ولا يزال يُدعى بحارة الدير).

(٢) ومنها : رباط مسجد التينة، وهو غربيه.

(٣)ومنها : رباط دار الحديث القلانسية المشهورة بالخانقاه وهو شماليها

(٤)ومنها رباط المدرسة الأتابكية وهو شرقيها على حافة نهر يزيد ببابين

(٥)ومنها : رباط علاء الدين على بن التركمانى عند مسجده

(٦) ومنها : رباط اللولوى غربى التربة الكيلانية فى الزقاق قبلى مسجد الشربدار

(٧) ومنها : رباط الزيتونة قبلى مزار الشيخ أبى بكر العرودك

(٨) ومنها : رباط الصارمية غربى جامع الحنابلة

(٩) ومنها : رباط العزية عند الجسر الأبيض من جهة الغرب

(١٠) ومنها : رباط الزاوية الداوودية من جهة الغرب

(١١) ومنها : رباط السيجرية شرقيها

(١٢)ومنها : رباط سعيد شمالى الصاحبة

(١٣) ومنها : رباط التربة السويدية شرقى التربة الكاملية

(١٤) ومنها : رباط التربه الإسكافية بالسكة

(١٥) ومنها : رباط خليفة فوق رباط الخانقاه المشهور برباط القونسى

(١٦)ومنها : رباط مسجد الزهر قبليه تحت الساحة بحارة الحياك الغربية (القلائد الجوهرية ١/ ٣٥٩، ٣٦٠).

(د) العراق

لم نجد فيما لدينا من مراجع على ما يتناول وصف أو إحصاء الربط فى العراق على النحو الذى أوردناه عن بلاد أخرى آنفا، بيد أننا وجدنا معلومات قيمة أوردها الأستاذ كوركيس عواد فى خلال وصفه وإحصائه لخزائن الكتب القديمة فى العراق، وما كان يوجد منها فى الربط وهى :

١ ـ الرباط الخاتونى السلجوقى
٢ ـ الرباط بالحريم الطاهرى ببغداد
٣ ـ رباط المأمونية ببغداد
٤ ـ رباط باتكين فى البصرة

وفيما يلى بيان كل منها

١ ـ خزانة الرباط الخاتونى السلجوقى

هذه الخزانة وقفها الخليفة الإمام الناصر لدين الله العباسى، الذى دامت خلافته من سنة٥٧٥ إلى٦٢٢ للهجرة (١١٨٠ـ١٢٢٥م) فى تربة زوجته سلجوقة خاتون، بباب البصرة من الجانب الغربى فى بغداد، وكانت قد توفيت سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨م) قال ابن الأثير فى أحداث تلك السنة : «فيها توفيت سلجوقة خاتون، بنت قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، زوجة الخليفة، وكانت قبلة زوجة نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب الحصن (يقصد حصن كيفا وقد أوردناه فى موضعه فى حرف الحاء فى م ١٤/ ٢٣٤ ـ٢٣٨).

فلما توفى عنها تزوجها الخليفة. ووجد الخليفة عليها وجدا عظيما ظهر للناس كلهم (رثاها الشاعر سبط بن التعاويذى بقصيدة رائية. (راجع ديوانه . ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ طبعة مرجليوت، القاهرة ١٩٠٣) وقد سميت هناك «سلجوكى» بالكاف) وبنى على قبرها تربة بالجانب الغربى، وإلى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة (الكامل فى التاريخ ١٢ / ١٦). والرملة على ما قال ياقوت الحموى (المشترك وضعا والمفترق صقعا، ص ٢١٠ طبعة وستنفلد، غوتنجن ١٨٤٦) : «محلة كانت ببغداد فى مشرعة الكرخ إلى دجلة، ثم خربت، وهى فى الجانب الغربى». وقد ذكرها ابن عبد الحق فى مراصد الاطلاع (٢ / ٤٣٤ فى مادة «قطيعة عيسى»).

وذكر القفطى (أخبار الحكماء/ ٢٦٩) أن الناصر اختار كتب هذه الخزانة، من خزائنه بالدار الخليفية، وأنه اعتمد فى اختيارها على أبى الرشيد مبشر بن أحمد الحاسب الملقب بالبرهان، المتوفى سنة ٥٨٩ هـ(١١٩٣ م).

ومن خزنة كتب هذه الخزانة، أبو محمد عبد العزيز بن دُلف بن أبى طالب أبو محمد البغدادى المعروف بالخازن والناسخ ، المتوفى سنة ٦٣٧هـ(١٢٣٩م).

وقد أشار ياقوت الحموى، فى ترجمة على بن فضال القيروانى، المتوفى سنة ٤٧٩ هـ(١٠٨٦ م) إلى أن له «كتاب الدول فى التاريخ» وهو كتاب عظيم الحجم، كان منه نسخة

فى خزانة هذا الرباط، وقف عليها ياقوت فقال: «رأيت فى الوقف السلجوقى ببغداد منه ثلاثين مجلدا، ويعوزه شىء آخر» (معجم الأدباء ٥ / ٢٩٠).

وفى سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) توفى نجاح بن عبد الله الملقب نجم الدولة، شرابى الخليفة الناصر لدين الله. ذكر سبط ابن الجوزى أنه «كانت له خمسمائة مجلدة، فأوقفها فى تربة أم الخليفة وكُتب عليها اسم الشرابى» (مرآة الزمان ٨/ ٣٩٤، ٣٩٥).

وللأستاذ البحاثة الدكتور مصطفى جواد، إشارة نفيسة بصدد رباط سلجوقة خاتون، قال فيها إنه كان «على دجلة، بالجانب الغربى من بغداد، قرب الموضع المعروف اليوم بخضر الياس. وقد هورت دجلة قبرها ودار كتبها وآثارها، بعد أن رآها نيبهر الرحالة الدانمركى قبل قرن ونصف، وشهدها المعمرون من أهل القرن التاسع عشر (دور العلم العراقية فى العصور العباسية مجلة «عالم الغد» العدد ٩ ص ١٤).

٢ ـ خزانة كتب الرباط بالحريم الطاهرى ببغداد:

ليس لدينا من الأنباء عن هذه الخزانة، أكثر مما ذكره ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣م) بقوله أن «فى ربيع الأول، فرغ من عمارة الرباط الذى أمر بإنشائه الخليفة الناصر لدين الله أيضا بالحريم الطاهرى غربى بغداد على دجلة، وهو من أحسن الربط، ونقل إليه كتبا كثيرة من أحسن الكتب» (الكامل فى التاريخ ١٢ / ٦٧، ٦٨).

٣ ـ دار الكتب التى برباط المأمونية ببغداد:

كان هذا الرباط فى «المأمونية»، إحدى محلات بغداد العتيقة (معجم البلدان ٤ / ٣٩٨) ولسنا نعلم من أمر دار الكتب فيه سوى إشارات خفيفة أوردها بعض الكتبة المؤرخين، من ذلك ما نقله ياقوت الحموى فى ترجمة ابن الدهان الضرير الواسطى المعروف بالوجيه، المتوفى سنة ٦١٢هـ (١٢١٥ م) فقد قال: «وحدثنى محب الدين محمد بن النجار، قال: حضر الوجيه النحوى بدار الكتب التى برباط المأمونية، وخازنها يومئذ أبو المعالى أحمد بن هبة الله. فجرى حديث المعرى، فذمه الخازن وقال: كان عندى فى الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته. فقال له الوجيه: وأى شىء كان هذا الكتاب؟ قال: كان كتاب نقض القرآن (يريد به كتاب «الفصول والغايات فى معارضة السور والآيات». وقد طبع بعضه فى القاهرة) فقال له: أخطأت فى غسله. فعجب الجماعة منه وتغامزوا عليه، واستشاط ابن هبة الله وقال له: مثلك ينهى عن مثل هذا؟ قال: نعم لا يخلو أن يكون هذا الكتاب مثل القرآن أو خيرا منه أو دونه. فإن كان مثله أو خيرا منه، وحاش لله أن يكون ذلك، فلا يجب أن يفرط فى مثله، وإن كان دونه، وذلك ما لا شك فيه، فتركه معجزة للقرآن، فلا يجب التفريط فيه. فاستحسن الجماعة قوله: ووافقه ابن هبة الله على الحق وسكت» (معجم الأدباء ٦ / ٢٣٥).

ومما قرأناه بصدد خزانة هذا الرباط أنه «كان فيها كتاب الفنون لابن عقيل الحنبلى. ذكر الذهبى أنه ٤٩٠ مجلدا سومر (٢ : ٦٩ ـ ٧٠ الحاشية ٨٩ من مقال «عمارات القرن السادس الفخمة فى الجانب الشرقى من بغداد، خارج دار الخلافة» للدكتور مصطفى جواد. وقال سبط ابن الجوزى: «هو مائتا مجلدة، جمعه طول عمره. واختصر منه جدى عشر مجلدات فرقها فى تصانيفه وقد طالعت منه فى بغداد. فى وقف المأمونية، ونحوا من سبعين. وفيه حكايات ومناظرات وغرائب وعجائب وأشعار» (مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى ٨ / ٥١ طبعة جويت فى شيكاغو سنة ١٩٠٧).

٤ ـ خزانة رباط باتكين فى البصرة:

أنشأ هذه الخزانة، الأمير أبو المظفر باتكين بن عبد الله الرومى الناصرى، المتوفى سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م). دوّن ترجمته ابن الفوطى، ومما جاء فى ذلك (الحوادث الجامعة / ١٨١) أنه «كان مملوكا لعائشة ابنة الخليفة المستنجد بالله المعروفة بالفيروزجية. واشتغل بالعلم وحفظ القرآن المجيد، وخدم جنديا، وأقام بتكريت مدة، ثم سلمت إليه البصرة بحربها وخراجها، فأقام بها ثلاثا وعشرين سنة، فعمَّرها وجدد مدارس كانت بها قد دثرت، وأنشأ مدرسة للحنابلة، ولم يكن يُعرف بالبصرة لهم مدرسة، وعمل مدرسة يقرأ فيها علم الطب، وعمَّر مارستان كان قد خرب وتعطل. ولما احترق

جامع البصرة، في سنة أربع وعشرين وستمائة واستهدم معظمه، أعاد عمارته وأحضر حجارة أساطينه من جبل الأهواز، وجلب له الخشب الصنوبر والساج من البحر وشيراز ورحبة الشام. وأنشأ رباطا متصلا بالجامع، ورباطا آخر قريبا منه. وأسكن فيهما جماعة من الصوفية. وبنى في دهليز الجامع حجرتين، جعل في إحداهما كتبا. ووقف في جميع المدارس كتبا، وانتشر العلم في زمانه. وكان العلماء وغيرهم يقصدونه من جميع الآفاق فيرفدهم ...» (خزائن الكتب القديمة في العراق / ١٥٧ ـ ١٦٠ ، ١٧١).

وقد ذكر الأستاذ سعيد الديوه جي أنه في سنة ٦٥٢ هـ أوقف الخليفة المستعصم بالله العباسي «دار الشط» ببغداد رباطا للنساء، وجعلت شيختـه الشريفة بنت المهتدى لتعليمهن وإرشادهن، وهذه الرباطات كثيرة في البلاد الإسلامية، وفي كل منها شيخة عالمة تعلمهن وتعظهن (التربية والتعليم في الإسلام / ٦٩).

(هـ) القدس الشريف ، أعاده الله ديار إسلام:

يقول الدكتور كامل جميل العسلى عن رُبُط القدس الشريف:

كان هناك في بيت المقدس، حسبما نعرف ، سبعة ربط. أنشئت ثلاثة منها في القرن السابع وواحد في كل من القرن الثامن والقرن التاسع والقرن العاشر. أما السابع فلا نعرف تاريخ تأسيسه، وهذه هي ، حسب ترتيبها الزمني (انظر صورها الست المصاحبة لهذه المادة):

١ ـــ رباط البصير وهو أقدم ربط القدس: ويقع بباب الناظر شمال الطريق المؤدية للحرم. ، وعلى بعد ٢٥ مترا من الباب. أنشأه سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م الأمير الدين أيدغدى الذى كان ناظرا للحرمين الشريفين زمن الملك الظاهر بيبرس إلى أيام المنصور قلاوون. وكانت له آثار عمرانية كثيرة في القدس والخليل. وقد سمى الرباط بهذا الاسم نسبة إليه. وكان أعمى فسموه بصيرا. وهناك فوق باب الرباط نقش مكتوب عليه ما يلى:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما وقف الأمير علاء الدين أيدغدى الركنى (أيدغدى بالتركية: ولد القمر) وقف جميع داخل هذا الباب من الأقباء والساحة على الفقراء الواردين لزيارة القدس الشريف وقفا مؤبدا في سنة ست وستين وستمائة».

توفي الأمير علاء الدين سنة ٦٩٣ ودفن في رباطه هذا. وفي الرباط ضريح نقش عليه اسمه، وفيه مسجد (الأنس الجليل ٢ / ٤٣ و ٢٧٠. على أن مصادر كثيرة تقول إن الأمير المذكور مدفون في تربة خاصة به بمقبرة ماملا تدعى الكبكية)

وقد استعمل الرباط زمن الأتراك سجنا للمحكومين مددا طويلة، وكان يدعى «حبس الدم» وتسكن فيه الآن عدة عائلات معظمها من التكارنة الذين جاءوا في الأصل من دارفور بالسودان. وكانت الحكومة العثمانية قد جاءت بهم لحماية الحرم والمدارس والمنازل المحيطة به. وهم يعيشون الآن في فقر مدقع.

وقف علاء الدين البصير.

« يصرف الناظر بعد العمارة في الرباط والصهريجين به والمطهرة المختصة به وباقى رقبة الوقف لتعمير الرباط المذكور في كل شهر ثمانية درهم، وعليه كنسه وغلقه وفتحه وتنظيفه... طهارته وإيقاد مصابيحه وينير مصباحا في كل ليلة إلى الصباح أحدهما بمجمع الرباط والآخر بالطهارة. ومن الخبز في كل يوم نصف رطل بالقدسي ويصرف الناظر ما يرى من ثمن حبل ودلو وقناديل وأباريق وحُصر ... فرش المجمع الذى بالرباط المذكور وما فضل بعد ذلك في ثمن خبز متوسط؟ ويصرف على الفقراء والمساكين والواردين في هذا الرباط لكل فقير منهم في كل يوم رطلان من الخبز المذكور بالرطل المصرى في خمسة أيام ولا يزيد في الصرف على ذلك، وإن ضاق الصرف إلى كل واحد خمسة أيام صُرف لكل واحد منهم ثلاثة أيام فإن كثر الواردين فيه وضاق الوقف عن استيفائهم؟ ... من ضيوفهم على من يرد بعده من الفقراء. النظر على الرباط المذكور وأوقافه لمن يكون أمام الصخرة المشرقة كائنا من كان.

تاريخ الوقف فى سنة ٧٤١ .

الدار المجاور لدار الرباط المذكور بالقدس	الحوش الملاصق للدار المذكور بالقدس	الدار المجاور لتربة الواقف ... بالقدس
طاحون وفرن بالوقف القديم بالقدس	القبو بوادى الطواحين بالقدس	قبو بخط وادى الطواحين بالقدس
الدارين الملاصقين المجاورين ... بالقدس	الصهريج الذى بالوقف القديم بالقدس	جميع الصهريج وخان بالقدس
	الحمام المعروف بالواقف فى القدس»	

وقف محمود صوباجى على الرباط المذكور تاريخ الوقفية ٩٤١ .

قبو الحمام... بأرض خان الظاهر بالقدس	خان بخط وادى الطواحين	حوانيت أربعة

«وقف المرحوم الشيخ علاء الدين أيدغدى البصيرى الركنى على الرباط جوار المسجد الأقصى» أيضا فى س. أ. أ. رقم ٦٠٢ وتاريخ سجل المحضر فى سنة ٨٢٤».

٢ ـ الرباط المنصورى: وهو يقع بباب الناظر أيضا إلى جنوب طريق باب الناظر المؤدية إلى الحرم، مقابل رباط علاء الدين البصير. وقف هذا الرباط الملك المنصور قلاوون الصالحى سنة إحدى وثمانين وستمائة والرباط المنصورى من المؤسسات السلطانية القليلة التى بنيت خارج الحرم، لأن السلاطين كانوا يقيمون منشئاتهم داخل الحرم نفسه. وقد أشرف على بنائه علاء الدين أيدغدى بعد بناء رباطه المشار إليه أعلاه. هناك على باب الرباط نقش هذا نصه:

«بسملة. الحمد لله عم بفضله كل شيء. وصلى الله على سيدنا محمد وآله. أمر بعمارة هذا الرباط ووقفه على الفقراء وزوار القدس الشريف مولانا السلطان الملك المنصور أبو الملك سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى. أدام الله أيامه وتقبل منه سنة إحدى وثمانين وستماية».

* ويفيدنا س. أ. أ. ٥٢٢ ص ٢٦، بالتفصيلات التالية عن الوقف:

«وقف السلطان أبو المعالى قلاوون على الرباط فى قدس. تاريخ الوقف ٦٨١ .

بستان ... فى غزة المعروف	قرية ظعن ؟ الأسمر تابع نابلوس (٨ ط)	قرية جلمة تابع مزبور ٣ ط
قرية عصيرة تابع م ٨ ط	قرية بعارة تابع م ٨ ط	قرية رأس تابع صفد ٨ ط
قرية عطا تابع صفد ١٢ ط	قرية ؟ تابع غزة ٤ خمس	مزرعة أبو ؟ تابع قدس ($^1/_2$ ط وربع ط)
قرية ؟ ٣ ط	بيت سكن محب الدين تماما	بيت ابن كريم؟ البيرة ؟ تماما
أحكار دار فوق الرباط م	حكر دار أبو نسيبة فوق الرباط م	طباق ... ... فوق خان كله
أرض فى وقف رباط منصورى فى قرب مغارة كبرى فى سنة	قرية ؟	طاحون نصف المذكور»

ممن تولى وقف الرباط فى القرن العاشر الشيخ إسحاق بن عمر بن أبى اللطف (سنة ٩٨٣، س. ش ٥٦ ص ٦٠٥) وفى سنة ١٠٩٢ قرر القاضى عيسى بن هبة الله الشهير بابن فتيان فى وظيفة المرتب بالرباط، عوضا عن ابن عم والده الشيخ محمد بن فتيان بحكم وفاته (س. ش ١٨٤ ص ١٠١).

قالت المؤلفة: ذكر المؤلف (ص ٣) أن الحرفين س ش يرمزان إلى مصدرين استند إليهما هما: أولا: بعض أبحاث المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام. ثانيا: سجلات المحكمة الشرعية فى القدس، ابتداء من سنة ٩٣٦ هـ . اهـ.

استعمل هذا الرباط زمن الحكم العثمانى سجنا للموقوفين

الذين ينتظرون المحاكمة، وسمى لهذا السبب بحبس الرباط ويسكن فى الرباط الآن عدة عائلات من التكارنة السودانيين الفقراء، شأنه فى ذلك شأن رباط البصير.

٣ ـ رباط الكرد: ويقع بباب الحديد ملاصقا لسور الحرم وعلى يمين الخارج من الحرم من هذا الباب. وقد أنشأه المقر السيفى كرد صاحب الديار المصرية سنة ٦٩٣. وكان السيفى كرد من مماليك السلطان قلاوون. وقد أسس رباطه فى القدس عندما كان ساقى السلطان. وفى سنة ٦٩٦ عين أمير آخور. ثم عينه السلطان لاجين فى السنة نفسها حاجبا. وتولى فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون نيابة طرابلس. وقتل فى معركة مع التتار سنة ٦٩٩(المقر هو لقب ملكى فى الأصل، وأصبح مع الوقت أقل شأنه فصار يطلق على الأمراء منذ أواخر القرن السابع أما «صاحب الديار المصرية» فهو لقب ملكى وظل كذلك دائما).

ويعتقد الأستاذ م. بيرجوين أن رباط الكرد كان مؤلفا فى الأصل من طابق واحد وأن الطابق الثانى كان للمدرسة الجوهرية. وأما الطابق الثالث فقد بنى فى العهد العثمانى. وهو يستند إلى قول مجير الدين عن المدرسة الجوهرية: «وبعضها على رباط الكرد» (الأنس الجليل ٢ / ٣٧).

وقد أجريت عدة تعميرات فى مبنى الرباط فى عصور مختلفة. وفى أواسط القرن الحادى عشر انهدم بعض عقد الإيوان السفلى، وكذلك حائطه الشرقى، وتضعضع بناء الستارة الفاصلة بين الرباط والمدرسة الجوهرية وسطح الرباط وسطح مطبخيه، وكذلك أجزاء أخرى من الرباط. وأذن الحاكم الشرعى بإجراء التعميرات المطلوبة التى قدرها المهندسون إذ ذاك بستين غرشا.

وقد انهار رباط الكرد جزئيا فى شهر كانون الأول سنة ١٩٧١ من جراء الحفريات التى قامت بها وزارة الأديان الإسرائيلية تحت سور الحرم الغربى شمالى حائط البراق. وأرادت الوزارة أن تستغل الفرص لهدم البناء كله لإنشاء ميدان ثان مثل ذاك الذى أنشأته عند حائط البراق، وفى منطقة إسلامية بحتة، لولا ما أثاره انهيار هذا الأثر الإسلامى من ضجة فى الأوساط العلمية والأثرية العالمية، وهو الأمر الذى أدى إلى وقف أعمال الهدم والحفر تحت المبنى وإلى وضع دعامات لمنع انهياره التام، إلى أن يتخذ قرار بهذا الشأن.

يسكن رباط الكرد الآن جماعة من آل الشهابى، وهو يعرف بهم.

٤ ـ رباط الماردينى: ويقع بباب حطة مقابل المدرسة الكاملية، وشمال التربة الأوحدية، أى أنه على يمين الداخل إلى الحرم من هذا الباب. ويقول مجير الدين «وقفه منسوب لامرأتين من عتقاء الملك الصالح صاحب ماردين، وشرطه أن يكون لمن يرد من ماردين. وقد وقفت على محضر ثابت بوقفه، تاريخه فى سنة ثلاث وستين وسبعمائة.

وممن تولى مشيخة هذا الرباط فى سنة ١١٦٤ السيد وفا اللطفى (س. ش ٢٣٧ ص ١٠٥).

ويقول الدكتور مايكل بيرجوين فى بحثه الذى أعده للمؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام (عمان ١٩٨٠) إن هذه الربط المملوكية الثلاثة البصير، والمنصورى، والكرد تشترك فى طراز معمارى خال من الزخرفة، مما قد يشير إلى أن بناتها كانوا من الحرفيين المحلين الذين لم تكن لهم دربة فى فنون الزخرفة التى كانت أكثر تطورا فى القاهرة ودمشق وحلب.

٥ ـ الرباط الزمنى: يقع هذا الرباط بباب المطهرة (المتوضأ فى العصور الوسطى) تجاه المدرسة وبينهما زقاق باب المطهرة. وهو فوق الإيوان الذى بباب القطانين وبابه من داخل الحرم. وقفه الخواجكى شمس الدين محمد بن الزمن، أحد خواص السلطان الأشرف قايتباى، وقد توفى سنة ٨٩٧. (الخواجكى، بزيادة الكاف على الخواجا(التى تدخل فى الفارسية مع ياء النسبة). هو لقب يأتى ضمن سلسلة ألقاب التجار. الألقاب الإسلامية لحسن الباشا ٢٨٠).

أما تاريخ إنشاء الرباط فهو سنة ٨٨١ هـ، كما يظهر من اللوحة المنقوشة على بابه:

بسملة أنشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى

الخواجكي الشمسي محمد بن الزمن. خادم الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بتاريخ سنة إحدى وثمان مائة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله».

ويقول فان برشم (ص ٣٥٠) إن شمس الدين محمد بن الزمن لقب بخادم الحجرة النبوية الشريفة لأن السلطان قايتباى عينه للإشراف على التعميرات التى أجريت فى الحرم النبوى الشريف سنة ٨٧٨. وتمت فى سنة٨٨١، وهى سنة بناء الرباط فى القدس.

يدعى الرباط الزمنى أحيانا بالمدرسة الزمنية، وممن تولى التدريس فيه: على بن عبد الرحمن العفيفى الكنانى الذى ينتسب للعز بن جماعة، وهو من الصوفية الخلوتية. وكان من أشياخه الشيخ مصطفى الصديقى وقد توفى سنة ١١٨٠ (انظر مادة «الخلوتية» فى م ١٦/ ٢٨٥ ـ ٢٨٧).

وممن تولى مشيخة الرباط ونظارة أوقافه والإمامة فيه فى آخر القرن الثانى عشر عبد الرحمن أفندى عفيفى زاده وفى سنة ١٠٩٣ / ١٠٩٤ جرت تعميرات فى الرباط بإذن القاضى.

ودار الرباط تابعة الآن لدائرة الأوقاف الإسلامية فى القدس ويسكنها جماعة من آل العفيفى. وهى تُعرف بهم.

٦ـ رباط بايرام: (المدرسة الرصاصية) وهو الرباط الوحيد الذى أنشئ فى العهد العثمانى. وقد أنشأه بايرام جاويش بن مصطفى بعد أن أتم عمارة سور القدس ٩٤٧ هـ، زمن السلطان سليمان القانونى (المفصل، ص ٣٠٧ مات بايرام جاويش فى القدس ودفن بها. وقد قام بأعمال عمرانية جمة ووقف الأوقاف. يفيد السجل ٤٤ ص ٥٣٨ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس أن القاضى عين ناظرا على تلك الأوقاف).

يقع الرباط فى الطرف الجنوبى لعقبة التكية، قرب تقاطعها مع طريق الواد. وهناك على مدخله النقش التالى:

« هذا المكان المبارك رباط وقفه لسكن الفقير الأمير بايرام جاويش بن مصطفى دام عزه بتاريخ عشرين ربيع الأول سنة سبع وأربعين وتسع مائة».

وفى الرباط يوجد ضريح الواقف. وقد أنشأ الواقف فى المبنى نفسه مكتبا (أى كتابا) مجانيا لتعليم الأولاد. فهناك نقش آخر على المبنى ذاته هذا نصه:

«جدد عمارة هذا المكان المبارك بايرام جاويش وجعله مكتبا لقراءة الأولاد لله تعالى فى سنة ٩٤٧».

* وفى سنة . أ . أ. رقم ٥٢٢ ص ١٥:

« وقف بايرام جاويش على مصالح الرباط والمكتب الكائن ذلك بالقدس الشريف الذى أنشأه الواقف وعمَّره من ماله ...

تاريخ الوقفيه فى رابع شهر رمضان سنة ثلاث وخمسون [وخمسين] وتسعماية

الحوش بالمحلة المزبورة بالقرب من المصبنة المزبورة ٦ ط	مصبنة فى حارة باب العمود بالقدس الشريف ١٢ ط	قرية بنى نعيم بنى شجاع؟ تابع القدس ٦ ط

هذا وقد أجريت على الرباط تعميرات مختلفة فى أوقات مختلفة. وفى أواسط القرن الحادى عشر تشعث بناء قبة المكتب الكائن فى الرباط وتخلخلت أركانها، بحيث أصبح يخشى سقوطها على الأطفال المشتغلين بالقراءة. فأصدر القاضى إذنا بتعميرها.

وقد أصبح الرِّباط يعرف فيما بعد فى القدس باسم المدرسة الرصاصية. والظاهر أن التسمية أطلقت عليه فى أواخر العصر العثمانى عندما تغير مدلول لفظ المدرسة وأصبح يطلق على المدارس الابتدائية والكتاتيب أيضا. لأن الرباط لم يكن مدرسة بالمعنى الأصلى للمدارس، وهو المعهد الذى يقدم تعليما ثانويا وعاليا، كسائر المدارس التى تناولها هذا البحث بالدراسة. أما تسمية الرصاصية فقد جاءت من استعمال ألواح الرصاص فى ربط مداميك الحجارة بعضها ببعض نظرا لقلة الجير عند إقامة البناء.

ما يزال مبنى الرصاصية متماسكا، وهو يستعمل الآن كمدرسة ثانوية يدرس فيها كثير من الطلاب على فترتين فترة

صباحية وفترة مسائية. ويبدو أن التدريس في الرصاصية لم ينقطع منذ أربع قرون ونصف القرن.

ومع أن مبنى الرصاصية بنى في العصر العثماني (٩٤٧) إلا أن طرازه وزخرفته الفنية لا تجعل المرء يميزه عن مباني عصر المماليك ــ وهو، على كل حال، بنى بعد عصر المماليك بربع قرن فقط ـ فواجهة المبنى التي تقع على الطرف الجنوبي من عقبة التكية، على ارتفاع طابقين تتألف من مداميك متعاقبة من الحجر الجيري والرخام الأحمر يتوسطها مدماك واحد من البازلت. وهناك نوافذ على الواجهة ثلاث منها في الطابق العلوى، وواحدة في الطابق الأرضي. والغرفة الرئيسية في الطابق العلوى كانت مسجدا للرباط وفيها محراب. وهي تستعمل الآن كصف.

إن رباط بايرام أو المدرسة الرصاصية هو آخر مثال ذى شأن للفن المعمارى الإسلامى في مدينة القدس.

٧ ـ الرباط الحموى: كان هذا الرباط يقع بخط باب القطانين من أبواب الحرم. ولا نعرف مؤسسه ولا تاريخ تأسيسه. ولكنا نعرف أنه كان في الواقع مؤلفا من رباطين متجاورين، أو من قسمين، أحدهما لسكن الأرامل من النساء والآخر لسكن الرجال.

ومن الجدير بالذكر أنه كان من جملة الوظائف المقررة في الأربطة المذكورة وظيفة تعرف باسم وظيفة السكن بالرباط، كان يقررها القضاة لبعض الناس من المحتاجين وغيرهم حتى صارت الأربطة أشبه بالملاجئ وبيوت العجزة من نساء ورجال (معاهد العلم في بيت المقدس / ٣١٥ـ٣٢٩).

ويضيف الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدى إلى ربط القدس الشريف الرباط التالى، فيقول:

٨ ـ رباط الملك نجم الدين:

ينسب هذا الرباط (ويقع في باب حطّة) إلى منشئه الملك الأوحد نجم الدين يوسف ابن الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى، المتوفى سنة ٦٩٨ هـ. وكان نجم الدين قد « ولى نظر القدس والخليل في رجب سنة أربع وتسعين وستمائة »، ثم عمر رباطه هذا بعد ذلك. وقيل: إنه قد عمَّره في سنة ٦٩٧ هـ.

ومن الجدير بالذكر أن نجم الدين كان من المهتمين بالعلم وأهله، فقد اشتغل به، وسمع من عدد من العلماء، ثم حدَّث، وروى عنه صحيح البخارى. ولعل هذا مما يوضح شيئا عن الدور الذى قام به هذا الرباط في الحركة الفكرية، في بيت المقدس.

وكان يعرف هذا الرباط بالمدرسة الأوحدية أيضا. وأغلب الظن أن هذه التسمية لها صلة بدور الرباط في الحركة الفكرية، وخاصة إذا علمنا أن منشئه كان من المهتمين بالعلم، والمشتغلين به، كما تقدم.

ويمكن النظر إلى هذا المكان على أنه رباط، ومدرسة، وتربة، فقد ذكره مجير الدين الحنبلى على أنه مدرسة، ورباط. وذكر أن الملك نجم الدين دفن في رباطه أو تربته (ويسكن فيه اليوم جماعة من أهل الخليل) (المدارس في بيت المقدس ٢ / ٢٢٥).

(و) مصر والقاهرة:

الربط في مصر والقاهرة، كما أحصاها المقريزى، هي:

١ ـ رباط الصاحب.

٢ ـ رباط الفخرى

٣ ـ رباط البغدادية

٤ ـ رباط الست كليلة

٥ ـ رباط الخازن

٦ ـ رباط ابن سليمان

٧ ـ رباط داود بن إبراهيم

٨ ـ رباط ابن أبى المنصور

٩ ـ رباط المشتهى

١٠ ـ رباط الآثار

وفيما يلى بيان كل منها كما أوردها المقريزى، وكما نقلها عنه على مبارك:

١ـ رباط الصاحب.

هذا الرباط مطل على بركة الحبش أنشأه الصاحب فخر الدين أبو عبد الله محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين أبى الحسن على بن محمد بن سليم بن حنا ووقف عليه أبوه

الصاحب بهاء الدين بعد موته عقارا بمدينة مصر وشرط أن يسكنه عشرة من الفقراء المجردين غير المتأهلين وذلك فى ذى الحجة سنة ثمان وستين وستمائة وهو باق إلى يومنا هذا وليس فيه أحد ويستأدى ريع وقفه من لا يقوم بمصالحه (المقريزى ٢ / ٤٢٧).

٢ ـ رباط الفخرى:

قال المقريزى: هذا الرباط خارج باب الفتوح فيما بينه وبين باب النصر. بناه الأمير عز الدين أيبك الفخرى أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس انتهى.

وهذا الرباط موجود إلى الآن ويعرف بهذا الاسم، وهو خلف الأماكن الموجودة بالجهة الشرقية على يمين الخارج من باب الفتوح ملاصقا للسور وعلى يسار الخارج من باب النصر، ويقابله مقبرة معروفة عند التربية بالجباسة وفى شرقيها مقبرة يقال لها (ودن) واقعة تجاه مصلى الأموات، وفى بحرى مقبرة الجباسة ثلاث قباب تعرف بالشيخ مبارك، وفى بحرى الشيخ مبارك مقبرة المجاورين (على مبارك ٦/ ١٥٤).

٣ ـ رباط البغدادية:

أوردناه فى حرف الباء تحت عنوان «البغدادية (رباط ـ) فى م ٧/ ٢٥١، ٢٥٢. فانظره فى موضعه.

٤ ـ رباط الست كليلة.

قال المقريزى: هذا الرباط خارج درب بطوط من جملة حكر سنجر اليمنى وملاصق للسور الحجر بخط سوق الغنم وجامع أصلم، وقفه الأمير علاء الدين البرابا على الست كليلة المدعوة (دولاى) ابنة عبد الله التتارية زوج الأمير سيف الدين البرلى السلاحدار الظاهرى، وجعله مسجدا ورباطا ورتب فيه إماما ومؤذنا، وذلك فى الثالث والعشرين من شوال سنة أربع وتسعين وستمائة انتهى (المقريزى ٢ / ٤٢٨ وعلى مبارك ٦/ ١٥٤).

٥ ـ رباط الخازن:

قال المقريزى: هذا الرباط بقرب قبة الإمام الشافعى رحمة الله عليه من قرافة مصر. بناه الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الخازن والى القاهرة وفيه دفن وهو الذى ينسب إليه حكر الخازن خارج القاهرة انتهى (المقريزى ٢ / ٤٢٨).

وهذا الرباط يغلب على الظن أنه المحل الذى تحت يد مذكور العريجى (على مبارك ٦ / ١٥٤).

٦ ـ رباط ابن سليمان

أدرجه المقريزى تحت عنوان «الرباط المعروف برواق ابن سليمان»، وأدرجه على مبارك تحت عنوان «رباط ابن سليمان»، وأورده فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة برقم أثر ٢٤٥ تحت عنوان «ابن سليمان الرفاعى» (رباط) (٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م).

قال المقريزى: هذا الرباط بحارة الهلالية خارج باب زويلة عرف بأحمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن إبراهيم بن أبى المعالى بن العباس الرحبى البطائحى الرفاعى شيخ الفقراء الأحمدية الرفاعية بديار مصر.

كان عبدا صالحا له قبول عظيم من أمراء الدولة وغيرهم، وينتمى إليه كثير من الفقراء الأحمدية. وروى الحديث عن سبط السلفى وحدث، وكانت وفاته ليلة الإثنين سادس ذى الحجة سنة إحدى وتسعين وستمائة بهذا الرباط انتهى (المقريزى ٢ / ٤٢٨).

وهذا الرباط هو الزاوية الصغيرة المتخربة التى بدرب الأغوات المعروفة الآن بزاوية الشيخ القيسونى، لأن بها ضريحا يقال له ضريح القيسونى، وآخر يقال له ضريح الشيخ عبد الله (على مبارك ٦ / ١٥٢).

٧ ـ رباط داود بن إبراهيم

هذا الرباط بخط بركة الفيل بنى فى سنة ثلاث وستين وستمائة (المقريزى ٢ / ٤٢٨).

٨ ـ رباط ابن أبى منصور.

هذا الرباط بقرافة مصر عرف بالشيخ صفى الدين الحسين ابن على بن أبى المنصور الصوفى المالكى كان من بيت وزارة فتجرد وسلك طريق أهل الله على يد الشيخ أبى العباس أحمد ابن أبى بكر الجزار النجيبى المغربى وتزوج ابنته وعرف بالبركة وحكيت عنه كرامات وصنف كتاب الرسالة ذكر فيها عدة من المشايخ. وروى الحديث وحدث وشارك فى الفقه وغيره وكانت ولادته فى ذى القعدة سنة خمس وتسعين وخمسمائة

ووفاته برباطه هذا يوم الجمعة ثانى عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة (المقريزى ٢ / ٤٢٨).

٩ ـ رباط المشتهى:

قال المقريزى: هذا الرباط بروضة مصر يطل على النيل وكان به شيخ مسلك، ولله در شيخنا العارف الأديب شهاب الدين أحمد بن أبى العباس الشاطر الدمنهورى حيث يقول:

بروضة المقياس صوفية ... هم منبة الخاطر والمشتهى

لهم على البحر أياد علت ... وشيخهم ذاك له المنتهى

(المقريزى ٢ / ٨٢٩).

قال على مبارك: وهذا الرباط يعرف اليوم بجامع المشتهى وقد ذكرناه فى كتابنا المسمى (مقياس النيل) فارجع إليه إن شئت(على مبارك ٦ / ١٥٥).

١٠ ـ رباط الآثار

أوردناه تحت عنوان «الآثار (رباط ـ)» فى م ١ / ٩٩ ـ ١٠٣ فانظره فى موضعه.

١١ ـ رباط الأفرم:

هذا الرباط بسفح الجرف الذى عليه الرصد، وهو يشرف على بركة الحبش، وكان من أحسن متنزهات أهل مصر. أنشأه الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير خازندار الصالحى النجمى، ورتب فيه صوفية وشيخا وإماما، وجعل فيه منبرا يخطب عليه للجمعة والعيدين، وقرر لهم معاليم من أوقاف أرصدها لهم، وذلك فى سنة ثلاث وستين وستمائة، وهو باق إلا أنه لم يبق به ساكن لخراب ما حوله، وله إلى اليوم متحصل من وقفه. والأفرم هذا هو الذى ينسب إليه جسر الأفرم خارج مصر (المقريزى ٢ / ٤٣٠).

١٢ ـ الرباط العلائى:

هذا الرباط خارج مصر بخط بين الزقاقين شرقى الخليج الكبير يعرف اليوم بخانقاه المواصلة، وهو آيل إلى الدثور لخراب ما حوله. أنشأه الملك علاء الدين أبو الحسن على ابن الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بجوار داره وحمامه وطاحونه، وجعل له فيه مدفنا، ووقف عليه بستان الجرف، وبستانا بناحية شبرا، وعدة حصص من قرى فلسطين والساحل، وأحكارا ودورا بجانب الرباط. ومات يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، ومولده يوم الجمعة ثامن عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة بجزيرة ابن عمر. وكان من الحلقة، وسمع الحديث من النجيب الحرانى وابن عرنين وابن علاف، ودفن فيه، وبه إلى الآن بقية، ويحضره الفقهاء يوما فى الأسبوع وهم عشرة شيخهم منهم ... وكان أولا معمورا بسكنى أهله دائما فيه، وفى هذا الوقت لا يمكن سكناه لكثرة الخوف من السرّاق (المقريزى ٢ / ٤٣٠).

هذا ويقتصر عدد الربط المسجلة فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة على خمسة ربط بيانها كما يلى:

أثر رقم ٦١ : رباط زوجة السلطان إينال (حوالى ٨٦٠ هـ / ١٤٥٦ م)

أثر رقم ١٤١ : رباط أبى طالب (يحيى زين الدين) (٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م)

أثر رقم ٢٤٥ : رباط أحمد بن سليمان الرفاعى (٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) (سبق ذكره)

أثر رقم ٣٢٠ : رباط الآثار (١٠٧٣ ـ ١٢٢٤هـ / ١٦٦٢ ـ ١٨٠٩م).

اثر رقم ٤٣٦ : بقايا رباطا كتخذا ومسجد الشيخ رمضان (١١٧٥ هـ / ١٧٦٢ م) (فهرس الآثار الإسلامية / ٢، ٣، ٥، ٧، ٩)

رباط الأمير جانبك:

وقد ذكر السخاوى عند الكلام على القرافة الكبرى فقال تحت عنوان «تربة الفاضل أو رباط الأمير جانبك» ثم تأتى إلى قبلى تربة الأمير جانبك المشار إليه (سبق أن ذكره باسم **المقر** العالى المرحوم السيفى جانبك الظاهرى الدوادار الكبير كان شادّ جِدَّة) (أى نائبها) وتعرف قديما بتربة الفاضل والآن برباط الأمير جانبك بها قبر الفقيه المحدث مسند الديار المصرية مح الدين أبى الفرج عبد اللطيف بن على بن عبد المنعم

ابن على بن نصر بن منصور بن هبة الله النميرى الحرانى الحنبلى المعروف بابن الصقلى مولده بحران فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة، وسمع الكثير من جماعة من الشيوخ، وحدَّث ببغداد ودمشق ومصر والقاهرة وغيرها، وبقى حتى تفرد عن كثير من مشايخه، وازدحم عليه أصحاب الحديث، وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وحدَّث بها مدة إلى حين وفاته، وجرى عليه محن شارك فيها الصلحاء والأولياء، وكانت وفاته فى مستهل صفر سنة اثنتين وسبعين وستمائة بقلعة الجبل.

وإلى جانبه قبر أخيه عبد العزيز بن على بن نصر بن منصور بن هبة الله المعروف والده بابن الصقلى أبى العزيز بن محمد بن أبى الحسين الحرانى كان شيخا مسندا سمع ببغداد من أبى محمد بن الأخضر، وأبى الفتوح بن كامل الخفاف، وأبى على يحيى بن الربيع الواسطى، وأبى المعالى أحمد بن يحيى بن الربيع، وأبى على محمد بن الخريف، وأبى القاسم سعيد بن الخريف، وأبى القاسم سعيد بن محمد بن محمد ابن عطاف، وأبى نصر محمد بن سعد الله بن الدجاجى وجماعة غيرهم، ومولده بحران سنة أربع وتسعين وخمسمائة وتوفى يوم الثلاثاء رابع عشر رجب سنة ست وثمانين وستمائة، وصلى عليه بجامع عمرو بن العاص من الغد بعد طلوع الشمس.

وأصل من بنى هذا الرباط وما حول التربة وجدده إزدمر الصالحى، ثم لما خرب الرباط وما حول التربة جدده الأمير جانبك نائب جدة المذكور وزخرفه وبيَّضه ونزل فيه فقراء وأجرى عليهم خبزا، وجامكية، ثم إنه جدد التربة وتتبع عمارتها وبيضها وجعل فيها حوشا ومقعدا وإصطبلا ومطبخا وميضأة، وبنى صهريجا وحوضا لسقى البهائم، وجعل فوق السبيل كُتَّابا، وجدد بئر الساقية التى كانت قديمة بها، وجعل بالتربة المذكورة شيخا وخمسين صوفيا ومقرئين يقرءون فى الخمسة أوقات كل جوقة ثلاثة نفر فى وقت، وجعل عليهم كاتب غيبة ومادحا وخدما للشيخ وإماما وفراشا وبوابا وفرملاتيا (هو المختص بتسبيل الماء على المارة وتنظيف المبنى. الأسبلة العثمانية / ٣٥٤) وسواقا ورشاشا، وأجرى على الجوامك اللائقة بهم الجامكية، الجمع جوامك، وهى الرواتب عامة. التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ٨٢) وكذا على الأيتام المنزلين بالكتاب، وبالجملة فإن هذه الخطة عمرت بهذه التربة رحمه الله تعالى (تحفة الأحباب / ١٦٥، ١٦٦، والتعليقات التى بين أقواس للمؤلفة).

وقد أورد المقريزى «الجواسق» التى بالقرافة الكبرى، ونقل تعريف ابن سيده للجوسق بأنه الحصن، وقيل هو شبيه بالحصن معرب: وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط الجواسق بالقرافة والجبانة كانت شمس القصور ... إلخ (المقريزى ٢ / ٤٥٢).

ثم قال المقريزى: كان بالقرافة الكبيرة عدة دور يقال للدار منها رباط على هيئة ما كانت عليه بيوت أزواج النبى ﷺ يكون فيها العجائز والأرامل العابدات، وكانت لها الجرايات والفتوحات، وكان لها المقامات المشهورة من مجالى الوعظ.

ثم يحصى هذه الربط تحت عنوان «الجواسق» وعددها ستة وبيانها كما يلى:

١ ـ رباط بنت الخواص: كان تجاه مسجد بيد الفقيه مجلى بن جميع بن نجا الشافعى مؤلف كتاب الذخائر وقاضى القضاة بمصر.

٢ ـ رباط الأشراف: كان برحبة جامع القرافة يعرف بالقراء، وببنى عبد الله، وبمسجد القبة، وهو شرقى بستان ابن نصر، بناه أبو بكر محمد بن على المادرانى ووقفه على نساء الأشراف.

٣ ـ رباط الأندلس: بنته الجهة المعروفة بجهة مكنون الآمرية.

٤ ـ رباط ابن العكارى: كان بحضرة مسجد بنى ربع المعروف بالجامع العتيق

٥ ـ رباط الحجازية: بنته وحبسته على الحجازية «فوز» جارية على بن أحمد الجرجراى الوزير، هو والمسجد.

٦ ـ رباط رياض: كان بجوار مسجد الحاجة رياض (المقريزى ٢ / ٤٥٤).

(ز) المغرب:

يقول الأستاذ عبد السلام أحمد الكَنونى (بالجيم المغربية) عن الربط فى المغرب:

الـرابطـات : جمع ربـاط هـى الثكنـات التى أقيمت فى المغرب لتقوم بمهام متعددة أهمها :

يجمع فيهـا جند كبيـر من المسلمين للـدفاع عن حـوزة البلاد وحماية ثغورها من الخطر الأجنبى .

وهى دور للمسـافرين الـذين يجـوبون البـلاد أو يقومـون بمهمـات رسمية للـدولة ودور انتسـاخ المصاحف، ودراسـة كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وقلما يخلو رباط من خزانة كتب وعالم يقوم بـالوعظ والإرشاد وتفسير القرآن وشرح السنـة للجنود وغيـرهم ممن يـؤمون الـربـاط ويستخرج منهـا القصص والمـواعظ التى تقـوى الجيـوش وتـزكيهم وتنيـر بصائرهم .

ويـذكر أن أول من أسس الـربـاط هـو «هرثمـة بن أعين» أسس ربـاط المنستير سنة ١٨١ هـ بطرابلس المغـرب . ثم انتشر الرباط بعده، وكـان يفصل بين كل رباط ورباط مسافة تعـادل ستـة كيلـو ميترات . وتسميـة ربـاط الفتح الـذى هـو عاصمـة المغرب اليوم . منظـور فيها إلى تلك الربـاطات التى كانت ممتـدة على الساحل . وكل ربـاط للرجـال كان مـردفا برباط للنساء .

وفى مهمة الربطات قال الدكتور الشيال (أعلام العرب / ١ ـ ١٩٦٨،٣٧) فى ترجمته للعالم المغـربى أبى بكر الطرطوشى : «فالمسلمـون الأول كانـوا يعتقدون أن الإقـامة فـى الربـاطات والحياة فى الثغور نوع من الجهاد، ومـن يمت أثناء مقامه بها فهـو شهيد، ولهـذا جـذبت الإسكنـدرية إليهـا فى العصـور الإسلاميـة الأولى عددا كبيرا من المسلمين ومن العلماء بـوجه خاص ، ومن علماء المغرب والأندلس بوجه أخص» (المدرسة القرآنية فى المغرب / ٣٦ ، ٣٧) .

(ح) مكة المكرمة :

أحصى الإمام الفاسى (٧٧٥ ـ ٨٣٢ هـ) الربط التى كانت بمكة المكرمة فى زمانه فقال عنها :

بمكة ربط موقوفة على الفقراء :

منها الرباط المعروف بربـاط السِّدْرة بالجانب الشرقى من المسجد الحـرام على يسار الداخل إلى المسجـد الحرام من بـاب بنى شيبـة ، لا أدرى من وقفه ولا متى وقـف إلا أنه كـان موقوفا فى سنة أربعمائة ، وموضعه هو دار القوارير التى بنيت فى زمن الرشيد على ما ذكر الأزرقى .

ومنها ربـاط القاضى أبى بكـر محمد بن عبـد الله بن عبد الـرحيم المراغى المـلاصق لهذا الـرباط ، وربـاط عند بـاب المسجد المعروف بباب الجنائز ويعرف الآن بالقيلانى لسكناه به، وتـاريخ وقفه سنـة خمس وسبعين وخمسمائة، كـذا فى الحجـر الذى على بـابـه ، وفيه أن واقفـه وقفـه على الصوفيـة الـواصلين إلـى مكـة المقيمين والمجتـازيـن من العـرب والعجـم .

ومنها رباط الأمير إقبال الشَّرابى المستنصرى العباسى عند بـاب بنـى شيبـة على يمين الـداخل من بـاب الســلام إلى المسجد الحـرام، وتاريخ عمارتـه له فى سنـة إحدى وأربعين وستمائة ، وللشرابى عليه أوقـاف كثيرة من الكتب والمياه وغير ذلك بوادى مر ونخلة

ومنهـا ربــاط أم الخليفـة النـاصـر العبــاسى، ويعـرف بـالعطيفية لأن الشـريف عطيفة صـاحب مكـة كان يسكنـه، وتاريخ وقفه سنـة تسع وسبعين وخمسمائة . كذا فى الخشب الـذى على بابـه، وفيه أنـه وقفه على الفقـراء والصوفيـة ذوى التقى والعبادة والعفاف والـزهادة والصلاح والرشـاد والتجريد والانفراد .

ومنها ربـاط الحافظ أبى عبد الله بـن منده ملاصق لـزيادة دار الندوة، وبـابه علـى بابها الـذى يخرج منـه إلى السـويقة ويعرف الآن بالبرهان الطبرى، وعلى بابه الذى عند باب زيادة دار النـدوة حجر مكتـوب فيـه : أنه وقفـه على القـادمين من أصبهان أربعين يـوما وعلى سائر الناس عشرة أشهـر وعشرين يوما .

ومنهـا ربـاط الشيخ أبى حفـص عمـر بن عبـد المجيـد الميانشى قرب هذا الرباط ومنـه داران فى شارع السويقة، وما عـرفت نسبته للميـانشى هل هـو لأجل وقفـه أو لسكناه فيـه؟ ومقتضى ما ذكر من نسبة الميانشى أن يكون له أزيد من مائتى سنة وثلاثين سنة .

ومنها ربـاط عند البـاب المنفرد فى هذه الـزيادة يقـال له رباط الفُقَّـاعية، وتاريخ وقفه سنـة اثنتين وتسعين وأربعمائة . كذا فـى الحجر الـذى على بابـه ، وفيه أن قهـرمانـة المقتدى الخليفة العباسى وقفته على المنقطعات الأرامل .

ومنها رباط قربه، يقال لـه : رباط صالحة، لا أعرف من وقفه ولا متى وقف؟

ومنها بالجانب الشمالي أيضا رباط يعرف برباط القزويني، وما عرفت واقفه ولا من وقفه إلا أنه كان موجودا في أثناء القرن السابع، وبابه عند باب السدة من خارج المسجد.

ومنها رباط قبالته يقال له: رباط الخاتون، ويعرف الآن بابن محمود، وتاريخ وقفه سنة سبع وسبعين وخمسمائة كذا في الحجر الذي على بابه، وفيه أنه وقف على الصوفية الرجال الصالحين من العرب والعجم، وأن الذي وقفته الشريفة فاطمة بنت الأمير أبي ليلى محمد بن أنوشروان الحسني.

ومنها رباط الزنجبيلي قبالة مدرسته عنه باب العمرة من خارج المسجد بينه وبين المسجد دار وتاريخهما واحد.

ومنها الرباط المعروف برباط الخوزي بخاء وزاي معجمتين بزيادة معجمتين بزيادة باب إبراهيم، وقفه الأمير قرامر بن محمد بن قرامر الأقدري الفارسي على الصوفية الغرباء والمتجردين. كذا في الحجر الذي على بابه، وتاريخه فيما أظن سنة سبع عشرة وستمائة.

ومنها رباط رامُشْت عند باب الحزورة، ورامشت هو الشيخ أبو القاسم واسمه إبراهيم بن الحسين الفارسي، وقفه على جميع الصوفية الرجال دون النساء أصحاب المرقعة من سائر العراق، وتاريخه سنة تسع وعشرين وخمسمائة. وظفرت بنسخة كتاب وقفه، وكان قد احترق جانب كبير من هذا الرباط في الليلة التي احترق فيها المسجد الحرام وهي ليلة الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة، وأول ما كان الحريق في البيت الذي على بابه الذي بالمسجد، ثم خرجت النار من شباكه حتى تعلقت بسطح المسجد، ثم وفق الله غير واحد للتقرب بعمارته فعمَّر منه جانب كبير من سفله الذي يلي المسجد وبعض المجمع الذي فوقه، ثم صرف الشريف حسن بن عجلان أمير مكة مائتي مثقال ذهبا لعمارته في أوائل سنة ثمان عشرة وثمانمائة، فعمَّر بها جميع ما كان محترقا من الرباط المذكور من البيوت العلوية وغير ذلك مما يحتاج إلى العمارة علوا وسفلا، وصرف من ذلك جانبا فيما إليه من أبواب بيوت الرباط وغير ذلك من مصالحه وجاءت عمارته حسنة.

ومنها رباط السيد الشريف بدر الدين حسن بن عجلان الحسني نائب السلطنة بمكة وجميع الأقطار الحجازية زاده الله رفعة، وهو الذي أنشأه، وهذه منقبة ما عرفت مثلها لأحد ممن تقدم من أمراء مكة، وتاريخه سنة ثلاث وثمانمائة وهو مقابل المدرسة المقابلة للمدرسة المجاهدية، وله عليه أوقاف بمكة ومنى ووادي مر.

ومنها رباط الجمال محمد بن فرج المعروف بابن بعلجد قريبا من هذا الرباط وباب الحزورة، وتاريخه سنة سبع وثمانين وسبعمائة، وهو وقف على الفقراء المنقطعين بمكة.

ومنها رباط قبالة باب المسجد الحرام المعروف بباب أجياد، أمر بإنشائه وزير مصر تقي الدين عبد الوهاب بن عبد الله المعروف بابن أبي شاكر قبل أن يلي الوزارة في سنة خمس عشرة وثمانمائة، ومات قبل كمال عمارته وبعد عمارة غالب سفله فاستصاره الأمير عز الدين عبد الغني بن أبي الفرج الأستادار الكبير المؤيدي الملكي فيما ذكره بوجه شرعي وأمر أمير مكة الشريف حسن بن عجلان بتكميل عمارته فبني بأمره جانب كبير [جانبا كبيرا] من علوه ومن سفله في سنة عشرين وثمانمائة، وفي ذي القعدة من السنة قبلها مات ابن أبي شاكر ومات ابن أبي الفرج في نصف شوال سنة إحدى وعشرين وثمانمائة قبل كمال عمارته، والفقراء الآن فيه ساكنون، وله باب في باب أجياد الصغير غير بابه الذي بالشارع الأعظم.

ومنها رباط السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس قبالة باب الصفا، ويقال له رباط الشيخ غياث الدين الأبرقوهي الطبيب لتوليه أمره وعمارته، وله فيه سعي مشكور أعظم الله له فيه الأجور، وتاريخه سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، وهو وقف على الأعاجم من بلاد فارس المجردين المتقين دون الهنود.

ومنها قربه رباط يقال له رباط البانياسي على يسار الذاهب إلى الصفا، وتاريخه سنة خمس وعشرين وستمائة، وقفه الأمير فخر الدين أبار بن عبد الله البانياسي على الفقراء المعروفين بالتدين والصلاح في التاريخ المذكور.

ومنها الدار المعروفة بدار الخيزران قرب الصفا مبدأ المسعى، ولا أعرف واقفها ولا متى وقفت.

ومنها الرباط المعروف برباط العباس بالمسعى وفيه العلم الأخضر وكان مطهرة ثم جعل رباطا والذي عمله مطهرة الملك المنصور، والذي عمله رباطا ابن أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفي أعظم الله أجرهما. واسمهما مكتوب فيه على ما بلغني.

ومنها رباط الشيخ أبي القاسم بن كلالة الطيبي

بـالمسعى قـرب هـذا الـربـاط وتاريخـه أربـع وأربعيـن وستمـائة .

ومنها بـالمسعى أيضا رباط بـالمروة على يسـار الذاهب إليها، يقـال له ربـاط التميمى، والذى وقفـه وهو الشيـخ أبو العباس ويقـال أبو جعفر أحمد بن إبـراهيم بن عبد الملك بن مطرف التميمى المرينى الفنجيرى، وقفه على الفقراء من أهل الخير والـدين والفضل من العرب والعجم المتأهلين وغيرهم على ما يليـق بكل واحد منهم من المنازل فـى العشر الأوسط من شـوال سنة عشـرين وستمـائة ووقف عليـه الحمام الـذى بأجياد، وقد ظفرت بكتاب وقف الحمام ثم ذهب منى .

وبأعلى مكة عدة ربط .

منها ربـاط على بن أبى بكر بن عمـران العطار المكى ولم يثبت وقفـه إلا بعـد مـوتـه فى سنـة مـوتـه وهى سنـة إحـدى وثمانمائة .

ومنها ربـاط يعرف بأبى سماحـة لسكناه به قـرب المجزرة الكبيرة من أعلاها على يمين الـذاهب إلى المعلاة وقفه الأمير فايماز بن عبـد الله السلطان الروم والأرمن، أبى الفتح قليج بن أرسـلان بن مسعـود بن قليج أرسـلان السلجـوقى على المجاورين والمقيمين والمنقطعين بمكـة من أصحاب الإمام أبى حنيفة فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . هذا معنى ما فى الحجر على بابه .

ومنها بأعلى مكة أيضا ثلاثة ربط يقال لها ربط الأخلاطى بعضها وقف على النساء الحنفيـة من المجاورات والقادمات وبعضها وقف على أهل مـدينة أخلاط الصالحين القـاصدين لبيت الله الحـرام وبعضهـا وقف فى سنـة تسعين وخمسمـائة وبعضها فى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

ومنها رباط يقال له ربـاط الوتش بتاء مثناة من فوق وشين معجمة قرب هذه الربط .

ومنها رباط لعطيـة بن خليفة المطيرن أحد تجـار مكة فى عصرنا .

وبزقاق الحجر بمكة رباطان .

أحدهمـا رباط المقـر إبراهيم بن محمـد الأصبهانى سبط الشيخ قطب الدين العسقـلانى وقفه على الفقـراء والمساكين المجاورين بمكـة من أهل الخير والديانـة من أى صنف كان من العـرب والعجـم فى سلخ رجب سنـة تسع وأربعـين وسبعمائـة .

والثانى رباط السيدة أم الحسين بنت قاضى مكة شهاب الدين الطبـرى وقفته على الفقـراء والمسـاكين فى شعبان سنـة أربع وثمانين وسبعمائة .

وبسوق الليل عدة ربط :

منها ربـاط يقال لـه رباط سعيد الهنـدى لسكناه فيـه وما عرفت واقفه ولا تاريخه .

ومنها الموضـع الذى يقال له : بيت المؤذنيـن وواقفه هو واقف رباط الخوزى على شرطه، وتاريخ وقفه سنة سبع عشرة وستمائة .

ومنها الموضع الذى يقال له : زاوية أم سليمان وتاريخها سنة إثنتين وسبعين وسبعمائة .

وبأجياد عدة ربط

منها الموضع الذى يقال له رباط الزيت لا أعرف واقفه ولا متى وقف .

ومنهـا رباط يقـال لـه : رباط غـزى بغين وزاى معجمتين وقفـه علـى بن محمـد المصـرى على الفقـراء والمسـاكين المجـردين مـن أى جنس كـان من المسلميـن سنـة اثنتين وعشرين وستمائة .

ومنها ربـاط يعرف برباط السـاحة وكان موجـودا فى أثناء القـرن السابع ووقفـه جمـاعة مـن النسوة منهن والـدة الشيخ قطب الدين القسطلانى على الفقراء والغريبات المتدينات .

ومنها الربـاط المعروف برباط ربيع وهو واقفـه عن موكله فى ذلك السلطـــان الملك الأفضل نـور الـديـن على ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتاريخ وقفه فى العشر الأواسط من ذى الحجـة سنة أربع وتسعين وخمسمـائة وهو وقف على الفقراء المسلمين الغرباء .

ومنها رباط بقـرب رباط ربيع أمر بإنشائه أميـر مكة السيد حسن بن عجـلان وهـو مـلاصـق لحـوبـة داره التى أنشأهـا بأجياد . وقد عمر غالب سفله إلا قليلا منه وجانب من علوه، وفى سنة اثنتين وعشرين وثمانمـائة استؤجر بعض البناة بمكة على تكميل عمارتـه وشرع فى ذلك وكان أمـر الشريف حسن بإنشائه فى سنـة ست عشرة وثمـانمـائة وأدخلت فيـه البئـر المعروف ببئر عفراء .

ومنها ربـاط يعرف بـرباط بنت التـاج ولا أعرف واقفـه فى الابتداء وله أزيد من مائتى سنة وعلى بابه حجر مكتوب فيه أنه وقف على النساء الصوفيات الأخيار والمجاورات .

ومنها رباط يعرف برباط المسيكنة [المسكينة]؟

ومنها بالحزامية بزاى معجمة الرباط المعروف برباط الدمشقية وقف على الصوفية والعلماء والقراء والفقراء من أهل دمشق والعراقيين العرب والعجم فى رجب سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

ومنها الرباط المعروف برباط الزرندى وقفه الشيخ نجيب الدين أبو الحسن بن محمد بن جبريل الزرندى على أهل سادة وزرند القادمين إلى حج بيت الله الحرام وله أزيد من ثلاثمائة سنة.

ومنها رباط يعرف برباط السبتية بسين مهملة وباء موحدة ثم تاء مثناة من فوق ثم ياء مثناة من تحت كان موجودا فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

ومنها رباط خلف رباط الزرندى للنسوة وكان موجودا فى أثناء القرن السابع.

ومنها رباط بقرب هذه الربط يقال له رباط بنت الحرابى بحاء وراء مهملتين وألف وباء موحدة لسكناها به وبلغنى أنها وقفته.

ومنها رباط يعرف برباط الوراق بقرب باب إبراهيم لا أعرف واقفه ولا متى وقف؟

ومنها رباط القاضى الموفق جمال الدين على بن عبد الوهاب الإسكندرى وقفه على فقراء العرب الغرباء ذوى الحاجات المتجردين ليس للمتأهلين فيه حظ ولا نصيب فى سنة أربع وستمائة كذا هو مكتوب فى الحجر الذى على بابه وفيه العرب مضبوط بفتح العين والراء المهملتين وهذا الرباط بأسفل مكة.

وفى جهة الشبيكة بالمسفلة عدة ربط:

منها الرباط الذى يقال له رباط أبى قتيبة لسكناه به ويقال له رباط العفيف، والعفيف المشار إليه هو الأرسوفى صاحب المدرسة التى بقربه وقفه عن نفسه وعن موكل شريكه فيه القاضى عبد الرحيم بن على البيسانى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة على ما فى الحجر الذى على بابه وفيه أنه وقف على الفقراء والمساكين العرب والعجم الرجال دون النساء القادمين إلى مكة والمجاورين على أن لا يزيد الساكن فى السكنى على ثلاث سنين إلا أن تقطع أقدامه، وسكناه فى السفر إلى مسافة القصر.

ومنها رباط به بقربه يعرف برباط الطويل، بنى فى عشر السبعين وسبعمائة فيما أحسب.

ومنها رباط الجهة وهى الآدر الكريمة جهة الطواشى فرحات زوج الملك الأشرف إسماعيل بن الفضل صاحب اليمن وأم أولاده ضاعف الله أجرها وأعلى قدرها، ويقال له رباط الشيخ على السعدانى لتوليته لأمره وعمارته. وتاريخ وقفه سنة ست وثمانمائة، وهو وقف على الفقراء الأفاقين المجردين عن النساء المستحقين للسكنى.

ومنها رباطان قرب الموضع الذى يقال له الدربية:

أحدهما يعرف برباط ابن السوداء لسكناه به، وعلى بابه حجر مكتوب فيه: أن أم خليل خديجة وأم عيسى مريم ابنتى القائد أبى ثامر المبارك بن عبد الله القاسمى وقفتاه على الصوفيات المتدينات الخاليات من الأزواج الشافعيات المذهب فى العشر الأول من شهر ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة، ويقال له أيضا: رباط الهرِّيش بتشديد الراء المهملة. والآخر يعرف بابن غنايم، وعلى بابه حجر مكتوب فيه مامعناه: وقفه السلطان الملك العادل ملك الجبال والغور والهند محمد بن أبى على على الصوفية الرجال العرب والعجم، على أن يكون عدد الساكنين فيه عشرة لا غير سواء كانوا مجاورين أو مجتازين وبعضهم مقيم وبعضهم مجتاز وذلك سنة ستمائة انتهى.

فهذه الربط المعروفة الآن بمكة أجزل الله ثواب واقفيها ومن أحسن النظر فيها.

وقد جاء تعليق لجنة التحقيق فى هامش (٣) كما يلى:

وقد جدت مع الأيام أربطة كثيرة فى مكة منها رباط الشحومى بالشبيكة. ورباط السيد باجنيد بحارة الباب. ورباط البوقرى بالمسفلة. ورباط الهنود الإسماعيلية بأجياد. ورباطان أحدهما للرجال والآخر للنساء بباب العمرة. ورباط الفلالى بزقاق الحفرة. وغير ذلك من الأربطة المنتشرة بمكة وحول الحرم. والذى يهمه الاطلاع والإحاطة بجميع الأربطة فى مكة فليرجع إلى سجلات مديرية الأوقاف العامة فإن أغلب هذه الربط تشرف عليه إدارة الأوقاف بمكة المكرمة.

وفى منتخب شفاء الغرام ص ١١١ ذكر لرباط قديم قبالة رباط البانياسى وهو على يمين الذاهب إلى الصفا أمرت بإنشائه خوند بنت ابن خصبك زوجة الملك الأشرف إينال فى سنة ٨٦٥ هـ ولم يكمل لأن ولدها المؤيد بن الأشرف إينال خلعه عن الملك بالقاهرة فبطلت عمارته اهـ. (شفاء الغرام ١ / ٣٣٠ـ٣٣٦).

وقد ذكر صاحب الجامع اللطيف من بين مزارات مكة المكرمة رباطا باسم «رباط الموفق» فقال:

ومنها الموضع المعروف برباط الموفق واشتهر فى هذا الزمان برباط المغاربة لكناهم [لسكناهم] به وهو أسفل مكة عند سوق باب إبراهيم. قال الفاسى رحمه الله وجدت بخط جد أبى الشريف عبد الله الفاسى أنه سمع الشيخ أبا عبد الله ابن مطرف نزيل مكة الولى المشهور يقول: ما وضعت يدى فى حلقة هذا الرباط إلا وقع فى نفسى كم ولى لله وضع يده فى هذه الحلقة ثم قال وبلغنى أن الشيخ خليلا المالكى كان يقول: إن الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه وكان يكثر إتيانه للدعاء. والله أعلم انتهى (الجامع اللطيف/ ٢٠٤، ٢٠٥).

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى/ ١٨٥، ١٨٦، ولسان العرب لابن منظور ١٨/ ١٥٦١، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢/ ٤٢٧، ٤٢٨، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ١/ ٢٢٤ و ٦/ ١٥٤، ١٥٥، والأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر - د. محمد محمد أمين/ ٢١٩ - ٢٢١، والفن الإسلامى - أبو صالح الألفى/ ١٢٣، وتاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرفاعى/ ١٠٧، ١٠٨، ودراسات فى الفنون والعمارة الإسلامية - د. محمود وصفى محمد/ ٤٤، ومعاهد التربية الإسلامية - د. إسماعيل سعيد على/ ٥٩٤ - ٦٠٣، وصفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى - عبد الوهاب حمودة/ ٢١، والتربية والتعليم فى الإسلام - سعيد الديوه جى/ ٦٨، وموسوعة العمارة الإسلامية - د. عبد الرحيم غالب ١٩٦، ١٩٧، وتاريخ المغرب فى العصر الإسلامى - د. السيد عبد العزيز سالم/ ٣٦٣ - ٣٦٧، والأعلاق الخطيرة لابن شداد - حققه يحيى زكريا عبَّارة/ ٢٣٧، ٢٣٨، والدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى - عنى بنشره وتحقيقه جعفر الحسنى ٢/ ١٩٢ - ١٩٥، وفى رحاب دمشق - محمد أحمد دهمان/ ٧٩، ٨٠، والقلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية لمحمد بن طولون الصالحى - بتحقيق محمد أحمد دهمان/ ١/ ٣٥٩، ٣٦٠، وخزائن الكتب القديمة فى العراق - كوركيس عواد/ ١٥٧ - ١٦٠، ١٧١ ومعاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جميل العسلى/ ٣١٥ - ٣٢٩، والمدارس فى بيت المقدس فى العصرين الأيوبى والمملوكى - د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ٢/ ٢٢٥، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢/ ٤٢٧، ٤٢٨، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦/ ١٥٢ - ١٥٥، وفهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة. مصلحة المساحة ١٩٥١/ ٣، ٥، ٧، ٩، وقد أوردنا الآثار بتمامها فى م ١/ ٦٩ - ٨٥، وتحفة الأحباب وبغية الطلاب لأبى الحسن نور الدين على بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود السخاوى/ ١٦٥، ١٦٦، والمدرسة القرآنية فى المغرب من الفتح الإسلامى إلى ابن عطية - عبد السلام أحمد الكَنُونى (بالجيم المغربية)/ ٣٦، ٣٧، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للإمام تقى الدين الفاسى - حقق أصوله وعلق حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء ١/ ٣٣٠ - ٣٣٦ وقد وضعنا تعليقات اللجنة بين أقواس فى ثنايا النص، والجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف لابن ظهيرة، جمال الدين محمد جار الله/ ٢٠٤، ٢٠٥ انظر أيضا العمارة العربية فى مصر الإسلامية - د. فريد شافعى. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤/ ٥٣١، ٥٣٣، ٥٨٠، ٦٤٧).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر التالية:

١ - الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر - د. محمد محمد أمين/ ٢٢٠: صورة المخطوط.

٢ - تاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرفاعى/ ١٠٨ شكل ٥١: رباط سوسة.

٣ - معاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جميل العسلى: صور ستة أربطة.

***ربع:**

قال الراغب الأصفهانى فى مادة «ربع»:

ربع: أربعة وأربعون، وربع ورباع كلها من أصل واحد، قال الله تعالى: ﴿**ثلاثة رابعهم كلبهم**﴾ [الكهف: ٢٢] و﴿**أربعين سنة يتيهون فى الأرض**﴾ [المائدة: ٢٦] وقال: ﴿**أربعين ليلة**﴾ [البقرة: ٥١] وقال: ﴿**ولهن الربع مما تركتم**﴾[النساء: ١٢] وقال: ﴿**مثنى وثلاث ورباع**﴾ [النساء: ٣] وربعت القوم أربعهم: كنت لهم رابعا، وأخذت ربع أموالهم، وربعت الحبل جعلته على أربع قوى، والرِّبْع من أظماء الإبل والحمى، وأربع إبله أوردها رِبعا، ورجل مربوع، ومُرْبع أخذته حمى الرِّبع والأربعاء فى الأيام رابع الأيام من الأحد، والربيع رابع الفصول الأربعة. ومنه قولهم ربع فلان وارتبع أقام فى الربيع، ثم يتجوز به فى كل إقامة وكل وقت حتى سمى كل منزل رَبْعًا وإن كان ذلك فى الأصل مختصا بالربيع.

والرُّبع والرِّبعى ما نتج فى الربيع ولما كان الربيع أولى وقت الولادة وأحمده استعير لكل ولد يولد فى الشباب فقيل

أفلح من كان له رَبَعيون، . والمرباع ما نتج فى الربيع، وغيث مُرْبع يأتى فى الربيع، وربع الحجر والحِمل تناول جوانبه الأربع، والمِرْبع خشب يُربع به أى يؤخذ الشىء به، وسمى الحجر المتناول ربيعة. وقولهم أربع على ظلعك يجوز أن يكون من الإقامة أى أقم على ظلعك ويجوز أن يكون من ربع الحجر أى تناوله على ظلعك. والمِرْباع الرُّبع الذى يأخذه الرئيس من المغنم، من قولهم ربعت القوم، واستعيرت الرِّباعة للرئاسة اعتبارا بأخذ المرباع فقيل لا يقيم رباعة القوم غير فلان. والربيعة الجونة لكونها فى الأصل ذات أربع طبقات أو لكونها ذات أربع أرجل. والرُّباعيتان. قيل سُمِّيتا لكون أربع أسنان بينهما، واليربوع فأرة لجحرها أربعة أبواب. وأرض مربعة فيها يرابيع كما تقول مضبة فى موضع الضب.

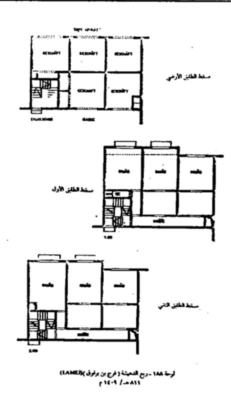
(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٨٦).

*** الرَّبْع:**

الرَّبْع: ج. رُبوع وأرْبُع ورِباع: دار السكن ـ الدار وما يحيط بها. ثم أطلقت اللفظة على البناء المتسع الذى يشترك فى سكنه عائلات متعددة من عامة الشعب لقاء أجر ذهيد. وهذا النوع من المساكن أخذ فيما بعد اسم: وكالة.

ولم يبق من الربوع التى كانت مخصصة للعامة من الشعب سوى قلة، مما بناه السلاطين وأوقفوا ريعها للصرف على عمائرهم الدينية من مساجد ومدارس وخانقاوات وغيرها (موسوعة العمارة الإسلامية/ ١٩٧).

ويقول الدكتور صالح لمعى مصطفى عن الربع: هو مجموعة من المساكن المؤجرة للغير، تجتمع حول صحن، ويكون له فى الغالب مدخل واحد وسلم واحد. ويصل ارتفاع الربع إلى أربعة أو خمسة طوابق. ويتم الوصول إلى المساكن عن طريق طرقة تدور حول الصحن. وتوجد مجموعة من الحوانيت بالجهة المطلة على الشارع من الطابق الأرضى. إلا أنه فى العصر المملوكى الجركسى أمكن الاستدلال على شكل آخر للربع من وثيقة السلطان فرج بن برقوق. فقد ألحق بمسجده (٨١١ هـ / ١٤٠٨ م) أمام باب زويلة على شارع تحت الربع (أحمد ماهر حاليًا) رَبْعًا خصص ريعه للصرف



لوحة ١٨٨ - ربع المعيشة (فرج بن برقوق)(LAMEI)
٨١١هـ / ١٤٠٩م

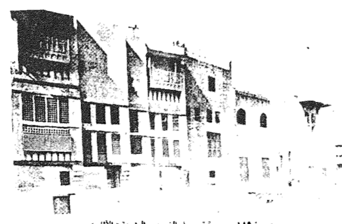
على المسجد المذكور (الربع غير موجود حاليًا) وقد تبين أن هذا الربع عمارة سكنية من أربعة طوابق بالطابق الأرضى محلات تجارية، والطوابق الثلاثة العليا يحتوى كل منها على ثلاثة مساكن منفصلة تطل على الطريق. ويخدم عليها من الجهة الأخرى طرقة بنهايتها دورة مياه. ويخدم على المبنى سُلَّم واحد. والفتحات على الشارع مجهزة بمشربيات (التراث المعمارى الإسلامى فى مصر / ٧٠).

وفى كلامه على المسكن الجماعى يقول الدكتور أندريه ريمون فى كتابه «العواصم العربية»: (ط سنة ١٩٨٦):

يتمتع «الربع» فى القاهرة نفسها بأهمية ذات دلالة أكثر من الوكالة (الخان) بالقياس إلى المسكن الجماعى. فقد أبانت نتائج الأبحاث الجارية حتى الآن أن «الربع» ابتكار مصرى بحت، فهو قديم العهد، ولو أن الشواهد المادية تثبت وجوده منذ الفترة المملوكية وربما أقدم من ذلك.

إن معلوماتنا عن «الربع» كاملة، لاسيما وإن السجلات الوقفية توفر لنا وصفًا دقيقًا لها كما أن الباقى منها ماثل للعيان حتى الآن ويمكن دراسته بعناية وإمعان.

إن الربع مسكن جماعى للإيجار ويظهر فى شكلين



صورة ١٨٩ - ربع وقبة وسبيل الغوري - الواجهة (الآثار)
٩٠٩ - ٩١٠هـ / ١٥٠٤ - ١٥٠٥ م

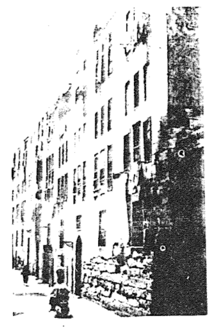
«الربع» المستقل ويتألف من ١٥ شقة موزعة فى طابقين فوق طابق أرضى من الدكاكين والمخازن: «والربع الوكالة» ويتألف من عشرين شقة موزعة فى الطابقين أو الطوابق الثلاثة التى تعلو الوكالة (الخان)، لكن من غير أن يكن [يكون] للربع أى اتصال مباشر مع الوكالة (الخان). غير أن المبادئ الإنشائية تبقى واحدة فى كلا الشكلين، فالشقق السكنية تنتظم شاقوليًا فى طابقين أو ثلاثة طوابق، ولكل منها غرفة استقبال ورواق، وأدراج، أو دهاليز مشتركة تقود إلى الشقق، فضلاً عن وجود سطح فى الأعلى ويبلغ متوسط المساحة الطابقية مقدار ٣٠ م٢.

استطعنا تحديد مواقع ٤٦ ربعًا تنتشر، بوجه عام، فى منطقة الوسط التجارى وبالقرب من القصبة، ويقطنها صغار الحرفيين وأصحاب الدكاكين ممن يصل متوسط دخلهم إلى ٢٢٦٤٦ بارة (١٧٧٦ ــ ١٧٩٨ م). فهذه الطبقة المتوسطة من سكان القاهرة لم تكن تملك الدخل الكافى لامتلاك أو استئجار منزل قريب من الوسط التجارى (مركز المدينة)، بل شراء أو استئجار شقة فى مثل تلك المساكن الجماعية «الربع». بيد أنه من الصعب تقدير النسبة من السكان الذين كانوا يقطنون فى الربع، فكثير من وكالات (خانات) القاهرة البالغ عددها ٣٦٠ كان يحتوى على ربع، لذلك لا بد أن عدد الربع [الربوع] كان يتجاوز المائة، وكل ربع كان يتسع لإيواء أكثر من مائة شخص.

خلال الدراسة المتأنية لسجلات المحاكم الشرعية المذكورة أعلاه كان ٢٩ شخصًا من ٣٣٤ شخصًا وردت أسماؤهم فى السجلات، يقطنون فى الربع، أى ما يعادل ١٠٪ وإذا اعتبرنا أن ١٧٣ من أصل ال ٣٣٤ كانوا من سكان المدينة القديمة فى القاهرة نجد أن ٢٤ شخصًا من هؤلاء كانوا يقطنون فى الربع، أى ما يعادل ١٣,٩٪ بناء على ذلك فإن السكن فى الربع كان من الظواهر الشائعة جدا فى القاهرة، ومن الممكن أن ١٥,٠٠٠ إلى ٢٠,٠٠٠ شخص من أهالى القاهرة كانوا يقطنون فى هذا النوع من المساكن الجماعية (العواصم العربية / ٩٩ ـ ١٠١).

ويعاود الدكتور أندريه ريمون الكلام على الرَّبع فى كتابه «المدن العربية الكبرى» (ط سنة ١٩٩١) فيقول عن الربوع فى مدينة القاهرة فى معرض كلامه على مسكن الطبقات المتوسطة، وكيف أن «الرَّبْع» يبدو حلاً قاهريًّا محضًا لسكن أفراد الطبقة المتوسطة:

وفى القاهرة كانت توجد صعوبة فى التوفيق بين الرغبة فى الإقامة فى أقرب مكان ممكن من مركز الأعمال وبين ضرورة توافر وسائل مالية هامة للبناء فى هذا الموقع المحجوز فى الواقع للبورجوازية. وقد تم حل هذه الصعوبة جزئيا باللجوء إلى نموذج للسكن الجماعى مبتكر للغاية وهو «الرَّبْع»، والذى سمح لأفراد من الطبقة المتوسطة بأن تجد مسكنًا بأثمان معقولة بالقرب من الأسواق المركزية. إن «الربْع» الذى لا نجده إلا فى مصر هو نوع من المنشآت قديم للغاية حيث ثبت وجوده منذ القدم وخاصة فى العصر المملوكى. إنه عبارة عن عمارة سكنية جماعية للتأجير ونجد منها نوعين: يرتفع النوع الأول إلى طابقين أو ثلاثة فوق الدور الأرضى الذى يضم حوانيت أو مخازن: إن ربع التبانة يبلغ طوله ٦٤ مترًا وعرضه ١٣ يضم ١٥ وحدة سكنية. ويشيد النوع الثانى فوق وكالة، ويضم طابقين أو ثلاثة وهو مستقل تمامًا عن القيسارية ويحتل الطوابق التى فوقها. وفى الحالتين لا يوجد اختلاف فى مبادئ بناء الشقق: إذ يوجد فى الربع طابقان أو ثلاثة وسلالم داخلية تؤدى إلى الشقق، كما يشمل غرفة استقبال



الشكل ٤٤: ـ ربع في حي القبانة بالقاهرة

تمتد على مستويين (رواق) بالإضافة إلى شرفة. ويمكن أن يبلغ عدد سكان الرَّبْع حوالى مائة شخص.

لقد تمكنت من التحقق وتحديد أماكن ٤٦ ربعًا فى القاهرة أقيمت خلال العصر العثمانى، ولكن لأن العديد من وكالات القاهرة البالغة ٣٦٠ وكالة كانت تشتمل على ربع، فإن عدد الربوع يمكن أن يصل إلى حوالى المائة. وتقع غالبية الربوع التى أمكن تحديد مواقعها فى «قاهرة المعز» (٣٦ ربعًا) على طوال القصبة وفى الشوارع المؤدية إلى هذا الشريان الكبير أى تقع فى مركز الأنشطة الاقتصادية ذاته.

وتظهر دراسة تركات الأفراد المقيمين فى الربع أنهم حرفيون وتجار متوسطو الحال يملكون حوانيت، ولا شك أنهم لا يملكون الوسائل لامتلاك أو لتأجير منزل خاص فى وسط المدينة: ويبلغ متوسط قيمة تركة ٢٩ مقيما خلال الفترة ١٧٧٦ ـ ١٧٩٨م. مبلغ ٢٢ ألف و٦٤٦ بارة الأمر الذى يضع هؤلاء الأفراد على مسافة متساوية بين البروليتاريا والبورجوازية فى القاهرة. وبلغ متوسط ثمن الشقة ما يقرب من أربعة آلاف بارة وهو مبلغ كبير نسبيًا: ولذلك لم يكن العديد من سكان الربوع سوى مستأجرين لشققهم. وعلى أساس عدد الربوع التقديرى يمكن عدد سكانها بما يتراوح بين ١٠و٢٠ ألف شخص. وعلى هذا فقد كان نموذجًا معماريًا منتشرًا ساهم فى حل مشكلة إقامة الطبقة المتوسطة بالقرب من المركز الاقتصادى. وقد تمكن بيان الشقق الرأسى من التوفيق بمهارة شديدة بين ضرورة الحياة المشتركة فى مبنى جماعى، وبين الطموحات التقليدية فى عزلة الحياة الخاصة التى وجدت حلاً مرضيًا للغاية من خلال نظام الانتقال الداخلى ووجود شرفات خاصة (المدن العربية الكبرى / ٢٣٥، ٢٣٧).

ويعطينا القلقشندى تعريفًا آخر للربع، وقد جمعه على (أرباع) فقال: الأرباع: ومفردها رَبْع، بفتح الراء، وهى الأمكنة المعدة لاستقبال التجار الأجانب يبيعون فيها ويشترون ويبيتون وقد بيَّن القلقشندى ذلك: «يرتب جماعة من الجند مع الطواف فى المدينة لكشف الأزقة وغلق الدروب وتفقد أصحاب الأرباع وتأديب من يخل بمركزه من أصحاب الأرباع». ولا يزال فى القاهرة إلى الآن منطقة تسمى «تحت الرَّبْع» وفيما كتب القاضى الفاضل فى ولاية قاض عن العاضد«.. وأوعز إلى أصحاب الأرباع باطلاعك على الخفايا وإبانة كل مستور من القضايا وأن يتيقظوا لسكنات الليل وغفلات النهار وخذهم فى الليل بما التزموه من الحرس من مكايد اللصوص والدوار» (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ٢٥، ٢٦)

وهذا وقد أورد فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة الأثر رقم ١٠٤ وهو قايتباى ـ رَبْع (بصحراء قايتباى) (٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤م) (الفهرس / ٩).

(موسوعة العمارة الإسلامية ـ د. عبد الرحيم غالب / ١٩٧، والتراث المعمارى الإسلامى فى مصر ـ د. صالح لمعى مصطفى / ٧٠، والعواصم العربية ـ د. أندريه ريمون. تعريب قاسم طوير ٩٩، ١٠٠، والمدن العربية الكبرى د. أندريه ريموند. ترجمة لطيف فرج / ٢٣٥، ٢٣٧، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى/ ٢٥، ٢٦ عن صبح الأعشى للقلقشندى ١٠ / ٣٥١، ١٣ / ٩٣، وفهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة / ٩).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب

«التراث المعمارى الإسلامى فى مصر» ومن كتاب «العواصم العربية». انظر ثبت المراجع السابقة.

*** الزَّيْع:**

نوع من النقد استحدثه الخليفة المأمون العباسى وسماه بهذا الاسم وضرب منه دراهم ودنانير.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى/ ١٥٦).

*** الربع الأخير من تنوير المقالة فى حل ألفاظ الرسالة:**

من المخطوطات المحفوظة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وهو من نفائس المخطوطات العربية فى المكتبة الوطنية فى تونس.

لمحمد بن إبراهيم التتائى توجد منه نسخة بباريس والرباط والزيتونة ـ بروكلمان م ١ ص ٣٠٢ وهو مقابل على نسختنا عدد ٩٤٧م.

(نفائس المخطوطات العربية فى المكتبة الوطنية فى تونس ـ تعليق وتقديم ومراجعة هلال ناجى. مجلة معهد المخطوطات العربية. جامعة الدول العربية ج ١م/ ١٨. ربيع الثانى ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م/ ٧).

*** الربع التام الموضوع لمواقيت الإسلام:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الفلك والتنجيم مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٩٤ ٧٠/ ٢.

لعلاء الدين على بن إبراهيم بن محمد الأنصارى، الدمشقى المعروف بابن الشاطر المتوفى سنة ٧٧٧ هـ/ ١٣٧٥م (عالم فى الفلك والهندسة والحساب ولد بدمشق وتوفى بها، وكان موقتا بالجامع الأموى، من تأليفه الزيج الجديد، الأشعة اللامعة فى العمل بالآلة الجامعة وغيرها) (طوفان ٤٣٨).

الأول (الحمد لله حمدا يليق بجلاله وصلى الله على سيدنا محمد و آله . . .).

رتبها على مقدمة و٤٦ بابًا وجعل المقدمة فى تسمية رسوم آلة الربع المجيب.

نسخة جيدة عليها مقابلة.

القياس ٢٦ ص ٢٢ × ١٧ سم ٢٥ س

معجم المؤلفين ٧/ ٨.

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٧٤، ٧٥).

*** ربع الدائرة (علم ـ):**

أدرج حاجى خليفة العنوان فى كشف الظنون ١/ ٨٣٢ ولم يكتب عنه شيئًا. أما طاش كبرى زاده فقد كتب عنه يقول: والكلام فيه كالكلام فى الإسطرلاب، لكن طرق صنعتها وعملها غير طرق الإسطرلاب: كما لا يخفى على أولى الألباب. وكذا الحال فى سائر الآلات مثل العصا، والزرقالة، والشكازية وأمثالها ١هـ.

مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ١/ ٣٩٧) انظر مادة «الاسطرلاب (علم ـ)» فى م ٣/ ٣٥١. ٣٥٢.

*** الربع المجيب:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الملاحة.

لقد استخدم البحارة العرب« الربع المجيب» (انظر صورته) فى استخراج الطول والعرض ومساج السفينة، أى مقدار سيرها، وتحديد اتجاه مجراها (انظر الجدول).

وقد ظل الربع المجيب يستعمل عند العرب، حتى عهد قريب جدا، فى قياس الارتفاع، واستخراج المسافات، ومعرفة ميل الشمس، والأوقات وغيرها.

ويوجد مخطوط بعنوان «فرجة الهموم والغموم، والعطر المشموم، فى العلم المبارك المقسوم: فى العلامات والمسافات والنجوم طبع كتابا هو الذى ننقل منه هذه المادة.

والمخطوط عبارة عن رسالة تتناول جانبا هامًا، من أسس فن الملاحة عند العرب، هو الجانب النظرى الخاص بقواعد حساب المسافات، طرق استخراج الطول والعرض والسرعة وغير ذلك(فرجة الهموم والغموم/ ٥ ـ ٧).

ويدور لفظ «خن» (أى قسم) وجمعه «أخنان». والخن جزء من اثنين وثلاثين جزءًا من الدائرة الأفقية، قسمها علماء

مساج	طول	عرض	مجرى	مساج	طول	عرض	مجرى	مساج	طول	عرض	مجرى	مساج	طول	عرض	مجرى
[illegible]	٠٥١	٠١	٨٩	١٠٠	٠١٠	٠٩٩	٠٦	١٠٠	٠٥	٩٩	٨٣	٤٧	١٠	٤٥	١٣
[illegible]	٧٥	٠١	٨٩	١٤٠	٠١٤	١٣٩	٠٦	٥٠	٠٤	٥٠	٠٢	١٠٠	٩٧	٢٣	٧٧
[illegible]	٠٣	١٠٠	٠٢	٨٥	١٠	٠٨٤	٠٧	١٨٠	٠٣	١٨٠	٠١	٥٥	١٣	٥٣	١٤
[illegible]	٧٥	٠٣	٨٣	٦٥	٠٧	٦٤	٠٧	٥٠	٠٤	٤٦	٠٥	١٠٠	٩٩	٢٤	٧٦
[illegible]	١٢٦		٨٣	٩٦	١٣	٩٥	٠٨	٧٥	٠٦	٧٤	٠٥	١١٢	٢٧	١٠٨	١٤
[illegible]	٩٩		٨٦	٤٥	٠٦	٤٤	٠٩	٥٠	٠٥	٤٩	٠٦	٦٨	٦٦	١٧	٧٥
[illegible]	١٦٠	٠٢	٨٩	١٠٠				٧٥	٠٧	٧٤	٠٦	١١٤	٣٠	١١٠	١٥
[illegible]	٩٩	١٠	٨٤					٥٠	٠٦	٤٩	٠٧	٤٥	٤٣	١٢	٧٤
[illegible]	١٨٩	١٥	٨٥	١٠٠	١٠٠	٠٢	٨٨					٧٥	٢٠	٧٢	١٦
[illegible]	٩٩	١٠	٨٤	١٠٠	٩٩	٠٥	٨٧	٤٠			٠٨	٩٢	٨٠	٢٥	٧٤
[illegible]	١٣٩	١٤	٨٤	٥٠	٠٣	٥٠	١٠	١٢٨	١٨	١٢٠	٠٨	٦٥	١٩	٦٣	١٧
[illegible]	٨٤	١٠	٨٣	١٨٠	١٨٠	٠٣	٨٩	٩٠	١٤	٨٦	٠٩	٣٥	٣٣	٠٩	٧٣
[illegible]	٦٤	٠٧	٨٣	٥٠	٥٠	٠٢	٨٥	٤٧	٤٥		٧٧	٩٥	٩٣	٢٣	٧٧
[illegible]	٩٥	١٣	٨٢					٩٥			١٣	١٠٠	٢٢	٩٧	١٣
[illegible]	٤٤	٠٦	٨٤	٥٥			٧٦	٥٥			٧٦	٣٥	٣٣	١٣	٧٦
[illegible]	٠١	٥١	٠١	٥٠	٤٩	٠٦	٨٣	٣٥	٠٨	٣٣	١٤	١٠٢	٠٤	٩٩	١٤
[illegible]	٠٢	٧٣	٠٢	١٢٠	١١٩	١٠	٨٣	١١٢		٣٧	٧٦	٤٠	٣١	١٠	٧٥
[illegible]	٣٦	٠٢	٠٢	٤٠	٣٩	٠٥	٨٢	٤٠	١٠	٣٩	١٥	٦٨	١٧	٦٦	١٥
[illegible]	٠٦	٩٩	٠٤												
[illegible]	٠٣	١٠٠	٠٢	٩٠	٨٩	١٣	٨١					٤٥	١٢	٤٥	١٦
[illegible]	٠٨	٩٩	٠٥	٥٠	٥٠	٠٤	٨٩	٧٥			٧٤	١١٠	١٠٥	٣٠	٧٤
[illegible]	١٥	٧٨	٠٥	١٠٠	١٠٠	٠١	٨٩	١١٠			١٦	٩٦	٢٥	٨٨	١٦
[illegible]	٠١	٧٥	٠١	٧٥								٨٥	٨١	٢٥	٧٣
[illegible]	٠٣	١٠٠	٠٢	٤٥	٤٥	٠٣	٨٧	٨٥		٨٠	١٧	٣٥	٠٩	٢٣	١٧

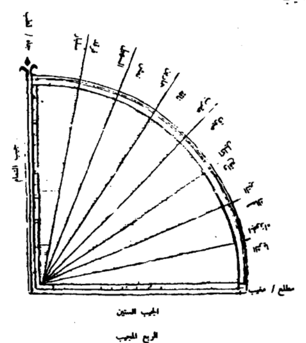
البحر ليضبطوا بها اتجاهات المجارى إلى المراسى، وأضافوا كل قسم أو خن إلى اسم الكوكب الذى يعتقدون أنه يطلع منه. وكواكب الأخنان هى: الجاه، وهو نجم القطب الشمالى، والفرق، والنعش، والناقة، والعيوق، والواقع، والسماك، والثريا، والطائرة، هو نجم المشرق، ويعرف عند البحارة أيضًا بالمطلع أو المغيب. أما كواكب الأخنان الجنوبية فهى: الجوزاء، والتير، والإكليل، والعقرب، والحمارين، وسهيل، والسلبار. وليس للقطب الجنوبى كوكب مثل القطب الشمالى غير أن البحارة يسمونه قطب سهيل، والقطب. ولكل كوكبة من كواكب الأخنان، باستثناء القطبين مطلع ومغيب (علوم العرب البحرية / ٢٠، ٢١).

وننقل لك فيما يلى ما أورده مؤلف «فرجة الهموم» فى فصل فى معرفة استخراج المجرى والعرض والطول والمساج بالربع المجيب:

فصل فى معرفة استخراج المجرى والعرض والطول والمساج بالربع المجيب:

إذا كان عندك مساج وخن المجرى وتريد عرضًا وطولاً، فيحتاج أن تضع الخيط، أو الفركال «الفرجال»، على الستين وعلِّمه بقدر المساج الذى معك من الباطلى، أو غيره، ثم انقله إلى خن المجرى الذى عندك، واخرج به من الستين، فما حصل فهو العرض المطلوب، وإذا طلعت من المرىء إلى جيب التمام، فما وجدت فهو الطول. وإذا كان عندك المجرى والعرض، تريد الطول والمساج فضع الخيط على خن المجرى الذى عندك. وعلِّمه بقدر عرضك الذى معك، واخرج به من المرئ إلى جيب التمام، فما وجدت فهو الطول. وإن نقلت الخيط أو الفركال إلى الستين، فما حصل فهو المساج. وإن كانت عندك طول وعرض، ولم يكن لك مساج ولا خن المجرى، اطلع بفاضل العرض من الستين إلى جيب التمام، وإن كان العمل بالشمالين، أو بجملة العرضين إن كان العمل بالشمال والجنوب. وبفاضل العرضين، تبدأ من جيب التمام، فحيث التقى الخيطان، انظر ما قطع من درجات قوس الارتفاع، من النجوم أو الدرجات، فهو المجرى وعلِّم ملتقى الخيطين، ثم انقله إلى الستين فما حصل فهو المساج. وجهة العرض فى الربع من جهة الجاه، والطول من جهة المطلع.

وإذا أردت أن تعرف مجرى مركبك بالمايه أو بالريح المعاسم (المعاكس) خذ المساج الذى معك من الباطلى، وضع الخيط على الستين وخرق به العرض، ثم انظر إن كان عرض الكمان أكثر فالسفينة سارت إلى ناحية الجاه، وإن كان عرض الكمان أقل فالسفينة سارت إلى ناحية المطلع أو المغيب.



الربع المجيب

وإذا أردت الطول فضع الخيط على الستين وعلِّمه بقدر مساجك الذى جاءك من الباطلى، وانقل الخيط. وأنت ناظر إليه، حتى يقع على الخط الذى فيه العرض يعنى فاضل العرضين، ثم اخرج به من المرىء، يعنى ملتقى الخيطين إلى جيب التمام. فما وجدت فهو الطول المطلوب. وهذه صفة الربع المجيب كما تراه فى الصفحة الآتية. والله أعلم (فرجة الهموم/ ٨٧، ٨٨).

(فرجة الهموم والغموم فى العلامات والمسافات والنجوم لبحار مجهول ـ شرح وتحقيق حسن صالح شهاب/ ٨٧، ٨٨، وعلوم العرب البحرية من ابن ماجد إلى القطامى ـ حسن صالح شهاب/ ٢٠، ٢١).

*** الرُّبع المجيب(كتاب —):**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الفلك مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى، وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٦٥٤.

لإسماعيل بن مصطفى بن محمود الكلنبوى الحنفى المتوفى سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م.

الأول(له الحمد فى الأرض والسموات وإليه ترجع الأمور وتنتهى الغايات. . .).

وهو كتاب فى الربع المجيب وكيفية استعماله ووضعه رتبه المؤلف على مقدمة وسبعة عشر مرصدًا وخاتمة وهى:-

المقدمة: فى الرسوم والاصطلاحات والتقويسات.

المرصد الأول: فى أخذ الارتفاع ويتضمن فصلين.

المرصد الثانى: فى استخراج درجة الشمس وفيه ثلاثة فصول.

المرصد الثالث: فى ميل الشمس وبُعد الكوكب وفيه أربعة فصول.

المرصد الرابع: فى استخراج عرض البلد ووجهته.

المرصد الخامس: فى غاية كل كوكب ووجهتها.

المرصد السادس: فى معرفة أطوال البلاد وفيه ثلاثة فصول.

المرصد السابع: فى بُعد قُطر كل مدار.

المرصد الثامن: فى معرفة نصف الفضلة.

المرصد التاسع: فى الدائر وفضل الدائر وفيه ثلاثة فصول.

المرصد العاشر: فى معرفة أوقات الصلاة والصوم وفيه ثلاثة فصول.

المرصد الحادى عشر: فى معرفة الدائر وفضل الدائر من الشمس.

المرصد الثانى عشر: فى معرفة الدائر وفضله من الارتفاع.

المرصد الثالث عشر: فى السموات ووجهاتها وفيه مقدمة وأربعة فصول.

المرصد الرابع عشر: فى معرفة سمت القبلة.

المرصد الخامس عشر: فى المطالع الفلكية والبلدية ومعرفة الماضى من الليل وفيه أربعة أبواب.

المرصد السادس عشر: فى معرفة مقادير القائمات على سطح الأفق وفيه أربعة أبواب.

المرصد السابع: فى نقل الأعمال الجيبية إلى الحساب وبالعكس.

خاتمة المراصد: فى استحراج مقدار الضلع المجهول من أضلاع مثلث. نسخة جيدة كتبها بقلم النسخ محمد أمين الرشيدى المعروف بحافظ القران الإدرنوى بتبردار سراى سنة ١٢١١ هـ/ ١٧٩٦م.

القياس ١٤١ ص   ٥و١٩×١٣ سم   ١٥ س

معجم المؤلفين ٢/ ٢٩٦.

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس — ١٨٦، ١٨٧).

***الرُّبع (من الميراث):**

قال صاحب الرحبية فى «باب من يرث الربع»:

والرُّبع فرضُ الزوج إن كان معه
مِنْ ولد الزوجة من قد منعه

وهـــو لكل زوجـــة أو أكثـــرا
مع عـــدم الأولاد فيمــا قُـــدِّرا
وذكـــر أولاد البنيـن يعتمـــد
حيث اعتمـدنـا القـول فـى ذكـر الـولـد

(الـولـد يحجب أحـد الزوجين إذا كـان وارثًـا، فإن كـان ساقطًا برق أو كفر أو قتل فوجـوده كالعدم فلا يحجب أحدًا. انتهى من الحاشية).

وفيما يلى شرح الإمام السبط المارديني:

(والربع) فـرض اثنين من أصناف الـورثة (فـرض الزوج إن كان معـه) ولد من الزوجة أو ولـد ابن لها سواء كان ولـدها من الزوج أو من غيره وفرض الزوجـة أو الزوجات إن كن متعددات (مع عدم) ولد الزوج أو ولد ابنه سواء كان منها أو من غيرها كل ذلك بالإجماع لقوله تعالى: **﴿فإن كان لهن ولـد فلكم الربع مما تركن﴾** (النساء: ١٢) وقـوله تعـالى: **﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد﴾** (النساء: ٢١٢)، وقول الناظم: (والربع إلى آخر الأبيات) أى وللزوج الربع إن كـان مع الزوج ولد الزوجة من يمنعه من النصف إلى الربع وهو الولد ذكرًا كان أو أنثى إذا لم يقم به مانع من الموانع السـابقة حتى لو قام به مانع كان وجـوده كعدمه فلا يحجب الزوج عن نصفـه وقوله: (وذكر أولاد البنين يعتمد... إلخ) معناه(حيث اعتمدنا) وجود الولد فى حجـب الزوج من النصف إلى الربع فاعتمـدنا أيضًا وجود ولد الابـن وعدم وجوده لأنه كالـولد فى الإرث والحجب والتعصيب إجماعًا.

وهل الـولد المـذكـور فى الآيـة العظيمة يشمل ولـد الابن حقيقة أو مجـازًا خلاف. والصحيح أنـه مجاز (شرح الرحبية فى الفرائض/ ٣٢).

يقول ابن غلبون فى شرحه للبيت الثانى: (وهو لكل زوجة أو أكثرا) من زوجة إلى أربعـة. أو أكثر فى صورة الكافـر إذا أسلم وتحته زوجـات كثيرة ومات قبل أن يختـار منهن أربعًا، فإن الربع يقسم بينهن على السـواء.

(مَعْ) بسكون العين للوزن وهى لغة.

قال ابن مالك فى خلاصته:

ومـع مـع فيهـــــا قليـل ونقـل
فتـح وكســر السكـــون يتصـل

(عدم الأولاد) للـزوج الوارثين منـه، وسواء فى ذلك أولاده من الزوجات الوارثات أو [من] غيرهن، ذكورًا أو إناثًا واحدًا أو أكثـر (فيما قـدرا) أى فرض فى قـوله تعـالى: **﴿ولهن الربع﴾** الآية.

ولما كان الـولد ينصرف فى الإطلاق لـولد الصلب، وإن كـان عامًّـا فى الولـد وولد الابن خشى من تـوهم ذلك فعرفـه بقوله: **﴿وذكر أولاد البنين﴾** الذكـور والإناث لا أولاد البنـات (يعتمد) أى يعتبر ويعـول عليه وجودًا وعدمًـا (حيث اعتمدنا القول فى ذلك الولد) الذكر كالذكر والأنثى كالأنثى (التحفة فى علم المواريث/ ١٠١، ١٠٢).

(شـرح الرحبيـة فى الفرائض لأبى عبـد الله محمد بن على الـرحبى. شـرح الشيخ محمـد بن محمـد سبط المـارديني ــ تحقيق كمـال يـوسف الحـوت/ ٣٢، والتحفة فى علم المـواريث لابن غلبون ــ حقق نصوصـه وقـدم لـه وعلق عليه السـائح على حسين/ ١٠١، ١٠٢. انظر أيضـا مجموع مهمات المتون ط مكتبة ومطبعة مصطفى البابـى الحلبـى وأولاده بمصـر/ ٤٨).

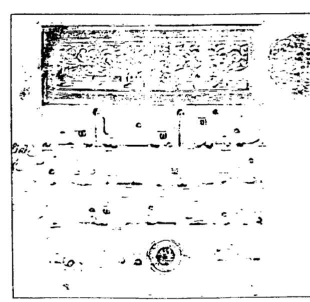
*** الرَّبعة فى الفرائض.**

مجلد كبير من المبسوطـات لأحمد بن العروضى. (كشف الظنون ١/ ٨٣٢).

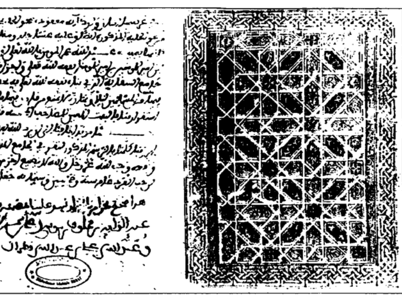
*** الرَّبعة القرآنية:**

الـرَّبْعة: المصحف مجـزأً ثـلاثين جزءًا، كل جـزء على حدة (المعجم الوجيز/ ٢٥٣، والمعجم الوسيط ١/ ٣٢٥).

وقد كان الخليفة الموحـدى أبو حفص عمر المرتضى بن السيد أبى إبـراهيم بن يوسف بن عبد المـؤمن، (ت ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧م) خطاطا بـارعًا فى الكتابة المصحفيـة وغيرها، ولا يزال يوجد ـ بخطة ـ أثران جليلان، أحدهما ربعة قرآنية كانت فى عشرة أجـزاء، كتبها عام ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م، وخطه فى الباقى منها مغـربى مبسوط، جيد الوضع والضبـط، مع كتابة خـواتم الأجزاء بـالخط المشرقـى الثلثى، ثم كتابـة توقيعـات وقفيهـا بخط مشرقى نسخـى، مما يـدل على أن كـاتبها كـان



نموذج من الخط المبسوط : في الفاتحة جزء من «ربعة قرآنية» رقية ويتصدر الصفحة كتابة كوفية داخل إطار مستطيل : ق 14/8/ طنا، خزانة القرويين دون ترقيم.

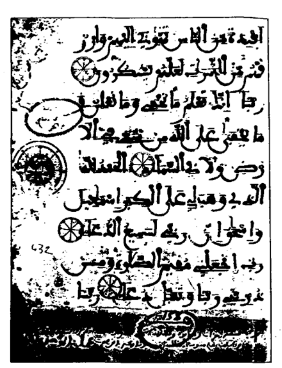


(١)

زخرفة موحدية : على جزء من «الربعة القرآنية» التي كتبها الخليفة الموحدي عمر المرتضى، وبجانبها بقية وثيقة وقفية مكتوبة بالخط المسند: الخزانة العامة بالرباط ج 1278.

يجيد الكتابة بالطريقتين (المغربية والمشرقية) لمزيد التبسط فى وصف هذه الربعة، يرجع إلى محمد المنونى : «تاريخ المصحف الشريف بالمغرب»، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، جـ١م ١٥، ١٩٦٩ / ٣ـ٤١).

(تاريخ الوراقة المغربية ـ محمد المنونى / ٣٦).

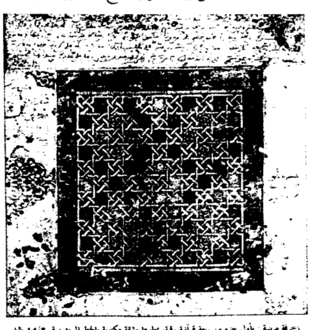


صفحة من ربعة قرآنية : ج 6، كتبها ــ بخطه ــ الخليفة الموحدي عمر المرتضى : عام 1256/654 (من صنف المبسوط)، مكتبة ابن يوسف بمراكش، 432.

ملاحظة : عناوين المخطوطات الأربعة المصاحبة لهذه المادة هى كما يلى :

(١) زخرفة موحِّدية : على جزء من «الربعة القرآنية» التى كتبها الخليفة الموحِّدى عمر المرتضى، وبجانبها بقية وثيقة وقفية مكتوبة بالخط المسند، الخزانة العامة بالرباط ج ١٢٧٨

(٢) صفحة من ربعة قرآنية : ج ٦، كتبها ــ بخطه ــ



زخرفة مرينية : بأول جزء من ربعة قرآنية رقية، تعلوها وثيقة مكتوبة بالخط المسند : ق 14/8 طنا. خزانة القرويين دون ترقيم.

الخليفة الموحدى عمر المرتضى عام ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م (من صنف المبسوط)، مكتبة ابن يوسف بمراكش، ٤٣٢ .

(٣) نموذج من الخط المبسوط : فى افتتاحية جزء من «ربعة قرآنية » رُقّية، ويتصدر الصفحة كتابة كوفية داخل إطار مستطيل : ق ٨/ ٢٤ ظنًّا، خزانة القرويين، دون ترقيم .

(٤) زخرفة مرينية : بأول جزء من ربعة قرآنية رُقّية، تعلوها وثيقة مكتوبة بالخط المسند: ق ٨/ ١٤ ظنًّا، خزانة القرويين. دون ترقيم .

*** الربعى (أحمد بن على) (٣٤٥-٤٠١ هـ):**

قال عنه الداودى :

أحمد بن على بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعى الباغانى المقرئ.

ويكنى أبا العباس ، مولده «باغا» مدينة بأقصى إفريقية، سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وقُدِّم إلى الإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة واستأدبه المنصور محمد بن أبى عامر لابنه عبد الرحمن، ثم عتب عليه فأقصاه، ثم رقاه المؤيد بالله هشام بن الحكم فى دولته الثانية إلى خطة الشورى بقرطبة مكان أبى عمر الأشبيلى الفقيه على يد قاضيه أبى بكر بن واقد ولم يطل أمده.

وكان من أهل العلم والحفظ والذكاء ، وكان فى حفظه آية من آيات الله تعالى وكان بحرا من بحور العلم، وكان لا نظير له فى حفظ القرآن قراءاته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه.

وله كتاب حسن فى «أحكام القرآن» نحا فيه نحوا حسنا وهو على مذهب مالك رحمه الله تعالى.

وروى بمصر عن أبى الطيب بن غلبون، وأبى بكر الأدفوى وغيرهما.

توفى فى يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة إحدى وأربعمائة مع أبى عمرو الإشبيلى فى عام واحد

له ترجمة فى ترتيب المدارك ٤ / ٦٨٠ ، الديباج المذهب ٣٨ الصلة ١ / ٨٧ .

(طبقات المفسرين للداودى ــ بتحقيق على محمد عمر، ١ / ٥٣).

*** الرَّبعى:**

قال السمعانى :

الربعى : بفتح الراء والباء المنقوطة بواحدة وفى آخرها العين المهملة، هذه النسبة إلى ربيعة بن نزار، وقلما يستعمل ذلك لأن ربيعة بن نزار شعب واسع فيه قبائل عظام وبطون وأفخاذ استغنى بالنسب إليها عن النسب إلى ربيعة، وينسب إليه بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال الربعى أيضا لمن ينتسب إلى ربيعة الأزد، منهم أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعى من تابعى البصرة، يروى عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم، روى عنه عمر بن مالك النكرى، قتل فى الجماجم سنة ثلاث وثمانين، وكان عابدا فاضلا، وكان يواصل أياما ثم يأخذ على يد الشاب فيكاد يحطمها، وكان عمرو بن مالك يقول إن أبا الجوزاء لم يكذب قط.

وربعة الأزد هو ابن الغطريف الأصغر بن الغطريف الأكبر وهو عامر بن يشكر بن بكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران. وقال أبو بكر بن دريد: الربعة حى من الأزد وقال حامد بن عمر البكراوى: ربعة قوم بالبصرة هم إلى اليمين. وقال أبو قتيبة :بلى مصحف لأبى الجوزاء فدسه فى مسجد الربعة، وسليمان بن على الربعى أبو عكاشة، من ربعة الأزد، حديثه فى صحيح مسلم.

وعبد الله بن العلاء بن زبر الربعى الشامى، من ربعة الأزد، يكنى أبا زبر سمع بسر بن عبيد الله الحضرمى، روى عنه الوليد بن مسلم، حديثه فى صحيح البخارى ومسلم. وقرابته أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زبر الربعى الزبرى سأذكره فى الزاى وأبو عيسى العوام بن حوشب الشيبانى الربعى من أهل واسط ، سمع مجاهدا ، حديثه فى صحيح البخارى.

وجاء فى هامش (١) التعليق التالى للمحقق :

فى اللباب «قلت فاته النسبة إلى ربيعة الجوع ، وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة (بن تميم)، منهم حماد بن سلمة الربعى البصرى مولاهم، إمام مشهور واسع الرواية، وإلى ربعة ابن رشدان بن قيس بن جهينة - بطن من جهينة - ويقال فيه بضم الراء، والفتح أكثر عند أصحاب الحديث (ضبطه فى التبصير الربعة بضم الراء وفتح الموحدة)، وممن ينسب إليه عنمة بن عدى بن عبد مناف بن كنانة بن جهمة بن عدى بن

الربعة ــ صحابي شهد بدرا مع رسول الله ﷺ، وكان اسم رشدان غيان، فلما جاء وفدهم إلى النبي ﷺ قال أنتم بنو رشدان. فبقي عليهم. وفاته النسبة إلى ربيع بن مالك بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء ــ بطن من طيء، منهم هراسة بن عبد الله الطائي الشاعر.

وفاته النسبة إلى ربيعة بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب بن عبد الله بن هبل بن عبد الله بن كنانة ـ بطن من كلب ابن وبرة، منهم أبو الخطار حسام بن ضرار بن خثيم اهـ.

(الأنساب للسمعاني ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٣ / ٤٣).

***الربعي (إسماعيل بن أحمد):**

أدرجه القنوجي في علماء اليمن وقال عنه: شرف الإسلام إسماعيل بن أحمد الربعي: أخذ هو وولده القاضي العلامة محمد بن إسماعيل عن السيد أحمد الأهدل والشيخ عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي وأحمد الأشبولي أيام وفوده إلى زبيد. ومن تلامذته الشيخ أحمد القاطن. وكان لا يترك كل يوم من كتابة قدر معلوم من كتاب الله وفوائد وآدابا ونسخة من العلوم النافعة حتى اجتمع له مع الدوام من ذلك الشيء الواسع. ولنعم ما قيل:

فلا تكتب بكفِّك غير شيء
يسرك في القيامة أن تراه

وكان صدَّاعا بالحق، ذا قيام عظيم في إعانة المظلوم وإغاثة الملهوف.

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ٣ / ١٨١)

*** رِبْعي بن حِراش:**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبي في الطبقة الثانية من التابعين وقال عنه ابن جحش بن عمرو الإمام القدوة الولي الحافظ الحُجة، أبو مريم الغطفاني ثم العبسي الكوفي المعمَّر، أخو العبد الصالح مسعود، الذي تكلم بعد الموت.

سمع من عمر بن الخطاب يوم الجابية، وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري، وأبي مسعود البدري، وحذيفة ابن اليمان، وأبي بكرة الثقفي، وعدة.

حدث عنه أبو مالك الأشجعي، وآخرون. قال العجلي: ثقة. وقال ابن فراش: صدوق، توفي سنة إحدى وثمانين. وقيل غير ذلك.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصي، راجعه عادل مرشد ١ / ١٥١).

***ربعي ابن عُليّة:**

ذكره المباركبوري في رجال السند والهند وقال عنه:

ربعي بن إبراهيم، ابن علية القيقاني، البغدادي ربعي بن إبراهيم بن مقسم القيقاني، البغدادي، ولد بعد إسماعيل ابن علية من بطن علية بنت حسان، مولاة بني شيبان، كما قاله ابن سعد في الطبقات.

وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: ربعي ابن علية، هو ابن إبراهيم أخو إسماعيل ابن علية وعلية أمه، روى عن يونس، وعبد الرحمن بن إسحاق روى عنه أبو خيثمة، وحماد ابن زادان، سمعت أبي يقول ذلك.

حدثنا عبد الرحمن. أنا ابن أبي خيثمة فيما كتب إلي. قال: سمعت يحيى بن معين يقول: قال عبد الرحمن بن مهدي: كنا نعد ربعي ابن علية أخا إسماعيل بن علية من بقايا شيوخنا. قال: وسمعت يحيى بن معين يقول: هو ثقة مأمون. يعني ربعي ابن علية.

(رجال السند والهند إلى القرن السابع ـ جمعه وألفه وحققه القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري / ١١٦، ١١٧).

*** الرَّبَعي (عبد الله بن أحمد) (٢٥٥-٣٢٩ هـ / ٨٦٩-٩٤١م):**

عبد الله بن أحمد بن ربيعة، أبو محمد، قاض من المؤرخين الفقهاء، متهم عند رجال الحديث. ولد بسامراء، وسكن دمشق، وولي القضاء بها سنة ٣١٧ هـ، ولم تحمد سيرته فعزل. ورحل إلى مصر فمات بها قاضيا.

له «سيرة الدولتين»، و «تشريف الفقر على الغنى»، و«أخبار الأصمعي» مطبوع. غير كامل (الأعلام ٤ / ٦٦).

وقد أورد المعجم الشامل طبعات «أخبار الأصمعي» تحت عنوان «المنتقى من أخبار الأصمعي»، وجاء به مايلي:

ـ المنتقى من أخبار الأصمعي (انتقاء ضياء الدين محمد ابن عبد الواحد المقدسي) ت ٦٤٣ هـ:

تحقيق عز الدين التنوخي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مج ١٣، ج ٧، ٨ تموز ١٩٣٥ م، ١٠ ص (٣٢١ ـ ٣٣٠)، م ٢ ص + ١ ص نموذج مصور من المخطوط.

مج ١٣ : ج٩ ، ١٠ أيلول ١٩٣٥ م ، ٨ ص (٤١٣ ـ ٤٢٠).

مج ١٣ : ج ١١ ، ١٢ ، تشرين الثانى ١٩٣٥م، ١٤ ص (٤٧٥ ـ ٤٨٨).

مج ١٤ : ج ١ ، كانون الثانى ١٩٣٦ م، ١٣ ص (٤١ ـ٥٣).

ـ تحقيق محمد مطيع الحافظ ، دمشق : دار طلاس، مطبعة العجلونى، ١٩٨٧ م.

٢٠٠ ص، م ٨٨ ص + ٤ ص نماذج مصورة من المخطوط ، ف ٢٢ ص : فهرس الآيات، الأحاديث، الشعر اللغة، فهرس شيوخ الأصمعى، فهرس شيوخ الربعى، فهرس الأعلام والقبائل (المعجم الشامل ٣/ ٣٣).

(الأعلام للزركلى ٤ / ٦٦ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع، جمع وإعداد وتحرير. د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٣٣).

*** الرّبَعى (على بن الحسن) (-٤٣٦ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الثالثة والعشرين وقال عنه : الشيخ الإمام الحافظ المفيد، المقرئ المجود، أبو الحسن، على بن الحسن بن على بن ميمون بن أبى زِرْوان الرَّبَعى الدمشقى. سمع الحسن بن عبد الله بن سعيد الكندى، وعبد الوهاب بن الحسن الكلابى، وأحمد ابن عتبة بن مكين، وعدة. وتلا وجوَّد على الإمام على بن داود الدارانى، وعلى بن زهير.

حدَّث عنه الحافظ أبو سعد السمان، والكتانى وآخرون، وجمع وصنف

مات فى صفر سنة ستة وثلاثين وأربعمائة وله ثلاث وسبعون سنة.

قال الكتانى : كان يحفظ «غريب الحديث» لأبى عبيد ، ويحفظ ألف حديث بأسانيدها من حديث ابن جوصا. وكان ثقة مأمونا، وانتهت إليه الرئاسة فى قراءة الشاميين.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط . هذبه أحمد فايز الحمصى ، . راجعه عادل مرشد ٢ / ٣٢٩).

*** الرَّبَعى (على بن الحسين) (٤١٤-٥٠٢ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة السادسة والعشرين وقال عنه : الشيخ الفقيه العالم المسند أبو القاسم على بن الحسين بن عبد الله بن عُريبة الرَّبَعى، البغدادى، الشافعى، ولد سنة أربع عشرة وأربعمائة، سمع أبا الحسن ابن مخلد البزاز ، وأبا على بن شاذان ، وجماعة.

حدث عنه : أبو بكر السمعانى، وعبد الخالق اليوسفى، وأبو طاهر السلفى، وآخرون.

مات فى الثالث والعشرين من رجب سنة اثنتين وخمسمائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ٢ / ٤٦٧).

*** الرَّبعى (على بن عيسى) (٣٢٨-٤٢٠ هـ / ٩٤٠-١٠٢٩م):**

إمام النحو، أبو الحسن، على بن عيسى بن الفرج، الرَّبعى البغدادى صاحب التصانيف (تهذيب ٢ / ٢٩٨). أصله من شيراز. اشتهر وتوفى ببغداد (الأعلام ٤ / ٣١٨). لأزم أبا سعيد السيرافى ببغداد، وأبا على الفارسى بشيراز، حتى بلغ الغاية ... وتخرج به كبار (تهذيب ٢ / ٢٩٨) وقد أدرجه الشمس الذهبى فى الطبقة الثانية والعشرين. له مصنفات مفيدة، منها : شرح كتاب الإيضاح لأبى على الفارسى ، وشرح كتاب الجرمى شرحا وافيا، وألف مختصرا سماه البديع (إشارة التعيين / ٢٣٣). قال الأنبارى عن كتاب «البديع» : حسن جدا... وللربعى أيضا «التنبيه على خطأ ابن جنى فى فسر شعر المتنبى» (الأعلام ٤ / ٣١٨).

وللأستاذ الدكتور سعيد منصور عرفة بحث مستفيض بعنوان «الربعى وآراؤه النحوية» استغرق أربعة أعداد من مجلة الأزهر، وقد رأينا من المفيد أن ننقل منها الفصل الأخير وهو عن رأى الربعى فى إعراب « ذا» من «حبذا »، قال :

من صيغ التعجب «حبذا» لإفادة المدح و «لا حبذا» لأفادة الذم، فالأولى مثل «نعم» والثانية مثل «بئس».

وقد جمعها ابن مالك فى ألفيته فقال :

ومثل نعم حبذا الفاعل ذا
وإن ترد ذمًّا فقل لا حبذا

فـ «حبذا» مثل نعم فى المعنى والعمل مع زيادة أن الممدوح بها محبوب للقلب و« لا حبذا» مثل بئس فى المعنى والعمل مع زيادة أن المذموم بها مكروه للقلب.

وقد جمعا فى قول كنزة أم شملة فى مية صاحبة ذى الرمة:

ألا حبذا أهل الملا غير أنه
إذا ذكرت مى فلا حبذا هيا

وأصل «حبذا» حبب ذا «بضم الباء الأولى» بمعنى صار حبيبا، ثم أدغم فصار «حب».

وقد اختلف فيها على أربعة مذاهب الأول: مذهب الخليل وابن كيسان والفارسى وهو أن «حب» فعل و «ذا» فاعله، ويلزم الإفراد والتذكير وإن كان المخصوص بخلاف ذلك، كما أنه لا يجوز اتباعه بواحد من التوابع، واستشهد على ذلك بقول جرير يهجو الأخطل:

ياحبذا جبل الريان من جبل
وحبذا ساكن الريان من كانا
وحبذا نفحات من يمانية
تأتيك من قبل الريان أحيانا

وقول الشاعر:

حبذا أنتما خليلى إن لم
تعذلانى فى دمعى المهراق

وقول الحطيئة:

ألا حبذا هند وأرض بها هند
وهند أتى من دونها النأى والبعد

ففى الأبيات المتقدمة لزمت «ذا» الإفراد والتذكير مع مخالفة المخصوص لذلك كما أنها لم تتبع بواحد من التوابع.

وزعم السيوطى وابن خروف أن هذا مذهب سيبويه، وأرى أن سيبويه لم يقل ذلك وإنما ذهب إلى أن «حب» تركبت مع «ذا» وصارتا كلمة واحدة هى اسم مرفوع.

وقد جاء فى كتابه ذلك حيث قال:

«وزعم الخليل ـ رحمه الله ـ أن «حبذا» بمنزلة حب الشىء، ولكن «ذا» و «حب» بمنزلة كلمة واحدة، نحو لولا «هو اسم مرفوع» انتهى كلام سيبويه.

واختلف فى سبب لزومها الإفراد والتذكير وعدم الاتباع فالأكثرون على أنها كالمثل والأمثال لا تغير وهو مذهب سيبويه والخليل والمبرد.

وذهب ابن كيسان إلى أنه على حذف مضاف، والتقدير فى حبذا هند: حبذا حسن هند، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فأخذ حكمه.

وذهب أبو على الفارسى إلى أنه على إرادة جنس شائع فلم يختلف كما لم يختلف فاعل «نعم» إذا كان ضميرا.

الثانى: مذهب شيخنا الربعى وهو أن «ذا» زائدة، وليست اسما مشارا به، وحالها كحال «ذا» فى ماذا صنعت؟ والمخصوص فاعل «حب» واستدل على زيادتها بجواز حذفها كما فى قول عبد الله بن رواحة:

باسم الإله وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا
فحبذا ربًّا وحب دينا

وأرى أن هذا المذهب ضعيف وما استدل به من جواز حذفها ليس دليلا على زيادتها، لأنه ربما حذفت لضرورة الشعر.

الثالث: مذهب المبرد وابن السراج وابن عصفور، وهو أن «حب» ركبت مع «ذا» وصارتا كلمة واحدة هى اسم مرفوع على الابتدائية، والمخصوص هو الخبر، أو مرفوع على الخبرية والمخصوص مبتدأ مؤخر.

وقد نسب ابن عصفور هذا المذهب لسيبويه، وأنا مع ابن عصفور فى نسبته لسيبويه، لأنه ـ كما قلت آنفا، هو مذهب سيبويه.

وما عرض به ابن خروف على ابن عصفور خطأ منه، لأن الحق مع ابن عصفور فقد قال ابن خروف أن سيبويه يرى أن «حب» فعل و«ذا» فاعل، والمخصوص مبتدأ خبره جملة

«حبذا» المتقدمة، ثم عقب بقوله: وأخطأ عليه من زعم غير ذلك.

وقد جاء في حاشية الصبان: قال البعض: «وفيه من إساءة الأدب مع ابن عصفور ما لا يخفى» (حاشية الصبان ٣ / ٤٠).

الرابع: ذهب جماعة من النحويين إلى أن «حب» تركبت مع «ذا» وصارتا كلمة واحدة هي فعل والمخصوص هو الفاعل، ونسبه السيوطي في الهمع للمبرد (٢ / ١٨٠) وهي نسبة خاطئة، لأن المبرد ـ كما ذكرت آنفا ـ يرى أنهما تركبا وصارا كلمة واحدة هي اسم.

قال ابن هشام عن المذهب الرابع: وهذا أضعف ما قيل، لجواز حذف المخصوص كما في قول مرار بن مياس أو مرداس بن هماس:

ألا حبذا لولا الحياء وربما

منحت الهوى ما ليس بالمتقارب

والفاعل عمدة لا يجوز حذفه (المغني ٢ / ٦١٧).

مما تقدم نرى أن أرجح هذه المذاهب وأولاها بالقبول هو المذهب الأول الذي يرى أن «حب» فعل و «ذا» فاعل، وأنهما لم يركبا، بل بقي كل على وضعه في الأصل.

قال العلامة ابن مالك: والصحيح أن «حب» فعل باق على فعليته مقصود به المحبة والمدح وجعل فاعله «ذا» ليدل بذلك على الحضور القلبي، ولم يغير لجريانهما مجرى المثل.

ثم ينتقل الأستاذ الدكتور سعيد منصور عرفة إلى عرض رأي الرَّبعي في إعراب النكرة الواقعة قبل أو بعد مخصوص حبذا فيقول:

يقع كثيرا قبل مخصوص «حبذا» أو بعده نكرة منصوبة نحو قولك: حبذا رجلا زيد، وحبذا رجلين الزيدان، وحبذا رجالا الزيدون، وحبذا امرأة هند وامرأتين الهندان، ونساء الهندات وكذا لو عكست وأخرت النكرة عن المخصوص.

فمن مجيء النكرة قبل المخصوص قول الشاعر:

ألا حبذا قوما سليم فإنهم

وفوا إذا تواصوا بالإعانة والصبر

ومثل قول الراجز:

ياحبذا مرجوا الثرى السخي

من يرجه فعيشه العشي

ومن مجيئها بعد المخصوص قول الشاعر

حبذا الصبر شيمة لامرىء را

م سبارة مولع بالمعالي

ومثل قول الشاعر

ياحبذا المال مبذولا بلا سرف

في أوجه البر إسرارا وإعلانا

وقد اختلف في هذه النكرة على أي شيء نُصبت؟

فذهب جماعة من النحويين إلى أنها إن كانت مشتقة فهي منصوبة على الحالية نحو: حبذا محمد رسولا، وإن كانت جامدة فهي منصوبة على التمييز، نحو: حبذا محمد رجلا.

وذهب الأخفش والفارسي والربعي إلى أنها حال مطلقا.

وذهب أبو عمرو بن العلاء إلى أنها تمييز مطلقا.

وذهب أبو حيان إلى أنها إن كانت مشتقة وأريد تقييد المدح بها فهي حال وإن لم يقيد المدح بها، أو كانت جامدة فهي تمييز

فمثال مجيئها حالا على رأيه: حبذا هند مواصلة، أي في حال مواصلتها، ولا يجوز دخول «من» عليها حينئذ.

ومثال مجيئها تمييزا: حبذا زيد راكبا، ويصح دخول «من» عليها حينئذ أي من راكب.

وذهب جماعة إلى أنها منصوبة على المفعولية بفعل مضمر تقديره «أعني» وليست حالا ولا تمييزا، ونسب هذا الرأي لأبي حيان أيضا، وعده السيوطي غريبا. وقال: الأولى التأخير عند الفارسي والتقديم عند ابن مالك.

وقال الجرمي وابن خروف هما سواء في الحال، ثم قال الجرمي: تقديم التمييز فيه قبيح، وقال ابن خروف أحسن.

وقال أبو حيان: الأحسن تقديم التمييز وكذا الحال إن كانت من «ذا» وإن كانت من المخصوص فالتأخير أحسن.

هذه هي الآراء التي عثرت عليها لشيخنا الربعي في بطون الكتب (« الربعي وآراؤه في النحو» / ٨٦ ــ ٨٩) له ترجمة في

: إنباه الرواة ٢ / ٢٩٧، والبداية ١٢ / ٢٧ ، وبغية الوعاة ١ / ١٨١ ، وتاريخ بغداد ١٢ / ١٧ ، ١٨ وتلخيص ابن مكتوم وشذرات الذهب ٣ / ٢١٦ وطبقات ابن قاضى شهبة ٢/ ١٧٥ ـ ١٧٧ ومعجم الأدباء ١٤ / ٧٨ ـ ٨٥، والنجوم الزاهرة ٤ / ٢٧١، ونزهة الألباء / ٤١٤ ـ ٤١٦ ووفيات الأعيان ١ / ٤٣٣ (إشارة التعيين/ ٢٢٣ هامش المحقق)

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢ / ٢٩٨، والأعلام للزركلى ٤ / ٣١٨، وإشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى ـ تحقيق د. عبد المجيد دياب / ٢٢٣د و «الربعى وآراؤه النحوية» ـ د. سعيد منصور عرفة. مجلة الأزهر. الجزء الأول، السنة الحادية والستون، المحرم ١٤٠٩ هـ / أغسطس سبتمبر ١٩٨٨ م / ٨٦ ـ ٨٩).

*** الرَّبعى (على بن محمد) (ـ٤٤٤ / ـ١٠٥٢ م):**

على بن محمد بن صافى بن شجاع الربعى، أبو الحسن، ويعرف بابن أبى الهول، فاضل مالكى من أهل دمشق. روى الحديث، واتهم فى بعض سماعه. وصنف «فضائل الشام ودمشق» مطبوع (الأعلام ٤ / ٣٤٧) وطبعة كتاب «فضائل الشام ودمشق» أدرجها المعجم الشامل كما يلى :

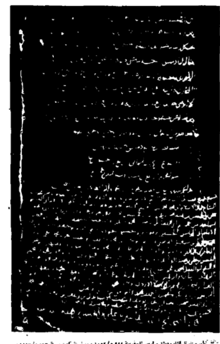
ـ تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق : المجمع العلمى العربى ١٩٥٠ م ، ١٥١ ص.

تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى (تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق)، دمشق : المكتب الإسلامى ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م ـ ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م.

٤٥ ص ، م ٢ ص ، ف ١ ص : المحتوى (المعجم الشامل ٣ / ٣٤).

ملاحظة : صورة المخطوط المصاحبة لهذه المادة أخذت من الكتاب العربى المخطوط لوح ٣٧ (انظر ثبت المراجع) والكتابة التى عليه تقرأ كما يلى : خاتمة كتاب «فضائل الشام ودمشق للربعى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م، من نسخة كتبت سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م. وفيها سماع على القاسم بن على ـ ابن مؤرخ دمشق ابن عساكر ـ وتحته خط (القدس ـ المتحف الفلسطينى ـ معهد المخطوطات).

(الأعلام للزركلى ٤ / ٣٢٧ ، والمعجم الشامل للتراث العربى



خاتمة كتاب فضائل الشام ودمشق للربعى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م من نسخة كتبت سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م. وفيها سماع على القاسم بن على ـ ابن مؤرخ دمشق ابن عساكر ـ وتحته خط (القدس ـ المتحف الفلسطينى ـ معهد المخطوطات)

المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٣٤ والكتاب العربى المخطوط ـ جمعها وعلق عليها د. صلاح الدين المنجد).

*** الرَّبعى (عيسى بن إبراهيم) (ـ٤٨٠ هـ / ـ١٠٨٧ م)**

عيسى بن إبراهيم الربعى، أبو محمد، عالم باللغة، يمانى من أهل «أحاظة» ووفاته فيها. له كتاب «نظام الغريب» مطبوع، فى اللغة (الأعلام ٥ / ١٠٠).

وقد وردت طبعة كتاب «نظام الغريب» فى المعجم الشامل كما يلى :

الربعى (عيسى بن إبراهيم بن محمد الوحاظى اليمنى) ت ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م

نظام الغريب (فى اللغة) :

عناية بولس برونيه P. Brunnie القاهرة : مطبعة هندية، ١٩١٢ م. ٣١١ ص.

ـ تحقيق محمد بن على الأكوع ، دمشق : دار المأمون ، مؤسسة دار الريحانى للطباعة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

٣٠٧ ص، م ١٥ ص + ٢ ص نماذج مصورة من المخطوط ، ف ٢٨ ص : الشعراء ، الألفاظ أبواب الكتاب (المعجم الشامل ٣ / ٣٤).

(الأعلام للزركلي ٥ / ١٠٠ ، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع - جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٣٤)

*** الرّبعي (محمد بن إسماعيل):**

أدرجه القنوجي في علماء اليمن وقال عنه : القاضي العلامة عز الإسلام محمد بن إسماعيل بن أحمد الرَّبعي : كان من أفاضل العلماء وأماجد الفضلاء ، تلمذ على السيد أحمد بن محمد شريف ، وعلى الزجاجي وغيرهما في علم النحو والمعاني والبيان والحساب وأصول الدين والهيئة والهندسة والمنطق وأصول الفقه والحديث وسمعه على القاضي العلامة أحمد بن محمد القاطن . له مشائخ من الحرمين الشريفين، منهم عطاء المصري ومحمد بن سليمان الكردي، تصنيف في علم الفروع . ولعمري هو حقيق بقول الشاعر:

لقد حسُنت بك الأيام حتى

كأنك في فم الدهر ابتسام

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي - أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ٣ / ١٨١ ، ١٨٢).

*** الرّبعي (محمد بن سليمان) (-٣٧٤ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبي في الطبقة الواحدة والعشرين وقال عنه : الشيخ المحدث الثقة، أبو بكر محمد ابن سليمان بن يوسف بن يعقوب الربعي، الدمشقي، البندار. سمع جعفر بن أحمد بن عاصم ، وأحمد بن عامر بن المعمِّر، وجُماهر بن محمد الزملكاني، وخلقا سواهم.

حدَّث عنه تمام الرازي ، وأبو سعد الماليني، وجماعة.

قال عبد العزيز الكتاني : حدثنا عنه جماعة، وكان ثقة توفي في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط هذبه أحمد فايز الحمصي، راجعه عادل مرشد ٢ / ١٩٤).

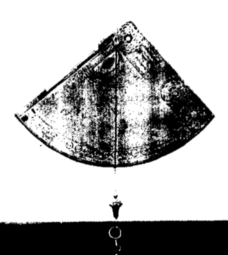
*** الربعية أو ذات الربع:**

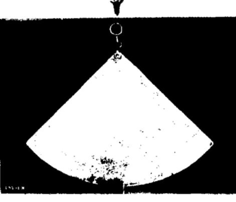
مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم الفلك.

استخدمت الربعية أول ما استخدمت لتسهيل العمليات الحسابية في استعمال الاسطرلاب. وهي مخططة بمقياس للدرجات رسم على طرف قوسها حيث حفرت عليه أرقام تمكننا من معرفة الوقت أثناء الليل والنهار ملئ الجزء الأوسط فيها بخطوط تعطي فكره صحيحة عن حركة الشمس والقمر ويتدلى منها ثقل رصاص علق في نهاية خيط ، وقد استخدمت الربعية أيضا في عمليات حساب المثلثات وكذلك في المسح الهندسي.

يعود تاريخ الربعيتين المعروضتين« الخشبية منهما والمعدنية» إلى أواخر القرن ١٣ هـ / ١٩ م . ولا زالت الخشبية تحتفظ بثقل الرصاص وخيطه . عليها شبكة من الخطوط رسم فوقها عدة أقواس. ويعتقد أنها صنعت في تركيا وذلك لأن العديد من ربعيات مشابهة قد عزيت صناعتها إلى العاصمة العثمانية أما المعدنية فهي عبارة عن صفيحة نحاسية حفر فوقها عدة دوائر وأنصاف أقطار، وتحتوي على كتابة بالخط المغربي تضم عبارات تمدح صانعها محمد بن المفضل بن حيران (؟) في سنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م كما تشير إلى مكان الصنع . ومن الطريف أن التاريخ قد كتب بالأعداد العربية وليس بالأعداد الهندية التي نستعملها اليوم.

(العلوم عند المسلمين . مؤسسة الكويت للتقدم العلمي . إدارة التأليف والترجمة - إشراف حصة الصباح مديرة دار الآثار الإسلامية / ٢١).





*ابن رَبَن الطبرى (ـ ٢٤٧ هـ ـ ٨٦١ م):

أدرجه الزركلى فى الأعلام (٤ / ٢٨٨) تحت عنوان «على بن ربن» وقال فى مصادره فى هامش (١) : وابن النديم: الفن الثالث من المقالة السابعة، وهو فيه «ابن ربل» باللام واسم أبيه سهل . وطبقات الأطباء ١ / ٣٠٩ وهو فيه «على بن سهل بن ربن» وفى القاموس : «على بن ربن الطبرى» مؤلف كتاب الأمثال وغيره ، وفى بروكلمان ١ / ٤١٤ « على بن سهل ربان الطبرى » اهـ.

وهو على بن ربن الطبرى أبو الحسن: طبيب حكيم مولده ومنشأه بطبرستان كان يخدم ولاتها ويقرأ علم الحكمة . وانفرد بالطبيعيات وقامت فتنة فيها فأخرجه أهلها . فنزل بالرى وأخذ عنه محمد بن زكريا الرازى علم الطب ثم رحل إلى سامراء وصنف فيها كتابه «فردوس الحكمة» وهو سفر مختصر على هيئة الموسوعات لما حواه من البحوث فى الفلسفة وعلم النفس والحيوان والفلك والظواهر الجوية إلى جانب مقالاته الضافية فى الطب والتى تشتمل على مقالات الطب الهندى . وفى فهرست ابن النديم أنه أسلم على يد المعتصم العباسى وظهر فى الحضرة فضله . فأدخله المتوكل فى جملة ندمائه . ومن كتبه أيضا (الدين والدولة) و «تحفة الملوك» و «كناش الحضرة » و «منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير» (الأعلام ٤ / ٢٨٨ ومعجم العلماء العرب ١ / ٤٩). كان حكيما كاملا، يعرف ذلك من كتابه المعنون بفردوس الحكمة (ضرب أبو حيان التوحيدى المثل بهذا الكتاب فى كتابه «الإمتاع والمؤانسة» بقوله وعلى بن ربن فى الفردوس).

ومما نقل عنه : السلامة غاية كل سؤل . التكلف يورث الخسارة، شر القول ما نقض بعضه بعضا (تاريخ حكماء الإسلام / ٢٢ ، ٢٣).

وفيما يلى بيان طبعات ثلاثة من مؤلفاته كما أوردها المعجم الشامل :

١ ـ الدين والدولة فى إثبات نبوة النبى محمد ﷺ.

تصحيح أ ، منغانة، القاهرة : مطبعة المقتطف ، ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٣ م.

١٤٤ ص ، م ٢ ص .

تونس : المكتبة العتيقة ، د. ت .

١٥٢ ص ، م ٦ ص ، ف ٢ ص : المحتوى .

تحقيق عادل نويهض، بيروت : دار الآفاق الجديدة ١٩٧٧ م ٢٣٩ ص ، م ٢٠ ص ، ف ٢٩ ص : الأعلام ، الأمكنة والبلدان، الأمم والدول والشعوب والقبائل، . الأديان والمذاهب والفرق ، الكتب الواردة فى الكتاب، الآيات القرآنية، مصادر تحقيق الكتاب، موضوعات .

٢ ـ الرد على النصارى :

تحقيق إغناطيوس عبده خليفة وغليوم كوتش، مجلة كلية الآداب الشرقية، جامعة القديس يوسف، المجلد ٣٥ ، سنة ١٩٥٩ م ٣٦ ص (١١٣ ـ ١٤٨) ، م ٦ ص.

٣ ـ فردوس الحكمة فى الطب

عناية محمد زهير الصديقى، برلين : مطبع أقتاب ، ١٩٢٨ م . ٦٣٦ ص ، م ٣ ص بالإنجليزية، ف ٧ ص : المصطلحات، الأقوال، الأعلام.

ـ بغداد : مكتبة المثنى، بالأوفست ، ١٩٧١ م (المعجم الشامل ٣/ ٣٤ ، ٣٥).

(الأعلام للزركلى ٤ / ٢٨٨ ، ومعجم العلماء العرب ـ باقر أمين الورد المحامى ـ مراجعة الأستاذ كوركيس عواد، ١ / ٤٩، وتاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقى ـ عنى بنشره وتحقيقه محمد كرد على / ٢٢، ٢٣ وهامش (١) للمحقق، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٣٤ ، ٣٥).

* الرِّبِنْجَنى:

قال السمعانى :

الرِّبِنْجَنى : بفتح الراء وكسر الباء المنقوطة بواحدة والجيم بين النونين الساكنة والمكسورة ، هذه النسبة إلى بنجن، وقد يثبتون الألف فى أولها ويقال : اربنجن، وقد ذكرناها فى الألف وهى بلدة من بلاد السغد بسمرقند استولى عليها الخراب ونهبها صاحب خوارزم، أقمت بها يوما فى صحرائها واستظللت بأشجارها، خرج منها جماعة من العلماء والمحدثين، منهم أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد الله الربنجنى السغدى، يروى عن عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندى وأبو توبة سعيد بن هاش الكاغذى وأحمد بن أيوب البذشى وغيرهم، روى عنه أبو على السيروانى وطبقته .

وأبو سعد محمد بن هشام بن إسحاق الربنجي ثم البخاري يعرف بنون، يروى عن محمد بن سلام وحسن بن حرب وأحمد بن أبي عبد الله التيمي والفضل بن داود وغيرهم، روى عنه يوسف بن ريحان

(الأنساب للسمعاني ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٣ / ٤٤).

*** الربة:**

الربة: هي اللات في حديث عروة بن مسعود الثقفي، لما أسلم وعاد إلى قومه، دخل منزله فأنكر قومه دخوله قبل أن يأتي الربة يعني اللات وهي الصخرة التي كانت تعبدها ثقيف بالطائف وفي حديث وفد ثقيف كان لهم بيت يسمونه الربة يضاهون به بيت الله، فلما أسلموا هدمه المغيرة. (عن تاج العروس).

والربة: كعبة كانت بنجران لمذحج وبني الحرث بن كعب. (عن تاج العروس، ونهاية ابن الأثير).

(كتاب الأصنام لابن الكلبي ـ بتحقيق الأستاذ أحمد زكي / ١٠٩).

*** الرَّبّة:**

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم النبات. جاء في معجم أسماء النباتات:

ربة: نبات أواسم لعدة من النبات لا يهيج في الصيف تبقى خضرتها شتاء وصيفا ومنها الحلب والرخامى والمكر والعلقى يقال لكلها ربة أو هي بقلة ناعمة وجمعها ربب كذا في التهذيب وقيل هو كل ما اخضر في القيظ في جميع ضروب النبات وقيل هي من ضروب الشجر أو النبت فلم يحد والربة شجرة أو هي شجرة الخروب.

(معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي ـ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطي / ٦٢).

*** الرُّبَّة:**

قال ياقوت: الربة: بلفظ واحدة الرباب، عين الربة: قرية في طرف الغور بين أرض الأردن والبلقاء، قال ابن عباس رضي الله عنه: لما خرج لوط، عليه السلام من دياره هاربا ومعه ابنتاه يقال لإحداهما ربة وللأخرى زغر فماتت الكبرى، وهي ربة، عند عين فدفنت عندها وسميت العين باسمها عين ربه وبنيت عليها فسميت ربة، وماتت زغر بعين زغر فسميت بها.

(معجم البلدان ٣ / ٢٦).

*** الرّبو:**

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم الطب، وجاء عنه فيها ما يلي: الربو: انتصاب النفس، وعُسره، كتنفس من قد عَدَا. . وثمة تعريف ثان هو: الربو علَّة رئوية، لا يجد الرادع [الوادع: أي المستريح] معها أبدا [بُدًّا] من تنفس متواتر، ويقال له أيضا البهر، وضيق النفس (كتاب التنوير / ٢٣)

وقال التهانوي: الربو بالفتح وسكون الموحدة عند الأطباء علة حادثة في الرئة خاصة بها لا يجد صاحب السكون معها بدا من نفس متواتر ويقال له البهر أيضا كذا قال الشيخ نجيب الدين كما في بحر الجواهر. وفي الإقسرائي الربو عسر في النفس يشبه نفس صاحبها نفس المتعب وهو لا يخلو عن سرعة وتواتر وصغر سواء كان معه ضيق أو لا. هذا كلام الشيخ، والسمرقندي لم يفرقْ بين ضيق النفس والبُهْر وجعل البهر والربو وضيق النفس أسماء مترادفة انتهى وقد فرق البعضُ بينه وبين البهر كما قال في بحر الجواهر. وقال العلامة الفرق بين الربو والبهر أن الربو مادية تحتبس داخل العروق الخشنة والبهر مادية في الشرائين وإن في البهر يكون ملمس الصدر حارا وفي الربو لا يكون كذلك وإن في البهر يحمر الوجه عند السعال أكثر من احمراره في الربو لاحتباس الأبخرة الدخانية في الشرائين.

(كشف ٢ / ٥٩٢).

ويفرق الرازي بين الربو الريحي والبلغمي مما ننقله لك في مادة «الرئة وأمراضها» إن شاء الله تعالى.

(كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية لأبي منصور الحسن بن نوح القمري ـ تحقيق وفاء تقي الدين / ٢٣ وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢ / ٥٩٢).

*** الرُّبوب (أو الربوبات):**

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم التغذية وعلم الطب. و الربوب (أو الربوبات): جمع رُبّ (بضم الراء) نحو رب العنب، ورب السوس مما يأتي بيانه إن شاء الله

تعالى والربوب (أو الربوبات): Rob (s) هلام الفواكه، وقد يكون بـه مواد طبيـة، وتحضر بأن تعصـر الفواكـه، ثم تصفى العصـارات، ثم تطبخ على نـار هينـة إلى قوام المـربيـات أو القـوام المطلـوب، وقد يضـاف إليهـا العسل أو السكـر قبل الطبخ. وكثيرا ما توصف سواغا فى تركيب بعض الأدوية بدلا من العسل والسكـر. وقـال ابـن سينـا إن الفـرق بين الأشـربـة والـربوب إن الـربوب هى عصـارات مقـومة بنفسهـا والأشربـة سلاقـات أو عصارات مقـومة حـلاوة (المـوجز فى تـاريخ الطب والصيدلة / ٣٧٧، ٣٧٨).

وتأتى تعاريف الربوبات فى مصنفات التراث كما يلى:

الربوب: ميـاه الفواكه وغيرهـا، إذا طبخت وحدها حتى تغلظ (كتاب التنوير / ٦١)

وقال داود الأنطاكى: الربوب هى مما يمكن عصره وطبخ غيره إلى ذهاب صورته فالأول كـالفواكه والثانى كعود السوسن ثم طبخ مـا يصفو بيسيـر الحلو حتى ينعقـد فبالطبخ تخـرج العصارات وبيسيـر الحلو تخـرج الأشربـة وهذا هـو القانـون فيها، والربوب لم تكن قبل جـالينوس وإنما كانت العصارات فرأى أن بعضها لا تستقيم عصارته زمنا لرطوباتها الفضلية ولا حافظ لها سوى الحلو فاستحكم مزجها به كالريباس. وغالب نفع الربـوب فى أمراض الحلق وآلات النفس وتفارق الأشـربة بقيامها بنفسها أو قلة ما يداخلها من الحلاوات.

ثم يتناول بالوصف عددا مـن الربوبات هى: رب الجوز، ورب حب الآس، ورب السفـرجل، ورب الـرمـان، ورب الحصـرم، ورُب التفـاح، ورُب التـوت، ورُب الأتـرج، ورب الخشخـاش، ورُب الريبـاس، ورُب السـوس، ورُب العنب فيقول:

رُب الجـوز: ينفع من الخنـاق وورم الحلق والسعـال. وصنعته: اتخـاذه من قشره الأخضـر والشراب سـواء والعسل ويعقـد وقد يضـاف إلى كل رطل ماء نصف أوقيـة شب وأربع دراهم مر صاف وثلاثة زعفران. رب حب الآس: يقطع القىء والإسهـال والغثيان. وصنعتـه: طبخ حب الآس حتى ينضج ويصفى ويرفع على النـار ويعقد، رب السفـرجل مثله وأعظم منه فى تقـوية المعـدة وطفء الحرارة. رب الـرمان: يطفىء الحميات والعطش والحلـو يقوى المعـدة وينفع من السعال والحـامض يشهى ويقطع القىء. رب الحصـرم: ينفع من العطش والحميـات الحارة والاستطلاق. رب التفـاح. ينفع من الخفقـان وضعف القلب والمعـدة والفم والقىء والمـرتين رب التـوت: الكـلام فيه كـالـرمـان. رب الأتـرج: ينفع من السموم والعطش ويطلى على الآثار كـالقوابى ويجلو البياض كحـلا رب الخشخـاش: ينفع من السعال والنـزلات ويقـوى الصـدر والـرأس. رب الـريبـاس: مفـرح ينفع من الخفقـان وضعف المعدة والكبد والطحال وهـو من ألطف الربوب وأى دواء وقع فيه قوى فعله. رب السوس أكثر أعماله فى السعال وأوجاع الصدر والرأس رب العنب: الدبس (أوردناه فى حرف الـدال فى م ١٧ / ٦٢ فـانظـره فى مـوضعـه) (التـذكـرة ١ / ١٦٦).

كما ذكر المظفر الرسولى من الربوب «رب العنب»، فقال نقـلا عن ابن جـزلـة صـاحب «منهاج البيـان فيمـا يستعملـه الإنسـان» وقد رمـز له بـالحرف«ج»: رب العنب: «ج» حـار يابس، والمر منه أقل حـرارة، ينفع أصحاب الأمزجة الباردة، وهو محـرق للدم، ويصلحـه الخيار والخس، وصنعته: أن يعتصـر مـاء العنب ويصفى، ويغلى حتى يـذهب ثـلاثـة أربـاعه. فإن بقيـت فيه رقـة جعل فى أجـاجين فى الشمس، لينشف ماؤه. والرب من جميع الثمـار هو ماؤه المعتصر، إذا عُقِد بالنار أو الشمس، وهو من جملة المركبات، ولم يذكره عبد الله [البيطار] فإن اهتم فى طلبه فمن المنهاج (المعتمد ١ / ١٨٢).

كذلك ذكر الإمـام ابن الجوزى عددا من الربـوبات هى: رب التفاح، ورب السفرجل، ورُب الحصرم، ورُب الليمون، ورُب الاترج، ورُب البنفسج فقال فى فصل فى الربوبات:

رب التفاح: ينفع المرة الصفراء، والقىء والغم.

وصفتـه: يؤخـذ مائة تفـاحـة سليمة من فسـادٍ، وتقطع، وتخرج القشـرة الصلبة التى تحتـوى على الحب، ويدق فى هاون، ويعتصـر، ويترك ليلة حتى يـرسب كدره، ثم يصفى بخرقـة، ويطرح فى قِـدرٍ برام، ويغلى، وتكشط رغـوته، ثم تخفف عنه النار، فتكون هادية، فإذا بقى ربعه حط عن النار فإذا برد صفى بخرقة كتان، ورفع فى إناء زجاج، ولا يكون فى الخرقة ولا الإناء ماء؛ فإنه يوجب حموضته.

رب السفرجل: ينفع الحرارة. والقيء.

وصفته: نحو ما ذكرنا في رب التفاح.

رب الحصرم: قد ذكرنا صفته في شراب الحصرم، فإذا صار له قوام ترك في الشمس أربعين يوما.

رب الليمون: قد ذكرنا صفته في ذكر شرابه، إلا أنه يغلى بنار لينة حتى يذهب ثلثه. ويترك مثله سكر. ويطبخ، فإن أراده ساذجا أذهب بالنار ثلثيه.

رب الأترج: ينفع من الخلط الصفراوي.

وصفته: أن يجعل الحمَّاض في قدر برام، ويغلى، ثم يحط، ويجعل في راوق صوف حتى تنزل مائيته.

وبعضهم يقول: يعصر من غير أن يغلى، ثم يؤخذ لكل مائة درهم من الماء مائة درهم سكر، ويغلى وتكشط رغوته ويرفع.

رب البنفسج: يسهل الصفراء، وينفع من السعال، ويحل القولنج الصفراوي.

وصفته: يؤخذ من البنفسج الطرى، فينزع أقماعه. ومن السكر ضعفه، ويفرك فيه، يترك في الشمس نحو شهرين (مختصر لقط المنافع / ٧٤، ٧٥).

(الموجز في تاريخ الطب والصيدلة - د. محمد كامل حسين / ٣٧٧، وكتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية لأبي منصور الحسن بن نوح القمري - تحقيق وفاء تقي الدين / ٦١، وتذكرة أولي الألباب لداود ابن عمر الأنطاكي ١ / ١٦٦، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٨٢، ومختصر لقط المنافع للإمام أبي الفرج بن الجوزي - تحقيق أحمد يوسف الدقاق / ٧٤، ٧٥).

*** الرَّبْوة:**

جبل الربوة من معالم دمشق التي يكثر ورودها في مصنفات التراث مما يتناول المدن الإسلامية ومن الوصف ما جاء موجزا، ومنه ما جاء مبسوطا. فمن الوصف الموجز أورده ياقوت الحموي والقزويني وابن بطوطة. ومن المبسوط منه ما أورده ابن طولون صاحب القلائد وفيما يلي بيان ما جاء في كل من هذه المصادر.

قال ياقوت:

ربوة: بضم أوله وفتحه وكسره، والضم أجود، وأصله ما ارتفع من الأرض، وجمعها ربى، قال المفسرون في قوله عز وجل: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ [المؤمنون: ٥٠] إنها دمشق، وذات قرار أي قرار من العيش.

قالت المؤلفة: قال ابن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ربوة﴾: قرأ عاصم وابن عامر: ﴿إلى ربوة﴾ فتحا. وقرأ الباقون: (رُبْوة) ضمًّا (كتاب السبعة في القراءات / ٤٤٦).

ثم يقول ياقوت: وبدمشق في لحف جبل على فرسخ منها موضع ليس في الدنيا أنزه منه لأنه في لحف جبل تحته سواء نهر بردى، وهو مبني على نهر ثورى، وهو مسجد عال جدا وفي رأسه نهر يزيد يجري ويصب منه ماء إلى سقايته وإلى بركة، وفي ناحية ذلك المسجد كهف صغير يزار يزعمون أنه المذكور في القرآن وأن عيسى، عليه السلام، ولد فيه (معجم البلدان ٣ / ٢٦).

وقد أدرجه القزويني في عجائبه تحت عنوان: «جبل ربوة» وقال عنه:

جبل ربوة: على فرسخ من دمشق. ذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ [المؤمنون: ٥٠] هو جبل عال على قلته مسجد حسن وهو في بعض البساتين من جميع جوانبها الخضرة والأشجار والرياحين وللمسجد مناظر إلى البساتين، ولما



(بردى في الربوة ١٩٣٠)

أرادوا إجراء نهر بردى وقع هذا الجبل فى طريقه فنقبوا تحته وأجروا الماء فيه ويجرى على رأسه نهر يزيد وينزل من أعلاه إلى أسفله، وفى هذا الجبل كهف صغير زعموا أن عيسى عليه الصلاة والسلام ولد فيه، ورأيت فى هذا المسجد فى بيت صغير حجرا كبيرا ذا ألوان عجيبة حجمه كحجم صندوق وقد انشق نصفين وبين شقيه مقدار ذراع لم ينفصل أحد النصفين عن الآخر بل متصل به كرمان متشقق ولأهل دمشق فى ذلك أقاويل ، والله أعلم بصحتها ولا ريب أنه شىء عجيب (عجائب المخلوقات / ١١٣).

وقد ذكره القزوينى أيضا فى كتابه «وصف دمشق» وأضاف إلى ما سبق قوله عن إياس بن معاوية، وهو وإن كان استطرادا إلا أننا رأينا نقله هنا حيث فاتنا ترجمة إياس بن معاوية فى موضعها .

وينسب إليها إياس بن معاوية الذى يضرب به المثل فى الذكاء. طلب من رجل حقا عند القاضى، وهو إذ ذاك يتيم، فقال له القاضى: اسكت إنك صبى : فقال : إذا سكتُّ من يتكلم عنى ؟ فقال القاضى : والله لا تقول حقا! فقال إياس: لا إله إلا الله .

وحكى أن امرأتين تحاكمتا إليه فى كبة غزل، فأفرد كل واحدة منهما وسألها : على أى شىء كببت غزلك؟ فقالت إحداهما : على كسرة خبز: وقالت الأخرى: على طرقة. فنقض الكبة فإذا هى على كسرة خبز. فسمع بذلك ابن سيرين فقال: ويحه ما أفهمه!

وحكى أنه تحاكم إليه رجلان، فقال أحدهما : إنى دفعت إليه مالا. فجحد الآخر، فقال للمدعى: أين سلمت هذا المال إليه؟ فقال: عند شجرة فى الموضع الفلانى. فقال المدعى عليه: أنا ذلك الموضع ما رأيت قط ! فقال: انطلقوا بالمدعى إلى ذلك المكان وأبصروا هل فيه شجرة أم لا؟ فلما ذهبوا إليه قال بعد زمان للمدعى عليه: ترى وصلوا إلى ذلك المكان ؟ قال : لا، بعد! فقال: قم يا عدو الله، إنك خائن! فقال: أقلنى أقالك الله واعترف به (وصف دمشق / ٢١، ٢٢).

كما كتب ابن بطوطة فى رحلته عن الربوة فقال فى ذكر الربوة والقرى التى تواليها وقد ضبطها بفتح الراء المشددة

وفى آخر جبل قاسيون الربوة المباركة المذكورة فى كتاب الله، ذات القرار والمعين، ومأوى المسيح عيسى وأمه عليهما السلام. وهى من أجمل مناظر الدنيا ومتنزهاتها وبها القصور المشيدة، والمبانى الشريفة، والبساتين البديعة. والمأوى المبارك مغارة صغيرة فى وسطها كالبيت الصغير وإزاءها بيت يقال إنه مصلى الخضر عليه السلام ، يبادر الناس إلى الصلاة فيها. وللمأوى باب حديد صغير ، والمسجد يدور به، وله شوارع دائرة، وسقاية حسنة، ينزل لها الماء من علو، وينصب فى شاذروان فى الجدار (الشاذروان هنا مجرى. وتتضمن هذه الكلمة بالفارسية التغطية والستر. وهو هنا كذلك) يتصل بحوض من رخام، ويقع فيه الماء، ولا نظير له فى الحسن وغرابة الشكل. ويقرب ذلك مطاهر للوضوء يجرى فيها الماء. وهذه الربوة المباركة هى رأس بساتين دمشق، وبها منابع مياهها. وينقسم الماء الخارج منها على سبعة أنهار، كل نهر آخذ فى جهة، ويعرف ذلك الموضع بالمقاسم. وأكبر هذه الأنهار، النهر المسمى بتورة، وهو يشق تحت الربوة، وقد نحت له مجرى فى الحجر الصلد كالغار الكبير، وربما انغمس ذو الجسارة من العوامين فى النهر من أعلى الربوة، واندفع فى الماء حتى يشق مجراه ويخرج من أسفل الربوة، وهى مخاطرة عظيمة. وهذه الربوة تشرف على البساتين الدائرة بالبلد ولها من الحسن واتساع مسرح الأبصار ما ليس لسواها وتلك الأنهار السبعة تذهب فى طرق شتى، فتحار الأعين فى حسن اجتماعها وافتراقها واندفاعها وانصبابها. وجمال الربوة وحسنها التام أعظم عن أن يحيط به الوصف ، ولها الأوقاف الكثيرة من المزارع والبساتين، تقام منها وظائفها للإمام والمؤذن والصادر والوارد. وبأسفل الربوة قرية النيرب (مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / ٨١، ٨٢).

وقد بسط ابن طولون الكلام على الربوة كما نقل عنه الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله وهو كما يلى : وعدها المتقدمون من قاسيون مع أنها واد وليست بجبل لأن الحد الطبيعى لهذا الجبل من الجنوب هو نهر بردى. وهى أول منفسح الوادى الغربى الآخذ إلى دمشق ، وفيها يخرج بردى من سجنه الضيق فينقسم فيها إلى عدة أنهار، ففى سفح قاسيون من جهة الشرق والشمال نهرا يزيد وثورى.

وفى سفح جبل المـزة من جهـة الغـرب والجنـوب قنـاة الدارانى ثم قناة المزة ثم قنوات ثم بانياس .

وبأسفل الوادى يسيل مـا بقى من المياه فى بـردى . ففيها يظهر تقسيم هذا النهر إلى عدة أنهار فيزيد تلك الجهة نضارة وجمالا .

ويقول البدرى : سميت بـالربوة لأنها مرتفعـة مشرفة على غوطتها ومياهها . وكل راب مرتفع على ما حوله يقال له ربوة .

وبالحقيقة فإن ما يسمى اليوم بالـربوة ليس بربوة وإنما هو واد تتدفق فيه المياه وتنساب . ولكن كان فى هذا الوادى محل يقصده الناس للزيارة والتبرك يسمى بالربوة وقد زال اليوم ولم يبق منه أثـر إلا كتابة كوفيـة فيه منقوشـة على صفحة الجبل فبقيت التسمية شائعة على الوادى الذى كانت فيه الربوة . ولا نعرف الـوقت الذى تتطـاول إليه الربـوة فى القدم، وأقـدم ما وصلت إليه فى بحثى هى هذه الكتابـة التاريخية المنقوشة فى الصخر أسفل جبل قاسيون التى تفيد بأن هـذه الربوة المباركة عمرت فـى أيام الإمام المستنصر بالله الفـاطمى الذى تـولى الملك من سنة ٤٢٧ إلى سنة ٤٨٧هـ .

ثم نرى بعد ذلك فى كتب التاريخ اسم السلطان نور الدين محمـود بن زنكى الذى حكم دمشـق من سنة ٥٤٩ إلى سنـة ٥٦٩ هـ . وقد نسب إليه تجديد بناء طارمة مسجد الديلمى، ولا نعلم من هـذا الديلمى الـذى ينسب إليه هـذا المسجد . ولكن هـذا يقع على مقـربة من الكتـابـة المكتـوبة فى عهـد المستنصر الفاطمى .

ويقول البدرى عن هذا المسجد إنه القاعة التى بناها نور الـدين وإنهـا على شعب جبـل جميعهـا متختـة بألـواح من الخشب سقفها نهـر يزيد، وأسـاسها من تحتها نهـر ثورى، ومنظرها من الغايات التى لا تدرك .

ويقول ابن طولون عما كان فـى الربوة من الآثار: كان بها التخوت وهو قصر مرتفع على سنة جبل به قاعة لبوابه وطِيقان على هيئة الإيـوان ينظر الجـالس هناك من مسـافة يـوم لو لم يكن حائل وبـه مئذنة ومسجد وميضأة، وتحتـه نهر ثورى، وفوقـه نهر يـزيد، يصعـد إليه من سلم حجـر بناه نـور الدين للفقراء فإن الأغنياء لهم قصور. انتهى كلامه .

وأقول سـواء أقلنا عن هـذا المكان إنـه قصر نـور الدين أو تخته، أو مسجده، أو مسجد الديلمى فهـو مكان الربوة التى وردت فى الكتابـة الكوفيـة الفاطميـة المنقوشـة على صفحة الجبل، ولا شك بـأن السلم أو الـدرج المـوصل إلى هـذا المسجد كان أسفل هذه الكتابة الكوفية ليراها الصاعدون إلى المسجد والنازلون ثم وهذ الـدرج المذكور لا ينقطع عن هذا المسجـد بل يتصل فـوق نهـر ثـورى ثم يـزيـد إلى أن يصل الإنسان إلى قاسيون ويسمى اليـوم بالمنشار، وقد ذهبت أكثر درجاتـه لطول العهـد به، والصعـود عليه خطـر مخيف ولكن الجريئين من الشبـاب يغامرون فى سلـوكه وقد صعـدت عليه ونزلت منه مرارا أيام فتوتى .

وبنهايـة هذا الدرج من الأعلى آثـار بناء قـديم وثم حجرة منحوتـة فى صخـر الجبل قـد ذهب سقفها، ونقـر فى جهتها القبليـة محـراب بطـراز فـاطمى ولكنـه بسيط جـدا خـال من الصناعة الفنية .

أمـا الشعاب التى كـانت تقوم عليهـا قاعـة نور الـدين أو قصره فلا يزال قسم منها باقيا إلى اليوم وقد كانت هذه الشعاب بارزة فى الطريق العام فحين مُدَّ خط قطار بيروت كسر بعض هذه الشعاب، ولمـا عُبِّد طريق دمر وطلى بـالقار أزيل قسم آخـر من هــذه الشعـاب وذهب قسم من الكتـابـة الكـوفيـة المنقوشة على الجبـل وهى أقدم وثيقة تاريخية منقـوشة على الحجر فى دمشق، ومن المترقب أن تذهب بقية هذه الكتابة فى هـذا العام لتصميم محافظـة دمشق الممتازة على تـوسيع طريق الربوة ولذلك فإنى ألفت نظر من يعنيهم التاريخ والآثار إلى العنايـة بهذه الوثيقـة التاريخيـة القيمة والمحافظـة عليها بطـرق فنيـة لئـلا تصـاب بأذى أو ضـرر. وفى طـارمـة هـذا المسجد يقول الأمير مجير الدين محمد بن تميم :

يـاحسن طـارمـة فى الجـو شـاهقـة ... مـا إن تمل بهـا العينـان مـن نظـر

نـزه لحـاظك فى طـاقـاتهـا لتـرى ... أصنـاف مـا خلق الـرحمـن للبشـر

تـرى محـاسـن واد يحتـوى نـزهـا ... لـلـذة السمع والأبصـار والفكـر

فى ربـوة قـد سمت حتى تخـال لهـا ... سـرا تحـدثـه لـلأنجم الـزهـر

مـــابين روض وأنهـــار مسلسلــة
تجـــرى وتحمل أنـــواعـــا من الثمــــر

وفى هذا القصر يقول تاج الدين الكندى أستاذ الملوك الأيوبيين وناشر علم الأدب والعربية بدمشق :

إن نـــور الـــدين لمـــا أن رأى
فى البســاتين قصـــور الأغنيـــاء
عمـــر الـــربـــوة قصـــرا شـــاهقـــا
نـــزهـــة مطلقـــة للفقـــراء

ويذكر البدرى أن لهذا المسجد أوقافا على قراء ووعاظ وقراءة البخارى وغير ذلك كالمؤذنين والفراش والبواب والوقاد.

ويستفاد مما ذكر الرحالة ابن جبير الأندلسى الذى زار دمشق عام ٥٨٠ هـ أن هذا المكان نفسه هو الربوة، ومأوى المسيح وأمه مريم عليهما السلام فهو يقول عن نهر ثورى : إنه يشق تحت الربوة وقد نقر له فى الحجر الصلد أسفلها حتى انفتح له مسرب واسع كالغار وربما انغمس الجسور من سباح الصبيان أو الرجال من أعلى الربوة فى النهر واندفع تحت الماء حتى يشق متسربه تحت الربوة ويخرج أسفلها وهى مخاطرة كبيرة. وهذا الوصف لا ينطبق إلا على الجهة التى كانت فيها قاعة نور الدين أو قصره أو مسجده. وقد وصف هذا المكان المقدس وصفا رائعا كما كان فى زمنه فقال : بآخر جبل قاسيون وفى رأس البسيط البستانى الغربى من دمشق الربوة المباركة المذكورة فى كتاب الله تعالى مأوى المسيح وأمه صلوات الله عليهما ـ وهى من أبدع مناظر الدنيا حسنا وجمالا و إشراقا، وإتقان بناء واحتفال تشييد، وشرف موضع، وهى كالقصر المشيد، ويصعد إليها على أدراج. وهى كالبيت الصغير وبإزائها بيت يقال إنه مصلى الخضر عليه السلام، فيبادر الناس للصلاة بهذين الموضعين المباركين ولا سيما المأوى المبارك، وله باب حديد صغير يغلق دونه. والمسجد يطيف به، وله شوارع دائرة، وفيها سقاية لم أر أحسن منها، قد سيق إليها الماء من علو، وماؤها ينصب على شاذروان فى الجدار متصل بحوض من رخام يقع الماء فيه، لم يـر أحسن من منظره، وخلف ذلك مطاهر يجرى الماء فى كل بيت منها، ويستدير بالجانب المتصل بجدار الشاذروان.

ثم يذكر ابن جبير أوقاف هذا المكان المقدس فيقول وللربوة المباركة أوقاف كثيرة من بساتين وأرض بيضاء ورباع وهى معينة التقسيم لوظائفها، فمنها ما هو معين برسم النفقة فى الأدم (الأدم ما يؤكل مع الخبز أى شىء كان) للبائتين فيها من الزوار، ومنها ماهو للأكسية برسم التغطية بالليل، ومنها ما هو معين للطعام إلى تقاسيم تستوفى جميع مؤنها ومؤن الأمين الراتب فيها برسم الإمامة والمؤذن الملتزم خدمتها، ولهم على ذلك كله مرتب معلوم فى كل شهر وهى خطة من أعظم الخطط.

ويصف جمال مناظرها فيقول : ويشرف الإنسان من هذه الربوة على جميع البساتين الغربية من البلد ولا إشراف كإشرافها حسنا وجمالا واتساع مسرح للأبصار.

وتحتها تلك الأنهار السبعة تتسرب وتسيح فى الطرق شتى ، فتحار الأبصار فى حسن اجتماعها وافتراقها، واندفاع انصبابها.

وشرف موضع هذه الربوة ومجموع حسنها أعظم من أن يحيط به وصف فى علو مدحه وشأنها فى موضوعات الدنيا الشريفة خطير كبير. ويذكر البدرى أنه كان بها سوقان، وبها صيادو السمك يصطادون والقلّايون على جبل النهر يَقْلُون، وكان يذبح فيها كل يوم خمسة عشر رأسا من الغنم خلاف ما يجيئها من المدينة ، وكان بها عشرة شرايحية ليس لهم شغل غير الطبخ والغرف فى الزبادى والصحون وكل ما تشتهيه الأنفس.

وبها فرنان وثلاثة حوانيت لعمل الخبز التنورى.

وبها حمام ليس على وجه الأرض نظيره لكثرة مائه ونظافته (لعله الحمام الذى بناه أبو الجيش خمارويه وقتل به وكان محله فى محل المقهى الأول على يمين الذاهب إلى دمر بين نهرى يزيد وثورى، ومن الممكن أن يكون هذا المقهى تابعا لقصر أبى الجيش المذكور) وللحمام المذكور شبابيك شرقية وشمالية وقبلية وعدة غرف.

وفى الربوة أيضا سبعة مقاصف كل مقصف فيه من الثريات والمصابيح والغطاء والوطاء ما لا يحتاج له الوصف حتى إن بعض الناس يطلع عليها ليتنزه يوما فيقيم بها شهرا.

ويقول ابن طولون إن بها جامعا بخطبة، وأربعة مساجد،

ومدرسة يقال لها المنبجية موقوفة على مدرس حنفي وطلبة.

وبها عدة أبنية جميلة تزيد تلك الجهة جمالا ورونقا.

ففي الجبل الغربي صومعتان مبيضتان تحت كل منهما ضريح عرف بالعاشق والمعشوق.

وشماليها برج قديم يعرف بالعذول ولا شك أن هذه التسمية هي من قبل العوام، وكان بعض الناس يقصد الربوة يوم السبت والثلاثاء، وبعضهم يوم الأحد والأربعاء. ويقال لهذين اليومين المحفل يخرج إلى الربوة فيهما الحلقية والمشعبذون، والمخايلية والحكويَّة.

ومما تقدم يتضح مبلغ عناية الحكومات المتقدمة بهذه الأمكنة للنزهة وتخصيص الأموال والأوقاف الطائلة لها دليل قاطع على اعتنائهم بالاصطياف والمصايف واعتنائهم بصحة أهل دمشق وبكل ما يسرهم ويبهجهم.

ومما يلفت النظر أن أسباب الاصطياف بها موفرة كاملة من كل جهة. فيها جميع المآكل والمشارب.

وفيها أدوات النوم من فرش ولحف وغير ذلك وفي مقاصفها الشريات والمصابيح وغير ذلك، وفيها أماكن للعبادة لمن يريد، ومعاهد للعلم لمن يريد، وأسباب التسلية والترفيه عن النفس لمن يريد.

فهناك المساجد والمدارس وهناك المخايلية (وهم المسمون في عصرنا بالكركوزاتية وقد كانت هذه التسلية نائبة عن السينما) وهناك الحكوية أيضا الذين يقصون على الناس السير الطريفة، وهناك المشعبذون أيضا وهم الذين يقومون بألعاب السيما.

وهناك أماكن للأغنياء المثرين، وأماكن للفقراء المعوزين يجدون فيها كل ما يحتاجون إليه من أكل وشرب ونوم مجاني.

ومما يلفت النظر أن جميع أنواع التسلي والتلهي بها لم يكن فيه شيء من الفحش والخنا وإنما كان مطبوعا بطابع ديني خلقي مبنيا على زيارة الأماكن المقدسة.

واشتهر بالانتساب إلى الربوة عدة علماء كعبد العزيز بن بركات الخشوعي ومحمد بن أبي طالب الأنصاري الجغرافي الشهير بشيخ الربوة مؤلف كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر.

وقد جاء في مدحها ووصفها عدة قصائد وأبيات شعرية نكتفي بالإشارة إليها وإلى أشهر مصدر لها وهو كتاب نزهة الأنام في محاسن الشام لأبي البقاء البدري ولم يبق في الربوة اليوم من الآثار التي تدل على عمرانها القديم غير الكتابة الكوفية الفاطمية المتقدم ذكرها (القلائد الجوهرية ١ / ٤٨ ـ ٥٥، وفي رحاب دمشق / ٢٠ ـ ٢٧).

(معجم البلدان لياقوت الحموي ٣ / ٢٦، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ـ تحقيق د. شوقي ضيف / ٤٦٦ وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ١١٣، ووصف دمشق أيام الملك الظاهر بيبرس. نصوص للعلامة الرحالة زكريا بن محمد القزويني ـ نشرها أحمد أيش / ٢١ ـ ٢٢، ومهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامري بك، ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / ٨١، ٨٢، والقلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لمحمد بن طولون الصالحي ـ بتحقيق محمد أحمد دهمان ١ / ٤٨ ـ ٥٥، وفي رحاب دمشق ـ محمد أحمد دهمان / ٢٠ ـ ٢٧).

ملاحظة: الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب في رحاب دمشق. انظر ثبت المراجع أعلاه.

*** الربوة (جامع ـ):**

قال الذهبي في ذيله على العبر في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة وفي شهر ربيع الأول ولي قاضي القضاة جمال الدين بن جملة، وجددت بالربوة خطبة، وأمسك حاجب السلطان المتكلم عليها الأمير سيف الدين ألماس، وكان ظلوما. انتهى. هذا ما أورده النعيمي في «الدارس» وجاء في هامش (١) للمحقق أن الجامع درس وضاعت معالمه.

(الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ـ عني بنشره وتحقيقه جعفر الحسني ٢ / ٤٤٠).

*** ابن الربوة (٦٧٩ـ٧٦٤ هـ / ١٢٨٠ـ١٣٦٣ م)**

محمد بن أحمد بن عبد العزيز القونوي الدمشقي، ناصر الدين، المعروف بابن الربوة، فقيه حنفي. أصله من قونية، ومولده ووفاته في دمشق، من كتبه «الدر المنير في حل إشكال الكبير» و «شرح قدس الأسرار في اختصار المنار» و«المواهب المكية في شرح فرائض السراجية» وغير ذلك.

(الأعلام للزركلي ٥ / ٣٢٧، عن الجواهر المضية ٢ / ١٥، والدرر

الكامنة ٣ / ٣٢٧ وهو فيه «المعروف بالربوة»، والكتبخانة ٢ / ٥٢١).

*** الربيع:**

عن الربيع، أحد فصول السنة الأربعة، يقول القزوينى فى عجائبه:

أما الربيع فهو نزول الشمس أول دقيقة من برج الحمل، فعند ذلك استوى الليل والنهار فى الأقاليم، واعتدل الزمان، وطاب الهواء، وهب النسيم، وذابت الثلوج، وسالت الأودية، ومدت الأنهار، ونبعت العيون، وارتفعت الرطوبات إلى أعلى فروع الأشجار وتلألأ الزهر وأورق الشجر، وتفتح النوار، واخضر وجه الأرض، وتكونت الحيوانات، ونتجت البهائم، ودرت الضروع، وطاب عيش أهل الزمان، وأخذت الأرض زخرفها وازينت والدنيا كأنها جارية شابة تجلت وتزينت للناظرين، فلا يزال كذلك دأبها ودأب أهلها إلى أن تبلغ الشمس آخر الجوزاء فحينئذ ينتهى الربيع ويقبل الصيف(عجائب المخلوقات / ٦٣).

وفى فصل بعنوان «ذكر ما قيل فى الأنهار والأشجار زمن الشتاء والربيع من الأشجار» أورد الحافظ السيوطى هذه الأبيات:

مما كتب القاضى شهاب الدين بن فضل الله إلى الأمير الجانى الدوادار:

ما مثل مصر فى زمان ربيعها
لصفاء ماء واعتلال نسيم
أقسمت ما تحوى البلاد نظيرها
لما نظرت إلى جمال وسيم

وقال مجير الدين بن تميم:

بعث الربيع رسالة بقدومه
للروض فهو بقربه فرحان
ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه
مضمونها مالت له الأغصان

(حسن المحاضرة ٢ / ٣٩٢، ٣٩٨).

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٦٣، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٣٩٢، ٣٩٨).

*** ربيع الأبرار فيما يسر الخواطر والأفكار:**

هذا العنوان ورد به مخطوط «ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» (انظر المادة بعد التالية) فى مكتبة تشستربيتى (دبلن / أيرلندا) تحت رقم ٤٠٤٧.

*** ربيع الأبرار وجنة الأبصار ونزهة الأخيار:**

من مخطوطات الأدب فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وجاء بيانه كما يلى:

لجار الله محمود الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وهو سبعون بابا فى المخلوقات والأخلاق والسماء والأرض.

نسخة بقلم عادى كتبها عبد الواسع بن عبد الرحمن القرشى لنفسه سنة ١٠٩٧ هـ.

[البلدية ١١٩٩ ب ٢٩١ ق ٢٥×٣٦سم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٤٦٩).

***ربيع الأبرار ونصوص الأخبار:**

ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ـ فى المحاضرات لأبى القاسم محمود بن عمر جار الله العلامة الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ ثمان وثلاثين وخمسمائة أوله: الحمد لله الذى استحمد إلى عباده موجبات المحامد مما أسبغ عليهم... إلخ قال هذا كتاب قصدت به إجمام خواطر الناظرين فى الكشاف عن حقائق التنزيل وترويح قلوبهم المتعبة بإحالة الفكر فى استخراج ودايع علمه وخباياه ... إلخ ورتبه بعضهم إلى اثنين وتسعين بابا وقد انتخبه المولى محيى الدين محمد ابن خطيب قاسم المتوفى سنة ٩٤٠ أربعين وتسعمائة قال لما كان علم المحاضرات علما نافعا من العلوم العربية حتى المولى العلامة قد صنف فيه كتاب ربيع الأبرار إلا أنه بحر زاخر لا تدرك غايته استخرجت من نخب فوائده على وجه الاختصار وألحقت به ما عثرت عليه فى كتب الأدباء وسميته بروض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار انتهى ورتبه على خمسين روضة وقال فى تاريخه جاء بفضله. واختصره رجل آخر أيضا سماه أنوار الربيع (كشف ١ / ٨٣٣).

توجد نسخ مخطوطة فى عدد من الأماكن بيانها كما يلى: وقد ورد تحت عناوين مختلفة

١ ـ معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

٢ ـ مكتبة المتحف العراقي

٣ـ دار الكتب الظاهرية (أو مكتبة الأسد) : فهرس الأدب وفهرس التصوف.

٤ ـ مكتبة تشستربيتي (دبلن / أيرلندا).

١ ـ معهد المخطوطات العربية فهرس الأدب.

(أ) فهرس تصنيف فؤاد سيد، وقد ورد المخطوط تحت عنوان «ربيع الأبرار ونصوص الأخبار في المحاضرات» تحت الرقم التسلسلي ٣٧٢، وبيانه كما يلي، وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية لباقي النسخ:

٣٧٢ ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار في المحاضرات.

تأليف جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨

قال في أوله: قصدت بهذا الكتاب، إجمام خواطر الناظرين في الكشاف عن حقائق التنزيل. وترويح قلوبهم المتعبة بإجالة الفكر في استخراج ودائع علمه وخباياه ... إلخ ـ ورتبه على ثمانية وتسعين بابا

نسخة جزءان في مجلد كتبت حوالي القرن الحادي عشر.

[دار الكتب ١٥٥ أدب ٤٠٢ ق ١٥ × ٢٧].

٣٧٣ـ نسخة أخرى كتبت سنة ٧٩٠ بخط نسخ جميل

[أحمد الثالث ٢٣٠٧ ٤١٢ ق حجم كبير]

٣٧٤ ـ الجزء الأول من نسخة أخرى كتبت سنة ٧٥٧ بخط نسخ حسن بأوله لوحة مذهبة. وينتهي هذا الجزء بآخر باب ذكر الله والدعاء.

[أحمد الثالث ٢٥٢٣ ٢٤٣ ق ١٨ × ٢٥سم]

٣٧٥ ـ الجزء الثاني من نسخة أخرى كتب في القرن التاسع بقلم نسخ واضح مشكول وبأوله لوحة مذهبة. ويبتدئ، هذا الجزء بباب الأخلاق والعادات الحسنة وينتهي بباب العتاب والتثريب والشكوى والاستعطاف وما أشبه ذلك يليه باب العبيد والإماء والخدم.

[أحمد الثالث ٢٥٢٤ ٢٣٥ق ١٩ × ٢٧سم]

٣٧٦ ـ الجزء الأول من نسخة أخرى كتب في أواخر القرن السادس بخط جميل. وينتهي بباب الأصوات والألحان في الشعر والقرآن

[أيا صوفيا ٣٩٨٥ ٢٩٣ ق ٢٠ × ٣٠ سم]

(فهرس المخطوطات المصورة ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٤٦٨، ٤٦٩)

قالت المؤلفة: مكتبة أحمد الثالث في طوبقبو سراي باستانبول، ومكتبة أيا صوفيا في مسجد أيا صوفيا باستانبول. انظر مادة «أيا صوفيا» في م ٦ / ٢٥٥ ـ ١٢٦٠هـ.

(ب) فهرس إعداد عصام محمد الشَّنطي:

بيان نسخه العشر كما يلي:

ربيع الأبرار ونصوص الأخبار.

(الجزء الأول).

أولها: الحمد لله الذي استحمد إلى عباده بموجبات المحامد، مما أسبغ عليهم من نعمه البوادي والعوائد، حمدا ملء ذات الرجع، وطلاع ذات الصدع ...

وآخرها: كعب الأحبار. قسَّم الله الحسن عشرة أعشار، فأعطى آدم تسعة أعشار، ونصف العشر الباقي يوسف عليه السلام، والنصف الآخر سائر الناس. آخر الجزء الأول، ويتلوه إن شاء الله في الثاني باب الأخلاق والعادات الحسنة والقبيحة ... وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نسخة كتبت بقلم نسخي.

٢٥٩ق ١٥ س ١٦ × ٢٢سم

الأوقاف العام ـ بغداد

٣٨٦ الرقم: ١٧٠٤

نسخة ثانية.

(الجزء الأول)

أولها: الحمد لله الذي استحمد إلى عباده بموجبات المحامد، مما أسبغ عليهم من نعمه البوادي و العوائد، حمدا ملء ذات الرجع، وطلاع ذات الصدع ...

وآخرها مبتور، وآخر الموجود منها مقدار ورقة من «باب الغدر والخيانة والغش ... والسرقة والوشايات والنمائم وإفشاء الأسرار».

نسخة كتبت بقلم مغربي.

٢٣١ ق ٢٧ س

الخزانة العامة ـ الرباط الرقم : ١٧٠٥

١٢٧٤ د

نسخة ثالثة .

(الجزء الثانى) :

أولها : بـاب الأخلاق والعادات الحسنـة والقبيحة والحلم والغضب والرفق والعنف والرقة والقسوة وخفة الروح والثقل .

وآخرها : كتب عمر بن عبد العـزيز إلى الزهرى يستقدمه فأبطأ، فقال : يا ابن شهـاب، لو كان غيرنـا ما أبطأت عليه، لقد قلَّبتك ظهرا لبطن، فوجدتك نبى دنيا ... والحمد لله حق حمده ...

نسخة بقلم نسخى حسن .

٢٦١ ق ١٥ س ١٤ × ٢٣ سم

المتحف العراقى ـ بغداد الرقم : ١٧٠٦

٣٧٣

نسخة رابعة .

(الجزء الثانى) .

أولهـا : بـاب تبـدل الأحـوال واختـلافهـا وتنقل الـدول والانقلاب ووقـوع الفتن والنوائب وعزل الولاة وسـوء عواقبهم ونحو ذلك .

وآخرهـا : تم الجزء الثانـى، ويتلوه فى الذى يليـه، وهو الجـزء الثالث، بـاب الـروائح وما جـاء فى الطيب من مفـرده ومركبه والتطيب واستعماله . والحمد لله رب العالمين ...

نسخة كتبت بقلم نسخى .

١٨٦ ق ١٥ س ١٦ × ٢٢سم

الأوقاف العامة ـ بغداد الرقم : ١٧٠٧

٣٨٧

نسخة خامسة .

(الجزء الثالث) .

أولها : بـاب العبيد والإمـاء والخدم والأمـر بالاستيصـاء بالمماليك خيرا، والنهى عن سوء الملكة ، ونحو ذلك .

على رضى الله عنه ، قال رسـول الله ﷺ : «أول من يدخل الجنة شهيد، وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده» ...

وآخرها : تم الجزء الثالـث بمشيئة الله وتوفيقه، ويتلوه فى الربع بـاب اللباس والحلى من القلائد والأسـورة والخلاخيل والخواتم وذكـر البسط والمفارش والوسائد ومـا جانس ذلك . والحمد لله رب العالمين ...

نسخة كتبت بقلم نسخى .

٢١٨ ق ١٥ س ١٦ × ٢٢ سم

الأوقاف العامة ـ بغداد الرقم : ١٧٠٨

٣٨٨

ـ نسخة سادسة .

(الجزء الثالث) :

أولهـا : باب العبيـد والإماء والخـدم والأمـر بالاستيصـاء بالمماليك خيرا، والنهى عن سوء الملكة، ونحو ذلك .

وآخرها : انتهى والله أعلم بالصواب ـ ويتلوه فى أول الجزء الذى يليه : باب الكذب والزور والبهتان، والله المستعان .

نسخة كتبت بقلـم نسخى واضح . وبأولها تملكـات غير مؤرخة، وفهرس للأبواب .

١٩٠ ق ١٧ س

الزاوية الحمزاوية الرقم: ١٧٠٩

١١٧

نسخة سابعة :

(الجزء الثالث) ـ فى ٣٣ بابا

أولهـا : باب العبيـد والإماء والخـدم والأمـر بالاستيصـاء بالمماليك خيرا، والنهى عن سوء الملكة، ونحو ذلك .

على رضى الله عنه، قال رسـول الله ﷺ : «أول من يدخل الجنة شهيد، وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده» ...

وآخرها : باب الملك والسلطان .

نسخـة كتبت بقلمين، قديم فى أولهـا، وأحدث منـه فى آخرها

٣٤٩ ق ١٥ س ١٥ × ٢٣ سم

دار الكتب المصرية الرقم: ١٧١٠

٥٩٢ أدب تيمور.

نسخة ثامنة .

(الجزء الرابع ـ السادس).

أولهـا : بـاب اللبـاس والحلي من القلائد والأسـورة والخلاخيل والخواتم وذكر البسط والمفارش والوسائد، وما جانس ذلك.

وآخرها: صيد العقرب: أن تشك جرادة في طرف عود، وتدخل في حجرها، فتعلق بها، وتدخل فيه خوط كراث، فلا يبقى فيه عقرب إلا تبعته وهذا آخر الكتاب والحمد لله ...

نسخة كتبت بقلم نسخي واضح، وفرغ منها سنة ٦٣٤ هـ. وعليها تملكات

٢٢٠ ق ١٥ س ١٦ × ٢٢ سم

الأوقاف العامة ـ بغداد الرقم: ١٧١١

٣٨٩

نسخة تاسعة.

(الجزء السادس).

أولها: بـاب الملك والسلطان والإمـارة والسياسة والبيعة والخلافة وذكر الولاة وما اتصل بهم من الحجاب والحجابة، وغير ذلك.

قال الحسن للحجاج: سمعت ابن عباس يقول ...

وآخرها: صيد العقرب: أن تشك جرادة في طرف عود، وتدخل في جحرها، فتعلق بها وتدخل في خوط كراث، فلا يبقى فيه عقرب إلا تبعته.

نسخة كتبت بقلم نسخي، كتبها محمد بن الحلاحل، وفرغ منها سنة ٧٠٠ هـ، ونقلها من نسخة بخط مصنفها.

٧١ ق ١٧ س

الزاوية الحمزاوية الرقم: ١٧١٢

١٥٠

نسخة عاشرة.

(الجزء الأخير).

أولها: الباب الستون في ذكر فضل الكتابة والكتّاب الأفاضل، الهادي حلال سحرها بحرام سحر بابل ...

وآخرها: أحمد بن يحيى، ثعلب: ناله صمم شديد ... في آخر أيامه ... نجز بحمد الله تعالى ومنه ...

نسخة كتبت بقلم نسخي واضح. وبأولها تملك يعود إلى سنة ١٠٣١ هـ، وفهرس للأبواب. وبآخر صفحاتها تعقيبة.

١٥٩ ق ١٧ س

الزاوية الحمزاوية الرقم: ١٧١٣

١٥١

(فهرس المخطوطات المصورة ـ إعداد عصام محمد الشنطي جـ ١ ق ٤ / ٧ ـ ١٢).

٢ ـ مكتبة المتحف العراقي.

ورد المخطوط في فهرس الأدب تحت عنوان «ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» وجاء بيانه ونسخه كما يلي: وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية كما وردت في النص:

الأول: كسابقه

نسخة جيدة، عليها تملك مؤرخ سنة ١٢٤٨ هـ/ ١٨٣٢ م، في أولها فهرس ناقصة الآخر.

الرقم: ١١٠٦١

٥٣٠ ص. ٢٧ × ١٨ سم ٢٥ س

طبع بتحقيق بهيجة الحسني (معجم المؤلفين العراقيين ١ / ٢٠٢)، وطبع أخيرا بتحقيق محمد سليم النعيمي ببغداد من قبل وزارة الأوقاف في أربعة مجلدات من سنة ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ م.

معجم المؤلفين ١٢ / ٨٦، كشف ١ / ٨٣٢

٧٧٠ ـ نسخة أخرى.

ترقى إلى القرن السابع عشر الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي، تملكها غرس الدين بن محمد السقا سنة ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م، وعبد اللطيف بن حسن سنة ١٠٥٨ هـ / ١٦٤٨ م، في أولها فهرس.

الرقم: ٣٧٣.

٥١٢ ص ٢٣ ×١٦سم ١٥س

٧٧١ ـ نسخة أخرى

كتبت بخط النسخ سنة ١٠٩١ هـ/ ١٦٨٠م، تتضمن المجلد الأول. الرقم: ١٥١٤٩.

٣٥ ص ٢٩×٢٠سم ٢٥س.

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي / ٣٠٩ ، ٣١٠).

٣ ـ دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو مكتبة الأسد).

(أ) فهرس الأدب.

(ب) فهرس التصوف.

(أ) فهرس الأدب.

وردالمخطوط تحت عنوان «ربيع الأبرار» وجاء بيانه كما يلي:

الجزء الثالث

الرقم ٣٢٦٣

أوله: «باب العلم والحكمة والأدب والكتاب والقلم وما يناسب ذلك. قال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم». وقال عليه السلام: «ليس الملق من أخلاق المؤمن إلا في طلب العلم». وقال بعض الحكماء لابنه: يابني اطلب العلم فإنه إن لم يكن لك مال يكن لك العلم جمالا ...».

آخره: «... في باب الأمراض والعلل والعاهات والطب والدواء والعيادة ونحو ذلك. أحمد بن يحيى ثعلب قد ناله صمم شديد حتى كان يكتب له الشيء في آخر أيامه قال السفاح في علة موته وأراد حسه:

انظر إلى ضعف الحرا ك وذله بيد السكون

ينبيك أن بيانه هذا مقدمة المنون

تم الجزء الثالث ويتلوه في الجزء الرابع ...».

٢٢٩ق ١٥ س ١٧×٢٤ سم

الجزء الرابع

الرقم ٣٢٦٤

أوله: «باب المال والكسب والتجارة والنفاق والكساد والغلاء والغبن والمكاس وذكر الغنى والفقر وما اتصل بذلك.

ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ والتفت إلى أُحد: «ما يسرني أنه لآل محمد ذهبا أنفقه في سبيل الله لا أموت يوم أموت وعندي منه ديناران إلا أن أرصدهما لدين إن كان» قال فمات رسول الله ﷺ وما ترك دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة وترك درعه التي كان يقاتل فيها رهنا بثلث قفيز من شعير...».

قالت المؤلفة: القفيز مكيال كان يكال به قديما، ويختلف مقداره في البلاد، ويعادل بالتقدير المصري الحديث نحو ستة عشر كيلوجراما (المعجم الوسيط ٢ / ٧٥١، والمعجم الوجيز / ٥١٠) اهـ.

آخره: «في باب الحشرات والهوام ونحوها من دواب الأرض وما اتصل بها وذكر معها ... صيد العقرب أن تشك جرادة في طرف عود وتدخل في جحرها فيتعلق بها وتدخل فيه خوط كراث فلا يبقى فيه عقرب إلا تبعته. والله أعلم.

تم الكتاب بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين».

النسخة قديمة وجيدة، الحرف مشكول شكلا تاما وفيها بعض أكلة للأرضة وأثر رطوبة. وفي النسخة مطالعة لمحمد ابن صالح المحاسني ونقل منه وفيها وقف محمد باشا والي الشام سنة ١١٩٠ ونظر فيه نصري الحسيني الشافعي البكري الخلوتي الأشعري الشامي سنة ١٠٧٤ هـ

٢٢٥ ق ١٥ س ١٧×٢٤سم

ـ نسخة أخرى.

الرقم ١١٥٢٨

جز من ربيع الأبرار ناقص من أوله وآخره.

يبدأ بفصل في هيجان الدم ونقصانه، وينتهي بما جاء في الندام والندماء والسقاة، نسخة قديمة مكتوبة بخط نسخ مشكول رؤوس الفقر بالحمرة.

٣١٥ ق ١٦س ١٦,٥×١٩سم

(فهرس الظاهرية. الأدب ١ / ٢٣٤ ـ ٢٣٦).

(ب) فهرس التصوف

الجزء الثالث: كسابقه

الجزء الرابع: كسابقه

الرقم ٣٢٦٤ ـ أدب ٩٤

الخط نسخي معتاد واضح، الحبر: أسود

تاريخ النسخ: من خطوط القرن السابع

ملاحظات: نسخة مراجعة.

مصادر عن الكتاب: كشف الظنون ١ / ٨٣٢.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ١٢ / ١٨٦ نزهة الألبا ٤٦٩ طبع حجر، الأعلام ٨ / ٥٥

بعض نسخ الكتاب: الأوقاف ببغداد ١٥٩ الأول والثالث والرابع رقم ٢١١٥ المتحف البريطاني الذيل ١ / ٧١٤ متسلسل ١١٣٤ رقم ١١٨٦

(فهرس الظاهرية. التصوف ١ / ٥٩٨، ٥٩٩).

(٤) مكتبة تشستربيتي (دبلن / أيرلندا).

ورد المخطوط تحت عنوان «ربيع الأبرار فيما يسر الخواطر والأفكار» ، وجاء التعليق التالي في هامش (١): كذا العنوان في الأصل ، وفي بروكلمان، الملحق ١ / ٥١٢ أما في معجم الأدباء ١٩ / ١٣٤، فهو «ربيع الأبرار في الأدب والمحاضرات» ، غير أن بعض المصادر تذكره بعنوان «ربيع الأبرار وفصوص الأخبار» انظر طبقات المفسرين / ١٠٥ كشف الظنون١ / ٨٣٢، هدية العارفين ٢ / ٤٠٢، ٤٠٣، معجم المؤلفين ١٢ / ١٨٦، وطبع في العراق مؤخرا بهذا العنوان، وقد ورد «ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» في وفيات الأعيان ٥ / ١٦٨، شذرات الذهب ٤ / ١١٩هـ.

وجاء بيان المخطوط كما يلي تحت رقم ٤٠٤٧ (١، ٢، ٣):

عنوان المخطوطة : ربيع الأبرار فيما يسر الخواطر والأفكار

اسم المؤلف: الزمخشري (محمود بن عمر).

اسم الشهرة : الزمخشري

تاريخ الوفاة : ٥٣٨ هـ/ ١١٤٤ م

تعريف بالمخطوطة: مجموعة من أقوال الحكمة والبلاغة.

عدد الأوراق : ١٤٢، ١٥٦، ١٨٠ ورقة، ٢٢ × ١٤,٨ سم

نوع الخط: نسخ معتاد متصل الحروف نوع ما.

تاريخ النسخ: الجمعة ٢٩ رمضان ١٠٢١ هـ (٢٣ نوفمبر ١٦١٢ م)

المصدر : بروكلمان ١ / ٢٩٢، الملحق ١ / ٥١٢

(فهرس تشستربيتي ٢ / ٦٠٥).

وتوجد نسخة في خزانة الشيخ محمد باقر ألفت في أصفهان وجاء التعريف بها كما يلي تحت عنوان « ربيع الأبرار»:

ربيع الأبرار للزمخشري، بخط عبد الله ابن الشيخ عبد علي بن حسين بن يحيى بن علي بن خلف كزور الجزايري سنة ١٠٨٨ وعليه «وكانت نسخة هذا الكتاب من كتب الشيخ فرج الله بن فياض وهي صحيحة وقابلت فيها بعون الله رب العالمين».

كما توجد نسخة في الخزانة الملوكية في طهران (مجلة معهد المخطوطات العربية جـ١ م٣/ ١٨، ١٩، ٧١)

ـ وفيما يلي بيان طبعة الكتاب كما أوردها العجم الشامل:

تحقيق سليم النعيمي ، بغداد: رئاسة ديوان الأوقاف ، ١٩٧٦م

ج ١ : ٨٧٨ ص ، م ٣٤ ص، ف ٣ ص : المحتوى .

ج ٢ : ١٩٨٢ م ، ٨٦٧ ص ، ف ٣ ص : المحتوى .

ج٣ : ١٩٨٠م، ٧٥١ ، ف ٢ ص : المحتوى

ج٤ : ١٩٨٢ م ، ٥٩٠ ص ، ف ١٠٤ ص: أبواب الكتاب، الأعلام ، الأشعار (المعجم الشامل ٣/ ١٠٩)

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٨٣٢، وفهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية - تصنيف فؤاد سيد ١ / ٤٦٨، ٤٦٩ ، وفهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية الأدب ـ إعداد عصام محمد الشنطي جـ ١ ق ٤ القاهرة ١٩٩٤ / ٧ ـ ١٢ ومخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ٣٠٩، ٣١٠، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ٢٣٤ ـ ٢٣٦، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٥٩٨، ٥٩٩، وفهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستربيتي (دبلن / أيرلندا) ـ أعده الأستاذ آرثر ج. آربري. ترجمة د. محمد شاكر سعيد، راجعه د. إحسان صدقي العمد ٢ / ٦٠٥، ومجلة معهد المخطوطات العربية. القاهرة جـ ٢ م ٣ ربيع الثاني ١٣٧٧ هـ ـ نوفمبر ١٩٥٧ م. طبعة ثانية ١٤١٤ هـ. ١٩٩٣ م/ ١٨، ١٩، ٧١، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣/ ١٠٩).

*** الربيع بن أنس (-١٣٩ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبي في الطبقة الرابعة من التابعين وقال عنه :

الربيع بن أنس بن زياد البكرى، الخراسانى، المروزى، بصرى. سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحى وأكثر عنه، والحسن البصرى. وعنه: سليمان التيمى، والأعمش، وآخرون وكان عالم مرو فى زمانه. توفى سنة تسع وثلاثين ومائة. حديثه فى السنن الأربعة (تهذيب سير الأعلام ١ / ٢٢٣).

وقال عنه ابن قتيبة:

كان من أهل «البصرة»، من «بنى بكر بن وائل»، ولقى «ابن عمر»، و «جابرا»، و «أنس بن مالك». وهرب من «الحجاج» فأتى «مرو»، فسكن قرية منها، ثم طلب بـ «خراسان» حين ظهرت دعوة ولد «العباس» فتغيب، فخلص إليه «عبد الله بن المبارك». وهو مستخف، فسمع منه أربعين حديثا. وكان «عبد الله» يقول: ما يسرنى بها كذا وكذا - لشىء سماه. ومات فى خلافة «أبى جعفر» (المعارف لابن قتيبة / ٤٦٦، ٤٦٧).

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٢٢٣، والمعارف لابن قتيبة - حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٤٦٦، ٤٦٧) انظر مادة «التابعون» فى م ٨ ٢٩٩ - ٣٠٥.

*** الربيع بن حبيب الفراهيدى (—/ —):**

الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدى، عالم بالحديث، إباضى. من أعيان المائة الثانية للهجرة. من أهل البصرة له كتاب فى الحديث سماه يوسف بن إبراهيم الرجلانى «الجامع الصحيح» مطبوع، مع حاشية عليه لعبد الله بن حميد السالمى، جزءان من أربعة.

(الأعلام للزركلى ٣ / ١٤).

هذا وقد أوردنا نبذة عنه فى مادة «الإباضية» فى م ٢ / ٧٤ فانظرها فى موضعها.

*** الربيع بن خُثَيم:**

هو الربيع بن خثيم: بضم الخاء وفتح الثاء.

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الأولى: من كبار التابعين، وقال عنه: ابن عائذ، الإمام القدوة العابد، أبو يزيد الثورى الكوفى، أحد الأعلام. أدرك زمان النبى ﷺ، وأرسل عنه. وروى عن عبد الله بن مسعود، وأبى أيوب الأنصارى، وعمرو بن ميمون، وهو قليل الرواية إلا أنه كبير الشأن. حدَّث عنه: الشعبى، وآخرون. وكان يعد من عقلاء الرجال (تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ١٤٤).

وقد أورده الإمام الشعرانى بلفظ «خيثم «بالياء قبل الثاء) وقال عنه: كان يقول: كن وصى نفسك يا أخى ... وكان عمله سرا لا يطلع عليه إلا أهل بيته. ودخل عليه رجل وهو يقرأ فى المصحف فغطاه بكمه. وكان يقول: كل ما لا يبتغى به وجه الله تعالى يضمحل. وكان إذا وجد غفلة من الناس يخرج إلى المقابر ويقول: يا أهل المقابر كنا وكنتم، ثم يحيى الليل كله، فإذا أصبح كأنه نشر من قبره. وكان رضى الله عنه يأتى مسجد الجماعة يهادى بين رجلين فيقول له الناس إن الله قد رخص لك، فيقول: فماذا أصنع فى منادى ربى حى على الصلاة ... وكان يقول: لقد أدركنا أقواما كنا نعد أنفسنا فى جنبهم لصوصا. مات سنة سبع وستين فى أيام معاوية رضى الله عنه (الطبقات الكبرى ١ / ٢٥).

والربيع بن خثيم ممن ذكرهم علقمة بن مرثد (المتوفى سنة ١٢٠ هـ) فى الثمانية الزهاد من التابعين، ورواه عنه ابن أبى حاتم (المتوفى سنة ٣٢٧ هـ). وننقله فيما يلى، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائى بين أقواس فى ثنايا النص قال: وأما الربيع بن خُثيم:

١ - فقيل له حين أصابه الفالج: لو تداويت! فقال: قد علمت أن الدواء حق، ولكنى ذكرت ﴿**عادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا**﴾ [الفرقان: ٣٨] كانت فيهم الأوجاع، وكانت لهم الأطباء، فما بقى المداوَى ولا المداوِى، وقال غيره: ولا الناعت بقى، ولا المنعوت له.

٢ - قال: قيل له: ألا تذكر الناس؟ قال: ما أنا عن نفسى براض، فأتفرغ من ذمها إلى ذم الناس إن الناس خافوا فى دينهم ذنوب الناس، وأمنوا على ذنوبهم.

٣ - قال: قيل له: وكيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا.

٤ - قال: وكان عبد الله بن مسعود إذا رآه قال: وبشر المخبتين (هم المطمئنون، وقيل: هم المتواضعون الخاشعون لربهم) أما إن محمدا ﷺ لو رآك لأحبك.

٥ - وكان الربيع بن خثيم يقول: أما بعد: فأعد زادك، وخذ فى جهادك وكن وصى نفسك أخرجه بتمامه أبو نعيم فى

الحلية (٢ / ١٠٦) بسنده عن أبي حميد أحمد بن محمد بن سيار الحمصي به سوى قوله: وقال غيره «ولا الناعت بقى، ولا المنعوت له» وكذا أخرجه المقدسي في الرقة(٣ / ٨٤ / ب) وقد روى غير واحد بعض كلامه متفرقا:

فالشطر الأول: أخرجه ابن المبارك (في زيادات نعيم بن حماد لزهده ٢٥) قال: أنا سفيان: قال: قيل للربيع، وذكره ورد في آخره: فما بقى المداوَى ولا المداوِى إلا قد فنى، ومن طريقه أخرجه الفسوى في المعرفة والتاريخ (٢ / ٥٧١)، والبيهقي في الشعب (٣ / ٢ / ٣١٣) وأورده الذهبي عن الثوري في سير أعلام النبلاء (٤ / ٢٦١)

وأخرجه ابن سعد في طبقاته (٦ / ١٩٢) عن عمر بن حفص، عن حوشب، عن الحسن قال: قيل للربيع، وذكر نحوه، وفيه: كان فيهم الواصف، والموصوف له، فما بقى الواصف والموصوف له إلا قد فنى.

وأخرجه ابن أبي شبية في المصنف (٢ / ٢/ ٢٥٤ / ١) و ط/ ١٣ / ٣٩٩ـ ٣٩٤ والطب رقم ٣٤٧٩) وهناد بن السرى في زهده (رقم ٣٨٣) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٢ / ١٠٦) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن عبد الملك بن عمير قال: قيل للربيع: ألا ندعو لك طبيبا؟ قال: أنظروني، فتفكر، ثم قال: **﴿وعادا وثمودا وأصحاب الربس وقرونا بين ذلك كثيرا﴾** قال: فذكر من حرصهم على الدنيا ورغبتهم، وما كانوا فيها، وقال: قد كانت فيهم أطباء وكان فيهم مرضى، فلا أرى المداوَى بقى، ولا أرى المداوِى وأهلك الناعت، والمنعوت، ولا حاجة لي فيه، ولا والله لا تدعون لي طبيبا.

وأخرجه ابن أبي شيبة أيضا عن سعيد بن عبد الله، ونسير ابن ذعلوق، عن بكر بن ماعز نحوه (٢ / ٢ / ٢٦٦ / ب / ١٤ / ١٦) وقال أبو نعيم: وورواه نسير بن ذعلوق، عن بكر ابن ماعز، عن الربيع نحوه.

أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار (٦ / ٣٠٨ـ٣٠٩) قال: المحاربي عن عبد الملك بن عمير قال: قيل للربيع في مرضه ... إلخ.

والشطر الثاني: أخرجه ابن سعد (٦ / ١٨٦) عن خلف ابن تميم، ثنا سعيد بن عبد الله بن الربيع بن خثيم، عن نسير ابن ذعلوق قال: قيل للربيع: ألا تذم الناس؟ فذكره.

وأخرج نحوه الإمام أحمد في الزهد (٣٣٦) عن عبد الرحمن، حدثنا مفضل بن يونس قال: ذكر عند الربيع رجل، فقال: ما أنا على نفسي براض ... إلخ.

والشطر الثالث: أخرجه وكيع في زهده رقم (٥٢٨) وابن المبارك في الزهد (زيادات نعيم بن حماد ٣٨) عن سفيان، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن الربيع قوله، وأشار إليه أبو نعيم في الحلية (٢ / ١١١).

وأخرجه ابن أبي شيبة (٢ / ٢ / ٢٥٣ / ب، ط ١٣ / ٣٩٣ ـ ٣٩٤) عن ابن مهدى، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١ / ١٠٩) عن الربيع قوله، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤ / ٢٥٩) وأخرجه الفسوى في المعرفة والتاريخ (٢ / ٥٦٤) وابن سعد في الطبقات (٦ / ١٨٥) والبيهقي في الزهد (٣ / ٦٧ / أ وط / ١٤ / ١٦) كلهم من طريق سفيان، عن الربيع، وأخرجه ابن أبي شبيه (٢ / ٢ / ٢٢٦ / ب) وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (٣٣٠) من طريق سعيد بن عبد الله بن ربيع بن خثيم، عن نسير بن ذعلوق، عن بكر بن ماعز، عن الربيع، وأشار إليه أبو نعيم، فقال: رواه نسير بن ذعلوق عن بكر بن ماعز عنه مثله.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٢ / ١٠٩) والبيهقي في الزهد (٣ / ٦٧ / أ) من طريق سفيان بن وكيع، عن سفيان ابن عيينة، عن عمر بن ذر، عن الربيع نحوه.

والشطر الرابع: أخرجه ابن أبي شيبة (٢ / ٢ / ٢٦٥ / ب، ط/ ١٤ / ١٤، ١٣ / ٥٨٤) وأحمد في الزهد (٣٣٩) وابن سعد في طبقاته (٦ / ١٨٢ ـ ١٨٣) وأبو نعيم في الحلية (٢ / ١٠٦) من طريق عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا عبد الله بن الربيع بن خثيم، قال: حدثنا أبو عبيد بن عبد الله بن مسعود قال: كان الربيع بن خثيم إذا دخل على عبد الله لم يكن عليه يومئذ إذن لأحد حتى يفرغ كل واحد من صاحبه قال: وقال له عبد الله: يا أبا يزيد! لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين.

وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء فقال: روى عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود.

قلت وفيه إشارة إلى انقطاع فى السند حيث لم يسمع أبو عبيدة من أبيه، ولكن أورده ابن حجر فى تقريب التهذيب بقوله قال له ابن مسعود لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك (١ / ٢٤٤) وفيه إشارة إلى صحة نسبة هذا القول إلى ابن مسعود من طرق أخرى، فأخرجه ابن سعد(٦ / ١٨٣) عن أحمد بن عبد الله بن يونس، ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم قال كان عبد الله إذا رأى الربيع بن خثيم قال : وبشر المخبتين.

وخرجه ابن المبارك فى الزهد عن ابن عون، عن مسلم أبى عبد الله قال : كان عبد الله إذا رأى الربيع بن خثيم قال : وبشر المخبتين.

وأخرج أحمد فى الزهد (٣٣٦) عن محمد بن فضيل، عن أبيه، عن سعيد بن مسروق، قال : قال عبد الله بن مسعود للربيع بن خثيم والله لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك

وأخرجه ابن أبى شيبة (٢ / ٢/ ٢٦٦ / ب و ط / ١٤ / ١٤) وعبد الله بن أحمد فى زوائد زهد أبيه (٣٣٣) من طريق سعيد بن عبد الله عن نسير بن ذعلوق، عن بكر بن ماعز قال : كان ابن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم مقبلا، قال : بشر المخبتين، لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك.

وأخرج أبو نعيم فى الحلية (٢ / ١٠٦) عن أحمد بن محمد بن سنان قال : ثنا محمد بن إسحاق، قال : ثنا محمد ابن الصباح، قال : حدثنا جرير، عن إسماعيل، عن حماد ابن أبى سليمان قال : كان ابن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم قال : مرحبا يا أبا يزيد! ويجلسه إلى جنبه ويقول : لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك.

قال الذهبى بعد إيراد هذا الأثر : فهذه منقبة عظيمة للربيع.

والشطر الخامس : أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد (٣٣٣) عن أحمد بن إبراهيم، ثنا مهدى، ثنى ابن المبارك قال : كتب الربيع بن خثيم إلى أخ له، وذكر نحوه.

أخرج له البخارى، ومسلم، وأبو داود فى القدر، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه) (زهد الثمانية / ٤١ ـ ٤٨).

ويذكر الدكتور مصطفى حلمى «الربيع بن خثيم» فى مدرسة الكوفة من بين الزهاد الأوائل فى دراسة له عن الحياة الروحية الخالصة فى القرون الأولى فيقول وقد كتب اسمه «خيثم» بالياء قبل الثاء :

يصفه ابن حبان فيقول : « من عباد أهل الكوفة وزهادهم، والمواظبين منهم على الورع الخفى والعبادة الدائمة» (مشاهير علماء الأمصار / ٩٩ ، ١٠٠).

ولعل إشارة ابن حبان التى يذكر فيها عبارة الورع الخفى قد استقاها من دراسته لحياة الربيع، فهى فى الواقع نموذج من العباد الذين عاشوا فى رحاب المعانى العميقة للكتاب والسنة، فكان كثيرا ما يردد كلمات السرائر وأراد تطبيقها حرفيا، ونجح فى ذلك إلى أبعد حد حتى وصف بأنه من المخبتين.

أراد الربيع تحقيق الحياة الجادة التى يكون العمل فيها لله تعالى وحده لأن كل «ما لا يراد به وجه الله يضمحل» ولهذا كلما أكثرت ابنته فى استئذانه للذهاب لتلعب، أخذ يردد عليها قوله («اذهبى فقولى خيرا») ولما اشترك بعض أصحابه فى الاستئذان لها ملحين عليه أجابهم «لا أحب أن يكتب علىَّ اليوم أنى أمرت باللعب»!!

ونلاحظ اتفاقه مع غيره فى رغبته تحقيق هيمنة الكتاب على أقوال المسلمين وأفعالهم، وأن يهدفوا إلى تحقيق العبودية لله عز وجل وحده. فالكلام فى رأيه ليس له من فائدة إلا إذا اقترن بالتسبيح والتكبير والحمد لله وحده وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر «ومسألة الخير والاستعاذة من الشر».

وسنجد اتفاقا بين هذه النظرية ـ نظرية هيمنة كتاب الله تعالى على المسلمين عند ابن تيمية مدعمة بالأسانيد والأدلة من القرآن والحديث. كذلك يذكرنا الربيع بنصيحة ابن تيمية الذى كان يوصى فيها المسلمين بقراءة أواخر سورة الأنعام **﴿قال تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾** [آية ١٥١] إلى أن بلغ **﴿لعلكم تتقون﴾** [آية ١٥٣].

إننا نفسر هذا الترابط والالتحام الشديدين بين اثنين : أحدهما عاش فى عصر الصحابة والتابعين والثانى فى القرن الثامن الهجرى بأن النظر فى النصوص يخلق تواردا فى الخواطر يتشابه فى خطوطه العريضة ـ إن لم يتطابق ـ مهما

بَعْد الزمن، وربما ينجم الاختلاف بسبب مؤثرات العصور التى عاش فيها شيوخ المدرسة السلفية.

وكان الربيع بن خيثم [خثيم] ينصح المسلمين بأن يطبقوا هذه القواعد فى حياتهم أيضا، فيعملوا العمل الصالح ولا يقولوا إلا الخير لأن الحسنات يذهبن السيئات وأن يكثروا من ذكر الموت.

وتعددت أمامه المقارنات بين المسلمين السابقين وبين معاصريه فيبكى حتى تبتل لحيته ثم يقول «أدركنا قوما كنا فى جنوبهم [جنبهم] لصوصا».

وكان ربيع يتمثل النار ويخشاها أيضا، ويبدو أن اتجاه الخوف قد سرى إلى الكوفة من شيوخ البصرة - وفى مقدمتهم الحسن البصرى - فترى الربيع يمر بالحدادين، فإذا نظر إلى الكير وما فيه خَرَّ، ويصيح فى المسلمين ليُعْنوا بسرائرهم قبل علانيتهم، فالسرائر خافية عن الناس ولكنها بواد لله، وينصحهم بالتماس دواء السرائر فى كلمتين هما «أن تتوب ثم لا تعود».

ولما بلغه مقتل الحسين، لم يجد تعليقا إلا من آيات الله نفسها فأخذ يتلو من الكتاب ﴿ **قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾[الزمر: ٤٦].

فلم تكن هذه الأقوال إلا تطبيقا لما أتت به النصوص التى فهمها، وكان ينصح المسلمين بالنظر فيها ودراستها. إذ نقرأ له فى سياق نصوص أخرى نصائحه للمسلمين بالإلحاح فى دراسة الآيات والأحاديث والاجتهاد فى استيعابها بمثل قوله «لا كل ما أنزل على محمد أدركتم، ولا كل ما تقرؤون تدرون ما هو» وكان رأيه فى الحديث الذى يدل على عمق الخبرة به «إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار تعرفه، وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل تنكره».

ويذكر ابن سعد أن الربيع مات بالكوفة فى ولاية عبيد الله ابن زياد عليها (الزهاد الأوائل / ٩٥ - ٩٧).

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ١٤٤ والطبقات الكبرى للإمام الشعرانى ١ / ٢٥ وزهد الثمانية من التابعين لعلقمة بن مرثد رواية ابن أبى حاتم - حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائى / ٤١ - ٤٨، والزهاد الأوائل - د. مصطفى حلمى / ٩٥ - ٩٧. انظر أيضا حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبى نعيم الأصفهانى ٢ / ١٠٥ - ١١٨).

*** الربيع بن زياد الحارثى (-٥٣ هـ / ٦٧٣ م):**

الربيع بن زياد بن أنس الحارثى، من بنى الديان: أمير فاتح، أدرك عصر النبوة، وولى البحرين، وقدم المدينة فى أيام عمر، وولاه عبد الله بن عامر سجستان سنة ٢٩ هـ ففتحت على يديه. له مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخبار. وكان شجاعا تقيا. قال عمر لأصحابه يوما: دلونى على رجل إذا كان فى القوم أميرا فكأنه ليس بأمير، وإذا لم يكن بأمير فكأنه أمير. فقالوا: ما نعرفه إلا الربيع بن زياد فقال: صدقتم. توفى فى إمارته

(الأعلام للزركلى ٣ / ١٤).

*** الربيع بن سليمان الأزدى الجيزى:**

انظر: الربيع الجيزى

*** الربيع بن سليمان بن عبد الجبار:**

انظر: الربيع المرادى.

*** الربيع بن صبيح (- ١٦٠ هـ / ٧٧٧ م):**

ذكره الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الخامسة من التابعين وقال عنه: الربيع بن صبيح، البصرى العابد، الإمام مولى بنى سعد، من أعيان مشايخ البصرة. حدث عن: الحسن ومحمد بن سيرين، وعطاء بن أبى رباح، وثابت البنانى، وجماعة.

وعنه: وكيع، وابن مهدى، وأبو الوليد، وآخرون. روى عباس، عن ابن معين: ثقة. وقال أحمد: لا بأس به. ذكره شُعبة فقال: هو عندى من سادات الناس قلت: كان كبير الشأن، إلا أن النسائى ضعفه. توفى بالسند غازيا سنة ستين ومائة (تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ٢٥٩).

وقد ذكره القاضى المباركبورى فى الرجال الذين قدموا السند والهند من بلادهم ثم رجعوا أو عاشوا وماتوا فى السند والهند فقال عنه تحت عنوان «الربيع بن صبيح البصرى»:

أبو بكر، ويقال: أبو حفص الربيع بن صبيح السعدى

البصرى، مولى بنى سعد بن زيد مناة، صاحب الحسن البصرى، روى عن الحسن البصرى وحميد الطويل ويزيد الرقاشى وأبى الزبير وأبى غالب صاحب أبى أمامة وثابت البنانى ومجاهد بن جبر وغيرهم. وروى عنه سفيان الثورى ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدى وأبو داود الطيالسى، وأبو الوليد الطيالسى، وآدم بن أبى إياس وعاصم ابن على وغيرهم. كان من أتباع التابعين، وكان رجلا صالحا، عابدا مجاهدا، قال ابن عدى:

له أحاديث صالحة مستقيمة، ولم أر له حديثا منكرا أبدا. وأرجو أنه لا بأس به ولا بروايته. وقال العقيلى فى الضعفاء: بصرى سيد من سادات المسلمين وقال العجلى: لا بأس به. وقال الفلاس: ليس بالقوى. وقال الحاكم: ليس بالمتين عندهم. وحكى بشر بن عمر عن شعبة أنه عظَّم الربيع بن صبيح. وقال ابن حبان: كان من عباد أهل البصرة وزهادهم، وكان يشبه بيته بالليل ببيت النحل من كثرة التهجد، إلا أن الحديث لم يكن من صناعته، فكان يهم فيما يروى حتى وقع فى أحاديثه المناكير من حيث لا يشعر، لا يعجبنى الاحتجاج به إذا انفرد. وذكر الرامهرمزى فى المحدث الفاضل: أنه أول من صنف بالبصرة. وقال ابن سعد فى الطبقات: خرج غازيا إلى الهند فى البحر فمات فى جزيرة من الجزائر سنة ستين ومائة فى أول خلافة المهدى أخبرنى بذلك شيخ من أهل البصرة كان معه، وكان ضعيفا فى الحديث، وقد روى عن الثورى، وأما عفان فتركه فلم يحدث عنه. وقال البلاذرى: كان الربيع بن صبيح الفقيه ـ وهو مولى بنى سعد ـ جمع مالا من أهل البصرة، فحصن به عبادان وربط فيها، والربيع يروى عن الحسن البصرى وكان خرج غازيا إلى الهند فى البحر، فمات فدفن فى جزيرة من الجزائر فى سنة ستين ومائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٢٥٩، ورجال السند والهند إلى القرن السابع ـ جمعه وألفه وحققه القاضى أبو المعالى أطهر المباركبورى / ٤٠٢، ٤٠٣).

*** الربيع بن مسلم (ـ ١٦٧ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الخامسة من التابعين وقال عنه: الإمام الثقة أبو بكر القرشى الجُمحى، مولاهم البصرى. حدث عن: الحسن البصرى، ومحمد بن زياد، صاحب أبى هريرة ـ وغيرهما.

حدث عنه يحيى بن سعيد القطان، وأبو داود، وعدة. وثقه أبو حاتم الرازى، وما ليَّنه أحد، واحتج به مسلم.

توفى سنة سبع وستين ومائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ١ / ٢٥٩).

*** الربيع بن يحيى (ـ ٢٢٤ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الحادية عشرة وقال عنه: ابن مقسم الأشنانى، الإمام الحافظ الحجة أبو الفضل المرئى البصرى. حدث عن شعبة، ومالك بن مِغْوَل، وزائدة بن قدامة، وطبقتهم.

وعنه البخارى وأبو داود، وحرب الكرمانى، وأبو زرعة الرازى وآخرون. قال أبو حاتم ثقة ثبت، وأما الدارقطنى فليَّنه.

مات سنة أربع وعشرين ومائتين، وكان معمرا من أبناء التسعين.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٣٨٦).

*** الربيع بن يونس (ـ ١٦٩ أو ١٧٠ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة العاشرة وقال عنه: الوزير، الحاجب الكبير، أبو الفضل الأموى، من موالى عثمان ـ رضى الله عنه ـ حجب للمنصور، ثم وزر له بعد أبى أيوب الموريانى، وكان من نبلاء الرجال وألبَّائهم وفضلائهم.

توفى سنة تسع وستين ومائة، وقيل: فى أول سنة سبعين، وعمل حجابة الرشيد ابنه الفضل بن الربيع.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ١ / ٢٦٦).

*** الرُّبيِّع بنت معوذ (نحو ٤٥ هـ / ـ نحو ٦٦٥ م):**

قال عنها الإمام النووى: الربيع بنت معوذ بن عفراء الصحابية الأنصارية مذكورة فى أول صفة الوضوء وفى أوائل السير من المهذب وهى بضم الراء وفتح الباء الموحدة وكسر

الياء المشددة ومعوذ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو وبعدها ذال معجمة هذا هو الأشهر وحكى فيه صاحب المطالع كسر الواو وفتحها وحكى عن بعضهم أنه لا يجيز الكسر. وعفراء بعين مهملة مفتوحة ثم فاء ساكنة ثم راء ثم ألف ممدودة وهى الربيع بنت معوذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث الأنصارية وهى ممن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة بيعة الرضوان. روى عنها أهل المدينة وأبوها معوذ هو أحد الذين قتلوا أبا جهل بن هشام عدو الله يوم بدر (تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٣٤٣)

وقد أدرجها الإمام شمس الدين الذهبى فى صغار الصحابة وقال عنها : الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية من بنى النجار. لها صحبة ورواية، وقد زارها النبى ﷺ صبيحة عرسها صلة لرحمها وروت أحاديث (تهذيب ١ / ٩٥).

وفى صحيح البخارى عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ رضى الله عنهما قالت دخل النبى ﷺ غداة بُنى بى فجلس على فراشى كمجلسك هذا منى وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت أحداهن وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال النبى ﷺ : «لا تقولى هذا وقولى ما كنت تقولين». وفى رواية «دعى هذه وقولى الذى كنت تقولين» وفى البخارى عن خالد أيضا عنها قالت كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة. (تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٣٤٣).

وكان النبى ﷺ كثيرا ما يغشى بيتها فيتوضأ ويصلى ويأكل عندها (الأعلام ٣ / ١٥).

وفى الصحيحين عن خالد بن ذكوان أيضا عنها قالت أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التى حول المدينة من كان أصبح صائما فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية يومه، فكنا بعد ذلك نصومه ونصوِّمه صبياننا الصغار منهم ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها إياه حتى يكون عند الإفطار (تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٣٤٣، ٣٤٤).

قال صاحب الرياض المستطابة.

قَتل أبوها وعمها أبا جهل بن هشام يوم بدر ثم استشهد معوذ رضى الله عنه يومئذ بعد أبى جهل. خرَّج حديثها الجماعة ولها فيهما ثلاثة أحاديث أحدها متفق عليه وهو حديث صيام يوم عاشوراء والآخران للبخارى. روى عنها أبو سلمة وعمرو بن شعيب. وعمرت كثيرا ولا أحقق موتها (الرياض المستطابة / ٣٢٢) قال الزركلى : عاشت إلى أيام معاوية. الأعلام ٣ / ١٥، وقال الذهبى : توفيت فى خلافة عبد الملك سنة بضع وسبعين رضى الله عنها (تهذيب ١ / ٩٥).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام أبى زكريا محيى الدين بن شرف النووى ٢ / ٣٤٣، ٣٤٤، وتهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ــ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٩٥، والأعلام للزركلى ٣ / ١٥، والرياض المستطابة، للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٣٢٢. انظر أيضا الإصابة فى تمييز الصحابة للحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ٨ / ٧٩).

*** الرُّبَيّع بنت النضر بن أنس:**

قال عنها الإمام النووى : مذكورة فى القصاص، وهى بضم الراء وفتح الباء وكسر الباء مثل التى قبلها صحابية أنصارية نجارية من بنى عدى بن النجار، وقد تقدم تمام نسبها فى ترجمة أخيها أنس بن النضر (انظر ترجمته فى م ٦ / ١٥٥، ١٥٦) وهى عمة أنس بن مالك، وهى أم حارثة بن سراقة الذى استشهد بين يدى رسول الله ﷺ ببدر فأتت أمه الربيع رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله : أخبرنى عن حارثة فإن كان فى الجنة صبرت واحتسبت، وإن كان غير ذلك اجتهدت فى البكاء، فقال : إنها جنات وأنه أصاب الفردوس الأعلى.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام أبى زكريا محيى الدين بن شرف النووى ٢ / ٣٤٤).

*** ربيع الجنان فى المعانى والبيان:**

ربيع الجنان فى المعانى والبيان ــ لحسام الدين حسن بن على الأبيوردى الخطيب الشافعى المتوفى سنة ٨١٦ ست عشرة وثمانمائة.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٣٣).

*** الربيع الجيزى (ـ ٢٥٦ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الرابعة عشرة وقال عنه تحت عنوان «الربيع بن سليمان الأزدى» : مولاهم

المصرى الجيزى الأعرج سمع من ابن وهب، والشافعى أيضا. روى عنه أبو داود، والنسائى، والطحاوى، وآخرون مات سنة ست وخمسين ومائتين (تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ٤٩٢).

وقد أدرجه الإمام الحسينى فى طبقات الشافعية وقال عنه تحت عنوان «الربيع الجيزى»: هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود الأزدى الجيزى، منسوب إلى الجيزة (بالجيم والزاى المعجمة)، بلدة معروفة فى مقابلة مصر، ولا ذكر لنقله فى كتب المذهب إلا فى موضعين، أحدهما فى «الشهادات» نقل عنه الرافعى، فى «العزيز» أنه روى عن الشافعى كراهة القرآن باللحان، والثانى نقل عنه فى المذهب وغيره، أنه روى عن الشافعى: إن الشعر يطهر بالدباغ تبعا للجلد وأما الربيع المرادى (تأتى ترجمته فيما بعد إن شاء الله تعالى) فالنقل عنه كثير، قال الأستائى وغيره: إذا أطلق الربيع فالمراد به هو المرادى اهـ. وجاء فى هامش ٢٥ للمحقق الأستاذ عادل نويهض ما يلى: الربيع الجيزى صاحب الإمام الشافعى، ولكنه كان قليل الرواية عنه. قال ابن خلكان: «وإنما روى عن عبد الله بن عبد الحكم كثيرا، وروى عنه أبو داود والنسائى» وقال ابن خلكان عن النسبة «الجيزى» هذه النسبة إلى الجيزة، وهى بُليدة فى قبالة مصر يفصل بينهما عرض النيل. والجيزة اليوم مدينة عدد سكانها نحو ٧٠ ألفا، وهى قاعدة محافظة الجيزة ا هـ (طبقات الشافعية / ٢٥).

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد. ١ / ٤٩٢، وطبقات الشافعية لأبى بكر بن هداية الله الحسينى ـ حققه وعلق عليه عادل نويهض / ٢٥ والهوامش للمحقق).

انظر مادة «الجيزة» فى م ١٢ / ٥٧٣ ـ ٢٧٥.

*** ربيع القطان (٢٨٨-٣٣٣ هـ / ٩٠١-٩٤٥م):**

ربيع بن سليمان بن عطاء الله، أبو سليمان القطان، يرفع نسبه إلى قريش، زاهد من الكُتَّاب، العلماء بالتفسير والحديث والوثائق. من أهل القيروان. كان له حانوت يبيع فيه القطن ويأتيه إليه الناس يسألونه فى بعض العلوم. وحج سنة ٣٢٤ هـ، فلما عاد انصرف إلى علم «الباطن» والنسك والعبادة ... قال القاضى عياض: شعره كثير وخطبه ورسائله كثيرة معقدة مشطحة على طرائق كلام الصوفية ورموزهم. ثم كان ممن خرج لنصرة مخلد بن كيداد على العبيديين فقتل شهيدا فى حصار المهدية (الأعلام ٣ / ١٥).

قال عنه الحافظ الداودى: كان من الفقهاء المعدودين، والعُباد المجتهدين، والنساك، أهل الورع والدين، عالما بالقرآن قراءة وتفسيرا ومعنى. حافظا للحديث ومعانيه، وعلله وغريبه ورجاله، حافظا للفقه، حسن الكلام على معانيه، قويا على المناظرة حافظا «للمدونة» وغيرها (المدونة الكبرى كتاب من أجل الكتب فى الفروع المالكية. ألفه الإمام مالك بن أنس رواه الإمام سحنون عن ابن القاسم العتقى. المنجد / ٤٨٩).

كان معتنيا بالمسائل والفقه، وكانت له بجامع القيروان حلقة يحضرها أبو القاسم بن شبلون وغيره، أيام أبى زيد، ذكره المالكى.

وكان تفقه عند أحمد بن نصر ولازمه، وصار من كبار أصحابه، وكان عالما بالوثائق حسن الخط، أخذها عن ابن زياد، وأخذ النحو واللغة عن أبى على المكفوف وغيره

وكان يؤلف الخطب والرسائل ويقول الشعر، وكان لسان إفريقية فى وقته فى الزهد والرقائق.

سمع أحمد بن زياد، وابن اللباد، والتمار، والفضل، وابن نصر، وابن أبى زاهر، وأبا محمد بن رشد، وأبا محمد ابن يزيد المقرئ، وغيرهم. وبمصر من مأمون. وبمكة من ابن شاذان الجلاب، وغيره.

ووصف بالزهد والخير، وذهب إلى علم الباطن والنسك والعبادة ومن حِكَمه: الدنيا أملٌ ووجلٌ، والآخرة جزاء وعمل، والمتوسط بينهما أجل.

ويقال إنه كان يجتمع بالخضر، قتل شهيدا سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (فى الأعلام ٣ / ١٥ سنة ٣٣٣) ومولده سنة ثمان وثمانين ومائتين (طبقات المفسرين ١ / ١٧٠، ١٧١).

(الأعلام للزركلى ٣ / ١٥، وطبقات المفسرين للداودى ـ بتحقيق على محمد عمر ١ / ١٧٠، ١٧١، والمنجد / ٤٨٩).

***ربيع القلوب وروح الغيوب فى ذكر أسماء المحبوب:**

وهى رسالة فى فضل الذكر لأحد من علماء القرن السابع فرغ منها فى سنة ٦٠٨ ثامن شهر صفر.

(كشف الظنون ١ / ٨٣٣).

*** الربيع المرادى (١٧٣ أو ١٧٤-٢٧٠ هـ / ٧٩٠-٨٨٤ م):**

أدرجه كل من الأسنوى (طبقات الشافعية ١ / ٣٠) والحسينى (طبقات الشافعية / ٢٤)تحت اسم «الربيع المرادى»، وأدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الرابعة عشرة تحت عنوان « الربيع بن سليمان»وقال عنه: الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل، الإمام المحدث الفقيه الكبير، بقية الأعلام، أبو محمد، المرادى، مولاهم المصرى المؤذن، صاحب الإمام الشافعى وناقل علمه، وشيخ المؤذنين بجامع الفسطاط، ومستملى مشايخ وقته. مولده فى سنة أربع وسبعين ومائة أو قبلها بعام.

سمع عبد الله بن وهب، وأبا صالح، وعددا كثيرا. حدث عنه أبو داود، وابن ماجه، والنسائى وأبو عيسى بواسطة فى كتبهم، وخلق كثير من المشارقة والمغاربة، واشتهر اسمه، وازدحم عليه أصحاب الحديث. ونعم الشيخ كان، أفنى عمره فى العلم ونشره، ولكن ما هو بمعدود من الحفاظ، وإنما كتبته فى« التذكرة » وهنا لإمامته وشهرته بالفقه والحديث.

قال النسائى وغيره: لا بأس به، وقال أبو سعيد بن يونس وغيره: ثقة

قلت: قد كان من كبار العلماء، ولكن ما يبلغ رتبة المزنى، كما أن المزنى لا يبلغ رتبة الربيع فى الحديث.

مات فى شوال سنة سبعين ومائتين (تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ٤٩١، ٤٩٢)

قال الحسينى: روى «الأم» وغيرها من الجديد (يقصد بالجديد مصنفات الشافعى التى وضعها بمصر و«الأم» أشهر تصانيف الإمام الشافعى فى الفقه، وهو سبع مجلدات، جمعه البويطى، وبوبه الربيع بن سليمان) (طبقات الشافعية للحسينى / ٢٤).

قال الشافعى فيه: إنه أحفظ أصحابى.

رحلت الناس إليه من أقطار الأرض ليأخذوا عنه علم الشافعى، ويرووا عنه كتبه. ذكره النووى فى «تهذيبه» وأنشد ابن خلكان له

صبرا جميلا ما أسرع الفرجا
من صدّق الله فى الأمور نجا

من خشى الله لم ينله أذى
ومن رجا الله كان حيث رجا

(طبقات الشافعية للأسنوى ١ / ٣٠)

هذا وقد أدرجه الزركلى (الأعلام ٣ / ١٤) تحت اسم «أبو محمد)

له ترجمة: فى: شذرات الذهب٢ / ١٥٩، ووفيات الأعيان ٢ / ٥٢، ٥٣، وطبقات الفقهاء الشافعية / ١٢ - ١٤، والانتقاء / ١١٢، وتهذيب التهذيب ٣ / ٢٤٥ (طبقات الشافعية / ٢٤ هامش (١) للمحقق).

(طبقات الشافعية لعبد الرحيم الأسنوى، كمال يوسف الحوت ١ / ٣٠ وطبقات الشافعية لأبى بكر بن هداية الله الحسينى - حققه وعلق عليه عادل نويهض / ٢٤ وهوامش المحقق وتهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٤٩١، والأعلام للزركلى ٣ / ١٤ انظر أيضا الرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ١٤ ومرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلى / ٤١٩).

*** ابن الربيع (٥٢٨-٦٠٦ هـ / ١١٣٤-١٢١٠م):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الثانية والثلاثين وقال عنه: الشيخ الإمام العلامة ذو الفنون مجد الدين أبو على يحيى ابن الإمام الفقيه أبى الفضل الربيع بن سليمان بن حراز العمرى الواسطى الشافعى الأصولى مدرس النظامية. ولد بواسط سنة ثمان وعشرين وخمسمائة.

وقرأ بالروايات على جده لأمه أبى يعلى محمد بن سعد بن تركان، وعلّق الخلاف ببلده عن القاضى أبى يعلى بن الفراء الصغير، إذ ولى قضاء واسط. وسمع فى صغره كثيرا من أبى الكرم بن الجَلَخت، وغيره، وارتحل إلى بغداد، فتفقه بها على مدرس النظامية أبى النجيب، وسمع من ابن ناصر، وأبى الوقت، وعبد الخالق بن الشَّحّامى، ومضى رسولا من الديوان إلى صاحب غزنة، فحدَّث هناك فى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وبلغ من الحشمة والجاه رتبة عالية.

قال الدبيثى: كان ثقة صحيح السماع عالما بالمذهب وبالخلاف والتفسير والحديث كثير الفنون.

وقال أبو شامة: كان عالما بالتفسير والمذهب والأَصْلَيْن والخلاف دينا صدوقا.

حدث عنه ابن الدبيثى، وابن النجار، وآخرون، وتوفى سنة ست وستمائة (تهذيب سير أعلام النبلاء ٣/ ١٦٣، ١٦٤).

قال الزركلى: ولى تدريس النظامية والنظر فى أوقافها. ومات ببغداد له كتاب فى «تفسير القرآن» أربع مجلدات، واختصار «تاريخ بغداد» و «ذيل ابن السمعانى» (الأعلام ٨ / ١٤٤).

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ٣/ ١٦٣، ١٦٤، والأعلام للزركلى ٨/ ١٤٤).

*** ابن أبى الربيع (عبيد الله) (٥٩٩ ـ ٦٨٨ هـ / ١٢٠٣ ـ ١٢٨٩ م):**

عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الإمام أبو الحسين بن أبى الربيع القرشى الأموى العثمانى الإشبيلى. هكذا نسبة الحافظ السيوطى فى بغية الوعاة وقد وقع خطأ طبعى فجاء فى أول الاسم «عبد الله» بدلا من «عبيد الله».

قال عنه السيوطى: إمام أهل النحو فى زمانه، ولد فى رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وقرأ النحو على الدبَّاج والشلوبين، وأذن له أن يتصدر لإشغاله، وصار يرسل إليه الطلبة الصغار، ويحصل له منهم ما يكفيه، فإنه كان لا شىء له. وأخذ القراءات عن محمد بن أبى هارون التيمى، وسمع من القاسم بن بقى وغيره.

وجاء إلى سبتة لما استولى الفرنج على إشبلية، وأقرأ بها النحو دهره. ولم يكن فى طلبة الشلوبين أنجب منه.

أخذ عنه محمد بن عبيدة الإشبيلى وإبراهيم الغافقى وخلق، وروى عنه جماعة، منهم بالإجازة أبو حيان.

وصنف: شرح الإيضاح، الملخص، القوانين [النحوية] كلاهما فى النحو، شرح [كتاب] سيبويه، شرح الجُمل، عشرة مجلدات، لم يشذ عنه مسألة فى العربية.

مات سنة ثمان وثمانين وستمائة، وخلَّفه فى حلقته تلميذه أبو إسحاق بن أحمد الغافقى. أسندنا حديثه فى الطبقات الكبرى، وذكر فى جمع الجوامع (بغية الوعاة ٢/ ١٢٥، ١٢٦).

ويضيف الزركلى إلى مصنفات ابن الربيع: «الإفصاح فى شرح الإيضاح». مخطوط كبير. يقول الزركلى: إنه رأى السفر الرابع منه فى خزانة الرباط (٣٧٩ كتانى) و «الملخص» مخطوط (الأعلام ٤/ ١٩١).

ويقول الشيخ الطنطاوى عن مصنفات ابن الربيع.

جاء فى حاشية الشمنى على المغنى الباب الأول مبحث «لكن» أن كتاب «البسيط» من مؤلفاته، ومع أن ابن عقيل عند قول الناظم:

وفعل أمـــــر ومضى بنيـــا

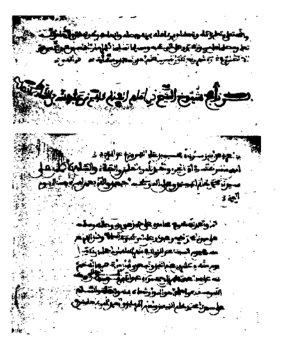
وأعـربـوا مضـارعـا إن عـريـا

قال: «ونقل ضياء الدين بن العلج فى البسيط»، وتابعه على ذلك السيوطى فى فهرس بغية الوعاة «باب الكنى والألقاب والأسماء والإضافات» عند حرف الباء ونصه: «صاحب البسيط ضياء الدين بن العلج أكثر أبو حيان وأتباعه من النقل عنه، ولم أقف له على ترجمة».

ويروى الشيخ الطنطاوى أنه وقعت مناظره بين ابن أبى الربيع وبين مالك بن المرحل هل يقال: «كان ماذا ؟» ونتج عنها مهاجاة بينهما نال فيها ابن الربيع من ابن المرحل، وصنف مؤلفا خاصا بمنعها، ولذا قال مالك:

عـــاب قـــوم كـــان مـــاذا

ليت شعـــرى لِـم هـــذا



عنوان وبداية كتاب «برنامج شيوخ ابن أبى الربيع الأندلسى» جمع القاسم بن عبد الله بن الشاط المتوفى سنة ٧٢٣ هـ/١٣٢٣ م، من نسخة أندلسية كتبت سنة ٨٩٢ هـ/١٤٨٧ م بخط عبد الله بن يوسف الزرهونى.
(إسبانيا: الإسكوريال ١٧٨٥ (٢٤) - معهد المخطوطات)

وإذا عـــــابـــــــوه جهـــــــلا

دون علـــم كــــــــان مــــــــاذا

(نشأة النحو / ٢٦٤ ، ٢٦٥).

وثمة مخطوط عن برنامج شيوخ ابن أبى الربيع (انظر صورته) الذى جمعه أبو القاسم وقد حقق نصه الدكتور عبد العزيز الأهوانى، وجاء التحقيق كما يلى:

الأصل المخطوط.

نحن نعلم - من ختام هذا النص - أن أبا القاسم بن الشاط قد فرغ من كتابة برنامج شيخه ابن أبى الربيع فى ذى القعدة سنة ٦٨٣ هـ. وكان الشيخ لا يزال حيا، قد جاوز الثمانين من عمره، وكان التلميذ قد بلغ الأربعين، وكلاهما كان فى مدينة سبتة من المغرب الأقصى. ولم تصل إلينا النسخة الأم التى بخط كاتب البرنامج. وإنما انتهت إلينا من الكتاب نسختان خطيتان، عليهما نعتمد فى نشر النص، ولا نعرف لهما ثالثة.

أما أولاهما فهى محفوظة فى المتحف البريطانى بمدينة لندن تحت رقم ٥٨١٤١٣ وهى نسخة قيمة جدا، بخط مغربى جميل حسن التنظيم واضح متقن. أكثر كلماتها مشكولة بالحركات. يشغل النص فيها تسع ورقات، وفى الصفحة واحد وعشرون سطرا، ومقياسها ١٢× ١٩ سم ويزيد من قيمة هذا الأصل أنه كتب فى حياة المؤلف سنة ٧٠٥ هـ، وأن ناسخ الكتاب عالم معروف هو محمد بن على بن هانىء اللخمى. أصله من إشبيلية، وقد عاش فى مدينة سبتة حتى نسب إليها. ومات فى جبل طارق فى سنة ٧٣٣ هـ، وله مؤلفات، وقد ترجم له أكثر من واحد فى الغرب والشرق.

ويزيد من قيمة هذه النسخة أيضا أنها وقعت فيما بعد بين يدى عالم آخر هو يحيى بن أحمد النفزى المعروف بالسراج (توفى سنة ٨٠٣ هـ فى مدينة فاس) وقد وضع السراج خطه فى آخر النسخة وفى أولها وعلى هوامشها. ونص ما كتبه فى آخر النسخة هو:

«بلغت المقابلة من أصلين صحيحين، أحدهما بخط أبى الحسن بن سليمان، والآخر عليه خط أبى القاسم التجيبى وخط غيره وهو منقول من خط مؤلفه ومقابل به. قاله يحيى النفزى» وهكذا لم يثن السراج كون النسخة بخط ابن هانىء عن مقابلتها بأصلين آخرين حرصا على الضبط و إخلاصا للعلم.

وأما الذى أثبته فى أول النسخة فنجده فى رأس الصفحة البيضاء التى يبدأ النص فى ظهرها حيث يقول «الحمد لله دائما. حدثنى بهذا البرنامج قراءة لبعضه، بل لجميعه، الشيخ الفقيه الحاج الصالح أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعينى عن مؤلفه وجامعه الشيخ الفقيه الأصولى النظار العالم أبى القاسم بن عبد الله بن محمد الأنصارى الشهير بابن الشاط كتابة. وحدثنى به إجازة فى الجملة الشيخ القاضى النزيه الخطيب البليغ المحدث المسند الراوية المكثر أبو البركات محمد بن أبى بكر محمد بن إبراهيم السلمى، عرف ببلده بابن الحاج، وفى سواه بالبلفيقى عن أبى القاسم بن الشاط المذكور إجازة، إن لم يكن سماعا. قاله وكتبه يحيى ابن أحمد النفزى، عرف بالسراج، فى العشر الوسط من صفر ثلاثة وتسعين وسبع مائة، والحمد لله حق حمده وصلى الله على محمد نبيه وعبده».

أما ما سجله السراج على هامش المتن - وهو يتصل بالسند - فقد نقله من طرر ابن سليمان المذكور صاحب الأصل الذى تمت المقابلة عليه. هذا إلى بعض ألفاظ يسيرة سقطت من ابن هانىء ووجدت فى النسخة الثانية التى اعتمدنا عليها فى نشر البرنامج.

وهذه النسخة الثانية محفوظة بمكتبة دير الأسكوريال بأسبانيا تحت رقم ١٧٨٥ وهى ضمن مجموعة بخط مغربى واضح، تبدأ من ورقة ٢٤ من المجموعة وتنتهى فى ورقة ٢٩ وفى الصفحة ٢٣ سطرا. ونعرف من ختام النسخة اسم ناسخها وتاريخ النسخ. وهذه ديباجة الختام:

«كمل والحمد لله بجميع محامده على جميل عوائده، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد نبيه وعبده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. وكان الفراغ منه فى يوم السبت عند الزوال فى شهر الله المبارك جمادى الأول يوم ستة وعشرين عام اثنين وتسعين وثمانمائة، عرفنا الله خيره بمنه، على يد العبد الفقير إلى رحمة مولاه عبد الله بن يوسف المرجانى، وفقه الله وسدده، وأصلح أحواله وأرشده بمنه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين و إمام المرسلين، والحمد لله

رب العالمين («نص برنامج ابن أبي الربيع» / ٢٥٢-٢٥٤).

(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢ / ١٢٥، ١٢٦، والأعلام للزركلي ٤ / ١٩١، ونشأة النحو - الشيخ محمد الطنطاوي / ٢٦٤، ٢٦٥، و«نص برنامج ابن أبي الربيع» - تحقيق د. عبد العزيز الأهواني مجلة معهد المخطوطات العربية معهد المخطوطات العربية. القاهرة الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م / ٢٥٢-٢٥٤).

*** ابن أبي الربيع (محمد بن عبد الرحيم) (٤٧٣-٥٦٥ هـ / ١٠٨٠-١١٧٠ م):**

محمد بن عبد الرحيم بن سليمان، أبو عبد الله وأبو حامد ابن أبي الربيع المازني القيسي الأندلسي الغرناطي، من علماء تخطيط البلدان، ولد بغرناطة ورحل إلى المشرق، فمات في دمشق. له كتب، منها.. «تحفة الألباب ونخبة الإعجاب» مطبوع. نشره المستشرق الفرنسي جبريل فران في المجلة الآسيوية، و «نخبة الأذهان في عجائب البلدان» مخطوط و «عجائب المخلوقات» مخطوط وله مجموع في «شرح أصول التوحيد» مخطوط في الظاهرية، ضمنه نقولا من «المعرب عن بعض عجائب المغرب» له. (الأعلام ٦ / ١٩٨، ٢٠٠).

وفيما يلي بيان طبعة «تحفة الألباب» التي أشار إليها الزركلي آنفا، كما أوردها المعجم الشامل:

تحفة الألباب ونخبة الإعجاب (الرحلة):

- عناية Gabriel Ferrand، مجلة Journal Asiatique المجلد ٢٠٧ (يوليو - سبتمبر) ١٩٢٥ م، ١٤٨ ص (١-١٤٨) م ٣١ ص، ف ١٢ ص الأعلام).

المجلد ٢٠٨، (أكتوبر، ديسمبر ١٩٢٥ م)، ١١٣ ص (١٩٣-٣٠٤) م ٥ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ١٢ ص، الأعلام.

- عناية casar. E. Dubler، مدريد: Editoria Maestre ١٩٥٣ م، ٤٢٨ ص، م ٣٢٠ ص (٤٩-٣٦٨) بالإسبانية، ف ٧٢ ص: الأعلام، البلدان، الاصطلاحات، المحتوى، الأخطاء.

- فرانكفورت: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ط ثانية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م، ٢٩٢ ص، م ٣١ ص، ف ١٢ أعلام. نشر تحت عنوان: (دراسات في الجغرافية العربية والإسلامية).

(المعجم الشامل ٣ / ٣٥، ٣٦).

(الأعلام للزركلي ٦ / ١٩٩، ٢٠٠، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع - جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٣٥، ٣٦).

*** أبو الربيع الإيلاقي (-٤٦٥ هـ):**

هو أبو الربيع طاهر بن محمد بن عبد الله الإيلاقي. تفقه بمرو على القفال، وببخاري على الحليمي، وبنيسابور على الزيادي، وأخذ الأصول عن الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني، مات سنة خمس وستين وأربعمائة.

و «إيلاق» هي ناحية ببلاد الشاش المتصلة بالترك..

له ترجمة في «الأنساب» لوحة ٥٥ أ، و «طبقات الشافعية الكبرى» ٥ / ٥٠ وهو فيه «طاهر بن عبد الله»، ومثله في «اللباب ١ / ١٠٧، ومعجم البلدان ١ / ٤٢١. وذكره العبادي في كتابه «طبقات الفقهاء الشافعية / ١١٣».

(طبقات الشافعية لأبي بكر بن هداية الله الحسيني - حققه وعلق عليه عادل نويهض / ١٦٦، ١٦٧).

انظر مادة «إيلاق» في م ٦ / ٢٨٠، ٢٨١.

*** أبو الربيع بن سالم (٥٦٥-٦٣٤ هـ / ١١٧٠-١٢٣٧ م):**

ذكره ابن قنفذ القسنطيني في وفيات سنة ٦٣٤ هـ فقال: وفي هذه السنة توفي الحافظ الراوية أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعي شيخ ابن الأبار (انظر ترجمته في م ٢ / ٦٧-٧٠) والقاضي ابن الغماز وغيرهما اهـ).

وهو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري: كان محور الحركة العلمية للأندلس بعصره، من أهل بلنسية، وولي قضاءها. قال ابن الأبار: «وكان هو المتكلم عن الملوك في مجالسهم، والمبين عنهم لما يريدونه، على المنبر في المحافل»، وقال الرعيني، «شيخنا هذا عالم بصناعة الحديث متقدم في نقدها، مبرز في المعرفة بطرق إسنادها، أجلّ من كان بقي من الأعلام الأكابر، وأخطب من أنشأ خطبة من رقاة المنابر، إلى براعة الآداب وحفالتها، والإجادة لإيجازها وإطالتها، وفضيلة

الذات وكمالها، وحسن الشارة وجمالها، حسنة عظمى من حسنات الزمان، ومفخرة يختص ببلده وتعم جميع البلدان» (كتاب الوفيات / ٣١٣).

قال الزركلى: صنف كتبا، منها «الاكتفا بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفا» مطبوع الجزء الأول منه، وبقيته مخطوط، وهو فى أربعة أجزاء، عندى، و «أخبار البخارى وترجمته» وكتاب حافل فى «معرفة الصحابة والتابعين». وله «جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة المعرى فى خطبة الفصيح» مخطوط رأيت نسخة منه فى المكتبة الأحمدية، بتونس، كتبت سنة ٦٥١ (ومنه نسخة أخرى فى دار الكتب (١٨١٩٣ ز) فى أولها صورة إجازة من المؤلف مؤرخة سنة ٦٢٩ لراويها عنه ابن عبد الله العبدرى (مخطوطات الدار ٢٢٣) وفى استانبول نسخة أخرى، ذكرها صاحب إيضاح المكنون ١ / ٣٨٧ و«برنامج رواياته» قال الرعينى: فى غاية الإتقان، و«الصحف المنشرة فى القطع المعشرة» و «مفاوضة القلب العليل فى معارضة ملقى السبيل» جزءان، و «حلية الأمالى فى الموافقات العوالى» أربعة أجزاء، وله كتب أخرى ذكرها الرعينى نقلا عن خطه. توفى شهيدا، والراية فى يده، فى وقعة أنيشة (الأعلام ٣ / ١٣٦).

وقد أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الرابعة والثلاثين وقال عنه: الإمام العلامة الحافظ المجود الأديب البليغ شيخ الحديث والبلاغة بالأندلس أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميرى الكلاعى البلنسى. ولد سنة خمس وستين وخمسمائة، وكان من كبار أئمة الحديث سمع أبا القاسم بن حبيش، وأبا عبد الله بن زرقون، وأبا محمد ابن الفرس، وخلقا سواهم.

قال ابن الأبار: وكان إماما فى صناعة الحديث، بصيرا به، حافظا حافلا، عارفا بالجرح والتعديل (انظر هذه المادة فى حرف الجيم فى م ١٢ / ١٠٩ ـ ١١٦) فردا فى إنشاء الرسائل مجيدا فى النظم، خطيبا. وله تصانيف مفيدة فى فنون عديدة.

روى عنه ابن الأبار، وطائفة من المشايخ لا أعرفهم.

قال أبو عبد الله بن الأبار: استشهد فى كائنة أنيشة على ثلاثة فراسخ من مرسية مقبلا غير مدبر فى العشرين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة.

وقال الحافظ المنذرى: وجمع مجاميع تدل على غزارة علمه وكثرة حفظه ومعرفته بهذا الشأن، كتب إلى بالإجازة فى سنة أربع عشرة وستمائة (انظر مادة «الإجازات العلمية» فى م ٢ / ٣٧٢ـ٣٨٣).

ثم يضيف الإمام الذهبى بيانا مفيدا لمن توفى من العلماء فى العام الذى توفى فيه أبو الربيع لا نجد بأسا من نقله هنا. يقول الذهبى رحمه الله: مات مع ابن سالم فى العام: المحدث العالم الملك المحسن أحمد ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وله سبع وخمسون سنة، والشيخ إسحاق بن أحمد بن غانم العلثى زاهد بغداد، ومحدث مصر المفيد وجيه الدين بركات بن ظافر بن عساكر، والفقيه موفق الدين حمد بن أحمد بن محمد بن صديق الحرانى، وأبو طاهر الخليل بن أحمد الجوسقى، والمعمر سعيد بن محمد ابن ياسين السفار، والإمام الناصح عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلى، ومفتى حران الناصح عبد القادر بن عبد القاهر بن عبد المنعم، والمفتى شرف الدين عبد القادر بن محمد بن الحسن بن البغدادى المصرى، وخطيب بلنسية أبو الحسن على بن أحمد بن خيرة المقرىء، والمسند أبو نزار عبد الواحد بن أبى نزار البغدادى الجمال، والمسند أبو الحسن على بن محمد بن كُبة ببغداد، والحافظ المؤرخ أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر القطيعى، والمسند المحدث أبو الحسن مرتضى بن حاتم الحارثى المصرى، والمسند أبو بكر هبة الله بن عمر بن حسن بن كمال الحلاج، والمعمرة ياسمين بنت سالم بن على بن البيطار (تهذيب سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٦٤، ٢٦٥).

وقد ترجم له النباهى فى تاريخ قضاة الأندلس فقال عنه: ومن القضاة بالبلاد الشرقية، أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميرى الكلاعى، من أهل بلنسية. تقدم للقضاء بها؛ فسار فى أحكامه بأجمل سيرة، وأحمد طريقة من العدل، والتثبيت والفضل، وكان حسن الهيئة والمركب والملبس والصورة، كريم النفس، يطعم فقراء الطلبة، وينشطهم، ويتحمل مؤنتهم. وكان قد تجول فى بلاد

الأندلس والمغرب ؛ فأخذ عن أبى القاسم حبيش، وأبى بكر ابن الجد ، وابن زرقون ، وأبى الوليد بن أبى القاسم، وغيرهم.

قال صاحب «التكملة»: وكان حسن الخط، لا نظير له فى الإتقان والضبط، مع الاستبحار فى الأدب، والاشتهار بالبلاغة، فردا فى إنشاء الرسائل؛ خطيبا فصيحا مفوها مدركا، مع الإشارة الأنيقة؛ والزى الحسن. وكان هو المتكلم عن الملوك فى مجالسهم، والمبين عنهم لما يريدونه على المنبر فى المحافل. وولى الخطبة بالمسجد الجامع من بلنسية فى أوقات . وكان رئيسا فى الحديث والكتابة. وله تصانيف وتواليف مفيدة شهيرة فى فنون شتى ، منها «كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازى الرسول ﷺ: ومغازى الثلاثة الخلفاء» فى أربعة مجلدات و «المسلسلات من الأحاديث والآثار والإنشاء» و «كتاب نكتة الأمثال، ونفثة السحر الحلال» إلى غير ذلك . ثم قال: وإليه كانت الرحلة فى عصره للأخذ عنه، والسماع منه. وأنشدنا لنفسه :

إذا برمت نفسى بحال أحلتها
على أمل بادٍ فقرّت به النفس
وأُنزل أرجاء الرجاء ركائبى
إذا رام إلماما بساحتى اليأس
وإن أوحشتنى من أمانى نبوة
فلى بالرضى بالله والقدر الأنس

مولده بخارج بلنسية، أول ليلة الثلاثاء مستهل رمضان سنة ٥٦٥ . وسيق إلى بلنسية، وهو ابن عامين اثنين؛ فنشأ بها، إلى أن استشهد بكائنة أنيشة، على ثلاثة فراسخ منها مقبلا، غير مدبر، والراية بيده، وهو ينادى المنهزمين: «أعن الجنة تفرون؟».

إلى أن قتل: وذلك ضحى يوم الخميس الموفى عشرين لذى الحجة سنة ٦٣٤ ، وهو ابن سبعين سنة إلا شهرا. وفقد من المسلمين فى تلك الكائنة الشنعاء، عالم كثير بين قتيل وأسير.

وللإمام أبى عبد الله بن الأبار، فى رثاء شيخه أبى الربيع والإشارة إلى من فُقد معه فى الوقعة، من العلماء وسائر الفضلاء، منظوم بديع أوله:

ألمَّا بأشلاء العُلى والمكارم
تقد بأطراف القنى والصوارم
وعَوِّجا عليها مأربا ومفازة
مصارعُ غُصَّت بالطلى والجماجم
نحيى وجوها فى الجنان وجيهة
بما بقيت حمرا وجوه الملاحم
وأجساد إيمان كساها نجيعها
مجاسد من نسج الظُّبى واللهاذم
مكرَّمة حتى عن الدفن فى الثرى
وما يكرم الرحمن غير الأكارم
هم القوم راحوا للشهادة واغتدوا
وما لهم فى فوزهم من مقاوم
تساقوا كؤوس الموت فى حومة الوغى
فمالت بهم ميل الغصون النواعم
وهان عليهم أن تكون لحودُهم
متون الروابى أو بطون التهائم
ألا بأبى تلك الوجوه سواهما
وإن كن عند الله غير سواهم
عفا حُسنها إلا بقايا مياسم
يعز علينا وطؤها بالمناسم
لئن وكفت فيها العيون سحائبا
فعن بارقات لُحْنَ منها لشائم
ويا بأبى تلك الجسوم نواحلا
بإجرائها نحو الأجور الجسائم
تغلغل فيها كل أسمر ذابل
فجدَّل منها كل أبيض ناعم
فلا يبعد الله الذين تقربوا
إليه بإهداء النفوس الكرائم
مواقف أبرار قضوا من جهادهم
حقوقا عليهم كالفروض اللوازم
أصيبوا وكانوا فى العبادة أسوة
شبابا وشيبا بالغواشى الغواشم

فعامل رُمح دقَّ فی صدر عامل
وقائم سيف قدَّ فی رأس قائم
ويا رب صوَّام الهواجر واصل
هنالك مصروم الحياة بصارم
ومنقذ عان فی الأداهم راسف
ينوء برجلی راسف فی الأداهم
أضاعهُمُ يوم الخميس حفاظُهم
وكرهم فی المأزق المتلاحم
سقی الله أشلاء بسفح أنيشة
سوافح يزجيها ثقال الغمائم
وصلى عليها أنفسا طاب ذكرها
بطيب أنفاس الرياح النواسم
لقد صبروا فيها كراما وصابروا
فلا غرو إن فازوا بصفو المكارم
وما بذَّلوا إلا نفوسا نفيسة
تحن إلى الأخرى حنينُ الروائم
ولا فرقوا والموت يتلع جيده
بحيث التقى الجمعان صدق العزائم
بعيشك طارحنی الحديث عن التی
تُعبِّر عنها رائحات مآتم
جلائل دق الصبر فيها فلم تُطق
سوى غضٍّ أجفان وغض أباهم
أبيت لها تحت الظلام كأننی
رمیُّ نضال أو لديغ أراقم
أغازل من برح الأسی غير بارح
وأصحب من سام البكا غير سائم
وأعقد بالنجم المشرق ناظری
فيغرب عنی ساهرا غير نائم
وأشكو إلى الأيام سوء صنيعها
ولكنها شكوى إلى غير راحم
وهيهات هيهات العزاء ودونه
قواصم شتى أردفت بقواصم

ومنها:

وبين الثنايا والمخارم رمَّةٌ
سرى فی الثنايا طيبها والمخارم
بكَتْها المعالی والمعالمُ جهدها
فَلَهْفَ المعالی بعدها والمعالم
كأن لم تبت تغشى السراة قبابُها
ويرعى حماها الصيد رعی الصوائم
سفحت عليها الدمع أحمر وارسا
كما نثر الياقوت أيدی النواظم
وسامرت فيها الباكيات نوادبا
يؤرقن تحت الليل ورق الحمائم
وقاسمت فی حمل الرزية قومها
وليس قسيم البرِّ غير المقاسم
فوا أسفا للدين أعظم داؤه
وأياس من أسد لمسراه حاسم
ووا أسفا للعلم أذوَتْ ربوعُه
وأصبح ممدود الذُّرى والدعائم
تفرد بالعلياء علما وسؤددا
وحسبك من عال على الشهب عالم
متى صادم الخطبَ الملم بخطبه
كفى صادما منه بأكبر صادم
له منطق سهل النواحی قريبها
فإن رُمتَه ألفيت صعب الشكائم
وما الروض حلاه بجوهره الندى
ولا البُرد وشته أكف الرواقم
بأبدع حُسنا من صحائفه التی
تسيَّرها أخلاقُه فی الأقالم

أتـــاه رداه مقبـــلا غيـــر مُـــدبـــر
ليحظـى بـإقبــــــال مــن الله دائم

هنيئــــا لـك الحسنى من الله إنهـــا
لكـل تقى خيمــــه غيــــر خـــائم

تبـــوأت جنـــات النعيم ولـم تـــزل
نـــزيل الثـــريـــا قبلهـــا والنـــواعم

لعمـــرك مـــا يبلى بـــلاؤك فى العـــدى
وقـــد جـــرَّت الأبطـــال ذيـل الهـــزائم

وبـــالله لا ينسى مقـــامـك فى الـــوغى
ســوى جـاحـد نــور الغـزالـة كـاتم

لقيت الـــرَّدى فى الـروع جـذلان بـاسمـا
فبـــوركت مـن جـذلان فى الـــروع بـــاسم

وجمْـتَ على الفـــردوس حتى وردتــــه
فَفُـــزت بـأشتـــات المنى فـــوز غـــانم

عَـــدَمْتُكَ مـــوجـــودا يعـــز نُظيـــرُه
فيـــا عـــز معـدوم ويـــا هـــون عـــادم

ورُمتك مطلـــوبـــا فأعيـــا منـــالـــه
وكيـف بمـــا أعيـــا منـــالا لـــرائم

فـــابكى لشلـــو بـــالعـــراء كمـــا بكى
زيـــاد لقبـــر بين بصـــرى وجـــاسم

واعبـــر أن يمتـــاز دونى عبـــرة
بعليـــاء فـى تأمين قيس بن عـــاصم

وهذه القصيدة طويلة، بحيث تـزيد أبياتها فى العدِّ على المائة . وقوله «اعبر» معناه انف . وخاتمها .

وهـــاذى المـــرائى قـــد وفيت بـــرسمهـــا
مسهمـــة جهـــد الـــوفى المســـاهم

فمـــد إليهـــا رافعـــا يـــد قـــابل
وكـبَّ عليهـــا حـــافظـــا يـــد لائم

(تاريخ قضاة الأندلس / ١١٩-١٢٢).

قـالت المؤلفـة : هذه المـرثية يمكن أن يـرثى بها شهـداء المسلمين الذين تستباح دماؤهم اليوم فى كافة بقاع الأرض ، فإنا لله و إنا إليه راجعون .

له ترجمـة فى : التكملة لابن الأبار جـ ٢ ترجمة ١٩٩١ ، والوافى بالوفيات ١٣ / ١٦٠ (مخطوط)، وتحفة القادم / ١٥ وبرنامج شيوخ الرعينى / ٦٦ ، وصفة جزيرة الأندلس / ٣٢، وشذرات الذهب ٥ / ١٦٤ (كتاب الوفيات / ٣١٤).

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى - تحقيق عادل نويهض / ٣١٣ وهامش (٣) للمحقق، والأعلام للزركلى ٣ / ١٣٦ تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٣ / ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، وتاريخ قضاة الأندلس للشيخ أبى الحسن النباهى - تحقيق لجنة إحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة ، بيروت / ١١٩ -١٢٢).

*** أبو الربيع (سليمان بن داود) (-٢٣٤ هـ / -٨٤٩ م):**

قال عنـه الزركلى، وقـد أدرجه تحت عنـوان «سليمان بن داود»: سليمـان بن داود العتكـى الـزهـرانى، أبـو الـربيع ، فاضل، من رجال الحديث ، مولده فى البصرة . سكن بغداد له «مصنف» فى الحديث ، مرتب على الأبواب الفقهية (الأعلام ٣ / ١٢٥).

وقد ذكر صـاحب الرسالة المستطرفة هذا الكتاب ضمن «الكتب المرتبـة على الأبواب الفقهيـة والمشتملة على السنن ومـا هو فـى حيزهـا أو لـه تعلق بها، بعضهـا يسمى مصنفـا وبعضها جامعا وغير ذلك ... » (الرسالة المستطرفة / ٣١)

روى عن فليح ومـالك وحماد بن زيـد، وأبى عـوانـة وغيرهم. وعنـه البخارى ومسلم وأبو داود وأبـو زرعة وخلق. وثقه ابن معين وأبو حاتم. مات سنة ٢٣٤ هـ.

له ترجمة فى طبقات الحفاظ / ٢٠٣ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٦٨ ، العبـر ١ / ٤١٧ ، خلاصـة تذهيب الكمـال ١ / ٤١١ (نظم الفوائد / ٦٩٩).

(الأعلام للزركلى ٣ / ١٢٥ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد

ابن جعفر الكتانى / ٣١ ، ونظم الفوائد لما تضمنه حديث ذى اليدين من الفوائد للحافظ خليل بن كيكلدى العلائى - دراسة وتحقيق كامل شطيب الراوى / ٦٩٩).

*** أبو الربيع (سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن) (-٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م):**

أدرجه الزركلى تحت عنوان «ابن عبد المؤمن» وقال عنه : سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علىّ ، أبو الربيع من أمراء بنى عبد المؤمن، كان يلى مدينة سجلماسة وأعمالها . وكان فصيحا بالعربية والبربرية له شعر بالعربية ، فى «ديوان» مخطوط صغير بخزانة الرباط [٢ : ١٩] جمعه بأمره كاتبه محمد بن عبد الحق الغسانى، وسماه « نظم العقود ورقم الحلل والبرود » وطبع مؤخرا فى تطوان (يأتى بيان طبعته فيما بعد إن شاء الله تعالى) .

وصنف «مختصر الأغانى» مخطوط، الجزء الأول منه، فى القرويين، بفاس ، ويُعد، فى أدبه، ، من مفاخر بنى عبد المؤمن. وفى المؤرخين من يراه كابن المعتز فى بنى العباس. وكان يشير على العلماء بتأليف بعض الكتب، منهم ابن بشكوال: صنف كتابا فى «شيوخ ابن وهب ومناقبه» بطلب منه ، وابن رشد: صنف شرح ألفية ابن سينا» فى الطب ، باقتراحه . (الأعلام ٣/ ١٢٨).

وذكره الشَّقُندى فى معجمه فأطنب فى الثناء عليه، وقال : هو من مفاخر بنى عبد المؤمن، وأحله منهم محل ابن المعتز من بنى العباس وابن المعز من، العبيديين، وقال : كان قديرا على النظم، حافظا للآداب، جوادا لمن يتعلق بأدنى سبب يجب رعيه . وخبرته فوجدته يجود فى أكثر الأوقات بما لا يساعد عليه الزمان .

قال : ولقد قلت له يوما: يا سيدنا، تكلفون أنفسكم ما لا يساعد عليه الوقت. فضحك وقال: إنا نغالب الزمان فيما نتكلف، ونرجو من فضل الله ألا يغلبنا.

وأذكر أنه شُفع له فى شخص مليح الكلام . فولاه وأحسن إليه . فأتى بالقبائح . فذكر أمره وأنا حاضر، ثم قال فيه :

لا تصنع المعروف إلا لمن رأيته أهلا لشكر الصنيع

كم من شريف القول قد غَرَّنى بقوله والفعل منه وضيع

ولم أكن أغلط فى مثله لكن رمتنى ثقتى بالشفيع

قال : وكان مولعا بالألغاز. ومن محاسن ما له فى هذا الباب قوله فى القلم والدواة . [طويل]

ومَيْت بِرمس طُعْمه عند رأسه فإن ذاق من ذاك الطعام تكلّما

يموت فيحيا ثم يفرغ زادُه فيرجع للقبر الذى فيه تُيِّما

فلا هو حى يستحق كرامة ولا هو ميت يستحق ترحُّما

وقوله فى الصابون : [وافر]

وأسمر يصرف السُّودان بيضا ويخشى الشمس أن تعدو عليه

له فى صُنعه سرٌّ مليح وكل الناس محتاج إليه

وقوله فى العين :

وطائرة تطير بلا جناح تفوت الطائرين وما تطير

إذا ما مسها الحجر اطمأنت وتألم أن يُلامسها الحرير

قال : وصحبتُه مرة فى سفر، فجلسنا ليلا على نهر ، وقد تشكّل فيه القمر والنجوم، فقال .

[متقارب]

وما سابق لا يُرى صاعدا تُراه إذا ما استقام انحدر

لـــــــه منك رُبعٌ ومنـــــــه الحيـــــــاة
وذلـك حـظ جميـع البشـــــــــــــر
إذا مـــــا جلست لـــــه ليلـــــة
حكـى لـك أنجمهــــــا والقمــــــــر

(الغصون اليانعة / ١٣٢ ـ ١٣٤).

وفيما يلى بيـان طبعة ديوان الأمير أبى الربيـع سليمان كما أوردها المعجم الشامل :

ـ تحقيق محمد بن تـاويت الطنجي ومحمد بن العبـاس القباح وسعيـد أعراب ، الـرباط : جـامعة محمـد الخامس ، منشـورات كلية الآداب بمسـاهمـة المركـز الجـامعي للبحث العلمي . د . ت .

١٩٩ ص ، م ١٦ ص + ٤ ص نمـــــاذج مصــــورة من المخطـوط . ف ٣٥ ص : فهـرس القصـائد والأبيـات على حسب ورودها في الـديوان ، فهـرس القصائد والأبيات مـرتبة ترتيبا هجائيا ، الموضوعات (المعجم الشامل ٣ / ٣٦).

(الأعلام للزركلى ٣ / ١٢٨ وقد أورده تحت عنوان «ابن عبد المؤمن» والغصون اليانعة فى شعراء المائة السابعة لابن سعيد أبى الحسن على بن موسى الأندلسى ـ بتحقيق إبراهيم الأبيارى . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية د . ت / ١٣٢ ، ١٣٤ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د . محمد عيسى صالحية ٣ / ٣٦) .

*** أبو الربيع الملتانى:**

أورده القاضى المبـاركبورى فى رجال السند والهنـد الذين ولدوا وعاشـوا فيهما ، أو كانوا من طينتهما ولـدوا وعاشوا فى الخارج ، وقال عنه .

الفقيه أبو الربيع سليمان الملتانى ، طاف بالبلاد الغربية من إفريقية ، واختبر أحوالها وكان فى المائة السابعة ، معاصرا لزكريـا بن محمد بن محمود القزوينى ، وروى عنـه القزوينى أخبار تلك البلاد فى كتابه آثار البلاد وأخبار العباد .

قال فى ذكر غـانة ـ مدينة كبيرة فى جنـوب بلاد المغرب ، متصلة ببلاد التبر ، يجتمع إليها التجـار ، ومنها يدخلون بلاد التبر ـ وحكى الفقيه أبو الربيع الملتانى أن فى طريق غانة من سجلماسة إليهـا أشجار عظيمة مجوفـة يجتمع فى تجاويفها مياه الأمطـار ، فتبقى كالحياض ، والمطـر فى الشتاء بهـا كثير جـدا ، فتبقى الميـاه فى تجـاويـف تلك الأشجـار إلى زمـان الصيف ، فالسابلة يشربونها فى مرورهم إلى غانة ، ولولا تلك المياه لتعذر عليهم المرور إليها ، ويتخذون أقتاب البعران من خشب الصنويـر ، فإن مـــات البعيـر ، فقتـب رحلـه يفى ثمنـه .

وقال فى ذكر مراكش : وحكى أبو الربيع الملتانى أن دورة مراكش أربعون ميلا .

وقال فى ذكـر إفريقية فى عجائب بحيرة بنـزرت : حدثنى الفقيه أبو الربيع الملتانى أنه يظهر فى كل شهر من السنة فيها نـوع من السمك يخالف النـوع الـذى كان قبلـه ، فإذا انتهت السنة يستأنف الدور فيرجع النوع الأول ، وهكذا كل سنة .

وقال فى ذكر شـرشـال ـ مدينة بالمغرب مـن أعمال بجاية على ساحـل البحر ـ حدثنى الفقيه أبو الربيع سليمان الملتانى أنه رأى بها أربع أسطوانات مفرطة فى الطول ثلاث منها قوائم والـرابعـة سـاقطة ، طـول كل واحـدة نحـو خمسين ذراعـا ، وعـرضها لا يحـوطها بـاع رجلين ، وأنهـا فى غايـة الملامسـة والحسن والهنــدام ، كأنهــا جعلت فى الخــرط ، وعلى كل أسطوانتين جـائزة حجرية ، أحد رأسيها علـى هذه ، والأخرى على هذه ، وقد تهدمت الجائزة أيضا ، مربعة مفرطة الطول ، والأسطوانات زرق ، والجوائز بيض ، وقد سقط بسقوط إحدى القـوائم جائزتـان وبقى على القـوائم الثـلاث جـائزتان ، فلـو اجتمع أهل زمـانـنـا على إقـامـة الأسطوانـة السـاقطـة ووضع الجائزتين الساقطتين عليهما لا يمكنهم إلا ما شاء الله .

وقال فى ذكـر ملبانـة ـ مـدينة كبيـرة بالمغـرب من أعمال بجاية مستندة إلى جبل زكار ـ حدثنى الفقيه أبو الربيع سليمان الملتانـى أن جبل زكار مطل على المـدينة وطول الجبـل أكثر من فرسخ ، ومياه المدينـة تتدفق من سفحه ، وهذا الجبل لا يزال أخضـر صيفا وشتاء وأعلى الجبل مسطح يـزرع ، وبقرب المدينة حمـامات لا يوقد عليهـا ، ولا يستسقى ماؤها ، بنيت على عين حارة عذبة الماء ، يستحم بها من شاء .

(رجال السند والهنـد إلى القرن السابع ، جمعه وألفـه وحققه القاضى أبو المعالى أطهر المباركبورى / ١٣٣ ، ١٣٤) .

* **ربيعة:**

انظر: قبائل العرب.

* **ربيعة بن الحارث:**

قال عنه الإمام شمس الدين الذهبي: ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، أبو أروى، وكان ربيعة أسن من عمه العباس بسنتين. ونوبة بدر كان ربيعة غائبا بالشام، وأطعم رسول الله ﷺ ربيعة بخيبر مائة وسق كل سنة (الوسق: مكيال مقداره ستون صاعا، والصاع خمسة أرطال وثلث). (المعجم الوجيز / ٦٦٩) وشهد معه الفتح وحنينا، وابتنى دارا بالمدينة، وتوفى فى خلافة عمر.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ١ / ٢٨، والمعجم الوجيز / ٦٦٩).

* **ربيعة بن الحسن (٥٢٥-٦٠٩ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبي فى الطبقة الثانية والثلاثين وقال عنه: ربيعة بن الحسن بن على بن عبد الله بن يحيى، الإمام الفقيه الأوحد المحدث الرحال الثقة أبو نزار الحضرمي اليمنى الصنعانى الذمارى الشافعى. مولده فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

تفقه بظفار على الفقيه محمد بن حماد، وغيره، وركب البحر إلى كيش والبصرة، وارتحل إلى أصبهان، فأقام بها مدة، وتفقه على أبى السعادات الفقيه. وسمع من أبى المطهر القاسم بن الفضل الصيدلانى، وعدة، وببغداد من أبى محمد بن الخشاب، وشُهدة، وبالثغر من السلفى، وبمكة من أبى محمد المبارك بن الطباخ، وحدث بدمشق وبمصر.

حدث عنه الضياء، وابن خليل، والبرزالى، والمنذرى، وجماعة.

قال عمر بن الحاجب: كان أبو نزار إماما عالما حافظا ثقة أديبا شاعرا حسن الخط ذا دين وورع. مولده بِشِبام من قرى حضرموت. مات فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة تسع وستمائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٣ / ١٧٠، ١٧١).

* **ربيعة بن عباد:**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الأولى، وهى طبقة كبار التابعين وقال عنه: ربيعة بن عباد الديلى الحجازى. رأى النبى ﷺ بسوق ذى المجاز قبل أن يسلم، ثم أسلم، وشهد اليرموك. وقال البخارى وغيره: له صحبة. ولا ريب فى سماع ربيعة من النبى ﷺ، ولكن كان قبل أن يسلم حدث عنه محمد بن المنكدر، وهشام بن عروة، وأبو الزناد، وزيد بن أسلم. قال خليفة: شهد اليرموك، وتوفى فى خلافة الوليد بن عبد الملك.

قلت: بقى إلى حدود سنة تسعين.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ١ / ١٢٢).

* **ربيعة بن عبد الله (ـ ٩٣ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الأولى، وهى طبقة كبار التابعين وقال عنه: ربيعة بن عبد الله بن الهُدير القرشى التيمى المدنى. وُلد فى حياة النبى ﷺ، ولعله رآه. حدث عن عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، وهو مُقِلّ.

روى عنه ابنا أخيه، محمد وأبو بكر ابنا المنكدر، وعثمان ابن عبد الرحمن التيمى، وربيعة الرأى، وغيرهم. وذكره ابن حبان فى الثقات، مات سنة ثلاث وتسعين وله سبع وثمانون سنة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ١٢١، ١٢٢).

* **ربيعة بن كعب (ـ ٦٣ هـ):**

قال عنه صاحب الرياض المستطابة: أبو فراس ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمى الحجازى.

معدود فى أهل الثقة، لزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضرا وسفرا، روى عنه قال: كنت أبيت على باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعطيه الوضوء فأسمعه الهوى من الليل يقول: «سمع الله لمن حمده» وأسمعه الهوى من الليل يقول: «الحمد لله رب العالمين».

وهو الذى سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم مرافقته فى الجنة فقال له: «أعنِّى على نفسك بكثرة السجود».

روى عنه مسلم حديثا واحدا، وهو المذكور آنفا المتضمن لأعظم المناقب، وخرَّج عنه الأربعة، عنه حنظلة ابن على، ونعيم المجمر. توفى بعد وقعة الحرة سنة ثلاث وستين.

(الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى / ٧٢).

*** ربيعة بن يزيد (- ١٢٣ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الثالثة من التابعين وقال عنه: ربيعة بن يزيد الإمام القدوة، أبو شعيب الإيادى الدّمشقى القصير. حدث عن واثلة بن الأسقع، وجبير ابن نفير، وأبى إدريس الخولانى، وجماعة، وكان من أبناء ثمانين سنة رحمه الله، وقيل: إنه سمع من معاوية. حدث عنه الأوزاعى، وسعيد بن عبد العزيز، وعدة. كانت داره بناحية باب الفراديس.

قال الدارقطنى: ربيعة يعرف بالقصير، يعتبر به. خرج ربيعة القصير مع كلثوم بن عياص غازيا، فقتله البربر فى سنة ثلاث وعشرين ومائة

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ١٨٩).

*** ربيعة الحضرمى:**

ممن كتب إليهم رسول الله ﷺ. قال ابن سعد (الطبقات الكبرى ج ١ ق ٢ / ٢١): وكتب رسول الله ﷺ لربيعة بن ذى مرحب الحضرمى وإخوته وأعمامه، أن لهم أموالهم ونحلهم ورقيقهم وآبارهم وشجرهم ومياههم وسواقيهم ونبتهم وشرابهم بحضرموت ـ الشرج: مسيل ماء من الحرة إلى السهل، والجمع شراج وشروج، وشرج الوادى: منفسحه، والجمع أشراج، قاله الجوهرى ـ وكل مال لآل ذى مرحب، وإن كل رهن بأرضهم يحسب ثمره وسدره وقضبه من رهنه الذى هو فيه ـ القضب ـ الرطبة من القت، وهو نوع من العلف للدواب يقطع، والقضب: القطع وإن كل ما كان فى ثمارهم من خير فإنه لا يسأله أحد عنه، وأن الله ورسوله براء منه. وأن نصر آل ذى مرحب على جماعة المسلمين، وأن أرضهم بريئة من الجور، وأن أموالهم وأنفسهم زافر حائط الملك الذى كان يسيل إلى آل قيس، وأن الله ورسوله جار على ذلك. وكتب معاوية.

(المصباح المضى فى كُتاب النبى الأمى ورسله إلى ملوك الأرض من عربى وأعجمى للشيخ أبى عبد الله محمد بن على بن أحمد بن حديدة الأنصارى ـ صححه وعلق عليه الشيخ محمد عظيم الدين ٢ / ٢٦٧، ٢٦٨).

*** ربيعة خاتون (٥٦١ - ٦٤٣ هـ / ١١٦٦ - ١٢٤٥ م):**

ذكرها أبو شامة فى وفيات سنة ٦٤٣ هـ فقال: وفى شهر شعبان أيضا من سنة ثلاث وأربعين وستمائة توفيت الصاحبة ربيعة خاتون ابنة نجم الدين أيوب أخت صلاح الدين والعادل وغيرهما من الملوك وعمة الكامل، والأشرف، والمعظم وغيرهم من الملوك، زوج مظفر الدين صاحب إربل رحمهم الله ودفنت بتربتها فى الجبل (تراجم رجال القرنين السادس والسابع / ١٧٧).

كانت فاضلة تقية. وهى التى بنت المدرسة الحنبلية فى جبل الصالحية بدمشق، وجعلت لها أوقافا. توفيت بدمشق (الأعلام ٣ / ١٦).

(تراجم القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين للحافظ المؤرخ أبى شامة / ١٧٧، والأعلام للزركلى ٣ / ١٦).

*** ربيعة الرأى (- ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م):**

ذكر ابن قتيبة فى أصحاب الرأى وهم: ابن أبى ليلى، أبو حنيفة، ربيعة الرأى، زفر، الأوزاعى، سفيان الثورى، مالك ابن أنس، أبو يوسف (القاضى)، ومحمد بن الحسن (الفقيه) وقال عنه:

هو. ربيعة بن أبى عبد الرحمن. واسم: أبى عبد الرحمن فروخ، مولى «آل المنكدر» التيميين. ويكنى: أبا عثمان.

وتوفى سنة ست وثلاثين ومائة بـ «الأنبار»، فى مدينة «أبى العباس». وكان أقدمه للقضاء.

وكان يكثر الكلام، ويقول: الساكت بين النائم والأخرس.

وتكلم يوما وعنده أعرابى، فقال: ما العِيّ؟ فقال له الأعرابى: الذى أنت فيه منذ اليوم (المعارف / ٤٩٦).

وقد أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الرابعة من التابعين وقال عنه: ربيعة بن أبى عبد الرحمن فروخ، الإمام، مفتى المدينة، وعالم الوقت، أبو عثمان، ويقال: أبو عبد الرحمن القرشى التيمى، مولاهم المشهور بربيعة الرأى من موالى آل المنكدر. روى عن أنس بن مالك، والسائب ابن يزيد، وسعيد بن المسيب، وعدة. وكان من أئمة الاجتهاد. وعنه الأوزاعى، وشعبة، ومالك وعليه تفقه، وسفيان الثورى، وخلق سواهم. وكان من أوعية العلم. وثقه أحمد بن حنبل، وأبو حاتم وجماعة، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة، ثبت، أحد مفتيى المدينة. قال الخطيب: فقيه، عالم، حافظ للفقه والحديث، توفى سنة ست وثلاثين ومائة بالمدينة (تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ٢١٥).

وقال الزركلى: كان بصيرا بالرأى (وأصحاب الرأى عند أهل الحديث، هم أصحاب القياس، لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثا أو أثرا) فلقب «ربيعة الرأى» وكان من الأجواد. أنفق على إخوانه أربعين ألف دينار ولما قدم السفاح المدينة أمر له بمال فلم يقبله قال ابن الماجشون: ما رأيت أحدا أحفظ لسُنة من ربيعة. وكان صاحب الفتوى بالمدينة. توفى بالهاشمية من أرض الأنبار (الأعلام ٣ / ١٧).

وللدكتور محمد إبراهيم الجيوشنى بحث عن ربيعة الرأى ومن بين ما جاء فيه قوله: وعلم ربيعة وفقهه وتقواه يشهد له بها كل من عاصره من نظرائه أو ممن أخذوا عنه، فقد قال عنه مصعب الزبيرى: أدرك بعض الصحابة والأكابر من التابعين، وكان صاحب الفتوى بالمدينة وكان يجلس إليه وجوه الناس بها. وكان يحضر فى مجلسه أربعون عالما.

وقد روى الليث عن يحيى بن سعيد أنه قال: ما رأيت أحدا أفطن من ربيعة بن عبد الرحمن.

ويروى الليث أيضا عن عبيد الله بن عمر قوله فى ربيعة: هو صاحب معضلاتنا وعالمنا وأفضلنا.

وقال معاذ بن معاذ: سمعت سوار بن عبد الله يقول: ما رأيت أحدا أعلم من ربيعة الرأى، قلت: ولا الحسن وابن سيرين؟ قال: ولا الحسن وابن سيرين.

ويبدو أن فقه ربيعة لكتاب الله وسنة نبيه كان عونا له على فهم المراد منهما واستنباط الأحكام الصحيحة، يعينه على ذلك دراسة واسعة للقرآن الكريم، وإلمام كامل بسنة النبى ﷺ، إلى جانب ما أوتى من بصيرة نافذة تستطيع أن تدرك المرامى البعيدة للشارع الحكيم، وتنفذ إلى حكمة التشريع حتى قال مالك بن أنس رحمه الله: لما توفى ربيعة: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة الرأى.

وكان ربيعة على عادة سادة العلماء لا يرى لإنسان مهما كانت منزلته أن يقول فى أمر ما بغير علم، ولم يفته أن يؤكد على هذه النقطة بالذات، حتى وهو على سرير مرضه الذى مات فيه، فيروى ابن حجر بسنده عن عبد العزيز بن أبى سلمة قال: قلت لربيعة فى مرضه الذى مات فيه: إنا قد تعلمنا منك، وربما جاءنا من يستفتينا فى الشىء ولم نسمع فيه شيئا فترى أن رأينا خير له من رأيه لنفسه فنفتيه.

قال: أقعدونى، ثم قال: ويحك يا عبد العزيز لأن تموت جاهلا خير من أن تقول فى شىء بغير علم. لا. لا ثلاث مرات.

وهذا يدل دلاله قاطعة على أن ربيعة كان يعتبر نفسه من مدرسة أهل الأثر إلا أنه كان معطى فهما فى كتاب الله وقدرة على الاستنباط لم تتهيأ لغيره.

وتوفى ربيعة فى المدينة عام ١٣٦ هـ بعد أن عاد إليها من العراق، وبعض المؤرخين يرى أنه توفى بمدينة الهاشمية التى بناها السفاح.

«ربيعة الرأى ٢٢ / ١١١، ١١٥).

(المعارف لابن قتيبة ــ حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٤٩٦، وتهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٢١٥ والأعلام للزركلى ٣ / ١٧، و «ربيعة الرأى» ـ د. محمد إبراهيم الجيوشنى. مجلة منار الإسلام. العدد الثانى. صفر ١٣٩٦ هـ / ١١١، ١١٣، ١١٥).

***الرّبِيعى:**

قال السمعانى:

الربيعى: بفتح الراء وكسر الباء الموحدة وبعدها الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفى آخرها العين المهملة، هذه النسبة إلى الربيع ... وهو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن محمد الشاهد المعروف بالربيعى من أهل بغداد، حدث عن الحسن بن محمد بن عنبر الوشاء ومحمد بن جرير الطبرى وعبد الله بن محمد بن ياسين وزكريا بن يحيى الساجى ومحمد بن ضوء الرامهرمزى ومحمد بن محمد بن عقبة الكوفى، وروى عنه أبو القاسم عبيد الله بن عمر بن البقال وأبو بكر محمد بن عمر بن بكير النجار، وكانت وفاته فى سنة أربع وستين وثلاثمائة، وفيه نظر - هكذا قال أبو بكر محمد بن عمر بن بكر الخطيب الحافظ.

وأبو العباس عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع مولى المنصور ويعرف بالربيعى هكذا ذكره أبو بكر الخطيب الحافظ وقال: شاعر حسن الشعر كان فى عصر المعتصم وكان أديبا راوية حسن العلم بالغناء، روى عنه عون بن محمد الكندى.

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ٤٤، ٤٥).

*** الرَّبيعى (أحمد بن عمر) (٧٢٥؟-٧٩٥ هـ / ١٣٢٥-١٣٩٣ م):**

قال عنه الداودى: أحمد بن عمر بن هلال الربيعى:

نسبة إلى ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان المالكى، إمام عادل فاضل متفنن فى علوم شتى، كان فاضلا فى الفقه والأصلين والعربية والمعانى والبيان.

سمع الحديث على الشيخ تقى الدين بن عرام وغيره، وتفقه بقاضى القضاة فخر الدين بن المخلطة، وبسراج الدين عمر بن على المراكشى، وبزين الدين أبى أحمد عبد الملك ابن رستم السكندرى، وأخذ الأصول عن الشيخ شمس الدين الأصبهانى، والعربية عن الإمام أثير الدين أبى حيان.

ورحل من الإسكندرية إلى القاهرة. فأخذ بها الفقه عن الشيخ الولى العارف بالله تعالى عبد الله المنوفى، والإمام شرف الدين أبى موسى بن على الزواوى، وقاضى القضاة تقى الدين الإخنّائى، وشرف الدين عيسى المغيلى وغيرهم.

وله تواليف عدة، منها «شرح ابن الحاجب الفقهى» فى ثمانية أسفار كبار، وكان قد شرحه شرحا مطولا ثم تركه فلم يكمله لطوله، وله على مختصر ابن الحاجب الأصلى «شرحان»، وله «شرح على كافية ابن الحاجب فى العربية» لم يكمله، وله «تأليف مستقل على الأشكال الأربعة» التى فى مختصر ابن الحاجب الأصلى، سماه «رفع الإشكال عما فى المختصر من الأشكال». وله «تفسير آية الكرسى» أتى فيه بفوائد كثيرة، لقيه الشيخ برهان الدين بن فرحون بدمشق، قال، وكان مع مجموع فضائله خامل الذكر، كثير العزلة عن أهل المناصب، بل عن الناس ما عدا خواص طلبته.

توفى سنة خمس وتسعين وسبعمائة (طبقات المفسرين ١ / ٥٦، ٥٧).

وقد ذكره الحافظ ابن حجر فى وفيات سنة ٧٩٥ هـ تحت اسم أحمد بن عمر بن هلال الإسكندرانى ثم الدمشقى، الفقيه المالكى شهاب الدين، ويضيف أنه درس بالقمحية بمصر، وكان حسن الخط جيد العبارة، وشاع عنه أنه قال وهو فى النزع: «قولوا لابن الشريشى يلبس ثيابه ويلاقينا إلى الدرس»، فمات شرف الدين بن الشريشى عقب ذلك أيضا، ومات أحمد بن عمر هذا فى صفر. اهـ (إنباء الغمر ١ / ٤٥٨، ٤٥٩).

وقد أدرجه الزركلى تحت اسم «الربعى» وذكر عناوين مؤلفاته كاملة وهى كما يلى: «شرح جامع الأمهات» لابن الحاجب فى الفقه ثمانية أسفار كبار، و «ناضرة العين» مخطوط فى الأزهرية، شرح «ناظرة العين» مخطوط تصويره فى معهد المخطوطات فى المنطق، لشيخه محمود بن عبد الرحمن الأصبهانى المتوفى سنة ٧٤٩ و «الفتح القدسى فى تفسير آية الكرسى» مخطوط فى مكتبة مغنيسا (الرقم ١٣٨) وفى أول النسخة وآخرها إجازتان له بخطه فى دمشق، سنة ٧٩٤ (الأعلام ١ / ١٨٧).

له ترجمة فى: الدرر الكامنة ١ / ٢٤٦، الديباج

المـذهب / ٨٢ شـذرات الذهـب ٦ / ٣٣٨ (طبقـات المفسرين ١ / ٥٦).

(طبقات المفسرين للداودى ـ بتحقيق على محمد عمر ١ / ٥٦ ، ٥٧ ، وإنباء الغمر بأنباء العمر لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ـ تحقيق د. حسن حبشى ١ / ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، والأعلام للزركلى ١ / ١٨٧ وهو فيه «الربعى»).

*** الربيعية (مدرسة ـ ٦٨٦ هـ):**

المدرسة الربيعية كانت لتدريس الطب فى الشام.

(التربية والتعليم فى الإسلام ـ سعيد الديوه جى / ٨٥).

*** الرَّبيكة:**

من أطعمة العرب. جاء فى اللسان : قالت غنية الكلابية أم الحُمارس : الربيكة الأقط والتمر والسمن، يُعمل رخوًا ليس كالحيس، وقالت الدبيرية : هو الدقيق والأقط المطحون، ثم يُلْبك بالسمن المختلط بالرُّب (انظر مادة «الربوب» وقيل : هو الرب والأقط بالسمن، وربما كانت تمرا وأقطا ، وقيل : هو الرُّب يخلط بدقيق أو سويق، وقيل : هو شىء يطبخ من بُر وتمر، وقيل: هو تمر يعجن بسمن وأقط فيؤكل. قال ابن السكيت : وربما صب عليه ماء فشرب شربا، والربيك لغة فيه.

قال أبو الرهيم العنبرى :

فإن تجزع فغير ملوم فعْل
وإن تصبر فمن حُبُك الرَّبيك

ويضرب مثلا للقوم يجتمعون من كُلٍّ. يقال منه : ربكته أربكه ربكا خلطته فارتبك، اى اختلط (لسان العرب ١٨ / ١٥٧١).

(لسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٥٧١).

*** الرِّتاج:**

الرِّتاج : باب، أو باب مغلق ـ باب مغلق وفيه باب صغير ـ مفصلة باب أو المحور الذى يدور فيه ـ باب عظيم وهو جمالا يتميز بكبره وضخامته، كمصاريع مداخل أسوار المدن والقلاع، ويمكن أن يصنع من خشب أو حديد، يتعاون جماعة من الرجال لفتحه وإغلاقه. ومن الرتاجات المشهورة فى التاريخ تلك التى زود بها المنصور أبواب بغداد ، وكانت مرتفعة يدخلها الفارس ممتطيا جواده حاملا رمحه أو علمه.

... رتاج باب خراسان الخارجى جاء به المنصور من الشام من عمل الفراعنه، وجاء برتاج باب الكوفة من الكوفة وكان قد عمله خالد بن عبد الله القسرى والى الكوفة أيام هشام بن عبد الملك وكان المنصور قد عمل رتاجا لباب الشام... ووضع فى باب البصرة رتاجا من أرتجة خمسة أمر بجلبها من واسط كانت على أبواب الحجاج.

(موسوعة العمارة الإسلامية ـ د. عبد الرحيم غالب / ١٩٨).

*** رتب الأمراء:**

يقول المقريزى عن رتب الأمراء : وكان أجل خدم الأمراء أرباب السيوف خدمة الباب، ويقال لمتولى هذه الخدمة صاحب الباب، ويُنعت أولا بالمعظم وأول من خدم بها المعظم خمرتاش فى أيام الخليفة الحافظ وكان من العقلاء ، وناب عن الحافظ فى مرضه، فلما عوفى أراده على الوزارة فامتنع، وله نائب يقال له النائب، وتسمى الخدمة فيها بالنيابة الشريفة ومقتضاها أنها مميزة ولا يليها إلا أعيان العدول وأرباب العمائم ... وهو الذى يتلقى الرسل الواصلة من الدول، ومعه نواب الباب فى خدمته، ويحفظهم وينزلهم بالأماكن المعدة لهم، ويقدمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب، فيكون صاحب الباب يمينا، وهو يسار ويتولى افتقادهم والحث على ضيافتهم ولا يمكن من التقصير فى حقوقهم واجتماع الناس بهم ، والاطلاع على ما جاءوا فيه ولا من ينقل الأخبار إليهم.

ويلى رتبة صاحب الباب الاسفهسلار (انظره فى م ٤ / ٣٨١) وهو زمام كل زمام وإليه أمور الأجناد ، ثم يليه حامل سيف الخليفة أيام الركوب بالمظلة واليتيمة، ثم من يزم طائفتى الحافظية والآمرية وهما وجه الأجناد وهؤلاء أرباب الأطواق، ويليهم أرباب القصب والعماريات وهى الأعلام، ثم زى الطوائف ثم من يترشح لذلك من الأماثل. وكانت

الدولة لا تسند ذلك إلا إلى أرباب الشجاعة والنجدة ، ولهذا دخل فيه أخلاط الناس من الأرمن والروم وغيرهم .

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ١ / ٤٠٣).

*** الرتب العسكرية:**

تتناول المصادر التى بين أيدينا الرتب القيادية فى العسكرية الإسلامية فى عصرين هما العصر الأموى ، وعصر المماليك البحرية .

١ ـ العصر الأموى :

يقول الدكتور خالد جاسم الجنابى عن الرتب القيادية :

إن تقسيم القوات إلى وحدات تتسلسل فى القيادة كان معروفا عند العرب والغرض منه هو سهولة توزيع الواجبات على المقاتلين وتحقيق الانسجام والتعاون بين القوات . وأول إشارة إلى نظام التسلسل القيادى ورد فى تاريخ الطبرى عندما قام خالد بن الوليد بتقسيم القوات العربية فى معركة اليرموك إلى ستة وثلاثين أو أربعين كردوسا ويضم كل كردوس حوالى ألف رجل وجعل القلب كراديسا عليهم أبو عبيدة بن الجراح

التركيب التنظيمى
للجند السلطانية فى العصر المملوكى البحرى

والميمنة كراديسا بقيادة عمرو بن العاص والميسرة كراديسا بقيادة يزيد بن أبى سفيان وجعل على كل كردوس قائدا من القواد .

قالت المؤلفة : جاء فى المعجم الوسيط (٢ / ٧٨٢): الكردوسة : طائفة عظيمة من الخيل أو الجيش والجمع كراديس اهـ .

وفى معركة القادسية قام سعد بن أبى وقاص بتنظيم قواته إلى عرافات تنفيذا لأوامر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى كتب إليه يقول : «إذا جاءك كتابى هذا فعشر الناس وعرّف عليهم وأمّر على أجنادهم وعبهم» فجعل على كل عشرة عريفا كما كان الأمر متبعا فى عهد الرسول ﷺ فكانت العرافة أصغر مجموعة قتالية . وأشار الطبرى إلى أن نظام التسلسل القيادى الذى اتبعه سعد بن أبى وقاص فى معركة القادسية قد تم على النحو التالى : «فكان أمراء التعبئة يلون الأمير، والذين يلون أمراء الأعشار والذين يلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات . والذين يلون أصحاب الرايات والقواد رؤوس القبائل» (الطبرى ٣ / ٤٨٩).

وعلى أساس هذا التقسيم يكون التسلسل القيادى الذى اتبعه سعد بن أبى وقاص كالآتى :

١ ـ أمير الجيش .

٢ ـ أمراء التعبئة (الميمنة والميسرة) .

٣ ـ أمراء الأعشار.

٤ ـ القواد (أصحاب الرايات) .

٥ ـ رؤساء القبائل .

وإذا أخذنا بالتقسيم الذى أشار إليه ابن خلدون وهو أن العريف كان على عشرة جنود والخليفة على خمسين جنديا والقائد على مائة جندى وهو يتفق مع نظام «الأعشار» الذى وضعه الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيكون التسلسل القيادى للقوات العربية الإسلامية كالآتى :

أمير الجيش	عشرة آلاف جندى فأكثر
أمير التعبئة	خمسة آلاف جندى (الميمنة والميسرة)
أمير الكردوس	ألف جندى

التركيب الهرمي لأقدمية الرتب في الجيش المصري في العصر المملوكي البحري



القائد ـ مائة جندى

الخليفة ـ خمسين جندى

العريف ـ عشرة جنود

العرفاء ودورهم فى التنظيم الحربى والإدارى :

برزت أهمية العرفاء فى العصر الأموى ورافقت تنظيمات زياد بن أبيه فى البصرة والكوفة . ويقول البلاذرى «إن زياد جعل الناس فى البصرة أخماسا وجعل على كل خمس رجلا وعرَّف العرفاء» لذلك فإن واجبات العرفاء لم تعد تقتصر على قيادة عشرة جنود فى القتال بل أصبحوا مسؤولين عن الأمن والنظام ومراقبة مثيرى الفتن داخل قبائلهم، فكانوا حلقة الاتصال بين القبائل العربية فى الأمصار وبين السلطات الإدارية للدولة فيما يتعلق بتثبيت أسماء الجند فى الدواوين أو توزيع العطاء عليهم أو استدعائهم عند الحاجة وقد حل أولئك العرفاء فى القوة والنفوذ محل رؤساء القبائل والعشائر وكان اختيارهم يتم عن طريق الوالى أو الأمير وفى هذه الحالة كان يختارهم من بين ذوى النفوذ ليستطيعوا أداء واجباتهم تجاه السلطة.

واستحدث زياد بن أبيه رتبة «المنكب» ويبدو أن الغرض منها كان الإشراف على أعمال العرفاء فيقول أبو هلال «إن زياد أول من عرَّف العرفاء وجعل عليهم المناكب وقال : العرفاء كالأيدى والمناكب فوقها» .

وقد زادت أهمية العرفاء فى الأمصار التى كانت تسودها الاضطرابات كالبصرة والكوفة وخراسان، فبعد أن جمعت البصرة والكوفة إلى عبيد الله بن زياد ألزم العرفاء بالأخبار عن الخوارج والمتمردين على السلطة من أفراد قبائلهم . واعتمد الحجاج بن يوسف الثقفى اعتمادا كبيرا على العرفاء فى مراقبة نشاط القبائل السياسى وفى استنفار المتخلفين من الجند وكان قتيبة بن مسلم يعتمد على العرفاء فى معرفة أحوال الجند وقابلياتهم الحربية وشجاعتهم .

وبالنظر لخطورة مهمة العرفاء لتماسهم المباشر مع السلطة واتصالهم بقبائلهم كان يشترط فيهم الأمانة والورع وأن يحوزوا رضى الجميع، فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على البصرة عدى بن أرطأة «أن العرفاء من عشائرهم بمكان فانظر عرفاء الجند فمن رضيت أمانته لنا ولقومه فاثبته ومن لم ترضه فاستبدل به من هو خير منه» (ابن سعد، الطبقات ٥ / ٣٩٦).

واستخدم نظام العرفاء فى مصر بعد تحريرها واستقرار القبائل العربية فيها فكان زهير بن الحارث الحجرى عريف حِمْير ولما استقرت قبائل الصدف بعد تخطيط الفسطاط عرَّف عليهم عمران بن ربيعة فأقام عريفا سنين ثم عرَّف ابنه وأصبح بعض عرفاء القبائل فى مصر يتمتعون بمكانة مرموقة، فكان الملامس بن جذيمة عريفا على قبائل حضرموت حتى خلافة معاوية بن أبى سفيان ثم وقع بينه وبين والى مصر مسلمة بن مخلد خلاف فاستأذن الملامس الخليفة معاوية بنقل قبائل حضرموت إلى فلسطين فأذن لهم إلا أنه عدل عن ذلك بعد أن رفض رجال قبيلته ترك مصر قائلين : « ما نفارق بلادنا» (ابن عبد الحكيم، فتوح مصر / ١٦٥).

إن هذا التطور الذى حصل لمهمة العرفاء خلال العصر الأموى يدعونا للاعتقاد بأن وظيفة العريف التى أعيد تنظيمها

فى عهد زياد بن أبيه هى غير رتبة العريف الذى كان يقود عشرة من الجند عند القتال، ويبدو أنها وظيفة أخرى تحمل نفس الاسم فمن غير المعقول أن يكون العريف من ذوى النفوذ ويتمتع بمكانة مرموقة فى قبيلته ثم يقود عشرة من الجند.

وعلى الأرجح إن رتبة العريف أو الرتب العسكرية الأخرى كالخليفة والقائد وأمير التعبئة كانت وقتية وتمنح للمقاتلين عند الاستعداد والتهيؤ للمعارك أو الحملات العسكرية (تنظيمات الجيش العربى الإسلامى / ٢٢٠ ـ ٢٢٥).

٢ ـ عصر المماليك البحرية.

ويحصى عميد أ. ح محمود نديم أحمد فهيم الرتب والمناصب فى عصر المماليك البحرية، ويعرضها فى وصف مستفيض فيقول:

وتزودنا المصادر المعاصرة بمعلومات وافرة عن تكوين الجيش المملوكى، وفى مقدمتها القيادات التى كانت تسمى بالأمراء، ووظيفتهم الأمره، ويمكن القول بأن السلطان كان على رأس هذه القيادات، فلقد كان السلطان يعد رئيس الدولة الأعلى. فهو زعيم أمراء المماليك والمسيطر على شئونهم الخاصة والعامة، وصاحب الحق فى تدرجهم فى مراتب الرقى. وسبق أن أوضحنا كيف أن هذا المنصب لا يشغله إلا أقوى هؤلاء المماليك، الذى سرعان ما يعين له نائب يسمى نائب السلطان، وبموت الناصر محمد ألغى منصب نائب السلطان إلا أنه أعاد تجديده فيما بعد ولكن دون استعادة المناصب أهميته السابقة، ولم يعط صلاحيات غير عادية وإن كان بوسعه أن يمنح دخولا سنوية من منح وإقطاعات حتى ٦٠٠ دينار، وأن يستغنى عن خدمات من يشاء، ولقد ذكرت بعد المصادر أن آخر من شغل هذا المنصب كان «أقبغه التمرازى». وكان نائب السلطان يقوم بمهام القائم بأعمال السلطان عند غيابه فى ظروف تستدعى رحيله من العاصمة أو عند قيامه بإرسال حملة عسكرية.

وعندما ألغى منصب نائب السلطان كان يقوم بتأدية تلك المهام أقدم الأمراء رتبة من الموجودين فى العاصمة، وكان يلقب فى العصر المملوكى بنائب الحماية أو أتابك العسكر وهو كبير أمراء المماليك، وكان شائعا أن يخلف السلطان العرش، وكان قائدا أعلى للجيش (وهو ما يعرف حاليا بالقائد العام للقوات المسلحة) ولكن وظائفه كانت أوسع كما تشير المصادر إلى ذلك وهو «مدير الملك» وإن كان يلقب أحيانا بأتابك الجيش أو بأتابكى الجيش، وليس من الواضح تماما إذا كان لقب أمير الجيش يعنى أتابك الجيش أم لا؛ حيث اختصر اسمه إلى «الأتابكى» ويقول القلقشندى: إن لقبه كان يكتب أتابك ثم تغير الاسم بعد ذلك ليصبح على ما صار عليه. ويقول الظاهرى: إن الأتابك كان يطلق عليه لقب «باكلارياتى» ومعناها «أمير الأمراء» ومع ذلك فإن أكثر الأسماء شيوعا من الألقاب التى كانت تطلق على أتابك العسكر لقب الأمير الأكبر، وكان أول من لقب بذلك اللقب هو شيخون العمرى وكان يطلق على العمل الذى يشغله «الأتبكيه» أو «أتبكيه العسكر» رغم تلقيبه بالأمير الأكبر.

وبالإضافة إلى أتابك العسكر كان للجيش قواد يسمون الأمراء ووظيفتهم الأمره، وكانت الإمرة لجيش المماليك يصل إليها المملوك بالتدرج فى الترقى. ولقد كانت تتم مراسم الأمراء فى حفل كبير، تمد فيه السماط (موائد الطعام) وتوقد له القاهرة وتزفه أهل الأغانى كما يقدم إليه الأمراء العطايا والهدايا حيث يتسلم التشريفة من السلطان فى القلعة ويحلف يمين الولاء.

وكان الأمراء يتدرجون من أمير خمسة إلى أمير عشرة إلى أمير أربعين إلى أمير مائة، ويتميزون فى درجاتهم بإعداد الجند تحت أمرهم وبإعداد المماليك الذين يملكونهم وحتى بعلامات تشريفية وهى نوع من الرنوك يتخذونها شعارا له. فأمير خمسة كان فى خدمته خمسة مماليك وأكثرهم من أولاد الأمراء المتوفين أو من أبناء الأمراء المقدمين، ويمنح الواحد منهم هذه الرتبة تقديرا لخدمات أبيه إذ كانوا يعدون من المقربين، ولقد وصل عددهم فى الجيش إلى ثلاثين. أما أمير عشرة، فكانت عند كل أمير منهم عشرة مماليك أو فرسان، وربما منهم من يدخل تحت أمره عشرون فارسا، ولكنه مع ذلك لا يعد إلا من أمراء العشرات الذين كان عددهم

يبلغ نحو خمسين أميرا، ومثال ذلك الأمير «برسباى المؤيد» كان أمير عشرين فى عهد السلطان إينال ويشغل وظيفة رأس النوبه ويذكر كذلك ابن شاهين أنه كان من أمراء العشر أو العشرين وكان يختار منهم صغار الولاة، وصغار الموظفين من أرباب السيوف.

أما أمراء الأربعين فكان يمكن أن يطلق عليهم أيضا اسم «أمير طبلخاناه» وذلك لحقّهم فى دق الطبول على أبواب قصورهم كما يفعل السلطان وأمراء المئتين، ولكنه على صورة مصغرة، وكان كل واحد من هؤلاء الأمراء الذين يشغلون هذه الرتبة الحق فى أن يحتفظوا فى خدمتهم بأربعين فارسا. وغالبا عندما كان يموت، تقسم إمارة الأربعين إلى إمارة عشرين، أو إلى أربع إمارات عشرا، أو العكس تجمع لتصبح أمير أربعين وقد سمى منهم أمير طبلخاناه بهذا الاسم لأن صاحب هذه الرتبة كان أعلى من أمير أربعين درجة فى الرتبة، حيث كان له الحق فى أن يعزف أمام داره فرقة تسمى طبلخاناه، وتتكون هذه الفرقة من مجموعة من الطبل وبعض الأبواق والزمور وتعزف بطريقة معينة فى كل مساء بعد صلاة العشاء، ويبدو أنهم سموا كذلك تمييزا لهم عمن هم أقل منهم فى الرتبة وليس لهم الحق فى دق الطبول، وهذه الطبقة تتدرج طبقا لأعداد جنودها حيث تتفاوت فى الزيادة والنقص، فقد تزيد رتبة أمير أربعين إلى سبعين أو ثمانين، ولكن مع ذلك فلقد كانوا تحت قيادة مقدمى الألوف. ولقد كان عدد أمراء الطبلخاناه فى الجيش أو الوظائف من ثلاثين إلى أربعين أميرا.

أما عن وظائف الإمرة فكان عددهم فى دولة المماليك أربعة وعشرين وظيفة، وإن كان فى بعض الأحيان قد نقص إلى عشرة أو عشرين، وكانت هذه الإمرة وظيفة حربية خاصة بأرباب السيوف، وتقترن عادة بلقب مقدم ألف فيقال «أمير مائة مقدم ألف» والمقصود بتلك التسمية المركبة وظيفة واحدة، وهى أن يكون فى حوزة هذا الأمير مائة مملوك، وهو فى نفس الوقت مقدم فى الحرب على ألف جندى من أبناء الحلقة. وكان المقربون منهم إلى السلطان يسمون الأكابر ويقلدون الوظائف الكبرى فى الدولة والبلاط حيث يسمون الأمراء المقدمين أرباب الوظائف، وهم أمير المجلس (ويشبه وظيفة مدير الخدمات الطبية للقوات المسلحة فى الوقت الحالى)، وقد كان أمير المجلس مسئولا عن أمر الأطباء الباطنية والعيون ومن هم على شاكلتهم، وكان ذلك المنصب يشغله شخص واحد، ولم توضح المصادر العلاقة بين رتبة أمير المجلس وبين هذا العمل المحدد الذى كان لا يبدو أنه كانت له أهمية خاصة بالرغم من أن رتبته أمير المجلس وكان فى أول الحكم المملوكى البحرى أعلى من مرتبة أمير السلاح إلا أن كليهما لم تكن له أهمية بارزة فى ذلك الحين. وبالنسبة للوظائف التى كان يشغلها هؤلاء الأمراء فى قيادة الجيش فمنهم من تدرج فى أهمية المناصب كالآتى:

أمير السلاح (وظيفته تعادل وظيفة مدير الأسلحة والذخيرة فى القوات المسلحة حاليا) ـ فكان واجبه الرئيسى حمل أسلحة السلطان أثناء ظهور السلطان أمام الجمهور، كما كان مسئولا أيضا عن «السلحدارية» وهى مكان وضع الأسلحة السلطانية كما كان يتولى الإشراف على الترسانة «دار السلاح» وهو المكان الخاص بصنع وإصلاح وصيانة السلاح، وكان يشغل ذلك المنصب أمير ألف.

وعن صاحب الحجاب (وهى وظيفة تشبه وظيفة مدير إدارة القضاء العسكرى فى القوات المسلحة حاليا) فكان من واجباته الرئيسية النظر فى القضايا بين المماليك الأمراء القادة طبقا لقانون ياسا. كما كان أيضا من واجب الرئيس تقديم المبعوثين والضيوف إلى السلطان، وهو المسئول أيضا عن ترتيب الاستعراضات فى الجيش. (وقد جرت العادة على تعيين خمسة من الحجاب، اثنان منهم وهم صاحب الحجاب، والحاجب الثانى وهما أمراء الألف، وقد قلت وظيفة الحاجب الثانى لتصبح أمير عشرة، وعندما أنشأت هذه الوظيفة كان هناك ثلاثة حجاب، وقد زاد عددهم السلطان إلى خمسة، وكان أقلهم فى الرتبة يشغل منصب أمير عشرة.

انظر : القلقشندى، صبح الأعشى، ٤/ ١٩).

أما عن رأس نوبة النواب (وهى وظيفة تطابق وظيفة رئيس هيئة التنظيم والإدارة بالقوات المسلحة) فلقد ذكر القلقشندى أن هذا الأمير كان مسؤلا عن المماليك (الملكية) السلطانية وهم جند السلطان ذاته وكان عليه مراقبة سلوكهم، بجانب أنه كان يتولى تنفيذ أوامر السلطان، كما كان مسئولا أيضا عن الاستعراضات التى يقوم بها الجيش قبل القيام

بإرساله إلى مهمة فى الخارج، وذلك قطعا بعد استشارة حاجب الحجاب، ولقد استحدث رئيس نوبة النوابة بعد إلغاء منصب رئيس نوبات الأمراء، وكان هذا المنصب يعرف قبل ذلك برئيس نوبة ثان، وكانت رتبته أمير مائة مقدم ألف، وكان كلقبه يعرف أحيانا «برئيس النوبة الكبرى»، وكان عدد الذين يشغلون منصب رئيس النوبة أربعة واحد منهم أمير مائة مقدم ألف والباقون أمراء طبلخاناه.

أما فيما يختص بوظيفة الداودار الكبير «وهى تطابق مدير شئون الضباط بالقوات المسلحة حاليا)، فلقد كان عمله الرئيسى المكاتبات السلطانية ـ وقد استمدت هذه الوظيفة من السلاجقة حيث كان يشغلها مدنيون تحت سيطرتهم، وتحت سيطرة الخليفة العباسى، وكان بيبرس هو أول من جعل شاغل هذه الوظيفة من أمراء العشر. وفى أثناء حكم دولة المماليك البحرية لم يكن شاغل هذا المنصب من بين الأمراء المهمين إلا أنه أصبح فى أيام حكم الشراكسة بعد ذلك من بين كبار أمراء السلطنة. وكان من بين مهام الدوادار فى أواخر حكم المماليك البحرية أن يقرر من بين جند الحلقة من هو أجدر بالإيفاد فى مهام عسكرية.

أما عن أمير أخور (وهو ما يشبه وظيفة مدير المركبات بالقوات المسلحة حاليا) فكانت مهام وظيفته هى رئاسة الاسطبلات السلطانية حيث توجد خيل السلطان التى يستخدمها فى حروبه وكان يقيم فى الاسطبل السلطانى، وكان تحت إمرته ثلاثة أمراء طبلخاناه، وعدد لا يحصى من أمراء العشر وغيرهم (كان هناك أمير أخور للتبن والدريس).

أما أمير خازندار (وهو يشبه وظيفة مدير السجن الحربى حاليا) فكان هو المسئول كذلك عن الزردخانه وهى خذائن السلاح، وكان يقوم باعتقال من ينفذ منهم العقوبة التى قد تصل فى بعض الأحيان إلى القتل ومن هنا جاءت التسمية «أمير خازندار» (هذا الاسم يتركب من ثلاث كلمات: أولها أمير، والثانية خان ومعناها بالفارسية والتركية «الروح» والثالثة دار معناها ممسك فيكون المعنى المقصود «الأمير الممسك بالروح». انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ٥ / ٤٦١).

هذه هى المناصب العسكرية المهمة من الإمرة وتخصصات كل منها، والتى يصل إليها أمراء المماليك بالترقى من درجة إلى أخرى. وإن كان فى بعض الأحيان يصل إليها عن طريق المحسوبية بأن يكون له سنة فى خدمة الوظيفة ثم يرقى مباشرة من قِبل السلطان أو نائبه وبمشاورة السلطان هذا وقد ضم السلطان «الناصر محمد قلاوون» إلى الأمير بيبرس الدوادار مائة فارس وجعله من الأمراء المائة، بعد أن كان «قلاوون» قد أوصله إلى مرتبة أمراء الطبلخاناه. وقد كان الناصر محمد بن قلاوون يمنح مماليكه فى بعض الأحيان مناصب عالية حتى (يملأ) أعينهم بالعطاء الكثير ولم يكن يتبع عادة أبيه قلاوون فى تدرج المماليك فى المراتب والمناصب والوظائف بالرغم من أنه كان يراعى فى ترقيتهم مواهب كل منهم وكفاءته وخبرته، بجانب أنه كان الناصر محمد يكافىء الأمراء المخلصين، ويعاقب من يثبت لديه إدانته.

ويمكن تلخيص ترتيب الرتب فى الجيش فى دولتى السلاطين والمماليك على النحو التالى: كانت الرتب طبقات:

أمير مائة مقدم ألف: وهو من الطبقة الأولى. وله إمرة مائة فارس (أغلبهم مماليكه) أو يزيد على ذلك. ويقدم على ألف فارس ممن هم أقل من درجته.

ويعين من هذه الطبقة فى الوظائف الكبرى مثل الحجبة والنيابة فى الأقاليم (كنيابة حلب أو حمص أو غيرهما). والسلاحدارية. والداودارية. والجاندارية والاستدارية. والجاشناكيرية، والخازاندرية، وغيرها. وسنذكر معانى هذه الألفاظ فيما بعد بإذن الله.

وقد يكون أمير المائة ليس صاحب وظيفة بل له الرتبة فقط. وتدق على بابه الطبول بعدد معين وله الإقطاعات. وحوائص الذهب (جمع حيَّاصة وهى ما يشد على الوسط) ولأمراء المئين رواتب من السكر والحلوى فى رمضان ومن الأضحية فى عيد الأضحى. ولهم البرسيم فى الربيع لغذاء دوابهم بدلا من العليق المرتب لهم. وتفرق عليهم الخيول السلطانية فى السنة مرتين. وغير هذا من المزايا.

أمير طبلخاناه: وهو من الطبقة الثانية. وله الإمرة على أربعين فارسا. وقد يزيد على الأربعين. ويعين من هذه الطبقة فى الوظائف الأقل أهمية. كالكشاف (كان للوجه

البحرى نائب وللوجه القبلى نائب. ولكل مديرية من الوجهين كاشف. فيكون النائب تحته عدة كاشفين. ووظيفة الكاشف تشبه وظيفة المحافظ الآن). وأكابر الولاة مثل ولاية القاهرة والباب الكبير بالقلعة.

وتدق على أبوابهم الطبول ولكن بعدد أقل من أمراء المائة.

أمير عشرة: وهو من الطبقة الثالثة. ويرأس عشرة فوارس أو يزيد. ويعين من هذه الطبقة فى الوظائف الأقل أهمية عن السابقة. مثل شد الدواوين. وأمير شكار. ووالى شكار ووالى القرافة وغيرها.

أمير خمسة: ويرأس خمسة مماليك.

ثم عامة الجند.

(تنظيمات الجيش العربى الإسلامى فى العصر الأموى - د. خالد جاسم الجنابى / ٢٢٠ - ٢٢٥، والفن العربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى - عميد أ. ح محمود نديم أحمد فهيم / ٧٣ - ٨١ وأسماء ومسميات من مصر القاهرة / ١٤٦).

*** رتب مشيخة أبى المعالى (يحيى بن فضل الله):**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث الشريف وعلومه ورجاله لأحمد الحسامى.

١ - غازى خسرو/ سرايفو ١ / ٣٩١ [1796] (١٦٤و).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان. الأردن / ٨٠١)

*** الرتب المنيفة فى فضل السلطنة الشريفة:**

من المخطوطات المصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة. وقد أدرج فى فهرس المخطوطات المصورة (القاهرة) تحت علم السياسة والاجتماع، وأدرج فى الفهرس الشامل (مؤسسة آل البيت) تحت علم الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله، وجاء بيانه فى فهرس المخطوطات المصورة كما يلى:

تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١.

نسخة كتبت فى القرن الحادى عشر

[دار الكتب ٢٦٥ مجاميع ٣ ق ١٤ × ٢٠ سم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية - تصنيف فؤاد سيد ١ / ٥٥١. انظر أيضا الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان. الأردن ٢ / ١٠٨).

*** الرتب والمعالى:**

أفرد لها الهمذانى بابا جاء فيه مايلى: يقال: فلان يطلب الأمور العالية، والمراتب السنية، والدرجات الرفيعة، والأقدار الشريفة، والرتب الجليلة، والمعالى الخطيرة، والمحال النفيسة، . ويقال: فلان يتوقَّل إلى العُلى، ويسمو إلى المكارم، ويتسوَّر إلى الشرف، ويصعد إلى فروع العز، ويترقى إلى ذُرى المجد، ويقال: هذه قوة لاتضام، وقدرة لاترام، ورفعة لاتطاول، وعزة لا تناصب، وجلالة لاتساوى، ورتبة لا تدانى، وسلطان لا يغالب. ويقال: هذا ما تسمو إليه الهمم، وترنو إليه الأبصار، وتمتد نحوه الأعناق، وتطمح إليه العيون، وتقف عليه الآمال.

(الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى الكاتب / ٢٢٨، ٢٢٩).

*** رتبة الثقة:**

من مصطلحات علوم الحديث: الرتبة التى إذا بلغها الراوى صار ثقة.

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣٧).

*** رتبة الحكيم:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الكيمياء. أورده صاحب كشف الظنون فقال عنه: رتبة الحكيم: فى الكيميا للشيخ الفيلسوف أبى محمد مسلمة بن أحمد بن عمر بن وضاح المجريطى إمام الرياضيين بالأندلس المتوفى سنة ٣٩٥ خمس وتسعين وثلثمائة أربع مقالات وهو مجلد أوله: الحمد لله العزيز الوهاب المسبب الأسباب ذكر فيه أن الذى دعاه إلى تأليفه الذى رسمه بمدخل التعليم وسماه رتبة الحكيم أنه رأى أهل زمانه ينتحلون الحكمة ويتعاطون الفلسفة وهم فى بيداء الحيرة تائهون فلما غلقت الحكمة دونهم أبوابها وقطعت بهم أسبابها إذ قنعوا عوضا من الحق الذى تنتهى إليه الحدود ووجدنا الأسرار الطبيعة التى سمتها الأوائل أسرارا

ووضعت جميع علومها. ونتائج هذه العلوم نتيجتان: إحداهما سمَّتها الأوائل كيميا والثانية سيميا وهما علما الأوائل ومن لم يصل إليهم فليس بحكيم وإن أحكم واحدة منهما فهو نصف حكيم لأن الكيميا هى معرفة الأرواح الأرضية وإخراج لطائفها للانتفاع بها والثانية هى الأرواح العلوية واستنزال قواها للانتفاع بها.

(كشف ١ / ٨٣٣).

يوجد مخطوطه المصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وجاء بيانه كما يلى:

تأليف أبى محمد [أو أبى القاسم] مسلمة بن أحمد بن عمر بن وضاح المجريطى القرطبى الأندلسى.

(الذى فى كشف الظنون ١ / ٨٣٣ وفى بروكلمان ١ : ٢٤٣، أنه توفى سنة ٣٩٥ وأكثر المراجع التى ترجمت له على أنه توفى قبل الأربعمائة (الأعلام للزركلى ٨ / ١٢١) وقد اختلف فى اسمه واسم أبيه وكنيته. وما ذكرنا هنا من اسمه نقلا عن النسخة وهو يوافق ماجاء فى كشف الظنون. ونقلنا من المقدمة تاريخ نهاية تأليف الكتاب وهو سنة ٤٤٠ هـ (!؟).

بدأ فى تأليفه أول سنة ٤٣٩ وأتمه سنة ٤٤٤

أوله: الحمد لله العزيز الوهاب... اعلم أيها الحكيم الطالب للعلوم الإلهية والأسرار الطبيعية أن لكل أمر سبب، والذى دعانى إلى تأليف هذا الكتاب الذى وسمته بمدخل التعليم وسميته رتبة الحكيم، أنى رأيت أهل زماننا ينتحلون الحكمة ويتعاطون الفلسفة وهم فى بيداء الحيرة تائهين [تائهون] وفى غمرات الضلالة خائضين [خائضون]... فلما غلقت الحكمة دونهم أبوابها وضربت الفلسفة بينهم وبينها حجابها... رضوا بدلا من فوائدها بجملة أسمائها... ومن نتائجها بادعائها... فاستغنوا عن قراءة كتب الأولين ومطالعة علوم المتفلسفين التى هى جلاء الأذهان ونور الإيمان. ولم تزل هذه الطريقة لازمة لأهل جزيرتنا [الأندلس] وشيمة من شيم أهل بلدتنا، منذ غمرتهم الفتنة وزالت عنهم أعلام السنة وذهب أهل الفهم وخمد نور العلم، . ولم تزل الفلسفة تطمس وآثار الحكمة تدرس... فإلى الله المشتكى على ما نحن فيه من البلاء ... إلخ.

رتبة مؤلفه على أربع مقالات هى:

الأولى: فيما يقرأ من كتب الأوائل.

الثانية: فى حجر العمل.

الثالثة: فى عمل الإكسير.

الرابعة: فى الارتباط فى رموز القوم.

وهذه المقالات خلاصة ما ألفه من رسائل فى العلوم العشرة الفلسفية.

وآخره: فاسمع ما ألقيت عليك من وصاياى دقيقها وجليلها. وكل صغير من الحكمة كبير عند أهله، وإن كنت على غير ما رسمت لك فقد تركتنا والله الموفق لنا ولك وهو حسبى فى ابتداء تأليفى هذا، الذى سميته رتبة الحكيم وفى انتهائه وتمامه لا إله إلا هو رب العرش العظيم...

ـ نسخة بقلم معتاد بدون تاريخ. فى ١٠٨ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا ١٥ × ٢٠ سم.

[دار الكتب المصرية ـ ١٢ طبيعة]

ـ نسخة ثانية بقلم نسخ فى ١٨٠ ورقة تقريبا ومسطرتها ١٩ سطرا.

[مكتبة بلدية الإسكندرية ـ ٦٤٣١ د]

انظر نسخة أخرى بعنوان: مدخل التعليم (فهرس المخطوطات المصورة / ٤٧ ـ ٤٩).

وتوجد نسخة فى المكتبة الوطنية فى تونس أدرجت تحت رقم ٤٠٢٥ م وجاء بيانها كما يلى:

٤٠٢٥ م رتبة الحكيم ـ فى الكيميا ـ

للحكيم أبى مسلمة بن أحمد المجريطى.

يوجد بباريس وراغب باشا ونور عثمانية والإسكوريال والرباط وآصاف والبستانى ـ ودرسه بعضهم ـ بروكلمان ج ١ ص ٢٤٣ وم ١ ص ٤٣١ (مخطوطات جامعة الإسكندرية ١ / ٦٢).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٣٣، وفهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣ / ٤٧ ـ ٤٩، وفهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية ـ إعداد د. يوسف زيدان. معهد المخطوطات العربية القاهرة ١٩٩٤، ١ / ٦٢).

*** رتبة رسول الله ﷺ:**

جاء فى الفقه الأكبر للإمام أبى حنيفة قوله عن رسول الله ﷺ بعد قوله : إن الأنبياء كانت منهم زلات وخطايا : «ومحمد ﷺ حبيبه وعبده وصفيه ونقيه ولم يعبد الصنم ولم يشرك بالله طرفة عين قط ، ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط» .

ويشرح ذلك الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الحنفى الماتريدى السمرقندى صاحب التصانيف الجليلة المتوفى سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين وثلاثمائة فيقول : (ومحمد ﷺ حبيبه) أى حبيب الله تعالى : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة ، وإنى قائل قولا غير فخر: إبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وآدم عليه السلام صفى الله ، وأنا حبيب الله ومعى لواء الحمد يوم القيامة»، ثم أشار الإمام الأعظم بقوله (وعبده) إلى فائدتين : أعنى تشريف محمد، وحفظ الأمة عن قول النصارى . وقال أبو القاسم سليمان الأنصارى : لما وصل محمد عليه الصلاة والسلام إلى الدرجات العالية، والمراتب الرفيعة فى المعارج أوحى الله تعالى إليه فقال : بم أُشرِّفُك؟ قال : يارب بنسبتى إلى نفسك بالعبودية، فأنزل فيه قوله سبحانه وتعالى : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا﴾ [الإسراء : ١] فقال عليه الصلاة والسلام : «لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وقولوا عبد الله ورسوله» كذا فى المشارق، أى لا تتجاوزوا عن الحد فى مدحى كما بالغ النصارى فى مدح عيسى عليه السلام حتى كفروا فقالوا إنه ابن الله ، وقولوا فى حقى : إنه عبد الله ورسوله حتى لا تكونوا أمثالهم، ورسوله ونبيه لقوله تعالى : ﴿محمد رسول الله﴾ [آخر سورة الفتح آية : ٢٩] وقوله تعالى ﴿يا أيها النبى اتق الله﴾ [الأحزاب : ١]، والنبى أعم من الرسول، ويدل عليه أنه عليه السلام سئل عن الأنبياء فقال : «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا . قيل : فكم الرسل منهم؟ فقال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير (وصفيه) أى مصطفاه ومختاره . قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم» كذا فى المصابيح .

(نقيُّه) أى منتقاه تعالى مثل مصطفاه لفظا لأن الله تعالى نقى، وطهر قلبه صلى الله عليه وسلم فى زمن صباه عن المادة التى تمنعه من الترقى : قال أنس رضى الله عنه : إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة وقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه وأعاده فى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعنى ظئره فقالوا إن محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون . وقال أنس رضى الله تعالى عنه : فكنت أرى أثر المخيط فى صدره (ولم يعبد الصنم ولم يشرك بالله طرفة عين قط) يعنى قبل النبوة وبعدها لأن الأنبياء معصومون عن الجهل بالله تعالى، قال على رضى الله عنه : قيل للنبى عليه الصلاة والسلام : هل عبدت وثنا قط؟ قال : لا . قالوا : هل شربت خمرا قط ؟ قال : لا، وما زلت أعرف أن الذى هُم عليه كفر، وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الإيمان (ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط) يعنى قبل النبوة وبعدها .

(شرح الفقه الأكبر. المتن المنسوب إلى الإمام أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى . شرحه الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الحنفى السمرقندى . عنى بطبعه ومراجعته عبد الله بن إبراهيم الأنصارى طبع على نفقة الشئون الدينية بدولة قطر. د. ت/ ١٣٣ ـ ١٣٦) .

*** الرتبة فى الحسبة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى السياسة والاجتماع مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى :

تأليف نجم الدين أحمد بن محمد بن على الشافعى المصرى الشهير بابن الرفعة المتوفى سنة ٧١٠ .

[لا له لى ١٦٠٧ ١٥٣ ق حجم متوسط]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٥٥١) .

قالت المؤلفة : مكتبة لا له لى الملحقة بالمكتبة السليمانية باستانبول .

انظر مادة «الحسبة» فى م ١٣ / ٦٠٣ ـ ٦٢٤ .

*** الرتبة فى شرائط الحسبة:**

الرتبة فى شرائط الحسبة : تأليف الشيخ الإمام محمد بن محمد بن أحمد الأشعرى القرشى الشافعى مشتمل على سبعين بابا كل باب على فصول شتى أوله : الحمد لله الذى برأ النسم وأجرى القلم ... الخ .

(كشف الظنون ١ / ٨٣٤) .

انظر مادة «الحسبة» فى م ١٣ / ٦٠٣ ـ ٦٢٤

*** الرتبة فى طرائق الحسبة. ويسمى أيضا نهاية الرتبة الظريفة فى طلب الحسبة الشريفة:**

من مخطوطات دار الكتب وبيانه كما يلى :

تأليف زين الدين عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله الشيزرى المتوفى سنة ٥٨٩

رتبها على أربعين بابا.

أوله بعد الديباجة: وبعد فقد سألنى من استند لمنصب الحسبة والنظر فى مصالح الرعية وكشف السوقة والمتعيشين أن أجمع له.... ألخ.

ـ نسخة بقلم معتاد قديم مضبوطة بالحركات بخط أبى بكر ابن خليل الشيخ راشد الرملى سنة ٨٦٤هـ بها خرم من أثناء الباب الأول إلى أثناء الباب الثالث فى ٥٥ ورقة ومسطرتها مختلفة. وبها أكل أرضة.

١٣ × ٢٢ سم [١٢٧٦٧ ى].

(فهرست المخطوطات. نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٩٥ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٤٤).

انظر مادة «الحسبة» فى م ١٣ / ٦٠٣ ـ ٦٢٤

*** الرتبة فى طلب الحسبة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى السياسة والاجتماع.

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى:

تأليف نور الدين أبى الحسن على بن محمد الماوردى الشافعى المتوفى سنة ٤٥٠ نسخة كتبت سنة ٩٦٨.

[الفاتح ٣٤٩٥ ١٣٨ ق ١٦ × ٢٢ سم]

(فهرس المخطوطات، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٥٥١).

انظر مادة «الحسبة» فى م ١٣ / ٦٠٣ ـ ٦٢٤.

*** الرتبة فى نظم النخبة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث الشريف وعلومه ورجاله للشمنى (محمد بن حسن).

يوجد مخطوطه فى الأماكن التالية:

١ ـ راشد أفندى ٤٢٩ [11250/ 3] ـ (و ٢٠٠ ب ـ ٢٥٠ أ) ضمن مجموع ـ ١٠٨١ هـ.

٢ ـ التيمورية ٢ / ١٥ [١٠٨] ـ ج١ (١٥ ص) ـ ١١٣٨ هـ.

٣ ـ الأوقاف / بغداد ١ / ٣١٧ [٦ / ١٣٨٤٩ مجاميع] ـ (٤و) ـ ١٣٢٧ هـ.

٤ ـ الأوقاف / بغداد ١ / ٣١٧ [٢ / ٧٩٠٥ مجاميع] ـ (٦و).

٥ ـ دار الكتب / القاهرة (قسم حماية التراث) ١ / ٢٢٣ [٨٣١ مجاميع طلعت] ـ (و ١٣ ـ ١٤) ضمن مجموع

ــ شرحه الحيدرى بعنوان: «أعلى الرتبة بشرح نظم النخبة».

ــ شرحها الشمنى الابن (أحمد بن محمد) بعنوان: «العالى الرتبة فى شرح نظم النخبة».

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان. الأردن ٢ / ٨٠١).

*** الرَّتْق:**

جاء فى اللسان: الرتق: ضد الفتق. ابن سيده: الرتق إلحام الفتق وإصلاحه رتقه يرتُقه ويرتقه رتقا فارتتق أى التأم. وفى التنزيل **﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾** [الأنبياء: ٣٠] قال بعض المفسرين: كانت السموات رتقا لا ينزل منها رجع، وكانت الأرض رتقا ليس فيها صدع، ففتقهما الله تعالى بالماء والنبات رزقا للعباد، قال الفراء فتقت السماء بالقطر والأرض بالنبت، قال: وقال **﴿كانتا رتقا﴾** ولم يقل رتقين، لأنه أخذ من الفعل، وقال الزجاج: قيل رتقا لأن الرتق مصدر، المعنى كانتا ذواتى رتق، فجعلتا ذواتى فتق.

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن الليل: هل كان قبل النهار؟ فتلا **﴿أن السموات الأرض كانتا رتقا﴾**. قال والرتق: الظلمة. وروى أيضا عن ابن عباس قال: خلق الله الليل قبل النهار، وقرأ: **﴿كانتا رتقا ففتقناهما﴾**. قال: هل كان إلا ظلة أو ظلمة؟

(لسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٥٧٧. انظر أيضا كشاف اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر ١٨ / ١٥٧٧).

*** رتَن الهندى:**

قال المباركبورى:

قال ابن حجر فى الإصابة: رتن بن عبد الله الهندى ثم البترندى. ويقال المرندى، ويقال، رطن بالطاء، ابن ساهوك بن جنكدريو. هكذا وجدته مضبوطا بخط من أثق به. وضبط بعضهم بقاف بدل الواو. ويقال: رتن بن نصر بن

كربـال، وقيل: رتن بن سندن بن هنـدى ، شيخ خفى خبره، بزعمه دهـرا طويلا إلى أن ظهر رأس القـرن السادس . فادعى الصحبـة، فـروى عنه ولـداه محمـود وعبـد الله، ومـوسى بن محلى بن بنـدار الـدستـرى، والحسن بن محمـد الحسينى الخراسـانى، والكمال الشيرازى، وإسماعيل العـارفى، وأبو الفضل عثمان بن أبى بكر بـن سعيد الأربلى، وداود بن أسعد حـامـد القفـال المحـرورى، والشـريف على بن محمـد الخراسـانى الهروى، والمعمر أبـو بكر المقـدسى، والهمام السهركندى، وأبـو مروان عبد الله بن بشير المغـربى، لكنه لم يسمعه. قـال: لقيت المعمر. فوصفـه بنحو مما وصفـوا به. ولم أجـد له فى المتقـدمين فى كتب الصحـابة . ولا غيـرهم ذكرا. ولكن ذكـره الذهبى فى تجريده. فقـال: رتن الهندى، شيخ، ظهر بعد ستمائة بـالشرق، وادعى الصحبة فسمع منه الجهـال، ولا وجـود لـه، بل اختلق اسمـه بعض الكـذابين، وإنما ذكرته تعجبا. كما ذكر أبو موسى سرباتك الهندى: بل هذا إبليس اللعين. قد رأى النبى، ﷺ وسمع منه.

وقال الذهبى فى ميزان الاعتدال: رتن الهندى، وما أدراك ما رتن؟ شيخ دجـال بل ريب : ظهر بعد الستمـائة، فادعى الصحبـة، والصحـابـة لا يكــذبـون، وهـذا جـرى على الله ورسولـه، وقد ألف فى أمـره جزءا، وقـد قيل. إنه مـات سنة اثنتين وثلاثين وستمـائة، ومع كونـه كذابا ، فقـد كذبـوا عليه جملة كبيرة، ومن أسمج الكذب والمحال.

قـال القـاضى يعنى نفسـه ذكـره ابن حجـر فى الإصـابـة مفصلا، وكـذلك الشيخ محمد طـاهر الفتنى الكجـراتى فى تذكـرة الموضـوعات، وجوز بعضهم وجـوزه تجويـزا عقليا، كالصلاح الصفدى. وصاحب القـاموس، وكذلك أقره بعض الصوفية ونسبـوا إليه الأحاديث التى جمعوها بـاسم الرتنيات. ولا شك فى صـدق وجود رجل اسمـه رتن الهندى . كمـا لا شك فى كذب ادعـائه الصحبة. والبتـرندى والمرنـدى ، هو البهتندوى نسبـة إلى بهتندا، بلـد مشهور فى البنجـاب، بين دهلى واللاهور (رجال السند والهند / ١١٧ ، ١١٨).

وقد أدرجه الإمـام شمس الدين الذهبى فى الطبقـة الثالثة والثـلاثين وقـال عنـه: رتن الهنـدى، شيخ كبيـر من أبنـاء التسعين، تجرأ على الله وزعم بقلة حياء أنه من الصحابة، وأنه ابن ستمائة سنة وخمسين سنة، فراج أمره على من لا يدرى.

وقد أفردته فى جزء وهتكت باطله

بلغنى أنـه توفى فى حـدود سنة اثنتين وثلاثيـن وستمائة، وأن ابنـه محمـودا بقى إلى سنـة تسع وسبعمـائة، فمـا أكثـر الكذبـ وأروجه! (تهذيب سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٣١).

وقد بسط الكلام عليه صاحب فوات الوفيات، ومما أورده عنه قوله: قال الشيخ شمس الـدين الذهبى رحمه الله تعالى: من صـدَّق بهذه الأعجوبـة وآمن ببقاء رتـن فما لنا فيـه طِب. وليعلم أنى أول من كـذب بـذلك، وهذا شيـخ مُفتر دجـال، كـذب كـذبـة ضخمـة لكى تنصلـح خـابيـة الصبـاغ، وأتى بفضيحة كبيرة، قاتله الله تعـالى أنى يؤفك، وقد أفردت جزءا فيه أخبار الضال، وسميته، «كسر وثن رتن».

وقال الشيخ علم الدين البرزالى: هو من أحاديث الطرقية (هم المشعوذون المحتالون الـذين يبيعون الأدوية فى الأماكن العامة) (فوات الوفيات ١ / ٢٣).

(رجال السند والهنـد إلى القرن السابع ـ جمعه وألفـه وحققه القاضى أبـو المعالـى أطهر المبـاركبـورى / ١١٧ ، ١١٨، وتهذيب سير أعـلام النبلاء للإمـام شمس الدين الذهبى ـ أشـرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط . هذبـه أحمد فايز الحمصى، راجعه عـادل مرشد ٣/ ٢٣١ ، وفوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتبى ـ تحقيق د. إحسان عباس ٢ / ٢٣).

*** الرُّتَّة:**

من عيـوب اللسـان الـرُّتَّة وهى ــ (بضم الراء) عجلـة فى الكلام ، وقلـة أناة، وهى بهذا التعريف لا تتعـدى أن تكون: أداء الكلام بسـرعة غيـر معهودة عن المتكلم، غيـر أن بعض أصحـاب المعجمات يحـدد دلالتهـا بشكل أكثـر وضوحـا، عندما يجعلها عيبا لسانيا بقلب اللام ياء، ينقل ابن منظور عن بعضهم قوله: وقيل: هو أن يقلب ـ المتكلم ـ اللام ياء، وقد رتَّ يرتُّ رتة، وهو أرت .

أبو عمرو: «الرتة: ردة قبيحة فى اللسان من العيب. وقيل : هى العجمـــة فى الكـلام، والحكلـــة فيـه» (اللســان ١٨ / ١٥٧٥).

ويدل ما نقله الثعالبى فيها : أنها حبسة فى لسان الرجل، وعجلة فى كلامه، فهى عنـده ليست عجلة فقط، وإنما هى عقدة تمنعه من الترسل فى الكلام (فقه اللغة / ٥٦١).

ولما كانت الرتة عيبا لسانيا قبيحا، يجمع المصاب بها بين العقدة في اللسان والحبسة فيه، من جهة، والعجلة في الكلام فلا يطاوعه لسانه من جهة ثانية، فهي ـ إذن ـ عيب مركب، يسيء، إلى صاحبه، ولذا ورد في الحديث أنه ﷺ، رأى رجلا أرت يؤم الناس فأخره.

ولقد أفاض اللغويون في ذكر هذا العيب، ومنهم الجاحظ (البيان والتبيين ١ / ١٢، ١٣) فذكروا جملة من الناس أصيبوا بهذا العيب، كما ذكروا تحديد موضعه من اللسان، ونوع الصوت الذي يقع فيه، ويمكننا ـ هنا ـ تحديد الخلاف في تفسير الرتة، بالنقاط الآتية:

١ ـ أنها عقدة في اللسان، أو حبسة،

ب ـ هي العجمة في الكلام. والحكلة فيه.

ج ـ هي عجلة في الكلام، وقلة أناة فيه.

د ـ هي ردة قبيحة في اللسان.

هـ ـ هي قلب اللام ياء، فإذا قال المتكلم (قلبا) قالها : (قيبا).

و ـ هي عند ابن الأعرابي «الرترتة» من الفعل، وهي تتعتع المتكلم بالتاء، وغيرها من الحروف.

ز ـ وهي عند الأزهري، كالرتج، تمنع من الكلام أوله، فإذا جاء منه شيء اتصل به. ووصفها بأنها عزيزة تكثر في الأشراف، وتوصف المرأة بها، فيقال : الرتَّي.

وحصل ما تجمَّع من صفات هذا العيب، يدل على أن الرتة تتكون من مجموعة انحرافات في الجهاز النطقي، يتعلق بعضها بسرعة اللسان ـ حينا ـ وبتأخره ـ حينا آخر ـ وبحبسة أو عقدة فيه ـ من جانب ثالث ـ وبتبدلات صوتية قبيحة في بعض الأصوات من جوانب أخرى.

ويمكننا أن نلاحظ أن مثل هذا العيب موجود في بعض أفراد مجتمعنا المعاصر، فإذا أرادوا الكلام اختنق في الحلق فترة ثم انفجر بشكل سريع ومتواصل، يصاحبه ما يشبه الهمهمة بسبب خروج الهواء خروجا سريعا.

ولقد وصفت العرب بعض رجالها بالأرت، وسمت به، ومنهم: الأرت والد (خباب) الصحابي رضي الله عنه ونقل الجاحظ: أن داود بن جعفر، كان إذا خطب، استمر فلم يرده شيء، وكان في لسانه شبيه بالرتة وربما كان «الرتل» المعروف عند عوام الناس ـ اليوم ـ هو هذا العيب.

(لسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٥٧٧، و «عيوب اللسان واللهجات المذمومة» ـ د. رشيد عبد الرحمن العبيدي مجلة المجمع العلمي العراقي جـ٣ م ٣٦ المحرم ١٤٠٦ هـ ـ أيلول ـ سبتمبر ١٩٨٥ / ٢٥٧ـ٢٥٩).

*** رتيع الغزلان:**

رتيع الغزلان: في الأدب للشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ أربع وتسعين وسبعمائة. (كشف ١ / ٨٣٤).

قالت المؤلفة: جاء في اللسان : رتعت الماشية ترتع رتعا ورتوعا: أكلت ما شاءت، وجاءت وذهبت في المرعى نهارا، و أرتعتها أنا فرتعت. قال : والرتع لا يكون إلا في الخصب والسعة.

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٨٣٤، ولسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٥٧٧).

*** الرِّثاء:**

جاء في اللسان في مادة «رثا» ما يلي: رثى فلان فلانا يرثيه رَثْيًا ومَرْثِيَة إذا بكاه بعد موته. قال: فإن مدحه بعد موته قيل رثَّاه يُرَثِّيه ترثية. ورثيْتُ الميت رثْيًا ورثاءً ومرثاة ومرثية ورثَّيْتُه: مدحتُه بعد الموت وبكيته. ورثَوْتُ الميت أيضا إذا بكيته وعددت محاسنه، وكذلك إذا نظمت فيه شعرا. ورثت المرأة بعلها ترثيه ورثيته ترثاه رثاية فيهما (الأخيرة عن اللحياني) وترثَّت كَرَثَّت ...

وامرأة رثَّاءة ورثاية : كثيرة الرثاء لبعلها أو لغيره ممن يكرم عندها، تنوح نياحة ... وفي الحديث: أنه نهى عن الترثي، وهو أن يندب الميت فيقال : وافلاناه (اللسان ١٨ / ١٥٨٢، ١٥٨٣).

ويفرد ابن رشيق صاحب العمدة بابا في الرثاء جاء فيه ما يلي:

وليس بين الرثاء والمدح فرق؛ إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل «كان» أو «عدمنا به كيت وكيت» وما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت.

وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع، بين الحسرة، مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام، إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا، كما قال النابغة في حصن بن حذيفة بن بدر:

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم
وكيف بحصن والجبالُ جنوحُ

ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل
نجوم السماء والأديم صحيح

فعما قليل ثم جاء نَعِيُّه
فظل نديُّ الحي وهو ينوح

فهذا وما شاكله رثاء الملوك والرؤساء الجِلّة، وإلى هذا المعنى ذهب أبو العتاهية حين قال:

** مات الخليفة أيها الثقلان **

فرفع الناس رءوسهم، وفتحوا عيونهم، وقالوا: نعاه إلى الجن والإنس، ثم أدركه اللين والفترة فقال:

** فكأنني أفطرت في رمضان**

يريد: إني بمجاهرتي بهذا القول كأنما جاهرت بالإفطار في رمضان نهارا وكل أحد ينكر ذلك علي، ويستعظمه من فعلي، وهذا معنى جيد غريب في لفظ رديء غير معرب عما في النفس.

ومن أفضل الرثاء قول حسين بن مطير يرثي معن بن زائدة، ويروى لابن أبي حفصة:

فيا قبر معن كنت أول حفرة
من الأرض خُطَّت للسماحة مضجعا

ويا قبر معن كيف واريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مُترعا

بل قد وسعت الجود والجود ميت
ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فتى عيشَ في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

وليس في ابتداءات المراثي المولدة مثل قول أبي تمام:

أصمّ بك الناعي وإن كان أسمعا
وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

يرثي بها محمد بن حميد، وجعل خاتمتها:

فإن ترم عن عمر تدانى به المدى
فخانك حتى لم تجد عنه منزعا

فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة
فقطّعها ثم انثنى فتقطعا

وأبو تمام من المعدودين في إجادة الرثاء، ومثله عبد السلام بن رغبان ديك الجن ... ويكون الرثاء مجملا كالمدح المجمل فيقع موقعا حسنا لطيفا: كقول ابن المعتز في المعتضد:

قضوا ما قضوا من أمره ثم قدّموا
إماما إمام الخير بين يديه

وصلوا عليه خاشعين كأنهم
صُفُوفٌ قيام للسلام عليه

وقال في عبيد الله بن سليمان بن وهب:

قد استوى الناس ومات الكمال
وصاح صرف الدهر أين الرجال

هذا أبو العباس في نعشه
قوموا انظروا كيف تسير الجبال

يا ناصر الملك بآرائه
بعدك للملك ليال طوال

وذكر غير واحد أن أرثى بيت قيل:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه
فطيب تراب القبر دل على القبر

ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعزة، والأمم السالفة، والوعول الممتنعة في قلل الجبال، والأسود الخادرة في الغياض، وبحمر الوحش المتصرفة بين القفار، والنسور، والعقبان، والحيات؛ لبأسها وطول أعمارها وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعر.

قال أبو علي: فأما المحدثون فهم إلى غير هذه الطريقة أميل، ومذهبهم في الرثاء أمثل، في وقتنا هذا وقبله، وربما جروا على سنن من قبلهم اقتداء بهم وأخذا بسنتهم كالذي صنع أبو أيوب في رثائه أبا البيداء الأعرابي وخلف بن حيان الأحمر ومراثيه فيهما فائيتان وقافية مشهورات...

وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيبا كما يصنعون ذلك فى المدح والهجاء، وقال ابن الكلبى ـ وكان علاّمة ـ لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة.

أرَثَّ جديد الحبل من أم معبد
بعافية وأخلفت كل موعد

وعن على بن سليمان، عن أبى العباس الأحول، أن القصيدة التى لأبى قحافة أعشى باهلة، إنما هى لابنة المنتشر، واسمها الدعجاء.

قال: وقال على بن سليمان: حدثنى أبى أن أولها.

هاج الفؤاد على عرفانه الذكر
وذكر خَوْد على الأيام ما يذر
قد كنت أذكرها والدار جامعة
والدهر فيه هلاك الناس والشجر

ومما عيب به الكميت فى الرثاء قوله فى ذكر رسول الله ﷺ:

وبورك قَبْرٌ أنت فيه وبوركت
به وله أهل بذلك يثرب
لقد غيبوا برا وحزما ونائلا
عشية واراه الضريح المنصب

حكاه الجاحظ وغيره، وأظن أن المراد بما عيب الثانى من هذين البيتين، فأما الأول فجيد.

ومن العجب أن يقول عبدة بن الطبيب فى تأبين قيس بن عاصم:

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته ما شاء أن يترحما
تحية من ألبسته منك نعمة
إذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدَّما

ويقول الكميت فى تأبين رسول الله ﷺ هذا القول، فهلا قال مثل قول فاطمة رضى الله عنها.

أغْبَرَّ آفاق السماء وكُوِّرت
شمس النهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبى كئيبةٌ
أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها
وليبكه مضر وكل يمانى
وليبكه الطود المعظم جوُّه
والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك صنوه
صلى عليك مُنَزِّل القرآن

ﷺ، ورحم وكرم وعظم.

والنساء أشجى الناس قلوبا عند المصيبة، وأشدهم جزعا على هالك: لما ركب الله عز وجل فى طبعهن من الخور وضعف العزيمة.

وعلى شدة الجزع يبنى الرثاء.

فانظر إلى قول جليلة بنت مرة ترثى زوجها كليبا، حين قتله أخوها جساس، ما أشجى لفظها، وأظهر الفجيعة فيه!! وكيف يثير كوامن الأشجان، ويقدح شرر النيران، وذلك:

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا
تعجلى باللوم حتى تسألى
فإذا أنت تبينت التى
عندها اللوم فلومى واعذلى
إن تكن أخت امرىء ليمت على
جزع منها عليه فافعلى
فعل جساس على ضنى به
قاطع ظهرى ومدن أجلى
لو بعين فديت عينى سوى
أختها وانفقأت لم أحفل
تحمل العين قذى العين كما
تحمل الأم قذى ما تفتلى

إننى قـاتلـة مقتـولـة
فلعل الله أن يـرتـاح لى
يـا قتيـلا قـوَّض الـدهـر بـه
سقـف بيتى جميعـا من عـل
ورمـانى فقـده من كثب
رميـة المُصْمَى بـه المستأصل
هـدم البيت الـذى استحـدثتُـه
وسعـى فـى هـدم بيتى الأول
مَسَّنى فقـدُ كليـب بلظًى
مـنْ ورائى ولظـى مستقبلـى
ليس مـن يبكى ليـومين كمن
إنمـا يبكى ليـوم ينجلى
درك الثـائر شـافيـه وفى
دركـى ثـأرى ثكـل المثكـل
ليتـه كـان دمى فـاحتلبـوا
دررا منـه دمى مـن أكحلـى.

ومن أشدِ الرثـاء صعوبـة على الشاعـر أن يرثى طفـلا أو امرأة؛ لضيق الكـلام عليه فيهما، وقلة الصفـات، ألا ترى ما صنعوا بأبى الطيب ـ وهو فحل مجود إذا ذكر المحدثون ـ فى قوله يذكر أم سيف الدولة:

صـلاة الله خـالقنـا حنـوطٌ
على الـوجـه المكفن بـالجمـال

فقـالـوا: مـا لـه ولهـذا العجـوز يصف جمـالهـا؟ وقـال الصاحـب بن عباد: استعارة حـداد فى عرس، فـإن كان أراد الصـاحـب بالاستعـارة الحنوط فقـد والله ظلم وتعسف، وإن كان أراد استعارة الكفن بجمال العجوز فقد اعترض فى موضع اعتراض إلى مواضع كثيرة فى هـذه القصيدة، على أن فيها ما يمحـو كل زلة، ويعفى على كل إسـاءة. ومن صعب الرثـاء أيضا جمع تعزيـة وتهنئة فى موضع، قالوا: لما مـات معاوية اجتمع النـاس بباب يـزيـد، فلم يقدر أحـد على الجمع بين التهنئة والتعزية، حتى أتى عبيـد الله بن همام السلولى فدخل فقال: يا أمير المؤمنين، آجرك الله على الرزية، وبارك لك فى العطية، وأعـانك على الـرعية، فقد رزئت عظيمـا، وأعطيت جسيما، فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر على ما رزئت، فقد فقدت خليفة الله، وأعطيت خـلافة الله، ففارقت جليلا، ووهبت جـزيلا؛ إذ قضى معـاويـة نحبه، ووليت الـرياسـة، وأعطيت السياسـة، فأورده الله موارد السـرور، ووفقك لصالح الأمور.

فـاصبـر يـزيـد فقـد فـارقت ذا ثقـة
واشكـر حبـاء الـذى بـالملك أصفـاكـا
لا رزء أصبح فـى الأقـوام نعلمـه
كمـا رزئت ولا عقبى كعقبـاكـا
أصبحت والى أمـر النـاس كلهم
فأنـت تـرعـاهم والله يـرعـاكـا
وفى معـاويـة البـاقى لنـا خلف
إذا نعيت ولا نسمع بمنعـاكـا

ففتح للناس باب القول:

وعلى هـذا السَّنن جرى الشعـراء بعده؛ فقـال أبو نـواس يعزى الفضل بن الربيع عن الرشيد، ويهنئه بالأمين.

تعـز أبـا العبـاس عن خيـر هـالك
بـأكـرم حى كـان أو هـو كـائن
حـوادث أيـام تـدور صـروفُهـا
لهـن مسـاو مـرَّة ومحـاسـنُ
وفى الحى بـالميت الـذىَ غَيِّب الثـرى
فـلا الملـك مغبـون ولا المـوت غـابن

ويروى: * *فـلا أنـت مغبـون* *

واتبعه أبو تمام بالقصيدة التى أولها:

* *وما للدموع تروم كل مرام* *

يقولهـا للواثـق بعد موت المعتصـم، صرف الكـلام فيها كيف شـاء، وأطنب كما أراد، واحتـج فيها فأسهب، وتقـدم فيها على كل من سلك هـذه الناحيـة من الشعراء، وأراد ابن الـزيات مجاراتـه فعلم من نفسه التقصيـر فاقتصـر علـى قـولـه:

قـــد قلت إذ غيبـــوك واصطفقت
عليك أيـــد بـــالتـــرب والطيـن
اذهـب فنعـم المعيـن كنت علـى الـــد
نيـــا ونعـم الظهيـــر للـــدين
لـن يجبـــر الله أمـــة فقـــدت
مثلـك إلا بمثـل هـــارون

ومن جيد ما رثى به النساء وأشجاه وأشده تأثيرا فى القلب وإثارة للحزن قول محمد بن عبد الملك هـذا فـى أم ولـده:

ألا مـن رأى الطفـل المفـــارق أمـــه
بُعَيـــد الكـــرى عينـــاه تبتـــدران
رأى كـل أم وابنهـــا غيـــر أمـــه
يبيتـــان تحت الليـل ينتجيـــان
وبـــات وحيـــدا فـى الفـــراش تحثُّـــه
بـــلابل قلـب دائم الخفقـــان

يقول فيها بعد أبيات:

ألا إن سَجْـــلاً واحـــدا قـــد أرقتُـــه
من الـــدمع أو سَجْلَيْن قـــد شفيـــانى
فـــلا تلحيـــانى إن بكيت فإنمـــا
أداوى بهـــذا الـــدمع مـــا تـــريـــان
وإن مكـــانـــا فى الثـــرى خط لحـــده
لمـن كـــان فـى قلبى بكـل مكـــان
أحقُّ مكـــان بـــالـــزيـــارة والهـــوى
فهـلْ أنتمـــا إن عُجْتُ منتظـــران

فهذه الطريق هى الغاية التى يجرى حذاق الشعراء إليها، ويعتمـدون فى الرثـاء عليها، مـا لم تكن المرثيـة من نسـاء الملوك، وبنات الأشراف، وغير ذوات محارم الشاعر؛ فإنه يتجافى عن هـذه الطريقـة إلـى أرفع منهـا، نحـو قـول أبى الطيب:

ولـــو أن النســـاء كمن فقـــدنـــا
لفُضِّلت النســـاء علـى الـــرجـــال

وقوله فى هذه القصيدة:

مشى الأمـــراء حـــوليهـــا حفـــاة
كـأن المـــرو مـن زِفِّ الـــرئال

ونحو قوله لأخت سيف الدولة:

يـــا أخت خيـــر أخ يـــابنت خيـــر أب
كنـــايـــة بهمـــا عـن أشـــرف النسب
أجـلَّ قـــدرك أن تـــدعى مـــؤنثـــة
ومـن يصفك فقـــد سمَّـــاك للعـــرب

ورثـاء الأطفال أن يـذكر مخايلهم، وما كـانت الفراسة تعطيه فيهم، مع تحزن لمصابهم، وتفجع بهم، كالذى صنع أبو تمام فى ابنى عبد الله بن طاهر (العمدة ٢/ ١٤٧ـ١٥٨).

ومثل قول أبى الحسن التهامى يرثى ابنا له صغيرا، الذى نقل قصيدته هنا، وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها:

١ ـــ حكم المنيـــة فى البـــريـــة جـــار
مـــا هـــذه الـــدنيـــا بـــدار قـــرار
بينـــا يـــرى الإنســـان فيهـــا مخبـــرا
حتـى يـــرى خبـــرا مـن الأخبـــار
طبعت علـى كـــدرٍ، وأنت تـــريـــدهـــا
صفـــوا مـن الأقـــذار والأكـــدار
ومكلِّـفُ الأيـــام ضـــد طبـــاعهـــا
مُتَطلِّـب فى المـــاء جـــذوة نـــار
٥ ـــ وإذا رجـــوت المستحيل فـإنمـــا
تبنـى الـــرجـــاء علـى شفيـــر هـــار
فـــالعيش نـــوم والمنيـــة يقظـــة
والمـــرء بينهمـــا خيـــال ســـار
والنفـس إن رضيت بـــذلـك أو أبت
منقـــادة بـأزمـــة المقـــدار
فـــاقضـــوا مـــآربكم عجـــالا إنمـــا
أعمـــاركم سفـــر مـن الأسفـــار
٩ ـــ وتـــراكضـــوا خيـل الشبـاب وحـــاذروا
أن تستـــرد فـإنهـن عـــوار

فـالـدهـر يخـدع بـالمنى، ويُغصُّ إن
هنىّ، ويهـدم مـا بنى ببـوار

ليس الـزمـان وإن حـرصت مسـالمـا
خُلُقُ الـزمـان عـداوة الأحـرار

يـا كـوكبـا مـا كـان أقصـر عمـره
وكـذاك عمـر كـواكب الأسحـار

١٣ ـ وهـلال أيـام مضى لم يستـدر
بـدرا، ولـم يمهل لـوقت سـرار

عَجِل الخسـوفُ عليـه قبل أوانـه
فمحـاه قبل مظنـة الإبـدار

واستُلَّ من أتـرابـه ولـداتـه
كـالمقلـة استُلَّت من الأشفـار

فكأن قلبى قبـره وكأنـه
فى طيـه سـر من الأسـرار

١٧ ـ إن يحتقـر صغـرا فـرب مُفَخَّم
يبـدو ضئيل الشخص للنُّظـار

إن الكـواكب فى عُلـوِّ محلِّهـا
لتـرى صغـارا وهى غيـر صغـار

ولـد المُعَـزَّى بعضـه، فإذا انقضى
بعض الفتى فـالكل فى الآثـار

أبكيـه ثم أقـول معتـذرا لـه:
وفِّقت حين تـركـت ألأم دار

٢١ ـ جـاورت أعـدائى وجـاور ربـه
شتـان بين جـواره وجـوارى

أشكـو بعـادك لى وأنت بمـوضع
لـولا الـرَّدى لسمعت فيـه سـرارى

والشـرق نحـو الغـرب أقـرب شُقَّـة
من بُعـد تلك الخمسـة الأشبـار

هيهـات قـد علقتك أشـراك الـردى
واعتـاق عمـرك عـائق الأعمـار

٢٥ ـ ولقـد جـريت كمـا جـريت لغـايـة
فبلغتهـا وأبـوك فى المضمـار

فـإذا نطقـت فـأنـت أول منطقـى
وإذا سكت فـأنت فى إضمـارى

أخفى من البـرحـاء نـارا مثلمـا
يخفى من النـار الـزنـاد الـوارى

وأخفِّض الـزفـرات وهى صـواعـد
وأكفكف العبـرات وهى جـوارى

٢٩ ـ وشهـاب زنـد الحـزن إن طـاوعتـه
وار وإن عـاصيتـه متـوارى

وأكُفُّ نيـران الأسى، ولـربمـا
غلب التصبُّـر فـارتمت بشـرار

ثـوب الـريـاء يشف عمـا تحتـه
فـإذا التحفت بـه فـإنك عـار

وفيما يلى شرح بعض الألفاظ :

البيت ٥ : الشفير: حافة الشىء وطرفه . والهار: المنهار أى فإنما تبنى الرجاء على حافة كثيب منهار فلا يستقر بناء أى لا يتحقق رجاء .

البيت ٩ : وتراكضوا خيل الشباب : أى اعملوا فيه وانعموا قبل أن يسترد فإنه عارية .

البيت ١٢ : الكواكب التى تظهر على الشرق فى السحر كالزهرة فى قسم من فصول السنة وكعطارد كذلك، قصيرة مدة الظهور لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فتنسخ ضوءها .

البيت ١٣ : استدارة البدر فى وسط الشهر وسراره : أى خفاؤه جملة يكون فى آخر ليلة من الشهر وهى التى يظهر بعدها الهلال الجديد .

البيت١٥ : الأتراب واللدات : من يولدون فى زمن ميلاد الرجل ويحيون فى حياته .

البيت ٢٠ يريد بالدار هنا الدنيا .

هذا وقد فاتنا ترجمة الشاعر أبى الحسن التهامى صاحب هذه المرثية فى موضعها ومن ثم نوردها هنا إتماما للفائدة .

هو أبو الحسن على بن محمد التهامى، أصله من بلاد

العرب من تهامة. وجاب الأقطار وطوّف البلاد ومدح الرؤساء فى الشام وباديتها، وأقام بينهم، وبعثوه جاسوسا إلى القاهرة على الفاطميين، فقبضوا عليه وسجنوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ. وكان مليح الشعر بدويه واشتهرت مرثيته هذه وكانت سبب إشهار صاحبها.

(المنتخب ٢ / ٣٧٤-٣٧٦).

ومثل رثاء الأبناء، هناك رثاء الأمهات والآباء. وقد سبق أن أوردنا طرفا من رثاء الأستاذ زاهر أحمد عبيد أباه أحمد عبيد فى ترجمته فى م ٢ / ٦٨٣ وذلك من قصيدة مؤثرة يعدد فيها مناقبه.

ومن الأدب الحديث لدينا هذه الأبيات لمحمود باشا سامى البارودى يرثى أباه لما ناهز العشرين:

١ - لا فارس اليوم يحمى سرحة الوادى
طاح الردى بشهاب الحرب والنادى

٢ - مات الذى ترهب الأقران صولته
ويتقى بأسه الضرغامة العادى

٣ - مضى وخلّفنى فى سن سابعة
لا يرهب الخصم إبراقى وإرعادى

٤ - فإن أكن عشت فردا بين آصرتى
فها أنا اليوم فرد بين أندادى

وفيما يلى شرح بعض الألفاظ

البيت ١: السرحة، بفتح السين: القطعة من الإبل السائمة. وطاح به: أهلكه. والردى بفتح الدال: الموت، والشهاب: كوكب يريد أنه كالكوكب فى انتفاضه على محاربيه، كما كان فى مجتمع القوم زينتهم كالكوكب أيضا فى تألقه

البيت ٢: الأقران: جمع قرن بكسر القاف، وهو المناظر فى الشجاعة وغيرها. والضرغامة. الأسد. والعادى: الصائل.

البيت ٣: إبراقه وإرعاده: تهديده ووعيده

البيت ٤: يريد بآصرته، أهل قرابته وأصحاب مودته (المنتخب ٢ / ٤٩٦).

ولدينا أيضا مرثيتان رائعتان لأمير الشعراء أحمد شوقى، إحداهما التى رثى بها أمه، والأخرى تلك التى رثى بها أباه.

فأما عن المرثية الأولى فقد نظم أمير الشعراء هذه المرثية الرائعة، على إثر إعلان الهدنة، وهو فى منفاه فى الأندلس سنة ١٩١٨ إذ كان يعلل النفس بالعودة إلى الوطن العزيز ولقاء آله، وفى مقدمتهم والدته الحبيبة، ولكنه ما كاد يتحدث إلى نفسه بهذا الأمل المرموق، حتى وافاه البرق بنعيها، فأثر هذا المصاب الجسيم فى نفسه تأثيرا بالغا، ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المرثية، وقد قيل إنه من فرط تأثره بها تحاشى أن ينظر إليها بعد، فبقيت مستورة ضمن أوراقه الخاصة، حتى نشرت فى الصحف غداة وفاته رحمه الله.

وهى مرثية طويلة تقع فى اثنين وخمسين بيتا، ونكتفى بنقل أولها وآخرها. وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها. قال رحمه الله:

١ - إلى الله أشكو من عوادى النوى سهما
أصاب سويداء الفؤاد وما أصْمَى

٢ - من الهاتكات القلب أول وهلة
وما دخلت لحما ولا لامست عظما

٣ - توارد والناعى، فأوجست رنّة
كلاما على سمعى وفى كبدى كَلْما

٤ - فما هتفا حتى نزا الجنب وانزوى
فياويح جنبى كم يسيل وكم يدمى؟

٥ - طوى الشرق نحو الغرب والماء للثرى
إلىَّ ولم يركب بساطا ولا يمّا

٦ - أبان ولم ينبس وأدى ولم يَفُه
وأدمى وما داوى، وأوهى وما رمّا

٧ - إذا طويت بالشهب والدُّهْم شُقّةٌ
طوى الشهب أو جاب الغُدافيَّة الدُّهما

٨ - ولم أر كالأحداث سهما إذا جرت
ولا كالليالى راميا يبعد المرمى

٩ - ولم أر حكما كالمقادير نافذا
ولا كلقاء الموت من بينها حتما

١٠ - إلى حيث آباء الفتى يذهب الفتى
سبيل يدين العالمون بها قدما

١١ ـــ وما العيش إلا الجسم فى ظل روحه
ولا الموت إلا الروح فارقت الجسما

١٢ ـــ ولا خلد حتى تملأ الدهر حكمة
على نزلاء الدهر بعدك أو علما

... ...

٤٧ ـــ لئن فات ما أملته من مواكب
فدونك هذا الحشد والموكب الضَّخما

٤٨ ـــ رثيتُ به ذات التقى ونظمتُه
لعنصره الأزكى وجوهره الأسمى

٤٩ ـــ نمتك مناجيب العُلا ونميتها
فلم تلحقى بنتا ولم تسبقى أمَّا

٥٠ ـــ وكنت إذا هذى السماء تخايلت
تواضعت لكن بعد ما فُتّها نَجما

٥١ ـــ أتيت به لم ينظم الشعر مثله
وجئت لأخلاق الكرام به نظما

٥٢ ـــ ولو نهضت عنه السماء، ومخَّضت
به الأرض كان المُزن والتبر والكرما

وفيما يلى شرح معانى بعض الألفاظ :

البيت ١ : عوادى النوى: عوائقه. وقوله: «أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى» . أى أصاب صميم القلب ولم يقتل .

البيت ٣ : الكلم (بفتح الكاف) : الجرح

البيت ٥ : بساطا ولا يما : أى لم يركب طائرة تسير فى الهواء، كما سار بساط الريح بسليمان عليه السلام، ولم يركب باخرة على اليم، أى البحر

البيت ٧ : الشهب: البيض. الدهم: السود. جاب: قطع. الغدافية: السوداء، ويقصد بالشهب وبالدُّهم: الخيل البيضاء والسوداء أو النهار والليل كأنه يتعجب من سرعة هذا النعى فى وصوله إليه .

البيت ٥٢ : يريد أنه يشبه المزن فى كرم، والتبر فى العرق والنفاسة، والخمر فى السكر الذى يسكر الناس به من شعره (الشوقيات ٣/ ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩).

أما المرثية الثانية فقد نظمها حوالى سنة ١٨٩٧ يرثى بها والده المرحوم على بك شوقى وتقع فى واحد وثلاثين بيتا، وهى قصيدة بليغة ننقلها فيما يلى ، وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها :

١ ـــ سألونى: لِمَ لَمْ أرث أبى
ورثاء الأب دين أىُّ دَيْن

أيها اللُّوَّام ما أظلمكم!
أين لى العقل الذى يسعد أين

يا أبى، ما أنت فى ذا أوَّلٌ
كل نفس للمنايا فرض عين

هلكت قبلك ناس وقرى
ونعى الناعون خير الثقلين

٥ ـــ غاية المرء وإن طال المدى
آخذ يأخذه بالأصغرين

وطبيب يتولى عاجزا
نافضا من طبِّه خُفَّى حُنين

إن للموت يدا إن ضَرَبَت
أوشكت تصدع شمل الفرقدين

تنفذ الجو على عقبانه
وتلاقى الليث بين الجبلين

وتحطُّ الفرخ من أيكته
وتنال البَبَّغا فى المئتين

أنا من مات ومن مات أنا
لقى الموت كلانا مرتين

نحن كنا مهجة فى بدن
ثم صرنا مُهجة فى بدنين

ثم عدنا مهجة فى بدن
ثم نلقى جثة فى كفنين

١٣ ـــ ثم نحيا فى (علىٍّ) بعدنا
وبه نبعث أولى البعثتين

انظر الكون وقُل فى وصفه
كلُّ هذا أصلُه من أبوين

فـإذا مـــا قيل مـــا أصلهمـــا
قل همـا الــرحمــة فـى مــرحمتين
فقـــدا الجنـــة فـى إيجـــادنـــا
ونعمنـــا منهمـــا فـى جنتين
١٧ ـــ وهمـا العــذر إذا مـا أُغضبـا
وهمـــا الصفح لنـــا مستــرضَيَيْن
ليـت شعـــرى أىُّ حىٍّ لـم يــدن
بـــالــذى دانـــا بـــه مبتـدئين
وقـف الله بنـــا حيـث هُمـــا
وأمـــات الـــرسل إلا الـــوالـــدين
مـــا أبـى إلا أخ فـــارقتـــه
وُدُّه الصِّـــدق وود النـــاس مين
٢١ ـــ طـــالمـا قمنـا إلـى مـائدة
كـــانـت الكسـرة فيهـا كسـرتين
وشـــربنـا من إنـــاء واحــد
وغسلنـا بعـــد ذا فيـه اليـدين
وتمشينـا يــدى فـى يــده
مـن رآنـا قـال عنـا أخــوين
نظـــر الــدهـــر إلينـا نظـــرة
ســوَّت الشــرَّ فكـــانت نظـــرتين
٢٥ ـــ يـــا أبى والمــوت كـأس مــرة
لا تـــذوق النفس منهـا مـــرتين
كيف كـــانـت ســاعـــة قضَّيتهـــا
كـل شىء قبلهـــا أو بعــــدُ هين
أشـــربت المــوت فيهـا جـــرعـــة
أم شـــربـت المــوت فيهـا جُــرعتين
لا تخـف بعـــدك حـــزنـــا أو بُكـــا
جمــــدت منى ومنك اليـــوم عين
٢٩ ـــ أنـت قـــد علمتنى تــرك الأسى
كـل زيـن منتهـــاه المـــوت شَيْن
ليـت شعـــرى هل لنـــا أن نلتقـى
مـــرة أم ذا افتـــراق الملـــوين
٣١ ـــ وإذا مـــتُّ وأودعـــت الثـرى
أنلقـى حفـــرة أم حفـــرتين

وفيما يلى معانى الألفاظ :

البيت ٢ : يسعد : يعين

البيت ٤ : الثقـلان : الإنس والجن، وخير الثقلين، هـو سيدنا محمد ﷺ

البيت ٥ : الأصغران : القلب واللسان .

البيت ٦ : خُفَّى حنين : مثل عربى يضرب عند اليأس من الحاجة المطلوبة والرجوع عن الطلب بالخيبة .

البيت ١١ : المهجـة : الدم، وقد يعبـر بها عـن الروح ، يقال : خرجت مهجته، أى روحه .

البيت ١٣ : على : هو أحد نجلى أمير الشعراء .

البيت ١٩ : يريـد فى هذا البيت أن يقرر أن الأبـوة ضرب من ضـروب الـرسـالـة التى لـم تنقطع كمـا انقطعت رسـالـة الأنبياء، وإنما هى ستظل قائمـة بوظيفتها من طبع الأبناء على غرار الآباء، مصداقا للأثر القاتل : ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

البيت ٢٠ : المين : الكذب . وفى هذا البيت على سهولة أدائه أعظم ألوان المدائح لوالده، فإن الوالد الذى لا يشعر ابنه بسلطـة الأب، هـو الـوالـد المشتمل على جميع مكـارم الأخلاق، البالغ أعلى درجات الحكمة .

البيت ٣٠ : الملوان : الليل والنهـار، الواحد منهمـا ملا (الشوقيات ٣ / ٥٤ـ١٥٦)

ومن رثاء الأهل أيضا رثاء الزوجة، وبين أيدينا مرثية الشاعر جرير التى يرثى بها زوجه خـالدة بنت سعد، ونورد بعضا من أبياتها فيما يلى، وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها :

١ ـــ لـــولا الحيـــاء لهـاجنى استعبـــار
ولـــزرتُ قبـــرك والحبيب يـــزار
٢ ـــ ولقـــد نظـــرت ومـــا تمتُّعُ نظـــرةٌ
فـى اللحـــد حيث تمكـن الأحفـــار

٣ ـــ ولّهـت قلبـي إذ علتنـي كبـرة
وذوو التمـائم من بنيك صغـار

... ...

٩ ـــ كـانت مكـرَّمـة العشيـر ولـم يكن
يخشى غـوائل أم حـزرة جـارُ

١٠ ـــ ولقـد أراك كُسيت أجمل منظـر
ومع الجمـال سكينـة ووقـار

١١ ـــ والـريح طيبـة إذا استقبلتهـا
والعـرضُ لا دنـس ولا خـوَّار

١٢ ـــ وإذا سـَريت رأيت نـارك نـوَّرت
وجهـا أغـرّ يـزينـه الإسفـار

١٣ ـــ صلى المـلائكـة الـذين تُخيِّـروا
والصـالحـون عليك والأبـرار

١٤ ـــ وعليك من صلـوات ربك كُلَّمـا
نصب الحجيـج مُلَبِّـدين وغـاروا

... ...

١٨ ـــ لا تكثـرن إذا جعلت تلـومنـى
لا يـذهبن بحلمك الإكثـار

١٩ ـــ كـان الخليط هم الخليط فأصبحـوا
متبـدلين وبـالـديـار ديـار

٢٠ ـــ لا يُلبث القـرنـاء أن يتفـرقـوا
ليـل يكُـرُّ عليهم ونهـار

وفيما يلى شرح بعض الألفاظ:

البيت ١ : استعبار: حزن ودمع

البيت ٢ : الأحفار: جمع حفر البئر المتسعة، وهو هنا القبر

البيت ٣ : ولّهت: حيرت من الحزن . كبرة : كبر وضعف. التمائم: جمع تميمة، وهى العوذة تعلق على الصبى خوف الحسد.

البيت ٩ : الغوائل : مفرده غائلة وهى الشر والفساد والداهية

البيت ١٠ : الوقار : الرزانة

البيت ١١ : حوار : مريب

البيت ١٢ : سريت: سرت ليلا. أغر: حسن لـه غرة. الأسفار: كشف الوجه .

البيت ١٣ : الأبرار: جمع بار: الصالح أو كثير الإحسان.

البيت ١٤ : نصب: جَدّ وتعب. الحجيج: جمع حاج. ملبدين: محرمين ومتخذين صمغا ليتلبد شعرهم. غاروا : نزلوا الغور.

البيت ١٨ : الحلم: الصبر والأناة والعقل

البيت ١٩ : الخليط: الصحاب. متبدلين: متغيرين. وبالديار... إلخ مسافرين إلى ديار أخرى.

البيت ٢٠ : لا يلبث... لا يمهلهم حتى يفرقهم. القرناء: جمع قرين العشير أو المصاحب.

هذا وقد فاتنا ترجمة الشاعر جرير فى موضعها ونوردها هنا إتماما للفائدة:

ينتسب أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى إلى يربوع من تميم كما ينتسب الفرزدق إلى دارم من تميم كـذلك . وقد ولد باليمامة ونشأ فى البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ويتكسب به لدى الخلفاء والولاة حتى اشتبك مع الفرزدق فى التهاجى والتساب لعوامل سياسية واجتماعية. ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٤ هـ (المنتخب ١ / ٦١ ـ ٦٣)

ولأبى الحسن الأنبارى (المتوفى سنة ٣٢٨ هـ) قصيدة يرثى بها أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة لما قتل وصلب، وهى من أعظم المراثى ولم يُسمع بمثلها فى مصلوب، وقد أجمع أهل الأدب أنه لم ينظم مثلها فى بابها حتى إنها لما بلغت عضد الدولة الذى صلبه تمنى لو كان هو المصلوب وأنها قيلت فيه، وننقلها لك فيما يلى، وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها، وكانت هذه المرثية مما كان مقررا علينا فى المدارس الابتدائية فى زماننا:

١ ـــ عُلُـوٌّ فى الحيـاة وفى الممـات
لحق أنت إحـدى المعجـزات

٢ ـــ كأن النـاس حـولك حين قـامـوا
وفـود نـداك أيـام الصِّـلات

٣ ــــ كأنك قـــائم فيهم خطيبـــا
وكلهم قيـــــام للصَّـــــلاة

٤ ــ مـددت يـديك نحـوهم احتفـاء
كمـــدِّهمـــا إليهم بـــالهبـــات

٥ ــ ولمـــا ضـــاق بطن الأرض عن أن
يضم عـــلاك من بعـــد الـــوفـــاة

٦ ــ أصاروا الجـو قبـرك واستعـاضـوا
عن الأكفـــان ثـــوب الســـافيـــات

٧ ــ لعظمك فى النفـوس تبيت تـرعى
بحـــرَّاس وحُفَّـــاظ ثقـــات

٨ ــ وتـوقـد حـولـك النيـران ليـلا
كـــذلك كنت أيـــام الحيـــاة

٩ ــ ركبت مطيـــة مـن قبـل زيـــد
عـــلاهـــا فى السنين المـــاضيـــات

١٠ ــ وتلك قضيـــة فيهـــا تـأس
تبـــاعـــد عنك تعييـــر العـــداة

١١ ــ ولم أر قبـل جـذعك قط جـذعـا
تمكـن من عنـــاق المكـــرمـــات

١٢ ــ أسأت إلـى النـوائب فـاستثـارت
فـأنت قتيـل ثـأر النـــائبـــات

١٣ ــ وكنت تُجيـرنـا مـن صَرْف دهـر
فعـــاد مطـــالبـــا لـك بـــالتـــرات

١٤ ــ وصيَّـر دهـرك الإحسـان فيـه
إلينـــا مـن عظيم السيئـــات

١٥ ــ وكنت لمعشـر سعــدا فلمـا
مضيت تفـرقـوا بـــالمنحســـات

١٦ ــ غليلٌ بـــاطـن لك فـى فـؤادى
يخفف بـــالـدمـــوع الجـــاريـــات

١٧ ــ ولـو أنى قـدرت على قيـام
بفـــرضك والحقـــوق الـــواجبـــات

١٨ ــ مـلأت الأرض من نظـم القـوافى
ونُحْتُ بهـا خـلاف النـائحـات

١٩ ــ ولكنى أصبِّـر عنـك نفسـى
مخـــافـــة أن أُعـــدَّ مـن الجُنـــاة

٢٠ ــ ومـالـك تـربـة فأقـول تُسقى
لأنـك نُصْبُ هَطْـلِ الهـــاطـــلات

٢١ ــ عليك تحيـة الـرحمـن تتـرى
بـــرحمـــات غـــواد رائحـــات

وفيما يلى معانى الألفاظ :

البيت ١ : كنت رفيع القـدر حيا وأنت الآن رفيع المكـان ميتا

البيت ٢ : الوفود : جمع وفـد وهو جماعة النـاس يقدمون فى بعض المطـالب . والنـدى : الكـرم والعطـاء . والصـلات جمع صلة وهى العطية .

البيت ٤ : الشطر الأول . احتفاء : أى مبالغة فى إكرامهم

الشطر الثانى : الهبات : جمع هبة والمقصود بها العطية

البيت ٥ : يريد أن بطن الأرض أضيق من أن يسع فضلك

البيت ٦ : السافيات : الرياح التى تذرو التراب

البيت ٧ : لكبرك فى النفوس تحفظ فى الليل بحراس وحفظة موثوق بهم

البيت ٨ : كانت النيـران توقد أيام حياتـك للقرى فصارت توقد حولك فى مماتك يوقدها الحراس أثناء الليل

البيت ٩ : المطية : الدابة شبه الجـذع بها ، وزيد هو زيد ابن على بن الحسين بن علـى بن أبى طـالب رضى الله عنهم طالب بالخلافة فى زمن هشام بن عبد الملك فقتل وصلب

البيت ١٠ : الشطر الأول : تأسٍّ : اقتداء

الشطر الثانى : تذهب عنك نسبة الأعداء إليك العار وهو العيب

البيت ١١ : الجذع : ساق الشجرة .

عناق : معانقة .

البيت ١٢ : استثـارت : طلبت الثأر وأصلهـا استثأرت فخففت الهمزة فأنت قتيل ثـأر النائبات : يعنى الطلب بـدمها جمع نائبة وهى النازلة

البيت ١٣ : تجيرنا : تنقذنا

الترات : جمع ترة وهى الثأر.

البيت ١٤ : أن الدهر قلب الحال علينا فصير الإحسان إساءة عظيمة

البيت ١٥ : فلما مُتَّ تبدل سعدهم نحسا

البيت ١٦ : غليل : أى حرارة حزن مستتر فى قلبى من أجلك

البيت ١٨ : وبكيت بالأشعار على خلاف نوح النساء

البيت ١٩ : الجناة : جمع جان وهو المذنب

البيت ٢٠ : الهاطلات : السحب الممطرة

البيت ٢١ : الشطر الأول : تترى : تتوالى

الشطر الثانى : مع رحمات تتعاقب تذهب الواحدة فتأتى الأخرى (مجموعة من النظم / ٣٧ـ٣٩) .

وقد فاتنا ترجمة الشاعر أبى الحسن الأنبارى صاحب هذه المرثية والمتوفى سنة ٣٢٨ هـ، ونورد فيما يلى نبذة عنه :

هو أبو الحسن محمد الأنبارى أحد الشعراء المجيدين ببغداد. اتصل بالوزير أبى طاهر محمد بن بقية وزير عز الدولة البويهى وبقى مدة تصرفه فى الوزارة مغمورا بنعمه . ولما وقعت العداوة بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة كان ابن بقية من المحرضين لعز الدولة على محاربة ابن عمه فلما انتصر عضد الدولة قبض على ابن بقية ، وصلبه فرثاه الأنبارى بقصيدته التى أولها «علو فى الحياة وفى الممات» (والتى أوردناها آنفا) (مجموعة من النظم / ١٤٥).

هذا ولدينا فى تراثنا الأدبى نماذج مما يمكن أن نسميه «رثاء المدن» ، وقد أوردنا بعض هذه النماذج فى مادة «أدب بكاء الأندلس» فى م ٣ / ٢٩٢ ـ ٢٩٧ ، وفى مادة «بيت المقدس » فى م ٨ / ١٢٣ ـ ١٢٥ ، فانظر كلا منهما فى موضعها

(لسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٥٨٢ مادة «رثا» ، والعمدة لابن رشيق ـ حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ٢ / ١٤٧ ـ والمنتخب من أدب العرب ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ٢ / ٣٧٤ـ ٣٧٦ ، ٤٩٦ ، والشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقى ط مكتبة مصر ٣ ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ـ ١٥٦ ، والمنتخب من أدب العرب ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ١ / ٦٠ ـ ٦٣ ، ومجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع / ٣٧ـ٣٩ ، ١٤٥).

*** ابن رجاء:**

أدرجه صاحب الفهرست فى الفن الثالث من المقالة السادسة فى أخبار العلماء وأسماء ماصنفوه من الكتب فقال عنه : ابن رجا : أبو العباس ، من الشافعيين ، بصرى ، خليفة القاضى بالبصرة . وله من الكتب كتاب علل الشروط ، كتاب الشروط ، كبير ، رأيت الشافعيين يمدحونه ويستحسنونه .

(الفهرست لابن النديم / ٣٠٢) .

*** الرجاء:**

الرجاء : الأمل ، يقال رجوت وارتجيت ، وترجيت ، والرجا مقصور: ناحية البئر، وكل ناحية رجا ، والجمع أرجاء . ومنه **﴿والملك على أرجائها﴾** [الحاقة : ١٧] وربما عبر عن الخوف بالرجاء .

وهو فى القرآن على وجهين :

أحدهما : الأمل ، ومنه فى البقرة **﴿يرجون رحمة الله﴾** [البقرة :٢١٨] وفى بنى إسرائيل : **﴿ ويرجون رحمته﴾** [الإسراء : ٥٧] .

والثانى : الخوف ، ومنه فى يونس **﴿ لا يرجون لقاءنا ﴾** [يونس : ١٠] وفى الكهف **﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه﴾** [الكهف : ١١٠] ، وفى العنكبوت **﴿ من كان يرجو لقاء الله﴾** [العنكبوت : ٥] وفيها **﴿ وارجوا اليوم الآخر﴾** [العنكبوت : ٣٦] وفى نوح **﴿ لا ترجون لله وقارا﴾** [نوح : ١٣] وفى التساؤل **﴿لا يرجون حسابا﴾** [النبأ : ٢٧] .

(منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام ابن الجوزى ـ تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى، ود. فؤاد عبد المنعم أحمد / ١٢٣) .

*** رجاء الإجابة بالبدريين من الصحابة:**

لعبد السلام بن الطيب الفاسى صاحب أحكام المعروف (إيضاح المكنون للبغدادى ١ / ٥٤٩) .

*** رجاء بن حيوة (-١١٢هـ / -٧٣٠م).**

قال عنه ابن قتيبة :

هو من «كِندة» . ويكنى : أبا المقدام ـ ويقال : يكنى : أبا نصر.

وقال جرير بن حازم:

رأيت «رجاء بن حيوة»، ورأسه أحمر، ولحيته بيضاء.

ومات سنة اثنتى عشرة ومائة (المعارف / ٤٧٢، ٤٧٣).

وقد أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الأولى، وهى طبقة كبار التابعين، وقال عنه: رجاء بن حيوة بن جرول، وقيل: ابن جزل، وقيل: ابن جندل، الإمام، القدوة الوزير العادل، أبو نصر الكندى الأزدى، ويقال: الفلسطينى، الفقيه من جلة التابعين، ولجده جرول بن الأحنف صحبة فيما قيل.

حدث رجاء عن معاذ بن جبل، وأبى الدرداء، وعبادة بن الصامت، وطائفة، أرسل عن هؤلاء، وعن غيرهم. حدث عنه مكحول، والزهرى، وقتادة، وآخرون، وقال النسائى وغيره: ثقة.

وقال ابن سعد: كان ثقة، عالما، فاضلا، كثير العلم.

كان رجاء كبير المنزلة عند سليمان بن عبد الملك، وعند عمر بن عبد العزيز، وأجرى الله على يديه الخيرات، ثم إنه بعد ذلك أُخِّر، فأقبل على شأنه (تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ١٦٦)

روى له البخارى فى تعليقاته، ومسلم وأصحاب السنن، وكان من الوعاظ الفضلاء، والعلماء الفصحاء. وكان ملازما لعمر بن عبد العزيز فى عهدى الإمارة والخلافة، واستكتبه سليمان بن عبد الملك، وهو الذى أشار على سليمان باستخلاف عمر.

وأجمع العلماء على جلالته وفضله فى نفسه وفى علمه، وقال مكحول: «رجاء سيد أهل الشام فى أنفسهم».

وكان من عباد أهل الشام، وزهادهم، وفقهائهم (مرجع العلوم الإسلامية / ١٠٨)

(المعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٤٧٢، ٤٧٣، وتهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ١٦٦، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ١٠٨ انظر أيضا الأعلام للزركلى ٣ / ١٧، وحلية الأولياء للحافظ أبى نعيم الأصفهانى ٥ / ١٧٠ ـ ١٧٧).

*** رجاء بن سندى: (ـ ٢٢١ هـ):**

أدرجه القاضى المباركبورى فى رجال السند والهند الذين ولدوا وعاشوا فيهما، أو كانوا من طينتهما وولدوا وعاشوا فى الخارج وقال عنه: وقد أشار إلى نفسه بعبارة «قال القاضى».

رجاء بن السندى، النيسابورى، أبو محمد الإسفرائينى، روى عن أبى بكر بن عياش، وابن المبارك، وابن عيينة، وابن إدريس، وحفص أبى غياث، وغيرهم. وعنه البخارى ـ فيما ذكر صاحب الكمال. قال المزى: ولم أجد له ذكرا فى الصحيح ـ وحفيده أبو بكر محمد بن محمد رجاء، وابن أبى الدنيا، وجعفر بن محمد بن شاكر الصائغ. وروى عنه من أقرانه أحمد بن حنبل، وإبراهيم بن موسى الرازى، وبكر بن خلف ختن المقرى. قال أبو حاتم: صدوق. وذكره ابن حبان فى الثقات، وقال الحاكم: ركن من أركان الحديث. وفى أعقابه حفاظ ومحدثون. وقال بكر بن خلف: ما رأيت أفصح منه وقال أبو بكر: توفى فى شوال سنة إحدى وعشرين ومائتين. وممن روى عنه أيضا أبو حاتم. والجوزجانى. ذكره الحاكم. قاله ابن حجر فى تهذيب التهذيب.

وقال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل: رجاء بن السندى النيسابورى، أبو محمد، روى عن أيوب بن النجار اليمامى، وعبد السلام بن حرب، وأبى بكر بن عياش، وحفص، ويحيى بن يمان، وأبى خالد الأحمر، وابن وهب، وحمزة بن الحارث بن عمير.

حدثنا عبد الرحمن، قال: سمعت أبى، يقول: عنه كتبت، سمعت أبى يقول: رأيت إبراهيم بن موسى وأبا جعفر الجمال، قد جاءا إلى رجاء بن السندى، يكتبان عنه، حدثنا عبد الرحمن، قال: سئل أبى عنه، فقال: صدوق.

وذكره ابن القيسرانى فى الأنساب المتفقة، فقال: السندى، أسماء جماعة من المحدثين، منهم رجاء بن السندى، ومن ولده أبو بكر، محمد بن محمد بن أحمد بن رجاء بن السندى.

وقال السهمى فى تاريخ جرجان: رجاء بن السندى، روى عن عفان بن سيار، روى عنه ابنه محمد.

أخبرنا أبو أحمد بن عدى، حدثنا أحمد بن حفص، حدثنا رجاء بن السندى، حدثنا نحيم بن ضريس، حدثنا زيد ابن أبى الزرقاء، حدثنا حماد، قال إياس بن معاوية:

لاتنظر ما يصنع العالم، فإن العالم يصنع الشيء يكرهه، ولكن قل له حتى يخبرك بالحق.

(قال القاضي): ذكر الخطيب في ترجمة ابنه أبي عبد الله محمد بن رجاء بن السندى قول أبى عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ: رجاء السندى، وابنه أبو عبد الله وابنه أبو بكر: ثلاثتهم ثقات أثبات.

(رجال السند والهند إلى القرن السابع - جمعه وألفه وحققه القاضي أبو المعالي أطهر المباركبورى / ١١٨، ١١٩).

*** رجاء بن مَرجّى (بعد ١٨٠-٢٤٩ هـ)**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى الطبقة الثالثة عشرة وقال عنه: رجاء بن مُرَجّى بن رافع، وقيل رجاء بن مُرَجّى بن رجاء بن رافع، الإمام الحافظ الناقد المصنف، أبو محمد المروزى، ويقال: السمرقندى، وقيل كنيته أبو أحمد، فلعله يكنى بهما. مولده بعد الثمانين ومائة، سمع النضر بن شميل، ويزيد بن أبى حكيم، وقبيصة، وأبا نعيم، وخلقا كثيرا بخراسان والحجاز والعراق والشام. حدث عنه أبو داود، وابن ماجه، وآخرون. قال الدارقطنى: ثقة حافظ سمرقندى. وقال الخطيب: سكن بغداد، وكان ثقة ثبتا، إماما فى علم الحديث وحفظه والمعرفة به.

مات رجاء سنة تسع وأربعين ومائتين ببغداد

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ١ / ٤٥١).

*** أبو رجاء البصرى:**

محمد بن سيف الأزدى الحدانى، أبو رجاء البصرى، ثقة من الطبقة السادسة، روى عن أبى بريدة وطائفة.

وعنه شعبة وابن علية، ويزيد بن زريع.

أخرج له النسائى، وأبو داود فى «المراسيل». له ترجمة فى خلاصة تذهيب الكمال / ٢٩٠

(طبقات المفسرين للداودى ــ بتحقيق على محمد عمر ٢ / ١٥٤، ١٥٥).

*** أبو رجاء العطاردى (-١٠٥ هـ):**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبى فى كبار التابعين وقال عنه: الإمام الكبير، شيخ الإسلام، عمران بن ملحان التميمى البصرى، من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبى ﷺ. حدَّث عن عمر، وعلى، وعمران بن حصين، وعبد الله بن عباس، وسمرة بن جندب، وأبى موسى الأشعرى، وتلقن عليه القرآن، ثم عرضه على ابن عباس، وهو أسن من ابن عباس، وكان خيرا تلاء لكتاب الله:

قرأ عليه أبو الأشهب العطاردى وغيره، وحدث عنه: أيوب، وابن عون، وخلق كثير.

قال ابن عبد البر وغيره: مات أبو رجاء سنة خمس ومائة، وله أزيد من مائة وعشرين سنة. وقال غير واحد من المؤرخين: مات سنة سبع ومائة، وقيل سنة ثمان

(تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ١٤٤).

وقال عنه الإمام ابن الجزرى: لقى أبا بكر الصديق، وحدث عن عمر وغيره من الصحابة رضى الله عنهم:

قال أبو الأشهب العطاردى: كان أبو رجاء يختم القرآن فى كل عشر ليال، وعن أبى رجاء قال: كان أبو موسى يعلّمنا القرآن خمس آيات خمس آيات. قال ابن معين، مات سنة خمس ومائة وله مائة وسبعون سنة وقيل مائة وثلاثون

(غاية النهاية ١ / ٦٠٤).

وقد ذكره ابن قتيبة فى باب التابعين ومن بعدهم وذكر وفاته سنة ١١٧ هـ فقال عنه:

اسمه «عمران بن تيم» ويقال: عطارد بن برذا. ويقال: عمران بن عبد الله. ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة. وهو من: عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. ويقال أيضا: إنه مولى لهم.

حدثنا الرياشى، عن الأصمعى، عن أبى عمرو بن العلاء، قال: قلت لأبى رجاء: ما تذكر؟ قال: أذكر قتل «بسطام بن قيس» على «الحِسن» «والحِسن»: جبل رمل

(المعارف / ٤٢٨).

حدثنى أبو حاتم، عن الأصمعى، قال حدثنا، أبو الأشهب العطاردى قال: أتت «أبا رجاء» امرأة فى جوف الليل، فقالت: يا أبا رجاء، إن لطارق الليل حقا، وإن بنى فلان: خرجوا إلى «سَفَوان»، وتركوا شيئا من متاعهم. فانتعل وأخذ الكتب فأداها، وصلى بنا الفجر، وهى مسيرة ليلة بالإبل

(المعارف / ٤٢٧، ٤٢٨).

وقد ذكره ابن عبد البر فى باب الكنى مختصرا، وذكره تحت اسمه عمران بن ملحان فى الأسماء بشىء من التفصيل على النحو التالى:

عمران بن مِلْحان، ويقال: عمران بن عبد الله، ويقال: عمران بن تيم، أبو رجاء العطاردى. أدرك الجاهلية، ولم ير النبى ﷺ ولم يسمع منه. واختلف هل كان إسلامه فى حياة النبى ﷺ؟ فقيل: إنه أسلم بعد الفتح، والصحيح أنه أسلم بعد المبعث.

حدثنا عبد الرحمن، حدثنا أحمد، حدثنا إسحاق، حدثنا محمد بن على، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جرير بن حازم، سمعت أبا رجاء العطاردى، قال: سمعنا بالنبى ﷺ ونحن فى مال لنا فخرجنا هُرَّابا. قال: فمررت بقوائم ظبى فأخذته وبللتها. قال: وطلبت فى غرارة لنا، فوجدت كف شعير فدققته بين حجرين، ثم ألقيته فى قدر، ثم ودجت بعيرا لنا فطبخته، فأكلت أطيب طعام أكلته فى الجاهلية، قلت: يا أبا رجاء، ما طعم الدم. قال: حلو.

أخبرنا أحمد بن قاسم، حدثنا محمد بن معاوية، حدثنا إبراهيم بن جميل، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى، حدثنا نصر بن على، حدثنا الأصمعى، حدثنا أبو عمرو بن العلاء، قال قلت لأبى رجاء العطاردى: ماتذكر؟ قال: قتل بسطام بن قيس قال الأصمعى: قتل بسطام بن قيس قبل الإسلام بقليل. قال وأنشدنى أبو رجاء العطاردى:

وخرَّ على الألاءة لم يوسَّد
كأن جبينه سيفٌ صقيل

(فى الطبقات: ألاءة. والألاء: شجر، والبيت فى اللسان منسوب لابن غنمة).

قال أبو عمر: وهذا البيت من شعر ابن غنمة فى بسطام ابن قيس. ومن شعره ذلك قوله فيه:

لك المرباع منها والصفايا
وحُكمك فى النشيطة والفضول
إذا قاست بنو زيد بن عمرو
ولا يُوفى ببسطام قتيل
وخرَّ على الألاءة لم يوَسَّد
كأن جبينه سيف صقيل

وقد قيل: إن قتل بسطام كان بعد مبعث النبى ﷺ

يعد أبو رجاء فى كبار التابعين، وروايته عن عمر وعلى وابن عباس وسمرة رضى الله عنهم. وكان ثقة. روى عنه أيوب السختيانى وجماعة. أخبرنا عبد الوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا أبو سلمة المنقرى، حدثنا أبو الحارث الكرمانى، وكان ثقة، قال: سمعت أبا رجاء يقول: أدركت النبى ﷺ، وأنا شاب أمرد. قال: ولم أر ناسا كانوا أضل من العرب، وكانوا يجيئون بالشاة البيضاء فيعبدونها، فيجيء الذئب فيذهب بها، فيأخذون أخرى مكانها فيعبدونها، وإذا رأوا صخرة حسنة جاءوا بها وذهبوا يصلون إليها. فإذا رأوا صخرة أحسن من تلك رموها، وجاءوا بتلك يعبدونها. وكان أبو رجاء يقول: بعث النبى ﷺ وأنا أرعى الإبل على أهلى وأريش وأبْرِى، فلما سمعنا بخروجه لحقنا بمسيلمة.

وكان أبو رجاء رجلا فيه غفلة، وكانت له عبادة، وعُمِّر عمرا طويلا أزيد من مائة وعشرين سنة، مات فى أول خلافة هشام بن عبد الملك. ذكر الهيثم بن عدى، عن أبى بكر بن عياش، قال: اجتمع فى جنازة أبى رجاء العطاردى الحسن البصرى، والفرزدق الشاعر، فقال الفرزدق للحسن: يا أبا سعيد، يقول الناس: اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس وشر الناس. فقال الحسن: أنت خيرهم وشر كثيرهم، لكن ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. ثم انصرف الفرزدق، فقال:

ألم تر أن الناس مات كبيرهم
وقد كان قبل البعث بعث محمد
ولم يُغن عنه عيش سبعين حجة
وستين لما بات غير موسَّد
إلى حفرة غبراء يُكْرَه وردها
سوى أنها مثوى وضيع وسيِّد
ولو كان طول العمر يُخلد واحدا
ويدفع عنه عيب عمر عَمَرَّد

لكان الذى راحوا به يحملونه
مقيما ولكن ليس حى بمخلد
نروح ونغدو والحتوف أمامنا
يضعن لنا حتف الردى كل مرصد
وقد قال لى ماذا تعدُّ لما ترى
فقيه إذا ما قال غير مفند
فقلت له : أعددت للبعث والذى
أراد به أنى شهيد بأحمد
وأن لا إله غير ربى هو الذى
يميت ويُحيى يوم بعث وموعد
وهذا الذى أعددت لا شئ غيره
وإن قلت لى أكثر من الخير وازدد
فقال لقد أعصمت بالخير كله
تمسَّك بهذا يا فرزدق تُرشد

(الاستيعاب ٣/ ١٢٠٩ ـ ١٢٢٢ ، ٤ / ١٦٥٧).

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط . هذبه أحمد فايز الحمصى ، راجعه عادل مرشد ١ / ١٤٤ ، وغاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٦٠٤ ، والمعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق محمد على البجاوى ٣/ ١٢٠٩ ـ ١٢١٢ ، ٤ / ١٦٥٧).

*** أبو الرجاء الغَزْميني (-٦٥٨هـ/-١٢٦٠م):**

أورده الزركلى تحت عنوان «الزاهدى الغزمينى» وقال عنه مختار بن محمود بن محمد، أبو الرجا (بألف مقصورة)، نجم الدين، الزاهدى الغزمينى، فقيه من أكابر الحنفية، من أهل غزمين (بخوارزم) رحل إلى بغداد والروم . من كتبه «الحاوى فى الفتاوى» و «المجتبى» شرح به مختصر القدورى فى الفقه، و «الناصرية» رسالة صنفها لبركة خان فى النبوة والمعجزات، و «زاد الأئمة» ، و «قنية المنية لتتميم الغنية» (الأعلام ٧/ ١٩٣).

وقد أورد المعجم الشامل طبعة كتاب «قنية المنية لتتميم الغنية» وفيه اسم المؤلف الغرمينى بالراء المهملة . وبيان الطبعة كما يلى :

ـ تصحيح محمد على الفشاورى ، كلكتا : على نفقة مجيب الرحمن وحافظ محمد حسين، المطبعة المهانندية ، ١٢٤٥ هـ/ ١٨٣٠ م. ٤١٠ ص، ف ١٢ ص : المحتوى .

(الأعلام للزركلى ٧/ ١٩٣ ، وانظر مصادره فى هامش (١) ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٣٧).

*** رجَّال (-٨٢٤هـ):**

من القراء . قال عنه الإمام ابن الجذرى: عبيد بن محمد ابن موسى أبو القاسم المؤذن البزاز المصرى يعرف برجَّال، ويقال أبو الرجال ـ أخذ القراءة عرضا وسماعا عن داود بن أبى طيبة عن ورش، وروى عن أحمد بن صالح . روى القراءة عنه أحمد بن محمد بن يحيى الصدفى مات فى شوال سنة أربع وثمانين ومائتين .

*** الرّجَال:**

لدينا فى التراث الإسلامى الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله عدد كبير من المخطوطات تحمل كلها عنوان «الرجال» وهى لمؤلفين مختلفين . وقد أورد الفهرس الشامل للتراث العربى المخطوط ثلاثة وعشرين مخطوطا بأرقام تسلسلية، ومرتبة وفقا للحروف الهجائية لأسماء المؤلفين، وقد وضع اسم كل مؤلف بعد عنوان المخطوط مباشرة، ثم يلى ذلك بيان دور الكتب التى يوجد بها كل مخطوط، وهو ما ننقله فيما يلى :

١١ ـ الرجال ـ الأخبارى .

١ ـ الوطنية / طهران ٨ / ١٨٤ [١٦٩٦ / س / ٢٣٨٥] مج ٢ (٤٥٥ و) ـ ق ١٣ ٠ هـ (؟).

١٢ ـ الرجال ـ الأنصارى (مرتضى بن محمد)

١ ـ ملك الوطنية ١ / ٣٢٨ ـ ٣٢٩ [٣٤٩١] ـ (١٢٢ و) ـ ١٢٨٣ هـ.

٢ ـ المرعشى / قم ١ / ١١٥ ـ ١١٦ (٩٧) ـ (١٣٥و) ـ قبل ١٣٢٠ هـ.

١٣ ـ الرجال ـ البرقى .

١ ـ المرعشى / قم ١ / ١٧٦ [١٥٥ / ٤] ـ (و ٢٦٩ر ـ ٢٨٣ ب) ضمن مجموع ـ ١٣٦٥ هـ.

٢ ـ الدراسات العليا / جامعة بغداد ٢٠٤ [١٣٨٦] ـ (٢١و).

١٤ ـ الرجال ـ بهاء الدين .

١ ـ الوطنية / طهران ١٠ / ٥٠٧ [٢٣٣٤ / د] ـ (٤٤٩ و) ـ ١٠٧٤ هـ بخط المؤلف .

١٥ ـ الرجال ـ الجماعي .

١ ـ مجلس الشورى الإسلامي (١) طهران ١٧ / ٢٠١ [٢ر٣٥٥٦٧ ـ ٨٦٨٠] ـ (ص ٥٨ ـ ٢١٠) ضمن مجموع ـ ١٠٧٩ هـ.

٢ ـ المرعشي / قم ٨ / ٣٨٩ [(٣١٥٨) / ١] ـ (واب ـ ٧٢ ب) ضمن مجموع ـ ١٢٣٩ هـ.

٣ ـ محمد باقر الطباطبائي / كربلاء ٦٩ ـ ٧٠ [١١٦] ـ ١٩٨ ص) ـ ١٢٩٢ هـ .

١٦ ـ الرجال ـ الحر العاملي .

١ ـ مدرسة سليمان خان ١٩ [١ / ١١٥] ١٠٧٩ هـ.

٢ ـ آية الله الحكيم العامة (نشرية ٥ (١٩٦٨) / ٤٢٢) [١١] ـ ١٠٨٢ هـ.

٣ ـ المرعشي / قم ٧ / ٨٩ ـ ٩٠ [(٢٥٠١) / (و ١٤٧ ر ـ ٢٢٧ ر) ضمن مجموع ـ ١٠٨٥ هـ.

١٧ ـ الرجال الخوئي .

١ ـ ملك الوطنية ١ / ٣٣١ [٣٤٩٨] (٩٦ و) ـ ق ١٤ هـ.

١٨ ـ الرجال ـ ابن داود الحلي

١ ـ المرعشي / قم ٨ / ٢٣٨ [٣٠٣٧] ـ (١٢٠ و) ـ ٨٢٩ هـ.

٢ ـ ملك الوطنية ١ / ٣٢٨ [٣٥٧٦] ـ (١٠٤ و) ـ ق ٩ هـ.

٣ ـ كلية الإلهيات / طهران ١ / ٥٥٢ ـ ٥٥٣ ـ ش ٢٥ ج (٩٩٧٩] ـ ج ١ ، ٢ (١٨٧ و) ـ ٩٧٩ هـ.

٤ ـ الدراسات العليا / جامعة بغداد ٢٠٤ [٢٨١ / ١] ٢ ج / ١ ج (٢٥٠ ص) ٩٨١ هـ.

٥ ـ المرعشي / قم ٧ / ٨٩ [(٢٥٠١) / ١] ـ (و ١ ب ـ ١٤٣ ر) ضمن مجموع ـ ٩٨٣ هـ.

٦ ـ كلية الإلهيات / مشهد ٢ / ٢٣١ [٢٢٣٧٤] ـ ٩٩٧ هـ.

٧ ـ المرعشي / قم ٨ / ٢١٧ [(٣٠٢٩) / ١] ـ (و ١ ب ـ ١٠٨ ر) ضمن مجموع ـ ١٠١٢ هـ.

٨ ـ المرعشي / قم ٢ ـ ٧٣ [٤٦٦] ـ ج ١ ، ٢ (١٩١ و) ـ ١٠٢١ هـ ١٠٢٤ هـ.

٩ ـ ملك الوطنية ١ / ٣٢٨ [٣٥٧٣] ـ ر١٤٢ و) ـ ١٠٧٢ هـ.

١٠ ـ المرعشي / قم ١٠ / ١٥٥ ـ ١٥٦ [٣٧٦٦] ـ (٢٢٢و) ـ ١٠٧٤ هـ.

١١ ـ الدراسات العليا / جامعة بغداد ٢٠٤ [١٣٥٨] ـ (١٥٥ و) ـ ١٠٨٧ هـ.

١٢ ـ مجلس الشورى الإسلامي (١) طهران ١٠ / ق ٣ / ١٥٣١ [٣ / ٧٨٢٣٢ ـ ٦٧٣٧] ـ (ص ١٦٠ ـ ١٦٧) ضمن مجموع ـ ١٠٩٦ هـ

١٣ ـ الوطنية / طهران ٨ / ٣٦٦

[٢ / ٤٠٨ / د] ـ (و ٢٥٧ ـ ٥٤٨) ضمن مجموع ـ ق ١١ هـ.

١٤ ـ مجلس الشورى الإسلامي (١) / طهران ١٣ / ١٨٥ [٦٤٨٥٥] . (١٥٨ ص) ـ ١٢٨٣ هـ.

١٥ ـ الدراسات العليا / جامعة بغداد ٢٠٤ [١٣٥٥] ـ (٨٣و)

١٦ ـ مجلس الشورى الإسلامي (١) / طهران ٧ / ١٢٦ ـ ١٢٧ [٣ / ٢٦] ـ (ص ١٥١ ـ ١٧٤) ضمن مجموع

١٧ ـ المرعشي / قم ٢ / ٤٥ ـ ٤٦ [(٤٤٣) / ٢] (١٧٧ و) (و ٣٣ر) ١١٨ ر) ضمن مجموع .

١٩ ـ الرجال ـ الطوسي .

١ ـ الوطنية / طهران ٩ / ٢٦٠ ـ ٢٦١ [٦٩٧ / م] ـ (٨٠١و) ـ ٩٨٤ هـ.

٢ ـ مجلس الشورى الإسلامي (١) / طهران ١٥ / ٧٢ [٣ و ٦٥١٨٤] ـ (ص ٣٩٩ ب ـ ٤٣٤ ر) ضمن مجموع ٩٨٩ هـ .

٣ ـ كلية الإلهيات / مشهد ٢ / ٥٧٨ [٢ / ٢١٧٠٧] ـ ١٠١٥ هـ.

٤ ـ ثقة الإسلام الخاصة (نشرية ٧ (١٩٧٤) / ٥٣٥) [دون] ـ ١٠٧١ هـ.

٥ ـ المؤسسة العامة للآثار (عباس العزاوى) بغداد (المورد) ١٣ / ٣ (١٩٨٤ م) ق (٢ / ٢٠٥) [١١٠٧٥] ـ (٢٠٧ ص) ـ ق ١١ هـ.

٦ ـ جامعة برنستون (مخطوطات جديدة) ١٢٠ ـ ١٢١ (824 (522)] ـ (١٢٢ و) ـ ق ١٤ هـ.

٧ ـ مجلس الشورى الإسلامى (١) / طهران ١٠ / ق ١ / ١٤٤ ـ ١٤٥ [١٤٨٠٠] ـ (١١٤ ص).

٢٠ ـ الرجال ـ الكشميرى (محمد مراد بن محمد).

٢ ـ مجلس الشورى الإسلامى (١) / طهران ٧ / ١٢٧ ـ ١٢٨ [٤ / ٢٦] ـ (ص ١٧٨ ـ ٢٦٩) ضمن مجموع ـ ١٢١٦ هـ.

٢١ ـ الرجال ـ المجلسى.

١ ـ الوطنية / طهران ١٠/ ٥٦٥ [٤ / ٢٤٠٥ / د] ـ (و ٨٩ ـ ١٠٨) ضمن مجموع ـ ١١٩١ / ١١٩٢ هـ.

٢ ـ مجلس الشورى الإسلامى (١) / طهران ١٠ ق ٢ / ٨٢٨ ـ ٨٢٩ [١ / ٧٨٢٣٩ ـ ٦٧٤٣] ـ (٢٤٢ ص) ـ ق ١٢ هـ.

٣ ـ الوزيرى ٢ / ٦٧٤ [٢٩١] ـ (و ١٩ ـ ٧٠) ضمن مجموع ـ ١٢١٦ هـ.

٢٢ ـ الرجال ـ النجاشى (أحمد بن على)

١ ـ عبد المجيد مولوى الخاصة (نشرية ٥ (١٩٦٨) ٢٩ ـ ٣٠) [٢٠٢] ـ ٩٣٥ هـ.

٢ ـ الثقافة / مشهد ٥٢ [٥٦ إلف] ٩٧٩ هـ.

٣ ـ كلية الإلهيات / مشهد ١ / ٢١٥ [٢٠٢] ـ (٢٢٥و) ـ ٩٨٥ هـ.

٤ ـ مجلس الشورى الإسلامى (١) / طهران ١٥ / ٧١ ـ ٧٢ [١ر٦٥١٨٤] ـ (ص١ ب ـ ٢٠٠) ضمن مجموع ـ ٩٨٩ هـ.

٥ ـ على علومى الخاصة (نشرية ٤ (١٩٦٦) / ٤٣٩) [٢٧] ـ ١٠٢٤ هـ.

٦ ـ ملك الوطنية ١ / ٣٣٢ [٢٥٢٥] ـ د١٤٩ و) ـ ١٠٢٤ هـ.

٧ ـ مدرسة ميرزا جعفر ٣٩ [١ / ١٥] ـ ق ١١ هـ.

٨ ـ الوطنية / طهران ٩ / ٦٩ ـ ٧٠ [٢٨٥و] ـ (١٨١ و) ق ١١ هـ

٩ ـ الوطنية / طهران ٩ / ٢٨٦ [١ / ١٢٥ / م] ـ (ص ١ ـ ٣٣٠) ضمن مجموع ـ ق ١١ هـ.

١٠ ـ إزميرلى إسماعيل حقى ١٥ [٣٦] ـ (مج ١ ـ ٢) ١١٣٠ هـ

١١ ـ ملك الوطنية ١ / ٣٣١ [٣٥١٩] ـ (١٨٣ و) ـ ١٢٤٢ هـ.

٢٣ ـ الرجال ـ مجاهيل.

١ ـ مجلس الشورى الإسلامى (١) / طهران ١٧ / ٢٩٨ [٢ر ١٣٤١ ـ ٨٠٢٧] ـ (ص٣ ـ ٥٢٤) ضمن مجموع ـ ١٠٥٨ هـ.

٢ ـ كلية الإلهيات / طهران ٢ / ٦١ ـ ٦٨ [ش ٨٢٤ د (١٧٧٦٤)] ـ (٤٢و) ـ ق ١١ و ١٢ هـ ـ منظومة (الفهرس الشامل ٢ / ٨٠١ ـ ٨٠٤).

هذا وتوجد النسخ التالية فى مكتبات لم يرد ذكرها فى القائمة السابقة وبيانها كما يلى :

رقم ١٣ : الرجال للبرقى.

توجد نسخة مصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانها كما يلى :

الرجال :

لأبى عبد الله محمد بن خالد بن عبد الرحمن البرقى ، كان موجودا سنة ١٨٣ هـ. (معجم المؤلفين ٩ / ٢٧٧).

أوله : «أصحاب رسول الله ﷺ : سلمان بن الإسلام ، مولى رسول الله ، والمقداد بن عمرو... ».

وهو ناقص من آخره ، وآخر الموجود منه أثناء الكلام على المنكرين على أبى بكر: « فلما كان يوم الجمعة سلَّ عمر سيفه، وقال : لا أسمع رجلا».

نسخة كتبت بخط نسخى جيد، فى ٢٢ ورقة، ومسطرتها ١٧ سطرا.

[مكتبة الدكتور حسين على محفوظ ٩٧ بغداد] unesco
(فهرست المخطوطات المصورة / ١٩٠).

رقم ١٨ : الرجال لابن داود الحلى .

توجد نسخة مصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانها كما يلى :

الرجال :

للحسن بن على بن داود الحلى، المتوفى سنة ٧٤٠ هـ.
(بروكلمان ملحق ٢ / ٩٧٠).

الجزء الأول.

أوله : «الحمد لله الذى وفقنى للتخلى عن الحركات الدنيوية ... وبعد ، فإنى لما نظرت فى أصول الفتاوى الفقهية ... اضطررت إلى ... الأحاديث المروية عن الأئمة المهدية، والدخول بين مختلفها على الطريقة المرضية ... ».

وآخره: «فاطمة بنت هارون ... حدثنى محمد بن أبى عمير بكتاب عبيد الله بن على الحلبى لم يسمع منها غير هذا. تم الجزء الأول ... ».

نسخة كتبت بخط نسخى، وعليها مقابلة سنة ٩٦٩ هـ. كتبت النسخة سنة ٩٦٧ ، كتبها شريف بن بهاء الدين الحسنى، فى ٨٤ ورقة، ومسطرتها ٢٥ سطرا. [طهران الجامعة المركزية ١٠٤٤ (٣)].

الجزء الثانى.

أوله : «أما بعد حمد لله على أفضاله ... فإنى لما أنهيت الجزء الأول من كتاب الرجال المختص بالموثقين والمهملين وجب على أن أتبعه بالجزء الثانى المختص بالمجروحين والمجهولين ... ».

وآخره : «أبو يعقوب المعمرى ... زيدى. تم الكتاب» .

نسخة كتبت بخط نسخى، سنة ٩٦٧ ، كتبها شريف بن بهاء الدين بن على الحسنى . وعليه مقابلة سنة ٩٦٩ هـ، فى ١٧ ورقة، ومسطرتها ٣٥ سطرا.

[طهران الجامعة المركزية ١٠٤٤ (٣)]

نسخة أخرى.

أولها : «الحمد لله الذى وفقنى للتخلى عن الحركات الدنيوية ... وبعد، فإنى لما نظرت فى أصول الفتاوى الفقهية وفروعها النظرية ... اضطررت إلى سبر الأحاديث المروية عن الأئمة المهدية ... فصنفت هذا المختصر جامعا لنخب كتاب الرجال للشيخ أبى جعفر... ».

وآخره : «أبو يعقوب المعمرى كش زيدى. تم الكتاب».

نسخة كتبت بقلم معتاد، سنة ٩٧٢ هـ. كتبها عبد الرضا بن شكر الله بن عارف ، فى ٨٦ ورقة، ومسطرتها ٢٠ سطرا.

[مكتبة الدكتور حسين على محفوظ ٦٦ بغداد] unesco

نسخة أخرى

نسخة أخرى كتبت بخط نسخى، سنة ٩٦٢ هـ كتبها شجاع بن على الحسينى ، فى ١٦٨ ورقة، ومسطرتها ١٦ سطرا.

[مكتبة الدكتور حسين على محفوظ ٦٩ بغداد) unesco
(فهرست المخطوطات المصورة / ١٨٨ ـ ١٩٠)

كما توجد نسخة فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانها كما يلى :

رجال ابن داود

لتقى الدين الحسن بن على بن داود الحلى المتوفى سنة ٧٤٠ هـ/ ١٣٣٩م .

الأول (الحمد لله الذى وفقنى للتخلى عن الحركة الدنيوية والنظر فى المهمات الأخروية . .)

جعله المؤلف فى جزئين وهى :

الجزء الأول فى ذكر الرجال الممدوحين وغيرهم ورتبهم على حروف الهجاء.

الجزء الثانى فى ذكر الرجال المجروحين والمجهولين ورتبهم على حروف الهجاء كذلك.

نسخة جيدة كتبت سنة ١٠٢٠ هـ/ ١٦١١ م عليها حواش وشروح . قابلها وصححها عبد النبى بن سعيد.

الرقم ١٤٦٩١ / ١

قياس ٢٢٧ ص ٢١,٥ × ١٦ سم ١٩ س

معجم المؤلفين ٣ / ٢٥٣ الذريعة ١٠ / ٨٤ ـ ٨٥ طبع فى النجف وقدم له محمد صادق بحر العلوم.

ـ نسخة أخرى .

كتبها عبد على بن فياض بن محمد بن خليفة سنة ٩٧٨ هـ/ ١٥٧٠ م عليها حواش وشروح .

الرقم ٢٧٦٠٦

القياس ١٦٠ ص ٢٠,٥ × ١٥ سم ١٧ س

نسخة أخرى .

ترقى للقرن العاشر الهجرى القرن السادس عشر الميلادى تملكها شرف الدين محمد مكى بن محمد ضياء الدين العاملى سنة ١١٤٦ هـ/ ١٧٣٣ م تتضمن الجزء الثانى من الكتاب ناقصة الآخر.

الرقم ٢٥٩٤٧ / ١

القياس ٣٨ ص ٥و١٩ × ٥و١٢ سم ١٧، ١٩ س

(مخطوطات المتحف العراقى / ٢٠٠ ، ٢٠١).

رقم ١٩ : الرجال للطوسى .

توجد نسخة فى مكتبة المتحف العراقى ، وجاء بيانها كما يلى :

رجال الطوسى :

للشيخ أبى جعفر بن محمد بن الحسن بن على الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م .

الأول (الحمد لله حق حمده والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطاهرين ...)

وهو كتاب فى رجال أصحاب الرسول [ﷺ] وأصحاب الأئمة رتبه المؤلف على أبواب وجعل آخر كل باب فى الرجال الذين لم يرو عنهم .

نسخة جيدة كتبها إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النجفى سنة ١٠١٦ هـ/ ١٦٠٧ م على نسخة كتبها على بن إدريس سنة ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٥ م .

الرقم ٢١٦٦١ / ٤

القياس ٨٠ ص ٣٠ × ٢١ سم ٣٢س

معجم المؤلفين ٩٠ / ٢٠٢ الذريعة ١٠ / ١٢٠ طبع بإيران وطبع فى النجف سنة ١٩٦١ بتحقيق محمد صادق بحر العلوم فهرس المطبوعات ١ / ٣٢٥ .

ـ نسخة أخرى

كتبها عبد الرزاق بن محمد بن عباس الموسوى سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م عليها مقابلة .

الرقم ١٤٦٧٦ / ١

القياس ١٤٥ ص ١٢,٥ × ١٧ سم ٢٠ س

ـ نسخة أخرى .

كتبها ابن بابا مير معالى حسينى ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى .

الرقم ١١٠٧٥

القياس ٢٠٧ ص ١٨ × ٢١,٥ سم ١٩س

نسخة أخرى .

كتبت ببغداد سنة ١٣٠٣ هـ ١٨٨٥ م عليها مقابلة .

الرقم ٨١٢

القياس ١٧٢ ص ٢٢ × ١٦ سم ٢٠س

(مخطوطات المتحف العراقى / ٢٠٢ ـ ٢٠٤).

رقم ٢٢ : الرجال للنجاشى .

توجد نسخة مصورة فى معهد المخطوطات بالقاهرة وجاء بيانها كما يلى :

الرجال :

لأبى العباس أحمد بن على بن أحمد النجاشى ، المتوفى سنة ٤٥٠ أو ٤٥٥ هـ (بروكلمان ملحق ١ / ٥٥٦).

أوله : «الحمد لله رب العالمين ... [وبعد] فإنى لما وقفت على ما ذكره السيد الشريف ... من تعيير قوم من مخالفينا أنه لا سلف لكم ولا مصنف . . وقد جمعت من ذلك ما استطعته ولم أبلغ غايته ... » .

وهو ناقص الآخر، ينتهى بأثناء باب آدم .

نسخة كتبت بخط نسخى ، ضمن مجموعة كتبت سنة ١٠٢٤ هـ ، فى ٣٠ ورقة ، ومسطرتها ٢١ سطرا .

[مكتبة آية الله الحكيم العام ١٤٢٦ النجف] unesco

(فهرست المخطوطات المصورة / ١٨٨).

وهناك أيضا مخطوط بعنوان «الرجال » للتفرشى يوجد فى خزانة محمد أيمن الختجى فى طهران وورد بيانه فى مجلة المخطوطات كما يلى :

الرجال لمصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي مرتب على ترتيب الحروف في الأسماء والأوائل والثواني وكذا الآباء ـ نسخة جيدة عتيقة (مجلة معهد المخطوطات العربية / ٦٢)

(الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط . الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان . الأردن ٢ / ٨٠١ ـ ٨٠٤ ، وفهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، جـ ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م / ١٨٨ ـ ١٩٠ ومخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ٢٠٠ ـ ٢٠٤ ، ومجلة معهد المخطوطات العربية ، معهد المخطوطات العربية جـ ا م ٣ شوال ١٣٧٦ هـ ـ مايو ١٩٥٧ م / ٦٢) .

* **رجال الأحاديث (علم ـ):**

انظر : رجال الحديث (علم ـ)

* **رجال الأربعة:**

رجال الأربعة : لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة .

(كشف الظنون ١ / ٨٣٥)

* **رجال الأندلس:**

رجال الأندلس : في التراجم لأبي عبد السلام خالد بن سعيد القرطبي المتوفى سنة ٣٥٢ اثنتين وخمسين وثلثمائة .

(إيضاح المكنون للبغدادي ١ / ٥٤٩) .

* **رجال البخاري ومسلم:**

المؤلف الدارقطني

يوجد مخطوطه في :

١ ـ جامعة الإمام محمد بن سعود ٣ / ١ / ٣٩٢ [٧٢٢ ف] ـ (٤٠ و) ـ ق ٨ هـ تقديرا .

٢ ـ آصفية (سز ١ / ١٤١ ، ١ / ٢٠٨) [رجال ١٧٢] .

(الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط . الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) ٢ / ٨٠٤) .

* **رجال الجامع الصحيح للبخاري:**

المؤلف : النصربوني

يوجد مخطوطه في :

١ـ جوروم (سز ١ / ١٣١ [٢٤٩]

(الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط . الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله ٢ / ٨٠٤)

* **رجال الجامع الصحيح للبخاري:**

المؤلف : مجهول

١ ـ كوبريلي ٢ / ٤٢٤ [٤٥] ـ (٣٣١ و) ـ ١١٠٠ هـ ـ أوله مخروم .

(الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط . الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله ٢ / ٨٠٤) .

* **رجال الجامع الصحيح لمسلم:**

المؤلف : ابن منجويه

١ ـ البلدية / الإسكندرية (الشندي / المصطلح) ٦ [١٢٤٥ ب] ـ ٦٦٤ هـ (برون ١ / ١٦٧ ، سز ١ / ٢٣٠) .

ـ جمعه ابن القيسراني مع رجال صحيح البخاري بعنوان : «الجمع بين رجال الصحيحين» .

(الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط . الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله ٢ / ٨٠٤) .

* **رجال الحديث (علم ـ):**

هو علم يعرف به أحوال رواة الحديث ، من حيث قبول ما يروونه من ذلك أو رده كالجرح ، والتعديل ، وتاريخ الميلاد ، والوفاة والأسماء ، والكنى ، والألقاب ، والأنساب ، والمتفق منها والمفترق ، والمؤتلف والمختلف ، والمتشابه ، والأوطان ، والرحلات ، والشيوخ ، والتلاميذ ، والطبقات .

وموضوعه الرواة من حيث قبول روايتهم أو ردها .

وفائدته معرفة الثقات الذين تقبل روايتهم ، والضعفاء الذين ترد روايتهم .

وفي تسميته بعلم رجال الحديث تغليب للرجال على النساء ، لأن المحدثين منهم أكثر ، وعنايتهم بالرواية والرحلة إليها أعظم ، وإلا فعلم الحديث لا يختص بالرجال (الناقد الحديث / ٩٠) .

وقد ذكره حاجي خليفة تحت عنوان «علم رجال الأحاديث» فقال :

قال فيه سبط أبي شامة العلامة في وصف علم التاريخ وذم

من عابه وشانه وقد ألفت العلماء فى ذلك تصانيف كثيرة لكن قد اقتصر كثير منهم على ذكر الحوادث من غير تعرض لذكر الوفيات كتاريخ بن جرير ومروج الذهب والكامل وإن ذكر اسم من توفى فى تلك السنة فهو عار عما له من المناقب والمحاسن ومنهم من كتب فى الوفيات مجردا عن الحوادث كتاريخ نيسابور للحاكم وتاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب والذيل عليه للسمعانى وهذا وإن كان أهم النوعين فالفائدة إنما تتم بالجمع بين الفنين وقد جمع بينهما جماعة من الحفاظ منهم أبو الفرج بن الجوزى فى المنتظم وأبو شامة فى الروضتين والذيل عليه ووصل إلى سنة وفاته ٦٦٥ خمس وستين وستمائة وقد ذيل عليه الحافظ علم الدين البرزالى .

وممن جمع بين النوعين أيضا الحافظ شمس الدين الذهبى لكن الغالب فى العبر الوفيات . وممن جمع بينهما الشيخ عماد الدين ابن كثير فى البداية والنهاية وأجود ما فيه السيرة النبوية وقد أخل بذكر خلائق من العلماء . وقد يكون من أخل بذكره أولى ممن ذكره مع الإسهاب الممل وفيه أوهام قبيحة لا يسامح وقد صار الاعتماد فى مصر والشام فى نقل التواريخ فى هذا الزمان على هؤلاء الحفاظ الثلاثة : البرزالى والذهبى وابن كثير . أما تاريخ البرزالى فانتهى إلى آخر سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة ومات فى السنة الآتية وأما الذهبى فانتهى تاريخه إلى آخر سنة ٧٤١ (٧٤٠) وقد أخبر قبل موته بمده سنة ٧٤١ إحدى وأربعين وسبعمائة .

وأما ابن كثير فالمشهور أن تاريخه انتهى إلى آخر سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة وهو آخر ما لخصه من تاريخ البرزالى وكتب حوادث إلى قبيل وفاته بسنتين ولما لم يكن من سنة ٧٤١ إحدى وأربعين وسبعمائة ما يجمع الأمرين على الوجه الأتم شرع شيخنا الحافظ مفتى الشام شهاب الدين أحمد بن يحيى السعدى فى كتابة ذيل من أول سنة ٧٤١ إحدى وأربعين وسبعمائة وجه الاستيعاب للحوادث والوفيات فذكر كل شهر وما فيه من الحوادث والوفيات فكتب منه سبع سنين ثم شرع من أول سنة ٧٦٩ تسع وستين وسبعمائة فانتهى إلى أثناء ذى القعدة سنة ٨١٥ خمس عشرة وثمانمائة وذلك قبل ضعفه ضعفة الموت غير أنه سقط منه سنة ٧٥ خمس وسبعين فعدمت وكان قد أوصانى أن أكمل الخرم من أول سنة ٤٨ ثمان وأربعين إلى آخر سنة ثمان وستين فاستخرت الله تعالى فى تكميل ما أشار به ثم التذييل عليه من حين وفاته ثم رأيت فى سنة ٧٤١ إحدى وأربعين وسبعمائة فما بعدها إلى إخر سنة ٤٧ سبع وأربعين فوائدجمة من حوادث ووفيات قد أهملها شيخنا ويحتاج الكتاب إليها فألحقت كثيرا منها فى الحواشى وشرعت من أول سنة ٧٤١ إحدى وأربعين وسبعمائة جامعا بين كلامه وتلك الفوائد على الجميع فى الحقيقة له .

(كشف ١ / ٨٣٤ ، ٨٣٥).

(الناقد الحديث فى علوم الحديث ـ الشيخ محمد المبارك عبد الله / ٩٠ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٣٤ ، ٨٣٥) .

*** رجال السند والهند إلى القرن السابع:**

كتاب من تأليف القاضى أبى المعالى أطهر المباركبورى . يقول عنه المؤلف فى مقدمة الطبعة الثانية التى أصدرتها دار الأنصار فى القاهرة (١٩٧٨ م) :

وهأنذا أقدم نتيجة جهدى باسم « رجال السند والهند » وهم العلماء ، والفقهاء ، والمحدثون ، والرواة ، والمشائخ ، والقضاة ، والأمراء ، والأعيان ، والشعراء ، والأدباء ، والنحاة ، واللغويون ، والأطباء ، والفلاسفة ، والمتكلمون ، وأهل الملل والنحل وغيرهم من أهل الإسلام .

وجعلت الكتاب على قسمين :

القسم الأول : فى الرجال الذين ولدوا وعاشوا فى السند والهند ، أو كانوا من طينتهما ، وولدوا وعاشوا فى الخارج ، وهم ثلاثة أصناف الأول : الذين كان آباؤهم وأجدادهم من العرب ، أو من بلاد أخرى ، وقدموا السند والهند أيام الغزوات والفتوحات أو بعدها ، فأقاموا وتأهلوا وصاروا من أهل السند والهند .

الثانى : الذين كان آباؤهم وأجدادهم من السند والهند ، واعتنقوا الإسلام ، وصبغوا بصبغة الدين فى جميع نواحى حياتهم ، ومنهم الزط ، والسيابجة وغيرهم الذين كانوا فى بلاد العرب قبل الإسلام ، ثم أسلموا وسكنوا فيها .

والثالث : السبايا والموالى الذين جلبوا من السند والهند ، وصاروا فى ولاء الرق ، أو ولاء العتاقة ، أو ولاء الإسلام ،

وانضموا إلى القبائل والأفراد، واشتغلوا فى الأعمال المختلفة، خصوصا بالعلوم الإسلامية والمعارف الدينية.

وكان للصنفين الأولين صلة وعلاقة ببلدانهم: السند والهند، كانوا يترددون بينهما وبين البلاد الإسلامية، ومنهم من تأهل فى الخارج. وأما الموالى الذين كانوا تحت الولاء، أو صاروا أحرارا فما كان لهم علاقة ببلاد السند والهند فيما أعلم.

القسم الثانى: فى الرجال الذين قدموا السند والهند من بلادهم، ثم رجعوا، أو عاشوا وماتوا فى السند والهند. وعسى أن دخل بعض رجال القسم الأول فى رجال القسم الثانى، وكذا عكسه.

وما حاولت من نفسى تسنيد الرجال وتهنيدهم إلا من وجدت نسبته إلى السند والهند صراحة فى كتب القوم، ومع هذا فأنا فى شك من بعض الديبليين، أهو من ديبل السند: بالياء المثناة ثم الباء الموحدة، أو من دبيل الشام: بالباء الموحدة ثم الياء المثناة، وكذلك من بعض البوقانيين أهو من بوقان السند بالباء الموحدة، أو من نوقان بالنون، أو من توقان بالياء المثناة.

وحاولنا أمانة نقل النص من الكتب دون تغيير، حتى ولو كان بعضه محرفا، ثم صححناه بقدر جهدنا.

والتزمنا بذكر الوفيات، وتعيين الزمان للمترجم له، فإن لم نجده رجعنا إلى وفيات شيوخه أو أصحابه أو معاصريه لتعيين زمانه.

ولما كان كتابنا هذا كتاب التذكرة والترجمة فإننا ما أوردنا ألفاظ الجلالة، والألقاب عند ذكر الأئمة، إلا ما كان على سبيل النقل والأخذ، وسلكنا فيه مسلك القدماء.

وكذلك لم نتعرض للمباحث التى جاءت أثناء التراجم، وأثبتناها حيث إنها تراجم أو فيها شيء من أخبار المترجم له.

وفى بعض التراجم توضيحات مقيدة بقولنا «قال القاضى» والمراد به المؤلف القاضى أطهر المباركبورى.

وأخذنا السند والهند كأقليمين، وفق تقسيم المؤرخين القدامى.

(رجال السند والهند إلى القرن السابع ـ جمعه وألفه وحققه القاضى أبو المعالى أطهر المباركبورى / ١٣ ـ ١٥).

* **رجال السنن الأربعة:**

المؤلف: الهكارى

١ ـ دار الكتب / القاهرة ١ / ٧٣ [٣٣ م] ـ (ج١) ـ قبل ٧٦٣ هـ، بخط المؤلف

(الفهرس الشامل للتراث العربى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان. الأردن ٢ / ٨٠٤).

* **رجال الصحيحين:**

المؤلف: الجماعيلى:

١ ـ الظاهرية ٣٥٢ [حديث ٢٢٤؟]. ج ١ (و ٢٧٩ ـ ٢٩٦]، ج ٣، ٤، ٥، والأخير (و ٢٢ ـ ٥٥، ٨٤ ـ ٩٧، ٢٥١ ـ ٢٦٥) ضمن مجموع.

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله ٢ / ٨٠٤).

* **رجال الصحيحين:**

رجال الصحيحين: لأبى القاسم هبة الله بن حسن الطبرى المتوفى سنة ٤١٨ ثمان عشرة وأربعمائة.

(كشف الظنون ١ / ٨٣٥).

* **رجال السلافة:**

من مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى، وجاء بيانه كما يلى: الرقم ٩٩٩٠ / ١

لم يعلم اسم المؤلف.

وهو مختصر فى رجال سلافة العصر فى محاسن أعيان العصر لعلى بن أحمد بن معصوم المتوفى سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م.

فى أولها تملك ليوسف بن أحمد الأفنازى ومحمد بن إبراهيم بن محفوظ الأوقاتى مؤرخ سنة ١١٤٧ هـ / ١٧٣٤ م، وتملك آخر لعبد الغنى بن إسماعيل البغدادى مؤرخ سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥ م.

القياس ١٤٣ ص ٢١,٥ × ١٥,٥ سم ٢٣س

معجم المؤلفين ٧ / ٢٨

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٢٠٢).

* ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾:

الآية ٢٣ من سورة الأحزاب، نزلت فى أنس بن النضر وقد أوردنا بيانها فى مادة «الأحزاب (سورة)» فى م ٢ / ٥٦٠ فانظرها فى موضعها.

*رجال عروة بن الزبير وجماعة من التابعين وغيرهم:

المؤلف: الإمام مسلم.

١ ــ الظاهرية ٤٠٩ [مجموع ٥٥] (و ١٣٩ ــ ١٤٦) ضمن مجموع ـ (سز ١ / ١٤٣).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله ٢ / ٨٠٤).

* الرجال (علم ـ):

انظر مادة «أسماء الرجال (علم ـ)» فى م ٤ / ٥٠٣، ٥٠٤، ومادة «الجرح والتعديل (علم ـ)» فى م ١٢ / ١٠٩ ـ ١١٦.

* رجال عمدة الأحكام:

المؤلف: الصعبى.

١ ـ عارف حكمت (كحالة)٩ [٣٥ / أصول الحديث] ـ (٢٣٠ ص) ـ ٧٦٧ هـ.

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان. الأردن ٢ / ٨٠٤).

* الرجال فى الميراث:

الوارثون من الرجال بالأسباب الثلاثة وهى: النكاح، والولاء، والنسب قال صاحب الرحبية:

الوارثون من الرجال عشره
أسماؤهم معروفة مشتهره
الابن وابن الابن مهما نزلا
والأب والجد له وإن علا
والأخ من أى الجهات كانا
قد أنزل الله به القرآنا
وابن الأخ المُدْلِى إليه بالأب
فاسمعَ مقالا ليس بالمُكَذَّب
والعمُّ وابن العم من أبيه
فاشكر لذى الإيجاز والتنبيه
والزوج والمعتق ذو الولاء
فجملة الذكور هؤلاء

ويشرح ابن غلبون الأبيات فيقول:

(باب الوارثين) بالأسباب الثلاثة من الرجال والنساء إجماعا بالفرض والتعصيب (والوارثون من الرجال) أى الذكور ليشمل الصغير والكبير (عشرة أسماؤهم ومعروفة مشتهرة) أى معلومة فالأول (الابن) والثانى (ابن الابن) أى الذكر خرج ابن الأنثى فلا يرث لأنه من ذوى الأرحام، كما قيل:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا
بنوهن أبناء الرجال الأباعد

(مهما) أى متى (نزلا) أى وإن سفل بدرجة أو درجات (و) الثالث (الأب) والرابع (الجد) بفتح الجيم (له) أى للأب يعنى أبا الأب (وإن علا) لا أب الأم فإنه من ذوى الأرحام(و) الخامس (الأخ من أى الجهات كانا) يعنى شقيقا أو لأب أو لأم، وإن اختلف قدر إرثه باختلاف الجهات (قد أنزل الله به) أى بتوريثه (القرآنا).

فأما الأخ للأم ففى قوله تعالى: **﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث﴾** [النساء: ١٢]

والكلالة هو الميت الذى لا أصل له ولافرع.

وأما الشقيق أو للأب ففى قوله تعالى: **﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد﴾** الآية [النساء: ١٧٦]

(و) السادس (ابن الأخ المدلى) أى المنتسب إليه أى إلى الميت (بالأب) وهو ابن الشقيق أو لأب لا ابن الأخ لأم فإنه من ذوى الأرحام أيضا (فاسمع) سماع إذعان وتفهم، وفى بعض النسخ فافهم (مقالا) أى قولا قلته لك صادقا (ليس بالمكذب) لورود القرآن به، والأخبار الصحيحة، واجتمعت عليه الأمة (و) السابع والثامن (العم وابن العم من أبيه) أى الميت شقيقا أو لأب لا لأم فإنه من ذوى الرحم أيضا (فاشكر) أى ادع بالرحمة والمغفرة (لذى الإيجاز والتنبيه) أى لصاحب

الاختصار والإيقاظ (و) التاسع (الزوج و) العاشر (المعتق) بكسر التاء، وهو من صدر منه العتق سواء كان العتق منجزا أو معلقا، أو بكتابة، أو باستيلاد وعصبته المتعصبون بأنفسهم (ذو) أي صاحب (الولاء) من المعتق بفتح التاء وعصبته (فجملة الذكور) المجمع على توريثهم عند عدم المانع (هؤلاء) العشرة بالاختصار.

وأما بالبسط فخمسة عشر، الابن وابنه، الأب والجد، والأخ الشقيق والأخ لأب والأخ لأم، وابن الأخ الشقيق ابن الأخ لأب ، والعم الشقيق والعم لأب ، وابن العم الشقيق وابن العم لأب، والزوج ، وذو الولاء.

(التحفة فى علم المواريث لابن غلبون ــ حقق نصوصه وقدم له وعلق عليه السائح على حسين / ٩٥ ، ٩٦. انظر أيضا شرح الرحبية فى الفرائض لأبى عبد الله محمد بن على الرحبى ــ شرح الشيخ محمد بن محمد سبط الماردينى / ٢٨).

*** الرجال (كتاب۔):**

لمحمد طاهر بن محمد طالب الحسينى الأردبيلى المشهدى الذى كان حيا سنة ١٠٩١ هـ ١٦٨٨ م.

أحد مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى.

الأول (وبعد هذا عرجون الأول من الغصن الثالث من أغصان كتاب الشجرة المباركة).

وهو كتاب فى تراجم رجال الحديث جعله المؤلف على شكل جداول وفرغ منه سنة ١٠٩١ هـ ١٦٨٠ م فى المدرسة السليمانية بدار السلطنة أصفهان.

نسخة جيدة ترقى للقرن الثانى عشر الهجرى القرن الثامن عشر الميلادى. الرقم ١٠٠١٩ / ١

القياس ١٤٠ ص ١٧,٥ × ١١,٥ سم ٢٢س

معجم المؤلفين ١٠ / ١٠٢.

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٣٢٤، ٣٢٥).

*** رجال الكتب الستة الصحيحين والسنن الأربعة:**

المؤلف : المزى.

اختصره: الذهبى بعنوان: «الكاشف فى أسماء رجال الكتب الستة».

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله ٢ / ٨٠٤).

*** رجال الموطا:**

تأليف ابن مزين : ذكره ابن خير فى فهرسته

(فهرسة ابن خير. وقف على تحقيقه وطبع طبعته الأولى الشيخ فرنشسكه قداره زيدين وتلميذه خليان ربارة طرغوه / ٩٢).

*** ابن أبى الرّجال (١٠٢٩ـ١٠٩٢ هـ / ١٦٢٠ـ١٦٨١ م):**

أحمد بن صالح بن أبى الرجال اليمنى، صفى الدين، مؤرخ أديب وافر الاطلاع، من علماء الزيدية. ولد فى الأهنوم (باليمن) ونشأ فى صنعاء وتوفى بها. من كتبه «مطلع البدور ومجمع البحور» ذكره ابن المحبى ووصفه بأنه تاريخ حافل فى سبع مجلدات ذكر فيه معظم علماء اليمن وأئمتها ورؤسائها، و «إعلام الموالى بكلام ساداته الأعلام الموالى» ، و«تيسير الشريعة»، و «الرياض الندية».

(الأعلام للزركلى ١ / ١٣٧ ، ١٣٨ عن خلاصة الأثر ١ / ٢٢٠ ، والبدر الطالع ١ / ٥٩ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١ / ٧٥ ، ودار الكتب ٨ / ٢٤١ «مطلع البدور»).

*** أبو الرجّال:**

قال الإمام البخارى:

أبو الرجال: سمع النضر بن أنس، عن أبيه عن النبيﷺ، منكر الحديث، عنده عجائب ا هـ.

اسمه خالد بن محمد. قال ابن عدى: فى حديثه بعض النكرة. وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به.

الميزان ١ / ٦٣٩ ، الكبير ٩ / ٣٠

(كتاب الضعفاء الصغير للإمام البخارى ـ تحقيق محمود إبراهيم زايد دار الوعى. حلب. الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ).

*** الرجّالة (المشاة):**

فى العسكرية الإسلامية الرجالة هم الجند الذين يقاتلون وهم راجلون، ويكوّن الرجالة القسم الأكبر من القوات العربية الإسلامية ويقع عليهم عبء الاصطدام المباشر مع العدو وجها لوجه. وقد تميز المقاتلون العرب بجرأتهم وثباتهم فى القتال تحت كل الظروف وقد منحتهم طبيعتهم. الصحراوية القاسية، البأس والعزيمة، ثم جاء الإسلام فمنحهم قوة

الإيمان والعقيدة، فأصبح المقاتل العربى المسلم نموذجا للمقاتل الذى لا يهاب الموت، فى حين ترى أعداءهم من الفرس والروم كانوا رغم الأعداد الهائلة التى يدفعون بها إلى المعارك يربطون جندهم بالسلاسل جماعات جماعات حذرا من فرارهم.

إن واجب الرجالة الرئيسى هو قتال العدو والالتحام معه وتحطيم قوته الرئيسية، فيتقدمون بصفوف متراصة فى ثبات وفى هيئة تلقى الرعب فى جنود العدو، وقد لزموا الصمت واجتنبوا التلفت.

وإن أدق وصف يوضح الأسلوب القتالى للجند الرجالة، والذى أصبح الأسلوب المميز للمقاتلين العرب فى كل حروبهم ما قاله الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يوصى جنده: «فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدِّموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس، فإنه أنبى للسيوف عن الهام والتووا فى أطراف الرماح فإنه أطرد للفشل وأولى بالوقار (الطبرى، تاريخ ٥ / ١٦، ١٧).

فالصمت والهدوء يساعدان على الضبط ودقة التنفيذ، لذلك لم تكن أصواتهم ترتفع بالتكبير إلا عند حدوث ما يستدعى ذلك مثل قتل قائد العدو أو فرار أعدائهم أو عند الصولة النهائية عندما يبدأ العدو بالتراجع حيث يكون للتكبير أثره فى خلع قلوب الأعداء وإضعاف روحهم المعنوية، بعكس أصوات أعدائهم وخاصة الفرس التى تفزع من يجهلها ولا تضير من تعوَّدها لأنها لا غاية لها ولا هدف.

وللرجالة واجب آخر وهو التصدى لفرسان العدو وإبطال فاعليتهم بعقر خيولهم أو تشريدها أو تنفيرها.

وهناك واجبات أخرى يقوم بها الرجالة وهى القيام بالحراسات ومسك المناطق الحيوية من أرض المعركة والقيام بواجب المسالح أما لباس الرجالة فيتكون عادة من القمصان المحبوكة على أجسامهم إلى ما تحت الركبة فوق السراويل ويضعون على رؤوسهم الخوذ ويلبسون الدروع الواقية وقد يلبسون فوق الدروع الأقبية وقد يخصص لقائد الرجالة فرس أو دابة وذلك لكى تمكنه من سرعة الانتقال بين جنوده فى أرض المعركة لإعطائهم الأوامر ولسهولة السيطرة عليهم. وفى أثناء سير القطعات لمسافات طويلة كان القواد يراعون أضعف الرجالة سيرا فتسير القطعات بسيره تأمينا لراحة الجند. وكانوا يطلقون على ذلك المسير اسم «سير العساكر».

(تنظيمات الجيش العربى الإسلامى فى العصر الأموى - د. خالد جاسم الجنابى / ١٢١ - ١٣٢).

*** رجب:**

جاء فى اللسان: رجب شهر سموه بذلك لتعظيمهم إياه فى الجاهلية عن القتال فيه، ولا يستحلون القتال فيه. وفى الحديث: «رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان» قوله: بين جمادى وشعبان، تأكيد للبيان وإيضاح له، لأنهم كانوا يؤخرونه من شهر إلى شهر، فيتحول عن موضعه الذى يختص به، فبين لهم أنه الشهر الذى بين جمادى وشعبان، لا ما كانوا يسمونه على حساب النسيء، وإنما قيل: رجب مضر، إضافة إليهم، لأنهم كانوا أشد تعظيما له من غيرهم، فكأنهم اختصوا به، والجمع: أرجاب تقول: هذا رجب، فإذا ضموا له شعبان، قالوا: رَجَبان.

والترجيب: التعظيم وإن فلانا لمُرجَّب، ومنه ترجيب العتيرة، وهو ذبحها فى رجب.

وفى الحديث: «هل تدرون ما العتيرة؟ هى التى يسمونها الرجبية، كانوا يذبحون فى شهر رجب ذبيحة، وينسبونها إليه. والترجيب: ذبح النسائك فى رجب، يقال: هذه أيام ترجيب وتعتار. وكانت العرب تُرجِّب، وكان ذلك لهم نُسكا، أو ذبائح فى رجب (لسان العرب ١٨ / ١٥٨٣، ١٥٨٤).

وعن فضل شهر رجب يقول الإمام عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى:

أخرج أبو نعيم فى «الحلية» بإسناد فيه ضعف، عن أنس ابن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل رجب قال:

«اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان، وبلغنا رمضان».

وأخرج الديلمى فى «مسند الفردوس» من طرق ثلاثة، عن أنس بن مالك. وأحاديث «مسند الفردوس» ضعيفة، والحديث الضعيف يعمل به فى صالح الأعمال.

وأخرج الحديث أيضا: أبو الفتح ابن أبى الفوارس فى

أماليه، وذكره السيوطى فى «الجامع الصغير» مرسلا، عن الحسن البصرى قال: قال رسول الله ﷺ:

«رجب شهر الله، وشعبان شهرى، ورمضان شهر أمتى».

(قال المناوى فى «فيض القدير»: تنبيه: قال فى كتاب الصراط المستقيم: لم يثبت عن النبى ﷺ فى فضل رجب إلا خبر: «كان إذا دخل رجب قال: اللهم بارك لنا فى رجب» ولم يثبت غيره، بل عامة الأحاديث المأثورة فيه عن النبى ﷺ كذب.

وقال النووى: لم يثبت فى صوم رجب ندب ولا نهى بعينه، ولكن أصل الصوم مندوب. (انظر: فيض القدير ٤ / ١٨).

قال الحافظ العراقى فى شرح الترمذى: حديث ضعيف جدا هو من مرسلات الحسن، رويناه فى كتاب الترغيب والترهيب للأصفهانى، ومرسلات الحسن لا شىء عند أهل الحديث، ولا يصح فى فضل رجب حديث. اهـ).

وقال ابن الجوزى فى كتابه «التبصرة»: عن ابن الأعرابى، عن الفضل قال: كل العرب تقول: رجبت فلانا أرجبه رجبا ورجوبا، إذا عظمته.

قال ثعلب: وإنما سمى رجبا لتعظيمه.

وقال سليمان الشاذكونى: إنما سمى الأصم، لأن العرب كانت لا يغير بعضها على بعض فيه، ولا تحمل فيه السلاح، فكانوا لا يسمعون فيه قعقعة السلاح فسمى الأصم به.

وقال الإمام شهاب الدين أحمد بن رجب فى كتابه «اللطائف»: وذكر بعضهم أن لرجب أربعة عشر اسما: شهر الله، ورجب، ورجب مضر، ومنصل الأسنة، والأصم، والأصب، ومنفس، ومطهر، ومعلى، ومقيم، وهرم، ومقشقش، وفرد، وزاد بعضهم: رجم ـ بالميم ـ ومنصل الآلة ـ وهى الحربة ـ ومنزع الأسنة.

وكان أهل الجاهلية يتحرون الدعاء فيه على الظالم فيستجاب لهم

وفى هذا الحديث ـ أعنى: «اللهم بارك لنا فى رجب» ـ دليل على استحباب الدعاء بالبقاء للأزمنة الفاضلة، لأجل إدراك الأعمال الصالحة فيها، فإن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرا، وخير الناس من طال عمره، وحسن عمله. وكان السلف يستحبون أن يموتوا عقب عمل صالح، من صوم رمضان، أو رجوع من حج. وكان يقال: من مات كذلك غفر له.

وكان بعض العلماء الصالحين قد مرض قبل شهر رجب، فقال: إنى دعوت الله تعالى أن يؤخر وفاتى إلى رجب، فإنه بلغنى أن لله فيه عتقاء، فبلغه الله تعالى ذلك، ومات فى شهر رجب.

ولا شك أن شهر رجب مفتاح أشهر الخير والبركة.

قال أبو بكر الوراق: شهر رجب شهر الزرع، وشهر شعبان شهر سقى الزرع، وشهر رمضان شهر حصاد الزرع.

وعنه أيضا قال: مثل شهر رجب مثل الريح، ومثل شهر شعبان مثل الغيم، ومثل شهر رمضان مثل المطر.

وقال بعضهم: السَّنَة مثل الشجرة، وشهر رجب أيام ظهور ورقها، وشعبان أيام ظهور فروعها، ورمضان أيام استواء ثمرها وقطوفها، والمؤمنون قطافها، فإن من المهم لمن سوَّد صحيفته بالذنوب أن يبيضها بالتوبة فى هذا الشهر، ومن ضيَّع عمره فى البطالة أن يغتنم ما بقى من العمر.

قوله: «رجب شهر الله». هذه الإضافة تدل على شرفه وفضله، ومعنى الإضافة الإشارة إلى أن تحريمه من فعل الله تعالى، ليس لأحد تبديله كما كانت الجاهلية يحلونه ويحرمون مكانه «صفر».

و «شعبان شهرى». لأنه ﷺ ما كان يصوم شهرا كاملا بعد رمضان غير شعبان.

وقالت عائشة: «كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان، ثم يصله برمضان».

فلأجل ذلك أضافه إلى نفسه، ولأنه شهر واقع بين شهر رجب الذى هو شهر الله وشهر رمضان الذى هو شهر الأمة، فناسب أن يكون شهر النبى ﷺ، لأنه عليه السلام واسطة بين الله تعالى وبين الأمة، كما أن شعبان واسطة بين رجب ورمضان.

قوله: «ورمضان شهر أمتى». لأنه افترض عليهم صيامه فهو شهرهم.

قال تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل﴾ [البقرة : ٢١٧].

سبب نزول هذه الآية : ما روى أن رسول الله ﷺ بعث رهطا وأمّر عليه عبد الله بن جحش ابن عمة النبى ﷺ والصحابى المشهور، فلقوا عمرو بن عبد الله الحضرمى — من المشركين فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك الوقت من رجب أو جمادى . فقال المشركون للمسلمين : قتلتم فى الشهر الحرام .

فأنزل الله هذه الآية :

والمراد بالشهر الحرام فى الآية - كما ذكره البغوى - شهر رجب .

﴿قتال فيه﴾ أى عن قتال فيه، قل يا محمد ﴿ قتال فيه كبير﴾ عظيم ، تم الكلام ههنا .

ثم قال : ﴿وصد عن سبيل الله﴾ أى وصدكم للمسلمين عن المسجد الحرام .

﴿ وإخراج أهله﴾ أى إخراج أهل المسجد منه ، ﴿أكبر﴾ وأعظم وزرا عند الله .

﴿والفتنة أكبر من القتل﴾ أى من قتل ابن الحضرمى فى الشهر الحرام .

فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس رضى الله عنه إلى مؤمنى مكة : إذا عيَّركم المشركون بالقتل فى الشهر الحرام فعيروهم بالكفر، وإخراج رسول الله ﷺ من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت .

والحاصل : أن شهر رجب شهر حرام فرد، وهو أول الأشهر الحرم وأفضلها وأشرفها، فينبغى كمال الاحتفال له، والاعتناء به، بالمواظبة على الطاعات، والاجتناب عن المعاصى والمخالفات، لأن الشهر شهر الله .

وورد أيضا أن الله يقول : « الصوم لى وأنا أجزى به » (أخرجه البخارى فى الصيام باب ٣، وفى اللباس باب ٧٨ وفى التوحيد باب ٣٥ ، ٥١ . ومسلم فى الصيام حديث ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ . والترمذى فى الصيام باب ٥٤ والنسائى فى الصيام باب ٤١ ، ٤٢ وابن ماجه فى الأدب باب ٥٨ ، وفى الصيام باب١ . ومالك فى الموطأ، فى كتاب الصيام حديث ٥٨ . والإمام أحمد فى المسند ١ / ٤٤٦ ، ٢ / ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦ ، ٢٧٣ ، ٢٨١ ، ٣١٣ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤٤٣ ، ٤٥٧ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥١٦ ، ٣ / ٥ ، ٤٠ ، ٣٤١).

وفى الصوم فى رجب أيضا الكف عن الشهوات، زيادة عن الكف عن القتال والمعاداة، كما كانت تدين الجاهلية الأولى، فإن من أظمأ نفسه بالصيام فى شهر الله تعالى كان له عند الله تعالى الجزاء الأوفى (فضائل الشهور والأيام / ٢٧ ـ ٣٢).

ويصف لنا ابن بطوطة عادة أهل مكة فى شهر رجب فى زمانه فيقول :

وإذا هلَّ هلال رجب ، أمر أمير مكة يضرب الطبول والبوقات إشعارا بدخول الشهر، ثم يخرج فى أول يوم منه راكبا، ومعه أهل مكة فرسانا ورجالا على ترتيب عجيب، وكلهم بالأسلحة يلعبون بين يديه، والفرسان يحولون ويجرون، والرجالة يتواثبون ويرمون بحرابهم إلى الهواء ويلقفونها والأمير رُميثة والأمير عطيفة معهما أولادهما وقوادهما مثل محمد بن إبراهيم، وعلى وأحمد ابنى صبيح، وعلى بن يوسف، وشداد بن عمر، وغيرهم من كبار أولاد الحسن، ووجوه القواد، وبين أيديهم الرايات والطبول ، وعليهم السكينة والوقار، ويسيرون حتى ينتهوا إلى الميقات ثم يأخذون فى الرجوع على معهود ترتيبهم إلى المسجد الحرام، فيطوف الأمير بالبيت والمؤذن الزمزمى بأعلى قبة زمزم يدعو له عند كل شوط فإذا طاف صلى ركعتين عند الملتزم، وصلى عند المقام وتمسَّح به، وخرج إلى المسعى فسعى راكبا، والقواد يحفُّون به، ثم يسير إلى منزله، وهذا اليوم عندهم عيد من الأعياد، ويلبسون فيه أحسن الثياب، ويتنافسون فى ذلك .

ثم ينتقل ابن بطوطة إلى الكلام على عُمرة رجب واحتفال أهل مكة بها فى زمانه فيمدنا بوصف تاريخى ممتع ، قائلا : وأهل مكة يحتفلون لعمرة رجب الاحتفال الذى لا يعهد مثله . وهى متصلة ليلا ونهارا، وأوقات الشهر كله معمورة بالعبادة، وخصوصا أول يوم منه ويوم خمسة عشر والسابع والعشرين، فإنهم يستعدون لها قبل ذلك بأيام : شاهدتهم فى ليلة السابع والعشرين منه، وشوارع مكة قد غصت بالهوادج عليها أكسية الحرير والكتان الرفيع، كل أحد يفعل بقدر استطاعته، والجمال مزينة مقلدة الحرير، وأستار الهوادج

ضـافيـة، تكاد تمـس الأرض، فهى كالقبـاب المضـروبـة. ويخـرجـون إلى ميقـات التنعيم فتسيل أبـاطح مكـة بتلك الهوادج، والنيران مشعلة بجنبتى الطريق، والشمع والمشاعل أمام الهوادج، والجبال تجيب بصداها إهلال المهلين، فترق النفوس، وتنهمـل الدموع. فـإذا قضوا العمـرة وطافوا بـالبيت خـرجوا إلى السعى بين الصفـا والمروة، بعـد مضى شىء من الليل، والمسعى متقد السُّرج، غاص بالناس، والسـاعيات فى هوادجهن، والمسجد الحرام يتلألأ نورا، وهم يسمون هذه العمـرة بالعمـرة الأكميـة، لأنهم يحرمـون بهـا من أكَمَة أمـام مسجـد عـائشـة رضى الله عنهـا على مقـربـة من المسجـد المنسوب إلى على رضى الله عنـه. الأصل فى هذه العمرة أن عبـد الله بن الزبيـر رضى الله عنهمـا لما فـرغ من بناء الكعبـة المقدسة، خرج ماشيا حافيا معتمرا ومعه أهل مكة، وذلك فى اليوم السابع والعشـرين من رجب، وانتهى إلى الأكمة فأحرم منها، وجعل طريقـه على ثنيَّة الحجون إلى المَعْلى من حيث دخل المسلمون يوم الفتح، فبقيت تلك العمرة سُنَّة عند أهل مكة إلى هذا العهـد. وكان يوم عبد الله مذكورا أهـدى فيه بُدْنًا كثيرة، وأهـدى أشراف مكـة وأهل الاستطاعـة منهم، وأقـاموا أيامـا يَطْعمون ويُطعمون، شكرا لله تعـالى على ما وهبهم من التيسير والمعونة فى بنـاء بيته الكـريم على الصفة التـى كان عليهـا فى أيـام الخليل صلـوات الله عليـه، ثم لمـا قُتل ابن الـزبير، نقـض الحجاج الكعبـة وردهـا إلى بنائهـا فى عهـد قريش، وكـانوا قد اقتصروا فـى بنائها. وأبقاهـا رسول الله ﷺ على ذلك لحدثان عهدهم بـالكفر. ثم أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يعيدها إلى بناء ابن الـزبير، فنهاه مالك رحمه الله عن ذلك، وقـال: يـا أمير المـؤمنين، لا تجعل البيت ملعبـة للملوك، متى أراد أحدهـم أن يغيره فعل فتركه على حـاله سدا للذريعـة. وأهل الجهـات المواليـة لمكة، يـبادرون لحضور عمـرة رجب، ويجلبـون إلى مكـة الحبـوب والسمن والعسل والزبيب واللـوز، فترخص الأسعـار بمكة ويرغـد عيش أهلها وتعمهم المـرافق. ولولا أهل هـذه البلاد لكان أهل مكـة فى شظف من العيش. (الشظف: الضيق والشدة) ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم ولم يأتوا بهذه الميرة أجدبت بلادهم ووقع المـوت فى مواشيهم، ومتى أوصلـوا الميرة أخصبت بـلادهم وظهرت فيها البركـة ونمت أموالهم. فهم إذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها، اجتمعت نساؤهم فأخرجنهم، وهذا من لطـائف صنع الله تعالى وعنـايته ببلـده الأمين. وبلاد السـرو (محلة حِمْيَر) مخصبـة كثيرة الأعناب وافرة الغـلات. وأهلها فصحاء الألسن لهم صدق نية وحسـن اعتقاد. وهم إذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها لائذين بجوارها، متعلقين بأستارها، داعين بأدعيـة تتصـدع لـرقتهـا القلـوب، وتـدمـع العيـون الجامدة، فترى الناس حـولهم باسطى أيديهم، مؤمِّنين على أدعيتهم، ولا يمكن غيرهم الطواف معهم، ولا استلام الحجر لتزاحمهم على ذلك. وهم شجعان أنجاد، ولباسهم الجلود، وإذا وردوا مكـة هـابت أعـراب الطـريق مَقْـدَمهم، وتجنبـوا اعتراضهم، ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم. وذكر أن النبى ﷺ ذكـرهم وأثنى عليهم خيرا وقـال: علموهم الصـلاة يعلموكم الدعاء. وكفاهم شرفا دخولهم فى عموم قوله ﷺ: الإيمـان يمان والحكمـة يمانيـة. وذكـر أن عبد الله بن عمـر رضى الله عنهمـا كـان يتحرى وقت طـوافهم ويـدخل فى جملتهم تبركا بدعائهم. وشأنهم عجيب كله، وقد جاء فى أثر زاحموهم فى الطـواف فإن الرحمـة تنصب عليهم صبا (مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / ١٢٣ ـ ١٢٥).

وهـذه مسألـة أفتى فيهـا سلطـان العلمـاء العـز بن عبـد السـلام: ما القـول فيما يـذكره الخطبـاء من فضائل الشهـور، والحض على الأعمـال الصـالحـة فيها، ومن جملتهـا شهـر رجب. وقد نقل عن بعض المحدثين المنع من صومه وتعظيم حـرمته وأن ذلك مشـابهة لفعل الجـاهلية فى تعظيمـه، فهل يمنع من صومـه لذلك وتعظيم حرمته؟ وهل يصح نـذر صوم جميعه؟

الجواب: أما ما يذكـره الخطباء من فضائل الشهور، ففيه الصحيح، وفيه السقيم، ولعل سقيمه أكثر من صحيحه.

ونذر صـوم رجب لازم يتقرب إلى الله بمثلـه، والذى نهى عن صومه جاهل بمآخذ أحكام الشرع، وكيف يكون منهيا عنه مع أن العلماء الذين دونوا الشريعة لم يذكر أحد منهم اندراج رجب ممـا يكـره صومـه قـربـة إلى الله تعالى؛ لمـا جـاء فى الأحاديث الصحيحة من الترغيب فـى الصوم، مثل قوله «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم» (أخرجه أحمد ٢ / ٢٧٣، ٢٨١ ومسلم فى كتـاب الصيـام حـديث ١٦١، ١٦٣ بلفظ: كل عمل ابن آدم لـه إلا الصيـام) وقـولـه: «لخلـوف فم الصـائم

أطيب عند الله من ريح المسك» (البخارى : كتاب الصوم. باب فضل الصوم ١ / ٣٢٤ . . ومسلم فى كتاب الصيام بألفاظ مختلفة حديث ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥ كما أخرجه أحمد ٢ / ٢٧٣، ٢٨١) وقوله: «إن أفضل الصيام صوم أخى داود» (أخرجه البخارى فى كتاب الصوم بنحوه باب حق الضيف وباب حق الجسم فى الصوم وباب صوم الدهر ١ / ٣٣٧، ٣٣٨. وأخرجه مسلم بنحوه فى كتاب الصيام حديث ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧).

ومن عظَّم رجب لغير الجهة التى كانت الجاهلية يعظمونه لها، فليس بمقلِّد لجاهلية، وليس كل ما فعله الجاهلية منهيا عن ملابسته، إلا إذا نهت الشريعة عنه، ودلت القواعد على تركه. ولا يترك لكون أهل الباطل قد فعلوه.

والذى نهى عن ذلك من أهل الحديث جاهل، معروف بالجهل، لا يحل لمسلم أن يقلده فى دينه، ولا يجوز التقليد، إلا لمن اشتهر بالمعرفة بأحكام الله، وبمآخذها، والذى يضاف إليه ذلك بعيد عن معرفة دين الله، فلا يقلد فيه، ومن قلد مثله فقد غرر بدينه. (فتاوى سلطان العلماء / ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧).

(لسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٥٨٣، ١٥٨٤، وفضائل الشهور والأيام للإمام عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى ـ دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م / ٢٧ ـ ٣٢، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص، ومهذب رحلة ابن بطوطة ـ وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك، ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / ١٢٣ ـ ١٢٥، وفتاوى سلطان العلماء العز بن عبد السلام ـ دراسة وتحقيق وتعليق مصطفى عاشور / ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

*** رجب الأصم:**

انظر مادة «الأصم» فى م ٥ / ٢٠٣، ومادة «رجب».

*** ابن رجب (٧٣٦ـ٧٩٥ هـ / ١٣٣٥ـ١٣٩٣ م):**

شيخ الحنابلة المحدثين، ذكره ابن عبد الهادى فى طبقات متأخرى أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وقال عنه:

عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الشيخ الإمام، أوحد الأنام، قدوة الحفاظ، جامع الشتات والفضائل، زين الدين أبو الفرج ابن الشيخ شهاب الدين أبى العباس أحمد بن رجب الحنبلى البغدادى الدمشقى الفقيه الزاهد البارع الأصولى المفيد المحدث، سمع الحديث من محمد بن الخباز، وإبراهيم بن العطار، والميدومى، وأبى الحرم بن القلانسى، وخلق من رواة الآثار والأخبار، وسمع من خلق كثير، وأخذ عن جم غفير، قال القاضى علاء الدين بن اللحام ـ فيما وجدته بخطه ـ سيدنا وشيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد الحافظ شيخ الإسلام، مجلى المشكلات، وموضح المبهمات أبو الفرج عبد الرحمن زين الدين بن رجب البغدادى الحنبلى والله فى عونه، وأعاد على الكافة من بركته بمنه وكرمه. ورأيت بخطه فى موضع آخر يقول، قال: شيخنا الإمام العالم الحافظ بقية السلف الكرام، وحيد عصره، وفريد دهره شيخ الإسلام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلى ـ رحمه الله تعالى وعفا عنه برحمته ـ

وترجمه الشيخ العلامة شمس الدين بن ناصر الدين (الرد الوافر / ١٧٦) قال: الشيخ الإمام العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة أوعظ المسلمين، مفيد المحدثين زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام المقرئ المحدث شهاب الدين أبى العباس أحمد بن رجب عبد الرحمن بن الحسين أبو محمد بن أبى البركات مسعود البغدادى الدمشقى الحنبلى، أحد الأئمة الزهاد، والعلماء العباد.

وقال ابن قاضى شهبة (تاريخ ابن قاضى شهبة ١ / ٣ / ٤٨٨): الشيخ الإمام العلامة الحافظ الزاهد الورع شيخ الحنابلة وفاضلهم، أوحد المحدثين زين الدين، وكان يلقب أولا جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ المقرئ المحدث شهاب الدين أبو العباس أحمد بن رجب عبد الرحمن بن الحسين بن محمد بن مسعود البغدادى ثم الدمشقى. قدم مع والده من بغداد إلى دمشق وهو صغير فى

سنة أربع وأربعين، وفيها ابن النقيب، وقال لى: قد أجزتك وولدك عبد الرحمن، كما أجازنى التوزرى. واشتغل بسماع الحديث ورحل فيه، وسمع من ابن الخباز، وابن العطار بدمشق، ومن الميدومى بمصر، ومن جماعة من أصحاب ابن النجار.

قال ابن قاضى شهبة (تاريخ ابن قاضى شهبة) وقال شيخنا كان قرأ وأتقن الفن، ثم أكب على الاشتغال بمعرفة فنون الحديث وعلله ومعانيه. وانفرد وحده بكتب، وشرح «الترمذى» فى نحو عشرين مجلدا وشرح «أربعين» النووى شرحا حسنا، وشرع فى شرح البخارى واخترمته المنية، والقواعد التى له تدل على معرفته بالمذهب، وينقل كثيرا من كلام المتقدمين، وكان يحفظ كثيرا من كلام السلف، وكان منجمعا عن الناس، لا يخالط ولا يتردد إلى أحد من ذوى الولايات ويسكن بمدرسة السكرية بالقصاعين، وولى تدريس الحنبلية وكان فقيرا متعففا غنى النفس وحج، وبالجملة فلم يخلف بعده مثله. وقال غيره:

سمع من خلق رواية الآثار، وكان أحد أئمة الحفاظ الكبار والعلماء والزهاد والأخيار. ولى حلقة الثلاثاء بعد وفاته ابن قاضى الجبل فى رجب سنة إحدى وتسعين، ودرس بالحنبلية بعد وفاة القاضى شمس الدين بن التقى ثم أخذ منه وكان لا يعرف شيئا من أمور الدنيا، فارغا عن الرئاسة، ليس له شغل إلا الاشتغال بالعلم، وكتب قطعة كبيرة من شرح البخارى إلى الجنائز سماه: «فتح البارى فى شرح البخارى» وله «اللطائف» كتاب جيد، و «ذيل طبقات الحنابلة»، و«صفة الجنة وصفة النار»، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار.

قلت: المصنفات المفيدة الكثيرة، منها كتاب «طبقات أصحاب الإمام أحمد» جعله ذيلا على طبقات القاضى أبى الحسين، وكتاب «القواعد الفقهية»، مجلد كبير، وهو كتاب نافع من عجائب الدهر حتى أنه استكثر عليه، حتى زعم بعضهم أنه وجد قواعد مبددة لشيخ الإسلام ابن تيمية فجمعها، وليس الأمر كذلك، بل كان رحمه الله تعالى فوق ذلك، ومنها كتاب «شرح النواوية» مجلد كبير، وهو كتاب جليل كثير النفع، وكتاب «شرح الترمذى»، وهو كتاب جليل، وشرح قطعة من البخارى إلى كتاب الجنائز وهى من عجائب الدهر، ولو كمل كان من العجائب، وكتاب «لطائف المعارف»! فى الوعظ مجلد كبير، وهو كتاب عظيم، وكتاب «استنشاق نسيم الأنس ونفحات رياض القدس»، كتاب جليل، كتاب «ذم الجاه»، وكتاب «البشارة العظمى فى أن حظ المؤمن فى النار الحمى» وكتاب «غاية النفع فى تمثيل المؤمن بخامة الزرع» وكتاب «ذم الخمر»، وكتاب «إعراب أم الكتاب»، مجلد، ولعله كتاب «الفاتحة»، وكتاب «إعراب البسملة» وكتاب «شرح الحديث لبيك اللهم لبيك»، وكتاب «كشف الكربة فى وصف حال أهل الغربة» رسالة فى شرح حديث «بدأ الإسلام غريبا» (الأعلام ٣ / ٢٩٥). وكتاب «شرح حديث نصرت بالسيف»، وكتاب «شرح حديث عمار بن ياسر» وكتاب «شرح حديث إن أغبط أوليائى عندى» وكتاب «فيما يروى عن أهل المعرفة والحقائق»، وكتاب «مسألة الإخلاص»، وكتاب «شرح حديث ينفع الموتى ثلاث» وكتاب «تسلية نفوس النساء والرجال والأطفال» وكتاب «مثل الإسلام»، وكتاب «نور الاقتباس فى وصية النبى ﷺ لابن عباس» وكتاب «نزهة الأسماع فى ذم السماع» وكتاب «تفصيل مذهب السلف» وكتاب «حديث اختصام الملأ الأعلى» وكتاب «إزالة الشنعة عن الصلاة بعد النداء يوم الجمعة» وكتاب «الأحاديث والآثار المتزائدة فى أن الطلاق الثلاث واحدة» وكتاب «السليب» و «قاعدة فى الخشوع»، وكتاب «تفسير سورة النصر»، وكتاب «بيان الحجة فى سير الدُّلجه» وكتاب «الإيضاح والبيان فى طلاق كلام الغضبان» وكتاب «الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة» وكتاب «صفة النار وصفة الجنة»، وكتاب «شرح حديث ما ذئبان جائعان» وكتاب «الذُّل والانكسار»، وكتاب «منافع الإمام أحمد»، وكتاب «الاستغناء بالقرآن» وكتاب «أهوال القبور» وكتاب «شرح المحرر» و «قاعدة غم هلال ذى الحجة» وكتاب «الخواتيم»، وكتاب «الاستخراج فى أحكام الخراج»، وغير ذلك من الكتب النافعة المفيدة التى لم نر مثلها.

وله تحقيق فى المسائل على نصوص أحمد، وكلام الأصحاب، وله مسائل كثيرة غريبة وأشياء حسنة يعجز الإنسان عن حصرها. تفقه عليه جماعة من الأكابر كالقاضى

علاء الدين بن اللحام، والشيخ داود، وأُخبرت عن القاضى علاء الدين بن اللحام أنه قال: ذكر لنا مرة الشيخ مسألة فأطنب فيها، فعجبت من ذلك ومن إتقانه لها، فوقعت بعد ذلك بمحضر من أرباب المذاهب وغيرهم فلم يتكلم فيها الكلمة الواحدة، فلما قام، قلت له: أليس قد تكلمت فيها بذلك الكلام، قال: إنما أتكلم بما أرجو ثوابه، وقد خفت من الكلام فى هذا المجلس، أو ما هذا معناه، قال الشيخ الإمام العلامة شمس الدين بن ناصر الدين (الرد الوافر / ١٧٨) ـ فيما وجدته بخطه ـ قال: حدثنى من حفر لحد ابن رجب أن الشيخ زين الدين بن رجب جاءه قبل أن يموت بأيام فقال: احفر لى هنا لحدا، وأشار إلى البقعة التى دفن فيها، قال: فحفرت له، فلما فرغت نزل فى القبر واضطجع فيه فأعجبه، وقال: هذا جيد، ثم خرج، قال فوالله ما شعرت بعد أيام إلا وقد أتى به ميتا محمولا فى نعشه فوضعته فى ذلك اللحد وواريته فيه. وأخبرنى شيخنا شهاب الدين بن هلال (هو أحمد بن هلال الأزدى المتوفى سنة ٨٥٨ هـ) أنه قال: ليلة مات زين الدين بن رجب سمعنا بشائر تدوى فى السماء فقمنا ـ فوجدنا الشيخ قد مات ـ رحمه الله تعالى.

قال ابن قاضى شهبة: توفى ليلة الاثنين رابعة شهر رمضان بأرض الحرس فى بستان كان استأجره سنة خمس وتسعين وسبعمائة، وصلى عليه من الغد، ودفن بباب الصغير إلى قبر الشيخ أبى الفرج الشيرازى. وقال غيره: توفى الشيخ زين الدين بن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ فى شهر رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة، ووجدت فى كتاب «القواعد» له: مات مصنفها بعد العصر ثالث شهر رمضان سنة خمس وتسعين وسبعمائة، وقال عند خروج روحه ثلاثين مرة: «يا الله العفو» وقال لى شيخنا الشيخ شهاب الدين بن هلال الأزدى إنما توفى فى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ووهم فى ذلك. ودفن بمقبرة الباب الصغير حول قبر الفقيه الزاهد أبى الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازى ثم المقدسى الدمشقى، الذى نشر مذهب الإمام أحمد بالشام ـ رحمه الله ورضى عنه. قلت: وقبر ابن رجب معروف بمقابر باب الصغير مكتوب عليه أنه توفى فى خمس وتسعين اهـ.

وذكر ابن ناصر الدين فى بديعية البيان وشرحها المسمى التبيان: ١٥٩ فقال:

والـــرَّجَبِىُّ المُحَــرِّرُ السَّــلامى
ذو همَّـــة صـــالحـــة النظـــام

قال فى الشرح: هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب... الدمشقى أبو الفرج الحنبلى.

(الجوهر المنضد / ٤٦ ـ ٥٣).

وكان ابن رجب يحضر بدار الحديث المستنصرية كثيرا من مجالس صفى الدين البابصرى المعيد بدار الحديث المستنصرية. وقرأ عليه بعض مختصر الإكمال لابن ماكولا العجلى، وسمع بقراءته صحيح البخارى (تاريخ علماء المستنصرية ١ / ٣٦٣).

ويدرج ابن رجب فى بعض المصنفات فى المتصوفة، وقد ورد عنه فى الموسوعة الصوفية ما يلى:

كان يعقد المجالس للوعظ وتذكير القلوب، وكانت مجالسه صارعة، وللناس عامة مباركة نافعة، فقد اجتمعت الفرق عليه، ومالت القلوب المحبة إليه. وكان قدومه من بغداد إلى دمشق وهو صغير، وأجازه ابن النقيب وابن النووى، وله ضمن مصنفات أخرى «جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم» تناول فيه التصوف بالنقد برغبة بيان ما كان من علوم المتصوفة عن الصحابة والتابعين وما استحدث من ذلك بعدهم، فنفرق بين السنة والبدعة. ويقول إن بدع الأزمنة المتأخرة تدرجت من الحديث فى الحقيقة بالذوق والكشف إلى الفصل بين الحقيقة والشريعة، ثم تطور الأمر فنادى بعض الصوفية بأن المعرفة وحدها كافية مع المحبة دون ضرورة للأعمال التى تعد عندهم حجابا ولا حاجة إليها إلا بالنسبة للعوام وحدهم.

وهو يعرض للغلو عند الصوفية فى العبادات كالصوم المستمر الذى يضعف البدن فيعجز العبد عن القيام بحقوق الله، أو يضعفه عن الكسب للأولاد، أو القيام بحقوق الزوجة، وقد نهى الرسول عن تعذيب النفس بتحميلها ما لا تطيق. ولقد انصرف الصوفية عن العلم، وتحدثوا فى الوساوس والخطرات، وكلامهم فيها لا يستند إلى دليل شرعى وإنما على الرأى والذوق، ويتقرب البعض منهم إلى الله تعالى بسماع الملاهى أو بالرقص أو يكشف الرأس فى غير الإحرام وما أشبه ذلك من المحدثات، والتقرب إلى الله ينبغى أن يتم

بأداء الفرائض ثم النوافل، فاتباع أى طريق يوصل إلى التقرب من الله وموالاته ومحبته سوى طاعته التى شرعها على لسان رسوله ممن ادعى ولاية الله ومحبته تبين أنه كاذب فى دعواه. والاقتداء ينبغى أن يكون بالسنة وليس بهؤلاء الصوفية لأن الرسول نهى عن التعسير وأمر بالتيسير.

والزهد عند ابن رجب ليس بتحريم الحلال وإضاعة المال، وإنما الزهادة فى الدنيا هو أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى يد الله، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك. وليست المحبة فى السنة عواطف تجعل صاحبها يهيم على وجهه تاركا الفروض والتكاليف ومقبلا على النواهى ومرددا الأذكار، ومهللا بالتسابيح يتواجد بها، وإنما المحبة الصحيحة تقتضى المتابعة من العبد، والموافقة فى حب المحبوبات وبغض المكروهات. وكذلك الشأن فى التوكل، فعلى العكس من الصوفية الذين قد يتعللون به لإبطال الأسباب وإسقاطها فإنه يربط التوكل بالأسباب فى الطاعة لله وهو من عمل الجوارح، والتوكل عليه سبحانه من عمل القلب.

ولابن رجب تفسيرات أخرى فى المعرفة والجهاد والمعية، والجهاد هو ذروة سنام الأمر كله وأرفعه، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أفضل الأعمال بعد الفرائض، وأما الصوفية فقد عطلوا هذه الفريضة واعتزلوا الناس واختلوا بأنفسهم دونهم (الموسوعة الصوفية / ١٧٤، ١٧٥).

أما من حيث المخطوطات فيوجد عدد منها فى مكتبة تشستربيتى (دبلن / أيرلندا) وبيانها كما يلى:

١ ـ الرقم ٣٢٩٢:

عنوان المخطوطة: بيان فضل علم السلف على علم الخلف

اسم المؤلف: ابن رجب (عبد الرحمن بن أحمد)

اسم الشهرة: ابن رجب

تاريخ الوفاة: ٧٩٥ هـ/ ١٣٩٣ م

تعريف بالمخطوطة: مقالة فى فضل علوم المسلمين القدامى على تجديدات المحدثين

عدد الأوراق: من ١ ـ ١٨

تاريخ النسخ: (د. ت)، تقديرا ق ٨ هـ/ ١٤ م (فهرس المخطوطات العربية ١ / ١٦٩)

٢ ـ الرقم ٣٢٩٢ (٢):

عنوان المخطوطة: رسالة فى حقيقة محبة الله

عدد الأوراق: من ١٩ ـ ٨١ وجه

الناسخ: محمد بن عبد الله بن عمران الحنبلى القادرى.

تاريخ النسخ: ٢١ رجب ٧٩٦ هـ (٢٢ مايو ١٣٩٤م)

ملاحظة: لم تظهر نسخة أخرى من المخطوطة (فهرس المخطوطات العربية ١ / ١٦٩).

٣ ـ الرقم ٣٢٩٢ (٤):

عنوان المخطوطة: الذل والانكسار للعزيز الجبار.

تعريف بالمخطوطة: كراسة فى التذلل والتواضع فى العبادات.

عدد الأوراق: م ٨٧ ـ ١٠٢

تاريخ النسخ (د. ت) تقديرا ق ٨ هـ/ ١٤ م

ملاحظة: لم تظهر نسخة أخرى من المخطوطة (فهرس المخطوطات العربية ١ / ١٧٠).

٤ ـ الرقم ٣٢٩٢ (٥):

عنوان المخطوطة: اختيار الأولى فى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى.

تعريف بالمخطوطة: شرح حديث يتعلق بالصلاة

عدد الأوراق: من ١٠٣ ـ ١٣٤.

تاريخ النسخ: (د. ت)، تقديرا ق ٨ هـ/ ١٤ م

ملاحظة: لم تظهر نسخة أخرى من المخطوطة (فهرس المخطوطات العربية ١ / ١٧٠).

٥ ـ الرقم ٤٢٤٢

عنوان المخطوطة: نزهة الأسماع فى مسألة السماع

تعريف بالمخطوطة: شجب سماع الموسيقى

عدد الأوراق: ١٧ ورقة، ١٨,٢ × ١٣,٥ سم

نوع الخط: نسخ معتاد واضح

تاريخ النسخ: (د. ت)، تقدير ١ ق ٩ هـ/ ١٥ م

ملاحظة : لم تظهر نسخة أخرى من المخطوطة (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ٦٩٢).

٦ - الرقم ٤٢٧١

عنوان المخطوطة : لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف

تعريف بالمخطوطة : في واجبات المسلم شهرا بعد شهر.

عدد الأوراق : ١٤٠ ورقة، ٢٠,٧ × ١٥,٦ سم

نوع الخط : نسخ معتاد واضح

الناسخ : إلياس بن خضر بن محمد الداعي .

تاريخ النسخ : ٢٢ محرم ٨٥٠ هـ (١٩ إبريل ١٤٤٦ م) (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ٧٠٤).

- نسخة ثانية .

الرقم ٤٨٨٦

تعريف بالمخطوطة : في ما يجب عمله في المناسبات الدينية

عد الأوراق : ٣١٢ ورقة ، ١٨ × ١٣ سم

نوع الخط : نسخ معتاد واضح

الناسخ : محمد بن محمد الجماعيلي

تاريخ النسخ : ٩٠٥ هـ (١٤٩٩ ـــ ١٥٠٠ م) (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ١٠١٧)

- نسخة ثالثة .

الرقم ٥٠٥٠

تعريف بالمخطوطة : واجبات المسلم في كل شهر.

عدد الأوراق : ٢٦٢ ورقة ١٨ × ١٣,٧ سم

نوع الخط : نسخ معتاد واضح (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ١١٠١).

٧ - الرقم ٤٩٥١ (٢)

عنوان المخطوطة : الاقتباس من مشكاة وصية النبي لابن عباس

تعريف بالمخطوطة : وصية النبي ﷺ لابن عباس

عدد الأوراق : من ٢٤ ظهر - ١٦٢

عدد أوراق المجموعة : ١٦٢ ورقة ١٧,٨ × ١٣,٢سم

نوع الخط : نسخ معتاد جيد .

الناسخ : علي بن عمر بن أحمد المقرئ الدمشقي .

تاريخ النسخ : ٢٩ محرم ٨١٦ هـ (١ مايو ١٤١٣ م) (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ١٠٥٢، ١٠٥٣) .

٨ - الرقم ٥٠٠٤

عنوان المخطوطة : الذل والانكسار للعزيز الجبار.

تعريف بالمخطوطة : رسالة في الخضوع لله

عدد الأوراق : ٢١ ورقة ٢٠ × ١٤,٦ سم

نوع الخط : نسخ معتاد واضح

تاريخ النسخ : (د. ت)، تقديرا ق ١٢ هـ / ١٨ م

ملاحظة : لم تظهر نسخة أخرى من المخطوطة (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ١٠٨٠ ، ١٠٨١)

وفيما يلي بيان بطبعات مؤلفات ابن رجب كما أوردها المعجم الشامل :

١ - أحكام الخواتيم .

تصحيح عبد الله القاضي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

٢ - اختيار الأَوْلَى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى :

- تحقيق طه يوسف، القاهرة : مكتبة أنصار السنة المحمدية، مطبعة السنة المحمدية، ، ١٩٦١ م، ٩٦ ص .

- تحقيق جاسم الفهيد الدوسري، الكويت : مكتبة دار الأقصى، شركة مطبعة الفيصل، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

١٤٤ ص ، م ٢٣ + ٦ ص نماذج مصورة من المخطوط ، ف ١٠ ص : الأحاديث، المحتوى .

٣ - الاستخراج لأحكام الخراج .

تحقيق عبد الله الصديق ، القاهرة : المطبعة الإسلامية ، ١٩٣٤ م . ١٢٨ ص، ف ١ ص : المحتوى .

- بيروت : دار الحداثة ، ١٩٨٢ م (بالتصوير عن السابقة) .

٤ - استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس :

- الرياض : المكتبة الأهلية، د. ت . ١١١ ص .

٥ ـ أقيسة النبى المصطفى محمد:

ــ تحقيق أحمد حسن جابر وعلى أحمد الخطيب، القاهرة: دار الكتب الحديثة، مطبعة السعادة، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م

٢٤٢ ص، م ٦٤ ص + ٦ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٣٨ ص: المراجع، الرواة، الأسماء، الكنى النساء، الأبناء، فهرس الحديث، أوائل الحديث، فهرس القضايا، الأقيسة، الآيات، مصادر الحديث.

٦ ـ أهوال القبور فى أحوال أهلها إلى النشور.

ــ مكة المكرمة: مطبعة أم القرى، ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٦م، ١٤٢ ص.

٧ ـ بغية الإنسان فى وظائف رمضان.

ــ تحقيق، محمد زهير الشاويش، دمشق: المكتب الإسلامى. ١٩٦٣ م.

٨ ـ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار:

عناية بشير محمد عون، دمشق: مكتبة دار البيان، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

٢١٠ ص، م ٤ ص، ف ٤ ص: المحتوى.

تحقيق محمد جميل غازى، بيروت: المكتبة العلمية ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.

٢٤٤ ص، م ١٠ ص، ف ٦ ص: المحتوى.

تحقيق محمد حسن الحمصى، بيروت: دار الرشيد، ١٩٨٤م. ٢٨٨ ص، م ١٤ ص، ف ٤ ص: المحتوى.

بيروت: دار الكتب العلمية، مطبعة دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م

٢٣٠ ص، م ١ ص، ف ٦ ص: المحتوى.

٩ ـ جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم:

ـ تصحيح لجنة التصحيح بالمطبعة، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م.

٤٠٠ ص، ف ٤ ص: المحتوى.

ـ القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبى، ١٣٤٦ هـ/ ١٩٢٧ م. ٣٣١ ص، ف ٤ ص: المحتوى.

ــ ط ثانية، ١٩٥٠ م، ٤٠٠ ص، ف ٤ ص: المحتوى.

ـ الإسكندرية: دار الدعوة، د.ت.

٤٠٠ ص، م ٤ ص، ف ٤ ص: المحتوى.

ـ تصحيح عبد الواحد وعبد الرحيم القرنويان، باكستان، أمرتسر، مطبع القرآن والسنة، د. ت ٣٢٨ ص.

ـ تحقيق محمد الأحمدى أبو النور وتقديم عبد العزيز كامل، القاهرة: مطابع الأهرام التجارية، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.

٣٥٠ ص، م ٤٧ ص + ٤ ص نماذج مصورة من المخطوط.

١٠ ـ الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبى ﷺ: «بعثت بالسيف بين يدى الساعة».

ـ تحقيق محمد حامد الفقى، القاهرة: مطبعة المنار، ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣١ م، ٢٦ ص، م ١ ص.

ــ تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى، القاهرة: دار مرجان للطباعة، ١٩٧٨ م، ٦٢ ص.

١١ ـ الخشوع فى الصلاة:

ــ تحقيق على حسن على عبد الحميد، الزرقاء: على نفقة أبى الحارث على بن حسن ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م.

٤٠ ص، م ٩ ص، ف ١ ص: المحتوى.

ـ القاهرة: شركة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، مطبعة الناشر ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٢ م، ١٢ ص.

ــ الهند، الملتان: المكتبة السلفية، ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٢م، عن السابقة.

١٢ ـ الذيل على طبقات الحنابلة:

ــ تحقيق هنرى لاووست وسامى الدهان، دمشق، المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية، المطبعة الكاثوليكية، ١٣٧٠ هـ/ ١٩٥١ م.

ج ١: ٣٣٨ ص، م ٣٣ ص + ٤ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٥٣ ص: الأسماء، الكنى، الأبناء

والأنساب، البلدان، المواضع، الكتب، المراجع، المترجمون، محتويات الكتاب.

ــ تحقيق محمد حامد الفقى، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٢ م-١٩٥٣، م ٢ ج فى مج.

ـ بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، (بالتصوير عن السابقة) ج ١ : ٤٥٤ ص، ف ٦ ص : المحتوى

ج ٢ : ٤٨٠ ص، ف ٧ ص : المحتوى.

١٣ ـ شرح علل الترمذى:

ـ تحقيق صبحى جاسم الحميد، وزارة الأوقاف، ١٩٧٦ م.

٥٨٣ ص، م ٢٤ ص، ف ٤٧ ص : الموضوعات، الأحاديث، الأشخاص، المصادر.

١٤ ـ فضل علم السلف على علم الخلف:

ــ تحقيق يحيى مختار غزاوى، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م

١٩٩ ص، م ١٨ ص، ف ١٧ ص : الآيات، الأحاديث، الكتب، المراجع، الموضوعات.

ـ القاهرة: ١٩٣٤ م، ٥٦ ص.

١٥ ـ الفرق بين النصيحة والتعيير.

ـ تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، القاهرة: المكتبة القيمة، ١٣٩٩ م/ ١٩٧٩ م، ٦٢ ص.

١٦ ـ القواعد فى الفقه الإسلامى:

ـ تصحيح محمد أمين، القاهرة: مكتبة الخانجى وعلى نفقة الشيخ فوزان السابق، مطبعة الصدق الخيرية ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ هـ ٤٥٤ ص، ف ٣٠ ص : المحتوى

ــ عناية طه عبد الرؤوف سعد، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، (عن السابقة).

١٧ ــ كشف الكربة بوصف حال أهل الغربة (غربة الإسلام):

ـ عناية أحمد الشرباصى، القاهرة: مطابع دار الكتاب العربى بمصر، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م.

١٤٨ ص، م ٦٠ ص، ف ٥ ص : المراجع، فهرس الكتاب (المحتوى).

ـ الكويت: مكتبة دار الأرقم: مطبعة الصحابة الإسلامية، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

٦٣ ص، م ١١ ص، ف ٥ ص : الأحاديث، الأسماء.

قالت المؤلفة: النسخة التى عندى بيانها كما يلى :

ــ تحقيق محمد أحمد عبد العزيز. القاهرة: المكتبة القيمة. د. ت. رقم الإيداع ٤٧٩١ / ١٩٨٧ م ٣٠ ص، ف ١ ص : فهرس الكتاب (المحتوى)

١٨ ـ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها.

ــ عناية محمد زهير الشاويش، دمشق: المكتب الإسلامى، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م، ٧٤ ص.

١٩ ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف:

ـ تصحيح محمد زهيرى الغمراوى، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م. ٣٦٩ ص، م ١ ص، ف ٣ ص: المحتوى.

٢٠ ـ المحجة فى سير الدلجة:

ــ تحقيق يحيى مختار غزاوى، بيروت: دار البشائر الإسلامية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

١٢٧ ص، م ١٢ ص + ١٧ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٢٥ ص : الآيات، الأحاديث، الآثار، الكتب المراجع، الموضوعات.

قالت المؤلفة: هذه الطبعة هى التى عندى.

٢١ ـ نزهة الأسماع فى مسائل السماع:

تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الفريان، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، مطابع النهضة الوطنية ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م.

١٢٤ ص، م ١٣ ص + ٤ ص نماذج مصورة من الكتاب، ف ٣٠ ص : المصادر والمراجع، الآيات، الأحاديث المسندة، الآثار، البقاع، الشعر، الكتب، الموضوعات.

٢٢ ــ نور الاقتباس فى مشكاة وصية النبى ﷺ لابن عباس:

ـ تحقيق عبد الفتاح خليفة ومحمود خليفة، القاهرة: جماعة التعاون العلمى، مطبعة مصر، ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م.

٧٠ ص ، م ٢ ص (المعجم الشامل ٣ / ٣٧ ـ ٤٢).

له ترجمة فى : الدرر الكامنة : ٢ / ٤٢٨ ، إنباء الغمر : ١ / ٤٦٠ ، الرد الوافر / ١٧٦ ، تاريخ ابن قاضى شهبة : ١ / ٣ / ٤٨٨ . المقصد الأرشد/ ٧٨ لحظ الألحاظ / ١٨٠ ، ذيل التذكرة للسيوطى / ٣٦٧، المنهج الأحمد / ٢ / ١٣٢ ومختصره / ١٦٩ ، الدارس / ٢ / ٨٦ ، والشذرات / ٦ / ٣٣٩ ، والبدر الطالع / ١ / ٣٢٨ ، والسحب الوابلة / ١١٦ ، وله أخبار متفرقة فى المنتقى من معجم والده .

(الجوهر المنضد / ٤٦).

(الجوهر المنضد فى متأخرى أصحاب أحمد لابن عبد الهادى ـ حققه وقدم له وعلق عليه د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين / ٤٦ ـ ٥٣ ، والأعلام للزركلى ٣ / ٢٩٥ ، وتاريخ علماء المستنصرية ـ د. ناجى معروف ١ / ٢٦٣ ، والموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٧٤ ١٧٥ ، وفهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستربيتى (دبلن / أيرلندا) ــ أعده الاستاذ آرثر ج . آربرى . ترجمه د. محمود شاكر سعيد، راجعه د. إحسان صدقى العمد ١ / ١٦٩ ، ١٧٠ و ٢ / ٦٩٢ ، ٧٠٤ ، ١٠١٧ ، ١١٠١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ــ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٣٧ ـ ٤٢).

*** الرَّجَز:**

البحر السابع من بحور الشعر:

وأجزاؤه: مستفعلن (ست مرات) وأعاريضه أربعة وأضربه ستة (فى الإرشاد الشافى: أضربه خمسة)

العروض الأولى : تامة ولها ضربان.

الضرب الأول : تام مثلها . ومنه قول الشاعر:

دارٌ لسلمى إذ سُليمى جـارةٌ

قفـرا تـرى آياتهـا مثل الـزُّبُـر

تقطيعه:

دارن لسل مى إذ سلى مى جـارتن

قفـرن تـرى أايـاتهـا مثلـززبـر

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

الضرب الثانى: مقطوع (القطع حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله فمستفعلن تصير إلى «مستفعل» بسكون اللام) ومنه قول الشاعر:

القلبُ منهـا مستـريحٌ سـالمٌ

والقلب منى جـاهـد مجهـود

تقطيعه:

القلب من هـامستـرى حن سـالمن

ولقلب من نى جـاهـدن مجهـودو

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

مستفعلن مستفعلن مستفعلْ

العروض الثانية : مجزوءة صحيحة ولها ضرب واحد مثلها، ومنه قول الشاعر:

قـد هـاج قلبى مَنْـزِلٌ

مـن أم عمـرو مُقْفِـرُ

تقطيعه:

قد هاج قل بى منزلن من أمم عم رن مقفرو

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

العروض الثالثة : مشطورة وهى الضرب (والشطر أن يحذف من البيت نصف تفاعليه فتصر التفعيلة الثالثة عروضا وتصير ضربا)، ومنه قول العجاج:

ما هاج أحزانا وَشَجْوًا قد شجا

مـن طلـل كالأتحمـى أنهجا

(الأتحمى : البُرد: وهو كساء معروف، يقال : نهج الثوب إذا بلى)

تقطيع البيت الثانى:

من طللن كلأتحمى ى أنهجا

مستعلن مستفعلن متفعلن

العروض الرابعة: منهوكة وهى الضرب (والنهك أن يحذف من البيت ثلثاه فيبقى على تفعيلتين)

ومثله قول ورقة بن نوفل للنبى ﷺ حين قص عليه ما رأى:

يا ليتنـى فيهـا جـذع

أخُـبُّ فيهـا وأضَـع

تقطيع البيت الأول:

يالیتنی فیها جذع
مستفعلن مستفعلن

تقطيع البيت الثانى :

أخبب فى ها وأضع
متفعلن مستعلن

(فى علمى العروض والقافية / ١٢٩ ، ١٣٠ والإرشاد الشافى / ٨٣).

ويشرح فضيلة الشيخ بعض ذلك . وهو مما أورده الشيخ أبو العباس القنائى فى «الكافى» قال رحمه الله : •

قال الخليل : سمى رجزا لاضطرابه والعرب تسمى الناقة التى ترتعش فخذاها رجزا كحمراء ، وإنما كان مضطربا لأنه يجوز حذف حرفين من كل جزء منه ويكثر فيه دخول العلل والزحافات والشطر والنهاك والجزء فهو أكثر الأبحر تغيرا فلا يثبت على حالة واحدة أو لأن فى كل جزء منه سببين خفيفين فيكون فيه حركة فسكون وقال ابن دريد سمى رجزا لتقارب أجزائه وقلة حروفه ومن ثم قد يطلق الرجز على كل شعر قَلَّت حروفه وقصرت بيوته . وقيل لأن أكثر ما يستعمل العرب منه المشطور الذى على ثلاثة أجزاء فشبه بالراجز من الإبل وهو الذى يشد إحدى يديه فيبقى على ثلاثة قوائم . قال الدمامينى فى شرحه : والأخفش يجعل المشطور والمنهوك من قبيل السجع ولا يجعلهما شعرا البتة ورده الزجاجى اهـ باختصار وستعلم ذلك أيضا بعد ذكرى لك الأقوال فى المشطور والمنهوك فانتظر (قوله تامة) أى لم يدخلها علة ...

وقال رحمه الله : قوله * *ياليتنى فيها جذع* * هذا البيت يروى عن اثنين :

أحدهما وهو ورقة بن نوفل اقتصر عليه حين قص عليه ﷺ ما رآه . هكذا أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وفى رواية أخرى لهما بنصب جذع وعليها ليس ذلك من الشعر ، والقائل الثانى وهو دريد أنشد معه ثلاثة أخرى فى غزوة حنين لما أشار على مالك بن عوف قائد المشركين ذلك اليوم برأى فلم يرجع إليه فيه فقال :

ياليتنى فيها جذع
أخُبُّ فيها وأضع

إلى آخر ما قال والجذع بفتح الجيم والذال المعجمة المراد به هنا الشاب القوى وكان ورقة ودريد قد عمرا زمانا طويلا . فأما ورقة فأراد ياليتنى فى أيام نبوتك شابا إذ يخرجك قومك فأنصرك نصرا مؤزرا . وأما دريد فأراد عكس ما أراده ورقة فانظر ما بين هذين المعنيين من التباين مع اتحاد اللفظ وقوله : أَخُبُّ : بضم الخاء المعجمة من الخبب وهو العَدْو . وقوله وأضع : أى أسرع فى سيرى اهـ من شرح العينى على عروض ابن الحاجب . قوله أحدهما ورقة بن نوفل هو ابن عم خديجة رضى الله عنها مات قبل الرسالة على الصحيح فليس بصحابى بل مات على نصرانيته وقوله بنصب جذع أى على أنه خبر لأكون المحذوفة أى ياليتنى أكون فيها جذعا : وقوله إذ يخرجك قومك أى من مكة وقوله ياليتنى فيها جذعا هذا على حد : ليت الشباب يعود يوما ، وتمنى المستحيل جائز استعماله تحسرا لتحققه عدم عود الشباب (الإرشاد الشافى / ٨٣ ، ٨٧).

قال صاحب اللسان وقد استوعب ماجاء عن الرجز : الرجز مصدر رجز يرجز . قال ابن سيده : والرجز شعر ابتداء أجزائه سببان ثم وتد ، وهو وزن يسهل فى السمع ، ويقع فى النفس ، ولذلك جاز أن يقع فيه المشطور ، وهو الذى ذهب شطره ، والمنهوك وهو الذى قد ذهب منه أربعة أجزائه وبقى جزءان نحو :

ياليتنى فيها جذع
أخب فيها وأضع

وقد اختلف فيه . فزعم قوم أنه ليس بشعر ، وأن مجازه مجاز السجع ، وهو عند الخليل شعر صحيح ، ولو جاء منه شىء على جزء واحد لاحتمل الرجز ذلك لحسن بنائه . وفى التهذيب : وزعم الخليل أن الرجز ليس بشعر ، وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث . ودليل الخليل فى ذلك ما روى عن النبى ، ﷺ فى قوله :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك من لم تزود بالأخبار

قال الخليل : لو كان نصف البيت شعرا ما جرى على لسان النبى ﷺ .

وجاء بالنصف الثانى على غير تأليف الشعر ، لأن نصف

البيت لا يقال له شعر، ولا بيت ، ولو جاز أن يقال لنصف البيت شعر لقيل لجزء منه شعر، وقد جرى على لسان النبيﷺ :

أنـا النبـي لا كـذب

أنـا ابـن عبـد المطلب

قال بعضهم : إنما هو لا كذبَ بفتح الباء على الوصل، قال الخليل : فلو كان شعرا لم يجر على لسان النبي ﷺ قال الله تعالى ﴿ وما علَّمناه الشعر وما ينبغي له﴾ [يس : ٦٩] أي وما يتسهل له . قال الأخفش : قول الخليل أن هذه الأشياء شعر، قال : وأنا أقول إنها ليست بشعر، وذكر أنه هو ألزم الخليل ما ذكرنا، وأن الخليل اعتقده . قال الأزهري : قول الخليل الذى كان بنى عليه أن الرجز شعر ومعنى قول الله عز وجل : ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾ [يس : ٦٩] أى لم نعلمه الشعر فيقوله ويتدرب فيه حتى ينشئ منه كتبا، وليس فى إنشاده، ﷺ البيت والبيتين لغيره ما يبطل هذا، لأن المعنى فيه أنا لم نجعله شاعرا، قال الخليل : الرجز المشطور والمنهوك ليسا من الشعر ؛ قال : والمنهوك كقوله : أنا النبى لاكذب . والمشطور : الأنصاف المسجعة . وفى حديث الوليد بن المغيرة حين قالت قريش للنبى ، ﷺ : إنه شاعر، فقال : لقد عرفت الشعر ورجزه وهزجه وقريضه فما هو به .

والرجز: بحر من بحور الشعر معروف . ونوع من أنواعه يكون كل مصراع منه مفردا، وتسمى قصائده أراجيز، واحدتها أرجوزة، وهى كهيئة السجع إلا أنه فى وزن الشعر، ويسمى قائله راجزا، كما يسمى قائل بحور الشعر شاعرا .

قال الحربى : ولم يبلغنى أنه جرى على لسان النبى ﷺ من ضروب الرجز إلا ضربان : المنهوك والمشطور، ولم يعدهما الخليل شعرا . ؛ فالمنهوك كقوله فى رواية البراء إنه رأى النبى ﷺ على بغلة بيضاء يقول :

أنـا النبى لا كذب

أنا ابن عبد المطلب

والمشطور كقوله فى رواية جندب : إنه ﷺ ، دميت إصبعه فقال :

هل أنت إلا إصبع دميت؟

وفـى سبيل الله ما لقيـت

ويروى أن العجاج أنشد أبا هريرة :

ساقا بخنداة وكعبا أدرما

فقال : كان النبى ﷺ يعجبه نحو هذا من الشعر .

قال الحربى : فأما القصيدة فلم يبلغنى أنه أنشد بيتا تاما على وزنه ، إنما كان ينشد الصدر أو العجز، فإن أنشده تاما لم يقمه على وزنه ، إنما أنشد صدر بيت لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وسكت عن عجزه وهو :

وكل نعيم لا محالة زائل

وأنشد عجز بيت طرفة :

ويأتيك من لم تزود بالأخبار

وصدره :

ستبدى لك الإيام ما كنت جاهلا

وأنشد :

أتجعـل نهبـي ونهـب العبيـ ـــــد بيـن الأقـــرع وعيينـــة؟

فقال الناس : بين عيينة والأقرع ، فأعادها : بين الأقرع وعيينة، فقام أبو بكر، رضى الله عنه، فقال : أشهد أنك رسول الله! ثم قرأ ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾ قال : والرجز ليس بشعر عند أكثرهم . وقوله : أنا ابن عبد المطلب، لم يقله افتخارا به ، لأنه كان يكره الانتساب إلى الآباء الكفار، ألا تراه لما قال له الأعرابى : يابن عبد المطلب، قال قد أجبتك؟ ولم يتلفظ بالإجابة كراهة منه لما دعاه به ، حيث لم ينسبه إلى ما شرفه الله به من النبوة والرسالة ، ولكنه أشار بقوله : أنا ابن عبد المطلب، إلى رؤيا كان رآها عبد المطلب كانت مشهورة عندهم، رأى تصديقها، فذكرهم إياها بهذا القول .

وفى حديث ابن مسعود، رضى الله عنه : من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث فهو راجز، إنما سماه راجزا لأن الرجز أخف على لسان المنشد، واللسان به أسرع من القصد .

قال أبو إسحاق : إنما سمى الرجز رجزا لأنه تتوالى فيه فى أوله حركة وسكون ، ثم حركة وسكون إلى أن تنتهى أجزاؤه ، يشبه بالرجز فى رجل الناقة ورعدتها، وهو أن تتحرك وتسكن

ثم تتحرك وتسكن، وقيل: سمي بذلك لاضطراب أجزائه وتقاربها، وقيل: لأنه صدور بلا أعجاز وقال ابن جني: كل شعر تركّب تركيب الرجز سمي رجزا، وقال الأخفش مرة: الرجز عند العرب كل ما كان على ثلاثة أجزاء، وهو الذي يترنمون به في عملهم وسوقهم، ويحدون به، قال ابن سيده: وقد روى بعض من أثق به نحو هذا عن الخليل، قال ابن جني: لم يحتفل الأخفش ههنا بما جاء من الرجز على جزأين، نحو قوله: يا ليتني فيها جذع، قال: وهو لعمري، بالإضافة إلى ما جاء منه على ثلاثة أجزاء. جزء لا قدر له لقلته، فلذلك لم يذكره الأخفش في هذا الموضع؛ فإن قلت: فإن الأخفش لا يرى ما كان على جزأين شعرا، قيل: وكذلك لا يرى ما هو على ثلاثة أجزاء أيضا شعرا، ومع ذلك فقد ذكره الآن وسماه رجزا، ولم يذكر ما كان منه على جزأين، وذلك لقلته لا غير، وإذا كان إنما سمي رجزا لاضطرابه تشبيها بالرجز في الناقة، وهو اضطرابها عند القيام، فما كان على جزأين فالاضطراب فيه أبلغ وأوكد؛ وهي الأرجوزة للواحدة، والجمع الأراجيز.

رجز الراجز يرجز رجزا، وارتجز الرجاز ارتجازا: قال أرجوزة وتراجزوا وارتجزوا: تعاطوا بينهم الرجز؛ وهو رجَّاز ورجازة وراجز. (لسان العرب ١٨ / ١٥٨٨، ١٥٨٩).

ويجمل التهانوي ذلك كله فيقول:

الرجز يستعمل بمعنيين أحدهما الشعر الذي له ثلاثة أجزاء كمشطور الرجز والسريع. والذي كان الغالب على شعره الرجز يسمى راجزا لا شاعرا فإن الشاعر هو الذي غلب على شعره القصيدة كذا في بعض رسائل القوافي العربية وفي بعض حواشي البيضاري في آخر سورة الشعراء الرجز شعر يكون كل مصراع منه مفردا وتسمى قصائده أراجيز واحدتها أرجوزة فهو كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر ويسمى قائله راجزا كما سمي قائل الشعر شاعرا. قال الحربي ولم يبلغني أنه جرى على لسان النبي عليه الصلاة والسلام من ضروب الرجز إلا ضربان المنهوك والمشطور ولم يعدهما الخليل شعرا فالمنهوك قوله * أنا النبي لا كذب* أنا ابن عبد المطلب * والمشطور قوله * هل أنت إلا إصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت * انتهى قال عليه الصلاة والسلام حين أصيبت إصبعه بالقطع والجرح عند عمل من الأعمال دون الجهاد فقال تحسرا وتحزنا، وهذا لا يسمى شعرا لما في الأشباه أن الشعر عند أهله كلام موزون مقصود به ذلك. أما ما وقع موزونا اتفاقا لا عن قصد من المتكلم فإنه لا يسمى شعرا وعلى ذلك خرج ما وقع في كلام الله تعالى كقوله تعالى ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ [آل عمران: ٩٢] وفي كلام الرسول ﷺ كقوله *هل أنت إلا أصبع دميتِ * وفي سبيل الله ما لقيتِ * انتهى لأن الله تعالى نفى الشعر عن القرآن ونفى وصف الشاعر عن النبي عليه الصلاة والسلام بقوله ﴿**إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر** ﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١] وبقوله ﴿ **وما علمناه الشعر و ما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**﴾ [يس: ٦٩] نزلت هذه الآية ردا لقول الكفار إن ما أتى به شعر فقال ما علمنا النبي شعرا وما يسهل له. ونقل في كتب الشمائل أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يقدر على قراءة الشعر موزونا بعد ما نزلت الآية المذكورة وهي ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾ [يس: ٦٩] وفي الحموي حاشية الأشباه إنما يتأتى الاستشهاد بقوله عليه السلام: هل أنت.. إلخ بناء على أن الرجز شعر. أما على القول بأنه ليس بشعر إنما هو نثر مقفى فلا. وأيضا إنما يتأتى الاستشهاد به على رواية كسر الفاء مع الإشباع أما على رواية سكونها فلا انتهى.

وثانيهما بحر من البحور المشتركة بين العرب والعجم وهو مستفعلن ستة أجزاء كما في عنوان الشرف وفي عروض سيفي هذا البحر يستعمل مسدسار ومثمنا والمثمن يستعمل سالما وغير سالم وغير السالم قد يكون مُذالا وقد يكون مطويا وقد يكون مطويا مخبونا وقد يكون مخبونا مطويا والمسدس أيضا يستعمل سالما وغير سالم وغير السالم قد يكون مخبونا وقد يكون مطويا. وفي بعض رسائل العروض العربي الرجز مسدس ومربع انتهى. والمرجز اسم مفعول من الترجيز قسم من الكلام المنثور (كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٥٥٦، ٥٥٧).

ويعقد صاحب العمدة مقارنة بين الرجز والقصيد ويفرّق بينهما فيقول: قد خص الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراهما، وباسم القصيد ما طالت أبياته، وليس كذلك؛ لأن الرجز ثلاثة أنواع غير المشطور

والمنهوك والمقطع : فأما الأول منها فنحو أرجوزة عبدة بن الطبيب :

بــاكــرنى بسُحــرة عــواذلى

وعــذلهــن خبل مــن الخبــل

يلمننى فى حــاجــة ذكــرتهــا

فى عصــر أزمــان ودهــر قــد نسل

والنوع الثانى نحو قول الآخر:

القلب منهــا مستــريح ســالم

والقلب منى جــاهــد مجهــود

والنوع الثالث قول الآخر:

قــد هــاج قلبى منــزلُ

مــن أم عمــرو مقفــرُ

فهذه داخلة فى القصيد، وليس يمتنع أيضًا أن يسمى ما كثرت بيوته من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة ؛ لأن اشتقاق القصيد من «قصدت إلى الشيء» كأن الشاعر قصد إلى عملها على تلك الهيئة، والرجز مقصود أيضا إلى عمله كذلك.

ومن المقصد ما ليس برجز وهم يسمونه رجزا لتصريع جميع أبياته؛ وذلك هو مشطور السريع، نحو قول الشاعر أنشدناه أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى عن أبى على الحسين بن إبراهيم الآمدى، عن ابن دريد ، عن أبى حاتم السجستانى، عن أبى زيد الأنصارى :

هــل تعــرف الــدار بأعلى ذى القُــورْ

غيَّــرهــا نــأج الــريــاح والمُــور

ودرست غيــر رمــاد مكفــورْ

مُكتئب اللــون مَــريح ممطــورْ

وغيــر نــؤى كبقــايــا الــدُّعثــور

أزمــان عينــاء ســرور المســرور

** عيناء حوراء من العين الحور **

وأنشد أبو عبد الله لابن المعتز:

ومقلــة قــد بــات يبكيهــا

فيض نجيع مــن مــآقيهــا

وكلّهــا طــول تمنّيهــا

بأنجــم الليــل تُــراعيهــا

ومهجــة قــد كــاد يفنيهــا

طــول سقــام ثــابت فيهــا

وبــرؤهــا فى كف مُبليهــا

كمــا ابتــلاهــا فهــو يشفيهــا

ليس لهــا من حبهــا نــاصــر

من ذا على الأحبــاب يُعــديهــا

وهذا عند الجوهرى من البسيط، والذى أنشد أبو عبد الله - على قول الجوهرى - هو من الرجز، وجعل الجزء الآخر «مستفع لن» مفروق فيه الوتد، فأسكن اللام: أن آخر البيت لا يكون متحركا، فخلفه مفعولات.

وأما منهوك المنسرح * صبرا بنى عبد الدار * (نسبه الأسنوى فى شرحه على عروض ابن الحاجب لهند بنت عتبة تقوله يوم أُحد تخاطب به بنى عبد الدار أصحاب لواء المشركين، وبعد هذا :

صبــرا حمــاة الأدبــار

ضــربــا بكل بتــار) .

فهو عند الجوهرى من الرجز، ومثله * وَيْلُمِّ سعدٍ سعدا* (هذا من كلام أم سعد بن معاذ لما مات ابنها سعد من جراحة أصابته يوم الخندق) إلا أنه أقصر منه. ففى كل حال تسمى الأرجوزة قصيدة طالت أبياتها أو قصرت، ولا تسمى القصيدة أرجوزة إلا أن تكون من أحد أنواع الرجز التى ذكرت، ولو كانت مصرعة الشطور كالذى قدمته ، فالقصيد يطلق على كل الرجز، وليس الرجز مطلقا على كل قصيد أشبه الرجز فى الشطر.

قال النحاس : القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذى ليس برجز، يكون مشتقا من «قرض الشيء» أى : قطعه، كأنه قطع جنسا، وقال أبو إسحاق وهو مشتق من القرض، أى : القطع والتفرقة بين الأشياء، كأنه ترك الرجز وقطعه من شعره.

وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزءين ، نحو قول دريد بن الصمة يوم هوازن :

يــــا ليتنى فيهـــــا جـــــذع

أخــب فيهـــــــا وأضــع

حتى صنع بعض المتعقبيـن ـ أظنـه على بن يحيى، أو يحيى بن على المنجم ـ أرجوزة علـى جـزء واحـد، وهـى:

*طيـفٌ ألـم * بـــــذى سلم*

*بعـــد العتم * يطـــوى الأكم*

*جـــاد بفـم * وملتـــزم*

*فيـــه هضـم * إذا يضـم*

ويقال: إن أول من ابتـدع ذلك سَلْم الخاسر، يقول فى قصيدة مدح بها موسى الهادى:

*مـــوسى المطـــر * غيث بَكَـــرْ*

*ثـم انهمـــر * ألـــوى المـــرر*

*كـم اعتســـر * ثـم ايتســـر*

*وكـم قـــدر * ثـم غفـــر*

*عـــدل السيـــر * بـــاقى الأثـــر*

*خيـــر وشـــر * نفـع وضـــر*

*خيـــر البشـــر * فـــرع مضـــر*

*بـــدر بـــدر * والمفتخـــر*

لمن غبر

والجوهرى يسمى هذا النوع المقطَّع

وقـد رأى قـوم أن مشطـور الـرجـز ليس بشعـر؛ لقـول النبيﷺ:

هـــل أنـــت إلا إصبـــع دميـــتِ

وفـى سبيـل الله مـــا لقيـتِ

بكسر التاء، ورواية أخرى بسكـونها وتحريك الياء بالفتح قبلها ـ وليس هذا دليلا، وإنما الدليل فى قول النبى ﷺ عدم القصد والنية؛ لأنـه لم يقصد به الشعر ولا نـواه؛ فلذلك لا يعد شعرا وإن كان كلاما متزنا، وإلا فالرُّجاز شعراء عند العرب وفى متعـارف اللسـان، إلا أن الليث روى أنهم لمـا ردوا على الخليل قوله « إن المشطور ليس بشعر » قال: لأحتجَّن عليهم بحجـة إن لم يقـروا بها كفـروا، قـال: فعجبنا من قـولـه حتى سمعنا حجتـه . . وقد رواه قـوم «دميت» بإسكان اليـاء والتاء جميعا ـ ولا يكون حينئذ موزونا.

والراجز قلمـا يُقصِّد؛ فإن جمعهما كان نهـاية نحو أبى النجم، فإنه كان يُقصِّـد، وأما غيلان (هو ذو الـرمة، واسمه غيلان بن عقبـة. انظر تـرجمته فى حـرف الذال فى م ١٩ / ٦١٠) فإنه كان راجـزا ثم صار إلى التقصيد، وسئل عن ذلك فقـال: رأيتنى لا أقع من هـذيـن الـرجلين على شىء، يعنى العجاج وابنه رؤبة، وكان جرير والفرزدق يرجِّزان وكذلك عمر ابن لجأ كـان راجزا مقصـدا ومثلـه حميد الأرقط، والعمـانى أيضا وأقلهم رجزا الفرزدق.

وليس يمتنع الـرجـز على المقصِّـد امتنـاع القصيـد على الراجـز، ألا ترى أن كل مُقصِّد يستطيع أن يـرجز وإن صعب عليـه بعض الصعـوبة، وليس كل راجـز يستطيع أن يقصِّـد، واسم الشاعر وإن عم المقصِّد والـراجز فهو بالمقصد أعلق، وعليـه أوقع، فقيل لهـذا شـاعر، ولـذلك راجـز، كأنـه ليس بشاعر، كما يقـال خطيب أو مرسل أو نحو ذلك (العمدة ١ / ١٨٢ـ ١٨٦).

تنبيه:

يدخل حشـو هذا البحر من الزحاف الخبـن (وهو حذف الثـانى السـاكن) والطى (وهـو حذف الـرابع السـاكن) وقـد يجتمع الخبن والطى فى حشو هذا البحـر بقبح وهو ما يسمى بالخبل (فى علمى العروض والقافية / ١٣١).

(فى علمى العروض والقافية ـ د. أمين على السيد / ١٢٩، ١٣١، والإرشاد الشافى وهو الحاشية الكبـرى للعلامة السيد محمـد الدمنهورى على متن الكـافى فى علمـى العـروض والقـوافى لأبى العبـاس أحمـد بن شعيب القنـائى / ٨٣، ٨٧، ولسان العرب لابـن منظور ١٨ / ١٥٨٨، ١٥٨٩، وكشـاف اصطـلاحـات الفنـون للتهـانـوى ٢ / ٥٥٦، ٥٥٧، والعمدة لابن رشيق ـ حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ١ / ١٨٢ ـ ١٨٦. انظر أيضا مفتاح العلوم للسكاكى / ٢٩٦، ٢٩٧، وبغيـة الطـلاب فى شـرح منيـة الحسـاب لابن غـازى المكنـاسى الفاسى ـ تحقيق وتقديم د. محمـد سويسى / ٣، والوسيلـة الأدبية إلى العلوم العربية ـ حسين المرصفى ـ حققه وقدم له د. عبد العزيز الدسوقى ٢ / ٢٥٤، ٢٥٥، وعـروض الـورقـة لأبى نصـر إسمـاعيل بـن حمـاد الجوهرى ـ تحقيق محمد العلمى / ٤٤ ـ ٥١).

* «رجز فى المطالع» منازل القمر:

من مخطوطات دار الكتب المصرية وجاء بيانه كما يلى :

نظم مصطفى بن نور الدين .

أوله :

يقـــول مصطفى بن نـــور الـــدين

حمـــدا وشكـــرا للقـــوى المتين

ـ بقلم معتاد تم تأليفا فى الخامس من شوال سنة ١١٨٥ هـ ومسطرتها ٢١ سطرا (ضمن مجموعة فى ورقة ١٥) .

١٤ × ٢١ سم . [٤٠٠٦ ك]

(فهرست المخطوطات . نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٤٤) .

* الرّجز والرُّجز:

بكسر الراء وضمها :

قال الإمام ابن الجوزى

الأصل فى الرِّجز : العذاب ، ويقال لما يوجب العذاب رجز على سبيل التجوز؛ بطريق السبب .

والرجز فى القرآن على ثلاثة أوجه :

أحدها : العذاب ، ومنه فى الأعراف ﴿ لئن كشفت عنا الرِّجز﴾ [الأعراف : ١٣٤]

والثانى : الصنم ، ومنه فى المدثر ﴿ والرُّجز فاهجر﴾ [المدثر: ٥]

والثالث : الكيد ومنه فى الأنفال ﴿ ويذهب عنكم رِجز الشيطان ﴾[الأنفال : ١١]

(منتخب قرة العيون النواظر / ١٢٤) .

وقال الراغب الأصفهانى :

وقوله : ﴿لهم عذاب من رِجز أليم﴾ [سبأ : ٥] فالرّجز ههنا كالزلزلة ، وقال تعالى : ﴿ إنا مُنزلون على أهل هذه القرية رِجزا من السماء ﴾ [العنكبوت : ٣٤] وقوله تعالى : ﴿والرُّجز فاهجر﴾ [المدثر: ٥] قيل هو صنم ، وقيل هو كناية عن الذنب فسماه بالمآل كتسمية الندى شحما . وقوله : ﴿وُينزِّل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رِجز الشيطان ﴾ [الأنفال : ١١] والشيطان عبارة عن الشهوة على ما بُيِّن فى بابه . وقيل بل أراد برجز الشيطان ما يدعو إليه من الكفر والبهتان والفساد (المفردات / ١٨٨) .

وجاء فى اللسان :

والرجز: القذر مثل الرجس . والرجز: العذاب . والرِّجز والرُّجز : عبادة الأوثان وقيل : هو الشرك ما كان ، تأويله أن من عبد غير الله تعالى فهو على ريب من أمره واضطراب من اعتقاده ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ [الحج : ١١] أى على شك وغير ثقة ولا مسكة ولا طمأنينة .

وقوله تعالى : ﴿والرُّجز فاهجر﴾ [المدثر: ٥] قال قوم : هو صنم ، وهو قول مجاهد ، والله أعلم . قال أبو إسحاق : قرى والرِّجز والرُّجز . بالكسر والضم ، ومعناهما واحد ، وهو العمل الذى يؤدى إلى العذاب ، وقال عز من قائل : ﴿ لئن كشفت عنا الرِّجز لنؤمنن لك﴾ [الأعراف : ١٣٤] أى كشفت عنا العذاب . وقوله تعالى : ﴿ رجزا من السماء﴾ [البقرة : ٥٩] هو العذاب . وفى الحديث : أن معاذا ، رضى الله عنه ، أصابه الطاعون ، فقال عمرو بن العاص : لا أراه إلا رجزا وطوفانا ، فقال معاذ : ليس برجز ولا طوفان ، وهو بكسر الراء العذاب والإثم والذنب ، . ويقال فى قوله تعالى : ﴿ والرُّجز فاهجر﴾ أى عبادة الأوثان . . .

قال أبو إسحاق : ومعنى الرجز فى القرآن هو العذاب المقلقل لشدته ، وله قلقلة شديدة متتابعة . وقوله عز وجل . ﴿ويذهب عنكم رِجز الشيطان﴾ [الأنفال : ١١] قال المفسرون : هو وساوسه وخطاياه ، وذلك أن المسلمين كانوا فى رمل تسوخ فيه الأرجل ، وأصابت بعضهم الجنابة ، فوسوس إليهم الشيطان بأن عدوهم يقدرون على الماء ، وهم لا يقدرون عليه ، وخيل إليهم أن ذلك عون من الله تعالى لعدوهم ، فأمطر الله تعالى المكان الذى كانوا فيه حتى تطهروا من الماء ، واستوت الأرض التى كانوا عليها ، وذلك من آيات الله عز وجل .

ووسواس الشيطان رِجز . (لسان العرب ١٨ / ١٥٨٩) .

(منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام ابن الجوزى ـ تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى ، ود. فؤاد عبد المنعم أحمد / ١٢٤ والمفردات فى غريب القرآن للراغب

الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٨٨ ، ولسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٥٨٩).

انظر : الرجس .

*** الرِّجس:**

قال الراغب الأصفهاني :

رجس : الرجس الشيء القذر، يقال رجل رِجسٌ ورحال أرجاس. قال تعالى: ﴿ رِجسٌ من عمل الشيطان﴾ [المائدة: ٩٠] والرجس يكون على أربعة أوجه: إما من حيث الطبع، وإما من جهة العقل، وإما من جهة الشرع، وإما من كل ذلك كالميتة، فإن الميتة تعاف طبعا وعقلا وشرعا ، والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر، وقيل إن ذلك رجس من جهة العقل وعلى ذلك نبه بقوله تعالى : ﴿ وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ [البقرة : ٢١٩] لأن كل ما يوفى إثمه على نفعه فالعقل يقتضي تجنبه ، وجعل الكافرين رجسا من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء ، قال تعالى: ﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم ﴾ [التوبة : ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿ ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ [يونس : ١٠٠] قيل الرجس النتن، وقيل العذاب وذلك كقوله ﴿ إنما المشركون نجس﴾ [التوبة : ٢٨] وقال ﴿ أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ [الأنعام : ١٤٥] وذلك من حيث الشرع وقيل رجس ورجز للصوت الشديد وبعير رجَّاس شديد الهدير وغمام راجس ورجَّاسٌ شديد الرعد (المفردات / ١٨٨).

وجاء على اللسان :

رجس الرِّجس: القذر ، وقيل: الشيء القذر ورَجُس الشيء يَرْجُس رجَاسَة ، وإنه لرجس مرجوس، وكل قذر رجس . ورجل مرجوس ورِجْسٌ : نِجْسٌ، ورَجس : نَجس، قال ابن دريد : وأحسبهم قد قالوا رَجسٌ نَجسٌ، وهي الرجاسة والنجاسة، وفي الحديث: أعوذ بك من الرجس النجس؛ الرجس: القذر ، وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعنة والكفر، والمراد في هذا الحديث الأول. قال الفراء : إذا بدءوا بالرجس ثم أتبعوه النجس، كسروا الجيم [النون] وإذا بدءوا بالنجس ولم يذكروا معه الرجس فتحوا الجيم والنون، ومنه الحديث : نهى أن يستنجي بروثة، وقال : إنها رجس، أي مستقذرة.

والرجس : العذاب كالرجز.

التهذيب : وأما الرجز فالعذاب والعمل الذى يؤدى إلى العذاب. والرجس في القرآن : العذاب كالرجز. وجاء في دعاء الوتر: وأنزل عليهم رجسك وعذابك، قال أبو منصور: الرجس ههنا بمعنى الرجز، وهو العذاب ، قلبت الزاى سينا، كما قيل الأسد والأزد.

وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ [يونس : ١٠٠] إنه العقاب والغضب وهو مضارع لقوله الرجز، قال : ولعلهما لغتان . وقال ابن الكلبي في قوله تعالى: ﴿ فإنه رجس﴾ ، الرجس: المأثم. وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ كذلك يجعل الله الرجس﴾ قال : ما لا خير فيه . قال أبو جعفر في قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم﴾ ، قال الرجس الشك. ابن الأعرابي : مر بنا جماعة رجسون نجسون، أي كفار. وفي التنزيل العزيز ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾، قال الزجاج: الرجس في اللغة اسم لكل ما استقذر من عمل، فبالغ الله تعالى في ذم هذه الأشياء وسماها رجسا .

ويقال : رجس الرجل رجسا ورجس يرجَس إذا عمل عملا قبيحا .

والرَّجس ، بالفتح : شدة الصوت، فكأن الرجس العمل الذى يقبح ذكره ويرتفع في القبح . وقال ابن الكلبي [في قوله تعالى : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾ أي مأثم.

قال ابن السكيت : الرجس ، مصدر، صوت الرعد وتمخضه، غيره : الرجس. بالفتح ، الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير. ورجست السماء ترجس إذا رعدت وتمخضت، وارتجست مثله . وفي حديث سطيح : لما ولد رسول الله، ﷺ ارتجس إيوان كسرى، أي اضطرب وتحرك حركة سمع لها صوت. وفي الحديث : إذا كان أحدكم في الصلاة فوجد رجسا أو رجزا فلا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا .

ورجس الشيطان: وسوسته (لسان العرب ١٨ / ١٥٩٠).

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٨٨ ، ولسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٥٩٠).

*** الرجعة:**

يعتقد الشيعة الإسماعيلية وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية فى الرجعة أى رجعة من مات من الأئمة بنوع التناسخ والرجعة، ومنهم من ينتظر مجىء من يقطع بموته ومنهم من ينتظر عود الأمر إلى أهل البيت، ومنهم من يدعى ألوهية الإمام بنوع الحلول.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٥٧ عن صبح الأعشى للقلقشندى ١٣ / ٢٣٩).

*** الرجعة:**

جاء فى اللسان: فى الحديث: رجعة الطلاق فى غير موضع، تفتح راؤه وتكسر، على المرة والحالة، وهو ارتجاع الزوجة المطلقة غير البائنة إلى النكاح من غير استئناف عقد.

والراجع من النساء: التى مات عنها زوجها ورجعت إلى أهلها، وأما المطلقة فهى المردودة، قال الأزهرى: والمراجع من النساء التى يموت زوجها أو يطلقها فترجع إلى أهلها، ويقال لها أيضا راجع (اللسان ١٨ / ١٥٩٤).

صرائحها: قال الإمام السيوطى عن صرائح الرجعة: رجعتك، وارتجعتك، وكذا أمسكتك، ورددتك فى الأصح: وتزوجتك، ونكحتك: كنايتان.

وقيل: صريحان. وقيل: لغو.

واخترت رجعتك كناية، وقيل: لغو

وقيل: إن كل لفظ أدى معنى الصريح فى الرجعة، صريح. نحو: رفعت تحريمك وأعدت حِلّك.

والأصح: أن صرائحها منحصرة، لأن الطلاق صرائحه محصورة، فالرجعة التى تحصل إباحة أولى (الأشباه والنظائر / ٣٠٣، ٣٠٤).

يقول ابن قدامة: إذا طلق امرأته بعد الدخول بغير عوض أقل من ثلاث أو العبد أقل من اثنتين فله رجعتها مادامت فى العدة لقول الله تعالى: ﴿ **وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلاحا**﴾ [البقرة: ٢٢٨] والرجعة أن يقول لرجلين من المسلمين: أشهدا أننى قد راجعت زوجتى أو رددتها أو أمسكتها، من غير ولى ولا صداق يزيده ولا رضائها، وإن وطئها كان رجعة، والرجعية زوجة يلحقها الطلاق والظهار. . .

وإذا ارتجعها عادت على ما بقى من طلاقها، ولو تركها حتى بانت ثم نكحت زوجا غيره ثم بانت منه وتزوجها الأول رجعت إليه على ما بقى من طلاقها، وإذا اختلفا فى انقضاء عدتها فالقول قولها مع يمينها إذا ادعت من ذلك ممكنا وإن ادعى الزوج بعد انقضاء عدتها أنه قد راجعها فى عدتها فأنكرته فالقول قولها، وإن كانت له بينة حكم له بها، فإن كانت قد تزوجت رُدَّت إليه سواء كان دخل بها الثانى أو لم يدخل بها (عمدة الفقه / ١١٠)

ولفضيلة الشيخ زكريا أحمد محمد نور بحث قيم عن الرجعة ننقل بعضا مما جاء فيه فيما يلى. قال فضيلته:

الرجعة ـ بفتح الراء وكسرها والفتح، أفصح من الكسر ـ هى لغة: المرة من الرجوع، وقد وردت فى القرآن الكريم، بمعنى الرجعة وبمعنى الرد.

قال ـ تعالى ـ فى كتابه الكريم: ﴿ **ولئن رجعت إلى ربى**﴾ [فصلت: ٥٠] وقال فى موضع آخر ﴿**ولئن رددت إلى ربى**﴾ [الكهف: ٣٦]، فرددته ورجعته بمعنى واحد، ذلك تعريف الرجعة من حيث اللغة.

أما تعريفها ـ فى اصطلاح الشرع فهو: «رد المرأة إلى النكاح من طلاق غير بائن فى العدة على وجه مخصوص».

وأما الدليل على مشروعيتها فلا خلاف بين الفقهاء على اختلاف مذاهبهم فى ثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع. والأصل فى ثبوتها ـ قبل الإجماع ـ قوله ـ تعالى:

﴿ **والمطلقٰت يتربصن بأنفسهن ثلٰثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلٰحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم**﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقوله تعالى: ﴿ **الطلٰق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسٰن**﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف**﴾ [البقرة: ٢٣١].

فالرد والإمساك الواردان فى هذه الآيات مفسرات بالرجعة عند جماعة العلماء وأهل التفسير.

وأما ثبوتها بالسنة؛ فيؤخذ من قول النبى ﷺ أتانى جبريل فقال: راجع حفصة، فإنها صوَّامة قوَّامة، وأنها زوجتُك فى الجنة. (أبو نعيم فى الحلية ٢ / ٥٠) وما روى أن ابن عمر طلق امرأة وهى حائض فسأل عمّر النبى ﷺ فقال: «مُره فليراجعها» (رواه الترمذى) إلى غير ذلك من النصوص الدالة على ثبوتها.

وقد ذكر صاحب مغنى المحتاج ٣ / ٣٣٥) أن للرجعة أركانا ثلاثة: مرتجع، وصيغة، وزوجة، فشرط المرتجع ـ وهو الزوج ـ أن يكون أهلا لعقد النكاح أى، بالغا، عاقلا،

مختارا، غير مُكرَه، وألا يكون مرتدا؛ لأن الرجعة كإنشاء النكاح لا تصح فى الردة، والصبا والجنون ولا من مكره.

ويشترط فى الصيغة ــ عند بعض الفقهاء ــ أن تكون بألفاظ صريحة، كراجعتك ورجعتك وارتجعتك، وأصرح منها: رددتك وأمسكتك؛ لأنهما وردا فى الكتاب، لكن لا تبطل الرجعة بألفاظ الكناية على الصحيح.

الرجعة والقرآن الكريم:

ولنبدأ بعرض الآيات التى تناولت أحكام الرجعة، ثم نذكر بعد ذلك آراء الفقهاء فى تلك الأحكام، وما اشترطوه لصحتها من شروط.

قول الله ــ تعالى: ﴿ **والمطلقٰت يتربصن بأنفسهن ثلٰثة قروء**﴾ إلى قوله ﴿**وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلٰحا**﴾[البقرة: ٢٢٨]

فهذه الآية توضح الحكم الثانى من أحكام الطلاق، وهو رد الرجل امرأته إلى عصمته قبل انقضاء عدتها، وبعولة جمع بعل، وهو الزوج، يقال: بعل وبعولة، كما يقال فى جمع الذكر: ذكر وذكورة، ويسمى الزوج بعلا لعلوه على الزوجة، بما قد ملكه من زوجته، فهو بمعنى السيد المالك، يقال: من بعل هذه الناقة؟ أى من ربها، ومنه قوله تعالى ﴿ **أتدعون بعلا**﴾ أى ربا لعلوه فى الربوبية فى رأيهم.

فالمراد من قوله تعالى: ﴿ **وبعولتهن أحق بردهن**﴾ أن الزوج أحق بمراجعة زوجته، أى ردها إلى نكاحه ما دامت فى عدتها منه، وإن كرهت المرأة ذلك، بشرط أن يكون قد دخل بها وطلقها طلقة واحدة أو طلقتين أما إن كان لم يدخل بها أصلا أو دخل بها وطلقها طلقة أو طلقتين ولم يراجعها حتى انقضت عدتها منه كانت أحق بنفسها منه، وليس له حق فى ردها إلى عصمته إلا بخطبة جديدة ونكاح جديد، بمهر جديد بولى وشاهدين«هذا إذا رضيت الزواج منه»، وهو ما يعبر عنه بالطلاق البائن بينونة صغرى.

قال ابن المهلب: «وكل من راجع فى العدة، فإنه لا يلزمه شىء من أحكام النكاح، غير الشهود على الرجعة فقط وهذا إجماع من العلماء، لقوله تعالى ﴿ **فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم**﴾[الطلاق: ٢]

ومما يؤيد وجوب الإشهاد فى الرجعة ما روى عن عمران ابن الحصين، إنه سئل عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها، ولم يُشهد على طلاقها، ولا على رجعتها، فقال: طلقت لغير سنة، وراجعت لغير سنة، أشهد على طلاقها، وعلى رجعتها ولا تعد.

فبهذا الأثر قد استدل من قال بوجوب الإشهاد على الرجعة، وممن قال بوجوب الإشهاد: مالك والشافعى.

وذهب أبو حنيفة وأصحابه والشافعى فى أصح قوليه إلى عدم الإشهاد على الرجعة واحتج لهم فى بداية المجتهد بالقياس على الأمور التى ينشئها المرء لنفسه فإنه لا يجب فيها الإشهاد، وقالوا: إن الأثر المروى عن عمران بن حصين لا يصلح للاحتجاج به، لأنه قول صحابى فى أمر من مسارح الاجتهاد، وما كان ذلك فليس بحجة، لولا ما وقع من قوله: طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة.

ما يكون به الرجل مراجعا.

اختلفت الفقهاء فيما يكون به الرجل مراجعا والمطلقة طلقة أو طلقتين تبقى محرمة على مطلقها تحريم من بت طلاقها حتى يراجعها بأية صورة من صور المراجعة، سواء كانت بالفعل أم بالقول، وهل يحرم الرجعة إرادة الضرر بالزوجة؟

ظاهر الآية ﴿ **إن أرادوا إصلاحا**﴾ فإن كلمة (إن) للشرط فإذا انتفى الشرط انتفى الحكم عند انتفائه فيلزم من ذلك أن إرادة الإصلاح إذا لم توجد كان حق الزوج فى ارتجاع زوجته غير ثابت.

ولكن الإمام الفخر الرازى أجاب عن هذا السؤال فى تفسيره (٢/ ٣٧٠) بأن إرادة الإصلاح صفة باطنة لا اطلاع لنا عليه، فالشرع لم يوقف صحة المراجعة عليها بل جوازها فيما بينه وبين الله موقوف على هذه الإرادة، حتى إنه لو راجعها لقصد المضارة استحق الإثم، وقد نهى الله الأزواج عن الإمساك للضرر بقوله: ﴿ **ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا**﴾ [البقرة: ٢٣١] وفى ذلك تصريح بأن ارتجاع المرأة قبل

انقضاء عدتها لإيقاع الضرر بها اعتداء من الزوج عليها.

عن السدى قال: نزلت هذه الآية فى رجل من الأنصار يدعى ثابت بن بشار طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة راجعها ثم طلقها ففعل بها ذلك حتى مضت لها تسعة أشهر فأنزل الله ـ تعالى: ﴿ **ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا** ﴾.

و إن نساء الإسلام لو رجعن إلى دينهن، وتأملن تعاليمه وما ينطوى عليه من حكمة لوجدن فيه إنصافا للمرأة لا يوجد له نظير فى جميع قوانين الأرض ولو تشبثن بمنزلتهن التى دفعهن إليها الإسلام لوجدن أنفسهن أرفع نساء العالمين منزلة وأرقاهن حضارة وأسعدهن حياة.

وأى إنصاف للمرأة أكبر من أن ترى القرآن الكريم ينهى الزوج عن إيقاع الضرر بها؟ بل ويعتبره معتديا، طالما قصد بالمراجعة مضارتها ﴿ **ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه** ﴾ [أى: ومن يمسك المرأة بقصد الإضرار بها فقد ظلم نفسه بتعريضها لعذاب الله وسخطه.

إن شريعة الإسلام لم تجعل الحياة الزوجية وما يتعلق بها من حقوق وواجبات ملهاة يلعب بها الطيش، أو مسلاة يتسلى بها الإنسان، وكأنها شيء تملكه يده فهو حر فى أن يتصرف فيه كيف يشاء، أو يسير به حيث يحب، وإنما للحياة الزوجية فى شريعة الإسلام حدود رسمها الله بحكمته، لا يجوز لأى كائن من كان أن يتعداها أو يخرج عليها، وإلا كان فى نظر الإسلام ظالما.

﴿ **تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظلمون** ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وهذا وعيد صارم لمن يهملون حدود الله، فيتجاوزونها إلى حيث تدعوهم إليه شهواتهم وأهواؤهم، ومن كانوا كذلك كانوا مستحقين للعنة الله، ألا لعنة الله على الظالمين (« الرجعة » / ٩٩٧ - ١٠٠٠).

أما من حيث النظم فلدينا نموذجان: الأول منظومة الشيخ الإمام أبى العباس أحمد بن رسلان الموسومة بـ «صفوة الزبد»، والثانى منظومة «غاية التقريب» للشيخ شرف الدين يحيى العمريطى.

١ ـ منظومة «صفوة الزبد»:

قال الشيخ أحمد بن رسلان رحمه الله:

تثبت فى عدة تطليق بلا تعوُّض إذ عدد لم يكملا

وبانقضا عدتها يُجدَّد ولم تحلَّ إذ يَتمُّ العدد

إلا إذا العدة منه تكمل ونكحت سواه ثم يدخل

بها وبعد وطء ثان فُورقتْ وعدة الفرقة من هذا انقضت

وليس الإشهاد بها يُعتبر نص عليه الأم والمختصر

وفى القديم لا رجوع إلا بشاهدين قاله فى الاملا

وهو كما قال الربيع آخر قوليه فالترجيح فيه أجدر

وهو على القولين مستحب وأعلم الزوجة فهو ندب

(متن الزبد/ ٨٤، ٨٥).

وفيما يلى شرح الشيخ أحمد بن حجازى الفشنى، قال رحمه الله: الرجعة بفتح الراء وكسرها والفتح أفصح عند الجوهرى والكسر أكثر عند الأزهرى. وهى لغة المرة من الرجوع وشرعا العود إلى النكاح فى عدة طلاق غير بائن على وجه مخصوص. والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى ﴿ **وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك** ﴾ أى فى العدة ﴿ **إن أرادوا إصلاحا** ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أى رجعة وقوله تعالى ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر «مُرْهُ فليراجعها» ولها أربعة أركان: مرتجع وزوجة وطلاق وصيغة (تثبت) أى الرجعة لمن له أهلية النكاح بنفسه وصيغتها راجعتك أو ارتجعتك وأمسكتك ورددتك إلىَّ لشهرتها فى ذلك والإضافة فى رددتك إلىَّ واجبة بخلاف غيرها لأنه يفهم منها الرد إلى الأبوين بسبب الفراق بخلاف غيرها ولا تقبل الرجعة تعليقا كالنكاح فاذا قال راجعتك إن شئت فقالت شئت لا تحصل الرجعة ولا

تحصل بفعل كوطء ومقدماته (في عدة تطليق) لامرأة قابلة للحل (بلا * تعوض) بخلاف المطلقة بعوض لبينونتها (إذ عّدد) للطلاق (لم يكمُلا) بألف الإطلاق المبدلة من نون التوكيد بأن لا تكون ثالثة الحر ولا ثانية غيره (وبانقضاعدتها) أى المطلقة (يجدد) النكاح بعقد جديد لبينونتها (ولم تحل) المطلقة لمطلقها (إذ يتم العدد) بثلاث أو ثنتين (إلا إذا العدة منه تكمل * ونكحت سواه﴾ نكاحا صحيحا (ثم يدخل . بها وبعد وطء) زوج (ثان فُورقَت * وعدة الفرقة من هذا) الثانى (انقضت) لقوله تعالى ﴿فإن طلقها﴾ أى الثالثة ﴿فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره﴾ [البقرة : ٢٣٠] (وليس الإشهاد بها) أى بالرجعة (يعتبر * نص عليه الأم والمختصر) ولو لم ترض الزوجة بها ولو لم يحضر الولى لأنها فى معنى استدامة النكاح السابق (وفى القديم لا ارتجاع) يصح (إلا * بشاهدين قاله فى الإملا) أى وهو من الجديد لا لكونها بمنزلة ابتداء النكاح بل لظاهر قوله تعالى ﴿فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ أى على الإمساك الذى هو بمعنى الرجعة وعلى المفارقة . وأجيب بحمل ذلك على الاستحباب (وهو) أى وجوب الإشهاد (كما قال) أبو محمد (الربيع) بن سليمان المرادى (آخر * قوليه) أى الشافعى رضى الله عنه فيكون مذهبه (فالترجيح فيه أجدر) أى أحق وقال البلقينى كان ينبغى أن يرجحوا هذا ولم يرجحوه وهو) أى الإشهاد (على القولين) جميعا (مستحب) قطعا (وأعلم الزوجة) المراجعة أيها المراجع (فهو) أى الإعلام (ندب) للأمن من الجحود وليس بشرط [خاتمة] يصح إيلاء وظهار وطلاق ولعان من الرجعية ويتوارثان لبقاء آثار الزوجية (مواهب الصمد / ١٢٣).

٢ ـ منظومة «غاية التقريب» :

قال الإمام شرف الدين يحيى العمريطى رحمه الله :

من طلقة بعد الدخول أوقعا

أو طلقتين وهو حر راجعا

قبل انقضاء عدة تعتدها

لكن بعقد بعدها يردها

وبعد عود مطلقا تبقى معه

بما بقى بعد الطلاق أوقعه

فإن يطلق أكثر الطلاق

تعذر النكاح باتفاق

وجاز بعد خمسة أمور

وهى انقضاء عدة المذكور

وبعده تزويج غيره بها

ثم الدخول وهو أن يصيبها

ثم الطلاق ثم عدة له

وبعدها حلّت لزوج قبله

وفيما يلى شرح الشيخ أحمد بن الحجازى الفشنى :

هى بفتح الراء أفصح من كسرها عند الجوهرى، والكسر أكثر عند الأزهرى. هى لغة: المرة من الرجوع . وشرعا: رد المرأة إلى النكاح من طلاق غير بائن فى العدة على وجه مخصوص كما يؤخذ مما سيأتى ، والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى ﴿وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ﴾ أى فى العدة ﴿إن أرادوا إصلاحا﴾ [البقرة : ٢٢٨] أى رجعة كما قاله إمامنا الشافعى. وقوله ﷺ «أتانى جبريل فقال: راجع حفصة فإنها صوَّامه قوَّامة ، و إنها زوجتك فى الجنة» وأركانها ثلاثة: محل، وصيغة ، ومرجع . ثم قال الناظم :

اعلم أن للرجعة شروطا . أحدها : أن يكون الطلاق دون الثلاث فى الحر كما قال

** من طلقة بعد الدخول أوقعا **

*أو طلقتين وهو حر راجعا **

وأن يكون دون اثنتين فى الرقيق ، أما من استوفى عدد الطلاق فلا، إذ لا سلطنة له عليها .

وثانيها: أن يكون بعد الدخول كما ذكره فإن كان قبله فلا رجعة لبينونتها .

وثالثها :

أن تكون الرجعة قبل انقضاء العدة، فإذا انقضت عدتها بوضع حمل أو أقراء أو أشهر كان له إعادة نكاحها بعقد جديد بشروطه لبينونتها حينئذ، وبعد عوده مطلقا تبقى معه بما بقى له من عدد الطلاق بعد طلاق أوقعه، لما روى البيهقى عن عمر رضى الله عنه أنه أفتى بذلك، ووافقه عليه جماعة من الصحابة ولم يظهر لهم مخالف. ورابعها: أن لا يكون الطلاق بعوض منها أو من غيرها، فإن كان على عوض فلا رجعة كما تقدم توجيهه فى الخلع (انظر مادة « الخُلع » فى م ١٦ / ٢٠٣ ــ ٢١٠) وتركه الناظم للعلم به هناك. ويشترط فى

المرتجع الاختيار وأهلية النكاح بنفسه . وفى الصيغة لفظ يشعر بالمراد، وهو إما صريح وهو رددتك إلى وراجعتك وارتجعتك وأمسكتك، وإما كناية كتزوجتك ونكحتك . ويشترط فيها تنجيز وعدم تأقيت وسن إشهاد عليها خروجا من خلاف من أوجبه . وقول الناظم «فإن يطلق » إلى آخر الأبيات معناه : إذا طلق الحر ثلاثا والعبد طلقتين معا أو مرتبا قبل الدخول أو بعده لم تحل المطلقة إلا بعد خمسة أمور فى المدخول بها، وعلى وجود ما عدا الأولى منها فى غيرها . أولها : انقضاء عدتها من المطلق . ثانيها : تزويجها بغيره ولو عبدا : أى كبيرا، لأن الراجح أن العبد الصغير لا يصح إجباره على النكاح أو مجنونا . ثالثها : دخوله بها . . . رابعها : بينونتها من الزوج الثانى بطلاق أو فسخ أو موت . خامسها : انقضاء عدتها لاستبراء رحمها (انظر مادة «الاستبراء » فى م ٤ / ١٩٨) .

والألف فى قول الناظم «أوقعا وراجعا» للإطلاق .

خاتمة : يصح الإيلاء والظهار والطلاق واللعان من الرجعية، ويتوارثان لبقاء الزوجية (تحفة الحبيب / ٢٠٧ ـ ٢٠٩) .

(لسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٥٩٤، والأشباه والنظائر للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر . الطبعة الأخيرة ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م / ٣٠٣، ٣٠٤، وعمدة الفقه لابن قدامة ـ تخريج أبى عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلى الغامدى ومحمد دغيليب البراق العتيبى / ١١٠، و«الرجعة» ـ فضيلة الشيخ زكريا أحمد محمد نور . مجلة الأزهر . الجزء السابع، السنة الثامنة والستون، رجب ١٤١٦ هـ ـ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٩٥ م / ٩٩٧ ـ ١٠٠٠، ومتن الزبد فى الفقه ـ الشيخ الإمام أحمد بن رسلان الشافعى / ٨٤، ٨٥، ومواهب الصمد فى حل ألفاظ الزبد ـ الشيخ أحمد بن حجازى الفشنى / ١٢٣، وتحفة الحبيب بشرح نظم غاية التقريب ـ الإمام الشيخ أحمد بن حجازى بن بدير الفشنى / ٢٠٧ ـ ٢٠٩) .

*** الرجعة (عند أهل الدعوة):**

الرجعة عند أهل الدعوة عبارة عن رجوع الوبال والنكال والملال على صاحب الأعمال بصدور فعل قبيح من الأفعال، أو بتكلم قول سخيف من الأقوال .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٦٨) .

*** الرجعة (فى علم الفلك):**

الرجعة عند المنجمين وأهل الهيئة عبارة عن حركة غير حركة الكواكب المتحيرة إلى خلاف توالى البروج وتسمى رجوعا وعكسا أيضا ، وذلك الكوكب يسمى راجعا كما فى شرح الملخص .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٦٨) .

*** الرجعة (فى المعتقدات):**

جاء فى اللسان : وهو يؤمن بالرجعة ، وقالها الأزهرى بالفتح، أى بأن الميت يرجع إلى الدنيا بعد الموت قبل يوم القيامة .

(لسان العرب ١٨ / ١٥٩٤) .

*** الرجعة لبيان الضجعة بين سنة الفجر والفريضة:**

مخطوط بدار الكتب المصرية وجاء بيانه كما يلى :

تأليف حامد بن على العمادى المتوفى سنة ١١٧٣ أولها : الحمد لله الذى كرم نوع الإنسان وكمله ... إلخ .

ـ نسخة بقلم معتاد كتبها سنة ١١٥٠ ومسطرتها ٣٧ سطرا . (ضمن مجموعة من ورقة ٧١ ـ ٧٢» .

[٣٤٤٤ ج]

(فهرست المخطوطات . نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٤٤) .

*** الرجعة (للاستراباذى):**

مخطوط جاء بيانه فى الفهرس الشامل كما يلى :

٣٢ ـ الرجعة ـ الاستراباذى (ميرزا محمد مؤمن)

١ ـ المركزية / جامعة طهران (مشكاة) ٣ / ٣ / ١٣١٨ ـ ١٣١٩ [٦ / ١١٢٢] ـ (٢١٩ و) ـ ٣ ـ ١٠٨٣ هـ .

٢ ـ المرعشى / قم ٤ / ٢٨٢ [١٤٨٥] ـ (٦٨ و) ـ ١٢٢٤ هـ .

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله مؤسسة آل البيت (مآب) عمان . الأردن ٢ / ٨٠٤) .

*** الرجعة (للحلى):**

مخطوط جاء بيانه فى الفهرس الشامل كما يلى :

٣٣ ـ الرجعة ـ الحلى (حسن بن سليمان)

١ ـ الوطنية / طهران ١٠ / ٥٤٩ [٢ / ٢٣٨٦ / د] ـ (ص ٤٦ ـ ١٧٦) ضمن مجموع ـ ١٠٨٦ / ١٠٨٢هـ.

٢ ـ المرعشى / قم ٢ / ١٣٨ [٥٣٣]ـ (١٢١ و).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان الأردن ٢ / ٨٠٤).

*** الرجفة:**

قال الراغب الأصفهانى:

رجف : الرَّجْفُ الاضطراب الشديد، يقال رجفت الأرض والبحر، وبحر رجَّاف. قال تعالى : ﴿ **يوم ترجف الراجفة**﴾ [النازعات : ٦] ﴿ **يوم ترجف الأرض والجبال**﴾ [المزمل : ١٤]﴿ **فأخذتهم الرجفة** ﴾ [الأعراف : ٧٨] والإرجاف إيقاع الرجفة إما بالفعل و إما بالقول، قال تعالى : ﴿ **والمرجفون فى المدينة**﴾ [الأحزاب : ٦٠] ويقال الأراجيف ملاقيح الفتن (المفردات / ١٨٩).

وجاء فى اللسان :

والرجفة : الزلزلة . ورجفت الأرض ترجف رجفا : اضطربت . وقوله تعالى : ﴿ **فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى** ﴾ [الأعراف : ١٥٥] أى لو شئت أَمَتَّهم قبل أن تقتلهم . ويقال : إنهم رجف بهم الجبل فماتوا . ورجف القلب : اضطرب من الجزاع .

والراجف : الحمى المحركة، مُذكَّر، قال :

وأدنيتنى حتى إذا ما جعلتنى
على الخصر أو أدنى استقلك راجف

ورجف الشجر يرجف : حركته الريح ، وكذلك الأسنان . ورجفت الأرض إذا تزلزلت . ورجف القوم إذا تهيئوا للحرب وفى التنزيل العزيز : ﴿ **يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة**﴾ [النازعات : ٦، ٧] قال الفراء : هى النفخة الأولى، والرادفة النفخة الثانية، قال أبو إسحاق : الراجفة الأرض ترجف تتحرك حركة شديدة، وقال مجاهد : هى الزلزلة وفى الحديث : أيها الناس اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، قال : الراجفة النفخة الأولى التى تموت لها الخلائق ، والرادفة الثانية التى يحيون لها يوم القيامة . وأصل الرجف الحركة والاضطراب، ومنه حديث المبعث : فرجع ترجف بها بوادره .

الليث : الرجفة فى القرآن كل عذاب أخذ قوما ، فهى رجفة وصيحة وصاعقة

والرعد يرجف رجفا ورجيفا ، وذلك تردد هدهدته فى السحاب .

ابن الأنبارى : الرجفة معها تحريك الأرض، يقال : رجف الشيء إذا تحرك ، وأنشد :

تحيى العظام الراجفات من البلى
وليس لداء الركبتين طبيب

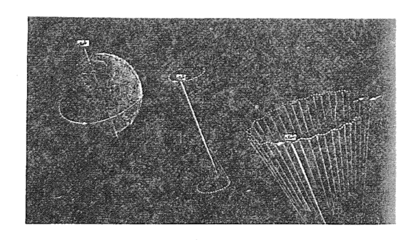
ابن الأعرابى : رجف البلد إذا تزلزل . وقد رجفت الأرض وأرجَفت وأرجِفت إذا تزلزلت (لسان العرب ١٨ / ١٥٩٥ ، ١٥٩٦).

وجاء فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **فأخذتهم الرجفة**﴾ [العنكبوت : ٣٧] أن الرجفة هى الزلزلة الشديدة بسبب الصيحة (كلمات القرآن / ٢٤٤) .

وعن رجفة الأرض كما وصفها علم الفلك يقول الدكتور عدنان الشريف :

﴿ **يوم ترجف الراجفة**﴾ [النازعات : ٦]

الراجفة اسم صفة، والضمير فى كلمة «الراجفة» يرجع للأرض، والمنظر مشهد من مشاهد يوم القيامة كما فى قوله



﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾

تعالى: ﴿ يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلاً﴾ [المزمل: ١٤]، وقوله أيضا: ﴿ إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة﴾ [الواقعة: ١ - ٣].

والملاحظ هنا أن المولى أسمى الأرض باسم صفتها «الراجفة»، فمن أسماء الأرض القرآنية إذًا الراجفة. أما الرجفة Treanblement- Tremor فتعريفها العلمى بأنها كل حركة منتظمة بالنسبة لسطح أو خط ثابت. وحركة الرجفة تختلف عن حركة الدوران، وقد بين علم الفلك أن للأرض بالإضافة إلى حركتى الدوران حول نفسها وحول الشمس، حركة تدخل فى التعريف العلمى للرجفة هى الترنح أو التمايل (prèceesssion)، وهى رجفة بطيئة تتمايل خلالها الأرض من اليمين إلى الشمال بالنسبة لمحورها العمودى فى مدة تستغرق ٢٥٨٠٠ سنة. وهناك حركة الميسان(Nutation) أو الذبذبة التى تجعل من مسار الأرض حول الشمس متعرجا. وهذه الحركات المختلفة عن دوران الأرض والتى لا نشعر بتأثيرها هى نتيجة تأثير جاذبية القمر والنجوم وبقية الكواكب على الأرض إلا أن القرآن الكريم لم يغفلها لذلك أسمى الأرض بالراجفة. (من علم الفلك القرآنى / ١١٤).

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٨٩، ولسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٥٩٥، ١٥٩٦، وكلمات القرآن، تفسير وبيان ــ فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٢٤٤، ومن علم الفلك القرآنى د. عدنان الشريف / ١١٣، ١١٤)

ملاحظة: الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب «من علم الفلك القرآنى (انظر ثبت المراجع أعلاه) وجاء عنوانها كما يلى:

حركات الأرض: الدوران السريع، والترنح، والنودان، هى الحركات الأساسية الثلاث الممثلة بالأشكال أعلاه: فالأرض تدور مائلة حول محورها مرة كل ٢٤ ساعة (إلى اليسار)، ويتأرجح محور الأرض المائل بقدر يكفى لعمل دائرة كاملة مرة كل ٢٦ ألف سنة، وبذلك يرسم المحور مخروطين، (فى الوسط) وهذه الحركة التى تعرف باسم ترنح الاعتدالين، ليست ممهدة تماما (ليست ملساء) نظرا لأن جذب الشمس والقمر معا، يولد ظاهرة الميسان أو النودان، ومعناها الحركة الطفيفة المترددة بين الإقدام والإحجام أو التقدم والتأخر (إلى اليمين).

*** الرَّجُل:**

الرجل بالفتح وضم الجيم لغة مقابل المرأة وفى اصطلاح الفقهاء يطلق على الذكر الذى بإزائه أنثى من أحد الثقلين قال الله تعالى ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ [الجن: ٦] والصبى والخصى داخلان فى آية المواريث فى قوله تعالى: ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة﴾ [النساء: ١٢] كذا فى البزازية فى آخر كتاب الحلف. (كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٥٨٣).

قال الراغب الأصفهانى:

رجل: الرَّجُل مختص بالذكر من الناس ولذلك قال تعالى: ﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ﴾ [الأنعام: ٩] ويقال رَجلةٌ للمرأة إذا كانت متشبهة بالرجل فى بعض أحوالها، قال الشاعر:

** لم ينالوا حرمة الرجلة**

ورجل بيِّنُ الرجولة والرجولية، وقوله: ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ﴾ [القصص: ٢٠] و[يس: ٢٠] وقوله ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ [غافر: ٢٨] فالأولى به الرجولية والجلادة، وقوله: ﴿ أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله﴾ [غافر: ٢٨] وفلان أرجل الرجلين (المفردات / ١٨٩).

وجاء فى اللسان:

تصغير الرجل رجيل، وعامتهم يقولون رويجل صدق ورويجل سوء على غير قياس، يرجعون إلى الراجل لأن اشتقاقه منه، كما أن العَجِلَ من العاجل، والحذر من الحاذر، والجمع رجال. وفى التنزيل العزيز: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾، أراد من أهل ملتكم. ورجالات جمع الجمع، قال سيبويه: ولم يكسر على بناء من أبنية أدنى العدد، يعنى أنهم لم يقولوا أرجال؛ قال سيبويه: وقالوا ثلاثة رَجلَةٍ، جعلوه بدلا من أرجال ونظيره ثلاثة أشياء، جعلوا لفعاء بدلا من أفعال، قال: وحكى أبو زيد فى جمعه: رجلة، وهو أيضا اسم الجمع، لأن فعلة ليست من أبنية الجموع، وذهب أبو العباس إلى أن رجلة مخفف عنه، ابن جنى:

ويقال لهم المرجل والأنثى رجلة (لسان العرب ١٨ / ١٥٩٦).

وعن أوجه ورود لفظ «رجل» فى القرآن الكريم يقول الإمام الدامغانى:

رجل: على عشرة أوجه:

شخص. أبو مسعود الثقفى والوليد بن المغيرة. الآدمى. حزبيل. رجلين أخوين. يوشع وكالب. حبيب النجار. حزقيل. الوثن. الكافر.

فوجه منها: رجل ومعناه شخص. قوله تعالى فى سورة الأحزاب: ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه** ﴾ [الأحزاب: ٤] يعنى شخصا من البشر كأنه يقول ما جعل الله لرجل ولا امرأة من قلبين فى جوفه ولا صبيا ولا مراهقا، ويقال نزلت فى أبى معمر جميل بن أسد.

الثانى: رجل يعنى أبا مسعود الثقفى والوليد بن المغيرة. قوله تعالى فى سورة الزخرف ﴿ **وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ [الزخرف: ٣١] يريد بها أبا مسعود والوليد.

الثالث: رجل يعنى الآدمى. قوله تعالى فى سورة يونس ﴿ **أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم** ﴾ أى آدمى مثلهم ﴿ **أن انذر الناس** ﴾ [يونس: ٢] كقوله تعالى فى سورة سبأ ﴿ **وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم** ﴾ [سبأ: ٧] يعنى على آدمى.

الرابع: رجل يعنى حزبيل مؤمن آل فرعون. قوله تعالى فى سورة المؤمن [غافر] ﴿ **وقال رجل مؤمن من آل فرعون** ﴾ [غافر: ٢٨] وهو حزبيل (قيل حزبيل - بالحاء والزاى، وقيل خربيل - بالخاء والراء، وقيل شمعان وسمعان - بالشين والسين. واختلف هل كان إسرائيليا أو قبطيا وقال السدى: وهو الذى نجا مع موسى عليه السلام. روى كل ذلك القرطبى).

الخامس: رجلان أخوان من بنى إسرائيل. قوله تعالى فى سورة الكهف: ﴿ **واضرب لهم مثلا رجلين** ﴾ [الكهف: ٣٢] وهما من بنى إسرائيل، وقصتهما معروفة.

السادس: رجلان وهما يوشع وكالب. قوله تعالى فى سورة المائدة ﴿ **قال رجلان من الذين يخافون** ﴾ [المائدة: ٢٣] يعنى يوشع وكالب بن يوحنا.

السابع: رجل يعنى حبيبا النجار. قوله تعالى فى سورة يسّ ﴿ **وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى** ﴾ [يسّ ٢٠] هو حبيب.

الثامن: رجل هو حزقيل فى سورة القصص قوله تعالى ﴿ **وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى** ﴾ وهو حزقيل.

(انظر بلاغة القرآن فى تغيير نظائر القصص بسبب اختلاف الرجلين. والاهتمام فى القصة الأولى كان بالمكان وفى الثانية بالإنسان فقدم ما كان أولى بالاهتمام).

التاسع: رجل يعنى الوثن. قوله تعالى فى سورة النحل ﴿ **وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شىء وهو كَلٌّ على مولاه** ﴾ أى الوثن كل على كل عابد ﴿ **هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل** ﴾ [النحل: ٧٦] يعنى نفسه عز وجل.

العاشر: رجل يعنى الكافر. قوله تعالى فى سورة الزمر ﴿ **ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون** ﴾ يعنى الكافر والشركاء الشياطين ﴿ **ورجلا سلما لرجل** ﴾ [الزمر: ٢٩] هو المؤمن يعمل لله وحده.

ثم يقول الإمام الدامغانى فى مادة «رجال» إنها ترد فى القرآن الكريم على عشرة أوجه هى:

مشاة. البعولة. ذكور بنى آدم. أهل مسجد قباء، أصحاب النبى ﷺ. المحافظون على الصلوات الخمس. الملائكة. المستضعفون. فقراء المسلمين. الرسل.

فوجه منها: رجال يعنى مشاة. قوله تعالى فى سورة البقرة ﴿ **فإن خفتم فرجالا أو ركبانا** ﴾ [البقرة: ٢٣٩] يعنى مشاة. نظيرها فى سورة الحج ﴿ **يأتوك رجالا** ﴾ [الحج: ٢٧] يعنى مشاة.

الثانى: رجال يعنى البعولة. قوله تعالى فى سورة النساء ﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾ [النساء: ٣٤] يعنى البعولة. كقوله تعالى فى سورة البقرة ﴿ **وللرجال عليهن درجة** ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

الثالث: رجال يعنى ذكور بنى آدم. قوله تعالى فى سورة النساء ﴿ **وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** ﴾ [النساء: ١] يعنى ذكورا وإناثا. مثلها فى سورة الأحزاب ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم** ﴾ [الأحزاب: ٤٠] يعنى من ذكوركم.

الرابع: رجال يعنى أهل مسجد قباء. قوله تعالى فى سورة

التوبة ﴿ فيــه رجــال يحبــون أن يتطهــروا﴾ [التوبة : ١٠٨] .

الخامس : رجال يعنى الصادقين أصحاب النبى ﷺ . كقوله تعالى فى سورة الأحزاب ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [الأحزاب : ٢٣] هم أهل بدر .

السادس : رجال يعنى المحافظين على الصلاة فى أوقاتها . قوله تعالى فى سورة النور ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ [النور: ٣٧] .

السابع : رجال وهم الملائكة . قوله تعالى فى سورة الأعراف ﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾ [الأعراف : ٤٦] قاله أبو مجلز

الثامن : رجال يعنى المستضعفين فى الأرض بمكة . قوله تعالى ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ﴾ [الفتح : ٢٥]

التاسع : رجال يعنى فقراء المسلمين . قوله تعالى فى سورة ص ﴿ وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار ﴾ [صَ : ٦٢] يعنى فقراء المسلمين .

العاشر: رجال يعنى الرسل . قوله تعالى فى سورة النحل والأنبياء ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم ﴾ [النحل : ٤٣] و [الأنبياء : ٧] يعنى بشرا أنبياء . ونحوه كثير (قاموس القرآن / ١٩٣ـ١٩٦) .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٨٣ ، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٨٩ ، ولسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٥٩٦ ، وقاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام الدامغانى ـ حققه ورتبه وأكمله وأصلحه عبد العزيز سيد الأهل / ١٩٣ ـ ١٩٦ ٠ انظر أيضا منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام ابن الجوزى ـ تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى ، ود . فؤاد عبد المنعم أحمد / ١٣٣ ـ ١٣٥) .

*** رجل الغراب:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات وفى علم طب الأعشاب . قال عنه صاحب التذكرة : اسم نبات ببيت المقدس نحو شبر أوراقه مشقوقة مفرقة الشعب تحكى رجل الغراب ظاهرها إلى الصفرة فإذا سحقت ابيضت وفى طعمها حلاوة كالجزر وأصوله متضاعفة مستديرة كالسورنجان ، وهو حار يابس فى الثالثة قد جرب منه على ما قيل قطع الإسهال وإن تقادم ويسكن الرياح والمغص ويفتت الحصى ويفتح السدد وإن أكل مطبوخا نفع من وجع الظهر والجنب والورك وإن غلى بالزيت كان دهنا عظيما لأوجاع المفاصل فإن كان هناك حرارة أضيف إليه نحو اللفاح وهو ضار بالمحرورين ويصلحه نحو الهندبا وشربته إلى مثقالين وينبغى أن يكون بدله السورنجان ويطلق رجل الغراب على الإطريلال ويسمى رجل الزرزور والعقعق (التذكرة ١ / ١٦٦ ، ١٦٧) .

وجاء عنه فى معجم النباتات ما يلى :

رجل الغراب : نبت ويقال له أيضا رجل الزاغ أو هى حشيشة مذكورة فى التذكرة وغيرها من كتب الطب وهى التى تسمى بالبربرية أى لسان البربر الجيل المعروف إطريلال وهو كالشِّبتّ فى ساقه وجُمَّته وأصله أى شبيه . بالشبت وهو يعقد حبا كحب المقدونس تقريبا (معجم أسماء النباتات / ٦٢) .

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٦٦ ، ١٦٧ ، ومعجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٦٢) .

*** الرِّجْلَة:** Portualaca sativa

البقلة الحمقاء ، وهى بقلة سنوية عشبية لحمية لها بذور دقاق ، يؤكل ورقها مطبوخا ونيئا . الجمع . رِجَل (المعجم الوسيط ١ / ٣٣٢ ، والمعجم الوجيز / ٢٥٧) .

رجلة : ج رجل ضرب من الحمض وقوم يسمون البقلة الحمقاء الرجلة وإنما هى العرفج والصواب الفرفخ ومنه قولهم أحمق من رجلة يعنون هذه البقلة ولذلك لأنها تنبت على طرق الناس فتداس وفى المسايل فيقتلعها ماء السيل وفى العباب أصل الرجلة المسيل فسميت بها البقلة وقال الراغب : الرجلة البقلة الحمقاء لكونها نابتة فى موضع القدم قال الصغانى : والعامة تقول أحمق من رجلة أى بالإضافة (معجم أسماء النباتات / ٦٢) .

ومن بين مقامات السيوطى مقامة بعنوان «الرِّجلة» جاء فيها ما يلى :

الرجلة وما أدراك ما الرجلة فيها حديث ضعيف بلا نزاع ،

أن فيها شفاء من سبعين داء أدناه الصداع «وأنه ﷺ دعا لها بالبركة وحيث شاءت نبتت» .

وذلك حين داوى بها قرحة فى رجله فبرئت، فلذلك تسميها الأطباء البقلة المباركة واللينة والحمقاء أسماء متشاركة، باردة فى الثالثة رطبة فى الثانية، كثيرة المنافع فى الحاضرة والبادية، عظيمة البركات، تمنع المواد المخلبة والنزلات، لا سيما التى إلى المرارة والحرارة مائلات، مع أنها تغير هذه المواد وتحيل منها المزاج، وكم لها من أثر حسن فى العلاج، تقمع الصفراء جدا، وتبدل من الحرارة بردا، وتبرد تبريدا شديدا.

وهى من أنفع الأشياء كلها لمن يجد فى المعدة والكبد لهيبا وتوقيدا، أكلا لها، وشربا لمائها، ووضعا على فم المعدة، وما دون الشراسيف (هى أطراف أضلاع الصدر المشرفة على البطن) بإزائها وتشفى من الضرس العارض فى الأسنان، ومن قرحة الأمعاء وحرقتها إذا أكلها الإنسان.

ومن الفضول أن يصل إلى المعدة بالسيلان، ومن نفث الدم من الصدر والقيء والإسهال، ومن نزف النسوان، ومن الأوجاع والقروح فى الكلى والمثانة ومن حرقة البول والعطش فَجَلَّ البارى سبحانه.

وتنفع المحرورين وأصحاب الحميات الحادة ...

وضمادها ينفع من الصداع وأورام العين وغيرها . ومن الحمرة والتهاب المعدة والمثانة وحرق النار وضيرها، وعصارتها تنفع من الحميات والبواسير وحب القرع شربا، ومن بثور الرأس وصداعه غسلا وصبا.

وقد ينفع فى أدوية الرحم وفى أخلاط الأكحال، وإذا حقن به غير مغلى من انصباب المرة الصفراء إلى الأمعاء وأمسك ما حدث عنها من الإسهال.

وبزرها ينفع من القلاع والحر فى أفواه الأطفال.

ويشفى من الحصا ويدر البول ويسهل طبعا، وإذا قلى أمسك الطبيعة وقوى الأمعاء. وإذا دلك بالرجلة الثآليل قلعها بالخاصية قلعا، ومن وضعها فى فراشه لم ير حلما ولا مناما وضعا (الثآليل هى الخراريج)

وهى فى الجملة صالحة فى العلاج، فى كل حار من الأزمان والبلدان والمزاج، غير أنها تقطع شهوة الطعام، وتحدث فى البصر الإظلام.

وجاء فى هامش التحقيق ما يلى :

صفاتها : منعشة، ومذاقها فيه شيء من الملوحة، موطنها الأصلى آسيا الصغرى. استعمالها : تعتبر : أيضا من الخضار، وتطبخ بطرق مختلفة، ولكنها كتابل، تستعمل أوراقها الغضة الطازجة فقط ، بإضافتها إلى السلطات وأنواع الغذاء النيء. ومذاقها العطرى المالح يلائم استعماله فى صنع المقانق، . وتتبيل أغذية الحميات الطبية، كما يتلاءم أيضا مع القريشة، فتضاف أوراقها المفرية مع أعشاب أخرى لتتبيلها. والأوراق بعد (تحميصها) قليلا يمكن إضافتها كتابل إلى بعض أنواع الحساء . والرجلة تكافح الحموضة فى المعدة، ولا يمكن تجفيف أوراقها، ولكنه من الممكن حفظها فى الملح.

ملاحظات حول زرعها : العشبة تحتاج لمكان مشمس ومحمى من تيارات الهواء ، وتبذر بذورها منذ شهر أيار (مايو) حتى شهر أغسطس (آب)، على دفعات متتالية بفاصل أربعة أسابيع بينها، وذلك فى صفوف يبعد أحدها عن الآخر مسافة ٢٠ سم . ولا تغطى البذور بعد بذرها بالتراب، بل يضغط فوقها بلوح أو قطعة من الخشب فقط ، ومقدار نصف جرام من البذور يكفى لبذر ما مساحته متر مربع من الأرض، وتحتفظ البذور بقوة إنباتها لمدة سنتين. وعند ظهور الشتلات تفرد بنزعها، حتى لا تبقى إلا شتلة واحدة فى كل ٨ ــ ١٠ سم والشتلات المنتزعة يمكن استعمالها حالا فى المطبخ . ويبدأ بجنى الشتلات بعد ثلاثة أسابيع ، ويتوقف الجنى عندما تبدأ العشبة بالإزهار ، لأن أوراقها تصبح بعد ذلك مرة المذاق، والرجلة تتطلب الرى المستمر، وإذا قطعت أغصان العشبة فى الخريف يمكن أن تفرع ثانية فى الربيع المقبل. ولكن يفضل دائما زرعها سنويا من جديد . تسمى أيضا بقلة، وفرفحين (مقامات السيوطى / ٣٠ـ ٣٢)

(المعجم الوسيط ـ د. إبراهيم أنيس وزملائه ١ / ٣٣٢ ، والمعجم الوجيز / ٢٥٧ ، ومعجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٦٢ ، ومقامات السيوطى لإمام جلال الدين السيوطى ـ تحقيق د. عبد الغفار سليمان البندارى

ومحمد السعيد بن بسيونى زغلول / ٣٠ـ٣٢ انظر أيضا لسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٦٠١).

انظر مادة «البقلة الحمقاء» فى م ٧ / ٣١٨ ، ٣١٩).

*** الرّجم:**

قال الراغب الأصفهانى :

رجم: الرجام الحجارة، والرجم الرمى بالرجام. يقال رجم فهو مرجوم ، قال تعالى: **﴿لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين﴾** [الشعراء : ١١٦] أى المقتولين أقبح قتلة وقال: **﴿ ولولا رهطك لرجمناك﴾** [هود: ٩١] **﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم﴾** [الكهف : ٢٠] ويستعار الرجم للرمى بالظن والتوهم وللشتم والطرد نحو قوله تعالى: **﴿ رجما بالغيب ﴾**[الكهف : ٢٢] قال الشاعر:

**** وما هو عنها بالحديث المرجم****

وقوله تعالى: **﴿ لأرجمنك واهجرنى مليا﴾** أى لأقولن فيك ما تكره. والشيطان الرجيم المطرود عن الخيرات وعن منازل الملإ الأعلى. قال تعالى : **﴿ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾**[النحل: ٩٥] وقال تعالى : **﴿ فاخرج منها فإنك رجيم﴾** [الحجر : ٣٤] و [ص : ٧٧] وقال فى الشهب **﴿رجوما للشياطين﴾** [الملك : ٥] والرَّجمة والرُّجمة أحجار القبر ثم يعبر بها عن القبر وجمعها رِجَام ورُجَمٌ وقد رجمت القبر وضعت عليه رجاما. وفى الحديث «لا ترجموا قبرى »، والمراجمة المسابة الشديدة، استعارة كالمقاذفة (المفردات / ١٠٩).

وجاء فى اللسان :

الرجم: القتل ، وقد ورد فى القرآن الرجم القتل فى غير موضع من كتاب الله عز وجل، وإنما قيل للقتل رجم لأنهم كانوا إذا قتلوا رجلا رموه بالحجارة حتى يقتلوه ، ثم قيل لكل قتل رجم ، ومنه رجم الثيبين إذا زنيا. وأصله الرمى بالحجارة ابن سيده: الرجم الرمى بالحجارة. رجمه يرجمه رجما، فهو مرجوم ورجيم.

والرجم : اللعن ، ومنه الشيطان الرجيم أى المرجوم بالكواكب، صرف إلى فعيل من مفعول ؛ وقيل : رجيم ملعون مرجوم باللعنة مبعد مطرود، وهو قول أهل التفسير ؛ قال : ويكون الرجيم بمعنى المشتوم المسبوب من قوله تعالى: **﴿لئن لم تنته لأرجمنك﴾**[مريم : ٤٦] أى لأسبنك والرجم: الهجران ، والرجم: الطرد ، والرجم: الظن والرجم : السب والشتم . وقوله تعالى. حكاية عن قوم نوح . على نبينا وعليه الصلاة والسلام: **﴿ لتكونن من المرجومين﴾** [الشعراء: ١١٦] قيل : المعنى من المرجومين بالحجارة، وقد تراجموا وارتجموا، (عن ابن الأعرابى) وأنشد :

**** فهى ترامى بالحصى ارتجامها ****

والرجم: ما رجم به ، والجمع رُجُوم والرُّجم والرُّجوم ، النجوم التى يرمى بها. التهذيب: والرجم اسم لما يرجم به الشىء المرجوم، وجمعه رُجُوم قال الله تعالى فى الشهب : **﴿وجعلناها رجوما للشياطين﴾** [الملك : ٥] أى جعلناها مرامى لهم. وتراجموا بالحجارة أى تراموا بها. وفى حديث قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها. قال ابن الأثير: الرجوم جمع رجم، وهو مصدر سمى به، ويجوز أن يكون مصدرا لا جمعا، ومعنى كونها رجوما للشياطين أن الشهب التى تنقض فى الليل منفصلة من نار الكواكب ونورها، لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها، لأنها ثابته لا تزول، وماذاك إلا كقبس يؤخذ من نار، والنار ثابتة فى مكانها، وقيل : أراد بالرجوم الظنون التى تحزر وتظن ، ومنه قوله تعالى **﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم* ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ﴾** [الكهف: ٢٢] وما يعانيه المنجمون من الحدس والظن والحكم على اتصال النجوم وانفصالهما وإياهم عنى بالشياطين لأنهم شياطين الإنس، قال: وقد جاء فى بعض الأحاديث: من اقتبس بابا من علم النجوم لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر ، المنجم كاهن، والكاهن ساحر ، والساحر كافر، فجعل المنجم الذى يتعلم النجوم للحكم بها وعليها وينسب التأثيرات من الخير والشر إليها كافرا، نعوذ بالله من ذلك والرجم: القول بالظن والحدس، وفى الصحاح : أن يتكلم الرجل بالظن، ومنه قوله تعالى : **﴿ رجما بالغيب﴾**.

(اللسان ١٨ / ١٦٠١ ، ١٦٠٢).

والرجم حد الزنا بالنسبة للمحصن والمحصنة، وقد اتفق

الفقهـاء على وجـوب رجم المحصن الثيب إذا زنى حتى يموت، رجلا كان أو امرأة، واستدلوا بما يأتى :

ـ عن أبى هـريرة قـال : أتى رجل رسـول الله ﷺ وهـو فى المسجـد فنـاداه فقال : يـارسـول الله : إنى زنيت ، فأعـرض عنـه . ردد عليـه أربع مـرات . فلمـا شهـد على نفسـه أربع شهادات . دعاه النبى ﷺ فقال : أبك جنون؟ ... قال : لا ، قـال : فهل أحصنت؟ قـال : نعم، فقـال النبى ﷺ اذهبـو ا فارجموه».

قـال ابن شهـاب : فأخبرنى مـن سمع جابـر بن عبـد الله قـال : كنت فيمن رجمـه ، فرجمنـاه بـالمصلى . فلما أزلقتـه الحجارة هرب فأدركناه بالحرة فرجمناه .

متفق عليـه ، وهـو دليل على أن الإحصان يثبـت بالإقـرار مرة ، وأن الجواب بنعم إقرار.

٢ ـ وعن ابن عباس قال : خطب عمر فقال :

«إن الله تعـالى بعـث محمـدا ﷺ بـالحق ، وأنــزل عليـه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها ووعيناها ، ورجم رسـول الله ﷺ ورجمنا ، وإنى خشيت إن طـال زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم فى كتاب الله تعالى ، فيضلون بترك فريضة أنـزلها الله تعالى فالرجم حـق على من زنى من الرجال والنسـاء إذا كان محصنـا ، إذا قـامت البينة أو كـان حمل أو اعتراف ، وايم الله لولا أن يقول النـاس : زاد عمر فى كتاب الله تعالى لكتبتها .

رواه الشيخـان وأبـو داود والتـرمـذى والنسـائى مختصـرا ومطولا .

وفى نيل الأوطار:

أمـا الـرجم فهـو مجمع عليـه ، وحكى فى البحـر عن الخـوارج أنـه غيـر واجب وكـذلك حكـاه عنهـم أيضـا ابن العربى .

وحكاه أيضـا عن بعض المعتـزلة كـالنظام وأصحـابه ولا مستند لهم إلا أنه لم يذكر فى القرآن ، وهذا باطل .

فإنه قد ثبت بـالسنة المتواترة المجمع عليهـا وأيضا ثابت بنص القرآن لحديث عمر عند الجماعة أنه قال :

كـان مما أنـزل على رسـول الله ﷺ آية الـرجم ، فقـرأناهـا ووعيناها ، ورجم رسول الله ﷺ ، ورجمنا بعده .

ونسخ التلاوة لا يستلزم نسخ الحكم ، كمـا أخرج أبو داود من حديث ابن عباس (فقه السنة جـ٨ م ٢ / ٥٥٥ ـ ٥٥٧) .

قال ابن أبى زيد القيروانى فى منظومته :

ومـن زنــى مـن مُسلـم حُـــــر رجـم
للمـــوت والإحصـــان وطء مُحْتلـم

(الفتح الربانى ٣ / ١٨) .

وقال الشيخ العمريطى فى منظومته «غاية التقريب» :

فـــالمحصن الحـــر المكلَّفُ الـــذى
بـــاشـــر وطأ فى نكـــاح نـــافـــذ
والحـــدَّ رجـمُ محصـن من امـــرأه
أو رجـل وجلـــد غيـــره مـــائـه

(تحفة الحبيب / ٢٣١) .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى / ١٠٩ ، ولسان العرب لابـن منظور ١٨ / ١٦٠١ ، ١٦٠٢ ، وفقه السنـة ـ فضيلـة الشيخ السيد سـابق جـ٨ م ٢ / ٥٥٥ ـ ٥٥٧ ، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة ابن أبى زيد القيروانى ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى ٣ / ١٨ وتحفة الحبيب بشرح نظم غاية التقريب للشيخ العمـريطى ـ الإمام الشيخ أحمد بن الحجازى الفشنى / ٢٣١ . انظر أيضـا قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظـائر فى القرآن الكريم للإمام الدامغـانى ـ حققه ورتبه وأكمله وأصلحـه عبد العـزيز سيد الأهـل / ١٩٦ ، ١٩٧ ، ومنتخب قرة العيون النـواظر فى القـرآن الكريم لـلإمام ابـن الجوزى ـ تحقيـق ودراسة محمـد السيـد الصفطـاوى ، ود. فؤاد عـبد المنعـم أحـمد / ١٢٧ ، ١٢٨ .

*** الرجوع:**

هو أن يحكم بحكم يـرى أنه الواقع ثم يرجع عنـه إظهارا لقوة المعنى الذى يريد إفادته بالكلام من رضاء بأمر أو افتخار أو صفة عشق وشوق أو غير ذلك .

تقـول : فلان لا يحسن القـراءة والكتابـة بل هو أقـرأ من فـلان وأكتب من فـلان لا يبـارى فـى معارفـه وحســن صناعتـه .

ومن أصول شواهده قول زهير:

قف بـــالـــديـــار التى لم يعفهـــا القـــدم
بـل وغيـــرهـــا الإرواح والـــديـم

كأنه: قال: هل هى التى لم يعفها القدم بل، هى التى عفاها القدم وغيرها الإرواح والديم، ففى ذلك إطالة النفس فى شكوى تغير الاحوال الموجب للتأسف والتوجع (الوسيلة الأدبية ٢ / ١٨٠، ١٨١)

قال التهانوى:

هو من المحسنات المعنوية كقول زهير: شعر

قف بالديار التى لم يعفها القدم

بلى وغيرها الإرواح والديم

دل الكلام السابق على أن تطاول الزمان لم يعف الديار أى لم يغيرها ثم عاد إليه ونقضه بأنه قد غيرها الرياح والأمطار لنكتة هى إظهار الكآبة والحزن والحيرة حتى كأنه أخبر أولا بما لم يتحقق ثم رجع إليه عقله وأفاق بعض الإفاقة فتدارك كلامه قائلا * بلى عفاها القدم وغيرها الإرواح والديم * ومثله فأنى لهذا الدهر بل لأهله كذا فى المطول (كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٥٦٨)

(الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية لحسين المرصفى ـ حققه وقدم د. عبد العزيز الدسوقى ٢ / ١٨٠، ١٨١ وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٦٨).

*** رجوع الأمر إلى أهله:**

تقول: رجع الأمر إلى من يقوم به ورجع إلى أهله، وأعاده الله فى نصابه، وأقره الله فى قراره، ورده إلى معدنه، وطلعت الشمس من مطلعها. وفى الأمثال «أخذ القوس باريها، وعاد الرمى إلى النَزَعة، وهم الرُّماة.

(الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى الكاتب / ١٦٦).

*** الرجوع عن العدو:**

يقال: : أحجم الرجل عن عدوه، وعن الحرب، وحجم أيضا، ونكص ينكص نكوصا، وخام عنه، وزاغ عنه زياغة ونكل عنه ينكل نكولا، وعرَّد عنه تعريدا، وأقعى إقعاء، وتقعس، وتقاعس، وخنس، وجبأ عنه. قال:

«وما أنا من ريب الزمان بجُبَّاء.

ولا أنا من سيب الإله بآيس»

ويقال للأولياء: انحازوا عن العدو، وحاصوا، وجاضوا. «وللأعداء»: انهزموا، وولوا مدبرين، ومنحوا الأولياء أكتافهم، وولوا أدبارهم، وانكشف الأولياء، واستطردوا إذا حازوهم. وتقول: حمينا أدبارهم إذا انهزموا فحميتهم.

(الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى الكاتب / ٨٩، ٩٠)

*** الرجوع من السفر:**

يقال: رجع فلان من سفره ووجهه رجوعا، وآب أوبة وإيابا، وانكفأ، وكرَّ، كُرورا، وقفل قفولا، وعاد عودة وعودا، ويقال قفل الجند إلى منازلهم، وأقفلهم صاحبهم. «ولا يسمى السفر قافلة إلا إذا كانوا منصرفين إلى منازلهم». وعكر عكورا، وانصرف انصرافا، وانقلب انقلابا. ويقال: أناب القوم بعد انهزامهم، وثابوا، وعطفوا بعد مضيهم، وعكروا، وكرُّوا قال الأعشى:

فلما رأيت الناس للشر أقبلوا

وثابوا إلينا من فصيح وأعجم

ويقال: كانت لفلان رجعة إلى منزله، وعودة وقفلة. وأنا منتظر رجعة فلان، وأوبته، وكرته.

(الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى الكاتب / ٤٩، ٥٠)

*** الرجيع (سرية-)**

انظر: الرجيع (يوم ـ)

*** الرجيع (غزوة-):**

انظر: الرجيع (يوم ـ).

*** الرَّجيع (يوم-):**

الرجيع: بفتح الراء، وكسر الجيم، وآخره عين مهملة.

هو الموضع الذى غدرت فيه عضل والقارة بالسبعة نفر الذين بعثهم رسول الله، ﷺ معهم، منهم: عاصم بن ثابت حميُّ الدبْر وخبيب بن عدى ومرثد بن أبى مرثد الغنوى، وهو ماء لهذيل؛ وقال ابن إسحاق والواقدى: الرجيع ماء لهذيل قرب الهدأة بين مكة والطائف؛ وقد ذكره أبو ذؤيب فقال:

رأيت وأهلى بوادى الرجيـ

ـع من أرض قيلة برقا مليحا

وبه بئر معاوية وليس ببئر معونة، بالنون هذا غير ذلك، وذكر ابن إسحاق فى غزاة خيبر أنه علیه الصلاة والسلام،

حين خرج من المدنية إلى خيبر سلك على عِصْر فبنى له فيها مسجد ثم على الصهباء ثم أقبل حتى نزل بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر فعسكر به، وكان يروح لقتال خيبر منه، وخلف الثقل بالرجيع والنساء والجرحى، وهذا غير الأول لأن ذاك تقرب الطائف وخيبر من ناحية الشام خمسة أيام عن المدينة فيكون بين الرجيعين أكثر من خمسة عشر يوما.

(معجم البلدان ٣/ ٢٩).

والرجيع يعرف اليوم باسم «الوطية» يقع شمال مكة على قرابة سبعين كيلو، قبيل عسفان إلى اليمين، في طرف شامية ابن جمادى من الشمال، بسفح حرة بنى جابر الجنوبى (معجم المعالم الجغرافية/ ١٣٨).

وقد أدرجها صاحب تيسير الوصول تحت عنوان «غزوة الرجيع» وقال:

- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بعث النبى ﷺ سرية عينا وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت، وهو جد عاصم بن عمر ابن الخطاب فانطلقوا، . حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة، ذُكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان. فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا: هذا تمر يثرب. فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم. فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد، وجاء القوم فأحاطوا بهم. فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلا. ، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر. اللهم أخبر عنا رسولك. فقاتلوهم، فرموهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل. وبقى خبيب وزيد ورجل آخر. فأعطوهم العهد والميثاق. فنزلوا إليهم. فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. فقال: الرجل الثالث الذى معهما: هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم. فأبى أن يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحرث بن عامر بن نوفل. وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر. فمكث عندهم أسيرا حتى أجمعوا قتله. فاستعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها. فأعارته. قالت: فغفلت عن صبى لى فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه. فلما رأيته فزعت فزعة حتى عرف ذلك منى، وفى يده الموسى فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله. وكانت تقول: ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب ولقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق بالحديد، وما كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه. فقال: دعونى أصلى ركعتين. ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لزدت. فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو وقال: اللهم أحصهم عددا. ثم قال:

ما إن أبالى حين أُقتل مسلما
على أى شق كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزَّع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله. وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشىء من جسده بعد موته، وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر. فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر. فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شىء» أخرجه البخارى وأبو داود.

«الفدفد» الموضع الغليظ المرتفع. ومعنى «عالجوه» أى مارسوه، وأراد به أنهم خدعوه ليتبعهم فأبى «والاستحداد» حلق العانة. و«القطف» العنقود، وهو اسم لكل ما يقطف. و«الشلو» العضو من أعضاء الإنسان. و«الممزع» المفرق. و(الظلة) الشىء المظل من فوق. و«الدبر» جماعة النحل (تيسير الوصول ٣/ ١٨٣، ١٨٤).

وكان قد قدم على رسول الله ﷺ فى شهر صفر وهو آخر السنة الثالثة من الهجرة نفر من عضل والقارة وهم بنو الهون ابن خزيمة بن مدركة، فذكروا له أنهم قد أسلموا ورغبوا أن يبعث معهم نفرا من المسلمين يعلمونهم القرآن ويفقهونهم فى الدين.

فبعث رسول الله ﷺ معهم ستة رجال: مرثد بن أبى مرثد الغنوى، وخالد بن البكير الليثى، وعاصم بن ثابت بن أبى

الأقلح، وخبيب بن عدى وهما من بنى عمرو بن عوف، وزيد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر، وأمَّر عليهم مرثد بن أبى مرثد.

فنهضوا مع القوم حتى إذا صاروا بالرجيع وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز استصرخوا عليهم هذيلا، وغدروا بهم. فلم يرع القوم وهم فى رحالهم إلا الرجال قد غشوهم وبأيديهم السيوف فأخذ المسلمون سيوفهم ليقاتلوهم، فأمنوهم، وأخبروهم أنهم لا أرب لهم فى قتلهم وإنما يريدون أن يصيبوا بهم فداء من أهل مكة.

فأما مرثد بن أبى مرثد وعاصم بن ثابت وخالد بن البكير فأبوا أن يقبلوا منهم قولهم ذلك، وقالوا: والله لا قبلنا لمشرك عهدا أبدا، وقاتلوا حتى قتلوا، رحمة الله عليهم. وكان عاصم ابن ثابت قد قتل يوم أحد فتيين من بنى عبد الدار أخوين أمهما سلافة بنت سعد بن شهيد، فنذرت إن الله أمكنها من رأس عاصم لتشربن فى قحفه (القحف: ما انغلق من الجمجمة) الخمر. فرامت بنو هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة، فأرسل الله عز وجل دونه الدَّبر (الزنابير) فحمته، فقالوا إن الدَّبر سيذهب فى الليل، فإذا جاء الليل أخذناه. فلما جاء الليل أرسل الله عز وجل سيلا لم ير مثله، فحمله، ولم يصلوا إلى جثته ولا إلى رأسه. وكان قد نذر أن لا يمس مشركا أبدا. فأبر الله عز وجل قسمه، ولم يروه، ولا وصلوا إلى شيء منه، ولا عرفوا له مسقطا (الدرر / ١٥٩، ١٦٠).

فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول - حين بلغه أن الدَّبْر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركا أبدا فى حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه فى حياته.

وأما زيد بن الدَّثنَّة وخبيب بن عدى وعبد الله بن طارق، فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة فأعطوا بأيديهم، فأسروهم، ثم خرجوا إلى مكة، ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظهران (واد قريب من مكة) انتزع عبد الله بن طارق يده من القران (القيد) ثم أخذ سيفه، واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره، رحمه الله، بالظهران: وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة.

قال ابن هشام: فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة.

قال ابن إسحاق: فابتاع خبيبا حجير بن أبى إهاب التميمى حليف بنى نوفل، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه فقتله بأبيه.

قال ابن هشام: الحارث بن عامر، خال أبى إهاب، وأبو إهاب، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم؛ ويقال: أحد بنى عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم، من بنى تميم.

قال ابن إسحاق: وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، أمية بن خلف، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له، يقال له نسطاس، إلى التنعيم (موضع خارج مكة فى الحل) وأخرجوه من الحرام ليقتلوه واجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه، وأنك فى أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنى جالس فى أهلى. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت فى الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا: ثم قتله نسطاس، يرحمه الله.

وأما خبيب بن عدى، فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح، أنه حدث عن ماويَّة، مولاة حجير بن أبى إهاب، وكانت قد أسلمت، قالت: كان خبيب عندى، حبس فى بيتى، فلقد اطلعت عليه يوما، وإن فى يده لقطفا من عنب، مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم فى أرض الله عنبا يؤكل.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نجيح جميعا أنها قالت: قال لى حين حضره القتل: ابعثى إلى بحديدة أتطهر بها للقتل، قالت: فأعطيت غلاما من الحى الموسى؛ فقلت: ادخل بها على هذا الرجل البيت، قالت: فوالله ما هو إلا أن ولى الغلام بها إليه؛ فقلت: ما ذا صنعت؟ أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام، فيكون رجلا برجل، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال لعمرك، ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلى، ثم خلى سبيله.

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه قال لهم : إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيب بن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه، قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا، ثم قال : اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا . ثم قتلوه رحمه الله .

فكان معاوية بن أبى سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان، فلقد رأيته يلقينى إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دعى عليه، فاضطجع لجنبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحارث قال سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خبيبا ، لأنى كنت أصغر من ذلك ولكن أبا ميسرة، أخا بنى عبد الدار، أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق . وحدثنى بعض أصحابنا . قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى على بعض الشام . فكانت تصيبه غشية، وهو بين ظهرى القوم، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب، وقيل : إن الرجل مصاب، فسأله عمر فى قدمة قدمها عليه، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذى يصيبك؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بى من بأس ، ولكنى كنت فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غشى على، فزادته عند عمر خيرا .

قال ابن هشام : أقام خبيب فى أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم، ثم قتلوه .

ما نزل فى سرية الرجيع من القرآن :

قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية ، كما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السرية التى كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع ، قال رجال من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا لا هم قعدوا فى أهليهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذى أصابهم، فقال سبحانه : **﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا﴾** أى لما يظهر من الإسلام بلسانه، **﴿ ويشهد الله على ما فى قلبه﴾** وهو مخالف لما يقول بلسانه، **﴿ وهو ألد الخصام﴾** [البقرة : ٢٠٤] أى ذو جدال إذا كلمك وراجعك .

قال ابن هشام : الألد : الذى يشغب، فتشتد خصومته، وجمعه : لُد وفى كتاب الله عز وجل : **﴿ وتنذر به قوما لدا﴾** [مريم : ٩٧] .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : **﴿ وإذا تولى﴾** : أى خرج من عندك **﴿سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾** أى لا يحب عمله ولا يرضاه **﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد * ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد﴾** [البقرة : ٢٠٥ ـ ٢٠٧] أى قد شروا انفسهم من الله بالجهاد فى سبيله والقيام بحقه ، حتى هلكوا على ذلك، يعنى تلك السرية .

قال ابن هشام : يشرى نفسه : يبيع نفسه، وشروا : باعوا...

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل فى ذلك من الشعر، قول خبيب بن عدى، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه :

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له :

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وكلهم مبدى العداوة جاهدا ... علىَّ لأنى فى وثاق بمضيع

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقُربت من جذع طويل ممنع

إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى ... وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى

فذا العرش صبرنى على ما يراد بى ... فقد بضعوا لحمى وقد ياس مطمعى

وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع
وقد خيروني الكفر والموت دونه
وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت
ولكن حذاري جحم نار ملفع
فوالله ما أرجو إذا مت مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي
فلست بمبد للعدو تخشعا
ولا جزعا إني إلى الله مرجعي

وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا:

ما بال عينك لا ترقا مدامعها
سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيب فتى الفتيان قد علموا
لا فشل حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة
وجنة الخلد عند الحور في الرفق
ماذا تقولون إن قال النبي لكم
حين الملائكة الأبرار في الأفق
فيم قتلتم شهيد الله في رجل
طاغ قد اوعث في البلدان والرُّفق

وقال حسان أيضا يهجو هذيلا فيما صنعوا بخبيب بن عدي:

أبلغ بني عمرو بأن أخاهم
شراه امرؤ قد كان للغدر لازما
شراه زهير بن الأغر وجامع
وكانا جميعا يركبان المحارما
أجرتم فلما أن أجرتم غدرتم
وكنتم بأكناف الرجيع لهاذما
فليت خبيبا لم تخنه أمانة
ليت خبيبا كان بالقوم عالما

قال ابن هشام: زهير بن الأغر وجامع: الهذليان باعا خبيبا:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا وأصحابه:

صلى الإله على الذين تتابعوا
يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا
رأس السرية مرثد وأميرهم
وابن البكير إمامهم وخبيب
وابن لطارق وابن دثنة منهم
وافاه ثم حمامة المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم
كسب المعالي إنه لكسوب
منع المقادة أن ينالوا ظهره
حتى يجالد إنه لنجيب

قال ابن هشام: ويروى: حتى يجدل إنه لنجيب.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان (السيرة النبوية ٣/ ٩٤-١٠٠، ١٠٢، ١٠٣).

وروى ابن أبي شيبة من طريق جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عينا إلى قريش، قال فجئت إلى خشبة خبيب فحللته فوقع على الأرض وانتبذت غير بعيد، ثم التفت فلم أره كأنما ابتلعته الأرض.

وذكر أبو يوسف في كتاب اللطائف عن الضحاك أن النبي ﷺ، أرسل المقداد والزبير في إنزال خبيب عن خشبته فوصلا إلى التنعيم فوجدا حوله أربعين رجلا نشاوى فأنزلاه، فحمله الزبير على فرس وهو رطب لم يتغير منه شيء، فندر بهم المشركون فلما لحقوهم قذفه الزبير فابتلعته الأرض فسمي بليع الأرض. وذكر القيرواني في حلى العلى أن خبيبا لما قتل جعلوا وجهه إلى غير القبلة فوجدوه مستقبل القبلة فأداروه مرارا ثم عجزوا فتركوه (الإصابة ٢/ ١٠٤).

(معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/ ٢٩، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية - عاتق غيث البلادي/ ١٣٨، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيباني ٣/ ١٨٣، ١٨٤، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر - تحقيق د. شوقي ضيف/ ١٥٩، ١٦٠، والسيرة النبوية لابن هشام - قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣/ ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، والإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢/ ١٠٤. انظر أيضا: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة - إعداد وتصنيف محمد محمد شراب/ ١٢٥، وأيام العرب في الإسلام - محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوي/ ٤٨-٥٢).

* الرجيم:

انظر «الرجم».

*** الرّحاب:**

الـرَّحبـة ، والجمع رحــاب : مـا اتسع من الأرض ، وهى الساحة (اللسان ١٨ / ١٦٠٦) ويعدد المقريزى الرحاب التى كانت فى القاهرة فى زمانه فيقول :

الرحبـه بإسكان الحاء وفتحهـا الموضع الـواسع وجمعها رحاب اعلم أن الرحاب كثيرة لا تتغير إلا بأن يبنى فيها فتذهب ويبقى اسمهـا أو يبنى فيهـا ويـذهب اسمهـا ويجهل وربمـا انهدم بنيان وصار موضعه رحبة أو دارا أو مسجدا والغرض ذكر ما فيه فائدة .

رحبة بـاب العيد : هذه الرحبـة كان أولها من بـاب الريح أحد أبـواب القصر الـذى أدركنا هدمـه على يد الأميـر جمال الدين الاستـادار فى سنة إحدى عشـرة وثمانمائة و إلى خـزانة البنـود وكـانت رحبـة عظيمة فـى الطول والعـرض غـايـة فى الاتساع يقف فيهـا العساكر فـارسها وراجلها فى أيـام مواكب الأعيـاد ينتظـرون ركـوب الخليفـة وخـروجـه من بـاب العيـد ويذهبون فى خدمته لصلاة العيد بالمصلى خارج باب النصر ثم يعوون إلى أن يدخل من الباب المذكور إلى القصر ولم تزل هذه الرحبـة خالية من البناء إلى ما بعـد الستمائة من الهجرة فـاختط فيها النـاس وعمـروا فيهـا الدور والمسـاجـد وغيرهـا فصارت خطة كبيرة من أجلّ أخطـاط القاهرة وبقى اسم رحبة باب العيد باقيا عليها لاتعرف إلا به .

رحبة قصر الشـوك : هذه الرحبة كـانت قبلى القصر الكبير الشرقى فى غاية الاتساع كبيرة المقدار وموضعها من حيث دار الأميـر الحـاج آل ملك بجوار المشهـد الحسينى والمـدرسـة الملكية إلى بـاب قصر الشـوك عند خـزانة البنـود وبينها وبين رحبة باب العيـد خزانة البنود والسفينة وكـان السالك من باب الديلم الذى هو اليوم المشهـد الحسينى إلى خزانة البنود يمر فى هذه الـرحبة ويصير سور القصر علـى يساره والمناخ ودار فتكين على يمينه ولا يتصل بالقصر بنيـان ألبتة . ومازالت هذه الرحبة باقية إلى أن خرب القصر بفناء أهله فاختط الناس فيها شيئـا بعد شىء حتى لـم يبق منها سـوى قطعـة صغيرة تعـرف برحبة الأيدمرى .

رحبـة الجامع الأزهـر: هـذه الرحبـة كـانت أمام الجـامع الأزهر وكانت كبيرة جدا تبتدىء من خط اصطبل الطارمة إلى الموضع الـذى فيه مقعدو الإكفـانيين اليوم ومن بـاب الجامع البحرى إلى حيث الخرّاطين ليس بين هذه الرحبة ورحبة قصر الشـوك سوى اصطبل الطـارمـة فكـان الخلفاء حين يصلـون بالنـاس بالجامع الأزهر تتـرجل العساكر كلهـا وتقف فى هذه الرحبة حتى يـدخل الخليفة إلى الجامع ولم تزل هـذه الرحبة باقية إلى أثناء الدولة الأيوبية فشرع الناس فى العمارة بها إلى أن بقى منها قدام باب الجامع البحرى هذا القدر اليسير.

رحبة الحلـى : هذه الرحبـة الآن من خط الجامـع الأزهر ومن بقية رحبة الجـامع التى تقدم ذكرها عـرفت بالقاضى نجم الدين أبى العباس أحمد بن شمس الدين على بن نصر الله بن مظفر الحلى التاجر العادل لأنها تجاه داره .

رحبـة البانيـاسى : هذه الـرحبة بـدرب الأتراك تجـاه دار الأمير طيـدمر الجمـدار الناصرى وعـرفت بالأميـر نجم الدين محمـود بن موسى البـانيـاسى لأن داره كـانت فيها ومسجـده المعلق هناك ومات بعد سنة خمسمائة .

رحبة الأيـدمرى : هذه الرحبـة من جملة رحبة بـاب قصر الشوك وعرفت بالأيدمرى لان داره هناك .

والأيدمـرى : هذا مملـوك عز الـدين أيدمـر الحلى نائب السلطنة فى أيـام الملك الظاهـر بيبرس ترقـى فى الخدم حتى تأمّر فى أيام الملك الظاهر بيبرس وعلت منزلته فى أيام الملك المنصور قلاوون ومات سنة سبع وثمانين وستمائة ودفن بتربته فى القرافة بجوار الشافعى رضى الله عنه .

رحبة البدرى : هذه الرحبة يدخل إليها من رحبة الأيدمرى من بـاب قصر الشـوك ومنه جهـة المارستـان العتيق وهى من جملة القصـر الكبير عـرفت بالأمير بيـدمر البـدرى صاحب المدرسة البدرية فإن داره هناك .

رحبة ضـروط : هذه الرحبـة بجوار دار رأى ملك وهى من جملة رحبة قصـر الشوك عرفت بالأمير ضـروط الحاجب فإنه كان يسكن هناك .

رحبة أقبغا : هذه الرحبة هى الآن سوق الخيميين وهى من جملة رحبة الجـامع الأزهر التى مر ذكرها عرفت بـالأمير أقبغا عبـد الـواحـد أستادار الملـك الناصـر وصـاحب المـدرسة الأقبغاوية .

رحبة مقبل : هذه الرحبة كانت تعرف بخط بين المسجدين

لأن هناك مسجدين أحدهما يقابل الآخر ويسلك من هذه الرحبة إلى سويقة الباطلية وإلى زقاق تريده وعرفت أخيرا بالأمير زين الدين مقبل الرومى أمير جاندار الملك الظاهر برقوق.

رحبة ألدمر: هذه الرحبة فى الدرب أول سوق الفرايين مما يلى الأكفانيين عرفت بالأمير سيف الدين الدمر الناصرى المقتول بمكة.

رحبة قردية: هذه الرحبة بخط الاكفانيين تجاه دار الأمير قردية الجمار الناصرى وكانت هذه الدار تعرف قديما بالأمير سنجر الشكارى وله أيضا مسجد معلق يدخل من تحته إلى الرحبة المذكورة وهناك اليوم قاعة الذهب التى فيها الذهب الشريط لعمل المزركش.

رحبة المنصورى: قبالة دار المنصورى عرفت بالأمير قطلوبغا المنصورى.

رحبة المشهد: هذه الرحبة تجاه المشهد الحسينى كانت رحبة فيما بين باب الديلم أحد أبواب القصر الذى هو الآن المشهد الحسينى وبين اصطبل الطارمة.

رحبة أبى البقاء: هذه الرحبة من جملة رحبة باب العيد تجاه باب قاعة ابن كتيلة بخط السفينة عرفت بقاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن على بن تمام السبكى الشافعى ومولده فى سنة سبع وسبعمائة أحد العلماء الأكابر تقلد قضاء القضاة بديار مصر والشام.

رحبة الحجازية: هذه الرحبة تجاه المدرسة الحجازية وهى من جملة رحبة باب العيد عرفت برحبة الحجازية.

رحبة قصر بشتاك: هذه الرحبة تجاه قصر بشتاك وهى من جملة الفضاء الذى بين القصرين.

رحبة سلار: تجاه حمام البيسرى ودار الأمير سلار نائب السلطنة هى أيضا من جملة الفضاء الذى كان بين القصرين.

رحبة الفخرى: هذه الرحبة بخط الكافورى تجاه دار الأمير سيف الدين قطلوبغا الطويل الفخرى السلاح دار الأشرفى أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون.

رحبة الأكز: بخط الكافورى هذه الرحبة تجاه دار الأمير سيف الدين الأكز الناصرى الوزير وتعرف أيضا برحبة الأبوبكرى لأنها تجاه دار الأمير سيف الدين الأبوبكرى السلاح دار الناصرى وهى شارعة فى الطريق يسلك إليها من دار الأمير تنكز ويتوصل منها إلى دار الأمير مسعود وبقية الكافورى.

رحبة جعفر: هذه الرحبة تجاه حارة برجوان يشرف عليها شباك مسجد تزعم العوام أن فيه قبر جعفر الصادق وهو كذب مختلق وإفك مفترى ما اختلف أحد من أهل العلم بالحديث والآثار والتاريخ والسير أن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام مات قبل بناء القاهرة بدهر وذلك أنه مات سنة ثمان وأربعين ومائة والقاهرة بلا خلاف اختطت فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعد موت جعفر الصادق بنحو مائتى سنة وعشر سنين والذى أظنه أن هذا موضع قبر جعفر ابن أمير الجيوش بدر الجمالى المكنى بأبى محمد الملقب بالمظفر ولما ولى أخوه الأفضل ابن أمير الجيوش الوزارة من بعد أبيه جعل أخاه المظفر جعفرا يلى العلامة عنه ونعت بالأجل المظفر سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين أبى محمد جعفر ابن أمير الجيوش بدر الجمالى وتوفى ليلة الخميس لسبع خلون من جمادى الأولى سنة أربع عشرة وخمسمائة مقتولا يقال قتله خادمه جوهر بمباطنة من القائد أبى عبد الله محمد بن فاتك البطايحى ويقال بل كان يخرج فى الليل يشرب فجاء ليلة وهو سكران فمازحه دراب حارة برجوان وتراميا بالحجارة فوقعت ضربة فى جنبه آلت به إلى الموت والذى نقل أنه دفن بتربة أبيه أمير الجيوش فأما أن يكون دفن هنا أولا ثم نقل أو لم يدفن هنا ولكنه من جملة ما ينسب إليه فإن بجوار دار المظفر التى من جملتها دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى وماقاربها.

رحبة الأفيال: هذه الرحبة من جملة حارة برجوان يتوصل إليها من رأس الحارة ويسلك فى حدرة الزاهدى إليها وأدركتها ساحة كبيرة والمشيخة تسميها رحبة الأفيال وكذا يوجد فى مكاتيب الدور القديمة ويقال إن الفيلة فى أيام الخلفاء كانت تربط بهذه الرحبة أمام دار الضيافة ولم تزل خربة إلى ما بعد سنة سبعين وسبعمائة فعمر بها دويرات ووجد فيها بئر متسعة ذات وجهين تشبه أن تكون البئر التى كانت سواس الفيلة يستقون منها ثم طُمَّت هذه البئر بالتراب.

رحبة مازن: هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه باب دار مازن التى خربت وفيها المسجد المعروف بمسجد بنى الكويك .

رحبة أقوش: هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه قاعة الأمير جمال الدين أقوش الرومى السلاح دار الناصرى التى حل وقفها بهاء الدين محمد بن البرجى ثم بيعت من بعده ومات أقوش سنة خمس وسبعمائة .

رحبة برلغى : هذه الرحبة عند باب سر المدرسة القراسنقرية تجاه دار الأمير سيف الدين برلغى الصغير صهر الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهذه الرحبة من جملة خط دار الوزارة .

رحبة لؤلؤ: هذه الرحبة بحارة الديلم فى الدرب الذى بخط ابن الزلابى وهى تجاه دار الأمير بدر الدين لؤلؤ الزرد كاش الناصرى وهو من جملة من فر مع الأمير قراسنقر وأقوش الأفرم إلى ملك التتر بوسعيد .

رحبة كوكاى: هذه الرحبة بحارة زويلة عرفت بالأمير سيف الدين كوكاى السلاح دار الناصرى وفيها المدرسة القطبية الجديدة .

رحبة ابن أبى ذكرى: هذه الرحبة بحارة زويلة وهى التى فيها البئر السائلة بالقرب من المدرسة العاشورية عرفت بالأمير ابن أبى ذكرى وهى من الرحاب القديمة التى كانت أيام الخلفاء وبها الآن سوق حارة اليهود القرَّايين .

رحبة بيبرس: هذه الرحبة يتوصل إليها من سويقة المسعودى ومن حمام ابن عبود عرفت بالملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير فإن بصدرها داره التى كانت سكنه قبل أن يتقلد سلطنة ديار مصر وقد حل وقفها وبيعت .

رحبة بيبرس الحاجب: هذه الرحبة بخط حارة العدوية عند باب سر الصاغة عرفت بالأمير بيبرس الحاجب لأن داره بها وبيبرس هذا هو الذى ينسب إليه غيط الحاجب بجوار قنطرة الحاجب وبهذه الرحبة الآن فندق، الأمير الطواشى زمام الدور السلطانية زين الدين مقبل وبه صار الآن هذا الخط يعرف بخط فندق الزمان بعدما كنا نعرفه بخط رحبة بيبرس الحاجب .

رحبة الموفق: تعرف هذه الرحبة بحارة زويلة تجاه دار الصاحب الوزير موفق الدين أبى البقاء هبة الله بن إبراهيم المعروف بالموفق الكبير وهو بالقرب من خوخة الموفق المتوصل منها إلى الكافورى من حارة زويلة .

رحبة أبى تراب: هذه الرحبة فيما بين الخرنفش وحارة برجوان تشبه أن تكون من جملة الميدان أدركتها رحبة بها كيمان تراب وسبب نسبتها إلى أبى تراب أن هناك مسجدا من مساجد الخلفاء الفاطميين تزعم العامة ومن لا خلاق له أن به قبر أبى تراب النخشبى وهذا القول من أبطل الباطل وأقبح شىء فى الكذب فإن أبا تراب النخشبى هو أبو تراب عسكر ابن حصين النخشبى صحب حاتما الأصم وغيره وهو من مشايخ الرسالة ومات بالبادية نهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين قبل بناء القاهرة بنحو مائة وثلاث سنين وقد أخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين أبو الفداء إسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومى خال أبى رحمه الله قبل أن يختلط قال أخبرنى مؤدبى الذى قرأت عليه القرآن بأن هذا المكان كان كوما و إن شخصا حفر فيه ليبنى عليه دارا فظهرت له شرافات فما زال يتبع الحفر حتى ظهر هذا المسجد فقال الناس هذا أبو تراب من حينئذ ويؤيد ما قال إنى أدركت هذا المسجد محفوفا بالكيمان من جهاته وهو نازل فى الأرض ينزل إليه بنحو عشر درج وما برح كذلك إلى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة فنقلت الكيمان التراب التى كانت هناك حوله وعمر مكانها ما هنالك من دور وعمل عليها درب من بعد سنة تسعين وسبعمائة وزالت الرحبة والمسجد على حاله وأنا قرأت على بابه فى رخامة قد نقش عليها بالقلم الكوفى عدة أسطر تتضمن أن هذا قبر أبى تراب حيدرة بن المستنصر بالله أحد الخلفاء الفاطميين وتاريخ ذلك فيما أظن بعد الربعمائة ثم لما كان فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة سولت نفس بعض السفهاء من العامة له أن يتقرب بزعمه إلى الله تعالى بهدم هذا المسجد ويعيد بناءه فجبى من الناس مالا شحذه منهم وهدم المسجد وكان بناء حسنا وردمه بالتراب نحو سبعة أذرع حتى ساوى الأرض التى تسلك المارة منها وبناه هذا البناء الموجود الآن وبلغنى أن الرخامة التى كانت على الباب نصبوها على شكل قبر أحدثوه فى هذا المسجد وبالله أن الفتنة بهذا المكان وبالمكان الآخر من حارة برجوان الذى يعرف بجعفر الصادق لعظمية فإنهما صارا كالأنصاب التى كانت يتخذها مشركو العرب يلجأ إليهما سفهاء العامة

والنساء فى أوقات الشدائد وينزلون بهذين الموضعين كُرَبهم وشدائدهم التى لا ينزلها العبد إلا بالله ربه ويسئلون فى هذين الموضعين ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وحده من وفاء الدين من غير جهة معينة وطلب الولد ونحو ذلك ويحملون النذور من الزيت وغيره إليهما ظنا أن ذلك ينجيهم من المكاره ويجلب إليهم المنافع ولعمرى إن هى إلا كثرة خاسرة ولله الحمد على السلامة .

رحبة أرقطاى : هذه الرحبة بحارة الروم قدام دار الأمير الحاج أرقطاى نائب السلطنة بالديار المصرية .

رحبة ابن الضيف : هذه الرحبة بحارة الديلم وهى من الرحاب القديمة عرفت بالقاضى أمين الملك إسماعيل ابن أمين الدولة الحسن بن على بن نصر بن السيف وفى هذه الرحبة الدار المعروفة بأولاد الأمير طنبغا الطويل بجوار حكر الرصاصى وتعرف هذه الرحبة أيضا بحمدان البزاز وبابن المخزومى .

رحبة وزير بغداد : هذه الرحبة بدرب ملوخيا عرفت بالأمير الوزير نجم الدين محمود بن على بن شردين المعروف بوزير بغداد قدم إلى مصر يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة هو وحسام الدين حسن بن محمد بن محمد الغورى الحنفى فارين من العراق بعد قتل موسى ملك التتر فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بإقطاع إمرة تقدمة ألف مكان الأمير طازبغا عند وفاته فى ليلة السبت ثامن عشرى جمادى الأولى من السنة المذكورة فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاوون وقام فى الملك من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر بن محمد قلد الوزارة بالديار المصرية للأمير نجم الدين محمد وزير بغداد فى يوم الإثنين ثالث عشر المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وبنى له دار الوزارة بقلعة الجبل وأدركناها دار النيابة وعمل له فيها شباك يجلس فيه وكان هذا قد أبطله الملك الناصر محمد وخربت قاعة الصاحب فلم يزل إلى أن صرف فى أيام الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون عن الوزارة بالأمير ملكتمر السرجوانى فى مستهل رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، ثم أعيد فى آخر ذى الحجة بعد تمنع منه واشترط أن يكون جمال الكفاة ناظر الخاص بمعه صفة مشير فأجيب إلى ذلك فلما قبض على جمال الكفاة صرف وزير بغداد وولى بعده الوزارة الأمير سيف الدين أيتمش الناصرى فى يوم ن الأربعاء ثانى عشرى ربيع الآخر سنة خمس وأربعين بحكم استعفائه منها فباشرها أيتمش قليلا وسأل أن يعفى من المباشرة فأعفى ذلك لقلة المتحصل وكثرة المصروف فى الإنعام على الجوارى والخدام وحواشيهم وكانت الكلف فى كل سنة ثلاثين ألف ألف دينار والمتحصل خمسة عشر ألف ألف نحو النصف ومرتب السكر فى شهر رمضان كان ألف قنطار فبلغ ثلاثة آلاف قنطار.

رحبة الجامع الحاكمى : هذه الرحبة من غير قاهرة المعز التى وضعها جوهر وكانت من جملة الفضاء الذى كان بين باب النصر والمصلى فلما زاد أمير الجيوش بدر الجمالى فى مقدار السور صارت من داخل باب النصر الآن وكانت كبيرة فيما بين الحجر والجامع الحاكمى وفيما بين باب النصر القديم وباب النصر الموجود الآن ثم بنى فيها المدرسة القاصدية التى هى تجاه الجامع وما فى صفها إلى حمام الجاولى وبنى فيها الشيخ قطب الدين الهرماس دارا ملاصقة لجدار الجامع ثم هدمت وفى موضها الآن الرَّبْع والحوانيت سفله والقاعة الجارى ذلك فى أمسلاك ابن الحاجب وأدركت إنشاءها فيما بعد سنة ثلاثين وهذه الرحبة تؤخذ أجرتها لجهة وقف الجامع .

رحبة كتبغا : هذه الرحبة من جملة اصطبل الجميزة وهى الآن من خط الصيارف يسلك إليها من الجملون الكبير بسوق الشرابشيين ومن خُطّ طواحين الملحيين وغيره عرفت بالملك العادل زين كتبغا فإنها تجاه داره التى كان يسكنها وهو أمير قبل أن يستقر فى السلطنة وسكنها بنوه من بعده فعرفت به ثم حل وقفها فى زمننا وبيعت .

رحبة خوند : هذه الرحبة بآخر حارة زويلة فيما بينها وبين سويقة المسعودى يتوصل إليها من درب الصقالبة ومن سويقة المسعودى وهى من الرحاب القديمة كانت تعرف فى أيام الخلفاء برحبة ياقوت وهو الأمير ناصر الدولة ياقوت والى قوص أحد أجلاء الأمراء ولما قام طلائع بن رزيك بالوزارة فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة هم ناصر الدولة ياقوت بالقيام عليه فبلغ طلائع الملقب بالصالح بن رزيك ذلك فقبض عليه

وعلى أولاده واعتقلهم فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فلم يزل فى الاعتقال إلى أن مات فيه يوم السبت سابع عشر رجب سنة ثلاث وخمسين فأخرج الصالح أولاده من الاعتقال وأَمَّرهم وأحسن إليهم ثم عرفت هذه الرحبة من بعده بولده الأمير ربيع الإسلام محمد ابن ياقوت ثم عرفت فى الدولة الأيوبية برحبة ابن منقذ وهو الأمير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ ثم عرفت برحبة الفلك المسيرى وهو الوزير فلك الدين عبد الرحمن المسيرى وزير الملك العادل أبى بكر بن الملك العادل بن أيوب ثم عرفت الآن برحبة خوند وهى الست الجليلة أردوتكين ابنة نوغيه السلاح دار زوج الملك الأشرف خليل بن قلاوون وامرأة أخيه من بعده الملك الناصر محمد وهى صاحبة تربة الست خارج باب القرافة وكانت خيِّرة وماتت فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة .

رحبة قراسنقر: هذه الرحبة برأس حارة بهاء الدين تجاه دار الأمير قراسنقر وبها الآن حوض تشرب منه الدواب .

رحبة بيغرا بدرب ملوخيا عرفت بالأمير سيف الدين بيغر لأنها تجاه داره .

رحبة الفخرى: بدرب ملوخيا عرفت بالأمير منكلى بغا الفخرى صاحب التربة بظاهر باب النصر لأنها تجاه داره .

رحبة سنجر: هذه الرحبة بحارة الصالحية فى آخر درب المنصورى عرفت بالأمير سنجر الجمقدار علم الدين الناصرى لأنها تجاه داره ثم عرفت برحبة ابن طرغاى وهو الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير سيف الدين طرغاى الجاشنكير نائب طرابس .

رحبة ابن علكان هذه الرحبة بالجودرية فى الدرب المجاور للمدرسة الشريفية عرفت بالأمير شجاع الدين عثمان ابن علكان الكردى زوج ابنة الأمير يازكوج الأسدى وبابنه منها الأمير أبو عبد الله سيف الدين محمد بن عثمان وكان خيرا استشهد على غزة بيد الفرنج فى غرة شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستمائة وكانت داره ودار أبيه بهذه الرحبة ثم عرفت بعد ذلك برحبة الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الصالحى .

رحبة ادمر: بالجودرية هذه الرحبة بالدرب المذكور أعلاه عرفت بالأمير عز الدين ازدمر الأعمى الكاشف لأنها كانت أمام داره .

رحبة الأخناى : هذه الرحبة فيما بين دار الديباج والوزيرية بالقرب من خوخة أمير حسين عرفت بقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم ابن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر ابن عيسى بن بدران الأخناى المالكى لأنها تجاه داره وقد عمر عليها درب فى أعوام بضع وتسعين وسبعمائة .

رحبة باب اللوق: رحاب باب اللوق خمس رحاب يطلق عليها كلها الآن رحبة باب اللوق وبها تجتمع أصحاب الحلق وأرباب الملاعب والحرف كالمشعبذين والمخايلين والحواة والمتأفقين وغير ذلك فيحشر هنالك من الخلائق للفرجة ولعمل الفساد ما لا ينحصر كثرة وكان قبل ذلك فى حدود ما قبل الثمانين وسبعمائة من سنى الهجرة إنما تجتمع الناس لذلك فى الطريق الشارع المسلوك من جامع الطباخ بالخط المذكور إلى قنطرة قدادار .

رحبة التبن: هذه الرحبة قريبة من رحبة باب اللوق فى بحرى منشأة الجوانية شارعة فى الطريق العظمى المسلوك فيها من رحبة باب اللوق إلى قنطرة الدكة ويتوصل إليها السالك من عدة جهات وكانت هذه الرحبة قديما تقف بها الجمال بأحمال التبن لتباع هناك ثم اختطت وعمرت وصارت بها سويقة كبيرة عامرة بأصناف المأكولات والخط إنما يعرف برحبة التبن وقد خرب بعد سنة ست وثمانمائة .

رحبة الناصرية : هذه الرحبة كانت فيما بين الميدان السلطانى والبركة الناصرية أيام كانت تلك الخطة عامرة وكان يتفق فى ليالى أيام ركوب السلطان إلى الميدان فى كل سنة من الاجتماع والأنس ما سنقف على بعض وصفه عند ذكر المنتزهات إن شاء الله تعالى وقد خربت الأماكن التى كانت هناك وجهلت هذه الرحبة إلا عند القليل من الناس .

رحبة أرغون أزكة : والعامة تقول رحبة ازكى بياء وهى رحبة كبيرة بالقرب من البركة الناصرية وهذه الرحبة وما حولها من جملة بستان الزهرى وعرفت بالأمير أرغون أزكى .

(لسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٦٠٦ ، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢ / ٤٧ ـ ٥١) .

*** الرِّحاب (إقليم-):**

قال المقدسى عن إقليم الرحاب :

لما جلَّ هذا الإقليم وطاب، وكثرت فيه الثمار والأعناب، وكانت مدنه من أنزه البلاد كموقان وخِلاط وتبريز التى شاكلت العراق، ورخصت به الأسعار، واشتبكت فيه الأشجار، وجرت خلاله الأنهار، وحوت جباله الأعسال، وسهوله الأعمال، وبواديه الأغنام ، ولم نجد له اسما عاما يجمع كُوَره سميناه الرحاب .

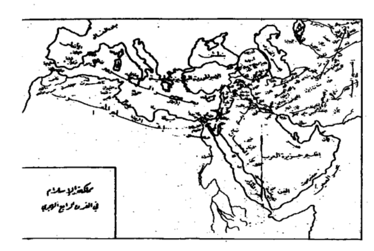
وهو إقليم للإسلام فيه جمال، وعلى المسلمين من الروم حصار، منه ترتفع الأصواف المعمولة، والتكك العجيبة، ديدانه قرمز (القرمز: دودة تظهر فى «دبيل» تصيدها النساء) وعن وصفه أعجز. ثمن الخروف درهمان ، والخبز بدانق لبنان، والفواكه بلا عدٍّ ولا ميزان، وهو مع هذا ثغر جليل، وإقليم نبيل. به كان أصحاب الرسِّ (انظر هذه المادة فى حرف الألف فى م ٥ / ١٦١ ، ١٦٢) تحت الحويرث والحارث. فيه من الطائف سهم، ومن الجنات شبه، وهو للإسلام فخر، وللغازين دار. به المتاجر المفيدة، والكور القديمة، والأنهار الغزيرة ، والقرى النفيسة، والخصائص العجيبة والثمار اللذيذة.

أهل جماعة وسنة، وفصاحة وهيبة، لهم المنُّ والقوة ، والزنبق والقسبوية، والبحر والبحيرات ، والباب والرباطات ، والدين والخيرات إلا أن كلا فى مذهبه غال ، ومع ذاك هم ثقال، وفى لسانهم تكلف ، وفيهم تصلف. والطرق إليها صعبة، وللنصارى بها غلبة. وهذا شكله وصورته.

وقد جعلنا هذا الإقليم ثلاث كور: أولها من قبل البحيرة الرَّان، ثم أرمينية، ثم آذربيجان.

فأما الران فإنها تكون نحو الثلث من الإقليم فى مثل جزيرة بين البحيرة ونهر الرسِّ، ونهر الملك يشقها طولا قصبتها برذعة. (انظر مدنها فى الجدول).

وأما أرمينية فإنها كورة جليلة، رسمها أرمينى ابن كنظر بن يافث بن نوح، ومنها ترتفع الستور والزلالى الرفيعة. كثيرة



الخصائص قصبتها دبيل (الزلالى : نوع من الأقمشة) (انظر مدنها فى الجدول) .

وأما آذربيجان فإنها كورة اختطها اذرباذ بن بيوراسف بن الأسود بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ قصبتها وهى مصر الإقليم أردبيل . بها جبل مساحته مائة وأربعون فرسخا، كله قرى ومزارع . يقال : إن به سبعين لسانا . كثرة خيرات أردبيل منه . أكثر بيوتهم تحت الأرض (انظر مدنها فى الجدول) (أحسن التقاسيم / ٢٨٧ ، ٢٨٨) .

ويبين الجدول التالى مدن هذه الكور الثلاث :

الكور	القصبة	المدن
الران	برذعة	تفليس، القلعة ، خنان ، شحكور، جنزة، برديج، الشماخية، شروان، باكوه، الشابران، باب الأبواب، الابخان، قبلة، شكر،
أرمينية	دبيل	ملازكرد، بلا. بدليس، خلاط أرجيش، بركرى، خوى بسلماس، أرمية، دخرقان، مراغة، أهر، مرند، سنجان،

آذربيجان أردبيل (مصر الإقليم)	قاليقلا، قندرية، قلعة يونس، نسورين، رسبة، تبريز، جابروان، خونج، الميانج، السراة، بروى، ورثان، موقان، ميمذ، برزند (المقدسى/ ٩٧، ٩٨).

جمل شؤون هذا الإقليم:

١ ـ المذاهب

هو إقليم بارد كثير الثلوج والأمطار، وفيه أدنى ثقل. وأهلُه أبرد وأثقل، كبار اللحى، وليس لسانهم بحسن وبأرمينية يتكلمون بالأرمينية، وبالران بالرانية، وفارسيتهم مفهومة، تقارب الخرسانية فى حروف.

ومذاهبهم مستقيمة، إلا أن أهل الحديث حنابلة، والغالب بدبيل مذهب أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ ويوجدون فى بعض المدن بلا غلبة.

وكنت يوما فى مجلس أبى عمرو الخُوَىّ يمسع الحديث فقال: هاتوا مسألة ـ وكان معى رفيق ـ فسألنا مسألة هبة المشاع، فتكلمنا فيها صدرا، ثم ضعفنا. فأخذ الكلام كهلٌ ثَمَّ، فجوده، فلما وقف الكلام قلت: لله درك؟ لقد بالغت، وأشرت إلى أن أختلف إليه، فقال: لست من أصحابكم قلت كيف هم لا يزيدون على ما أوردت، لأنها مسألة ضيقة علينا.

قال: هذا الذى أوردته من كلام الحاكم أبى نصر بن سهل، نظار خراسان، لأنى كثيرا ما ناظرته.

وأما علم الكلام فلا يقولون به. ولا يتشيعون وكان بدبيل خانقاه. وعندهم معرفة بعلم التصوف مع أدنى رزق.

٢ـ عجائب الإقليم.

ومن العجائب الباب. وهو حصن على ما ذكرنا من صور وعكا بسلسلة، قد بنى من الصخر، وجعل ملاطه الرصاص. بتفليس حمامات على ما ذكرنا فى طبرية بلا وقيد، جبل الحارث متعال على الإسلام لا يمكن أحدا صعوده. يقال انه مع الحويرث من جبال الطائف. وإنه كان على نهر الرس ألف مدينة هى الآن تحتهما.

بجامع أردبيل حجر كبير، لو ضربت عليه المرازب ما عملت فيه. وقع من السماء على مسافة من البلد، ثم حمل إلى الجامع، وسمعت ظريفا الخادم يقول: بينا نحن نسير بقرب أردبيل إذا بشيء ينزل من السماء كالدرقة (الدرقة: الترس) العظيمة، حتى وقع إلى الأرض، فإذا به حجر، فيجوز أن يكون هذا وهو على مثال مصقلة الصباغين دقيق الطرفين.

على مرحلة من موقان قلعة عظيمة، تسمى الحسرة، فوقها بيوت وقصور، فيها ذهب عظيم، صور طيور ووحوش قد احتال عدة من الملوك عليها، فلم يتمكنوا من صعودها.

وعلى ثلاثة فراسخ من دبيل دبر أبيض من حجر منقور مثل قلنسوة، فيه صورة مريم من داخل على ثمانية أعمدة، بينهن أبواب، من أى باب دخلت رأيت صورة مريم. وبالقرب منه صخرة سوداء عرقها دهن يستشفى به، وعندها يوجد القرمز، وهى دودة تظهر فى الأرض تخرج إليها النسوان ينقرنها بنحاسة معهن ثم يجعلنها فى فرن.

وفى رساتيق أردبيل يحرثون بثمانية ثيران وأربعة سوائق، لكل ثورين سائق، وسألتهم: أهذا لصلابة الأرض: قالوا: لا، ولكن من أجل الثلوج (أحسن التقاسيم/ ٢٩١ ـ٢٩٣).

(أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى ـ وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٣، والمقدسى ـ د. فلاح شاكر/ ٩٧، ٩٨).

*** رَحّال ورجال:**

يفرق الحافظ ابن سعيد الأزدى بين هذين الرجلين من رجال نقلة الحديث اللذين تشابه اسماهما فيقول:

رحال بن المنذر بالحاء ورحال بن سالم روى عنه فضيل ابن غزوان وأبو الرحال خالد بن محمد الأنصارى أبو الرحال عقبة بن عبيد الطائى أخو سعيد بن عبيد بن الهزيل رحال بن عنفوة ممن ارتد وصار مع مسيلمة، الرحال القريعى عمرو بن الرحال الحنفى كوفى عن العلاء بن المسيب روى عنه خلف ابن تميم رجال بالجيم أبو الرجال محمد بن عبد الرحمن وعبيد بن رجال عن يحيى بن بكير ومحمد بن إبراهيم بن أبى الرجال الصلحى أبو جعفر وابنه أبو عبد الله أحمد بن محمد

ابن إبراهيم بن أبى الرجال يحدث عن أبى أمية وأبى فروة وغيرهما.

(المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث للحافظ ابن سعيد الأزدى المصرى ـ اعتنى بطبعه وتصحيحه محمد محيى الدين الجعفرى الزينى / ٦١).

*** ابن رحال (ـ ١١٤٠ هـ / ـ ١٧٢٨ م):**

أورده الزركلى تحت اسم «التَّدلاوى» وقال عنه: الحسن ابن رحال بن أحمد التدلاوى، أبو على، من فقهاء المالكية، من أهل المغرب الأقصى. ولى قضاء فاس، ونحى عنه. ثم ولى فى آخر أمره قضاء مكناسة واستمر إلى أن توفى فيها. من كتبه. «شرح مختصر خليل» خمسة عشر جزءا، و«حاشية على شرح الخرشى» أربع مجلدات، و«حاشية على شرح الشيخ ميارة على التحفة» (الأعلام ٢ / ١٩٠).

وقد أورد له المعجم الشامل كتابا مطبوعا بيانه كما يلى:

كشف القناع عن تضمين الصناع:

ـ تحقيق محمد أبى الأجفان، تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، المطبعة القومية للنشر، ١٩٨٦ هـ.

١٥٣ ص، م ٦٦ ص + ٣ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٢٣ ص: ثبت المصادر والمراجع، الآيات الأحاديث، الأعلام الأماكن والمدن والبلدان، الكتب، الموضوعات (المعجم الشامل ٣ / ٤٣).

(الأعلام للزركلى ٢ / ١٩٠، والمعجم الشامل للكتاب العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٤٣).

*** الرحالة المسلمون:**

حب الرحلات طبيعة فى العرب وفطرة ورثوها عن جدودهم السابقين وقد اشتهر الكثير من الرحالة العرب الذين سجلوا كل مشاهداتهم مع جغرافية البلاد التى زاروها. وقد بدأوا برحلة الحج.. ثم استهواهم الترحال فجابوا بقاع العالم الإسلامى كله. ثم استهواهم نشر دعوة الإسلام فزاروا المجاهل التى لم يزرها أحد قبلهم.. وهناك غير رحالة البر رحالة بحريون عظام ذكرهم الإدريسى وابن ماجد فى كتبهم بأنهم «ليوث البحر» «والفتية الغر المغامرون» (العلوم الإسلامية ٢ / ٤٤).

وقد دعا الإسلام فيما دعا إليه ـ إلى الحركة والسير فى مناكب الأرض سعيا وراء الرزق، والعلم والدعوة إلى الخير والمحبة.. قال تعالى: **﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾** [الملك: ١٦] (أثر العلماء المسلمين / ١٨١).

وقول الرسول ﷺ: من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهَّل الله له طريقا إلى الجنة» رواه الترمذى عن أبى هريرة وقال حديث حسن (الجامع الصغير ٢ / ١٨٠).

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه.

سافر تجد عوَضا عمن تفارقه
وانصب فإن لذيذ العيش فى النَّصَبِ
إنى رأيت وقوف الماء يُفسده
إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة
لملَّها الناس من عجم ومن عرب

كان هذا ما حدا بالرحالة العرب، منذ فجر التاريخ الإسلامى، إلى العمل الدائب، على نشر لواء الإسلام وتعاليمه فى كل أرض وطئتها أقدامهم، بقصد التجارة والسعى وراء الرزق حينا، والرحلة والمشاهدة حينا آخر، ومع أن جهودهم كان تتسم بالفردية، إلا أنها مهدت طريق الدعاة، إلى الدعوة إلى سبيل الله، إلى دعوة الناس للدخول فى دين الله أفواجا.

وكانت الرحلة عنصرا قويا فى حياة المجتمع الإسلامى، فى عصوره الزاهرة، فقد رحل الناس لزيارة مهبط الوحى، ولقوا فى سبيل ذلك الكثير من صعوبات السفر التى تحملوها راضين مسرورين، ورحل الناس فى طلب العلم، إذ كان العلم منتشرة مراكزه فى أنحاء العالم الإسلامى، وطلابه كانوا يتحملون من المشاق فى سبيل الحصول عليه ما يحملنا على احترامهم وإجلالهم.

ورحل القوم فى سبيل الاتجار، إذ كانت الأسواق الإسلامية، فى مشارق الأرض ومغاربها، مرتبطة بعضها ببعض كل الارتباط، وكان التجار يحملون بضائعهم

وسلعهم، إلى حيث يرجون الربح الوفير، أضف إلى ذلك رحلة الرسل، المترددين بين الملوك والأمراء، كل هذه نماذج من الرحلة، عرفها العرب والمسلمون، وقد شجعهم على الاستزادة منها، خضوع العالم الإسلامي برقعته الواسعة، لدولة واحدة بادىء الأمر، فلما ذهبت الوحدة السياسية، بقيت وحدة الدين، ووحدة اللغة، وهاتان ربطتا الحجاج وطلاب العلم ورسل السلاطين وحملة البضائع، فاحتفظوا بالصلة. ولما توسع الإسلام، ودخل بلادا جديدة، وصار للمسلمين ملك واسع، هناك كثرت الرحلات التجارية بين أجزاء العالم الإسلامي، ولم يبتدئ الاهتمام بالرحلات لذاتها، وتدوينها، إلا في القرن الرابع الهجري (أثر العلماء المسلمين / ١٨١ ، ١٨٢).

وقد اقتضت أحوال البلاد الإسلامية أن تكثر الرحلات حين اتسعت رقعة الإسلام، وانشعبت سلطة الخلافة بين الملوك والأمراء، حتى استقل بعضهم بحكم ما ولى من البلاد، إذ كانت عناية الخلفاء حينئذ منصرفة إلى توثيق عرا المودة بين أولئك الأمراء، ليقووا على صد غارات من يناوئهم من الأعداء، وقمع ما يحدث من الفتن في داخل البلاد.

فجابوا البلاد لدراسة أحوالها ومعرفة سهلها ووعرها، وجبالها وأوديتها وطرقها البرية والبحرية، وما تنتجه أرضها من أنواع الغلات، حتى يجبى الخراج بنسبة ذلك. ونظموا البريد وقاسوا الأبعاد بين البلاد.

ومن أولئك الجوابين الذين ساحوا في القرن العاشر الميلادي ابن خرداذبة سنة ٩١٢ واليعقوبي وقدامة سنة ٩٢٢ والبلخي سنة ٩٣٤ ، وابن حوقل سنة ٩٨١ . وقد كتبوا فيما شاهدوه من أحوال البلاد التي زاروها كتبا قيمة.

وقد كانت الرحلات في أول أمرها رسمية لإيجاد الصلة والتعاون بين أمراء البلاد وحكامها. لهذا لم يتجاوز الجوابون حدود البلاد الإسلامية إلى غيرها، فكانوا في كل ما كتبوه لا يعدون وصف ما شاهدوه في بلاد المسلمين. وهذا ما جعل رحلاتهم ضيقة النطاق، ذات فائدة محدودة.

ولكن التجار من المسلمين وغير المسلمين اجتازوا حدود البلاد الإسلامية إلى ما تاخمها من الممالك الأجنبية، يطلبون ما فيها من عروض التجارة، وابتغاء للرزق بالضرب في الأرض، فجابوا أقطار الأرض شمالا إلى بلاد الفراء وطلبوا المعادن في الجنوب حتى مقاطعات النوبة، وفي الغرب وصلوا إلى جبل طارق. وفي الشرق إلى بلاد الحرير والعاج والأفاويه المختلفة.

وبالرحلات الرسمية والتجارية درست أحوال البلاد الإسلامية وما يجاورها من الممالك. ولكن التجار لم يكونوا ليتحروا الصدق فيما ينقلون من الأخبار، وما يشاهدون من أحوال الأمم التي خالطوها، فألبسوا جل حكاياتهم وأخبارهم ثوبا من الخيال، جعلها سائغة مقبولة، وإن بعدت من الحقيقة. وفيما ذكر في سفرات السندباد البحري، على ما فيها من الخيال، ما يدلنا على ما كان يقاسيه تجار ذلك العهد من مشاق السفر وويلاته.

وهناك عدا ما تقدم من الأسباب السياسية والتجارية سبب مهم يدعو إلى الرحلة وهو أداء فريضة الحج، فقد أتاحت هذه الأسفار لكثير من قصَّاد بيت الله الحرام أن يصفوا ما يشاهدون في طريقهم للحج. ومن هؤلاء ابن جبير الأندلسي، وابن سعيد المغربي (مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / م - ن).

ومن المقدمين في هذا الباب (المسعودي) صاحب كتاب (مروج الذهب) والمسعودي الذي عاش في القرن الرابع الهجرة، وقضى - ما يقارب من ربع قرن - يطوف العالم الإسلامي وما جاوره - مثل الهند - سجل مشاهداته في كتابه «مروج الذهب».

أما (البيروني) فقد ترك لنا كتابته : «الآثار الباقية عن القرون الخالية» و«تاريخ الهند» وظهر في القرن الرابع الرحالة المقدسي، وقد وضع قوانين الرحالين وقواعد السفر في كتابه : «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ومن الرحالين المشهورين ابن جبير الأندلسي، وابن سعيد المغربي وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان.

وقد دوَّن كثير من رحالي العرب أخبار أسفارهم وتنقلهم، فذكروا المدن التي هبطوها، والمسافات التي اجتازوها، والصعوبات التي تغلبوا عليها، ووصفوا البلاد وزرعها، وقيدوا مشاهداتهم عن صناعتها وتجارتها، وأتوا على وصف حياة

السكان ، فعرضوا للطيب من عاداتهم بالمديح، وعابوا ما فيه من ضعف .

وهذه النقدات التى نعثر عليها فى مذكرات السائح، هى التى نميزها عن الكاتب الجغرافى، فهذا يسأل ويستقصى ويحقق، ويحاول أن يشتمل كل جزء من المنطقة التى يعرض لدرسها، أما الرحالة ، فينقل ما يشاهد ، فتكون صورته جزئية .

وطلائع الرحالين «سليمان السيرافى » و «ابن فضلان» و«المسعودى» فالأول من أهل القرن التاسع الميلادى (الثالث الهجرى) أما الآخران، فمن رجالى القرن الرابع الهجرى.

كما حفل القرن الثانى عشر (السادس الهجرى) بعدد كبير من الرحالين العرب، الذين أفاد منهم التاريخ كثيرا، فيما دونوا ووضعوا، منهم: الإدريسى، وابن جبير والهراوى، وأسامة بن منقذ.

وكان أسامة بن منقذ أميرا فارسيا، من أهل الشرق العربى، وقد تنقل فى مصر وسورية وبغداد ، وقد أدخلناه فى عداد الرحالين، لأن كتابه «الاعتبار» نسيج وحدة فى الأدب العربى ، ومذكرات صاحبه تشمل صفحات مجيدة، فى تاريخ الفروسية، ولد أسامة بقلعة شيزر فى سنة ١٠٩٥م .

ويمثل القرن الثالث عشر (السابع الهجرى) ثلاثة من كبار الرحالين: عبد اللطيف البغدادى ، وابن سعيد الأندلسى، والعبدرى المغربى (أثر العلماء المسلمين / ١٨٣ ، ١٨٤).

كذلك كان ابن بطوطة فى القرون الوسطى، ويأتى الكلام على رحلته فيما بعد إن شاء الله تعالى:

أما الرحالة عبد الباسط بن خليل فقد ولد فى ملطية ـ المغرب عام ١٤٤٠م وشغف بدرس الفقه والأدب، وألف كتاب «الروض الباسم فى حوادث العصر والتراجم» وشغف بالرحالات من أجل العلم ، وخاصة الطب، وكان له الصفة التجارية وقد يسر لـه ذلك الاتصال التجارى، التعرف على أهل الطب والعلم، فأتاح لـه ذلك أن يوسع دائرة معارفه، ويوطد صداقاته مع فئات من جميع أنواع الناس، وساعده على ذلك، أنه لم يكن تاجرا فحسب، ولكنه عالما بالفقه والطب الحديث وشاعرا.

لم يدون عبد الباسط رحلته، على أنها وحدة، مثلما فعل ابن جبير، وابن بطوطة، أو سواهما، ولكنه ضمنها كتابه «الروض الباسم» فكان يدون أجزاءها، حيث تعرض فى كتابة التاريخ، وحرى بالذكر أن الروض الباسم، مصدر رئيسى للتاريخ المغربى، فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر (أثر العلماء المسلمين / ١٨٤ ، ١٨٥).

ومن يتتبع أعظم الرحالة المسلمين يجد أن جلَّهم من المغاربة أمثال: ابن جبير، وابن بطوطة، وابن سعيد، والعبدرى والتجانى.

وكان أداء فريضة الحج إلى بيت الله هى بداية رحلاتهم، كما أن بعضا منهم سعى إلى الدراسة على أيدى علماء الفقه فى بلدان المشرق الإسلامية (التراث الجغرافى الإسلامى / ١٤٧).

وأشهر أصحاب الرحلات المدونة من الأندلسيين والمغاربة كما أحصاهم الأستاذ محمد أبو الأجفان فى مقدمته المستفيضة لكتاب «رحلة القلصادى» هم كما يلى:

أشهر أصحاب الرحلات المدونة من الأندلسيين:

ـ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافرى المعروف بابن العربى الأشبيلى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ الذى رحل إلى المشرق مع أبيه سنة ٤٨٥ هـ ولقى أعلاما بالمهدية والإسكندرية وغيرهما، وصحب أبا حامد الغزالى وأخذ عنه، كما أخذ عن إسماعيل الطوسى، ودامت رحلته مدة طويلة وقد كان غرضه الأصلى من هذه الرحلة تلقى العلم والاتصال بالشيوخ، بينما كان غرض والده أداء فريضة الحج، وهو يبتدئ الرحلة فى سن الشباب، إذ لم يكن تجاوز السابعة عشرة من عمره حين ارتحل مع أبيه إلى المشرق .

ـ أبو عبد الله محمد الشريف الإدريسى من رجال القرن السادس الهجرى، وقد ولد فى سبتة وتعلم فى قرطبة، ثم بدأ رحلته فى كثير من بلدان شبه الجزيرة الأندلسية ثم إلى شواطئ فرنسا وغربى البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى وصقلية وبلاد المشرق. . وأصبح أكبر عالم جغرافى فى العصور الوسطى، ورسم خرائط جغرافية، ودون معلومات عن البلدان فى كتابه الشهير «نزهة المشتاق فى معرفة الآفاق» ورحلته من أنواع الرحلات الجغرافية (ترجمت أجزاء من هذا الكتاب إلى لغات أوربية).

ـ أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد الكنانى البلنسى الأندلسى الذى كان أديبا بارعا وشاعرا مجيدا، وقد انطلقت رحلته من غرناطة سنة ٥٧٨ هـ وزار المشرق الإسلامى ثم عاد إلى غرناطة سنة ٥٨١ هـ وتوفى سنة ٦١٤هـ .

وقد دون رحلته بعنوان «تذكرة بالأخبار من اتفاقات الأسفار» وجعلها أشبه بمذكرات يومية تسجل المشاهدات وتصف البلدان والمعالم. (طبعت عدة مرات أولها طبعة أروبية سنة ١٨٥٢ م وطبعت بليدن ط ثانية سنة ١٩٠٧ وقد صدرت بترجمة ابن جبير المنقولة من الإحاطة ومن نفح الطيب ذكر سركيس طبعاتها فى معجمه ع ٦٢).

وقد اعتبر الباحث «برنشفيك» أن فن الرحلات بالأندلس قد ازدهر على يد ابن جبير الذى كانت رحلته نقطة تطور جديدة، جعلت الرحلات غنية بالمعلومات الدقيقة والأحداث المعاشة.

ـ ابن سعيد الأندلسى المولود بغرناطة سنة ٦١٠ هـ وقد وصل فى رحلته إلى الاسكندرية سنة ٦٣٩ هـ وترك لنا وصفا نفيسا لمصر والفسطاط وأعطانا صورة حية لما كانت عليه الحالة يومئذ .

وكانت رحلته الثانية إلى المشرق سنة ٦٦٦ هـ وهو صاحب «المُغرب فى حلى المغرب».

ـ محمد بن أحمد بن جذى ت ٧٤١ هـ وقد ترجم شيوخه الكثيرين من أهل المشرق فى فهرسته الكبيرة.

ـ خالد بن عيسى بن أحمد بن أبى خالد البلوى، أبو البقاء، من أهل قنتورية، القاضى ببعض البلاد الشرقية من الأندلس ـ وقد كانت رحلته الحجازية سنة ٧٣٧ هـ وأخذ فيها عن أعلام عصره بعد أن درس بغرناطة وسمى رحلته «تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق» وقد تضمنت شيوخه بمختلف المراكز التى زارها، وما أخذ عنهم وروى عنهم من أشعار، ووصف الأماكن التى زارها.

ـ لسان الدين بن الخطيب الذى لم تتجاوز رحلته حدود البلاد الأندلسية والمغربية، وقد صاحب فى رحلته الأندلسية السلطان يوسف بن الحجاج. وزار وادى آش وبسطة والحامة وقنالش وبرشانة والمرية ومرشانة ولورسانة، وغيرها، وذلك سنة ٧٤٨ هـ ودون هذه الرحلة بعنوان «خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف»

كما ألف فى رحلته المغربية كتابه «نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب». وقد لاحظ ابن سودة أن هذه الرحلة من أفيد تواريخ المغرب فى عصر ابن الخطيب.

ـ أبو الحسن على القلصادى الذى كانت له رحلة حجازية ابتدأت سنة ٨٤٠هـ واستمرت إلى سنة ٨٥٥ هـ.

وإذا انتقلنا من الأندلس إلى بلاد المغرب نجد فن الرحلات مزدهرا أكثر. وقد علل الحسن السائح ذلك بـ «ما فطر عليه المغربى من جدية فى الاستقصاء وصبر على الترحال» وربما توفر للمغاربة من «الاستقرار والأمن وبناء الربط والمنازل للاستراحة» (تاج المفرق: المقدمة ١ / ٨١).

وقد استقبلت مراكز العلم بالبلاد الأندلسية الكثير من المغاربة الذين لم يدونوا كلهم رحلاتهم؛ نذكر منهم:

ـ أبا الفضل القاضى عياض بن موسى بن عياض ت ٥٤٤ هـ، الذى عنى فى رحلته بلقاء الشيوخ، وتم له فيها (بناء الجهاز النقدى وتكاملت له أصول التفكير على أساس من المقارنة والاختيار) كما يعبر محمد بن تاويت الطنجى.

ـ أبا العباس العزفى الذى دخل غرناطة سنة ٧٠٥ هـ فلقى بها كل تجلة وإكرام وبقى بها إلى أن توفى عام ٧٠٧ هـ.

ـ أبا الحسن على بن عبد الحق الزرويلى ت ٧١٩ هـ الذى دخل الأندلس سفيرا فتهافت الأكابر للأخذ عنه، وطلب منه التدريس فى غرناطة ففعل وبهت الناس من حفظه.

وقد كانت مدن الأندلس والمغرب تستقبل بعض الرحالين من المشرق، ولكن رحلة الأندلسيين والمغاربة إلى المشرق كانت على وجه العموم أكثر من رحلة المشارقة إلى المغرب.

وقد كان من أشهر الرحالين المغاربة:

ـ أبو عبد الله محمد العبدرى الحيحى.

ـ ابن بطوطة الذى سمى شيخ الرحالين ودامت رحلته حوالى ثمانية وعشرين عاما.

ـ ابن رشيد الفهرى ت بفاس عام ٧٢١ هـ ورحلته تحمل هذا العنوان «ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة».

وقام بتحقيقها الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة مفتى الجمهورية بتونس.

ويقول الشيخ عبد الحى الكتانى: إنها تقع فى ست مجلدات موجود أغلبها فى الإسكوريال «مقال الكتانى المذكور ص ٢٩٣ من كتاب دليل الحج».

ـ أبو القاسم التجيبى السبتى الذى حقق ما وجد من رحلته عبد الحفيظ منصور ونشر بتونس عن الدار العربية للكتاب.

وقد خصص. ابن سودة القسم السابع من كتابه «دليل مؤرخ المغرب» للرحلات المغربية والتى قام بها مغاربة (ص ٣٧٣ـ٤١٣).

ولأبى عبد الله المقرى رحلة مسوقة فى «أزهار الرياض» لحفيده أحمد، كما ذكر الكتانى فى كتاب (دليل الحج / ٢٩٤).

ومن التونسيين اشتهر أبو محمد عبد الله التجانى الذى رحل إلى مدن من البلاد التونسية والقطر الليبى ابتداء من سنة ٧٠٦ هـ وقد طبعت رحلته بتونس سنة ١٩٥٨.

وقد اعتمدها الوزير الإسحاقى فى رحلته من المغرب إلى ليبيا مع الركب الأميرى، وهذه الرحلة الأخيرة هى التى حقق منها الدكتور عبد الهادى التازى القسم المتعلق بليبيا ونشره المعهد الجامعى للبحث العلمى بالرباط.

ولأبى عبد الله محمد خروف التونسى إمام العلوم العقلية رحلة يذكرها الشيخ الكتانى عندما يعدد رحلات القدامى، ويذكر أنه رأى بعض كراريسها الخطية (مقاله المذكور ضمن كتاب دليل الحج / ٢٩٤).

(رحلة القلصادى / ٦٠ـ٦٥).

(العلوم الإسلامية ـ د. أحمد شوقى الفنجرى ٢ / ٤٤، وأثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوربية ـ أحمد على الملا / ١٨١ ـ ١٨٥، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ١٨٠، ومهذب رحلة ابن بطوطة ـ وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / م ـ ن، والتراث الجغرافى الإسلامى ـ تصنيف د. محمد محمود محمدين / ١٤٧، ورحلة القلصادى لأبى الحسن على القلصادى الأندلسى ـ دراسة وتحقيق محمد أبى الأجفان / ٦٠ ـ ٦٥ انظر أيضا «رواد فى الجغرافيا بوازع من الدين» المهندس محمد عبد القادر الفقى. الوعى الإسلامى العدد ٢٩٢ ـ ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ نوفمبر ١٩٨٨ / ٧٣، ٨٤).

*** الرَّحبة:**

قال ياقوت: الأصل فى الرحبة الفضاء بين أفنية البيوت أو القوم والمسجد، ويقال رَحَبَة أيضا، وقيل: رَحَبَة اسم ورَحْبة نعت: وبلاد رَحْبة: واسعة، ولا يقال رحَبَة، بالتحريك؛ وقال ابن الأعرابى: الرحْبة ما اتسع من الأرض، وجمعها رَحْب، وهذا يجىء نادرا فى باب الناقص وأما السالم فما سمعت فَعْلَة جمعت على فَعْل وابن الأعرابى ثقة لا يقول إلا ما سمعه، قال ذلك أبو منصور رحمه الله.

(معجم البلدان ٣ / ٣٣).

انظر مادة «الرِّحاب»

*** رَحْبة دمشق:**

قال ياقوت:

رحبة دمشق: قرية من قراها. قال الحافظ أبو القاسم الدمشقى: محمد بن يزيد أبو بكر الرحبى من أهل دمشق،.

والرحبة: قرية من قرى دمشق فخربت، وروى عن أبى إدريس وأبى الأشعث الصنعانى وعروة بن رويم ومغيث بن سمى وأبى خنيس الأسدى وعمر بن ربيعة وسعد بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان والهيثم بن حميد ومحمد بن المهاجر وإسماعيل بن عياش وعبد الرحمن بن سليمان بن أبى الجون مولى رسول الله ﷺ: وأيوب بن حيان، وعمرو بن مرثد ويقال عمرو بن أسماء أبو أسماء الرحبى من أهل دمشق، روى عن ثوبان وأبى هريرة ومعاوية بن أبى سفيان وشداد بن أوس وأوس بن أوس الثقفى وأبى ثعلبة الخشنى وعمر البكالى، روى عنه أبو قلابة الجرمى وأبو الأشعث الصنعانى وأبو سلام الأسود وربيعة بن يزيد، قال أبو سليمان بن زَبْر: أبو أسماء الرحبى من رحبة دمشق قرية بينها وبين دمشق يوم، رأيتها عامرة.

(معجم البلدان ٣ / ٣٣، ٣٤)

انظر ما جاء عن رحاب القاهرة فى مادة «الرحاب».

***رحبة صنعاء:**

قال ياقوت:

رحبة صنعاء: سميت باسم صاحبها الرحبة بن الغوث بن سعد بن عوف بن حمير، وقال الكلبي: رحبة بن زرعة بن سبإ الأصغر، وجعلها رسول الله ﷺ، للحاملة والعاملة ثم للشاء، وقد روى أنه نهى عن عضد عضاهها، وكان قدماء المسلمين يتوقون ذلك ثم انهمك الناس في قطعها، وهي على ستة أيام من صنعاء، وهي أودية تنبت الطلح وفيها بساتين وقرى، ذكرها في حديث العنسي.

(معجم البلدان ٣ / ٣٤).

*** رحبة عابدين (جامع -):**

قال عنه علي مبارك كما كان في زمانه:

هذا الجامع بداخل رحبة عابدين قرب قنطرة الذي كفر، جدده الأمير عبد الرحمن كتخدا وهو مقام الشعائر، وبه ضريح يقال له ضريح الأربعين، وضريح يعرف بضريح الشيخ رمضان عليه مقصورة من الخشب، وبجواره تكية تابعة له ومكتب، وصهريج به مزملة من الرخام عليها شباك من النحاس الأصفر، وعلى باب التكية أبيات منها:

رباط خير جزيل العفو أرخه

١١٧٥

قد جاء بشرى من الرحمن للعبد

١٠٤   ٤   ٥١٢   ٩٠   ٣٢٩   ١٣٦

يعني سنة ألف ومائة وخمس وسبعين، وهذا تاريخ عمارة عبد الرحمن كتخدا فإنه من أهل القرن الثاني عشر، ولهذا الجامع أوقاف تحت نظر ديوان عموم الأحباس.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلي باشا مبارك - إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤ / ٢٣٧).

قالت المؤلفة: هذه الطريقة في تأريخ تأسيس الجامع جاء شرحها في مادة «أبجد» في م ٢ / ٨٥ ــ ٨٨، وفي مادة «حساب الجُمَّل» في ١٣ / ٥٤٩ ـ ٥٥٤ فارجع إلى كل منهما في موضعه.

***رحبة مالك بن طَوْق:**

قال ياقوت:

رحبة مالك بن طَوْق: بينها وبين دمشق ثمانية أيام ومن حلب خمسة أيام وإلى بغداد مائة فرسخ وإلى الرقة نيف وعشرون فرسخا، وهي بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات أسفل من قرقيسيا، قال البلاذري: لم يكن لها أثر قديم إنما أحدثها مالك بن طوق بن عَتَّاب التغلبي في خلافة المأمون؛ قال صاحب الزيج: طولها ستون درجة وربع، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة، قد ذكر من لغة هذه اللفظة في الترجمة قبله ويزيد ههنا؛ قال النضر بن شميل: الرحاب في الأودية، الواحدة رحبة، وهي مواضع متواطئة ليستنقع الماء فيها وما حولها مشرف عليها، وهي أسرع الأرض نباتا، تكون عند منتهى الوادي في وسطه وتكون في المكان المشرف ليستنقع الماء فيها، وإذا كانت في الأرض المستوية نزلها الناس وإذا كانت في بطن المسيل لم ينزلها الناس وإذا كانت في بطن الوادي فهي أقنة أي حفرة تمسك الماء ليست بالقعيرة جدا وسعتُها قدر غلوة، والناس ينزلون في ناحية منها، ولا تكون الرحاب في الرمل وتكون في بطون الأرض وظواهرها، وقد نسبت إلى مالك بن طوق كما ترى. وفي التوراة في السفر الأول في الجزء الثاني: إن الرحبة بناها نمرود بن كوش، حدث أبو شجاع عمر بن أبي الحسن محمد بن أبي محمد عبد الله البسطامي فيما أنبأنا عنه شيخنا أبو المظفر عبد الرحيم بن أبي سعد عبد الكريم بن أبي بكر محمد بن منصور السمعاني المروزي بإسناد له طويل أوصله إلى علي بن سعد الكاتب الرحبي رحبة مالك بن طوق قال: سألت أبي لم سميت هذه المدينة رحبة مالك بن طوق ومن كان هذا الرجل فقال: يا بني اعلم أن هارون الرشيد كان قد اجتاز في الفرات في حرَّاقة حتى بلغ الشذا ومعه ندماء له أحدهم يقال له مالك ابن طوق، فلما قرب من الدواليب قال مالك بن طوق: يا أمير المؤمنين لو خرجت إلى الشط إلى أن تجوز هذه البقعة، فقال له هارون الرشيد: أحسبك تخاف هذه الدواليب، فقال مالك: يكفي الله أمير المؤمنين كل محذور ولكن إن رأى أمير المؤمنين ذلك رأيا وإلا فالأمر له، فقال الرشيد: قد تطيرت بقولك، وقدم السفينة وصعد الشط، فلما بلغت الحراقة موضع الدواليب دارت دورة ثم انقلبت بكل ما فيها، فعجب من ذلك هارون الرشيد وسجد لله شكرا وأمر بإخراج مال عظيم يفرق على الفقراء في جميع المواضع وقال لمالك وجبت لك عليَّ حاجة فسل، فقال: يقطعني أمير المؤمنين في هذا الموضع أرضا أبنيها مدينة تنسب إليَّ، فقال الرشيد:

قد فعلت، وأمر أنه يعان في بنائها بالمال والرجال، فلما عمرها واستوسقت له أموره فيها وتحوّل الناس إليها أنفذ إليه الرشيد يطلب منه مالا فتعلل عليه بعلة ودافعه عن حمل المال ثم ثنى الرسول إليه وكذلك راسله ثالثا وبلغ هارون الرشيد أنه قد عصى عليه وتحصن فأنفذ إليه الجيوش إلى أن طالت بينهما المحارب والوقائع ثم ظفر به صاحب الرشيد فحمله مكبلا بالحديد فمكث في حبس الرشيد عشرة أيام لم يُسمع منه كلمة واحدة وكان إذا أراد شيئا أومأ برأسه ويده، فلما مضت له عشرة أيام جلس الرشيد للناس وأمر بإخراجه فأخرج من الحبس إلى مجلس أمير المؤمنين والوزراء والحجاب والأمراء بين يدى الرشيد؛ فلما مَثَل بين يديه قبَّل الأرض ثم قام قائما لا يتكلم ولا يقول شيئا ساعة تامة، قال: فدعا الرشيد النطع والسيف وأمر بضرب عنقه، فقال له يحيى: ويلك يا مالك لم لا تتكلم؟ فالتفت إلى الرشيد فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته! والحمد لله الذى خلق الإنسان من سلالة من طين يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولَمَّ بك شعث المسلمين وأخمد بك شهاب الباطل وأوضح بك سُبل الحق! إن الذنوب تخرس الألسنة وتصدع الأفئدة، وايم الله لقد عظمت الجريرة فانقطعت الحجة فلم يبق إلا عفوك أو انتقامك. ثم أنشأ يقول:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظنى من حيث ما أتلفَّتُ
وأكثر ظنى أنك اليوم قاتلى
وأى امرىء مما قضى الله يفلت
وأى امرىء يدلى بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت؟
يعز على الأوس بن تغلب موقف
يهز على السيف فيه وأسكت
وما بى خوف أن أموت وإننى
لأعلم أن الموت شىء موقَّت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم
وأكبادهم من خشية تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى إليهم
وقد خمَّشوا تلك الوجوه وصوَّتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة
أذود الردى عنهم، وإن متُّ موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره،
وآخر جذلان يسر ويشمت

قال: فبكى الرشيد بكاء تبسم ثم قال: لقد سكت على همة وتكلمت على علم وحكمة وقد وهبناك للصبية فارجع إلى مالك ولا تعاود فعالك، فقال سمعا لأمير المؤمنين وطاعة! ثم انصرف من عنده بالخِلع والجوائز.

وقد نسب إلى رحبة مالك جماعة، منهم: أبو على الحسن بن قيس الرحبى، روى عن عكرمة وعطاء، روى عنه سليمان التيمى، ومن المتأخرين أبو عبد الله محمد بن على ابن محمد بن أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الحسن الرحبى الفقيه الشافعي المعروف بابن المتفننة، تفقه على أبى منصور بن الرزاز البغدادى ودرس ببلده وصنف كتبا ومات بالرحبة سنة ٥٧٧ وقد بلغ ثمانين سنة. قالت المؤلفة: هو صاحب الأرجوزة المسماة «بغية الباحث» المشهورة بالرحبية فى الفرائض ا هـ. وابنه أبو الثناء محمود، كان قد ورد الموصل وتولى بها نيابة القضاء عن القاضى أبى منصور المظفر بن عبد القاهر بن الحسن بن على بن القاسم الشهرزورى وبقى مدة ثم صرف عنها وعاد إلى الرحبة، وكان فقيها عالما؛ وكان أسد الدين شيركوه ولَّى الرحبة يوسفَ بن الملاح الحلبى وآخر معه من بعض القرى فكتب إليه يحيى ابن النقاش الرحبى:

كما لك فى الرحبة من لائم
يا أسد الدين ومن لاح
دمرتها من حيث دبرتها
برأى فلاح وملاح

وله فيه:

يا أسد الدين اغتنم أجرنا
وخلص الرحبة من يوسف
تغزو إلى الكفر وتغزو به
الإسلام ما ذاك بهذا يفى

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٣ / ٣٤-٣٦).

*** الرّخبى (عبد العزيز) (-بعد ١١٨٤ هـ / -بعد ١٧٧٠ م):**

عبد العزيز بن محمد الرحبى البغدادى، فقيه حنفى، له علم بالهندسة، صنف «البرهان المحرر لمعرفة مسافة الحوض المربع والمدوَّر» و «فقه الملوك ومفتاح الرتاج الموصد على خزانة كتاب الخراج» مخطوط بخطه، فى أوقاف بغداد (٤١٣٤-٤١٤٤) جزءان فى مجلد، آخره: اتفق الفراغ من نقله إلى البياض سنة ١١٨٤ (الأعلام ٤ / ٢٧).

وقد طبع كتاب «فقه الملوك» وجاء بيان طبعته فى المعجم الشامل كما يأتى:

- فقه الملوك ومفتاح الرتاج الموصد على خزانة كتاب الخراج:

- تحقيق أحمد عبيد الكبيسى، بغداد: رئاسة ديوان الأوقاف ١٩٧٣ م.

ج ١: ٧٢٣ ص، م ٢٨ ص + ٦ نماذج مصورة من المخطوط.

ج٢: ٦٥٣ ص، ف ١١١ ص: الآيات، الأحاديث، شيوخ المؤلف، الأعلام التاريخية، الأعلام الجغرافية، مصادر التحقيق، الموضوعات (المعجم الشامل ٣ / ٢٣).

(الأعلام للزركلى ٤ / ٢٧، من خزائن الأوقاف ٢٣٥ وفيه عن بروكلمان وجود عدة نسخ من الكتاب فى القاهرة واستانبول، وإيضاح المكنون ١ / ١٧٩، وجامعة الرياض ٢ / ٥، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع - جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٤٣).

*** الرحبى (محمد بن على) (٤٩٧-٥٧٧ هـ / ١١٠٤-١١٨٢ م):**

قال الزركلى: هو محمد بن على بن محمد بن الحسن الرحبى، أبو عبد الله، المعروف بابن المتفننة. وقد أدرجه تحت اسم «ابن المُتقنة» وقال إن «بروكلمان» أورده تحت اسم «ابن المُتَقِّنة» بتشديد القاف. ثم قال فى هامش (٣): لم أجد نصا على «المتفننة» أو «المتقنة» وقد أخذته عن الرسم الوارد فى معجم البلدان، وهو فى طبقات الشافعية «ابن الميقنة» وفى مخطوطة الطبقات الوسطى غير واضح ولكنه أقرب إلى «المتقنة» ثم رأيته واضحا بلفظ «ابن المتقنة» فى مخطوطة طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة، فى الطبقة السادسة عشرة وهذه النسخة تغلب عليها الصحة وإن لم تكن بخط مؤلفها. وانظر فهرس المكتبة الازهرية ٢ / ١٦٦٠ هـ.

قالت المؤلفة: وقد آثرنا إدراجه تحت اسم «الرحبى» لشهرة أرجوزته فى علم الفرائض المعروفة بالرحبية.

قال الزركلى عنه: عالم بالفرائض، شافعى، من أهل رحبة مالك بن طوق (انظر هذه المادة فى موضعها) مولدا ووفاة. وهو صاحب الأرجوزة المسماة «بغية الباحث» المشهورة بالرحبية» فى الفرائض. قال ياقوت: درَّس ببلده وصنف كتبا (الأعلام ٦ / ٢٧٩).

قالت المؤلفة: أوردنا هذه الأرجوزة تحت عنوان «بغية الباحث عن جمل الوارث» فى حرف الباء فى م ٧ / ٢٦٤، ٢٦٥ فانظرها فى موضعها.

وعندى من شروح الرحبية شرح الشيخ محمد بن محمد سبط المارديني المطبوع بعنوان «شرح الرحبية فى الفرائض»، تحقيق كمال يوسف الحوت ط مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦-١٩٨٦م، وشرح ابن غلبون المطبوع بعنوان «التحفة فى المواريث» تحقيق السائح على حسين. ط كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس. الجاهيرية الليبية. الطبعة الأولى ١٣٩٩من وفاة الرسول ﷺ - ١٩٩٠ م، وحاشية الشيخ محمد بن عمر البقرى على شرح الرحبية للإمام السبط المارديني ط مكتبة محمد على صبيح وأولاده ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م:

أما طبعات الرحبية تحت عناوينها المختلفة كما أوردها المعجم الشامل فهى كما يلى:

١ - الأرجوزة الرحبية فى الفرائض:

- تصحيح لجنة من المصححين، الدولة العلية، القسطنطينية: على نفقة نظارة المعارف، مطبعة الجوائب، ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤ م. ١٠ ص (١٦٠-١٦٩).

وطبعت تحت عنوان (التحفة البهية والطرفة الشهية).

٢ - بغية الباحث عن جمل الموارث، أو الأرجوزة الرحبية:

- عناية سير وليم جوتر، لندن، ١٨٨٢ م.

ـ عناية لوشيانى ، الجزائر ، ١٨٩٦ م ، ٣٨ ص .

٣ ـ متن الرحبية فى الفرائض :

ـ القاهرة ، مكتبة ومطبعة محمد على صبح ، د . ت .

(الأعلام للزركلى ٦ / ٢٧٩ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٤٣ ، ٤٤) .

*** ابن الرحبى (٥٨٣ ـ ٦٦٧ هـ / ١١٨٣ ـ ١٢٦٩ م):**

ــ ابن الرحبى : أخوان طبيبان من أهل دمشق فى القرن السابع الهجرى : الأول هو شرف الدين على بن يوسف بن حيدرة الرحبى ، طبيب من العلماء الشعراء . مولده ووفاته فى دمشق (٥٨٣ ـ ٦٦٧ هـ) (علماء العرب / ٢٦٩ ، والأعلام ٥ / ٣٤) .

نبغ فى الطب نبوغا عظيما حتى اعتبر إماما فيه . وكان أشبه بأبيه خلقا وطريقة اشتغل بالطب على أبيه وعلى الشيخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادى وحرر عليه كثيرا من العلوم واشتغل بالأدب على الشيخ علم الدين السخاوى وعلى غيره حتى برع فيه . كان عالى النفس حتى أنه أنف التردد على الملوك والكبراء . خدم مدة فى البيمارستان الكبير الذى أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكى ، ولما وقف مهذب الدين عبد الرحيم الدار التى له بدمشق وجعلها مدرسة للطب أوصى أن يكون مدرِّسها الطبيب شرف الدين .

ولشرف الدين الرحبى من الكتب : «كتاب فى خلق الإنسان وهيئة أعضائه ومنفعتها» قال ابن أبى أصيبعة : لم يسبق إلى مثله ، و «تلخيص شرح فصول أبقراط » مخطوط تصويره فى معهد المخطوطات (الرقم ١٦٨) كتب سنة ٧٥٢ هـ (الأعلام ٥ / ٣٤) .

و «حواش على كتاب القانون لابن سينا» و «حواش على شرح ابن صادق لمسائل حنين » (معجم العلماء العرب ١ / ٥٠) .

والثانى هو جمال الدين بن يوسف ، عرفه ابن العبرى وصحبه مدة يباشر معه المرض بالبيمارستان النورى . وكان يعتنى بالجزء العملى من الطب . يقول فيه ابن العبرى : «كان حسن الأخلاق ، له تجارب فاضلة ونفوذ مشهور فى المعالجة . . . » (علماء العرب / ٢٦٩) .

(علماء العرب ـ إعداد وتحقيق د. يوسف فرحات / ٢٦٩ ، والأعلام للزركلى ٥ / ٣٤ ، ومعجم العلماء العرب ـ باقر أمين الورد المحامى ـ راجعه الأستاذ كوركيس عواد ١ / ٥٠) .

*** الرحبية:**

هو الاسم الذى اشتهرت به منظومة الإمام محمد بن على فى الفرائض ، وقد أوردناها تحت عنوان «بغية الباحث عن جمل الموارث » فى حرف الباء فى م ٧ / ٢٦٤ ، ٢٦٥ فانظرها فى موضعها .

*** الرحلات:**

الرحلات وزيارة الأقطار المختلفة وسيلة من أهم وسائل المعرفة الجغرافية المباشرة ، ولقد نالت الرحلات قبل ظهور الإسلام اهتمام العرب لتعودهم على الترحال . والتنقل ، كما أن عادات العرب من كرم الضيافة والشجاعة جعلتهم يأمنون على أنفسهم أثناء الرحلات مما حبب إليهم الأسفار .

وحينما أشرقت الدعوة الإسلامية وفرض على المسلمين الصلاة والصوم . راعى الإسلام مشقات السفر ومصاعبه فخفف على المسلمين الصلاة (صلاة القصر) وأباح للمسافر الصائم الإفطار أثناء السفر ، على أن يقضى عدة الصوم من أيام أخر .

ولا شك أن اتساع رقعة العالم الإسلامى أو مملكة الإسلام وما سادها من وحدة دينية يسَّر السفر وساعد عليه ، كما أن الحج إلى بيت الله كان عاملا هاما للسفر والالتقاء بالمسلمين من شتى بقاع العالم الإسلامى فى مكة المكرمة ، مما ساعد على تبادل المعلومات وأخبار البلدان بعجائبها وغرائبها فرغب ذلك المسلمين فى السفر .

١ ـ أغراض الرحلات :

ويعدد الدكتور محمد محمود محمدين أغراض الرحلات فيقول :

لقد عرف المسلمون أهمية الرحلات فقاموا بالعديد منها لأغراض وغايات متنوعة نستطيع أن نعالجها على النحو التالى :

أ ـ رحلات الحج :

تأدية فريضة الحج وزيارة قبر رسول الله ﷺ ، وقد عرفت هذه الرحلات لدى المغاربة باسم الرحلة الحجازية ، وهى الرحلة التى ألَّف عنها المغاربة أعظم ذخائر المكتبة العربية (آثار مصر الإسلامية / ١٥) .

والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا فكانت مكة ملتقى المسلمين يأتون إليها من كل فج عميق فيتعارفون ويتبادلون الآراء والمنافع والأخبار. ولم يكن الوصول إلى مكة سهلا لكل المسلمين بل كان بعضهم يقطع بضعة آلاف من الكيلو مترات للوصول إليها كما هى الحال بالنسبة لأهل المغرب. وكان بعض الرحالة يكتبون ما يشاهدون من عجائب وغرائب وهم فى طريقهم إلى الحجاز.

ويذكر كثير من الرحالة أمثال ابن جبير وابن بطوطة والتجانى أن هدفهم الأساسى فى بداية رحلاتهم كان حج بيت الله الحرام، لكنهم كانوا يتخلفون فى بعض المدن الإسلامية ذات المكانة العلمية للتزود بالعلم والدراسة على أيدى فقهائها. وقد دون الرحالة أنباء الفقهاء والأولياء وكل ما له صبغة دينية مما يؤكد أن الدين كان الهدف الأساسى لتلك الرحلات لأن أنباء الفقهاء المشهورين والمزارات الدينية كانت ذات جاذبية روحية لمسلمى هذه العصور (التراث الجغرافى الإسلامى / ١٤١ ، ١٤٢).

كان الحج من بواعث الرحلات، فقد ظل الدين الإسلامى واللغة حتى بعد أن تفتتت الوحدة السياسية للعالم الإسلامى، يربطان الشعوب الإسلامية، وتابع الرحالة المسلمون رحلاتهم لتأدية فريضة الحج على الرغم من الانفصال السياسى الذى شمل أقطار العالم الإسلامى منذ النصف الثانى من القرن الثانى للهجرة (التاريخ والمؤرخون العرب / ٢١٣).

ب ـ الرحلات العلمية

من الرحلات ما كان هدف السعى إلى طلب العلم عملا بقول النبى ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع، كذلك نجد أن الارتحال فى طلب العلم ظاهرة مألوفة منذ ظهور الإسلام. وقد روى البخارى فى القرن الثالث الهجرى أن جابر بن عبد الله رحل مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس الأنصارى فى طلب حديث واحد.

(التراث الجغرافى الإسلامى / ١٤١، ١٤٢).

وقد أورد ذلك بالأسانيد الإمام ابن عبد البر فقال فى باب «ذكر الرحلة فى طلب العلم»: وهو يشير إلى نفسه بقوله: قال أبو عمر:

أخبرنا أحمد بن قاسم قال أخبرنا قاسم بن أصبغ قال أخبرنا الحارث بن أبى أسامة قال أخبرنا هدبة ويزيد بن هارون واللفظ لهدبة قالا حدثنا همام قال حدثنا القاسم بن عبد الواحد قال سمعت عبد الله بن محمد يحدث عن جابر بن عبد الله قال بلغنى حديث عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلى ثم سرت إليه شهرا حتى قدمت الشام فإذا عبد الله بن أنيس الأنصارى فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابرا على الباب فرجع إلىَّ الرسول فقال جابر ابن عبد الله فقلت نعم فخرج إلىَّ فاعتنقته واعتنقنى قال قلت حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ فى المظالم لم أسمعه أنا منه. قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يحشر الله تبارك وتعالى العباد أو قال الناس شك همام وأومأ بيده إلى الشام حفاة عراة غرلا بُهما قال قلنا ما بهما؟ قال: ليس معهم شىء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ويسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ولا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة قال قلنا له كيف وإنما نأتى الله عز وجل حفاة عراة غرلا قال بالحسنات والسيئات» وحدثنا عبد الله بن محمد بن أسد قال حدثنا إسماعيل بن محمد بن محفوظ الدمشقى قال حدثنا أحمد بن على بن سعيد القاضى قال حدثنا شعبان بن فروخ قال حدثنى همام بن يحيى عن القاسم ابن عبد الواحد قال حدثنى عبد الله بن محمد بن عقيل أن جابر بن عبد الله حدثه قال بلغنى فذكره.

وروى سفيان بن عيينة عن ابن جريج قال سمعت شيخا من أهل المدينة قال سفيان هو أبو سعيد الأعمى يحدث عطاء أن أبا أيوب رحل إلى عقبة بن عامر فلما قدم مصر أخبروا عقبة فخرج إليه قال حدثنا ما سمعته من رسول الله ﷺ فى ستر المسلم لم يبق أحد سمعه غيرى وغيرك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من ستر مسلما على خزية ستره الله يوم القيامة» (الخزى بالخاء المعجمة والزاى هو الشىء الذى يستحيا منه) فأتى أبو أيوب راحلته فركبها وانصرف إلى المدينة

وما حل رحله . وذكر الحلوانى قال حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنا ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب أن ابن عباس قال كان يبلغنا الحديث عن رجل من أصحاب النبى ﷺ فلو أشأ أن أرسل إليه حتى يجيئنى فيحدثنى فعلت ولكنى كنت أذهب إليه فأقيل على بابة حتى يخرج إلىَّ فيحدثنى .

حدثنى عباس قال حدثنى ابن أبى مريم قال حدثنا خالد ابن نزار قال حدثنا مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد قال قال سعيد إن كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد قال أبو عمر : روينا هذا الخبر من طرق عن مالك من رواية ابن وهب وعبد الرحمن بن مهدى عن مالك أن سعيد بن المسيب قال : إن كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد . ووصله خالد بن نزار عن مالك عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب وخالد بن نزار مصرى ثقة . أخبرنا أحمد بن عبد الله بن محمد قال حدثنى أبى قال حدثنا عبد الله بن يونس قال حدثنا بقى بن مخلد قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا وكيع عن سفيان عن رجل لم يسمه أن مسروقا رحل فى حرف وأن أبا سعيد رحل فى حرف . قال أبو بكر وحدثنا ابن عيينة عن أيوب عن مجالد عن الشعبى قال ما علمت أن أحدا من الناس كان أطلب لعلم فى أفق من الآفاق من مسروق . قال حدثنا وكيع حدثنا على بن صالح عن أبيه قال حدثنا الشعبى بحديث ثم قال لى أعطيتكه بغير شىء وإن كان الراكب ليركب إلى المدينة فيما دونه . وحدثنا عبدة بن سليمان عن رجل قال قال لنا الشعبى فى حديث أعطيناكها بغير شىء وإن كان الراكب ليركب فيما دونها إلى المدينة . قال وحدثنا زيد بن الحباب عن شعبة عن عمارة عن أبى مجلز عن قيس بن عبادة: قال خرجت إلى المدينة أطلب العلم والشرف . حدثنا يونس بن عبد الله بن معتب قال حدثنا محمد بن معاوية قال حدثنا الفريابى قال حدثنى أحمد بن أبى الحوارى الدمشقى قال حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن بسر بن عبيد الله الحضرمى قال : إن كنت لأركب إلى المصر من الأمصار فى الحديث الواحد لأسمعه .

وروى جعفر بن سليمان الضبعى عن مالك بن دينار قال : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد ثم اطلب العلم وانعبر حتى تخرق نعليك أو تخلق نعلاك وتنكسر عصاك . وقال الشعبى لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع . (جامع بيان العلم وفضله ١ / ٩٣ - ٩٥).

وهناك أمثلة كثيرة لعلماء مسلمين قطعوا آلاف الأميال لتصحيح حديث أو ضبط سنده ومنهم البخارى، وقد ساعد على مثل هذه الرحلات تفرق الصحابة والعلماء فى أقطار العالم الإسلامى . وكانوا بطبيعة الحال يتعرفون على جغرافية البلاد التى يمرون بها فيصفون المسالك والدروب وعادات الناس وأخلاقهم . إن الرحلة العلمية ظاهرة مألوفة عند المسلمين فى جميع الأقطار شرقها وغربها، وقد أورد المقرى المتوفى (١٠٤١ هـ) فى الباب الخامس من كتابه نفح الطيب، أسماء بعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق وشملت قائمة الأسماء ثلاثمائة وسبعة أشخاص معظمهم رحل فى طلب العلم .

وقد قام تاج الإسلام أبو سعد بن محمد السمعانى (توفى سنة ٥٦٢ هـ ١١٦٦ م) وينسب إلى أسرة كبيرة اهتمت بالعلم فى مرو، برحلات إلى خراسان، وجرجان والعراق والحجاز والشام وغيرها؛ وذلك لدراسة الحديث وفى خلال رحلاته جمع كثيرا من المعلومات الجغرافية، وقد ورد ذكر السمعانى كثيرا فى معجم ياقوت (التراث العربى الإسلامى / ١٤٢، ١٤٣).

وكان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية، وانتشار الإسلام فى الأقطار المفتوحة أثر عظيم فى قيام المراكز العلمية فى البصرة والكوفة وبغداد، وبخارى وسمرقند ومرو ونيسابور، وقوص والفسطاط والقاهرة والإسكندرية وطرابلس الشام ودمشق وبعلبك ، وجدة وعدن، وتونس والقيروان وبجايه ووهران وسجلماسة وفاس ، وقرطبة وغرناطة وإشبيلية والمرية ومالقة وغير ذلك من المدن الإسلامية التى عرفت بازدهارها الحضارى فى العصر الإسلامى . وكان من الطبيعى أن ينتقل المسلمون من مركز علمى إلى آخر فى هذه الدولة الإسلامية مترامية الأطراف، التماسا للعلم، ورغبة فى تحصيله على شيوخه فى المشرق والمغرب . ولقد عقد المقرى فى كتابه «نفح الطيب» بابين كبيرين أفردهما لذكر الوافدين إلى

الأنـدلـس من المشـرق ، وفى الـوافـدين إلى المشـرق من الأنـدلس ، ويكفى أن نـذكـر من أمثلة ذلـك العلامـة عبـد الـرحمن بن خلـدون الـذى رحل من تـونس إلى مصـر حيث استقر بها واتخذها مركزا ثابتا له . وإن كان ذلك لم يمنع من قيامه برحلة إلى الحجـاز ورحلة إلى الشام، والفقيه محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين يرحل من قريته فى السوس من بلاد المغرب فى طلب العلم، وينتهـى إلى بغداد حيث يأخذ فيهـا شيئا مـن أحوال الـدين، ثم يـرحل إلى الشـام، ثم إلى مصر، ويجوب عواصم المشرق الإسـلامى زهاء إحدى عشرة سنة قبل أن يعود إلى موطنه بالسوس (التاريخ والمؤرخون العرب / ٢١٢ ، ٢١٣).

وهنـاك نمط آخـر من الـرحـلات العلميـة هى تلك التى سعت للـوصـول إلى الأمـاكـن الـواردة بـالقـرآن الكـريم مثل الرحـلات التى تمت فى عهد الخليفة العبـاسى الواثق (٢٢٧ هـ ـ ٢٣٢ هـ) . حيث أمر محمد بن موسى بالتوجه إلى آسيا الصغرى بعد أن حصل على موافقـة الإمبراطور البيزنطى وذلك لفحص كهف الرقيم وذلك بين عمورية ونيقيا Nicaea وحينما شـاهـد محمد بن مـوسى جثثا محنطـة لم يقنع بأنهـا جثث أصحاب الكهف الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم . وقد أوردت هذه القصة عدة مصادر مثل ابـن خرداذبه، والسرخسى الذى نقلها عنه المسعودى.

ويـذكـر ابن رستـه، ويـاقـوت الحمـوى، والإدريسى والقـزوينى، وغيرهم أخبـار رحلـة أخرى ، أمـر بها الخليفـة الواثق، سلام الترجمان ليستقصى خبر يأجوج ومأجوج، إذ أن الخليفة الـواثق رأى فى منامـه أن السد الذى بنـاه ذو القرنين حول يأجوج ومأجوج قد انفتح، وقد سار سلام إلى بلاد الخزر ثم اتجه شـرقا إلى بحيـرة بلكاش وعـاد من هناك إلى سـامرا بـالعـراق ويقـال إنـه بلغ سـور الصيـن العظيم . ويقف المستشـرقون إزاء سـلام التـرجمان فـريقين، فـريق يرى أنهـا حكايـة خرافية بعثرت فيهـا بضعة أسماء جغرافيـة، ومن هذا الفـريق : سبـرنجـر، ومينورسكـى، وفريق آخـر يـرى أن الرحـلة واقعـة تاريخيـة لا شـك فيهـا وجـديرة باهـتمام العلمـاء ، ومـن هـؤلاء دى خويه وتوماشـك Tomaschek .

جـ ـ الرحلات الإدارية والسياسية :

إلى جـانب الـرحـلات العلمية هنـاك رحـلات إداريـة أو سياسيـة لخدمة شئـون الدولة الإسـلامية التى ترامت أطـرافها وأصبحت هناك حـاجة إلى معرفـة الطرق ومراحلها وتحـديد المسافـات ووصف ذلك وصفا دقيقا، ومن هنـا ظهرت كتب المسالك والممالك التى تولت وصف الطـرق ومنازل البريد. وكانت مثل هذه الرحلات الخاصة بالتعرف على أحوال أقطار العالـم الإسلامى تهتم بـالظروف الاقتصـادية من حـاصلات زراعية ونشاط تجارى وذلك لتقديـر قيمة الخراج، كما كانت بعض الرحلات توفد إلى أقطار الأعداء لجمع المعلومات عنها واستعان الخلفاء العباسيون بـالجواسيس من الرجال والنساء فى آسيـا الصغـرى وظل عبـد الله الشهير بسيـد غـازى يجمع المعلومات عن بـلاد الروم عشرين سنة ويخبر هـارون الرشيد عن عجائب الأمور وأخبار الروم كما حكى الإمام الدمشقى فى فضـايل الجهـاد وإن كـانـت هـذه القصـة يحـوم حولهـا الشـك.

د ـ الرحلات التجارية :

استمرت الرحلات التجاريـة التى اشتهر بها العرب (رحلة الشتـاء والصيـف) فى ظل الإسـلام وازدهرت نتيجـة لاتسـاع الـدولة وسهـولة التنقل فى داخـل أقاليمهـا إلى جانب التقـاء المسلمين فى مـوسم الحج فكـانـوا يعقـدون الاتفـاقـات والصفقات التجـارية، وسـاعدهم على الـرحلات التجـارية وحدة الثقافة والدين فى أقطار العالم الإسلامى.

وقـد ذكر الإدريسى أن إبـراهيم بن المهدى شقيق هـارون الـرشيد، روى فى مصنفـه «كتاب الطبيخ» أن الخليفـة بعث إلى اليمن أشخاصا ليعرفوا من أين يأتى العنبر الأشهب الذى كان يستخدم كوسيلة للعلاج وكنوع من الطيب، وكان يحصل عليه غالبا من السواحل الشرقيـة لأفريقيا قبالة اليمن، وكان له دور فى اقتصـاديـات الخـلافـة كمورد هـام للخـراج يعـادل اللؤلؤ.

إن الرحـلات رغم أغراضهـا وغايـاتها المختلفـة أضافت كثيـرا إلى المعـرفة الجغـرافيـة لأنهـا كـانت مصدرا مبـاشـرا للمعلومـات الجغرافية وهـذا ما نجده عنـد معظم الجغرافيين المسلمين الذين اعتمـدوا فى كتاباتهم على المعلـومات التى

جمعوها أثناء رحلاتهم وأسفارهم (التراث الجغرافى الإسلامى / ١٤١ـ١٤٦).

هـ ـ الرحلات الزيارية ويقصد بها زيارة أضرحة الأنبياء والأولياء ومشاهدهم وذكر فضائلهم، وكان الرحالة فى أثناء تلك الزيارة يقوم بوصف معمارى لعمائر تلك المشاهد يذكر فيه تفصيلات كثيرة عن عمارة الضريح وعناصر زخرفته وأثاثه الداخلى، ولما كانت مصر تزخر بالكثير من مشاهد أهل البيت والصحابة والتابعين فقد حرص الرحالة على زيارتها للتبرك بمزاراتها ومشاهدها المباركة.

و ـ الرحلات السفارية، والتى كان للمغاربة الريادة فيها، حيث برز لديهم هذا النوع من الرحلات، وكان الغرض منه سفر صاحب الرحلة كمبعوث أو رسول بسفارة إلى دولة أخرى. فيقوم فى أثناء ذلك بتدوين كل مشاهداته عن هذه البلاد (آثار مصر الإسلامية / ١٦ ، ١٧).

ز ـ الرحلات الفهرسية :

ومن أصحاب الرحلات من يدعوه تقديره للعلم وأهله، والرغبة فى إثبات سنده العلمى إلى تصنيف كتاب يجمع شيوخه ويترجم لهم، ويذكر الكتب التى أخذها عنهم، والطريقة التى أخذ بها، ويسمى ذلك عند الأندلسيين «البرنامج» وهى تسمية متطورة ولم تتفق على الالتزام بها الأوساط الثقافية فى العالم الإسلامى، إذ يقول الكتانى :

(«وكان الأوائل يطلقون «لفظة المشيخة» على الجزء الذى يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صاروا يطلقون على ذلك «المعجم»، وأهل الأندلس يستعملون «البرنامج»، أما فى القرون الأخيرة فأهل المشرق يقولون «الثبت» وأهل المغرب الآن يسمونه «الفهرست»)

ومن عوامل تدوين البرامج والفهارس لدى الأندلسيين شعور الوفاء بين العالم وشيخه من جانب، وحنينه إلى عهد الدرس والطلب من جانب آخر.

ويجعل الأستاذ محمد الفاسى من أنواع الرحلات : الرحلات الفهرسية ويعرّفها بقوله :

«هى التى يقتصر مؤلفها على ذكر الرجال الذين لقيهم، والشيوخ الذين قرأ عليهم والكتب التى درسها عليهم ...»

ويذكر أهميتها كوثيقة لمظهر ثقافى للفترة التى دونت فيها، فيقول : «هذه من أهم المصادر عن تاريخ الآداب العربية، وهى مفيدة جدا لمعرفة تراجم العلماء والأدباء فى مختلف العصور والبلاد العربية».

وهى تصور لنا ما اشتهر به الأندلسيون من شغف بالكتب وحرص على لقاء الشيوخ، وتمثل سجلا يكشف عن المنابع الثقافية التى ارتوى منها العالم. والأصول التى اعتمد عليها والتى كانت ـ بغير شك ـ مراجع له فيما ألفه من كتب (رحلة القلصادى / ٦٨ ، ٦٩).

وتعد رحلة القلصادى من هذا النوع من الرحلات.

وعن تدوين الرحلات يقول الأستاذ محمد أبو الأجفان :

هذا وقد كان يدعو الرحالين إلى تسجيل رحلاتهم دواع مختلفة : فالجغرافيون كانوا ذوى حرص على تدوين نتائج استقصائهم وملاحظاتهم الدقيقة عن المنطقة التى درسوها، وغيرهم ينقلون مشاهداتهم التى تكون صورتها جزئية ولكنها ثمينة . .

وغالبا ما يبعث الزائرين للبقاع المقدسة إلى التدوين شعورهم بوجوب إطلاع مواطنيهم على أخبار تلك البقاع الشريفة البعيدة التى شعر الجميع بالحنين إليها والتى كانت زيارتها لا تتم إلا فى ظروف قاسية، ولا تتحقق إلا بجهد ومشقة كبيرين.

وقد عد المؤرخ حسن حسنى عبد الوهاب من دواعى تدوين الرحلات الحجازية، وتسجيل أحداثها، تخليد ذكر صاحب الرحلة ورغبته فى هداية مواطنيه وتعريفهم المسالك التى يقطعها الحجيج. والمخاطر التى ينبغى الحذر منها فى الطريق.

وقد حدث ضعف فى حركة تدوين الرحلات فى المغرب فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين نتيجة قلة الرحلات العلمية التى تتيح الاتصال بأعلام المعرفة، وتكون خير حافز لدعم حركة التصنيف والإنتاج العلمى المفيد.

وحتى الرحلات إلى الحج لأداء الفريضة، قد آلت إلى الضعف فى بعض الفترات الحرجة، وقل المقبلون عليها من الأندلسيين والمغاربة الذين قال الحسن السائح عنهم : (إن رحلاتهم الحجازية ضعفت فى القرن الثامن والتاسع هـ . بسبب دعوة العلماء إلى الجهاد وإيثاره على الحج)

ويستشهد على ذلك بفتاوى بعض الفقهاء التى جاءت فى كتاب «الاستقصاء» للناصرى.

وأقر الأستاذ محمد المنونى هذا السبب عندما تحدث عن الفراغ فى تدوين الرحلات فى هذه الفترة، ولاحظ أنه يدل على تراجع السفر للحجاز قائلا: «يبدو أن من سبب ذلك اشتغال من يهمهم الأمر فى العدوتين بمقارعة المد الأجنبى الذى دهم المغرب الإسلامى».

وقد وجدنا ما يؤكد ضعف نشاط رحلات الأندلسيين للأغراض العلمية فى العهد الأخير من حياة الأندلس الإسلامية.. وجدنا ذلك فى رسالة الاستدعاء للإجازة التى وجه بها أبو جعفر أحمد بن على البلوى الأندلسى إلى أبى عبد الله محمد بن غازى، وقد أشار فيها إلى المخاوف والأخطار التى أصبحت تصد عن الرحلة للاتصال المباشر بالشيوخ، والحصول منهم على الإجازة بواسطة الكتابة مما جعل الأيمة يستحبون لمن استدعى للإجازة مكاتبة أن يجيب لتبقى سلسلة الإسناد متصلة، والفضيلة التى خص الله بها هذه الملة محفوظة على الدوام.

فهرس ابن غازى:

وقد صدر ابن غازى فهرستة برسالة الاستدعاء المشار إليها أعلاه. وإجابة لهذه الرسالة ولرسائل أخرى وصلته من تلمسان، كتب فهرسه الذى ذكر فيه شيوخه وما أخذ عنهم وإجازاته. وأجاز بدوره المستدعين من أهل تلمسان ومن الأندلسيين النازحين إليها وذلك سنة ٨٩٦ هـ.

وقد سمى ابن غازى فهرسه بـ «التعلل برسوم الإسناد بعد ذهاب أهل المنزل والناد» وتوجد منه نسخ متعددة منها نسخ بالأسكوريال ضمن مجموع رقمه ١٧٢٥ وأخرى بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقمه ج ٧٧٢ ومع الأخير ذيل الفهرست لابن غازى أيضا (رحلة القلصادى/ ٦٦-٦٩).

(التراث الجغرافى الإسلامى - تصنيف د. محمد محمود محمد بن/ ١٤١-١٤٦، والتاريخ والمؤرخون العرب - د. السيد عبد العزيز سالم ٢١٢، ٢١٣، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٩٣-٩٥، وآثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين - دراسة وتعليق د. محمد محمد الكحلاوى. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م/ ١٦، ١٧، ورحلة القلصادى لأبى الحسن على القلصادى الأندلسى، دراسة وتحقيق الأستاذ محمد أبى الأجفان/ ٦٦-٦٩ مقدمة المحقق).

* **الرحلات (كتب فى-):**

من كتب الرحلات:

معجم البلدان - وهو لياقوت الرومى. كتبه بعد أن رحل للتجارة ثلاث مرات، وطوّف ما طوّف. ثم أتبعها سفرات أخرى لم تنقطع إلا قبل وفاته بسنتين فقط، من ١١٧٩ إلى ١٢٢٩ من الميلاد. وقد كان لكتابه هذا أثر عظيم فى علم الجغرافية. ويعد «معجم البلدان» من الكتب النادرة التى لا يستغنى عنها عالم أو متعلم.

عجائب البلدان - وهو لأبى دلف بن مهلهل الشاعر، وهو من أقدم جوّابى العرب وسياحهم. خرج من بلاده سائحا، تشوقه غرائب الشعوب، وتدفع به عجائب المخلوقات، فسافر إلى بلاد الهند مع أحد أمرائها، فزار بلاد الهند وكشمير وأفغانستان. ثم كتب كتابه هذا. وقد استعان به كثيرا ياقوت والقزوينى.

مروج الذهب - للمسعودى، كتبه بعد أن سافر إلى بلاد الفرس سنة ٩١٥ م والهند والخزر والتبت وجزيرة سرنديب، ومنها عاد عن طريق عمان، وقصد شاطىء بحر الخزر، فزار بلاد الروم وسوريا وفلسطين ومصر والسودان. ولشدة ولوعه بجوب الآفاق ورغبته فى الوقوف على أحوال العالم، خرج للسياحة ولم يسلخ العشرين من سنى حياته.

تاريخ الهند - لأبى الريحان محمد البيرونى، الفيلسوف الرياضى الفلكى الجواب، وقد كان مولعا بالأسفار، محبا للانتجاع والغربة، فسافر إلى بلاد الهند وجاب آفاقها ودرس أخلاق أهلها دراسة علمية صحيحة، أساسها النظر والاعتبار فجاء كتابه من أوفى الكتب تعريفا بأحوال الهند.

المسالك والممالك - لأبى عبيد البكرى الأندلسى، ألفه بعد سياحة طويلة المدى فى بلاد الشرق والغرب.

رحلة ابن جبير - ألفها بعد أن جاب بلاد الشرق مرتين، وقد كتبها بعبارة مونقة، إلا أنه يغلب فيها السجع المتكلف. وهى كتاب جزيل الفائدة جليل النفع. وتمتاز هذه الرحلة عن رحلة ابن بطوطة بصدق الوصف ودقة الرواية وحسن العبارة.

المُغْرب ـ وهو للكاتب الأديب ابن سعيد المغربي، وقد أودعه كثيرا من أخبار أسفاره إلى بلاد المشرق، بعد أن رحل إلى بغداد وحلب وبلاد الشام وبلاد أرمينية، وما زال كَلِفا بالأسفار والتنقل بين الأقطار حتى مات في دمشق وهو راجع إلى بلاد المغرب سنة ١٢٧٤ م (مهذب رحلة ابن بطوطة / ن، س).

يقول الدكتور السيد عبد العزيز سالم: على الرغم من تعدد دوافع الرحلات في الإسلام، فإن ما وصلنا من كتب الرحلات قليل إذا قيس بالمصنفات الخاصة بالرحلات ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ضياع معظمها، وإلى أن كثيرا من الرحالة آثر أن يدمج مشاهداته فيما ألفه من كتب تاريخية أو جغرافية كابن حوقل واليعقوبي والمسعودي. وأقدم ما وصلنا من أخبار الرحالة المسلمين في القرنين الثالث والرابع للهجرة تشير إلى أن تجارا من العرب من عمان وسيراف والبصرة كانوا يصلون إلى الصين، ويروى المسعودي أخبار بعض هؤلاء الرحالة، فيذكر أن تاجرا من سمرقند خرج من بلاده وقد حمل من المتاع أحمالا كثيرة، فوصل إلى العراق، ورحل إلى البصرة، ثم ركب البحر حتى وصل إلى عمان، وركب من هناك إلى بلاد كلاه الواقعة في منتصف الطريق إلى الصين ونستنتج من أقوال الرحالة سليمان السيرافي، الذي ينسب إليه كتاب أخبار الصين والهند، وجود جاليات إسلامية بالصين كانت تتمتع في زمانه بامتيازات خاصة. ولقد ذيل رحالة عربي هو أبو زيد الحسن بن اليزيد السيرافي على كتاب سليمان السيرافي، وأضاف إليه معلومات استقاها من أحاديثه مع التجار والملاحين في سيراف. وفي منتصف القرن الرابع الهجري يروى الرحالة الفارسي بزرك بن شهريار في كتابه الموسوم بكتاب «عجائب الهند» كثيرا من القصص التي جمعها من أفواه الملاحين والتجار في سيراف والبصرة وعمان عن الهند والشرق الأقصى وشرق إفريقيا.

ويمكننا استنادا إلى ما رواه هؤلاء الرحالة أن نستنتج بأن الرحالة المتجهين إلى الهند والصين كانوا يبحرون من الأبلة ميناء البصرة، وتقع على مصب دجلة. ولكن الصعوبات التي كانت تعترض طريق الملاحة عند رأس الخليج العربي كانت حافزا على قيام سيراف على ساحل إيران، جنوبي شيراز، وقد ازدهرت التجارة البحرية في سيراف ازدهارا جعلها تنافس البصرة في المكان الأول وفي الأهمية الاقتصادية، ومن سيراف كان التجار يبحرون إلى الهند وإلى خانفو (كانتون) أعظم مراكز التجارة في الهند الصينية

ومن الرحالة العرب الذين كان لهم شأن كبير في القرن الرابع الهجري أحمد بن عباس بن رشيد المعروف بابن فضلان. الذي أوفده المقتدر العباسي إلى ملك البلغار بالفلجا في سنة ٣٠٩هـ ولقد دون ابن فضلان وصفا لرحلته في كتاب كان مرجعا أساسيا للجغرافيين أمثال المسعودي والإصطخري وياقوت ومن الرحالة العرب الذين برزوا في القرن الرابع الهجري المسعودي. الذي اكتسب شهرته كمؤرخ وجغرافي ورحالة. وقد جاب المسعودي الآفاق، فزار فارس ومناطق من الهند (الملتان وسيلان والسند والبنجاب) وزار ملبار والصين ومدغشقر وآسيا الصغرى والشام، واستقر بمصر حيث توفي في سنة ٣٤٦ هـ ويعتبر كتابه «مروج الذهب» سجلا هاما لرحلاته وملاحظاته، ففيه دون خلاصة تجارية وخبراته التي اكتسبها في رحلاته (التاريخ والمؤرخون العرب / ٢١٤ـ٢١٦).

ويقول المؤرخ عمر رضا كحالة:

ويمكن القول أن كتب الرحلات تبدأ برحلة ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ هـ. ثم تلاها كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات من صحيح الروايات لأبي الحسن على بن أبي بكر الهروى المتوفى سنة ٦١١ هـ. وتاريخ المستبصر ليوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني، الدمشقي المعروف بابن المجاور، المتوفى سنة ٦٩٠ هـ، ففيه أوصاف هامة لتخطيط بلاد العرب الجنوبية، وكتاب الرحلة النباتية لأحمد ابن محمد الإشبيلي، ويعرف بالعشاب أو بابن الرومية وبالنباتي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ، وكتاب الرحلة لمحمد بن محمد بن على العبدري المتوفى سنة ٦٨٨هـ.

ثم تحفة النظار لابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩ هـ (انظر ترجمته في م ٧ / ١٩٥ ـ ٢٠٣)، وهذا الكتاب عنى بمادته، فهو يزودنا بمعلومات عن ممالك بعيدة فيما وراء العالم الإسلامي في آسيا وإفريقية إبان العصور الوسطى.

ولم تصل إلينا كتب الرحلات الأخرى، ولكنها كانت مادة استقت منها المؤلفات العامة، مثل رحلات ابن فاطمة على الشاطئ الإفريقى، وقد أثبتها على بن موسى الغرناطى المعروف بابن سعيد المغربى المتوفى فى حدود سنة ٦٨٥ هـ فى كتابه. ورحلات أبى الربيع سليمان الملتانى فى داخل إفريقية وقد أوردها القزوينى فى كتابه.

وثمة وصف هام عجيب لرحلة كتبت بالفارسية فى وصف الصين فى كتاب خطاى نامه لمؤلفها على أكبر. وأما كتاب هفت إقليم لأمين أحمد رازى الذى ألفه عام ١٥٩٤ م فمعظمه فى السير.

ومن كتب الرحلات التركية التى ظهرت فى القرن العاشر الهجرى، السادس عشر الميلادى، كتاب مرآة الممالك وقد وصف سيدى على رئيس فى هذا الكتاب عودته من الهند إلى القسطنطينية ١٥٥٦ ـ ١٥٥٧ م.

على أن أهم كتب الرحلات التركية هى رحلة أوليا جلبى، فقد وصف فيها رحلاته الواسعة التى قام بها بين عامى ١٦٤٠ ـ ١٦٧٢ م فى جميع أنحاء الإمبراطورية. العثمانية، وفى فارس وأوربة، وتعد هذه الرحلة من صميم المؤلفات الإسلامية الخاصة بالرحلات، من حيث إنها خلوة من أى أثر للآراء الجغرافية الأدبية.

ومن الكتب التى تمثل هذا النوع المتعدد من التأليف كتاب تأريخ قسطنطينية الذى يرجع إلى القرن الخامس عشر الميلادى، ثم استمر صدور مؤلفات مختلفة فى صورة رحلات تتضمن أخبار رحلات للحج إلى مكة (التاريخ والجغرافية فى العصور الإسلامية / ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨).

أما مصنفات كتب الرحلات فى الهند فهى كما يلى:

مسافر نامه بالفارسى للشيخ جلال الدين حسين بن أحمد الحسينى البخارى الأجى المتوفى سنة ٧٨٥ الذى ساح الربع المسكون، مسير طالبى بالفارسى لأبى طالب بن محمد اللكَهنوى صنفه سنة ١٢١٩ فى رحلته إلى بلاد المغرب، زبدة الأخبار فى سوانح الأسفار بالفارسى لعلى مرزا بن أبى طالب الدهلوى صنفه سنة ١٢٤٩، ترغيب السالك إلى أحسن المسالك بالفارسى للنواب مصطفى خان الدهلوى فى أخبار رحلته إلى الحرمين، بركات الدارين لحجاج الحرمين وبركات الأنس لزائر القدس بالفارسى كلاهما للشيخ أبى البركات بن فضل إمام البِهَارى، كتاب الرحلة بالفارسى للشيخ رفيع الدين المحدث المراد آبادى صنفه سنة ١٢٠١ فى أخبار رحلته إلى الحرمين، رحلة الصديق إلى البيت العتيق بالعربى للمولوى صديق حسن بن أولاد حسن القنوجى، مسير حامدى بالأُردو للنواب حامد على خان الرامپورى فى أخبار رحلته إلى أوربا، كتاب الرحلة بالفارسى للنواب سالار جنگ لائق على خان الحيدر آبادى فى أخبار رحلته إلى أوربا، أرْمُغان هندوستان بالفارسى للسيد لطف على المودودى صنفه سنة ١٣١٠، سفرنامه بالأُردو للشيخ شبلى بن حبيب الله الأعمكَدهى فى أخبار رحلته إلى مصر والشام والقسطنطينية، سفرنامه بالأردو للمولوى سميع الله خان الدهلوى، سفرنامه بالأردو لمرزا نثار على بيگ، سفرنامه بالأردو للخواجه حسن نظامى الدهلوى فى أخبار رحلته إلى مصر والشام، سفرنامه بالأردو لمرزا عرفان على بيگ فى أخبار رحلته إلى الحجاز، سفرنامه بالأردو للشيخ يوسف خان كَمَّل پوش، وهو المسمى بعجائبات فرنگ، سفرنامه بالأردو للحافظ عبد الرحمن الامرتسرى فى أخبار رحلته إلى البلاد الإسلامية، مقام خلافة كتاب بالأردو للشيخ عبد القادر اللاهورى فى أخبار رحلته إلى قسطنطينية، روزنامجه للشيخ محمد الوهاب بن محمد غوث الشافعى المدراسى، روزنامه بالفارسى للمولوى عبد القادر بن محمد أكرم الرامپورى، سير الهندو كَلكَشت دِكن للمنشىء قادرخان البيدرى صنفه سنة ١٢٤٧، داستان جِهَان بالفارسى للمولوى محمد زمان الشاهجهانپورى، سلوة الغريب وأسوة اللبيب بالعربى للسيد على خان الدستكى الشيرازى، سفرنامه بالأردو للمولوى محيى الدين المدراسى فى أخبار رحلته إلى الحجاز، سفرنامه فى ثلاث مجلدات بالأردو للخواجه غلام الثقلين اليانى پتى فى أخبار رحلته إلى بلاد العجم، سير سلطانى بالأردو لشاه بأنوبيكَم فى أخبار رحلة النواب سلطان جهان بيكَم ملكة بهوپال إلى بلاد المغرب، سير بورب بالأردو لعطية فيضى بيكَم فى أخبار رحلتها إلى بلاد المغرب، سنگَرَف نامهٔ لندن للمنشئ اعتصام الدين فى الإنكليزى، والفارسى سفرنامهٔ حج الحاج عليم الدين، سير مدراس للسيد تراب على بن شجاعت على الحيدر آبادى، ياوَرِ

حجاج للشيخ محمد آغا الحيدر آبادي، وكتاب الرحلة للنواب مهدى حسن الأودى فى أخبار رحلة أروبا بالإنكليزى ونقله المولوى عزيز مرزا إلى أردو فسماه كَلكَشت فَرَنكَث، وكتاب الرحلة إلى الحرمين والشام ومصر القاهرة بالأردو للمولوى عبد الرحيم خان بهادر، سفرنامه للخواجه حسن نظامى المذكور فى أخبار سياحته بالهند، وزاد الغريب كتاب فى الرحلة إلى الحجاز بالأردو للنواب عمر على خان صاحب باسورة . (الثقافة الإسلامية فى الهند/ ٧٧ـ٧٩).

(مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الاسفار ـ وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / ن، س، والتاريخ والمؤرخون العرب ـ د. السيد عبد العزيز سلام / ٢١٤ ـ ٢١٦، والتاريخ والجغرافية فى العصور الإسلامية ـ عمر رضا كحالة / ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨، والثقافة الإسلامية فى الهند «معارف العوارف فى أنوار العلوم والمعارف» لعبد الحى الحسنى ـ راجعه وقدم له أبو الحسن على الحسنى الندوى / ٧٧ـ٧٩).

* **الرحلات النبوية:**

عقد ابن كثير فصلا «فى ذكر الأماكن التى حلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وهى الرحلات النبوية» جاء فيه ما يلى:

قدم الشام مرتين:

الأولى: مع عمه أبى طالب فى تجارة له، وكان عمره إذ ذاك اثنتى عشرة سنة، وكان من قصة بحيرا (انظره فى حرف الباء فى م ٦ / ٤٤٩ ـ ٤٥١) وتبشيره به ما كان من الآيات التى رآها، مما بهر العقول، وذلك مبسوط فى الحديث الذى رواه الترمذى مما تفرد به قراد أبو نوح، واسمه عبد الرحمن بن غزوان، وهو إسناد صحيح، ولكن فى متنه غرابة قد بسط الكلام عليه فى موضع آخر، وفيه ذكر الغمامة ولم أر لها ذكرا فى حديث ثابت أعلمه سواه.

القدمة الثانية: فى تجارة لخديجة بنت خويلد وصحبته مولاها ميسرة، فبلغ أرض بصرى (انظرها فى حرف الباء فى م ٧ / ١٦٤ ـ ١٧٣) فباع ثَمَّ التجارة ورجع، فأخبر ميسرة مولاته بما رأى عليه ﷺ ـ من لوائح النبوة، فرغبت فيه وتزوجته، وكان عمره حين تزوجها ـ على ما ذكره أهل السير ـ خمس وعشرين سنة .

وتقدم أنه ﷺ أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فاجتمع بالأنبياء وصلى بهم فيه، ثم ركب إلى السماء ثم إلى ما بعدها من السموات سماء سماء، ورأى الأنبياء هناك على مراتبهم، ويسلم عليهم ويسلمون عليه، ثم صعد إلى سدرة المنتهى فرأى هناك جبريل عليه السلام على الصورة التى خلقه الله عليها، له ستمائة جناح. ودنا الجبار رب العزة فتدلى كما يشاء على ما ورد فى الحديث (رواه البخارى فى كتاب التوحيد) فرأى من آيات ربه الكبرى كما قال تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم: ١٨] وكلمه ربه سبحانه وتعالى على أشهر قولى أهل الحديث، ورأى ربه عز وجل ببصره على قول بعضهم، وهو اختيار الإمام أبى بكر بن خزيمة من أهل الحديث، وتبعه فى ذلك جماعة من المتأخرين. وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه رآه بفؤاده مرتين. وأنكرت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها رؤية البصر، وروى مسلم عن أبى ذر قلت: يارسول الله، رأيت ربك؟ فقال: «نور، أنَّى أراه (رواه مسلم فى كتاب الإيمان) وإلى هذا مال جماعة من الأئمة قديما وحديثا اعتمادا على هذا الحديث، واتباعا لقول عائشة رضى الله عنها. قالوا: هذا مشهور عنها، ولم يعرف لها مخالف من الصحابة إلا ما روى عن ابن عباس أنه رآه بفؤاده، ونحن نقول به، وما روى فى ذلك من إثبات الرؤية بالبصر فلا يصح شىء من ذلك لا مرفوعا، بل ولا موقوفا، والله أعلم. ورأى الجنة والنار والآيات العظام، وقد فرض الله سبحانه عليه الصلاة ليلتئذ خمسين، ثم خففها إلى خمس، وتردد بين موسى عليه السلام وبين ربه جل وعز فى ذلك، ثم أهبط إلى الأرض إلى مكة إلى المسجد الحرام، فأصبح يخبر الناس بما رأى من الآيات.

فأما الحديث الذى رواه النسائى (انظر سنن النسائى ١ / ٢٢١ ـ ٢٢٤ فى كتاب الصلاة باب فرض الصلاة. فى أول كتاب الصلاة) أخبرنا عمرو بن هشام حدثنا مخلد هو ابن يزيد، عن سعيد بن عبد العزيز، حدثنا يزيدبن أبى مالك، حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أُتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل، خطوها عند منتهى طرفها، فركبت ومعى جبريل عليه السلام، فسرت، فقال: انزل فصلِّ، ففعلت، فقال: أتدرى أين صليت صليت

بطيبة، وإليها المهاجر. ثم قال: انزل فصلِّ، فصليت، فقال أتدرى أين صليت؟ صليت بطور سيناء، حيث كلم الله موسى. ثم قال: انزل فصلِّ، فصليت فقال: تدرى أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى. ثم دخلت بيت المقدس، فجمع لى الأنبياء، فقدَّمنى جبريل حتى أممتهم، ثم صعد بى إلى السماء الدنيا..» وذكر بقية الحديث، فإنه حديث غريب منكر جدا، وإسناده مقارب (إسناده مقارب: أى إسناده قريب من الحديث الحسن) وقد ذكره النسائى فى سننه؛ لأن المحدثين أجازوا ذكر أمثاله فى كتبهم» وفى الأحاديث الصحيحة ما يدل على نكارته، والله أعلم.

وكذلك الحديث الذى تفرد به بكر بن زياد الباهلى المتروك، عن عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة. عن زرارة بن أوفى، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «ليلة أسرى به قال لى جبريل: هذا قبر أبيك إبراهيم انزل فصل فيه» لا يثبت أيضا، لحال بكر بن زياد المذكور.

وهكذا الحديث الذى رواه ابن جرير فى أول تاريخه من حديث أبى نعيم عمر بن الصبح، أحد الكذابين المعترفين بالوضع عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه ﷺ ليلة أُسرى به ذهب إلى يأجوج ومأجوج، فدعاهم إلى الله عز وجل فأبوا أن يجيبوه، ثم انطلق به جبريل عليه السلام إلى المدينتين - يعنى «جَابَلق»، وهى مدينة بالمشرق وأهلها من بقايا عاد، ومن نسل من آمن منهم، ثم إلى جابرس، وهى بالمغرب، وأهلها من نسل من آمن من ثمود - فدعا كلا منهما إلى الله عز وجل، فآمنوا به، وفى الحديث: أن لكل واحدة من المدينتين عشرة آلاف باب، ما بين كل بابين فرسخ، ينوب كل يوم على باب عشرة آلاف رجل يحرسون، ثم لا تنوبهم الحراسة بعد ذلك إلى يوم ينفخ فى الصور، فوالذى نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع الناس من جميع أهل الدنيا هدَّة وقعة الشمس حين تطلع وحين تغرب، ومن ورائهم ثلاث أمم: منسك وتافيل، وتاريس، وفيه أنه ﷺ دعا هذه الثلاثة أمم، فكفروا وأنكروا، وهم مع يأجوج ومأجوج. وذكر حديثا طويلا لا يشك من له أدنى علم أنه موضوع، وأنما نبهت عليها ها هنا ليعرف حاله فلا يغتربه، ولأنه من ملازم ما ترجمنا الفصل به ومن توابع ليلة الإسراء، والله أعلم.

(الفصول فى سيرة الرسول ﷺ للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير / ١٣٠-١٣٣).

*** الرحلة:**

الرحلة الى الشيخ أو الراوى لتلقى الحديث.

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣٧).

*** رحلة ابن بطوطة:**

بسطنا الكلام عليها حين ترجمنا لابن بطوطة فى م ٧ / ١٩٨ - ٢١٠، ومن ثم فإننا نكتفى هنا بأن نسوق نصا مُسْتلا من هذه الرحلة لنتعرف على نموزج من محتويات الرحلة، ومدى استيعاب ابن بطوطة لكل ما تقع عليه عيناه فى كل بلد قام بزيارته، وهذا النص عن زيارته لبلاد «المُلَيْبار» وعن سكانها.

وجدير بالذكر أن رحلة ابن بطوطة تدخل فى قسم الرحلات الحجازية التى تكلمنا عنها فى مادة «الرحلات»، وهى التى كان الغرض الأساسى من القيام بها هو حج بيت الله الحرام.

وقبل أن نسوق النص نقول إن موسوعة الأماكن (ص ٤٥٤ Encyclopedia of laces) أوردت مادة بعنوان Malabar: ملبار: كلها بالفتح، وجاء بها أنها إقليم ساحلى يقع فى الجنوب الغربى من الهند، وأنها أول جزء من الهند يصل إليها الأوربيون، بما فيهم فاسكو داجاما وفيما يلى النص، وقد ضبطها ابن بطوطة بالضم ثم الفتح ثم السكون، فقال:

وبعد ثلاثة أيام وصلنا إلى بلاد المليبار (بضم الميم وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة وألف وراء) وهى بلاد الفلفل، وطولها مسيرة شهرين على ساحل البحر من سندابور إلى كولم. والطريق فى جميعها بين ظلال الأشجار وفى كل نصف ميل بيت من الخشب فيه دكاكين يقعد عليها كل وارد وصادر من مسلم وكافر، وعند كل بيت منها بئر يشرب منه ورجل كافر موكل بها، فمن كان كافرا سقاه فى الأوانى ومن كان مسلما سقاه فى يديه، ولا يزال يصب له

حتى يشير له أن يكف. وعادة الكفار ببلاد المليبار أن لا يدخل المسلم دورهم ولا يطعم فى أوانيهم، فإن طعم فيها كسروها وأعطوها للمسلمين. وإذا دخل المسلم موضعا منها لا يكون فيه دار للمسلمين طبخوا له الطعام وصبوه له على أوراق الموز وصبوا عليه الإدام وما فضل عنه يأكلونه الكلاب والطير. وفى جميع المنازل بهذا الطريق ديار المسلمين ينزلون عندهم المسلمين فيبيعون منهم جميع ما يحتاجون إليه ويطبخون لهم الطعام ولولاهم لما سافر فيه مسلم. وهذا الطريق ذكرنا أنه مسيرة شهرين ليس فيه موضع شبر فما فوقه دون عمارة، وكل إنسان بستانه على حدة وداره فى وسطه وعلى الجميع حائط خشب. والطريق يمر فى البساتين فإذا انتهى إلى حائط بستان كان هنالك درج خشب يصعد عليها ودرج آخر ينزل عليها إلى البستان الآخر، هكذا مسيرة الشهرين.

ولا يسافر أحد فى تلك البلاد بدابة ولا تكون الخيل إلا عند السلطان وأكثر ركوب أهلها فى دولة على رقاب العبيد أو المستأجرين، ومن لم يستطع أن يركب فى دولة مشى على قدميه كائنا من كان، ومن كان له رحل أو متاع من تجارة وسواها اكترى رجالا يحملونه على ظهورهم. فترى هناك التاجر ومعه المائة فما دونها أو فوقها يحملون أمتعته وبيد كل واحد منهم عود غليظ له زج حديد وفى أعلاها مخطاف حديد. فإذا أعيا ولم يجد دكانة يستريح عليها ركز عوده بالأرض وعلق حمله فيه، فإذا استراح أخذ حمله من غير معين ومضى به. ولم أر طريقا آمن من هذا الطريق، وهم يقتلون السارق على الجوزة الواحدة فإذا سقط شىء من الثمار لم يلتقطه أحد حتى يأخذه صاحبه. وأخبرت أن بعض الهنود مروا على الطريق فالتقط أحدهم جوزة وبلغ خبره إلى الحاكم فأمر بعود فركز فى الأرض وبرى طرفه الأعلى وأدخل فى لوح خشب حتى برز منه ومد الرجل على اللوح وركز فى العود وهو على بطنه حتى خرج من ظهره وترك عبرة للناظرين. ومن هذه العيدان على هذه الصورة بتلك الطرق كثيرا ليراها الناس فيتعظوا. ولقد كنا نلقى الكفار بالليل فى هذا الطريق فإذا رأونا تنحوا عن الطريق حتى نجوز والمسلمون أعز الناس بها، غير أنهم كما ذكرنا لا يؤاكلونهم ولا يدخلونهم دورهم. وفى بلا المليبار اثنا عشر سلطانا من الكفار منهم القوى الذى يبلغ عسكره خمسين ألفا ومنهم الضعيف الذى عسكره ثلاثة آلاف ، ولا فتنة بينهم ألبتة ولا يطمع القوى فى انتزاع ما بيد الضعيف ، وبين بلاد أحدهم وصاحبه باب خشب منقوش فيه اسم الذى هو مبدأ عمالته ويسمونه باب أمان فلان. وإذا فر مسلم أو كافر بسبب جناية من بلاد أحدهم ووصل إلى بلاد أمان الآخر آمن على نفسه ولم يستطع الذى هرب عنه أخذه وإن كان القوى صاحب العدد والجيوش. وسلاطين تلك البلاد يورثون ابن الأخت ملكهم دون أولادهم، ولم أر من يفعل ذلك ألا مسوفه أهل الثلم (اللثام) وسنذكرهم فيما بعد. وإذا أراد السلطان من أهل بلاد المليبار منع الناس من البيع والشراء أمر بعض غلمانه فعلق على الحوانيت بعض أغصان الأشجار بأوراقها فلا يبيع أحد ولا يشترى مادامت عليها تلك الأغصان.

وأهل هذه الجزائر أهل صلاح وديانة وإيمان صحيح ونية صادقة، أكلهم حلال ودعاؤهم مجاب. وإذا رأى الإنسان أحدهم قال له الله ربى ومحمد نبيى وأنا مسكين. وأبدانهم ضعيفة ولا عهد لهم بالقتال والمحاربة وسلاحهم الدعاء. ولقد أمرت مرة بطع يد سارق بها فغشى على جماعة منهم كانوا بالمجلس. ولا تطرقهم لصوص الهند ولا تذعرهم لأنهم جربوا أن من أخذ لهم شيئا أصابته مصيبة عاجلة. وإذا أتت أجفان (زوارق) العدو إلى ناحيتهم أخذوا من وجدوا من غيرهم ولم يتعرضوا لأحد منهم بسوء وإن أخذ أحد الكفار ولو ليمونة عاقبه أمير الكفار وضربه الضرب المبرح خوفا من عاقبة ذلك ولولا هذا لكانوا أهون الناس على قاصدهم بالقتال لضعف بنيتهم. وفى كل جزيرة من جزائرهم يغتسلون مرتين فى اليوم تنظفا لشدة الحر بها وكثرة العرق، ويكثرون من الأدهان العطرية كالصندلية وغيرها ويتلطخون بالفالية المجلوبة من مقدشو. ومن عادتهم أنهم إذا صلوا الصبح أتت كل امرأة إلى زوجها أو ابنها بالمكحلة وماء الورد ودهن الفالية فيكحل عينيه ويدهن بماء الورد ودهن الفالية فتصقل بشرته وتزيل الشحوب عن وجهه، ولباسهم فوط يشدون الفوطة منها على أوساطهم عوض السراويل ويجعلون على ظهورهم ثياب الولْيو (بكسر الواو وسكون اللام وياء) وهى

شبه الأحاريم، وبعضهم يجعل عمامة وبعضهم منديلا صغيرا عوضا منها. وإذا لقى أحدهم القاضى أو الخطيب وضع ثوبه عن كتفيه وكشف ظهره ومضى معه كذلك حتى يصل إلى منزله. ومن عوائدهم أنه إذا تزوج الرجل منهم ومضى إلى دار زوجته بسطت له ثياب القطن من باب دارها إلى باب البيت وجُعل عليها غرفات من الودع عن يمين طريقه إلى البيت وشماله وتكون المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره، فإذا وصل إليه رمت على رجليه ثوبا يأخذه خدامه، وإن كانت المرأة هى التى تأتى إلى منزل الرجل بسطت داره وجعل فيها الودع ورمت المرأة عند الوصول اليه الثوب على رجليه. وكذلك عادتهم فى السلام على السلطان عندهم لا بد من ثوب يرمى عند ذلك.

وبنيانهم بالخشب ويجعلون سطوح البيت مرتفعة عن الأرض توقيا من الرطوبات لأن أرضهم ندية. وكيفية ذلك أن ينحتوا حجارة يكون طول الحجر منها ذراعين أو ثلاثة ويجعلونها صفوفا ويعرضون عليها خشب النارجيل ثم يصنعون الحيطان من الخشب ولهم صناعة عجيبة فى ذلك ويبنون من أسطوان الدار بيتا يسمونه المالم (بفتح اللام) يجلس الرجل مع أصحابه ويكون له بابان أحدهما إلى جهة الأسطوان يدخل منه والآخر إلى جهة الدار يدخل منه صاحبها ويكون عند هذا البيت خابية مملوءة ماء ولها مستقى يسمونه الوالنج (بفتح الواو واللام وسكون النون وجيم) وهى من قشر جوز النارجيل وله نصاب طوله ذراعان وبه يسقون الماء من الآبار لقربها. وجميعهم حفاة الأقدام من رفيع ووضيع، وأزقتهم مكنوسة نقية تظللها الأشجار فالماشى بها كأنه فى بستان. ومع ذلك لا بد لكل داخل إلى الدار أن يغسل رجليه بالماء من الخابية بالمالم ويمسحها بحصير غليظ من الليف يكون هناك ثم يدخل بيته، وكذلك يفعل كل داخل إلى المسجد.

ومن عوائدهم إذا قدم مركب أن تخرج إليه الكنادر وهى القوارب الصغار واحدها كُندة (بضم الكاف والدال) وفيها أهل الجزيرة معهم التنبو والكزنبة وهى جوز النارجيل الأخضر فيعطى الإنسان منهم ذلك لمن شاء من أهل المركب ويكون نزيله ويحمل أمتعته إلى داره كأنه بعض أقربائه. ومن أراد التزوج من القادمين عليهم تزوج. فإذا حان سفره طلق المرأة لأنهن لا يخرجن عن بلادهن. ومن لم يتزوج فالمرأة التى ينزل بدارها تطبخ له وتخدمه وتزوده إذا سافر وترضى منه فى مقابلة ذلك بأيسر شىء من الإحسان. وفائدة المخزن ويسمونه البندر أن يشترى من كل سلعة بالمركب حظا بسوم معلوم سواء كانت السلعة تساوى ذلك أو أكثر منه ويسمونه شرح البندر، ويكون للبندر بيت فى كل جزيرة من الخشب يسمونه البجنصار (بفتح الباء الموحدة والجيم وسكون النون وفتح الصاد المهمل وآخره راء) يجمع به الوالى وهو الكودورى جميع سلعه ويبيع بها ويشترى. وهم يشترون الفخار إذا جلب إليهم بالدجاج فتباع عندهم القدر بخمس دجاجات وست وتحمل المراكب من هذه الجزائر السمك الذى ذكرناه وجوز النارجيل والفوط الوليـاوى والعمائم وهى من القطن. ويحملون منها أوانى النحاس فإنها عندهم كثير ويحملون الودع ويحملون القنبر (بفتح القاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة والراء) وهو ليف جوز النارجيل وهم يدبغونه فى حفر على الساحل ثم يضربونه بالمرازب ثم يغزله النساء وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب وتحمل إلى الصين والهند واليمن وهو خير من القنّب، وبهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن لأن ذلك الحبر كثير الحجارة فإن كان المركب مسمرا بمسامير الحديد صدم الحجارة فانكسر، وإذا كان مخيطا بالحبال أعطى الرطوبة فلم ينكسر. وصرف أهل الجزائر الودع وهو حيوان يلتقطونه من البحر ويضعونه فى حفر هناك فيذهب لحمه ويبقى عظمه أبيض ويسمون المائة منه سياه (بسين مهمل وياء آخر الحروف) ويسمون السبعمائة منه السفال (بالفاء) ويسمون الاثنى عشر ألفا منه الكتى (بضم الكاف وتشديد التاء المعلوة) ويسمون المائة ألف منه بستو (بضم الباء الموحدة والتاء المعلوة وبينهما سين مهمل) ويباع بها بقيمة أربعة بساتى بدينار من الذهب وربما رخص حتى يباع عشر بساتى منه بدينار ويبيعونه من أهل بنجالة بالأرز وهو أيضا صرف أهل بلاد بنجالة يبيعونه من أهل اليمن فيجعلونه عوض الرحل فى مراكبهم، وهذا الودع أيضا هو صرف السودان رأيته يباع بمالى وجوجو بحساب ألف وخمسين للدينار الذهبى.

ونساؤها لا يغطين رؤوسهن ولا سُلْطانتهم تغطى رأسها، .

ويمشّطن شعورهن ويجمعنها إلى جهة واحدة ولا يلبس أكثرهن إلا فوطة واحدة تسترها من السرة إلى أسفل، وسائر أجسادهن مكشوفة وكذلك يمشين في الأسواق وغيرها. ولقد جهدت لما وليت القضاء بها أن أقطع تلك العادة وآمرهن باللباس فلم أستطع ذلك فكنت لا تدخل إليَّ منهن امرأة في خصومة إلا مسترة الجسد، وما عدا ذلك لم تكن عليه قدرة. ولباس بعضهم قُمُص على الفوطة وقمصهن قصار الإكمام عراضها. وكان لي جَوارٍ كسوتهن لباس أهل دهلي يغطين رؤوسهن فعابهن ذلك أكثر مما زانهن إذ لم يتعودنه. وحليتهن الأساور وتجعل المرأة جملة في ذراعها بحيث تملأ ما بين الكوع والمرفق وهي من الفضة ولا يحمل أساور الذهب إلا نساء السلطان وأقاربه. ولهن خلاخل يسمونها البايل (بباء موحدة وألف وياء آخر الحروف مكسورة) وقلائد ذهب يجعلنها على صدورهن ويسمونها البسدر (بالباء الموحدة وسكون السين المهمل وفتح الدال المهمل والراء). ومن عجيب أفعالهن أنهم يؤجرن أنفسهن للخدمة بالديار على عدد معلوم من خمسة دنانير فما دونها على مستأجرهن نفقتهن ولا يرين ذلك عيبا ويفعله أكثر بناتهم. فتجد في دار الإنسان الغني منهن العشرة والعشرين وكل ما تكسره من الإواني يحسب عليها قيمته. وإذا أرادت الخروج من دار إلى دار أعطاها أهل الدار التي تخرج إليها العدد الذي هي مرتهنة فيه فتدفعه لأهل الدار التي خرجت منها ويبقى عليها للآخرين. وأكثر شغل هؤلاء المستأجرات غزل القنبر. والتزوج بهذه الجزائر سهل لنزارة الصداق وحسن معاشرة النساء. وأكثر الناس لا يسمى صداقا أنما تقع الشهادة ويعطى صداق مثلها وإذا قدمت المراكب تزوج أهلها النساء فإذا أرادوا السفر طلقوهن وذلك نوع من نكاح المتعة. وهن لا يخرجن عن بلادهن أبدا. ولم أر في الدنيا أحسن معاشرة منهن ولا تكل المرأة عندهم خدمة زوجها لسواها بل هي تأتيه بالطعام وترفعه بين يديه وتغسل يده وتأتيه بالماء للوضوء وتغم رجليه عند النوم. ومن عوائدهن أن لا تأكل المرأة مع زوجها ولا يعلم الرجل ما تأكله المرأة. ولقد تزوجتُ بها نسوة فأكل معي بعضهن بعد محاولة وبعضهن لم تأكل ولا استطعت أن أراها تأكل ولا نفعتني حيلة في ذلك.

(كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي - د. شاكر خصباك / ٢٩٧-٣٠٣)

The penguin Encyclopedia of places.

W. G. Moore, 1961, P .454

*** رحلة ابن جبير:**

أوردناها في مادة «ابن جبير» في م ١٢ / ٣٣ — ٣٩ فانظرها في موضعها.

*** رحلة ابن حمادوش:**

انظر لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والآل.

*** رحلة ابن حوقل:**

أوردناها في مادة «ابن حوقل» في م ١٥ / ٨١، ٨٢ فانظرها في موضعها. وهي من الرحلات التجارية التي تكلمنا عليها في مادة «الرحلات».

*** رحلة ابن خلدون:**

رحلة ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة.

(كشف الظنون ١ / ٨٣٥).

***رحلة ابن رُشيد:**

ابن رُشيد (٦٥٧ — ٧٢١ هـ / ١٢٥٩ — ١٣٢١ م) صاحب هذه الرحلة، والأصل في التسمية هو كتابه «ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين ومكة وطيبة» وهو عنوان نسختي التي اقتنيتها من الشركة التونسية للتوزيع بتونس طبعة ١٩٨١، ١٩٨٢ واشتهر الكتاب باسم رحلة ابن رشيد، وهي من الرحلات الحجازية (انظر مادة «الرحلات».

ترجم له الحافظ الداودي فقال عنه:

محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس ابن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي المالكي أبو عبد الله محب الدين يعرف بابن رشيد.

قال في «تاريخ غرناطة»: كان مضطلعا بالعربية واللغة والعروض فريد دهره عدالة وجلالة، وحفظا وأدبا، وسمتا وهديا، كثير السماع، عالي الإسناد، صحيح النقل، تام العناية بصناعة الحديث، قيِّما عليها، بصيرا، محققا فيها،

ذاكرا للرجال. فقيها، أصيل النظر، ذاكرا للتفسير، ريان من الأدب، حافظا للأخبار والتواريخ، مشاركا في الأصلين، عارفا بالقراءات، عظيم الوقار والسكينة بارع الخط، حسن الخلق، كثير التواضع، رقيق الوجه، مبذول الجاه، كهفا لأصناف الطلبة.

قرأ على ابن أبي الربيع وحازم القرطاجني، ورحل فأخذ بمصر، والشام، والحرمين، عن جماعة منهم الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي وأبي اليمن بن عساكر، والقطب القسطلاني وغيرهم مما ضمن رحلته التي سماها «ملء العيبة. فيما جمع بطول الغيبة، في الرحلة إلى مكة وطيبة»، وهي ست مجلدات مشتملة على فنون.

وأقرأ بغرناطة فنونا من العلم. وولي الإمامة والخطابة بجامعها الأعظم.

مولده سنة سبع وخمسين وستمائة بسبتة، ومات بفاس في المحرم سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.

وقال الصلاح الصفدي: له مصنفات، منها: «تلخيص القوانين في النحو» و «التجنيس لحازم» و «حكم الاستعارة» و«إفادة النصيح في رواية الصحيح» و «إيضاح المذاهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب» و « وجزء في مسألة العنعنة» و «المحاكمة بين الإمامين» وغير ذلك.

وله:

هنيئا لعيني أن رأت عين أحمد
فيا سعد جدي قد ظفرت بمقصدي
وقبلتها أشفى الغليل فزاد بي
فيا عجبا زاد الظما عند موردي

وله في مزدلفة:

ما اسم الأرض فريد
وإن تشأ فهو جمع
وفيه للفعل وقف
وفيه للحرف رفع
وفيه للجمع صرف
وفيه للصرف منع

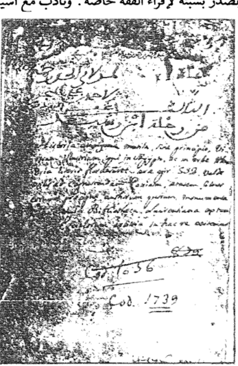
ذكره ابن فرحون، ثم شيخنا (يقصد الحافظ جلال الدين السيوطي) في «طبقات النحاة» (طبقات المفسرين ٢ / ٢١٧ - ٢١٩).

وقد أضاف الزركلي إلى مؤلفات ابن رشيد ما يلي: «السنن الأبين، والمورد الأمعن، في المحاكمة بين الإمامين - البخاري ومسلم - في السند المعنعن» مطبوع، و «ترجمان التراجم» على أبواب البخاري، لم يتمه. وله خطب وقصائد وكتب صغيرة كثيرة (الأعلام ٦ / ٣١٤).

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة في باب «الكتب المجردة أو المنتقاة من كتب الأحاديث المسندة خصوصا أو عموما» عند الكلام على «الحافظ الناقد المحقق أبو عبد الله محمد بن الإمام يحيى بن المواق» فذكر كتابا له سماه بكتاب «المآخذ الحفال السامية عن مآخذ الإهمال في شرح ما تضمنه كتاب بيان الوهم والإيهام من الإخلال والإغفال وما انضاف إليه من تتميم وإكمال» وقد تولى تخريج بعضه من المبيضة ثم اخترمته المنية ولم يبلغ من تكميله الأمنية فتولى تكميل تخريجه مع زيادات تتمات وكتب ما تركه المؤلف بياضا أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن رشيد السبتي الفهري المالكي صاحب الرحلة المشهورة في ست مجلدات وغيرها من التصانيف وتوفي سنة إحدى أو اثنتين وعشرين وسبعمائة ا هـ (الرسالة المستطرفة / ١٣٣، ١٣٤).

وقد تـرجم له سماحـة الشيخ الدكتـور محمد الحبيب بن الخوجة فى مقدمته النفيسـة للجزء الثانى من كتاب ابن رشيد «ملء العيبة» فقال عنه :

هو الحافظ المحدث الخطيب كبير مشيخة المغرب وسيد أهله المبرز فى علوم الروايـة والإسناد محب الدين أبو عبد الله محمد بن عمـر بن محمد بن عمـر بن محمد بن إدريس بن سعيـد بن مسعـود بن حسين بن محمـد بن عمـر بن رشيـد الفهرى السبتى . مولده بسبتة فى شهر رمضان فى أول ولاية أبى يوسف يعقـوب المرينى، ووفاته بفاس فـى ٢٣ محرم الحرام ٧٢١ فى عهد أمير المؤمنين أبى سعيد عثمان . قرأ ببلده على إمام القراء وشيخ العـربية أبى الحسن بن أبى الربيع وعلى أبى الحسن على بن محمد الكتامى بن الخضار بالمقارى السبعة ودرس البخـارى على الشيخ عبـد العـزيـز الغـافقى، وأخـذ بالمـرية عن أبى عبـد الله بن الصائغ وعن الـوزير الأديب أبى جعفـر بن سلبطـور. ثم تنقل فى البـلاد فى رحلتـه الطـويلـة الـواسعـة واتصل فى كل صقع بـالعـديد من الشيـوخ : يقـرأ ويسمع ويقابل ويـروى ويقيد. وكان مولعـا بجمع الإجازات يطلبها لنفسه ولأولاده وأخواته وجملة من أقاربه وأصدقائه كما تشهد بذلك استـدعـاءاته . وقـد كان اشتغـالـه بـالمـذهب بفاس، وتصدر بسبتة لإقراء الفقه خاصة . وتأدب مع أشياخه



صورة الورقة الأولى وجه من المخطوط

أن يقرئ غيره . وولى الخطبة بجامع غـرناطة ودرس به، وبعد عودته إلى المغرب عينه السلطان إماما وخطيبا للجامع العتيق بمـراكش، ثم استقدمـه إلى فاس وجعلـه من خاصتـه إلى أن توفـاه الله ووُرى بمدفنـه فى مطرح الجنة خارج بـاب الفتوح بمقبرة الحضرة المرينية مدينة فاس .

ثم يعـدد سمـاحـة الشيخ الـدكتـور محمـد الحبيب بن الخوجة مصادر ترجمة ابن رشيد على النحو التالى :

مصادر ترجمته :

1 ـ الاستـدعـاء الصغير المثبت بـآخـر هـذا الجـزء من الرحلة .

2 ـ الاستدعاء الكبير الواقع ملحقا بالجزء الثالث منها .

وفيهمـا ذكـر لجمـاعـة من شيـوخـه وبعض إجـازاتهم، وأسماء من استجاز لهم من أفراد أسْرته أو أقاربه وأصحابه .

3 ـ الـرحلة وهى برنـامج فى شيوخه ومـا قرأ عليهم وروى عنهم وحاورهم به .

4 ـ الذهبى «شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز)

سير النبـلاء . ترجمة محمـد بن عثمان بن المـرابط عدد 3995 .

5 ـ الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) .

الوافى بالوفيات : 4 ، 284، 1805 .

6 ـ البلوى (أبو البقاء خالد بن عسى) .

تـاج المفـرق فى تحلية علمـاء المشــرق : 1 ، 150، 156 .

7 ـ ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله) .

الإحاطة : 2، 15 ب 16 ب . مخط . تونس .

8 ـ ابن فرحون (إبراهيم بن على) .

الديباج : 310 ـ 311 .

9 ـ ابن خلدون (ولى الدين عبد الرحمن بن محمد)

التعريف بابن خلدون : 20، 39، ، 45، 49، 310 .

10 ـ ابن الجـزرى (شمس الديـن أبو الخيـر محمـد بن محمد العمرى الدمشقى) .

طبقات القراء : 2 ، 219، 3320 .

11 و 12 ـ ابن حجر (أحمد بن على العسقلانى).
الدرر الكامنة : 4، 111، 308.
هدى السارى.
13 ـ ابن فهد (أبو الفضل محمد تقى الدين بن محمد).
ذيل طبقات الحفاظ : 97
14 و 15ـ السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر).
البغية : 85
الذيل : 355
16، 17ـ الونشريسى (أحمد بن يحيى).
المعيار.
الإيضاح.
18 ـ الداودى (محمد بن على بن أحمد)
طبقات المفسرين : 2 ، 217، 552
19 و 20 ـ ابن القاضى (أحمد بن محمد).
الجذوة : 1 ، 289، 298.
الدرة : 1، 201، 524.
21، 22 ـ المقرى أبو العباس أحمد بن محمد .
النفح : 1/ 606، 615، 2 / 195، 582 ـ 583، 589، 623 ، 3 / 523، 4 / 121، 122، 311، 475، 496، 5 / 222، 259، 270، 274، 387، 456، 471، 481، 480، 498، 514.
الأزهار : 2 / 347ـ354.
23ـ حاجى خليفة .
الكشف : 1 / 507، 2 / 533، 4 / 473، 6 / 102، 7 / 634.
24 ـ ابن العماد (أبى الفلاح عبد الحى بن أحمد).
شذرات الذهب : 6 ، 56.
25ـ العياشى (أبو سالم عبد الله بن محمد).
الرحلة : 2 ، 161 ، 238ـ257.
26ـ المستاوى (محمد بن أحمد الدلائى).
جهد المقل : 15469ـ6 ب 15680ـ 47 أ
27ـ القادرى «محمد بن الطيب».
نشر المثانى لأهل القرن الحادى عشر والثانى.
28ـ الشوكانى (محمد بن على).
البدر الطالع : 2 ، 234
29ـ كازرى
برنامج مخطوطات الإسكوريال : 2 ، 84، 156، 165.
30ـ بروكلمان.
تاريخ الأدب العربى : 2 ، 245، 344.
31ـ الكتانى (محمد بن جعفر)
السلوة : 2 ، 191ـ192.
32ـ مخلوف (محمد بن محمد).
شجرة النور الزكية : 1 ، 216، 760.
33ـ ابن إبراهيم (العباس).
الأعلام : 4، 342، 590
34ـ الكتانى (محمد عبد الحى بن عبد الكبير).
الفهرس : 1 ، 332
35ـ ملشور انطونا
ابن رشيد ورحلته (مجلة مسيو داد دى ديوس) : 5 / 10 / 1925، عدد 1257 ، 51ـ60.
36ـ أرى (ر).
ابن رشيد (دائر المعارف الإسلامية).
37ـ كنون (عبد الله).
ذكريات مشاهير رجال المغرب : 18.
38ـ الفاسى (محمد).

ابن رشيد الفهري ورحلته إلى المشرق . مجلة معهد المخطوطات، مايو ١٩٥٩ (ملء العيبة ٢ / ٢٥ - ٢٩).

وقد رحل ابن رشيد إلى المشرق الإسلامي في سنة ٦٨٣ هـ لأداء فريضة الحج والاتصال بالمدارس العلمية في رفقة الوزير أبي عبد الله بن الحكيم الرندي، ومن إفريقية رحل إلى مصر والشام، وأدى فريضة الحج . وعند عودته من الرحلة تولى قضاء المناكح بغرناطة، ولكنه لم يلبث أن زهد في القضاء، فرحل إلى فاس، وتوفي فيها في ٢٣ محرم سنة ٧٢١ هـ. ودفن خارج باب الفتوح من أبواب مدينة فاس، وقد سجل رحلته في رحلتين : إحداهما طاف فيها بنواحي إفريقيه . والثانية زار فيها بلاد الأندلس، وقد ضمن مشاهداته ملاحظات خاصة بالأدب والتاريخ الطبيعي . (التاريخ والمؤرخون العرب / ٢٢٩).

ويعطينا سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة معلومات مستفيضة عن رحلة ابن رشيد في مقدمته النفيسة لكتاب «ملء العيبة» ننقلها فيما يلي، وقد أبقينا على الطريقة المغربية في كتابة الأرقام (انظر مادة «الأرقام العربية» في م ٣ / ٦٣٠) قال سماحته :

ليس من المبالغة إذا ادعينا أن ملء العيبة يعتبر أنفس ما كتبه ابن رشيد وأفضل ما قيده . وهو من جهة ثانية يزهو على بقية الرحلات التي من جنسه مثل «رحلة التجيبي» و «تاج المفرق» للبلوى و «الأفق المشرق» لابن الطيب وغيرها . ولو أخذنا في الموازنة بين هذا الكتاب وبين بقية كتب ورسائل ابن رشيد أو عدنا إلى المفاضلة بينه وبين الرحلات الحجازية والعلمية التي أثرت عن العديد من العلماء والكتاب، لتبين لنا أن هذه الرحلة التي تطلعت إليها الأنفس من زمن بعيد وازداد شوقهم إليها في هذا العصر، عصر إقبال المحققين على إحياء التراث، يمثل ثروة علمية رائعة، ويترجم عن طور من أطوار الحياة الفكرية في العالم العربي الإسلامي في أواخر القرن السابع .

فقد صور بها مؤلفها المراحل التي قطعها في طريقه ذهابا إلى الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وصدورا منهما إلى بلده سبتة . ولعلنا بالوقوف على أجزاء هذه الرحلة، وبالاستعانة بما ورد في المصادر نستطيع في شيء من اليسر أن نحدد سير رحلة ابن رشيد وتواريخ تنقله فيه من بلد إلى آخر. فقد خرج من مسقط رأسه سبتة قاصدا الحج سنة 683 ولما يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاما . فأقام بالمرية ولقي الوزير العالم الأديب ابن الحكيم وصحبه في قصده الديار الحجازية متجها معه إلى تونس عن طريق بجاية، ومتحولا منها إلى الإسكندرية ثم مصر والقاهرة التي بلغها في رجب 684، ومنها انتقل إلى دمشق والبلاد الشامية متوجها عن طريقها إلى المدينة المنورة ثم إلى مكة المكرمة وبعد قضاء المناسك وتعليل النفس ببعض ما كانت تطمح إليه من قيام بالواجبات وفروض الطاعات في موسم هذه السنة تحول من هذه الديار الشريفة آيبا غانما إلى ديار مصر والإسكندرية في سنة 685 . ومنها ركب البحر إلى طرابلس الغرب فالمهدية بديار إفريقية في ربيع الأول من تلك السنة . وبلغ تونس في ربيع الثاني وأقام بها إلى نفس الشهر من العام القابل 686 حيث اتجه إلى بونة ومنها إلى مالقة ورندة والجزيرة الخضراء حتى انتهى إلى سبتة في جمادى الثانية سنة 686 .

وقد كان في كل مدينة يحل بها حريصا على الاتصال بعلمائها والأخذ عن أشياخها والتعرف على وجوه القوم فيها . واكتسب من ذلك علما واسعا وخبرة فائقة . فقرأ وروى وسمع أمهات التصانيف الحديثية . وكتب العربية وجرت بينه وبين من زارهم من العلماء والأصحاب محاورات ومناقشات علمية ومطارحات ومساجلات أدبية وشعرية . فكان احتفاله بهذا الجانب في رحلته الطويلة مهيمنا عليه بحيث لا تجده يصف المعالم والآثار ولا يتحدث عن المنازل أو الديار إلا لماما وبقدر الحاجة، صارفا كل اهتمامه إلى ملاقاة الرجال وزيارة العلماء والمحدثين والرواة وأصحاب الكتب في مجالسهم بالمساجد أو الدكاكين أو في دورهم ومنازلهم . وإنا لنلمس شاهد ذلك وبرهانه أولا في الرسوم التي احتوت عليها أجزاء الرحلة، وثانيا في رفع تلميذه عبد المهيمن الحضرمي منزلة هذا التقييد إلى درجة الأثبات حيث سمى الرحلة برنامجا . وذلك فيما قيده بخطه في آخر نسخة المؤلف وعند انتهائه من سردها بين يديه من قوله : «أكملت قراءة هذا البرنامج في يوم الأحد الحادي عشر لرجب عام عشرين وسبعمائة . قاله عبد الهيمن الحضرمي وفقه الله» .

ولا بدع فيما ذهب إليه هذا الشيخ الحاذق فإن رحلة ابن رشيد «ملء العيبة» تعتبر من أوسع البرامج والفهارس العلمية. وذلك لما اجتمع فيها من تراجم وافية، وأسانيد دقيقة، وأسماء كتب وتآليف، ومرويات مما كان يقصد إليه مؤلف الرحلة ابتداء وإن اعتذر عن طريقة وضعه وأسلوب تحريره له بقوله: «إني لم أكن قصدت به مقصد التصانيف المهذبة ولا التآليف المرتبة. وإنما قيدته بحسب ما تيسر لي مما كنت كتبته على ظهور الكتب وبطون البطائق مما قيد للتذكار بتلك المعاهد اللائحة الأنوار. فقصدت أن أضم بدده وأجمع عدده. وأكثره وقع على غير روية بل وفق ما سمحت به السجية».

وقد صرح رحالتنا بما تضمنه كتابه «ملء العيبة» في قوله «وإن كنت أودعته من الفوائد ما لعله لا يحصره ديوان ويعز وجوده على ذي البحث والتنقير والافتنان... وقد ضمنته من الأحاديث النبوية، والغرائب الأصلية والفقهية، واللطائف الأدبية، والنكت العروضية. وضبطت الشكل من أسماء الرجال، والتعريف بكثير من المجاهيل والأغفال، ما أرجو أن يشفع فيما تضمنه من غير ذلك، ويثقله في الميزان وراء ذلك كله رجاء العفو والغفران من الملك الديان».

وقد رتب هذا البرنامج أو رحلته ترتيبا اعتمد فيه ذكر وترجمة من لقيه من العلماء والأدباء والصالحين. وأدرج في تلك التراجم والرسوم ما نبه عليه من العلوم والفهوم. وصرح بمنهجه الخاص في ذلك حين قال: «وفيه أيضا مواضع في الأسانيد والمتون والآداب ذوات الفنون وقع الغلط فيها من غيري في سند أو متن، فما علمت وجه الصواب فيه أوضحته وأقمت صوابه ونبهت على الذي أصلحته، وبعضٌ بقي على حاله مقفلا فكُتب مغفلا وضُبِّب عليه أو جعلت في الحاشية علامة نظر ترشد إليه».

ولرفع أخطاء الواهمين وتصورات المتعجلين التي تعرض لهم عند قراءة تراجم الشيوخ السابقين نبه إلى طريقته في التعريف بالرجال ووصفهم بقوله: «وكذلك من وصفته من شيوخنا وأصحابنا بصفة أو حلَّيته بحلية، فلم أتجاوز في أوصافهم بل جئت بما هو أقرب إلى إنصافهم، وإن سلك في بعضها على عادة أهل الآداب من الشعراء والكتاب، فما قلت إلا بما علمت بعد، ويشهد لهم بذلك ما لهم من السؤدد والمجد».

وهو مع حرصه على الدقة والضبط والحيطة في الرواية والنقل يخشى أن يكون قد قصَّر أو غفل أو أهمل ويطلب من الواقف على تقييداته أن ينتبه لذلك ويصلحه بالقدر الذي يسمح له به وذلك قوله: «فمن وقع له وجه الصواب في ذلك فليدركه حلمه وسعة علمه. وكذلك إن وقع خطأ من قِبلي في خط أو نقل فلينبه عليه على طريق الاتصاف بالإنصاف وعدم التعسف والاعتساف بحول الله».

وكما تمنينا أن نقف على أجزاء الرحلة كاملة تامة فلم يتوفر لنا ذلك رغم بحثنا عنها بالمغرب بفاس ومراكش، وسؤالنا عنها وعن بعض أجزائها ببلاد المشرق بالإسكندرية ومصر وبالحرمين الشريفين، وتطلعنا إلى وجودها بالآستانة وبالمكتبات الواسعة الأوربية وكل ما وصلنا إليه من «ملء العيبة» هو ما تضمنه فهرس الإسكوريال وتحدثت عنه الدراسات المعاصرة وهو عبارة عن أجزاء أو قطع من الكتاب تقع متفرقة على الرفوف غير مرتبة وتحمل الأعداد التالية:

1680 ـ للجزء الخامس وموضوعه: الحرمان الشريفان ومصر والإسكندرية عند الصدور.

1735 ـ للجزء السابع وموضوعه: تونس سبتة في طريق العودة.

1736 ـ للجزء الثاني وموضوعه: تونس عند الورود.

1737 ـ للجزء السادس وموضوعه: تونس عند الصدور.

1739 ـ للجزء الثالث وموضوعه: الإسكندرية ومصر عند الورود.

وقد سألنا عن سبب ذلك فقيل لنا إنها كادت أن تتلاشى مع كتب أخرى في حادث عرض للدير. ولما عثر عليها جميعا أخذت من خارجه وأعيدت إلى المكتبة به. فوضعت في الرفوف على وضعها الحاضر الذي هي عليه الآن، وأُعطيت تلك الأعداد. فكان الخامس أولا، والسابع والثاني والسادس ثانيا وثالثا ورابعا، وكان الثالث خامسا.

وبالوقوف المتثبت الدقيق على هذه الأجزاء من «ملء العيبة» يتبين للدارس:

أولا: أن هذه النسخة وهى أصل الكتاب مغربية قطعا. كانت عند مؤلفها بسبتة وفاس، وقرأها عليه تلميذه عبد المهيمن الحضرمى، وانتقلت بعد ذلك بالملك بين أسر علمية مثل الونشريسى والمنجور. ثم آل أمرها إلى الأندلس، ومنه إلى دير الإسكوريال بمدريد.

ثانيا: أن هذه النسخة مسودة المؤلف وبخط يده ما عدا الجزء الثالث منها وهو الذى يحمل رقم 1739 والذى موضوعه الإسكندرية ومصر عند الورود، فإنه نسخة من الأصل وبخط مغربى واضح جميل. وعلى كل الأجزاء المكونة للأصل تعليقات لابن رشيد كاتبه أضافها أثناء المراجعة أو عند قراءة البرنامج عليه كما أن عليها توقيفات من غيره وتعاليق لبعض القراء بهوامشها.

ثالثا: أن هذه الأجزاء الموجودة من الرحلة ينقصها الأول. وهو الذى قيد فيه ابن رشيد أخبار خروجه من سبتة، ووصوله إلى المرية، ولقائه بابن الحكيم، وتعرفه على وجوه العلماء من سكان الثغور، ودخوله بعد ذلك إلى بجاية، وانتهائه منه إلى تونس. وكل ذلك يشهد له ما ورد بتضاعيف الأجزاء الباقية، وما تضمنه الاستدعاء الصغير الذى أدرج بالجزء الثانى خطأ على اعتباره أوراقا منه.

قالت المؤلفة: أوردناه تحت عنوان« الاستدعاء» فى م ٤ / ٢٣٦.

رابعا: أن الرحلة مبتورة بالوسط أيضا لفقدان الجزء الرابع منها. وموضوعه: ديار الشام التى اتجه إليها ابن رشيد عند خروجه من مصر، ثم انطلق منها إلى الوجهة الحجازية. ويبدو كما يدل على ذلك ملحق الجزء الثالث وهو الاستدعاء الكبير أن الجزء الرابع تضمن فيما تضمن الترجمة لجماعة لقيها الرحالة فى طريقه إلى الشام.

فبمدينة بلبيس التى بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ لقى جماعة منهم:

محمد بن يحيى بن على بن محمد بن يحيى بن محمد بن هبيرة الشيبانى. لقيه بها فى 7 شعبان 684.

وابن قطران أحمد بن عيسى بن يوسف بن إبراهيم المقدسى البلبيسى. لقيه بها فى الثامن من شعبان.

وابن الدمشقى أبو الحسن على بن عبد الكريم بن عبد الله.

وبغَطيا أحد منازل السهل من آخر الديار المصرية فى الطريق إلى الشام لقى أبا المجاهد غازى بن أبى الفضل بن عبد الوهاب الحلاوى الدمشقى، وذلك فى الثانى عشر من شعبان.

وبحرَم الخليل تعرَّف على البديع أبى الحسن على بن محمد بن على بن بركات الأنصارى.

وبالأقصى لقى الملك يوسف بن داود بن عيسى بن محمد بن أيوب الحنفى، وهذا فى الخامس والعشرين منه.

وبالقدس أيضا وفى نفس اليوم اتصل بالشيخ الخطيب عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن على بن جعفر القرشى الزهرى الشافعى.

وكذلك بالخطيب المفتى إمام المسجد الأقصى عبد الحفيظ بن بدران.

وبنابلس فى الثامن والعشرين من شعبان لقى أبا الحسن على بن عبد الرحمن بن عبد المنعم.

وابن السلمى القرشى محمد بن محمد بن سالم بن يوسف.

ثم القاضى جمال الدين أبا عبد الله.

وبدمشق فى العاشر من رمضان اتصل برأس الصلحاء شيخ المدرسة الظاهرية زكى الدين أبى إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى بن على الرعينى الأندلسى.

ولقى بها عبد الرحمن بن يوسف بن محمد البعلبكى.

والفخر الكرجى أبا حفص عمر بن يحيى بن عمر.

وكذا مجد الدين أبا عبد الله محمد بن خالد بن حمدون.

والفخر المقدسى أبا الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد.

وقد ترجم بدون شك لهؤلاء وغيرهم ـ ممن قرأ عليه أو سمع منه أو روى عنه بالبلاد الشامية ـ فى هذا الجزء الرابع من الرحلة.

خامسا: أن الأجزاء الأول والرابع المفقودين والثانى والثالث تمثل القسم الأول من الرحلة وهو الورود، والجزء

الخامس هو القصد وفيه ابتداء القسم الثانى منها وهو الصدور ويشمل هذا بقية الأجزاء السادس والسابع .

الرسوم الباقية من الرحلة :

لا يعنينا هنا أن نصف الأجزاء الباقية المتوفرة لدينا فى الرحلة فسوف نقوم بذلك بحول الله عند تقديم كل جزء منها . ولكننا لإبراز أهميتها والتعريف بما تضمنته من رسوم ننبه هنا على ما اشتمل عليه كل جزء من ذلك .

ففى الجزء الثانى أو الباقى منه الذى يحمل رقم1736 المتعلق بتونس عند الورود نجد على الترتيب تراجم الأعلام الآتى ذكرهم :

1 ـ أبو بكر بن حبيش .... 1 أ ـ 8 ب
2 ـ أبو إسحاق بن الحاج .... 10 أ ـ16ب
3 ـ أبو العباس بن القصير .... 9 أ ـ9 ب
4 ـ أبو محمد الطبيرى .... 17 أ ـ19ب
5 ـ أبو العباس البطرنى .... 20 أ ـ20ب
6 ـ أبو عبد الله بن حيان 20ب ـ26ب
7 ـ أبو جعفر اللبلى .... 27 أ ـ34ب
8 ـ أبو البركات القميجى .... 35 أ ـ40ب
9 ـ أبو عبد الله السلاوى .... 41 أ ـ43ب
10 ـ أبو يعقوب بن عقاب .... 44 أ ـ44ب
11 ـ صالح بن شوشن .... 45 أ ـ45ب
12 ـ أبو محمد الخلاسى .... 45ب ـ56 أ
13 ـ أبو عبد الله بن أبى تميم الحميرى .... 56أ ـ60 أ
14 ـ أبو محمد بن مبارك .... 60 أ ـ64 أ
15 ـ ابن أبى الدنيا .... 64 أ ـ65ب
16 ـ أبو العباس الأشعرى 66أ ـ66ب

وفى الجزء الثالث أو الباقى منه الذى يحمل رقم1739 وهو لا يتصل بما قبله نجد مجموعتين من التراجم . الأولى خاصة بالإسكندريين الذين لقيهم ابن رشيد عند الورود، والثانية تتعلق بالمصريين . وقد وردت رسومهم عن النسق التالى :

الإسكندرية

1 ـ ابن ساطر البونى .... 1 ب ـ 2 ب
2 ـ ابن التونسى .... 2 ب ـ2 ب
3 ـ ابن منصور الهمدانى .... 3 أ ـ3 أ
4 ـ مثقال الحبشى .... 3 أ ـ3ب
5 ـ ابن منصور الأنصارى .... 3 ب ـ4 ب
6 ـ المكين الأسمر .... 4 ب ـ6ب
7 ـ محمد بن مكين بن الخطيب .... 6 ب ـ7ب
8 ـ الخزرجى .... 7 ب ـ9 ب
9 ـ ابن هلال التميمى القماح .... 9 ب ـ10أ
10 ـ الغرافى .... 10 أ ـ21 أ

مصر

11/ 01 السعدى .... 21 أ ـ22 ب
12/ 02 ابن النحاس .... 22 ب ـ30 ب
13/ 03 ابن الأنماطى .... 30 ب ـ35ب

(نورد ترجمته فى نهاية هذه المادة إن شاء الله تعالى لأهميتها حيث فاتنا إيرادها فى موضعها من حرف الألف) .

14/ 04 القسطنينى .... 35 ب ـ36 أ
15/ 05 ابن خطيب المزة .... 36 أ ـ43ب
16/ 06 ابن الخيمى .... 43 أ ـ48 ب
17/ 07 المراغى .... 48 ب ـ57ب
18/ 08 ابن دقيق العيد .... 57 ب ـ63 أ
19/09 التقى عبيد .... 63 ب ـ68ب
20/10 أبو البركات الخلاطى .... 68 ب ـ70 أ
21/11 جمال الدين العطار .... 70 ب ـ77أ
22/ 12 أبو عبد الله محمد الصفار المطرز .... 77 أ ـ79ب
23/ 13 أم الفضل زينب البغدادية .... 79 ب ـ81ب
24/14 أبو عبد الله الدِّلاصى .... 81 ب ـ82ب
25/15 أبو عبد الله القسطلانى .... 82ب ـ83 أ
26/16 أبو بكر العسقلانى الرزاز .... 83ب ـ84 ب
27/17 أبو الحسن بن أبى الكوم .... 84 ب ـ85ب
28/18 أبو يونس ذو النون الأسعردى .... 85 ب ـ88 أ

29/19 أبو المكارم الأصبهانى.......... 88 أ ـ 89 ب
30/20 أبو محمد الكافورى........... 89 ب ـ 91 ب
21-31/22 -32 أبو محمد وأبو موسى ابنا
القاهرى .... 92 أ ـ 36 ب
33/23 أبو العباس الأعلاقى .... 93 أ ـ 94 ب
34/24 أبو عبد الله الخراسانى.......... 94 ب ـ 95أ
35/25 أبو الهدى الأنصارى .... 95 أ ـ 96 ب
36/26 الظاهرى .... 96 ب ـ 99ب
37/27 أبو عبد الله بن درادة .... 99 ب ـ 100ب
38/28 أبو البدر بن أبى الزين.......... 100ب ـ 102 أ
39/29 أبو أحمد البعلبكى.............. 102 أ ـ 103أ
40/30 أبو فضل الدميرى .... 103 أ ـ 106أ
41/31 أبو بكر القسطلانى .... 106ب ـ 113أ
42/32 أبو البركات بن نبا .... 113 أ ـ 114أ
43/33 أبو العز الحرانى .... 114 أ ـ 123أ

وفى الجزء الخامس الذى يحمل رقم1680 وموضوعه الحرمان الشريفان، ومصر والإسكندرية عند الصدور يذكر ابن رشيد مراحل سفره، ويصف تنقلاته ومحاوراته مع الأصحاب ومذاكراته. ويطنب عند الحديث عن المناسك وهى غرضه الأول من السفر فيتحدث عن البيت والمقام والسعى والمشعر الحرام وعرفة ومنى، ولا يغفل عما التزم به فى برنامجه من التعريف بمن لقى من الرجال أو ذكر من روى لهم وقيد مقالاتهم وأشعارهم من أئمة العلم وأهل الفكر والأدب.

ففى الحرمين الشريفين يعرِّف بثلة من العلماء والصلحاء والمحدثين منهم:

1 ـ عفيف الدين بن الزجاج ...... 3 أ، 6أ ـ 8أ، 52أ، 55 أ
2 ـ أبو القاسم عبد الحميد محمد ابن الزجاج .... 5 أ ـ 12أ
3 ـ أم الخير أم محمد فاطمة البعلبكية .... 8 أ ـ 9أ
4 ـ أبو إسحاق إبراهيم الفاسى ـ
5 ـ أبو محمد عبد السلام بن مزروع بن عزاز ...... 9أ ـ 13أ
6 ـ أبو نصر الشقارى .... 13 أ ـ 13 أ
7 ـ أحمد بن عثمان المصرى .... 13 ب ـ 13ب
8 ـ أبو عبد الله بن أبى القاسم .... 15ب ـ 14 أ
9 ـ أبو محمد المرجانى .... 16 أ
10 ـ أبو على عمر الصواف 19أ
11 ـ أحمد بن أبى بكر بن خليل 25أ
12 ـ أبو عبد الله بن أبى بكر بن خليل 25أ
13 أبو اليمين بن عساكر 30ب
14 ـ أحد العلماء أنسى اسمه .... 55أ ـ 52 أ
15 ـ أبو محمد البسكرى .... 55 ب
16 ـ أبو الحسن التجانى .... 56 ب

وبمصر عند الصدور

17/01 عز الدين الحرانى .... 59أ ـ 62 أ تكرر له لقاؤه
18/02 جمال الدين الظاهرى ..... 62 أ ـ 65 أ تكرر له لقاؤه
19/03 أبو صادق بن رشيد العطار.............. 65 أ ـ 66أ تكرر له لقاؤه
20/04 أبو الفتح ابن دقيق العيد ...... 66 أ ـ 67ب تكرر له لقاؤه
21/05 صواب الصلاحى .... 68 أ
22/06 علم الدين العراقى .... 68 أ ـ 69 ب
23/07 شرف الدين الكركى......... 69ب ـ 71ب
24/08 زين الدين بن الجميزى السكان 71ب
25/09 الجمال محمد بن إبراهيم ابن يحيى الأنصارى ...... 72 أ ـ 74 أ
26/10 ناصر الدين نصير المثياوى.............. 74 أ ـ 76 ب
27/11 أبو حيان الجيانى .... 77 أ ـ 79 أ

وبالإسكندرية عند الصدور

28/01 وجيه الدين أبو محمد بن خير ...... 79 أ 80 ب
29/20 شرف الدين بن الصواف .... 80ب ـ 81أ
30/03 على التجانى .... 81 أ ـ 83ب
31/04 جمال الدين الجابى البزار .... 84 أ ـ 84ب

وفي الجـزء السـادس رقم 1737 المتعلق بالعـودة من الإسكندريـة إلى تونـس عن طريق إطـرابلس والمهديـة يعرف بجماعة من الأعلام منهم من لقيه بالمركب وهو:

1 أبو عثمان سعيد بن جون 1ب

ومنهم من عرفه بإطرابلس وهو:

2/01 أبو محمد عبد الوهاب بن أبي الحسن بن عبد السيد .... 2 ب

ومنهم من لقيه بالمهدية وهو:

3/01 أبو فارس التميمي .... 6 ب

وفي تونس التقى بمجمـوعة كبيرة من العلمـاء عرف بهم. منهم من تجـدد له لقاؤه، ومنهـم من تعرف عليـه لأول مرة. وهم:

4/01 أبو بكر بن زيتون .... 9 أ _ 15 أ تكرر له لقاؤه

5/02 أبو العباس بن الغماز .... 15ب - 55 أ تكرر له لقاؤه

6/03 أبو يعقوب بن عقاب .... 25 أ - 61 أ تكرر له لقاؤه

7/04 أبو القاسم اللبيدي ..... 26 أ - 33ب

8/05 أبو بكر بن حبيش ...... 33ب - 54ب تكرر له لقاؤه

9/06 أبـو العبـاس ابن الإمـام الجزائري .... 55 أ _ 61ب

10/07 أبو إسحاق الخزرجي ..... 62أ _ 63 أ

11/08 أبـو العباس وأبـو جعفر الليلي .... 63أ - 83ب 84أ تكرر له لقاؤه

12/09 أبو الحسن بن ديسم ..... 63 أ - 63ب تكرر له لقاؤه

13/10 أبو الحسن بن رزين ..... 64 أ - 83 أ

14/11 أبو محمد بن هارون ..... 85 أ تكرر له لقاؤه

15/12 أبو عبد الله السلاوي ..... 85 أ - 87ب تكرر له لقاؤه

16/13 عبد العزيز الجعدي 88 أ - 88ب

17/14 محمـد بن أبي القـاسم اللواتي .... 89 أ

18/15 أبو العباس الكتاني ..... 89 أ - 95ب

19/16 أبو العباس ابن القصير 96 أ - 98ب تكرر له لقاؤه.

20/17 أبو عبد الله بن هريرة 98ب

21/18 أبو عبد الله الأنصاري 99أ

22/19 أبو القاسم بن تقي 99ب

23/20 أبو بكر بن غصن 100أ

24/21 أبو عبد الله بن همشك ..... 100أ _ 101أ

25/22 أبو الشمل جماعة الحلبي .. 101أ _ 101أ

26/23 أبـو العبـاس بـن نخيل الحميري .... 102أ _ 103ب

27/24 أبو إسحاق بن حبي .... 103ب _ 109أ

28/25 أبو العباس بن المروش..... 109أ - 110أ

29/26 أبو القاسم الكلاعي 110ب

30/27 أبو الحسن القيجاطي...... 110ب - 112أ

31/28 أبو القاسم الأنصاري 112أ

32/29 أبو يعقوب بن أندارس ..... 112أ _ 112ب

33/30 أبو العباس بن المرسي ..... 112ب _ 114أ تكرر له لقاؤه

34/31 أبو الكرم الحميري 114أ

35/32 أبو عبد الله الفرضي .... 114ب - 115ب

36/33 أبو زيد بن القويع .... 116أ _ 116ب

37/34 أبو عبد الله بن القويع ...... 116ب - 117ب

وفي الجزء الأخير المنقطع عما قبلـه وهو الجزء السابع أو نهاية الرحلة 1735 المتعلق بالعـودة من تونس إلـى سبتة عن طريق عنابة ومالقة ورندة والجزيرة الخضراء تحدث ابن رشيد عن مروياتـه ومجالسه ومراسلاته يترجم لجمـاعة من الأعلام المشرقيين منهم:

1 أبو حفص التجاني. والمقدار الموجود هو بقية الرسم المخصص له 1 أ _4 أ

2 أبو الفضل التجاني............. 4 ب _15أ

وبمالقة يتعرف على جماعة منهم:

3/1 أبو عبد الله بن عياش .... 53 ب -58ب

وبرندة التقى بجماعة منهم:

4/1 أبو الحسن بن السفاج 59ب

5/2 أبو عمرو بن عبيد الله الأسدي ... 59 ب -61أ

6/3 أبو القاسم بن الأيسر........... 61 ب -63أ

وعن الجزء الثاني يقول سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة :

يحتوى هذا الجزء بالرغم عما سقط منه من أوراق ورسوم على ست عشرة ترجمة . اثنتا عشرة منها لأندلسيين قدموا تونس واستقروا بها . فمنهم المرسى وهو أبو بكر بن حبيش والقميجي من بنى قميج قرب مرسية وهو أبو البركات القميجي ومنهم الإشبيلى الأصل مثل ابن الحاج وابن القصير، ومنهم الشريشي وهو أبو محمد الطبيرى ، ومنهم البطرنى وهو أبو العباس أحمد بن موسى الأنصارى . ومنهم الشاطبى مثل أبى عبد الله بن حيان وأبى يعقوب بن عقاب ، واللبلى وهو أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهرى، والطرطوشى وهو أبو التقى صالح بن شوشن والبلنسى وهو أبو محمد الخلاسى، والمالقى وهو أبو العباس الأشعرى . وبقية المترجم لهم فى هذا الكتاب من أهل بلاد المغرب . منهم التونسى مولدا ونشأة وهو أبو محمد بن مبارك، ومنهم من قدم على تونس من مدينة سلا بالمغرب الأقصى وهو أبو عبد الله السلاوى ، ومنهم من انتقل إليها من بجاية وهو أبو عبد الله ابن أبى تميم الحميرى، ومنهم من ورد عليها من طرابلس وهو ابن أبى الدنيا .

ودرجة هؤلاء وأولئك من المذكورين فى الرسوم الباقية من هذا الجزء مختلفة بحسب علاقاتهم بصاحب الرحلة . فمنهم من عدهم ابن رشيد فى زمرة شيوخه وهم الأكثر، ومنهم من وصفهم بالصحبة وهؤلاء هم الطبيرى والبطرنى وابن حيان وابن المبارك والأشعرى .

وأهمية التراجم متفاوتة بحسب الدسامة وتعدد الأغراض وما تناولته الرسوم من إفادات ومعلومات . وترتيبها على هذا الأساس وبحسب هذا الاعتبار يكون كالتالى : التراجم 12، 1، 7، 8، 6، 2، 14 ، 9، 10، 13، 3، 4، 5 ، 15، 16، 11 .

من الجدير بالملاحظة أن هذه الرسوم قد اشتملت فيما اشتملت عليه على ذكر أنواع من طرق التحمل مثل القراءة والسماع والمناولة، وعلى أحاديث بأسانيدها مع التعقيب على طرقها وبيان ما يتعلق برجالها، وعلى أخبار تتعلق بالمترجم لهم أو بابن رشيد ومن كان مصاحبا له فى سفره مثل ابن الحكيم وأبى محمد الطبيرى وأبى محمد المرجانى وأبى محمد البسكرى وأبى محمد بن يعقوب . كما اشتملت على ذكر طبقات من الشيوخ، وأشعار لابن رشيد وابن الحكيم وابن مبارك وغيرهم من أصحاب التراجم، وعلى ذكر تصانيف فريدة ومؤلفات عديدة للمترجم لهم . وهى إلى جانب ذلك سِجِلٌ به جملة من الألفاظ الحضارية والخاصة التى كان يستعملها ابن رشيد ومن عاصره فى البلاد المغربية .

ولا يفوتنا أن ننبه هنا على أن ابن رشيد فى كل هذه التراجم قد أثبت أنه استجاز أصحابها وحصل على الإجازة منهم لنفسه ولولده وأخواته . وفى البعض منها لهؤلاء جميعا وطائفة من أصحابه، إذ كان غرضه الأول من الاتصال بهؤلاء الأعلام الانتفاع بما عندهم من أخبار وأحاديث وفهارس وسماعات، وتقييد الأسانيد والانتظام فى سلكها بما يحصل عليه من إجازات .

ولنتمكن من تصور الأعلام المترجم لهم بهذا الجزء من شيوخ وأصحاب ابن رشيد تصورا دقيقا يمكن أن نقسمهم إلى فئات بحسب تخصصاتهم أو ما غلب عليهم واشتهروا به من معارف أو فنون وأذواق . فمنهم :

1) الفقهاء الحفاظ الأدباء الشعراء : 1، 16 .
2) الشيوخ المحدثون : 6، 8، 2، 5 .
3) الفقهاء الأصوليون : 15 .
4) الحفاظ المتصوفون : 12، 10، 11، 9 .
5) الأدباء المتصوفون : 4 .
6) الرواة الأدباء النحاة : 7 .
7) الأدباء : 13، 14، 3 .

الفئة الأولى ونعد فيها علمين بارزين هما :

الفقيه الأديب الحافظ الشاعر القاضى الزاهد أبو بكر بن حبيش المرسى (أوردناه فى م ١٣ / ١١٢ ، ١١٣) وهو من أول من لقيه ابن رشيد بتونس . زاره بمنزله ووجد منه عناية واحتفاء .

ذكر له فهرسته التى كتبها له تلميذه أبو العباس الأشعرى ، وكذا أَسْمِعَتَه .

والفهرست ، كما يبدو من قراءتها ، ثبت زاخر بأعلام الأندلسيين الذين تخرج عليهم .

فمن شيوخه ابن الولى ، والرفاء ، وابن سلمة الشاطبى ، وابن محرز ، وسهل بن مالك ، وابن عساكر ، وابن قطرال ، وابن أبى السداد ، وابن الحاج القرطبى ، وابن عتيق الأزدى ، وابن واجب القيسى ، وابن أبى الغصن اللخمى ، وابن القرشية المقرئ ، وابن برطلة ، وابن عميرة ، وابن أبى الخير الشاطبى ، وابن أبى غالب ، وابن الأصفر الحارثى ، وابن مفضل بن مهيب .

وقد أجاز له جماعة أيضا من أشهرهم : أبو على الشلوبين ، والدباج ، وابن عاصم الرندى ، وابن القاسم الطيلسان ، وابن حريرة المالقى ، والمومنانى ، وأبو زيد الخزرجى .

وأسمعته ديوان يعرف بالكتب القيمة المعتمدة فى ذلك الوقت لتخرج أهل الفضل والعلم فى مختلف العلوم العقلية والنقلية والشرعية ، فمن ذلك التيسير للدانى ، وحرز الأمانى للشاطبى ، والقصيدة الحصرية ، والتقريب والحرش للهاشمى ، والمحرر الوجيز لابن عطية ، وصحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وسنن أبى داود ، وسنن الترمذى ، وموطأ مالك ، وملخص القابسى ، ومنتقى ابن الجاورد ، والمسند الكبير للبزار ، وسيرة ابن هشام ، وشمائل الترمذى ، وكتاب الأربعين للمقدسى ، وكتاب الأربعين لأبى الفتوح الطائى ، وكتاب الأربعين للفراوى ، وشرح الحكم والأمثال للعسكرى ، ومعراج المناقب لابن أبى الخصال ، والاستيعاب لابن عبد البر ، والاستذكار له ، والإشراف لابن المنذر ، والمختلف والمؤتلف لعبد الغنى الحافظ ، وكتاب الجهاد لابن الحاج ، والتبصرة للخمى ، ورسالة ابن أبى زيد ، والتلقين للقاضى عبد الوهاب ، وفهرست أبى القاسم بن حبيش ، والإيضاح للفارسى ، والجمل له ، والمفصل للزمخشرى ، وكذا الفصيح وإصلاح المنطق لابن السكيت ، وأدب الكتّاب لابن قتيبة ، والأمثال لأبى عبيد ، والكامل للمبرد ، والأمالى للبغدادى ، والمقامات للحريرى ، وكتاب الأشعار الستة ، وشعر المتنبى ، وحماسة حبيب ، وشعر ابن وضاح ، وشعر ابن خفاجة ، والمسلسل فى اللغة للتميمى ، وكتاب نزهة الألباب فى محاسن الآداب ، والمقاصد الكافية من علم لسان العرب .

ثم عرّف ابن رشيد بما قرأ على ابن حبيش من أحاديث ، وأثبت بالترجمة قصيدا طويلا من نظمه يستدعى به أنس بن حبيش وإجازته له ، وعقب ذلك أثبت الجواب عن قصيده بما نظمه أبو محمد بن مبارك على لسان الشيخ ثم ذكر قصيد ابن الحكيم فى نفس الغرض والإجابة عنه .

ثم أورد أشعارا كثيرة تزيد على ثلاثين قطعة كلها لابن حبيش ومن نظمه غير قطع قليلة أنشدها صاحب الترجمة له بعضها لابن خفاجة والبعض الآخر لابن شرف . وقد كان ابن رشيد دائم الاتصال بأبى بكر بن حبيش من حين دخوله تونس إلى وقت مغادرته لها حيث وافته مراسلة منه إلى المركب الذى يحمله نحو الوجهة الحجازية .

2) الفقيه الصالح المحدث الأديب أبو العباس أحمد بن محمد بن ميمون الأشعرى المالقى نشأ بتونس وتعلم بها . وكان له تقدم فى النظم واتساع فى الرواية . سمع وأجيز له واستجاز واستجيز له ذكر ابن رشيد من شيوخه ابن الحجاج وابن الغماز وابن مناد وابن أبى رقيقة وحازما القرطاجنى وأبا بكر بن حبيش . وقال : إنه كان يقيم فى بيت ومعه كتبه فى أحد المساجد . وذكر أنه صحبه مدة إقامته بتونس ، ووصف شعره بالكثرة ، وذكر من تآليفه تكميل كتاب ميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين فى ذكر الصحابة الأكرمين لأبى الربيع سليمان الكلاعى ، ونقل عنه إفادات وأبياتا .

الفئة الثانية : ونذكر فيها جماعة من المحدثين علا ذكرهم وذاع صيتهم بالبلاد المغربية وهم على ترتيبهم فى الأهمية :

1) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حيان الشاطبى . وهو الفقيه الراوية المكثر المسند المقيد الضابط المقرئ المجوِّد المُكتب . ذكر ولادته سنة 635 . ووصفه بسماع العالى والنازل من الأسانيد ، وباقتنائه الأمهات والأجزاء ، وبكونه كتب بخطه ما لا يحصى ، وعد من شيوخه أعلاما من أهل أفريقية ، ومن القادمين عليها من الأندلس مثل أبى المطرف وأبى إسحاق بن عياش وابن الأبار . وذكر أنه كان يصحبه إلى مجالس ابن الغماز وابن حبيش ، وكان معجبا به وبتصرفه مع الأشياخ إذ كانت له قدرة فائقة على مداخلتهم لسماع ما

عندهم . ومما ورد فى هذه الترجمة سماعات ابن رشيد عليه لجملة من الأحاديث منها :

حديث : «إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن ... » .

وحديث : «من صلى على يوم الجمعة مائة صلاة ... »

وسمع منه أيضا بيتى عطاء الفقيه ببيت المقدس . وقرأ عليه جملة من مسلسلات أبى بكر بن العربى ، منها : مسلسل المصافحة ، ومسلسل ذاك كذا ، ومسلسل اشتكت عينى ، ومسلسل إنى أحبك .

وقال : إن ابن حيان كتب له بخطه جملة من الأشعار التى أسندها ورواها عن أشياخه . فقرأها عليه ابن رشيد وعلق على كثير منها .

2) أبو البركات موسى بن عبد الله بن إبراهيم التجيبى المرسى القميجي وهو الفقيه المقرئ المحدّث . ذكره المقيد أبو إسحاق البلفيقى . مولده سنة 610 . وهو صهر ابن حيان وعنده لقيه ابن رشيد . ذكر له عددا من شيوخه المرسيين ومن القادمين على مرسية . وقال : إنه تلا بغرناطة بحرف نافع ، ثم عد نفرا من شيوخه الذى روى عنهم بالأندلس وبتونس . وأثبت فى ترجمته جملة مما أنشده من الأشعار كما أورد سماعاته . ومما قرأه ابن رشيد عليه رسالة أبى بكر بن العربى إلى أبى القاسم بن حبيش ، وجزء مصافحة ابن العربى الذى تضمن ستة أحاديث وهى :

«العائد فى هبته ... » .

«ألا أخذوا إهابها ... »

«الله أكبر خربت خيبر... » ،

«أنا محمد وأنا أحمد ... » ،

«ما كنت تدعو الله بشىء أو تسأله إياه ... » .

«كان أبو عبيدة وأبى بن كعب ... » .

وإثر تخريج هذه الأحاديث علق ابن رشيد عليها مبينا أن المصافحة لابن العربى فيها سلمت فى ثلاثة هى الأول والثانى والرابع ، ولم تتم له فى الثالث والخامس والسادس ، وبيّن وجه ذلك بغاية الضبط . ثم أورد كلام أبى الربيع بن سالم وما خطأً به ابن العربى فيما رواه من أحاديث وقعت له مصافحة للإمامين وهى :

«كان يعجبنا أن يجىء الرجل من أهل البادية ... » .

«استيقظ النبىء ﷺ من نوم محمر وجهه وهو يقول ... » .

«أن النبى ﷺ مر بشاة ميتة لمولاة ميمونة . . » .

«ينزل ابن مريم حكما مقسطا ... »

«لو تعلمون ما أعلم ... » .

«العائد فى هبته ... » .

«إنى أنا محمد وأنا أحمد ... » .

«من أحب أن يمد الله فى عمره ... » .

«سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالمرسلات ... » .

«دخلت أنا وخالد بن الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة ... » .

«أن النبى ﷺ أعطى من غنائم حنين ... » .

وعقب على هذه الأحاديث كلها بملاحظات أبى الربيع ابن سالم عليها .

3ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أبى الوليد محمد بن أحمد بن الحاج وهو الشيخ الحافظ المكتب المقيد المتقن . لقيه ابن رشيد بسوق العطارين فأجازه كتابة وأجاز بنيه أبا القاسم وعائشة وأمة الله وجماعة من أصحابه جميع ما يحمله من قراءة وسماع ومناولة وإجازة على العموم والإطلاق . وذكر أسماء شيوخه وأسمعته . وعرض للحديث الذى رواه عنه بسنده وهو قول رسول الله ﷺ «إن الاستغفار ممَحَّاء» .

ونبه ابن رشيد على ضياع كتب ابن الحاج وتعذر السماع عليه . وقال إن أَسْمِعَتَهُ توجد على ظهور الكتب متفرقة . ونقل عنه الشروط التى يكون بها الرجل من أصحاب الحديث ، كما أورد فى هذه الترجمة طرفا من أخبار أبى الفضل العباس بن أحمد وأخيه أبى الوليد بن أحمد بن الحاج ، والمساجلة بين ابن زرقون وابن أبى الركب ، وأبيات قينة التركى ، وخبر عبد الله ابن كثير حين سأله أهل مكة أن يقريهم القرآن بعد وفاة مجاهد ، وإفادة أن القراءة فى أصل الصدفى لا تصح الرواية بها إلا فيما وافق فيه رواية الكروخى . ثم أورد ما استحسنه من إنشادات أبى إسحاق عن أشياخه فروى قطعا كثيرة ونسبها إلى أصحابها .

4 ـ أبو العباس أحمد بن موسى الأنصارى البطرنى . وهو

المقرئ المجود المسند الراوية المقيِّد. روى عن جماعة كثيرة من شيوخ إفريقية وحصل على إجازات كثيرة من مشائخ أهل عصره بالمشرق. وحضر ابن رشيد معه دروس القاضي أبي العباس ابن الغماز. ولم يذكر صاحبنا شيئا من مروياته عنه غير ما أنشده له عند توديعه بتونس. وهو أبيات ثلاثة لأبي القاسم بن نوح. ثم ختم ترجمته بقوله: وقد كتب إليَّ بعد قفولي إلى المغرب بإجازة جميع مروياته.

والفئة الثالثة تتمثل في الفقيه الجليل العالم المشاور المفتي القاضي أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي. تردد ابن رشيد على منزله ولم يكتب له أن يراه إذ حال موت الشيخ دون ذلك. وكانت وفاته في ربيع الأول 684. صلى عليه بجامع الزيتونه ودفن بالزلاج. وهو طرابلسي وفد على تونس. له تصانيف في أصول الدين وأصول الفقه، ونظم ونثر. وصفه ابن رشيد بالاستقامة والعدل والثروة والمروءة وتحدث عن حسن معاملته للطلاب، وعن تنازله عن حقه في ميراث والده لأخيه. وأنكر على بعض الأشخاص تفويته عليه فرصة لقائه ابن أبي الدنيا، وحرمانه من لقاء آسية بنت عبد الرحيم بن طلحة وأخذ السماعات العالية عنها. وقد أخبر أن صاحبه أبا عبد الله محمد بن يعقوب هو الذي خلف الشيخ في القضاء بتونس. وذكر أنه قرأ على بعض الأصحاب كتب الشيخ، وأخذ مناولة من الشيخ العابد إبراهيم الفهري بعد قفوله من المشرق وأيام إقامته بغرناطة كتاب ابن أبي الدنيا: الإيضاح والبيان في العمل بالظن المعتبر شرعا بالسنة الصحيحة والقرآن.

والفئة الرابعة فيها حفاظ متصوفون أربعة:

1 ـ أعلاهم قدرا وأعظمهم خطرا الشيخ العالم الصوفي الزاهد الفاضل الولي التقي أبو محمد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاسي (أوردناه في م ١٦ / ١٠٦ ـ ١٢٤). وهو بلنسي الأصل، ولد سنة 610. كان يشتغل بتسفير الكتب، يقصده الناس للتبرك بدعائه والسماع منه. سمع من أبي الربيع بن سالم صحيح مسلم وصحيح البخاري وأكثر كتاب الاكتفاء، وقرأ على أبي إسحاق البلفيقي أحاديث الخضر وإلياس، وسمع عليه جزء الصحابة الأربعة، وحديث القلاقل، واختصار السيرة لابن فارس. وقرأ على ابن عجلان وسمع عليه جميع القواعد للقاضي عياض. وروى الأربعين حديثا لسلمان الفارسي.

وأخذ لباس الخرقة عن ابن مسدى وذكر سنده في ذلك وسمع عليه المقدمة المحسبة بتوجيه ذوي الخرق المنتسبة. وأثبتها بنصها كاملة، وقرأ عليه الجزء الثالث من الفوائد المسلسلات الأسانيد. وقرأ على أبي عبد الله بن أحمد بن لب الأنصاري عوالي ابن الدباغ، وعلى الشيخة أم الحسن فاطمة بنت نعمة بن سالم الحميري. وأجاز له عدد كبير من شيوخ المشرق، منهم من ورد ذكرهم في استدعاء البلفيقي له، ومنهم من استدرك ذكرهم ابن رشيد. وقد ذكر رحالتنا إجازة الخلاسي له، وأنه أخذ عنه الكتاب المغني عن الحفظ والكتاب لعمر بن بدر الموصلي، وأثبت صفة سماع الشيخ له. وأنشد عليه بلفظه بيتين لأبي عمران الزاهد، وآخرين لأبي بكر بن قسوم من مجزوء الكامل، وآخرين له من المجتث، كما أنشد عليه أيضا أبيات ابن عتاب الأب في التنويه بأصحاب الحديث، ثم أسند عليه إلى الشعبي قصة عبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير وأخيه مصعب وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة ودعاءهم بالملتزم. وأثبت ابن رشيد ما أسنده على أبي محمد الخلاسي من أحاديث وأخبار منها:

حديث: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد...»

وحديث: «إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم...».

ثم ذكر بالرواية عنه بيتين في التخويف من الله، وآخرين في الاسترحام لابن المفضل، وآخرين له أيضا في التزام طريق عباد الله الصالحين.

وبعد هذا أسند عنه مسلسل شهدت، ومسلسل كل السمك الطافي، ومسلسل الأسودين التمر والماء، ومسلسل أطعمنا وسقانا، ومسلسل سمعت، ومسلسل الجوز والخبز، ومسلسل لقمنا لقمة لقمة، ومسلسل احتفى في الضيافة واحتفل، ومسلسل الوتر، ومسلسل إني أحبك يا معاذ. وتخلل بعض ذلك إنشادات.

وأورد آخر الترجمة سماعه على أبي محمد، وذكر لباسه منه الخرقة، وأنشد عليه بلفظه ما رواه عنه من أبيات ابن مسدى في التذلل لله. وختم الرسم بذكر ما رواه عن الخلاسي

من شعـر ـ سقط من النسخـة ـ فـي أوصـاف الفعـل الكريمة.

2 ـ الشيخ أبـو يعقـوب يـوسف بن إبـراهيـم بن عقـاب الجذامي الشاطبي وهو المقرئ المجوّد الصوفي الولي التقي. أثبت تاريخ ولادته 613 . وذكر من شيوخـه والده وابن الولي وابن فورتش والبلنسي والمعـافري وابن قطرال. وقـال إنه لقي ابن قاسم وابن أبي السداد وسهـل بن مالك وابن أبي والحفار والطراز وأبا صالح محمـد بن محمد وابن الخضار التلمساني والفارسي واللـوري والمغاور وابن أبي نصـر وابن سبعين وابن وضـاح وجملة غيـر هـؤلاء في أسفاره وتنقـلاتـه وسمع منهم وأجازوا له. وفي آخر الترجمة ذكر ابن رشيد قراءته عليه كتاب التيسير حتى آخـر أسماء القـراء والناقلين عنهم، وأخـذه منه باقيـه مناولـة، كما قـرأ عليه ثـلاثيات البخـاري، وذكر منهـا حديث «من يقل عليّ ...» وأفاد في آخـر الرسم أن ابن الولي أقرأ في حياة شيخه ابن الأحدب.

3 ـ الشيخ أبـو التقى صـالح بـن محمـد بن سليمـان بن شـوشن أصلـه من طـرطـوشـة. وهو أحـد الأوليـاء الأتقيـاء المعمرين. ليس له كبير سماع. مولده573. أدرك أبا الحجاج الزاهـد المالقي. وقـرأ الترمـذي على أبي الربيع بن سـالـم، وأخذ عن الأندى البخاري والاستيعاب والسير والموطأ. ومن شيوخه ابن واجب وابن سعادة.

قرأ عليـه ابن رشيد حـديثا واحـدا من ثلاثيـات البخاري إيثـارا للتخفيف عليـه وهـو: «كنـا نصلي مع رسـول الله ﷺ المغرب إذا تـوارت بالحجاب». وقرأ عليـه ابن الحكيم سبعة أجزاء من ثمـانية من البخـاري. وممن أخذ عنـه من الشيوخ ابن حين النفزي الغـرناطي ونوه به. وفي آخر الـرسم حرر ابن رشيد ما جاء في أسماء شيوخ ابن شوشن من ذكر أبي الحجاج الأبذي الخزرجي. وأثبت أنه أبـو الحجاج الأندى القضاعي وقال: إن ما ورد بكلام أبي حيان في تسميته وهم.

4ـ الشيخ أبو عبد الله محمـد بن إبراهيم القيسي السلاوي وهو شيخ حافظ يعـرف بخديم المشائخ. له روايـة وذكر لنبذ من الآداب، وحفظ لكـرامـات الأوليـاء. ولـد بسـلا في رمضان 614. ولقي من علية الأدباء القاضي الكاتب أبا يحيى أبا بكـر بن هشام القرطبي. وذكر أنـه رحل إلى المشرق ولقي الحرالي وكتب عنه أماليه. كما أخذ عن عدد من الشيوخ مثل البكري الشـريشي وابن المقير والعطـار وأبي علي الشاطبي.

وفي ختـام هـذا الـرسم أورد ابن رشيـد المشـابكـة المبـاركـة للسلاوي في النوم، ونقل عنه أخبارا تعقبها عليه ثم ذكر له من مروياته قطعتين من الشعر يرويهما عن الحرالي.

الفئـة الخـامسـة: تتمثل فـي الأديب الحسيب الصـوفي الفـاضل أبي محمـد عبـد الله بن محمـد بن السليم الأزدي الطبيري الشريشي. قال ابن رشيد بشأنه «قرأ وتأدب وتصوف وتعبد وتزهـد وتطور ولبس الخرقة، وتخلق بأخـلاق الصوفية وتبعهم في لباسهـم وسلوكم». وذكر من شيـوخه أبـا إسحاق الغافقـي بسبتة. وقـال: إن له نظما جيـدا في المعـرب، وإنه محكم للطـريقة الـزجلية. عرفـه رحالتنـا بتونس. وكـان من صحـابته المـرافقين لـه في الطريق إلى الـديـار الحجازيـة. وأخبر أنه كـان ينشدهم من أشعاره في الطريق بـاستدعاء من أبي محمد المرجاني. وقد أثبت لـه ابن رشيد في آخر الترجمة قصيـدة من الطويـل ذات خمسة وعشـرين بيتـا. قال: إنمـا أنشده إياها بمنزله بتونس. وروى له مقطعات ثلاثة من طريق ابن الحكيم. وذكر له رؤيا بمكـة. وتحدث عن علاقته بأبي محمد البسكري وزيارته لـه، وأنشده في زيارته تلك بيتين من الشعر.

الفئة السادسـة: من الرواة الأدباء النحاة يمثلهـا أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي. وهو الأستاذ المقرئ اللغوي النحـوي المتقن. أخذ عن الشلـوبين والدبـاج والأعلم وابن خلفـون الأونبي وابـن خـروف ببـلاده الأنـدلـس، ثم عن ابن رحمون وأبي عبد الله الأزدي بسبتة، وعن ابن السراج ببجاية، وعن البـلاطي الحميري بتـونس، وعن ابن الجرج والجـذامي بـالإسكنـدريـة، وعن ابـن حسـان الأنصـاري وابن سـراقـة الشاطبي وابن شجاع والمنذري بمصر، وعن اللورقي والأربلي والخسروشاهي وعن العز بن عبد السلام بدمشق.

وقد أورد ابن رشيد بعد هذا فهرسته. وذكر جملة من تآليفه كشرح الفصيح، واختصاره، والبغية، والأفعال والتصريف. وعقب ذلك في ترجمتـه بذكر نبـذة من مروياته، ذكـر فيها: التيسير، والمنـاهج، والعنوان، وحرز الأمـاني، وغريب ابن عزيـز، وغريـب الهروي، والأحكـام الصغرى، والتـرمذي،

وشمائله، والروض الأنف، والمعلم، وشهاب القضاعي، والتفريع، والتهذيب، والجواهر الثمينة، والأربعين لابن الخطيب، والمحصل، وغاية المرام، ومنتهى السول، والأسرار العقلية، والإشارة، والإرشاد، والعقيدة النظامية، والليلتية، والرقائق، والزهد، ورسالة القشيري، والتحبير، والعوارف، والإحياء، وقوت القلوب، وسبل الخيرات، والكتاب، والإيضاح، والتكملة، والجمل، والجزولية، واللمع، والمفصل، وأصول ابن السراج، وشرح الميداني للكتاب، والإصلاح، وأدب الكتاب، والفصيح، وكفاية المتحفظ، ومثلث قطرب والصحاح، ومقصورة ابن دريد، والكامل، والمقامات، وشعر المتنبي، والحماسة لحبيب، والمعلقات السبع، وشعر المعري. وإن هذه الكتب التي احتواها برنامج اللبلي لتعطى صورة دقيقة عن ثقافة ذلك العصر وعناصرها. وهي هنا لم تعرض مسرودة منسوبة إلى أصحابها ولكنها امتزجت بالأسانيد في تحملها ورواياتها مع الذكر للطرق والرجال. وهي أكمل وأتم في العرض من تلك التي وردت في فهرست ابن حبيش أو برنامجه.

الفئة السابعة من الأدباء والشعراء نعد فيها ثلاثة أعلام:

1 ـ أبو عبد الله محمد بن أبي تميم الحميري وصفه ابن رشيد بقوله «صدر في بلغائها وأدبائها وجلة قدمائها وعلية حسبائها» أصله من بجاية. ومن شيوخه أبو عبد الله السوسي وابن أبي عجينة. اتصل به رحالتنا وصديقه الوزير ابن الحكيم واستنشداه من شعره فأنشدهما أبياته في جارية تدعى عنبرا، وأخرى في مغن قبيح الغناء. ولم يتمكن من صحبتهما لعلته ووفاته.

ومما أثبته ابن رشيد في رسمه من أشعاره قصيدة رقم العذار رواية عن ابن مبارك وهي رائعة جميلة، وأخرى في الغزل. ثم ذكر له بالرواية وإفادة ابن مبارك أيضا خمس مقطعات. ومما تلمع به الترجمة من أخبار ابن أبي تميم الحميري أنه شاعر فحل خمل أدبه وانطفأت شمسه بسبب ظروف وملابسات سياسية. وذلك ما أنبأ وحدث به المؤرخون.

2 ـ أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن مبارك. هو الأديب اللامع والكاتب المترسل والشاعر المتفنن تلميذ ابن حبيش وصديق ابن رشيد. خصه رحالتنا بترجمة وافية غير أن قسما كبيرا من رسمها سقط من النسخة. والباقي منه تعرض فيه المؤلف إلى ذكر نزهة جمعته بتونس عند قدومه عليها بجملة من الفضلاء الأدباء منهم ابن الحكيم والأشعري وأحمد ابن الأنصاري وابن مبارك. وأورد مساجلات بديعة في وصف خسَّة تفور بالماء. ثم أثبت مراسلة بينه وبين ابن مبارك. ومما اشتمل عليه الرسم نص استدعاء ابن رشيد بغية الحصول على مجموعة من مرويات صاحبه. ثم أردف ذلك بجواب أبي محمد الذي تضمن عدة أشعار كان نظمها في مناسبات مختلفة. فمن ذلك تذييله لبيتي ابن الجوزي، وتذييل آخر لأحد أبيات أبي الطيب المتنبي، ثم مقطعات كثيرة يذكرها مع مناسبات نظمها جاعلا آخر ذلك رثاءه لابن أبي الدنيا.

وعندما بلغ ابن رشيد إلى هذا الحد قطع الحديث عن ابن مبارك وأقحم في كلمة مختصرة ترجمة ابن أبي الدنيا. ثم عاد إلى ابن مبارك ليذكر بعض إنشاداته له مما يرويه من أبيات عن الحسن بن جرير أو عن ابن هارون.

3 ـ أبو العباس أحمد بن قاسم بن القصير. وهو الأديب الكاتب الناظم الإشبيلي الدار. وهو ليس من أسرة ابن القصيرة. ذكر ابن رشيد في ترجمته أنه تجول غربا وشرقا. وصحب الأدباء والشعراء وخاطب وخوطب. ومما أورده له من النظم بيتين من المنسرح وطأ بهما لبيت للمتنبي، وبيتين من المتقارب في ذكر تونس وبيتين من الكامل. ثم أثبت ابن رشيد مقطوعات أخرى رواها عنه واحدة لأبي القاسم المزياتي وجواب ابن القصير عنها، وأبيات لأبي علي عمر بن أبي ثلاثة وهي جواب عن استدعاء من أبي العباس في ثلاثة عشر بيتا (ملء العيبة ٢ / ٣١ـ٤٥، ٥٣ـ٦٨).

أما رحلة ابن رشيد إلى الإسكندرية ومصر فقد جاء وصفها في الجزء الثالث من كتاب «ملء العيبة» الذي نحن بصدده، إذ يقول عنها سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة في مقدمة ذلك الجزء: فهو (أي الجزء الثالث) صورة حية ناطقة بما كان للإسكندرية ومصر القاهرة من نشاط علمي وجهد فكري حين زيارة ابن رشيد لهما عند الورود في طريقه إلى الحج سنة ٦٨٤ هـ وخاصة في الميدان الذي كان يشغل بال صاحب البرنامج ويتعلق به ويصرف كل اهتمامه

إليه: ميدان الرواية والدراية (انظر مادة «دراية الحديث «علم ـه») في م ١٧ / ١٤٩ ـ ١٥٨)...

وقد عددنا التراجم أو الرسوم ـ كما يريد ابن رشيد أن يسميها باسم المحل لا الحال ـ في هذه النسخة فوجدناها عشرا للإسكندريين، وثلاثة وثلاثين للمصريين، فجملتها إذن ثلاثة وأربعون رسما، رتبها صاحب البرنامج أو الرحلة على ترتيب لقاء أصحابها في الأكثر. وهي متفاوتة الأهمية بحسب تفاوت الأشخاص المترجم لهم، والرواية المأخوذة عنهم، والاختلاط الواقع بهم...

وغير خفي أن هذا السفر يمثل بما احتوى عليه حلقة من رحلة ابن رشيد إلى الحرمين الشريفين. فهو ليس سوى قسم من برنامجه العلمي الذي ذكر فيه شيوخه ومن لقيه من المسندين والحفاظ والمحدثين والفقهاء والمتكلمين والنحاة والأدباء والرواة ونحوهم في كل بلد حَلَّ به أو مكان زاره، كما سجل فيه الأثبات والروايات والكتب المقروءة والمسموعة، والمصنفات التي أجيز بها في مختلف العلوم والفنون.

ومن أجل ذلك فإنك لا تجد في هذا الجزء وصفا للمعالم التي شاهدها ابن رشيد أو ذكرا للمزارات التي وقف بها غير شيء قليل أنهى به القسم المتعلق من هذا السفر بالإسكندرية.

وتتمثل المزارات التي حدثنا عنها ابن رشيد في قبور الأيمة السلفي والطرطوشي وابن هرمز الأعرج.

وذلك قوله: «وزرنا بالإسكندرية حماها الله تعالى قبر الإمام الزاهد المحدث آخر الحفاظ وبقية المحدثين أبي الطاهر السلفي داخل باب الأخضر على مقربة منه...».

أما العجائب التي راقته في منار الإسكندرية الذي يعجز عنه الواصف. ويحار فيه الراصف، فمنها السارية المعروفة عندهم بعمود السواري الذي قال بشأنه: «يحار العقل في التوصل إلى وقفه ويكل الرامق إليه بطرفه» (انظر مادة «الإسكندرية» في م ٤ / ٣٠٧ ـ ٤٠١).

ومن ثم فإن الطابع الجغرافي المعهود في كثير من الرحلات لم يكن ملموسا بهذا الجزء ولا بغيره من أجزاء الرحلة إلا قليلا وقليلا جدا. ذلك لأن اهتمام رحَّالتنا كان منصبا بالخصوص على الجانب العلمي الذي أشرنا إليه. والرحلة الحجازية هذه وإن كانت بقصد أداء الفريضة والقيام بالمناسك غير أنها عامرة بالبحث عن الرواية والاتصال بالعلماء والقراءة عليهم والسماع منهم والحصول على الإجازات الخاصة والعامة لصاحبها ولبنيه وأخواته ولمن ذكر معه من الاستدعاءات المختلفة الصغير والأخضر والكبير التي ورد التنصيص عليها في رسوم من هذا القسم وغيره: «في أدراج القسم الثاني وهو ما وضعناه في ملحقه، وفي رسوم هذا القسم عند الترجمة للكافوري ولابن القاهري وابن درادة. وقد جعلنا في آخر هذا الجزء أيضا وبملحقه نصا وقفنا عليه بخزانة القرويين نحسبه الذي يعنيه ابن رشيد بالاستدعاء الكبير.

ومن أجل بلوغ ذلك القصد السني كان ابن رشيد يتردد طوال إقامته بالإسكندرية ومصر على مجالس وأشياخ يطمع في الإفادة منهم والوقوف على ما عندهم من علم. فكان يتنقل بين المساجد والمدارس والمنازل والدكاكين إرضاء لرغبته وتحقيقا لطلبته. فهو مرة مع الخطيب القسطلاني أو جمال الدين العطار أو ابن النحاس بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط، ومرة أخرى مع ابن النحاس بجامع الأقمر، ومرة مع رئيس المؤذنين ابن درادة بالجامع الحاكمي، وأخرى مع الحراني بمسجد النخلة بفسطاط مصر قرب درب الجبيلي، وأحيانا يكون بزاوية الإمام الشافعي مع الدميري، أو بإيوان الحسين مع الهلالي، فإن لم يكن بواحد من هذه المساجد أو المقامات فهو بمدرسة من المدارس كالظاهرية مع الأنصاري السبتي، أو بالنبيبية أو دار الحديث النبيهية أو بمدرسة ابن الأبزاري مع الغرافي بالإسكندرية، أو بالمدرسة الصالحية النجمية بإيوان الحنابلة صحبة الشيخ المراغي، أو بالمدرسة الصالحية أو بالفاضلية أو بالكاملية بمجلس ابن دقيق العيد، أو بهذه الأخيرة مع القسطلاني. فإن سمع براوية أو بمحدث أو عالم نبيه أو أديب وأعوزه اللقاء به في تلك المساجد وهذه المدارس قصد إليه في مركز عمله مثل ابن أبي الكوم صاحب ديوان الأحباس، أو زاره بدكانه كما فعل مع القماح بالإسكندرية ومع الأسعردي بمصر، وإن لم يلقه هنا أو هناك أو قصد إلى تأكيد لقاءاته به طرق عليه باب بيته، أو صحبه إليه ودخل منزله وذلك مثل الذي كان له مع

ابن النحاس وابن الأنماطى والتقى عبيد والصفار المطرز والكافورى والظاهرى وأبى بكر القسطلانى .

وقد تسنى لرحالتنا بحكم هذه الاتصالات وغيرها أن يجمع حصيلة من الرواية ومن السماع أو القراءة، وأن يظفر بإجازات متنوعة وأسانيد عالية. فكتب مصنفات مختلفة أهمها وأغزرها وأعظمها فائدة دواوين السُّنة التى كان متلهفا عليها معنيا بها مبالغا فى الحرص على طلبها والظفر بها .

ولتصور ما شملته هذه الروايات المتعددة الواسعة، والإجازات المختلفة الكثيرة، نشير إلى أهم المصنفات والكتب والأجزاء والفوائد التى كانت تمثل فى ذلك العصر بالإسكندرية ومصر ما يطمع فيه طلبة العلم من أهل الإسناد ورجاله .

ففى العقيدة : لسان البيان عن اعتقاد الجنان .

وفى الفقه : شرح مختصر ابن الحاجب الفرعى، والإحكام من شرح أحاديث عمدة الأحكام، وفتاوى القسطلانى، ومناسك الحج، وصلة الناسك فى معرفة المناسك، وكتاب النخبة الشهية فى اختلاف الفقهاء فى الخيار لابن عبد الله المصرى .

وفى أصول الفقه : كتاب الاعتبار فى ناسخ الحديث ومنسوخه للحازمى، والبرهان لأبى المعالى الجوينى، والكاشف عن المحصول فى علم الأصول ، ومقدمة المطرزى فى أصول الفقه .

وفى الأدب والسير والحكمة والتصوف : كتاب القربة لابن بشكوال، والمحاسن الخالدة فى فضائل الوالد والوالدة، وكتاب التوابين للمقدسى، وعوارف المعارف، وارتقاء الرتبة باللباس والصحبة .

وفى اللغة وعلوم العربية : كفاية المتحفظ للأجدابى، والكتاب لسيبويه، والكافى فى الإفصاح شرح إيضاح الفارسى، والإيضاح، والجمل .

ثم فى الشعر : مخمسات ابن مهيب للفازازى . والمعشرات الحُبية له، والمواجد الخزرجية .

أما فى الحديث الذى هو محور الطلب والقصد العلمى من الرحلة فإنا نلاحظ وجود مجموعات : منها ما يتعلق بعلوم الحديث، ومنها كتب السنة ودواوينها، ومنها ما يرتبط بالتواريخ والرجال والمشيخات .

فمن الصنف الأول : مقدمة ابن الصلاح، والاقتراح فى علوم الحديث ، والكفاية، والفاصل، والمنهج البهيج عند الاستماع لمن رغب فى علوم الحديث على الإطلاع .

ومن الصنف الثانى : أمهات الكتب والدواوين كالبخارى ومسلم، وأبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، والموطأ ، ومسند أحمد، ومسند الشافعى، والدارمى ، والعلقمى، والملخص، ومسند عبد بن حميد، ومنتخبه، والمعجم الصغير للطبرانى ، ومعجم ابن جميع الغسانى، والغيلانيات، والقطيعيات، والخلعيات وثلاثيات البخارى ، وثلاثيات عبد بن حميد وثلاثيات الدارمى، والخماسيات والسداسيات لابن عتاب، وطرر على صحيح مسلم، ومشارق الأنوار لعياض ، والشفاء من السيرة، والأربعين البلدانية للسلفى، وكتاب الأربعين السباعيات المستخرجة من مسموعات القشيرى، والأربعين لابن الجميزى وكتاب الأربعين من الأحاديث النبوية الفاخرة المخرجة من روايات ابن المقير عمل رشيد العطار، وكتاب الأربعين فيما انتمى إليه المتقون ويستعمله المدققون، والأربعين للفراوى والأجزاء الثقافيات، وأجزاء ابن عليك، وجزء ابن زنبور، وجزء الأنصارى، وجزء ابن ديزيل، وجزء سعدان بن نصر، والأجزاء الخمسة من الفوائد المنتخبة الصحاح الغرائب للخطيب وهى المهروانيات، وجزء أبى شريح المعروف بجزء بيبى، والمائة الشريحية، وجزء المنتقى من أحاديث ابن سلمان النجاد، والأجزاء العشرة من حديث الرئيس القاسم الثقفى ، وأجزاء على بن حرب، والجزء المتعلق بالأصوات، وأجزاء حديث ابن أده، وأجزاء الصحاح رواية المخزومى وتخريج الواسطى، وجزء الصولى، وحديث مسلم بن إبراهيم ، وحديث المحاملى، وكتاب الانتزاع لمالك بن أنس تأليف ابن سعيد، ومسلسل الراحمون يرحمهم الرحمن مع طرقه وفوائده، وفوائد أبى محمد بن ماسى، والفوائد المنتقاة الغرائد العوالى على الشيوخ الثقات، والفوائد المدنية تخريج ابن مسدى، وجميع الفوائد المخرجة من الأصول، وفوائد الخلعى، ومجلسى ابن مطيع، ومجالس أمالى ابن ميلة، ومجالس

أمالى أبى عبد الله الجرجانى الأسدى ، والمجالس الخمسية السلماسية، وكتاب الدعاء ونحو ذلك .

ومن الصنف الثالث: انتخاب السلفى لكتاب الإرشاد من علماء البلاد لأبى يعلى القزوينى، والتاريخ الكبير للبخارى، ومشيخة ابن عبد الباقى، ومشيخة ابن الجميزى، وتاريخ أصبهان لأبى نعيم، والتكملة فى وفيات النقلة، ورجال الصحيحين للمقدسى ونحو ذلك .

فإذا عدنا إلى الشيوخ ومن لقيه ابن رشيد بالإسكندرية ومصر عند الورود سنة ٦٨٤ هـ من الأعلام ووقفنا على الرسوم التى تعرف بهم فإننا نستطيع بإلقاء نظرة فاحصة على العشرة الأول الإسكندريين أن نرتبهم بحسب الأهمية على الوجه التالى .

1- الغرّافى، 2- المكين الأسمر، 3- الخزرجى، 4 - ابن منصور الأنصارى، 5- ابن سليم، 6 - محمد بن مكين الخطيب، 7- ابن ساطر البونى، 8 - القماح، 9 - مثقال الحبشى، 10- ابن التونسى .

أما شيوخ مصر والقاهرة فالذين ورد ذكرهم كثير يصعب ترتيبهم أولا بأول بحسب الأهمية والسمعة العلمية وشيوع الذكر.

لذلك وزعناهم إلى فئات منهم الرواه المسندون، والفقهاء المحدثون، والمقرئون، والمتصوفة من الفقهاء والمحدثين، وامرأة مسندة ، وفقهاء ونظار متكلمون، ونحاة وأدباء رواة ، وعامة وأميون .

الرواة المسندون وهم بحسب الأولوية :

1- الحرانى 2- محمد بن يحيى القرشى العطار 3- ابن الظاهرى ـ 4 - التقى عبيد 5- ابن الأنماطى 6 - ـ الدلاصى 7- السعدى 8 - ابن درادة 9 - الأنصارى السبتى ـ 10 القسطنينى 11- ابن أبى الكوم 12- القسطلانى الخطيب13، 14 ابنا الظاهرى 15- الأعلاقى16- ابن أبى الزين17- البعلبكى .

الفقهاء المسندون :

1- الشيخ المراغى 2- ابن خطيب المزة 3- ابن دقيق العيد 4 - الشيخ شمس الدين أبو محمد عبد الواحد بن على الكافورى .

القراء المسندون

الشيخ المقرئ شهاب الدين أبى البركات أحمد بن النصير .

المحدثون المتصوفة :

1- أبو الفضل الدميرى 2- أبو بكر القسطلانى3 - موفق الدين الخراسانى .

المسندة :

المسندة الوحيدة التى لقيها ابن رشيد بمصر عند الورود هى الشيخة الصالحة أم الفضل زينب بنت الإمام عبد اللطيف ابن يوسف البغدادى

الفقهاء والنظار المتكلمون :

أبو المكارم الأصفهانى

النحاة الأدباء الرواة :

1- ابن النحاس 2- ابن الخيمى 3- الخلاطى 4 - الرزاز

العامة :

أبو يونس ذو النون بن عمر

أمى :

أبو عبد الله محمد بن مكى بن حامد الأصبهانى الصفار المطرز .

وترجم بعد ذلك ابن رشيد لابن العالى، وعقد تنبيها تحدث فيه عن حديث قراءة سورة يس على الميت، وذكر تخريجاته، ثم عاد إلى أحاديث شيخ الإسلام فأسند منها حديث عابس: «دخلت على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ...» وذكر كلام الأنصارى بشأنه ثم قال هذا حديث جليل مفسر وذكر تخريجاته، وعرف بأبى حذيفة رواية عن سفيان

تلك هى الصفوة من المسندين والفقهاء والمتصوفة والأدباء والصالحين التى لقيها ابن رشيد بالإسكندرية ومصر عند الورود سنة 684 . ولسوف تكتب له العودة إلى هذه الديار ويتجدد له اللقاء بأكثرهم، وقد أحببنا أن نشير هنا إلى طائفة أخرى من الأشياخ والأقران اتخذهم ابن رشيد صحابا وأصدقاء كان يجدهم بمجالس الدرس والرواية ويستفيد من كتبهم أو قراءاتهم .

فمنهم: 1) سعد الحنبلى الذى ذكره فى رسم ابن خطيب المزة حين قال: «والنسخة التى ثبتت فيها قراءتى. لسنن أبى داود عند صاحبنا سعد الدين الحنبلى لم يتسع الوقت لنسخها» فهو الذى أنجده بنسخته لتتم له القراءة على شهاب الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن العلم. وقد ذكره مرة أخرى فى نفس الرسم حين نسب إليه المشيخة التى انتقاها لابن خطيب المزة وذلك حين يقول «قرأت على الشيخ ... جميع مشيخته التى انتقى له صاحبنا الفقيه المحدث المقيد سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثى، كما أخبر أنه أخرج أيضا مشيخة للغرافى، وذكر ذلك فى ترجمته.

2) أبو عبد الله محمد بن عاصم بن عبيد الله الرندى الذى كتب له ببيان التعريف بسند ابن خطيب المزة وسماعه وإسماعه وسماع شيخه أبى حفص ابن طبرزد. وهو الذى كتب له ولبنيه وأقرانه الإجازة التى أجازهم بها أبو البركات ثابت بن على العسقلانى وبإذنه، كما أنه هو الذى كتب له بخطه التعريف بالدميرى وذكر رواياته، وكتب لابن رشيد أيضا ما حدثه به ابن نبا من مجلسى أبى مطيع.

3) أبو عبد الله محمد بن سامة. سمع ابن رشيد بقراءته على ابن الخيمى الحديث الثلاثى الوحيد فى جامع الترمذى، كما سمع بقراءته على ابن درادة مجلسا من أمالى ابن ميله، وهو الذى أخبره بتاريخ ولادة الشيخ الظاهرى.

4) نجم الدين محمد بن عبد الحميد القرشى الذى سمع ابن رشيد بقراءته جزء القزاز على أبى الحسن بن أبى الكوم وتولى ضبط اسم الشيخ له بواو عليها جزمة وعلى الكاف فتحة كما ضبط له أيضا بخطه اسم عيسى بن أبى محمد بن حسن المعروف بابن القاهرى.

5) أبو العباس الأشعرى. وهو فى عداد شيوخه عقد له رسما خاصا به فى السفر الثانى من هذا الكتاب، ولم يذكره فى هذا الجزء بسبب لقائه بالإسكندرية أو بمصر ولكن بمناسبة ما نقله عنه ومن خطه من ترجمة وتعريف بشهاب الدين الشهروردى الذى أورده فى رسم أبى بكر القسطلانى.

ومن يقف على هذا السفر المفيد يَلْفَ به مادة حديثية غزيرة وإنشادات كثيرة، وضبطا للرواية، وعلما بالرجال ونقدا وتجريحا إلى غير ذلك من القضايا العلمية المتعلقة بطرق الإسناد والتحديث والإجازة كالتى ذيل بها ابن رشيد ترجمة ابن دقيق العيد، أو القضايا الفقهية مثل التى عرض لها فى ترجمة الغرافى، ورسم المراغى، وفى الحوار الذى أجراه مع ابن دقيق العيد، والنقل الذى أورده عن العز بن عبد السلام، والفتوى التى صدرت عن أبى بكر القسطلانى، أو المسائل اللغوية كتفسير الحنان والمنان الذى نقله فى ترجمة المراغى، أو النحوية كالقول فى تأنيث وتذكير درع الذى ورد فى رسم التقى عبيد، وكتعريف الحرف وبيان حده وتحرير القول فى ذلك الذى نجده فى رسم الأصبهانى الشافعى، أو بيان النسبة إلى حنيفة قبيلة ومذهبا وهو ما فصل القول فيه فى رسم الغرافى (ملء العيبة٣/ ١٩ـ ٨٢).

وفيما يلى ما أورده المعجم الشامل عن المطبوع من مؤلفات ابن الرشيد.

١ ـ إفادة التصحيح فى التعريف بسند الجامع الصحيح.

ــ تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، الدار التونسية للنشر مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، ١٩٧٤م.

١٧٩ ص، م ١٧ ص + ٤ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٢٥ ص: أسماء، الكتب، المدن والأماكن، الأمم، الأعلام، الموضوعات.

٢ ـ السنن الأبين والمورد الأمين الأمعن فى المحاكمة بين الإمامين فى السند المعنعن:

ــ تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، تونس: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة الدار التونسية، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م.

٢١٧ ص، م ٦٢ ص + ٢ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٥٤ ص: الأعلام، المدن، الأماكن، الكتب والرسائل، المراجع.

٣ ـ فصل من رحلته (الحجاز فى القرن ٧ هـ)، على ما فى رحلة ابن رشيد الأندلسى.

ــ تحقيق محمد العبودى، مجلة العرب، الرياض، السنة ٤، ج ١: رجب ١٣٨٩ هـ/ أكتوبر ١٩٦٩ م.

٨ص (٥٦ـ ٦٣).

السنة ٤، الجزء ٢ ، شعبان ١٣٨٩ هـ / نوفمبر ١٩٦٩م.

٩ ص (١٦٠ ص - ١٦٨ ص).

٤ ـ ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة :

ـ تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، تونس ، الدار التونسية للنشر، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

ج ١ : ٥٦١ ص، م ٧٥ ص + ٢ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ١٣٩ ص : تصويبات، رموز ومصطلحات، الآيات الأحاديث ، الآثار ، الأشعار، النعوت والألقاب ، الأعلام الأماكن ، الكتب، الموضوعات.

ج ٢ : سنة ١٩٨٢ م.

٦٢٢ ص ، م ٦٤ ص + ٣ ص نماذج مصورة من المخطوط ، ف ٩١ ص : فهرس الأشعار ، الأعلام ، أسماء الأماكن والبلدان، أسماء الكتب، فهرس التراجم (المعجم الشامل ٣/ ٥٩ ، ٦٠).

قالت المؤلفة : هذه الطبعة هى التى اشتريتها من الدار التونسية للنشر، وعندى منها الجزءان الثانى والثالث فقط.

(طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن على . الداودى - بتحقيق على محمد عمر ٢ / ٢٥ - ٢٩، والأعلام للزركلى ٦ / ٣١٤ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٣١٤ ، ٣١٥، وملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة لأبى عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى السبتى ـ تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٢ / ٢٥ - ٤٥ ، ٥٣ - ٦٨ و ٣ / ١٩ - ٨٢، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع - جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ٥٩، ٦٠).

*** رحلة ابن سعيد المغربى:**

من الرحلات الحجازية (انظر مادة «الرحلات») وصاحب الرحلة هو ابن سعيد المغربى (٦١٠ ـ ٦٨٥ هـ / ١٢١٤ - ١٢٨٦ م) قال عنه صاحب فوات الوفيات : على بن موسى ابن سعيد المغربى الغمارى الأديب نور الدين، ينتهى نسبه إلى عمار بن ياسر، ورد من الغرب، وجال فى الديار المصرية والعراق والشام، وجمع وصنف ونظم (فوات الوفيات ٣ / ١٠٨).

وجاء فى الأعلام أنه ولد بقلعة يحصب، قرب غرناطة، ونشأ واشتهر بغرناطة (الأعلام ٥ / ٢٦).

وقال عنه الجلال السيوطى : من ذرية عمار بن ياسر الصحابى ، رضى الله تعالى عنه . قال فى البدر السافر. جال فى المغرب، وجاب فى المشرق، وقرأ النحو والأدب على الشَّلَوْبين والدباج والأعلم البطليوسى. . روى عنه الشرف الدمياطى وغيره (بغية الوعاة ٢ / ٢٠٩).

وترجم له وعنى برحلته الدكتور عبد الرحمن حميدة فقال عنه :

ولد أبو الحسن على بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد المغربى فى غرناطة، ليلة الفطر سنة ٦١٠ للهجرة. فى أسرة عريقة فى الحسب والنسب، كان لأفرادها صلة بالملوك، وكان أبوه من أهل الأدب والتأليف، فقد بدأ جده فى تأليف كتاب (المُغْرِب فى أخبار المغْرِب) وعمل فيه أبوه وأتمه هو.

نال ابن سعيد حظه من العلم بإشبيلية، ثم عمل لابن جامع وزير الموحدين بإفريقية، وكان له ابن عم يعمل فى خدمة الموحدين أيضا. فوقعت بينهما جفوة خشى ابن سعيد على نفسه من عاقبتها، فاستأذن فى الرحيل برسم الحج. ولما جاء موسم الحج صحب أباه إلى الديار المقدسة عام ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م ثم وصل الإسكندرية سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م بعد أن سبقه والده إليها وأقام بها، ولكن الأب توفى فى الإسكندرية بعد العودة سنة ١٢٤٣ ، ثم زار فى طريقه أهم مدن جزيرة المغرب. وكان وصوله متأخرا عن موعد الحج، فقصد القاهرة ولقى بها إيدمر التركى والبهاء زهير وابن يغمور، وهو يومئذ رئيس الأمور بالديار المصرية ...

وتخلف ابن سعيد بالقاهرة حتى عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م.

وحدث أن جاء مصر رسول من الملك الناصر هو جمال الدين بن القيم لزيارة كلفه بها مليكه، فتعرف ابن سعيد إليه، فأكرمه وحبب إليه الرحلة إلى حلب ليغترف مما فى خزائنها من كنوز أدبية، فلما دخل على الملك الناصر أنشده قصيدة أعجبته، فاستجلبه وتلطف به، وأقبل عليه، وسأله عن قصده من رحلته، وقدم له ما استطاع من مساعدات، وأغدق عليه الخلع والأموال.

وتعرف ابن سعيد على عدد كبير من رجال السيف والقلم. الذين كانوا فى حاشية الناصر، وأقام حينا من الدهر بالموصل وبغداد والبصرة بعد أن تحول إلى دمشق، ودخل مجلس السلطان المعظم ٦٣٧ ـ ٦٤٧ هـ، وحضر مجلس خلوته. وقبل استيلاء هولاكو على بغداد بأعوام قليلة، تمكن ابن سعيد من متابعة دراسته بمكتباتها البالغة ستا وثلاثين مكتبة عددا والتى يصفها بشغف يماثل الحماس والإعجاب الذى وصف به ياقوت مكتبات مرو لعهده. ثم رحل إلى حلب ودمشق فى صحبة المؤرخ الشهير ابن العديم، وحج إلى مكة مرة ثانية، وعاد إلى المغرب حيث عمل ببلاط أمير تونس سنة ٦٥٢ هـ/ ١٢٥٤ م..

وفى ٦٦٦ هـ/ ١٢٦٧ م أعاده حب السفر المتملك فيه إلى الشرق فخرج فى رحلة أخرى فمر بالإسكندرية وحلب قاصدا أرمينية، حيث دفعه فضوله ليرى بعينى رأسه هولاكو الجبار. وعلم ما حل بالناصر من قتل التتار ويروى ابن سعيد ما علمه من أخبار هجوم هولاكو على حلب، وما تركته حملته من آثار التخريب والتدمير.

وقد توفى ابن سعيد كما تذكر إحدى الروايات بدمشق خلال عودته من هذه الرحلة وذلك فى عام ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م على قول تغرى بردى، وترجح رواية أخرى حدوث وفاته إلى ما بعد هذا التاريخ، وفى تونس بالذات، على قول السيوطى والمقرى وذلك فى عام ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م.

ويعتبر ابن سعيد من أخصب الكتاب إنتاجا على الرغم من كثرة أسفاره التى لم تنقطع، هذا إلى جانب ميوله البارزة نحو الأدب الفنى. وخاصة الشعر الذى نال فيه حظا وافرا من الشهرة. وكما عبر عن ذلك أحد علماء القرن التاسع عشر، فإنه انتقل فى تجواله «من المغرب الأقصى على المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى والتقى بأكابر العلماء ورأى أفضل الكتب».

وأكبر الظن أن ابن سعيد جال فى غربى إفريقية، ورأى مصب نهر السنغال، أو لعله نقل ما كتبه فى هذا الصدد عن الرحالة ابن فاطمة. الذى قام برحلة بحرية جنوبى مراكش وغرقت السفينة التى كان على متنها عند الرأس الأبيض (جنوب ساقية الذهب، ريودو أورو) بعد أن توغل فى كشف الساحل الأفريقى الغربى إلى أبعد مما كان معروفا عند الأوربيين حينذاك.

ومؤلفات ابن سعيد، الذى يعتبر أديبا وشاعرا. كثيرة منها (المقتطف من أزاهير الطرف) و (الطالع السعيد فى تاريخ بنى سعيد) وهو تاريخ أسرته وبلده و (المشرق فى حلى المشرق) ثم «المُغرب فى حلى المَغرب» هو الذى أنجز تأليفه. والكتابان الأخيران يجمعهما كتاب «فلك الأرب المحيط بحلى لسان العرب». وقد مهد لهما بمقدمة جغرافية عامة تعرف باسم «فلك الأرب» وكلا الكتابين تناول ذكر البلاد وأقسامها ومدنها، وأهم أبوابه القسم الخاص بالأندلس والذى يسمى «وشى الطرسُ فى حلى جزيرة الأندلس». ووضع ابن سعيد كذلك وجيزا لجغرافية بطليموس اعتمد عليه أبو الفدا فى جغرافيته، كما وضع كتابا آخر عن رحلته إلى مكة هو «النفحة المسكية فى الرحلة المكية» بالإضافة إلى «عدة المستنجز وعقلة المستوفز» (أعلام الجغرافيين العرب / ٤٨٩، ٤٩٠)

وقد أضاف الزركلى إلى مؤلفات ابن سعيد ما يلى: «المرقصات والمطربات» مطبوع، فى الأدب و «الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة» مطبوع.

قالت المؤلفة: الطبعة التى عندى من الغصون اليانعة بتحقيق إبراهيم الأبيارى. سلسلة ذخائر العرب ١٤. دار المعارف بمصر. الطبعة الثانية. د. ت. مقدمة المحقق ١٩٦٧هـ.

ولابن سعيد أيضا كما ذكر الزركلى: «الأدب الغض» و«ريحانة الأدب» و «المقتطف من أزاهر الطرف» (يأتى بيان طبعته فيما بعد إن شاء الله تعالى) و «ديوان شعره»، و «نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب» و «وصف الكون» و «بسط الأرض» كلاهما فى الجغرافيا، و «القدح المعلى» اختصاره فى تراجم بعض شعراء الأندلس، و «رايات المبرزين» انتقاه من «المغرب» (الأعلام ٥ / ٢٦).

ويسوق الدكتور عبد الرحمن حميدة نصين لابن سعيد المغربى فيقول:

النص الأول.

ومن طريف ما خلفه ابن سعيد وصف للقاهرة

والفسطاط، نقله المقرى فى كتابه (نفح الطيب)، وقد جاء فى هذا الوصف ما يلى:

«ولما استقررت بالقاهرة تشوقت إلى معاينة الفسطاط، فسار معي إليه أحد أصحاب القرية. فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب من يسير إلى الفسطاط جملة عظيمة، لا عهد لى بمثلها فى بلد. فركب منها حمارا وأشار إلىّ أن أركب حمارا آخر، فأنفت من ذلك على عادة من اختلفته فى بلاد المغرب، فأخبرنى أنه غير معيب على أعيان مصر، وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها فركبت. وعندما استويت راكبا أشار المكارى إلى الحمار فطار بى، وأثار من الغبار الأسود ما أعمى عينى، ودنّس ثيابى، وعاينت ما كرهته. ولقلة معرفتى بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده، وقله رفق المكارى، وقعت فى تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت:

لقيت بمصر أشد البوار
ركوب الحمير وكحل الغبار
وخلف مكار يفوق الرياح
ولا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلا فلا يرعوى
إلى أن سجدت سجود العثار
وقد مدّ خوفى رواق الثرى
وألحد فيها ضياء النهار

فدفعت إلى المكارى أجرته، وقلت له إحسانك أن تتركنى أمشى على رجلى، ومشيت إلى أن بلغتها، وقدرت فى الطريق بين الفسطاط والقاهرة، وحققته بعد ذلك نحو ميلين، ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرّة، وتأملت أسوارا مثلمة سوداء، وآفاقا مغبرة، ودخلت من بابها، وهو دون غلق، يفضى إلى خراب مغمور بمبان مشتتة الوضع، غير مستقيمة الشوارع، قد بنيت من الطين الأدكن والقصب والنخيل، طبقة فوق طبقة، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال. ما يقبض نفس النظيف، ويغض طرف الظريف فسرت وأنا معاين لاستصحاب تلك الحال إلى أن صرت فى أسواقها الضيقة، فقاسيت من ازدحام الناس فيها لحوائج السوق، والروايا التى على الجمال، ما لا تفى به إلا مشاهدته ومقاساته، إلى أن انتهيت إلى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الأسواق التى حوله ما ذكرت ضده فى جامع إشبيلية وجامع مراكش، ثم دخلت إليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه وتنبسط فيه. وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا بأوطئة أقدامهم يجوزون فيه من باب لباب ليقرب عليهم الطريق. والبياعون يبيعون فيه أصناف المسكّرات والكعك وما سوى ذلك. والناس يأكلون فى عدة أمكنة منه غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك. وعدة صبيان بأوانى ماء يطوفون على كل من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منه رزقا. وفضلات مأكلهم مطروحة فى صحن الجامع، وفى زواياه العنكبوت قد عظم نسجه فى السقف والأركان والحيطان، والصبيان يلعبون فى صحنه، وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة. إلى أن مع ذلك، على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده فى جامع إشبيلية مع زخرفته.

واستحسنت ما أبصرته من خلق المتصدرين لإقراء القرآن والفقه والنحو فى عدة أماكن، وسألت عن موارد أرزاقهم فأخبرت أنها من فروض الزكاة وما أشبه ذلك. ثم أخبرت أن اقتضاء ذلك يصعب إلا بالجاه والتعب.

والحال أن أهل الفسطاط فى نهاية من اللطافة واللين فى الكلام ورعاية قدر الصحبة وكثرة الممازحة والألفة، مما يطول ذكره. وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الإسكندرانى والبحر الحجازى فإنه فوق ما يوصف، وبه مجمع ذلك بالقاهرة، ومنها يجهز إلى القاهرة وسائر البلاد. وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجرى هذا المجرى. لأن القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زى الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط. وكثير ما ينسج ويصاغ، وسائر ما يعمل من الأشياء الرفيعة السلطانية والحراب فى الفسطاط كثير. والقاهرة أجدّ وأعمر وأكثر زحمة باعتبار انتقال السلطان إليها وسكنى الأجناد فيها.

والمكان المعروف بالقاهرة بين القصرين هو الترتيب السلطانى لأن هناك مساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين. ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية. ولكن ذلك أمد قليل، ثم تسير منه

إلى أمد أضيق، وتمر فى مكان كدر حرج بين الدكاكين، إذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان مما تضيق به الصدور وتسخن منه العيون. ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه الأمراء، وهو فى موكب جليل، وقد لقى فى طريقه عجلة بقر تحمل حجارة، وقد سدت جميع الطرق بين يدى الدكاكين، ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان فى موضع طباخين، والدخان فى وجه الوزير وعلى ثيابه، وقد كاد يهلك المشاة وكدت أهلك فى جملتهم. وأكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والأزبال، والمبانى عليها من قصب وطين مرتفعة، قد ضيقت مسلك الهواء والضوء بينها. ولم أر فى جميع بلاد المغرب أسوأ منها حالا فى ذلك. ولقد كنت إذا مشيت فيها يضيق صدرى، وتدركنى وحشة عظيمة حتى أخرج إلى بين القصرين. ومن عيوب القاهرة أنها فى أرض النيل الأعظم، ويموت الإنسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها. وإذا احتاج الإنسان إلى فرجة فى نيلها مشى مسافة بعيدة بظاهرها بين المبانى التى خارج السور إلى موضع يعرف بالمقس وجوُّها لا يبرح كدرا مما تثيره الأرض من التراب الأسود.

والفسطاط أكثر أرزاقا وأرخص أسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط، والمراكب التى تصل بالخيرات هناك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها، وليس يتفق ذلك فى ساحل القاهرة لأنه يبعد عن المدينة. والقاهرة هى أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط، لأنها أجل مدارس وأضخم خانات وأعظم ديارا يسكن الأمراء فيها، لأنها المحفوفة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها. فأمور السلطنة كلها فيها أيسر وأكثر وبها الطراز. وسائر الأشياء التى تتزين بها الرجال والنساء.. ومطابخ السكر والمواضع التى يصنع بها الورق المنصورى مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة.. والمعايش فيها متعذرة نزرة لاسيما أصناف الفضلاء، وجوامك المدارس قليلة كدرة.. والفقير المجرد فيها يستريح بجهة رخص الخبز وكثرته ... ».

النص الثانى.

وكان ابن سعيد محبا لوطنه الأندلس، وانعكس حنينه إلى الوطن فى قصائد عاطفية عميقة. وقد رد على ابن حوقل الذى غمز من أخلاق الأندلس، كما أنه وضع سائر المدن التى زارها فى مرتبة دون مرتبة مدن الأندلس، وقد عبر عن أحاسيسه هذه بإيجاز فى قوله:

«وأنا أقول كلاما فيه كفاية: منذ خرجت من جزيرة الأندلس، وطفت فى بر العدوة (العدوة أى المغرب الأقصى) ورأيت مدنها العظيمة كمراكش وفاس وسلا وسبتة، ثم طفت فى إفريقية وما جاورها من المغرب الأوسط، فرأيت بجاية وتونس، ثم دخلت الديار المصرية فرأيت الإسكندرية والقاهرة والفسطاط، ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما، لم أر ما يشبه رونق الأندلس فى مياهها وأشجارها إلا مدينة فاس بالمغرب الأقصى، ومدينة دمشق بالشام، وفى حماة مسحة أندلسية، ولم أر ما يشبهها فى حسن المبانى والتشييد والتصنيع إلا ما شيد بمراكش فى دولة بنى عبد المؤمن، وبعض أماكن تونس، وإن كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كالإسكندرية، ولكن الإسكندرية أفسح شوارع وأبسط، وأبدع مبانى حلب داخلة فيما يستحسن لأنها من حجارة صلبة وفى وضعها وترتيبها إتقان». (أعلام الجغرافيين العرب / ٤٩١ـ٤٩٥).

قال الزركلى: وشعره رقيق جزل (الأعلام ٥ / ٢٦) ومن أمثلته قوله فى نهر غرناطة.

كأنما النهر صفحة كتبت ... أسطرها والنسيم مُنشئُها
لما أبانت عن حسن منظره ... مالت عليها الغصون تقرؤها

(بغية الوعاة ٢ / ٢١٠).

وقوله فى جزيرة مصر:

تأمل لحسن الصالحية إذ بدت ... وأبراجها مثل النجوم تلالا
ووافى إليها النيل من بعد غاية ... كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق محبِّها ... فمد يمينا نحوها وشمالا

وقوله :

أسُكَّـــان مصـــر جـــاور النيل أرضكـم
فـأكسبكم تلـك الحـــلاوة فى الشِّعـــر
وكـــان بتلك الأرض سحـــر ومـــا بقى
ســـوى أثـــر يبـــدو على النظم والنثـــر

(فوات الوفيات ٣/ ١٠٥).

وفيما يلى بيان طبعات بعض مؤلفات ابن سعيد المغربى كما أوردها المعجم الشامل :

١ ـ اختصار القدح المعلى فى التاريخ المحلى :

تحقيق إبراهيم الأبيـارى ، القاهـرة : الهيئة العامـة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٥٩ م.

٢ ـ بسط الأرض فى الطول والعرض :

ـ تحقيق خـوان بيرنيـط خينيت، تطوان : معهـد مـولاى الحسن، مطبعة كريماديس ، ١٩٥٨ م.

١٤٢ ص ، م ٣ ص

٣ ـ رايات المبرزين وغايات المميزين :

ـ تحقيق إميليو غارسيا غومس، مدريد، Imprenta de la viuda de Estanislao Maestre pozas ١٩٤٢ م.

٣٠٠ ص ، م ٥٢ بـالأسبـانيـة، ف ٤٥ ص : المحتـوى الأعلام والأشخـاص، القوافى، الشعـراء، الكتب، البلدان، الأمم . نشر تحت عنوان El libro de las banderas de Los Compeones de Ibn Said aL - MAGRIBI.

ـ ط ثانية، ١٩٨٧ م، ٣٤٨ ص، مع جداول .

ـ تحقيق النعمان عبد المتعال القاضى، مصر : المجلس الأعلى للشئون الإسلاميـة، لجنة إحيـاء التراث الإسـلامى، مطابع الأهرام التجارية ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

١٨٤ ص م ٣٥ ص، ف ٣٣ ص : الموضوعات ، كشاف الأعلام، الأمم والطـوائف البلدان، الكتب، قـوافى الأبيات، أسماء المترجم لهم.

ـ تحقيق محمـد رضـوان الـدايـة، دمشق : دار طـلاس للدراسات والترجمـة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق : مطبعة العجلـونى ١٩٨٧ م. ٣٧٧ ص، م ٣٢ ص+ ٣ ص نمـاذج مصـورة من المخطـوط، ف ٩٧ ص : المـوضـوعـات ، الأعـلام، والأماكن، و البلـدان، القوافى، الكتب الـواردة فى المتن، المصادر والمراجع، الدول والأقوام والقبائل

٤ ـ سيـرة أحمـد بن طـولـون (السفـر الـرابع من كتـاب المغرب فى حلى المغرب) :

ـ تصحيح كنـوت تلكوست وكارل فولـرس، برلين : على نفقة إميل فلبر (emil Felber)، ١٨٩٤ م.

٢١٢ ص ، منها ٧٧ ص بالعربية، م ٢١ ص بالألمانية، ف ٣ ص : المحتوى.

٥ ـ عنوان المرقصات والمطربات :

ـ القاهرة: جمعية المعارف، مطبعة الناشر ، ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م، ٢٨٦ ص.

ـ تحقيـق محداد عبـد القادر Mahdad abd elkader ، الجزائر: مؤسسـة كربونل carbonel مطبعة لـويس كربـونل J. carbonel ، ١٩٤٢م.

٩٢ص ، م ١٦ ص بـالفرنسيـة، ف ٨ ص : القـوافى، الأسماء، المحتوى ، ط ثانية (عن السابقة) ١٩٤٩ م.

ـ بيروت: دار حمد ومحيو، ١٩٧٣ م.

٢٨٧ ص (مأخـوذة عن طبعـة القـاهـرة ، ١٢٨٦هـ ـ ١٨٦٩م).

٦ ـ كتاب الجغرافيا :

ـ تحقيق إسمـاعيل العربى، بيـروت : المكتب التجارى للطبـاعـة والنشـر والتـوزيع ، ١٩٧٠ م ، ٢٦٤ ص، م ٢٨ ص، ف ٢ ص المحتوى، تصويبات.

٧ ـ المغرب فى حلى المغرب :

ـ عناية كنوت تلكوست، ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩٨م. ٣١٢ ص ، م ١٣٢ ص دراسة وتعليقات بـالألمانية، ف ١٦ ص : أسماء الرجال والنسـاء، الأماكن ، الجبـال ، الأنهر، القبائل، أسماء الكتب، المحتوى.

ـ تحقيق زكى محمد حسن وسيـدة كـاشف، القاهـرة : جامعة فؤاد الأول ، كلية الآداب، مطبعة الجامعة، ١٩٥٣م.

٤٨٦ ص، م ٦٤ ص + ٣ ص نمـــاذج مصـــورة من

المخطوط، ف ٥٣ ص: المحتوى، المراجع العربية، المراجع الأجنبية، الأعلام، تصويبات.

- تحقيق شوقى ضيف، القاهرة: دار المعارف، مطابع الناشر. ١٩٥٣ م-١٩٥٥ م.

ج ١ : ٤٦٨ ص، م ٣٠ ص + ٢ ص نماذج مصورة من المخطوط، فى ٢٠ ص : المحتوى، استدراكات.

ج ٢ : ٥٧٠ ص، م ٣ ص، ف ٩٣ ص : المحتوى، الأعلام الأماكن، البلدان، المصادر التى اعتمد عليها مصنفو الكتاب، فهرس المراجع.

- ط ثانية، القاهرة: مطابع دار المعارف، ١٩٦٤ م.

٨ - المقتطف من أزاهر الطرف.

- تحقيق د. سيد حنفى حسنين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب مركز تحقيق التراث، مطابع الناشر، ١٩٨٣ م.

٣١٠ ص، م ٣٨ ص + ٧ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٤٤ ص : المصادر الأعلام شعر القصيد، شعر الدوبيت والمربعات والمخمسات، كان وكان، المواليا، الموشحات، الأزجال، الآيات. الحديث، . ثبت بالمحتوى.

قالت المؤلفة: الطبعة التى عندى مكتوب على غلافها الخارجى تاريخ النشر ١٩٨٤، وعلى الغلاف الداخلى ١٩٨٣ وكذلك رقم الإيداع اهـ.

٩ - النجوم الزاهرة فى حُلى حضرة القاهرة.

- تحقيق حسين نصار، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠ م، ٤٤٧ ص.

١٠ - نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب.

- تحقيق نصرت عبد الرحمن، عمان: الجامعة الأردنية ومكتبة الأقصى، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨٢ م.

ج١ : ٤٩٠ص م ٢٦ ص + ٥ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ١٤ ص : الموضوعات.

ج ٢ : ٥٦٠ ص (٤٩٩-١٠٥٨)، ف ٣٠ ص : الآيات الأحاديث الشريفة، الأمثال، الأشعار، الأعلام، الجماعات، الديار، الطواغيت، الأيام والوقائع، كتب المتن، كتب التحقيق، الموضوعات (المعجم الشامل ٣ / ١٧٨ - ١٨١).

(فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتبى - تحقيق إحسان عباس ٣ / ١٠٥، ١٠٨ والأعلام للزركلى ٥ / ٢٦، وبغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٢٠٩، وأعلام الجغرافيين العرب - د. عبد الرحمن حميدة/ ٤٨٩-٤٩٥، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع - جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٣ / ١٧٨ - ١٨١).

*** رحلة ابن الصلاح:**

رحلة ابن الصلاح : فوائد جمعها الشيخ تقى الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح الشهرزورى المتوفى سنة ٨٤٣ [٦٤٣] ثلاث وأربعين وستمائة فى رحلته إلى الشرق وهى عظيمة النفع فى سائر العلوم مفيدة جدا.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٣٦).

*** رحلة ابن فضلان:**

انظر : رسالة ابن فضلان

***رحلة أبى دلف:**

أوردناها تحت عنوان «أبو دلف الينبوعى» فانظرها فى موضعها.

*** رحلة أبى القاسم التجيبى:**

رحلة أبى القاسم - «التجيبى أحمد بن سليمان بن خلف الباجى الأندلسى المتوفى سنة ٤٩٣».

(كشف الظنون ١ / ٨٣٦)

انظر : رحلة التجيبى.

*** رحلة بدر الدين:**

رحلة بدر الدين بن رضى الدين الغزى المتوفى سنة ٩٨٤

أربع وثمانين وتسعمائة إلى الديار الرومية وكثيرا ما ينقل عنه تقي الدين في طبقاته.

(كشف الظنون ١/ ٨٣٦)

*** رحلة البرتلي:**

مخطوط بدار الكتب بالزقازيق بعنوان: رحلة البرتلي من بلاد أتوات إلى الحرمين الشريفين تأليف محمد اليسر بن الحاج أبي بكر بن الطالب عمر البرتلي بخط عمر بن محمد ابن أحمد بن الحسين في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٢١٩ هـ. الرقم التسلسلي ٢٩٨٠.

(مجلة معهد المخطوطات العربية جـ ٢ ق ٣ ربيع الثاني ١٣٧٧ هـ - نوفمبر ١٩٥٧م. الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م/ ١٠٣).

*** الرحلة البعلية ذات النوادر الأدبية:**

من مخطوطات الأدب في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو في مكتبة الأسد).

الرقم ٥٩٠١

المؤلف: مجهول. كان تلميذا للأمير عبد القادر الجزائري المتوفى سنة ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٣م.

وهي وصف رحلة جماعية إلى قلعة بعلبك وزحلة وغيرهما. بأسلوب مسجع يميل إلى الإطالة والإكثار من الشعر. تخلص فيها إلى مدح الأمير عبد القادر.

أوله: «نحمد من أرانا عجائب العبر، في آثار من سلف وغبر، وأشهدنا من غرائب الأسفار، ما يحسن إيداعه في بطون الأسفار...

وبعد، فلما هل هلال العيد مبشرا بالموسم السعيد.. فأذن لنا بالسياحة.. الأمير عبد القادر بن محيي الدين الحسني الجزائري ... بالتوجه إلى الديار البعلية ذات الآثار العجيبة... وذلك صباح يوم الثلاثاء ثاني ذي الحجة الحرام سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف ...» آخره: «...

كعبة أسست على الفضل لكن

كل حين لها تحج الوفود

ثم حللنا دمشق الشام، وأحللنا من الإحرام، وبعد قضاء التعب، واستباحة الطيب والرفث حمدنا الله على جزيل الإنعام وصلينا على أشرف إنسان في البدء والختام».

نسخة حديثة جديدة كتبت في ٣٠ محرم سنة ١٢٩٩ وخطها دقيق، وأحرفها مهملة لذلك يصعب قراءتها وفهم ألفاظها.

(٣٤-٤٥) ١٢ ق ١٩ س ١٢,٥ × ١٩سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ٢٣٦، ٢٣٧).

*** رحلة البلوى:**

من مخطوطات التصوف في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو في مكتبة الأسد):

الرقم ٣٦١٤ - رحلات ١٠٨

سماها: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق. رحل بها إلى الحجاز ابتدأت سنة ٧٣٧ هـ وانتهت سنة ٧٤٠ هـ.

المؤلف: أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد البلوى الأندلسي كان حيا سنة ٧٤٠ هـ/ ١٣٤٠ م.

أولها: الحمد لله الذي فرض حج البيت على من استطاع إليه سبيلا... أقول مستعينا بالله سبحانه: إني خرجت قاصدا الحج وطالبا للعلم... فخرجت في ضحوة يوم السبت الثامن عشر لصفر من عام ستة وثلاثين وسبعمائة.

آخره: قال مؤلف هذه الرحلة خالد بن أبي خالد لطف الله به وهنا انتهى ما أوردناه من إثبات ما قصدناه وما أشرنا في أول الأوراق

الخط نسخي على القاعدة المغربية مقروء، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر لغاية ق٤٤.

ق ١٤٠، س ٢٦، ٢٥ × ١٧سم، كلمات السطر ١٥، هامش ٣,٥ سم.

اسم الناسخ: حفيد المؤلف خالد بن أحمد خالد.

تاريخ النسخ: ١٥ ربيع الأول سنة ٨١٩ هـ.

ملاحظات: نسخة مراجعة ومصححة ومعلق عليها

الورقة الأولى بخط حديث مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ١٢١٠ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٤ / ٩٧ .

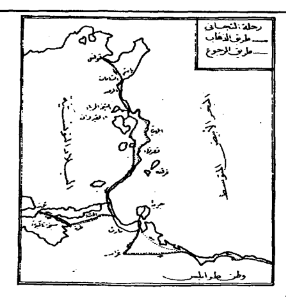
(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ــ وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٥٩ ، ٦٠٠) .

*** رحلة التجانى:**

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجانى . ولد فى مدينة تونس بين ٦٧٠ و ٦٧٥ والتى كانت حينذاك عاصمة الحفصيين ودار ملكهم ، وقد أوردنا ترجمته فى م ٨ / ٥٠٩ ونذكر هنا ما يتصل برحلته .

يقول الدكتور عبد الرحمن حميدة : تهيأ لعبد الله التجانى كل ما يؤهل المرء للنبوغ من ظروف وأحوال وفرص ، وهمة عالية وجهد لا يفتر ورغبة فى التعلم ، وصبر وأناة كانت خليقة بأن تبوئه المركز اللائق بسليل الأدباء والعلماء ، وأدرك أبا عصيدة ، أحد سلاطين بنى حفص فى مطلع القرن الثامن الهجرى فالتحق التجانى بحاشيته . وكان على رأس الدولة يومئذ شيخ الموحدين الأمير أبو يحيى بن اللحيانى ، فاختص التجانى بعنايته ، ، وأوكل إليه وظيفة الكاتب الخاص . وقد رغب ابن اللحيانى فى أن يتفقد شئون الدولة ، وربما كان يقصد الحج إلى بيت الله الحرام ، وإن لم يفصح عن ذلك بصورة مسبقة ، مع جمع من وجوه تونس ، كان بينهم عبد الله التجانى الذى عهد إليه بالإشراف على رسائل الرئيس ابن اللحيانى .

وخرج ابن اللحيانى من تونس فى حاشية كبيرة فى أواسط شهر جمادى الأولى سنة ٧١٦ هـ ، أى أواخر عام ١٣٠٩ م ، سالكا طريق الساحل مرورا بسوسة ، ثم انحرفت القافلة باتجاه الداخل وسلكوا طريقا قادتهم إلى الجم ثم إلى صفاقس فقابس . ومن هذه اتجهوا غربا فى اتجاه منخفض الجريد فزاروا واحة توزر ، وعادوا إلى قابس فتجفت حيث عرجوا على جزيرة جربة . وانكفؤوا كرة أخرى إلى عمراسن فى سهل الجفارة كى يعودوا إلى الساحل ، ومروا بزوارة وطرابلس ومصراته ، كى يتابعوا مسيرتهم شرقا لأداء فريضة الحج ، ولكن



طريق الذهاب والإياب الذي اتبعه الرحالة التجاني .
نقلاً عن طبعة حسن حسني عبد الوهاب (تونس ١٩٥٨) .

التجانى عاد إلى تونس فوصلها فى صفر من سنة ٧٠٨ هـ بعد غياب عن موطنه استغرق اثنين وثلاثين شهرا تقريبا ...

وفى عهد ابن اللحيانى تقلد التجانى خطة العلامة الكبرى أى رياسة دواوين رسائله .

ويقول العلامة المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب : «لا مراء فى أن عبد الله التجانى باشر ما ألقى على عاتقه من المهمات أحسن مباشرة طيلة إقامة هذا السلطان فى الملك ... ولم يزل صاحبنا يخدم بعمله وعلمه وقلمه البلاد ويؤلف بين الفينة والفينة التصانيف المفيدة ، إلى أن عقد العزم على مغادرة تونس» .

ويرى هذا العلامة التونسى الكبير ، الذى نشر متن الرحلة عام ١٩٥٨ ، أن التجانى وسائر أفراد أسرته لاقوا مصرعهم قتلا على إثر انتصار أبى يحيى أبى بكر سنة ٧١٨ هـ ، ١٣١٨ م . وللتجانى مؤلفات عديدة ، أكثرها مفقود ، فى الفقه والأدب والتاريخ والتراجم والحديث والمراسلات ، مثل مراسلاته مع ابن شبرين ، وفى العلامة وفى الأدب النسائى .

وهكذا عاش التجانى فى ظل دولة الحفصيين التى لم تكن أيامها كلها هادئة تسودها الطمأنينة فقد تنازعت هذه الدولة الأهواء ، وتضاربت فيها المصالح ، ومزقتها الحروب

الأهلية فى أكثر من مرة فى تاريخها، ولعل أكثرها ضراوة هى التى عاش فيها أبو محمد التجانى.

ولكن رحلة التجانى كانت كلها خيرا وبركة على الأدب والتاريخ إذ سجل فيها أخبار رحلته، وسجل مشاهداته وعبر عن انطباعاته فى «تقييده» الذى سمى به أخبار رحلته، وهو عبارة عن كتاب فى الأدب والتاريخ والجغرافية ووصف المجتمع الذى شاهده التجانى وخالطه، مدبج بأسلوب جلى وعبارة أنيقة وصف بها رحَّالتنا صفاقس وقابس وتوزر وطرابلس.

ولما كان سير الرحلة بطيئا ومجالها محدودا، فقد تمكن التجانى من الوقوف على كل ما يمكن ملاحظته فى طريق سيره القصير. وللرحلة أهمية كبرى إذ زودتنا بمعلومات وافية عن سائر المناطق التى زارها وعن الأصقاع المجاورة لها. وهى تتعرض لمسائل الجغرافية مثلما تتناول قضايا التاريخ الطبيعى ولاسيما التاريخ البشرى. وأسلوب التجانى فى العرض أدبى صرف ولكنه لا يثقله بالانطباعات الشخصية أو بمحاولته التدليل على سعة معارفه ومهارته كاتبا. وبعد قرن من الزمان قدره ابن خلدون تقديرا كبيرا. وأفاد من مصنفه مرارا عديدة فى تلك الأجزاء من تاريخه التى أفردها للمغرب العربى.

وقد دللت أبحاث آمارى على أن التجانى يقدم معلومات تاريخية وجغرافية ذات قيمة كبرى. من ذلك ما كتبه عن جزيرة جربة وعن صقلية نفسها. وتظهر شذرات من الرحلة فى ترجمة روسو التى ترجع لأواسط القرن الماضى. وتستند على اختيار اعتباطى للنصوص مع سوء فهم للمتن أحيانا. أما المستشرق الإيطالى آمارى والمستشرق بل فلم يتعرضا فى كتابيهما إلا لقسم يسير من الرحلة.

ويسوق الدكتور عبد الرحمن حميدة هذا النص من رحلة التجانى:

وصف صفاقس: ووصلنا إلى صفاقس ظهرا، فرأيت مدينة حاضرة ذات سورين، يمشى الراكب بينهما ويضرب البحر فى الخارج منهما. وكانت بها قبل غابة زيتون ملاصقة لسورها، فأفسدها العربان، فليس بخارجها الآن شجرة قائمة وفواكهها مجلوبة إليها من قابس. وماؤها شراب لا يساغ، وإنما يعتمدون فى شربهم على ما يدخرونه من مياه الأمطار. ويصطاد بها من السمك أنواع تفوت الإحصاء. وببحرها يوجد صوف البحر الذى يعمل منه الثياب الرفيعة الملوكية. وربما وجد فى بحرها صدف يشتمل على لؤلؤ صغير الحب. ومرساها مرسى حسن ميت الماء، والماء يمده به ويجزر عنه كل يوم، فإذا جزر استوت السفن على الحمأة، وإذا مد عامت.

وصف قابس: وأصبحنا يوم الإثنين مرتحلين فأشرفنا على غابة قابس، ووصلنا إليها ضحى فرأينا بلدا قد استوفى المحاسن واستغرقها. وأذكر بمنظره الأنضر، وورقه الأخضر، جنة الخلد وإستبرقها، وقد أحدقت غابته به من جميع جهاته. وبهذه الغابة من الجواسق والنخل المتناسق، ما يستوقف الطرف، ويستوفى الحسن والظرف، ويحقق ما قيل: إن قابس جنة الدنيا، وإنها دمشق الصغرى، وهى مدينة بحرية صحراوية فإن الصحراء متصلة بها، والبحر على ثلاثة أميال منها.

وصف جزيرة جربة: وجزيرة جربة من أعظم الجزائر خطرا وأشهرها فى سالف الزمن عمارة وذكرا، وطولها من المغرب إلى المشرق ستون ميلا... وأما عرضها فمختلف، فعرض الرأس الغربى منها عشرون ميلا، وهو الطرف الواسع، ومن هذا الموضع إلى جزيرة قرقنة فى البحر ستون ميلا. وعرض الرأس الشرقى منها خمسة عشر ميلا، وهو أضيق مكان بها. وهى أرض كريمة المزارع، عذبة المشارع، وأكثر شجرها النخيل والزيتون والعنب والتين. وبها أصناف كثيرة من سائر الفواكه. إلا أن هذه هى أكثر ثمرها وعليها مدار غلاتها. وغيرها من كرائم الأرضين لا يقاربها على الجملة فى ثمارها أو يساويها. وتفاحها لا يوجد فى جميع بقاع الأرض له نظير، لما يوجد بها من صفاء وجفاف وطيب مذاق، وعطارة استنشاق، ورائحته توجد من المسافة المديدة، والأميال العديدة. وكان من شجره بهذه الجزيرة قبل هذا كثير، ثم قل الآن بسبب أن النصارى يتحفون به ملوكهم

وكبارهم دون تعويض لأربابه عنه، فرأى أهل الجزيرة أن غيره من الشجر أعود بالفائدة عليهم فقطعوا أكثره.

واختصت بهذه الجزيرة أيضا دون غيرها من البلاد بحسن الأصواف المحمودة الأوصاف، التى ليس بإفريقية لما يُنسج من أثوابها نظير، وذلك معلوم من أمرها شهير. وأكثر مساكن أهلها أخصاص من النخيل، يجعل كل واحد منهم فى أرضه واحدا أواثنين أو أكثر من ذلك ثم يسكنه بعياله. وليس بها بناء قائم إلا دور قليلة.

وصف طرابلس: ولما توجهنا إلى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها من شعاع الشمس يغشى الأبصار، فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء. وخرج جميع أهلها مظهرين الاستبشار رافعين أصواتهم بالدعاء، وتخلى والى البلد إذ ذاك عن موضع سكناه، وهو قصبة البلد، فنزلنا بها. ورأيت آثار الضخامة بادية على هذه القصبة، غير أن الخراب قد تمكن منها وقد باع الولاة أكثرها. فما حولها من الدور التى تكتنفها الآن إنما استخرجت منها. ولها رحبتان متسعتان. وفى الخارج منها المسجد المعروف فى القديم بمسجد العشرة، لأن عشرة من أشياخ البلد كانوا يجتمعون فيه للمشورة فيدبرون أمر البلد، وذلك قبل تملك الموحدين لها، فلما تملكوها ارتفع ذلك الرسم، وزال عن المسجد ذلك الاسم.

ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة، فرأيت حماما صغير المساحة، إلا أنه بلغ من الحسن غايته، وتجاوز من الظرف نهايته، وكان هذا الحمام من منافع القصبة فبيع من جملة ما بيع منها، وهو الآن مُحبَس على بعض المساجد. وبالبلد حمامان آخران غيره إلا أنهما فى الحسن دونه. ورأيت شوارعها فلم أر أكثر منها نظافة ولا أحسن اتساعا واستقامة، وذلك أن أكثرها تخترق المدينة طولا وعرضا من أولها إلى آخرها على هيئة شطرنجية ... ورأيت بسورها من الاعتناء، واحتفال البناء، ما لم أره لمدينة سواها، وسبب ذلك أن لأهلها خطا من مجباها، يصرفونه فى رم سورها، وما تحتاج إليهم من مهم أمورها، فهم لا يزالون أبدا يجددون البناء فيه يتداركون تلاشيه بتلافيه.

وبخارج باب البحر منها منظر من أنزه المناظر، مشرف على الساحل حيث مرسى المدينة، وهو مرسى حسن متسع تقرب المراكب فيه من البر، وتصطف هناك اصطفاف الجياد فى أواريها.

وبداخل البلد مدارس كثيرة وأحسنها المدرسة المستنصرية، التى كان بناؤها على يد الفقيه أبى محمد عبد الحميد بن أبى البركات بن أبى الدنيا رحمه الله تعالى، وذلك فيما بين سنة خمس وخمسين إلى سنة ثمان وخمسين، وهذه المدرسة من أحسن المدارس وضعا وأظرفها صنعا ...

وصف توزر: توزر هى قاعدة البلاد الجريدية، وليس فى بلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر مياها. وأصل مياهها من عيون تنبع من الرمل وتجتمع خارج البلد فى واد متسع، تتشعب منه جداول كثيرة، وتتفرع عن كل جدول منه مذانب (جداول ضيقة)، يقسمونها بينهم على أملاك لهم مقررة مقاسم من المياه معروفة. ولهم على قسمها أمناء من ذوى الصلاح فيهم، يقسمونها على الساعات من النهار والليل بحساب لهم فى ذلك معروف، وأمر مقرر مألوف. وعلى ذلك الماء أرجاء كثيرة منصوبة. ومن العجب أن هذا الوادى يحتمل ما يحتمل من غثاء أو غيره، فإذا انتهى إلى المقسم افترق هنالك أجزاء بالسوية على عدد المسارب، فمضى كل منها إلى مسرب منها، وهذا مما شاهدته فيها عيانا، وكثير من أهلها إنما يسكنون بغابتها. ولا مناسبة بين مبانى الغابة ومبانى داخل البلد، فإن مبانى الغابة أضخم وأحسن. وبداخل البلد جامعان للخطبة وحمام واحد ومتفرجهم بموضع يعرفونه بباب المنشر، وهو من أحسن المتفرجات لأن مجتمع الماء هنالك، ومنه تتفرع كما تقدم. ويجتمع به القصارون فينشرون هنالك من الثياب الملونة والأمتعة الموشية ما يعممه على كبره، فيخيل للناظر أنه روض تفتحت أزهاره، واطردت أنهاره. وليس بتوزر أحسن من هذا الموضع. وهو خارج عن غابتها والغابة ملاصقة لسور المدينة فهى بذلك تمت حصانتها.

(أعلام الجغرافيين العرب ـ د. عبد الرحمن حميدة / ٥٢٩ ـ ٥٣٥).

* **رحلة التجيبى:**

من الرحلات الحجازية (انظر مادة «الرحلات») وقد أوردنا نبذة عنها فى ترجمة التجيبى الذى أدرجناه تحت اسم «الحرّالى» (ــ ٦٣٨ هـ / ــ ١٢٤١ م) فى م ١٣ / ٣٤٠ ، ٣٤١ فانظرها فى موضعها .

* **الرحلة الحجازية:**

من الرحلات الحجازية والزيارية (انظر مادة «الرحلات») .

من مخطوطات التصوف فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى

الرقم ٤٣٠٤

رحلة زار فيها المؤلف الأماكن المباركة ومقامات الصالحين والأولياء واجتمع بكثير من العلماء والصلحاء .

المؤلف : أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الدمشقى الصالحى الحنفى النقشبندى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أولها : مخروم يبتدىء بـ : كنا يوما فى حمة المسير إلى هذه الرحلة المباركة إن شاء الله تعالى فكتب لنا بعض الصالحين هذه الأبيات الثلاثة وجاء بها إلينا فكانت شرح الحال منا وهى قول بعضهم :

عش عزيزا ولا تذل لخلق

واطلب الرزق من بلاد الحبيب

ثم سر فى البلاد شرقا وغربا

وتوكل على القريب المجيب

فعسى أن ينال ما ترتجيه

بيد اللطف من مكان قريب

آخره : فنزلنا ودخلنا واجتمعنا بحضرة الشريف حفظه الله فتلقانا بالقبول والتعظيم والاحترام واستقبلنا غاية الاستقبال وأمر لنا بخيمة نصبت لنا وتقيد بجميع أمورنا وجلسنا عنده حصة من الزمان نتحادث عن أحوال العصر والأوان ثم قمنا إلى الخيمة التى نصبت لنا وجلسنا هناك ...

الخط نسخى معتاد ، الحبر أسود .

ق ١٤٧ ، س ٢٦ ، ٢٠,٥ × ١٣,٥ سم ، كلمات السطر ١٤ ، هامش ١,٥ سم .

اسم الناسخ : المؤلف عبد الغنى النابلسى .

ملاحظات : نسخة قيمة بخط المؤلف .

مصادر عن الكتاب : معجم المطبوعات/ ١٨٣٤ ، مقدمة الرحلة الطرابلسية للمؤلف ص ١٨ نشر هيربرت بوسه فى المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ .

قال واضع الفهرس الأستاذ محمد رياض المالح .

طبعة الكتاب : ذكر فى أكثر المصادر أنه طبع فى القاهرة ودمشق سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٧ م والذى أعلمه وتناقشت بذلك مع الأستاذ أحمد عبيد مع المقابلة على بعض النسخ عنده أن الذى طبع ليس للنابلسى ولكن لرجل آخر من أسرة النابلسى .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٦٠٠ ، ٦٠١) .

* **الرحلة الحجازية للعياشى:**

انظر : رحلة العياشى .

* **رحلة الزبادى:**

انظر مادة «بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام» فى م ٧ / ٤٧٢ .

* **رحلة السراج:**

من الرحلات الحجازية والرحلات الزيارية (انظر مادة «الرحلات») .

صاحب هذه الرحلة هو السراج (بعد ١٠٤٢ هـ / ـ بعد ١٦٣٢ م) ترجم له الزركلى فقال عنه :

محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد القيسى الشهير بالسراج الملقب بابن مليح : رحالة من أهل مراكش . عرف برحلته المسماة «أنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والأعارب ـ خ » فى خزانة الرباط (٢٣٤١ ك)

أورد فيها ارتحاله من مراكش في آخر صفر ١٠٤٠ (١٦٣٠ م) إلى أغمات، فورزازات، فدرعة، فبلاد توات، ففزان، ووصل إلى القاهرة في شوال ١٠٤١) ورافق الركب المصرى إلى عقبة أيلة حيث التقى ومن معه بركب الشام، ومنها إلى مكة (٧ ذى الحجة) وبعد الحج والعمرة دخلوا المدينة (٣ محرم ١٠٤٢ وعاد مع الركب التونسي فدخل مصر (١٢ صفر) ووصل إلى تكانة حيث تلقاه الأهل والأحباب (في شوال ١٠٤٢) (الأعلام ٦، ٨، ٩).

قالت المؤلفة: مخطوط «أنس السارى» الذى أشار إليه الزركلى آنفا مطبوع الآن ونحن ننقل منه هنا بعض ما جاء فيه، فقد تكلم السراج على «النيل المبارك»، وعن مصر والقاهرة، وعن مسجد ابن طولون الذى أوردناه تحت عنوان «أحمد بن طولون (جامع ـ) فى م ٢ / ٦٥٧ ــ ٦٧٠، وعن الجامع الأزهر، وعن زياراته للمشهد الحسيني ولأولياء الله الصالحين المدفونين بالقرافة، ولمشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها وغير ذلك كثير، هذا بالإضافة إلى وصفة للمسجد الحرام ومناسك الحج والمسجد النبوى، ويختتم الكتاب بقصيدة فى مدح المدينة المنورة، مدينة الرسول ﷺ.

قال المؤلف رحمه الله عن «النيل المبارك».

وفى اليوم الرابع رحنا على النيل وقد سكنت لججه، وركد مائجه وأقبلت الزوار تهفو بقوادم غربان، وتعطو بسوالف غزلان، تخالها فوق ثبج البحر نجائب محدوة، وتحسبها فوق مائة أعلاما وجبالا مجلوة، وزورقنا بينها يسرع فى اندفاعه، ونحن تحت وارف ظل شراعه، فحسبته من خوف العواصف، طائرا مد على بنيه جناحه، فهذا البحر أعجب البحور شمائل وأعذبها واردا، وأطيبها نشرا، وأحسنها خبرا، جعله الله تعالى دالا على غرائب قدرته وعجائب حكمته، فسبحان من خص به مصر، فأعجب به بحرا فى الصيف يفور ويفيض، وفى الشتاء يغور ويغيض، فتأمل كيف أقبلت قوافل مقياسه، ونفائس أنفاسه، فكلما تنفس نفسا من أنفاسه، ملأ الأرض نجدا وغورا، وأفعمها بطنا وظهرا، وعم البلاد طيبا ونشرا فلكم جبر بكسر خليجه كسرا، ولكم أطلق بانطلاقه عسرا، وأنشدوا فى المعنى.

تـــراه إذا هبت بـــه نسمـــة الصبـــا ... تجعـــده نظمـــا وتـــرسلـــه نثـــرا

هـــو النيـل إلا أنـــه عنـــد نيلـــه ... تـــرى كل قطـــر قـــد أحل بـــه بحـــرا

يجـــود إذا طـل السحـــاب بـــوبلـــه ... فتهتـــز منـــه الأرض إن حملـت وقـــرا

يفيـض إذا غـــاض الميـــاه كأنهـــا ... مجـــدولـــة تـــرى فسبحـــان من أســـرا

حكـى ملكـــا كل الملـــوك رعيـــة ... يفـــرقهم طـــورا ويجمعهـم أخـــرى.

فسبحان من قدرته لا تضاهى، وحكمته لا تباهى، ونعمته لا تتناهى.

نقل الحريفش رحمه الله حكاية لا بأس بذكرها هنا، إن فرعون يتمرد وكان يضل قومه بهذا النيل فإذا كان يوم النيروز وقد وافى النيل أجله، وبلغ نهايته، أمر بإن ينادى فى الناس أن فرعون قد وفى لكم نيلكم فاسجدوا له، كان جهال قومه يعتقدون ذلك فلما كان بعض السنين قصر النيل فى وفائه ولم يأذن الله له بالطلوع فاستشعر الناس الجوع وأحسوا بالقحط فاجتمعوا إلى فرعون وقالوا له قد هلكنا وهلكت مواشينا وأولادنا فإن كنت [إلهنا] فأجر لنا النيل، فقال لكم ذلك ثم إنه عمد إلى مسح وقلنسوة شعر وكيس فيه رماد ومضى إلى مكان المقياس فى الخربة المعروفة بالمقياس، فأمر إلا يتبعه أحد من قومه ولا من خدامه، ودخل الخربة ونزع ثياب الملك والتاج عن رأسه ولبس المسح والقلنسوة وفرش الرماد وجعل يتمرغ عليه ويبكى ويسجد لله عز وجل ويمرغ خده على الرماد وهو يقول، [إلهى] وسيدى أعلم أنك إله السماوات والأرض وإله الأولين والآخرين، ولكن غلبت علىّ شقوتى وزدت فى عصيانى وأنت [إلهى] وأنا عبدك، وقد حكمت على بما حكمت فلا تفضحنى بين قومى وأنت أكرم الأكرمين، فما استتم كلامه حتى أذن الله تعالى للنيل أن يوفى تلك الساعة، وأن يسير معه حيث سار، فكان فرعون يسير بين قومه والماء بين أذياله، فكانوا يغمسون أكمامهم ويضرب

بعضهم بعضا فرحا به، فصارت سنة فى مصر إلى الآن، ويقولون «نيروز» أى طلع الماء، وكان لعنه الله فى كل سنة إذا بدا وحم النيل يأمر بابنة من بنات الملوك من أهل مصر يحلونها بأنواع الحلى ويكسونها أفخر الحلل ويزينونها بأنواع الزنية كالعروس التى تزف إلى زوجها، ثم يلقونها فى النيل وفعل ذلك فى كل سنة وكان جهال الناس يعتقدون أن النيل لا يطلع حتى يلقوا فيه العروس، واستمر الأمر على ذلك إلى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكان نائبه بمصر عمرو ابن العاص رضى الله عنهما، فأنكر عليهم ذلك فكتب كتابا إلى عمر بن الخطاب يخبره الخبر، فكتب له عمر رضى الله عنه كتابا يرد الجواب ورقعة يقول فيها بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد، من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر، وإن كان الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله أن يجريك، وأمره أن يلقى البطاقة فى النيل، وكان أهل مصر قد أيقنوا بالغلاء فأصبحوا وقد أجرى الله النيل، وطلع ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة، وكان ذلك ببركة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وأراح المسلمين من تلك البدعة وأمر عمرو ابن العاص الناس بالشكر لله تعالى، والثناء عليه، والتوبة من المعاصى، وأبطال ما كانوا يفعلونه من المنكر، من إلقاء البنات فى الماء.

ثم عبرنا النيل للقاهرة أدامها الله دار الإسلام، وصانها بحرمة نبيه عليه الصلاة والسلام، حتى أشرفنا على ديارها.

بلاد مصر والقاهرة

فكان دخولنا لمصر ضحوة يوم الجمعة الثالث عشر من شوال إحدى وأربعين وألف، فيا لها من قاهرة ما أحسنها، وأبدع جمالها، وأوصافها، أوفى البلاد طهرة، وأزكاها فطرة، وأفسحها رقعة، وأمرعها نجعة، وأقومها قبلة، وأوسعها دجلة وأكثرها نهرا ونخلة، دهليز البلد الحرام، وقبالة الباب والمقام، أحد جناحى الدنيا، والمصر المؤسس على التقوى، ذو المشاهد المشهورة والمساجد المقصودة، والمعالم المشهورة، والمقابر المزورة، والآثار المحمودة، قد جمعت أشتات المحاسن، ويكفى فى وصفها ما ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز من قوله تعالى ﴿ **ادخلوا مصر إن شاء الله ءامنين** ﴾ [يوسف: ٩٩] وقوله تعالى: ﴿ **لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض** ﴾ [غافر: ٢٩] وقوله تعالى، ﴿ **أو أن يظهر فى الأرض الفساد** ﴾ [غافر: ٢٦] وقوله تعالى ﴿ **أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك** ﴾ إلى قوله ﴿ **إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده** ﴾ [الأعراف: ١٢٨] إلى قوله ﴿ **عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض** ﴾ [الأعراف: ١٢٧ ـ ١٢٩] المراد بالأرض فى هذه الآيات كلها مصر، وعن ابن عباس رضى الله عنه وقد ذكر مصر فقال، سميت مصر بالأرض كلها فى عشر مواضع فى القرآن، قال الحافظ، بل فى اثنى عشر موضعا أو أكثر، وقال تعالى ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها** ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

قال الليث بن سعد، هى مصر بارك فيها بالنيل، حكاه أبو حيان فى تفسيره، وقال القرطبى فى هذه الآية، الظاهر أنهم ورثوا أرض مصر القبط وقيل هى أرض الشام ومصر، قاله أبو إسحاق وقتادة وغيرهما، وقال تعالى فى سورتى الأعراف [١١٠] والشعراء [٣٥] ﴿ **يريد أن يخرجكم من أرضكم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها** ﴾ وقال تعالى ﴿ **كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم** ﴾ قال الكندى: لا يعلم بلد فى أقطار الأرض أثنى الله عليه فى القرآن بمثل هذا الثناء، ولا وصف بمثل هذا الوصف، ولا شهد له بالكرم غير مصر، وقال تعالى ﴿ **ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق** ﴾ وقال القرطبى، أى منزل صدق محمود مختار يعنى مصر، وقال: يعنى مصر والشام، وقال تعالى، ﴿ **كمثل جنة بربوة** ﴾ أورده ابن زولاق وقال تعالى ﴿ **أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض** ﴾ قال قوم، هى مصر، وقواه ابن كثير فى تفسيره وقال تعالى ﴿ **وقدر فيها أقواتها** ﴾ وقال عكرمة منها أرض القرطيس بمصر وقال تعالى ﴿ **إرم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد** ﴾ وقال محمد بن كعب القرظى هى الإسكندرية..

وكان آدم أول من دعا لمصر بالرحمة والخصب، والبركة والرأفة، وأورده غيره عن عبد الله بن سلام قال. مصر

أم البركات، تعم بركتها من حج بيت الله الحرام من أهل المشرق والمغرب، وإن الله ليوحي إلى نيلها في كل عام مرتين، مرة عند جريانه فيوحي إليه إن الله يأمرك أن تجرى كما تؤمر، ثم يوحي إليه ثانية، إن الله يأمرك أن تغيض حميدا فيغيض، مصر بلد معافى وأهلها أهل عافية وهي آمنة ممن يقصدها بسوء، من أرادها بسوء أكبه الله على وجهه، ونهرها نهر العسل، ومادته من الجنة، . وكفى بالعسل طعاما وشرابا وروى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه، لما بعث محمد بن أبي بكر الصديق إلى مصر رضى الله عنه قال له إني قد وجهتك إلى فردوس الدنيا.

وقد نقل في فضلها وشرفها آثار كثيرة، وأخبار جسيمة، لا نطيل بجلبها، ولا نتعرض لسردها، ومن عظيم شرفها، وقوة فضلها، ما نقل أنه دخلها من أنبياء الله الكرام عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، ما ينيف على الثلاثين، وقد نظم بعضهم أسماءهم في أبيات خمسة وهي هذه :

قد حل مصر فيما قد رووا زمر
من النبيين زادوا مصر تأنيسا
فهاك يوسف والأسباط مع أبيه
وحافد وخليل الله إدريسا
لوطا وأيوب ذا القرنين خضر سليـ
ـمان أرميا يوشع هارون مع موسى
وأمه سارة لقمان آسية
ودانيال يوشعا مريما عيسى
شيتا ونوحا إسماعيل قد ذكروا
مازال من أجلهم ذا المصر مأنوسا

ثم حللنا مصر أعظم مصر، ونزلنا منها أكرم منزل وأسنى قطر، واجتليناها أوضح من البدر عند الفجر، فنسى كل غريب وطنه، وود أن لو فيها يقضي عمره وزمنه، وفيها يقال :

لعمرك ما مصر بمصر وإنما
هي الجنة الدنيا لمن يتبصر
فأولادها الولدان والحور عينها
وروضتها الفردوس والنيل كوثر

ثم يتكلم السراج في رحلته على الأزهر الشريف فيقول عنه :

وأعظم من هذا المسجد جامع الأزهار، المشرقة الأنوار، الشهيرة الذكر، في الحواضر والأمصار، لا مسجد يعدله في قطر، ولا نظير يماثله في مصر، لا يغلق له باب، ولا يسدل له حجاب أوقاته معمورة، وبأنواع العلوم مغمورة، قراءة وتقريرا لتفسير وحديث، ونحو وبيان، وأصول فقه ودين، وتصوف، ينبع العلم من حيطانه، ويسلى الغريب عن أوطانه، لا تجد سارية من سواريه خالية من معلم مفيد، أو متعلم مستفيد، تجتنى من رياضه أزهار الكلام، ويسمع في أرجائه أصارير الأقلام، وفيه خمسة رواقات للغرباء من حملة القرآن، ومن يتعاطى العلم من أهل المشارق والمغارب، تجرى لهم الأقوات، في جميع الأوقات، من رغيف نظيف، وحسو جريش، وعدس نضيج، صباحا ومساء، أساطين بلاطاته الداخلية من رخام منحوت سماوى في اللون، وسقفها من ساج أخضر، وفيه من المصابيح ما لا يحصى عددا، وفيها أربعة مكاتب في كل واحد منها أربعون صبيا، ولكل منها مؤدب، ولهم أوقاف جارية، لملبسهم وقوتهم، يتعلمون حروف القرآن العظيم، ولها ميضات خارج المسجد، كثيرة الصهاريج والمياه مشيدة البناء، واسعة الفناء وبينه وبين المسجد ممر مستطيل داخل في وسط المسجد.

ويصفه السراج مجلس تدريس الإمام أبي الحسن الأجهوري في الأزهر الشريف فيقول:

ومن أعظم مشايخ التعليم، في هذا المسجد العظيم، شيخ المقرئين وخيار عباد الله الصالحين فخر السنة والملة، وإمام الأئمة والجلة، ولى الله الكريم عليه، المنقطع إليه. المنتفع بالقراءة والتلاوة بين يديه، الذي عظم الله شانه، ورفع بالعلم والعمل مكانته ومكانه، ورزق الناس الانتفاع به في البداية والنهاية، العالم العامل سيدى أبو الحسن على الأجهوري أدام الله حياته للإسلام، . وعمر به تلك الأماكن العظام، وأدام النفع به على مر الليالي والأيام من مشايخ

المالكية، أدركناه وهو يقرىء فى رسالة أبى عبد الله محمد بن أبى زيد القيروانى، قراءة تحقيق، وتدقيق، وأبحاث يعجز عن جوابها جهابذة التحقيق، حضرت مجلسه صانه الله مع خل لى صديق، وسمعت منه أبقاه الله مدة إقامته بمصر العتيق.

ثم يقول السراج:

ومن أجلهم علما، وأعظمهم فهما، أوحد زمانه، وفريد أوانه، درة العلا والمجد، من جمع الله له بين العلم والعمل، ومنحه من كل فن بلوغ الغاية التى لا مزيد عليها، ووهبه شرف الجلال بجميع خلال الشرف وجعل شرفه فى الخير حجة على من قال لا خير إلا فى الشرف، بيته أحد البيوتات الرفيعة بالديار المصرية، وله فيها مزيد الرفعة ورفعة المزية، محل السياسة، ومعدن الرياسة، السيد الميمون، المبارك الحركة والسكون، سيدى أبو العباس أحمد الشهير بالكلبى صانه الله مالكى المذهب مسموع الكلمة مجاب الدعوة سيد لبيب، يؤنس الغريب، يقرئ فى كل فن من فنون العلم، له أوراد كثيرة، يحيى ليلة الإثنين والجمعة بجامع الأزهار ويجتمع عليه خلق كثير، وله أوراد صبيحة يوم الجمعة عند ضريح الإمام العلامة سيدى أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه يحضره جم غفير من الناس.

ومن السادات الجلَّة الأعلام، الملازمين لبث العلم وتعليمه، ونشره فى أهله الشابان الخيِّران الدينان النجيبان، المباركان، سيدى أحمد وسيدى محمد ولدا العالم العلم الأوحد، قدوة الزمان، ومصباح المكان سيدى إبراهيم اللقانى صان الله الجميع.

وهذا الجامع المذكور أول جامع أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى المعز لدين الله، لما اختط القاهرة وابتدأ بناءه لسبع خلون من رمضان سنة إحدى وستين وكان به طلسم لا يسكنه عصفور ولا حمام ولا يمام وكذا سائر الطيور ثم جدده الحاكم بأمر الله ووقف عليه أوقافا.

(انظر مادة «الأزهر» فى م ٤ / ٧٨ ـ ١٠١)

ثم يقول السراج عن «مشهد العالم العلامة خليل بن إسحاق الجندى رحمه الله تعالى ورضى عنه:

وبداخل القاهرة مدفن العالم العلامة خليل بن إسحاق الجندى، أحد أئمة المالكية بالقاهرة، وصاحب المختصر، وله رضى الله عنه شرح مختصر ابن الحاجب، ومناسك الحج وغيرها من الكتب، تفقه بالشيخ أبى عبد الله المنوفى، وكان ممن جمع بين العلم والعمل، والزهد والتقشف مات سنة ست وسبعين وتسعمائة، ومعه قبر شيخه العالم العلامة سيدى أبى عبد الله المنوفى رضى الله عنهما وأرضاهما (أنس السارى / ٤١ ـ ٤٦، ٤٨ ـ ٥٠، ٥٤).

و نكتفى بهذا القدر ونورد بقية مشاهداته فى مواضعها إن شاء الله تعالى

(الأعلام للزركلى ٦ / ٨، ٩، وأنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب لأبى عبد الله محمد بن أحمد القيسى الشهير بالسراج الملقب بابن مليح، حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى / ٤١ ـ ٤٦، ٤٨ ـ ٥٠، ٥٤).

*** رحلة الشافعى:**

وهو الإمام محمد بن إدريس المتوفى سنة ٢٠٤ هـ.

رواية أبى بكر محمد بن المنذر، عن الربيع بن سليمان، عنه.

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

أولها: «أخبرنا الشيخ الإمام العلامة علاء الدين أبو الحسن على بن إبراهيم بن داود الشافعى ابن العطار...».

وآخرها: «فحمل إلى منزله ولم يزل فيه عليلا حتى مات فى التاريخ المذكور رضى الله عنه وأرضاه».

نسخة كتبت بخط قديم، بقلم محمد بن أحمد بن محمد الأصبهانى وهى فى ٨ ورقات، ومسطرتها ٢٤ سطرا، وبآخر الأصل المنقول منه سماع مؤرخ سنة ٥٨٤ هـ، وهناك سماع آخر فى زمان الناسخ تاريخه سنة ٦٣٠ هـ.

[دار الكتب ٥٧٨ تاريخ تيمور] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ ٢ ق ٤. القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٩١، ١٩٢).

*** الرحلة الشامية فى أساليب الحديث:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث الشريف وعلومه ورجاله وجاء بيان المخطوط كما يلى:

المؤلف : ابن منصور

١ ـ التيمورية ٢ / ٢٨٥ [٢٢٦] ـ (ص ١ ـ ٩٤) ضمن مجموع ـ قبل ٨٨٥ هـ ، بخط المؤلف.

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان الأردن ٢ / ٨٠٥).

*** رحلة الشتاء والصيف:**

من مخطوطات الأدب فى معهد المخطوطات العربية، وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ١٧١٤

لمحمد بن عبد الله بن محمد بن شمس الدين بن أحمد الحسينى المدنى، المعروف بكِبْريت، المتوفى ١٠٧٠ هـ.

(هدية العارفين ٢ / ٢٨٨ ، والأعلام ٦ / ٢٤٠، ومعجم المؤلفين ١١ / ١٦١).

أولها: ... أما بعد ، فإنه لا يخفى على من سبر الدهر، وخبر أحواله، ورأى تغيراته، وشاهد فى ذوى الفضائل أفعاله ...

وآخرها: والحمد لله أولا وآخرا، وباطنا وظاهرا، فنشكره فى الأولى والآخرة ...

نسخة كتبت بقلم نسخى متأخر، كتبها محيى بن عبد الله العصامى، سنة ١٢٨٨ هـ

٢٥١ ق ١٩ س ١٤,٥×٢٠,٥سم

الأوقاف العامة ـ بغداد

١٢٣٠٨

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية . الأدب ـ إعداد عصام محمد الشنطى . جـ١ ق ٤ القاهرة ١٩٩٤ / ١٢ ، ١٣).

*** الرحلة الطرابلسية:**

من الرحلة الزيارية (انظر مادة «الرحلات») وهى الرحلة إلى طرابلس بلبنان (طرابلس الشام) التى قام بها العالم الصوفى الدمشقى عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى (١٠٥٠ ـ ١١٤٣ هـ / ١٦٤١ ـ ١٧٣١ م) (تأتى ترجمته فى موضعها إن شاء الله تعالى) ألف فيها كتاب «التحفة النابلسية فى الرحلة الطرابلسية» وطبعته مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة (بدون تاريخ) تحت عنوان «الرحلة الطرابلسية». وقد ذكر المؤلف فيه طريق الرحلة وهو السفر من دمشق إلى صيدا، ثم من صيدا إلى بيروت ، ثم من بيروت إلى طرابلس، ثم من طرابلس إلى بعلبك، ثم السفر من بعلبك إلى دمشق وقد كتب عنها «هريبرت بوسه» محقق الكتاب يقول:

الرحلة الطرابلسية هى الرحلة الرابعة التى خلف النابلسى عنها أثرا أدبيا ، قام بها فى ٢٢ ربيع الأول ١١١٢ / ٦ سبتمبر ١٧٠٠ وبعد انتهائه من تأليف «الحقائق والمجاز» بعامين. وتاريخ كتابته غير معروف. ومن المؤكد أنه بدأها بعد ربيع الأول ١١١٣ / أغسطس ١٧٠١ كما تدل على ذلك أبيات من الشعر وردت فيه مأخوذة من ديوانه الذى نظمه قبل ذلك.

لم يلق الكتاب اهتماما فى الشرق، ولم يصلنا منه غير ثلاث مخطوطات وسيرد الحديث عنها فيما بعد ، ويعود سبب عدم الاهتمام: أولا: أن لبنان ليس من مراكز الزيارات الإسلامية القديمة كالقدس والجزيرة العربية، ثانيا : سبق هذا الأثر كتابان فى الموضوع نفسه، هما «المنازل الأنسية فى الرحلة الطرابلسية» للحسن البورينى الدمشقى المتوفى عام ١٠٢٤ / ١٦١٥ وكتاب «الرحلة الى طرابلس الشام» لرمضان ابن موسى العُطَيفى المتوفى عام ١٠٩٥ / ١٦٨٤ لذا لم يعرف الجبرتى غير الرحلة إلى القدس. أما خير الدين الزركلى فقد ذكر للنابلسى ثلاث رحلات فى الطبعة الأولى لكتابه «الأعلام» مصر ١٣٤٦ / ١٩٢٦ ج ٢ ص ٣٥١ وهى كما عددها النابلسى نفسه فى وصف رحلته إلى مكة التى أتمها فى عام ١٦٩٧ ـ ٩٨ م: «الرحلة الكبرى» إلى مكة، «الرحلة الوسطى» إلى القدس، «الرحلة الصغرى» إلى بعلبك وفى هذا الترتيب لا مكان لرحلة رابعة. أما الطبعة الثانية فذكرت للنابلسى رحلة رابعة، وهى «الرحلة الحجازية

والرياض الأنسية» التى تظهر كشكل مختلف لعنوان كتاب «الحقائق والمجاز» ولم تذكر الرحلة الطرابلسية فى هذه الطبعة أيضا راجع المجلد الرابع، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

من المخطوطات التى بقيت تحمل مخطوطة «ب» فقط العنوان «الرحلة الطرابلسية لـ ... عبد الغنى النابلسى» بينما «ج» تحمل العنوان «هذه رحلة الإمام ... عبد الغنى النابلسى»، وقد أضافته يد غير يد الناسخ. وورد عنوان المخطوطة «ب» بهذا الشكل ضمن تعداد كتب النابلسى فى إجازة منحها عام ١١٠٥ / ١٦٩٣ فى صيدا، والأمر هنا أمر إضافة ألحقها النابلسى نفسه أو أحد الناسخين، لأن تاريخ منح الإجازة سابق لتاريخ كتابة الرحلة الطرابلسية. كما أنه ورد فى الإجازة اسم كتاب «الحقائق والمجاز»، وهو وصف الرحلة التى منح الإجازة أثناءها. وعلى أية حال تدل الإجازة وكذلك المخطوطة «ب» على أن هذا العنوان أى «الرحلة الطرابلسية» كان معروفا من قبل. والراجح أن العنوان الأصلى ليس هو الذى وصلنا فى المخطوطة أو الإجازة. وقد ورد العنوان فى «قاموس الأعلام» لشمس الدين سامى الفراشرى(Frashery) مع ترجمة النابلسى على الشكل التالى «التحفة النابلسية فى الرحلة الطرابلسية» وربما يكون العنوان قد نقل من ترجمة المؤلف لمحمد الغازى العامرى التى ورد ذكرها فى «قاموس الأعلام» والصيغة تطابق ذوق النابلسى فى اختيار عناوين كتبه الأخرى، ولهذا يمكن اعتباره العنوان الأصلى، ورغم التغير فى إيراد العنوان فإن كل صيغة تشير إلى أن نصف الكتاب قد خصص للحديث عن الإقامة فى طرابلس، بينما ذكر السفر عن طريق صيدا والعودة إلى دمشق عن طريق بعلبك بشكل مختصر. وإن اختيار المؤلف لهذا العنوان تقليد للرحلتين اللتين سبق ذكرهما. وقد عرف النابلسى على الأقل «رحلة البورينى» إذ تكرر ذكرها خلال الحديث عن السفر إلى بعلبك.

عُرفت رحلة النابلسى فى أوربا من المخطوطة «ب» التى وصلت إلى المتحف البريطانى عام ١٨٤٥ وتوجد تحت رقم ٢٢٧٥٣ ـ وآخر مالك عربى لها ـ ومالكها الوحيد؟ ـ كما كتب على الورقة الأولى هو السيد عبد الرزاق بن السيد عبد الفتاح اللاذقى، وتاريخ التملك ١٢٦١ / ١٨٤٥، وعلى الورقة نفسها كتب باللاتينية أن المخطوطة حصل عليها المستشرق الإنجليزى تيودور بريستون شراء فى اللاذقية وقد عُرف هذا بترجمته لمقامات الحريرى. وقد عرفت هذه المخطوطة بعد وصف «و. كوريتون» و «ك. ريو» لها. وقد ذكرها أيضا المستشرق «يوهانس جلد مايستر» فى فهرسة المحتويات «الرحلة إلى القدس» الذى نشره عام ١٨٨٢ .

وبالإضافة الى المخطوطة «ب» توجد المخطوطة «آ» وهى محفوظة فى مكتبة جامعة برنستون ضمن مجموعة مخطوطات «يهودا» تحت رقم ٣٣٩٥-y . وهى مكتوبة بخط نسخى متناسق مقروء، عدد الصفحات ٥٠ صفحة فى كل منها ٢٣ سطرا. وقد ضبط ترتيب الصفحات بكتابة أول كلمة من كل صفحة فى أسفل سابقتها.

وكذلك توجد المخطوطة «جـ» محفوظة فى المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٤٧٦١، وتحتوى على ٨٣ صفحة، فى كل منها ١٥ سطرا. خطها نسخى منتظم يدل على دقة ومهارة الناسخ، خالية من الإضافات والحواشى. ضبط ترتيب الصفحات بالطريقة نفسها التى اتبعت فى المخطوطة «آ» و «ب»، ومع الأسف فلم يذكر تاريخ النسخ، وكذلك اسم المالك وملاحظات القراء، ولا تحمل فى نهايتها توقيعا. ذكر فى الصفحة الأولى أنها اشتريت وسجِّلت تحت الرقم ٤٧٦١ كتب العنوان بخط غير خط الناسخ، ونصه: هذه رحلة الإمام الفاضل والعالم العامل الشيخ عبد الغنى النابلسى، قبره فى الصالحية من دمشق الشام، قدس الله روحه، آمين».

وعن طابع الكتاب العام يقول محقق الكتاب «هريبرت بوسه»: كتب المؤلف أخبار رحلته بأسلوب مسجوع مجاراة لذوق عصره الأدبى وقد ضمنها قطعا من الشعر بلغت ١٠٠ قطعة، منها ٤٨ من نظمه، وقسم من نظم تلميذه ورفيقه فى السفر «ابن عبد الرزاق» والبقية لمشاهير الشعراء كأبى نواس والمتنبى وغيرهما، وبعضها لشعراء مجهولين ...

ويمكن اعتبار الكتاب من نوع «الأدب» و «المذكرات اليومية»، وهذا ما اتبعه المؤلف فى كتب رحلاته السابقة مع

تزيين النص بأبيات الشعر، ويستنتج من ذلك أن المؤلف كان خلال رحلته يسجل بعض الملاحظات التى يستعين بها بعد عودته على تأليف الكتاب. لذا فإن الكتاب يحمل طابعا معينا نتيجة تجربة شخصية. وإذا ما قورن بكتب الجغرافيين والرحالة القدماء فإنه يعتبر من باب الأدب أكثر من أن يكون من باب كتب الجغرافية والرحلات. فبينما يهتم القدماء بوصف أرض الإسلام وأقاليمها وضمن ذلك يصفون المدن، فإن النابلسى يصف المدن فقط، فالأقاليم وحدودها هى مما يهم الدولة، أما كل ما يهم العالم المتدين فهو حياته فى المدينة وذلك حسْبُه، غير أنه عند وصفه للمدن ينتحل أسلوب الجغرافيين القدماء فيعدد المساجد والزوايا والحمامات وأحيانا أبواب المدن، وأكثر ما يهمه السكان والعلماء ورجال الصوفية منهم على وجه الخصوص، فمعهم يجرى الأحاديث العلمية والدينية، ويذاكرهم الشعر ويجادلهم حول مشكلات فقهية معقدة، ومنه نعرف الكثير عن مجتمع العلماء فى لبنان فى ذلك الحين، ونعرف الكثير عن المكتبات التى ملكها مضيفوه.

وعن طريق الرحلة يقول محقق الكتاب «هريبرت بوسه»:

فى ٢٢ ربيع الأول ١٠١٢ هـ/ ٦ أيلول ١٧٠٠ م غادر النابلسى مع من رافقه دمشق، وبعد قضاء ليلته الأولى فى «داريًا» تابع السفر عن طريق كفر فوق متوجها إلى ريشيا حيث قضى ليلته الثانية. وفى اليوم الثالث وصل بعد اجتياز الليطانى إلى «مشغرا» فى سفح جبل لبنان، وغادرها فى اليوم الرابع سالكا طريقا جبلية صعبة احتاج خلالها إلى دليل، وبعد أن مر بكفر ملكا وصل صيدا. وهذه الطريق كانت قبل الإسلام تربط صيدا وبعلبك، وفى القرن السابع عشر كانت الطريق الرئيسية بين صيدا ودمشق.

قضى النابلسى فى صيدا أكثر من أسبوع، وغادرها فى الثامن عشر من أيلول، وبدل أن يسلك الطريق الساحلية التى تؤدى مباشرة إلى بيروت سار فى طريق جبلية منحنية وبلغ فى مساء اليوم نفسه قرية «عانوت» حيث قضى ليلته، وفى اليوم التالى وصل دير القمر. وفى العشرين من الشهر نفسه سافر بمحاذاة نحو الدامور، وفى المساء وصل بيروت، وبها مكث يومين، وفى الثالث والعشرين سافر إلى جبيل وفى الرابع والعشرين توجه إلى طرابلس عن طريق بترون وقلمون، وهى هدف رحلته. وبعد أن قضى بها أسبوعين غادرها عائدا فى التاسع من تشرين الأول. فوصل فى اليوم الأول إلى «اهدن» وتابع السفر فى اليوم الثانى فاجتاز لبنان مارًا بالأرز حتى «عيناتا» القرية الواقعة فى الذرى المطلة على البقاع. وأثناء الطريق وجب أيضا اصطحاب دليل. وفى الحادى عشر من تشرين الأول وصل إلى بعلبك، ثم غادرها بعد يومين إلى الكرك حيث رحل بعد يوم واحد فى السادس عشر من تشرين الأول متابعا السفر ليلا، فوصل صباح السابع عشر إلى دمشق...

كان النابلسى قد عرف قسما من لبنان وبعض مدنه أثناء رحلاته السابقة، ولاسيما البقاع والساحل، إذ سافر عام ١٦٨٩ إلى البقاع عن طريق الزبدانى، وبعد أن مر على النبى شيت والكرك وصل إلى بعلبك، وعاد عن طريق الجنوب فمر بجُبّ جنين، وكامد اللوز، ثم ميسلون فدمشق.

وفى «الرحلة الكبرى» سافر عن طريق حماة إلى الساحل، ومن هناك توجه إلى طرابلس، ثم إلى جبيل، وبيروت، ودير القمر، وصيدا، وصور، حتى فلسطين ومن مصر تمكن من السفر مع قافلة الحج إلى المدينة وقلة، وعاد إلى دمشق دون أن يمر بلبنان (الرحلة الطرابلسية / ١٨ ـ ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩ مقدمة المحقق).

تلك كانت مقدمة محقق الكتاب «هريبرت بوسه». وننقل لك فيما يلى فاتحة كتاب «الرحلة الطرابلسية» ومنها تقف على أسلوب النابلسى فى وصف رحلته. قال بعد البسملة:

الحمد لله الذى يسر لنا المسير على أكمل تيسير، وسهل لنا الطريق الوعر مع زيادة الوغر، وهو حسبنا ونعم النصير. والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير والسراج المنير، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأنصاره وأحزابه ما نفح

الروض العطير واهتز مع النسيم دوحه المطير. ولله در القائل في بث الأشواق الأواخر والأوائل:

أسِرْبَ القطا هل من يعير جناحَه
لعلي إلى من قد هويت أطير

أما بعد: فيقول روضة الآداب الندية والجامع بين الفنون العلمية والأدبية سليل العلماء الأعلام ومفتي الخاص والعام، سيدي ومولاي الشيخ عبد الغني ابن العلامة الشيخ إسماعيل الشهير نسبه الكريم بابن النابلسي القادري مشربا والحنفي مذهبا والدمشقي موطنا والحاتمي تحققا ومعدنا، حفظ الله تعالى ذاته وأدام أوقاته: قد اقتضت رحلتنا من دمشق الشام زيارة إخواننا من ذوي المجد والاحتشام، إلى بلاد طرابلس المحروسة غربي دمشق المأنوسة، ذات الإجلال والإكرام، المعروفة بطرابلس الشام بين الأنام. وقد دعينا إلى ذلك بإشارة كانت من بعض الحكام في هاتيك البلاد، قصدا للنفع العام. وعلى الله تعالى الاتكال ومنه الفضل والإنعام. وأردنا أن نجول في السواحل الغربية المشحونة بأفاضل الأوقات والأيام للتبرك بزيارة الصالحين من كل ذي حال ومقام.

السفر من دمشق إلى صيدا

وكان ابتداء خروجنا في هذا السفر المبارك، إن شاء الله تعالى، في يوم الإثنين الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ومائة وألف. فنزلنا في قرية داريا الكبرى مع جماعة من الإخوان وطائفة من الأعيان.

وبتنا تلك الليلة على خير وافي وحظ موافي، إلى أن أسفر الصباح وأخمد ضياء الشمس نور المصباح. وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء، وانبعث العزم على المسير انبعاثا، وهو اليوم الثاني. فقدم لنا فيه وأنعم الله تعالى وزاد. وكان من جملة ذلك العسل المصفى، وكان هناك إبراهيم الذي وفَّى. ثم ودَّعنا الجماعة وأقلع العزم في بحر التوكل شراعه. وفي ذلك نقول تحصيلا للأمر المسئول، (شعر):

سرينا بحمد الله من شامنا إلى
ديارٍ بداريَّا تَطيبُ بها النَّفْس
وبتنا بها مع سادة دام مجدُهم
فلا نوع يحوي ما حووه ولا جنس
إلى أن بدا الفجرُ المنيرُ كصارمٍ
تجرَّد عن غمْد وشمس الضحى تُرْسُ
وكان بداريَّا حَلا عَسَلٌ لنا
فسرنا إلى أن قيل ها كفر الدِّبس

وكفر الدِّبس اسم قرية يقال لها كفرقوق الدبس، كما سيأتي قريبا. وقد كنا نشبر الأرض بحوافر الدواب، كأنا وكلنا بقياس الأرض على وجه الصواب. فنصعد طورا إلى أعالي الجبال ونهبط تارة إلى بطون الأودية التي هي كخيالات أهل الخيال. فقلنا في ذلك من النظام على طريقة الوزن المسمى بالمواليا بين الأنام، وهو:

كم مهمه ما لمقتول به وادي
وكَم جبل قد قَطعناه وكم وادي
حتى أتينا الحمَى نُصغي إلى الحادي
وعشرةً نحن قد كُنَّا وأنا الحادي

ثم وصلنا إلى قرية تسمى بكفرقوق الدبس من أعمال وادي التيم. وقدم لنا الدبس فيها مع الخبز، فتحققنا أن الاسم عين المسمى، وايم الله وايم. ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى قرية ريشيا، وكان قيامنا من داريا، فوافق السجع قافية ورويًّا. وبتنا هاتيك الليلة في أعلى غرف القصور بلا قصور، وهي مشتملة على قلعة سامية رفيعة البناء، تحيط بها بيوت الفلاحين إحاطة السفرة بالإناء، فكأنها منارة ودرجها من الخارج والبيوت في ذلك الدرج، فالصاعد إليها يدور، والنازل منها كلما هبط درج.

ثم أصبح صباح يوم الأربعاء الذي هو اليوم الثالث. فتوجهنا بعون الله تعالى على المسير ما بين هاتيك الأودية والجبال التي لا يكاد الطير بينها يطير، فخطر لنا أن قلنا بيتا مفردا، ولا ماء هناك ولا صوت غير الصدى والصدى. والبيت هو قولنا.

كلما قُلنا قطعنا جبلا
من جبال الأرض يبدو جبل

حتى وصلنا إلى نهر اللاطانى ذى المياه الكثيرة المغدقة والظل الدانى. فجلسنا على حافته وصلينا صلاة الظهر بالجماعة. وحصلنا إن شاء الله تعالى، على كمال المثوبة والطاعة، ثم أقبلنا على بلاد البقاع، وهبَّت علينا نسمات مياهه العذبة التى لا كسراب بقاع. فقلنا فى ذلك:

سلامٌ على الوادى بساحة لُبنان
وما قد حوى من أهل روح وريحان
سلامٌ على أرض البقاع التى زَهَتْ
بأسرار قوم أهل جود وإحسان
فكم من ولىٍّ بل نبى بسفحه
على قبره تبدو لوامع إيقان
إلى أن نزلنا فى قبالة كامل
وذاك ابن يعقوب المعافى وذو الشان
على ذلك الوادى الذى ماؤه جرى
به الشمس قد أبدت سبائك عقيان
خريرٌ له قد راقنا صوت جنكه
وقد غنت الأطيار فيه بعيدان
وكم من نسيم مر فيه مهيمنًا
عليه بأنفاس كأنفاس هَيْمان
وقد شغرت فيه وظائف همنا
بمشغرة فيها السُّرور لنا دانى
إلى جبل عال صعدنا فشاقنا
صفاء مياه فيه تجرى بغدران
وبتنا كمثل النسر بات بشاهق
من الجو والأحجار ثم جناحان

وقد وصلنا إلى قرية مشغرا، وشممنا عرف ذلك النسيم الذى سرى. ومشغرى بفتح الميم وسكون الشين المعجمة، بعدها غين معجمة وراء وألف مقصورة. فقلنا من النظام فى ذلك المقام:

دخلنا بحمد الله قرية مشغرا
وماء زُلالٌ ثَم من عينها جرى
سُرورًا بنا أو ما ترى ذاك باردا
وللحُزنَ دمْعٌ بالحرارة حررا
إلى أن نزلنا ثم ساحة مسجد
يُطلُّ على تلك الرِّحاب التى ترى
وهبَّت على حكم الزمان نسائم
تكاد ترينا اللطف فيها مصورا

ثم بتنا بها على أحسن حالة، وأزاح السرور بنا عن التعب أثقاله، ولله در نسيمها الرائق ومائها العذب الدافق، فإنه من ماء النعيم، وفيه شفاء لكل جسم سقيم.

ثم لما طلع الفجر من يوم الخميس، اليوم الرابع، أقمنا الصلاة وحصلنا على الأجر وأكلنا مهما تيسر، وشددنا الرحال وصعدنا على هاتيك الجبال، ونشرت نسمات الأسحار نفحات أطيب من نفحات الأزهار. وكان إمامنا رجل يدعى بعصفور، ندور معه فى أطراف الجبال حيثما يدور. فأنشد عند ذلك ولدنا الروحانى والسر الرحمانى، الشيخ عبد الرحمن ابن إبراهيم الشهير بابن عبد الرزاق، هذا المواليا لنفسه فحرك به الأشواق، وهو قوله:

أنعِمْ صباحًا أيا حادى البَها والنور
وانشق عبير الهنا من طيب هذا النور
واصعد بنا فى طريق السهل ياعصفور
والعب بطير الهوى حتى يجى الشُّحرور

إلى أن سرنا إلى جبل عالى، فيه الأشجار الكثيرة الملتفة بالتوالى وأودية يفرق فيها قلب الوالى ويمتلئ بالخوف والتعب كل قلب خالى. يسمى ذلك المكان بالتويمات على صيغة التصغير، وأصلها بالتكبير بفتح التاء المثناة الفوقية، وأصلها ثاء مثلثة، فالواو فالياء التحتية فالميم والألف والتاء المثناة الفوقية على صيغة الجمع لتومة، فقلنا التومات. وقد أشرقت الشمس وإنسان الهم قد مات. وقلنا فى ذلك على حسب ما هنالك:

إلى التومات قد سرنا صباحا
وطعم الثوم من رشفات فيها

وطـــرنـــا فى جبـــال عـــاليـــات
وكـــان إمـــامنـــا العصفـــور فيهـــا

وقلنا أيضا فيه بيتا مفردا :

ومـــا أكلنـــا تَعَبّـــا مخلّصَـــا
بل تَعبـــا متّبـــلا بـــالتـــوم

حتى وصلنا إلى قرية كفرملكـا . فنزلنا بها وصلينا الظهر، وهجير الحر قد ملكنا ملكا (الرحلة الطرابلسية / ١ ـ ٥).

(الرحلة الطرابلسية لعبد الغنى بن إسماعيل النابلسى ـ حققه وقدم له هريبرت بوسه / ١٨ ـ ٢٢، ٢٥ ، ٢٦، ٢٨ ، ٢٩ ، ١ ـ ٥).

*** رحلة العبدرى:**

من الرحلات الحجازية (انظر مادة «الرحلات») والعبدرى صاحب الرحلة أوردنا ترجمته تحت عنوان «ابن الحاج العبدرى» فى م ١٢ / ٦٠٦ ـ ٦٠٨ وأشرنا إلى الرحلة فى ص ٦٠٨ .

وقد نشرت رحلة العبدرى المسماة «الرحلة المغربية» فى عام ١٩٦٨ بجهود العلامة محمد الفاسى، رئيس جامعة محمد الخامس فى الرباط ، الذى قام بتحقيقها ، وقدم لها وعلق عليها ضمن سلسلة الرحلات، وهى الطبعة التى ننقل منها هذه المادة .

ومقدمة العلامة محمد الفاسى المشار إليها مقدمة نفيسة ومن ثم ننقل معظم ما جاء بها فيما يلى قال سيادته :

إن من أشهر مؤلفات المغاربة «الرحلة المغربية» لأبى عبد الله محمد العبدرى المعروفة برحلة العبدرى، وقد كثر النقل عنها ووقع عليها إقبال لا نعهد مثله بالنسبة للكتب الموضوعة فى هذا الفن حتى أن عدد المخطوطات الموجودة منها بالخزانات العامة والخاصة تفوق العشرين نسخة، وقد تنبه إلى قيمتها العلمية والأدبية علماء الاستشراق منذ أكثر من قرن فأكثروا كذلك النقل عنها واستغلال المعلومات التى تحتوى عليها فى دراساتهم وأبحاثهم ونوهوا بها فى مؤلفاتهم عن تاريخ الأدب العربى وترجموا فصولا منها إلى لغاتهم .

ومع هذه الشهرة العظيمة فإننا لا نعرف لمؤلفها ترجمة ولا نعلم من خصه بالذكر من القدماء سوى ابن القاضى فى جذوة الاقتباس وقد ترجم له بما يستفاد من رحلته . فلذا لا يعرف لا تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته ولا كيف نشأ ولا ما كان من أخباره بعد رجوعه من رحلته إلى أن توفى رحمه الله ...

ويظهر أن العبدرى لما قام برحلته كان لا يزال فى مقتبل العمر بدليل هذه الحكاية التى أوردها عند كلامه عن أبى زيد الدباغ القيروانى حيث قال : ومن عجيب أخلاقه أنى قل ما طلبت منه جزءا لأنقل منه إلا وهبه لى وقد أعطانى أكثر من عشرة أجزاء من فوائده وفوائد شيوخه وفهارسهم وقال لى أنت أولى بها منى فإنى شيخ على الوداع وأنت فى عنفوان عمرك» وهذا النبوغ المبكر من الظواهر العجيبة فى القرنين السادس والسابع وقد نبهت إليها فى كثير من دراساتى السابقة للأدب المغربى أيام الموحدين .

وكان خروجه من بلاد حاحة فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ثمان وثمانين وستمائة، وهو الموافق للعاشر من دجمبير [ديسمبر] ١٢٨٩ م وذكر أنه بدأ تقييد رحلته من مدينة تلمسان وأنه أطلع عليها شيوخه بالبلاد المشرقية فاستحسنوها .

وقد سافر على طريق البر من وراء الأطلس قاطعا المفازة التى بين جنوب المغرب ومدينة تلمسان . وهو يصف كل المحلات التى يمر بها، ويذكر أحوال أهلها وأكثر اهتمامه بالعلم والحركة العلمية بالمدن والبلاد التى يحلها .

وقد قال فى مقدمته بعد أن ذكر أنه سيستعمل الصراحة فى هذه الرحلة والإنصاف، وأنه لا يعمد إلى تقبيح حسن ولا تحسين قبيح : «وقد تعطل فى هذا العصر موسم الأفاضل، وتبدد فى كل قطر نظام الفضائل، وتفرق أهلها أيادى سبا، وصاروا حديثا فى الناس مستغربا» (ص٣) إلى أن يقول : «أو ليس من الأمر الخارج عن كل قياس أن المسافر عندما يخرج من أقطار مدينة فاس لا يزال إلى الإسكندرية فى خوض ظلما وخبط عشوا » (ص٤) .

ثم بعد هذا الوصف الإجمالى لحالة البلاد التى مر بها فى طريقه صار عند ما يصل لكل مدينة يهتم قبل كل شىء

بالحالة العلمية فيها، فمن ذلك أنه لما وصف تلمسان وذكر أنها «مدينة جميلة المنظر مقسومة باثنتين بينهما سور، ولها جامع عجيب مليح متسع، وبها أسواق قائمة وأهلها ذوو ليانة ولا بأس بأخلاقهم (ص ١١) قال بعد أن استوعب بعض أوصافها: «أما العلم فقد درس رسمه فى أكثر البلاد، وغارت أنهاره فازدحم على الثماد، فما ظنك بها وهى رسم عفا طلله ومنهل جف وشله» (ص ١٣) وسار على هذه النغمة فى التنقيص من أمر العلم بهذه العاصمة التى أنجبت عددا وافرا من الأدباء والعلماء ممن سيزدهى بهم القرن الثامن. وقال إنه لم ير بتلمسان من ينتمى إلى العلم ولا من يتعلق منه بسبب سوى صاحبنا أبى عبد الله محمد بن خميس، وهو فتى السن مولده عام خمسين، وله عناية بالعلم مع قلة الراغب فيه والمعين عليه وحظ وافر من الأدب وطبع فاضل فى قرض الشعر» (ص ١٣).

ثم خرج من تلمسان ووصل إلى مليانة. قال بعد وصفها أيضا «وما بقى من له بالعلم أدنى عناية» (ص ٢٤) وكذلك لما وصل إلى مدينة الجزائر قال عنها: «ولكنها قد أقفرت من المعنى المطلوب كما أقفر من أهله ملحوب، فلم يبق بها من أهل العلم محسوب، ولا شخص إلى فن من فنون المعارف منسوب».

وأما بجاية فإنه بعد أن أطنب فى مدحها وقال إنها «مبدأ الإتقان والنهاية» وإنها بقية قواعد الإسلام، ومحل حله من العلماء أعلام، قال: «غير أنه قد عراه من الغير ما شمل فى هذا الأوان البدو والحضر، وقد غاض بحر العلم الذى كان به حتى عاد وشلا، وعفا رسمه حتى صار طللا (ص ٢٥، ٢٦).

وسار على هذا المنوال فى التأسف على ذهاب العلم من هذه الأمصار وغيرها من التى مر عليها إلى أن وصل إلى تونس فأعجب بها إعجابا كبيرا من سائر نواحيها وأطنت فى مدح أهلها وفى الثناء على أخلاقهم، ومما يدل على إنصافه، وأنه لم يقل ما قاله عن البلاد الأخرى وما سيقوله عن بلاد طرابلس ومصر وهو أشد وأنكى، إنما كان تعصبا واعتدادا بنفسه وبقومه، بل كان صادرا عن نية صادقه، الدليل على كل هذا هو أنه لما وصل إلى تونس ووجد بها الحركة العلمية مزدهرة، لم يكتم إعجابه بذلك، ولم يتأخر عن مدح مدينة تونس والثناء عليها بما هى أهله، فمن ذلك قوله: «وما من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائما، ولا مورد من موارد المعارف إلا رأيت بها حوله واردا وحائما، وبها من أهل الرواية والدراية عدد وافر، يجلو الفخار بهم عن محيا سافر» (ص ٤٢) ثم ذكر عددا منهم وأخذه عنهم وأطال فى ذلك بالنسبة لطريقته، لأنه قليل الفضول، فلا يذكر من الأشياء إلا ما تهم معرفته، واستطراداته كلها فى محلها، ولا تنسيه ما هو بصدده فلا يخرج كثيرا من موضوعه ولا يبتعد عنه، ويرجع إليه بعد استيفاء الكلام فيما قصد الكلام عليه.

وإذا كان مقامه بتونس قد أدخل عليه ذلك السرور العظيم، لأنها أول مدينة وجد بها للعلم سوقا نافدة ولأهلها به عناية زائدة، فإنه ما غادرها حتى انقلب تفاؤله وابتهاجه تشاؤما وأسفا، ورجع لمعهود عادته من التفجع على ذهاب العلم، حتى أنه لما وصل إلى مدينة القيروان قال: «فدخلتها مجدا فى البحث غير وان، فلم أر إلا رسوما محتها يد الزمان، وآثارا يقال عنها كان وكان» (ص ٦٤) وحق له أن يتفجع على الحالة التى وجد عليها مدينة القيروان، وقد كانت عاصمة العلم والحضارة بأفريقيا الشمالية بعد الفتح الإسلامى، وإليها كانت رحلة أهل الأندلس والمغرب فى طلب العلم والصنائع الرقيقة البديعة من هندسة ونقش ونحت وغيرها، وقد كانت له فى الوقوف على آثارها عبرة وذكرى، فقال بعد أن ذكر بمحاسنها «ولكنها الأيام. إذا أعطت أخذت وكلما عطت نبذت» (ص٧٦).

ولما وصل إلى طرابلس، وشاهد من أهلها ما كانوا عليه من التأخر على ما قال، صار أسفه غضبا، وأطلق للسانه العنان فذمها قائلا: وهى للجهل مأتم وما للعلم بها عرس، أقفرت ظاهرا وباطنا، وذمها الخبير بها سائرا وقاطنا، تلمع لقاصدها لمعان البرق الخلب، وتريه ظاهرا مشرقا والباطن قد قطب» (ص ٩١).

ويظن بعض المعاصرين من أهل طرابلس وهو الطاهر أحمد الزاوى أن ما كتبه العبدرى عن طرابلس قد أثار نخوة أحد علماء القرن الثانى عشر الهجرى من أهل مصراتة يسمى الشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصارى الطرابلسى فنظم قصيدة يمدح بها طرابلس تحتوى على نحو ٢٠ بيتا يقول فيها من جملتها :

بهـا علمـاء عـاملـون بعلمهم
خمـول عن الإظهـار فى خلـواتهـا

وقد قام أحد معاصريه بشرحها بل جعلها وسيلة لكتابة تاريخ مفيد للبلد الشقيق وسماه التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار وأورد تراجم بعض الأعلام من رجالها خصوصا من أهل الولاية والصلاح . ومؤلف هذا التاريخ هو أبو عبد الله محمد بن خليل الطرابلسى المعروف بابن غلبون . وقد نشر التذكار بالقاهرة سنة ١٣٤٩ هـ ولم يذكر لا ناظم القصيدة ولا شارحها اسم العبدرى وإنما قال ابن غلبون فى مقدمته : «بعد فإن القصيد الذى أنشده ... سيدى أحمد بن عبد الدائم الأنصارى فى مدح طرابلس معرضا فيه بمن هجاها ... » فعلق عليه الناشر الطاهر أحمد الزاوى بقوله بعد أن ذكر أنه رأى فى آخر مخطوط التذكار نبذة منفصلة من رحلة العبدرى : «وأظن أن صاحب الرحلة هذه هو الذى رد عليه الأستاذ أحمد بن عبد الدائم بهذه القصيدة التى شرحها المؤلف» .

وهذا مجرد افتراض وإنما الحقيقة ما ذكره ابن عبد السلام الناصرى فى رحلته الكبرى وهو من المعاصرين لصاحب القصيدة ولشارحها وقد أوردها فى رحلته بعد أن ذكر هو نفسه نحو ما ذكر العبدرى إنما بطريقة فيها كثير من اللياقة وهو قوله «غير أن أئمتها (أى المساجد الطرابلسية) مع لطافتهم وديانتهم وحسن أخلاقهم لا يقيمون بها مجالس العلم والتدريس، غافلين عن المنافسة فى هذا الأمر النفيس، وكأنها عليهم تعذرت، أو عادة عندهم قد تقررت سوى فرد من الناس، بدا فى جنح ليلهم كالنبراس ، وقد مر بهذه البلدة بعض الأدباء من أرباب الدولة العلوية فى الأيام الإسماعيلية الماضية فاقتفى فى وصفها العبدرى وهو فى ذلك جاهل أو مفتر إلا فى إنكار عدم التدريس وهو فيه بر. وإياه قصد والد قاضيها المالكى فى الوقت وهو سيدى أحمد بن عبد الدائم الأنصارى بقوله :

أرى زمنـا قـد جـاء يقتنص المهـا
بـلا جـارح والأسـد فى فلـواتهـا

(الرحلة الحجازية الكبرى لابن عبد السلام الناصرى مخطوط الخزانة الملكية عدد ٥٦٥٨ وقد حج سنة ١٢١١ هجرية وبالخزانة العامة نسخة أخرى من هذه الرحلة تحت عدد : (د ٢٦٥١) .

وهكذا يتضح أن الذى عرض به أحمد بن عبد الدائم الأنصارى فى قصيدته هذه ليس هو العبدرى وإنما هو «بعض الأدباء من أرباب الدولة العلوية فى الأيام الإسماعيلية الماضية» ولا أراه إلا أبا محمد عبد القادر المدعو الجيلانى الإسحاقى الذى كان من أعيان الدولة وقد رافق السيدة الجليلة خناثة بنت بكار زوج السلطان مولاى إسماعيل فى حجتها سنة ١٦٤٣ هـ. ووضع رحلة عن هذه الوجهة (وتوجد منها نسخة بخزانة القرويين تحت عدد ح ل ٨٠ ـ ٣٨٣) ...

ومن لطيف الاتفاق أن ابن غلبون أورد من بين العلماء الذين ترجم لهم من أهل طرابلس ومن المستوطنين لها عالما مغربيا من أهل حاحة بلد العبدرى رحم الله الجميع وأثابهم عن نواياهم الخالصة فى الدفاع عن العلم وإعلاء شأنه .

(هذا العالم هو أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد العزيز الحاحى السوسى) .

ولما وصل إلى الإسكندرية أعجبه موقعها ومناظرها ومبانيها العجيبة البديعة وتعجب من إتقان أبوابها وجدة كل بناياتها قائلا : «ولم يغير طول الزمان شيئا من ذلك ولا أثر فيه، بل بقى بجدته ورونقه » (ص ٩٢) إلا أنه ما عتم أن زاد قائلا : «بيد أنها الآن بلد زادت صورته على معناه، واستأثر بالفضائل مغناه فهو كجسم حسن لا روح فيه» «ص ٩٣» ثم تمادى فى ذم أهلها، وندد بالمعاملة التى كان الحجاج

يلقونها على أيدى حرس الديوانة، فقال: «فمدوا فى الحجاج أيديهم، وفتشوا الرجال والنساء، وألزموهم أنواعا من المظالم، وأذاقوهم ألوانا من الهوان، ثم استحلفوهم وراء ذلك كله إلخ ... (ص ٩٥)

وإذا كان العبدرى ربما وقعت له مبالغة فيما يتعلق بالمدن الأخرى والبلاد التى مر بها قبل وصوله للإسكندرية، فإنه هنا يتفق مع من سبقه من الرحالة، فقد اجتمعت كلمتهم على أن لحرس الديوانة بها شرها كبيرا فى أخذ المكوس ممن يمر بهم من حجاج بلاد المغرب، بل وافقه على هذا أيضا شيخه وشيخ الإسكندرية فى وقته نور الدين بن المنير، فقد حكى العبدرى أنه ظن أول وهلة أن ذلك أمر أحدثوه، حتى حدثه شيخه المذكور بما كان وقع لابن جبير قبله وأوقفه على ما وصفه من ذم تلك الأفعال وأنشده قصيدة ابن جبير التى وجهها لصلاح الدين يذكره بحقوق المسلمين. والتى من جملتها بعد أن وصف انتصارات صلاح الدين على الصليبيين وفتحه لبلادهم وغير ذلك من مآثره الجليلة.

وقد بقيت حسبة فى الظلوم
وتلك الذخيرة للذاخر
يعنف حجاج بيت الإله
ويسطى بهم سطوة الجائر
ويكشف عما بأيديهم
وناهيك من موقف صاغر
وقد أوقفوا بعد ما كوشفوا
كأنهم فى يد الآسر

(ص ٩٥).

إلى آخر هذه القصيدة، وقد أوردها العبدرى كاملة فى رحلته، وبهذه المناسبة نقول إن الشيخ ابن أبى شنب رحمه الله وهم فى نسبتها للعبدرى فى المقال الذى كتبه عنه فى دائرة المعارف الإسلامية وتبعه على هذا الوهم منقح مقاله فى الطبعة الثانية المستشرق هونرباخ.

ولقلة استطراده كما قدمنا، فإنه اعتذر عن إيراده بمناسبة الكلام على ابن جبير لقصيدته التى نظمها، لما تراءت له مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، فقال «وقد جمح القلم فى هذا الفصل بحسب استطراد القول، فقطع عما كنت فيه من ذكر أهل الإسكندرية ووصف بعض أحوالهم الردية، وهى أكثر من أن يحصرها بيان أو يحيط بها خبر ولا عيان، ولكنها نفثة مصدور، وبودى لو لم أر إلا حسنا فأذكره، ولم ألف إلا مشكورا فأشكره (ص ٩٩)

ومن الإنصاف أن نقول اليوم إن الحالة التى يصفها العبدرى كان لها بدون شك أسباب اقتصادية وسياسية وعسكرية، وياحبذا لو اشتغل بهذا الموضوع أساتذة التاريخ بجامعة الإسكندرية وبحثوا عن أسباب هذه الظاهرة التى اتضح من كلام العبدرى أن علماء الإسكندرية أنفسهم كانوا على بينة منها، ومن الإنصاف أيضا لإهل الإسكندرية الطيبين المعروفين بلباقتهم ولطفهم أن نقول إن العبدرى عندما يقول أهل الإسكندرية فإنه يعنى أولا وقبل كل شىء المشرفين على الديوانة وأعوانهم الذين كانوا يطبقون الأوامر الصارمة الصادرة لهم فى معاملة من يرد عليهم من الخارج تلك المعاملة القاسية. نظيرا لتخوفهم من الأعداء الصليبيين وجواسيسهم، خشية تسربهم إليهم تحت ستار التجارة أو الحج أو ما شابه ذلك، وهذا ما نريد من علماء الإسكندرية أن يشرحوه ويوضحوه.

وأما مدينة القاهرة فلم يكن حظها من تنقيص رحالتنا ولأهلها بأقل من حظ الإسكندرية، بل إنه قال فيها ما لم يقله فى مدينة غيرها، على كثرة ما رأينا من انتقاداته وأثر صراحته وعدم محاباته، حتى أنه بدأ الكلام عنها بقوله: وجدناها معيدية المعنى، ببعض ما رأينا بها وسمعنا» (ص ١٢٥) مشيرا إلى المثل العربى الذى يقول «تسمع بالمعيدى خير من أن تراه» ونسب لأهلها كل مذمة فى أخلاقهم وعوائدهم ونفى عنهم كل محمدة فى عقولهم ومعارفهم.

وبعد صفحات فى تبيين ما هم عليه من المناكر ذكر ما بها من المشاهد والمزارات، وتكلم على النيل والأهرام وذكر ملاقاته لشرف الدين الدمياطى وقال على عادته: «لم أر بهذه المدينة على كثرة الخلق بها أمثل ولا أقرب إلى الإنسانية

وأجمل معاملة من الشيخ الفقيه فلان... إلخ (ص ١٣٢)

ومن القاهرة سار الركب برا على العقبة، ودخلوا بلاد الحجاز ثم تابعوا سيرهم برا إلى أن وصلوا مكة المكرمة فأطال فى وصفها وأمتع، ثم بعد قضاء الفريضة قصد مدينة الرسول عليه السلام للزيارة، ووصف مشاهدها ولم تمنعه قداستها من أن يقول على عادته: «ولم أر بالمدينة مع شدة البحث وإلحاح الطلب وتكرر السؤال من هو بالعلم موصوف، ولا من هو بفن من فنونه معروف (ص ٢٠٦).

وكان رجوعه على طريق فلسطين إلا أنه اختصر الكلام فى المدن والقرى التى مر عليها فى رجوعه. وأما طريق رجوعه من مصر الى المغرب فلم يغيره إلا أنه لما وصل إلى تلمسان لم يقصد بلاد حاحة على طريق الصحراء، كما فعل فى المسير، بل رجع على طريق الغرب مارا بتازا وفاس ومكناسة وقد اختصر الكلام فى البلاد المغربية اختصارا مُخلا حتى إنه ذكر سفره من تلمسان إلى بلاد حاحة فى صفحة واحدة.

ومع ذلك فإنه سمى رحلته هذه «الرحلة المغربية» وإنما قصد بهذا أنه قطع كل بلاد المغرب فى طريقه إلى بلاد المشرق، ولم يركب البحر كما كان يفعله من يريده وكما فعله ابن جبير قبله.

هذا ملخص وجيز لهذه الرحلة الثمينة، ونلاحظ أنه لم يخل بشرط الصراحة الذى التزمه فى مقدمته، حتى إنه ليخيل لنا أن أحدا من أدباء العرب لم يبلغ هذه الدرجة فى التعبير عما يعتقده الحق والصواب بدون الوقوف عند أى اعتبار، هذا مع ورعه وبعده عن الأغراض.

وإن هذه الرحلة لشاهد عظيم على ما بلغت إليه المعارف الإسلامية بالمغرب فى عصر العبدرى، إذ الرجل كما يظهر من رحلته هذه عالم جليل له اطلاع واسع على علوم الشرع ومعرفة واسعة بدقائق اللغة وفنون الأدب، وهو يرى أن كل هذه العلوم فى تقهقر واضمحلال بعواصم العالم المشرقية، إلا ما كان من بعض آحاد الأفراد ممن لقيهم كابن خميس بتلمسان والدباغ بالقيروان، وهو صاحب كتاب معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان المطبوع، وابن المنير بالإسكندرية وشرف الدين الدمياطى وابن دقيق العيد بالقاهرة.

هذا وقد تعرض ابن عبد السلام الناصرى للعبدرى فى رحلته الجليلة التى لا تزال مخطوطة والتى تستحق دراسة خاصة ونشرا علميا، فأخذ عليه طريقته فى كثرة الذم للبلاد والعباد بقوله بعد أن ذكر ذم العبدرى لمصر وأهلها: «جريا على عادته عفا الله عنه فى ذم البلاد وأهلها، وما كان ينظر إلا بعين السخط إليها، فليته مدح من يستحق المدح، وذم من يستحق الذم، أو يتغافل عنه إلا بقصد البيان، وما رأيناه مدح بلدة ولا سكانها إلا مدينة تونس، ولو أمكنه أن يقول فى الحرمين هجوا لقال، وما ذاك إلا لأن الرجل بربرى من سكان الجبال لم يألف الناس ولا البحث عنهم ولا الذهاب إليهم. وإنما ينزل بمدرسة من جملة الطلبة، أو بفندق من جملة الغرباء، ولا يتفطن له عالم ولا ذو مروءة حتى إذا صدر عن البلد قال فيه ما شاء».

كل هذا الكلام مردود إلا ما كان من قوله «ما كان ينظر إلا بعين السخط» وليس ذلك إلا لأنه لم ير هو إلا ما يسخطه، بدليل أنه لما رأى ما يعجبه لم يتأخر عن إظهار إعجابه به والثناء عليه كما مر، وليس معنى هذا أن ما أسخطه كان فى حد ذاته مسخطا، أما قوله «ليته تغافل» فإنه يخالف طبيعته الصريحة البعيدة عن زخارف أهل المدن ومحاباتهم وريائهم. وأما قوله «ليته مدح من يستحق المدح وذم من يستحق الذم» فذلك ما توخاه وسار عليه كما قدمنا بل رأيناه يتأسف على اضطراره لذم ما رآه يستحق الذم فيقول «وبودى لو لم أر إلا حسنا فأذكره ولم ألف إلا مشكورا فأشكره» وأما قوله إنه «من سكان الجبال لم يألف الناس» فهذا ينافى ما نشاهده فى رحلته من ميله لحب مظاهر الحضارة فنراه مثلا يقول عن أهل القيروان «جفاة الطباع، ما لهم فى رقة الحضارة باع، ولا فى معنى من المعانى الإنسانية انطباع» (ص ٦٤) ونراه دائما ينتقد العفونات والوسخ أينما رآها. كما وقع بقابس، فكان جل ذمه لها بسبب عفونات أهلها، ومن يتصور رقة الحضارة وينفيها عن غيره لا بد وأن يكون عائشا فيها ولا يلزم من كونه بربريا ساكن الجبال أن يكون همجيا لم يألف الناس.

وأما قوله «لا يبحث عن الناس ولا يذهب لهم» فيخالفه ما يقوله ويكرره في رحلته من أنه لم ير بالمدينة الفلانية بعد شدة البحث والإلحاح فيه أعلم من فلان ، ويذكر اسمه ، ودليله أنه عرف ذلك الفلان ، بل إنه في كل مدينة تعرف بأعلم أهلها وكان في إمكانه أن يتعرف بالآخرين بواسطة من عرفه أولا. والتاريخ قد أيد حكمه . فمن ينكر أن ابن خميس وابن الدباغ ، وابن المنير، والدمياطي وابن دقيق العيد كانوا إذ ذاك أكبر علماء وقتهم وقد خلد التاريخ ذكرهم ...

وفي رحلة العبدري صفحات رائعة في وصف المدن وقطع المسافات الصحراوية ووصف الأحوال الاجتماعية بعبارات غاية في الوضوح والاتساق وجمال اللفظ ودقة الملاحظة . وأريد أن أمثل لذلك بفقرة تصور لنا امرأة من أعراب برقة تجعل على عادة نساء تلك الصحارى خرقة على وجهها تتركها مسدلة على وجهها حتى تصير من الوسخ سوداء قاتمة ولتركه يعرض هذه اللوحة العجيبة ببراعته حيث يقول : «ومن العجب عندهم أن كل امرأة لا بد لها من خرقة تسدلها على وجهها ويسمونها البرقع وهي تتخلل الناس مكشوفة الرأس والأطراف حافية القدمين لا تهتم بستر ما سوى وجهها كأن ليس لها عورة سواه، فلا تزال تلك الخرقة عرضة للاتساخ ومرصدا لعارض الأوساخ، لا تصان فتماط عن ذقن ، ولا تنزع فتماط من درن حتى تصير أوسخ من عرض اللئيم وأقبح من وجه الشيطان الرجيم فتفاجىء الوجوه من ذلك بأشوه منظر يرى وتسمع الآذان من وصفها أقبح حديث جرى (ص ٨٦ ، ٨٧) .

وله اهتمام فائق بالآثار القديمة فهو يحرص على الوقوف عليها والدخول لمخابئها إنه عالم أثرى لا ينقصه إلا أن ينقب على ما تحت الأرض فنراه مثلا يدخل منار الإسكندرية الشهير الذى اندثر اليوم ولم يبق له أثر ويتكبد مشقة الطلوع إلى أعلاه ويقول : «وفي داخل المنار عدة بيوت رأيتها مغلقة واسعة ؛ الممر فيه ستة أشبار وفي غلظ الحائط عشرة أشبار ذرعته من أعلاه وسعة المنار من ركن إلى ركن مائة وأربعون شبرا وفي أعلاه جامور كبير عليه آخر دونه وفوق الأعلى قبة مليحة يطلع إليها في درج مشرعة إلى النواحي ولها محراب للصلاة» (ص ٩١ ـ ٩٢) ووصفه لقصر لج بالقطر التونسي من أبدع ما سطر عن مثل هذه الآثار .

ومن الدلائل على اتساع معارفه واطلاعه على المؤلفات الخاصة بكل العلوم والفنون أنه يرجع في كل مسألة للكتب الأساسية المؤلفة فيها وهذا ليس فقط في العلوم الإسلامية ولكن أيضا في مثل تاريخ مصر القديمة وهو موضوع لم تكن المعلومات عنه منتشرة مطروقة فنراه ينقل ما يتعلق بذلك عن كتاب طبقات الأمم لأبي القاسم صاعد الأندلسي الذي يعتبر إلى يومنا من أهم ما وضعه علماء العرب عن علوم الأوائل وقد اهتبل به المستشرقون ونشروه عدة نشرات وترجموه إلى لغاتهم في حين أن المتأخرين من المسلمين كانوا لا يعرفونه إلا قليلا .

ومن اهتمامه بعلم التاريخ والسير خصوصا تاريخ الرجال أنه أظهر تعجبا كبيرا من أحد العلماء من أهل ملالة بالقرب من بجاية وهو من المشاهير وأعنى به أبا على الزواوى المشدالي قال عنه : «وقد رحل قديما إليه (أى إلى المشرق) فقرأ به الأصول والفروع دراسة وتفهما وله منها حظ وافر ولكنه غير معتن بالرواية ولا له فيها حظ وقد حدثنى أنه حضر وفاة أبى عبد الله محمد بن أبى الفضل السلمى بالزعقة من رملة الشام وسألته عن التاريخ وكان غرضى فلم يحفظه شهرا ولا عاما ، وهذا نهاية ما يكون من الإغفال وحسبنا الله فى كل حال» (ص ٢٧٧) وهذا التنديد بمن لا يهتم بالتواريخ مع ما أعقبه من حسبلة كأن ناصر الدين المشدالي أتى شيئا نكرا من أروع ما رأيته تقديرا لعلم التاريخ ...

ثم إن العبدرى يستعمل لغة سليمة فصيحة وهو مهيمن على مفرداتها وقواعدها وبلاغتها لدرجة تبعث على العجب ومع ذلك فإنه لا يأنف من استعمال الكلمات الفصيحة التى تستعمل فى نفس الوقت فى لغة التخاطب كالحوت والحروشة ودندن والجامور ونحوها ...

ومما تمتاز به رحلة العبدرى أنها تحتوى على نقول أدبية شعرية ونثرية كثيرة منها ما تنفرد به وذلك أنه أثبت نماذج من إنتاج الشعراء والأدباء والعلماء الذين لقيهم أو مما أنشدوه

إياه من إنتاج معاصريهم أو غيرهم. فمن ذلك مختارات من شعر ابن خميس التلمسانى وأبى بكر بن خطاب المرسى وبهذه المناسبة أورد برنامجا صغيرا مفيدا لابن خطاب هذا (ص ١٨ ـ ١٩). ومن ذلك إنشادات كثيرة متنوعة سمعها من شيخه المحدث تاج الدين العراقى من ص (١١١ ـ ١٢٠) ومن أكثر شيوخه الآخرين. والرحلة من هذه الناحية تعتبر برنامجا للعبدرى وهى عند أصحاب الرواية والإسناد من المراجع الأساسية.

كما أنها تحتوى على نصوص أدبية كاملة وذلك كرحلة ابن الفكون التى نظم فيها المراحل من بلده قسنطينة إلى مدينة مراكش حين قصدها لاستيطانها وكالقصيدة المعروفة بالشقراطسية لأبى زكرياء التوزرى الشقراطسى التى مطلعها:

الحمد لله منا باعث الرسل
هدى بأحمد منا أحمد السبل

(من الصفحات ٤٥ ـ ٤٩)

والقصيدة المشهورة المسماه «المنفرجة» لأبى لفضل بن النحوى وقد أثبتها مع تخميس أبى عبد الله المصرى (فى الصفحات ٥٢ ـ ٥٩).

ومن ذلك قصيدتان لابن جبير صاحب الرحلة إحداهما فى مدح صلاح الدين الأيوبى والاستغاثة به من الأعمال الشنيعة التى كان يقوم بها أعوان الديوان ضد حجاج بيت الله (الصفحات ٩٤ ـ ٩٦). والثانية فى مدح النبى ﷺ نظمها لما تراءت له المدينة المنورة (٩٦ ـ ٩٨) وقد رواهما عن نور الدين ابن حباسة الإسكندرى، ويلاحظ أنهما على شهرتهما خصوصا الأولى لم يضمنهما ابن جبير رحلته.

ومن ذلك خطبة بديعة لأبى حفص بن عمر السلمى الفاسى من شعراء المغرب وأدبائه الكبار فى القرن السادس. ومن ذلك قصيدة فى مدحه عليه السلام لحازم القرطجنى صاحب المقصورة الشهيرة، وقد جعل هذه القصيدة مقلوبة عن معلقة امرىء القيس بمعنى أنه يأتى بصدر البيت من عنده ويجعل عجزه من المعلقة كقوله:

نبى هدى قد قال للكفر نوره
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل

وقد قال عنها العبدرى: «أجاد فيها وأبدع ما شاء. ورام منه المرام الصعب فطاوع الإنشاء» (ص ٢٥٨).

أما المخطوطات المعروفة لهذه الرحلة وقد اطلعت على أكثرها فهى مما بالخزانات العامة والخاصة بالمغرب:

١ ـ مخطوط خزانة جامعة القرويين بفاس وهو مسجل تحت عدد ح ل $\frac{٤٠}{٥٦٧}$

٢ ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط وهو مسجل تحت عدد: د ١٠١٢

قالت المؤلفة: جاء بيان هذا المخطوط فى «مجموعة مختارة» كما يلى:

١٠١٢ د. رحلة العبدرى ـ وهو أبو عبد الله [محمد بن محمد] بن على بن أحمد بن سعود العبدرى [الحيحى]، المتوفى آخر المائة السابعة، وكانت رحلته سنة ٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩ م.

أولها: أحمد الله حمد معترف بالتقصير.

بها ورقات ١٤٨. مسطرتها ٢٠، مقياسها ٢٥٥ / ١٨٠.

فرغ من نسخها يوم السبت الأول من شهر رمضان المعظم عام ٩٨١، على يد الحسين بن على بن أحمد بن محمد المسكالى ثم اليرغيتى، خط مغربى جيد.

تكلم عنهما الكتانى فى فهرس الفهارس ج ٢ ص ١٩٢، وبروكلمان فى تاريخه ج ١ ص ٤٨٢ (مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة ق ١ / ٧٣، ٧٤).

وهذه النسخة هى التى اعتمد عليها العلامة محمد الفاسى فى تحقيقه، كما اعتمد على المخطوط المسجل تحت عدد: كـ. ٣٥٦، وهو يحتوى على ١٩٣ ورقة، كل صفحة فيها ١٧ سطرا وأحيانا ١٨، وفى الصفحات الخمسين الأخيرة ١٩ سطرا، وهو بدون تاريخ، وخطه ردىء ولا يعرف اسم ناسخه (رحلة العبدرى/ ١ ,).

٣ ـ مخطوط ثان بنفس الخزانة وهو مسجل تحت عدد كـ. ٣٥٦

٤ ـ مخطوط الخزانة الملكية بالرباط وهو مسجل تحت عدد ٢٨١٠

٥ ـ مخطوط الزاوية الحمزوية بجبال الأطلس المتوسط

٦ ـ مخطوط ثان بها ـ ومخطوطات هذه الخزانة غير مرقمة

٧ ـ مخطوط عند العلامة المؤرخ الوزير السيد محمد المختار السوسى رحمه الله

٨ ـ مخطوط عند الأستاذ المؤرخ عبد السلام بن سودة.

وأما الخزانات العامة والخاصة بغير المغرب فهى:

٩ ـ مخطوط خزانة الإسكوريال وهو مسجل تحت عدد ١٧٣٨

١٠ ـ مخطوط خزانة جامعة ليدن بهولندا وهو مذكور فى فهرسها فى الجزء الثانى ص ٣٦ تحت عدد ٨٠١

١١ ـ مخطوط جامعة الزيتونة بتونس وهو مسجل تحت عدد ٥٣

١٢ ـ مخطوط ثان بها وهو مسجل تحت عدد ٥٥.

١٣ ـ مخطوط المكتبة الوطنية بباريس وهو مسجل تحت عدد ٢٢٨٣

١٤ ـ مخطوط كان عند المستشرق الفرنسى روسو.

١٥ ـ مخطوط كان عند المستشرق الفرنسى شيربونو بقسنطينة.

١٦ ـ مخطوط كان عند المستشرق الفرنسى مارتان بقسنطينة.

١٧ ـ مخطوط ذكر ناشر الطبعة المبتورة بالجزائر أنه كان يوجد فى خزانة جامعتها تحت عدد ٢٠١٧ (رحلة العبدرى / ا ت ـ ا ر).

قالت المؤلفة: ويوجد مخطوط مدرج فى نوادر مكتبة طلعت بدار الكتب المصرية وجاء بيانه كما يلى:

· الرقم التسلسلى: ٦٩

رحلة العبدرى ـ وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن على ابن أحمد أبو السعود العبدرى. قام بها من مدينة تلمسان إلى الأقطار الحجازية سنة ٦٨٨ هـ.

ألوها: أحمد الله حمد معترف بالتقصير... إلخ.

نسخة بقلم مغربى فى ١٤٢ ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرا.

(٤٨٩ جغرافيا).

(مجلة معهد المخطوطات العربية جـ ٢ م ٣ / ٢١٩، ٢٢٠).

وفيما يلى رحلة العبدرى المنظومة: وهى حافلة بالمواعظ والعبر، وننقلها بتمامها. قال رحمه الله يختم رحلته:

وهذه قصيدة نظمتها فى الرحلة رأيت أن أختم بها هذا التقييد مستعينا بالله على ذلك:

عليك النصح رده بكل حى
وإن ألفيت وارده فحى

فمعظم ديننا نصح البرايا
كذلك أتى الحديث عن النبى

وقد نصح الجماد لذى اعتبار
وكف أولى النهى عن كل غى

لسان الحال أبلغ من بليغ
وفى ذى الجهل أعيى من عيى

وقدما سارت الأمثال عنها
وما زدنا سوى حرف الروى

فأصغ إلى نصائحها مصيخا
وأيقظ جفن ندب شمرى

مسحت الارض غربا ثم شرقا
أسائل عن عواقب كل حى

فقلت ما سؤالك بعد علم
ألم ترهم جميعا تحت طى

تسائل والحوادث مفصحات
صوائح قد أصمت بالدوى

فصافحت التصبح مستبينا
فما ألفيت أرضا ذات عى

مررت «بحاحة» فسألت عمن
أناخ بآخر الغرب القصي
فقالت خلفوني ذات شجو
أبكي بالغداة وبالعشي
أناخ بهم زمان ليس يرثي
لغيلان ولا يعنى بمي
وقد أهدى الكسوف إلى أناس
تراهم كالبدور لدى الندى
وجئت «السوس» أسأل وهو أقصى
فقال إليك عن كمد شجي
ألم ترني وحيدا من أناسي
كما عطلت كعاب من حلي
وطفت بلاده أرضا فأرضا
تخبرني بموتهم الوجي
ووافينا «تلمسانا» فأبدت
على أهل مضوا شجو النعي
كذا «مليانة» أبدت عويلا
لأهل ضمهم جرف الأتي
ورحتُ إلى «الجزائر» ذا سؤال
فقيل سألت عن هي بن بي
دع التساؤل عمن حل تربا
وبادر منهج البر التقي
وقالت لي «بجاية» أنت خلو
فيا ويح الشجي من الخلي
تسائل عن أمور ظاهرات
عقرت لها ظهورا للمطي
وجئت «بني ورار» وهي عمري
أشارت كامن الشجن الخفي
و«ميلة» لم تمل عن نهج نصح
أصخ إن كنت ذا فهم سني

ومن شاء الحديث فقل «قسنطيـ
ـنة» تروى حديث المغَربيً
و«بونة» قد أبانت من أبانت
صروف الدهر من سام سري
وفي «خولان» أطرقت اعتبارا
جرى الوادي فطم على القري
و«باجة» بالبوائح قد أباحت
وأمحل روضها من بعد ري
ولما جئت «تونس» وهي خود
زهت بجمالها وبحسن زي
سألت عن الألى هاموا إليها
فكم برٍّ بها منهم حفي
فقالت ما أرى منهم أنيسا
وشر الوصل وصل الآدمي
وجئت «القيروان» فجئت قفرا
يجيب صداه بالصوت الشجي
و«قابس» قد نزفت بها سؤالا
فكانت مثلها سيابسي
ورحت إلى «طرابلس» فقالت
رمت أهلي الحوادث عن قسي
وفي «مصراته» سحت جفوني
لما أبدت من النصح الجلي
وفي «زديك» مسقط كل قفر
بيان بالخطاب المعنوي
يقول صحبت قبلكم أناسا
غدوا لسهام دهري كالرمي
وكم رمت لدى عظام شخص
منيب فاضل بَرٍّ تقي
وباحت بالنداء قصور «سرت»
فأورت زند فكر الألمعي

وقالت لي أقمت هنا زمانا ... وقفت هناك معتبرا سؤولا

أشاهد عبرة في كل حي ... أخا جفن رو ووحشي ظمي

وكم نشرت على بنود ركب ... بجمع ما به الإ مشوق

عليهم غابة من سمهري ... إذا ما سيم بيع بلا نسي

فما طال المدى إلا قليلا ... فقلت لها فديتك أين أوس

وقد عفاهم مر الأتي ... وأين أخوه معتنق الكمي

رأيت الدهر يسحت كل حي ... فقالت ويك قد ذهبا لأمر

يكر على الجبان مع الكمي ... عظيم الشان في وجه نضي

وقد برقت «برقة» لامعات ... وكم قد راح بعدهما منون

تلين عريكة القلب القسي ... بأوسي وراح بخزرجي

وسل «إسكندرية» أين ولي ... فيا عجبا تسائلني بأوس

وسل عن ساكن اسكندري ... وحسبك واعظا قبر النبي

وسل «فسطاط» عمرو عن نواه ... وفي الدهناء باح ولم يداهن

وسل عن جوهر مولى الشقي ... لسان الحال بالسر الخفي

بقاعدة الديار ديار مصر ... فسل فيها منازل عافيات

وسل بعبيدهم والقرمطي ... كوشم لاح في كف الهدي

وسل «أم القفار» بمن طوته ... وسل «بدرا» بعير من قريش

فكم من فاضل فيهم رضي ... وعن فرسانها وسط الركي

وكم حلت قوى من حل فيها ... وجئت خليص أسأل عن نجي

وكم حالت حلى وجه وضي ... من الآفات في الدنيا بري

وكم ضخم يموج من امتلاء ... فقالت ما سمعت بمشرقي

غدا انضوا بها مثل النضي ... نجا من صرفها أو مغربي

بها صرف الزمان يكون صرفا ... وكررت السؤال ببطن مر

فكم ناع حوته وكم نعي ... فقيل ضللت عن نهج سوي

وسل في «أيلة» برا وبحرا ... فلا وأبيك ما في الأرض حي

و«ينبع» سل بمنقطع ثوي ... وقي سهم الحتوف ولا ابن حي

وإن تعطف «الطيبة» ليت عنس ... وشأن الدهر حل وارتحال

فعرج إنها بيت الروي ... وبطش بالعدو وبالولي

وقل أين الأحبة ليت شعري ... وكم أعدى الضعيف على قوي

أيخفى الترب أقمار السمي ... مدل والفقير على غني

ولما جئت «مكة» قمت فيها
أسائلها بكعب أو لؤىٍّ
فقالت قد سطا بهما منون
وبعدهما أناخ على قُصَىٍّ
وصال عليهمُ شخصا فشخصا
فسل إن السؤال جلاء عِىٍّ
وما نكل الردى عن هاشمى
ولا أنف الردى من باهلى
ولا مازت عساكره قديما
حنيفا مسلما من جاهلى
فما لك سائل عن واضحات
تبدت للذكى وللغبى
أما دارت على «دارا» صروف
كسرن عماد «كسرى» الفارسى
وقد أنحت على «الفاروق» جهرا
و«عثمان» بعد على عَلِىٍّ
وفى السبطين جئن بكل نكر
على كفى طليق أو دعى
وما راعت عياذ أبى خبيب
ببيت الله والحرم العلى
وما عبأ الردى ببغام ريم
ولا بزئير ليث قاصرى
وما أبقى على شيخ وكهل
ولا غض الشباب ولا صبى
ولا ذا العلم خصص من جهول
ولا ذا الرشد ميز من غوى
بمالك الإمام غدا منيخا
وأحمد والإمام الشافعى
وبلد فكره من كل حبر
وقط لسان طلق لوذعى

وما إن خام عن وعل بنيق
ولا فى قفره عن أخدرى
نفوس الخلق يشرب ليس يروى
بوسمى يصوب ولا ولى
يشق القفر أهدى من قطاة
وليل النقع أجرى من كمى
وما جاب القفار بأرحبى
ولا شق الغبار بأعوجى
وليس ينى يبدد كل نظم
وليس ينى يذوب كل نى
تراه إلى الورى يخطو الهوينا
مخاتلة لهم كمسير فى
وما دارى لمنطقه جريرا
ولا هاب القوافى من عدى
وما حابى لصنعته حبيبا
ولا أرضى المفاخر فى الرضى
وما أعفى من الأحداث عفوا
ولا طرفا يصان بأتحمى
ولا غمرا يصوب بكل رى
ولا ذمرا يصول بمشرفى
ولا ملكا تدين له البرايا
ولا عبدا تزمل فى كسى
إذا حان المدى من حين حين
فرى فى السابرى حشى الرمى
وما عرف الكبيس فزاد يوما
ولا أجرى الشهور على النسى
فسل بالناسئين ولا نساء
وسل عمرا بوالده لحى
ولا تطمح بعينك نحو سام
بهمته إلى أقصى الرقى

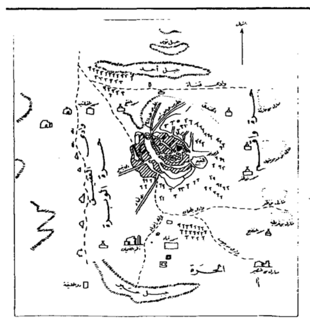
فأرقى الناس منزلة كسهم
يكون هويه سبب الهوى
ولا يغررك من دنياك وصل
ففى الأمثال أغدر من بغى
فقلت لقد نصحت بكل معنى
حقيق أن يصاخ له حرى
وقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن النداء لغير حى
فقالت قد عهدت إليك نصحا
فوفقك المهيمن من وصى

(رحلة العبدرى / أث ـ أر ، ٢٨٠ ـ ٢٨٤).

(رحلة العبدرى المسماة الرحلة المغربية لأبى عبد الله محمد بن محمد العبدرى الحيحى ـ حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى / أث ـ ار، ٢٨٠ ـ ٢٨٤، ومجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة فى المغرب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٧٣، ٧٤، ومجلة معهد المخطوطات العربية . القاهرة . ربيع الثانى ١٣٧٧هـ ـ نوفمبر ١٩٥٧م (الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م) جـ ٢ م ٣ / ٢١٩، ٢٢٠ . انظر أيضا أعلام الجغرافيين العرب ـ د. عبد الرحمن حميدة / ٤٩٦ ـ ٥٠٢).

***رحلة العيّاشى:**

من الرحلات الحجازية (انظر مادة «الرحلات»).
والعياشى صاحب هذه الرحلة هو عبد الله بن محمد بن أبى بكر العياشى ، أبو سالم (١٠٣٧ ـ ١٠٩٠ هـ / ١٦٢٧ ـ ١٦٧٩ م) وقد ترجم له الزركلى فقال عنه : فاضل من أهل فاس . نسبته إلى آية عياش (قبيلة من البربر تتاخم أرضها الصحراء، من أحواز سجلماسة) قام برحلة دوّنها فى كتابه «الرحلة العياشية» مطبوع فى مجلدين ، سماها «ماء الموائد» وله «إظهار المنة على المبشرين بالجنة»، و «مسالك الهداية» بأسانيد شيوخه، و «تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء» مخطوط مصور فى معهد المخطوطات (١٣١٧ تاريخ).



الخريطة الطبوغرافية للمدينة المنورة

قالت المؤلفة : هذا المخطوط ورد فى فهرست المخطوطات المصورة المشار إليه أنفا تحت عنوان «إتحاف الأخِلاّ بأسانيد الأجلاّ» ورقمه التسلسلى ١٣١٧ وقد أوردناه ـ نقلا عن هذا الفهرست وتحت هذا العنوان نفسه ـ فى م ٢ / ٢٨٧ ا هـ (فهرست المخطوطات المصورة جـ ٢ ق ٤ / ٧، ٨).

وله منظومة فى «البيوع» وشرحها، و «تنبيه ذوى الهمم العالية على الزهد فى الدنيا الفانية»، و «اقتفاء الاثر بعد ذهاب أهل الأثر» مخطوط فى ابتداء «المجموع ٢٨٠ أوقاف فى خزانة الرباط .

قالت المؤلفة : أوردنا هذا الأخير تحت عنوانه فى م ٥ / ٥٠١ فانظره فى موضعه ا هـ.

ولحفيده محمد بن حمزة بن أبى سالم كتاب فيه، سماه «الزهر الباسم فى جملة من كلام أبى سالم» (الأعلام ٤ / ١٢٩).

قالت المؤلفة : وقد وردت رحلة العياشى فى موضع آخر من فهرست المخطوطات المصورة تحت رقم ١٦٤٩ بعنوان «الرحلة الحجازية» وجاء بيان المخطوط كما يلى :

١٦٤٩ ـ الرحلة الحجازية .

لأبى سالم عبد الله بن محمد بن أبى بكر العياشى ، المتوفى سنة ١٠٩١ هـ.

الجزء الثانى

(بروكلمان ٢ / ٤٦٤ وملحق ٢ / ٧١١).

أوله: وأول ما أنشده الشيخ محيى الدين فى الفتوحات بيتين ذكرهما فى خطبة الكتاب، وهما له:

الـــرب رب والعبـــد عبـــد

يـــاليت شعـــرى من المكلف

إن قلت عبـــد فـــذاك ميت

أو قلـــت رب أنـــى يكلـــف»

وآخره: «ووصلنا بلدنا أمنه الله ... يوم الأربعاء ظهرا، سابع عشر شوال سنة أربع وسبعين وألف. . والحمد لله رب العالمين».

نسخة كتبت بخط مغربى، وبأولها آثار رطوبة وتمزيق، وهى ضمن مجموعة من ١ ــ ٤٧٩، فى ٢٤٠ ورقة، ومسطرتها ٣١ سطرا.

[الرباط ٥٨٣ ك] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة جـ٢ ق ٤ / ١٩١).

يقول الدكتور عبد الرحمن حميدة عن الرحلة:

ولا يستطيع العياشى. المحدث والصوفى. أن يقدم لنا سردا عن رحلته يماثل كتاب ابن جبير أو تحفة النظار لابن بطوطة. فقد وجه اهتمامه بالدرجة الأولى إلى الكلام عن الأولياء والعلماء والدراويش وأهل التصوف دون أن يهمل ذكر الأقطار التى يجتازها، والمدن والقرى التى يتوقف فيها، والشرائط التى تمت فيها رحلته. ويغلب على عرضه أحيانا طابع متعدد الألوان لمادة متنوعة من محيط الجغرافية والعادات، ولكن يسجل بكل أمانة تفاصيل حياة الأولياء والعماء والمتصوفة الذين يتحدث إليه أو يسمع عنهم، مما يشهد على مراكز اهتمامات المؤلف، وهكذا تشتمل (رحلة) العياشى على معطيات مختلفة من كل نوع، من جغرافية وأخلاق وفقه وحركة صوفية، ونشاط أهل الحديث فى القرن السابع عشر. وإلى جانب أهمية هذا الكتاب يعتبر مصدرا جغرافيا يجب أن لا نهمل فائدته من وجهة النظر التاريخية، رغما من أن أوصافه عموما جافة وتفتقر إلى الحيوية. أما أسلوبه الأدبى فيشهد على الانحطاط العميق الذى اعترى هذا النمط من النشاط الأدبى، ولكنه يتميز بالبساطة، رغم انعدام الرشاقة فيه، ولكنه يقع أحيانا فى الغموض عندما يعالج الموضوعات الصوفية، فيلجأ إلى لغة متكلفة مغلقة، وتكثر الاستطرادات عنده لدرجة تتقطع فيها خيوط روايته أحيانا.

ولكتابه أهمية خاصة فى وصف طرق القوافل من المغرب إلى مكة مع تعداد واف للمراحل المختلفة، كما نعثر على تفاصيل توضح الحد الفاصل بين الأراضى الصحراوية والأراضى الصالحة للزراعة.

ثم يسوق الدكتور عبد الرحمن حميدة نصا من الرحلة نقتطف منه مايلى:

ولما كان أول شهر صفر ألجأنى أصحابى المالكية بالمدينة المنورة أن أقرأ لهم مختصر الشيخ خليل (فقيه مالكى مصرى مات سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م ومؤلف وجيز يتمتع باعتبار كبير لدى المالكية) فتعللت لهم بقلة الممارسة له، وشغل البال، وعدم ما يستعين به الإنسان من الشروح والحواشى، فلم يُجْدِ تعلُّلى لديهم بل زادهم إغراء، فابتدأنا قراءته فى مؤخر المسجد بالجانب الغربى منه، وكانت قراءتنا من بعد صلاة العصر إلى قرب صلاة المغرب قرأنا لهم قراءة لا بأس بها ...

وأما أنا فأول من قرأت عليه بالمدينة، وأخذت عنه بقية السلف الصالح، وقدوة كل غاد فى اكتساب الحمد ورائح، أستاذ المقرئين وإمام المحدثين الشيخ أبو الحسن على بن محمد الزبيدى زاده الله شرفا وأسكنه من منازل التقرب غرفا. من قدماء مشائخى. لقيته بمكة سنة ألف وأربع وستين فأخذت عنه ما تيسر... ولما قدم المدينة، ونزل بجوار المشهد، وكان قدم بأهله قاصدا للزيارة، واجتمعت به فى الحرم الشريف وأنست به، وكنت إذ ذاك حديث عهد بسكنى المدينة لم أخالط كثيرا من أهلها، فسألته أن أقرأ عليه ختمة القرآن العظيم بقراءة الإمام عبد الله بن كثير فأذن فى ذلك، وجعل لى وقتا معلوما بين من يقرأ عليه ...

لطيفة: تذاكرنا يوما بحضرة شيخنا أبى الحسن الزبيدى دفن الموتى بالبقيع على مرور الأزمان فى محل واحد، مع أنه لا يجوز الدفن فى قبر مادام صاحبه به. فقال لى الشيخ: إن هذه الأرض لملوحتها ونداوتها تفنى الأجساد بسرعة، -فقلما يجاوز فيها الإنسان سبع سنين إلا وتبلى عظامه فلا يبقى لها أثر.

وممن قرأت عليه بالمدينة شيخنا العلامه، الدراك الفهامة، محقق للعلوم على اختلاف أنواعها، ومقيد شواردها فى بطئها وإسراعها، ومداوى أدواء القلوب مع تباين طباعها، ومؤهل إضلال المعارف بعد إقواء رباعها، نادرة الأعصار، وعديم الشكل فى سائر الأمصار (ويتلو ذلك سبعة سطور من النعوت من طراز ما ذكر)

سيدنا وشيخنا وقدوتنا وإمامنا الملا إبراهيم بن الحسن الكورانى، زاده الله من نوره القدسى على نوره النفسى ... (ويعقب ذلك نبذة عن حياة هذا الصوفى الذى ولد فى كردستان وتوفى بالمدينة سنة ١١٠١ هـ/ ١٦٩٠ م).

لما قدمت للمدينة وكانت أيام الموسم وكثرة الأشغال، وعلمت أنه لا يتفرغ لى، وكنت أؤخر لقاءه يوما فيوما لكون منزله خارج المدينة، فلم يقدر لى لقاؤه حتى قدم شيخنا أبو الحسن، وكان بينهما ودٌّ وإخاء، فذهبت معه إليه، ودخلنا إليه فى مكانه الذى يجلس فيه خارج البلد، فوجدناه فى علية له، فيها كتبه التى يطالع فيها، فرحب بنا كثيرا، وأعلمه الشيخ أبو الحسن بشأنى، وأنى ممن صحب الشيخ وانتسب إليه (أى الشيخ القشاشى أحد أساتذة المُلاَّ إبراهيم) فرعى لى ذلك حق رعايته، وهش وبش وأنس ورحب ودعا بخير.

وعندما أنس منى رضى الله عنه وتفاوضنا الكلام، وأن لى حاجة ماسة بطلب الحديث سألنى: هل حصلت لك رواية الحديث المسلسل بالأولية بشرطه (الحديث المسلسل هو الذى تصعد سلسلة الرواة فيه «الإسناد» حتى الرسول عليه الصلاة والسلام بلا انقطاع، والذى يذكر فيه الرواة بعض الظروف المتعلقة بنقله كحلف اليمين على صحته، والتأكيد بأنه أول حديث مستقى بالأولية ... إلخ). فقلت له: نعم

فقال: إن كنت راغبا فى تحصيله بشرطه، ولم يتفق لى ذلك إلى الآن، وهذا أول مجلس لقيتك فيه، فأحب سماعه منك قبل سماع شىء من الحديث. فحدثته به فرأى ذلك غنيمة حصلت له. والحديث المسلسل بالأولية هو ما أخرجه البخارى، وأخرجه غيره أيضا، عن عمرو بن دينار عن أبى قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» وهذا الحديث رواه سفيان ابن عيينة رضى الله عنه عن عمرو بن دينار ثم لم يزل الأئمة من لدن سفيان يرويه بعضهم عن بعض بصفة الأولية إلى أن وصل إلينا بصفته بشرطه» (أعلام الجغرافيين العرب / ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٥٠_٦٥٢).

(الأعلام للزركلى ٤ / ١٢٩، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ جـ٢ ق ٤. القاهرة ١٩٧٠ / ٧، ٨، ١٩١، وأعلام الجغرافيين العرب ـ د. عبد الرحمن حميدة / ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٥٠_٦٥٢).

*** رحلة الغزالى المغربى الفاسى:**

مخطوط بجامعة الإسكندرية، وجاء بيانه كما يلى تحت الرقم التسلسلى ٥٠٦: (سفير محمد بن عبد الله أمير المغرب إلى أرض الأندلس سنة ١١٩٧ هـ).

أولها: الحمد لله الذى فرض الجهاد وسَنَّه.. أما بعد، فإن روح الجهاد... آخرها: انتهت الرحلة بحمد الله وحسن عونه... والحمد لله رب العالمين. نسخة جيدة، كتبت سنة ١١٩٧ هـ، بقلم مغربى، بها خروم قليلة، وآثار رطوبة.

٩٦ ق ٢١س ٢١,٥×١٥,٥ سم

الرقم: ١١٨ / عزيز سوريال

(فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية، معهد المخطوطات العربية ـ إعداد د. يوسف زيدان القاهرة ١٩٩٤ ١ / ٣٢٥).

*** الرحلة فى طلب الحديث:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله

المؤلف : الخطيب البغدادى.

١ ـ الظاهرية ٢٦٧ [مجموع ٧٥] ـ (و ١٤٦ ـ ١٥٦] ضمن مجموع.

٢ ـ الظاهرية ٢٦٧ [مجموع ١٠١] ـ (و ٢٥١ ـ ٢٧٠) ضمن مجموع .

(الفهرس الشامل للتراث العربى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله، مؤسسة آل البيت (مآب) عمان. الأردن ٢ / ٨٠٥).

*** الرحلة فى طلب العلم:**

مما يرتبط بالتربية والتعليم فى الإسلام الرحلة فى طلب العلم، وفى ذلك يقول الأستاذ سعيد الديوه جى:

اطلبوا العلم ولو بالصين. والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها فالمسلم لا يقنع بعلم بلده، ويسعى فى الاستزادة والطلب، فالطريق أمامه مفتوحة، ومجال التعليم متيسر واسع، والبلاد الإسلامية كلها بلدة واحدة فترى الأندلسى يرحل إلى بلاد المشرق، يأخذ عن عدة شيوخ فى بلاد متباينة، يجمع علوما ومعارف، ويعود إلى بلده والبغدادى يدرس فى طوس والشامى فى بغداد، والمغربى فى دمشق والأندلسى فى المدينة المنورة، فيحيى بن يحيى الليثى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ رحل من قرطبة إلى المدينة المنورة، ولازم الإمام مالك بن أنس ــ رحمه الله ـ عدة سنين . وحصل علما جما، وعاد إلى بلاده فكان فقيه الأندلس وإمامهم، ونشر مذهب الإمام مالك فى الأندلس وشمال أفريقية، وغيره كثيرون.

فالمملكة الإسلامية الواسعة تضم شعبا واحدا فى دينه ولغته العلمية، والكل فيها أبناؤها يسعون لإعزاز الدين ونشر العلم والمعرفة.

هذه الرحلة فى طلب العلم أممت العلم فى المملكة الإسلامية. وتنافس الخلفاء والملوك على تشجيع العلماء وأهل الفضل. واستقدموهم وبذلوا لهم ما يرغبهم، فنجد الشريشى الأندلسى (ـ ٦٤٠ هـ) يدرس فى الشام، والإمام الغزالى (ـ ٥٠٥ هـ) ـ وهو من طوس ـ يدرس فى النظامية فى بغداد ومكى النحوى (ـ ٦٠٣ هـ) يدرس فى الموصل، وابن خلكان الإربلى ـ (٦٨١ هـ) يدرس فى القاهرة وأبو على القالى ـ (٣٥٦ هـ) يدرس فى الأندلس. وكلهم يدرسون أبناء المملكة الإسلامية، لا فرق بين أحد منهم.

والذى ساعدهم على الرحلة فى العلم فى هذه المملكة الواسعة أن اللغة التى يدرسون بها هى اللغة العربية، لغة الدين والعلم والأدب، مهما كانت جنسية الطالب، فلا يحتاج إلى تعلم لغة أجنبية للدراسة، فالكتب العربية والأخلاق الإسلامية، جمعتهم ووجهتهم إلى العلم والفضل، فكثرت رحلات الطلاب إلى المراكز العلمية والعلماء الأجلاء، مهما بعدت الشقة، وبعضهم كان يقطع ألوف الكيلو مترات ليصل إلى بغيته، متحملا السفر وشظف العيش ومفارقة الأهل والبلد، وإذا رجعنا إلى حياة الكثير من العلماء وجدناهم قد رحلوا إلى بلاد عديدة وأخذوا عن شيوخ أجلاء.

على أن بعضهم كان يشد الرحال إلى بلد ناء ليصحح خبرا أو يقف على حقيقة أو يسأل عما أشكل عليه وغير ذلك مما يوسع علمه، ويوثق روايته ويؤيد ما يذهب إليه.

ومن ذلك: محمد بن الحسن بن محمد النقاش الدارقطنى المقرىء المتوفى سنة ٣٥١ هـ، أصله من الموصل، وسافر الكثير شرقا وغربا، وكتب بالكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والجزيرة والموصل والجبال وبلاد خراسان وما وراء النهر، وحدث عن خلق كثير وغيره.

ولم تقتصر الرحلة على طلب العلم، فإن بعض العلماء إذا ما سمع بعالم جليل يشد إليه الرحال، ويجلس أمامه ويأخذ عنه، فأثير الدين الأبهرى كانت كتبه تدرس فى المدارس، ولما سمع بكمال الدين بن يونس الموصلى المتوفى سنة ٦٣٩ هـ وما عليه من غزارة العلوم، شد الرحال إلى الموصل، وجلس أمامه وأخذ عنه، وصار معيدا فى المدرسة البدرية، ويقول مفتخرا بدراسته عليه: «ما قصدت الموصل إلا للأخذ عن الشيخ كما الدين بن يونس» وعبد اللطيف البغدادى ـ وهو من أطباء عصره ـ رحل إلى الموصل

سنة ٥٨٥ هـ وجلس أمام كمال الدين بن يونس وأخذ عنه علوم الحكمة، ، ويقول عن هذا: «فلم أجد فيها - أى الموصل - بغيتى، لكن وجدت الكمال بن يونس».

وبعض العلماء كان يتنقل فى بلاد كثيرة، يتصل بعلمائها ومفكريها وما لهم من علوم ومعارف لا توجد فى بلده ، فيقتبس منها ما يفيد بلده، ومنهم القاضى محيى الدين بن العربى (- ٥٤٣ هـ) رحل من إشبيلية إلى بجاية - فى الجزائر - ومنها إلى المهدية - فى تونس - ثم إلى القاهرة ودمشق وبغداد واتصل بعلماء هذه البلاد، وبعد أن أدى فريضة الحج عاد إلى بلاده، وقد اطلع على معارف لم تكن فى بلده، فنجده يتحدث عن طرق التعليم التى شاهدها فى المشرق وأعجب بها، وما هى عليه فى المغرب والأندلس، ويبدى رأيه فى توحيد الطرق على ما رآه فى المشرق. وعامل آخر ساعد على الرحلة هو الحج أحد أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا، والمسلم يتشوق لأداء هذه الفريضة، وكلما مر بمدينة اتصل بعلمائها ومعاهدها وأخذ عنهم، وإذا ما أعجبه علم أو معهد فإنه يمكث فيه مدة تساعده على الاستفادة منه. فيمر بطريقه فى بلاد كثيرة، يقتبس من كل بلد ما يعجبه، وربما آثر البقاء فى البلد ، إذا ما وجد العيش الرغيد، والعلم والراحة - وكثير ما هم.

فابن جبير وابن بطوطة خرجا إلى الحج وساحا فى بلاد كثيرة، وأخذا عن شيوخ أجلاء . واطلعا على أخلاق الأقوام وعاداتهم، ووصفا ما شاهداه من مظاهر الحضارة والعلوم والفنون. وسجلا ذلك فى رحلتيهما، فكانتا من المراجع القيمة التى يستفاد منها، وغيرهم كثير.

(التربية والتعليم فى الإسلام - سعيد الديوه جى / ٩٦ - ٩٩).

انظر : الرحلات.

*** رحلة القادرى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الجغرافيا.

من نوادر المخطوطات فى مكتبة طلعت بدار الكتب المصرية، وجاء بيانه كما يلى:

الرقم التسلسلى : ٦٧.

رحلة القادرى وهو الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الحنبلى الخلوتى القادرى الشامى، من أرض دمشق إلى أرض الروم، بدأها فى ٦ ذى القعدة سنة ١١٤٣ هـ

أولها : الحمد لله الذى سير عباده فى البر والبحر. . إلخ.

نسخة بقلم معتاد فى ٢٢ ورقة ومسطرتها ١٧ سطرا.

(٤٨٣ جغرافيا).

(مجلة معهد المخطوطات العربية. ربيع الثانى ١٣٧٧ هـ - نوفمبر ١٩٥٧ م (الطبقة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م جـ ٢ م ٣ / ١٢٩).

*** رحلة القاصدين:**

من ألقاب كبار أرباب الأقلام، ويفهم من اللقب معنى الكرم فقد يرحل إلى الكريم قصدا لكرمه.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٥٨ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦ / ٤٩).

*** رحلة القاضى محب الدين الحموى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف

مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٨٣٨٧

رحلة رحلها الحموى مع جوى زاده إلى الديار المصرية والرومية وابتدأت من يوم الإثنين ١٨ شعبان سنة ٩٧٨ هـ.

المؤلف: محب الدين بن تقى الدين الحموى الحنفى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م.

أولها: أن أحلى ما تنطق به ألسنة الأقلام وأولى ما تتحلى به أسماع ذوى الأفهام حمد الله سبحانه ... وبعد فقد قصدت أن أثبت فى هذه الأوراق رحلتى إلى الديار المصرية ...

آخرها : لكن الإنسان قلما عرف نفسه وكل حيوان يعجبه طنين رأسه وقد قيل: إن لكل ساقطة لاقطة ... وفى السفر نعم الرفيق وأن يجعلنا من خير حزب وفريق والحمد لله على الدوام.

الخط نسخي معتاد، الحبر: أسود.

ق ٥٢، س ٢٢، ٥,٢٠×١٥سم، كلمات السطر ٩ هامش ٤ سم.

ملاحظات : نسخة مراجعة.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٨ / ١٧٨ ، ريحانة الألبا ٩٩

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ــ وضع محمد رياض المالح ١ / ٦٠٢).

*** الرحلة القدسية:**

من الرحلات الزيارية (انظر مادة «الرحلات»).

هكذا ورد عنوان الرحلة في مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية وجاء بيان المخطوط كما يلي:

الرقم التسلسلي ٨٣٤

رقم المخطوط ٦٨٤٤

رحلة قام بها المؤلف سنة ١١٠١ هـ زار خلالها المشاهد والمقامات واجتمع بالأولياء والصالحين وهي تصور لنا عصر المؤلف الذي طغى عليه حب التصوف وأهله.

المؤلف: أبو الفيض عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي النقشبندي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١م.

أولها: الحمد لله الغني عبده الفقير، الذي يسر له الرحلة والمسير من دمشق نشأته إلى قدس حضرته ... هذه الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية جمعنا فيها لطائف الأخبار وظرائف الأشعار...

آخرها: وقد أرسل لنا صديقنا مفخر الأفاضل والأعيان وخلاصة العلماء ذوي المهابة والشان الشيخ عبد الرحمن التاجي البعلي هذه الأبيات.

مطلعها:

لئن فاتنا الخير الكثير بتركنا
مرافقة الأشياخ في رحلة القدس

نهايتها:

فمن على مرضى القلوب به عسى
يكون دواء بل شفاء من النكس

وقد تم ما أردنا جمعه من أخبار هذا البرق القدسي الذي شهدنا لمعه.

الخط نسخي واضح، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر ق ١٤٩ ، س ٢٥ ، ١٩×١٣ سم، كلمات السطر ١٠ ، هامش ٥ ,٣ سم.

اسم الناسخ : محمد أمين القادري العطار.

تاريخ النسخ: الخميس ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٢٠٥ هـ

ملاحظات : نسخة خزائنية مذهبة الورقة الأولى مصححة ومراجعة.

مصادر عن الكتاب: معجم المطبوعات ١٨٣٣ ، مقدمة الرحلة الطرابلسية ص ١٧ بقلم هيربرت بوسه.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ ، ابن شاشو ٦٧ .

طبعات الكتاب: ١ ـ بمطبعة الإخلاص سنة ١٩٠٢ م، ٨٤ ص وبعد مقارنتها على هذه النسخة تبين أن المطبوعة مختصرة تقدر بثلثها ٢ ــ نشرته مكتبة القاهرة بمصر سنة ١٩٧١ بـ ٨٨ ص ٣ ـ وضع المستشرق الألماني يرهانس جلد مايستر فهرسا لمحتويات الكتاب سنة ١٨٨٢ م ٤ ـ نشر المستشرق جراف سالفة قسما منه سنة ١٩١٨ م على الحجر في وصف الحرم القدسي ٥ ـ تعد المستشرقة الإنكليزية أورين دراسة عن هذا الكتاب.

(فهرس الظاهرية. التصوف ١ / ٦٠٢ـ ٦٠٤).

بيد أن الكتاب المطبوع يحمل عنوان «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية »، وهو الكتاب الذي ننقل منه هذه المادة، كما أنه عنوان المخطوط الذي أوردناه في حرف الحاء في م ١٤ / ٢٦١

والكتاب تحقيق ودراسة الأستاذ أكرم حسن العلبي وطبع المصادر. والمخطوط رقم ٦٨٤٤ الذي أوردناه أعلاه هو من بين مخطوطات ثلاثة اعتمد عليها المحقق في تحقيقه للكتاب.

ب ـ نسخة المكتبة الأحمدية بحلب:

ـ رقمها ١٢٢٨٦ عام، وقد نقلت مع مخطوطات الأحمدية كلها إلى مكتبة الأسد الوطنية.

ـ وخطها نسخي، والناسخ محمد بن أحمد بن صنع الله المالكي القادري، خادم الشيخ عبد الغني، كما ذكر في آخر مخطوطته.

ـ تاريخ النسخ سنة ١١٥٤ هـ، وهي والحالة هذه من أقدم النسخ التي اطلعنا عليها، وكان المفروض، أن تتخذ أصلا، لكننا بمقارنتها مع النسخة الأولى، تبين لنا أن ناسخها ليس على قدر كاف من العلم والعرفان، وذلك لوقوع أخطاء عديدة في نسخته، تذهب بمعنى الشعر والنثر، على حد سواء، وعلى الرغم من ذلك فقد استفدنا منها هنا وهناك، ورمزنا لها بنسخة حلب.

جـ ـ النسخة الثالثة:

وتقع في ثلاثمائة وتسع وأربعين «صفحة» أي في حوالي مائة وخمس وسبعين ورقة، نسخها الشيخ أحمد النابلسي سنة ١٣١٧ هـ من نسخة بخط إسماعيل بن محمد خليفة، كان كتبها في ربيع الآخر سنة ١١٨٩ هـ، كما جاء في آخرها، ورقمها في الظاهرية ٣٦١٣ عام، وهي تكاد تكون متطابقة مع نسختنا، إلا في حالات قليلة أشرنا إليها، ورمزنا لهذه النسخة بكلمة «النسخة الثالثة».

د ـ النسخة المطبوعة:

وهناك النسخة المطبوعة من الرحلة، وبعبارة أدق، المختارات المطبوعة منها، قام بطبعها بمطبعة الإخلاص بالقاهرة السيد ديمتري نقولا سنة ١٩٠٢ م، وقد حذف منها الأحاديث والآيات والأشعار، فلذلك جاءت في ثمان وثمانين صفحة فقط، وقد صورت فيما بعد في مصر سنة ١٩٧١ م على نفقة مكتبة القاهرة.

ـ التعريف بمضمون الرحلة وقيمتها

تُعرف هذه الرحلة بالرحلة الصغرى، تمييزا لها عن الرحلة الكبرى، رحلة مصر والحجاز، وقد انطلق فيها الشيخ عبد الغني من دمشق فجر يوم الإثنين السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ١١٠١ هـ، ٢٧ آذار، مارس سنة ١٦٩٠ م، بعد أن زار الجامع الأموي وقبور الأولياء والصالحين في دمشق وما حولها، وأقام أول ليلة من رحلته في داريا، ثم تجاوزها إلى سعسع فالقنيطرة فجسر يعقوب فالمنية فعيون التجار فالناعورة فجنين فنابلس، بلد آبائه وأجداده، التي مكث فيها بضعة أيام، ثم غادرها إلى جمَّاعيل فالقدس حيث نزل بالمدرسة السلطانية التي بناها الملك الأشرف قايتباي، وبعد أن زار كل ما في بيت المقدس من آثار وأطلال وأجداث تحول إلى أريحا حيث زار قبر النبي موسى عليه السلام، وعاد إلى القدس ثم زار الخليل وما فيها من قبور آل إبراهيم عليهم السلام ثم عاد إلى القدس، وبعدها إلى دمشق من الطريق نفسه، فدخلها ضحى يوم الأربعاء أول شعبان، العاشر من أيار ـ مايو، بعد خمسة وأربعين يوما كاملة.

وقد وصف جميع البلاد التي زارها شعرا ونثرا، وتحدث عن الآثار العمرانية، ولا سيما آثار بيت المقدس بتفصيل تام، وتناول تاريخها مستعينا بذلك بمجموعة من الكتب أهمها كتاب «أنس الجليل في تاريخ القدس والخليل» لمجير الدين الحنبلي، الذي قام النابلسي، قبل ذلك أو بعده، بتلخيصه، كما كان ينقل من البداية والنهاية ومروج الذهب وكتب أخرى مخطوطة، أتينا على ذكرها في الهوامش.

ومن الأمور اللافتة للنظر أنه كان يولي قبور الصالحين والصحابة والأولياء عناية متميزة، ولا يكاد يعطي أهمية لصحة وجود هذا الولي أو عدمها، ومعلوم أنه في العصور الوسطى وما تلاها صار أهل كل مدينة يدعون وجود قبر هذا الولي أو النبي عندهم، لما كان يعود عليهم من نفع جراء ذلك، فأصبح للحسين رضي الله عنه قبور في العراق والشام ومصر وربما في غيرها، وكذلك الحال بالنسبة للسيدة زينب ورقية والصحابة والتابعين، حتى إن الشيخ عبد الغني نفسه في مستهل رحلته هذه، زار ثلاثة قبور متباعدة لصاحبي واحد، هو سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه، وقرأ الفاتحة لكل واحد منها، مع أن الثابت تاريخيا أنه مدفون في مقابر الباب الصغير بجوار مدفن السيدة سكينة وآل البيت.

وباختصار نقول إن هذه الرحلة وما فيها من وصف وشعر وزيارات ومناقشات إنما تعكس روح العصر التي كانت سائدة

فى بلاد الشام ومصر فى مستهل القرن الثانى عشر، وما فيها مما يعقل ومما لا يعقل، وتقدم لنا صورة دقيقة عن مجتمع الشام فى ذلك العصر، وهو ما نفتقر إليه من خلال المصادر المتوفرة.

وكما جاء فى الورقة الأخيرة من نسخة حلب والنسخة الثالثة، فقد دونت الرحلة فى دمشق فى شهر ذى الحجة سنة ١١٠١ هـ، ونعتقد أن المؤلف عدل فيها تعديلات طفيفة فيما بعد، وأنها لم تتخذ صورتها الحالية قبل رمضان سنة ١١٠٢ هـ بدليل قوله فى الصفحة ٥٨ / ب فى أثناء ترجمته للشيخ محمود السالمى «وقد بلغنا وفاته فى شهر رمضان سنة ١١٠٢ هـ» (الحضرة القدسية / ١٢ ـ ١٦) .

وفى مقدمته لرحلته، وهى مقدمة تعكس أسلوب العصر، يقول الشيخ عبد الغنى النابلسى بعد البسملة .

الحمد لله الغنى عن عبده الفقير، الذى يسر له الرحلة والمسير، من دمشق نشأته، إلى قدس حضرته، على خيول العبادة والذكر والتهليل والتكبير، وقصَّر منه فى سفره سَعْسَع الأمل ، بالسير فى فلوات الطاعة على قنيطرة العمل، وعبر به جسر يعقوب الأشواق، إلى جب يوسف الإشراق، ومنية القلب المشتاق، فقرَّت به عيون تجار الآخرة، وولد له جنين جينين الحالة الفاخرة، وعمر به مدينة نابلس الكمال، إلى قدس حضرة الجلال والجمال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى هو دعوة أبيه إبراهيم خليل الرحمن، وقد افتخر به الكليم موسى بن عمران، ومكن الله تعالى فى الأرض ببركته لخليفة الله داود وابنه المكرم، نبى الله سليمان، وعلى آله وأصحابه الذين شادوا بعزائمهم أركان البيت المقدس، ورفعوا له البنيان ما أشرقت قبة الأرواح، وشعشعت أنوار الصخرة المباركة فى هاتيك البطاح، وحصل للزائر أقصى مرامه فى المسجد الأقصى وفتح الفتاح، وطاب مقام السلسلة الداودية لمن غدا فى شهودها وراح، وراق ماء الكأس وأنابيب الطهارة الجارية فى المساء والصباح، وانفتح فى وجود الزائرين باب الرحمة وباب التوب من غير مفتاح (الحضرة الأنسية / ١٩).

ويقول الشيخ عبد الغنى النابلسى عن بدء رحلته القدسية :

اليوم الأول :

الإثنين ١٧ جمادى الآخرة ١١٠١ هـ / ٢٧ آذار ـ مارس ١٦٩٠ م :

وكان خروجنا من دمشق الشام بكرة نهار الإثنين السابع عشر من شهر جمادى الثانى من شهور سنة إحدى ومائة وألف، فأول ما زرنا مقام رأس النبى يحيى الحصور عليه الصلاة والسلام، بالجامع الأموى (أوردناه فى حرف الجيم فى م ١١ / ٤٦١ ـ ٤٨٠) بعد أدائنا صلاة الصبح بالقرب من مزاره، وكنت فيه للجماعة إمام .

وجاء فى هامش (٢) للمحقق ما يلى : أما سبب ابتداء الشيخ النابلسى بزيارة الجامع الأموى فهو أنه كان يقيم فى العنبرانية على بعد خطوات من الجامع فى مكان الصاغة القديمة اليوم، وذلك قبل انتقاله إلى الصالحية ا هـ.

ويقول الشيخ النابلسى عن ختام رحلته فى اليوم الخامس والأربعين : الأربعاء غرة شعبان ١١٠١ هـ / ١٠ أيار / مايو ١٦٩٠ م

وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء الخامس والأربعين تمام مدة هذا السفر الجليل، وختام هذه الرحلة المباركة التى هى من الخليل إلى الخليل ، فركبنا وسرنا إلى جهة دمشق الشام واجتمعنا بالأقارب والأصدقاء، على غاية من الإعزاز والإكرام، إلى أن أقبلنا على قرية داريا الكبرى، ولمعت فى آفاق خواطرنا بوارق الذكرى، فقرأنا الفاتحة إلى حضرة أبى سليمان الدارانى، وأبى مسلم الخولانى (قالت المؤلفة : زرنا هذين الضريحين يوم الخميس ١٥ ربيع الأول ١٤١٤ هـ / ٢ سبتمبر ١٩٩٣م ا هـ) وجميع من دفن فى تلك القرية من أصحاب المقام الروحانى، والهيكل الجسمانى، ودعونا الله تعالى للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، ثم سرنا حتى أقبلنا على باب الله وقرأنا الفاتحة هناك لأهل الله، ولمن دفن فى هاتيك الجبانة المباركة، والحضرة الشريفة المشمولة بأنوار الملائكة، خصوصا الإمام الكامل والعالم العامل الشيخ تقى الدين

الحصنى رحمه الله تعالى، فقد حظينا ببركة زيارته أواخر هذه الرحلة ، كما وفق الله تعالى بمودعة من هو من أفاضل ذريته، ومطلع أشعة شمس نورنيته، مفخر الأفاضل وزبدة ذوى المكارم والفواضل السيد الحسيب النسيب تقى الدين الحصنى، فقد اجتمعنا بتقى الدين فى ابتداء هذه الرحلة وبتقى الدين أيضا فى ختامها، وقد حصلت لنا التقوى والصيانة إن شاء الله تعالى من افتتاحها إلى اختتامها، ثم دخلنا داخل الباب مع قوم أولى عرفان وألباب، وذوى كمالات وآداب حتى قرأنا الفاتحة للمزار المشهور بصهيب الرومى الصحابى رضى الله عنه، وإلى غيره من المزارات المشهورة، فى هاتيك الجهات المعمورة، وقد خرجت المجاذيب أيضا من دمشق الشام إلى لقائنا فى ذلك الطريق العام، فكنا كلما مشينا قليلا، نجد مجذوبا جليلا حتى دخلنا إلى دارنا بالصحة السلامة، والعافية التامة والكرامة، وكان ذلك أول يوم من شهر شعبان المبارك سنة إحدى ومائة وألف، (وهو تاريخ ختام الرحلة) وقد نظمنا هذه القصيدة وضمناها أيام رحلتنا هذه جميعها على فنون فريدة، فطلعت بحمد الله فى بابها وحيدة، وعند أهلها مشكورة حميدة، وفى آخرها تاريخ السنة المذكورة، وهى هذه الأبيات المنشورة.

موجز الرحلة شعرا:

بحمـــد الله مـن ألهَـمْ ... وعنـا قـد أزال الهم

ومنـه زادنـا فضـلا ... وبـالتـوفيق قـد أنعم

بـدأنـا رحلـةً كـانت ... على الـدنيـا بهـا يُختم

وقـد فـزنـا بمـا نهـوى ... وأدركنـا الثـواب الجم

مع الإخـوان والأحبـا ... ب أهـل المسلـك الأقـوم

الرحلة مفصلة :

ولمـا أن قصـدنـا السيـ ... ـد لا نلـوى ولا نسأم

فسـرنـا من دمشق الشـا ... م سيـر المعـرب المعجم

إلى القـدس الشـريف القـد ... ر ذات المنظـر الأفخـم

وزرنـا الأنبيـا والأو ... ليـا من جـاهُهم يُخـدم

وبسم الله سـافـرنـا ... وعُـدنـا بـاسمـه الأعظم

وجـاوزنـا على خيـر ... وحُـزنـا أشـرف المقـدم

وقـد كـان الـربيع الغضْ ... ضُ فينـا ضـاحك المبسم

وأزهـار الـروابى قـد ... أهـاجت شـوق من يشتم

ومـن ينظـر إليهـا يُبـ ... ـصرْ الـدينـار والـدرهم

وعُـرف الطيب مـن بُعْـد ... علـى تلـك النـواحـى نم

ودرُّ الغيث منظـومٌ ... لأثـواب الـربـا نَمْنَمْ

وقـد سـرنـا على استقـلا ... لنـا بـالغيـر لا نـأتمّ

متى أرضًـا أردنـاهـا ... نـزلنـا مَـرْجَهـا الأنعم

ومعنـا مـا لـه نحتـا ... جُ مـن لبـسٍ ومـن مطعـم

ولـلأصحـاب ودعنـا
وأهـل البيت والمحـرم

الانطلاق من الجامع الأموى :

وصلينـا صـلاة الصبـ
ـح وسط الجـامع الأقـدم
مُجـاور دارنـا الأمـوى
بقـوم شملهم يُنظـم
وزرنـا الـرأس من يحيى
لأنـواع الـدعـا نلـزم
وزرنـا الـوالـد المـرحـو
م مع مـن عنـده يُـرحـم

الزيارات فى دمشق وما حولها :

وفـى بـاب الصغيـر الكـل
ل زرنـاهم كمـا نعلم
وقـد زرنـا أرسـلان الـ
ولـيَّ الكـامـل الضيغـم
ومَـن فـى قبـره ممـن
بهـم ذاك الحمـى مُنعـم
وزرنـا مسجـد الأقصـا
ب فيـه كم شهيـد كـم
وزرنـا الشيخ محيى الـديـ
ـن من قلبـى بهـم مُغـرم
وأقـوامـا حـوى قـاسـو
نَ منهم جـانبـا أعظم
وخصَّصنـا الـذى نـدرى
وعممنـا قبـورا ثـم
وقمينـى لقـد زرنـا
وشيخـا معـه تـوءم
وذاك الشيخ محمـود الـ
ـذى ذكـرى لـه ألـزم
وبـاقى من حـواه السَّفـ
ـحُ من قـاسـون واستلـزم
إلـى أن جئـت داريَّـا
بقـومى والجـوى خيَّم
وزرنـا مـن بـداريـا
ومـن أشيـاخهـا المعظم
وأمـواتـا وأحيـاءً
ومـن ربـى بهـم أعلـم
وبتنـا بيـن أقـوامٍ
بهـا من جـاءهـم يغنم
إلـى أن سَعْسَعَـا جئنـا
وفيهـا شملنـا مُلتـم
وبـالخـان الـذى فيـه
نـزلنـا زادنـا نطعم
وبتنـا ثـم أصبحنـا
علـى الخيـل التـى تُلجـم
نسيـر إلـى قنيطـرة
مـن النقَّـار لـم نسلم
وجئنـا خـانهـا حتى
لقـد بتنـا بهـا نُكـرم
وجئنـا جِسْـرَ يعقـوبِ
وكـان الليل قـد أظلم
وفـوق النهـر حطَّينـا
عمـود الخيمـة المحكم
على ذاك الـربيع الطلـ
ق إذ تلـك النـواحى عـم
وقـد بتنـا بـه حتى
تجلـى الصبـح واستحكـم
بجُبِّ يـوسفىٍّ قـد
نمـا شـوق لنـا قـد تم

ومنـــه المـــاء أخـــرجنـــا
لـــذيـــذا أطعمـــه فى الفم
ونحـــو المنيـــة الأقـــوا
م ســـاروا بـــالقضـــا المبـــرم
بهـــا بتنـــا على روضٍ
تســـامى مـــدحـــه عن ذم
وفيهـــا بـــركـــةٌ لكن
لهـــا مـــاء هـــو الأوخم
وأصبحنـــا إلـــى وادى
عيـــون تجـــارهـم فى هـم
ووافينـــاه بعـــد العصـــ
ـــر نلقى وجهـــه أقتم
وقـــالـــوا شيخُـــهُ أضحى
من الأعـــدا مُـــراق الـــدم
فلـم نـــزل بـــه حتى
ذهبنـــا للفـــلا نقحم
وفى نـــاعـــورة بتنـــا
بـــأعلـــى ذلـــك المقســـم
وأصبحنـــا إلـــى جينيـــ
ـــن ينمـــو شـــوقنـــا فـــاعلم
قـــد جـــاءت تـــلاقينـــا
مجـــاذيبٌ كمـــوج اليمّ
وقـــد ضِفْنـــا وكيـــلاً للشـــ
شـــريف الحـــاكم الأحكم
وبتنـــاهـــا ثـــلاثـــا مِن
ليـــالِ عيشهـــا نَغْنَم
وسِـــرنـــا بعـــدهـــا حتى
أتينـــا يَعْبَـــدا ننضم
وضفنـــا مُصلح السَّـــامى
ويسمـــو من لـــه يمّم

وبتنـــا عنـــده والفجـــ
ـــر بـــالأنـــوار قـــد أعلم
إلـى أن بُـــرقَـــة جئنـــا
ومـن أنجـــد بنـــا أتهم
وفـى نـــابلـس حَطَّـت
بنـــا الخيل التى تُكـــرم
وفيهـــا لـم نـــزل نسمـــو
وربـى فضلـــه عمَّم
علـى آغـــا نـــزلنـــا فى
حمـــاهُ ذلـك الأكـــرم
وكنـــا عنـــده فى حضـــ
ـــرةٍ أوقـــاتهـــا تُغْنَم
وبتنـــا خمســـة الأيـــا
م لـــم نحـــزن ولـــم نهتـــم
وحفَّتنـــا مســـرَّاتٌ
وشـــاهـــدنـــا بـــدور التم
وســـافـــرنـــا لجمـــاعيـــ
ـــن ذات الـــرونـق الأجسم
ديـــار بنى قـــدامـــة أهـــ
ـــل فضـل كلهـم أشهَمْ
وجئنـــا عيـن يبـــرودِ
فتحنـــا جفنهـــا المنضم
وأصبحنـــا وقـــد جئنـــا
لأرض البيـــرة الأعصـــم
وأقبلنـــا على القـــدس الشـــ
شـــريف الـــواضح الأقـــوم
وقـــد وافت تُـــلاقينـــا
كـــرامٌ نـــارُهم تُضْـــرَمْ
وحطَّينـــا بسلطـــانيـــ
يـــة عليـــاء تجلـــو الغم

وجـــاءتنـــا كبـــارٌ من
أهـــــالي ذلـك الميسَمْ
وجئنـــا الصخـــرة الغـــرَّا
وذاك المشهـــــد الأضخـم
وزرنـــا المسجـــد الأقصى
ونـــــورا للنهـى أفحـم
وكـم مـن مشهـــد فيــــه
لعـــاصٍ يغفـــر المـأثم
وردنـــا عيـن سلـــوان
يحـاكي مـاؤهـا زمـزم
وداود النبـي زرنـــــا
وفـزنـا بـابنـه الأفهم
(قوله تعالى: ﴿ ففهمناها سليمان وكُلاًّ آتينا حُكما وعلما﴾ [الأنبياء: ٧٩]).
سليمـــان النبى صلـى
عليـــه مـن لــه عَظَّـم
وفــوق الطــور زرنـا العـا
لمـيَّ العـــالـم الأعلم
وجسمـــانيَّـــة فُــزنـــا
بهـا بـالقبـر مـن مـريم
وسـرنـا للنبى مـوسى
ومـن ربـى لـــه كلَّـم
وبتنـا ليلـــة فيــــه
بصحب جـارهـم يكـرم
وقـد سـرنـا إلى حبـرو
ن وهى الــداء والمــرهـم
وقـد زرنـا خليل اللــ
ــه إبـراهيمُـــه الملهم
وإسحـاقـا ويعقـوبـا
ويـوسف ذا البهـا المُفهم

وكـلٌ فـى قبـــالتــــه
لــه أهـلٌ لـــدى معلم
وأنـــوارا شهـدنـاهـا
مُـــزيــلات لمـــا أظلم
وفى يـــاقين قـد زرنـا
أهـالى مسجـد يُهـدم
ومن كفـر البـريك القبـ
ـر لـوط فيـه لـم يُعـدم
وغـارُ الأنبيـا فيـــه
وإبـراهيم مـن أدهـم
وكمـا قطب وصـدِّيق
ومـن يُفهـم ولا يُفهَـم
وكـم شيـخ ومجـذوب
تبـرَّكنـا بهـم نهتم
وقـد زرنـا لعيسى مـو
لــدا أضحى ببيت اللحم
وقـد عُـدنـا لبيت المقـ
ـدس البـاهي السَّنـا الأعظم
وودعنـــاه إذ ذُقنــا
فـراقـا طعمـــه علقم
وسـرنـا بعـد ذا يسمـو
لنـا فى البيـرة المقـدم
وجئنـا «سنجـلا» بتنـا
بهـا والليل قـد أعتم
ونـابلسـا أتينـاهـا
لنـا رزقٌ بهـا يُقسم
وقـد بتنـا ثـلاثـا مـن
ليـال مـا بهـا نـرغم
وقـد جئنـا قبـاطيـة
وأُجلى أمـرُنـا المبهـم

وجيئنا بها يوميـ
ـن كنا والأسى يُهزم
ويوما ثالثا فيه
لقينا السيد المكرم
شريفا كاملا يحيى
به الجود الذى يعدم
وودعناه حتى فى
عيون تجارهم ننعم
وبتنا ثم أصبحنا
نرى بالمنية المغنم
وبالجب البهى حتى
أتينا الجسر لا نندم
وبتنا فيه فى خير
قنيطرة بها نلزم
لدى الخان الذى فيها
وبتنا لا نرى مغرم
وجئنا سعسعا من بعـ
ـد هذا شوقنا هيَّم
إلى وادى دمشق الشا
م ذات الجانب الأسلم
وبتنا ثم أصبحنا
نرى طفل السُّرى يُعظم
وأقبلنا على الإخوا
ن منا الشوق لا يُكتم
فلاقونا بترحيب
وعنهم حالهم تترجم
ووافينا لأهلينا
وربى بالعلا كرَّم
وزاد الله إنعاما
علينا لم يزل أدوم
ونلنا فضله أرِّخ
«برحلة قدسه الأكرم»

(يعد الشيخ عبد الغنى النابلسى مؤسس علم التأريخ بالحروف وهو ما يسمى حساب الجُمَّل وهو وإن كان مستعملا منذ الجاهلية، إلا أن العناية به انعدمت فلا نكاد نرى أثرا طوال العهد الإسلامى حتى العصر العثمانى، ولهذا الفن قواعد وأصول أتينا عليها فى مادة «أبجد» فى م ٢ / ٨٤ ـ ٨٨ ـ ومادة «حساب الجُمَّل» فى م ١٣ / ٥٤٩ ـ ٥٥٤).

ويختتم الشيخ النابلسى المنظومة بهذه الأبيات :

وصلى الله مولانا
على طه وقد سَلَّم
وكل الآل والأصحا
بَ من أوصافهم تُرقَم
مدى الأيام ماطيرٌ
بأعراب الغنا أعجم

ثم يقول :

وقد تم ما أردنا جمعه، من أخبار هذا البرق القدسى الذى شهدنا لمعه، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد السادات والسيادات، وكان تمام ذلك والفراغ من تصنيفه وتأليفه نهار الأربعاء تاسع ذى الحجة الحرام، يومن الوقفة الشريف الذى هو من شهور سنة ١١٠١ ، إحدى وماية وألف، والحمد لله رب العالمين وهو حسبى ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ونختم بإحصاء الزيارات فى دمشق وما حولها كما وردت فى المنظومة :

داريّا، سعسع، القنيطرة، جسر يعقوب، جب يوسف، المنية، عيون التجار، ناعورة جينين، يَعْبُد، برقة، نابلس، جماعين، إلبيرة، بيت المقدس، المدرسة السلطانية، الصخرة المشرفة، المسجد الأقصى، عين سلوان، الطور، قبر موسى، حبرون، ياقين قبر لوط، بيت لحم، مغادرة القدس، إلبيرة، نابلس، قباطية، جينين، عيون التجار،

المنية، القنيطرة، سعسع، دمشق وهى نهاية الرحلة (الحضرة الأنسية / ٣٩، ٣٦٠-٣٦٦).

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٦٠٢-٦٠٤، والحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية للشيخ العارف عبد الغنى النابلسى - تحقيق ودراسة أكرم حسن العلبى / ١٢-١٦، ٣٩، ٣٦٠-٣٦٦).

*** رحلة القلصادى:**

من الرحلات الحجازية والرحلات الفهرسية (انظر مادة «الرحلات»)، يقول الشيخ محمد أبو الأجفان الذى قام بدراسة وتحقيق كتاب «رحلة القلصادى»:

إننا نستلهم من كلام صاحبها فى المقدمة، أن الذى حفزه إلى الرحلة فريضة الحج وطلب العلم وسنية العمرة وزيارة النبى ﷺ، وأن المقصود من تدوينها التعريف بمشائخه الذين تلقى عنهم، وبالرحلة ذاتها (١٩٢).

وبهذا تكون رحلة حجازية أدبية، تمتزج فى غرضها عناصر العبادة والدراسة والاستكشاف، وإن كانت العبادة، بمفهومها العام فى الإسلام - تصبغ العنصرين الأخرين بطابعها الدينى السامى، ما دمنا قد عرفنا من البلوى أن شيخه القلصادى كان من ذوى النية الخالصة ...

والواقع أنه عند تدوينها لم يجعلها مقتصرة على الوصف للمعالم والبلدان وذكر الأحداث التى حدثت له، كما فعل بعض المدونين لرحلاتهم ... كما أنه لم يقصرها على ذكر مشائخه وأسانيده وإجازاته والكتب التى درسها ومؤسسات العلم التى ارتادها، كما فعل أصحاب الرحلات الفهرسية.

وإنما جعلها جامعة بين هذا وذاك، وضمنها الحديث عن المراكز التى مر بها أو أقام فيها منذ خروجه من بسطة إلى أن وصل إلى البلد الحرام، عبر مرفأ المنكب فوهران فتلمسان فتونس فجربة فطرابلس فالإسكندرية فالقاهرة فالطور فالينبع فرابغ فجدة فى رحلة الذهاب. وكذلك الحديث عن طريق العود بعد زيارة المدينة المنورة إثر أداء مناسك الحج إلى أن وصل ميناء ألمرية الأندلسى ومنه قصد مسقط رأسه بسطة.

وهو فى هذا الحديث يتوخى أسلوب الإيجاز غالبا،

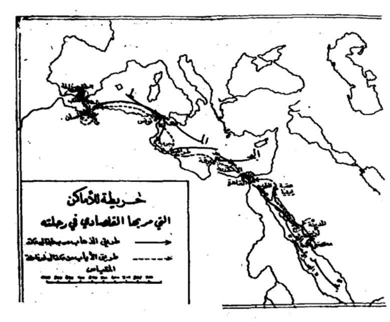
الصفحتان الأخيرتان من نسخة الخزانة الملكية بالرباط وهي بخط أحد تلاميذ القلصادي كتبها بمدرسة غرناطة في حياة مؤلفها.

ولا يطنب فى الوصف ولا يعرض الجزئيات الكثيرة ولا يتوسع فى ذكر الأحداث وفى خصائص البلاد التى يزورها، وفى مميزات حياتها الاجتماعية، وهذا ما جعل حجم المدون صغيرا بالنسبة إلى السنوات التى استغرقتها الرحلة.

وهو يؤرخ لانتقاله من مكان إلى آخر... كما يذكر أعمال العمرة ومناسك الحج التى قام بها، ويهتم بذكر ما شاهد فى الأماكن المقدسة أكثر من اهتمامه بمشاهداته فى غيرها من الأماكن التى مر بها أو أقام بها.

وبما أن الرجل من العلماء المدركين لأحكام الشريعة ومقاصدها، ومن الضاربين بسهم وافر فى العلوم العقلية، فإن رحلته جاءت خالية مما توفر فى بعض الرحلات الأخرى من الأمور الغريبة المتسمة بالطابع الخيالى.

وجعل القلصادى تراجم شيوخه - الذين بلغوا ثلاثة وثلاثين - متفاوتة فى الطول، ومع ذلك يميل فى عامتها إلى الإيجاز ولا يتوسع فى عرض أطوار حياتهم، ولا يذكر - غالبا - شيوخهم ومصنفاتهم، وإنما يهتم بذكر ما أخذ عنهم وبتحليتهم بالأوصاف الدقيقة التى تبين قيمتهم العلمية ومكانتهم الاجتماعية، ويذكر الكتب والمواد التى تلقاها من كل واحد منهم مع ملاحظة ما قرئ من الكتاب: كله أو



بعضه، وهل كان بقراءته أو بقراءة غيره... ويذكر من أجازه أو ناوله، ويسمى الكتب التى صححها على مؤلفيها، والتى قابلها معهم من كتب الدراسة.

ومراعاة لمزج القلصادى بين وصف الرحالين لما يصادفهم فى البلاد التى يرتادونها وبين الترجمة لشيوخه، فقد ذكر المقرى أن «رحلته الشهيرة حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق وجملة من أحوالهم» وقال الكتانى: «له رحلة وفهرست فى شيوخه» (فهرس الفهارس ٢ / ٣١٤).

ويعرف أبو عبد الله الرهونى الفهرس فى الاصطلاح بأنه (الكتاب الذى يجمع فيه الشيخ شيوخه وأساتذته وما يتعلق بذلك) ن. م: ١ / ٤٠. ويمكن أن يدون الفهرس من لم يقم برحلة أصلا، مثل ابن غازى الذى دون فهرسته بمناسبة تلقيه مكاتيب استدعاء للإجازة.

ويبدو القلصادى من خلال تحريره، مرهف الإحساس ذا عاطفة ملتهبة وشوق إلى الوطن، وشعور بعظمة البيت الحرام وقداسة الروضة الشريفة، وجلال مشاهد الصحابة والعلماء والصالحين، كما يبدو تقديره للعلماء ومودته للأصدقاء والمغتربين من أهل الأندلس.

ومن حيث الأسلوب، فقد طغى عليه السجع الذى لا يعتريه تكلف ثقيل فى الغالب. وكان دقيقا فى التعبير مما يشعرك أنه ينفذ إلى الغرض مباشرة.

أهمية الرحلة.

أما أهمية هذه الرحلة فتظهر فى اعتماد المترجمين لعلماء القرن التاسع هـ ما ورد فيها عن الأعلام الذين اتصل بهم القلصادى، وذكر أحوالهم وأشار إلى قيمهم العلمية وإلى ما يدرسون من ضروب المعرفة وأنواع الكتب: فمن الذين أخذوا عن هذه الرحلة المقرى صاحب «نفح الطيب»، وأحمد بابا صاحب «نيل الابتهاج» وصاحب «كفاية المحتاج»، وابن مريم صاحب «البستان»، ومخلوف صاحب «شجرة النور الزكية»، وهم يذكرونها تارة باسم الرحلة وتارة باسم الفهرست.

وعندما يعرض أحمد بابا مؤلفات القلصادى ويعد منها الرحلة، يقول عنها: «رحلته الحاوية لشيوخه نيفا وعشرين رجلا أخبرنى بها بعض شيوخنا» (النيل / ٢١٠).

ولكننا نجد الرحلة تشتمل على ثلاثة وثلاثين رجلا أخذ عنهم القلصادى فى الأندلس قبل الشروع فى الرحلة وبعدها،

الصفحة الأولى والثانية من رحلة القلصادي الموجودة بمكتبة العالم الشيخ محمد المنوني بالرباط

وفى مراكز أخرى بالمغرب العربى وبلاد المشرق خلال الرحلة، ومنهم أربعة من شيوخ تلمسان حضر مجالسهم دون أن يقرأ عليهم بلفظه.

وهذه الرحلة تلقى أضواء ساطعة على مرحلة هامة فى حياة هذا العالم الذى ساهم فى إثراء رصيد الثقافة الإسلامية، وتعرفنا بجانب من نشاطه فى ميدان المعرفة وبصبغة علاقته ببعض العلماء والطلبة والصالحين من رجال عصره.

وهى معرفة لها أهميتها باعتبارها مستمدة من تحرير الرجل، وتمثل ترجمته الذاتية التى تكشف لنا عن ملامح شخصيته وتزيدنا اطلاعا عليها.

وهى معرفة تضىء طريق الباحثين وتمدهم بمعطيات تساعد على تقدير قيمة القلصادى و إبراز جوانب شخصيته.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن رحلة القلصادى تعد وثيقة من الوثائق التى تصور نشاط العلماء وطرقهم فى التدريس، والتعليم وكتبهم التى يتداولونها وفنون المعرفة التى يطرقونها، وآدابهم عند التلقى، وتفاوت مراتبهم فى درجات العلم، وحرصهم على الإسناد وسعيهم للحصول على الإجازة، ومكانتهم فى مجتمعاتهم ... تصور ذلك فى عصر القلصادى الذى كان عصر الانحدار السياسى للأندلس والعصر الذى عاش فيه نخبة من العلماء فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى يحافظون على السند العلمى، ويتعاونون على خدمة الثقافة الإسلامية.

(رحلة القلصادى لأبى الحسن على القلصادى الأندلسى ــ دراسة وتحقيق الشيخ محمد أبى الأجفان / ٧٠ ـ ٧٣).

*** الرحلة الكبرى:**

من المخطوطات النادرة المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط، وجاء بيانه كما يلى :

٢٦٥١ د ـ الرحلة الكبرى ـ للحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد السلام الناصرى المتوفى سنة ١٢٣٩ هـ.

وهى رحلته الأولى للحج سنة ١١٩٦ هـ.

نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى عن نسخة بخط المؤلف كتب فى آخرها : قوبلت على حسب الاستطاعة من مؤلفها فى الرابع من جمادى الأولى سنة ١٢٠٠ هـ وكتب محمد بن عبد السلام الناصرى.

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة فى المغرب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٧٤).

*** رحلة الكردى:**

من نوادر مخطوطات الجغرافيا فى مكتبة طلعت بدار الكتب المصرية، وجاء بيانه كما يلى :

رحلة الكردى، وهو أبو الفيض محمد طه بن يحيى بن سليمان بن محمد الكردى المولود سنة ١١٣٦ هـ فى قرية باليسان من بلاد الأكراد من أعمال بغداد.

أولها : الحمد للصانع البديع ... إلخ ضمنها تاريخ حياته وما شاهده فى بغداد ومكة والشام من البلاد، والبقاع الأثرية كالمساجد وما تلقاه من أخبار إخوانه فى الله، وتراجم من اجتمع بهم منهم إلى سنة ١٢٠٠ هـ.

نسخة بقلم معتاد فى ٧٩ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا.

(٤٨٠ جغرافيا).

(مجلة معهد المخطوطات العربية. القاهرة جـ ٢ م ٣ ربيع الثانى ١٣٧٧ هـ/ نوفمبر ١٩٥٧ / ٢١٩).

*** رحلة المحصلين:**

من ألقاب العلماء، ولفظه يدل على معناه، فالعلماء تشد إليهم الرحال لتحصيل العلم عنهم.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى. عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦ / ٤٩).

*** الرحلة المرصعة ببديع اللآل فى ترحال الشريف سيدى محمد الخمال:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى :

الرقم التسلسلى : ١٦٥١

لمحمد الفاطمى بن الحسين الصقلى الحسينى، المتوفى سنة ١٣١٠ هـ.

(دليل مؤرخ المغرب ٣٩٤) .

أوله : «الحمد لله الذى جعل زيارة الصالحين جالبة لخير الدنيا والدين ...

أما بعد ، فقد نص جماعة من العلماء ... على أن زيارة مطلق القبور مستحبة ... ولما كان من أعظم الناس فى الامتثال ... سيدى محمد العمرانى المدعو بالخمال ... فأراد أن يطوى مسافة البين ... » .

وآخره : «وهاهنا انتهى المقصود ، والله يقبله ويجازى عليه ...

آمين آمين لا أرضى بواحدة

حتى أضيف إليها ألف آمينا» .

نسخة كتبت بخط مغربى ، سنة ١٣٠١ هـ ، فى ٥١ ورقة ، ومسطرتها ١٥ سطرا ، ضمن مجموعة من ٩٧ ـ ١٩٧ .

[الرباط ٤٦٧ ك] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، جـ ٢ ق ٤ . القاهرة ١٩٧٠ / ١٩٢ ، ١٩٣) .

*** رحلة النابلسى إلى طرابلس الشام:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٤٧٦١

سماه التحفة النابلسية فى الرحلة الطرابلسية وهو على نسق الرحلات السابقة التى قام بها المؤلف ويغلب عليها طابع التصوف البحت .

المؤلف : أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الدمشقى النقشبندى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أولها : الحمد لله الذى يسر لنا المسير على أكمل تيسير ، وسهل لنا الطريق الوعر مع زيادة الوغر ... أما بعد فيقول ... قد اقتضت رحلتنا من دمشق الشام زيارة إخواننا من ذوى المجد والاحتشام إلى بلاد طرابلس المحروسة ...

آخرها : حتى وصلنا إلى مزار الشيخ أبى بكر بن قوام وقرأنا له الفاتحة وحمدنا الله على وصولنا بالسلامة إلى هذا المقام ثم صلينا هناك صلاة العصر ... حتى وصلنا إلى منزلنا بالقرب من الجامع الأموى فحمدنا الله على ما أنعم من الزيارة .

الخط نسخى واضح ، الحبر : أسود .

ق ٨٣ ، س ١٥ ، ٢١ × ١٦ سم ، كلمات السطر ٩ ، هامش ٥ ، ٣ سم .

ملاحظات : نسخة عادية ورقها جيد حديث .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٢٦٠ ، مقدمة التحفة النابلسية .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ .

طبعة الكتاب : بيروت سنة ١٩٧١ م بـ ١٣٢ ص بتحقيق هيربرت بوسه نشره المعهد الألمانى للدراسات الشرقية .

بعض نسخ الكتاب : برنستون تحت رقم ٣٣٩٥ (١١٢٢ هـ) عن نسخة المؤلف ٢ ـ المتحف البريطانى رقم ٢٢٧٥٣ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ــ وضع محمد رياض المالح ١ / ٦٠٤ ، ٦٠٥) .

انظر : الرحلة القدسية .

*** رحلة ناصر خسرو (سفر نامه):**

ناصر خسرو : ولد سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م فى قباديان ببلاد فارس من أسرة متوسطة الحال ، وشغل ناصر خسرو منصبا كبيرا فى الدولتين الغزنوية والسلجوقية . وكان واسع الاطلاع قرأ فى الديانات المختلفة وكاد يصل إلى درجة الإلحاد ، وظهرت آثار تلك المرحلة فى شعره فقد كان من أعظم شعراء الفرس . وانتهز خصومه فرصة الشك هذه وأخذوه ببعض أبيات قالها تنم عن الحيرة ورماه بعضهم بالكفر ، وحينما علم بالمذهب الفاطمى الذى روج له بعض دعاة مصر فى خراسان آثر أن يذهب إلى مصر عله يجد من الأجوبة ما تشفى غلته

أسباب القيام برحلاته :

رحل ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ، ومصر والجزيرة العربية فى القرن الخامس الهجرى . ويذكر أن الذى دفعه

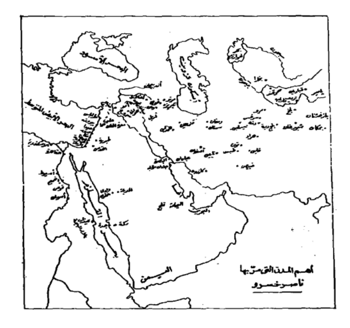
إلى رحلته هو ما قرأه من القرآن الكريم في سورتي محمد والفتح من قوله تعالى ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾[محمد: ٢٤] إذن ففي القرآن ما يفك كربته ويبدد الشك من نفسه إذا أمعن النظر فيه وتدبر معانيه. وحينما قرأ قوله تعالى: ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما** ﴾ [الفتح: ١٠] حينئذ بلغ به الحماس درجة جعلته يعزم الرحيل إلى حيث الشجرة التي بايع تحتها المؤمنون النبي ﷺ على أن يقاتلوا معه فلعل من سحر المكان ما ينفذ إلى نفسه الحائرة بالسكينة والأمن. ودعا ناصر خسرو ربه في يوم اقتران الرأس والمشتري لأنه كان يعتقد آنذاك أن الله يستجيب الدعاء في هذا اليوم. ولاحت لناصر بعض الشواهد التي زادت من يقينه بأن الله تعالى سيقضي حاجته. وفي هذه الحال النفسية، حال رجل ضال يبحث عن الهدى والسبيل إلى الحق أخذ ناصر يشرب الخمر شهرا كاملا حتى إذا كانت ذات ليلة رأى في المنام رجلا ينهره لأنه يدمن الشراب، فيناقشه ناصر ويدافع عن مسلكه وحجته في ذلك بأن الفيلسوف الحائر يجد في الخمر ونشوتها ما يخفف من همومه، وحجة صاحبه أن التسرية عن النفس لا تكون بفقدان الشعور وأن الفيلسوف لا يستطيع أن يكون هاديا للناس وهو فاقد لوعيه... ويسأل ناصر محدثه عن السبيل لهذه الزيارة فيشير المحدث إلى القبلة قائلا من جد وجد ثم ينصرف عنه، ويصحو ناصر من نومه ويتمثل الرؤيا كأنها حقيقة فيفيق من الخمار ويقول لنفسه إن عليه أن يفيق من غفلة أربعين عاما كما أفاق من سبات البارحة ويعتزم الرحلة إلى مكة إلى القبلة التي أشار إليها محدثه... ويذهب إلى مرو طالبا إعفاءه من الوظيفة ويعزم على الحج سنة ١٠٤٧ م.

غادر ناصر مدينة مرو مستصحبا أخاه أبا سعيد وغلاما هنديا، وبعد أن زار بيت المقدس قصد الحج ثم عاد إلى بيت المقدس وعزم على زيارة مصر على أن يذهب منها إلى مكة، واستمرت رحلته سبع سنوات زار فيها بلادا لم يكن في نيته أن يزورها ولم يكن مستعدا لمشاق هذه الرحلة الطويلة التي لاقى فيها صعوبات كثيرة وخصوصا في «فلج» الأفلاج حيث لبث فيها أربعة أشهر. وفي البصرة لاقى الأهوال فقد كانت ملابسهما هو وأخوه قد بليت ولم يبق منها إلا خرق مدلاة على جسدهما، وطال شعر رأسهما وباع الكتب التي كانت معه وذهب مع أخيه إلى الحمام ولكن الحمامي رفض إدخاله... وحسب أطفال الطريق أن بهما جنة فأخذوا يعدون وراءهما ويقذفونهما بالحجارة.

ولقد كتب ناصر خسرو حوادث رحلته يوما فيوما، ويتضح ذلك جليا من دقة أوصافه لبعض الأماكن كمسجد بيت المقدس. وكتب ناصر خسرو كتابه «سفر نامه» على الأرجح قبل سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦٠ م) وإن كانت بعض الأقوال ترجح أنه كتب بعد سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣م) (التراث الجغرافي في الإسلام/ ١٤٧-١٤٩).

وفي تصديره لكتاب «سفر نامه» يقول الدكتور عبد الوهاب عزام

ومن أقدم الرحلات المعروفة رحلة الشاعر الفارسي المتفلسف ناصر خسرو، وهي رحلة تقع حوادثها بين سنة ٤٣٧ وسنة ٤٤٤ هـ، فهي قبل رحلة ابن جبير بأكثر من مائة



سنة ويجول صاحبها فى بلاد إيران مبتدئا من مرو فى خراسان مارا بآذربيجان وأرمينية والشام وفلسطين ومصر والحجاز ونجد وجنوبى العراق، ثم يعود إلى إيران منتهيا إلى مدينة بلخ فى خراسان.

ولمصر من هذه الرحلة النصيب الأكبر، فقد أقام بها الرحالة أكثر من ثلاث سنوات ذهب أثناءها إلى الحجاز. وقد عنى بوصف ما شهد فيها أيام الفاطميين، وكان الرجل شيعيا فسره ما رأى من سلطان الفاطميين فى مصر فنشط للوصف والتسجيل.

قدم مصر من فلسطين وحج المرة الأولى من طريق القلزم وركب البحر إلى الجار على ساحل الحجاز وعاد من هذه الطريق. ثم فارق مصر إلى الحجاز من طريق أسوان وعيذاب وركب السفينة من عيذاب إلى جدة. فقد جاب مصر من مدينة تنيس فى بحر الروم إلى عيذاب على بحر القلزم.

ووصف مصر يشغل نحو ثلث الكتاب ما بين صفحة ٣٧ وصفحة ٧٤ ويجد فيه القارئ صفحات طريفة ممتعة، يجد أحيانا حقائق لا يظفر بها قارىء كتب التاريخ والرحلات.

انظر قوله عن دور القاهرة (ص ١٠٦).

«وكانت البيوت من النظافة والبهاء بحيث تقول إنها بنيت من الجواهر الثمينة لا من الجص والآجر والحجارة، وهى بعيدة بعضها عن بعض، فلا تنمو أشجار بيت على سور بيت آخر، ويستطيع كل مالك أن يعمل ما ينبغى لبيته فى كل وقت، من هدم أو إصلاح، دون أن يضايق جاره».

وعن مراحل الرحلة يقول الدكتور يحيى الخشاب وهو الذى ترجم الكتاب إلى العربية:

فى ضوء ما نشر من كتاب ناصر وخسرو نستطيع أن نقسم رحلته إلى مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى تبدأ بقيامه من مرو فى ربيع الآخر سنة ٤٣٧ (أكتوبر ١٠٤٥)، وتنتهى ببلوغه القاهرة فى ٧ صفر ٤٣٩ (٤ أغسطس ١٠٤٧).

والمرحلة الثانية إقامته فى مصر من ٧ صفر سنة ٤٣٩ (٤ أغسطس) إلى أواخر جمادى الثانى ٤٤٢ (أواخر أكتوبر ١٠٥٠).

والمرحلة الثالثة عودته إلى بلخ عن طريق الحجاز وفلج والحسا والبصرة وتبدأ منذ قيامه من مصر وتنتهى فى ٢٦ جمادى الآخر ٤٤٤ (٢٦ أكتوبر ١٠٥٢).

ويصف ناصر خسرو فى رحلته المسجد الأقصى وقبة الصخرة ومكة والمدينة ومدن فلسطين والشام ومصر، وقد أسهب ناصر خسرو فى وصف المسجد الحرام والكعبة، وشمل الوصف أطوال الكعبة وبابها ووصف الكعبة من الداخل، وبئر زمزم، كما أسهب فى وصف مصر والقاهرة مما يأتى فى مواضعه إن شاء الله تعالى.

وفى كلامه على القاهرة يذكر ترعة «الخليج» فيقول:

ويرى السائر، خارج المدينة، ناحية الغرب، ترعة كبيرة تسمى «الخليج» حفرها والد السلطان، وله على شاطئيها ثلاثمائة قرية. ويبتدئ «فم الخليج» من مدينة مصر ويمر بالقاهرة ويدور بها مارا أمام قصر السلطان. وقد شيد على رأسه قصران، أولهما «قصر اللؤلؤة» وثانيهما «قصر الجوهرة».

ثم يصف الاحتفال «بفتح الخليج» (أو «كسر الخليج» كما كان معروفا) فيقول:

حين يبلغ النيل الوفاء، أى من العاشر شهر يور (أغسطس وسبتمبر) إلى العشرين من آبان (أكتوبر ونوفمبر)، ويبلغ ارتفاع الماء عشرين ذراعا عن مستواه فى الشتاء، وتكون أفواه الترع والجداول مسدودة فى البلاد كلها، يحضر السلطان راكبا ليفتح هذا النهر الذى يسمى «الخليج»، والذى يبدأ قبل مدينة مصر ثم يمر بالقاهرة. وهو ملك خاص للسلطان. وفى ذلك اليوم (يوم ركوب السلطان لفتح الخليج) تفتح الخلجان والترع الأخرى فى الولايات كلها.

وهذا اليوم من أعظم الأعياد فى مصر، ويسمى «عيد ركوب فتح الخليج».

حينما يقترب هذا الموسم، يُنصب للسلطان على رأس

الخليج سرادق عظيم التكاليف من الديباج الرومى، وموشى كله بالذهب، ومكلل بالجواهر، ومعد أعظم إعداد، وهو من الكبر بحيث يتسع ظله لمائة فارس، وأمام هذا السرادق خيمة من البوقلمون وسرادق آخر كبير.

وقبل الاحتفال بثلاثة أيام يدقون الطبل وينفخون البوق ويضربون الكوس فى الاصطبل، لتألف الخيل هذه الأصوات.

ويسير فى ركاب السلطان عشرة آلاف فارس، على خيولهم سروج مذهبة، وأطواق وألجمة مرصعة ، وجميع لبد السروج من الديباج الرومى والبوقلمون، نسجت لهذا الغرض خاصة، فلم تفصل ولم تخط، وطرزت حواشيها باسم سلطان مصر، وعلى كل حصان درع أو جوشن ... وكذلك تسير جمال كثيرة عليها هوادج مزينة، وبغال عمارياتها (هوادجها) كلها مرصعة بالذهب والجواهر، وموشاة باللؤلؤ، وإن الكلام ليطول إذا ذكرت كل ما يكون فى يوم فتح الخليج.

فى ذلك اليوم. يخرج جيش السلطان كله، فرقة فرقة، وفوجا فوجا، ولكل جماعة اسم وكنية.

فرقة تسمى «الكتاميين». وهم من القيروان، أتوا فى خدمة لدين الله. وقيل إنهم عشرون ألف فارس.

وفرقة تسمى «الباطليين». وهم رجال من المغرب، دخلوا مصر قبل مجىء السلطان إليها. وقيل إنهم خمسة عشر ألف فارس.

وفرقة تسمى «المصامدة» . وهم سود من بلاد المصامدة قيل إنهم عشرون ألف رجل.

وفرقة تسمى «المشارقة». وهم ترك وعجم. وسبب هذه التسمية أن أصلهم ليس عربيا، ولو أن معظمهم ولد فى مصر، وقد اشتق اسمهم من الأصل، قيل إنهم عشرة آلاف رجل، وهم ضخام الجثة.

وفرقة تسمى «عبيد الشراء» وهم عبيد مشترون، . قيل إنهم ثلاثون ألف رجل.

وفرقة تسمى «البدو» وهم من أهل الحجاز، وكلهم يجيدون حرب الرماح، قيل إنهم خمسون ألف فارس.

وفرقة تسمى «الأستاذيين» كلهم خدم بيض وسود، اشْتُروا للخدمة، وهم ثلاثون ألف فارس.

وفرقة تسمى «السرائيين». وهم مشاة جاءوا من كل ولاية، لهم قائد خاص، يتولى رعايتهم، كل منهم يستعمل سلاح ولايته، وعددهم عشرة آلاف رجل.

وفرقة تسمى «الزنوج» يحاربون بالسيف وحده. قيل إنهم ثلاثون ألف رجل.

ونفقة هذا الجيش كله من مال السلطان، . ولكل جندى منه مرتب شهرى على قدر درجته، ولا يجبر على دفع دينار منها أحد الرعايا أو العمال. ولكن هؤلاء يسلمون للخزانة أموال ولايتهم سنة فسنة، وتصرف أرزاق الجند من الخزانة فى وقت معين، بحيث لا يرهق وال أو واحد من الرعية بمطالبة الجند.

(يقول القلقشندى فى صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤٧٨) فى كلامه عن طوائف الأجناد «وكانوا عدة كثيرة، تنسب كل طائفة منهم إلى من بقى من بقايا خليفة من الخلفاء الماضين منهم، كالحافظية والآمرية من بقايا الحافظ والآمر، أو إلى من بقى من بقايا وزير من الوزراء الماضين كالجيوشية والأفضلية من بقايا أمير الجيوش بدر الجمالى وولده الأفضل، أو إلى من هى منتسبة إليه فى الوقت الحاضر كالوزيرية، أو غير ذلك من القبائل والأجناس كالأتراك والأكراد والغز والديلم والمصامدة، أو من المستصنعين كالروم والفرنج والصقالبة، أو من السودان من عبيد الشراء، أو العتقاء وغيرهم من الطوائف، ولكل طائفة منهم قواد ومقدمون يحكمون عليهم»).

وهناك فرقة من أبناء الملوك والأمراء الذين جاءوا لمصر من أطراف العالم، ولا يعدون من الجيش، ومن بين هؤلاء أولاد خسرو دهلى، وقد أتت أمهم معهم، . وأولاد ملوك الكرك (جورجيا) وأبناء ملوك الديلم، وأبناء خاقان تركستان (من هنا نتبين البعثات التى كانت تفد على مصر للتوسع فى معرفة المذهب الفاطمى)

وكذلك وجد فى يوم فتح الخليج طبقات أخرى من

الرجال من ذوى الفضل والأدباء والشعراء والفقهاء ولكل منهم أرزاق معينة، ولا يقل رزق الواحد من أبناء الأمراء عن خمسمائة دينار وقد يبلغ الألفين، وليس لهم عمل إلا أن يذهبوا ليسلموا على الوزير حين يركب ثم يعودون.

والآن نعود إلى حديث فتح الخليج

فى اليوم الذى ذهب السلطان فى صباحه لفتح الخليج استأجروا عشرة آلاف رجل أمسك كل واحد منهم إحدى الجنائب التى ذكرتها، وساروا مائة مائة، وأمامهم الموسيقيون ينفخون البوق ويضربون الطبل والمزمار. وسار خلفهم فوج من الجيش. مشى هؤلاء من قصر السلطان حتى رأس الخليج، أتت الجمال وعليها المهود والمراقد، ومن بعدها البغال وعليها العماريات.

وقد ابتعد السلطان عن الجيش والجنائب، وهو شاب كامل الجسم، طاهر الصورة من أبناء أمير المؤمنين حسين بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهما. وكان حليق شعر الرأس، يركب على بغل ليس فى سرجه أو لجامه حلية، فليس عليه ذهب أو فضة، وقد ارتدى قميصا أبيض، عليه «فوطة» فضفاضة، كالتى تلبس فى بلاد المغرب (يقصد ما يلبس فى بلاد المغرب ويسمى الحرام)والتى تسمى فى بلاد العجم «دراعة» ، وقيل إن اسم هذا القميص «الديبقى» ، وإنه يساوى عشرة آلاف دينار.

(لعله يقصد «الديبقى» وهو نوع من الأقمشة الحريرية المزركشة التى كانت تصنع فى ديبق، وهى بلدة بمصر قديمة وكانت واقعة على بحيرة المنزلة بالقرب من تنيس وموضعها اليوم تل ديبق فى الشمال الشرقى لقرية صان الحجر. تعليقات النجوم الزاهرة ٤ / ٨١).

وكان على رأسه عمامة من لونه، ويمسك بيده سوطا ثمينا. وأمامه ثلثمائة راجل ديلمى، عليهم ثياب رومية مذهبة، وقد حزموا خصورهم، وأكمامهم واسعة كما يلبس رجال مصر. ومعهم النشاشيب والسهام، وقد عصبوا سيقانهم.

ويسير مع السلطان حامل المظلة، راكبا حصانا، وعلى رأسه عمامة مذهبة مرصعة، وعليه حلة قيمتها عشرة آلاف دينار ذهبى مغربى. والمظلة التى بيده ثمينة جدا، وهى مرصعة ومكللة، وليس مع السلطان فارس غير حامل المظلة، وقد سار أمامه الديالمة، وعلى يمينه ويساره جماعة من الخدم، يحملون المجامر ويحرقون العنبر والعود.

(والمظلة التى تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه هى قبة هيئة خيمة على رأس عمود كالمظلة التى يركب بها السلطان الآن، وكانت اثنى عشر شوزكا عرض سفل كل شوزك شبر، وطوله ثلاثة أذرع وثلث، وآخره من أعلاه دقيق للغاية، بحيث يجتمع الاثنا عشر شوزكا فى رأس عمود بدائرة وعمودها قنطارية من الزان ملبسة بأنابيب الذهب، وفى آخر أنبوبة ثلثى رأس العمود فلكة بارزة مقدار عرض إبهام تشد آخر الشوازك فى حلقة من ذهب، وتنزل رأس الرمح. ولها عندهم مكانة لعلوها رأس الخليفة وحاملها من أكبر الأمراء، وله عندهم التقدم والرفعة، لحمل ما يعلو رأس الخليفة. صبح الاعشى ٣ / ٤٦٩ ، ٤٧٩، طبعة دار الكتب الملكية)...

وجاء بعد السلطان الوزير مع قاضى القضاة وفوج كبير من أهل العلم وأركان الدولة. وقد ذهب السلطان إلى حيث ضرب الشراع على رأس سد الخليج أى فى النهر. وظل ممتطيا البغل تحت السرادق مدة ساعة، وبعد ذلك سلموه مزراقا ليضرب به السد. ثم عجل الرجال بهدمه بالمعاول والفؤوس والمخارف، فانساب الماء، وقد كان مرتفعا، وجرى دفعة واحدة فى الخليج.

فى هذا اليوم يخرج جميع سكان مصر والقاهرة للتفرج على فتح الخليج، وتجرى فيه أنواع الألعاب العجيبة.

وكان فى أول سفينة نزلت الخليج جماعة من الخرس يسمون بالفارسية «كدك ولال»، لعلهم يتفاءلون بنزولهم. ويجرى السلطان عليهم صدقاته فى هذا اليوم.

وكان لسلطان إحدى وعشرون سفينة، وقد عمل لها حوض خاص قرب القصر، فى اتساع ميدانين أو ثلاثة، وطول كل سفينة منها خمسون ذراعا وعرضها عشرون ذراعا، وكلها مزينة بالذهب والفضة والجواهر الديباج، ولو وصفتها

لسطرت أوراقا كثيرة، وهذه السفن كلها مربوطة في الحوض، معظم الوقت، كالبغال في الاصطبل

انظر مادة «الخليج المصرى» وشعر ابن الساعاتى فى كسر الخليج فى م ٦ / ٢٩٣ ـ ٢٩٥.

ويصف ناصر خسرو مدينة حلب فيقول:

ورأيت مدينة حلب فإذا هى جميلة، بها سور عظيم، . قست ارتفاعه فكان خمسا وعشرين ذراعا، وبها قلعة عظيمة مشيدة كلها على الصخر، ويمكن مقارنة حلب ببلخ وهى مدينة عامرة، أبنيتها متلاصقة. وفيها تحصل المكوس عما يمر بها من بلاد الشام والروم وديار بكر ومصر والعراق، ويذهب إليها التجار من جميع هذه البلاد. ولها أربعة أبواب، باب اليهود وباب الله وباب الجنان وباب أنطاكية. والوزن فى سوقها بالرطل الظاهرى وهو أربعمائة وثمانون درهما (هو الرطل الذى اعتمد فى مصر أيام الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ ـ ٤٢٧ هـ/ ١٠٢٠ ـ ١٠٣٥ م) وتقع مدينة حما جنوبى حلب بعشرين فرسخا، ومن بعدها حمص، ومن حلب إلى دمشق خمسون فرسخا وإلى أنطاكية اثنا عشر فرسخا، وإلى طرابلس كذلك، ويقال إن من حلب حتى القسطنطينية مائتى فرسخ.

وقال ناصر خسرو يصف جدة:

وجدة مدينة كبيرة لها سور حصين، تقع على شاطىء البحر، وبها خمسة آلاف رجل، وهى شمال البحر (الأحمر) وفيها أسواق جميلة، وقبلة مسجدها الجامع ناحية المشرق، وليس بخارجها عمارات أبدا، عدا المسجد المعروف بمسجد رسول الله ﷺ. ولها بوابتان إحداهما شرقية تؤدى إلى مكة، والثانية غربية تؤدى إلى البحر. ويبلغ السائر من جدة جنوبا على شاطئ البحر، اليمن ومدينة صعدة، والمسافة إلى هناك خمسون فرسخا. وإذا سار شمالا بلغ الجار وهى تابعة للحجاز. وليس فى جدة شجر ولا زرع، وكل ما يلزمها يحضرونه إليها من القرى. وبينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا، وأمير جدة تابع لأمير مكة تاج المعالى بن أبى الفتوح الذى هو أمير المدينة أيضا. وقد ذهبت إلى أمير جدة فأكرم وفادتى وأعفانى مما كان يجب علىَّ من المكس ولم يطلبه.

(هو تاج المعالى شكر بن أبى الفتوح حسن بن جعفر العلوى، من بنى موسى العلويين الذين حكموا مكة والمدينة منذ سنة ٣٥٠ / ٩٦١ وكان أبى المعالى آخرهم، وقد كان شاعرا ومحبا للأدباء ويذكر له ابن الأثير (ج ١٠ ص ١٢) قوله:

قوض خيامك عن أرض تضام بها
وجانب الذل إن الذل مجتنب
وارحل إذا كان فى الأوطان منقصة
فالمندل الرطب فى أوطانه حطب).

ويختتم ناصر خسرو رحلته أو «سفر نامه» بقوله حين بلغ بلخ فى ٢٦ أكتوبر ١٠٥٢ هـ:

وقد جاء أخى الخواجة أبو الفتح عبد الجليل إلى دستكرد عن طريق الصحراء، وكان ذاهبا مع الوزير إلى أمير خراسان. فلما سمع بأمرنا عاد من دستكرد، وانتظرنا على رأس قنطرة جموكيان إلى أن وصلنا. وكان هذا فى يوم السبت السادس والعشرين من جمادى الآخر سنة أربع وأربعين وأربعمائة (٢٦ أكتوبر ١٠٥٢). وقد التقينا، وفرحنا باللقاء وشكرنا الله سبحانه وتعالى، وذلك بعد أن فقدنا الأمل فى اللقاء. وبعد أن تعرضنا للتهلكة مرات حتى يئسنا من الحياة. وفى هذا التاريخ نفسه بلغنا بلخ. فقلت هذه الأبيات الثلاثة فى هذا المقام.

«فإن يكن تعب الدنيا وعناؤها طويلين، فشرها وخيرها لا محالة منتهيان».

«إن الفلك يتحرك من أجلنا ليل نهار، وكلما راح منه واحد تلاه آخر».

«إنا نروح ونغدو فى الحياة، إلى أن تحين الروحة التى لا عودة منها».

وتبلغ المسافة التى قطعناها من بلخ إلى مصر، ومن مصر إلى مكة، ومنها إلى فارس عن طريق البصرة ثم إلى بلخ، عدا الأطراف التى زرناها فى الطريق، ألفين ومائتين وعشرين فرسخا.

وقد وصفت بأمانة ما رأيت فى رحلتى. وأما ما سمعته، وكان عليه اعتراض، فلا ينسبه القراء إلىَّ ولا يؤاخذونى أو يلومونى عليه. وإن وفقنى الله سبحانه وتعالى وسافرت إلى المشرق، فسأضم وصف ما أشاهده هناك إلى هذه الرحلة إن شاء الله تعالى وحده العزيز، والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله وصحبه أجمعين (سفر نامه / ١٠٧ ـ ١١٣، ١٣٧، ١٧٩).

(التراث الجغرافى الإسلامى ـ د. محمد محمود محمدين / ١٤٧ ـ ١٤٩، وسفر نامه لناصر خسرو علوى ـ ترجمة د. يحيى الخشاب / ٢٦، ١٠٧ ـ ١١٣، ١٣٧، ١٧٩، وقد وضعنا تعليقات المترجم بين أقواس فى ثنايا النص).

*** رحلة الهروى:**

من الرحلات الزيارية (انظر مادة «الرحلات»).

الهروى صاحب هذه الرحلة (ـ ٦١١ هـ / ـ ١٢١٥ م) ترجم له الزركلى فقال عنه: على بن أبى بكر بن على الهروى، أبو الحسن، رحالة، مؤرخ، أصله من هراة، ومولده بالموصل. طاف البلاد، وتوفى بحلب. وكان له فيها رباط. قال المنذرى: كان يكتب على الحيطان، وقلما يخلو موضع مشهور من مدينة أو غيرها إلا وفيه خَطُّه، حتى ذكر بعض رؤساء الغزاة البحرية أنهم دخلوا فى البحر الملح إلى موضع وجدوا فى بره حائطا وعليه خطه.

من كتبه «الإشارات إلى معرفة الزيارات»، «التذكرة الهروية فى الحيل الحربية» (كلاهما مطبوع ويأتى الكلام على كل منهما فيما بعد إن شاء الله تعالى)، وكتاب «رحلته» مخطوط تمت كتابته سنة ٦٠٢ هـ (الأعلام ٤ / ٢٦٦).

يقول عنه الدكتور عبد الرحمن حميدة:

وقد قضى معظم حياته فى التجوال حتى لقب (بالسائح) ويذكر ابن خلكان عنه:

«لم يصل إلى موضع إلا كتب خطه فى حائطه».

وقد أشار إلى ذلك جعفر بن شمس الخلافة فى بيتين قالهما فى شخص يستجدى من الناس بأوراقه:

أوراق كديته فى بيت كل فتى ... على اتفاق معان واختلاف روى

قد طبق الأرض من سهل ومن جبل ... كأنه خط ذلك السائح الهروى

ولكن رحلاته لم تكن فى طلب العلم، كما لاحظنا ذلك لدى العديد من الجغرافيين المعروفين لنا، بل فى زيارة أضرحة الأولياء والمقامات الكثيرة التى سمع بها.

وقد استهل الهروى أسفاره من حلب، فكانت بلاد الشام أولى الأقطار التى زارها ووصفها، وقد حدث هذا بعد أعوام قليلة من زيارة ابن جبير وأقام بعضا من عامى ١١٧٣ ـ ١١٧٤ م بمدينة القدس التى كانت بأيدى الصليبيين، وهنا تظهر لنا فائدة اهتمامه بالنقوش فقد دون نقوشا ذات قيمة تاريخية كانت بمسجد عمر واختفت بعد ذلك.

وزار فيما بعد أضرحة الأولية وأشهر أماكن العبادة المعروفة فى العراق واليمن والحجاز ومصر وسورية وإيران والهند، فكان فى دمشق سنة ٥٦٨ هـ وفى الإسكندرية سنة ٥٧٠ هـ. ووصل أفريقية. فحمَّله القائد أبو القاسم بن حمود رسائل إلى صلاح الدين الأيوبى يطلب منه تجهيز حملة ضد صقلية التى سقطت بيد النورمان.

وزار أرجاء الدولة البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية فى زمن الإمبراطور عمانوئيل الأول من آل كومينين (١١٤٣ ـ ١١٨٠ م) ويروى أنه تحادث مع الإمبراطور المذكور. وسنحت له الفرصة فى صقلية أن يرى ثوران بركان أتنا عام ١١٧٥.

وهو وإن لم يزر الحبشة إلا أنه وصف الأماكن المشهورة فيها نقلا عن من زاروا تلك البلاد. والجانب الفريد فى مؤلف الهروى كتاب «الإشارات إلى معرفة الزيارات» وهو أشبه بمرشد للحجاج هو اعتماده على ذاكرته اعتمادا تاما أثناء تدوينه له، ذلك أن الجانب الأكبر من أوراق الهروى ومدوناته فُقِد فى أعقاب كارثة حلب بسفينته قرب عكا فى عام ١١٩٢. كما كان الهروى فى القافلة التى نهبها رتشارد قلب الأسد فى جنوب فلسطين فى السنة نفسها، فضاعت بقية وثائقه.

وطلب رتشارد الذى سمع بفضل الهروى ليقابله، فرفض لحنقه على ما انتابه على يد الصليبيين. ثم قصد دمشق فحلب حيث تمتع بنفوذ كبير لدى واليها الملك الظاهر بن صلاح الدين الأيوبى الذى شمله برعايته وشيد له الأمير مدرسة بظاهر حلب توفى بها، وقد رأى قبره ابن خلكان.

وتبدو أسفار الهروى أنموذجا حيا لتلك الرياضة الروحية التى سيطرت مع مرور الزمن على أعداد ومجتمعات كثيرة. ونظرا لأنه اتخذ فى تجواله سمة صوفى متسول فقد استطاع أن يحصل على ما يقيم أوده فى الطريق، ويقال: إنه كان يستغل أحيانا معرفته بالسحر (السيما) وجميع ضروب الخوارق.

ويعتبر عبد الكريم السمعانى (ولد عام ٥٠٦ هـ / ١١١٢م وتوفى ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م) والهروى كأستاذين لياقوت الحموى الذى نقل عنهما كثيرا.

ويشير الهروى إلى كتب أخرى من تأليفه مثل كتاب «منازل الأرض ذات الطول والعرض» و «الآثار والعجائب والأصنام» وله كتاب فى السياسة اسمه «التذكرة الهروية فى الحيل الحربية» (سبق ذكره) ضمنه ما يحتاج إليه الملوك فى سياسة الرعية، وما يعتمدون عليه فى الحرب، وما يدخرونه لدفع المشكلات وواجبات السلطان والوزراء والحجاب والولاة والقضاة وأرباب الديوان والجلساء والرسل، والحيلة فى إرسالهم، والجواسيس وأصحاب الأخبار وجمع المال والذخائر وآلة الحرب والحصون. ولهذا الكتاب نسخة خطية فى المكتبة الخديوية بالقاهرة (يأتى الكلام على طبعته فيما بعد إن شاء الله تعالى).

ويورد الدكتور عبد الرحمن حميدة ثلاثة نصوص مستلة من «كتاب الزيارات» للهروى ننقل منها النص الأول والنص الثالث فيما يلى:

النص الأول

يذكر الهروى فى مقدمة كتابه دواعى تأليفه «كتاب الزيارات» وكيف ابتدأها من حلب وضياع معظم وثائقه ومذكراته غرقا ونهبا على أيدى الصليبيين.

«الحمد لله حق حمده، وصلاته على خير خلقه، محمد الأمى وآله وصحبه، وشرَّف وكرَّم:

أما بعد، فإنه سألنى بعض الإخوان الصالحين والخلان الناصحين، أن أذكر له ما زرته من الزيارات، وما شاهدته من العجائب والأبنية والعمارات، وما رأيته من الأصنام والآثار والطلسمات فى الربع المسكون والقطر المعمور، ووقع الامتناع، إلى أن حصل لى الاجتماع، برسول وفد الديوان العزيز (من ديوان الخلافة العباسية ببغداد) شرفه الله وعظمه ـ وتبركنا بزيارته، واستسعدنا برؤيته، إذ كان قدومه من دار السلام، وقبة الإسلام، ومقر الإمام عليه السلام، وذكر الشيخ الرسول زيارات زارها بالشام وأرض بعلبك، وذكر بعض الحاضرين قبور بعض الأنبياء عليهم السلام، وقد اختلف فى صحة ذلك.

فوقع ابتداء ذكر الزيارات ابتداء من مدينة حلب، وكان الواجب أن نبتدىء بذكر مدينة السلام ـ حرسها الله تعالى ـ إذ بها إمام المسلمين، وخليفة الموحدين، وأمير المؤمنين، وابن عم سيد المرسلين، الإمام أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين ابن الإمام المستضىء بأمر الله ... الذى رفع المظالم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأقام حدود الله، وأحيا سُنة رسول الله ... إلا أننا أخرنا ذكر زيارات مدينة السلام، لنجعلها مفتاحا إلى ذكر زيارات الحرمين الشريفين المعظمين مكة والمدينة حرسهما الله تعالى.

وقد اختصرت ما حضرنى على سبيل الإيجاز... وإن جرى فيما أذكره شىء بطريق السهو والغلط ولا بطريق القصد، فأسأل الناظر فيه والواقف عليه الصفح وإصلاح الخطأ وإيضاح الحق، فإن كتبى أخذها الأنكتار (هو رتشارد قلب الأسد) ملك الفرنج، ورغب فى وصولى إليه، فلم يمكن ذلك، ومنها ما غرق فى البحر، وقد زرت أماكن ودخلت بلادا من سنين كثيرة، وقد نسيت أكثر ما رأيته، وشذ عنى أكثر ما عاينته، وهذا مقام لا يدركه أحد من الزهاد والسائحين، ولا يصل إليه أكثر المسافرين والعباد إلا رجل جال الأرض بقدمه وأثبت ما ذكرته بقلبه وبقلمه.

وها أنا أبتدئ بذكر الزيارات من مدينة حلب وأعمالها، والبلاد التى تليها، ثم أذكر الشام بأسرها، والساحل بأسره، وبلاد الفرنج، وفلسطين والأرض المقدسة، وجميع زيارات البيت المقدس، ومدينة الخليل عليه السلام، وديار مصر بأسرها، والصعيدين والبلاد البحرية، والمغرب، وجزائر البحر، وبلاد الروم، وجزيرة ابن عمر، وديار بكر، والعراق بأسرها، وأطراف الهند، والحرمين الشريفين مكة والمدينة ـ حرسهما الله تعالى ـ واليمن وبلاد العجم، مع أنه لم يدخل بلاد العجم والمغرب نبى، بل بهما من الصالحين والأبدال والأولياء والعلماء، ما لو جُمِع لكان كثيرا.

وهذا الكتاب مقتصر على ذكر الزيارات، وأما ذكر الأبنية والآثار والعجائب والأصنام، فلها كتاب مفرد غير هذا، ولا بد أن نذكر ههنا طرفا مما يليق بهذا الكتاب إن شاء الله تعالى».

النص الثالث

بلد الخابور

يتكلم الهروى عن بعض قرى ومدن نهر الخابور ويبين حب الجهاد السائد بين الناس وتفضيلهم إياه على العبادة والورع.

«مدينة عَرَبان بها قبر هانئ من الصحابة رضى الله عنهم.

مدينة قرقيسيا بها مشهد فيه كف على بن أبى طالب رضى الله عنه، وبها قبر جرير بن عبد الله البجلى واختلف فيه.

القَعْف قرية من بلد الخابور، قبليها جبل مرد، به مشهد الرامس، يقال عمَّره أحد العُمَرين، والله أعلم بالصحيح وفضيلته ظاهرة.

مدينة الرحبة بها قبر عبد الله بن المبارك، وقيل: إنه مات بهيت، وهو الذى كتب له الفضيل بن عياض الأبيات المشهورة، وكان بينهما أخوة فى الله تعالى، وكان الفضيل قد لزم العبادة بحرم مكة، وابن المبارك قد لزم الجهاد والرباط بأرض الشام والأبيات هذه:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك فى العبادة تلعبُ
من كان يتعب خيله فى باطل
فخيولنا يوم الكريهة تتعبُ
أو كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضبُ
ريحُ العبير لكم ونحن عبيرنا
وهج السنابك والغبار الأشهبُ
ولقد أتانا عن مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى وغبار خيل الله فى
أنف أمرئ ودخان نار تُلْهبُ

فلما بلغته الأبيات بكى الفضيل وقال: «صدق أخى ونصحنى».

وبظاهر الرحبة مشهد البوق، وهو موضع كان على بن أبى طالب نازلا به لما توجه إلى قتال معاوية. وبها مشهد، يانس ولؤلؤ، صاحبى أبى محمد البطال كما ذكروا. وبهذا المشهد عظم الفخذ لبعض الجبابرة طوله مقدار ثلاثة أذرع، وعرضه مقدار شبر، وقيل: وزنه خمسة وثلاثون رطلا بالرحبى، كما ذكروا والله أعلم. وذكر بعض العلماء أن الرحبة لم يكن لها أثر، وإنما أحدثها مالك بن طوق، وليس بصحيح، وإنما الرحبة بناها النمرود بن كوش، وهى مدينة مذكورة فى التوراة فى السفر الأول فى الجزء الثانى والله أعلم.

مدينة الأنبار بها الإمام السفاح ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنه، وبها ربيعة بن عبد الرحمن الرأى، والله أعلم» (أعلام الجغرافين العرب / ٤٨٢ ـ ٤٨٨).

وفيما يلى بيان ما طبع من مؤلفات الهروى كما أوردها المعجم الشامل:

١ ـ الإشارات إلى معرفة الزيارات:

ـ تحقيق جانين سورديل، دمشق، المعهد الفرنسى

للدراسات العربية، بيروت. المطبعة الكاثوليكية، ١٣٥٤ هـ / ١٩٥٣ م.

١٧٥ ص، ٢ م ٢٩ ص، ف ٤١ ص: الأعـــــلام والأمكنة، المحتوى، تصويبات

٢ ـ التذكرة الهروية فى الحيل الحربية:

ـ تحقيق جانين سورديل، دمشق، مجلة المعهد الفرنسى للدراسات العربية، الجزء السابع عشر، ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ م.

٦٤ ص (٢٠٥ ـ ٢٦٨)، ف ١٢ ص

ـ تحقيق مطيع مرابط، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٢ م، ١٥٠ ص (المعجم الشامل ٥ / ٢٩١).

قالت المؤلفة طبعة كتاب «التذكرة الهروية فى الحيل الحربية» التى عندى ناشرها مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة وهى بدون تاريخ. وقد أوردنا هذا الكتاب تحت عنوانه فى حرف التاء فى م ٩ / ١٩٤، ١٩٥ اهـ.

(الأعلام للزركلى ٤ / ٢٦٦، وأعلام الجغرافيين العرب ـ د. عبد الرحمن حميدة/ ٤٨٢ ـ ٤٨٨، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٥ / ٢٩١).

***رحلة الوقت:**

من ألقاب العلماء، فقد يكون العالم وحيدا فى وقته وفى عصره فتشاد إليه الرحال للاستزادة من علمه.

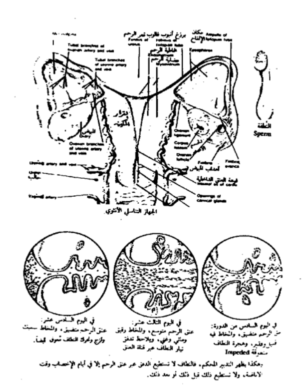
(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٥٨ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦ / ٤٩).

***الرَّحِم:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى الطب. ويتناول وصفه التشريحى ويذكر أمراضه العالم ابن رشد فى «كلياته» مما ننقله فيما يلى.

قال رحمه الله فى هيئة الرحم.

الرحم موضوعة فيما بين المثانة والمعى المستقيم إلا أنها تفضل على المثانة إلى ناحية فوق، وهى مربوطة برباطات سلسة، وهى فى نفسها عصبية يمكن فيها أن تمتد، وتتسع، وتتضم، وتتقلص، ولها بطنان ينتهيان إلى فم واحد، وفى كل



وهكذا يظهر التدبير المحكم، فالنطاف لا تستطيع الدخول عبر عنق الرحم إلا في أيام الإخصاب وقت الاباضة، ولا تستطيع ذلك قبل ذلك أو بعد ذلك.

واحد من البطْنين مواضع مقعرة يقال لها: النقر، وهى أفواه العروق التى يصير فيها دم الطمث إلى الرحم، وللرحم زائدتان تسميان قرنى الرحم... وفم الرحم من البكر مغضنة وقد نشأت فيما بين تلك الغضون عروق دقاق، وهو ذو طبقة واحدة مؤلفة من ليفين: أحدهما ذاهب بالطول وهو أقل ما فيه. والآخر ذاهب بالعرض (الكليات/ ٤٢).

ثم يقول فى الأرحام:

وأما الأرحام فلما كانت خلقتها لمكان الولادة مع أنه صحب ذلك إن كانت سبيلا لفضول الهضم الثانى كانت الأعراض اللاحقة لها داخلة على هذه الأفعال أنفسها، والرحم كما قيل فيها الأربع قوى الهاضمة، وإن شئت سميتها الحافظة فهو أليق بها، ولهذا ما ليس يظهر فيها فعل القوة المميزة إذ كان لا يظن أنها تغتذى بما تحتوى عليه، وإن كان فى هذا موضع شك.

وأما الجاذبية والدافعة والماسكة فأمرها فيها بيِّن فنبتدئ فلنخبر بذكر الأعراض الداخلة على واحد واحد من هذه القوى فنقول: أما القوة الحافظة التى فيها للجنين فإنها متى



عناية الرحمن وهدايته ترافق الجنين رغم الظلمات الشديدة التي تحيط به وهو في رحم أمه، في الأسبوع الحادي عشر.

يلاحظ بدء التشكل الإنساني، وكبر حجم الرأس نسبةً للجذع والأطراف. في هذا الوقت يمر الجنين في أدق وأخطر مراحله، هي مرحلة التخلق حيث يتم فيها تمايز الأجهزة والأعضاء المختلفة.

ضعفت أو بطلت كان عن ذلك إما قلة الحمل، وإما ألا تحمل المرأة أصلا، وسبب هذا يكون ضرورة أحد أصناف سوء المزاج المادى، وغير المادى إلا أن غير المادى منه ما هو فى أصل الخلقة، وهذا يسمى عقرا، ومنه ما هو طارئ...

وأما إذا ضعفت القوة الماسكة فيه فإنها تكون سببا للإسقاط، والسبب أكثر ذلك فى ضعف هذه القوة هى رطوبة مزلقة.

وأما القوة الدافعة فيه فإن ضعفها يكون سببا لعسر الطلق كما أن إفراطها فى الدفع يكون سببا للإسقاط، والقوة الجاذبة فى هذا العضو قد تكون سببا لعسر الحمل أو لعدمه، وذلك إذا تعطل فعلها أو نقص، وقد تختل جميع هذه القوى فى الرحم من الأورام التى تصيبها، ومن المرض المعروف باختناق الرحم، وهذا المرض ليس يضر بأفعال الرحم فقط بل وبأفعال سائر الأعضاء، وذلك أن سبب هذا المرض إنما هو عن تولد خلط سمى يتكون فى هذا العضو، فيترقى منه بخار مضاد بصورته للحرارة الغريزية، على جهة ما تضادها السموم، فيعترى عن ذلك تعطل أفعال الحياة حتى لا يكاد فى تلك الحال أن يحس للقلب نبض...

وليس يمتنع فى الأبدان الرديئة أن يتولد فى أعضاء منها أخلاط تشبه السموم فى جواهرها وبخاصة فى هذا العضو لكونه مغيضا لفضول البدن التى هى أكثر شيء استعدادا لقبول العفونة ولذلك رأى بعضهم أن هذه العلة قد تعرض عن امتناع درور الطمث، ولكون هذا العضو مغيضا لهذه الفضيلة كان كثيرا ما يصيبه التآكل فيعسر برؤه أو لا يمكن، وهذا العضو يصيبه من أمراض الوضع المبطلة لجميع أفعاله، أنه يسترخى حتى يخرج عن موضعه، ويتعلق، وهذا قد يكون سببه الأشياء التى من خراج كالطفر والولادة، . وقد يكون سبب رطوبة لزجة، وقد يجتمع الأمران جميعا، ومما يعوق الرحم عن الحمل العلة المعروفة بالرحى، وهذه العلة تعرض عن تقصير القوة المصورة التى فى المنى، وذلك إما فساد الآلة، وإما من فساد الهيولى فيتولد فى الرحم بضعة لحم ويعرض للمرأة أن يكون بطنها شبيها ببطن الحبلى حتى ترمى بتلك البضعة، وقد تنضجها الطبيعة إلى رطوبات ورياح.

وأما الأعراض التى تلحق دم الطمث فالفاعلة لها هى الأعراض التى تلحق القوى التى فى هضم العروق، وذلك أن أفراط خروج هذا الدم، إنما يكون سببه أحد أمرين: إما ضعف القوة الماسكة، وإما إفراط دفع الدافعة، وإما كلاهما.

أما السبب فى ضعف القوة الماسكة فهو أحد أصناف سوء المزاج، وأما السبب فى إفراط القوة الدافعة فهو إما خلط لذاع، وإما الكثرة وأسباب امتساك هذا الدم هى أضداد هذه الأسباب بعينها إلا أن أحد ما تضعف به القوة الدافعة أو يتعطل فعلها فى هذا العرض هى السُّدد الحادثة عن غلظ الدم ولزوجته.

والطمث الطبيعى فى النساء أقل زمانه يكون يوما، وأكثر زمانه سبعة أيام، والطهر المتخلل بين الحيض أقل زمانه عشرون يوما وأطوله ثلاثون يوما (الكليات/ ١٢٤ـ١٢٦).

ثم يقول ابن رشد عن أمراض الرحم:

والرحم تصيبها الأمراض المشتركة من أصناف سوء المزاج وتصيبها الأورام، وعلامة ذلك الوجع الناخس، والنبض

المنشارى لكونها عضوا عصبيا، والحمى لكونها عضوا رئيسيا، ومما يخصها من الأمراض العلة المعروفة بالرحى، وهذه العلة تصعب التفرقة بينها وبين الحمل فى أول الأمر إذ كان يشملهما من الأعراض استمساك الطمث، وانتفاخ البطن، والعلامة القاطعة فى ذلك أن يمر للمرأة زمان فى مثله يتحرك الجنين فلا تحس فى بطنها حركة ... وربما أحسست بحركة فيظن بها أنها حامل، وإنما هى حركة الريح المتولدة هنالك، وربما بقى بها ذلك سنين إلى أن تلد بضعة (مضغة) أو تنفصل عنها، وربما أقامت بها إلى الموت، ومن العلل الخاصة بالرحم العلة التى تعرف باختناق الرحم، وذلك أنه تعترى فى النساء من فساد الطمث الذى يكون فى الرحم شىء شبيه بالغشى ينقطع به التنفس ويبطل الحس، ولا يحس لها إلا نبض ضعيف.

والرحم كثيرا ما تصيبها الصلابة، وذلك إما لأورام جاسية حادثة بها من أول الأمر، وإما عقب أورام حارة، ومن هذا الجنس العلة التى تعرف بانقباب فم الرحم أعنى أنه بقية ورم يصلب به فم الرحم، فأما أصناف سوء المزاج الحادث بالرحم فيستدل عليها إذا كانت مادية بما يسيل من الرحم، وأما إذا كانت غير مادية فيستدل عليها بالجفون التى تكون فيها، وبالجملة الدلائل التى تدل على المزاج العام أحد ما يستدل به على مزاج الرحم، ومن هنا يمكن أن تقف على الأسباب الفاعلة للعفن فيه (الكليات فى الطب / ٤٢، ١٢٤ ـ ١٢٦، ٢١٣، ٢١٤).

عتبة تقلص الرحم مرتفعة
عتبة تقلص الرحم منخفضة
تأثير الـ Oxytocin
بروجسترون
بروستاغلاندين
أثناء الحمل
بدأ تأثير الـ Oxytocin
بروجسترون
بروستاغلاندين
أثناء المخاض

وعن وصف القرآن للرحم «بالقرار المكين» فى الآية ١٣ من سورة المؤمنون جاء هذا الشرح للدكتور الحاج محمد وصفى:

قال تعالى: ﴿ ثم جعلنٰه نطفة فى قرار مكين ﴾ [المؤمنون: ١٣] والقرار: المستقر. والمراد: الرحم، وسترى فيما يلى كيف سمى الله تعالى الرحم بالقرار المكين، وكيف جعله موطنا للجنين، وكيف هيأه لهذا الاستيطان. فلقد شاء الله تعالى أن يجعل من الذكر والأنثى وسيلة لإيجاد بنى آدم، وشاء أن يمر الإنسان بطور خاص من أطوار حياته الدنيا، يكون فيه جنينا، ينمو فى مكان هادئ آمن، يتناسب وحالته الثانية، فجعل للأنثى رحما وزوده بكل وسائل الراحة والاطمئنان، ووضعه فى أحسن مكان، وأحاطه بأركان عظيمة، وأربطة مفصلية متينة حتى يصبح بعيدا عن جميع المؤثرات الخارجية.

والرحم يقع خلف المثانة وأمام المستقيم، وهو كيس عضلى كمثرى الشكل، يبلغ طوله سبع سنتيمترات، وعرضه خمس سنتيمترات، وسمكه نحو سنتيمترين ونصف.

وينقسم الرحم إلى ثلاثة أقسام: فأما الأول، فيسمى بالقاع، وهو الجزء العلوى منه، ويتجه نحو الأمام، والثانى وهو جسم الرحم، وله سطح محدب، خاصة من الناحية الخلفية، وهو ضيق من الجهة السفلية، حيث يتصل بالجزء الثالث، وهو العُنُق،

ويتكون جسم الرحم من نسيج عضلى غير إرادى سميك، يمكن تقسيمه إلى ثلاث طبقات: فالطبقتان الخارجية والداخلية رقيقتان وبعض أليافهما مرتبة طوليا، والبعض الآخر دائريا. والطبقة الوسطى سميكة، وأليافها تأخذ اتجاهات مختلفة، وتحتوى هذه الطبقة على أكبر الأوعية الدموية، ويمتد بعض ألياف الطبقة الداخلية إلى داخل أجزاء الغشاء المخاطى المبطن للرحم.

ويتكون هذا الأخير من نسيج ضام، يحتوى على عدد كبير من الخلايا ذات الشكل المغزلى، ويحده من الداخل، فى بعض الأجزاء، بشرة هدبية، ويحتوى الغشاء المخاطى

على غُدد أسطوانية طويلة، بسيطة الشكل، تتخذ شكلا منى منحنيا معرجا فى مرورها وسط هذا الغشاء، وله إفراز قلوى خاص.

ويغطى الرحم من الخارج الغشاء البريتونى، وهذا يمتد من الخلف حول القاع والجسم والجزء العنقى المطل على المهبل، حتى يصل إلى التجويف المهبلى الخلفى.

وأما عنق الرحم، فيبلغ طوله نحو سنتيمترين ونصف، وجزؤه الأسفل بارز فى المهبل : والعنق الظاهر مغطى كذلك بغشاء مخاطى وتفتح فيه قنوات كثيرة أكثر تعقيدا من غدد الرحم، تحدها من الداخل خلايا عمودية تفرز مادة مخاطيه.

وبقرب العنق تصبح البشرة المخاطية عديمة الأهداب. وتعدد طبقاتها عند حافته. والغشاء المخاطى يحتوى على عدد كبير من الأوعية الدموية الكبيرة والأوعية اللمفاوية.

والرحم هو المكان المعد لحفظ الجنين وهو مهيأ بجميع وسائل التغذية، ومحصَّنٌ تحصينا محكما. ولقد جعل الله تعالى لحفظه صندوقا عظيما متينا هو الحوض.

والحوض عبارة عن حزام عظيم، يقع معترضا فى نهاية العمود الفقرى، محمولا على عظمتى الفخذين، ويتركب من أربعة عظام، هى العظمان اللذان لا اسم لهما، والعجز، والعصعص، ويتركب كل من العظمين اللذين لا اسم لهما من الحرقفة، والورك، والعانة، والعظم الأول أكبرها، ويقع على الجانبين، والثانى يتلو الحرقفة فى الحجم، ويؤلف الجزء الخلفى من أرضية الحوض والعظم الثالث أصغرها، ويكون مقدمة الحوض.

والعظام الأربعة الأولى، تتصل ببعضها اتصالا محكما، فكل من العظمين اللذين لا اسم لهما يتصل عند المفاصل العجزية الحرقفية، ويتصل العجز بآخر عظمة قطنية عند المفصل العجزى القطنى، ويتصل بالعظمين اللذين لا اسم لهما عند المفاصل العجزية الحرقفية، وبالعُصْعُص عند المفصل العجزى العصعصى، والعصعص لا يتصل إلا بالعجز.

والمفاصل المذكورة صلبة عادة، ولكن من حكمة الله تعالى أنها عند أواخر الحمل، تلين أربطتها، فتسمح بحركات بسيطة لها أهمية خاصة لا يستهان بها، ولا يستغنى عنها وقت الولادة فالعجز يدور إلى الأمام والخلف، كما لو كان محوره هو المفصل العجزى الحرقفى، وعند الولادة عند نزول رأس الجنين، يسقط الأخير على أعلى العجز، فيدفعه إلى الخلف قليلا وبمجرد نزول الرأس يرجع أعلى العجز إلى مكانه الأول. وبعد ذلك يتحرك إلى الأمام قليلا، وتسحب رأس الجنين القطع السفلى عند نزولها إلى الخلف، ويستطيع العُصعُص هو الآخر التحرك إلى الخلف على المفصل العَجُزى العصعصى، وبذلك تكبر دائرة الخروج الأمامية الخلفية بما يقرب من ثلاثة أرباع البوصة، هذا بجانب ما يستطيعه عظم العانة من الانفصال عند ملتقاهما.

ولا يخفى أن المفاصل تربطها جميعا أربطة خاصة، متينة التركيب، محكمة الوضع، تجعل من عظام الحوض المختلفة صندوقا محكما، ذا أسقف وأرضية وجدران. ولا يفوتنى أن أذكر أن هنالك الرباط العجزى الوركى، الذى هو عبارة عن غشاء ليفى مفرطح، يتم به التجويف الحوضى من كل الجانبين.

وهكذا جهَّز سبحانه وتعالى رحم المرأة بكافة أسباب الراحة والوقاية، وأعده لحفظ الجنين من أول نشأته، من نطفة إلى أن يلفظه الرحم فى تاسع شهر قمرى، من ابتداء تكوينه، ولو شئت أن أذكر الوسائل التى أعدها سبحانه وتعالى، لتغذية الجنين، وحفظ حياته، لطال الشرح. ولكننى أظن أننى بما ذكرت أعطيت القارئ كرة عامة وافية، وصورة دقيقة مصغرة، لما عناه الخالق الكريم بقوله: **﴿فى قرار مكين﴾** [المؤمنون: ١٣] قال تعالى: **﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهتكم﴾** [النجم: ٣٢] (القرآن والطب / ٤١ ـ ٤٤).

وبالإضافة إلى هذا جاء الشرح التالى «للظلمات الثلاثة» [الزمر: ٦] و«القرار المكين» و«القدر المعلوم» [المرسلات: ٢١، ٢٢] للدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز:

الظلمات الثلاث:

قال تعالى: ﴿ **يخلقكم فى بطون أمهٰتكم خلقا من بعد خلق فى ظُلمٰت ثلٰث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون**﴾ [الزمر: ٦] فى الوقت الذى تتعرض فيه الخلايا المضغية للأطوار التى ذكرناها، يكون هناك ما يسمى بالخلايا المغذية التى تأخذ على عاتقها تأمين الغذاء والهواء لحصول الحمل، ثم يتشكل منها ملحقات الجنين والتى منها، هذه الأغشية الثلاثة التى تحيط ببعضها وهى من الداخل إلى الخارج:

١ ـ الغشاء الأمنيوسى: Amniotic membrane وهو يحيط بالجوف الأمنيوسى المملوء بالسائل الأمنيوسى، الذى يسبح فيه الجنين بشكل حر.

٢ ـ الغشاء الكوريونى Chorionec membrane ، الذى تصدر عنه الزغابات الكوريونية التى تنغرس فى مخاطية الرحم.

٣ ـ الغشاء الساقط Disidua memb، وهو عبارة عن مخاطية الرحم السطحية بعد عملية التعشيش ونمو محصول الحمل، وسمى بالساقط لأنه يسقط مع الجنين عند الولادة.

وبالنظر إلى الآية السابقة: ﴿**يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاثة**﴾. واستنادا إلى المعطيات العلمية التى ذكرناها حول الأغشية الثلاثة. نجد أنفسنا مرة أخرى أمام إعجاز قرآنى جديد، إذ أشارت الآية الكريمة لأغشية الجنين الثلاثة بتصوير واقعى لجو الظلمة المحيطة بالجنين، فما أسميناه بالغشاء أسماه القرآن بالظلمة: ظلمة الغشاء الأمنيوسى، وظلمة الغشاء الكوريونى، وظلمه الغشاء الساقط.

(وردت تفسيرات عديدة حول الظلمات الثلاث: فيعتبرها الدكتور محمد وصفى: ظلمة الخصية وظلمة المبيض، وظلمة الرحم، وفى كتاب «القرآن محاولة لفهم عصرى» لمؤلفه مصطفى محمود ورد تفسير للظلمات بأنها ظلمة البطن والرحم وظلمة الغشاء الأمنيوسى. والواقع أن ما يجعلنا نستبعد هذين التفسيرين هو صريح الآية الكريمة التى تحصر الظلمات الثلاث على أنها داخل البطن وهكذا فلا يعتبر البطن من الظلمات، كما لا يعتبر الخصية منها لأنها خارج البطن أيضا).

وشىء آخر فى الآية الكريمة هو تبيانها أن عملية الخلق تتم على أطوار متلاحقة داخل هذه الظلمات الثلاث: ﴿ **خلقا من بعد خلق فى ظلمٰت ثلٰث**﴾.

قرار مكين وقدر معلوم:

قال تعالى فى سورة المرسلات: ﴿ **ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلنٰه فى قرار مكين * إلى قدر معلوم * فقدرنا فنعم القٰدرون * ويل يومئذ للمكذبين**﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢٤]

بهذا الأسلوب المعجز يشير تعالى إلى حقيقتين علميتين ثابتتين ليس فى علم الأجنة فقط، وإنما فى علم التشريح والغريزة أيضا. الحقيقة الأولى: هى وصف الآيات للرحم بالقرار المكين. والحقيقة الثانية: إشارتها إلى عمر الحمل الثابت تقريبا، أو ما أسماه القرآن: القدر المعلوم، وكأنى بالقرآن الكريم عندما أشار لهاتين النقطتين، إنما يتحدى علماء الأرض على مدار التاريخ، ويدعوهم للبحث والتأمل بهما لما تحتويان من الأسرار كما سنرى فى تفصيلنا لهما، إن شاء الله.

القرار المكين: ﴿**ولقد خلقنا الإنسٰن من سلٰلة من طين * ثم جعلنٰه نطفة فى قرار مكين**﴾ [المؤمنون: ١٢، ١٣].

نطفة ... نطفة ضعيفة لا ترى إلا بعد تكبيرها مئات المرات، جعلها الله فى هذا القرار، فتكاثرت وتخلقت حتى أعطت هذا البناء العظيم، وخلال هذه المرحلة كانت تنعم بكل ما تتطلبه من الغذاء والماء والأكسجين، فى مسكن أمين ومنيع ومريح، وتحت حماية مشددة من أى طارىء داخلى أو خارجى. حقا إن هذا الرحم لقرار مكين. ولكن كيف ذلك؟!!

القصة شيقة وممتعة لا يملك من يطالعها إلا أن يسبِّح الخالق العظيم وهو يرى تعاضد الآليات المختلفة:

التشريحية، والهرمونية، والميكانيكية، وتبادلها في كل مرحلة من مراحل تطور الجنين، لتجعل من الرحم دائما قرارا مكينا.

فتشريحيا: ١ ـ تقع الرحم في الحوض بين المثانة من الأمام والمستقيم من الخلف وتتألف من ثلاثة أقسام تشريحية هي: الجسم والعنق والمنطقة الواصلة بينهما وتسمى المضيق.

٢ ـ يحيط بالرحم جدار عظمي قوي جدا، يسمى الحوض، ويتألف الحوض من مجموعة عظام سميكة هي العجز والعصعص من الخلف، والعظمين الحرقفيين من الجانبين ويمتدان ليلتحما في الأمام على شكل عظم العانة، هذا البناء العظمي المتين لا يقوم بحماية الرحم من الرضوض والضغوط الخارجية من الجوانب كافة فحسب، وإنما يطلب منه أن يكون ببناء وترتيب تشريحي يرضى عنه الجنين، بحيث يكون ملائما لنموه، متناسبا مع حجمه وشكله، وأن يسمح له عندما يكتمل نموه ويكبر آلاف المرات بالخروج والمرور عبر فتحته السفلية إلى عالم النور، وبشكل سهل. فأي اضطراب في شكل الحوض أو حجمه قد يجعل الولادة صعبة أو مستحيلة، وعندها يلزم شق البطن لاستخراج الوليد بعملية جراحية تسمى القيصرية.

٣ ـ أربطة الرحم: هناك أربطة تمتد من أجزاء الرحم المختلفة لترتبط بعظام الحوض أو جدار البطن تسمى الأربطة الرحمية تقوم بحمل الرحم، وتحافظ على وضعيته الخاصة الملائمة للحمل والوضع، حيث يكون كَهَرَم مقلوب، قاعدته في الأعلى وقمته في الأسفل، وينثني جسمه على عنقه بزاوية خفيفة إلى الأمام، كما تمنع الرحم من الانقلاب إلى الخلف أو الأمام، ومن الهبوط للأسفل بعد أن يزداد وزنه آلاف المرات. هذه الأربطة هي: الرباطان المدوران، والرباطان العريضان، وأربطة العنق الأمامية والخلفية. ولندرك أهمية هذه الأربطة، يكفي أن نعلم أنها تحمل الرحم التي يزداد وزنها من (٥٠) ج قبل الحمل إلى (٥٣٢٥) ج مع ما تحويه من محصول الحمل. وأن انقلاب الرحم إلى الخلف قبل الحمل قد يؤدي للعقم لعدم إمكان النطاف المرور إلى الرحم، وإذا حصل الانقلاب بعد بدء الحمل فقد يؤدي للإسقاط.

ـ وهرمونيا: يكون الجنين في حماية من تقلصات الرحم القوية، التي يمكن أن تؤدي لموته، أو لفظه خارجا، وذلك بارتفاع عتبة التقلص لألياف العضلة الرحمية بسبب ارتفاع نسبة هرمون البروجسترون الذي هو أحد أعضاء لجنة التوازن الهرموني أثناء الحمل، والتي تتألف من:

١ ـ المنميات التناسلية Gonadotrophin كمشرف.

٢ ـ هرمون الجريبين ostro gen كعضو يقوم بالعمل بشكل مباشر.

٣ ـ هرمون البروجسترون Progesteron كعضو يقوم بالعمل مباشرة. تتعاون هذه اللجنة وتتشاور لتؤمن للجنين الأمن والاستقرار في حصنه المنيع، فلنستمع إلى قصتها بإيجاز:

ما إن تعشعش البيضة في الرحم حتى ترسل الزغابات الكوريونية إلى الجسم الأصفر في المبيض رسولا يدعى المنميات التناسلية تخبره بأن البيضة بدأت التعشيش، وتطلب منه أن يوعز للرحم أن تقوم بما عليها من حسن الضيافة.

وفعلاً يقوم الجسم الأصفر بإفراز هرموني الجريبين واللوتئين بشكل متزايد، ولهذين الهرمونين التأثير المباشر على الرحم لتقوم بتأمين متطلبات محصول الحمل، كما أن الهرمون واللوتئين (البروجسترون) كما ذكرنا، الفضل في رفع عتبة تقلص العضلات الرحمية، فلا تتقلص إلا تقلصات خفيفة تفيد في تعديل وضعية الجنين داخل الرحم. وفي الشهر الثالث يبدأ الجسم الأصفر يعلن عن اعتذاره عن الاستمرار في تقديم هذه الهرمونات، ويميل للضمور، وفي هذا الوقت تأخذ المشيمة ـ التي تكون قد تكونت ـ على عاتقها أمر تزويد الحمل بمتطلباته المتزايدة من الهرمونات حتى نهاية الحمل. وهكذا نجد لغة التفاهم والتعاون ظاهرة في هذه اللجنة الهرمونية والجهات التي تصدر عنها.

ـ وميكانيكيا: بعد الشهر الثالث يبدأ الرحم بالارتفاع بشكل واضح إلى البطن، وفي هذه الحالة يصبح خارج الحماية العظمية الحوضية، فمن يحمي الجنين عندها من الصدمات الخارجية؟

إن العناية الإلهية فاقت كل تصور، فمنذ الأشهر الأولى للحمل يكون هناك ما يسمى بالسائل الأمنيوسى الذى يفرزه الغشاء الأمنيوسى، هذا السائل يحيط بالجنين من كل الجهات، وتزداد كميته بشكل واضح حتى تصبح حوالى (١٠٠٠) سم ٣ فى الشهر السادس، ثم تميل إلى النقصان تدريجيا، وتقدر وسطيا بـ(٥٠٠ ـ ٦٠٠) سم ٣ فى نهاية الحمل. هذا السائل يقوم إضافة لوظائفه الكثيرة بوظيفة هامة، هى حماية الجنين من الصدمات الخارجية حيث يمتص قوة الصدمات بتوزيعها على سطح أوسع، كما يشارك فى الحماية جدار البطن والأغشية الثلاثة، وجدار الرحم ذاته. إضافة إلى أن الجنين بعد الشهر الثالث يكون قد تجاوز المرحلة الدقيقة والخطرة، ويصبح أكثر تحملا للطوارىء والرضوض، بل كثيرا ما يباشر هو ببعض المناورات من الداخل بحركاته الفاعلة التى تثبت وجودها ومهارته.

وبعد كل هذا ... ألا يمكن أن نقول عن الرحم: إنه قرار مكين ؟! وماذا سيكون جوابنا إذا سألنا رب العزة **﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين* فجعلنٰه فى قرار مكين﴾** ... إنه سيكون بلا شك: بلى، لقد صدقنا وأيقنا يارب.

القدر المعلوم: قال تعالى فى سورة المرسلات **﴿فجعلنٰه فى قرار مكين * إلى قدر معلوم﴾** [المرسلات: ٢١، ٢٢].

الرحم قرار مكين لمحصول الحمل، ولكن ذلك لمدة محددة وثابتة تقريبا، تعرف بمدة الحمل، وهى تقدر بـ(٢٧٠ ـ ٢٨٠) يوما، أو بـ(٤٠) أسبوعا، أى ما يعادل تقريبا عشرة أشهر قمرية، أو تسعة أشهر شمسية، يصبح بعدها الجنين قادرا على الحياة فى العالم الجديد، ولهذه المدة أشار القرآن الكريم بالقدر المعلوم، ففى سورة الحج: **﴿ ونُقِرّ فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى﴾** [الحج: ٥] فهنا يسمى القرآن هذه المدة بالأجل المسمى أى الأمد المحدد.

على أن إعجاز هذه الآيات ليس فى إشارتها لمدة الحمل، إنما فى تقريرها أن ذلك القدر من مدة الحمل هو أفضل ما يمكن أن يكون حيث قال تعالى: **﴿فقدرنا فنعم القٰدرون﴾** [المرسلات: ٢٣] وإذا ما زاد أو نقص لأى سبب فإن الضرر لاحق بالوليد أو بأمه، فإذا استمر الحمل لأكثر من (٤٢) أسبوعا اعتبارا من بداية آخر طمث سمى بالحمل المديد، وإذا استمر أقل من (٣٨) أسبوعا، اعتبر الوليد خديجا بالخاصة ولكى نتبين الحكمة من مدة الحمل الطبيعية والتى هى بين الأسبوع (٣٨) والأسبوع (٤٢) أو ما أسماها القرآن، بالقدر المعلوم، فسوف نوجز أهم أخطار الحمل المديد والخداجة:

ـ أخطار الحمل المديد:

أولا ـ على الجنين:

١ ـ يتعرض أثناء الحمل لنقص الأكسجين بسبب قلة المبادلة الغازية وخاصة إذا كانت الأم مصابة بالانسمام الحملى، أو ارتفاع التوتر الشريانى.

٢ ـ صعوبة الولادة بسبب كبر حجم رأس الجنين

٣ ـ يعانى الجنين أثناء المخاض من نقص أكسجين، قد يكون شديدا فيولد ميتا، أو يموت بعد الولادة بقليل.

ثانيا على الأم:

١ ـ اضطراب طبيعة التقلصات الرحمية أثناء المخاض، وما ينتج عنه من أخطار على الأم كالإعياء الشديد، والتعرض للإنتان والتجفاف، والتعرض للنزف بسبب سوء انقباض الرحم.

٢ ـ الحمل المديد ضد مصلحة الأم الحامل المصابة بالانسمام الحملى «التوكسيميا»

ـ أخطار الخداج: الخديج هو وليد ناقص الوزن وتزداد الأخطار التى يتعرض لها كلما كان نقص الوزن شديدا. وأهم هذه الأخطار التى تجعل من وفيات الخُدَّج تشكل ٥٠٪ من وفيات المولودين حديثا، الإنتان لقلة مقاومته ونقص مناعته وكذلك يتعرض الخديج لخطر الرضوض الولادية، ونوب الإزرقاق «نوب توقف التنفس» وتناذر الشدة التنفسية، والاستعداد للنزوف، واليرقان النووى، وفقر الدم الخداجى، والوذمات وإصابات الشبكية فى العين.

على أن ما يحير العلماء هو كيف يستمر الحمل مدة (٢٨٠) يوما تقريبا، فلا زيادة ولا نقصان بشكل عام. «إن

السؤال الذى يحير هو كيف يحتفظ الرحم بالحمل حتى المئتين والثمانين يوما؟ ولماذا لا يطرح الرحم محصوله قبل ذلك بكثير خاصة وأن محصول الحمل يعتبر جسما غريبا بالنسبة للمرأة من الناحية المناعية؟ ولتعليل بدء المخاض بعد مدة من الحمل استمرت (٢٨٠) يوما ، وضعت نظريات عدة، منها نظرية شيخوخة المشيمة، ونظرية مفرز الغدة النخامية Oxytocin ، ونظرية فرط التمدد، والنظرية المناعية، وأحدث النظريات التى وضعت نظرية هرون الجنين البروستاغلاندين Prostaglandin .

والقول الذى قد يكون أقرب إلى الحقيقة، هو أن مفرز الغدة النخامية Oxytocin يسبب تقلصات خفيفة للرحم أثناء الحمل، لأن هناك توازنا بين هرمون البروجسترون الذى تفرزه المشيمة، وهرمون آخر اكتشف حديثا فى السائل الأمنيوسى ويفرزه الجنين، وعندما ينخفض مستوى البروجسترون بسبب شيخوخة المشيمة، ويرتفع مستوى البروستغلاندين، يزداد ارتكاس عضلة الرحم لمفرز الغدة النخامية ويبدأ المخاض وهنا يرد سؤال آخر لا جواب عليه الآن، هو : كيف يتم هذا الانخفاض المفاجىء فى مستوى البروجسترون بعد أن كان مستواه عاليا جدا فى آخر الحمل؟ ... إنه تدبير العزيز الحكيم.

ثم السبيل يسره «الولادة».

قال تعالى : **﴿ قتل الإنسٰن ما أكفره * من أى شىء خلقه* من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره﴾** [عبس : ١٧ ـ ٢٠] أى سَهَّل عليه الخروج من بطن أمه.

بعد رحلة بديعة دامت أربعين أسبوعا، تجلت فيها كل صور الروعة الأخاذة، يعلن الجنين عن مقدرته على مواجهة الحياة، ويرى الرحم أنه لا بد من الفراق ، وتبدأ عملية الولادة بتقلصات الرحم الدورية، التى تبتدئ خفيفة وقصيرة وبفواصل متباعدة تقدر بـ(١٥ ـــ ٢٠) دقيقة، ثم تصبح التقلصات قوية وبفواصل أقل فأقل ، كما تزداد شدة التقلصات وتستمر مدة أطول تصل للدقيقة. تعانى الماخض أثناء ذلك آلاما شديدة. تلك الآلام التى جاءت بسيدتنا مريم إلى جذع النخلة عند ولادتها بالسيد المسيح عليه السلام قال تعالى فى سورة مريم : **﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتنى مِت قبل هـذا وكنت نسيا منسيا﴾** [مريم : ٢٣] وعندما تتم الولادة ويخرج الجنين إلى الوجود ثم تتبعه المشيمة والأغشية، تتقلص الرحم تقلصا واحدا مستمرا وقويا، يخفف النزف الحاصل.

وإن تقلصات العضلة الرحمية وميزاتها وتطورها أثناء المخاض وبعده، تجعل من عملية الولادة التى تتكرر فى حياتنا باستمرار، عملية خارقة بالفعل ، فلو تصورنا أن الرحم قامت بتقلص واحد وشديد، لتخرج الجنين بشكل سريع، فماذا سيحصل؟ إن النتيجة ستكون موت الجنين بسبب الضغط القوى الحاصل عليه، أو بسبب نقص ورود الدم إليه عبر المشيمة .

ولو تصورنا أن الرحم استمرت بعد خروج الجنين والملحقات بتقلصاتها الدورية، فسيؤدى ذلك لنزيف هائل من ذلك الجرح الكبير الذى تركته المشيمة مكان ارتكازها، وبالتالى موت المرأة بالصدمة حتما، وهنا تتدخل يد العناية المدبرة لتتدارك الأمر مباشرة، وتصدر النخامة أمرها للرحم بأن تتقلص تقلصا واحدا وشديدا ومستمرا، يجعل من الرحم كتلة منكمشة على كَلْمِها وتسمى كرة الأمان، لأنها جعلت الولود فى مأمن من خطر النزيف. وعنق الرحم يكون قبل بدء المخاض مغلقا، وإذا به يتوسع ويتمدد تدريجيا بفعل تلك التقلصات الدورية حتى درجة الانمحاء وبشكل يسمح للجنين الكامل أن يمر عبره، فتبارك الخالق الذى رعى الجنين بكل عناية حتى اكتمل خلقه ثم يسر له سبيل الخروج إلى الدنيا ليبدأ مرحلة المكابدة والامتحان.

وما أجمل أن نختم بحثنا : بهذه الآية المعجزة التى تلخص حياة الإنسان بكاملها قال تعالى : **﴿ يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقنٰكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلَّقة وغير مخلَّقة لنبين لكم ونُقِرُّ فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا**

يعلم من بعد علم شيئا﴾ . [الحج : ٥] (مع الطب فى القرآن الكريم/ ٨٦ـ٩٥).

(الكليات فى الطب لابن رشد ـ تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان، ود. عمار الطالبى/ ٤٢، ١٢٤ ـ ١٢٦، ٢١٣، ٢١٤، والقرآن والطب ـ الدكتور الحاج محمد وصفى. بعناية بسام عبد الوهاب الجابى. الجفان والجابى، ودار ابن حزم. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م/ ٤١ ـ ٤٤، ومع الطب فى القرآن الكريم ـ د. عبد الحميد دياب، ود. أحمد قرقوز. تقديم د. محمود ناظم نسيمى/ ٨٦ـ٩٥).

ملاحظة الكتاب على الصورة التى تبين الرحم وبداخله الجنين تقرأ هكذا:

عناية الرحمن وهدايته ترافق الجنين رغم الظلمات الشديدة التى تحيط به وهو فى رحم أمه. فى الأسبوع الحادى عشر.

يلاحظ بدء التشكل الإنسانى، وكبر حجم الرأس نسبة للجذع والأطراف. فى هذا الوقت يمر الجنين فى أدق وأخطر مراحله، هى مرحلة التخلق حيث يتم فيها تمايز الأجهزة والأعضاء المختلفة.

انظر مادة «ذوو الأرحام» فى م ١٩/ ٣٩، ٤٠.

*** الرحمانى العربى:**

يرتبط هذا اللفظ بعلوم العرب البحرية، وقد تكلم الأستاذ حسن صالح شهاب على كل من الرحمانى القديم والرحمانى الحديث وننقل بعضه فيما يلى:

اولا ـ الرحمانى القديم

(الرحمانى)، عند بحارة ساحل بلاد العرب الجنوبى والشرقى اسم يطلق على كتاب أو دفتر الإرشادات الملاحية. واللفظة ـ كما يبدو ـ تعريب (الرهمانى) أو (الرهمانج) التى يعتقد البعض أنها من (راهنامه) الفارسية، ومعناها «كتاب الطريق»، فـ(راه) الطريق و (نامه) كتاب أو دفتر.

ويرجع عهد البحارة العرب بالرحمانى أو الرهمانى، إلى بداية عهدها بالرحلات الطويلة فى المحيط الهندى. وأقدم إشارة إليه، عند العرب، جاءت فى قول المقدسى (٣٨٠ هـ) فى وصف حذق ومهارة البحارة العرب: «ورأيتهم من أبصر الناس به، وبمراسيه، وأرياحه، وجزائره، فسألتهم عنه وعن أسبابه، وحدوده، ورأيت معهم دفاتر فى ذلك يتدارسونها، ويعولون عليها، ويعملون بما فيها». وقال إنه رأى فى دفاترهم صورا.

وذكر ابن ماجد (رهمانيا)، كان مشهورا فى عصره، ألفه من أسماهم بالليوث الثلاثة، وهم: محمد بن شاذان، وسهل بن أبان، وليث بن كهلان. وقال إنه اطلع على نسخة من هذا الرحمانى، بخط إسماعيل بن حسن، حفيد سهل ابن أبان، أحد الليوث الثلاثة، يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ثمانين وخمسمائة من الهجرة.

وقال إن «أحمد بن تبرويه» ألف قبلهم فى علم الملاحة، وإنهم أخذوا عن مؤلفاته، كما أخذوا وصف البرور عن المعلم «خواشير بن يوسف بن صلاح الأركى»، الذى كان يسافر إلى الهند فى أربعمائة من الهجرة، كما أخذوا، «من كل واحد معرفة بره وبحره»، وأن كتابهم« ملفق لا له آخر، ولا له صحة، يزاد فيه وينقص»، وليس فيه أرجوزة، ولا له قيد، وأغلبه فى وصف البرور، ومسايرتها، ووصف الأعماق، خاصة برور (تحت الريح) وبر الصين، وأن بنادر هذه البرور قد اندرست، وتنكرت أسماؤها.

ومع أننا لا نعرف شيئا عن رحمانى الليوث، غير ما ذكره عنه ابن ماجد فى كتابه «الفوائد» إلا أن ذلك يجعلنا نعتقد أنه وغيره من (رحمانيات) العصر العباسى لا تختلف عن رحمانيات عصر ابن ماجد، إلا فى بعض (المجارى).

و (قياسات) بعض البلدان، ومواسم الأسفار، وغيرها من المسائل التى يختلف فيها عادة «معالمة» العصر الواحد، نتيجة لاختلافهم فى التجريب والاجتهاد.

فقول ابن ماجد: «ولم يعمل أهل زمانى بما ألفه القدماء إلا قليلا، مثل الدير الصحيحة، وترفات الرحويات، وأما الشقاقات فلا». وقوله: «لأن المراكب تسافر فى البحر الكبير، بالقياس من عصر الأنبياء» وقوله أيضا: «وأما نجوم أخنان الحقة (بيت الإبرة) وأسماؤها، فهو تصنيف قديم، قبل الليوث المتقدم ذكرهم» هذه الأقوال كلها تدل على أن أسس

الملاحة عند البحارة العرب، فى العصر العباسى، هى نفس الأسس والقواعد، التى نجدها عند ابن ماجد وسليمان المهرى.

كما أن وصف «ابن خرداذبه» لرحلات المراكب العربية فى العصر العباسى إلى الشرق الأقصى يؤكد أيضا أن الملاحين العرب فى عصره كانوا يسافرون فيما يعرف فى علم الملاحة بـ (الديرة البرية) أو (ديرة المل)، وفى (ديرة المطلق). أى المجارى المسايرة للبرور وفى مجارى العبرات، عند المتأخرين، وهى التى تربط بين برين منفصلين، أو بين الجزر والبرور القارية. وكانوا يسافرون فى هذه المجارى إلى الهند والشرق الأقصى وشرق أفريقية.

فالاختلاف بين البحارة فى العصر العباسى، وبحارة عصر ابن ماجد، ليس فى أصول علم الملاحة، وإنما فى بعض المسائل الفرعيات، كدير بعض البلدان وقياساتها، ومواسم بعض الأسفار. من ذلك، مثلا، ما رواه لنا ابن ماجد، من أن بعض البحارة المسنين أخبره، أن البحارة فى عهد دولة بنى غسان (بنى رسول) كانوا فى أسفارهم، فيما بين البحر الأحمر والهند، يتركون جزيرة سقطرة شمالا «فى المراح والمجىء، والآن يتركونها يمينا فى المراح والمجىء» وأنهم فى العودة من الهند يتشابه عليهم جبل سقطرة وجبل الشحر، وما يليها، فوضعوا لذلك قاعدة فى «رحمانياتهم القديمة» كانوا يعرفون بها كلا منهما ، وهى أنك «إذا نظرت الجبل وقد خرج نصفه من الماء ، فارم البلد، فإن أبرى (وصل إلى قاع البحر) فهى سقطرة، وإن لم يبر فهى أرض الشحر ونواحيها».

وكانوا يسافرون من الأطواح (جنوبى عمان) إلى البنجال فى مائتين وتسعين النيروز، ومن عدن إلى الهند فى مائتين وخمسين. وكانوا لا يسلمون من زحون الشحر، وهى الأمواج العظيمة، إلا أنهم كانوا لا يصادفون ريح طوفان فى موسم سفرهم هذا، إذ تكون فيه الريح صلبة من فرتك إلى الهند لذلك لا يخالطها طوفان. «فإذا أخرت الموسم، وفترت الأرياح وهانت، صربت فيه حايات (رياح) الطوفان». إلا أن زحون الشحر كانت «أشد عليهم من الطوفان لكبر الموجة التى تسوقها صلابة السهيلى (ريح جنوبية) وتدخل عليهم من الضيق الذى بين جردفون وسقطرة».

«والآن قد تغير ذلك الاصطلاح وتلك المواسم ... فلعل المواسم قد أصابها الزمان بعلة من العلل، ولم تطلع عقولنا على تلك العلة».

ومع أن ابن ماجد قد انتقد رحمانى الليوث إلا أنه يعود فى مواضع أخرى من كتاب «الفوائد» وفى بعض أراجيزه، فيشيد بالليوث وعلمهم، ويعتبر نفسه رابعهم فى التأليف فى علم الملاحة، ويفخر بذلك. ففى إحدى قصائده يقول:

يا ابن شاذان يا سهل وثالثهم السابقين بعلم معجب حسن
علم نفيس ولكن من تداوله سواكم فهو منسوب إلى الغبن
خلفتمونى وحيدا فى الزمان وقد كنتم ثلاثة أحبار على الزمن

وقال أيضا فى قصيدته «ميمية الأبدال»:

والقوا سلاح الجهل لما تحققوا مقالى فى عرب وعجم وديلم
بقولى إنى رابع لثلاثة فحق لحسادى تموت وتغتم

وفى الحقيقة كانت كتب الإرشادات الملاحية المحققة، بوجه عام، قليلة جدا، وكان أكثرها ـ كما قال سليمان المهرى ـ مجرد « وريقات ملفقة وأراجيز مفرقة» وكانت تجمع، فى الغالب، للاستعمال الشخصى فقط. فقد كان البحار العربى، بعد أن يصل إلى مرتبة المعلم أو الربان، ويتولى مسئولية قيادة المراكب، يجمع لنفسه من مختلف الرحمانيات، بخطه أو خط غيره، إن كان أميا، وباللهجة التى يفهمها هو وزملاؤه، كل ما يحتاج إليه فى صنعته من المعلومات والإرشادات الملاحية والجداول الفلكية وغيرها، ثم يضيف إليها شيئا من تجاربه وخبرته الملاحية.

وكانت المعلومات والإرشادات البحرية، تنتشر بين رجال البحر، وتنتقل من جيل إلى جيل عن طريق حفظ الأراجيز وروايتها، أكثر من انتشارها عن طريق الرحمانيات النثرية، أو

الحلقات التي كانت تعقد في خانات البنادر ويتناظر فيها كبار المعالمة. يؤكد ذلك كثرة المنظومات الملاحية المتداولة والشائعة بين البحارة، في كل عصر. وأن ابن ماجد اعتبر ـ خلو رحماني الليوث من الأراجيز أحد العيوب فيه، وأن ما خلفه في فن الملاحة من الشعر يفوق ما خلفه من النثر، بل غير «كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد» وكتاب آخر، لم ينشر، في شرح قصيدته «الذهبية» أشار إليه في «الفوائد» لا نعرف له مؤلفا منشورا

هذا إلى أن أول رحماني له، كان أرجوزته المشهورة : «حاوية الاختصار في أصول علم البحار». وهي طويلة يزيد عدد أبياتها على ألف وثمانين بيتا. قال فيها:

يغنيك عن الرهمانجات النثر

هذا الذي نظمته بالشعر

وهي أقدم رحماني منظوم وصل إلينا. وقد فرغ من نظمها في شهر ذي الحجة من سنة ست وستين وثمانمائة من الهجرة أي قبل كتاب «الفوائد» بنحو تسع وعشرين سنة، وهو ـ كما قال ـ في أول شبابه، وأول عهده بالتربنة، فكان فيما جمعه فيها من المعلومات الملاحية كحاطب ليل، لا يفرق بين الغث والسمين ولا يميز الصحيح من الفاسد. وقد اعترف بذلك في «الفوائد» حيث قال: «وكنا أول العمر نحسب كحساب الجهلاء، فبعد كثير من التجريب رجعنا لصحة العلم ودققناه وحققناه، فما للجاهل عندنا مدخل. وكنا قد ذكرناه في أول الشباب في «الحاوية»، فلما تحققنا شخصنا في «الحاوية» و «السبعية» أبياتا لنستدرك بها إبطالهما وقلة صحتهما، وذكرنا الناسخ والمنسوخ. فالقرآن المجيد فيه ناسخ ومنسوخ، وهو قول البارىء عز و جل، فكيف المخلوقون وقولهم أقل وأذل. فقد بان لنا خلله عند المشيب، عرفنا أنه يدل على قياس جاه وسهيل فقط».

لذلك يمكن اعتبار أرجوزة «الحاوية» من حيث موضوعاتها، مثالا للرحماني القديم، كما أنها لا تختلف عن الرحمانيات النثرية التي ظهرت من بعدها، إلا في مجاري بعض المراسي وغيرها، وفي قياسات ومواسم سفر بعض البلدان، وغير ذلك من المسائل الفرعيات. أما الأصول أو الأسس، لتي لا تتم صنعة الملاحة إلا بمعرفتها، فلا اختلاف فيها ... (علوم العرب البحرية / ٩ـ١٢).

ثانيا: الرحماني الحديث.

لا نعرف، في الحقيقة، من كتب الإرشادات البحرية الحديثة، كتابا يشبه «كتاب الفوائد» لابن ماجد، أو كتاب «العمدة المهرية» أو «المنهاج الفاخر» لسليمان المهري، من حيث الأسلوب والتنسيق. وأفضل ما عرفناه منها، حتى الآن، هو كتاب «دليل المحتار» للملاح الكويتي المشهور، عيسى القطامي، ألفه في سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م).

لكن كتاب القطامي لا يقربنا من الفترة التي بدأ فيها البحارة العرب يتحولون من استعمال قياس النجوم إلى قياس الشمس، ويستبدلون الإصبع بالدرجة. وأقدم ما عرفته من الرحمانيات الحديثة رحماني اشترك في جمع معلوماته واستعماله اثنان من الربابنة. الأول: يدعى سعيد بن أحمد بن خميس بن بريك، وقد فرغ من كتابة معظمه في ٢٠ رجب سنة ألف ومائتين وستين من الهجرة. والثاني: يدعى سعيد ابن حمد بن ماطر التمامي، وقد أضاف إليه ـ كما يبدو من اختلاف خطه عن خط ابن خميس ـ مجموعة من جداول عرض وطول البلدان البحرية. ولم يذكر تاريخ الفراغ من نسخها.

ونلاحظ في هذا الرحماني وجود فصل خاص بجزر الفال أو (البالات) عند المتأخرين و(لكاديف) في خرائط اليوم، وجزر ذيبة المهل (مالديف، وتقع في سلسلة جزرية، إلى الغرب والجنوب الغربي من ساحل الهند الغربي) بقياساتها القديمة، قياسات الإصبع. الأمر الذي يجعلنا لا نستبعد أن مالكه الأول سعيد بن حمد بن خميس كان على علم بقياس النجوم كعلمه بقياس ميل الشمس، وإلا لما نقله إلى كتابه. وهذا الفصل بالذات يختلف عن بقية الفصول من حيث القياس والأسلوب، فأسلوبه خال، تقريبا، من الألفاظ العامية، التي نجدها شائعة في بقية الفصول، مما يدل على

أنه قد نقل عن كتاب فصيح سابق مثل كتاب «المنهاج» أو «العمدة» لسليمان المهرى.

هذا إلى أن خطوط الطول فيه هى نفس خطوط الطول القديمة المعروفة عند العرب، والتى تزيد على خطوط الطول الغربية بأكثر من عشرين درجة. فطول جزيرة البحرين، مثلا، فى كتاب «تقويم البلدان» لأبى الفداء، هو أربع وسبعون درجة، وعشرون دقيقة. وفى كتاب ابن خميس طولها ثلاث وسبعون درجة، وثمان دقائق. وعلى رأس كل جدول من خطوط طول وعرض البلدان، وضعت لفظة «عربى» فوق حرفى الطاء (طول) والعين (عرض)، مما يفيد أن الطول والعرض فيها عربيان، وتمييزا لها عن جداول عرض وطول أخرى، نقلت عن (النالية) الإنكليزية، وكتبت عليها العبارة التالية: «أسماء البلدان مفرقة عرض وطول إنقريزى مأخوذ من الناليـة»!، وطولها يقل عن الطول العربى بأكثر من عشرين درجة. كما أنه يسمى جداول الميل فى البروج «الميل العربى» تمييزا لها عن جداول الميل الإنقريزى فى أشهر السنة الشمسية.

لذلك يمكن اعتبار رحمانى ابن خميس وابن ماطر أقرب إلى الرحمانيات - التى ظهرت بعد سليمان المهرى، فى بداية عهد البحارة العرب باستعمال الكمال لقياس بعد الشمس عن المركب، بدلا من قياس ارتفاع النجم بواسطة العيدان، والدرجة بدلا من الإصبع.

وأحدث ما اطلعت عليه من الرحمانيات الأخيرة، رحمانى عنى بجمع مادته مالكه الربان منصور بن الحاج إبراهيم، وهو من سكان جزيرة (فيلكة) الكويتية. قال فى أوله ما معناه: قد دخل هذا الكتاب كتاب «القواعد والميل والنتيجة وعلم البحر» - دخل فى ملك الحقير المقر بالذنب والتقصير الطالب غفران الله الجليل منصور بن الحاج إبراهيم خليل، غفر الله له، ولوالديه آمين يارب العالمين، ساكن جزيرة (فيلكة) وأصله من خارج الفارسية بتاريخ ٢٠ شهر ربيع الأول من سنة الهجرة المحمدية ١٣٥٨، المطابق ١٠ مايو من سنة الميلاد العيسوى ١٩٣٩. وفى هذا الرحمانى رسوم جيدة لعلامات المراسى ومناخها، وبعض الإشارات والتعليمات الحديثة المستعملة فى الملاحة الغربية، لا يوجد مثلها فى دليل القطامى ولا فى دليل ابن خميس وابن ماطر. لذلك يمكن اعتباره مثالا للدليل البحرى العربى فى آخر أيامه.

(١) رحمانى ابن خميس وابن ماطر:

عثر على هذا الرحمانى فى مركب عربى. قبض عليه الإنكليز بتهمة المتاجرة بالرقيق، بجوار (رأس الحد)، بالطرف الجنوبى الشرقى من عمان. وهو واحد من المخطوطات التى عنى بجمعها الكولنيل مايلز S.B.MILES وسجل بتاريخ ٤ أغسطس ١٨٨٥ م. والنسخة الأصلية منه محفوظة بالمتحف البريطانى تحت رقم OR2920. وفى مكتبة قسم التراث العربى بالمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - بالكويت، نسخة منه بالميكروفيلم.

وهذا الرحمانى يعتبر أضخم رحمانى عربى وصل إلينا. حتى الآن. إذ يبلغ عدد صفحاته مائتين وخمسين صفحة تقريبا، عدا ما سقط منه من جداول المساح وغيرها. إلا أن عدد صفحات الجداول الفلكية، وجداول عرض وطول البلدان البحرية وغيرها يزيد على مائتى صفحة فيه. ويبدو من اختلاف ترتيب جداوله عن الترتيب المعتاد فى الرحمانيات المتأخرة، واختلاط بعضها ببعض - كما سنرى - أن أوراق الكتاب لم تكن بترتيبها الأصلى، وأن من المحتمل أن يكون قد حدث فى ترتيب صفحاته وترقيمها، بعد العثور عليه، تقديم وتأخير. وقد ساعد على ذلك عدم ظهور أرقام عربية عليها.

وليس للكتاب عنوان ولا مقدمة، حتى خاتمته لم يذكر له فيها ابن خميس عنوانا، كما أغفل ذكره ابن ماطر فى خاتمة جداول الطول والعرض التى ألحقها به. ويبدأ، حسب الترقيم الجديد، بجداول ميل الشمس عن خط الاستواء بحساب أشهر السنة الشمسية، فى كل أربع سنوات.

وتلى هذه الجداول جداول بالميل أيضا، بحساب البروج، فى كل أربع سنوات تسمى أحمالا، والحمل الرابع هو السنة

الكبيسة . وكتب على رأس أول جـدول منهـا : «الحمـد لله سبحانه، هذا ميل عربى، ميل أربع وعشرين دقيقة».

وتأتى بعـد جـداول الميل، حسب الترقيم، جـداول (المسـاج)، إلى رقم (٢٧). وبعـد هذا الرقم تأتى جداول خطوط طول وعرض البلدان البحرية إلى رقم (٦٦) ومن رقم (٦٧) تأتى جداول المساج مرة ثانية، إلى رقم (٧٣) مما يدل على أن بعض جـداول العرض والطول فى الكتـاب، قـد وضعت خطأ وسط جداول المساج، ويؤكد صحة ما قلناه عن الاضطراب فى ترتيب صفحات الكتاب.

ومن (٧٤) إلى (٧٧) جـداول (الليك). ومن رقم (٧٩) إلى (٩٩) جداول عرض وطول البلـدان البحرية بخط يختلف عن خط بقية جداول وفصول الكتاب. وهو نفس الخط الذى كتبت به على الصفحة الأخيرة منه العبارة التالية :

[كتـاب سعيد بن حمد بن مـاطـر التمامى. والحمـد لله وحده]

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

ولعل هـذه الجـداول هى كل مـا لابن مـاطـر فـى هـذا الكتاب.

ومن (١٠٢) إلى (١٠٨) جـداول فـى معـرفـة أيـام أوائل الشهـور القمرية، ومعلومـات مع الرسـوم التوضيحيـة، عن الأفلاك، وزيـادة الميل ونقصانـه على حساب أشهـر السنة الشمسية، وقواعد استخراج المساج والعرض والطول.

ومن رقم (١٠٩) إلى (١٢٥)، وهو آخر رقم فى الكتاب، مجمـوعة من المعلـومـات والإرشادات المـلاحية والفلكيـة، وبعض المجـارى، قسمت إلى أبـواب وفصـول على النحـو التالى :

بـاب : فى اختـلاف الغـايات والمبـادىء، والتقلبـات، والثوابت، والتنـزيل والجمع، وبما يكـون الليل من أوله إلى آخره :

الفصل الأول : البروج الشمالية.

الفصل الثانى : البروج الجنوبية.

الفصل الثالث : قياس ميل الشمس فى البروج.

الفصل الرابع : اختلاف الغايات :

(١) اختلاف القياسات (٢) تحقيـق طول وعرض البلدان ومعرفة جهـاتها (٣) الطول (٤) معرفـة أى من الأحمال موافق لحساب الميل (٥) عرض البلدان جنوبى خط الاستواء.

الفصل الخامس : نصائح منقولة عن علماء البحر.

الفصل الســادس : تفــاوت البـاطلى ومــا يلحقــه من الخـلل.

الفصل السابع : متى يزاد فى المساج أو ينقص منه.

الفصل الثامن : صفة الباطلى ورمياته.

الفصل التاسع : وصف نتخة بر (خورميان).

الفصل العـاشر : وصف السفر مـن فرتك إلى مصيـره أيام التدبيرة.

باب : فى نتخة (منقرور فتن).

باب : فى معـرفة قسمـة الدنيـا ودورتها، وخطـوط الطول والعرض عليها، ونجوم الديرة (أى بيت الإبرة).

باب : فى صفة أخذ القياس وترتيبه.

باب : فى السفر إلى بندر (سرت)، من عالى بر العرب.

باب : فى السفر إلى منبى (بمباى).

بـاب : فى نتخة (كش) والعبـور من رأس الحد إلى جـزر الفالات وبر المليبار.

فصل : فى السفر من (منبى).

فصل : فى قسمة المنازل على البروج.

فصل : فى فصول السنة.

فصل : فى بيان معرفة الطول.

باب : فى معرفة تصفية المجـرى، ومعرفة رمى الباطلى، وقسمة الديرة إلى درج.

باب : فى معرفة السنة الكبيسة والبسيطة.

باب : فى معرفة نيروز يومك.

باب : فى معرفة الميل الأعظم.

باب : فى معرفة القياس الأول.

فصل : في معرفة جزائر المليبار.

فصل : في معرفة جزر الذيب .

فصل : في معرفة تصفية الباطلي .

باب : في معرفة تصفية الباطلي .

باب : في تصفية الباطلي .

قاعدة : في حساب عرض وطول نجوم الأخنان (الديرة) .

وفي الكتاب رسوم صغيرة للجبال الدالة على المناخ .

(٢) رحماني القطامي (دليل المحتار في علم البحار) .

مؤلف هذا الرحماني عيسى بن عبد الوهاب القطامي ، الربان الكويتي المشهور وعني بطبعه وتصحيحه ، وشرح مصطلحاته ولده عبد الوهاب بن عيسى القطامي ، وكان ملاحا أيضا . وأضاف إليه في الطبعة الثالثة فصولا عن الغوص وتجارة اللؤلؤ ، والنقل البحري ، وصيد السمك في الخليج العربي ، وبعض العادات والتقاليد البحرية . ثم أعادت طبعه للمرة الرابعة في سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) حفيدة المؤلف لولوة عبد الوهاب بن عيسى القطامي .

ولد القطامي بمدينة الكويت سنة ١٢٨٧ هـ ، وفرغ من جمع مادة الكتاب ونسخها في سنة ١٣٣٤ هـ ، وسنه حوالي سبع وأربعين سنة . قال في مقدمته : «لما رأيت بعض الأخوان ، من أهل الوطن ، كثيري السؤال عن بعض طرق البحار والمجاري ، وهم في حاجة لمثل هذا الكتاب النفيس ، حركتني خدمة الوطن ، خاصة ، وخدمة أخواننا المسلمين كافة ، أن أقوم ، بقدر الاستطاعة ، بجمعه . أسأل الله جل وعلا أن يعم نفعه . فجمعته من كتب الأقدمين ، من علماء البحر ، وحذفت منه ما طال لفظه وقل نفعه ، وزدت بعض المجاري والقواعد المفيدة ، وأبقيت ألفاظه كما كانت سابقا ، بحسب ألفاظنا الاصطلاحية وسميته «دليل المحتار في علم البحار» .

وبعد المقدمة يذكر نبذة من «نصائح علماء البحر» ، وهذه النبذة - كما سنرى - ورد مثلها حرفيا في رهماني ابن خميس ، وهي نفس النصائح التي نجدها في كتاب «الفوائد» لابن ماجد ، والتي لم تتغير منذ العصور القديمة حتى الوقت الحاضر .

بعد النصائح تأتي جداول خطوط العرض والطول للبلدان البحرية التي لا غنى عنها للملاح المتردد على مراسي سواحل الجزء الغربي من المحيط الهندي ، والخليج العربي والبحر الأحمر . وهذه الجداول قد نقلها - كما قال - حسب حاجة أخوانه وزملائه البحارة ، وهي متقنة «الطول والعرض كما هو في النوالي الطابع الجديد» أي الطبعة الجديدة من (النوالي) ، وهي عندهم الخرائط البحرية ، مفردها (نالية) .

وبعد جداول الطول والعرض تتسلسل أبواب الكتاب على النحل التالي :

باب : «في غاية الشمس وتقليباتها عن خط الاستواء » ، يشرح فيه كيفية معرفة مقدار ميل الشمس عن خط الاستواء بواسطة آلة الكمال . ومعرفة ما إذا كان المركب إلى الشمال أو الجنوب من خط الاستواء . وألحق بهذا الباب موضوع «تصفية الباطلي» ويسمى أيضا «التوبدال» .

باب : في وصف المجاري من البصرة إلى عمان . قال في نهايته «تمت مجاري برعمان وما يليها . إلى حد هذا المكان من النوالي الجدد» وألحق بهذا الباب مجاري بر اليمن : أن مسقط أو مسكت إلى عدن .

باب : في تعيين الجهات .

باب : في صفة الكمال واستعماله . وألحق به فائدة في شرح كيفية معرفة المجرى من مكان إلى مكان .

باب : في وصف المجاري من عدن إلى المخا .

باب : في وصف المجاري من المخا الى الحديدة .

باب : العبرات من مصيرة إلى سقطرة وغيرها ، يشرح فيه العبرات ، وهي المجاري فيما بين الجزر أو البرور المنفصل بعضها عن بعض ، وهي غير المجاري البرية أي المسايرة للبرور القارية .

باب : مجاري بر (السواحل) ، وهي السواحل الممتدة من (رأس غردفوي) جنوبا حتى جزيرة زنجبار بشرق أفريقية .

باب : المجاري من زنجبار إلى جزائر القمر.

باب : مجاري بر (مكران)و (السند) و (الهند) و(المليبار)

وجـزر الفالات أو البـالات كمـا تسمى أيضا، وتتخلل شـرح المجارى رسوم صغيرة للجبال الدالة على المناتخ.

باب: عـلامات مناتخ (خـور ميان) والمجـارى بينه وبين (جبل الميانى) ببر (جوزرات).

باب: مجارى (منقرورقتن) ومراسى جوزرات حول خليج (كمبايا).

باب: مجارى(سورت) بجزرات ومناتخها.

باب: مجارى مراسى بر (المليبار).

بـاب: المجـارى من قـوه (جــوه) إلى (منقـرور مـوره) بالمليبار.

باب: من (منقرور مـوره) إلى (رأس قمرى) ويسمى عند المتقدمين (رأس كمهرى) وهو حاليا (كومرين). وألحق به العبرات بين جزر الفال وبر الهند.

باب: قواعد استخراج المساج والطول والعرض.

باب: فى البروج العربية والميل فيها.

باب: بيان معرفة قاعدة (الدفرنس) وهى حساب زيادة أو نقصـان ميل الشمس حـول خط الاستـواء بحسـاب الأشهـر الشمسية وألحـق به شـرحا لطـريقة معـرفة النيـروز البحرى، والبرج العربى، والشهر الإفـرنجى، وتلى الشرح مجموعة من الجداول.

باب: مجـارى بر (العـدان)، وهى المجارى بيـن الجزر من البحرين وقطر جنوبا إلى البصرة شمالا. وألحق به وصف العبرات من بر العجم إلى بر العـرب، والجزر بينهما، خاصة فى النصف الشمالى من الخليج. وقـال إن هذه «المجارى مستخـرجـة من النـوالى الطـابع الجـديـد» ثم أتى بعـد ذلك بنصائح للربـان، وقد نقل عنه هذه النصـائح أو عن المصدر الذى نقلهـا عنه القطـامى ـ كمـا سنرى ــ الربـان منصور فى رهمانيـه. كما ألحق به وصـف (مهدة تناجيب) ومجـاريها، والعبرات من جـزر بر (قطر) إلى بر عمان وفـارس. وألحق به أيضا فصلا فى استخراج المساج من غير باطلى.

باب: معرفة القبلـة فى مختلف البلدان، وجداول أوقات الصلاة فى الكويت، ثم رسم للديرة أى بيت الإبرة والأخنان.

ورسوم تـوضح موقع المركب بالنسبـة لخط الاستواء والشمس وطريقة استخراج عرض المركب.

ونلاحظ أنه لا توجد فى رهماتى القطامى جداول الميل، لا بحساب الشهور الشمسية، ولا البـروج العربية. ولعل هذه الجداول قـد حذفت من الكتاب قبل طبعـه. إذ لا غنى عنها للمـلاح فى العصـر الحديث، ولا بـد من وجـودهـا فى أى رحمانى، فبهـا يستطيع الربان معرفـة عرض مركبه. وبـالتالى يستطيع أن يعـرف المسافـة بينه وبيـن البلد المقصـود. فآلـة الكمال تعطيه بعد الشمس عنه من الدرج، أعنى ميلها عنه، فإذا لم يكن يعرف ميل الشمس عن خط الاستواء فى يومه فإنه لا يستطيع معرفة عرض مـركبه. مثل ذلك إذا وجد أن الشمس تبعـد عنه بثـلاثين درجة شمـالا، مثـلا، ثم نظر فى جـداول الميل، ووجد أن ميـل الشمس فى ذلك اليوم عشـرون درجة إلى الشمـال من خط الاستواء، لعـرف أنـه على عرض عشـر درجـات من خط الاستواء جنـوبا. وإذا كـان عرض المـرسى الـذى يقصده خمس درجـات إلى الجنـوب من الخط، فإن المسافة بينهما تكون خمس درجات.

إلا أن كتـاب القطامى يمتـاز عن كتـاب ابن خميس وابن ماطر، وكتاب منصور الخارجى، بكثرة المجارى والتوسع فى وصف معـالمهـا والسيـر فيهـا، الأمـر الـذى جعل البحـارة المتأخرين يقبلون على اقتنائه والاسترشاد به فى أسفارهم.

كما نجـد فيه بعض المصطلحـات البحرية الإنكليـزية، مثل (دفرنس) الميل، وقـاعدة (نتركـوسين)، فى استخراج الطول من غير باطلى، و (التيبلين) وغيرها.

(٣) رحمانى منصور الخارجى:

هذا الرحمانـى أشبه بالمذكرة، فمادتـه الملاحية تتخللها أشيـاء لا تمت إلى المـلاحـة بصلـة، سجلهـا صـاحبـه فى رحـلاته، ليـرجع إليهـا وقت الحـاجة كشعـائر غسل الميت والصلاة عليـه، وتاريخ دخول الإنكليز البصـرة وخروجهم من عبـادان، وحوادث شهـدهـا فى رحلاتـه، وصـورة رسالـة من السلطـان عبد الحميـد إلى شـريف مكـة، ورد هذا عليهـا، ومجموعة من القصائد، وغيرها.

كما أنه لم يجمع دفعة واحدة فى سنة أو سنتين، وإنما جمع - كما يتضح من الأمثلة التالية - فى فترات متقطعة، وكتبت أجزاؤه فى تواريخ متباعدة، طوال حياته البحرية:

الموضوع	تاريخ كتابته
جداول المنازل بحسب النيروز	١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م)
جداول الميل بحساب الأشهر الشمسية	١٣٥٥ هـ (١٩٣٦م)
إشارات الباخرة فى سيرها بشط البصرة وأمامها مركب شراعى	١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م)
معرفة القبلة فى كل بلد	١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م)
طريقة عمل طول من الساعة	١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م)
قاعدة استخراج المساح والعرض والطول من دون باطلى	١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م)
جداول العرض والطول للبلدان البحرية	من سنة ١٣٥٩ هـ إلى ١٣٦٠ هـ (١٩٤٠ / ١٩٤١ م)
نصائح بخصوص الشرع والمركب	١٣٦٠ هـ (١٩٤١م)
مسائل فى الضرب والقسمة	١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)
قصيدة لعبد الرحيم البرعى	١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)
قصيدة من حفظ جاسم بن نصر الله	١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)
قصيدة باللغة الفارسية	١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)
[تركيب الساعة على غروب الشمس إذا أردت أن تتحول من جهة إلى جهة]	١٣٦٠ هـ (١٩٤٣ م)

ويتبين من هذه الأمثلة أن منصور قد أضاف إلى هذا الكتاب بعد أن «دخل فى ملكه» - كما قال - فى سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م)، جداول العرض والطول، فى سنة ١٣٥٩ و١٣٦٠ هـ، أو أنه استبدل بها ما كان موجودا منها من قبل فى الكتاب، خاصة وأنها نقلت من (النوالى) الجديدة الطبع التى نقل عنها القطامى قبله. إذ أن جداول العرض والطول للبلدان البحرية أهم جزء فى الدليل البحرى، لذلك من المستبعد أن يكون «كتاب القواعد والميل، والنتيجة، وعلم البحر» بدون جداول الطول والعرض قبل هذا التاريخ، وأن منصور كتب هذه الجداول بعد أن «دخل الكتاب فى ملكه».

وفيما عدا جداول الميل، والمنازل، وما يتخلله من الحشو الذى أشرنا إليه، فإنه لا يختلف عن كتاب القطامى فيما يحتويه من القواعد وجداول العرض والطول وغيرها من الأسس الملاحية عند المتأخرين. ولا نعلم إن كان منصور قد نقلها حرفيا عن كتاب القطامى، الذى سبق كتابه بأكثر من عشرين سنة، أم أنه نقلها عن المصادر التى نقل عنها القطامى.

وكما يمتاز كتاب القطامى بكثرة المجارى والتوسع فى وصفها ووصف معالمها والسير فيها، يمتاز كتاب منصور بكثرة الرسوم الجيدة للمراسى والأخوار والجبال وعلامات المناتخ، ولا يشاركه فى هذه الميزة - حسب علمى - أى رحمانى من قبل (انظر العلامات البحرية).

إلا أن ناسخه - كما يبدو - أعجمى اللسان. ففيه كثير من الألفاظ المصحفة والأخطاء الإملائية مثل: فركت (فرقد) كصران (قصران) تبقا (تبغى) عكب (عقب) معهو (معه) هذا بالإضافة إلى ما فيه من الشعر باللغة الفارسية. إلا أن الأخطاء اللغوية والإملائية صفة شائعة فى جميع كتب الإرشادات الملاحية، القديم منها والحديث.

وليس هناك ما يثبت أن الناسخ هو منصور نفسه، على الرغم من وجود اسمه فى أسفل بعض صور الرسائل وبعض التقارير فى الكتاب. إذ نلاحظ على كثير من الصفحات بما فيها بعض صفحات الرسوم توقيعا لشخص اسمه أحمد عبد الله. فإذا كان منصور هو الذى نسخ الكتاب ورسم ما فيه من الصور فلماذا وقع أحمد عبد الله هذا بعض صفحاته. ثم إن منصور كغيره من رجال البحر، وكما جرت العادة عندهم، قد التحق، منذ صباه، بسلك العمل البحرى، ولم يتركه إلا بعد أن أقعده المشيب. فمتى تعلم الرسم وخط الرقعة الجميل الذى كتب به بعض صفحات الكتاب؟ يقول منصور بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين. وكانت أول أسفارى مع الأخ الحاج على بن الوالد الحاج إبراهيم خليل فى سنة ألف وثلثمائة وثلاث عشرة من هجرة سيد المرسلين، فى البغلة الكويتية المسماة (سلامتى)، لأجل تعلوم علم البجر. وقد أخذت درك التعلوم فى سنة ألف وثلثمائة وأربع وعشرين من هجرة سيد المرسلين. وهذه المدة (كنت) معلما، ولكن

مع الأخ الحاج على، فى خدمة الوالد إبراهيم خليل، غفر الله له ولوالديه ...».

فمنصور مكث حوالى إحدى عشرة سنة (١٣١٣ ـ ١٣٢٤ هـ) يتعلم فن الملاحة، بالممارسة، تحت إشراف شقيقه على بن إبراهيم، وفى سنة ١٣٢٤ هـ تولى تحت إشرافه مسئولية قيادة أول سفينة. وهذا معنى قوله: «وقد أخذت درك التعلوم». فالدرك فى اصطلاح البحارة، مسئولية قيادة السفينة، وصاحب الدرك، هو من يتولى قيادة السفينة، وفى هذه الفترة كان معلما مع أخيه الحاج على بن إبراهيم.

والمعلم، عند المتأخرين، هو دون الربان مرتبة، أما عند المتقدمين فعندهم بعكس ذلك، أى أن المعلم هو أعلى من الربان مرتبة، ويسمى عندهم أيضا، الأستاذ والرئيس. قال ابن ماجد: «بل إن الأستاذ، إذا اختلفت الأسماء فى قياس، أو اختلفت القياسات دبرها بعقله» وقال أيضا عن معالمة بلاد الصوليان، بالطرف الجنوبى الشرقى من الهند. «والحكم أن أهل الصوليان أقرب لذلك البر من جميع الناس، وقد هدينا منهم ومن رؤسائهم». والمعلم عند المتقدمين هو من يتولى قيادة السفن فى عرض المحيط، وأعالى البحار، والربان هو الذى يتولى قيادة السفن على الخطوط البحرية، المسايرة للسواحل. قال ابن ماجد. «ومن (جازان) إلى حدود (اللحية) كلها (يعنى الطريق) فى قطب سهيل ومغيب السلبار. فذاك درك الربابين ما هو درك المعالمة».

ولم يفارق منصور البحر، فى نظرى، إلا بعد سنة ١٣٦٢هـ، إذ لا يوجد تاريخ مسجل بعد هذه السنة فى الكتاب. وتوجد نسخة من هذا الكتاب فى مكتبة الأستاذ خالد محمد سالم بالكويت (علوم العرب البحرية / ٢٧ ـ ٣٧).

ويختتم الأستاذ حسن صالح شهاب كتابه بالفصل الحادى عشر يعدد فيه النصائح والوصايا التى وردت فى كتب الإشارات الملاحية (الرحمانيات) وننقله لك فيما يلى:

لا تخلو كتب الإرشادات الملاحية من الوصايا والنصائح للربابنة الناشئين. وهى وصايا تناقلها البحارة جيلا بعد جيل، منذ بداية رحلاتهم البحرية، لم تختلف فى عصر من العصور. وهذا أمر طبيعى، فالبحر هو البحر، والسفينة هى السفينة، رغم اختلاف طرزها وأشكالها، والظروف المناخية هى نفس الظروف لم تتغير كثيرا.

هذه الوصايا ينسبها بعض البحارة إلى شيخ علم البحر أحمد بن ماجد لشهرته عندهم. ومع أنه لم يصل إلينا وأحد من الرحمانيات القديمة التى سبقت أيام ابن ماجد، مثل رهمانى الليوث الثلاثة، السالف ذكرهم، إلا أنه لا يعقل أن يكون ابن ماجد هو أول من أنشأها، فمخاطر البحر موجودة، قبل أن يوجد ابن ماجد، ومتى ما وجدت المخاطر وجدت الوصايا والنصائح لتجنبها.

لكن البحارة ظلوا بعد ابن ماجد والمهرى يتناقلون هذه النصائح بلهجاتهم الدارجة ومصطلحاتهم التى يفهمونها، حتى أدخلوا فيها من التغيير والتحريف ما يتناسب مع أساليبهم الملاحية الجديدة التى أخذوها عن بحارة أوروبة، وبقوا، مع ذلك، ينسبونها إلى ابن ماجد، الذى لم يعرف شيئا من هذه الأساليب.

وسنتعرف هنا على أوجه الاختلاف والاتفاق بين نصائح ابن ماجد الحقيقية، وبين ما نسب إليه منها فى بعض الرحمانيات المتأخرين.

قالت المؤلفة: لاحظ فيها غرابة الألفاظ واستخدام العامية والنطق الأعجمى نحو «مسكت بدلا من «مسقط» ا هـ

١ ـ ابن ماجد.

السكوت عن النتخة:

«واعلم أيها الطالب أن عند النتخة (النتخة: كشف البر أو غيره والدخول فى المرسى) يكثر الكلام، فما عليك منه واعتمد على قياسك، وارجع إلى ما فى كتابى هذا. فإن حكم لك المجرى والقياس والوصف والسياسة والفراسة فقل ما عندك، ولا تعجل فى النطق والكلام.

وإن نقص من السياسة والفراسة، والمجرى والقياس، أحد منهم، فاحبس عنان اللسان، حتى تستوى نهاية المعرفة، وتحقق البر مليحا، وإن كان لم يعترف البر إلا من البر فاقربه. وما اختلفت الظنون على شىء إلا وكشفته، فإن جميع من ركب البحر ما لهم صبر عن المماراة، وكثرة الكلام

عند النتخات. وربما فى سكوتك يتفقون على معرفة، فيزول خطؤك. وإن حكم لك القياس والمجرى والفراسة والسياسة، وكنت معاودا، فقل لهم بجميع الأماكن والنتخات. فإن السكوت عند النتخات أحسن، وهذا ما يكون إلا إذا كنت فى ضرورة واختلف عندك الوصف أو المجرى أو القياس أو شككت فى بعض الإشارات، فذلك الحين السكوت أولى من الكلام، لأن كلام غيرك لا يلتفت إليه الناس، وبكلامك يلتفت إليه الناس، لو تكلمت بكلمة واحدة لزمت بها، دون جميع الناس لأنك أعلى منهم مرتبة. كقول الشاعر:

العيب فى الجاهل المغمور مغمور

وعيب ذى الشرف المشهور مشهور

وقال الطغرائى:

ويا خبيرا على الأسرار مطلعا

أصمت ففى الصمت منجاة من الزلل

فكن عند النتخات رزين العقل، فإن أكثر الخطأ فى كثرة المنطق، خصوصا فى هذه الصنعة، وخطؤها فى المنطق أكثر من خطئها فى الفعل. . وقد صنفنا جميع مناتخ بحر الهند، لأنها أعم نفعا وأكثر استعمالا مع أهل هذه الصنعة».

«فينبغى للإنسان فى مثل قياسات النتخات، ومثل ورود الماء والبرور بالليل عدم الشدة والإفشاء بالكلام، فى جميع أحواله إلا بعد التجريب والتكرار.

«والحذر كل الحذر من النتخات وضيق المواسم عليها واعرف لكل نتخة موسمها».

(فينبغى إذا أخذ الإنسان من شخص علما أو من تصانيفه فعليه أن يشكره. ويدعو له فى حياته وبعد مماته» .

السفينة:

«تأمل السفينة وهى فوق الأرض واكتب جميع خللها، وقليل فى زماننا من يفعل ذلك من الناس».

«وتأمل جميع آلات السفينة خصوصا فى السكان فى كل حين وساعة».

«ولا تر خللا فى السفينة وتهمله إلى وقت آخر، إلا عند ضرورة أشد مما أنت فيه».

«ويكمل جميع آلات السفينة. وينظر أفى أحصان السفينة (تحصينات ضد الموج وغيره) وآلاتها ورجالها وحبالها وعددها، ولا يشحنها إلا العادة. ولا يطلع فى مركب لا يطاع فيه. ولا يطلع فى مركب بغير اعتداد، ولا يسافر فى ضيق الموسم. ويحترز عن الأخطاء فى مثل عدة وحبال ورجال وغيره من آلات السفينة».

«واعلم وفقك الله، إذا ركبت فيها، فانصب عودا وفيه خرقة كتان أو حرير أو قطن، لتعرف به مضرب الريح من أى خن. وجلس الحقة فى مكانها (الحقة: بيت الإبرة البوصلة) وتفقّد، كل التفقد، أول يوم فى نصب الحقة. لأن شيئا من المراكب يكون فى نجارته خلل فيعديك عن مجراك. فاستدرك الأمر بأوله. وتأمل الجاه بالليل وحطه فى مكان يوافق المكان الذى حكمت عليه بالحقة فى النهار، حتى لا يكون بالنهار مجرى، وبالليل مجرى، ويطول الطريق».

«ولا تركب سفينة الدلالة والهداية وأنت فيه غير مطاع، ولا تأخذ دركها على نفسك، درك الدلالة، فلا تكون إلا مطاعا، وهذب الراى، فإن ركوب الإنسان عند من لا يسير مسيره صعب فى بر أو بحر».

«والحذر كل الحذر. من صاحب السكان. لا تغفل عنه. فإنه أكبر أعدائك، فلا تدرى عند النتخة من غريمك من أهل السكان. وما صنفت هذا الكتاب إلا بعد أن مضت لى خمسون سنة، ما تركت فيها صاحب السكان وحده، إلا أن أكون على رأسه، أو من يقوم مقامى».

«وعندما تريد ترقد لا تخل المسكن وحده، الحذر كل الحذر، تخلى المسكن وحده وحارب النوم الحرب الكلى خصوصا بالليل».

«وجود الموسم واختصر الشحنة، واحسب حساب الحازمين العارفين بالخير والشر».

«والحذر، كل الحذر، إذا استشارك عدوك فى السفينة، فإنه لم يستشرك إلا عند فساد الأمر، مقصوده يشركك فى الشر

والتعب والامتحان. والمعلم الكلمة عليه سابقة فهذب الرأى، واصمت أو أجب جوابا لا يضرك فى العواقب ولا يلزمونك به» «وينبغى أنك إذا ركبت البحر يكون؟ تلزم الطهارة والقراءة والدعاء. فإنك فى السفينة ضيف من ضيوف البارىء عز وجل».

صفات المعلم:

«وينبغى للمعلم أن يعرف الصبر من التوانى، ويفرق بين العجلة والحركة ويكون عارفا عالما بالأشياء، عزاما فتاكا، لين الكلام فى قوله، عدلا تقيا، لا يظلم أحدا لأحد، مقيما على طاعة الله، متقيا الله حق اتقائه تعالى. لا يغصب التجار على حقوق إلا على شىء وقع عليه القول أو جرت به العادة بين الناس. والحقيقة يكون كثير الاحتمال عالى الهمة صبارا مقبولا بين الناس. لا يسعى فيما لا يصلح له، أديبا لبيبا حسن الخلق طيب الكلام وإلا فليس هو معلما بالقاعدة».

«وكن شجاعا حازما ذا بأس، قليل الغفلة، كثير الهمة، كثير الصبر والاحتمال فى كل شىء، تقيا نقيا، لا تظلم أحدا لأحد».

« وتفقد جميع الركاب والعسكر، وتأمل نهوضهم لتكون عالما بها عند الشدة، واعمل خلاصك، واسمع أقوالهم وخذ مليحها، واترك قبيحها، وكن حازما قويا فى كلامك وأقوالك وأفعالك، لين الطبيعة، تصحب من لا يطيعك فيما يعنيك، فلا تجد لك فى الشدائد والمصائب شريكا».

«وتأمل لحسن الثناء والعاقبة الحسنة فى المستقبل، ولا يغمك التعب الذى أنت فيه فإن التعب منسى والسفر عمره قصير، لا يدوم شىء أبدا»

«ولا تنم إلا بقدر ما يدفع عنك السِّنة، والسهر ما يدوم» «وحارب النوم الحرب؟ الكلى خصوصا» «فإن قصرت فى شىء من ذلك فلا تلومن إلا نفسك» «فإن المعرفة فى الإنسان والمضيق مثل السلاح فى الحرب» «وينبغى أن لا يتكبر فيه الإنسان ولا يعظم نفسه كان قال مصنف الكتاب فى الحاوية شعرا:

وينبغى البعــــــد عـن الخيـــــــلاء

عنــــــد كمــــــال العلم والنهــــاء

٢ ـ ابن خميس وابن ماطر

الصمت عند النتخة (ما معناه):

ثالثا: الحذر من كثرة الجدال والمجادلة فى النتخة حيث من المعتاد أن يكثر الكلام عند النتخات. والبرور تتشابه، فلا تعجل بالكلام، حيث إذا جاءت النتخة على غير ما تكلمت به تصير مكسور القلب والخاطر، وكثرة الكلام تقلل من قدرك. فعليك يا أخى بالصمت، ولا تبح بالسر، فاحفظ لسانك. لأن المعلم إذا أخطأ فإن خطأه كبير، فيسقط فى أعين الناس ويقل مقداره، وذلك كله بسبب العجلة. وأما غيره إذا أخطأ فزلته مغفورة ويصير حكمه حكم الجاهل، لأن ليس عليه درك ولا يحمل هما. وهذا مجرب لا شك فيه. فكم من سفينة وقع وجرى فيها مثل ذلك.

السفينة:

سنذكر ما نطق به علماء البحر من النصائح لأخوانهم المسلمين ممن ركب البحر وحمل الدرك وصار معلما.

اعلم يا أخى جزاك الله خيرا: الحذر كل الحذ أن تكلف السفينة فوق طاقتها. وتشدد عليها فى الأرياح. لأن ذلك ليس من العقل فى شىء وآخره التلف لا شك فى ذلك فهو مجرب.

وهذه نصائح لكافة أهل السفن وكل من ركب البحر، خاصة المعلم لأنه صاحب الدرك، فيجب عليه. أولا: أن يتأمل الديرة [البوصلة] فى الفانوس، ويراقبها حتى يضمن عدم انحرافها. ثانيا: أن يقلل من النوم ويكثر من السهر، ويحتم عليه الانتباه وكذلك لا يغفل عن السكونى [مدير الدفة] حيث إن أكبر أعداء السكونى النجوم [الأختان]، فيغلط فيها دون شك لأن بعضها يشبه بعضا. وإن عزم المعلم على النوم، قدر ساعة لا يترك السكونى وحده، بل يترك عنده جلساء حتى يكن مطمئن القلب. لأنه إذا حمل الدرك [مسئولية السفينة] ولم ينم يصير عقله محروما من الراحة، فيعجز عن التفكير. فالعقل رأس كل الأعضاء، والبحر سلطانه عظيم، إن لم تستعن عليه بجيش هزمك. والجيش هو العقل، وسلاح الجيش جلوس السكونى، مثل العقل وأعظم. وبالله التوفيق.

صفات المعلم :

على الإنسان أن يكون كثير الصبر، خصوصا من دخل فى هذه الصنعة، فعليه بالصبر، وأن يتمسك بالحذر الذى نصح به علماء البحر المجربون، من أول الأمر إلى آخره. ومن دخل فى هذه الصنعة أن يكون كثير الخوف من الله تعالى، ويلزم طاعته ولا يشتغل عن عبادة ربه، ويكون أيضا كثير الطهارة، لأن العلماء رحمهم الله تعالى ساروا على هذه الصفة ونصحوا بها الذين بعدهم.

٢ ـ القطامى

«الأول : نذكر نبذة مما نطق به علماء البحر، ونصح به بعضهم البعض، وحذروا أخوانهم المسلمين، ممن ركب البحر، وأدرك رتبة المعلم، وتقلد هذا الدرك. الأول: الحذر كل الحذر من التكليف والشدة على السفينة فى مصافقة الأرياح القوية، لأن التكليف ما هو من العقل. آخره يقع التلف لا شك فيه.

وهذه نصيحة لأهل السفن كافة، وللمعلم خاصة، لأنه صاحب الدرك والاحتمال، وإذا أخطأ زلته كبيرة، فينبغى عليه أن لا يغفل.

أولا : أن يتأمل الديرة عند سفره عن الانحراف والغير.

ثانيا : يقلل النوم ويكثر الانتباه، محتم عليه.

ثالثا : لا يغفل عن السكونى لأنه أكبر أعدائه، بالغلط فى النجوم لأنها تشبه بعضها البعض. فإذا أراد المعلم كسر النعاس لا يخلى السكونى. [وحده بل يخلى عنده جلساء] حتى يطمئن قلبه من الهم والدرك. وإذا احتمل المعلم الدرك فى نوم ويقظة صار العقل محروما من الراحة، والذهن مضطرب [مضطربا] فلذلك لا يتيسر له فكر ولا هندسة والعقل رأس كل شىء من الأعضاء. وأما البحر فهو سلطان أكبر الأمراء إن لم تستعن عليه بجيش وسلاح صرت منهزما، نعم أخى ! أما الجيش فهو العقل وأما السلاح فهو جلوس السكونى.

رابعا : أخى الحذر كل الحذر من كثرة الكلام والمجاحدة فى وقت النتخة سبب كثرة الكلام عند نتوخ البر يزداد بين الواش (الواش: الجواش، قلبت الجيم ياء ثم خففت فى النطق، ويقصد به التجار ركاب السفينة يسافرون بتجاراتهم هنا وهناك) خصوصا البحارة والركاب. فينبغى ذلك الوقت على المعلم أن يكون ثابت الجأش، قوى القلب بصيرا فى الأمور، عالما أن البرور يشبه بعضها بعضا. فلا تعجل فى الكلام، كن صموتا. فكثير من يبطل عليه الكلام (لا يصح كلامه) فأوصيك بالصمت، ولا تبح سرك لأحد. سر على حسابك، والزم نفسك (واضبط نفسك) واحفظ لسانك. لأن المعلم إذا أخطأ فزلته كبيرة ويسقط بين الناس ... مكسور القلب والخاطر، من عجلته على نفسه. وأما غيره إذا اختلف هزره (كثر كلامه) فزلته مغفورة. حكمه حكم الجاهل لا عليه درك ولا احتمال، فيصير سالى الهم (خالى الهم) والبال. فينبغى على الإنسان أن يكون كثير الصبر والطهارة، لمن دخل فى هذا العلم، لأن العلماء رحمهم الله تعالى كانوا على هذا الصفة، ونصحوا بها وصارت سنة مستحبة، لانتفاع الناس إلى طرق المسالك الحلالية (الحلال: الصواب).

فمن كان طالبا لهذا العلم لا يترك المطالعة فى تصانيف هذا الكتاب النفيس، ومن تركه فقد ضيع على نفسه. لأن لا بد أن ترميه الليالى والأيام، ويحتاج إليه ويلوذ به، ويأخذه ويهتدى به، إن كان عدوا أو صديقا. ألم تر الإنسان إذا صنع سيفا قاطعا، أو كحائك حاك ثوبا، لا يوجد فى تلك البلد مثله، ثم احتاج فباع الثوب ليزيد بثمنه (لينتفع بثمنه) فيشتريه منه عدوه فيصير هو بائعه وساتر عدوه. والواجب أن الإنسان يطلب كل شىء حسن. ولو كان شريف النفس ولم يطلب ذلك، فقد ضيع ما عليه، عمدا وتهاونا به أيضا. ومن أخذ تصانيف علم من شخص ينبغى أن يدعو له فى حياته وبعد مماته بالخير. فنسألك اللهم يا ذا الجلال والإكرام أن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

٤ ـ منصور الخارجى.

«أقوال الشيخ أحمد بن مايد شيخ علم البحر» (أحمد بن

مـاجـد: تقلب الجيم يـاء فى لهجـة بحـارة الخليج والجـزء الشرقى من ساحل بلاد العرب الجنوبى).

«بسم الله الرحمن الرحيم. فهذا مختصر فى العلم البحر، من كـلام شيـخ الأولى، عـارف البلـدان والمـوسـوم، معلم البحرين والبرين، المعلم الشيخ أحمد بن مايد بن محمد بن عمـر بن يـوسف بـن فضل بن حسن بن حسيـن بن دويك السعدى، ابن أبى بركات النقدى، ساكن قل فار (جلفار إلى جهة المطلع من رأس الخيمـة، موطن ابن مـاجد) وهى طلع من رأس الخيمة. غفر الله لنا وله والمسلمين أجمعين. واصل [وصلى] الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.

اعلم رحمك الله أيها المعلم إذا قلت فى شىء درك (درك : مسئوليـة قيادة السفينـة) فعليك رحمة البـالغة، والحـذاقة واعيـة، ولسيـاس الكلمـة. والحجـران النـوم الـذى لا يفيـد (والمسايسـة فى الكلام، وهجـران النوم) وعليك الحـذر من السكـونى، فى كل وقت لو كـان صاحب فإنـه فهو أكبـر من أعدائك. إياك ثم إياك عن الغفلة. وأيضا مباذلة القياس قبل الـوقت الـزوال (قبل وقت الـزوال) بـربع ساعـة المـذكـورة، بموجب ما شرحوه وقرروه. والله أعلم بالصواب».

وصايا فى الشراع والمركب:

«اعلم يكون النوخـذة حاضر الفكر، متنبهـا لعلائم البحر وممشى المركب، وبعـد المسافـة، واختلاف جـوش الشراع والمايات. (الأمواج). ولا تغفل عن أهل السكان، ولا تتوانى فى البُلد (البُلـد : بضم الباء: مسبار الأعماق) خصـوصا إذا كـان وقت الشتـاء، والجـو بـاردا. والإنسان يقـوم لـلأسفـار متكاسل حيثما عليه حمل الـدرك، فينبغى على النوخذة سهر الليل والحـرص على السناد (لـوح إسكان السفينـة) والبُلد، وأن يحسب ساعات ممشاه مع المسافة التى بينه وبين المكان المقصود بالتقريب والباطلى أو السكروب (مقياس السرعة) حيث يعـرف مساج المـركب فى السـاعـة كم ميل مشى (كم قطع من الأميال فى الساعـة). وإن كان النوخذة عـاميا تكون معرفته فى الحـواس والتقريب (بالتقريب) ومعـرفة البحر فى البلد (بمسبار الأعماق)

وإيـاك يا أخى والكلف على السفينـة، اعلم بأن الكلف عقباه التلف والعياذ بالله، ولا يخفى على كل بصير عاقل بأن المركـب يكون فيـه أربعة إلى خمسـة أشرع. فليفكـر الإنسان لأى شىء هذه الشرع جعلت فى المركب. وذلك لأسباب قوة الأرياح واختـلاف الأهويـة، فيكون كل هـواء له شـراع معلوم بحسب طاقة المـركب والأنفس من بحارة وركاب. ولا يخفى على كل عـاقل قـوة الأريـاح وأمـواج البحـار إذا اضطـربت وهـاجت تخل بـالمراكب الحـديـد البخـارية (تفسيـر سيـر المراكب البخـارية) فكيف يكـون حال المـركب الشراعى أو السفينـة ذلك الـوقت الصعب. مع ذلك ينبغى مـن الـرئيس أعنى القبطـان أو النـوخـذة أن يـلاحظ الـوقت ويعلم أن كل الذى فى السفينـة طوع أوامـره، ولا أحد مسئول سـواه. فلازم عليه الرفق بالبحرية ثم بالسفينة وما حوت من الأموال وغيرها. ويترك عنه الاستوهى (الاستهانة) بصغار الأمور دون الكبار.

ويجتنب الكبرياء ولا يحمل نفسـه ما لا تطيق من الهموم والمشـاق، وهـو فى غنى عن ذلك، إذا كـان مـرتديـا بـرداء العدالـة، ومتوسطا فى حـركاته فى الأمـور، ولا يكن عجولا، فيحق له هنالك إذا قام بهذه الوصية أن يسمى رئيسا.

وأيضـا لا يخفى علـى كل عـاقل بأن الغلط يقـع غـالب الأحيـان فى البلد، أو فى المجـرى أو فى تفاوت السنـاد فى صلب السكان. فبهـذه الأسباب المـذكورة سيكـون صاحب الدرك فى وجل وخاطره يشك بأن طريقه ليس عدلا (مضبوطا) فينبغى لـه ذلك الوقت أن يقطـع الشك باليقين، ويجـزم بأن مسيره فـى خطر، فالأولـى أن يقصر على السفينـة لئلا يـدركه التشابه قبل الصبح، وإذا أصبح على خير يسير حيثما يشاء. وإن كـان البحـر فى ذلك رقا (جـزرا) يطـرح أولا عن الجـوكم والصبح يعمل أسبـاب المسيـر. كـذلك إذا أقبل على بنـدر ضيق المـرسى فينبغى أن يطـرح بـالشـراع الكبيـر... ويخلى الباوره زاهبة (الأنجر جاهـزة) والبلد مدره (مدلى) وإذا وصل بحـول الله المحل المقصود يطـرح حيثمـا يشاء. مع هـذا ألا يكون يخجل من أحد منَ الذين فى المركب. ربما أن يوسوس له الشيطان ويظن أن البحـرية أو الركاب يعيبـونه بذلك. نعم نعم ليس فى ذلك معابـة إنما العيب الذى يسير بغيـر... وهو

حامل درك السفينة وما حوت من الأرواح والأموال، وهو مسئول عن كل شيء. اعمل يا أخي بهذه الوصية، والله الموفق إذا عملت بهذه الوصية التي ذكرنا في كتاب طالب من الله الجليل منصور ابن الحاج إبراهيم خليل غفر الله ولوالديه آمين.

٥ ـ سليمان المهري.

محذورات

الحذر أولا من ثلاثة الأمور. الأول: تأخير الموسم وتفويته، خصوصا من الهند، لأن تأخيره يستدعي التغليق. الثاني: تغليق المركب بالشحنة، وهي الشحنة الجائرة. الثالث: جمة المركب، وهو المركب المبحر (الذى مضى عليه زمن طويل في البحر) فمن دخل البحر، ومعه أحد هؤلاء الثلاثة، فلا يلومن إلا نفسه. فإن سافر ومعه أحد هؤلاء الثلاثة وسلم وأولج، فكلاهما فكأن ما سلم وأولج (ودخل المرسى) لكن القضاء والقدر جاء على الخلاف. فإذا قدر على العبد شيء، فلا مهرب للعبد منه.

والحذر أيضا من المنادخ الفاسدة، منها ندخة سهيلي جنوبي سقطرة، في آخر الموسم في آخر أرياح الصبا. وهو مائة وستون وما فوقها. ومنها ندخة بطن بنه. في مائة النيروز إلى مائة وثلاثين. وكذلك بطن هالوله وهي الغبة الجنوبية عن حافوني. ومنها ندخة فرتك في مائة النيروز وما بعدها، وأنت يماني أو حجازي أو زيلعي. فإن المد (التيار) يكون عليه هنديا خصوصا في حاية الكوس. ومنها أن تسقط من رأس الحد إلى الجنوب من أول النيروز إلى سبعين النيروز خصوصا في المركب الكبير، وأنت تريد مسكت (مسقط) أو هرموز. ومنها أن تفك بر العرب في أرياح الكوس. فلا بد تندخ بر العرب كمصيرة (مصيرة: جزيرة جنوب غربي رأس الحد بعمان) وأقله رأس السارق، ورأس بيش والحد. فالحذر أن تفوت رأس الحد، فيفوتك جميع بر العرب. ومنها ندخة فورميان وما قاربها في مائة وتسعين النيروز، بل تكون ندختك مدور وكولى نار (جزيرة بجوار ساحل الهند الغربي). ومنها ندخة جامس فله في الصدر وأنت ملعقي (ملعقة: الاسم العربي لملقة «مليزيا») خوفا من المد تحت الجنوب، خصوصا مع الشوار، فيطلع عليك بر جزيرة شمطرة (سمطرة) ومنها الغفلة عن قرب المنادخ في جميع البرور خوفا من الهجوم (الوقوع على البر).

تنبيه في تحذير صاحب الدرك وهو المعلم: وآفة صاحب الدرك كثرة النوم والغفلة، خصوصا بالليل، والحذر كل الحذر من تجمير القلع (رفع الشراع إلى الجامور: رأس الدقل) مع الغيوم والأمطار، ومع الأرياح العواصف، وهو يتغافل أو يتجاسر، فلا يلومن إلا نفسه. والحذر كل الحذر من طول نسعة الدستور (نسعة: حبل، الدستور: مربط الشراع في المقدمة) مع ضعف السكان بالليل، خصوصا مع الأرياح المختلفة والأمطار. والحذر كل الحذر من هجوم ريح البر إذا كنت تجاريه. وبالليل أكد واحذر كل الحذر أيضا من تشاعف الأرياح (تضاربها، أى تهب من أكثر من جهة) عند دخول الرؤوس. فإن الأرياح تتضارب فيها. والحذر كل الحذر على الدقل بريح العرض وهو غامز (غامز: سريع) والقلع بالجامور، أو بحملة كبيرة خصوصا مع رخى النوامير والشرت (حبال الدقل) والحذر كل الحذر من الدقل على المركب عند تغير السكان، والمركب بالعرض مع الطوفان، فإنه يغير المركب، فقطعُه أولى من إبقائه إلا أن تكون الموجة هينة. وينبغي للمعلم أن يتفقد السكان، كل يوم، وكذلك آلات المركب. والحذر كل الحذر على السكان من الاعتراضة عند كبر الموجة.

وكم من محذور غير هذه الأشياء، لأن البحر خصم قاهر، فينبغي الحذر منه في كل وقت وحين. وإنما ذكرت مهماته سهبا تنبيها للعارف وتعريفا للجاهل. وأما الخبير الممارس فهو حذر. وبعد هذا كله لا حذر من قدر الله سبحانه وتعالى فنسأل الله أن يلطف بنا والمسلمين أجمعين، وأن ينجينا من الأهوال إنه هو السميع المجيب.

(علوم العرب البحرية من ابن ماجد إلى القطامي ـ حسن صالح شهاب/ ٩ ـ ١٢، ٢٧ ـ ٣٧، ٣١٥ ـ ٣٢٤).

*** الرحمانية:**

الطريقة الرحمانية طريقة من الطرق الصوفية بالجزائر، نسبت إلى محمد بن عبد الرحمن الكَشتلي الجُرجُرى الأزهرى أبي قَبْرَيْن المتوفى عام (١٢٠٨ هـ/ ١٧٩٣ ـ ١٧٩٤ م) وهي

فرع من الطريقة الخلوتية ويقال إنها كانت تعرف فى وقت من الأوقات باسم البكرية نسبة إلى مصطفى البكرى الشامى وهى تعرف فى نقطة من أعمال تونس وغيرها من الأماكن الأخرى باسم العزوزية نسبة إلى مصطفى محمد بن عزوز.

كانت أسرته أى (محمد بن عبد الرحمن) من قبيلة آيت إسماعيل من حلف گشلة فى قبائل جرجرة، درس فى مسقط رأسه ثم فى الجزائر وبعد ذلك حج إلى مكة عام (١١٥٢ هـ ١٧٣٩ ـ ١٧٤٠ م) وفى عودته جاور فترة من الزمن بالأزهر فى القاهرة حيث أدخله محمد بن سالم الحفنوى المتوفى عام (١١٧١ هـ) فى الطريقة الخلوتية وأمره أن يعمل على نشر هذه الطريقة فى الهند والسودان وعاد إلى الجزائر بعد أن غاب عنها ثلاثين عاما وبدأ فى الوعظ والإرشاد فى القرية التى نشأ فيها حيث أنشأ الزاوية وظل يدعو إلى الله إلى أن توفى فيها تاركا على بن عيسى المغربى خليفة له.

ويقال إن الترك سرقوا جثته ودفنوها باحتفال مهيب فى الحامة وابتنوا فوقها قبة ومسجدا، على أن آل إسماعيل (آيت إسماعيل) يرون أن الجثة لم تفارق قبرها الأصلى ومن ثم فقد ذهبوا إلى أنها أزدوجت بفضل كرامة من كراماته ولذلك لقب بـ «أبى قبرين».

ومن أذكار هذه الطريقة سبعة أوراد:

١ ـ (لا إله إلا الله) يرددها ما بين ١٢ ألف و ٧٠ ألف مرة فى يوم وليلة.

٢ ـ (الله) ثلاث مرات. ٣ ـ (هو) ثلاث مرات.

٤ ـ (حق) ثلاث مرات. ٥ ـ (حى) ثلاث مرات.

٦ ـ (قيوم) ثلاث مرات ٧ ـ (قهار) ثلاث مرات.

ووقتها من عصر يوم الخميس إلى عصر الجمعة ومن السور والآيات التى يكثرون ترديدها آية الكرسى وسورة البقرة وسورة الناس والفلق والإخلاص وأهم مؤلفات هذه الطريقة رسالة عنوانها « الرحمانية» لمحمد بن بخترزى وعليها شرح لولده مصطفى وهناك كتاب آخر يذكره أهل هذه الطريقة هو «الروض الباسم فى مناقب الشيخ محمد بن القاسم».

(تاريخ الطرق الصوفية ــ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٥١، ٥٢).

* **رحمت:**

قال الأزهرى: التاء فى قوله تعالى: ﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٦] أصلها هاء وإن كتبت تاء

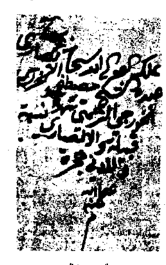
(لسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٦١٢).

انظر مادة «تاء التأنيث وهاؤه فى رسم المصحف فى م ٨ / ٢٩٦.

* **الرَّحْمَتى (١١٣٥-١٢٠٥ هـ / ١٧٢٢-١٧٩١ م):**

مصطفى بن محمد بن رحمة الله بن عبد المحسن الأيوبى الأنصارى، أبو البركات الرحمتى: فقيه دمشقى، من علماء الحنفية. هاجر إلى المدينة سنة ١١٨٧ هـ. ومرض فى أواخر أيامه فذهب إلى الطائف مستشفيا، ونزل للحج، فمات فى جهة «السيل» ودفن بمكة. له كتب، منها «حاشية على مختصر شرح التنوير للعلائى» فقه، و «حاشية على المنح» لعلها المنح السنية فى فرائض الحنفية؟، و «شرح الطريق السالك على زبدة المناسك» ليوسف المدنى. قال الكمال الغزى: واختصر« شرح الشهاب الخفاجى على الشفا» اختصارا حسنا. وله عدة رسائل وأجوبة على أسئلة كانت ترفع إليه، نظما ونثرا (الأعلام ٧ / ٢٤١).

له ترجمة فى: حلية البشر ٣ / ١٥٣٦، وروض البشر / ٢٤٢، ومنتخبات التواريخ لدمشق ٢ / ٦٧٧، وهدية العارفين ٢ / ٤٥٤ (عرف البشام / ١٣٦).



مصطفى بن محمد الرحمتي
عن مخطوطة في « المكتبة العربية » بدمشق.

(الأعلام للزركلي ٧ / ٢٤١، وعرف البشام فيمن ولى فتوى دمشق الشام للمرادى ـ تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد / ١٣٦ هامش ٢).

*** الرحمن الرحيم جل جلاله:**

الاسمان الثانى والثالث من أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين

جاء فى اللسان: الله الرحمن الرحيم: بنيت الصفة الأولى على فَعْلان لأن معناه الكثرة، وذلك لأن رحمته وسعت كل شىء، وهو أرحم الراحمين.

فأما الرحيم فإنما ذكر بعد الرحمن لأن الرحمن مقصور على الله عز وجل. والرحيم يكون لغيره. قال الفارسى: إنما قيل: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فجىء بالرحيم بعد استغراق الرحمن معنى الرحمة، لتخصيص المؤمنين به فى قوله تعالى: ﴿**وكان بالمؤمنين رحيما**﴾ [الأحزاب: ٤٣] كما قال: ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق**﴾ ثم قال: ﴿**خلق الإنسان من علق**﴾ [العلق: ١، ٢] فخص بعد أن عم، لما فى الإنسان من وجوه الصناعة ووجوه الحكمة، ونحوه كثير.

قال الزجاج: الرحمن اسم من أسماء الله عز وجل مذكور فى الكُتب الأُول، ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله. قال أبو الحسن: أراه يعنى أصحاب الكُتب الأول، ومعناه عند أهل



اللغة ذو الرحمة لتى لا غاية بعدها فى الرحمة، لأن فَعْلان بناء من أبنية المبالغة، ورحيم فعيل بمعنى فاعل، كما قالوا سميع بمعنى سامع، وقدير بمعنى قادر...

قال الأزهرى: ولا يجوز أن يقال رحمن إلا لله عز وجل، وفعلان من أبنية ما يبالغ فى وصفه، فالرحمن الذى وسعت رحمته كل شىء، فلا يجوز أن يقال رحمن لغير الله. وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، فالرحمن الرقيق والرحيم العاطف على خلقه بالرزق. وقال الحسن: الرحمن اسم ممتنع لا يسمى غير الله به، وقد يقال رجل رحيم. الجوهرى: الرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة... ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما على جهة التوكيد، كما يقال فلان جاد مُجد، إلا أن الرحمن اسم مختص لله تعالى لا يجوز أن يسمى به غيره ولا يوصف. ألا ترى أنه قال: ﴿**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن**﴾ [الإسراء: ١١٠] فعادل به الاسم الذى لا يشركه فيه غيره، وهما من أبنية المبالغة. ورحمن أبلغ من رحيم، والرحيم يوصف به غير الله تعالى فيقال رجل رحيم، ولا يقال رحمن. وكان مسيلمة الكذاب يقال له رُحمان اليمامة. والرحيم قد يكون بمعنى المرحوم. (لسان العرب ١٨ / ١٦١٢).

وجاء فى كتاب «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها» عن اسم «الرحمن جل جلاله»

قال الله تعالى ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه: ٥]

ومعنى «الرحمن جل جلاله»: أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة، المتعطف برحمته وجلائل نعمه على جميع خلقه، فسبحانه هو الرحمن الرحيم استوى على عرشه وتجلى على خلقه باسم الرحمن وليس باسم المتكبر الجبار وكذلك أرسل رسوله سيدنا محمد ﷺ بالرحمة العامة:

﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

فخلَّق الله رسوله بالخُلُق العظيم وزينه بالحلم والكرم وأثنى عليه بقوله الكريم:

﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ [القلم: ٤]



(١٠) (بسملة) بخط يوسف أحمد المصري سورها المؤلف سنة ١٤٠٤هـ

فالله فى السماء رحمن، ورسوله محمد ﷺ فى الأرض مظهر من مظاهر رحمة ربه الرحمن الرحيم.

وافهم معنى قول الله تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ [البقرة: ١٢٦].

فإن رحمة الله شملت المؤمن والكافر كما عمت جميع مخلوقاته. قال الله تعالى ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء﴾ [الأعراف: ١٥٦]

وهذا الاسم «الرحمن جل جلاله»: لا يسمى به غير الله وهو جار مجرى العلم المفرد، ولم يرد فى القرآن مجردا من (ال) التعريف، واعلم أن اسم «الرحمن جل جلاله». أصل لاشتقاق الرحمة. وكذلك اشتقت من أسمائه الحسنى جميع الصفات والأفعال. فهو الأول قبل كل شىء. والله خلقكم وما تعملون.

وقد ورد اسم (الرحمن جل جلاله) فى البسملة مائة وأربع عشرة مرة فى أول كل سورة من سور القرآن الكريم إلا فى سورة (الصف براءة) فوردت البسملة فى سورة النمل مرتين. وكذلك ورد اسم الرحمن جل جلاله خمسا وخمسين مرة فى القرآن الكريم فى سورة البقرة مرة وفى الرعد مرة وفى الإسراء مرة، وفى مريم خمس عشرة مرة. وفى طه أربع مرات، وفى الأنبياء ثلاث مرات، وفى الفرقان خمس مرات، وفى الشعراء مرتين، وفى النحل مرة، وفى يسٓ أربع مرات، وفى فصلت مرة، وفى الزخرف سبع مرات. وفى قٓ مرة وفى الحشر مرة، وفى الملك أربع مرات، وفى عم مرتين، وفى الفاتحة مرة.

قال رسول الله ﷺ «قال الله تعالى: أنا الرحمن، أنا خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ومن بتها بتته).

رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم عن عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه.

فإذا فكرت فى معانى هذه الآيات واقتران اسم الرحمن باسم الله الأعظم دعوت الرحمن لكل ما أنت محتاج إليه.

قال الله سبحانه ﴿ قال ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء: ١١٠].

وكذلك أوجب الله سبحانه السجود لذاته الرحمانية دون سائر أسمائه وصفاته ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾ [الحج: ١٨] ﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا﴾ [الفرقان: ٦٠].

كما أوجب الله سبحانه خصائص كثيرة «للرحمن جل جلاله» من خصائص أسمائه وصفاته بصفة الربوبية والخَلق وجعل اسم الرحمن ذكرا للذاكرين، ونبه إلى الاستعاذة به والتوكل عليه والصوم له وأن الناس تحشر إليه يوم القيامة: فقال الله سبحانه ﴿ كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ [الرعد: ٣٠]

وقال الله سبحانه ﴿ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا﴾ [الملك: ٥٩] وقال الله جل جلاله ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ [الملك: ٣]

وقال الله جل جلاله ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾ [مريم: ٨٨]



(١٣) بسملة ... كتبها يوسف ذنون عبدالله سودها المؤلف سنة ١٤٠٤م

﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا﴾ [مريم: ٩٢ ـ ٩٤]

وقال الله جل جلاله **﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾** [مريم: ٨٥]

وقال الله جل جلاله **﴿ قلت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾** [مريم: ١٨].

وقال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم، فقال مه: فقالت: هذا مكان العائذ بك من القطيعة قال نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب، قال: فذلك لك».

رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وقال الله جل جلاله **﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا﴾** [مريم : ٢٦]

وقال الله سبحانه وتعالى **﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾** [الزخرف: ٣٦]

وحظ العبد من اسم ربه «الرحمن جل جلاله» أن يتخلق بعين الرحمة وعون المخلوق بحوله أو دعائه ويورثه نور العلم والبيان.

فقال الله سبحانه **﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾** [الفرقان: ٦٣]

وقال الله سبحانه وتعالى **﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾** [الرحمن: ١ ـ ٤]

فمن علمه الرحمن القرآن علمه البيان، علمه علوم الكون كلها **﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾** [الأنعام: ٣٨]

وحظ العبد من اسم ربه «الرحمن جل جلاله» قالوا: من ذكره مائة مرة إثر كل فرض زال عنه النسيان والغفلة وقساوة القلب وأُعين على أمور الدنيا. ولا يزال ذاكره يتقلب في رضوان الله تعالى وتتوالى عليه النعم. ومن كتبه ومحاه في ماء وسقي منه صاحب الحمى الحارة ذهبت عنه.

وقالوا: من صلى عصر يوم الجمعة ثم استقبل القبلة وقال: يا ألله يا رحمن إلى أن تغيب الشمس وسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه الله إياه. والله أعلم.

وجاء عن اسمه تعالى «الرحيم جل جلاله».

بسم الله الرحمن الرحيم هي مفاتيح لأسمائه تعالى ظاهرا وباطنا وفيها اسم الله الأعظم.

(الله) جل جلاله: هو الاسم الأعظم لذاته القدسية، الجامع لجميع أسمائه وصفاته العظيمة السرمدية.

(الرحمن) جل جلاله: هو اسم الله ونعت لذاته العلية، أي ذو الرحمة الواسعة، المتعطف بها على جميع مخلوقاته.

(الرحيم جل جلاله): هو اسم لذاته المقدسة وصفة لربوبيته السرمدية، كتب رحمته على نفسه واختص بها عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.

فقال الله سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه سيدنا محمدا ﷺ.

﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾ [الأنعام : ٥٤].

وقال الله سبحانه وتعالى **﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون**

* الـذين يتبعون الـرسول النبى الأمى الـذى يجدونـه مكتوبـا عندهم فى التوراة والإنجيل﴾ [الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧] .

وبشر الله سبحانـه وتعالى عباده المؤمنين بقـوله الكريم : ﴿هو الـذى يصلى عليكم وملائكته ليخـرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما* تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾ [الأحزاب : ٤٣ ، ٤٤] .

« فالرحمن الرحيم جل جـلاله» : اسمان رفيقان اختصهما الله لرحمة عباده وقرنهما معا باسمه الله فى مائة وأربع عشرة مرة بعدد سور القرآن العظيم .

وقرن اسمـه «الرحمن الـرحيم جل جلالـه» فى أربع آيات من آى الذكر الحكيم .

فقال الله سبحـانه وتعـالى ﴿الحمـد لله رب العـالمين * الرحمن الرحيم﴾ [الفاتحة : ٣ ، ٤] وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هـو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ حمٓ * تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ [فصلت : ١ ، ٢]

وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾ [الحشر : ٢٢] .

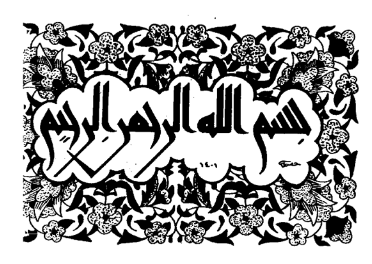
ومن معـانى تفسير هـذه الآيـات ، وجوب الثنـاء على الله وتوحيد ربـوبيته وأن كتابه المنزل على رسولـه الرؤوف الرحيم هو من عند عالم الغيب والشهادة الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .

تنبيها لعباده لأن يدعوه بـاسمه الرحيم فى الحالة التى هم عليها فينشـر عليهم رحمته . وكذلك اقتـران اسم «الرحيم جل جلاله» : فى آيـات كثيرة مع أسمائه : التواب والعـزيز والغفور والرؤوف والودود والرب والبر تنبيها لعباده ليدعوه باسمه الرحيم مقترنا بالاسم الذى يصلح لقضاء حوائجهم .

فقال الله جل جلاله : ﴿فتلقى آدم من ربه كلمـات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ [البقرة: ٣٧] .

وقـال الله جل جلالـه : ﴿ وتوكـل على العزيز الـرحيم﴾ [الشعراء : ٢١٧] .

وقـال الله سبحانـه ﴿ نبىء عبـادى أنا الغفـور الـرحيم﴾ [الحجر : ٤٩] .



(١٦) بسملة بخط كوفي قيرواني (مغربي) بقلم المؤلف سنة ١٤٠٤هـ

وقال الله سبحانـه وتعالى : ﴿ إن الله بـالناس لـرؤوف رحيم﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود﴾ [هود : ٩٠] .

وقال الله سبحـانه وتعـالى ﴿سـلام قـولا من رب رحيم﴾ [يسٓ : ٥٨] .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾ [الطور: ٢٨]

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن عثمان بن عفان رضى الله عنـه سأل رسـول الله ﷺ عن بسـم الله الـرحمن الـرحيم ، فقـال : « هو اسم من أسمـاء الله تعـالى وما بينـه وبين الاسم الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها» رواه ابن النجار .

فافهم ذلك من قول الله تعالى ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الـرحمن الـرحيم * ألا تعلـوا علىَّ وأتـونى مسلمين﴾ [النمل: ٣٠ ، ٣١]

وحيث إن الـرحمـة صفـة اتصف بهـا «الـرحمن الـرحيم» وأودعها فى قلوب عباده المؤمنيـن فقد نبه الله عباده المؤمنين بأنه هـو أرحم الراحمين ، وأنـه خير الـراحمين ليتراحمـوا فيما بينهم .

وقال الله جل جـلاله : ﴿ وأيـوب إذ نادى ربـه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء : ٩٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ [المؤمنون : ١١٨]

وقال الله تعالى: ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨]

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩]

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١]

وحظ العبد من اسم ربه «الرحيم جل جلاله» أن يتخلق ذاكره برقة القلب والرحمة للمخلوقين.

وقالوا: من داوم على ذكره كل يوم مائة مرة تداركته رحمة ربه ولانت له القلوب

ومن أكثر من ذكره كان مجاب الدعوة، آمنا من سطوات الدهر.

(الرحمن الرحيم جل جلاله) هما اسمان عظيمان. والدعاء بهما ينفع المضطرين وهما أمان للخائفين، ومن أكثر من ذكرهما كان ملطوفا به فى جميع أحواله. ويصلحان لمن غلبت عليه القسوة وعدم الرأفة. ومن ذكرهما وهو داخل على جبار، كفاه الله شره وأعطاه خيره.

وقد ورد اسم «الرحيم جل جلاله» فى القرآن الكريم اثنتين وثلاثين مرة. البقرة ست مرات، وفى التوبة مرتين، وفى يونس مرة، وفى يوسف مرة، وفى الحجر مرة، وفى الشعراء تسع مرات، وفى القصص مرة، وفى الروم مرة وفى السجدة مرة وفى يس مرة، وفى الزمر مرة، وفى فصلت مرة، وفى الشورى مرة، وفى الدخان مرة، وفى الفتح مرة ، وفى الطور مرة ، وفى الحشر مرة، وفى الحاقة مرة، وفى الفاتحة مرة . (ولله الأسماء الحسنى / ١٨ ـ ٢٥).

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالى: الرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة. والرحمة تستدعى مرحوما، ولا مرحوم إلا وهو محتاج ، وهو الذى ينقضى به حاجة المحتاج من غير قصد وإرادة وعناية، فالمحتاج لا يسمى رحيما. والذى يريد قضاء حاجة ولا يقضيها . . فإن كان قادرا على قضائها لا يسمى رحيما ، إذ لو تمت الإرادة لوفى بها. وإن كان عاجزا ، فقد يسمى رحيما باعتبار ما اعتوره من الرقة، ولكنه ناقص.

وإنما الرحمة التامة إضافة الخير على المحتاجين، وإرادته لهم؛ عناية بهم. والرحمة العامة هى التى تتناول المستحق وغير المستحق. ورحمة الله تامة عامة. أما تمامها: فمن حيث أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها. وأما عمومها: فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق، وعم الدنيا والآخرة وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجية عنها، فهو الرحيم المطلق حقا.

دقيقة: الرحمة لا تخلو عن رقة مؤلمة تعترى الرحيم فتحركه إلى قضاء حاجة المرحوم. والرب تعالى منزه عنها. فلعلك تظن أن ذلك نقصان فى معنى الرحمة فاعلم أن ذلك كمال، وليس بنقصان فى معنى الرحمة.

أما أنه ليس بنقصان: فمن حيث إن كمال الرحمة بكمال ثمرتها. ومهما قضيت حاجة المحتاج بكمالها لم يكن للمرحوم حظ فى تألم الراحم وتفجعه. وإنما تألم الرحم لضعف نفسه ونقصانها، ولا يزيد ضعفها فى غرض المحتاج شيئا بعد أن قضيت كمال حاجته.

وأما أنه كمال فى معنى الرحمة: فهو أن الرحيم من رقة وتألم يكاد يقصد بفعله دفع الرقة عن نفسه؛ فيكون قد نظر لنفسه، وسعى فى غرض نفسه. وذلك ينقص عن كمال معنى الرحمة. بل كمال الرحمة أن يكون نظر إلى مرحوم لأجل المرحوم، لا لأجل الاستراحة من ألم الرقة.

فائدة: الرحمن أخص من الرحيم، ولذلك لا يسمى به غير الله، والرحيم قد يطلق على غيره. فهو من هذا الوجه قريب من اسم الله الجارى مجرى العلم، وإن كان هذا مشتقا من الرحمة قطعا. لذلك جمع الله بينهما فقال: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [الإسراء: ١١٠].

فلزم من هذا الوجه، ومن حيث منعنا الترادف فى الأسماء المحصاة ــ أن يفرق بين معنى الاسمين. فالحرى أن يكون المفهوم من الرحمن نوعا من الرحمة هى أبعد من مقدورات العباد، وهى ما يتعلق بالسعادة الأخروية، فالرحمن هو العطوف على العباد بالإيجاد أولا، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانيا، والإسعاد فى الآخرة ثالثا، والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعا.

تنبيه: حظ العبد من الرحمن: أن يرحم عباد الله تعالى الغافلين، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإيذاء، وأن يكون كل معصية تجرى فى العالم كمعصية له فى نفسه، فلا يألو جهدا فى إزالتها بقدر وسعه رحمة لذلك العاصى أن يتعرض لسخط الله تعالى ويستحق البعد عن جواره.

وحظه من اسم الرحيم: أن لا يدع فاقة لمحتاج إلا يسدها بقدر طاقته، ولا يترك فقيرا فى جواره وبلده إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره: إما بماله، أو جاهه، أو السعى فى حقه بالشفاعة إلى غيره. فإن عجز عن جميع ذلك، فيعينه بالدعاء وإظهار الحزن لسبب حاجته رقة عليه وعطفا؛ حتى كأنه مساهم له ضره وحاجته.

سؤال وجوابه:

لعلك تقول: ما معنى كونه تعالى رحيما، وكونه تعالى أرحم الراحمين، والرحيم لا يرى مبتلى ولا مضرورا ومعذبا ومريضا وهو يقدر على إماطة ما بهم إلا ويبادر إلى إماطته. والرب تعالى قادر على كفاية كل بلية، ودفع كل فقر، وإماطة كل مرض، وإزالة كل ضرر. والدنيا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا، وهو قادر على إزالة جميعها، وتارك عباده ممتحنين بالرزايا والمحن؟

فجوابك: أن الطفل الصغير، قد ترق له أمه فتمنعه عن الحجامة، والأب العاقل يحمله عليه قهرا. والجاهل يظن أن الرحيم هى الأم دون الأب. والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته، وأن الأم عدو فى صورة صديق، وأن الألم القليل إذا كان سببا للذة الكثيرة لم يكن شرا، بل كان خيرا.

والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة، وليس فى الوجود شر إلا وفى ضمنه خير، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذى فى ضمنه، وحصل بطلانه شر أعظم من الشر الذى يتضمنه. فاليد المتآكلة قطعها شر فى الظاهر، وفى ضمنها خير جزيل، وهو سلامة البدن ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن، ولكان الشر أعظم. وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر فى ضمنه خير. ولكن المراد الأول السابق إلى نظر القاطع السلامة التى هى خير محض. ثم لما كان السبيل قطع اليد لأجله، وكانت السلامة مطلوبة لذاتها أولا، والقطع مطلوبا لغيره ثانيا لا لذاته. فهما داخلان تحت الإرادة، ولكن أحدهما مراد لذاته والآخر مراد لغيره. والمراد لذاته قبل المراد لغيره، ولأجله قال تعالى [فى الحديث]:

«رحمتى سبقت غضبى».

(تمامه: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتى سبقت غضبى» أخرجه الشيخان. وعند البخارى رحمه الله فى أخرى: «إن رحمتى غلبت غضبى» وعند الشيخين والترمذى فى أخرى: «تغلب غضبى»).

فغضبه إرادته للشر، والشر بإرادته. ورحمته إرادته للخير والخير بإرادته. ولكن أراد الخير للخير نفسه، وأراد الشر لا لذاته ولكن لما فى ضمنه من الخير، والخير مقتضى بالذات والشر مقتضى لغيره. وكل مقدر، وليس فى ذلك ما ينافى الرحمة أصلا.

فالآن إن خطر لك نوع من الشر لا ترى تحته خيرا، أو خطر لك أنه كان تحصيل ذلك الخير ممكنا لا فى ضمن الشر ــ فاتهم عقلك القاصر فى أحد الخاطرين.

أما فى قولك: إن هذا الشر لا خير تحته ــ فإن هذا ما تقصر العقول عن معرفته. ولعلك فيه مثل الصبى الذى يرى الحجامة شرا محضا، أو مثل الغبى الذى يرى القتل قصاصا

شرا محضا؛ لأنه ينظر إلى خصوص المقتول ؛ لأنه في حقه شر محض، ويذهل عن الخير العام الحاصل للناس كافة، ولا يدرى أن التوصل بالشر الخاص إلى الخير العام خير محض، ولا ينبغي للخير أن يهمله.

أو اتهم عقلك فى الخطر الثانى، وهو قولك: إن تحصيل ذلك لا فى ضمن ذلك الشر ممكن. فإن هذا أيضا دقيق غامض. فليس كل محال وممكن مما يدرك إمكانه واستحالته بالبديهة ولا بالنظر القريب. بل عرف ذلك بنظر غامض دقيق يقصر عنه الأكثرون

فاتهم عقلك فى هذين الطرفين، ولا تشكن أصلا فى أنه أرحم الراحمين، وأنه سبقت رحمته غضبه. ولا تسترب (أى لا تداخلك الريبة والشك) فى أن مريد الشر للشر لا للخير غير مستحق لاسم الرحمة.

وتحت كشف هذا الغطاء عن هذا السر الذى منع الشر من إفشائه، فاقنع بالإيمان ولا تطمع فيَّ إلى إفشاء. ولقد نبهت بالرمز والإيماء إن كنت من أهله. فتأمل : شعر:

لقد أسمعتُ لو ناديت حيا

ولكن لا حياة لمن تنادى

هذا حكم الأكثرين. وأما أنت أيها الأخ المقصود بالشرح فلا أظنك إلا مستبصرا يُسْرَ الله فى القدر، مستغنيا عن هذه التحويمات والتنبيهات (المقصد الأسنى / ٦١ ـ ٦٣)

وفى تفسيره «للرحمن الرحيم» يعرض الإمام فخر الدين الرازى المسائل التالية :

المسألة الأولى : اتفق أكثر العلماء على أن اسم الرحمن عربى لفظه وقال: ثعلب إنه عبرانى الأصل وكان رخمانا بالخاء المعجمة من فوق، فنقل إلى العربية، وأبدلت حاء مهملة، وحذف الألف، فقيل الرحمن، واحتج عليه بوجوه،

الأول : لو كان هذا الاسم مشتقا من الرحمة لما أنكرته العرب حين سمعوه لأنهم ما كانوا ينكرون رحمة ربهم، لكن الله تعالى قد حكى عنهم الإنكار، والنفور عنه، فى قوله **﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾** [الفرقان : ٦٠]

الثانى : لو كان هذا الاسم مشتقا من الرحمة لحسن وصله بذكر المرحوم فجاز أن يقال: الله رحمن بعباده، لا كما يقال رحيم بعباده ، فلما لم يحسن وصله بذكر المرحوم دل على أنه غير مشتق من الرحمة.

الثالث : لو كان مشتقا من الرحمة لكان الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، فإن هذا الثناء يفيد المبالغة، كقولهم : إناء ملآن، ورجل غضبان، وشبعان ، وريان أى ممتلىء من الغضب والشبع والماء، وإذا كان الرحمن أشد مبالغة من الرحيم كان تقديم الرحيم على الرحمن أولى فى الذكر ، ألا ترى أنه يقال: فلان عالم كثير العلم ولا يقال كثير العلم عالم، فلما تأخر ذكر الرحيم عن الرحمن علمنا أن الرحمن اسما مشتقا من الرحمة.

الرابع : أن رحمانا لا شك أنها كلمة عبرانية والعرب ما استعملوا هذا اللفظة قبل نزول القرآن، فعلمنا أنها لفظة عبرانية، هذه جملة الوجوه التى تمسك بما ثعلب فى صحة قوله.

أما الأكثرون فقد اتفقوا على أن هذه اللفظة عربية، واحتجوا عليه بالقرآن والخبر ، أما القرآن فقول تعالى : **﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾** [الزخرف : ٣٠] وقال **﴿بلسان عربى مبين﴾** [الشعراء : ١٩٥] وقال **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾** [إبراهيم : ٤] ولفظ الرحمن مذكور فى مواضع كثيرة من القرآن ، فلو لم يكن عربيا، أو كان فى القرآن ما ليس بعربى من لغة العرب لدخل الخلف فى الآيات التى تلوناها، وكل قول يؤدى إلى ذلك فهو باطل، فثبت أن لفظ الرحمن لفظة عربية.

أما الخبر: فما روى أبو الدرداء قال «سمعت رسول الله ﷺ يحكى عن ربه تعالى: أنا الرحمن وهى الرحم شققت لها اسما من اسمى، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته، ثم أبته، فهذا الخبر يدل على أن لفظة الرحمن عربية .

أما الشعر: فقول عمرو بن زيد بن نفيل :

ولكن أعبد الرحمن ربى

ليغفر ذنبى الرب الغفور

وقال آخر :

سمـــوت للمجـــد يـــا ابن الأكـــرمين أبـــا
فأنت غيث الـــورى مـــازلت رحمـــانـــا

وكان مسيلة الكذاب قد تسمى بالرحمن. وكل ذلك يدل على أن هذه اللفظة عربية.

أما الجواب عما تمسك به ثعلب فهو. أن العرب إنما أنكروا الرحمن لا لأجل ما ذهب إليه ثعلب لكن لأجل أنهم كلما سمعوا قوله تعالى ﴿ **قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن** ﴾ [الإسراء: ١١٠] توهموا أن الله غير الرحمن فأنكروا الرحمن بهذا الخيال، لا لأجل أنهم ما عرفوا هذه اللفظة فى لغتهم.

والجواب عن الثانى: إنما لم يحسن أن يقال إنه رحمن بعباده، لأن هذا يوهم أن كونه رحمانا مختص بعباده وليس الأمر كذلك، فإن كونه تعالى رحمانا يقتضى عموم رحمته فى الدينا والآخرة وفى حق البر والفاجر، وأما الرحيم فهو المختص بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿ **وكان بالمؤمنين رحيما** ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

والجواب عن الثالث: أن ذكر الرحيم بعد الرحمن إنما كان لتخصيص المؤمنين بزيادة بعد عموم البر والفاجر، فالله تعالى رحمن يرحم البار والفاجر فى الرزق، وفى دفع الأسقام، والمصائب، والدواهى، وهو رحيم يرحم المؤمنين خاصة بالهداية، والمغفرة، وإدخال الجنة.

والجواب عن الرابع: أن ورود ما يشبه هذه اللفظة فى العبرانية لا يقدح فى كونها عربية لا سيما وبين العربية والعبرانية مشابهات كثيرة فى الألفاظ

المسألة الثانية: اختلف العلماء فى معنى الرحمن فقال بعض المحققين: الرحمة من صفات الذات، وهى إرادة إيصال الثواب والخير، ودفع الشر، وعلى هذا التقدير كان البارى فى الأزل رحمانا رحيما لأن إرادته أزلية، ومعنى ذلك أنه تعالى أراد فى الأزل أن ينعم على عبيده المؤمنين فيما لا يزال، وقال آخرون الرحمة من صفات الفعل، وهى إيصال الخير، ودفع الشر.

واحتج الأولون: بأنه يصلح أن يقال: رحمته وما أنعمت عليه، وأن يقال: أنعمت عليه وما رحمته، وذلك يدل على أن الرحمة ليست اسما لذلك الفعل، ألا ترى أن من رأى إنسانا فى بلاء وشدة، وأراد أن يدفع ذلك البلاء عنه، ولم يقدر عليه صح أن يقال: إنه رحمه ولكنه ما قدر على أن ينفعه، وقد يقال أيضا: دفعت البلاء عنه، وإن كنت ما رحمته؛ فهذا النفى والإثبات يدل على أن الرحمة نفس الإرادة لا الفعل.

واحتج من قال: إن الرحمة اسم للخير يوجوه.

أحدها: أنه تعالى سمى الخير رحمة، فقال: ﴿ **يدخل من يشاء فى رحمته** ﴾ [الإنسان: ٣١] وسمى المطر رحمة، فقال: ﴿ **وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته** ﴾ [الأعراف: ٥٧] و [الفرقان: ٤٨] وهذا يدل على أن الرحمة اسم للنعمة لا لإرادة النعمة.

الثانى: أنه يحرز وصف الرحمة بما لا يجوز وصف الصفات الأزلية به، فوجب أن لا تكون الرحمة عبارة عن الصفة الأزلية.

بيان المقام الأول: أنه يقال هذه الرحمة عامة، وهذه الرحمة خاصة، ولا يجوز أن يقال هذه الإرادة عامة، وهذه الإرادة خاصة، وقال تعالى: ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ [الأعراف: ٥٦] ولا يجوز أن يقال: إرادة الله قريبة من المحسنين، وروى عن أبى هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال «إن لله مائة رحمة، وإنه أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسمها بين خلقه، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون، وأخَّر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة، ومعلوم أن هذه الأحكام لا تليق بصفة الله تعالى وبإرادته، وقال تعالى: ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك** ﴾ [الزخرف: ٤٢] وقسمة الإرادة ممتنعة، أما قسمة النعمة فممكنة وقال تعالى: ﴿ **وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها** ﴾ [الإسراء: ٢٨] وهذا لا يليق بالإرادة. إنما يليق بالنعمة.

وأجاب الأولون عن الأول: أنه إنما سمى الجنة والمطر رحمة على سبيل الاتساع والمجاز على معنى أن النعمة لما كانت صادرة عن الرحمة أطلق اسم السبب على المسبب، كما يقال: هذا قدرة الله تعالى، وهذا علم فلان، تسمية للمقدور بالقدرة، والمعلوم بالعلم.

وأجابوا عن الثانى: بأن إطلاق لفظ الرحمة على النعم والخيرات إنما كان على سبيل المجاز، ووجهه ما قررناه.

إذا عرفت هذا فنقول : المشهور أن الرحمة عبارة عن إرادة إيصال الخير إلى من هو أدون منه، وفيه نظر؛ لأن على هذا التقدير لا يبقى فرق بين الرحمة والنعمة، وليس الأمر كذلك، بل الرحمة كأنها مخصوصة بدفع البلاء فإذا أنعم عليه نعمة أوجبت تلك النعمة دفع البلاء عنه سميت تلك النعمة رحمة، من حيث إنها أوجبت زوال البلاء.

المسألة الثالثة : اتفق أصحابنا على أنه ليس لله تعالى فى حق الكافر نعمة فى الدين واختلفوا فى أنه هل لله تعالى فى حق الكافر نعمة دنيوية أيضا أم لا ؟

فقال قوم من أصحابنا لأنه ليس لله تعالى فى حق الكافر نعمة دنيوية أيضا، وأن كل ما فعل بهم من الصحة، والسلامة، واللذات، والمنافع، إنما هى استدراج وذلك بمنزلة الطعام المسموم الذى ينتفع به آكله فى الحال، ثم يعقبه العطب والهلاك، وعهد هذا القائل النعمة المنفعة الخالصة عن الضرر المساوى أو الزائد.

أما المعتزلة : فقد اتفقوا على أن لله على الكافر نعما فى الدين والدنيا أما النعم فى الدين فهى خلق الدلائل، والأقدار، والتمكين، ورفع الموانع، وأما النعم فى الدنيا فهى الصحة، واللذة.

واحتج أصحابنا على أنه تعالى لم ينعم على الكافرين بقوله تعالى **﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون﴾** [المؤمنون : ٥٥، ٥٦] فمنع أن يكون ذلك خيرا لهم، فوجب أن لا يكون نعمة، وأيضا قال : **﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملى لهم أن كيدى متين﴾** [القلم : ٤٤، ٤٥] والإملاء المتعلق بالكيد المتين لا يكون نعمة، إنما النعمة ما لها عاقبة محمودة.

واحتج المخالف بقوله تعالى : **﴿ كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾** [الدخان : ٢٥ ــ ٢٧] فسمى ما كان لهم من اللذات، وما يؤدى إليها نعمة، وإن كان عاقبتهم الهلاك، وأيضا قوله تعالى : **«وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله﴾** [النحل : ١١٢] وهذا يدل على أن لله فى حق الكفار نعما فى الدنيا.

والجواب : أنه تعالى إنما سمى ذلك نعمة صورة لا حقيقة، على معنى أنهم لو كانوا مؤمنين لكانت هذه الأشياء نعمة ظاهرا وباطنا، ولكنهم لما كانوا كافرين كانت هذه الأشياء فى الظاهر نعمة؛ وفى الحقيقة ليست بنعمة، فإنها صارت سببا لبقائهم على الكفر، وتماديهم فى الطغيان، واستحقاقهم العذاب الدائم. وما يكون كذلك امتنع أن يكون نعمة، بل ذلك بمنزلة الطعام المسموم اللذيذ، فإن ظاهره وإن كان نعمة؛ لكن باطنه عذاب.

فإن قيل : إن ما يأكلونه ويشربونه، وما حصل لهم من الصحة والسلامة ليس شىء منها سببا للعذاب، وهم لا يستحقون عليها فى الآخرة شيئا من العقاب بل إنما يستحقونه على كفرهم ومعاصيهم.

قلنا : إن استعمالهم تلك اللذات يجعلهم مستغرقين فى طلب اللذات الفانية، ويصدهم عن السعادة فى الآخرة. فيعود الأمر إلى ما ذكرناه.

المسألة الرابعة : اعلم أن رحمة الله سبحانه وتعالى أكمل من رحمة العباد بعضهم لبعض ويدل عليه وجوه.

الأول : أن حصول الرحمة فى قلب العبد بدلا عن القسوة والغلظة أمر جائز الوجود، والمحدث الجائز لا يوجد إلا لمرجح ومخصص، وهذا يقتضى القطع أن خالق تلك الرحمة فى قلب العبد هو الله سبحانه وتعالى، فلولا رحمة الله تعالى لما خلق الرحمة فى قلب العبد، فثبت أن رحمة الله تعالى أكمل وأقدم من رحمة العبد.

الحجة الثانية : أن العبد ما لم يحصل فى قلبه نوع رقة لم يرحم، فإذا تأمل المتأمل أن مقصود العبد من تلك الرحمة إنما هو دفع تلك الرقة الحسية عن القلب، فهو بالحقيقة إنما يرحم غيره ليتخلص عن ألم تلك الرقة، والحق منزه عن الرقة ولا تكون رحمته لهذا المعنى؛ بل رحمته بمحض الفضل والإحسان، ولنحقق هذا الكلام بالأمثلة.

فالأب إذا أحسن إلى ولده فهو فى الحقيقة إنما أحسن إلى

نفسه، لأنه إذا اختلت مصالح الولد تألم قلب الوالد، فإذا أحسن إلى الولد انتظمت مصالحه.

فزال ذلك الألم عن قلب الولد، فالأب إنما أحسن إلى الابن لتحصيل هذا المقصود لنفسه.

والسيد إذا أحسن إلى عبده فإنما أحسن إليه لينفعه، فيجد منه ربحا أو ليقوم بخدمته، فيكون مقصود السيد من ذلك الإحسان إلى العبد إنما هو تحصيل مصلحة نفسه.

والإنسان إذا وهب، وتصدق ، وزكى، فإنما يفعل ذلك ليشتهر فيما بين الخلق بكونه جوادا كريما، أو ليفوز فى الآخرة بالثواب، ويتخلص من العقاب، فهو بالحقيقة إنما أحسن لغرض نفسه.

أما الحق سبحانه وتعالى فإنه كامل لذاته، منزه عن وجوه النقائص والآفات فكان إحسانه بمحض إيصال النفع إلى الغير لا لغرض يعود إليه من جلب نفع أو دفع ضرر، فكان الجواد المطلق، والرحيم المطلق، والمحسن المطلق، هو الحق سبحانه وتعالى.

الحجة الثالثة: أن العبد قد يرحم عبدا آخر، أو يحسن إليه؛ ولكن الانتفاع بذلك الموهوب لا يكمل إلا عند العين الباصرة، والأذن السامعة، والمعدة الهاضمة، والصحة فى البدن، فهب أن الأمير أعطى الدار الحسنة، والبستان الطيب، فلولا أنه تعالى خلق الصحة. والحواس السليمة لما أمكن الانتفاع بها. ومن المعلوم أن هذه الأشياء أعظم قدرا، وأجل خطرا من الأشياء التى يهبها بعض العباد من بعض.

وتأمل الآن فى أصل جميع النعم: وهى الحياة فى الصحة، ثم فى سلامة الأعضاء والحواس، ثم فى كمال العقل، ثم فى تحصيل الأمن والسلامة من البلاء فإنك تجد كل ذرة من ذراتها أعظم من ملك الدنيا، فحينئذ يعلم أن رحمة الله، وإحسانه مع عبيده أتم وأكمل من رحمة كل رحيم، كما قال تعالى: ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ [إبراهيم: ٢٤] و [النحل: ١٨] فثبت أن كمال الرحمة ليس إلا لله...

الحجة الرابعة: أن العبد إذا أحسن إلى الغير انتقصت خزائنه، وصار فقيرا بقدر ما أعطى، وحصول الفقر والنقصان مانع من الإحسان، والحق سبحان وتعالى وإن أعطى جميع مخلوقاته، لأقل عبيده، فإنه لا يدخل فى ملكه فقر. ولا نقصان ألبتة لأن مقدوراته غير متناهية، فإذا الداعى إلى الإحسان فى حق العبد معارض بالصارف عنه، وفى حق الله تعالى ليس كذلك فوجب أن يكون إحسان الله تعالى ورحمته أكمل من إحسان العبد ورحمته.

فإن قال قائل: هاهنا سؤالات. السؤال الأول: الرحمة فى حق العبد لا تنفك عن رقة مؤلمة تحصل فى قلب الرحيم، فتحركه إلى قضاء حاجة المرحوم، والرب تعالى منزه عن ذلك وإذا كان الأمر كذلك لزم أن تكون رحمة العباد أكمل من رحمة الله؟

الجواب: أن كمال الرحمة إما أن تظهر بكمال ثمرتها، ومهما قضيت حاجة المحتاج بكمالها لم يكن للمرحوم حظ فى تألم الراحم، وتفجعه، وإنما تألم الراحم لضعف نفسه ونقصانها، ولا يزيد ضعفها فى غرض المحتاج شيئا، بعد أن قضى كمال حاجة المرحوم.

السؤال الثانى: ما معنى كونه رحيما، وكونه أرحم الراحمين، فإن الرحيم إذا رأى مبتلى أو معدوما، وهو يقدر على إزالة البلاء عنه فإنه لا بد وأن يزيله، والرب سبحانه وتعالى قادر على إزالة كل محنة، ودفع كل بلية، ثم نرى الدنيا طافحة بالشرور والآفات، والمحن والبليات، وهو تعالى قادر على إزالتها، ثم إنه لا يزيل شيئا منها، بل نرى أنه خلق السباع والمؤذيات، وسلط بعضها على بعض حتى إن بعضها يقتل بعضا، وبعضها يقتدى من بعض، فكيف تتحقق الرحمة مع أن الأمر كذلك؟

والجواب: الخلق هاهنا على ثلاثة مقامات:

الأول: قول الفلاسفة: فإنهم قالوا الأقسام العقلية خمسة، فإن الشىء إما أن يكون خيرا محضا، أو شرا محضا، أو مشتملا على الاعتبارين، وهذا القسم. الثالث إما أن يكون خيره معادلا لشره، وإما أن يكون خيره غالبا أو شره غالبا. إذا عرفت هذا فنقول:

أما الأقسام الثلاثة، وهو الذى يكون شرا محضا؛ أو شره غالبا؛ أو معادلا فهذا غير موجود ألبتة؛ بقى هاهنا قسمان: أحدهما: أن يكون خيرا محضا، ولا كلام فى أن الحكمة تقتضى تحصيله، والثانى: الذى يكون خيره غالبا على شره ويكون بحيث يمتنع أن ينفك ذلك الخير الغالب عن ذلك الشر المغلوب، فهذا القسم أيضا الحكمة تقتضى إيجاده؛ لأن ترك الخير الكثير؛ لأجل الشر القليل شر كثير؛ وإذا كان الأمر كذلك صار الخير مقضيا؛ ومراد بالذات، وصار ذلك الشر القليل الذى هو من لوازم ذلك الخير الكثير مقضيا، ومرادا بالتبع، والغرض، وعند هذا قالوا جميع الشرور الحاصلة فى العالم من هذا القسم.

وليس لأحد أن يقول فلم لم يجعل الخالق القادر ذلك الخير الغالب عن ذلك الشر النادر مميزا بما كان ممتنعا لذاته؛ فلم يكن ذلك عجزا فى حق الخالق، لأن العجز، إنما يحصل عند كونه فى نفسه ممكنا، فأما إذا كان ممتنعا لذاته لم يلزم العجز، فهذا حاصل مذهب الفلاسفة فى هذا الباب.

والقول الثانى: قول المعتزلة: وهو أن كل ما حصل فى هذا العالم من أنواع الأمراض والآلام فعل الله تعالى، فإنه سبحانه وتعالى فعلها لأجل الاعتبار والعوض، أما الاعتبار فإن ذلك يصير لطفا داعيا للمكلف إلى فعل الواجبات، والاحتراز عن المقبحات، وبهذا الوجه يخرج فعل هذه الآلام عن كونه عبثا، وأما العوض فهو تعالى يعطى ذلك الحيوان فى الآخرة من المنافع، ما لو علم ذلك الحيوان مقادير تلك المنافع رضى بتحمل هذه الآلام فى الحال، ليصل إلى تلك المنافع فيما بعد ذلك، وبهذا الوجه يخرج فعل تلك الآلام عن أن يكون ظلما.

القول الثالث: قول أهل السنة: وهو أن الرحيم هو الذى يفعل الرحمة، ويوصل النعمة، وليس من شرط كونه رحيما أن لا يفعل إلا الرحمة، فهو تعالى رحيم، كريم، جواد، ودود، رءوف فى حق بعض عباده. وقهار جبار منتقم فى حق آخرين. فهو تعالى قابض، باسط: ضار، نافع، معز، مذل محيى مميت، بحسب الاعتبارين. ولم تكن رحمته وإحسانه معللا باستحقاق مستحق أو بسبب طاعة مطيع، ولم يكن قهره معللا باستحقاق مستحق، أو بسبب معصية عاص. فإنه وإن كان التفاوت فى القهر واللطف لأجل التفاوت فى الاستحقاق؛ فمن أين حصل ذلك التفاوت فى الطاعة والمعصية؟ فلم صار هذا مطيعا وذاك عاصيا مع التساوى فى القدرة والصلاحية؟ بل كل أحد يعلم أن هذا صار مطيعا. لأنه تعالى خلق فى قلبه ما يدعوه إلى الطاعة. وإنما صار العاصى عاصيا. لأنه تعالى خلق فى قلبه إرادة المعصية. وعند هذا يظهر أنه لا نهاية لرحمته. ولا نهاية أيضا لقهره. وأن رحمته غير معللة ألبتة بشىء من أفعال الخلق، وقهره غير معلل بشىء من أفعال الخلق. وأن كل ما حصل للخلائق من صفاتها وأفعالهم وأحوالهم فهو من الحق. وبإيجاده وتكوينه، وكيف يمكن تعليل فعله؟!

ولهذا المعنى قال أبو بكر الواسطى: لا أعبد ربا ترضيه طاعتى، وتسخطه معصيتى، ومعناه أنه لو صارت طاعة العبد علة لحصول رضا الخالق، وذنبه علة لحصول سخط الخالق، لكان العبد مغيرا لصفة الحق، ومؤثرا فى تبديل أحوال الحق، وذلك محال، بل رضاه هو الذى حمل المطيعين على الطاعات، وسخطه هو الذى حمل العصاة على المعاصى، وكل شىء صنعه، ولا علة لصنعه. هذا شرح مذاهب الخلق فى هذا الباب.

السؤال الثالث: قال المعتزلة: إن إثبات صفة الرحمة لا يستقيم على قول أهل السنة، وذلك لأن مذهبهم أنه تعالى خلق الكفر فى الكافر، وخلق فيه قدرة لاتصلح إلا للكفر، وإرادة لا تصلح إلا للكفر، وداعية لا تصلح إلا للكفر، وسلب عنه الإيمان، وما أعطاه قدرة صالحة للإيمان، ولا إرادة صالحة له، ولا داعية صالحة له، فهذه أسباب ثمانية، كل واحد منها مستقل بتحصيل الكفر على سبيل الوجوب، وتحصيل المنع من الإيمان على سبيل الوجوب، ثم إنه تعالى اقتضت قدرته القديمة تحصيل الكفر فيه، وإرادته القديمة تحصيل الكفر فيه وعلمه القديم المتعلق بكونه كافرا تحصيل الكفر فيه، وخبره القديم المتعلق بكونه كافرا تحصيل الكفر

فيـه، فيصير المجمـوع أربعة ؛ وكمـا اقتضت هـذه الوجـوه الأربعة تحصيل الكفر فيه، فأيضا لم تتعلق قدرة الله بتحصيل الإيمـان فيه؛ ولا إرادتـه، ولا علمه، ولا خبـره، فهذه أربعـة أخر مـانعة من حصـول الإيمان، فصـار المجموع سـتـة عشر وجها، وكل واحدة منها سبب مستقل مؤثر، موجب لحصول الكفر، والمنع من الإيمان.

ثم مع تأكد هـذه الأسباب، وقـوة هذه المؤثـرات، يكلفه بـالإيمان، ويقـول : إن لم تؤمـن عذبتك أبـد الآباد، ودهـر الـداهـرين، أنواعـا من العـذاب لا تبلغ العقـول إلى وصف شدتها وقوتها.

قالـوا: ومن المعلوم أن من كـان هذا دأبـه وعادتـه، فإنه يكون أبعـد الموجودات عـن الرحمة، والإحسـان، والجود، فثبت أن صفـة الـرحمـة لا يمكن إثبـاتهـا على مـذهب أهل السنة.

والجـواب: هـذا الكـلام وارد على المعتـزلـة أيضـا من وجهين:

الأول : أنا نعلـم بالضرورة أن القـادر ما لم يمل قلبـه إلى الفعل أو الترك لـم يترجح الفعل على التـرك، ولا الترك على الفعل، فنقـول: ظهـر أن الفعل مـوقـوف على إرادة الفعل، وإرادة الفعل محـدثة؛ فنقول : إن حـدثت من غيـر محدث فقد لـزم تجوز حدوث الشيء من غيـر مؤثـر، وهو يفضى إلى نفى الصـانع، وإن كان محـدثها هـو العبد افتقر فـى إحداث تلك الإرادة إلى إرادة أخـرى، ولـزم التسلسـل، وإن كـان محـدثها هـو الله تعـالى، فقبل أن أحـدث الله تلك الإرادة لم يكن العبد متمكنا من ذلك الفعل، وبعـد أن أحدثها لم يكن متمكنا من ذلك الفعل، لأن عند حدوث إرادة الفعل لم يكن إرادة الترك حاصلة، ولو حصل الترك عند حصول إرادة الفعل يحصل الترك من غير إرداة الترك، وقد بينا أنه محال، فإذا كان الأمر كـذلك لزم القطع بأن كل الأفعال منتسبـة إلى قضاء الله وقدره، وحينئذ يلزمهم كل ما ألزموه لنا.

والثاني : هـو أن العلم بعد الإيمـان مضاد ومناف لـوجود الإيمـان، وكان الله عـالمـا بأن أبا جهـل لا يؤمن؛ فإذا كلفـه الإيمان فقد كلفه بأن يجمع بين الضدين، أعنى بين العلم بعد الإيمـان، ووجود الإيمـان، ومعلوم أن التكليف بـالجمع بين الضدين لا يمكن الوفاء به، فكـان هذا الأمر سببا لاستحقاق العذاب الدائم، فيلزمهم عدم الرحمة، كما ألزموه لنا، فثبت أن هذا الإشكال وارد عليهم، كما هو وارد علينا، وأن الجواب عن الكل ما قدمناه من : أنه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

السؤال الـرابع : قالوا: العبـد شق عليه إيصـال النعمة، ودفع البليـة، والله تعـالـى لا يشق عليـه ذلـك، والفعل مع المشقـة أدخل فى استحقـاق المـدح من الفعل مع غيـر المشقة، فلزم أن تكون رحمة العبد أكمل من رحمة الرب.

والجواب : أنا بينا أن رحمـة الله هى التى أثرت فى إيجاد رحمة العبد، فلولا سبق رحمة الله لما حصلت رحمة العبد.

المسألة الخامسة : أيهما أكثر مبالغة : الرحمن أم الرحيم :

روى أبو صـالح، عن ابن عباس؛ أنـه قال : الـرحمن الرحيم اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر؛ ولم يبين أيهما أرق.

وقال الحسين بن الفضل البلخى، هـذا وهم من الراوى، لأن الرقة ليست من صفـات الله تعالى، قال النبى ﷺ« إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف».

واعلم : أنـه لا شك أن الـرحمن الرحيم كـل واحد منهمـا مشتق من الرحمة وإن لم يكن أحدهما أشد مبالغة من الآخر، كـانا لفظين متـرادفين من جميع الـوجـوه من غير تفـاوت فى المعنى، وذلك بعيـد، فـوجب القطع بكـون أحـدهمـا أكثـر مبالغـة من الآخر، ثم اختلفـوا فقال الأكثرون : الـرحمن أكثر مبالغة من الرحيم، واحتجوا عليه بوجوه :

الأول : أنـه من المشهور أنهـم كانـوا يقـولون. يـا رحمن الـدنيـا، ورحيم الآخـرة. ومعلوم أن رحمتـه فى الدنيـا شاملـة للمؤمن والكـافر، والصالح والطالح، وذلك بإيصـال الرزق، وخلق الصحة، ودفع الأسقام، والمعـائب، والدواهى، وأما رحمتـه فى الآخـرة فمختصـة بالمـؤمنين، فـدل هـذا على أن الرحمن أكثر مبالغة من الـرحيم، لأن الرحمة الناشئة من اسم الرحمن عامة فى حق الولى، والعدو، والصديق، والزنديق، والرحمة الناشئة من اسم الرحيم مختصة بالمؤمنين.

ولهذا قال جعفر الصادق رضى الله عنه : اسم الرحمن خاص بالحق، عام فى الأثر، لأن رحمته تصل إلى البر والفاجر. واسم الرحيم عام فى الاسم، خاص فى الأثر لأن اسم الرحيم قد يقع على غير الله تعالى، فهو من هذا الوجه عام إلا أنه خاص فى الأثر؛ لأن هذه الرحمة مختصة بالمؤمنين.

الثانى: أن بناء وزن الرحمن للمبالغة، يقال، رجل غضبان، وشبعان، وأنا ملآن، ورجل عريان، وهو الذى لا ثوب له أصلا، فإن كان له ثوب خلق فقد يقال: إنه عار، ولا يقال عريان، وأما الرحيم فهو فعيل، والفعيل قد يكون بمعنى الفاعل، كالسميع بمعنى السامع وبمعنى المفعول، كالقتيل بمعنى المقتول ، وليس فى واحد منهما كبير مبالغة.

الثالث : أن الرحمن والرحيم كلمتان من جنس واحد، وحروف الرحمن أكثر وكل ما كان كذلك كان أكثر مبالغة، فوجب كون الرحمن أكثر مبالغة من الرحيم.

الرابع : روى أبو سعيد أن عيسى عليه السلام قال: الرحمن رحمن الدنيا ، والرحيم رحيم الآخرة. وهذا يدل على أن الرحمن أكثر مبالغة.

فإن قيل: فإذا كان الرحمن أكثر مبالغة من الرحيم ، فكيف قدم على ذكر الرحيم؟

قلنا: فيه وجوه: الأول: أن اسم الرحمن اسم انفرد به البارى تعالى، كما أن اسم الله انفرد به، فذكر أولا اسم الله، ثم ذكر عقيبه اسم الرحمن؛ لما حصل بينهما من هذه المجانسة.

وثانيها: أن الرحمن وإن كان يفيد الرحمة العامة للكل إلا أن الرحيم يفيد الرحمة الخاصة بالمؤمنين فكان الرحمن كالأصل، والرحيم كالزيادة فى التشريف، والأصل يجب تقديمه على الزيادة، كقوله تعالى: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[يونس: ٢٦].

وثالثها : أن نظم البسملة على هذا الترتيب أحسن، وموافقتها لآخر آيات الفاتحة أشد.

وقال آخرون : الرحيم أشد مبالغة فى الرحمة، واحتجوا بوجوه.

الأول: أن اسم الرحمن كما يفيد معنى الرحمة فيفيد مع ذلك نوعا من الهيبة، والقهر، والكبرياء، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾ [الفرقان: ٢٦] فلولا إشعار لفظ الرحمن بشىء من الهيبة والقهر، وإلا لما كان ذكر الوعيد عقيبه مناسب، فذكر فى البسملة اسم الله، وهو يدل على غاية القهر، والجبرية، والكبرياء، ثم ذكر عقبه الرحمن، وهو كالمتوسط فى القهر، واللطف ، وختم بالرحيم، وهو الدال على كمال الرحمة.

الثانى : أن ذكر الرحيم بعد ذكر الرحمن يدل على أن الرحيم أكثر مبالغة .

أما قولهم: إنما قدم الرحمن على الرحيم، لأنه مختص بالله تعالى، فكان بينه وبين اسمه الله مناسبة.

قلنا: قد بينا أن قولنا: الله اسم محض، فيجب تقديمه على الكل أما الرحمن فإنه مشتق وصفة، وتقديم الأكمل على غير الأكمل غير جائز.

وقوله: الرحيم يقبل الزيادة ، قلنا : رحمته حقيقة واحدة، ولفظ الرحمن ما أفاد إلا رحمه فى الدنيا ، ولفظ الرحيم أفاد رحمته فى الدنيا والآخرة، فوجب أن يكون اسم الرحيم أبلغ.

وقوله : وذلك لأجل أن هذا الترتيب أوفق لمقاطع الآيات، قلنا: هذا غير معتبر، بدليل أن كل من قال إن البسملة آية من الفاتحة وقف على قوله «أنعمت عليهم» مع أن هذ المقطع لا يوافق ما قبله من المقاطع.

الثالث: أن الختم وقع على اسم الرحيم، فوجب أن يكون أكثر دلالة على الرحمة: لأن ختم الكلام على ما هو أكثر دلالة على الرحمة أجلب بحسن الظن بالله، وأكثر قوة فى الرجاء ، فى رحمة الله.

المسألة السادسة: حظ العبد من اسميه تعالى الرحمن الرحيم: ذكر الشيخ الغزالى: أن النبى ﷺ قال: «تخلقوا

بأخلاق الله» وهذا يقتضى أن يكون للعبد عن كل اسم من أسماء الله تعالى حظ يليق به، والحكماء المتقدمون قالوا أيضا: الفلسفة هى التشبه بالإله بقدر الطاقة البشرية، إذا عرفت هذا فنقول حظ العبد من اسم الرحمن أن يكون كثير الرحمة.

واعلم أن كل من كان إليه أقرب كان بإيصال الرحمة إليه أولى، وأقرب الناس إليه نفسه، فوجب أن يرحم نفسه، ثم يرحم غيره، كما قال عليه الصلاة والسلام: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول».

فأما رحمته مع نفسه فإما أن يكون فى الأمور الروحانية أو الجسمانية، أما الروحانية فاعلم أن للنفس قوتين نظرية، وعملية، أما النظرية فإيصال الرحمة إليها تخليتها عن الجهل، وتحليتها بالعلم، وأما العملية فصونها فى الأخلاق عن طرفى الإفراط والتفريط، وإلزامها المواظبة على التوسط بين الطرفين.

وأما فى الأمور الجسمانية فقسمان للأمور المطلوبة بالذات، والمطلوبة بالعرض، فالأولى اللذات الجسمانية: وهى محصورة فى المطعوم والمنكوح. وقد قال تعالى: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾** [الأعراف: ٣] فالرحمة على البدن هو الامتناع عن الإسراف. وأما المطلوبة بالعرض فهى المال والرحمة فيه. قوله تعالى: **﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾** [الفرقان: ٦٧] فهذه معاقد رحمة كل أحد على نفسه.

أما رحمته على غيره فقد كتب أرسطاطاليس كتابا إلى الإسكندرية وقال فيه. إن الملوك أقسام.

أحدها: ملوك الهند. وهم يسدون أبواب اللذات الجسمانية على أنفسهم. وعلى رعيتهم. وذلك لأنهم قالوا: من كانت معيشته فى الدنيا مع التعب والمحنة. فإذا خرج منها فرح وسعد، ومن كانت معيشته مع اللذة فإذا خرج عنها اشتاق إليها، فوقع فى العذاب، فلا جرم يجب على العاقل أن يسعى فى إتعاب النفس فى الدنيا، لينال السعادة بعد الموت.

وثانيها: ملوك العجم، . وهم يفتحون أبواب اللذات الجسمانية على أنفسهم، وعلى رعيتهم؛ لأن معتقدهم أن اللذات الحقيقية هى اللذات الجسمانية، وأن الروحانية خيالات ضعيفة.

وثالثها: ملوك اليونانيين، وهم يسدون باب اللذات على نفوسهم، ويفتحونه على رعيتهم، قالوا: لأن الملك فى الأرض نائب الله فى العالم، وإله العالم يُطْعِم ولا يُطْعَم، وينفع ولا يُنفع، وكان الملك السعيد من يكون متشبها بالإله فى هذه الصفة.

ورابعها: ملوك الأعاجم، وهم يفتحون باب اللذات الجسمانية على أنفسهم ويسدونها على رعاياهم وهؤلاء هم نواب الشياطين.

وإذا عرفت هذه الحكاية ظهر لك أن كمال رحمة الإنسان هو أن يسعى فى إيصال نفع إلى الغير، ودفع ضرر عنه، ولأجل كمال هذه الصفة، قال عليه الصلاة والسلام «التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله» وكان فى آخر حياته يقول «الصلاة وما ملكت أيمانكم»، وكان بعض المشايخ يقول: مجامع الخيرات محصورة فى أمرين، صدق مع الحق، وخُلق مع الخلق.

وهذه المقدمة برهانية، لأن الموجود إما واجب وهو الحق سبحانه، وإما ممكن وهو الخلق، وكمال العبودية فى حضرة الحق أن يصير العبد مكاشفا، فإن الحكم والأمر له. لا لغيره، كما قال تعالى **﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد﴾** [الروم: ٤] وكمال العبودية لله بالنسبة إلى الخلق، والإحسان إليهم لأجل الحق، والله أعلم.

ومما يؤكد أن هذه المرتبة أعظم المراتب، أنه تعالى وصف رسوله عليه الصلاة والسلام بالرحمة فقال: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** [الأنبياء: ١٠٧] وقال **﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾** [التوبة: ١٢٨] وقال: **﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾**[آل عمران: ١٥٩].

ومدح الرسول أصحابه فبدأ فى الذكر بوصف أبى بكر بالرحمة، فقال: «أرحم أمتى بأمتى أبو بكر» وقال:

«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» وقال: «من لا يَرْحم لا يُرحم».

ويقال: إن عمر بن عبد العزيز خرج إلى المصلى يوم العيد، فلما صلى قال: اللهم ارحمنى، فإنك قلت: ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٦] فإن لم أكن من المحسنين فأنا من الصائمين، وقد قلت: ﴿ والصائمين والصائمات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٢٥] فإن لم أكن من الصائمين، فأنا من المؤمنين، وقد قلت: ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب: ٤٣] فإن لم أستوجب ذلك فأنا شىء، وقد قلت ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء﴾ [الأعراف: ١٥٦] فإن لم أكن كذلك فأنا مصاب، حيث حُرمت رحمتك؛ وأنت قلت ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾ [البقرة: ١٥٦]

المسألة السابعة فى كلام المشايخ فى اسمى الرحمن الرحيم قال بعضهم: الرحمن لأهل الافتقار. والرحيم لأهل الافتخار، إذا شهدوا جلاله طاشوا وافتقروا، وإذا شهدوا جماله عاشوا وافتخروا، وقيل الرحمن بما ستر فى الدنيا والرحيم: بما غفر فى العقبى.

وقال عبد الله بن المبارك: الرحمن الذى إذا سئل أعطى، والرحيم الذى إذا لم يُسْأل غضب.

روى أبو هريرة أنه قال عليه الصلاة والسلام: «من لم يسأل الله يغضب عليه» والشاعر نظم هذا المعنى، فقال:

الله يغضب أن تركت سؤاله
وبُنَى آدم حين يُسأل يَغضب

وقال أبو بكر الوراق: الرحمن بالنعماء. والرحيم بالآلاء، فالنعماء ما أعطى وحبى، والآلاء ما عرف وروى.

وقال محمد بن على الترمذى، الرحمن بالإنقاذ من النيران، والرحيم بإدخال الجنان، بيان الأول قوله ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ [آل عمران: ١٠٣] والرحيم بقوله ﴿ ادخلوها بسلام آمنين﴾ [الحجر: ٤٦]

وقال الحارث بن أسد المحاسبى: الرحمن بإزالة الكروب والعيوب، والرحيم بإنارة القلوب بالغيوب.

وقال السدى: الرحمن بكشف الكروب، والرحيم بغفران الذنوب، الرحمن بغفران السيئات، والرحيم بقبول الطاعات.

وقال بعضهم: الرحمن بتعليم القرآن دليله ﴿ الرحمن * علم القرآن ﴾ [الرحمن: ١، ٢] والرحيم بتشريف التكريم والتسليم، دليله ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ [يس: ٥٨]

وقيل إن قوله: الله للسابقين، والرحمن للمقتصدين والرحيم للظالمين. (شرح أسماء الله الحسنى / ١٥٣ـ ١٧٢).

(لسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٦١٢، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ـ جمع وترتيب أحمد عبد الجواد، قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، والسادة شعبان على خليل عبد الرحمن ومحمد المهدى محمود على / ١٨ ـ ٢٥ والمقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٦١ ـ ٦٣، وشرح أسماء الله الحسنى وهو الكتاب المسمى لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للإمام فخر الدين الرازى ـ راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ١٥٣ ـ ١٧٢ انظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٨٨، ٥٨٩).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب «حروف من غير نقط» كتبها محمد حداد / ٦٠، وجمالية الخط الكوفى ـ حسن قاسم حبش / ١٠، ١٣، ١٦.

*** الرحمن عز وجل (سورة ـ):**

السورة رقم ٥٥ من سور القرآن الكريم وفقا لترتيب المصحف، وهى مدنية وعدد آياتها سبعون وست بصرى وسبع حجازى وثمان كوفى وشامى وخلافهم فى خمسة مواضع: الأول الرحمن عده الكوفى والشامى. الثانى: خلق الإنسان الأول تركه المدنيان. الثالث: للأنام تركه المكى الرابع: شواظ من نار عده الحجازى. الخامس: المجرمون تركه البصرى. ورءوس آياتها: الرحمن (١) القرءان (٢) الانسان (٣)البيان (٤) بحسبان (٥) يسجدان (٦) الميزان (٧) الميزان (٨) الميزان (٩) للأنام (١٠) الأكمام (١١) والريحان (١٢) تكذبان (١٣) كالفخار (١٤)نار (١٥)

تكذبان (١٦) المغربين (١٧) تكذبان (١٨) يلتقيان (١٩) يبغيان (٢٠) تكذبان (٢١) والمرجان (٢٢) تكذبان (٢٣)كالأعلام (٢٤)تكذبان (٢٥) فان (٢٦) والإكرام (٢٧) تكذبان (٢٨) شأن (٢٩) تكذبان (٣٠) الثقلان (٣١) تكذبان (٣٢) بسلطان (٣٣) تكذبان (٣٤)تنتصران (٣٥) تكذبان (٣٦)كالدهان (٣٧) تكذبان (٣٨)جان (٣٩) تكذبان (٤٠) والأقدام (٤١) تكذبان (٤٢) المجرمون (٤٣) آن (٤٤) تكذبان (٤٥) جنتان (٤٦) تكذبان (٤٧) أفنان (٤٨) تكذبان (٤٩)تجريان (٥٠) تكذبان (٥١) زوجان (٥٢) تكذبان (٥٣) دان (٥٤) تكذبان (٥٥) ولا جان (٥٦) تكذبان (٥٧) والمرجان (٥٨) تكذبان (٥٩)إلا الإحسان (٦٠) تكذبان (٦١) جنتان (٦٢) تكذبان (٦٣)مدهامتان (٦٤) تكذبان (٦٥) نضاختان (٦٦) تكذبان (٦٧) ورمان (٦٨) تكذبان (٦٩) حسان (٧٠) تكذبان (٧١) الخيام (٧٢) تكذبان (٧٣) جان (٧٤) تكذبان (٧٥) حسان (٧٦) تكذبان (٧٧)والإكرام (٧٨) .

وفيها من مشبه الفاصلة المتروك موضعان : (١) : خلق الإنسان ، الثاني (٢) رب المشرقين (سعادة الدارين / ٦٩ ، ٧٠).

ويصوغ الشيخ عبد الفتاح القاضى فى منظومته الموسومة بالفرائد الحسان ما يتصل بالخلاف فى عد آيات سورة الرحمن ، ويتبع الأبيات التى يبدؤها بلفظ «قلت» بالشرح الذى يبدؤه بلفظ «وأقول» ، وذلك على النحو التالى :

قلت :

لشـام الـرحمن مع كـوف وَرَد

ثم المـدينى أول الإنسـان رد

وأقول : المعنى أن قوله تعالى ﴿ الرحمن﴾ ورد عده للشامى والكوفى وتركه لغيرهما ، وأن المدينى ـ وإطلاقه يشمل المدنيين الأول والثانى ـ رد لفظ الإنسان فى الموضع الأول أى لم يعده وهو قوله تعالى ﴿ خلق الإنسان﴾ الذى بعده ﴿علمه البيان﴾ فغير المدنيين يعده ، وتقييد لفظ الإنسان بالأول للاحتراز عن الثانى وهو ﴿ خلق الإنسان من صلصال﴾ فليس معدودا لأحد .

[الرحمن : ٢٦]



١٤١ ـ كل من عليها فان . خط ثلث متراكب
(بقلم حامد الآمدي).

قلت :

وأسقط المكـى لـلأنـام

كثـان نـار للعـراقى الشـامى

والمجـرمـون ثـانيـا للكل

إلا لبصـرى كمـا فى النقل

وأقول : أخبرت فى البيت الأول بأن المكى أسقط من عدد الآيات قوله تعالى ﴿ والأرض وضعها للأنام﴾ فيكون ثابتا فى عد غيره ، وبأن إسقاط المكى لهذا الموضع كإسقاط لفظ نار الثانى للعراقى والشامى . والمراد قوله تعالى ﴿ شواظ من نار﴾ وإذا كان العراقى ـ البصرى والكوفى ـ والشامى لا يعدون هذا الموضع فالحجازيون يعدونه ، وقيدت لفظ نار بالثانى للاحتراز عن الأول وهو ﴿ من مارج من نار﴾ فإنه معدود إجماعا . وأخبرت فى البيت الثانى بأن لفظ المجرمون فى الموضع الثانى معدود لكل علماء العدد إلا للبصرى فمتروك له ، والمراد به قوله تعالى ﴿ يكذب بها المجرمون﴾ وقيدته بالموضع الثانى لإخراج الموضع الأول وهو ﴿يعرف المجرمون﴾ فلم يعد لأحد .

وأماكن الخلف فى هذه السورة ، خمسة : الرحمن ، خلق الإنسان ، للأنام ، من نار ، بها المجرمون ، والله أعلم (نفائس البيان / ٤٣ ، ٤٤)

ويجمل الإمام الفيروزابادى خصائص سورة الرحمن فى

البصيرة الخامسة والخمسين من بصائره فيقول :

السورة مكية بالاتفاق . آياتها ثمان وسبعون فى عد الكوفة والشام، وسبع فى الحجاز، وست فى البصرة . وكلماتها ثلاثمائة وإحدى وخمسون وحروفها ألف وثلاثمائة وست وثلاثون ...

مجموع فواصل آياتها «مرن» وقيل هذه الحروف الألف إلا ﴿ المغربين ﴾ [١٧] و ﴿ المجرمون ﴾ [٤٣] .

معظم مقصود السورة : المنة على الخلق بتعليم القرآن . وتلقين البيان، وأمر الخلائق بالعدل فى الميزان، والمنة عليهم بالعصف والريحان، وبيان عجائب القدرة فى طينة الإنسان ، وبدائع البحر، وعجائبها : من استخراج اللؤلؤ والمرجان ، وإجراء الفلك على وجه الماء أبدع جريان . وفناء الخلق وبقاء الرحمن، وقضاء حاجات المحتاجين، وأن لا نجاة للعبد من الله إلا بحجة وبرهان، وقهره الخلائق فى القيامة بلهيب النار والدخان، وسؤال أهل الطاعة والعصيان، وطوف الكفار فى الجحيم، ودلال المؤمنين فى نعيم الجنان . ومكافأة أهل الإحسان بالإحسان، ونشاط المؤمنين بأزواجهم من الحور الحسان، وتقلبهم ورودهم فى رياض الرضوان، على بساط الشاذروان، وخطبة جلال الحق على لسان أهل التوحيد والإيمان بقوله : ﴿ تبارك اسم ربك ﴾ .

(الشاذروان : جدار قصير خارج جدار الكعبة يعد كالإزار لها أو كالتأزير، وكأنه يريد سور الجنة)

السورة محكمة

فضل السورة

﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾

[الرحمن : ٤٦]

فيه أحاديث منكرة، منها حديث أُبى : لكل شىء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره . وقال : من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه، وأدى شكر ما أنعم الله عليه . وقال : يا على، من قرأها فكأنما أعتق بكل آية فى القرآن رقبة، وله بكل آية قرأها مثل ثواب امرأة تموت فى نفاسها (بصائر ١ / ٤٤٧ ـ ٤٤٩) .

وعن حكمة وقوع سورة الرحمن بعد سورة القمر يقول الإمام جلال الدين السيوطى أقول : لما قال سبحانه وتعالى فى آخر القمر : ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ [٤٦] ثم وصف حال المجرمين فى سقر، وحال المتقين فى جنات ونهر، فصَّل هذا الإجمال فى هذه السورة أتم تفصيل، على الترتيب الوارد فى الإجمال .

فبدأ بوصف مرارة الساعة، والإشارة إلى إدهائها، ثم وصف النار وأهلها، وذلك فى ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ إلى ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ [٣١ ـ ٤١] ثم وصف الجنة وأهلها، ولذا قال فيهم ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ [٤٦] وذلك هو عين التقوى والتقوى : هى : خوف مقام الرب، وبذلك يتفق التفصيل هنا مع الإجمال فى قوله تعالى : ﴿ إن المتقين فى جنات ونهر ﴾ فى سورة القمر ولم يقل : لمن آمن وأطاع، أو نحوه، لتتوافق الألفاظ فى التفصيل والمفصل .

وعُرف بذلك أن هذه السورة بأسرها شرح لآخر السورة التى قبلها فلله الحمد على ما ألهم وفهَّم (تناسق الدرر / ١٢٠، ١٢١) .

وأما عن المتشابهات : فيقول الإمام الكرمانى عن التكرار وأسراره فى هذه السورة :

قوله تعالى : ﴿ ووضع الميزان ﴾ [٧، ٨، ٩] أعاده ثلاث مرات (أعاد «الميزان» فقط) فصرح ولم يضمر، ليكون كل واحد قائما بنفسه، غير محتاج إلى الأول وقيل : لأن كل واحد غير الآخر. الأول : ميزان الدنيا، والثانى : ميزان الآخرة، والثلث : ميزان العقل . وقيل : نزلت متفرقة فاقتضى الإظهار.

قوله تعالى : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ كرر الآية إحدى

سورة الرحمن

● بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (15) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يَخْرُجُ مِنْهُمَا

وثلاثين مرة، ثمانية منها ذكرت عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه (وهي الآيات من ١٦ إلى ٣٤) ومبدأ الخلق ومعادهم. ثم سبعة منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم (والسبعة الثانية من ٣٤ إلى ٤٥) وحسن ذكر الآلاء عقيبها لأن في صرفها ودفعها نعما توازي النعم المذكورة، أو لأنها حلت بالأعداء وذلك يعد أكبر النعماء.

وبعد هذه السبعة ثمانية (والثمانية التي في نعيم الجنان من ٤٧ إلى ٦١، والتي للجنتين دون الأولين من ٦٣ إلى ٧٥) في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة ثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما، فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله، ووقاه السبعة السابقة، والله تعالى أعلم (أسرار التكرار في القرآن / ١٩٨).

وعن التعريف بما جاء في سورة الرحمن من الأسماء والأعلام المبهمة يقول الإمام السهيلي:

قوله عز وجل: ﴿ **خلق الإنسان**﴾ [٣] روى سعيد عن قتادة قال هو آدم عليه السلام وقال غيره هو محمد ﷺ وقيل أن الألف واللام لعموم الجنس فهي محمولة على العموم (التعريف والإعلام / ١٦٣).

وقال الإمام السيوطي:

قوله تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [٤٦]: أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن شوذب وعطاء: أنها نزلت في أبي بكر (مفحمات الأقران / ١٠٥).

ويطرح الإمام الرازي أسئلة افتراضية قد تدور في الأذهان بالنسبة لسورة الرحمن، ويجيب عنها بطريقة «فإن قيل، قلنا»، وذلك على النحو التالي:

فإن قيل: أي مناسبة بين رفع السماء ووضع الميزان حتى قرن بينهما؟

وذلك في قوله تعالى: ﴿ **والسماء رفعها ووضع الميزان**﴾ [٧] قلنا: لما صدر هذه السورة بتعديد نعمه سبحانه على عبيده، ذكر من جملتها وضع الميزان الذي به نظام العالم وقوامه، لا سيما أن المراد بالميزان «العدل» في قول الأكثرين «القرآن» في قول، وكل ما تعرف به المقادير في قول كالمكيال والميزان والذراع المعروف ونحوها.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿ألا تطغوا في الميزان ﴾ [٨] أي لا تجاوزوا فيه العدل ـ مغن عما بعده من الجملتين فما فائدتهما؟ قلنا: المراد بالطغيان فيه أخذ الزائد، وبالإخسار فيه إعطاء الناقص وأمر بالتوسط الذي هو إقامة الوزن بالقسط ونهى عن الطرفين المذمومين

فإن قيل: كيف قال تعالى هنا: ﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار**﴾ [١٤] وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ لكن له صلصلة: أي صوت إذا نقر، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ **من صلصال من حمإ مسنون**﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣] وقال تعالى: ﴿ **من طين لازب**﴾ **[الصافات: ١١] وقال تعالى: ﴿ من تراب**﴾ [آل عمران: ٥٩] وانظر الكهف والحج والروم وغافر؟

قلنا: الآيات كلها متفقة في المعنى، لأنه تعالى خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿ رب المشرقين ورب المغربين﴾ [١٧] فكرر ذكر الرب ولم يكرره في سورة المعارج بل أفرده فقال تعالى: ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ [المعارج: ٤٠] وكذا في سورة المزمل: ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا﴾ [المزمل: ٩]

قلنا: إنما ذكر الرب تأكيدا، فكان التأكيد بهذا الموضع أليق منه. بذينك الموضعين، لأنه موضع الامتنان وتعديد النعم، ولأن الخطاب فيه مع جنسين وهما الإنس والجن.

فإن قيل: بعض الجمل المذكورة في هذه السورة ليست من النعم كقوله تعالى ﴿ كل من عليها فان﴾ [٢٦] وقوله تعالى: ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ [٣٥] فكيف حسن الامتنان بعدها بقوله تعالى: ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾[٣٦] قلنا: من جملة الآلاء دفع البلاء وتأخير العقاب، فإبقاء من هو مخلوق للفناء نعمة، وتأخير العقاب عن العصاة أيضا نعمة فلهذا امتن علينا بذلك.

فإن قيل: كيف قال تعالى ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ [٣١] والله تعالى لا يشغله شيء؟

قلنا: قال الزجاج: الفراغ في اللغة على ضربين: أحدهما الفراغ من شغل، والآخر القصد للشيء والإقبال عليه، وهو تهديد ووعيد، ومنه قولهم: سأتفرغ لفلان: أي سأجعله قصدى، فمعنى الآية سنقصد لعقابكم وعذابكم وحسابكم.

فإن قيل: كيف وعد سبحانه الخائف جنتين فقط؟

وذلك قوله تعالى: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ قلنا: لأن الخطاب للثقلين، فكأنه قيل لكل خائفين من الثقلين جنتان، جنة للخائف الإنسى، وجنة للخائف الجنى، وقيل: المراد به أن لكل خائف جنتين، جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصى. وقيل: جنة يثاب بها، وجنة يتفضل بها عليه زيادة لقوله تعالى: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦] أى الجنة وزيادة.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ [٥٦] ولم يقل سبحانه فيهما، والضمير للجنتين؟

قلنا: الضمير لمجموع الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة وغيرها مما سبق ذكره. وقيل: هو للجنتين: وإنما جمعه لاشتمال الجنتين على قصور ومنازل. وقيل: الضمير للمنازل والقصور التى دل عليها ذكر الجنتين. وقيل الضمير لمجموع الجنان التى دل عليها ذكر الجنتين. وقيل الضمير عائد إلى الفرش لأنها أقرب، وعلى هذا القول «فى» بمعنى على، كما فى قوله تعالى: ﴿ أم لهم سلم يستمعون فيه﴾ [الطور: ٣٨].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ [٥٦، ٧٤] يفتضهن، ونساء الدنيا لا يفتضهن الجان، فما فائدة تخصيص الحور بذلك؟

قلنا: معناه أن تلك القاصرات الطرف إنسيات للإنس وجنيات للجن، فلم يطمث الإنسيات إنسى، ولا الجنيات جنى (الأنموذج الجليل ٥ / ٤٦٣ ـ ٤٦٦، ومسائل الرازى وأجوبتها / ٣٣١ـ٣٣٣).

ويسوق فضيلة الشيخ الشنقيطى الأدلة التى يدفع بها إيهام وجود تعارض بين بعض آيات السورة فيقول:

قوله تعالى: ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ [٣٥] لا يخفى ما يسبق إلى الذهن من أن إرسال شواظ النار الذى هو لهبها، والنحاس الذى هو دخانها، أو النحاس المذاب وعدم الانتصار ليس فى شيء منه إنعام على الثقلين. وقوله لهم ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ يفهم منه أن إرسال الشواظ والنحاس وعدم الانتصار من آلاء الله، أى نعمه على الجن والإنس.

والجواب من وجهين:

الأول ؛ أن تكرير ﴿فبأى ألاء ربكما تكذبان﴾ للتوكيد. ولم يكرره متواليا لأن تكريره بعد كل آية أحسن من تكريره متواليا، وإذا كان للتوكيد فلا إشكال لأن المذكور منه بعد ما ليس من الآلاء موكد للمذكور بعد ما هو من الآلاء.

الوجه الثانى: أن ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ لم تذكر إلا بعد ذكر نعمة أو موعظة أو إنذار وتخويف، وكلها من آلاء الله التى لا يكذب بها إلا كافر جاحد. أما فى ذكر النعمة فواضح (دفع إيهام الاضطراب / ٢٨١).

وقد قسم حجة الإسلام الغزالى لباب القرآن إلى نمطين، نمط الجواهر، ونمط الدرر وعرَّف جواهر القرآن بأنها الآيات التى وردت فى ذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله خاصة، كما عرف درر القرآن بأنها الآيات التى وردت فى بيان الصراط المستقيم والحث عليه. وقد ذكر من الجواهر سبعا وعشرين آية هى:

قوله تعالى: ﴿ **الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان * والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا فى الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان * والأرض وضعها للأنام * فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام * والحب ذو العصف والريحان* فبأى آلاء ربكما تكذبان * خلق الإنسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار * فبأى آلاء ربكما تكذبان * رب المشرقين ورب المغربين * فبأى آلاء ربكما تكذبان * مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأى آلاء ربكما تكذبان* يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام * فبأى آلاء ربكما تكذبان * كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٢٧] (جواهر القرآن ودرره/ ١١٤).

ولم يذكر من الدرر شيئا.

أما ما ورد عن رسم المصحف فقد جاء فى «المقنع» ما يلى:

١ ـ ما حذفت منه الياء اجتزاء بكسر ما قبلها: ﴿**الجوار**﴾ [الرحمن: ٢٤]

٢ ـ ما رُسم بإثبات الياء على الأصل: ﴿ **فيؤخذ بالنواصى**﴾[٤١]

٣ ـ ما حذفت منه إحدى اليائين اختصارا وما أثبتت فيه على الأصل: وجدت فى مصاحف أهل العراق ﴿**المنشئت**﴾ [٢٤] بالياء من غير ألف، وكذلك رسمه الغازى بن قيس فى كتابه، وذلك على قراءة من كسر الشين كأنهم لم حذفوا الألف أثبتوا الياء، ورأيت فى بعضها «بأييْته» و «بأييْت» و«بأييْتنا» حيث وقع إذا كانت الياء خاصة فى أوله بيائين على الأصل قبل الاعتلال، وفى بعضها بياء واحدة على اللفظ وهو الأكثر.

٤ ـ ما اختلف فيه مصاحف أهل الأمصار بالإثبات والحذف:

فى [الرحمن: ٥٥] كتبوا فى بعض المصاحف ﴿**فبأى ءالاء ربكما تكذبان**﴾ بالألف وفى بعضها «تكذِّبن» بغير ألف من أول السورة إلى آخرها وفى بعض المصاحف «وجنا الجنتين دان» [٥٤] بالألف وفى بعضها «وجنى» بالياء.

٥ ـ ما اختلفت فيه مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام المتنسخة من الإمام بالزيادة والنقصان:

فى [الرحمن: ١٢]: فى مصاحف أهل الشام «والحب ذا العصف والريحان» بالألف والنصب، وفى سائر المصاحف «ذو العصف» بالواو والرفع. قال أبو عبيد: وكذلك رأيتها فى الذى يقال له الإمام مصحف عثمان رضى الله عنه، وفيها فى مصاحف أهل الشام «ذو الجلال والإكرام» آخر السورة [٧٨] بالواو، وفى سائر المصاحف «ذى الجلال والإكرام» بالياء، والحرف الأول [٢٧] فى كل المصاحف بالواو (المقنع/ ٤٠، ٥٢، ٥٦، ٥٧، ٩٦، ١٠٢، ١١٢).

أما عن رسم المصحف العثمانى بالنسبة لسورة الرحمن فقد أورد الخوارزمى فى «موجز كتاب التقريب» ما يلى:

﴿ **ألا تطغوا**﴾ [٨] بغير نون. ﴿ **ذو العصف**﴾ [١٢]، ﴿**ذو الجلال**﴾ [٢٧] بالألف، ﴿ **فبأيى**﴾ بياءين فى إحدى وثلاثين موضعا، ﴿ **أيه الثقلان** ﴾ [٣١] بغير ألف، ﴿**بسيماهم**﴾ [٤١] ﴿**وجنا**﴾ [٥٤] بالألف (موجز كتاب التقريب/ ٨٥).

أما عن القراءات السبع بالنسبة لسورة الرحمن فقد أوردها ابن مجاهد كما يلى:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ **والحب ذو العصف والريحان**﴾ [١٢] (العصف: ورق الزرع والتين). قرأ ابن عامر وحده: (والحبَّ ذا العصف والريحان) بالنصب. وقرأ الباقون:

﴿والحبُّ ذو العصف﴾ رفعا. واختلفوا في: (والريحان) في رفع النون وخفضها: فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم: (والريحان) رفعا. وقرأ حمزة والكسائي: (والريحان) خفضا.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [٢٢]

قرأ نافع وأبو عمرو يخرج منهما بضم الياء وفتح الراء ﴿اللؤلؤ والمرجان﴾ رفعا وروى حسين الجعفي عن أبي عمرو (يخرج) بضم الياء وكسر الراء (اللؤلؤَ والمرجان) نصبا.

وقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿يخرج منهما﴾ مفتوحة الياء (اللؤلؤُ والمرجان) رفعا.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وله الجوار المنشئات﴾ [٢٤]

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر [والكسائي]: ﴿المنشئات﴾ بفتح الشين.

وقرأ حمزة: (المنشئات) بكسر الشين.

واختلف عن عاصم: فروى حفص عنه: ﴿المنشئات﴾ بفتح الشين وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم: (المنشئات) و (المُنشئات) فتحا وكسرا. وروى حرمي عن حماد بن سلمة عن عاصم: ﴿المنشئات﴾ فتحا.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم﴾ [٣١].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم: ﴿سنفرغ لكم﴾ بالنون. وروى حسين الجعفي عن أبي عمرو: (سيفرغ) بفتح الياء والراء

وقرأ حمزة والكسائي: (سيفرغ) بفتح الياء وضم الراء.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿أيه الثقلان﴾ [٣١].

قرأ ابن عامر وحده: (أيه) بضم الهاء ويقف عليها من قرأ بهذه القراءة على الهاء.

وقرأ الباقون: ﴿أيه﴾ فتحا.

وكان أبو عمرو والكسائي يقفان: (أيها) بالألف.

وأخبرني محمد بن يحيى قال، حدثنا أبو جعفر الضرير محمد بن سعدان قال: كان الكسائي يقف: (أيها) بالألف في الثلاثة.

(جاءت: ﴿أيه﴾ في ثلاثة مواضع في القرآن: ههنا وفي سورة النور [٣١] وسورة الزخرف [٤٩].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿يرسل عليكما شواظ﴾ [٣٥]

قرأ ابن كثير وحده: (شواظ) بكسر الشين.

وقرأ الباقون: ﴿شواظ﴾ برفع الشين.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿من نار ونحاس﴾ [٣٥]

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (ونحاس) خفضا.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿ونحاس﴾ رفعا.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿لم يطمثهن إنس﴾[٥٦، ٧٤]

قرأ الكسائي وحده: (يطمثهن) بضم الميم في الحرف الأول [٥٦] وبكسرها في الحرف الثاني [٧٤] كذلك أخبرني محمد بن يحيى الكسائي عن أبي الحارث عنه. وقال أبو عبيد: كان الكسائي يرى الضم فيهما والكسر، وربما كسر إحداهما وضم الأخرى. وأخبرني أحمد بن يحيى عن سلمة ابن عاصم عن أبي الحارث عن الكسائي: ﴿لم يطمثهن﴾ يقرؤهما بالرفع والكسر جميعا لا يبالي كيف قرأهما.

وقرأ الباقون: ﴿يطمثهن﴾ بكسر الميم فيهما.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿تبٰرك اسم ربك ذي الجلٰل والإكرام﴾ [٨٧].

قرأ ابن عامر وحده: (ذو الجلٰل) [بالواو] وكذلك هي في مصاحف أهل الشام.

وقرأ الباقون: ﴿ذي الجلٰل﴾ بالياء، وكذلك هي في مصاحف أهل الحجاز والعراق، وليس في هذه السورة ياء إضافة (كتاب السبعة في القراءات / ٦١٩ ـ ٦٢١).

وهذا ما أورده الإمام الشاطبي في «حرز الأماني» حيث يقول:

ووالحبُّ ذو الريحان رفع ثلاثها

بنصب (كـ)ـفى والنون بالخفض (شـ)ـكلا

ويخـرج فـاضمم وافتـح الضم (إ) ذ(حــ)ـــمى

وفى المنشئـات الشين بـالكسر (فـــ)ـــا حمـلا

(صـــ)ـــحيحا بخُلف نفـرُغُ اليـاء (شـــ)ـــائع

شــــــواظ بكســـــر الضـم مكّيُهُم جــــــلا

ورفع نحــــاسٌ جـــر (حقٍّ) وكســــر ميــــ

ـــم يطمث فـى الأولى ضُمَّ (تــ)ـــهدى وتقبلا

وقــــال بـــــه لليث فى الشـــــان وحــــده

شيــــــوخ ونـص الليث بــــــالضـم الاولا

وقـــــول الكســـائى ضـم أيهمـــا تشـــا

وجيــــه وبعض المقــــرئين بـــــه تـــــلا

وآخِـرُهـــا يـــا ذى الجـــلال ابن عـــامـــر

بــــــواو ورسم الشـــــام فيــــه تمثَّـــــلا

ويشرح الشيخ على محمد الضباع ذلك فيقول :

قرأ ابن عامر ﴿ والحب ذا العصف والـريحـان﴾ بالنصب فى الثلاثة والأخوان برفع الحب وذا وجر الريحان والباقون برفع الثلاثة . قرأ نافع وأبو عمرو ﴿ يخرج منهما﴾ بضم الياء وفتح الراء والباقـون بفتح الياء وضم الراء. قرأ حمـزة وشعبة بخلف عنه ﴿ المنشئات﴾ بكسر الشين والباقون بفتحها . قرأ الإخوان ﴿ سنفرغ لكم﴾ بالياء والباقون بالنون . قرأ ابن كثير ﴿شواظ﴾ بكسـر الشين والباقـون بضمها. قـرأ ابن كثيـر وأبو عمـرو ﴿ ونحاس﴾ بخفض السين والبـاقــون بـرفعهـا . روى دورى الكسائى ﴿ يطمثهن﴾ فى المـوضع الأول بضـم الميم وفى الثـانى بكسـرهـا ورويـا عن أبى الحـارث بعكس ذلك وأورد بعضهم عنـه أيضـا النص بضم الأول دون الثانـى فله وجهـان وروى جماعـة من أهل الأداء عن الكسائى من روايتيـه التخيير فيهمـا بمعنى أنـه إذا كسـر الأول ضم الثـانى و إذا ضم الأول كسر الثانى وجملة الأمر أنك إذا أردت قراءتهما للكسائى فاقرأ الأول بالضم ثم الكسر والثانى بـالكسر ثم الضم وقرأهما غير الكسائى بالكسـر قولا واحدا، قرأ ابـن عامر ﴿ ذو الجلال﴾ آخر السورة بواو بعد الذال والباقون بالياء (حرز الأمانى / ١٨٣ ، ١٨٤).

ويشرح الإمـام أبو شامـة الأبيات ويسوق مع الشـرح فوائد لغـوية، وننقلـه فيما يلى، وقـد احتفظنا بأرقـام الأبيات كمـا وردت فى النص :

١٠٥٢ ـ [ووالحبُّ ذو الـريحـان رفع ثَـلاثُهـا
بنصب(كــ)ـفى والنـون بـالخفض (شـُ)ـكّلا]

ثـلاثها : بمنـزلة كلهـا فى صحة الإضـافة ، وأنث العـدد قصدا إلى الكلمات، وأطلق الـرفع والنصب فى الثلاث على حسب مـا يليق بكل منهـا، فرفع الحب والـريحـان بالضمـة فيهمـا ، ونصبهمـا بـالفتح فيهمـا، ورفع ذو بـالـواو ونصبهـا بالألف .

وفى قوله فى البقرة : ناصبـا كلماته، بكسر لم يجتز بلفظ النصب حتى يبين أنـه بالكسـر، لتيسـر ذلك عليه ثَمَّ وتعسـره هنا، و إلا فالمعهـود فى عبارته بالنصب إنمـا هو الفتحة ورفع الثـلاثـة بـالعطف على فـاكهـة، أى فيهـا فـاكهـة والحب والـريحـان، وذو: صفـة للحب، ونصبهـا بفعل مضمـر أى وخلق الحب ذا العصف والـريحـان ورسمت ذا بـالألف فى المصحف الشـامى، وخفض حمـزة والكسائى النـون من الريحـان على تقديمه ذو العصـف وذو الريحان، والـريحان الورق الـذى يشم والعصف ورق الزرع، ولا خـلاف فى جره، لأنه مضاف إليه صريحا، وقوله شكل من شكلت الكتاب إذا قيدته بالضبط بما يدل على الحركات مأخوذ من شكال الدابة لأن اللفظ قبل شكلـه متـردد من جهـات يتعين بـالشكل بعضها :

١٠٥٣ ـ [ويخرج فـاضمم وافتح الضم (إ) ذ حمى
وفى المنشـآت الشيـن بـالكسـر (فــ) احمـلا]

يريد ـ منهما اللؤلـؤ ـ قرأه الجماعة على إسناد الفعل إلى الفاعل ، وقرأه نافع وأبو عمرو على أنه فعل ما لم يسم فاعله، فضما الياء وفتحا الراء ـ المنشآت ـ بكسر الشين وفتحها نعت للجـوار، وهـى السفن فقـراءة الفتح ظـاهـرة لأنهـا أنشئت وأجريت، وقيل المرفوعات الشرع، وقيل فى معنى الكسر إنها تنشىء المـوج بجريها أو تـرفع الشرع، أو تنشىء السيـر على طريق المجاز، نحو مات زيد، ومرض فمات، يضاف الفعل

إليه إذا وجد فيه وهو فى الحقيقة لغيره، والفاء فى فاحملا زائدة، وهى رمز، والشين مفعول به، أى احمل الشين بالكسرا أى انقلها كذلك، وأراد احملن بنون التأكيد، فأبدلها ألفا كما سبق فى نظائر له، ثم تمم الرمز فقال :

١٠٥٤ ـ [(صـ)ـحيحا بخلف نفرغ الياء (شـ)ـائعٌ
شـواظٌ بكسـر الضَّمِّ مكيُّهم جـلا]

أى كسر الشين حمزة وأبو بكر بخلاف عنه وأما ﴿ **سنفرغ لكما أيها الثقلان**﴾ فالخلاف فيه بالياء والنون ظاهر، قال أبو على : وليس الفراغ هنا فراغا من شغل، ولكن تأويله القصد كما قال جرير *** الآن قد فرغت إلى تميم*** .

وقال الزمخشرى: المراد التوفر على النكاية، أى لا يكون له شغل سواه، ستنقضى شئون الدنيا فلا يبقى إلا شأن واحد، وهو جزاؤكم، والشواظ بكسر الشين وضمها: لغتان، وهو اللهب، وقوله جلا، ليس برمز لأنه قد صرح بالقارئ وهو مكيهم، فلا رمز معه، والله أعلم.

١٠٥٥ ـ [ورفع نُحاس جر (حَقٍّ) وكسر ميـ
ـم يطمث فى الأولى ضُمَّ (تـ)ـهدى وتُقبلا]

رفع مفعول جر، وحق فاعله، ورأيت فى بعض النسخ رفع بالضم على الابتداء، وجر بالرفع خبره، وحق مجرور بالإضافة؛ كلا اللفظين صواب، ووجهه ظاهر، ووجه رفع نحاس العطف على شواظ، وجره عطف على نار، أى الشواظ من نار ونحاس، وفى النحاس قولان: أحدهما أنه الدخان، والثانى أنه الصفر المذاب، وفى الشواظ أيضا قولان لأهل اللغة، قال أبو عبيد: هو اللهب لا دخان فيه، وقال بعضهم لا يكون الشواظ إلا من النار والدخان جميعا، فإن قلنا: النحاس بمعنى الدخان، والشواظ ما لا دخان فيه ظهرت قراءة الرفع، وعلى القول الآخر تظهر قراءة الجر، وإن قلنا: النحاس هو الصفر المذاب ظهرت أيضا قراءة الرفع، واستخرج أبو على وجها لقراءة الجر على قولنا الشواظ ما لا دخان فيه، وهو أن التقدير وشىء من نحاس، فيحذف الموصوف وتقام الصفة مقامه، ثم حذفت من: من قوله ومن نحاس، لأن ذكره قد سبق فى ﴿ **من نار**﴾ .

١٠٥٦ ـ [وقال به لليث فى الثان وحده
شيوخٌ ونص الليث بالضم الأوّلا]

به أى بالضم؛ والثانى هو الذى قبلَه ﴿ **حور مقصورات**﴾ والا ولا نصب بالضم كقوله: عن الضرب مسمعا.

قال صاحب التيسير أبو عمر عن الكسائى ـ لم يطمثهن ـ فى الأول بضم الميم، وأبو الحارث عنه فى الثانى، كذلك هذه قراءتى، والذى نص عليه أبو الحارث كرواية الدورى، وقال فى غيره وقرأت على فارس بن أحمد فى رواية أبى الحارث كرواية الدورى، وقال طاهر بن غلبون: إن الضم فى الأول للدورى، وعكس ذلك لأبى الحارث اختيار من أهل الأداء.

١٠٥٧ ـ [وقول الكسائى ضم أيهما تشا
وجيهٌ وبعض المقرئين به تلا]

قال الدانى فى غير التيسير: على أن الكسائى خير فيهما فقال: ما أبالى أيهما قرأت بالضم أو الكسر بعد أن لا أجمع بينهما، قال أبو عبيد: كان الكسائى يروى فيهما الضم والكسر، وربما كسر إحداهما وضم الأخرى، فقول الكسائى: هذا وجيه، أى له وجاهة، لأن فيه الجمع بين اللغتين، وبعض المقرئين به تلا، يعنى بهذا التخيير كابن أشتة، وغيره، ممن لم يذكر غير التخيير.

١٠٥٨ ـ [وآخرها يا ذى الجلال ابن عامر
بواو ورسم الشام فيه تمثَّلا]

أى يا ذو الجلال، آخر السورة قرأها ابن عامر بواو، أى جعل مكانها واوا ولزم من ذلك ضم الذال قبلها، فلهذا لم ينبه عليه وقصر لفظ «يا» ضرورة يعنى قوله سبحانه ﴿ **تبارك اسم ربك ذى الجلال**﴾ فهو بالياء نعت للرب، وبالواو نعت للاسم، لأن المراد بالاسم هنا المسمى، لأنه إشارة إلى الأوصاف الذاتية، وهى المراد تسبيحها وتنزيهها والثناء عليها بقوله ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى**﴾ وقد استقصينا بيان ذلك وتحقيقه فى آخر كتاب البسملة الأكبر، وقوله: تمثل أى تشخص، الواو فى رسم المصحف الشامى، وقد أجمعوا

على الأول أنـه بـالواو، وهـو ﴿ويبقى وجـه ربك ذو الجـلال والإكرام﴾ (إبراز المعانى / ٦٩٤ ـ ٦٩٦).

ومن النظم أيضـا قـول ابـن الجـزرى فى طيبـة النشـر فى القراءات العشر:

والحبُّ ذو الـريحـان نصب الـرفـع (كـ)ـم
وخفض نـونهـا (شفـا) يخـرج ضم
مع فتح ضم (إ) ذ (حمـا ثـ)ـق وكسر
فى المنشئات الشين (صـ)ـف خُلفا (فـ)ـخر
سنفـرغ اليـاء (شفـا) وكسـر ضم
شـواظ (د)م نحـاس حـر الـرفع (شـ)ـم
حَبْـرٌ كـلا يطمث بضم الكسـر (ر) م
خلف ويـا ذى (آخـرا) واو (كَـ)ـرُم

(طيبة النشر / ١٥٩).

ارجع إلى شرح الأبيات فى كـل من المبسوط فى القراءات العشر لابن مهران / ٤٢٣ ـ ٤٢٥، والغاية فى القراءات العشر له أيضا / ٤٠٤ ـ ٤٠٦ وتقريب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى / ١٧٨.

وأما من حيث أنواع الـوقف: الكافى، والتام، والحسن، والقبيح فى سورة الرحمن، فيوضحهـا الإمام أبو عمرو الدانى على النحو التالى:

﴿ علمه البيان﴾ [٤] تام وقيل كـاف تام عنـد أبى جعفر النحـاس، وكـاف عنـد ابن الأنبـارى ﴿يسجدان﴾ [٦] تام ﴿الميزان﴾ [٨] كـاف. ﴿ولا تخسروا الميـزان﴾ [٩] تام، ومثله ﴿والريحان﴾ [١٢] ومثله ﴿كالفخار﴾ [١٤] ومثله ﴿من نار﴾ [١٥] ومثله ﴿ ورب المغربين﴾ [١٧] ومثله ﴿لا يبغيان﴾ [٢٠] ومثله ﴿ والمرجان﴾ [٢٢] ومثله ﴿ كالأعلام﴾ [٢٤] ومثله ﴿ والإكرام﴾ [٢٧] ومثله ﴿من فى السماوات والأرض) [٢٩] ومثله ﴿ فى شأن﴾ لمن قرأ ﴿ سنفرغ لكم﴾ بالنون ومن قـرأ باليـاء لم يتم الـوقف قبلـه، لاتصال بـه، وكـونـه كلامـا واحدا، قال: ابن فـراس حدثنا محمد قال حـدثنا سفيان عن الأعمش عن أبى راشد عن عبيد عن ابن عميـر فى قوله تعالى ﴿ كل يـوم هـو فى شأن﴾ قال مـن شأنه يصحب مسـافرا، ويشفى مـريضـا، ويفـك غـائبهـا ﴿ فـانفـذوا﴾ [٣٣] تام ﴿بسلطان﴾ كاف، ﴿ فلا تنتصران﴾ [٣٥] تام ومثله ﴿وبين حميم آن﴾ [٤٤] ﴿ذواتا أفنان﴾ [٤٨] كاف. حدثنا محمد ابن أحمـد قال حـدثنا ابن الأنبـارى قال حدثنـا الكرمـى قال حدثنا يحيى بن عمر الليثى قال حدثنا مسلم بن قتيبة عن عبد الله بن النعمان عن عكرمة فـى قوله عز وجل، ﴿ ذواتا أفنان﴾ قال ذواتا ظل، وأفنان ؛ أغصان.

﴿ ولا جان﴾ [٣٩] تام ﴿ زوجان﴾ [٥٢] تام ﴿ وجنى الجنتين دان﴾ [٥٤] كاف ﴿والمرجان﴾ [٥٨] تام، ومثلـه ﴿إلا الإحسان﴾ [٦٠] وقال ابن الأنبـارى ومثله ﴿ من دونهما جنتان﴾ وليس كـذلك لأن قـولـه ﴿ مدهـامتان﴾ صفة لهما ﴿مدهامتان﴾ [٦٤] كـاف، وقال ابـن عبد الـرزاق ﴿خيرات حسان﴾ [٧٠] تام، وليس كذلك، لأن قوله ﴿حور﴾ نعت أو بدل من ﴿خيرات﴾ ﴿وعبقرى حسان﴾ [٧٦] تام، وكل شيء فى هـذه السـورة ﴿فبأى آلاء ربكما تكـذبان﴾ [٧٧] تـام مـا لـم يتعلـق ما قبلـه بمـا بعـده (المكتفى / ٣٤٢، ٣٤٣)

أما من حيث التفسير فيسوق الإمـام السيوطى مما ورد عن النبى ﷺ من التفـاسيـر المصرح بهـا ورفعهـا قولـه عن سـورة الرحمن: أخـرج ابن أبى حاتم عن أبى الـدرداء عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿كل يوم هو فى شأن﴾ [الرحمن: ٢٩] قال من شأنه أن يغفر ذنبـا ويفرج كربا ويرفع قـومًا ويضع آخرين» وأخرج ابن جرير مثله من حديث عبد الله بن منيب والبزار مثله من حـديث ابن عمـر. وأخـرج الشيخـان عن أبى مـوسى الأشعرى أن رسـول الله ﷺ قال: جنتان من فضة آنيتهمـا وما فيهما، وجنتـان من ذهب آنيتهما ومـا فيهما» وأخـرج البغوى عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [الـرحمن: ٦٠] وقـال: هل تدرون مـا قـال ربكم؟ قالوا: الله ورسولـه أعلم. قال: يقول: هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة؟» (الإتقان ٢ / ٢٥٩).

وفى تفسير سورة الرحمن جاءت هذه الأبيات وقد احتفظنا بأرقامها كما وردت فى النص.

٧٦٩ تباركت يا رحمن يا مسدى النعم
لك الحمد فالآلاء تنمو تكثُّرا
٧٧٠ وعلَّمتنا القرآن والنطق محسنا
نهيت عن النقصان فى الوزن مخسرا
٧٧١ وأوجدتنا يا واهب المن من عدم
وأحدثت معدوما فصار مسخَّرا
٧٧٢ وإنك ذو شأن وتحدث ما بدا
على وفق ما قدرت قد كان مظهرا
٧٧٣ كإحياء حىٍّ أو إماتة ميت
وإعزاز إنسان وإذلال آخرا
٧٧٤ وإعدام من أبليت إعطاء سائل
إجابة داعٍ كلُّ ذلك قُدِّرا
٧٧٥ سألتك إيمانا يزيد مع الرضا
وجنات عدن والزيادة كوثرا
(ألفية التفسير / ٥٩).

(سعادة الدارين فى بيان عد آى معجز الثقلين ـ الشيخ الحداد / ٦٩ ، ٧٠ ، ونفائس البيان شرح الفرائد الحسان ـ الشيخ عبد الفتاح القاضى / ٤٣ ، ٤٤ ، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ١ / ٤٤٧ ـ ٤٤٩ ، وتناسق الدرر فى تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٢٠ ، ١٢١ ، وأسرار التكرار فى القرآن أو البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء الكرمانى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٩٨ ، والتعريف والإعلام فيما أُبهم من الأسماء والأعلام فى القرآن الكريم للإمام أبى القاسم السهيلى ـ تحقيق الأستاذ عبدأ . مهنا / ١٦٣ ، ومفحمات الأقران فى مبهمات القرآن للعلامة جلال الدين السيوطى ـ ضبطه وعلق عليه د. مصطفى ديب البغا / ١٠٥ والأنموذج الجليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل للإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ـ تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة ، وجماعة من علماء مجلة الأزهر ، هدية مجلة الأزهر ، جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ ٥ / ٤٦٣ ـ ٤٦٦ ، ومسائل الرازى وأجوبتها من غرائب التنزيل للرازى ، للمحقق نفسه / ٣٣١ ـ ٣٣٣ ، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ـ صاحب الفضيلة الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى / ٢٨١ ، وجواهر القرآن ودرره لحجة الإسلام الغزالى / ١١٤ ، والمقنع فى رسم مصاحف الأمصار للإمام أبى عمرو الدانى / ٤٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، وموجز كتاب التقريب فى رسم المصحف العثمانى ليوسف بن محمد الخوارزمى ـ تحقيق عبد الرحمن آلوجى / ٨٥ ، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ـ تحقيق د. شوقى ضيف / ٦١٩ ـ ٦٢١ ، ومتن حرز الأمانى ووجه التهانى المعروف بالشاطبية للإمام الشاطبى / ١٨٣ ، ١٨٤ ، وإبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع للإمام الشاطبى ، للإمام أبى شامة ، تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض / ٦٩٤ ـ ٦٩٦ ، وطيبة النشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ـ بمراجعة وتحقيق صاحب الفضيلة الشيخ محمد على الضباع / ١٥٩ ، والمكتفى فى الوقف والابتدا لأبى عمرو الدانى ـ دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، والإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى ٢ / ٢٥٩ ، وألفية التفسير ـ حسين على دحلى / ٥٩ . انظر أيضا الغاية فى القراءات العشر لابن مهران ـ تقديم د. أحمد علم الدين رمضان الجندى ، ود. مصطفى مسلم ، دراسة وتحقيق محمد غياث الجنباز / ٤٠٤ ـ ٤٠٦ ، والمبسوط فى القراءات العشر لابن مهران ـ تحقيق سبيع حمزة حاكمى / ٤٢٣ ـ ٤٢٥ ، والكوكب الدرى فى شرح طيبة ابن الجزرى مختصر شرح الطيبة للنويرى ـ محمد الصادق قمحاوى / ٥٦١ ، ٥٦٢ ، والتيسير فى القراءات السبع للإمام أبى عمرو عثمان سعيد الدانى ـ عنى بتصحيحه أوتوبرتزل / ٢٠٦ ، ٢٠٧ وتقريب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ـ تحقيق وتقديم إبراهيم عطوة عوض / ١٧٨ ، وسراج القارئ المبتدى وتذكار المقرىء المنتهى للإمام ابن القاصح العذرى / ٣٦١ ـ ٣٦٣ ، وروح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للإمام أبى الثناء الآلوسى ٨ / ٢٨٧ ، ٢٨٨).

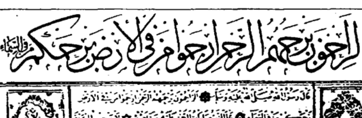
* **الرحمة :**

يقول التهانوى :

الرحمة بالفتح وسكون الحاء المهملة لغة رقة القلب وانعطاف يقتضى التفضل والإحسان وهى من الكيفيات التابعة للمزاج والله سبحانه منزه عنها فإطلاقه عليه مجاز عما يترتب عليه من إنعامه على عباده. كالغضب فإنه لغة ثوران النفس وهيجانها عند إرادة الانتقام فإذا أسند إلى الله تعالى

أريد به المنتهى والغاية ولذا قيل أسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى أفعال دون المبادى التى تكون انفعالات وذكر بعض المحققين أن الرحمن من صفات الذات وهى الرادة إيصال الخير ودفع الشر فالبارى سبحانه رحمن ورحيم لأن إرادته أزلية ومعنى ذلك أنه تعالى أراد فى الأزل أن ينعم على عبيده المؤمنين فيما لا يزال. وقال آخرون هى من صفات الفعل وهى إيصال الخير ودفع الشر ونسبتها إليه سبحانه عبارة عن عطاء الله تعالى العبد ما لا يستحقه من المثوبة ودفع ما يستوجبه من العقوبة وقيل هى تلك عقوبة من يستحق العقوبة.

وذكر الإمام الرازى فى مفاتيح الغيب أن الرحمة لا تكون إلا لله تعالى لأن الجود هو إفادة ما ينبغى لا لغرض وكل أحد غير الله إنما يعطى ليأخذ عوضا إلا أن العوض أقسام منها جسمانية كمن أعطى دينارا ليأخذ كرباسا ومنها روحانية وهى أقسام: أحدها إعطاء المال لطلب الخدمة والثانى إعطاؤه لطلب الثناء الجميل، والثالث إعطاؤه لطلب الإعانة، والرابع إعطاؤه لطلب الثواب الجزيل، والخامس إعطاؤه لدفع الرقة الجنسية عن القلب، والسادس إعطاؤه ليزيل حب المال عن قلبه فكل من أعطى إنما يعطى لغرض تحصيل الكمال فيكون ذلك فى الحقيقة معارضة وأما الحق سبحانه فهو كامل فى نفسه فيستحيل أن يعطى ليستفيد به كمالا (كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٢٨٨).



٣٢٤ - لوحة كاملة بخط الثلث والنسخ من كتابات مصطفى عزت سنة ١٢٦٣ هجرية.

ويقول صاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوى فى بحث له:

الرحمة آصرة من أواصر الترابط الإنسانى، ولذلك دعا الإسلام إليها، وحث عليها، فهى فى كل قلب تقى، وقد خلق الله القلوب معادن فمن القلوب، ما هى كالحجارة أو أشد قسوة فصاحبها شقى، قال ـ عليه الصلاة والسلام: «لا تنزع الرحمة إلا من شقى» (صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه) وقال ـ عليه الصلاة السلام: «من لا يَرحم لا يُرحم» (أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى).

وهناك قلوب عامرة بالرحمة، مملوءة بالعطف، تدفع صاحبها إلى البذل والعطاء، لا تبغى من ذلك جزاء، ولا شكرا، إلا رضاء الله ـ عز وجل ـ قال تعالى: ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** ﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

ومن ثم فالرحمة عنوان الكمال الذى يجب أن يكون عليه المؤمن، حتى ينال رضوان الله فى الدنيا والآخرة.

الرحمة من أشرف الخصال وأكرم الأخلاق؛ وإن الله لا يحب شيئا مثلما يحب الرحمة والتواضع؛ ولا يكره شيئا مثلما يكره القسوة والكبرياء.

وقد ورد فى الحديث الصحيح: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء». وذكر من التى للعاقل ها هنا لتغليب الأشرف على غيره. وإياك أن تفهم من ذكرها أنك لست مأمورا إلا برحمة النوع الإنسانى فقط، فإنك مأمور بالرحمة لكل ذى روح.

وقد قال ـ ﷺ: «فى كل كبد رطبة صدقة». وإذا كانت امرأة قد دخلت النار من أجل هرة حبستها كما فى الحديث الصحيح، فلا غرو أن تدخل الجنة من أجل هرة ترحمها.

وقد ورد: «إن الله رحيم، وإنما يرحم من عباده الرحماء»، ويقول الله ـ تعالى فى الحديث القدسى: «سبقت رحمتى غضبى».

وليس ذلك الحنان الذى تراه فى قلوب الآباء والأمهات فى

أفراد النوع الإنسانى ، وسائر أنواع الحنان، مما يسوقهم سوقا اضطراريـا إلى تعهد الولد ومـراعاته فى كل مـا يجب له، ولا تلك الشفقة التى تجدها مـن نفسك إذا رأيت مظلوما ضعيفا أو فقيـــرا بائســا، إلا أثـرا مـــن آثـار تلـك الرحمـــة الإلهيـة.

ومواساة الإخوان والجيـران والشفقة على الفقراء والضعفاء من أفضل الأعمـال التـى حث عليهـا الـدين ونـدبت إليهـا الشريعـة. وكل ذلك من آثار الـرحمة الإلهية التى قـامت بها السموات والأرض، ولا محل هاهنا لتفصيل رحمته تعالى بك وفضله عليك بجرى البحار، وتفجيـر الأنهار، وتيسير الأنوار، وخلق الليل والنهار، وإنبـات النبات، وبقية الآيـات، وأنواع النعم المتواترات.

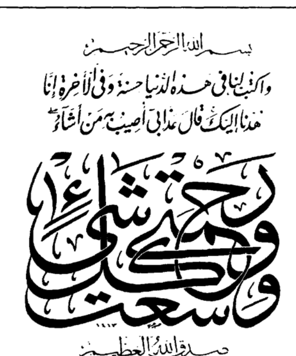
وقد قال ــ تعالى : ﴿فـانظر إلى ءاثـر رحمت الله كيف يحى الأرض بعد مـوتها﴾ [الروم : ٥٠] وبـالجملة ففيك من الإنسانية على قـدر ما فيك من الرحمة. وعلـى قدر ما فيك من القسوة يكـون بعدك عن الله، وانسلاخك من الإنسـانية، فإنك لا تتكمل إلا إذا انفعلـت نفسك بـالكمـالات ومكـارم الأخلاق المرة بعد المرة ، وعلى قدر لين قلبك وسرعة تأثرك، يكون قبولك لتلك الكمالات. وأما ذلك القلب القاسى الذى لا ينفعل ولا يتأثر ، فـإنه بعيد الكمـال جدا، حيث كـان غير مستعد للانفعال ولا قابل للنقش فيه.

وإن من القلوب قلوبا ﴿كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهٰر وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء﴾[البقرة : ٧٤]

ومن كـان بهـذه الصفـة فهـو شقى فى الـدنيـا والآخـرة، ممقوت لدى الله والناس.

وقد قـرر الفلاسفة أنه قـد ينحط إلى دركات هى أسفل من كل المراتب التى فيها أنواع الحيـوان، وإذًا لا يكون إنسانا إلا فى صورته .

وقــد قـال بعض الحكمــاء: إن من النـاس من تفســد إنسانيته فيصبح غير إنسان. وقد أشار ــ سبحانه وتعالى ــ إلى ذلك بقوله:



ورحمتي وسعت كل شيء [الأعراف: ١٥٦]

﴿ لقـد خلقنـا الإنسـان فى أحسن تقـويم (٤) ثم رددنٰـه أسفل سٰفلين (٥) إلا الذين ءامنوا وعملوا الصٰلحٰت﴾ [التين : ٤ ـ ٦] ويقول: ﴿ والعصر (١) ان الإنسان لفى خسر (٢) إلا الذين ءامنوا وعملوا الصلحت وتواصـوا بالحق وتواصوا بالصبر (٣)﴾ [سورة العصر]

ولا يمكنك أن تصل إلى درجة الكمال إلا إذا لم تكن من ذوى القلوب القاسية والنفوس الجامحة.

والخلاصة أنه لو اتصف الناس بالرحمة لكانوا كاملين فى إنسانيتهم، فلم يفعلوا فعل الوحـوش الضارية بإخوانهم وبنى نوعهم.

لو تمت فى النفوس لما التهمـت الأمم القوية الضعيفة. ولمـا فعلت بها مـا لا تفعلـه الحيوانـات بأضعفهـا. على أن الحيوان لا يفترس أبناء نوعه مهما كانت وحشيته وشراهته.

لو تمت الرحمة فى الأغنياء لما مقتهم الفقراء، ولو تمت الرحمة فى القضـاة لما تأخرت القضايا السنيـــن الطـــوال ، ولا لحق أربابها شـديد النكال وعظيم الوبـال. ولو تمت فيك الـرحمة لـدعا لك جيـرانك وأثنى عليك إخوانك. ولـو تمت

الرحمـة فيك لبذلت النصح للعـامة والخـاصة إخـلاصا لهم وإشفاقـا عليه (والـدين النصيحة). ولـو تمت فيك الـرحمة لأشفقت على القريب والبعيد، ورحمت المبتلى والمعافى، والإنسان وغير الإنسان.

بل نقـول: لـو تمت فيك الرحمـة لكنت من المـرحـومين الـذين يشفقون على أنفسهم فـلا يورطـونها فى الهلكـات ولا يجلبـون عليها أعظم الآفـات، ويحـرمونهـا من أفضل أنـواع السعادات.

وإجمـال القول إنـه إذا استقام هـذا الأصل للإنسـان فى الدين، استقـام له سائره، ففـاز بخير الدنيـا والآخرة . فأزل - يرحمك الله - من نفسك القسوة، وكن رقيق الفؤاد ولا تكن من غلاظ الأكباد، فالراحمون يرحمهم الرحمن.

وما أحسن قول ابن حجر المكى فى هذا الموضوع:

ارحـم عبـــاد الله يـــــرحمك الــــذى
عـم الخــــلائق جــــوده ونــــوالــــه
فــــالـــراحمـــون لهم نصيب وافـــر
من رحمـــة الــرحمـن جل جـــلالـــه

وقول الحافظ ابن عساكر:

بـــادر إلى الخيـــر يــاذا اللب مغتنمــا
ولا تكـن عن قليـل الخيـــــر محتشمــــا
واشكــــر لمـــــولاك مـــا أولاك من نعـم
فـالشكــر يستـوجب الإقبـال والكـرمـا
وارحـــم بقلبـــك خلـــق الله وارعهــم
فإنمــــا يــرحم الــرحمن مـن رحمــا

وقال غيره:

من يـــرحم الخلق فـــالـــرحمن يـــرحمـــه
ويكشـف الله عنـــه الضـــر والبـأســـا

ففى صحيح البخـارى جاء متصلا: «لا يـرحم الله من لا يرحم الناس»: ولا بأس أن نذكر لك كلمة وجيزة عما جاء فى السنـة من الحث على الـرحمـة فنقـول: روى البخـارى فى الأدب المفرد وأحمـد وأبو داود والترمذى وآخـرون عن عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا

وهب لنا من لدنك رحمة

إنك أنت الوهاب

صدق الله العظيم

(آل عمران: ٨)

ابن عمرو بن العـاص أن رسول الله ﷺ قـال: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» لك أن تقـرأ يرحمكم بالجزم جوابا للأمر، والرفع على أنه جملة دعائية.

وروى الشيخ هذا الحديث عن أسامه بن زيد بلفظ «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» ومن ذلك ما روياه عن أبى هريرة أنه ﷺ قال: «من لا يَرحم لا يُرحم».

وروى أحمد عن جابر: من لا يَرحم لا يُرحم ومن لا يغفر لا يُغفر له.

ومنها مـا رواه الشيخان عن جرير أن رسـول الله ﷺ قال: «من لا يرحم الناس لا يرحمـه الله»، وروى الإمام أحمد وعبد ابن حميد فى مسنديهما، والطبـرانى، وغيرهم بسند جيد عن ابن عمر مـوقوفا ومرفوعـا ارحموا ترحموا واغفـروا يُغفر لكم، ويل للمُصـرِّين الذين يصـرون على ما فعلوا وهـم يعلمون. وأخرج أبو داود والترمذى عن أبى هريرة رضـى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تنزع الرحمة إلا من شقى».

وعنـه أيضـا قـال: قبَّـل رسـول الله ﷺ الحسن بن على - رضى الله عنهما - وعنده الأقرع بن حابس، فقـال الأقرع: إن



لى عشرة من الولد ما قبَّلت أحدا منهم. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يُرحم». أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشى بالطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب، ثم خرج وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسك بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له تعالى فغفر له، قالوا يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجرا؟ قال: فى كل كبد رطبة أجر». أخرجه الشيخان فى الصحيحين ومالك فى الموطأ.

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» (خشاش الأرض هوامها وحشراتها) أخرجه الشيخان. وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ «إن الرفق ما كان فى شىء إلا زانه، ولا نزع من شىء إلا شانه» أخرجه مسلم وأبو داود. عن جرير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» أخرجه مسلم وأبو داود. وعن أبى موسى رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ إذا بعث أحدا فى بعض أمره قال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا». أخرجه أبو داود («الرحمة» / ٥٣٤ ـ ٥٣٧)

ويقول فضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم فى بحث له.

عن أبى صالح الحنفى قال: قال رسول الله ـ ﷺ «إن الله ـ عز وجل ـ رحيم لا يضع رحمته إلا على رحيم، ولا يُدخل الجنة إلا رحيما».

قالوا: يارسول الله: إنا لنرحم أموالنا وأهلينا!

قال: ليس بذلك، ولكن ما قال الله عز وجل: ﴿**حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾ رواه الإمام أحمد فى الزهد.

من القيم الرفيعة فى الإسلام، ومميزاته ـ وما أكثرها ـ صفة الرحمة وصف الله ـ عز وجل ـ بها نفسه ـ فقال: بسم الله الرحمن الرحيم وقال: ﴿ **الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم**﴾، ﴿ **إن الله بالناس لرءوف رحيم**﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ [المائدة: ٣٩] ﴿ **نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم**﴾ [الحجر: ٤٩] ﴿ **ورحمتى وسعت كل شىء**﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقال سبحانه فى الحديث القدسى أنا أرحم بعبدى من الوالدة بولدها.

روى البخارى: قال، قال رسول الله ـ ﷺ: جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل فى الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه. ولقد وصف الله ـ عز وجل ـ رسوله محمدا بأنه الرحمة المرسلة للعالمين، فقال: سبحانه: ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال فى شأنه وشأن صحابته: ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ [الفتح ـ ٢٩] كما مدح

سبحانه المؤمنين بالتواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة، فقال: عز وجل: ﴿ **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة**﴾ [البلد: ١٧، ١٨] والرحمة فى أصل معناها رقة فى القلب تقتضى الإحسان والانعطاف والإنعام وتقابلها القسوة والغلظة. وهى فى جانب الله تفضل وإنعام وإحسان، والرحمة التى يريدها الإسلام: هى الرحمة خاصة وعامة فالرحمة الخاصة هى أن يرحم الإنسان نفسه ويكون ذلك بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، ووقاية نفسه من أسباب العطب والخسران والذنوب والآثام، وحماية قلبه من القسوة، ووقاية نفسه من أكل الحرام، والإكثار من عمل الصالحات، مع الطمع فى رضوان الله عنه بدخول الجنة والنجاة من النار.

كما تكون الرحمة الخاصة بأن يرحم الإنسان أهله أو صاحبه «فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فيما رواه الطبراني ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «لن تؤمنوا حتى تراحموا»، قالوا كلنا رحيم يارسول الله، قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس. رحمة العامة» أى الناس كافة.

أما الرحمة العامة فهى الرحمة الشاملة التى تعم الناس جميعا، وتظهر آثارها من القلب على الجوارح واللسان فى السعى فى إيصال البر والخير والمنافع إلى الناس وإزالة الأضرار والمكاره عنهم.

وعلامة الرحمة الموجودة فى قلب العبد أن يكون محبا لوصول الخير لكافة الخلق عموما وللمؤمنين خصوصا، كارها حصول الشر مع الصبر عليهم، فبقدر هذه المحبة والكراهة تكون رحمته. وأولى الناس بالرحمة الوالدان قال ـ عز من قائل: ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**﴾ [الإسراء: ٢٤] وعن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: أقبل رجل إلى نبى الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله فقال: هل لك من والديك أحد حى؟ قال: نعم، بل كلاهما. قال: فتبغى الأجر من الله تعالى؟ قال نعم. قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما.

بل إن الرحمة بهما والإحسان لهما: ليس مقصورا على برهما فى حياتهما، وإنما يمتد إلى ما بعد وفاتهما. فقد جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ فقال: يارسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال: نعم «الصلاة عليهما. أى الدعاء ـ والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما ـ أى تنفيذ وصيتهما ـ من بعدهما، وصلة الرحم ـ أى أقارب الأب والأم ـ التى لاتوصل إلا بهما، وإكرام صديقهما» رواه مسلم وأبو داود والترمذى.

ومن هنا كانت القسوة عليهما وعقوقهما من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ومن الذنوب التى يعجل الله عقوبتها فى الدنيا قبل الآخرة.

فعن رسول الله ﷺ ـ فيما رواه البخارى ومسلم: أنه قال كل الذنوب يؤخر الله. ما يشاء منها إلا عقوق الوالدين؛ فإن الله يعجل لصاحبها فى الحياة قبل الممات.

وللأم درجة خاصة من البر والإحسان لما تحملته من المشاق والمتاعب. فقد روى البزار عن بريدة عن أبيه أن رجلا كان فى الطواف حامل أمه يطوف فسأل النبى ـ ﷺ: «هل أديت حقها؟» فقال: لا ولا بزفرة واحدة، ثم الرحمة بذوى القربى وذوى الأرحام: فقد روى أبو داود أنه قيل يارسول الله من أبر؟ قال: قال أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذى ذاك أى قريبك الذى يقرب من هؤلاء المذكورين ـ حق واجب ورحم موصلة أى قرابة يجب وصلها ـ قال تعالى: ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ [الإسراء: ٢٦] روى الإمام أحمد عن أبى هريرة: سمعت رسول الله: يقول: الرحم شجْنة من الرحمن تقول يارب إنى قُطعت يارب إنى أسىء إلىَّ! يارب إنى ظلمت يارب، يارب! فيجيبها: إلا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك.

وممن تجب الرحمة بهم الأولاد بالعطف عليهم والرقة والحنو عليهم وبهم، فقد روى البخارى عن أبى هريرة أن النبى ـ ﷺ ـ قبَّل الحسن أو الحسين بن على وعنده الأقرع بن حابس، فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا قط!

فنظر إليه رسول الله وقال من لا يرَحم لا يُرحم ... وفى رواية : أو أملك لك أن نزع الله الرحمة «من قلبك» وقد دمعت عينا رسول الله ـ ﷺ : عند فقد ابنه إبراهيم ولما سئل فى ذلك قال إنها رحمة ـ رواه مسلم .

كما تجب الرحمة بالضعفاء والمساكين، روى الطبرانى أن رسول الله ـ ﷺ : قال : «طوبى لمن تواضع فى غير منقصة، وذل فى نفسه من غير مسألة، وأنفق مالا جمعه فى غير معصية، رحم أهل الذلة والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة» .

وعن أبى هريرة أن رجلا شكا إلى رسول الله قسوة قلبه فقال له أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك، ارحم اليتيم وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك يلن قلبك . وتدرك حاجتك» ـ رواه أحمد .

وممن تجب الرحمة بهم المرضى وذوو العاهات : فلا تقسُ عليهم بل تكون رحيما بهما متخلقا بخلق الله معهم : قال ـ عز من قائل : ﴿ **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما**﴾ [الفتح : ١٧] .

وإذا كانت الرحمة التى يدعونا إليها الإسلام عامة لا تقف عند حد، فإن الواجب يقتضينا أن نتصف بها مع الناس أجمعين، وفى كل وقت وحين، حتى نكون أهلا لوعد ربنا حيث قال : ﴿**إن رحمة الله قريب من المحسنين**﴾ [الأعراف : ٥] وقال : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**﴾ [التوبة : ٧١]

وكما دعينا إلى الاتصاف بصفة الرحمة مع بنى الإنسان جميعا، كذلك أمرنا بالرحمة مع العجماوات : قال رجل ـ فيما رواه الحاكم يارسول الله إنى لأرحم الشاة أن أذبحها فقال : إن رحمتها رحمك الله .

ولقد كانت الرحمة سببا فى مغفرة ذنوب المسرفين على أنفسهم فى المعصية فقد روى مسلم : أن امرأة بغيا رأت كلبا فى يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت موقها ـ خفها ـ فغفر لها به ـ كما أن امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ـ رواه البخارى .

فعلينا أن نقتدى برسول الله ـ الرحمة المهداة ـ حتى نكون أهلا لرحمة الله التى وسعت كل شيء («الرحماء يرحمهم الرحمن» / ١٧٠ ـ ١٧٣) .

قال الإمام النووى :

روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا أتقبلون صبيانكم فقال نعم قالوا لكنا والله لا نُقَبِّل فقال رسول الله ﷺ أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة» وروى البخارى عن أبى قتادة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «إنى لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها فاسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمتى» وروى مسلم عن هشام بن حكيم ابن حزام رضى الله عنهما أنه مر بالشام على أناس من الأنباط وقد أقيموا فى الشمس وصب على رءوسهم الزيت فقال ما هذا قيل يعذبون فى الخراج وفى رواية حُبِسوا فى الجزية فقال هشام أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا فدخل على الأمير فحدثته فأمر بهم فخلوا «الأنباط الفلاحون من ا لعجم»

وروى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة به من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر من فعل هذا لعن الله من فعل هذا إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا الغرض الهدف والشيء الذى يرمى إليه . وروى الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ أن تُصبَّر البهائم . ومعناه تحبس للقتل وروى مسلم عن هشام بن حكيم بن حزام رضى الله عنه أن النبى ﷺ مر عليه حمار قد وُسِم فى وجهه فقال لعن الله الذى وسمه وفى روايه لمسلم نهى رسول الله ﷺ عن الضرب فى الوجه وعن

الـوسم فى الـوجـه . وروى مسلـم عن ابن عبـاس رضى الله عنهما قال رأى رسول الله ﷺ حمارا مـوسوم الوجه فأنكر ذلك فقـال والله لا أسِمُه إلا أقصى شيء من الـوجـه وأمر بحمـاره فكوى فى جـاعرتيه فهو أول من كـوى الجاعرتين«الجـاعرتين ناحيتـا الوركين حول الـدبر» (مختصر كتـاب رياض الصـالحين / ٢٠٥_٢٠٧).

ويقـول صـاحب الفضيلـة الإمـام الأكبـر الشيخ محمـود شلتوت رحمه الله عن وجوب التخلق بأخلاق الله :

إن الله يحب من عبـاده أن يكونـوا على صفتـه، يجب أن يكونـوا رحماء فيمـا بينهم : فيعطف كبيرهم على صغيـرهم، ويوقر كبيرهم صغيرهم ويواسي غنيهم فقيرهم، ويعين قويهم ضعيفهم، ويـرشـد عـالمهم جـاهلهـم، ويهـدى حكيمهم سفيهم، ويرى المحكوم رحمة الحاكـم به، كما يرى الأبناء رحمـة الآبـاء والتـلاميـذ رحمـة المعلمين والمـرضى رحمـة الأطبـاء، أولئك هم الـذيـن يـرحمهم الله، ويعطف عليهم، ويسعدهم بحسن لقـائه، وينجيهم من فتنة الحيـاة والممات «الـراحمـون يرحمهم الـرحمن» وكمـا أوجب الله تعـالى على الإنسـان أن يـرحم أخـاه الإنسـان، أوجب عليــه أن يـرحم الحيوان، فالحيوان محتاج إلى الرحمة كما أن الإنسان محتاج إلى الـرحمة، قـال رسول الله ﷺ (اتقـوا الله فى هذه البهـائم العجماوات، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة)

الإيمان مصدر الرحمة :

الرحمة أثر من آثار الإيمان، يبعثها الطمع فى رحمة الله ـ وهى بعد فضيلة مـن فضائل الإنسان ـ وتدفع إليهـا العواطف النبيلة، والإحساس الإنسانى الشـريف، وقد وصف الله تعالى بها نفسـه، وتفضل بها على خلقه فقـال تعالى : ﴿ **من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم** ﴾ [الأنعـام : ٥٤] ورفع الله درجـة المخلصين، فأضـافهم إليـه بصفة الرحمة ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ [الفرقـان : ٦٣] وامتن بها على نبيه أما القسوة : فمن صفـات الجاحدين، الذين لا يؤمنـون بالله أو لا يشعرون بعظمـة الله أو لا يعرفـون أن القسوة هى من صفات الوحوش المفترسة ولا ينبغى أن يقيم أصحابها بين بنى الإنسان، وجديـر بالإنسانية الفاضلـة أن ترمى بها فى المغـاور والكهـوف، وحسـب القسـاة على خلق الله، أن الله تعالى شبه قلوبهم بالحجارة، بل جعلها أشد منها قسوة ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهـار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منهـا لما يهبط من خشية الله وما الله بغـافل عما تعملون** ﴾[البقرة : ٧٤]

حسب القساة قول الرسول الرحيم : «لا تنزع الرحمة إلا من شقى»، وأى شقى أكبـــر من ذلك الـــذى يـرى اليتـــامى والمسـاكين والضعفـاء والمرضى، تتـابعهم البـلايـا والمحن وتلعب بهم المصـــائب وتفتك بهم الأمـــراض والعلل، ثم لا يتأثر قلبه بعاطفة الشفقة عليهم والرحمة بهم ـ وإن ما نشاهده اليوم من آثار الحروب، إنما هو نتيجة لنزع الرحمة من القلوب وخلو الشفقة من النفوس، إن الفرق بين الرحيم والقاسى إنما هو الفـرق بين المؤمـن وغير المؤمـن، هو الفرق بيـن السعيد والشقى، هـو الفرق بيـن الإنسان وغيـر الإنسـان، فارحمـوا وتـراحمـــوا يكمل إيمـــانكم وتعظم سعـادتكم وتفخـر بكم الإنسانية (من توجيهات الإسلام / ٣٠٤، ٣٠٥).

رحمة الله تعالى :

ويقول أيضا عن رحمة الله تعالى :

إن من صفـات الله الذى خلقكم فأحسن الخلق وربـاكم فأحسن التـربيـة «صفـة الـرحمـة» كتبهـا على نفسـه وقـال ﴿ **ورحمتى وسعـت كل شـىء** ﴾ [الأعراف : ١٥٦] واتخـذ له منهـا اسمين كـريمين «الـرحمن الـرحيم» وطلـب من عبـاده المؤمنين أن يستعينـوا بهما «بسم الله الـرحمن الرحيم» وطلب منهم الثنـاء عليه والاعتـراف له وحـده بالـربوبيـة العامـة عن طـريقهمـا«الحمـد لله رب العـالميـن» الـرحمن الـرحيم ... » فبالرحمة نظر إليكم، وأنتم أجنة فى بطون الأمهات، وبالرحمة نظر إليكـم، وأنتم فى ميدان العمل وعهـد الكبر، وبهـا ينظر إليكم وملائكـة الموت تخرج منكم الروح وسـر الحياة، وبها ينظر إليكم وأنتم وقوف بين يديـه يحاسبكم على ما قدمتم من

عمل، فيعرفكم الحسنات والسيئات ثم يقول **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾**.

وما نعمة أنعم الله بها على عباده ــ عامة كانت أم خاصة ــ إلا وهى أثر من آثار رحمته، فالصحة والمال، والزوجة الحسنة، والأبناء الصالحون، من رحمة الله. والعلم والهداية وراحة الضمير من رحمة الله. والإلهام بما ينفع فى الحياة وبما يضر من رحمة الله. والحكم والجاه، ونفوذ الكلمة من رحمة الله. فانظروا إلى آثار رحمة الله المحيطة بكم، الشاملة لجميع شئونكم، فى خلقكم، فى أبدانكم، فى موارد رزقكم، فى تعليمكم فى هدايتكم **﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾** [الرحمن : ١ ــ ٣] (من توجيهات الإسلام / ٣٠٣، ٣٠٤).

وعن رحمة الله تعالى جاء ما يلى فى مختصر منهاج القاصدين:

قال الله تعالى : **﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾** [الزمر: ٥٣]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لما قضى الله عز وجل الخلق، كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتى غلبت غضبى» أخرجاه فى «الصحيحين».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله عز وجل مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الإنس والجن والهوام والبهائم، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على أولادها. وأخَّر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن ربكم تبارك وتعالى رحيم، من هَمَّ بحسنه فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة أو يمحوها الله، ولا يهلك على الله تعالى إلا هالك».

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « يقول الله عز وجل: من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن عمل سيئة، فجزاء سيئة مثلها أو أغفر، ومن اقترب إلىَّ شبرا اقتربت إليه ذراعا، ومن اقترب إلىَّ ذراعا اقتربت إليه باعا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن رجلا أذنب ذنبا فقال: أى رب! أذنبت ذنبا فاغفر لى، فقال تبارك وتعالى: علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدى. ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبا آخر فقال: أى رب! عملت ذنبا فاغفره لى، فقال عز وجل: علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدى . ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا آخر فقال: أى رب عملت ذنبا فاغفره لى. فقال: علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب، أشهدكم أنى قد غفرت لعبدى، فليعمل ما شاء». هذه الأحاديث كلها صحاح (مختصر منهاج القاصدين / ٤٠٦، ٤٠٧).

ويقرر الإمام الدامغانى أن «الرحمة» ترد فى القرآن الكريم على أربعة عشر وجها يفصِّلها كما يلى:

الإسلام. الجنة. المطر. النبوة. النعمة. القرآن. الرزق. النصر والفتح. العافية. المودة. الإيمان. التوفيق. عيسى عليه السلام. محمدﷺ فوجه منها: الرحمة بمعنى الإسلام. قوله تعالى فى سورة **﴿هل أتى﴾**[الإنسان] **﴿يدخل من يشاء فى رحمته ﴾** [٣١] يعنى فى دينه الإسلام. نظيرها فى سورة حم عسق [الشورى] قوله تعالى **﴿ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته﴾** [٨] يعنى فى دينه الإسلام. كقوله سبحانه فى سورة الفتح **﴿ليدخل الله فى رحمته من يشاء﴾**[٢٥] يعنى دين الإسلام. كقوله جل وعلا فى سورة البقرة **﴿ يختص برحمته من يشاء﴾** [١٠٥] يعنى دينه الإسلام. نظيرها فى سورة آل عمران.

الثانى: الرحمة الجنة. قوله تعالى فى سورة آل عمران **﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله﴾** [١٠٧] يعنى ففى الجنة. نظيرها فى سورة النساء **﴿ فأما الذين آمنوا بالله**

واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل﴾ [١٧٥] يعنى فى الجنة. كقوله تعالى فى سورة الجاثية ﴿فيدخلهم ربهم فى رحمته﴾ [٣٠] يعنى فى الجنة. وقوله تعالى فى سورة البقرة ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾ [٢١٨] أى جنته. كقوله تعالى فى سورة العنكبوت ﴿أولئك يئسوا من رحمتى﴾ [٢٣] يعنى جنتى.

الثالث: الرحمة يعنى المطر. قوله سبحانه فى سورة الأعراف ﴿وهو الذى يرسل الرياح بُشرا بين يدى رحمته﴾ [٥٧] يعنى المطر نظيرها فى سورة الفرقان. وقوله سبحانه فى سورة حم عسق [الشورى] ﴿وينشر رحمته﴾ [٢٨] يعنى المطر. كقوله تعالى فى سورة الروم: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾[٥٠] يعنى المطر. كقوله تعالى (فيها) ﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة﴾ [٣٣] يعنى المطر. وكقوله سبحانه (فيها) ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ [٤٦] يعنى المطر.

الرابع: الرحمة بمعنى النبوة. قوله تعالى فى سورة صّ ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ [٩] يعنى مفاتيح النبوة نظيرها فى سورة الزخرف ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ [٣٢] يعنى النبوة.

الخامس: الرحمة النعمة. قوله تعالى فى سورة مريم ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ [٢] أى نعمة ربك. كقوله تعالى فى سورة الكهف ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ [٦٥] يعنى نعمة من عندنا. السادس: الرحمة يعنى القرآن. قوله تعالى فى سورة الأنعام ﴿وهدى ورحمة﴾ [١٥٤] وقوله تعالى فى سورة يونس ﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾ [٥٨] يعنى القرآن. كقوله تعالى فى سورة يوسف ﴿وهدى ورحمة﴾ [١١١].

السابع: الرحمة الرزق. قوله تعالى فى سورة الإسراء ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى﴾ [١٠٠] يعنى رزق ربى. كقوله تعالى فى سورة فاطر ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ [٢] يعنى من رزق. كقوله تعالى فى سورة الإسراء ﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾ [٢٨] يعنى الرزق. مثلها فى سورة الكهف ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾[١٦]. (وفيها) أيضا﴿ آتنا من لدنك رحمة﴾ [١٠] يعنى رزقا. الثامن: الرحمة والنصر والفتح. قوله تعالى فى سورة الأحزاب ﴿قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة﴾ [١٧] يعنى النصر والفتح.

التاسع: الرحمة بمعنى العافية. قوله تعالى فى سورة الزمر ﴿إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة﴾ يعنى بعافية ﴿هل هن ممسكات رحمته﴾ [٣٨] يعنى عافيته.

العاشر: الرحمة يعنى المودة، كقوله تعالى فى سورة الحديد ﴿وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ [٢٧] يعنى مودة كقوله تعالى فى سورة الفتح ﴿رحماء بينهم﴾ [٢٩] أى متوادين.

الحادى عشر: الرحمة الإيمان. قوله تعالى فى سورة هود ﴿وآتانى رحمة من عنده﴾ [٢٨] (وفيها) ﴿وآتانى منه رحمة﴾ [٦٣] يعنى بالرحمة الإيمان.

الثانى عشر: الرحمة التوفيق. قوله تعالى فى سورة البقرة ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ [٦٤] يعنى المنة والتوفيق. وفى سورة النساء والنور نحوه.

الثالث عشر: الرحمة عيسى ابن مريم عليه السلام. قوله تعالى فى سورة مريم ﴿ولنجعله آية للناس ورحمة منا﴾ [٢١] أى عيسى ابن مريم عليه السلام.

الرابع عشر: الرحمة محمد ﷺ. قوله تعالى فى سورة الأنبياء ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [١٠٧] (قاموس القرآن/ ١٩٩-٢٠٢).

أما عن السنة النبوية المشرفة فقد أورد الإمام ابن حجر الهيتمى فى خاتمة كتابه «تحرير المقال» «أحاديث حاثة ومؤكدة للفقهاء والمعلمين، على الرحمة بالمتعلمين، والمبالغة فى إسداء الإحسان إليهم، والقيام بمصالحهم ما أمكن» وعددها عشرة أحاديث ننقلها فيما يلى، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ عبد المعز عبد الحميد الجزار بين أقواس فى ثنايا النص:

الأول:

أخـرج أحمـد، والشيخـان: البخـارى، ومسلم فى صحيحيهما، وأبو داود، والترمذى أنه ﷺ، قال:

«من لا يَرحم لا يُرحم».

(مسلم ٧ / ٧٧ ، الفتح الكبير ٣ / ٢٤٦ ، كنز العمال ٢ / ٣٥ وزاد بعده «ومن لا يغفر لا يغفر الله لـه ومن لا يتب لا يتـوب الله عليه» الطبـرانى عن جريـر بن عبد الله ، وفى روايـة أخرى رواها أحمـد فى مسنـده ، وأبو داود والبخـارى ومسلم والترمذى، عن أبى هريرة وللبخارى ومسلم عن جرير بن عبد الله ، وسنن الترمـذى ٤ / ٣١٨ وهو حـديث حسن صحيح ، وفيض القدير ٦ / ٢٣٩ ومجمع الزوائد ٨ / ١٨٧ الشرح : من لا يكون من أهل الـرحمة لا يـرحمه الله أو من لا يـرحم الناس بالإحسان لا يثاب من قبل الرحمن. ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾ أو من لا يكون فيه رحمة الإيمـان فى الدنيا لا يرحم فى الآخرة ، أو من لا يـرحم نفسه بامتثـال الأمر وتجنب النهى لا يرحمه الله ، لأنـه ليس عنده عهد، فالـرحمة الأولى بمعنى الأعمال، والثانية بمعنى الجزاء، ولا يثاب إلا من عمل عملا صالحا:

وأفـاد الحـديث : الحث على رحمـة جميـع الخـلائق : مـؤمن، وكـافر، وحـر وقين وبهيمـة وغيـر ذلك ، ودخل فى الـرحمـة التعهـد بنحـو إطعـام وتخفيـف حـمل، ونحـو ذلك).

وفى رواية لهم ما خلا أبو داود:

«من لا يرحم الناس لا يرحمه الله».

(مسلم ٧ / ٧٧ عن جريـر بن عبد الله بزيـادة (عز وجل) فى آخره، ومجمع الزوائد ٨ / ١٨٧ والترمذى ٤ / ٣٢٣ وكنز العمال ٢ / ٣٥ والحديث حسن صحيح)

وأخرج الدولابى ، وأبو نعيم، وابن عسـاكر، أنه ﷺ قال: «خـاب وخسـر عبـد لم يجعل الله تعـالى فى قلبــه رحمـة للبشـر».

(الفتح الكبيـــر ١ / ٨٤ مع اختــلاف : الــدولابى فى الكنى، وأبـو نعيم فى المعـرفة، وابـن عساكـر عن عمـرو بن حبيب كنـز العمـال ٢ / ٣٥ وفى فيض القــديـر ٣ / ٤٣٠ روايتان الأولى مثل رواية الأصل والثانية مثل رواية الكنز، إلا أن فيها زيادة لفظ (تعالى).

الشـرح: حـرم وهلك عبـد لم يجعل الله تعـالى فى قلبـه رحمة للبشر فويل للقاسية قلوبهم .

قـالت المؤلفـة : أوردنا تـرجمة الـدولابى فى م ١٨ / ٨١ فانظرها فى موضعها ا هـ.

وأخرج أحمد، وأبو داود، والتـرمذى، و الحاكم، أنه ﷺ قال:

«الراحمون يرحمهم الرحمن ـ تبارك وتعالى ...» الحديث (الترمذى ١ / ٣٥٠ باب ما جاء فى رحمة المسلمين عن عبد الله بن عمـرو بن العـاص مـع زيـادة «ارحمـوا من فى الأرض يـرحمكم من فى السمـاء، الـرحـم شجنـة من الـرحمن فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

الشرح: الـراحمون لمن فى الارض من آدمـى وحيوان لم يؤمر بقتله بالشفقة والإحسان والمواساة والشفاعة وكف الظلم ثم بالتـوجع والتوجـه إلى الله والدعـاء له بإصـلاح الحال وأن خـالقهم يـرحمهم ويحسن إليهم وأن الـرحمـة مقيدة بـاتبـاع الكتاب والسنـة . قال العارف البونى: فإن كـان لك شوق إلى الرحمـة من الله فكن رحيمـا لنفسك ولغيرك ولا تستعبـد غيرك فـارحم الجـاهل بعلمك والـذليل بجـاهك والفقيـر بمـالك والكبير والصغيـر بشفقتك ورأفتك والعصاة بدعـوتك والبهائم بعطفك ورفع غضبك فأقـرب النـاس من رحمـة الله أرحمهم لخلقه).

وفى رواية للطبرانى:

«إنما يرحم الله من عباده الرحماء»

(كنز العمال ٢ / ٣٥، فيض القـدير ٣ / ٨ الطبرانى عن جرير بن عبد الله ، وعزوه للطبـرانى كالصريح فى أنه لم يره فى شىء من الكتب الستة وهو غفول قبيح فقـد عزاه هو نفسه فى الدرر للشيخين معـا من رواية حديـث أسامة بن زيـد وهو فى كتاب الجنـائز من البخارى ولفظه عن أسـامة بن زيـد قال: أرسلت بنت النبى ﷺ تقـول: إن ابنى قـد احتضـر فاشهـدنـا

فأرسل يقرئ السلام ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه مسعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع إليهم الصبي فأقعدوه في حجره ونفسه تقعقع ففاضت عيناه فقال سعد: يارسول الله ما هذا؟ قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»)

الثاني:

أخرج البخاري في تاريخه وأبو داود أنه ﷺ قال:

«من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا».

(كنز العمال ٢ / ٣٥ وفيض القدير ٦ / ٢٢٤ للبخاري في الأدب وأبي داود عن ابن عمرو بن العاص رمز لحسنه ورواه الحاكم باللفظ المزبور وصححه وأقره الذهبي. والزواجر للهيتمي ١ / ٩٥ مع اختلاف.

الشرح: من لا يكون من أهل الرحمة لأطفالنا أيها المسلمون ويعرف حق كبيرنا سنا أو علما فليس على طريقتنا وسنتنا) وفي رواية للترمذي:

«ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا».

(الترمذي ١ / ٣٤٩ باب ما جاء في رحمة الصبيان.

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب. وفي الترمذي ١ / ٣٤٨ بزيادة (أنه) قال وفي الباب عن أنس وعائشة. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

والزواجر ١ / ٩٥ صح الحديث، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨ / ١٤ وكنز العمال ٢ / ٣٥ للترمذي عن أنس. وفي فيض القدير ٥ / ٣٨٨ روى الحديث بروايات أربع).

وفي أخرى لأحمد، والنسائي، والحاكم.

«ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف، وينه عن المنكر».

وفي أخرى لأحمد والترمذي:

«ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، وينه عن المنكر ».

الثالث:

أخرج أحمد، وأبو داود، وابن حبان، والحاكم أنه ﷺ قال:

«لا تنزع الرحمة إلا من شقي».

(كنز العمال: ٢ / ٣٥ لأحمد في مسنده، وأبي داود في الأدب، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه في التوبة عن أبي هريرة. والفتح الكبير : ٣ / ٣٤١ وزاد في رواته الترمذي والترمذي ١ / ٣٥٠ في البر باب ما جاء في رحمة المسلمين عن أبي هريرة قال سمعت أبا القاسم ـ ﷺ يقول ... الحديث.

قال أبو عثمان الذي روى عن أبي هريرة لا يعرف اسمه ويقال هو والد موسى بن أبي عثمان الذي روى عنه أبو الزناد وقد روى أبو الزناد عن موسى بن أبي عثمان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ غير حديث. قال أبو عيسى: هذا أحديث حسن.

وفي فيض القدير ٦/ ٤٢٢. رواه البخاري في الأدب المفرد قال ابن الجوزي في شرح الشهاب وإسناده صالح ورواه عنه أيضا البيهقي قال في المهذب وإسناده صالح.

الشرح: لأن الرحمة في الخلق رقة القلب. ورقته: علامة الإيمان ومن لا رقة له لا إيمان له ومن لا إيمان له شقي، فمن لا يرزق الرقة شقي. وحقيقة الرحمة إرادة المنفعة وإذا ذهبت إرادتها من قلب شقي بإرادة المكروه لغيره ذهب عنه الإيمان والإسلام قال القرطبي: الرحمة رقة وحنو يجده الإنسان في نفسه عند رؤية مبكى أو صغير أو ضعيف يحمله على الإحسان له واللطف والرفق به والسعي في كشف ما به والرحمة التي جعلها الله في القلوب في هذه الدار التي ثمرتها هذه المصلحة العظيمة التي هي حفظ النوع رحمة واحدة من مائة ادخرها الله يوم القيامة يرحم بها عباده فمن خلق الله في قلبه هذه الرحمة الحاملة على الرفق وكشف ضرر المبتلى فقد رحمه الله بذلك في الجنان).

وفي رواية للبيهقي:

«لا يدخل الجنة إلا رحيم».

(كنز العمال : ٢ / ٣٥ وفيض القدير ٦ / ٤٨٨ ، والفتح الكبير ٣ / ٣٥٨ للبيهقى فى شعب الإيمان عن أنس بن مالك . (الشرح : لا يدخل الجنة إلا رحيم ـ ظاهره أن هذا هو الحديث بتمامه والأمر بخلافه بل بقيته عند مخرجه البيهقى) (قالوا يارسول الله كلنا رحيم قال : ليس رحمة أحدكم نفسه وأهل بيته حتى يرحم الناس) دل هذا الخبر على أن الرحمة ينبغي شمولها وعمومها للكافة فمن لم يكن كذلك فهو فظ غليظ فلا يليق بجوار الحق فى دار كرامته وأبعد القلوب من الله القلب القاسى) .

الرابع

أخرج الطبرانى أنه ﷺ قال :

من آوى يتيما ، أو يتيمين ثم صبر واحتسب كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين» .

(كنز العمال ٢ / ٣٦ وفيض القدير ٦ / ٢٠ للطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس رمز فى الصغير لحسنه ، الفتح الكبير ٣ / ١٤٤ مجمع الزوائد ٨ / ١٦٢ . (الشرح : من ضم يتيما أو يتيمين وقام بمؤنتهما ثم صبر واحتسب كنت أنا وهو فى الجنة متقارنين اقترانا مثل اقتران هاتين ـ الإصبعين وتمام الحديث عند مخرجه الطبرانى «وحرك إصبعيه : السبابة والوسطى») وفى رواية : «من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين» .

وفى أخرى : «من ضم يتيما له أو لغيره حتى يغنيه عنه وجبت له الجنة» .

(الترمذى ١ / ٣٤٩ باب ما جاء فى رحمة اليتيم وكفالته وكنز العمال ٢ / ٣٦ وفيض القدير ٦ / ١٧٤ للطبرانى فى الأوسط عن عدى بن حاتم والفتح الكبير ٣ / ٢١٠ ، ومجمع الزوائد ٨ / ١٦٢ الشرح : من تكفل بمؤنة يتيم له أو لغيره وما يحتاجه حتى يغنيه الله عنه وجهت له الجنة» .

الخامس :

عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال له :

«أتحب أن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم ، وامسح رأسه أى إلى مقدم رأسه» .

(كنز العمال ٢ / ٣٦ مع زيادة فى اللفظ ونقص للطبرانى عن أبى الدرداء والفتح الكبير ١ / ٢٨ والجامع الكبير تحت رقم ١٠٦ / ٣١٦ حـ ١١٢ مع زيادة ونقص وسنده ضعيف ورقمه فى الصغير ٩٧) .

كما فى روايته «وأطعمه من طعامك يلن قلبك ، وتدرك حاجتك» .

(كنز العمال ٢ / ٣٦ ومجمع الزوائد : ٨ / ١٦٠ والعزيزى على الصغير ١ / ٢٦ للطبرانى عن أبى الدرداء قال الشيخ : حديث ضعيف . وفى إسناده من لم يسم وبقية مدلس .

الشرح :

أتحب أن تزول قسوة قلبك ، وتصل إلى ما تطلبه ارحم الصغير الذى لا أب له وتفضل عليه بشىء من مالك ، واضو عليه ضوا يقتضى التفضل والإحسان ثم امسح رأسه تلطفا أو إيناسا أو بالدهن من المؤخر إلى مقدم الرأس ومن له أب من مقدمه إلى مؤخره وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك أى إن أحسنت إليه وفعلت به ما ذكر حصل لك لين القلب والظفر بمطلوبك ، وسببه أن رجلا شكا إليه ﷺ قسوة القلب فذكره) .

وفى رواية للخرائطى (قالت المؤلفة : أوردنا ترجمته فى م ١٥ / ٣٩٨ ، ٣٩٩ وانظر الرسالة المستطرفة / ٣٨ ، ٣٩) .

«أدن اليتيم منك ، والطف به ، وامسح برأسه ، وأطعمه من طعامك ، فإن ذلك يلين قلبك ، وتدرك به حاجتك» .

(كنز العمال : ٢ / ٣٦ وجمع الجوامع ٣ / ٢٩١ تحت رقم ٤٣ / ٨٩٨ مع اختلاف فى اللفظ لسعيد بن منصور فى سننه وللبخارى ومسلم والخرائطى فى مكارم الأخلاق ، وابن عساكر عن أبى الدرداء والفتح الكبير ١ / ٦٢ مع اختلاف فى اللفظ . ورمز للحديث فى الجامع الصغير بالضعيف) .

السادس .

ابن النجار وغيره أنه ﷺ قال:

«إن فى الجنة دارا يقال لها دار الفرح لا يدخلها إلا من فرَّح يتامى المؤمنين».

(كنز العمال: ٢ / ٣٦ وفيض القدير ٢ / ٤٦٩ والفتح الكبير ١ / ٣٩٩ حمزة أبو القاسم بن يوسف بن إبراهيم بن موسى السهمى وهو الجرجانى الحافظ له تصانيف معروفة فى معجم شيوخه وابن النجار فى تاريخ بغداد كلاهما جميعا عن محمد بن القاسم القزوينى عن أبى الحسن الوراق عن على ابن عبد الله عن محمد بن أحمد بن يزيد الحرانى عن عقبة بن عامر الجهنى.

ومعنى الحديث: أن فى الجنة دارا على غاية من النفاسة والبهجة بحيث تعد من الفرائد وتتميز على غيرها بفضل حسن لا يدخلها إلا من فرح اليتامى والصبيان).

وفى رواية لابن عدى:

«إن فى الجنة دارا يقال لها: دار الفرح لا يدخلها إلا من فرَّح الصبيان».

(كنز العمال: ٢ / ٣٦، وفيض القدير ٢ / ٤٦٨ والفتح الكبير ١ / ٣٩٩ ابن عدى عن عائشة ورمز له فى الصغير بـ(ض)

الشرح: إن فى الجنة دارا عظيمة جدا فى النفاسة تسمى بين أهلها بدار الفرح لا يدخلها من المؤمنين أى دخول سكنى بها إلا من فرَّح الأطفال ذكورا أو إناثا وتفريحهم مثل أن يطرفهم بشىء من الباكورة ويزينهم فى المواسم ويأتى إليهم بما يستعذب ويستغرب فيه شمول لصبيانه وصبيان غيره لكن ابدأ بمن تعول. (تنبيه: قال الراغب: الفرق بين الفرح والسرور أن السرور: انشراح الصدر بلذة فيها طمأنينة الصدر عاجلا وآجلا).

والفرح: انشراح الصدر بلذة عاجلة غير آجلة وذلك فى اللذات البدنية الدنيوية وقد سمى الفرح سرورا وعكسه لكن على نظر من لا يعتبر الحقائق ويتصور أحدهما بصورة الآخر.

السابع:

أخرج أبو نعيم، والبيهقى، والحسن بن سفيان، وأبو الشيخ أنه ﷺ قال:

«من سره أن يقيه الله من نور [نار] جهنم يوم القيامة، ويجعله فى ظله فلا يكن على المؤمنين غليظا وليكن بهم رحيما».

(كنز العمال ٢ / ٣٥ بدل (نور جهنم) (نار جهنم) الحسن بن سفيان، وابن لال فى مكارم الأخلاق وأبو الشيخ فى الثواب، والطيالسى فى الترغيب لأبى نعيم فى الحلية، وللبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى بكر وهو ضعيف).

الثامن:

أخرج الترمذى الحكيم مرسلا أنه ﷺ قال:

«والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم، قالوا كلنا رحيم قال: لا حتى ترحم العامة» (كنز العمال: ٢ / ٣٦ (يرحم العامة بدل (ترحم) الحكيم عن أبى هريرة الحسن مرسلا. ومجمع الزوائد ٨ / ١٥٥ باب ما جاء فى الأولاد عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «إن لكل شجرة ثمرة وثمرة القلب الولد، إن الله لا يَرحم من لا يرحم ولده والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم قلنا يارسول الله كلنا يرحم قال ليس من رحمته أن يرحم أحدكم صاحبه إنما الرحمة أن يرحم الناس) رواه البزار وفيه أبو مهدى سعيد بن سنان وهو ضعيف متروك وقال صدقة بن خالد حدثنى أبو مهدى سعيد بن سنان مؤذن أهل حمص وكان ثقة مرضيا ولا يصح إسناد هذه الحكاية).

التاسع:

أخرج ابن شاهين، والديلمى، أنه ﷺ قال:

«ينادى مناد فى النار، ياحنان، يامنان، نجنى من النار، فيأمر الله ملكا فيخرجه حتى يقف بين يديه، فيقول الله ــ عز وجل ــ هل رحمت عصفورا؟» (كنز العمال ٢ / ٣٦ ابن شاهين عن أبى الدرداء).

أى: لو كنت رحمت فى الدنيا، ولو عصفورا لنفعتك رحمتك الآن.

العاشر:

أخرج الديلمى، أنه ﷺ قال:

«أنا أخاصم يوم القيامة عن اليتيم والمعاهد، ومن إذا أخاصمه أخصمه» أى أغلبه بالحجة. (كنز العمال ٢ / ٣٧ أنا خصيم ... الحديث للديلمى عن ابن عمر).

وأخرج جماعة، أنه ﷺ قال:

يقول الله : إن كنتم ترجون رحمته فارحموا خلقى) (كنز العمال ٢ / ٣٦ يقول الله عز وجل ... الحديث أبو الشيخ وابن عساكر والديلمى عن أبى بكر) (تحرير المقال / ٩٩ ـ ١٠٤).

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٢٨٨ ، و«الرحمة» صاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوى ـ مجلة الأزهر الجزء الرابع، السنة الثامنة والستون، ربيع الآخر ١٤١٦ هـ ـ سبتمبر ١٩٩٥ م / ٥٣٤ ـ ٥٣٧، و «الرحماء يرحمهم الرحمن» ـ الشيخ على حامد عبد الرحيم مجلة الأزهر . الجزء الثانى، السنة الرابعة والستون، صفر ١٤١١ هـ / أغسطس ١٩٩١ م / ١٧٠ ـ ١٧٣ ، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ـ اختصره ورتبه الشيخ النبهانى / ٢٠٥ ـ ٤٠٨ ومن توجيهات الإسلام ـ الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله / ٣٠٤ ، ٣٠٥ ومختصر منهاج القاصدين للإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة ـ قدم له الاستاذ محمد أحمد دهمان، علق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ٤٠٧ ، ٤٠٨ وقاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام الدامغانى ـ حققه ورتبه وأكمله وأصلحه عبد العزيز سيد الأهل / ١٩٩ ـ ٢٠٢ وتحرير المقال لابن حجر الهيثمى تحقيق وتعليق عبد المعز عبد الحميد الجزار، المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م / ٩٩ ـ ١٠٤ انظر أيضا منهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ١٧٠ ـ ١٧٢).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر التالية.

١ ـ نفائس الخط العربى ـ حسن قاسم حبش / ٢٠٢ (الحديث الشريف).

٢ ـ كنوز الدعاء فى القرآن الكريم ـ جمعها وكتبها أحمد صبرى زايد / ٣٣ ، ٥٧ ، ٦٣ (الآيات الكريمة الثلاث).

*** رحمة الأحد فى اقتفاء نبى الصمد:**

من مخطوطات الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله، وجاء بيانه كما يلى:

المؤلف: الميرغنى.

١ ـ كلية الدراسات الشرقية والإفريقية ١ / ١٦٣ ـ ١٦٤ [380285] (١٤٢و) ـ ق ١٣ هـ تقريبا.

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله، مؤسسة آل البيت (مآب) عمان . الأردن ٢ / ٥٠٨).

***رحمة الله:**

انظر : الرحمة.

***رحمة الله السندى:**

أورده الشيخ نجم الدين الغزى فى الطبقة الثالثة وقال عنه:

رحمة الله ابن قاضى عبد الله السندى الحنفى نزيل مكة كان عالما فاضلا له رسالة سماها غاية التحقيق، ونهاية التدقيق، فى مسائل ابتلى بها أهل الحرمين الشريفين كان موجودا فى سنة سبع وسبعين بتقديم السين فيهما وتسعمائة رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى ـ حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ٣ / ١٥٢).

***رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة.**

رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة: فى الفروع للشيخ صدر الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقى الشافعى العثمانى قاضى القضاة بالمملكة الصفدية أوله الحمد لله الذى أجزل إحسانه ... إلخ فرغ منها فى ربيع الأول سنة ٧٨٠ ثمانين وسبعمائة وقيل لشيخ الإسلام أبى الحسن السعدى (كشف ١ / ٨٣٦).

توجد مخطوطاته فى أماكن مختلفة بيانها كما يلى:

١ ـ دار الكتب المصرية:

رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة

تأليف صدر الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقى القرشى العثمانى (كان موجودا سنة ٧٨٠ هـ) وهى سنة تأليف الكتاب.

أوله بعد البسملة: أحمد لله الذى أجزل إحسانه وأنزل قرآنه وبين فيه قواعد دينه وأركانه ... إلخ.

ــ نسخة بقلم معتاد بخط إبراهيم على، فرغ منها فى ٩ جمادى الأولى سنة ١٢٧٥ هـ. فى ٢٢٣ ورقة. ومسطرتها ٢١ سطرا.

١٥ × ٢١ سم. [٢٣١٩٨ ب]

ـ نسخة ثانية بقلم معتاد بأولها نقص بعد الورقة الأولى مقدار ثمانى ورقات. مكتوبة بخط «على» فى ٤٤ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا.

١٦ × ٢٢ سم. [٢٦٣٠٢ ب]

٢ ــ دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو مكتبة الأسد): والمخطوط مدرج بين مخطوطات الفقه الحنفى:

الرقم ٧٠٨١

تأليف: صدر الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن الحسين القرشى العثمانى كان حيا سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨م.

ذكر فى أوله أن معرفة الإجماع واختلاف العلماء من أهم الأشياء: فذكر مسائل الإجماع والاختلاف مجردة عن الدليل والتعليل.

أوله: الحمد لله الذى أنزل قرآنه وأجزل إحسانه، وبين قواعد دينه وأركانه.

وآخره: وهل للسيد إجارة أم ولده قال أبو حنيفة والشافعى وأحمد له ذلك، وقال مالك: لا يجوز له ذلك والله أعلم.

نسخة قيمة وجيدة، سقطت من أولها الأوراق [١ ــ ١١] ثم عوض عنها بأوراق جديدة.

الخط نسخ جيد. بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة، كتب سنة ٨٤٨ هـ.

١٦٨ ق ١٩ س ٢٥ × ١٨ سم.

طبعات الكتاب: طبع بهامشه الميزان الخضرية للشعرانى بولاق ١٣٠٠ هـ وفى مصر بهامشها الميزان الكبرى الشعرانية.

المراجع: معجم المؤلفين ١٠ / ١٣٨

نسخة ثانية.

الرقم ٢٦١٨ [فقه حنفى ٣٠٤]

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها.

نسخة عادية.

الخط نسخ معتاد، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة، كتبه ناصر الدين ابن السيد محمد القصاب الريحاوى سنة ١١١٠ هـ.

١٦٩ ق ٢١س ٢١ × ١٥ سم

نسخة ثالثة:

الرقم ٤٩٢٨

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها

٣٣٤ ق ١٥س ١٥ × ١١سم

نسخة عادية، الخط نسخ معتاد (فهرس الظاهرية ١ / ٣٤٩، ٣٥٠).

٣ ـ خزانة المدرسة الأحمدية بحلب:

فى محلة الجلوم ــ البهراقية، وهى الآن تحت رعاية الأوقاف:

تأليف: صدر الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقى العثمانى المتوفى سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م.

كتاب فى الفقه ذكرت فيه المسائل الخلافية بين الفقهاء قال مصنفة فى خطبته: هذا مختصر إن شاء الله نافع، لكثير من مسائل الخلاف والوفاق جامع ما ذكرها مجردة عن التعليل والدليل ليسهل حفظه على أهل التحصيل، ممن يقصد حفظ المذاهب فقط، ورتبته على أقرب طريق وأحسن نمط.

أوله بعد البسملة : الحمد لله الذى أجزل إحسانه وأنزل قرآنه ...

آخره : ... وقال مالك : لا يجوز له ذلك وفقك الله فافهم وهذا آخره والله اعلم .

النسخة جيدة ، كتبت بخط النسخ المعتاد ، والفصول والكتب بالحمرة ، لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ، على الهوامش بعض التعليقات . (١٣٢) ق المسطرة (١٩) س الأحمدية (٥٤٨) الفقه (المنتخب ق ٤ / ١٨٥) .

٤ ـ الخزانة العمرية فى مكتبة المتحف العراقى ببغداد وفيه «سديد الدين» بدل «صدر الدين» لسديد الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقى العثمانى من رجال القرن الثامن الهجرى القرن الرابع عشر الميلادى .

الأول (الحمد لله الذى أجزل إحسانه وأنزل قرآنه وقرر فيه قواعد دينه وأركانه ...) .

نسخة خزائنية كتبها على بن حسين الرومى المولوى لخزانة فخر القضاة أبى بكر أفندى القاضى فى صفد سنة ٩٩٦ هـ ١٥٨٧ م فى أولها فهرس عليها حواشٍ وشروح .

الرقم ٢٢٣١٥ / ٣ .

١١٠ ص

القياس :

٣٠ × ٢١ سم

٣٩ سطرا . (الخزانة العمرية / ٣٩) .

٥ ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض .

رقم الحفظ : ١٤ ـ ف

نوع الخط : نسخى معتاد .

تاريخ النسخ : ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م القرن ٩ هـ .

ملاحظات عامة : نسخة كاملة جاء فى نهايتها أنه فرغ من تأليف كتابه فى سنة ٧٨٠ هـ بمدينة صفد .

مكان الحفظ : على باشا ، برقم ٣٧٥

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٣٦ ، وفهرس المخطوطات ، نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٤٦ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٤٩ ، ٣٥٠ والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ١٨٥ ومخطوطات الخزانة العمرية فى مكتبة المتحف العراقى ـ بغداد ق ٦ / ٣٩ ، وفهرس المخطوطات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . العدد الثانى ، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م / ١٨)

قالت المؤلفة : أوردنا مادة بعنوان «اختلاف الأئمة رحمة» فى م ٣ / ١٢٩ ـ ١٣١ فارجع إليها

*** الرحمة (باب ـ):**

انظر : المسجد الأقصى .

*** الرحمة الصغير لجابر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الإكسير

مخطوط فى دار المخطوطات الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) ، وجاء بيانه كما يلى :

مجموع رقمه ٩٦٤٩

تأليف : جابر بن حيان (أوردنا ترجمته فى م ١١ / ٣٩٢ ـ ٤٠٢ فانظرها فى موضعها)

مواضيع المخطوط

البحث فى الإكسير وتركيبه وفوائده وحلم جابر ...

وفى طريقة النار ، وتدبير الوسط الغبيط ، والميزان ...

والكمال البرانى والجوانى ...

فاتحة المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم قال جابر بن حيان قال لى سيدى جعفر ياجابر فقلت لبيك يا سيدى فقال هذه الكتب الذى [التى] صنفتها جميعها وذكرت فيها الصنعة ... فمنها ما هو على طريق مداواة الأمراض ... ومنها ما هو على طريق علم النجوم ... أما رأيت لك كتابا تاما مفردا لا مرموزا مدغما فى جميع كتبك ... فإذا تم فاعرضه علىَّ فقلت السمع والطاعة

ثم ابتدأت ووضعت هذا الكتاب وسميته بكتاب الرحمة الصغير...

خاتمة المخطوط :

... فاحفظ هذا الإكسير في وعاء بلور أو ذهب أو فضة فإن الزجاج لا يؤمن عليه الكسر واستعن به في جميع أمورك تسعد وترشد ... واجعل جزائي منك الرحمة والاستغفار واجعل لي في إكسيرك نصيبا تخرجه عني لوجه الله ... والله تعالى خليفتي وهو حسبي ونعم الوكيل ... تم كتاب الرحمة الصغير بحمد الله تعالى بقلم الفقير إليه تعالى محمد وجيه بن محمد شفيق السيوفي ... وذلك يوم الثلاثاء في رابع وعشرين رجب الفرد سنة ثمانية وأربعين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أزكى التحية والإكرام .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة جيدة، حديثة الكتابة والورق، جاءت ضمن مجموع من : ١٩٤ ورقة، أطرت بالأحمر، جاءت في أربع ورقات : من ٦٧ ـ ٧٠ يتضمن المجموع أيضا كتاب حل الطلسم وكشف السر المبهم في : ٤٨ ورقة، وجمع مفيد في الخواص للجلدكي في خمس ورقات، وكشف السر المكتوم في ٩ ورقات. وما تبقى من الأوراق فهو فارغ، ترك لها هامش بعرض ٣ سم. ولها تعقيبة منتظمة في آخر كل ورقة، بقياس : ١٩,٥ × ١٣ سم. وعدد السطور : ٢٠ سطرا، كتبت بخط نسخي جميل وحبر أسود، جلدها كرتون مغلف بقماش أسود وتكعيبة من الجلد الأسود عليها زخارف مذهبة كتب عليها بماء الذهب اسم الكتاب واسم صاحبه محمد وجيه السيوفي .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

محمد وجيه بن محمد شفيق السيوفي : الثلاثاء / ٢٤ / رجب الفرد سنة : ١٠٤٨ هـ

المصادر عن المؤلف والكتاب :

معجم المؤلفين : ٣ / ١٠٥

بروكلمان : ١ / ٢٤٠

كشف الظنون : ٢ / ١٤١٩

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب ـ وضع مصطفى سعيد الصباغ / ٤٥٣ ـ ٤٥٥).

***رَحْم الصغير وتوقير الكبير:**

الشعبة الخامسة والسبعون من شعب الإيمان والسابعة والسبعون التي أحصاها الإمام البيهقي وقال عنها :

رحم الصغير وتوقير الكبير لحديث جرير بن عبد الله في صحيح مسلم «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى» .

وحديث أبي هريرة في الصحيحين «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» .

وحديث عبد الله بن عمرو في سنن أبي داود ومسلم «من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا»

وروينا في الصحاح في حديث القسامة «كبر الكبر أو الكبر الكبر أي يتكلم أكبركم» وفي حديث الإقامة «وليؤمكم أكبركم» .

(مختصر شعب الإيمان للبيهقي، اختصار القزويني / ١١١) .

***الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية:**

من مخطوطات التراث الإسلامي في الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله، وجاء بيانه كما يلي : الرقم التسلسلي : ٣٨

المؤلف : ابن حجر العسقلاني .

مختصر من أخبار الليث بن سعد .

١ ـ إزميرلي إسماعيل حقي ١٦ [٥٠] ـ ١٣٠١ هـ .

٢ ـ الدولة / برلين ٩ / ٤٩٣ [10121)492/5 Spr] ـ (و ٧٤ ـ ٨٧) ضمن مجموع ـ (بروك ٢ / ٨٣) .

(الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط . الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان . الأردن ٢ / ٨٠٥).

*** الرحمة فى الطب والحكمة:**

لجلال الدين السيوطى

من مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٤٧٦١ـ ١

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م

الأول (قال الإمام العلامة شيخ الإسلام جلال الدين... أما بعد فهذا مختصر وضعته فى علم الطب وهذبت أغراضه وجعلته جامعا)

.رتبه المؤلف فى ١٩٥ بابا. نسخة جيدة كتب بالمدادين الأسود والأحمر حديثة الخط.

القياس ١٧٦ ص ٢٢ × ١٥,٥ سم ٢٧ ، ٤٣س

معجم المؤلفين ٥ ـ ١٢٨ هدية العارفين ١ ــ ٥٣٤ طبع بالمطبعة الشرقية سنة ١٣١١ هـ معجم ١٠٨ (مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة/ ١٢٨).

وقد أورد المعجم الشامل طبعات الكتاب كما يلى:

ــ القاهرة : المطبعة الشرقية، ١٣١١ هـ/ ١٨٩٣م، ٢٢٤ ص ، ف ٤ ص : القاهرة : على نفقة مصطفى البابى الحلبى وأخويه بكرى وعيسى، المطبعة الميمنية ، ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م، ٢٧٤ ص ، ف ٦ ص : المحتوى.

ـ القاهرة : المطبعة الرحمانية ، ٢٣٩ ص، ف ٤٢ ص : المحتوى

ــ بيروت: المكتبة الثقافية ، ٢٩٦ ص ، ف ٨ ص (المعجم الشامل ٢/ ٣٠٨ ، ٣٠٩).

قالت المؤلفة: النسخة التى عندى طبع دار التجانى المحمدى ، مطبعة المنار ومكتبتها بتونس، وهى بدون تاريخ ، وقد اشتريتها من تونس العاصمة لدى زيارتنا لها يوم السبت ١٧ محرم : ١٤١٠ هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٨٩ م.

هذا وقد ذكر الأستاذ عبد الوهاب حمودة فى كتابه «صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى» (ص ٢٥٦) أن الكتاب الرحمة فى الطب والحكمة الذى نحن بصدده «من الكتب التى نسبت إلى السيوطى وهو منها برىء، دُست عليه من حُساده، وأضافها إليه بعض الناس لترويجها» اهـ.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ١٢٨ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير .د. محمد عيسى صالحية ٣/ ٣٠٨، ٣٠٩، وصفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى ــ عبد الوهاب حمودة/ ٢٥٦).

*** الرحمة فى الطب والحكمة:**

لمهدى بن على بن إبراهيم الصُّبُنْرى

قالت المؤلفة: هكذا ضبطه الزركلى (الأعلام ٧/ ٣١٣) نقلا عن غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى (٢ / ٣١٥) وقال الزركلى فى هامش ٣: وجاء على النسخة المطبوعة من كتاب «الرحمة» أنه للشيخ محمد المهدى، الصبيرى» خطأ ، وسماه بروكلمان (٢ / ٢٥٢) محمد المهدوى الصنوبرى، كلها تصحيف اهـ.

ومن ثم فإنه بالنسبة مما نورده عن الكتاب فى المصادر التى لدينا فإننا نثبت الاسم المصحَّف كما ورد فى الأصل ونضع الاسم الصحيح بعده بين المعكوفتين[ ].

١ ـ كشف الظنون (١ / ٨٣٦):

الرحمة فى الطب والحكمة : (للشيخ مهدى بن على بن إبراهيم الصبيرى [الصُّبنرى] اليمنى المهجمى المقرى المتوفى سنة ٨١٥ خمس عشرة وثمانمائة وهو مختصر لطيف مفيد ذكره ابن الجزرى فى طبقات القراء وهو على خمسة أبواب: الأول فى علم الطبيعة، الثانى فى طبائع الأغذية والأدوية، الثالث فيما يصلح للبدن فى حال الصحة، الرابع فى علاج الأمراض الخاصة، الخامس فى علاج الأمراض العامة.

٢ ــ فهرست مخطوطات دار الكتب المصرية (١ / ٣٤٦):

الرحمة فى الطب والحكم تأليف محمد المهدى بن على ابن إبراهيم الصبيرى اليمنى المتوفى سنة ٨١٥ هـ.

أوله : الحمد لله الذى اخترع من العدم الموجودات ... إلخ .

رتبه على خمسة أبواب .

- نسخة بقلم معتاد بخط إبراهيم الدسوقى بن إبراهيم فى يوم الجمعة ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٢٥٨ هـ، فى ٣٦ ص ومسطرتها ٢٣ سطرا .

١٦ × ٢١ سم. [٥٠٦١ ل]

٣ - مخطوطات مكتبة المتحف العراقى (١٢٨ - ١٣٤) :

توجد بالمتحف خمس وعشرون نسخة أرقامها التسلسلية من ٢٣٤ إلى ٢٥٨ وقد احتفظنا بها كما وردت فى النص . وقد جاء فى الهامش التعليق التالى لواضع الفهرس الأستاذ أسامة ناصر النقشبندى :

نسب هذا الكتاب فى بعض النسخ الخطية التى سيأتى ذكرها إلى السيوطى وإلى أبى حامد محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ/ ١١١١م وهو خطأ واضح أثبتناه من خلال مقارنة النسخ ببعضها .

و إليك بيان النسخ المذكورة :

٢٣٤- الرحمة فى الطب والحكمة .

لمحمد مهدى بن على بن إبراهيم الصنبرى (الصبيرى) [الصُّبنرى] اليمنى المهجمى المقرى المتوفى سنة ٨١٥ هـ ١٤١٢ م .

الأول (الحمد لله الذى اخترع من العدم الموجودات وأظهر إلى الوجود الكائنات وأبدع حكمته فى الطبائع الفاعلات ...)

وهو مختصر رتبه المؤلف فى خسمة أبواب .

الباب الأول فى علم الطبيعة وما أودع الله تعالى فيها من الحكمة .

الباب الثانى فى طبائع الأغذية والأدوية ومنافعها

الباب الثالث فيما يصلح للبدن فى حال الصحة

الباب الرابع فى علاج الأمراض الخاصة بكل عضو مخصوص .

الباب الخامس فى علاج الأمراض العامة المتنقلة فى البدن .

نسخة جيدة الخط كتبها زين العابدين بن محمد بن إسماعيل سنة ٩٨٩ هـ/ ١٥٨١ .

الرقم ٦٢٧٧

القياس ٦٠ ص ١٩ × ١٤سم ١٩ س

طبعت بهامش التذكره للقليوبى بمصر سنة ١٣٠٠ و ١٣٠٢ و ١٣٠٤ هـ معجم ١١٩٨ .

ذ - بروكلمان ٢ / ٢٥٢

٢٣٥ - نسخة أخرى .

كتبها عبادى بن ملا أحمد الزيلى سنة ١٠٥٣ هـ/ ١٦٤٣م

ناقصة قليلا من الأول

الرقم ٢٥٩٥٦ - ١

القياس ٥٥ ص ١٥,٥ × ١٠ سم ١٢ س

٢٣٦ - نسخة أخرى .

ضمن مجموع كتب سنة ١٠٩٢ هـ/ ١٦٨١م

الرقم ١١٤٥٦ - ٢

القياس ١٠٥ ص ٢٠,٥ × ١٥ سم ١٧ س

٢٣٧ - نسخة أخرى

كتبها عيسى بن عباس فى سنة ١٠٩٥ هـ/ ١٦٨٣ م

الرقم ١٩٤١ - ١

القياس ١٥٥ ص ٢٠,٥ × ١٥ سم ١٩ س

٢٣٨ - نسخة أخرى

كتبت سنة ١١٤٨ هـ ١٧٣٥ م

الرقم ٤٧٦٣ - ٢

القياس ٧٨ ص ٢١,٥ × ١٥,٥ سم ١٧س

٢٣٩ - نسخة أخرى .

كتبها أبو بكر بن محمد الخونشى سنة ١٢٤٥ هـ/ ١٨٢٩ م

الرقم ٦٢٧٨

القياس ١٠٠ ص ٢١ × ١٥ سم ١٤ س

٢٤٠ ـ نسخة أخرى

كتبت سنة ١٢٨٥ هـ/ ١٨٦٨ م

الرقم ١٨١٣ ـ ٢

القياس ٥٠ ص ٢١,٥ × ١٥ سم ٢١ س

٢٤١ـ نسخة أخرى

كتبها أحمد بن أحمد ضمن مجموع كتب سنة ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٥ م.

الرقم ٢٤٢٢٤ ـ ٢

القياس ٥٨ ص ٢١ × ١٦ سم ١٩ س.

٢٤٢ ـ نسخة اخرى

ضمن مجموع كتب سنة ١٢١٨ هـ/ ١٨٠٣ م

الرقم ٢٤٣٨١ ـ ٣

القياس ٩١ ص ١٥,٥ × ١١,٥ سم ١٦ س

٢٤٣ـ نسخة أخرى

كتبها خضر بن عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم سنة ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٨ م.

الرقم ٥١٧٩ ـ ٢

القياس ١٠٧ ص ٢١ × ١٥,٥ سم ١٥ س

٢٤٤ ـ نسخة أخرى

كتبت سنة ١٢٤٨ هـ/ ١٨٣٢ م

الرقم ١٧٥٨٣

القياس ٦٢ ص ١٥ × ١١ سم ٢١س

٢٤٥ ـ نسخة أخرى

كتبها عبد الواحد بن ملا أحمد بن محمد بن أبو [أبى] زيد فى قرية ساردكه سنة ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧١ م

الرقم ٢٢١٩٧ ـ ٣

القياس ٤٥ ص ٣١,٥ × ٢٢ سم ٣٦ س

٢٤٦ ـ نسخة أخرى

كتبها عبد الله أغا أبو هوش سنة ١٢٧٨ هـ/ ١٨٦١

الرقم ١٧٠١ ـ ١

القياس ٨٨ ص ١٩ × ١٣,٥ سم ١٦ س

٢٤٧ـ نسخة أخرى

الرقم ١٠٧٨٨ ـ ٧

القياس ٤١ ص ٢٢,٥ × ١٥ سم ٢٥ س

٢٤٨ ـ نسخة أخرى

كتبها بخط نسخى جيد قاسم الحديثى عن النسخة التى كتبها أبى [أبو] بكر بن محمد الخوشى

الرقم ٦٢٧٩

القياس ٩٢ ص ١٩,٥ × ١٤ سم ١٥ س

٢٤٩ ـ نسخة أخرى

كتبها محمود بن مؤمن ترقى للقرن الثالث عشر الهجرى / القرن التاسع عشر الميلادى.

الرقم ١١٤٦٨ ـ ١

القياس ١٠٠ ص ١٥,٥ × ١١ سم ١٦ س

٢٥٠ ـ نسخة أخرى

كتبها عبد القادر بن مُلاً حسن سنة ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م

الرقم ٢٤١٨٠

القياس ٧٨ ص ٢١,٥ × ١٦ سم ١٥ س

٢٥١ ـ نسخة أخرى

كتبها حسين الكاتب سنة ١٣٢٢ هـ/ ١٩٠٤ م

الرقم ١٦٠٨٤

القياس ٨٠ ص ٢١,٥ ×١٦سم ١٩س.

٢٥٢ ـ نسخة أخرى

كتبها بايزيد بن إبراهيم بن محمد فى قرية باليان

الرقم ١٧٩٧٢

القياس ١٣٨ ص ١٧,٥ × ١١ سم ١٤ س

٢٥٣ ـ نسخة أخرى

الرقم ٢٤٣٠ ـ ٥

القياس ٨٥ ص ٢٩,٥ × ٢١ سم ١٨ س

٢٥٤ ـ نسخة أخرى

ناقصة قليلا من الآخر

الرقم ٢٦٠٥٧ ـ ٢

القياس ٢١ ص ٢٢ × ١٥ سم ١٦ س

٢٥٥ ـ نسخة أخرى

الرقم ٥١٣٥ ـ ١

القياس ٣٢ ص ٢٠ × ١٤ سم ٣٣س

٢٥٦ ـ نسخة أخرى

ناقصة الأول

الرقم ١٥٣٢٧

القياس ٦١ ص ٢١,٥ × ١٥,٥ سم ١٧ س

٢٥٧ ـ نسخة أخرى

ناقصة الديباجة حديثة الخط عليها حواش وشروح

الرقم ١٩٤٣٦ ـ ١

القياس ٥٦ ص ٢٢,٥ × ١٧,٥ سم ١٧س

٢٥٨ ـ نسخة أخرى

ناقصة الآخر حديثة الخط

الرقم ٣١٢٠

القياس ٧٥ ص ٢١,٥ × ١٥,٥ سم ١٣ س.

٤ ـ مخطوطات دار الكتب الظاهرية (١١٢ ـ ١١٤)

الرقم ١٠٩٨٦

المؤلف: محمد المهدوى بن على بن إبراهيم الصنوبرى [الصُّبُنْرى] اليمنى الهندى. المتوفى سنة ٨١٥ هـ ـ ١٤١٢م.

فاتحة المخطوط: بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتى، الحمد لله الذى اخترع من العدم الموجودات، وأظهر إلى الوجود الكائنات وأبدع حكمته فى الطبايع الفاعلات، والمنفعلات. وأقام الأجسام المختلفات على أربع طبايع مختلفات، وقدر المنافع والمضرات، والأسقام والصحات، والحياة والممات... وبعد: هذا كتاب مختصر، وضعته فى علم الطب. وهذبت أعراضه. وجعلته جامعا.

خاتمة المخطوط: الصفة أولى لقطع جميع العلل الصفراوية. يؤخذ الماء الذى يصفى من اللبن المعيزى والتمرهندى، وينقع فى الليل مع السكر، ويشرب على الريق ثلاثة أيام، أو سبعة أيام. وإن تقيأ قبله بالليمون. والعسل كان أبلغ... مسهل الصفراء، ودرهمان سنا مدقوقا وخمسة دراهم أهيلج أصفر بعد دقه ونزعه من النوى، ويلعق الجميع بعسل على الريق، فإنه يسهله إسهالا محكما...

أوصاف المخطوط: المخطوط من مكتوبات القرن الماضى، وقد كتب بخط معتاد مستعجل، فيه الكثير من الأخطاء الإملائية والنحوية. والكتاب مخروم الآخر مقدار ورقة واحدة، لأنه بالمقارنة مع المخطوط وهو يحتاج إلى ترميم وتجليد. تمتلك الظاهرية عدة نسخ ذكر بعضها الدكتور حمارنه فى فهرسه أرقامها ٥٦٢٠، ٦٦٢٣، ٥٥٥١. وهناك نسخة أخرى رقمها ٤٣٥٨.

ق	م	س
٣١	٢٢,٥ × ١٦	٢٢

«نسخة ثانية»

الرقم ٤٣٥٨ جـ.

أوصاف المخطوط: الكتاب مخروم من آخره حيث ينقص منه قسم من الباب الرابع مع الباب الخامس وقد أضرت به الأرضة إضرارا كبيرا ويحتاج إلى ترميم وإصلاح، وقد كتب بخط معتاد مستعجل وبالمداد الأسود.

ق	م	س
١٨ × ١٢	٢٩(٣٩ـ٦٧)	١٩

المصادر عن المؤلف والكتاب تاريخ الأدب العربى ٢ / ٢٤٢، تاريخ الأدب العربى الذيل ٢ / ٢٥٢، معجم المؤلفين ١/ ٣٠٠ معجم المؤلفين ٢ / ٥٥.

طبع الكتاب فى مصر سنة ١٣٠٠ هـ، ١٣٠٢ هـ، ١٣٠٤ هـ. انظر معجم المطبوعات لسركيس ص ١١٩٨.

٥ ـ المكتبة العامة فى تطوان (١٨٤) (انظر مادة «تطوان» فى م ٩ / ٥٠٢ ـ ٥٠٧).

٢٢ ـ كتاب الرحمة فى الطب والحكمة للشيخ الفقيه إمام الحكماء وشيخ الخطباء جمال الدين محمد المهدى الصنوبرى [الصُّبُرى] وهو غير كتاب الرحمة المطبوع منسوبا للسيوطى فإن هذا صغير ومرتب على أبواب خمسة وخال من كثير من التحريف المملوء به ذلك الكتاب المطبوع وهو بخط مغربى واضح فى ١٠٠ صفحة بدون تاريخ ومعه فى سفره كتاب طب العجم مما سأل عنه كسرى من كان فى مملكته من الأطباء يخرج فى جزء صغير وهو بنفس الخط.

(مجلة معهد المخطوطات العربية جـ ١ / ١٨٤).

٦ ـ فهرست المخطوطات المصورة (٩٩ ، ١٠٠):

٤٨٠ ـ الرحمة فى الطب والحكمة

لمحمد المهدى بن إبراهيم الصبيرى [الصُّبُرى] اليمنى الهندى المتوفى سنة ٨١٥ هـ. أوله: الحمد لله الذى اخترع من العدم جميع الموجودات ... وبعد فهذا كتاب مختصر وضعته فى علم الطب.

وآخره: وهذا قصدنا من كتابنا هذا المسمى بكتاب الرحمة فى الطب والحكمة، نسأل الله تعالى أن ينفع به جميع المسلمين.

نسخة بخط مغربى سنة ١٢٣٢ هـ.

٦٠ ورقة ١٢ سطرا.

[الرباط ١٠٦ د] UNESCO

٤٨١ ـ نسخة أخرى.

بخط مغربى، كتبها محمد الشريف المساكنى الملقب بابن الأعور

٣٧ ورقة ٢٢ سطرا

[الرباط ـ المغرب ١١٢١ د] UNESCO

٤٨٢ ـ نسخة ثالثة:

بقلم معتاد حديث

٤٣ ورقة ٢١ سطرا.

[المكتبة الأزهرية (٧١) ٧٣٩٤ طب] UNESCO

٤٨٣ ـ نسخة رابعة

مبتورة الأول، ويبدأ ما فيها أثناء الباب الثانى بقوله: عرف تركيبه وقبضه، فأقول والله تعالى أعلم: إن أول ما خلق الله تعالى طبيعة الحرارة وأصلها من الحركة الكونية التى هى قدرة الله تعالى.

وتنتهى بنهاية الكتاب.

بخط مغربى، كتبها محمد بن محمد بن محمد الدندان.

٩٥ ورقة ١١ سطرا.

[الرباط ـ المغرب ٩٦٢ د] UNESCO

٤٨٤ ـ قطعة من نسخة خامسة، بقلم مغربى.

مبتورة الآخر، وآخر الموجود منها: فصل فى الأمزجة: اعلم أن المزاج الطبيعى يقع فى الأبدان... فانقسم إلى خمسة أمزجة، المزاج الأول الصبراوى.

ضمن مجموعة من ورقة ١٩ ب إلى ٢٢ ب، مع ملاحظة عدم اعتماد الترقيم الموجود.

٧ صفحات ١٨ سطرا.

[دار الكتب المصرية ٩٢٥ فلك وميقات]

٧ ـ فهرس المخطوطات الطبية المصورة (٨٧ ـ ٨٩):

٩٠ ـ الرحمة فى الطب والحكمة.

المؤلف: محمد مهدى بن على بن إبراهيم الصبيرى [الصُّبُرى] اليمنى (ت ٨١٥ هـ)

أوله: الحمد لله الذى اخترع جميع الموجودات وأنهى إلى الوجود الكائنات.. وبعد هذا كتاب مختصر صنعته فى علم الطب وهذبت أعراضه وقربت أغراضه وجعلته جامعا فى الاختصار ليروق بإيجازه القلوب والأبصار.

آخره: وإن كانت لعلة عظيمة مزمنة مثل الجذام، فليعاود المسهل كل أسبوع مرة أو فى الشهر مرتين على قدر قوة الشخص وضعفه، فإنه نافع جيد مجرب والله أعلم وأحكم. فهذا ما أوردنا وإليه قصدنا فى كتابنا هذا الموسوم بـ (كتاب الرحمة فى الطب والحكمة» . فأسأل الله تعالى أن ينفع من

كتبه أو قرأه أو حفظه أو نظر فيه أو عمل فى شىء منه وجميع المسلمين. فإنه حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين.

سنة النسخ : ١٢٦٦ هـ.

الناسخ : عبد السلام بن عبد السلام بن محمد.

عدد الأوراق : ٢٣ ورقة.

المسطرة : ٢٢ سطرا

المكتبة : جستربيتى - ٤١٣٠ (مجموع).

انظر سركيس ــ معجم المطبوعات العربية ــ ١١٩٨، ١٥٢٥.

مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى - ١٢٨ - ١٣٤.

مجلة معهد المخطوطات ٥ / ٣١١).

بروكلمان (الذيل ٢ / ٢٥٢).

٩١ - كتاب الرحمة فى الطب والحكمة.

المؤلف : محمد مهدى بن على الصبيرى [الصمبُرى] اليمنى (٨١٥ هـ).

أوله : كسابقه

آخره : وإذا شربت منه امرأة قد انقطع حيضها لوقتها، وإن دهن منه طفل لم يكن قد مشى سيمشى.. قد طرشت سمع صاحبها، ولها منافع لا تعد ولا تحصى، خصوصا إذا أضيف إليها شىء من الزنجبيل مدقوقا.

عدد الأوراق : ٢٦ ورقة.

المسطرة : ٢٤ سطرا

المكتبة : دار الكتب الوطنية - تونس ٤٢٠٥ (مجموع) [٤٥٢]

ملاحظات : كتبت هذه النسخة بخط مغربى ضعيف، وقد نسب الكتاب فى سطره الأول خطأ إلى السيوطى، وبالمقارنة ثبت أنه للضبيرى [للصُبُرى] ونسخته تطابق نسخة المتحف العراقى رقم (٢٣٤). علما أن للسيوطى كتابا بهذا الاسم أيضا مطبوع، ولكنه يخالف هذا المخطوط ففيه (١٩٥) بابا. فى حين أن مخطوطنا فيه خمسة أبواب فقط هى :

الباب الأول : فى علم الطبيعة.

الباب الثانى : فى طبائع الأغذية والأدوية ومنافعها.

الباب الثالث : فيما يصلح للبدن فى حال الصحة.

الباب الرابع : فى علاج الأمراض الخاص بكل عضو مخصوص.

الباب الخامس : فى علاج الأمراض العامة المتنقلة فى البدن.

وهو مطبوع على هامش التذكرة للقليوبى بمصر سنة ١٣٠٠ هـ.

سركيس ــ معجم المطبوعات العربية ــ ١١٩٨ وسماه : الشيخ محمد المهدى أو المهدوى بن على بن إبراهيم الصبيرى اليمنى الهندى المهجمى المقرى.

معجم المؤلفين ١٣ / ٢٩.

قالت المؤلفة : هذا وقد جمع ابن الأزرق بين كتاب «شفاء الأجسام» للكمرانى، وكتاب «الرحمة» للصُبُرى فى كتاب أسماه «تسهيل المنافع فى الطب والحكمة المشتمل على شفاء الاجسام وكتاب الرحمة» وهو مطبوع، والنسخة التى عندى طبعة مصطفى البابى الحلبى. الطبعة الأخيرة ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م، وبهامشه الطب النبوى للحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى. وقد أوردنا كتاب «تسهيل المنافع» هذا فى حرف التاء فى م ٩ / ٣٥٩ - ٣٦٣ فانظره فى موضعه ا هـ.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٣٦، وفهرست المخطوطات نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥ م ــ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٤٦ ومخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ــ أسامة ناصر النقشبندى / ١٢٨ - ١٣٤، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الطب والصيدلة - وضعه صلاح محمد الخيمى. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. دمشق ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م، ٢ / ١١٢ - ١١٤، و «المخطوطات العربية فى تطوان» ــ الأستاذ عبد الله كنون. مجلة معهد المخطوطات العربية،

معهد المخطوطات العربية جـ ٢ م ١ . ربيع الأول ١٤٧٤ هـ ـ نوفمبر ١٩٥٥ م / ١٨٤ ، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٢ الطب . الكتاب الثانى . القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ٩٩ ، ١٠٠ ، وفهرس المخطوطات الطبية المصورة ـ تصنيف هيا محمد الدوسرى، مراجعة د. سامى مكى العانى / ٨٧ ـ ٨٩ ، وتسهيل المنافع فى الطب والحكمة لابن الأزرق / ٢ ، ٣).

*** الرحمة فى الكيميا:**

شرحها الجلدكى وسماه «سر الحكمة».

(كشف الظنون ١ / ٨٣٦).

انظر مادة «الجلدكى» فى م ١٢ / ٢٢٩ ـ ٢٣٢.

*** الرحمة لابن الشاهى (كتاب ـ):**

١ ـ الظاهرية (سز ١ / ٢١٢) [مجموع ٣١].

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان . الأردن ٢ / ٨٠٥).

*** الرحمة لجابر بن حيان (كتاب ـ):**

قالت المؤلفة : هو كتاب «الأس» الذى أوردناه فى حرف الألف فى م ٤ / ١٣٠ . أما وجه اختلاف هذه النسخة فهو كما يلى :

ـ نسخة بقلم نسخ فارسى [مكتوبة سنة ١٠٨٨] ومسطرتها ٢٥ سطرا.

(ضمن مجموعة من ورقة ١٨٧ ـ ١٩٢) ١٢×١٩سم

[دار الكتب المصرية ـ ٧٣١ طبيعيات]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٣ / ١٢٣).

*** الرحمة المرسلة فى شأن حديث البسملة:**

من مخطوطات الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

الرقم التسلسلى : ٣٩

المؤلف : الكتانى (محمد بن عبد الحى)

١ ـ إزميرلى إسماعيل حقى ٢٣ [١٥٥] ـ ١٣٢٣ هـ.

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان . الأردن ٢ / ٥٠٨).

*** ابن رَحْمُون (ـ ١٢٦٣ هـ / ـ ١٨٤٧ م):**

قال عنه الزركلى : محمد التهامى بن المكى بن عبد السلام بن رحمون، من رجال الحديث. مولده ووفاته بفاس. له «الدر والعقيان» فى كتب الحديث ورجاله وما اتفق من أسانيده. مخطوط منه نسخة فى خزانة الرباط (٧٢٤د) (الأعلام ٦ / ٦٤، ٦٥)

وقد أدرجه الأستاذ محمد المنونى فى ورَّاقى العصر العلوى الثالث (١٢٠٤ ـ ١٢٧٦ هـ / ١٧٩٠ ـ ١٨٦٠ م) الذين ذكرتهم المصادر وقال عنه : اعتنى بنساخة الفهارس والأثبات والإجازات وتصحيحها فأكثر (فهرس الفهارس للكتانى عند ترجمة ابن رحمون ١ / ١٩٦ ـ ١٩٩)، وتوجد مجموعات من ذلك بالخزانة العامة والملكية ضمن قسمى حرف الكاف والزاى (تاريخ الوراقة المغربية / ١٧٣).

(الأعلام للزركلى ٦ / ٦٤ ، ٦٥ وتاريخ الوراقة المغربية ـ محمد المنونى / ١٧٣).

*** رَحَى الإسلام:**

جاء فى اللسان : قال فى المعتل بالياء : الرحى : الحجر العظيم . قال ابن برِّى : الرَّحا عند القراء يكتبها بالياء وبالألف، لأنه يقال رحوت بالرحا ورحيت بها. ابن سيده : الرحى الحجر العظيم ، أنثى ، والرحى : معروفة التى يُطحن بها.

وفى الحديث الشريف : تدور رحا الإسلام لخمس أو ست أو سبع وثلاثين سنة، فإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين سنة، وإن يهلكوا فسبيل من هلك من الأمم، وفى رواية، تدور فى ثلاث وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين سنة ، قالوا: يارسول الله سِوى الثلاث والثلاثين، قال: نعم . قال ابن الاثير : يقال دارت رحى الحرب إذا قامت على ساقها. وأصل الرحى التى يطحن بها، والمعنى أن الإسلام يمتد قيام

أمره على سنن الاستقامة والبعد من إحداثات الظلمة إلى تقضى هذه المدة التى هى بضع وثلاثون، ووجهه أن يكون قاله وقد بقيت من عمره السنون الزائدة على الثلاثين باختلاف الروايات، فإذا انضمت إلى مدة خلافة الأئمة الراشدين، وهى ثلاثون سنة، كانت بالغة ذلك المبلغ. وإن كان أراد سنة خمس وثلاثين من الهجرة ففيها خرج أهل مصر وحصروا عثمان رضى الله عنه، وجرى فيها ماجرى، وإن كانت ستا وثلاثين ففيها كانت وقعة الجمل، وإن كانت سبعا وثلاثين فقيها كانت وقعة صفين. وأما قوله يقم لهم سبعين عاما فإن الخطابى قال: يشبه أن يكون أراد مدة ملك بنى أمية وانتقاله إلى بنى العباس، فإنه كان بين استقرار الملك لبنى أمية إلى أن ظهرت دعاة الدولة العباسية بخراسان نحو من سبعين سنة. قال ابن الأثير: وهذا التأويل كما تراه، فإن المدة التى أشار إليها لم تكن سبعين سنة، ولا كان الدين فيها قائما. ويروى: تزول رحى الإسلام، عوض تدور، أى تزول عن ثبوتها واستقرارها.

(لسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٦١٤).

*** الرحيق السلسل فى الأدب المسلسل:**

الرحيق السلسل فى الأدب المسلسل: للشيخ نجم الدين سليمان بن عبد القوى الطوفى الحنبلى المتوفى سنة ٧١٠ عشر وسبعمائة.

(كشف الظنون ١ / ٨٣٧).

*** رحيق الكوثر من كلام الغوث الرفاعى الأكبر:**

المخطوط الحادى عشر من مخطوطات المجموع ـ ق ـ٢٣ × ١٨ ـ و ـ ١٧٧ (رقم تسلسلى ١٢٥ / ١٨).

فى مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل، وجاء عنه فى الفهرس ما يلى:

مطبوع سنة ١٨٧٧ ميلادية.

جمع أبو [أبى] المعالى السيد محمد سراج الدين الرفاعى المخزومى.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل ـ سالم عبد الرزاق أحمد ٨ / ١٩٧ ، ١٩٨).

*** الرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى.

يوجد مخطوطه فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٥٢٥١

قلائد المنظوم: تأليف عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الحنفى الشهير بابن عبد الرزاق المتوفى سنة ١١٣٨ هـ / ١٧٢٦ م.

الرحيق المختوم، تأليف: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الشهير بابن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦م.

وهو شرح لمنظومة قلائد المنظوم نظم فرائض متن «الملتقى».

أوله: الحمد لله الذى فرض الفرائض وكشف بأسرار لطفه الغوامض

آخره: وهذا آخر ما أردنا إيراده على هذه المنظومة رحم الله تعالى ناظمها ونفع قارئها آمين... وكان الفراغ من تسويد هذه الوريقات نهار الثلاثاء الخامس والعشرين من ذى القعدة الحرام سنة ألف ومائتين وست وعشرين من الأعوام.

نسخة جيدة.

الخط نسخ جيد، المنظومة كتبت بالحمرة، كتبه محمد ابن عمر النجدى تلميذ المؤلف سنة ١٢٤٣ هـ

[١ ٣٠] ق ٤٨ س ٢٢ × ١٥ سم.

طبعات الكتاب: ١ ـ طبع فى دمشق سنة ١٣٠٢ هـ بإشراف مفتى دمشق الشيخ أبو الخير عابدين ، ٢ ـ طبع فى استانبول ضمن رسائل ابن عابدين.

المراجع: معجم المؤلفين ٥ / ١١١ و ٩ / ٧٧ ، معجم المطبوعات ١ / ١٥٢ (فهرس الظاهرية ١ / ٣٥١، ٣٥٢).

كما يوجد مخطوطه بدار الكتب المصرية وجاء بيانه كما يلى:

الرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم:

نظم فرائض متن «الملتقى» فى فقه الحنفية للشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الحنفى .

تأليف محمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين . (١١٩٨ ـ ١٢٥٢ هـ) .

أوله : الحمد لله الذى فرض الفرائض وكشف بأسرار لطفه الغوامض ... إلخ .

ـ نسخة بقلم معتاد بخط رجب رجب، فرغ منها فى ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٢٨٩ هـ . فى ٤٥ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا .

١٥ × ٢٣ سم [٢٢٦٢٤ ب]

(فهرست المخطوطات ١ / ٣٤٦) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٥١، ٣٥٢ وفهرست المخطوطات . نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٤٦) .

*** الرحيق المختوم فى وصف أسانيد العلوم:**

أو «غاية النيل فى اختصار الإتحاف والذيل»

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . وجاء بيان المخطوط كما يلى :

الرقم التسلسلى : ٤٠

المؤلف : السندى

١ ـ العباسية / البصرة ٢ / ٧٥ [٥٨٩ / ١٦٠٠] ـ (١٨٤ ص) . ١١٣٧ هـ ، بخط المؤلف .

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان . الأردن ٢ / ٨٠٥) .

*** الرحيق المختوم لذوى الفهوم:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف

مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٥٨٧٧ .

ـ رسالة كتبها بناء على طلب أحد أصحابه أن يكتب له خلاصة العلم المكنون واستشهد بافتتاحها بحديث «إن من العلم كهيئة المكنون» رواه عن أستاذه أبى جعفر عن أبى صالح أحمد بن عبد الملك بن محمد بن الحسين .

المؤلف : رفيع الدين عبد الهادى بن على الهمدانى؟

أولها : الحمد لله الذى سبق الأشياء وجودا ، وعممها كرما وجودا حمدا يرتضيه لنفسه ويقتضيه عزة قدسه . أما بعد فإن بعض من قدمت ...

آخرها : واعلم أن أفضل حركاتك وأحمد سكناتك الصلاة والصيام وأعود البر الصدقة وأظهر الصبر الاحتمال، وأبطل السعى المرآة ، وخير الأعمال ما صدر عن إخلاص ونية ...

الخط نسخى جميل، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ق ٧٢ ـ ٨٩، س ١٧ ، ١٨ × ١٣ سم، كلمات السطر ١٠ هامش ٤ سم

تاريخ النسخ : المجموع مخطوط سنة ٨٨٧ هـ .

ملاحظات : نسخة قيمة ومراجعة ومشروحة باللغة الفارسية كأنها ترجمته ونسب لابن عربى كما فى سيرة ابن عربى لعثمان يحيى وللسهروردى كما فى فهرس برلين .

مصادر عن الكتاب : سيرة ابن عربى لعثمان يحيى بالفرنسية برقم ٥٩١ ، فهرس المخطوطات العربية فى برلين ٣ / ١٩٩ .

بعض نسخ الرسالة : برلين ٣٣٠٢ نسب للسهروردى، ولى الدين ١٨٢١ لابن عربى .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٦٠٥ ، ٦٠٦).

*** الرحيم جل جلاله:**

انظر : الرحمن الرحيم جل جلاله .

*** زخ:**

قال ياقوت : زُخّ : بضم أوله، وتشديد ثانيه : ربع من أرباع نيسابور، والعامة تقول : ريخ، وقال أبو الحسن البيهقى سميت رخ لصلابة أرضها وحمرتها، والرستاقيون يسمون

الأرض إذا كانت كذلك رُخًا، وهى كورة تشتمل على مائة قرية وست قرى وقصبتهـا بيشك، فيه سوق حسن إلا أنـه ليس فيه جامع ولا منبر.

يُنسب إليها أبو موسى هـارون بن عبدوس بن عبد الصمد ابن حسان الـرخى النيسابـورى، سمع يحيى بن يحيى وعلى بن المدينى وغيرهما، روى عنه أبو حامد بن الشرقى وغيره، ومات سنة ٢٨٥ .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٣ / ٣٨)

*الرُّخ:

قال عنه الكمال الدميرى:

الرخ بالخاء المعجمة فى آخره طائر فى جزائر بحر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف بـاع ذكره الجاحظ وأبو حامد الأنـدلسى قـال وقـد كـان وصل إلى أرض المغـرب رجل من التجار ممن سافـر إلى الصين وأقام بها مدة وكـان عنده أصل ريشة من جناحه كـانت تسع قربة ماء وكان يقول إنـه سافر مرة فى بحر الصين فألقتهم الـريح إلى جزيرة عظيمة فخـرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب فرأوا قبة عظيمة أعلى من مائة ذراع ولها لمعان وبريق فعجبوا منها فلما دنوا منها إذا هى بيضة الـرخ فجعلوا يضربـونها بالخشب والفـؤوس والحجارة حتى انشقت عن فـرخ كأنـه جبل فتعلقوا بـريشـة من جناحـه فجروه فنفض جنـاحه فبقيت هذه الريشة معهـم وخرج أصلها من جناحه ولم يكمل بعـد خلقه فقتلوه وحملوا مـا قدروا عليه من لحمـه وقد كـان بعضهم طبخ بـالجـزيرة قـدرا من لحمـه وحركها بعود حطب ثم أكلوه وكـان فيهم مشايخ فلما أصبحو إذا هم قـد اسـودت لحـاهم ولم يشب بعـد ذلك من أكل من ذلك الطعام وكانوا يقولون إن ذلك العـود الذى حركوا به القدر من عود شجرة النشاب قال فلمـا طلعت الشمس إذا بالرخ قد أقبل فى الهـواء كأنه سحـابة عظيمة فـى رجله حجر كـالبيت العظيم أكبر من السفينة فلما حاذى السفينة ألقى ذلك الحجر بسـرعة فـوقع الحجر فى البحـر وسبقت السفينة ونجـاهم الله تبارك وتعالى بفضله ورحمته.

والرخ من أدوات الشطرنج والجمع رخاخ ورخخة

(التعبير) الـرخ فى المنـام يدل على أخبـار غريبـة وأسفار بعيـدة وربمـا دل على الهــذر فى الكـلام الصحيح والسقيم وكذلك العنـقاء والله أعلـم (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٣٣٣).

وقـال داود الأنطـاكى: طـائر كبير منـه مـا يقـارب حجم الجمل وأرفع منـه وعنقه طـويل شديـد البياض مطـوق بصفرة وفى بطنه ورجليه خطوط غبـر وليس فى الطيور أعظم منه جثة وهو هنـدى يأوى جبال سـرنديب ويقـال إنه يقصـد المراكب فيغرق أهلها ويبيض فى البـر فتوجد ببضته كالقبة مـزاجه بارد يابس فى الثالثة إذا طلـى ببيضه الكلف والنمش وسائر الآثار أزالها وإن شرب منه عشرة دراهم أبرأ من الحكة والجرب وأزال السدد العارضة للكبد وقونصتـه تقلع البواسير طلاء ودمه يزيل البياض كحـلا وينبت الشعـر طلاء وزبله يـزيل سـائر الآثار طلاء والبهق والبـرص وإذا بخر بعظمـه عند المصـروع أفاق بسرعة (التذكرة ١ / ١٦٧).

(حيـاة الحيوان الكبـرى للشيخ كمـال الـدين الدميـرى ١ / ٣٣٣، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٦٧).

* الرّخام:

انظر مادة «الجص والحجـر والرخام» فى م ١٢ / ١٨٣ ـ ١٨٧ .

* الرخصة العميمة فى أحكام الغنيمة:

الـرخصـة العميمـة فى أحكـام الغنيمـة: لأبى إبـراهيم [لإبـراهيم] بن عبـد الـرحمن بن إبـراهيم بن سبـاع بن ضيـاء الفـزارى مختصر أولـه الحمـد لله كمـا يليق بكمال وجهـه... إلخ.

(كشف ١ / ٨٣٧).

يـوجد مخطـوطـه بين مخطوطـات الفقـه فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٩٠٨٠

تأليف: عبد الرحمن بن إبراهيم الفزارى.

وهى رسـالة فى بيـان أحكـام الغنائم على مـا شهدت بـه مغازى رسول الله ﷺ.

أوله: الحمد لله كما يليق بكمال وجهه، وعز جلاله.

آخـره: على حسب هـذه الأحـوال بالاستنبـاط من كـلام الـرسول ﷺ ومغـازيـه وأقوال العلمـاء والله سبحـانه وتعـالى أعلم.

نسخة جيدة ، الخط نسخ جيد.
[١٢٢_١٢٥]ق ٢٣ س ٢١×١٦ سم
(فهرس الظاهرية ١ / ٣٥٢).
(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٣٧ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٥٢).

*** الرخصة فى تقبيل اليد:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله مخطوط جاء بيانه كما يلى:

الرقم التسلسلى : ٤١

المؤلف : ابن المقرى.

جامعة الإمام محمد بن سعود ٣ / ١ / ٣٩٤ [١٦٠٦ ف]ـ (و ١٥٧ ـ ١٦٣) ضمن مجموع ـ ق ٦ هـ تقديرا.

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان الأردن ٢ / ٨٠٥).

*** الرخصة فى الغناء والطرب بشرطه:**

مخطوط فى الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله ، وجاء بيانه كما يلى:

الرقم التسلسلى: ٤٢

المؤلف: الذهبى.

اختصره من كتاب (الإمتاع من أحكام السماع) لجعفر الأرنوى.

١ ـ الظاهرية ٢٨٢ [عام ٧١٥٩]ـ (و ٢٢٠ـ ٢٧٣]ـ ضمن مجموع.

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان . الأردن ٢ / ٨٠٥).

*** الرخصة والعزيمة:**

جاء فى المعجم الوسيط : الرخصة : بضم الخاء وسكونها : التسهيل فى الأمر والتيسير. وفى الشرع : ما يغير من الأمر الأصلى إلى يُسر وتخفيف كصلاة السفر. وهى خلاف العزيمة . وفى الحديث : «إن الله جل ثناؤه يحب أن يؤخذ برُخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» (المعجم الوسيط ١ / ٣٣٦).

وجاء فى اللسان : الرخصة بضم الخاء وسكونها : ترخيص الله للعبد فى أشياء خففها عنه . والرخصة فى الأمر وهو خلاف التشديد (اللسان ١٨ / ١٦١٦).

وجاء فى كتاب «الجوهرة المنيفة فى شرح الإمام الأعظم أبى حنيفة » للمُلاَّ حسين بن إسكندر الحنفى : ما ينبى على أعذار العباد، والعزيمة ما كان حكما أصليا غير مبنى على أعذار العباد (شرح الفقه الأكبر / ٧٦).

وقال الداه الشنقيطى فى شرح البيت التالى من منظومة رسالة ابن أبى زيد القيروانى:

ورُخصــة جمـع العشـائـين لهـا
وابـل أو طيـن بليـل أظلمـا

قال : الرخصة فى اللغة السهولة، وفى الاصطلاح حكم شرعى سهل النقل فيه من حكم شرعى أصعب منه مع قيام السبب للحكم الأصلى (الفتح الربانى ١ / ٩٢).

وعند الكلام على القاعدة الأولى من القواعد الخمس التى ترجع مسائل الفقه إليها، وهى قاعدة: الأمور بمقاصدها والأعمال بالنيات ، يسوق الإمام الجلال السيوطى خمس فوائد هى كما يلى:

١ ــ الفائدة الأولى: فى ضبط المشاق المقتضية للتخفيف.

المشاق على قسمين : مشقة لاتنفك عنها العبادة غالبا، كمشقة البرد فى الوضوء، والغسل: ومشقة الصوم فى شدة الحر، وطول النهار. ومشقة السفر، التى لا انفكاك للحج والجهاد عنها. ومشقة ألم الحدود، ورجم الزناة، وقتل الجناة، فلا أثر لهذه فى إسقاط العبادات فى كل الأوقات.

ومن استثنى من ذلك جواز التيمم للخوف من شدة البرد، فلم يصب، لأن المراد أن يخاف من شدة البرد حصول مرض من الأمراض التى تبيح التيمم، وهذا أمر ينفك عنه الاغتسال فى الغالب، أما ألم البرد الذى لا يخاف معه المرض المذكور، فلا يبيح التيمم بحال . وهو الذى لا يبيح الانتقال إلى التيمم.

وأما المشقة التى لا تنفك عنها العبادات غالبا، فعلى مراتب:

الأولى: مشقة عظيمة فادحة: كمشقة الخوف على

النفوس، والأطراف، ومنافع الأعضاء، فهى موجبة للتخفيف والترخيص قطعا، لأن حفظ النفوس، والأطراف لإقامة مصالح الدين أولى من تعريضها للفوات فى عبادة، أو عبادات يفوت بها أمثالها.

الثانية: مشقة خفيفة لا وقع لها، كأدنى وجع فى إصبع، وأدنى صداع فى الرأس، أو سوء مزاج خفيف. فهذه لا أثر لها، ولا التفات إليها، لأن تحصيل مصالح العبادات أولى من دفع مثل هذه المفسدة التى لا أثر لها.

الثالثة: متوسطة بين هاتين المرتين. فما دنا من المرتبة العليا، أوجب التخفيف، أو من الدنيا، لم يوجبه كحمى خفيفة، ووجع الضرس اليسير، وما تردد فى إلحاقه بأيهما اختُلف فيه ولا ضبط لهذه المراتب إلا بالتقرب.

وقد أشار الشيخ عز الدين إلى أن الأولى فى ضبط مشاق العبادات، أن تضبط مشقة كل عبادة بأدنى المشاق المعتبرة فى تخفيف تلك العبادة: فإن كانت مثلها، أو أزيد، ثبتت الرخصة. ولذلك اعتبر فى مشقة المرض المبيح للفطر فى الصوم: أن يكون كزيادة مشقة الصوم فى السفر عليه فى الحضر. وفى إباحة محظورات الإحرام: أن يحصل بتركها، مثل مشقة القمل الوارد فيه الرخصة.

وأما أصل الحج، فلا يكتفى فى تركه بذلك، بل لا بد من مشقة لا يحتمل مثلها، كالخوف على النفس، والمال. وعدم الزاد والراحلة.

وفى إباحة ترك القيام إلى القعود: أن يحصل به ما يشوش الخشوع، وإلى الاضطجاع أشق، لأنه مناف لتعظيم العبادات. بخلاف القعود، فإنه مباح بلا عذر. كما فى التشهد. فلم يشترط فيه العجز بالكلية.

وكذلك اكتفى فى إباحة النظر إلى الوجه والكفين بأصل الحاجة. واشترط فى سائر الأعضاء تأكدها. وضبطه الإمام بالقدر يجوز الانتقال معه إلى التيمم، واشترط فى السوأتين مزيد التأكيد، وضبطه الغزالى بما لا يعد التكشف بسببه هتكا للمروءة، ويعذر فيه فى العادة.

تنبيه

من المشكل على هذا الضابط: التيمم. فإنهم اشترطوا فى المرض المبيح له: أن يخاف معه تلف نفس، أو عضو، أو منفعته، أو حدوث مرض مخوف، أو بطء البرء، أو شين فاحش فى عضو ظاهر، ومشقة السفر دون ذلك بكثير.

قال العلائى. ولعل الفارق بين السفر والمرض: أن المقصود أن لا ينقطع المسافر عن رفقته، ولا يحصل له ما يعوق عليه التقلب فى السفر بالمعايش، فاغتفر فيه أخف مما يلحق المريض. أشار إلى ذلك إمام الحرمين.

وأشكل من هذا: أنهم لم يوجبوا شراء الماء بزيادة يسيرة على ثمن المثل، وجوزوا التيمم، ومنعوه فيما إذا خاف شينا فاحشا فى عضو باطن، مع أن ضرره أشد من ضرر بذل الزيادة اليسيرة جدا، خصوصا إذا كان رقيقا، فإنه ينقص بذلك قيمته أضعاف قدر الزيادة المذكورة، وقد استشكله الشيخ عز الدين وغيره، ولا جواب عنه.

تنبيه

ضبط فى الروضة، وأصلها، نقلا عن الأصحاب: المرض المبيح للفطر، ولأكل الميتة: بالمبيح للتيمم.

الفائدة الثانية.

قال الشيخ عز الدين: تخفيفات الشرع ستة أنوع:

الأول: تخفيف إسقاط، كإسقاط الجمعة، والحج، والعمرة، والجهاد بالأعذار:

الثانى: تخفيف تنقيص، كالقصر.

الثالث: تخفيف إبدال، كإبدال الوضوء، والغسل، بالتيمم، والقيام فى الصلاة بالقعود والاضطجاع، أو الإيماء، والصيام بالإطعام.

الرابع: تخفيف تقديم، كالجمع، وتقديم الزكاة على الحول، وزكاة الفطر فى رمضان، والكفارة على الحنث.

الخامس: تخفيف تأخير، كالجمع، وتأخير رمضان للمريض والمسافر، وتأخير الصلاة فى حق مشتغل بإنقاذ غريق، أو نحوه من الأعذار الآتية.

السادس: تخفيف ترخيص، كصلاة المستجمر، مع بقية النجو، وشرب الخمر للغصة وأكل النجاسة للتداوى، ونحو ذلك.

واستدرك العلائى سابعا، وهو: تخفيف تغيير، كتغيير نظم الصلاة فى الخوف اهـ

الفائدة الثالثة.

والرخص أقسام:

ما يجب فعلها كأكل الميتة للمضطر ، والفطر لمن خاف الهلاك بغلبة الجوع والعطش وإن كان مقيما صحيحا، وإساغة الغصة بالخمر.

وما يندب، كالقصر فى السفر والفطر لمن يشق عليه الصوم فى سفر، أو مرض والنظر إلى المخطوبة.

وما يباح، كالسلم.

وما الأولى تركها: كالمسح على الخف، والجمع، والفطر لمن لا يتضرر، والتيمم لمن وجد الماء يباع بأكثر من ثمن المثل، وهو قادر عليه.

وما يكره فعلها، كالقصر فى أقل من ثلاث مراحل.

الفائدة الرابعة.

تعاطى سبب الرخصة، لقصد الترخيص فقط ، هل يبيحه؟ فيه صور تقدمت فى أواخر القاعدة الأولى.

الفائدة الخامسة.

بمعنى هذه القاعدة : قول الشافعى رضى الله عنه: « إذا ضاق الأمر اتسع» : وقد أجاب بها فى ثلاثة مواضع:

أحدها: فيما إذا فقدت المرأة وليها فى سفر، فولت أمرها رجلا يجوز.

قال يونس بن عبد الأعلى: فقلت له: كيف هذا ؟ قال: إذا ضاق الأمر اتسع.

الثانى: فى أوانى الخزف المعمولة بالسرجين ؟ أيجوز الوضوء منها؟ فقال: إذا ضاق الأمر اتسع، حكاه فى البحر.

الثالث: حكى بعض شراح المختصر أن الشافعى، سئل عن الذباب يجلس على غائط ثم يقع على الثوب، فقال: إن كان فى طيرانه ما يجف فيه رجلاه، وإلا فالشىء إذا ضاق اتسع.

ولهم عكس هذه القاعدة: إذا اتسع الأمر ضاق.

قال ابن أبى هريرة فى تعليقه: وضعت الأشياء فى الأصول على أنها إذا ضاقت اتسعت وإذا اتسعت ضاقت.

ألا ترى أن قليل العمل فى الصلاة لما اضطر إليه، سومح به، وكثيره لما لم يكن به حاجة لم يسامح به. وكذلك قليل البراغيث وكثيره.

وجمع الغزالى فى الإحياء بين القاعدتين بقوله: كل ما تجاوز عن حده انعكس إلى ضده.

ونظير هاتين القاعدتين فى التعاكس قولهم: يغتفر فى الدوام ما لا يغتفر فى الابتداء، وقولهم: يغتفر فى الابتداء ما لا يغتفر فى الدوام. (الأشباه والنظائر / ٨٢، ٨٣).

وفى موضع آخر، عند الكلام على القاعدة الرابعة عشرة يقول الإمام الجلال السيوطى:

«الرخص لا تناط بالمعاصى».

ومن ثم لا يستبيح العاصى بسفره شيئا من رخص السفر: من القصر والجمع والفطر والمسح ثلاثا، والتنفل على الراحلة، وترك الجمعة، وأكل الميتة، وكذا التيمم، على وجه اختاره السبكى، ويأثم بترك الصلاة إثم تارك لها، مع إمكان الطهارة، لأنه قادر على استباحة التيمم بالتوبة. والصحيح أنه يلزمه التيمم لحرمة الوقت، ويلزمه الإعادة لتقصيره بترك التوبة.

ولو وجد العاصى بسفره ماء، واحتاج إليه للعطش، لم يجز له التيمم بلا خلاف: وكذا من به مرض وهو عاص بسفره؛ لأنه قادر على التوبة.

قال القفال فى شرح التلخيص؛ فإن قيل: كيف حرمتم أكل الميتة على العاصى بسفره مع أنه مباح للحاضر فى حال الضرورة، وكذا من به مرض يجوز له التيمم فى الحضر؟

فالجواب: أن ذلك ـ وإن كان مباحا فى الحضر عند الضرورة ـ لكن سفره سبب لهذه الضرورة، وهو معصية، فحرمت عليه الميتة فى الضرورة، كما لو سافر لقطع الطريق، فجرح لا يجوز له التيمم لذلك الجرح، مع أن الحاضر الجريح يجوز له:

فإن قيل: تحريم الميتة والتيمم يؤدى إلى الهلاك.

فالجواب: أنه قادر على استباحته بالتوبة، انتهى.

وهل يجوز للعاصى بسفره: مسح المقيم: وجهان. أصحهما: نعم، لأن ذلك جائز بلا سفر.

والثانى: لا، تغليظا عليه، كأكل الميتة.

وحكى الوجهان فى العاصى بالإقامة، كعبد أمره سيده بالسفر، فأقام.

قال فى شرح المهذب: والمشهور: القطع بالجواز.

وطرد الإصطخرى القاعدة فى سائر الرخص، فقال: إن العاصى بالإقامة لا يستبيح شيئا منها.

وفرق الأكثرون بأن الإقامة نفسها ليست معصية، لأنها كف، وإنما الفعل الذى يوقعه فى الإقامة معصية. والسفر فى نفسه معصية.

ومن فروع القاعدة:

لو استنجى بمحترم أو مطعوم، لا يجزئه فى الأصح، لأن الاقتصار على الحجر رخصة فلا يناط بمعصية.

ومنها: لو استنجى بذهب أو فضة، ففى وجه لا يجزيه، لأنه رخصة واستعمال النقد حرام، والصحيح الإجزاء.

ومنها: لو لبس خُفًّا مغصوبا. ففى وجه لا يمسح عليه؛ لأنه رخصة لمشقة النزع، وهذا عاص بالترك واستدامة اللبس، والصحيح الجواز كالتيمم بتراب مغصوب، فإنه يجوز، مع أن التيمم رخصة.

قال البلقينى: ونظيره المسح على خف مغصوب: غسل الرجل المغصوبة فى الوضوء، وصورته: أن يجب عليه التمكين من قطعها فى قصاص أو سرقة، فلا يمكن من ذلك ولو لبس خفا من ذهب أو فضة، ففيه الوجهان فى المغصوب.

وقطع المتولى هنا بالمنع، لأن التحريم هنا: لمعنى فى نفس الخف، فصار كالذى لا يمكن متابعة المشى عليه.

قال فى شرح المهذب: وينبغى أن يكون الحرير مثله.

ولو لبس المحرم الخف، فلا نقل فيه عندنا، والمصحح عند المالكية: أنه ليس له المسح وهو ظاهر، فإن المعصية هنا فى نفس اللبس.

ثم رأيت الأسنوى ذكر المسألة فى ألغازه وقال: إن المتجه المنع جزما، ولا يتخرج على الخلاف فى المغصوب ونحوه؛ فإن المنع هناك بطريق العرض، لا لمعنى فى اللبس، ولهذا يلبس غيره، ويمسح عليه.

وأما المحرم: فقام به معنى آخر، أخرجه عن أهلية المسح لامتناع اللبس مطلقا.

ومنها: لو جن المرتد، وجب عليه قضاء صلوات أيام الجنون أيضا، بخلاف ما إذا حاضت المرتدة لا تقضى صلوات أيام الحيض، لأن سقوط القضاء عن الحائض عزيمة وعن المجنون رخصة، والمرتد ليس من أهل الرخصة.

ومنها: لو شربت دواء فأسقطت، ففى وجه تقضى صلوات أيام النفاس، لأنها عاصية، والأصح: لا، لأن سقوط القضاء عن النفساء عزيمة لا رخصة

ومنها: لو ألقى نفسه، فانكسرت رجله وصلى قاعدا، ففى وجه: يجب القضاء لعصيانه، والأصح: لا.

ومنها: يجوز تقديم الكفارة على الحنث رخصة، فلو كان الحنث بمعصية فوجهان، لأن الرخص لاتناط بالمعاصى.

ومنها: لو صب الماء بعد الوقت لغير غرض وتيمم، ففى وجه: تجب الإعادة لعصيانه والأصح: لا، لأنه فاقد.

ومنها: إذا حكمنا بنجاسة جلد الآدمى بالموت؛ ففى وجه: لا يطهر بالدباغ، لأن استعماله معصية، والرخص لاتناط بالمعاصى، والأصح. أنه يطهر كغيره وتحريمه ليس لعينه، بل للامتهان على أى وجه كان، ولأنه يحرم استعماله، . وإن قلنا بطهارته.

تنبيه

معنى قولنا «الرخص: لاتناط بالمعاصى».

أن فعل الرخصة متى توقف على وجود شيء، نظر فى ذلك الشيء، فإذا كان تعاطيه فى نفسه حراما، امتنع معه فعل الرخصة، وإلا فلا، وبهذا يظهر الفرق بين المعصية بالسفر والمعصية فيه.

فالعبد الآبق والناشزة، والمسافر للمكس، ونحوه عاص بالسفر. فالسفر نفسه معصية والرخصة منوطة به مع دوامه، ومعلقة، ومترتبة عليه ترتب المسبب على السبب. فلا يباح.

ومن سافر مباحا، فشرب الخمر فى سفره، فهو عاص فيه، أى مرتكب المعصية فى السفر المباح، فنفس السفر: ليس معصية، ولا آثما به فتباح فيه الرخص، لأنها منوطة

بالسفر، وهو فى نفسه مباح. ولهذا جاز المسح على الخف المغصوب، بخلاف المحرم، لأن الرخصة منوطة باللبس، وهو للمحرم معصية، وفى المغصوب ليس معصية لذاته، أى لكونه لبسا، بل للاستيلاء على حق الغير، ولذا لو ترك اللبس، لم تزل المعصية، بخلاف المحرم.

القاعدة الخامسة عشرة.

«الرخص لاتناط بالشك».

ذكرها الشيخ تقى الدين السبكى، وفرَّع عليها:

أنه إذا غسل إحدى رجليه وأدخلها، لا يستبيح، لأنه لم يدخلهما طاهرتين.

ومن فروعها:

وجوب الغسل: لمن شك فى جواز المسح.

ووجوب الإتمام لمن شك فى جواز القصر، وذلك فى صور متعددة. (الأشباه والنظائر / ١٣٨ ـ ١٤١).

ويبسط التهانوى الكلام على كل من الرخصة والعزيمة فيقول:

الرخصة بالضم وسكون الخاء المعجمة فى اللغة اليسر والسهولة وعند الأصوليين مقابل للعزيمة. وقد اختلفت عباراتهم فى تفسيرهما بناء على أن بعضهم جعلوا الأحكام منحصرة فيهما وبعضهم لم يجعلوها كذلك فبعض من لم يحصرها عليهما قال: العزيمة ما لزم العباد بإيجاب الله تعالى كالعبادات الخمس ونحوها، والرخصة ما وسع للمكلف فعله لعذر فيه مع قيام السبب المحرم فاختص العزيمة بالواجبات وخرج الندب والكراهة عنها من غير دخول فى الرخصة وعليه يدل ما قال القاضى الإمام من أن العزيمة ما لزمنا من حقوق الله تعالى من العبادات والحل والحرمة أصلا بأنه إلهنا ونحن عبيده فابتلانا بما شاء، والرخصة إطلاق بعد الحظر لعذر تيسيرا وبعبارة أخرى الرخصة صرف الأمر أى تغييره من عسر إلى يسر بواسطة عذر فى المكلف. وبعض من اعتبر الحصر فيهما قال: الرخصة ما شرع من الأحكام لعذر مع قيام المحرم لولا العذر، والعزيمة بخلافها هكذا فى أصول الشافعية على ما قيل. وحاصله أن دليل الحرمة إذا بقى معمولا به وكان التخلف عنه لمانع طار فى المكلف لولاه لثبتت الحرمة فى حقه فهو الرخصة أى ذلك الحكم الثابت بطريق التخلف عن المحرم هو الرخصة وإلا فهو العزيمة. فالمراد بالمحرم دليل الحرمة وقيامه بقاءه معمولا به، وبالعذر ما يطرأ فى حق المكلف فيمنع حرمة الفعل أو الترك الذى دل الدليل على حرمته.

ومعنى قوله لولا العذر أى المحرم كان محرما ومثبتا للحرمة فى حقه أيضا لولا العذر فهو قيد لوصف التحريم للقيام وهذا أولى مما قيل من إن الرخصة ما جاز فعله لعذر مع قيام السبب المحرم وإنما قلنا إنه أولى لأنه يجوز أن يراد بالفعل فى هذا التعريف ما يعم الترك بناء على أنه كَفٌّ فخرج من الرخصة الحكم ابتداء لأنه لا محرم، وخرج ما نسخ تحريمه لأنه لا قيام للمحرم حيث لم يبق معمولا به، وخرج ما خص من دليل المحرم لأن التخلف ليس لمانع فى حقه بل التخصيص بيان أن الدليل لم يتناوله، وخرج أيضا وجوب الطعام فى كفارة الظهار عند فقد الرقبة لأنه الواجب فى حقه ابتداء على فاقد الرقبة، كما أن الإعتاق هو الواجب ابتداء على واجدها وكذا خرج وجوب التيمم على فاقد الماء لأنه الواجب فى حقه ابتداء بخلاف التيمم للخروج ونحوه.

وبالجملة فجميع ما ذكر داخل فى العزيمة وهى ما شرع من الأحكام لا كذلك أى لا لعذر مع قيام المحرم لولا العذر بل إنما شرع ابتداء.

ثم الرخصة قد يكون واجبا كأكل الميتة للمضطر أو مندوبا كقصر الصلاة فى السفر أو مباحا كترك الصوم فى السفر.

وقيل العزيمة الحكم الثابت على وجه ليس فيه مخالفة دليل شرعى.

والرخصة الحكم الثابت على خلاف الدليل لمعارض راجح ويرد عليه جواز النكاح فإنه حكم ثابت على خلاف الدليل إذ الأصل فى الحرة عدم الاستيلاء عليها ووجوب الزكاة والقتل قصاصا فإن الواحد منهما ثابت على خلاف الدليل إذ الأصل حرمة التعرض فى مال الغير ونفسه مع أن شيئا منها ليس برخصة.

وقيل العزيمة ما سلم دليله عن المانع والرخصة ما لم يسلم عنه: وقال فخر الإسلام العزيمة اسم لما هو أصل من الأحكام غير متعلق بالعوارض والرخصة اسم لما بنى على

أعذار العباد وهو ما يستباح مع قيام المحرم فقوله اسم لما هو أصل من الأحكام معناه اسم لما ثبت ابتداء بإثبات الشارع وهو من تمام التعريف ، وقوله غير متعلق بالعوارض تفسير لأصالتها لا تقييد فدخل فيه ما يتعلق بالفعل كالعبادات وما يتعلق بالترك كالمحرمات ويؤيده ما ذكره صاحب الميزان بعد تقسيم الأحكام إلى الفرض والواجب والسنة والنفل والمباح والحرام والمكروه وغيرها أن العزيمة اسم لكل أمر أصلى فى الشرع على الأقسام التى ذكرنا من الفرض والواجب والسنة والنفل ونحوها لا بعارض وتقسيم فخر الإسلام العزيمة إلى الفرض والواجب والسنة والنفل بناء على أن غرضه بيان ما يتعلق به الثواب من العزائم أو على أن الحرام داخل فى الفرض أو الواجب والمكروه داخل فى السنة أو النفل لأن الحرام إن ثبت بدليل قطعى فتركه فرض وإن ثبت بظنى فتركه واجب وما كان مكروها كان ضده سنة أو نفلا .

والإباحة أيضا داخلة فى العزيمة باعتبار أنه ليس إلى العباد رفعها . وقوله وهو ما يستباح ... إلخ فى تعريف الرخصة تفسير لقوله ما بنى على أعذار العباد . فقوله ما يستباح عام يتناول الترك والفعل ، وقوله لعذر احتراز عما أبيح لا لعذر ، وقوله مع قيام المحرم احتراز عن مثل الصيام عند فقد الرقبة فى الظهار إذ لا قيام للمحرم عند فقد الرقبة .

واعترض عليه بأنه إن أريد بالاستباحة الإباحة مع قيام الحرمة فهو جمع بين المتضادين ، وإن أريد الإباحة بدون الحرمة فهو تخصيص العلة لأن قيام المحرم بدون حكمه لمانع تخصيص له . وأجيب بأن المراد من قوله يستباح يعامل به معاملة المباح برفع الإثم وسقوط المؤاخذة لا المباح حقيقة لأن المحرم قائم إلا أنه لا يؤاخذ بتلك الحرمة بالنص وليس من ضرورة سقوط المؤاخذة انتفاء الحرمة فإن من ارتكب كبيرة وقد عفى الله عنه لا يسمى مباحا فى حقه ولهذا ذكر صدر الإسلام الرخصة ترك المؤاخذة بالفعل مع وجود السبب المحرم للفعل وحرمة الفعل وترك المؤاخذة بترك الفعل مع وجود الموجب والوجوب .

وذكر فى الميزان الرخصة اسم لما تغير عن الأمر الأصلى إلى تخفيف ويسر ترفيها وتوسعة على أصحاب الأعذار . وقال بعض أهل الحديث : الرخصة ما وسع على المكلف فعله لعذر مع كونه حراما فى حق من لا عذر له ، أو وسع على المكلف تركه مع قيام الوجوب فى حق غير المعذور .

التقسيم : الرخصة أربعة أنواع بالاستقراء عند أبى حنيفة فنوعان منها رخصة حقيقة ، ثم أحد هذين النوعين أحق بكونه رخصة من الآخر ونوعان يطلق عليهما اسم الرخصة مجازا لكن أحدهما أتم فى المجازية من الآخر أى أبعد من حقيقة الرخصة من الآخر فهذا تقسيم لما يطلق عليه اسم الرخصة لا لحقيقة الرخصة . أما الأول وهو الذى هو رخصة حقيقة وأحق بكونه رخصة من الآخر وتسمى بالرخصة الكاملة فهو ما استبيح مع قيام المحرم والحرمة ومعنى ما استبيح ما عومل به معاملة المباح كما عرفت كإجراء كلمة الكفر مكرها بالقتل أو القطع فإن حرمة الكفر قائمة أبدا لكن حق العبد يفوت صورة ومعنى وحق الله تعالى لا يفوت معنى لأن قلبه مطمئن بالإيمان فله أن يجرى على لسانه وإن أخذ بالعزيمة وبذل نفسه حسبة لله فى دينه فأولى وأحب إذ يموت شهيدا لحديث عمار بن ياسر رضى الله عنه حيث ابتلى به وقال له النبى عليه الصلاة والسلام كيف وجدت قلبك؟ قال مطمئنا بالإيمان . فقال عليه الصلاة والسلام : فإن عادوا فعد وفيه نزل قوله تعالى **﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾** [النحل : ١٠٦] وروى أن المشركين أخذوه ولم يتركوه حتى سب رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله ﷺ قال ما دراك ؟ قال شر ما تركونى حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير فقال كيف تجد قلبك قال أجده مطمئنا بالإيمان قال عليه الصلاة والسلام فإن عادوا فعد إلى طمأنينة القلب بالإيمان . وما قيل فعد إلى ما كان منك من النيل منى وذكر آلهتهم بخير فغلط لأنه لا يظن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه يأمر أحدا بالتكلم بكلمة الكفر . وإن صبر حتى قتل ولم يظهر الكفر. كان مأجورا لأن خبيبا رضى الله عنه صبر على ذلك حتى صلب وسماه رسول الله ﷺ سيد الشهداء (انظر مادة «الرجيع (يوم ـ)») وقال فى مثله هو رفيقى فى الجنة وقصته أن المشركين أخذوه وباعوه من أهل مكة فجعلوا يعاقبونه على أن يذكر آلهتهم بخير ويسب محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وهو يسب آلهتهم ويذكر محمدا ﷺ بخير فأجمعوا على قتله فلما أيقن أنهم قاتلوه سألهم أن يدعوه ليصلى ركعتين فأوجز صلاته وقال إنما أوجزت لكيلا تظنوا أنى أخاف القتل ثم سألهم أن يلقوه على

وجهه ليكون ساجدا حتى يقتلوه فأبوا عليه ذلك فرفع يديه إلى السماء وقال اللهم إنى لا أرى ههنا إلا وجه عدو فاقرأ رسول الله ﷺ منى السلام ثم قال اللهم احص هؤلاء عددا واجعلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ثم أنشأ يقول، شعر:

ولست أبالى حين أقتل مسلما

على أى جنب كان لله مصرعى

فلما قتلوه وصلبوه تحول وجهه إلى القبلة وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الشهداء وقال هو رفيقى فى الجنة وهكذا فى الهداية والكفاية .

والثانى وهو الذى هو رخصة حقيقة ولكنه دون الأول وتسمى رخصة قاصرة فهو ما استبيح مع قيام المحرم دون الحرمة كإفطار المسافر فإن المحرم للإفطار وهو شهود الشهر قائم لقوله تعالى ﴿ ممن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ [البقرة : ١٨٥] لكن حرمة الإفطار غير قائمة فرخص بناء على تراخى حكم المحرم لقوله تعالى ﴿ فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة : ١٨٤] لكن العزيمة ههنا أولى أيضا لقيام السبب ولأن فى العزيمة نوع يُسْر بموافقة المسلمين .

ففى النوع الأول لما كان المحرم والحرمة قائمين فالحكم الأصلى فيه الرحمة بلا شبهة فى أصالته بخلاف هذا النوع فإنه وجد السبب للصوم لكن حكمه متراخ عنه فصار رمضان فى حقه كشعبان فيكون فى الإفطار شبهة كونه حكما أصليا فى حق المسافر فلذا صار الأول أحق بكونه رخصة دون الثانى .

والثالث وهو الذى هو رخصة مجازا وهو أتم فى المجازية هو ما وضع عنا من الإصر والأغلال وتسمى رخصة مجاز لأن الأصل لم يبق مشروعا أصلا .

ومما كان فى الشرائع السابقة من المحن الشاقة والأعمال الثقيلة وذلك مثل قطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة والتوبة بقتل النفس وعدم جواز الصلاة فى غير المسجد وعدم التطهير بالتيمم وحرمة أكل الصائم بعد النوم وحرمة الوطئ فى ليالى أيام الصيام ومنع الطيبات عنهم بصدور الذنوب وكون الذكاة ربع المال وعدم صلاحية أموال الذكاة والغنائم لشيء من أنواع الانتفاع إلا للحرق بالنار المنزلة من السماء وكتابة ذنب الليل بالصبح على الباب ووجوب خمسين صلاة فى كل يوم وليلة وحرمة العفو عن القصاص وعدم مخالطة الحائضات فى أيامها وحرمة الشحوم والعروق فى اللحم وتحريم الصيد يوم السبت وغيرها فرفع كل هذا عن أمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم تخفيفا وتكريما فهى رخصة مجازا لأن الأصل لم يبق مشروعا قط حتى لو عملنا بها أحيانا أَثِمْنَا وعَوَيْنَا وكان القياس فى ذلك أن يسمى نسخا وإنما سميناه رخصة مجازا محضا . هكذا فى نور الأنوار) .

والرابع وهو الذى هو رخصة مجازا لكنه أقرب من حقيقة الرخصة من الثالث هو ما سقط مع كونه مشروعا فى الجملة أى فى غير موضع الرخصة فمن حيث إنه سقط كان مجازا ومن حيث إنه مشروع فى الجملة كان شبها بحقيقة الرخصة بخلاف الثالث كقول الراوى رخص فى السلم فإن الأصل فى البيع أن يلاقى عينا موجودا لكنه سقط فى السلم حتى لم يبق التعين عزيمة ولا مشروعا .

هذا كله خلاصة ما فى كشف البزدوى والتلويح والعضدى وغيرها . وفى جامع الرموز الرخصة على ضربين رخصة ترفيه أى تخفيف ويسر كالإفطار للمسافر ورخصة إسقاط أى إسقاط ما هو العزيمة أصلا كقصر الصلاة للمسافر انتهى ولا يخفى أن هذا داخل فى الأنواع السابقة الأربعة (كشاف ٢ / ٥٦٠ـ٥٦٣).

وفى موضع آخر يلخص التهانوى ما سبق ذكره عن العزيمة فيقول :

العزيمة عند الأصوليين مقابلة للرخصة وهى تشتمل الفرض والواجب والسنة والنفل والمباح والحرام والمكروه ـ قيل هى الفرض والواجب والحرام والمكروه لا غير إذ السنة شرعت تكميلا للفرائض وتبعا لها وكذا النفل شرع جبرا لنقصان تمكن فى العزيمة وهى الفرض كذا فى معدن الغرائب (كشاف ٣ / ١٠٤٧).

(المعجم الوسيط . د. إبراهيم أنيس وزملائه ١ / ٣٣٦، ولسان العرب لابن منظور ١٨ / ١٦١٦ ، وشرح الفقه الأكبر للماتريدى السمرقندى ـ عنى بطبعه ومراجعته عبد الله بن إبراهيم الأنصارى / ٧٦ ، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة ابن أبى زيد القيروانى ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى ١ / ٩٢ ، والأشباه والنظائر فى قواعد وفروع فقه الشافعية للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ٨٠ـ٨٣ ، و ١٣٨ـ ١٤١ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٦٠ـ٥٦٣، و ٣ / ١٠٤٧).

*** زخيم ورحيم:**

هكـذا ضبط صـاحب المـؤتلـف والمختلف الاسمين للتفريق بينهما فقال:

خالد بن رخيم بفتح الراء وكسر الخاء بصرى أراه يحدث عن عطاء رحُيم بضم الراء غير معجمة رحيم بن مالك أبـو سعيد المعبر، سمعته يقول: سمعت من أبى زرعـة الدمشقى وكان شيخا كبيرا.

(المـؤتلف والمختلف للحـافظ أبى محمـد عبـد الغنى بن سعيـد الأزدى المصرى / ٦٢).

*** الرد:**

قال الراغب الأصفهانى:

رد: الرد صـرف الشيء بذاته أو بحـالة من أحوالـه، يقال رددتـه فـارتـد، قـال تعـالى: ﴿ **ولا يـرد بأسـه عن القـوم المجرمين**﴾ [الأنعام: ١٤٧] فمن الرد بالذات قوله تعالى: ﴿**ولو ردوا لعادوا لمـا نهوا عنه**﴾ [الأنعام: ٢٨] ﴿ **ثم رددنا لكم الكرة**﴾ [الإسراء: ٦] وقـال تعالى: ﴿ **ردوهـا علىَّ** ﴾ [ص: ٣٣] وقـال: ﴿ **فرددنـاه إلى أمه**﴾[القصـص: ١٣] ﴿**ياليتنا نرد ولا نكذب**﴾ [الأنعام: ٢٧] ومن الرد إلـى حالة كان عليها قوله تعالى ﴿ **يردوكم على أعقابكم**﴾ [آل عمران: ١٤٩] وقوله تعالى: ﴿ **و إن يردك بخير فلا راد لفضله**﴾ [يونس: ١٠٧] أى لا دافع ولا مـانع لـه وعلى ذلك ﴿**عذاب غيـر مردود**﴾ [هود: ٧٦] ومن هـذا الرد إلى الله تعـالى نحو قـوله ﴿**ولئن رددت إلى ربى لأجـدن خيرا منهـا منقلبا**﴾ [الكهف: ٣٦] ﴿**ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة**﴾ [التوبة: ٩٤] ﴿ **ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق**﴾ [الأنعام: ٦٢] فالرد كالرجع ﴿ **ثم إليه ترجعون**﴾ [البقـرة: ٢٨] ومنهم من قال فى الـرد قولان: أحـدهما ردهم إلى مـا أشار إليـه بقولـه تعالى ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم**﴾ [طـه: ٥٥] والثـانى: ردهم إلى الحياة المشار إليهـا بقوله: ﴿ **ومنها نخـرجكم تـارة أخرى**﴾ [طه: ٥٥] فذلك نظر إلى حالتيـن كلتاهما داخلة فى عموم اللفظ. وقوله تعالى: ﴿ **فردوا أيديهم فى أفواههم**﴾ [إبراهيم: ٩] قيل عَضُّوا الأنامل غيظا وقيـل أومئوا إلى السكوت وأشاروا باليد إلى الفم، وقيل ردوا أيديهم فى أفواه الأنبياء فأسكتوهم، واستعمال الرد فى ذلك تنبيها أنهم فعلوا ذلك مرة بعد أخرى. وقوله تعالى: ﴿ **لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا**﴾ [البقرة: ١٠٩] أى يرجعونكم إلى حال الكفر بعد أن فارقتموه، وعلى ذلك قولـه تعالى ﴿ **يا أيهـا الذين آمنـوا إن تطيعوا فـريقا من الـذين أوتوا الكتـاب يردوكم بعـد إيمـانكم كافـرين** ﴾ [آل عمران: ١٠٠] والارتداد والردة الرجـوع فى الطريق الذى جاء منه لكن الرِّدة تختص بالكفر والارتداد يستعمل فيه وفى غيره، قال تعـالى: ﴿ **إن الذين ارتـدوا على أدبارهم**﴾ [محمـد: ٢٥] وقال ﴿ **يـا أيها الـذين آمنـوا من يـرتد منكم عن دينـه**﴾ [المائدة: ٥٤] وهو الرجـوع من الإسلام إلى الكفر، وكذلك ﴿ **ومن يـرتدد منكم عن دينـه فيمت وهـو كافـر**﴾ [البقرة: ٢١٧] وقـال عـز وجل ﴿ **فـارتـدَّا على آثارهمـا قصصـا**﴾ [الكهف: ٦٤] ﴿ **إن الذين ارتـدوا على أدبارهم من بعـد ما تبين لهم الهدى** ﴾ [محمد: ٢٥] وقال تعالى: ﴿ **ونُرَدُّ على أعقابنا**﴾ [الأنعام: ٧١] وقـوله تعـالى: ﴿ **ولا تـرتـدوا على أدباركم**﴾ [المائدة: ٢١] أى إذا تحققتم أمرا وعرفتم خيرا فلا ترجعوا عنه. وقوله عز وجل: ﴿**فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتـد بصيرا**﴾ [يـوسف: ٩٦] أى عـاد إليـه البصـر، ويقـال رددت الحكم فى كذا إلى فـلان: فوَّضتـه إليه، قـال تعالى: ﴿**ولـو ردوه إلى الرسـول وإلى أولى الأمـر**﴾ [النساء: ٨٣] وقال ﴿ **فإن تنازعتـم فى شىء فردوه إلى الله والـرسول** ﴾ [النساء: ٥٩] ويقال راده فى كلامه. وقيل فى الخبر: البيعان يترادان. أى يرد كل واحد منهمـا ما أخذ، وردة الإبل أن تتردد إلى الماء، وقد أردت الناقة واسترد المتاع استرجعه (المفردات / ١٩٢، ١٩٣).

ويعرف التهانوى «الرد» فى عدد من العلوم فيقول:

الصـرف [فى علم الفرائض (المـواريث)] مـا فضل عن فرض ذوى الفروض.

ولا يستحق لـه أحـد من العصبـات إليهم بقـدر حقـوقهم هكذا فى الجرجانى. وهو ضـد العول إذ بالعول ينتقص سهام ذوى الفـروض ويـزداد أصل المسألـة وبـالـرد يـزداد السهـام وينتقص أصل المسألة وبعبارة أخرى فى العول يفضل السهام على المخـرج وفى الرد يفضل المخـرج على السهام كـذا فى الشريفيـة. مثلا إذ ترك شخص بنتا واحـدة فأصل المسألة من اثنين إذ للبنت ههنا النصف فلما أعطى للبنت واحد من اثنين بقى واحد ولما لم يكن ههنا عصبة رد الواحد الباقى إلى البنت فصارت المسألـة حينئذ من واحـد بعد كونهـا فى الأصل من

اثنين فقد انتقص أصل المسألة . وعند المنجمين يطلق على نوع من الاتصال .

وعند المحاسبين اسم عمل مخصوص وهو أن تنظر بين عدد الكسر ومخرجه نسبة فإن كانت النسبة بينهما تباينا فلا يعمل فيه إذ لا رد حينئذ كواحد من خمسة يعبر عنه بالخمس وإن كانت توافقا فيقسم كل من عدد الكسر والمخرج على عدد ثالث عاد لهما وإن كانت تداخلا فيقسم الأكثر منهما على الأقل ثم يقسم الأقل على نفسه ثم ينسب الخارج من قسمة عدد الكسر إلى الخارج من قسمة المخرج فيحصل المطلوب فالستة من الثمانية يعبر عنها بثلاثة أرباع والاثنان من الثمانية يعبر عنه بالربع وإنما فعلوا ذلك لأن النسبة بين الكسر ومخرجه توجد فى أعداد غير متناهية والمختار عندهم أقل عددين على نسبتهما ليسهل الحساب ويقرب إلى الفهم وإيراد ما سواهما قبيح . وقد يطلق الرد عندهم على عمل من أعمال الجبر والمقابلة ويقابله التكميل وذلك أنهم قالوا إذا كان فى أحد المعادلين أكثر من مال واحد رد إلى الواحد وإن كان فى أحدهما أقل من مال واحد يكمل ويؤخذ سائر الأجناس فى العملين بتلك النسبة بأن يقسم عدد كل جنس على عدد الأموال فيخرج من قسمة المال على نفسه واحد مثلا خمسة أموال وعشرة أشياء تعدل ثلثين قسمنا كلا من الخمسة والعشرة والثلثين على خمسة لأنها عدد المال فخرج مال واحد وشيئان يعدل ستة ويسمى هذا العمل بالرد ومرجعه إلى المقابلة إذ فيه إسقاط المشترك بين الطرفين من الطرفين . وإن كان نصف مال وخمسة أشياء مثلا معادلا لسبعة قسمنا كلا من النصف والخمسة والسبعة على النصف فخرج مال واحد وعشرة أشياء يعدل أربعة عشر عددا ويسمى هذا العمل بالتكميل ومرجعه إلى الجبر كما لا يخفى وإن شئت توضيح ما ذكرنا مع البراهين فارجع إلى شرحنا لضابط قواعد الحساب المسمى بموضح البراهين فى فصل ضرب الكسور وفى مقدمة علم الجبر والمقابلة .

وقيل الرد إلى الواحد رد وكذا التكميل إليه تكميل أما أخذ سائر الأجناس فى العملين بتلك النسبة فيسمى تعديلا كذا فى بعض الرسائل (الكشاف ٢ / ٥٥٠ ، ٥٥١).

(المفردات فى غريب القرآن ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٩٢ ، ١٩٣ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٥٠ ، ٥٥١).

*** در ابن تيمية:**

رد ابن تيمية : الشيخ تقى الدين السبكى أوله : الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ... إلخ رتبه على ثلاثة فصول .

(كشف الظنون ١ / ٨٣٧) .

***رد ابن السيد البطليوسى على اعتراضات ابن العربى فى شرح سقط الزند (ويسمى: الانتصار ممن عدل عن الاستبصار):**

يوجد مخطوطه بدار الكتب المصرية وجاء بيانه كما يلى :

تأليف عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى المتوفى سنة ٥٢١ هـ .

أوله : إن أول ما ابتدأ به كل ذكر وافتتح به ... إلخ .

ـ نسخة مصورة بالفوتستات عن أصل محفوظة بمكتبة السيد حسن حسنى عبد الوهاب بتونس كتب سنة ١٠١٧ هـ . فى ٢٣ لوحة [٢٢٦١٧ ز]

ـ نسخة ثانية مصورة بالفوتستات عن أصل آخر محفوظ أيضا بمكتبة السيد حسن حسنى عبد الوهاب بتونس بدون تاريخ فى ١٥ لوحة كل لوحة ذات شطرين [٢٢٦١٨ ز] .

(فهرست المخطوطات . نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٤٦) .

*** رد أبى حنيفة:**

رد أبى حنيفة ـ للغزالى . قال صاحب قلائد العقيان هو ليس حجة الإسلام بل هو على ما كتب فى حاشية نسخة منه محمود الغزالى شخص من المعتزلة وقد أدى ذلك شمس الأئمة الكردى إلى التعصب إلى أن رده وقابل به مقابلة الفاسد وشنع على الشافعى . وإن كان هو لحجة الإسلام فمن تأليفاته فى أول طلبه لأنه خلاف ما فى الإحياء من مناقبه .

(كشف الظنون لحاجى خليفة / ٨٣٧) .

*** رد الإلحاد فى النطق بالضاد:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم .

مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٣٠٧ .

المؤلف : على بن سليمان بن عبد الله المقرئ المنصورى المتوفى سنة ١١٣٤ هـ / سنة ١٧٢٢ م .

فاتحة الرسالة: الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين. أما بعد: فيقول الفقير إلى مولاه القدير على المنصورى الشهير متوكلا على اللطيف الخبير... قد سألنى بعض الطالبين الراغبين أن أكتب رسالة فى الرد على المبتدعة الذين اتبعوا العناد ونطقوا الضاد بين الظاء والضاد، مخالفين لأهل الرشاد فى البلاد.

خاتمة الرسالة: وقال الشيخ محيى الدين النووى لو أبدل ضادا بظاء لم تصح فى الأصح، وفى المحيط البرهانى: إذا أتى بالظاء مكان الضاد أو بالعكس فسدت صلاته، وهو قول عامة المشايخ، واستحسن مشايخنا فقالوا بعدم الفساد للضرورة فى حق العامة خصوصا العجم وفى هذا القدر كفاية لأصحاب الرواية والدراية.

حرر فى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائة وألف وصلى الله وسلم على سيد المرسلين...

أوصاف الرسالة والمخطوطة: نسخة كتبها المؤلف بخط معتاد وبالمداد الأسود، كما كتب رسالة أخرى فى نفس الموضوع على الهوامش بعض الإضافات بخط المؤلف.
الرسالة فى مجموع يحتوى على:

البديع فى الهجاء لمحمد بن يوسف الجهنى، ثم مقدمة فى القراءات لمصطفى الخليجى، ثم رسالة فى الرد على المقدسى فى الضاد والظاء، ثم جواب أسئلة مطفى أحمد الخليجى فى القراءات.

المجموع مفروط الأوراق، مكتوب بخطوط مختلفة أغلبها من القرن الثانى عشر الهجرى.

ق	م	س
١٠ (٦٤ـ٧٣)	٢٨×١٢,٥	١٧×٢١

المصادر:

فهرس التيمورية: ٣/ ٢٩١ـ هدية العارفين: ١/ ٧٦٥ ـ إيضاح المكنون: ١/ ٥٥٢ ـ بروكلمان الذيل: ٢/ ٤٢١.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. المصاحف ـ التجويد ـ القراءات ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ١/ ١٦٩، ١٧٠).

*** رد الانتقاد:**

رد الانتقاد: على لفظ الشافعى للإمام البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ ثمان وخمسين وأربعمائة.

(كشف الظنون ١/ ٨٣٧).

*** رد بعض فتاوى ابن الصلاح:**

مخطوط فى مكتبة تشستربيتى (دبلن / أيرلندا) وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٣٨٥٤ (١٣)

عنوان المخطوطة: رد بعض فتاوى ابن الصلاح.

اسم المؤلف: ابن عبد السلام (محمد بن عبد السلام).

(جاء فى هامش ١ : قد يكون المقصود هنا هو محمد بن عبد السلام بن يوسف المنستيرى المالكى (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م. انظر الأعلام ٦/ ٢٠٥)

اسم الشهرة: ابن عبد السلام

تاريخ الوفاة: بعد القرن ٨ هـ/ ١٤ م.

تعريف بالمخطوطة: رد على بعض فتاوى ابن الصلاح.

عدد الأوراق: من ١٤٤ـ ١٥٥

تاريخ النسخ: [د.ت]، تقديرا ق ٨ هـ/ ١٤ م.

ملاحظات: لم تظهر نسخة أخرى من المخطوطة

الأوراق من ١٥٦ ـ ١٧٠ تشتمل على ملاحظات مختلفة ومقتطفات موجزة.

عدد أوراق المجموعة: ١٧٠ ورقة، ١٨ × ١٣ سم

نوع الخط: نسخ لعدة نساخ

تاريخ النسخ: معظمها فى القرن ٧ هـ/ ١٣ م و ٨ هـ/ ١٤ م

(فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستربيتى (دبلن / أيرلندا) أعده الأستاذ آرثر ج. آربرى. ترجمه د. محمود شاكر سعيد، راجعه. د. إحسان صدقى العمد ١/ ٥٠٣، ٥٠٤).

*** رد التعنيف على المعنّف وإثبات جهل المصنف:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف.

مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٩١١٩

اطلع المؤلف على رسالة الشيخ محمود بن على وفيها إشارة إلى فهمه كلام ابن عربى ولكن تبين للنابلسى غير ذلك فألف رسالته رادا عليه وذلك فى ذى الحجة سنة ١١٠٣.

المؤلف : أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الحنفى الدمشقى القادرى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١م.

أولها : الحمد لله الذى جعل سببا للشقاء فى الدارين ... أما بعد فلما قدر الله تعالى الاطلاع على رسالة فاضحة لمصنفها، وقادحة فى عقل بل دين جامعها ومؤلفها ...

آخرها : قوله ومعين المتقين المبغضين على المكذبين الضالين هذا صريح فى الفسق فإن بغض أهل الإيمان ينافى التقوى وهو هذيان لا يعول عليه لأنه صادر من جاهل خبيث عدو للمؤمنين ...

الخط نسخى معتاد ، الحبر : أسود، وبعض كلماته بالأحمر.

ق ١٤ ــ ٣٨، س ٣١، ٢٢ × ١٥سم ، كلمات السطر ١٢ ، هامش ٥,٤ سم.

اسم الناسخ : تلميذ المؤلف محمد بن إبراهيم الدكدكجى.

تاريخ النسخ : الأربعاء ٤ صفر سنة ١١٠٤ هـ.

ملاحظات : نسخة مراجعة قيمة بخط تلميذ المصنف وعليها وقفية باسم عبد الله باشا.

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٥٥٢ ، عقود الجوهر / ٦١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ــ وضع محمد رياض المالح ١ / ٦٠٦ ، ٦٠٧).

* **رد الجاهل إلى الصواب فى جواز إضافة التأثير إلى الأسباب:**

مخطوط بدار الكتب المصرية وجاء بيانه كما يلى :

تأليف عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى (المتوفى سنة ١١٤٣ هـ)

أوله : الحمد لله شارع الأحكام ... هذه رسالة عملتها فى صحة نسب التأثير إلى كل شىء بحسب الظاهر على يد الإنسان الولى وغيره من الميت والحى ... إلخ .

فرغ من تأليفه سنة ١٠٩١ هـ.

ــ نسخة بقلم أسعد بن محمد بن على بن محمد بن الطويل تمت كتابة سنة ١١٢١ هـ . ومسطرتها ٢١ سطرا.

(ضمن مجموعة من ورقة ١٩٢ ـ ١٩٩).

٢١ × ١٤ سم. [١٩١١٧ ب]

ــ نسخة ثانية بقلم معتاد ومسطرتها ٢٩ سطرا (ضمن مجموعة من ورقة ٨١ ـ ٨٥).

١٤ × ٢١ سم [١٩٧٧٢ ب]

(مخطوطات دار الكتب / ٣٤٧).

كما يوجد مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٤٠٠٨

٨٣٨ ـ رد الجاهل إلى الصواب .

رسالة فى رد الفعل الحقيقى إلى الله و إن كان الفاعل الإنسان أو الولى و إنما المحرك الحقيقى هو الله ألفها سنة ١٠٩٦ هـ يوم السبت ٨ صفر .

المؤلف : عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الحنفى الدمشقى القادرى . المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أولها : الحمد لله شارع الأحكام ومبين الحلال من الحرام ... أما بعد هذه رسالة عملتها فى صحة نسبة التأثير إلى كل شيء بحسب الظاهر على يد الإنسان الولى وغيره من الميت والحى و إن هذه مجازيه ...

آخرها : كما أن مجالس العلماء والصالحين الأحياء يجب احترامها وتعظيمها ولا يجوز إهانتها ولا حد لتعظيمها ماعدا العبادة فإنها كفر... والله ولى التوفيق.

الخط نسخى معتاد، الحبر: أسود.

ق ٥٢ ـ ٥٣ ، س ٣٥ ، ٢١ × ١٥ سم، كلمات السطر ١٨ ، هامش بلا

اسم الناسخ : المؤلف عبد الغنى النابلسى .

تاريخ النسخ : السبت ٢٨ صفر سنة ١٠٩١ هـ.

ملاحظات : نسخة قيمة بخط المؤلف ولعلها مسودته

٨٣٩ ـ نسخة ثانية .

الرقم ٦٠٩٩

أولها : كالسابقة .

آخرها وكذلك تقصد الاستشفاء بدواء مخصوص تعتقد أنه يشفيك وتنفر عن الاستشفاء بأرواح الأولياء الموتى فكأنهم آخر شيء عندك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الخط نسخى واضح، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر

ق ٤٧ ـ ٥٣ ، س ٢٣، ٢٢ × ١٤ سم، كلمات السطر ١٠ ، هامش ٥ سم.

اسم الناسخ : أحمد بن مصطفى المقيد .

تاريخ النسخ : الجمعة ٢٥ شعبان سنة ١٢٠٥ هـ .

٨٤٠ـ نسخة ثالثة :

الرقم ١٣٧٧ تصوف ٥٧

أولها : كالسابقة :

آخرها : كالسابقة أى الثانية

الخط نسخى معتاد، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ق ١٢٦ ـــ ١٣١ ـــ س ٢٥ ، ٥ ,٢٠ × ٥ ,١٥سم، كلمات السطر ١٠ ، هامش ٥ سم .

ملاحظات : وقف محمد باشا العظم .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٥٥٢، عقود الجوهر / ٦٢

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١

بعد نسخ الرسالة قال الأستاذ محمد رياض المالح واضع الفهرس : أحتفظ بنسختين مخطوطتين من الرسالة .

(فهرس الظاهرية ١ / ٦٠٧ـ٦٠٩).

كما يوجد مخطوط بالخزانة العمرية فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٢٢٣٥٦ / ٨

٤٧ ـ رد الجاهل إلى الصواب فى جواز إضافة التأثير إلى الأسباب .

لعبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ/ ١٧٣١ م .

الأول (الحمد لله شارع الأحكام ومبين الحلال من الحرام والصلاة والسلام ...) فرغ منه المؤلف سنة ١٠٩١ هـ / ١٦٨٠م .

نسخة ضمن مجموع كتبه خير الله العمرى خطيب جامع العمرية سنة ١١٣٤ هـ/ ١٧٢١ م .

٩ ص القياس : ٢٢ × ١٦سم ٢٣ سطرا .

معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ هدية العارفين ١ / ٥٩٢ .

(مخطوطات الخزانة العمرية / ٤٠).

(فهرست المخطوطات . نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـــ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٤٧، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـــ وضع محمد رياض المالح ١ / ٦٠٧ ـ ٦٠٩ ، ومخطوطات الخزانة العمرية فى مكتبة المتحف العراقى . بغداد . مكتب الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٦ / ٤٠).

*** الرد الجميل على من غير التوراة والإنجيل:**

الرد الجميل على من غير التوراة والإنجيل : لأبى حامد الغزالى ذكره البقاعى فى الأقوال القويمة .

(كشف الظنون ١ / ٨٣٧).

*** رَدّ حديثه:**

من ألفاظ الجرح . انظر مادة «الجرح والتعديل (علم ـ) » فى م ١٢ / ١٠٩ـ١١٦

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٣٧).

*** رد السلام:**

من شعب الايمان رد السلام لقوله تعالى ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾[النساء : ٨٦]

ولحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : إياكم والجلوس فى الطرقات . قالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بُدٌّ نتحدث فيها فقال رسول الله ﷺ : إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق؟ قال : غض البصر، وكف الأذى ورد السلام، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر».

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى، اختصار القزوينى ـــ حققه وكتب حواشيه عبد الله حجاج / ٩٨ ، ٩٩).

*** رد السهام ذات السم على فؤاد شانى إيضاح الحكم:**

مخطوط بدار الكتب المصرية

تأليف محمد الحسنى الدمشقى الشهير بابن العطار (كان موجودا سنة ١١٩٥ هـ) .

وهو رد له على نقض ابن الشانى على رسالته المذكورة «إيضاح الحكم» .

أولها : الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ... إلخ .

ـ بقلم تعليق تمت كتابة سنة ١١٩٥ هـ . ومسطرتها ٢٣ سطرا بآخرها خط ابن العطار المؤلف .

(ضمن مجموعة من ورقة ٤٠ / ١٠٢) .

١٣ × ٢٢ سم [٢٥٠٣٧ ب]

(فهرست المخطوطات . نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٤٧).

*** الرد الصائب على مصلى الرغائب:**

الرد الصائب على مصلى الرغائب : مختصر لإبراهيم بن

فتيان الحنفى المقدسى أوله: حمدا لمن رفع من شاء من عباده ... إلخ.

(كشف الظنون ١ / ٨٣٧).

*** رد الصدر على العجز:**

انظر: رد العجز على الصدر.

*** رد العجز على الصدر:**

من المحسنات المعنوية فى علم البديع: أجمل الكلام فيه صاحب الوسيلة الأدبية فقال:

هو تكرير كلمة فى الشطرين من الشعر أو الفقرتين من السجع كقول بعضهم:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه
وليس إلى داعى الندى بسريع

وما أشبه ذلك (الوسيلة الأدبية ٢ / ١٤٦، ١٤٧)

ويفصله السيوطى فيقول:

ومنه رد عجز لصدر
إن تقع اللفظة صدر النثر
وشبهها فى ختمه والشعر
فى آخر وشبهها فى الصدر
لذلك المصراع أو صدر الذا
قبل كذا فى حشوه أو ختم ذا

من الأنواع اللفظية رد العجز على الصدر، أو يسمى التصدير وهو فى النثر أن تقع اللفظة أوله ومثلها أو مجانسها أو الملحق به آخره، وهو معنى قوله وشبهها نحو ﴿ **وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾ [الأحزاب: ٣٧] ونحو ﴿**استغفروا ربكم إنه كان غفارا**﴾ [نوح: ١٠] ونحو سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، وحديث الشيخين «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نزلا كلما غدا أو راح».

وفى الشعر أن يكون أحد اللفظين المذكورين فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الثانى، وهو معنى قولى فى الصدر لذلك المصراع أو صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره فالأول كقوله:

وإن لم يكن إلا معرج ساعة
قليلا فأنى نافع لى قليلها

وقوله:

وقد كانت البيض القواضب فى الوغى
بواتر وهى الآن من بعده بتر

وقوله:

أملتهم ثم تأملتهم
فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

والثانى كقوله:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه
وليس إلى داعى الندى بسريع

وقوله

دعانى من ملامكما سفاها
فداعى الشوق قبلكما دعانى

الثالث كقوله

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه
فليس على شىء سواه بخزان

الرابع كقوله

فمشغوف بآيات المثانى
ومفتون برنات المثانى

وقوله

فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى
أطنين أجنحة الذباب يضير

وإن انضم إلى التصدير تورية علا قدره كما تقدم فى الجناس كقول ابن الوردى:

مطرزة مثل بدر السماء
تنمق وجه الضيا بالظلم
سبى حسنها عقل تطريزها
ألم تره ليس يشكو ألم

(شرح عقود الجمان / ١٤٨، ١٤٩).

وقد أورده التهانوى تحت عنوان «التصدير» وقد ذكر بعض الأمثلة التى أوردها السيوطى آنفا فقال:

التصدير عند أهل البديع من المحسنات المعنوية ويسمى رد العجز على الصدر أيضا وهو فى النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما فى أول الفقرة واللفظ الآخر فى آخر الفقرة والمراد بالمكررين المتحدان لفظا ومعنى وبالمتجانسين المتحدان لفظا لا معنى وبالملحقين بالمتجانسين اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق فيكون أربعة أقسام:

الأول أن يكون اللفظان مكررين نحو ﴿**وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾.

والثانى أن يكونا متجانسين نحو سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل. الأول من السؤال والثانى من السيلان.

والثالث أن يجمعهما الاشتقاق نحو.
﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾ .

والربع أن يجمعهما شبه الاشتقاق نحو ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ [الشعراء : ١٦٨] وفى النظم أن يكون أحدهما أى أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما فى آخر البيت واللفظ الآخر فى صدر المصرع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر المصراع الثانى فهو أربعة أقسام لأن اللفظ الآخر فى صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أى عجزه أو صدر المصراع الثانى . وعلى كل تقدير فاللفظان إما مكرران أو متجانسان أو متشابهان اشتقاقا أو شبه اشتقاق فتصير الأقسام ستة عشر حاصلة بضرب الأربعة فى الأربعة .

واعتبر صاحب المفتاح قسما آخر وهو أن يكون اللفظ الآخر فى حشو المصراع الثانى نحوه شعر .

في علمه وحلمه وزهده
وعهده مشتهر مشتهر

فعلى هذا يصير مجموع الأقسام عشرين ولا يخفى أن تركه أولى لا معنى فيه لرد العجز على الصدر إذ لا صدارة لحشو المصراع الثانى أصلا بخلاف المصراع الأول. وقد يجاب عنه بأنه لو كان لحشو المصراع الأول صدارة بالنسبة إليه لكان لحشو المصراع الثانى أيضا صدارة بالنسبة إليه فتأمل هكذا يستفاد من المطول والجلبي والإتقان فى نوع الفواصل وتفصيل الأمثلة يطلب من المطول (كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٨٢٧).

وقد ذكر البدر الزركشى ما أسماه «رد العجز على الصدر» ولم يعرِّفه، واكتفى بأن ضرب له مثلا قوله تعالى: ﴿خُلق الإنسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون﴾ [الأنبياء : ٣٧]، وقوله تعالى ﴿وحُرِّم عليكم صيدُ البرِّ ما دُمتم حُرُماً﴾ [المائدة : ٩٦].

ثم ذكر «العكس» ويقصد به «رد العجز على الصدر» فقال يعرفه: وهو أن يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر، كقوله تعالى : ﴿لا هن حِلٌّ لهم ولا هم يحلون لهن﴾ [الممتحنة : ١٠] وقدره الزمخشرى (الكشاف / ٤١٣) أى لا حل بين المؤمن والمشرك، والآية صرحت بنفى الحلِّ من الجهتين، فقد يستدل بها من قال: إن الكفار مخاطبون بالفروع.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم وطعامكم حِلٌّ لهم ﴾ [المائدة: ٥] أى ذبائحكم، وهذه رخصة للمسلمين (البرهان ٣ / ٤٦٧) (انظر مادة «الرخصة والعزيمة»)

(الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية لحسين المرصفى ـ حققه وقدم له د. عبد العزيز الدسوقى ٢ / ١٤٦، ١٤٧، وشرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ١٤٨، ١٤٩، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٨٢٧، والبرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٣ / ٤٦٧).

تم بحمد الله وحسن توفيقه
المجلد التاسع عشر
من الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية
ويليه إن شاء الله تعالى
المجلد العشرون
وأوله تابع حرف الراء
مادة: رد العقول الطائشة إلى معرفة ما اختصت به خديجة وعائشة
أعان الله على إتمامه

تجليـــــد

